تفريغ شرح (هذا الحبيب يا محب) في السيرة النبوية
للشيخ العلامة أبوبكر الجزائري حفظه الله
جمعه العبد الفقير احمد موسى
جزى الله موقع اسلام ويب على توفيره لنا

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا الحبيب يا محب 1

لقد شرف الله عز وجل مكة بأن جعل فيها أول بيت وضع للناس، وقد أمر نبيه إبراهيم عليه السلام بأن يهاجر بزوجه وولده إليها، ليكونوا اللبنة الأولى في بناء أول مجتمع مسلم حولها، فلما وصل بهما إلى الموضع الذي أمره ربه أراد الرجوع إلى الشام فاستوقفته زوجته تسأله لمن سيتركهم، فلما علمت أن الله أمره بذلك أدركت أن الله عز وجل لن يضيعها وابنها أبداً.

مقدمة الكتاب

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.
أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، ثم أما بعد ..
أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيتها المؤمنات المستمعات! لنعلم أننا عدنا والعود أحمد إلى بعثة السيرة النبوية الشريفة من كتاب (هذا الحبيب -محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم- يا محب).
[بسم الله الرحمن الرحيم المقدمة: الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، وصلاة الله وسلامه ورحماته وبركاته على صفوة عباده وخيرته من خلقه محمد عبده ورسوله، وعلى أهل بيته الطاهرين وصحابته أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.
أما بعد: فهذه رسالة في سيرة الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم رغب في جمعها وتأليفها بعض إخوة الإسلام لتكون تكملة -لكتاب- منهاج المسلم الذي اشتمل على أصول الدين وفروعه، اللهم إلا ما كان من السيرة العطرة للحبيب محمد صلى الله عليه وسلم، وتحقيقاً لرغبتهم وضعت هذا الكتاب معنوناً بهذا العنوان: "هذا الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم يا محب" فكان حقاً -الكتاب- رسالة العلم والإيمان والحب الصادق للحبيب محمد صلى الله عليه وسلم].
وأبشركم أن الكتاب قد ترجم إلى اللغة الفرنسية، وسيجد فيه المستشرقون والمستغربون ما يعود بهم -إن شاء الله- إلى الصراط المستقيم، ويا ليته ترجم إلى لغات أخرى كالإنجليزية لانتشارها وعمومها، وسيهيئ الله له ذلك إن شاء.
[ونظراً لكثرة ما جُمع وألف في الدين في هذا الفن -السيرة- فإني -تجنباً للتكرار والإطالة والاختصار- سلكت بتوفيق الله مسلكاً في جمعه وتأليفه ما جعله بفضل الله تعالى أمثلَ ما كُتب في هذا الفن سهولة ووضوحاً وشمولاً مع حسن التبويب، وجمال التفصيل، وزانه] أي: وجمّله [ما امتاز به من ترصيع كل مقطوعة منه بذكر نتائجها وعبر قد لا تخلو منها في غالبها.
فكان بحمد الله تعالى كتاب البيت المسلم الذي يشيع بين أفراده حب الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم، وينير ببيان حسن الأسوة معالم الهدى في دروب الحياة كلها الدينية منها والاجتماعية والسياسية؛ ولهذا فإني أدعو أهل كل بيت مسلم أن يجتمعوا على قراءته فيقتطعوا نصف ساعة من يومهم -أو ليلتهم- يقرءون فيها صفحة أو صفحتين حسب طول المقطوعة من الكتاب وقصرها، ويقفون على ما فيها من النتائج والعبر يقوون بذلك إيمانهم، وينمون معارفهم، ويهذبون أخلاقهم.

وأعظم من ذلك اكتسابهم حب نبيهم وحب أهل بيته الطاهرين وصحابته الغر الميامين.
وأخيراً! فاللهم اجعل عملي في هذا الكتاب صالحاً، واجعله لوجهك خالصاً، وارزقني به -ومن يقرؤه مؤمناً محتسباً- حب نبيك وشفاعته في النجاة من النار، واللحاق بمنازل الأبرار مع الرفيق الأعلى يا ذا الجلال والإكرام.
سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين].
هذه مقدمة الكتاب، والكتاب يقرأ من عنوانه، والمقدمة هي العنوان، فهل ترغبون في دراسة هذا الكتاب أم ليس لكم به حاجة؟ نرغب لأننا لا نكلف ديناراً ولا درهماً، فكل ما في الأمر أننا نصلي المغرب وننتظر صلاة العشاء والملائكة تصلي علينا -تقول: اللهم اغفر لهم! اللهم ارحمهم- حتى نفرغ من صلاة العشاء.
فهل بعد هذا الخير من خير؟! فضلاً عما نكتسبه من علم ومعرفة قد علمناها ونسيناها، أو قد علمناها وفهمناها ثم طغت الحياة علينا فما أصبحنا نفهمها، فنجدد العلم والفهم والمعرفة.

أرض النبوة

[أرض النبوة] أي: حيث كانت النبوة، والأرض التي وجدت فيها النبوة فتنسب إليها وتضاف فيقال: أرض النبوة.
أين هي أرض النبوة؟ قال: [بجبال فاران] ونحن لا نعرف جبال فاران، لكن الذين قرءوا التوراة والإنجيل عرفوا أن جبال مكة تسمى في التوراة والإنجيل بجبال فاران، وما زال بعض العرب في تلك الديار يفهمون هذا، ويعلمون ما هي جبال فاران.
[بالوادي الأمين] وهل هناك واد أمين؟ ألا يوجد؟ إنه مكة؛ بلد الله، وهل مكة وادٍ؟ إي نعم.
وما يدلك على أنها واد؟ أرض بين جبال إذا أمطرت السماء تنهمر المياه من كل صوب وحدب وتصبح مكة وادياً، وحسبك أنك إذا سعيت ووصلت من الصفا إلى الميل الأخضر أسرعت، حتى تنتهي إلى الميل المقابل، لم؟ لأن هاجر أم إسماعيل عليهما السلام لما كانت تطلب الماء لولدها كانت عندما تصل إلى الوادي تهبط فتسرع بسرعة لتخرج منه وتتجاوزه؛ فهذا سيل ومسيل، ولهذا الوادي الأمين مكة.
[بالأرض المباركة حيث بني فيها أول بيت للناس] لقد علمنا يقيناً أن أول بيت بني لابن آدم هو بيت الله بمكة، أما قال تعالى في سورة آل عمران: إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا [آل عمران:96]؟! هذا إخبار من؟ الله العليم الحكيم.
فكيف لا نؤمن إذن؟! ونحن بهذه الآية أعلم أهل الأرض.
[كل الناس بمكة المكرمة دائرة المجد، ومهبط الوحي.
بالبلد الأمين] قال الله: وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ * وَطُورِ سِينِينَ * وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ [التين:1-3] مكة أو لا؟ بلى.
إنها مكة [حيث كان مولد سيد جميع العالمين] أو تشكون في سيادته على العالمين؟ لا.
سوده الله ورفعه إليه، وجعله سيد العالمين، فصلوا عليه.
[بديار الحجاز معقل الإيمان في آخر الزمان] إذ أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن الإيمان يأرز إلى الحجاز، ويقيم بها وينزل بديارها ويفرغ العالم منه، أما المدينة بصورة خاصة: (إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها) والحجاز كذلك، فالإيمان يرحل من الشام والعراق وما وراء ذلك من الشرق والغرب ويأتي إلى هذه الديار؛ لأمر أراده الله عز وجل.
ويكفي أن الحرمين العظيمين الشريفين بالحجاز، ديار النبي وديار الله، فكيف لا يأرز الإيمان ويفزع إليها عندما يضايق ويطارد من كل مكان؟! قال: [بها -مكة- طابت مغانيها، وجلت عن الحصر معانيها، بعث نبي آخر الزمان، الذي سنحدث عنه -إن شاء الله- الأحباء ببيان أيما بيان.
ولنحبس الآن القلم ساعة؛ لنعود إلى الحديث عن أرض النبوة بعد ساعة].

الدوحة الكريمة

قال: [الدوحة الكريمة] الدوحة: الشجرة العظيمة التي يستظل بظلها؛ لسعتها وكبرها.

قال: [من ديار الكفر والطغيان، من أرض الشرك والظلم للإنسان خرج مهاجراً إبراهيم مع ابن أخيه هاران لوط عليه وعلى إبراهيم وآله السلام].
وديار الكفر والطغيان أرض الشرك والظلم للإنسان هي أرض بابل، أرض العراق، التي خرج مهاجراً منها إبراهيم مع ابن أخيه هاران .
والغريب أن صاحب القاموس قال: هاران بن تارح .
و ابن كثير قال: هاران بن آزر .
لماذا؟ لأن الغافلين -وما أكثرهم- ومن زين لهم الشيطان ووسوس لهم قالوا: لا يمكن أن يكون آزر هو أبو إبراهيم ثم يدخل النار! مساكين!! ما قرءوا: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا [الشمس:9]! أي آدمي إنسي زكى نفسه يصبح من أهل الجنة دار السلام وإن كان ابن يهودي أو ابن يهودية، ومن لوثها وخبَّثها بأغلال الشرك والمعاصي فلن يدخل دار السلام ولو كان أباً لإبراهيم ، أو أباً لموسى، أو أباً لمحمد صلى الله عليه وسلم.
فانظر ذاك التملص والهروب.
قال: هاران بن تارح ليس ابن آزر ، فآزر ليس أباً لإبراهيم ولكن عمه، أيسميه الله أباً ويناديه به ثم تقول: لا لا، هذا عمه؟!! هذا كله وجد في عصور الهبوط من القرن الرابع والخامس، وإلى اليوم ونحن هابطون.
إن آزر هو أبو إبراهيم فلم تارح ؟! قال الله عز وجل: وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ [الأنعام:74] أتقول: لا لا قل يا رب تارح وليس آزر ؟! هل يجوز أن نقول لربنا هكذا ونرد عليه؟ كيف هذا؟! وما هو الداعي؟! لا شيء.
وإنما فقط حتى يقال إن والد الرسول صلى الله عليه وسلم في الجنة ليس في النار!! أأنتم أرحم من الله بعباده؟ الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: (أبي وأبوك في النار..)، رجل لم يزكِ نفسه، لا صلى ولا صام، لا حج ولا اعتمر ولا جاهد .. أما كان مشركاً كالمشركين؟! قال: [واتخذ إبراهيم الأرض المباركة مهاجراً أرض الشام التي باركها الله للأنام، حل إبراهيم يوماً بديار مصر وهو يحمل رسالة التوحيد، فكان أن أكرم الله سارة زوج إبراهيم] سارة زوجته وبنت عمه [بعطية هي نعم الهدية إنها هاجر المصرية، أم إسماعيل وجدة العدنانين أجمعين].
أتعرفون هذا ما سببه؟ إبراهيم عليه السلام لما هجر قومه بعد أن حكموا بإعدامه وألقوا به في أتون الجحيم وأنقذه الله عز وجل، فلما خرج من النار سليماً معافى ودعهم فهجرهم وهاجر، وخرجت معه زوجته سارة -بالسين من السرور- وابن أخيه لوط عليه السلام إلى أرض الشام، ساقهما الله إلى لأرض المباركة، فمشى فيها وطوف ثم رأى أن يتقدم غرباً، فدخل الديار المصرية يحمل رسالة التوحيد.
لما وصل رأى الهابطون سارة وجمالها فقالوا للملك السلطان الحاكم: إن هناك امرأة وصفها كذا وكذا.
هل نأتي بها إليك ؟! هذا الفعل من يقوم به؟ أهل لا إله إلا الله؟ لا.
ولكنهم نوع من الهابطين السفلة.
فقال الملك: ائتوني بها.
فماذا يصنع إبراهيم؟ هل يقاتل؟ هل يعلن الثورة؟ ماذا يملك إبراهيم؟ إنما هو غريب في ديارهم.
فقال: يا سارة ! إذا سئلت عني فقولي: أخي ولا تقولي زوجي.
لأنها لو قالت: زوجي.
إذاً يقتله الملك حتى يستحلها.
فقال لها: قولي: أخي، واعلمي أنه لا يوجد في هذه الأرض مؤمن ولا مؤمنة إلا أنا وأنت، فأنت أختي وأنا أخوك.
كل من على الأرض على الكفر.
هل كذب إبراهيم؟ لا والله.
فأتي بها إلى الطاغية وأجلسوها إلى جنبه صنعوها و ..و..
فكان يحادثها ثم يمد يده إليها، فما أن تصل يده إليها حتى يصاب بالشلل الفوري فتيبس يده.
فيقول لها: ادعي لي ربك! فتدعو وتعود يده، ثم يواصل الحديث والمداعبة والمفاتحة ويمد يده، فيصاب بالشلل مرة أخرى.
فقال في الثالثة: ما أتيتموني إلا بهذه! أخرجوها عني وشنعوها .
أي: أعطوها ما تريد.
وكان من جملة ما أهدوها: هاجر خادمة تخدمها.

وإلى عهد قريب كان الناس يهدون الخوادم، فإذا أراد شخص أن يكرمك وكان عنده كذا خادمة قال لك: خذ هذه.
فأهدوها خادمة وهي هاجر .
هذا تدبير من؟ تدبير ذي العرش العظيم، الله رب العالمين.
ثم أهدتها سارة لإبراهيم.
قالت: خذ هذه لتخدمك.
هذه هي الحادثة.
قال: [ووهبت سارة الكريمة جاريتها إبراهيم، فتسرّاها، فأنجبت إسماعيل].
ووهبتها لزوجها، ولها الحق لأنها تملكها.
أما وهبت خديجة زيداً للرسول صلى الله عليه وسلم؟ زيد بن حارثة خديجة هي التي وهبته للنبي صلى الله عليه وسلم عندما تزوجها ليخدمه.
إذاً: سارة الكريمة وهبت جاريتها هاجر لإبراهيم، فتسرّاها.
وما معنى تسراها؟ من السرور أم من السر؟ من السر والسرور، فالجارية يتسراها مالكها بأن يحسن ثيابها وفراشاها ويعطرها ويطيبها ويقضي حاجتها وحاجته منها، هذه هي المسارّة، وتسر الجارية يتسراها بمعنى يحسن حالها ويصنعها ويطأها قضاءً لحاجتها أولاً قبل حاجته.
والغافلون يعيبون على الإسلام هذه! هذه التي بين يديك تعيش محرومة من لذة غريزية مطبوعة عليها، فإن أنت أحسنت إليها أحسنت إليها بهذا، ولهذا أباح الله التسري، أما الجاهلون فيتخبطون في عمى وضلال.
أيكون لك جارية مملوكة تعيش أربعين أو خمسين سنة لا تذوق هذه اللذة المفطورة عليها؟! تزوجها؟ أنت في حاجة إليها، فمن الإحسان إليها أن تحسن فراشها ولباسها وتقلل من خدمتها وتتمتع بها.
قال: [ويسوق الله أقداراً إلى أقدار، فتضيق بسارة الدار؛ حيث آلمها أن تلد جاريتها غلاماً زكياً وتُحرمه هي].
ضاقت بسارة الدار كيف؟ آلمها أن تلد جاريتها غلاماً زكياً وتُحرمه هي؛ لأن سارة كانت عقيماً لا تلد، والجارية التي أهدتها لزوجها ولدت.
ألا تتململ؟ ألا تتألم؟! كيف لا؟! إنها الفطرة.
فضاقت بها الدار.
قال: [وبإذن من الله يخرج إبراهيم بجاريته -أم ولده- لا يتصرف إبراهيم من تلقاء نفسه ولكن بإذن من الله [مستخفياً مستحيياً] خرج بها في الخفاء مستحياً من سارة التي أكرمته [فتُعفِّي هاجر آثار أقدامها مبالغة في إخفاء أمرها].
أي: تمشي في الطريق، ولما يظهر أثر قدمها تعفيه بالتراب؛ حتى لا تعرف سارة أين ذهبت.
قال: [ولنخرج القلم الآن من الحبس] أما قلنا نحبسه؟! الآن نخرج القلم من الحبس [لنتابع الحديث عن أرض الأنس والقدس.
إنه بالواد الأمين المحاط بجبال فاران من أرض طيبة مباركة، وتحت دوحة عظيمة وضع إبراهيم هاجر وطفلها، تاركاً لهما جراباً فيه طعام، وسقاءً فيه ماء وقفل راجعاً].
خرج إبراهيم بـهاجر وطفلها حتى وصل مكة.
كيف وصل؟ هل هناك براق؟ هل هناك طائرات؟ لا.
الله هو خالق كل شيء! فوصل إبراهيم بجاريته وولدها إلى مكة، ووضعهما هناك تاركاً لهما جراباً من طعام -والجراب كالكيس من جلد مدبوغ، يجعل فيه الخبز- وسقاء فيه ماء ثم قفل راجعاً إلى أرض القدس.
قال: [ونظرت إليه هاجر والدهشة تأخذها والحيرة تنتابها، ثم تقول: إلى من تكلنا يا إبراهيم؟ وأردفت تساؤلها قائلة: آلله أمرك بهذا يا إبراهيم؟ فأجابها السيد الرحيم] من هذا السيد الرحيم؟ إبراهيم؛ لأن إبراهيم باللغة البابلية معناه الأب الرحيم .
إبراهيم: أب رحيم.
[فأجابها السيد الرحيم قائلاً: نعم.
فردت عليه -وهي قريرة العين- إذاً فاذهب، فإن الله لا يضيعنا].
هل توجد امرأة من هذا النوع؟! لو قال رجل لامرأته: يا فلانة! أنا أريد أن أترك البنك والعمل فيه، فماذا تقول؟ لا لا كيف نعيش؟ كيف نفعل؟ وإن كانت جامعية! فأين التوكل على الله؟! يا عبد الله! من فضلك استرزق الله من الحلال

فأنت في مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم، لا تبع المجلات المحتوية على صور الخلاعة والدعارة! لا تبع الدخان والسيجارة، وبع الفلفل والزيت.. والله يرزقك.
يقول لك: لا لا عيشنا يا شيخ! رزقنا! كيف؟! أين التوكل على الله؟! هنا لما تأكدت هاجر أن الله هو الذي أمر قالت: إذاً فاذهب، فإن الله لا يضيعنا.
وأين تركها إبراهيم مع طفلها؟! تركها بين جبال في واد لا عنب فيه ولا تمر ولا شعير ولا خبز .. وإنما قوت في جراب وسقاية فيها ماء قال: [وذهب إبراهيم عائداً إلى أرض الشام] وأرض الشام هي: الأردن، غزة، فلسطين، لبنان إلى آخر ذلك ..كلها أرض الشام، وهذا هو العرف العام في القرآن والسنة.
[ولما بعُد -حيث لا تراه هاجر -] مشى وبعد عنها بحيث أصبحت لا تراه [استقبل مكان البيت قبل بنائه] كان ما زال لم يبن البيت، فالبيت بناه آدم بواسطة الملائكة، ثم جاءت السيول ومرت القرون وانتهى، ولكن مكانه باق [وقال: رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ [إبراهيم:37]] و رَبَّنَا [إبراهيم:37] أي ربي ورب هاجر وإسماعيل والعالمين [عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ [إبراهيم:37]] متى قال إبراهيم هذا؟ لما وضع هاجر وإسماعيل وأراد العودة إلى أرض القدس.

وقفة قصيرة: (رحيل إبراهيم بهاجر وابنها إلى مكة)

والآن [وقفة قصيرة] أيها المستمعون والمستمعات! [فهيا بنا -معشر الأحباء- نجلس مع هاجر نؤانسها في وحشتها، ونستجلي العبرة من موقفها: هاجر امرأة مؤمنة كسائر المؤمنات تهاجر من بلدها، وتخرج من دارها حتى لا تؤذي وليَّة نعمتها] من يتذوق هذا العسل؟ لم هاجرت ورغبت في الهجرة؟ حتى لا تؤذي سارة ؛ لأن سارة محرومة من الولد، فإذا نظرت إلى إسماعيل في حجر هاجر احترق قلبها بالهم والحزن، وهذه الحال تؤذي هاجر ولا تطيقها، فكيف تؤذي ولية نعمتها؟! فهل توجد هذه العاطفة عندنا؟! لا أحسبها توجد في (1%) منا! فهي توجد والحمد لله، لكن عند النساء ما أظن، أما عند الفحول ممكن توجد.
[تلك المؤمنة الأولى سارة بنت هاران عم إبراهيم الزوج الكريم، علمت هاجر ما أصاب سارة من الغيرة فآثرت غربتها على أذية سيدتها، فيا له من موقف تقفه هذه المصرية الزكية فهلا تأسى بها الضرات؟!] من هن الضرات؟ الطبينات أو الطبائن بلغة أهل المدينة، فالضرة: المرأة التي تحت زوج ومعها أخرى، وسميت ضرة؟ لأنها تضر بالأخرى فتأخذ عليها ليلة من الليالي.
أبلغوا النساء هذا -وهن الآن يسمعن-: يا ضرة! لا تؤذي ضرتك، لا ترغبي أبداً في أذيتها، عيشي معها، تعاونا على عبادة الله وخدمة البيت والزوج، لم الغيرة والحسد والترفع والفتنة؟ أسألكن بالله هل يصح لمؤمن أن يضر مؤمناً؟ والله ما جاز لك أن تضري مؤمناً ولو كان كناساً عند بابك، ولو كان من أفقر الخلق ومن أبشعهم صورة، لا يحل أذيته ولو بكلمة، فكيف بالتي تشاركك الحياة، وتبيت إلى جنبك وتظل معك؟! لو عرفن هذا المؤمنات والله ما ضرت إحداهن بالأخرى، ولكنها الجهالة.
[وهلا عرف هذا أحباؤنا -أحبهم الله- فيؤثر أحدهم بالنفع أخاه، ويتحمل الأذى في سبيل رضاه!!] ليس خاصاً بالنساء فقط، فهلا عرف هذا أحباؤنا فيؤثر أحدهم أخاه بالنفع ويتحمل الأذى في سبيل إرضائه؟! أيوجد هذا؟ يوجد إن شاء الله، يوجد من يتحمل الأذى في سبيل رضا أخيه حتى لا ينقبض أو ينكسر أو يتألم؛ لأن الإيمان هو المسيطر على المؤمنين، إنه نور يرى صاحبه به كل قبيح كما رأى كل حسن، ويقوى به على التحلي بالحسن والتخلي عن القبيح.
[هذه عبرة] أو ليست عبرة [وأخرى: تُتْرك هاجر بواد قفر موحش، لا أنيس به من قريب ولا من بعيد، وتُظهر مخاوفها ولا تكتم ما انتابها من غم وهم، فتقول لإبراهيم: إلى من تكلنا؟ وما إن تسمع جواب إبراهيم: نعم، الله أمرني بهذا، حتى تتجلى حقيقة إيمانها في مستوى لن يرقى إليه غيرها من نساء العالمين، إذ تقول: اذهب؛ فإنه لا يضيعنا] عبرة هذه كالأولى أم لا؟ [هذا هو الإيمان الذي نطلبه أيها الأحباء، وهذا هو التوكل؛ الثمرة الشهية لعقيدة الإيمان الحية.
إن إيماناً لا يثمر توكلاً كهذا إيمان ناقص قصير، وقليل يسير، فلننشد -أيها الأحبة- إيماناً كاملاً يثمر لنا الخشية والمحبة معاً وتوكلاً كهذا].

هيا نطلب هذا الإيمان، ولكن أين نطلبه؟ من مجالس الصالحين، من قراءة كتاب الله، من النظر في الكون وما فيه من آيات.
[ولنترك هاجر تبيت ليلتها بالواد الأمين، لنعود إليها بعد حين نستقصي أخبارها، ونتعرف على أحوالها؛ لأنها رحم لنا] ما هي الذمة؟ إنها مارية القبطية التي بعث بها المقوقس مع البغلة الدلدل.
والرحم ما هو؟ إنها هاجر ! أما ولدت إسماعيل أبانا أيها العدنانيون؟ [ومنبت عز ومجد كانا لنا] أيام كنا أعزة أمجاد.
ما سبب ذلك؟ من أين جاء؟ مِن هاجر أم لا؟! لكن لما تركنا الطريق وصرفونا عن القرآن والسنة وحولونا إلى ما يحبون هبطنا، فلا عز ولا مجد، نستعطف الكفار ونسترحمهم من أجل إبرة، ولم نفق بعد.
إذاً: [إنها أم إسماعيل، أحد آباء سيد المرسلين محمد الحبيب عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم].
أزيدكم أم يكفي؟ مداخلة: زيد الله يخليك.
الشيخ: ما تعبتم؟ مداخلة: لا والله، إنما نتذوق العسل.
الشيخ: [تقول الأخبار الصادقة: إن هاجر نفد ماء سقايتها] ونفد أي: انتهى، شربته هي وابنها ليلة كاملة [وعطشت وعطش إسماعيل طفلها، فدارت تطلب الماء، وحارت] من أين؟ [وكبدها تكاد تفض وهي ترى طفلها يتلوى من شدة العطش، ونظرت، فإذا أقرب مكان عال إليها هو جبل الصفا، فأتته ورقيته ونظرت يميناً وشمالاً فلم تر ماءً ولا أحداً، ونظرت أمامها فإذا أقرب مكان عالٍ إليها جبل المروة، فهبطت ذاهبة إليه] كما تشاهدون السُعاء عند السعي.
[فانتهت إلى بطن الوادي، فأسرعت وخبّت فيه حتى اجتازته، وواصلت سعيها حتى انتهت إلى جبل المروة فرقيته، ونظرت يميناً وشمالاً فلم تر شيئاً، فهبطت عائدة إلى الصفا حتى اكتمل سعيها بين الصفا والمروة -وهي تطلب الماء لولدها ولها- سبع مرات] عرفتم الآن لم السعي بين الصفا والمروة سبعة أشواط بثمان وقفات أربع على الصفا وأربع على المروة؟ [وعندها وهي على أحد الجبلين تسمع صوتاً غريباً، فتقول في لهفة: أَسْمعتَ أَسْمعتَ فهل من غياث؟! وترمي ببصرها نحو ولدها، فإذا برجل -قائم على رأس الطفل تحت الدوحة وما أن دنت منه حتى قال بعقبه هكذا -يرفس الأرض- وإذا بعين ماء تفور، وكم كانت فرحة هاجر بسقيا إسماعيل؟! وأخذت تزمها بالتراب والحجارة؛ تمنع سيلانها على وجه الأرض خشية أن تنضب، ولو تركتها -فلم تحطها بما أحاطتها به من تراب وحجارة- لكانت عيناً معيناً كما أخبر بذلك حفيدها السيد الجليل محمد إمام المرسلين وسيد جميع العالمين، عليه أفضل الصلاة وأزكى وأبرك التحية والتسليم].
ثمرة قصة رحيل إبراهيم بهاجر وابنها إلى مكة

إذاً: قال المؤلف غفر الله له ولكم ورحمه وإياكم: [ثمرة القصة] ثمرة هذه القصة الطويلة ليست بالثمرة التي نأكلها أو نذهب بها إلى بيوتنا لأولادنا ونسائنا؟ أو ما لها ثمرة؟ لا بد من ثمرة! [إن لهذه القصة -التي قصصناها- ثمرة من أغلى الثمار وأشهاها إلى النفوس المؤمنة] أما الميتة فلا.
ولكن [المؤمنة الطاهرة الزكية] ليست كل نفس مؤمنة، وإنما مؤمنة وطاهرة وزكية [إنها ثمرة التوكل على الله بتفويض الأمر إليه، والاعتماد عليه، أتذكر أيها المحب لما قالت لإبراهيم: إلى من تتركنا؟ آلله أمرك بهذا؟ فقال لها: نعم.
فقالت: إذاً فاذهب؛ فإنه لا يضيعنا! إنها توكلت على الله ربنا وربها وأحسنت الظن به تعالى.
فهذه العين الثرة] الثرة هي التي دائماً تسيل، فهل يوجد على وجه الأرض بئر دام ستة آلاف سنة؟ أمريكا ما وجدت بعد ولا كانت، إن زمزم مضى عليها قرابة ستة آلاف سنة -أو خلها أربعة آلاف سنة إذا شككت- أما تندمر، ولا تنسد، ولا تنتهي؟ وإلى الآن تسر وتطيب بالماء، وأكثر الناس كافرون لا يؤمنون! هذه آية واحدة تدل على الله وعلمه وقدرته.
[(زمزم) كانت ثمرة توكلها على ربها وحسن ظنها به -عز وجل-] ذاك الألم الذي أصابها من الغربة والوحشة ومن تركها وحدها مع طفلها بلا شيء بعد توكلها على الله أنتج هذه النعمة! والآن نشرب زمزم في بيوتنا طوال العام.
هذه بركة هاجر أو لا؟ أو ما تقولون بالبركة؟ مداخلة: بلى.
.
بلى.

الشيخ: إنها ثمرة توكلها على الله، ووالله لو توكل العالم الإسلامي اليوم على الله، واجتمع في هذه الروضة وبايعوا إمام المسلمين وقالوا: نحن أمة واحدة! لطُبقت الشريعة بسهولة وأقيمت الصلاة، وطابت النفوس وزكت الأرواح، وإذا بالعالم كله يرتعد وينحني! بالتوكل فقط.

ألا يستطيعون، ألا يعرفون؟! نكتفي بهذا القدر وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه.

أول ما بدأت عمارة مكة بسكنى هاجر وولدها إسماعيل فيها، وذلك بأمر الله حين أمر إبراهيم بالمجيء بهم إليها، ثم بعد أن استقرت هاجر وابنها وأنعم الله عليهما بعين زمزم أقبلت قبيلة جرهم باحثة عن الماء، فأذنت لهم هاجر بمجاورتها في ذلك الموضع، ثم ابتلى الله عز وجل هذه الأسرة المؤمنة ببلاء عظيم، ألا وهو أمر إبراهيم بذبح ولده، فأذعن الأب والابن وامتثلت الأم صابرة، فنادى الله إبراهيم وبشره بنزول الفداء، وتحقق الرضا على هذه الأسرة المؤمنة.

تابع وقفة قصيرة (رحيل إبراهيم بهاجر وابنها إلى مكة)

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، ثم أما بعد: فإننا على سالف عهدنا في مثل هذه الليلة من يوم الجمعة ندرس السيرة النبوية الشريفة من كتاب هذا الحبيب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم يا محب، وقد انتهى بنا الدرس إلى وقفة القصيرة، فهيا بنا معشر الأحباء نجلس مع هاجر نؤانسها في وحشتها.

هاجر ! من هي هاجر هذه؟ إنها أم إسماعيل، هذه التي أهداها ملك مصر إلى سارة زوج إبراهيم، ثم أهدتها هي لزوجها فتسراها فأنجبت إسماعيل، وقد سبق أن عرفنا كيف خرج بها إبراهيم من أرض القدس، وكيف كانت تعفّي آثارها حتى لا تنزعج ضرتها سارة -على الجميع السلام-.

قال:[وقفة قصيرة: فهيا بنا معشر الأحباء نجلس مع هاجر نؤانسها في وحشتها ونستجلي العبرة من موقفها] الذي وقفته.

قال: [هاجر امرأة مؤمنة كسائر المؤمنات تهاجر من بلدها، وتخرج من دارها حتى لا تؤذي ولية نعمتها].

أي ضرتها سارة .

لم؟ لأن سارة عقيم لا تنجب، و هاجر جارية رزقها الله الولد -إسماعيل-.

ولا شك أن للمرأة غيرة فتتألم، فهاجر للطفها وظرفها وحسن عشرتها، وآدابها وأخلاقها وكمالها لم ترد أن تضر بضرتها، وأرادت أن تبتعد بطفلها عنها.

فهل يفعل المؤمنات اليوم مثل هذا؟ قل لي: هل فعل الرجال مثل هذا؟ نعم يوجد، ولكن بندرة وقلة وَقَلِيلٌ مَا هُمْ [ص:24]، وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ [سبأ:13].

قال: [تلك المؤمنة الأولى سارة بنت هاران عم إبراهيم الزوج الكريم].

سارة هي بنت عم إبراهيم عليه السلام، وإن قال قائل: ولوط ابن أخ إبراهيم؟ الجواب: آزر بن تارح أبو إبراهيم له أخ اسمه هاران ، وإبراهيم له أخ اسمه هاران ، هاران الأول ولد سارة بنت عم إبراهيم فتزوجها إبراهيم، و هاران الثاني أخو إبراهيم أنجب لوطاً عليه السلام، فلوط ابن أخ إبراهيم، ولا لبس.

قال: [علمت هاجر ما أصاب سارة من الغيرة فآثرت غربتها عن أذية سيدتها، فيا له من موقف تقفه هذه المصرية الزكية فهلا تأسى بها الضرات؟! وهلا عرف هذا أحباؤنا -أحبهم الله- فيؤثر أحدهم بالنفع أخاه، ويتحمل الأذى في سبيل رضاه؟!].

هل هذا ممكن؟ هذه جملة نورانية: وهلا عرف هذا أحباؤنا -أحبهم الله- فيؤثر أحدهم بالنفع أخاه، ويتحمل الأذى في سبيل رضاه؟! قال:[هذه عبرة] وباللغة المصرية عبّارة -أي: يعبر بها من مكان إلى مكان- هذا معنى العبرة.

قال: [وأخرى: تُترك هاجر بواد قفر موحش، لا أنيس به من قريب ولا من بعيد، وتظهر مخاوفها ولا تكتم ما انتابها من غم وهم، فتقول لإبراهيم: إلى من تكلنا؟] أي: إلى من تتركنا يا إبراهيم؟ [وما إن تسمع جواب إبراهيم: نعم، الله أمرني بهذا، حتى تتجلى حقيقة إيمانها في مستوى لن يرقى إليه غيرها من نساء العالمين، إذ تقول: اذهب؛ فإنه لا يضيعنا].

تركها مع طفلها إسماعيل ومعها جراب من خبز وسقاء من ماء، وقصر وقفل راجعاً إلى أرض الشام، فتقول: إلى من تتركنا يا إبراهيم؟ ثم تقول: آلله أمرك؟ فيقول: نعم، فتقول على الفور: اذهب، فإنه لا يضيعنا.
اللهم ارزقنا قسطاً من هذا التوكل ولو نسبة (1 %).
أين درست هذه؟ ومن أي جامعة تخرجت؟! هذه عاشت أياماً وليالٍ في حجر إبراهيم عليه السلام.
قال: [هذا هو الإيمان الذي نطلبه أيها الأحباء] متى نحصل عليه؟ [، وهذا هو التوكل، الثمرة الشهية لعقيدة الإيمان الحية.
إن إيماناً لا يثمر توكلاً كهذا إيمان ناقص قصير، وقليل يسير، فلننشد -أيها الأحبة- إيماناً كاملاً يثمر لنا الخشية والمحبة معاً وتوكلاً كهذا!] أي: الذي رأيناه في هاجر .
قال: [ولنترك هاجر تبيت ليلتها بالواد الأمين] هيا بنا نترك هاجر تبيت ليلتها بالواد الأمين، .
أي واد أمين هذا؟ إنها مكة؛ إذ كانت فقط واد ليس به أحد [لنعود إليها بعد حين نستقصي أخبارها، ونتعرف على أحوالها؛ لأنها رحم لنا] رحم لنا أو لا؟ يا أبناء إسماعيل! إن هذه جدتكم [ومنبت عز ومجد كانا لنا، إنها أم إسماعيل، أحد آباء سيد المرسلين محمد الحبيب عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.
تقول الأخبار الصادقة: إن هاجر قد نفد ماء سقايتها، وعطشت وعطش إسماعيل طفلها، فدارت تطلب الماء، وحارت وكبدها تكاد تفض وهي ترى طفلها يتلوى من شدة العطش، ونظرت، فإذا أقرب مكان عال إليها هو جبل الصفا، فأتته ورقيته، ونظرت يميناً وشمالاً فلم تر ماء ولا أحداً، ونظرت أمامها فإذا أقرب مكان عال إليها هو جبل المروة، فهبطت ذاهبة إليه].
وهذا هو مشروع السعي لنا، إحياء لذكرى أم إسماعيل، أحيا الله ذكراها ففرض السعي علينا في الحج والعمرة.
قال: [فانتهت إلى بطن الوادي، فأسرعت وخبت فيه حتى اجتازته] والخبب للرجال سنة، فإذا وصلنا إلى الميل الأخضر أسرعنا، وإذا فرغنا مشينا؛ إحياء لذكرى هاجر أم إسماعيل، أما النساء فليس عليهن خبب ولا سرعة؛ لضعفهن وعدم قدرتهن على هذا، أما الرجال الفحول فنعم من السنة لهم ذلك، إلا عاجز لمرض وكبر مثلاً.
قال: [وواصلت سعيها حتى انتهت إلى جبل المروة فرقيته، ونظرت يميناً وشمالاً فلم تر شيئاً، فهبطت عائدة إلى الصفا حتى اكتمل سعيها بين الصفا والمروة -وهي تطلب الماء لولدها ولها- سبع مرات] اكتمل السعي سبع مرات بأربع وقفات على الصفا وأربع على المروة.
قال: [وعندها -وهي على أحد الجبلين- الصفا أو المروة [تسمع صوتاً غريباً فتقول في لهفة: أَسمعتَ أَسمعتَ فهل من غياث؟! وترمي ببصرها نحو ولدها، فإذا برجل قائم على رأس الطفل تحت الدوحة] وهي الشجرة عظيمة [وما إن دنت منه حتى قال بعقبه هكذا -يرفس الأرض- وإذا بعين ماء تفور].
إذاً: بئر زمزم من حفرها؟ الأرتوازيات؟ لا.
بقدم جبريل فقط، حك الأرض ففار الماء -والله العظيم-.
قال: [وإذا بعين ماء تفور، وكم كانت فرحة هاجر بسقيها إسماعيل! وأخذت تزمها بالتراب والحجارة؛ تمنع سيلانها على وجه الأرض خشية أن تنضب] ظنت أنها إذا سالت من هناك نضبت [ولو تركتها فلم تحطها بما أحاطتها به من تراب وحجارة لكانت عيناً معيناً، كما أخبر بذلك] أبو القاسم [حفيدها السيد الجليل محمد إمام المرسلين وسيد جميع العالمين عليه أفضل الصلاة وأزكى وأبرك التحية والتسليم] إذ قال في صحيح البخاري : (رحم الله أم إسماعيل لو تركتها لكانت عيناً معيناً)، لكن شاء الله أن نستخرجها بالدِلاء ستة آلاف سنة، والآن الحمد لله بالساحبات التي تسحب، فالحمد لله.
بعد أن عرفتم هذه القصية الجميلة! ما هي ثمرتها؟ هل تريدون أن تجنوا الثمار أو ليس لكم بها حاجة؟ هل أنتم في خير.

.
شباع ليس لكم بها حاجة؟! نريد أن نستثمر، وأن نجني العبرة ونأخذها من الدرس.

ثمرة قصة هجرة إبراهيم بزوجه وولده إلى مكة

قال: [ثمرة القصة: إن لهذه القصة -التي قصصناها- ثمرة من أغلى الثمار وأشهاها إلى النفوس المؤمنة الطاهرة الزكية.
إنها ثمرة التوكل على الله بتفويض الأمر إليه، والاعتماد عليه.
أتذكر أيها المحب لما قالت هاجر لإبراهيم: إلى من تتركنا، آلله أمرك بهذا؟ فقال لها: نعم، فقالت: إذاً فاذهب فإنه لا يضيعنا! إنها توكلت على الله ربنا وربها وأحسنت الظن به تعالى، فهذه العين الثرة (زمزم) كانت ثمرة توكلها على ربها وحسن ظنها به عز وجل].
ونبدأ بالجزئيات فقط من باب التذكير: أخونا فتح دكاناً في المدينة النبوية ليبيع أنواع البقالة، وفي نفس الوقت يبيع مجلات فيها الدعارة والخلاعة، فيدخل عليه المؤمن قائلاً: أي عبد الله! ماذا تبيع؟ يكفيك ما تبيع من الأطعمة وأنواعها، وهذه المجلة مذمومة ذمها أهل العلم، فيها صور العوار في الغلاف، تطالعها المرأة فتفتن، ويطالعها الشاب فيهلك..هذا لا يصلح، توكل على الله.
فيقول: الزبائن إذا لم يجدوا المجلة لا يشترون من عندنا! هل هذا توكل على الله أم على المجلة؟ أسألكم بالله على من توكل هذا؟ على المجلة!! وآخر يبيع التبغ، وتعرفون التبغ، لا عرفكم الله به! التبغ هو ذاك الدخان، هو تلك السجائر التي ابتلي بها الناس والعياذ بالله -اللهم نجهم واشفهم- هؤلاء تسجل عليهم خطايا يومياً بالأطنان؛ لأنهم يؤذون الملائكة، والذي يؤذي الحرس الإلهي الذي وكل به فينفخ في وجهه الدخان والنار، والرائحة الكريهة، أين يذهب يا عبد الله؟! أما علمتم أن الله وكل بنا ملكين من صلاة الصبح إلى صلاة العصر، فيعرجان ويأتي ملكان من العصر إلى الصبح وذلك مدى الحياة؟ أما قرأتم: وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ [الانفطار:10-12]؟ ستقول: يا شيخ! الملائكة لا يتأذون بالرائحة الكريهة، فهم ليسوا بشراً! هذا هو جوابك؟! اسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (أيها الناس من أكل ثوماً أو بصلاً فلا يقربن مساجدنا؛ فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم)، (من أراد أن يبصق فلا يبصق عن يمينه ولا عن شماله فإن عن يمينه ملكاً، ولكن يبصق بين يديه وتحت قدميه).
فيكفي المدخن هذه الجريمة فقط، والأخرى بدل أن يطيب فاه وينظفه بالسواك في كل ساعة وفي كل صلاة يفرض عليه أنتن رائحة وأعفنها! ثم يذكر الله! هل يجوز هذا؟! أسألكم أيها البصراء: لو أن أحداً أخذ ورقة وكتب فيها باسم الله، ثم غمسها في خرأة ماذا تقولون؟ هل يبقى مؤمناً؟ هذا يضرب على رأسه لأنه كفر! إذاً: فكيف يجوز لعبد الله أن يدخن ويعفن فمه وحلقومه وباطنه وتمر عليه فتقول: السلام عليكم، فيقول: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، هل ذكر اسم الله أو لا؟ عندما أخرجه وأجراه على مجرى نظفه أو وسخه؟ هذا من باب المثال، والحمد لله انتهى التدخين والمدخنون، ولم يبقى إلا القليل والحمد لله.

بداية أمر مكة

قال: [بداية أمر مكة] مكة ما كانت لتذكر، متى بدأ تذكر مكة؟ [لما أكرم الله تعالى هاجر أم إسماعيل بماء زمزم، مرت رفقة من قبيلة جرهم] من اليمن [قريباً من وادي مكة] قافلة سائرة في طريقها شاء الله أن يمروا قريبين من وادي مكة [فبعثوا من يرتاد لهم ماء ينزلون عليه] الرائد في القوات المسلحة هو الذي يرتاد أو يمشي أمام القوم ويبحث لهم عن شيء يطلعهم عليه [فرأى رائدهم طائراً يحوم] في السماء [فعلم أن هناك ماء، فأتى المكان] الذي كان الطائر يحوم عليه [وإذا فيه هاجر وولدها إسماعيل وهما إلى جنب ماء زمزم، فعاد الرائد فأخبر رفقته، فأتوا الماء واستأذنوا هاجر في النزول معها، فأذنت لهم] امرأة مع طفلها في عالم أقفر خالٍ تُستأذن في النزول إلى جنبها .
.
ماذا نقول في العرب الأولين؟! نقول: الكفار الأولون أشراف الكفار، لهم من الكرامات ما يحلم بها هؤلاء المتحضرون.
قافلة كاملة تستأذن امرأة مع طفلها: يا هذه! أتأذنين لنا في النزول إلى جوارك لننتفع بالماء؟ فتأذن لهم، بشرط ألا حق لهم في الماء، لو كان واحد من جماعتكم اليوم لضربها برجله أو لوى رأسها، وقال: انزلوا! لِمَ لم يفعل العرب هذا؟ لأنهم يتمتعون بكرامات، وما اتسخت أذهانهم ولا قلوبهم ولا توارثت بحب الدنيا والشهوات.
قال: [واشترطت ألا يكون لهم حق في الماء، فقبلوا الشرط ونزلوا، فكانت هذه بداية عمارة مكة في العهد الإبراهيمي السعيد] وبدأت مكة تعمر من هذا الوقت.

عبرة (إذن هاجر لقبيلة جرهم بالنزول معها في مكة)

[عبرة] نعبر بها إلى الكمالات من هذه الحادثة بالذات، ما هي؟ قال المؤلف غفر الله له ولكم ورحمه وإياكم: [أين الذين يتشدقون بالديمقراطية] أين هم؟ نريد أن نراهم [والعدالة الاجتماعية؟ أين هم؟ إنهم في الحضيض الأسفل إزاء هذه الواقعة التاريخية الثابتة بالوحي الإلهي: امرأة غريبة الدار، تملك بئر ماء في صحراء تستأذنها في النزول إليها رفقة كاملة برجالها ونسائها، تستأذنها في النزول في جوارها، فتشترط عليهم في النزول بجوارها وهي تحب الأنس -أيضاً- ألا يكون لهم حق في الماء فيقبلون الشرط ويرضونه وينزلون!!].
أين أدعياء الديمقراطية والعدالة الاجتماعية؟! هراء وتضليل وخرافات! [هذه خلة فاضلة كريمة من خلال العرب في الجاهلية فكيف بهم في الإسلام لولا الصرفة التي صرفوها بمكر الثالوث الأسود: المجوس واليهود والنصارى] كان العرب هكذا، ولكن من صرفهم عن مصدر كمالهم حتى هبطوا؟ الثالوث الأسود، من هذا الثالوث؟ يتكون من أية عناصر؟ والله لمن المجوس، واليهود، والنصارى.
يقول قائل: يا شيخ! كيف صرفوهم بالسحر أم بماذا؟ صرفوهم بأن قالوا لهم: القرآن يُقرأ على الموتى فقط، هل بلغكم أن العالم الإسلامي يقرأ القرآن على الموتى أم لا؟ وهل نزل القرآن ليقرأ على الموتى أم على الأحياء؟ وصرفوهم عن السنة كذلك، فتقرأ كتاب الفقه طوال العام لا تجد فيه قال الله ولا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنسوهم الله ورسوله، فلا كتاب ولا سنة، فتمزقت الأمة وتلاشت وتمرغت في أوضار الحياة والجهل.
هذا الذي حصل! ما بقي للعروبة اسم على حقيقته، وإلا العربي أسد في كمالاته وقوته وشجاعته.
هذا هو الواقع ولهذا قلنا: هذه خلة فاضلة كريمة من خلال العرب في الجاهلية فكيف بهم في الإسلام؟! الله الله في القرون الثلاثة الأولى كيف كان العربي؟ كان إذا شرق أو غرب وجدت العدل والشجاعة والرحمة والإخاء .
.
وهذا منظر: في اليرموك أو في غزوة اليرموك كان هناك جريح يصرخ من شدة العطش، فسمعه آخر فنقل الماء إليه، فإذا بآخر يقول: آه، فيقول الأول: أعطه، فيذهب إلى الآخر فيقول ثالث: آه، فيقول الثاني: أعطه، حتى مات الجرحى كلهم، وكل منهم يؤثر أخاه بالماء.
هذا أيام كان العرب يعيشون على نور الله، ولكن جهّلوهم وضلّلوهم وأهبطوهم، ثم ركبوا عليهم ورفسوهم، وبعدما رفعوا أرجلهم علينا تركونا كالبهائم!!

عمارة مكة

قال: [عمارة مكة: عمرت مكة بـهاجر أم إسماعيل أولاً ثم بنزول الرفقة الجرهمية ثانياً، وكبر إسماعيل، وأصبح أهلاً لأن يسعى ويعمل ولو برعي الماشية وصيد الظباء والطيور.
وجاء إبراهيم يتعهد تركته -إسماعيل ابنه و هاجر أم ولده- عليهم السلام] جاء من الشام يتعهد ما تركه من سنوات [وأوحى إليه الرب تعالى مناماً] أوحى الله تعالى إلى إبراهيم في المنام [-ورؤيا الأنبياء وحي- أن اذبح إسماعيل قرباناً لنا] عندما جاء إبراهيم يتعهد التركة ويشاهد ولده وأم ولده، أوحى الله إليه في المنام -رأى رؤيا بأن الله يأمره- بذبح إسماعيل قرباناً له كما نتقرب نحن بذبح بالشاة والبعير.
قال: [واستشار إبراهيم إسماعيل في ذلك قائلاً: إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى [الصافات:102] فأجاب إسماعيل قائلاً: افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ [الصافات:102].
وأراد إبراهيم تنفيذ أمر ربه فخرج بإسماعيل ولده إلى منى، ليذبحه قرباناً لربه حيث أمره، ولما تله للجبين] أي صرعه على وجهه [والمدية بيده] أي السكين [وقبل الإجهاز عليه ناداه ربه: وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ [الصافات:104-105] وفداه بذبح عظيم، أي بكبش أملح كبير، فترك الولد وذبح الكبش، وفاز بالرضا الولد والوالد].
هذا امتحان وإلا لا؟ إنه امتحان وابتلاء.
لو جعت ليلة واحدة هل ستصبر؟ ستقوم في الليل تبكي وتذكر الله، بل نخشى أن تبعث من يخطف الخبز من يد صاحبه.

عبرة (صبر هاجر على ذبح ولدها)

[عبرة] من هذه الحادثة نأخذ عبّارة [إن في صبر هاجر على ذبح ولدها] صبرت وإلا لا؟ أخذ طفلها من بين يديها ليُذبح في منى [وصبر إسماعيل على ذبح نفسه لآية دالة على طيب الأم وولدها] وأي طيب أعظم من هذا؟! [فلذا اختيرا لأن يكونا جدَّين لسيد المرسلين الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم] لطيبهما وزكاتهما اختارهما الله لأن يكونا جدين لسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم، فيذكران إلى يوم القيامة.
هذا جزاء من ابتلاه الله فصبر، ونحن إذا ابتلينا نضجر ونسخط ونفجر، وإذا عفا الله عنا وأكرمنا نسرف ونعبث ونلهو؛ لأنه لا رشد لنا! قولوا: لا تلمنا يا شيخ! لأننا ما رُبّينا في حجور الصالحين، ولكن نعيش كالحيوانات.
يجب أن يتربى المرء بين أبوين صالحين وبين مربين ربانيين في بيوت الرب كل ليلة؛ ليتعلم العلم، وليزداد النور في قلبه وبصره وسمعه، فلا يمضي عام إلا وهو رباني لا ينطق بالسوء ولا يتحرك حركة فيها أذى.
إن في صبر هاجر على ذبح ولدها وصبر إسماعيل على ذبح نفسه لآية -أي علامة- دالة على طيب الأم وولدها فلذا اختارهما الله لأن يكونا جدين لسيد المرسلين الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم.
[إن طيبوبة الأصول تنتقل إلى الفروع، وقد تزهوا الفروع على أصولها] أليس كذلك؟ إن محمداً صلى الله عليه وسلم علا فوق إسماعيل وإبراهيم.
[وجاء الخليل مرة أخرى يتعهد تركته] المرة الأولى انتهت، وعاد إلى أرض القدس وجاء بعد عام أو عامين أو ثلاثة يتعهد أسرته، وتلك المؤمنة محرومة من الولد، فهل أعطيت بعد ذلك ولد؟ الله أكبر! فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ [هود:71] .

.
هي التي صكت وجهها وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ * قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ [الذاريات:29-30] أبشري يا سارة .
[وكان إسماعيل عليه السلام قد كبر وبلغ وتزوج امرأة جرهمية من الرفقة التي جاورتهم بمكة، ومن لحق بهم من قومهم] تزوج إسماعيل بعد أن بلغ من قبيلة جرهم النازلة بجوارهم، والخاضعة لسلطان أمه في الماء.
[فدخل إبراهيم وسلم على امرأة ابنه، وكانت هاجر قد توفيت] ماتت هاجر رحمة الله عليها، ولكن أين هي مدفونة؟ لعلها في حجر إسماعيل، وحجر إسماعيل معروف، ذاك هو المنزل الذي كان يسكنه ومات فيه ودفن فيه، فالأنبياء يدفنون حيث يقبضون، هذه سنة الله، لكن احذروا لو أتيتم إلى الحجر أن تنادوا وتستغيثوا بإسماعيل فتكفرون وتشركون.
[فقال: أين إسماعيل؟] بعد أن سلم [قالت: ذهب يصيد] فليس عندهم -والله- إلا الماء واللحم، يصيدون الأرانب والضباء والغزلان ويشربون ماء زمزم [وسألها عن حالها مع زوجها، فلم تذكر خيراً] وهذه كنساء اليوم، لا يقلن إلا نحن في شقاء، وفي بلاء، وفي تعب، وما إلى ذلك ..[فقال: إذا جاء زوجك فاقرئيه السلام، وقولي له: يُغير عتبة بابه] وهذه كناية لطيفة: فغير عتبت بابك يا إسماعيل: أي استبدل هذه المرأة بأخرى، فهذه لا تصلح، ليس لهذه أن تنجب سيد المرسلين، أو ليست أهلاً لذلك، وتعرفون هذا من نسائكم، فقليل الصالحات، من يقلن: الحمد لله، فنحن في خير، عندنا الرطب، وعندنا الماء ..وتذكر نِعم الله، أما الجامعيات: فتطلب كذا، وتطلب كذا وكذا..حتى ينهار الفحل! فمن أين له أن يأتي بهذا كله؟ ستقولون: لِمَ الشيخ يتحرش بالجامعيات؟ لأني أقول لكم: لا تعلموا نساءكم أكثر من معرفة ربهن، وطاعة مولاهن، وتربية أولادهن، وطاعة أزواجهن، وإلا يعلون عليكم ولا تنتفعوا بهن، فتصبحون تحت، وأنتم الآن فوق، وأنتم لا تأخذون بالنصائح؛ لأنكم اقتديتم بالشرق والغرب، ولكن اقتدوا برسول الله صلى الله عليه وسلم، وبناته وأزواجه، والمؤمنات: من فاطمة الزهراء إلى أمي أنا فقط، هل كان النساء موظفات في المكاتب؟ لا.
ما توظف أحد من فاطمة الزهراء إلى أمي، ولا امرأة واحدة، وعشن صالحات ومتن على ذلك.
أما الآن: مستقبلي يا بابا..مستقبلي يا بابا! فيقول الأب: يا بنيتي الزمي البيت واقرئي كتاب الله، وصومي وصلي، وساعدي أمك على مهامها في بيتها، وإذا كبرت زوجناك بمؤمن تسعدين به وتُسعدينه خير لك من الدنيا وما فيها.

فتقول: لا.مستقبلي يا بابا! أريد شهادة لأتوظف بها!! اللهم أدم هذه النعمة على أهل هذه البلاد، فليس هناك وظيفة، الآن نحن مكبوتون كبتاً، ولولا هذه الحكومة لأصبحنا نتنافس من تقبل ابنته في الوظيفة، ستقولون: يا شيخ! كيف تقول هذا، أليست بلادنا الأخرى هكذا؟! أسألكم بالله! إنهم يطلبون الوظائف لبناتهم ونسائهم مع الرجال! عرفتم لماذا نقول لا للجامعيات؟! وأنا أحب مثلكم كل مؤمن ومؤمنة، لكن فقط من باب لعل الله أن ينفع من يسمع أو تسمع، فلا خير مستقبلاً في تعليم البنات العلم الذي لا يزكي أنفسهن ولا يطهر أرواحهن ولا يهذب أخلاقهن، وكيف يتم ذلك والوظيفة هي المطلوبة؟! (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى)، إن الرجال الفحول الذين لم يطلبوا العلم لله لم يستفيدوا منه.

[وجاء إسماعيل من الصيد وأخبرته بالخبر، فقال: ذاك أبي، وقد أمرني بطلاقك، فالتحقي بأهلك] لم يتردد؛ لعلمه بصدق أبيه ومعرفته.

فلهذا نقول: يا بني! انظر، فإذا كان أمك وأبوك صالحان طيبان، وقد نصحا لك أن تطلق فطلق، أطعهما فإنهم أعلم منك وأعرف، وإن كانا فاسدين والمرأة صالحة وإنما هي الغيرة والحسد والجهل فلا تطلق، واعصهما؛ (إنما الطاعة في المعروف) فهمتم هذه القاعدة وإلا لا؟ أو ما تأخذون بها؟! وقد رأيت شاباً من تلاميذنا تزوج عشر مرات، حتى ماتت أمه، كل ما أتى بامرأة ومكثت شهراً أو عاماً، قالت له أمه: هذه لا تصلح طلقها، حتى وضع الأمر في يدها هي تزوجه وتطلقه! إذاً: إذا كان الأبوان صالحين خذ بنصيحتهما وإن أعجبتك المرأة وشهتك مالها، فهما يعرفان ما لا تعرف، وإن كانا من الهابطين وكانت المرأة صالحة -كما ترى- فلا تطعهما.

وهذه القاعدة أخذناها من إبراهيم لما زار ابنه إسماعيل وقال: إذا جاء زوجك أقرئيه السلام، وقولي له: يغير عتبة بابه، فلما جاء إسماعيل من الصيد تفرس قائلاً: هل زارنا أحد؟ فقالت: نعم، فسألها ماذا قال، فقالت: يقول لك: غير عتبة بابك، فقال: ذاك أبي وقد أمرني بطلاقك، فالتحقي بأهلك.

[مضى زمن -يطول أو يقصر- وبدا لإبراهيم أن يتعهد تركته، فجاء مكة] من الشام من القدس [ودخل حجر إسماعيل فسلم وقال: أين إسماعيل؟ وسألها عن حالهم؟ فذكرت خيراً] أي قالت: نحن في خير وعافية، والحمد لله على الماء والعيش والأمن، ففرح إبراهيم.

وهذه هي المؤمنة! [فقال لها: إذا جاء زوجك فأقرئيه السلام، وقولي له: ثبت عتبة بابك] أي: ركز عليها وثبتها، كناية عن الزوجة، وهذه يفهمها ذو اللب والعقل، فالمرأة هي عتبة الباب، يدخل الخير أو الشر من طريقها.

[وعاد إبراهيم إلى الشام ومضت الأيام -وقد تطول أو تقصر- وبدا لإبراهيم أن يطلع على تركته، فجاء مكة فوافق إسماعيل من وراء زمزم يصلح نبلاً له تحت دوحة عظيمة قريبة من زمزم، فلما رآه قام إليه، فصنع كما يصنع الوالد بالولد والوالد مع الولد] أي: احتضنه.

وتعرفون هذا! فلم يقبل خديه وشاربيه وعينيه -كما تفعلون- بل احتضنه وضمه إلى صدره، والذي أخبر بهذا هو أبا القاسم صلى الله عليه وسلم.

[فقال إبراهيم: يا إسماعيل إن الله أمرني بأمر، قال إسماعيل: فاصنع ما أمرك ربك، قال إبراهيم: وتعينني؟ قال: وأعينك، قال: فإن الله أمرني أن أبني هاهنا بيتاً، وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها] من الأرض.

وهذه هي بداية الكعبة.

نتائج وعبر من مقطوعة: (عمارة مكة ورؤيا الخليل ذبح ابنه إسماعيل)

[نتائج وعبر: من نتائج هذه المقطوعة من السيرة وعِبرها ما يلي: أولاً: تعهد الوالد أهل ولده بزيارتهم، والتعرف على أحوالهم من الوقت إلى الوقت] فلا يهجرهم دائماً كما نفعل.

[ثانياً: قوة الفراسة والعمل بها، فإن إبراهيم -عليه السلام- تفرس في امرأة ابنه أنها غير صالحة له، لِما سمعه منها من شكاة، وإن إسماعيل عمل برأي والده وطلق امرأته.

ثالثاً: مشروعية استعمال الكنايات في المخاطبات، فقد كنى إبراهيم عن المرأة بعتبة الدار.

رابعاً: مشروعية معانقة الولد للوالد وعكسها] الولد يعانق الوالد والوالد يعانق ولده [ويقاس عليهما غيرهما] أيضاً، كصديق أو قريب جاء من بعيد فلك أن تحتضنه، أما التقبيل من الوجه كما يُفعل عندنا فلا، لم يرد ولا ينبغي، إلا النساء يقبلن بعضهن كيف شئن، أما الرجل يكفي أن يحتضن، أو يقبل جبهة أبيه أو شيخه.

[خامساً: مشروعية استشارة الوالد ولده، وطلب العون منه على أمره] استشار إبراهيم إسماعيل على البناء، قال: تساعدني؟ قال: نعم.
[سادساً: قدم البيت العتيق، وأنه أول بيت وضع للناس، كما قال الله تعالى: إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ [آل عمران:96]].
والله تعالى أسأل أن ينفعنا وإياكم بما ندرس ونسمع، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كان البيت العتيق قائماً منذ أن بناه آدم عليه السلام حتى انهدم في الطوفان أو رفع إلى السماء على اختلاف في الأقوال، فلما أن جاء إبراهيم أمره الله بإعادة بنائه في نفس موضعه السابق، فقام إبراهيم بالبناء مستعيناً بابنه إسماعيل، فلما أن أتما البناء قام إبراهيم منادياً في الناس بالحج، واستمر مقام إسماعيل بجوار البيت مع أصهاره من جرهم حتى نبئ فيهم، وأرسل إليهم.

بناء إبراهيم عليه السلام للبيت العتيق

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.
أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، ثم أما بعد: فقد انتهى بنا الدرس إلى هذه المقطوعة الذهبية النورانية وهي: [بناء إبراهيم عليه السلام للبيت العتيق] وإبراهيم الخليل معروف لكل مؤمن ومؤمنة، بل معروف لليهود والنصارى وغيرهم، إنه أبو الأنبياء، فكل الأنبياء من ذريته، وأبو الضيفان أيضاً، وما عرفت الدنيا أكرم منك يا إبراهيم في ضيوفك.
وقد سجل القرآن هذه الحقيقة، قال عز وجل: فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ * فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلا تَأْكُلُونَ [الذاريات:26-27] وكم كانوا؟ ثلاثة أنفار، جبريل وميكائيل وإسرافيل.
فقدم لهم إبراهيم عجلاً مصلياً -مشوياً-.
والبيت العتيق بمعنى القديم، وهذا معروف أيضاً لكل مؤمن ومؤمنة، وحتى لليهود والنصارى وغيرهم، والبناء هذا موضوع الحديث.
قال المؤلف غفر الله له ولكم ورحمه وإياكم: [ولما وافق إسماعيل على إعانة والده على بناء البيت] وعرفنا أن إسماعيل ابن هاجر المصرية القبطية، التي أهداها ملك مصر إلى سارة امرأة إبراهيم عليه السلام.
ولِمَ أهداها؟ لأنه شاهد فيها آيات الله، فما أن يحاول أن يمد يده ليلمسها حتى يصاب بالشلل الفوري، حصل له ذلك ثلاث مرات، فقال: أخرجوها عني وشنعوها.
أي: أكرموها.
فكان من جملة ما أكرموها به إعطاؤها جارية تسمى هاجر .
هذه جدتكم يا أبناء إسماعيل، أنجبت من إبراهيم -عندما تسراها- إسماعيل عليه السلام؛ لأنها جارية، ليست زوجة.
وكيف تسراها؟ لأن سارة ابنة عمه وزوجته أهدته إياها.
وتألمت سارة لأنها مر عليها زمان وما أنجبت حتى تقدم بها السن؛ فراعت هاجر مولاتها -سيدتها- وما أحبت أن تزعجها أو تؤذيها عندما ترى طفلاً بين يديها هي محرومة منه، فقالت لإبراهيم: أبعدني عنها حتى لا نؤلمها أو نؤذيها، والمدبر الحكيم هو الله رب العالمين، فذهب بها إبراهيم إلى الوادي الأمين، حيث لا زرع ولا نخل ولا عنب ولا تين.
ولا ننسى أبداً عندما تركها وطفلها ليس معها إلا جراب فيه أقراص من العيش اليابس، وسقاء فيه ماء في ذلك الوادي، وقالت له بعدما قفل راجعاً إلى الأرض المقدسة: آلله أمرك بهذا يا إبراهيم؟ قال: نعم، فقالت: إذاً فاذهب فإنه لا يضيعنا.
لا تُنسى هذه أبداً في التاريخ.
هذا هو الإيمان بالله واليقين، هذا هو التوكل على الله رب العالمين، فما إن علمت هاجر أن الله أذن إلا ووثقت في الله وأنه لن يضيعها.

وعرفنا كيف عطش إسماعيل بعد أن انتهى ماء السقاية، وهو يتلوى على الأرض ويبكي، ولكن من أين الماء؟ وعرفنا كيف علت هاجر جبل الصفاء لعلها تشاهد ماءً أو من يحمل الماء، أو من يهديه إليها، وما وجدت فهبطت، وإذا بها تسرع في بطن الوادي تخب خبباً حتى تتجاوزه -وتلك سنة السعي عندنا، ورثنا الله إياها ذكرى لأم إسماعيل- ثم تصل إلى المروة فترقى الجبل، وتنظر يميناً وشمالاً فلا ترى شيئاً، حتى اكتمل لها سبع أشواط، وإذا بصوت يقول: أَسمعتَ أَسمعتَ فهل من غياث؟ وإذا بجبريل عليه السلام في صورة إنسان جميل الطلعة، كامل الذات، واقف على رأس إسماعيل وهو يتلوى من شدة العطش، فجبريل يجيء في صورة إنسان -إي والله الذي لا إله غيره- وكذلك كان يتردد على حجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ودخل المسجد في صورة دحية بن خليفة الكلبي .
إذاً: ما إن دنت حتى قال بعقبه في الأرض هكذا، ففاض ماء زمزم، وإذا بها تزمه حتى لا يسيح في الأرض، ويأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد كذا ألف سنة، ويقول: (رحم الله أم إسماعيل لو تركته لكان عيناً معيناً)، لكن هي التي حصرته فأصبح بئراً في الأرض، وهل بقي بئر زمزم إلى الآن؟ إي والله إلى الآن، وويل للكافرين، كم عمر بئر زمزم؟ قريب من خمسة آلاف سنة أو ما إلى ذلك بطعمه ولذته وبركته: (وزمزم لما شرب).
وقد مر بنا كيف أن إبراهيم تعهد تركته مرتين، في المرة الأولى أرشد إسماعيل بطلاق زوجته، وأنها لا تصلح لدار النبوة، فليست أهلاً للطهر والصفاء، بقوله: غير عتبة بابك.
وفي المرة الثانية عندما وجد إسماعيل غائباً سأل عنه، قال: أين يذهب إسماعيل؟ فقالت: يصطاد.
أي: يصطاد الغزلان والأرانب إذ ليس لهم من الطعام إلا الماء واللحم، ولا يستطيع شعب أن يعيش على هذا إلا أهل مكة، فلما سألها عن حالها؟ قالت: نحن في خير وعافية، فقال لها: إذا جاء زوجك فأقرئيه السلام وقولي له: يثبت عتبة بابه.
وهذه المرأة هي التي ستكون جدة سيد الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم.
قال: [ولما وافق إسماعيل على إعانة والده على بناء البيت] عندما استشاره أبوه قائلاً: يا إسماعيل أمرني الله أن أبني بيتاً له هنا، فهل تساعدني؟ هل تتحمل هذه المسئولية معي؟ قال: نعم، على الرحب والسعة [شرع إبراهيم في البناء، وقد هداه ربه تعالى إلى مكانه] أما قال تعالى: وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ [الحج:26] [الذي كان به قبل رفعه عام الطوفان] وهذا من باب العلم لا الجزم، وإنما نقول من الجائز، فلا نجزم ونقول: كان كذا ووقع كذا ونوقع المسلمين في اضطرابات.
فمنهم من يقول: إن الله رفع البيت قبل الطوفان.
وله أن يرفعه، أليس هو الذي وضعه؟ بلى هو الذي وضعه.
البيت من بناه؟ بناه الله لآدم بما شاء؛ لأن آدم وحواء غريبان في الدنيا، فلم ترَ الدنيا من عاش غربتهما قط، كان لا يوجد في العالم الأرضي سواهما، وقد كانا في أنس وكانا وكانا .

.
، فمن باب الرحمة بهما أن بنى الله لهما بيته، فإذا احتاجا إلى شيء يأتيان مولاهما فيسألانه عند باب بيته، وما زال البيت إلى الآن، فأيما مؤمن صادق الإيمان، طاهر النفس، زكي الروح، ذو علم ويقين .

.
يصيبه ما يصيبه فيأتي الله يسأله عند بابه إلا قضى حاجته.
وقول آخر وهو: أن البيت هدمه الطوفان أو السيول؛ لأنه في واد، والسيول إذا جاءت قوية تجرف ما شاء الله أن تجرف.
[أو هدمه بفعل السيول الجارفة، وعدم وجود من يقوم ببنائه، فأخذ إبراهيم يبني وإسماعيل يناوله الحجارة، وهما يقولان ما أخبر الله تعالى به عنهما في قوله:] الكلمات التي كانا يقولانها عند البناء مسجلة عندنا، محفوظة والله العظيم؛ لأنه كتاب الله.
هذه الكلمات قالها إبراهيم وإسماعيل وبلغتنا الآن وبيننا وبينها آلاف السنين [وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ [البقرة:127]] كانا يتناولان الحجارة ويتغنيان بهذه الكلمات الطيبات التي سجلها الله في كتابه: .

.

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا [البقرة:127] يتقبل منهما ماذا؟ هذا الجهد، وهذه الطاقة، وهذا البناء، وهذا من الكلمات التي امتحن الله بها إبراهيم، قال الله عز وجل: وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ [البقرة:124]، منها: أن يبني له بيتاً في الخلاء، فلو صدر أمر إليك أن تبني بيتاً في صحراء فهل تستطيع؟ هذه أكبر مشقة.

ولكن إبراهيم عليه السلام قام بذلك.

وقولهما: رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ [البقرة:127] يسمى توسلاً إلى الله بأسمائه وصفاته، فلم يقولا: بجاه نوح، أو بحق سيدنا إدريس -مثلاً-.

[رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ [البقرة:128]] هل عرفتم ماذا سألا؟ هل سألا الدينار والدرهم! الدولة والسلطان؟! ماذا قالا؟ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ [البقرة:128] أي: خاضعين لك، نسلمك كل شيء فينا، القلوب والوجوه: وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أي: واجعل من ذريتنا: أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ ، وهاهي قائمة إلى الآن [وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا [البقرة:128]] أي: علمنا كيف نعبدك [وَتُبْ عَلَيْنَا [البقرة:128]] يطلبان التوبة.

والذي يطلب التوبة نحن المنغمسون في الآثام والذنوب، ستقولون: يا شيخ لا تقل هذا؟ أنا أقول: لو لم نذنب ذنباً اليوم قط، إلا أننا نتقلب في هذه النعم وما شكرنا الله تعالى، أي نعم! ألا أدلكم عليها؟! إن هذا المسجد النبوي كان يدخله رسول الله صلى الله عليه وسلم ويصلي فيه هو ورجاله وهو ظلمة، ليس عندهم فانوس ولا مصباح، وكانوا يذهبون يبحثون عن الماء فيرحلون من بستان إلى بستان، وأنتم الآن تعيشون بهذه الكهرباء -وهي وحدها كافية- والمياه تفجرونها من جدران بيوتكم.

المهم: ذنبنا الذي يجب أن نعرفه -أيها الصالحون والصالحات-: أننا والله لمقصرون في شكر الله تعالى، لو قلنا طوال النهار: الحمد لله.

.

الحمد لله، ما كان ذلك كافياً والشاهد عندنا: وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ [البقرة:128]، إنه شعور فياض حساس وعلم يقيني! إننا نتقلب في نِعم الله وأفضاله، وما شكرنا ولا أدينا ما يجب، فنحن في حاجة إلى أن يتوب الله علينا وهو التواب الرحيم.

[ولما ارتفع البناء] كان إسماعيل يناول وإبراهيم يضع حتى ارتفع البناء [جاء إسماعيل بحجر كبير مرتفع، فصار إبراهيم يعلو فوقه، ويواصل رفع البناء حتى فرغ] كلما فرغ من جهة يدفع الحجر إلى الجهة الثانية ويواصل البناء.

[وبقي الحجر تحت جدار البيت، وقد ارتسمت عليه قدما إبراهيم -وهو صلب ليس برطب- لتكون آية للعالمين] أما قال تعالى: فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ [آل عمران:97]؟! وقد بلغني من أحد الطلاب: أن البعض يقولون: إن هذا الموجود ليس قدم إبراهيم! إن الذي يقول هذا الكلام يكفر؛ لأنه كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكونهم ألصقوا به النحاس أو الذهب أو الفضة أو غيره حتى لا يبيد ويفنى لا بأس، ولكن الأصل -والله- أنه الحجر، وعليه قدما إبراهيم.

[ولما جاء الإسلام -ومرحباً به- شرع الله تعالى الصلاة خلفه] أي: خلف المقام [إذ قال تعالى من سورة البقرة: وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى [البقرة:125]] هذا أمر من الله، أي: اجعلوا من مقام إبراهيم مصلى.

كيف ذلك؟ من طاف وفرغ من طوافه أتى خلف المقام وصلى ركعتين، يقرأ في الأولى بالفاتحة والكافرون، والثانية بالفاتحة والصمد، ومن لم يستطع لكثرة الطائفين أن يصلي خلفه مباشرة، صلى خلفه ولو على بعد مسافات، المهم أن يكون خلفه، إن الله عز وجل لا ينكر الفضل والإحسان.

هذا الحجر قدَّم خدمة لله تعالى في بناء بيته، فعرف الله تعالى له ذلك، بأن جعل أشرف عبادة تؤدى خلفه، والحسنة بالحسنة، فكل عبد يقدِّم لله عز وجل يعترف الله له بذلك، ولا ينساه أبداً، فماذا فعل هذا الحجر؟ أعان على بناء البيت فقط.

إذاً: جعل الله تعالى أشرف عبادة تؤدى خلفه، ودوّن ذلك في كتابه: وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى [البقرة:125].

[ولما فرغ إبراهيم من بناء البيت، أمره الله تبارك وتعالى أن يؤذن في الناس بالحج، كما قال تعالى: وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ [الحج:27]] أي: بعيد الغور.

[فطلع إبراهيم -عليه السلام- على جبل أبي قُبيس] وهو موجود إلى الآن [وهو من أقرب الجبال إليه، ونادى باسم الله تعالى قائلاً: أيها الناس، إن ربكم بنى لكم بيتاً فحجوه، والتفت بندائه يميناً وشمالاً -كما يلتفت المؤذن اليوم في أذانه للصلاة- فأسمع الله تعالى نداءه كل نسمة خلقها الله تعالى، فمن لبت حجت، ومن لم تلبِ لم تحج أبداً].
وقد بلغني أنه يوجد في مكة من لم يحج، بل مات ولم يحج، ما أجابت نفسه، ومعنى هذا: أن الأنفس أو الأرواح مخلوقة قبل خلق البشر، أي نعم، ويأتي بها الملك فينفخها من فمه في الرحم أو في تلك القطعة من اللحم.
[ومعنى لبت: قالت: لبيك اللهم لبيك، أي: أجبت طلبك مرة بعد مرة] هذه المقطوعة عنوانها: (بناء إبراهيم عليه السلام للبيت العتيق)، فماذا فيها من نتائج وعبر؟

نتائج من مقطوعة (بناء إبراهيم عليه السلام للبيت العتيق)

[نتائج هذه المقطوعة من الحديث: لهذه المقطوعة من سيرة الحبيب العطرة نتائج نجملها فيما يلي: أولاً: تقرير بناء إبراهيم للبيت العتيق شرفه الله وكرمه] فلو قام اليهود أو النصارى أو غيرهم، وقالوا: إن إبراهيم لم يبنِ البيت، والله ما صدقناهم ولا قلنا بقولهم، فنحن موقنون أن إبراهيم عليه السلام بنى البيت، والآيات الكريمة شاهدة.
[ثانياً: بيان تعاون إبراهيم مع ولده إسماعيل على بناء البيت] لو سئلنا: من كان يعين إبراهيم وهو يبني البيت، نقول: هاجر؟! لا، فـهاجر امرأة، الذي كان يعاونه هو إسماعيل، وقد ماتت هاجر أيضاً.
والدليل هو القرآن الكريم: وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ [البقرة:127].
[ثالثاً: بناء البيت كان على أسس وقواعد قديمة كان عليها قبل حادثة الطوفان.
وفي هذا ترجيح للقول: بأن البيت كان من عهد آدم -عليه السلام-.
رابعاً: ارتسام قدمي إبراهيم على صخرة المقام] هذا الارتسام [آية خالدة من آيات الله تعالى، التي كان يعطيها الأنبياء عليهم السلام] وإلا الصخرة هل تغوص فيها رجل آدمي؟! لا يدخل فيها الحديد، ولكنها آية من آيات الله الذي يحيي العظام ويحيي الموتى، والله يخبر أن من الحجارة لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ ..[البقرة:74] وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ [البقرة:74]، يهبط الحجر من خشية الله.
[خامساً: تقرير القول بأن الأرواح مخلوقة قبل خلق أجسامها] ونحن نذكر أن الله عز وجل أخذ من ظهر آدم أرواح بنيه واستنطقها فنطقت، واقرءوا قول الله تعالى من سورة الأعراف: وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ [الأعراف:172-173] [وأن الملك الموكل بالأرحام ينفخها في المضغة بإذن الله تعالى، فتسري فيها، فتحيا] ويوجد الجنين.

بداية أمر الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم

قال: [بداية أمر الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم] كيف بدأ؟ وما هي هذه البداية؟ قال: [إنه أثناء قيام إبراهيم وولده إسماعيل ببناء البيت العتيق، كانا -عليهما السلام- يتقاولان ما أخبر به تعالى عنهما في قوله: رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ [البقرة:129]، إذ الضمير في قوله: (فِيهِمْ) عائد على ذرية إسماعيل وإبراهيم -عليهما السلام- فكان هذا مبدأ أمر الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم].
ما هو مبدأ أمر النبي صلى الله عليه وسلم؟ تلك الدعوة التي كان إسماعيل وإبراهيم يدعوان الله تعالى بها: رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا [البقرة:129]، هو محمد صلى الله عليه وسلم.
[وقد قرر هذه الحقيقة بنفسه صلى الله عليه وسلم: إذ سئل عن مبدأ أمره؟ فقال: (أنا دعوة أبي إبراهيم و بشارة أخي عيسى) عليهما السلام].
سأله صلى الله عليه وسلم سائل: ما مبدأ دعوتك يا محمد؟ أو ما مبدأ أمرك؟ فقال: (أنا دعوة أبي إبراهيم) دعا إبراهيم واستجاب الله، (وبشارة أخي عيسى) إذ عيسى عليه السلام قال لليهود من بني إسرائيل: وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ [الصف:6] صلى الله عليه وسلم.
إذاً: عرفنا بداية أمر الحبيب متى كانت وكيف كانت، فقد كانت دعوة إبراهيم وإسماعيل، وهما يبنيان البيت وقرر هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه.

إسماعيل عليه السلام وذريته

قال: [إسماعيل وذريته] من إسماعيل ومن هي ذرية إسماعيل؟! قال المؤلف غفر الله له ولكم ورحمه وإياكم: [لقد عاش إسماعيل بجوار البيت العتيق، وفي مكة أصهاره من قبيلة جرهم اليمانية القحطانية] عرفنا أن إسماعيل تزوج من امرأة جرهمية؛ لأنه لما نبع الماء ووجد في مكة بين الجبال زمزم جاءت قافلة من قوافل التجار سائرة في الأرض فاحتاجوا إلى الماء، فبعثوا رائداً لهم يستطلع، وإذا به يشاهد الطيور ترتفع وتهبط، فقال: لن يكون هذا إلا ماء -ذكي!- فجاء وإذا بهاجر وإسماعيل عند نبع زمزم، فعاد إلى قبيلته قائلاً: تعالوا: ولما جاءوا نزلت هذه القبيلة إلى جوار هاجر مستأذنة منها، فقالوا لها: هل تأذنين لنا بالنزول هنا، لننتفع بمائك؟ عجب هذا! قبيلة فيها الأبطال والشجعان من الكفار المشركين يستأذنون امرأة مع طفلها؟! وقد قلت غير ما مرة: والله لو كانت فينا نحن أيها العرب المسلمون لكان من يركلها برجله ويقول: اسكتي! ألا تحسون بهذا الإحساس؟! أين العدل والمروءة والكرامة والشهامة والخير .

.

؟! قبيلة كاملة تستأذن امرأة في صحراء فتشرط عليهم ألا حق لهم بالماء؟! فأذنت لهم بالنزول فنزلوا.

هل تذكرون المصادرات أيام الاشتراكية والتأميم؟! هناك أناس ماتوا من الكرب، فهذا تؤخذ منه عمارته وهذا يؤخذ منه بستانه، هؤلاء من العرب.

ستقولون: يا شيخ لِم تلوم هذا اللوم؟ لأننا هبطنا، أي نعم، فقد كنا في علياء السماء فهبطنا إلى الأرض وهذه حالنا.

[وقد نبئ فيهم، وأرسل إليهم] نبأه الله لما بلغ الأربعين وأرسله إليهم رسولاً -إلى تلك القبيلة- [وإلى كافة من بالحجاز من العماليق] إذ لم يكن في تلك الديار إلا العماليق، فهو رسول الله إلى الجرهوميين القحطانين والعماليق [وأنجب إسماعيل أولاداً بلغوا اثني عشر ولداً] وكم من إنسان يلد هذا العدد، ليس هناك عجب.

[منهم: نابت] من نبت ينبت [وهو أكبرهم، وهو حلقة السلسلة الذهبية المحمدية] والأحد عشرة الآخرون لهم حالهم [فنابت من أولاد إسماعيل الاثني عشر، هو الذي اختير لأن يكون من آباء دعوة إبراهيم وإسماعيل: رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ [البقرة:129]، واختفت حلقات السلسلة الذهبية فيما بين نابت و عدنان] لم يعرف أحد كم بين نابت و إسماعيل من الولد أو كم سنة إلى عدنان ؟ هذه الحلقة اختفت.

ويذكر المؤرخون نسبه صلى الله عليه وسلم إلى آدم، ولكن حسبنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: (لا ترفعوني فوق عدنان)، حتى لا تكذبوا عليّ، فمن عدنان إلى عبد الله والد رسول الله صلى الله عليه وسلم -بالله العظيم- معلومة -كما نعرف الآن القرآن- واحداً واحداً، أما من عدنان إلى إسماعيل فخفاء وظلام، فلا تقل الكذب، فأولاد نابت لا ندري كيف حالهم، ومن هو الذي ولد عدنان ؟ الله أعلم.

[وكان عدد الآباء ما بين نابت بن إسماعيل و عدنان يقدر بستة آباء، والجميع عاشوا بالحرم المكي، ولم يخرجوا منه، ومع هذا لم تضبط أسماء هؤلاء الآباء الستة، وصاحب النسب الزكي الشريف، حبيب الأحباء، وسيد الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم انتهى بذكر نسبه جازماً بما ذكر إلى عدنان ثم سكت وقال: (كذب النسابون)، قال تعالى: وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا [الفرقان:38]، فلهذا كان الانتهاء إلى حيث انتهى النبي صلى الله عليه وسلم بنسبه أولى].

إذاًَ: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن كذا.

.

إلى عدنان يقينية، وذكروا ما فوق عدنان ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: (كذب النسابون) فنسكت حيث سكت صلى الله عليه وسلم.

وهذه المقطوعة لها نتائج أيضاً موجزة وهي ما يلي:

نتائج من مقطوعة(إسماعيل عليه السلام وذريته)

[نتائج هذه المقطوعة: لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج، هي كالآتي: أولاً: النسب الشريف بين إسماعيل و عدنان مجهول، ولا يصح الجزم بما ذكر النسابون، حيث بلغوا بالنسب الشريف إلى آدم عليه السلام.

ثانياً: صحة النسب الزكي من عدنان إلى عبد الله بن عبد المطلب والد النبي صلى الله عليه وسلم بالصحة لا يخالطها شك أبداً.

ثالثاً: توهين أقوال النسابين، وعدم الجزم بما يقولون].

حكم الاحتفال بالمولد النبوي

معاشر المستمعين! جاءني بالأمس فحل من طلبة العلم بيده جريدة، وقال لي: انظر ماذا قال صاحب هذا المقال في جريدة عكاظ -وهو لم يفهم الكلام- فالكاتب معروف أنه من مؤيدي حفلات المولد النبوي من قديم الزمان، ودعنا من هذا فسنعرض له إن شاء الله.
فنقول: هو لما ذكر ومجّد النبي صلى الله عليه وسلم، قال: (وتركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها)، هذا كلام الرسول صلى الله عليه وسلم: (لا يزيغ عنها إلا هالك) زاد الكاتب: (ولا يعرض عنها إلا كافر فاسق فاجر)، ففهم الأخ هذا أو الابن بأن صاحب المقال كفّر وفسّق وفجّر من لم يقل بالمولد، وهذا فقط لعدم تأمله في الكلام؛ لأنه لما عرض وقال: (وتركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك) وهذا كلام الرسول صلى الله عليه وسلم، زاد هو: (ولا يعرض عنها) أي: عن الإسلام (إلا كافر فاسق فاجر) فلم يقل عن المولد.
هذا تصريح لفهم هذا الابن، أما كلمتنا على المولد، فاسمعوها: غداً يحتفل الناس بالمولد ..
أولاً: قلت لكم وما زلت أقول على علم: الاحتفال بالمولد لم يعرف في ديار الإسلام ..
في الحرمين الشريفين أو في عواصم الإسلام: بغداد ودمشق إلا في القرن الرابع فقط، وطوال ثلاثة قرون ونصف ما عرفوا شيئاً اسمه المولد، وهذه مسائل يقينية لا تقال بالهوى.
فما عرف المسلمون المولد إلا في القرن الرابع حيث بدأ، ولِمَ بدأ؟ لأن القرون الثلاثة انتهت، وأخذ الظلام يعم، وبدأت الفتن، وبدأ الجهل، وأعرض المسلمون عن القرآن وحولوه إلى الموتى، ووالله ما نزل ليقرأ على الموتى، وإنما ليقرأ على الأحياء ليفقهوا ويفهموا ويعلموا، لكن حولوه إلى الموتى وإلى اليوم، فقال بعض أهل العلم وبعض الناس: ما دامت الأمة نسيت كل شيء، فهيا نحيي ليلة المولد، لنذكرهم بالنبي صلى الله عليه وسلم.
وما أتي عام إلا ونحن نهبط، حتى تأصل هذا وأصبح -المولد- لابد منه؛ لأنه ذكرى! وبلغ بنا الحد لما وُجدت الحركة الإصلاحية وأنكر الناس المولد بوصفه بدعة لم يقرها الشارع؛ أن يكفر الناس بعضهم بعضاً، فمن قائلاً: هذا يكره المولد ولا يقول به كافر، وآخر يقول: هذا يأتي بدعة المولد فهو مشرك..
وعمت الفتنة وتأصلت لعدم وجود النور، لأن الأمة جاهلة لا علم لها بالحقيقة.
وبقيت هذه البدعة إلى اليوم يحتفل بها المسلمون كذكرى من ذكريات الزعماء، وقد عرفنا: أن هذه البدعة باطلة ولا تصح وكذب؛ لأننا نرفع أصواتنا باسم الحبيب صلى الله عليه وسلم على المنارات خمس مرات في أربع وعشرين ساعة، فهل هذا ينسى حتى تقام له ذكرى؟! مَن يذكر خمس مرات في منارات العالم الإسلامي بقول: (أشهد أن محمداً رسول الله) هل ينسى؟ أين هذا النسيان؟ نحن نحييه ونسلم عليه بين يدي الله في كل صلاة بقولنا: (السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته) وتصله الصلاة على الفور كما هي، فعندما تجلس بين يدي الله، تقول: (التحيات لله والصلوات والطيبات.

.
) ماذا تقول بعد ذلك؟ ومن علمك هذا؟ أليس رسول الله صلى الله عليه وسلم؟! ولو قلت: السلام على النبي لم تصح منك.
فالمسلمون فهموا من نبيهم أنه لابد من هذا، والآن بواسطة هذه المخترعات التي أخرجها الله آية من آياته، لقرب الساعة، أصبحنا نقول: السلام عليك أيها النبي وجهاً لوجه ويسمعها، ووالله إن غفلت لأعيدها، فإذا سلمت وأنا غافل أعيد: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته.
أهذا تقام له ذكرى؟ أليس عيباً ونقصاً أن نشبه رسول الله بـأفلاطون و لينين وفلان.

.
وفلان، أولئك تقام لهم الذكريات لأنهم ماتوا وانقرضوا؛ لأنهم انعدموا فلم يبقَ لهم ذكر، وأراد أتباعهم وأقوامهم أن يذكروهم في العام مرة، فيقال: ذكرى لينين ، أنسوي رسول الله صلى الله عليه وسلم بهؤلاء؟! ولكن لا لوم؛ لأن الأمة هبطت، ووالله لو نجتمع على كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيوت ربنا وبيوتنا، وذلك

طوال العام وعلى مدى الحياة؛ ما بقي فينا جاهل ولا جاهلة، ولا ظهر شر ولا فساد، ولا خلاف ولا فرقة ولا عناد، ولا باطل، ولكن بعدنا عن النور الإلهي والحكمة المحمدية، فها نحن نتخبط في حيرتنا.
وما زلنا نصرخ -ووالله العظيم إني لعلى علم- من أراد لأمته أو لقومه أو لشبعه أو لبيته أن يستقيم أهله، فليجمعهم كل ليلة طوال العمر ويعطيهم ليلة آية وليلة حديث، من قال الله وقال رسوله صلى الله عليه وسلم، فهل يبقَ بينهم جاهل؟ ألم يعلموا أن الزنا شائع في ديار المسلمين وسببه الجهل؟ ألم يعلموا أن الفسق والفجور والشر والفساد سببه الجهل؟! إذاً: ما الطريق إلى العلم؟! أن نصنع ما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ألم يدعو إبراهيم: رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ ماذا يفعل بهم؟ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ [البقرة:129]، ونحن أغلقنا أبوابنا ومساجدنا وذهبنا إلى المقاهي والأسواق قرناً بعد قرن، فانتهى منا العلم وأصبحنا جهلة.
هل عرفتم هذه الحقيقة؟!! أيما حاكم في بلاد العرب أراد أن يحيا شعبه وأن يستقيم وأن يطهر؛ فقط عليه أن يصدر قراراً بأن على المواطنين في كل ليلة أن يحضروا بنسائهم وأطفالهم إلى بيوت ربهم، ثم يوفر لهم العالم الذي يفهم عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، والله لن يبقى ظلم ولا عناد ولا خلاف، ولا تعصب ولا مذهبية ولا طائفية ولا ، ويقل الشره والطمع والتكالب على الدنيا، ويصبحون أسعد أهل الأرض وإن كانوا فقراء، وبدون هذا والله لن ترتفع لهم راية حق، ولا سادوا ولا كملوا، ومن يعش يذكر هذا.
وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كان إبراهيم عليه السلام يتكلم السريانية، ثم نزل الشام وتكلم بلغة الكنعانيين، فأصبح يتكلم بلغتين إلا أنه لم يتكلم العربية، أما إسماعيل فبسبب مجاورته للعرب من جرهم تعلم العربية حتى فاق أهلها بلاغة وأدباً وبياناً، وتعلمها بنوه من بعده فصاروا من وقتها عرباً مستعربة، وخرج من نسلهم عدنان جد النبي صلى الله عليه وسلم، وخرج من نسله قصي بن كلاب، وكان من نسل قصي بنو هاشم، فاصطفى الله من هاشم محمداً صلى الله عليه وسلم.
ملخص لما ذكر في الدرس السابق

نتائج من بداية أمر الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم

ثانياً: بداية أمر الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم.
هذه المقطوعة أيضاً درسناها، وخلاصتها: أولاً: النسب الشريف.
من السيرة العطرة عرفنا النسب الشريف بين إسماعيل و عدنان وهو المقطوع به، فالرسول صلى الله عليه وسلم أخبر بذلك، وأما من عدنان إلى نابت .. إلى إبراهيم فهذا تركه الرسول صلى الله عليه وسلم، وقال: (كذب النسابون).
أما محمد صلى الله عليه وسلم فهو ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ..إلى عدنان ، تحلف بالله على ذلك ولا تحنث، وما كان فوق عدنان إلى إسماعيل مما ذكره النسابون والمؤرخون ولم يجزم الرسول صلى الله عليه وسلم به فعلينا أن نسكت حيث سكت، وإن أوردنا ذلك على سبيل المثال -أو هكذا يقولون-، فلا يصح لنا أن نجزم أن أولئك الآباء هم آباء نبينا محمد صلى الله عليه وسلم حقاً، مع أن النسابيون رفعوا النسب إلى آدم، ولكن ما بين عدنان و نابت هذا فيه ما فيه، وأشد غموضا وخفاء من إبراهيم إلى نوح، وأعظم منه من نوح إلى إدريس ومن إدريس إلى آدم، وإن كانوا يذكرون هذا، وابن كثير في البداية والنهاية ذكره كما رواه عن المؤرخين، لكنه ليس يقيناً بحيث نحلف أو نعتقد ذلك إلا ما كان ما بين عدنان إلى عبد الله والد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن الله حفظ تلك النطف من رحم إلى رحم ومن صلب إلى صلب، فلم تختلط حتى كان عبد الله ثم محمد صلى الله عليه وسلم.
إذاً: صحة النسب الزكي الطاهر النقي: من عدنان إلى عبد الله بن عبد المطلب والد النبي صلى الله عليه وسلم بالصحة التي لا يخالطها شك أبداً.
ثالثاً: توهين أقوال النسابين وعدم الجزم بما يقولون كما علمتم.
وخلاصة القول: أن نبينا مجزوم بنسبه من أبيه عبد الله إلى عدنان ، وهذا الكمال والشرف لا يوجد في نبي ولا رسول، ، لكن ما كان فوق عدنان نقف عنده كما وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم ونقول: الله أعلم.
نتائج لما جاء في بناء إبراهيم عليه السلام للبيت العتيق

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.
أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، ثم أما بعد: فبالإشارة إلى ما تقدم في المقطوعة التي درسناها يوم الجمعة الماضي فإن خلاصتها ما يلي: أولاً: تقرير بناء إبراهيم للبيت العتيق، شرفه الله وكرمه.
إن إبراهيم عليه السلام خليل الرحمن، أبا الأنبياء، وأبا الضيفان، هو الذي بنى البيت العتيق، وليست هذه أول مرة يبنى فيها البيت، ولكنها بعد حادثة الطوفان، فالبيت بناه الله تعالى لآدم وحواء، وقد حجه هود عليه السلام، وأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم.
ثانياً: بيان تعاون إبراهيم مع ولده إسماعيل.

من المعلوم عندنا نحن المسلمين أهل القرآن والسنة: أن إبراهيم بنى البيت مع ولده إسماعيل، إذ إسماعيل بن إبراهيم ابن هاجر المصرية عليهما السلام لما أنزلهما إبراهيم بمكة، وتركهما بأمر الله، كبر إسماعيل وكان إبراهيم يزورهما من وقت إلى وقت، وتمت تلك الحادثة العظيمة التي لا تنسى، وهي: أن الله أمر إبراهيم بأن يضحي بولده إسماعيل، ابتلاء من الله عز وجل لإبراهيم عليه السلام، وامتثل أمر الله وخرج بإسماعيل إلى منى، وشاء الله أن يفديه بذبح عظيم، وبذلك نجح إبراهيم في ذلك الامتحان العظيم، وفي هذا يقول تعالى: وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ أي: أوامر فَأَتَمَّهُنَّ [البقرة:124]، وتهيأ بذلك للإمامة العظمى: قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا [البقرة:124].

ولما كبر إسماعيل وأصبح رجلاً، جاء إبراهيم يبني البيت بأمر من الله، فكان إسماعيل يعاونه على البناء؛ يناوله الحجارة وإبراهيم يضعها على الجدار حتى اكتمل بناء البيت.

رابعاً: ارتسام قدمي إبراهيم على صخرة المقام آية خالدة إلى يوم القيامة.

لما كانا يبنيان البيت كان إبراهيم عليه السلام يعلو فوق صخرة؛ إذ ما هناك أخشاب ولا حبال ولا أدوات كما يعمل الناس الآن، ولكن صخرة يعلو فوقها ويضع الحجارة على البناء، فإذا فرغ منها دفعها إلى مكان آخر، فلما انتهى البناء كان الحجر ما بين الباب والركن الشمالي فتركها هناك، ثم جاءت السيول فدفعتها إلى المكان الذي به هو الآن.

فقدما إبراهيم عليه السلام راسختا في الصخرة، وهذه آية من آيات الله؛ أن لانت الصخرة وذابت حتى دخلت قدما إبراهيم فيها لتبقى آية إلى يوم القيامة، وإلى هذا إشارة في قوله تعالى: فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا [آل عمران:97].

خامساً: تقرير القول: بأن الأرواح مخلوقة قبل الأجسام.

سبق أن ذكرنا ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم: (أن الله تعالى مسح ظهر آدم وهو بأرض عرفات واستخرج ذريته من صلبه واستنطقها فنطقت، واستشهدها فشهدت)، وجاء هذا في سورة الأعراف، إذ قال تعالى: وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ أي: واذكر إذا أخذ ربك مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ [الأعراف:172-173] والله على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء أبداً، علمه أحاط بكل شيء، وقدرته لا يعجزها شيء.

من أين فهمنا هذا؟ لما بنى إبراهيم البيت وفرغ من بنائه، بِمَ أُمر؟ قال تعالى: وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ [الحج:27]، كيف يؤذن في الناس بالحج، أين هم الناس؟! ليس في مكة إلا إسماعيل وأمه قبل أن تأتي قبيلة جرهم.

صعد إبراهيم جبل أبي قُبيس -الموجود الآن- ونادى البشرية: (أيها الناس إن الله قد بنى لكم بيتاً فحجوا) فما من نفس لبت النداء، وقالت: لبيك اللهم لبيك، إلا وتحج، ولو بعد عشرة آلاف سنة من هذا النداء، وأيما نفس تململت وتضجرت وما عبأت بأن تجيب، وخافت من الإعياء والتعب، وما قالت: لبيك، إلا وهي محرومة من الحج، فوالله لا تحج أبداً.

إذاً: هذه الحقيقة تقررت؛ لأنه نادى فسمع نداءه من في الأرحام، من في الأصلاب، ومن هنا علمنا: أن الأرواح مخلوقة قبل الأبدان، وأن الملك الموكل بالأرحام يأتي بالروح فينفخها في قطعة اللحم التي تكونت وأصبحت مضغة، فتسري سريان التيار الكهربائي في أسلاكه، ومن ثم يصبح الجنين قد تهيأ للوجود، بل وُجد، ولهذا قال تعالى: مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ [الحج:5]، فالنطفة إذا لم يرد الله تخليقها وكينونتها تسقطها صاحبتها قطعة دم، أما إذا أراد لها أن تتخلق فإنها تتماسك وينفخ فيها الملك الروح، فتسري الروح فيها وتصبح جسماً حياً وهو الجنين.

هذه تقدم لنا موضوعها.

سلسلة الطهر (النسب الشريف)

قال: [سلسلة الطهر: النسب الشريف: بين يدي الحديث عن سلسلة الطهر الذهبية] وتعرفون السلسلة الذهبية، وعندكم سلاسل الذهب، ولكن ذاك الذهب يذهب، فالسلسلة الذهبية هي آباء رسول الله صلى الله عليه وسلم من عبد الله إلى عدنان ، أو من عدنان إلى عبد الله ، والله إنها لسلسلة أغلى من الذهب.

قال: [بين يدي الحديث عن سلسلة الطهر الذهبية أُقدم كلمة عن العرب موجزة] من هم العرب؟ أين كانوا، ومن أين كانوا؟ وكيف انقسموا؟ هناك كلمات موجزة لا بأس بفهمها وعلمها.

قال: [وذلك لما لهم من شرف الأصل، وطيب المحتد] العرب لهم شرف وأصل لا ينكره ذو عقل ودين، ليس في ذلك شك، فالعرب لهم ميزتهم ومقامهم، ولهم مكانة بين الناس، وحسبهم أن يكون خاتم الأنبياء وإمام المرسلين منهم، والذي يكره العرب يكره رسول الله صلى الله عليه وسلم.
فكيف يفلح؟! قال: [فأقول: إن العرب بأقسامهم الثلاثة: العرب البائدة، والعاربة، والمستعربة] ينقسم العرب إلى ثلاثة أقسام: أولاً: العرب البائدة الهالكة التي انتهى وجودها بالمرة.
ثانياً: العرب العاربة، وهي الأصيلة العروبة.
ثالثاً: العرب المستعربة: وهم الذين غير عرب، ثم تعلموا اللغة العربية ونافسوا غيرهم وفاقوهم وفازوا بها، فأصبحوا العرب المستعربة، ومنهم: عدنان وإسماعيل.
قال: [يعودون -أي: العرب- إلى أصل واحد] هذه الأقسام الثلاثة تعود إلى أصل واحد [هو سام بن نوح عليه السلام] ونحن ساميون، والأوربيون كلهم ساميون؛ لأن سام بن نوح هو أبو العرب، وأبو غير العرب.
و يافث : هو أبو يأجوج ومأجوج، و حام هو أبو الأحباش والسود، فالجنس السامي هو هذا الأبيض والأسمر.
قال: [أما الذي ينسب إليهم العرب ويعرفون به فهو يعرب بن يشجب بن قحطان بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح الرسول عليه السلام].
إذاً: العرب ثلاثة أقسام: بائدة وعاربة ومستعربة، وأصلهم كلهم واحد، فهم يعودون إلى سام بن نوح .
أما الذي ينسب إليه العرب أصلاً ويعرفون به فهو يعرب بن يشجب بن قحطان بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح الرسول عليه السلام.

أقسام العرب

ثانياً: العربة العاربة

قال: [العرب العاربة: إن العرب العاربة] أي: المتأصلة في العروبة المتينة فيها [هم الأصلاء في نسبهم إلى يعرب بن يشجب بن قحطان ، ولذا يقال لهم: القحطانيون] العرب العاربة هم القحطانيون، والعرب المستعربة هم العدنانيون [وبنو عمهم هم العمالقة الذي يسكنون الحجاز والشام ودخلوا مصر وتفرقوا في البلاد المجاورة للجزيرة العربية، وبنو أميم أيضاً وقد لازموا الجزيرة ولم يخرجوا منها، أما القحطانيون وهم أولاد يعرب بن يشجب بن قحطان فقد لازموا الديار اليمانية زمناً طويلاً، ثم تفرقت قبائلهم في الجزيرة والشام] وسبب تفرقهم أن سد مأرب أسقطه الله عز وجل بذنوبهم، فتفرقوا وتمزقوا، فمنهم من لحق بالشام والحجاز، والأوس والخزرج منهم من اليمن.
وجذام وفي الشام أيضاً، وأصبحو ملوكاً في الشام وأصلهم من القحطانيين.
قال: [ثم تفرقت قبائلهم في الجزيرة والشام.
ومن قبائلهم -الذين سكنوا الحجاز- قبيلة جرهم التي سكنت مكة بإذن هاجر أم إسماعيل عليه السلام] وقد تقدم أن هاجر لما كانت أعلى الماء الذي أنبعه الله بواسطة جبريل كان هناك قبيلة مسافرة مرت من طريق مكة، فبعثوا رائداً يبحث لهم عن الماء، فإذا به يشاهد طائراً يحوّم أو يدوّم -كما يقولون- فلما أتى المكان وجد المرأة والماء بين يديها، فجاءت الجماعة، وطلبوا الإذن منها في النزول هناك، فأذنت على شرط أن لا حق لهم في الماء، ومن ثم نزلوا مكة وعمروها.
أولاً: العرب البائدة

قال: [العرب البائدة] عرفنا أن العرب تنقسم إلى بائدة وعاربة ومستعربة.
فهيا نفهم عنهم بعض الشيء؟ أولاً العرب البائدة: بمعنى الذاهبة.
باد الشيء يبيد؛ إذا فني وذهب.
قال: [إن العرب الذين بادوا -أي: هلكوا- هم طسم وجديس، وعاد وثمود] هؤلاء بادوا، هلكوا وفنوا [هكذا يقول النسابون والمؤرخون] وعرفتم قول النبي صلى الله عليه وسلم: (كذب النسابون).
وليس معناه أن نرفض منهم كل شيء، ولكن إذا حصل احتمال فلا نجزم.

إذاً: العرب البائدة: هم الذين بادوا وهلكوا، وهم هؤلاء طسم وجديس وعاد و ثمود، هكذا يقول النسابون والمؤرخون.
قال: [فأما طسم وجديس فقد اقتتلوا.
أي: قاتل بعضهم بعضاً حتى هلكوا جميعاً] تحاربوا وتضاربوا وتقاتلوا فأفنى بعضهم بعضاً، ولم يبقَ منهم أحد [وأما عاد وثمود فقد أصروا على الشرك والتكذيب لرسوليهم -هود وصالح عليهما السلام- حتى أهلكهم الله تعالى، وقد جاءت أخبارهم في القرآن الكريم.
قال تعالى: الْحَاقَّةُ * مَا الْحَاقَّةُ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ [الحاقة:1-3]].
والحاقة أي: القيامة، وهي الساعة، يوم الهول والفناء.
[كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ [الحاقة:4]] والقارعة كالحاقة: الْقَارِعَةُ * مَا الْقَارِعَةُ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ * يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ [القارعة:1-4].
إذا أتيت عندنا في الخريف -أظن- أو في الربيع وجلست تحت المصابيح التي في الشارع ترى الفراش يتجمع عليها.
من أين يأتي هذا وهو يحترق؟ هكذا تكون البشرية في تلك الساعة: كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ [القارعة:4].
وقد قصصنا غير ما مرة حادثة في الحرب العالمية الأخيرة في الديار الجزائرية: كان الناس إذا صفرت صافرات الإنذار ودوت طائرات ألمانيا وإيطاليا يفقدون شعورهم، -والله- ترى هذا يقفز على هذا ليهرب، وهذا من يقفز من فوق البناء فوق وهذا يهبط من البناء، حتى الأنفاق والسراديب هذا داخل وهذا خارج! فذكرنا قول الله تعالى: يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ [القارعة:4].
ونذكر حادثة مضحكة لطيفة! وهي أن المؤمنين كانوا يساكنون الطليان والأسبان مع تابعي الحكومة الفرنسية، فالمؤمنون عندما يدوي المدفع يقولون: لا إله إلا الله، لا إله إلا الله، حتى إذا ماتوا يموتون على كلمة التوحيد، والطليان والأسبان لا يعرفون هذا، فتجدهم يقولون: (MOI AUSSI ،MOI AUSSI) يعني: وأنا كذلك! وأنا كذلك! والمعنى: أنا كما يقول العرب حتى إذا هلكت أكون منهم.
يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ * وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ [القارعة:4-5]، القارعة، والحاقة، والواقعة، والطامة، والصاخة، كلها ألفاظ مختلفة وهي تفسر معانٍ عظيمة.
ما بالك بالجبال تصبح هباءً منثوراً، و تلقي ذات الحمل حملها؟! وهنا نذكر أيضاً حادثة نسلي بها عليكم: كنا في دمشق وإذا بثورة قد قامت على الحكومة، وصفرت صافرات الإنذار، وكنا وقتها نصلي؟ فجاء من يقول: أي صلاة هذه اهربوا، فخرج الناس من المسجد وتركوا الصلاة، فكان هناك امرأة حاملة لابنتها، فعندما صفرت صافرات الإنذار تركت الطفلة وهربت! تريد أن تنجو، تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ [الحج:2]، ففسرت الأحداث القرآن.
إنه الهول! إنها القارعة، والصاخة، والحاقة، والطامة ..وعنها الناس غافلون.
والشاهد عندنا في قوله تعالى: [كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ [الحاقة:4]] أي: بالقيامة، وهل الذي كذب القيامة يصوم ويصلي؟! لا.
لا يصوم ولا يصلي، ولا يتقي الله إلا عبد آمن بلقاء الله وبالجزاء في الدار الآخرة، ومن كذب بالبعث والجزاء ما عبد الله.
والذي لا تثبت هذه العقيدة في نفسه وتستقر ويكون بها جازماً لا يستطيع أن يترك كلمة قبيحة يريد أن يقولها، لكن إذا كان يراقب الله والوقوف بين يديه فإنه يستطيع ذلك.
قال تعالى: [فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ [الحاقة:5]] ما هي الطاغية؟ الطاغية: تلك الصيحة التي طغت ثلاثة أيام، قال تعالى: تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ [هود:65]، في اليوم الأول اصفرت وجوههم، وفي اليوم الثاني اسودت، وفي اليوم الثالث ازرقت فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ [الحجر:83]، صيحة مزقت قلوبهم، فخروا جاثمين، هذه هي الصيحة، أي: الصيحة الطاغية، التي طغت عن مدى أية صيحة من الصيحات وعلتها.
[وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ [الحاقة:6]] وصرصر أي: ذات صوت سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ [الحاقة:7]؛ لأنهم كانوا طوال الأجسام عمالقة، فلما هلكوا وهم سود، كانوا عندما تمر بهم كأنهم جذوع النخل.
هذه هي العرب البائدة، سبب إبادتهم أنهم قتلوا بعضهم بعضاً، وأفنوا بعضهم بعضاً، أما عاد وثمود فكذبوا بآيات الله ورسله ولقائه فأهلكهم الله.
بم أهلك الله عاداً؟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ [الحاقة:6].

وبم أهلك ثموداً؟ بالصيحة الطاغية.
هؤلاء هم العرب البائدة.
ثالثاً: العرب المستعربة

قال: [العرب المستعربة: إن العرب المستعربة هم أولاد إسماعيل بن إبراهيم الخليل] و إبراهيم ليس بقحطاني وإنما هو من العراق، من بابل في العراق كما سيأتي [وقيل لهم: العرب المستعربة؛ لأن إبراهيم عليه السلام لم يكن من أولاد يعرب] ما كان من أولاد يعرب وإن كان من أولاد سام [وإنما كان من أولاد عابر] و عابر من أولاد سام [بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح ، ولذا كانت لغته غير العربية، وهي السريانية] فكان سرياني اللغة [لغة الكلدانيين من سكان بابل العراق] السريانية هي لغة الكلدانيين الذين كانوا يسكنون بالعراق، وهم ساميون من أولاد سام .
قال: [كما تكلم بلغة الكنعانيين أيضاً] إبراهيم بعدما هاجر من العراق كان يتكلم بالسريانية، ثم نزل بالشام وتكلم بلغة الكنعانيين، فأصبح له لغتان [ولم يتكلم بالعربية] إبراهيم عليه السلام ما تكلم العربية.
قال: [وأما إسماعيل عليه السلام فإنه بحكم نشأته بين أفراد قبيلة جرهم اليمانية القحطانية] تنشأ بينهم منذ إن كان طفلاً رضيعاً [التي سكنت مكة بإذن والدته هاجر] امرأة تأذن لقبيلة وكأنها ملكة! لا إله إلا الله! فلهذا كان للعرب مواقف ما وقفها غيرهم من أجناس البشر، ولهذا يقول أحد الصالحين: إن كفار العرب أشرف كفار في الدنيا! وبيان وجه ذلك هو: كيف أن قبيلة برجالها وكلابها وخدمها وأموالها تستأذن امرأة بأن تسمح لهم في المقام إلى جنبها، وعندما تأذن لهم تشترط عليهم أن لا حق لهم في الماء.
كيف يتم هذا؟! وأي مروءة هذه؟! إنه كرم وشرف، وقد أعطوها عهداً وميثاقاً بأن الماء ماؤها والأرض أرضها، فهل يحدث هذا عند كفار اليوم؟! قال: [تعلم العربية ونفس أهلها فيها، أي: تفوق عليهم فيها بياناً وأدباً وبلاغة] نشأ إسماعيل في أرض الطيب والطهر بين العرب وأصبح أفصح من أبناء القبيلة -ولا حرج- [كما تعلمها أولاده] ومن باب أولى أن يتعلمها أولاده؛ لأن أمهم جرهمية [ومن أمهم السيدة بنت مضاض الجرهمية ومن أخوالهم المجاورين لهم بمكة أيضاً] نتيجة لوجود أخوالهم معهم وأمهم تفوقوا في اللغة العربية [فلهذا قيل لهم: العرب المستعربة] واستعرب: تكلف اللغة شيئاً فشيئاً فحذقها ونطق بها وأصبح من رجالاتها، فيقال فيه: استعرب، وقد يستعجم أيضاً العرب.
فلو نزلت مع زوجتك في بريطانيا وولد لك ولد، فإنه يتعلم البريطانية من جيرانه والطلاب والمدرسة فيقال له: استعجم وقد يكون شريفاً من آل البيت، ولكن استعجم، فلا يقال له: أعجمي الأصل ولكن استعجم، كما يقال استعرب.
لم قالت العرب العجم؟ لأن غير العربي لا يفصح، وإن أردتم من ذلك شيئاً ائتوني ببريطاني أو أمريكي فهل يستطيع أن يفرق بين الضاد والظاء أو ينطق بهما؟ لا يستطيع، وحروف كثيرة أيضاً.
إذاً فيه عُجمة أو لُكنة لا يستطيع معها أن يفصح بخلاف العربي الأصل.
وأفصح من نطق بالضاد هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولهذا يقول الفقهاء: هل تصح إمامة من لا يفرق بين الضاد والظاء؟ بعضهم يقول: لا تصح.
وبعضهم يقول: هذا أمر صعب يعفى عنه.
فتجد في القرية من يقرأ ويقول: (غير المغضوب عليهم ولا الظالين) فالذي لا يقول بالجواز تجده يأخذ نعله ويخرج؛ لأن الإمام لم يفرق بين الضاد والظاء.
فالظاء أخت الطاء والضاد دونها وهي أخت الصاد.
قال: [نظراً إلى أن جدهم غير عربي وهو إبراهيم عليه السلام، وأن ولده إسماعيل استعرب هو وبنوه، حيث تعلموا لغة العرب وتكلموا بها وفازوا فيها، ومن هنا قيل في القبائل العدنانية عامة: العرب المستعربة] القبائل العدنانية على اختلافها وكثرتها يقال فيهم كلهم: العرب المستعربة؛ لأن أصلهم عدنان ثم انحدروا وتفرقوا قبائل شتى.
هذا كله تمهيد للسيرة النبوية، فقد عرفنا أول شيء مكة، وأنه كان يقال لها جبال فاران، وأنه لم يكن فيها بيت واحد، ثم عرفنا كيف عمرت بما شاء الله أن تُعمر، وعرفنا كيف بني البيت فيها، وسبب هجرة إبراهيم بإسماعيل وأمه إلى مكة، ثم عرفنا كيف عمرت مكة بالجرهميين وأولاد إسماعيل.
هذا علم خير من الحلاوة البقلاوة، وهو -عند العارفين- أفضل من الأكل والشرب، أما عند الغافلين -مثلي- فأعطه حبة حلوى ويكفي، وبعدها لا يسمع ولا يريد أن يفهم.

عودة سريعة إلى النسب الشريف

قال: [عودة سريعة إلى النسب الشريف: سبق أن ذكرنا أن النسب الشريف ما بين إسماعيل و عدنان فيه غموض وخفاء].
إي والله! ورسول الله شاهد، فهو الذي أخبر، لكن هل مُحيَ؟ لا.
مكتوب، لكن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: (كذب النسابون)، ولهذا علينا أن نسكت [حتى إن صاحب النسب الشريف صلى الله عليه وسلم قال: (لا ترفعوني فوق عدنان)] لِمَ؟ خشية أن نكذب وننسبه إلى من هو ليس منهم.
وهل الكذب على الرسول جائز؟ لا، يقول صلى الله عليه وسلم: (من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار)، (إن كذباً علي ليس ككذب على أحدكم)، (من كذب علي متعمداً فليلج النار) ما سر هذا؟ لأن قول الرسول صلى الله عليه وسلم تشريع، فهو الذي يضع القوانين والشرائع، فإذا جاز الكذب عليه فنحن نشرّع، ولهذا لا يصح لمؤمن أن يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأنه إذا قال: قال الرسول أو فعل الرسول شرّع، فأقوال الرسول وأعماله كلها شرائع، وإذا سُمح بالكذب عليه أصبحت شريعة الله جزءاً من ألف جزء، فكيف يعبد الناس الله؟! وكيف يستقيم أمرهم؟! فلهذا الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس كالكذب على الآخرين، فلو كذبت على علي أو عمر أو خديجة أو غيرهم فلا يتأثر الناس بك كما لو كذبت على رسول الله صلى الله عليه وسلم.
فإذا قلت: قال رسول الله! أو حكم رسول الله! أو شرّع رسول الله، فقد شرّعت للناس.
هذا هو السر.
إذاً: يحرم الكذب عن الرسول صلى الله عليه وسلم؛ لأن القول عليه تشريع يؤدي إلى زيادة في الدين تضل بها الأمة؛ إذ تعبد ربها بغير ما شرع.
قال: [ولذا فكل ما يحسن أن يقال هو أن أولاد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام وهم اثنا عشر ولداً عاشوا مع أخوالهم من جرهم، ونبيهم ورسول الله إليهم أجمعين هو إسماعيل عليه السلام].
إسماعيل ولد له اثنا عشر ولداً، ما هي أسماؤهم؟ الله أعلم.
هؤلاء الأولاد عاشوا مع أخوالهم من جرهم في مكة، وكان نبيهم ورسول الله إليهم أجمعين هو إسماعيل، نبأه الله وأرسله إلى جرهم وإلى أولاده في تلك الديار، قال الله عز وجل: وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا [مريم:54].
قال: [وكان من بين أولئك الإخوة نابت و قيذار] من بين الإخوة الإثني عشر أولاد إسماعيل كان من بينهم نابت معروف و قيذار أيضاً [والإجماع على أن عدنان هو ابن أحدهما لا محالة] عدنان أحد أبناء نابت أو قيذار والراجح أنه ابن نابت [ثم إن عدنان أنجب من البنين عكاً و معداً أما عك فقد نزح إلى اليمن وعاش بها مع أصهاره الأشعريين، وأما معد فقد بقي بمكة وأنجب من البنين نزاراً و قضاعة و قنصاً و إياداً ، أما قنص فقد هلك بنوه إلا قليلاً منهم، وكان منهم النعمان بن المنذر وأما إياد فقد أنجب قبيلة والنسبة إليها إيادي، ومنهم قس بن ساعدة الإيادي
.
وأما قضاعة فقد نزحت إلى حمير باليمن] وأقامت بها [وأما نزار فقد عاش بالحرم كأخيه إياد وأنجب مضراً و ربيعة و أنماراً وأنجب مضر إلياس و عيلان ، وأنجب إلياس مدركة و طابخة و قمعة وأنجب مدركة خزيمة و هذيلاً وأنجب خزيمة كنانة و أسداً ، و أسدة و الهون .
وأنجب كنانة ملكان و النضر و مالكاً و عبد مناة وأنجب النضر -وهو أبو قيس حيث كافة قبائلها تعود إليه- أنجب مالكاً و مخلداً وأنجب مالك بن النضر فهراً ، وأنجب فهر غالباً و محارباً و الحارث و أسداً ، وأنجب غالب بن فهر لؤياً و تميماً و قيساً ، وأنجب لؤي بن غالب كعباً و عامر و سامة و عوفاً .
وأنجب كعب بن لؤي مرة و عدياً و هصيصاً ، وأنجب مرة بن كعب كلاباً و تيماً و يقظة ، وأنجب كلاب بن مرة قصياً و زهرة ، وأنجب قصي بن كلاب عبد مناف و عبد الدار و عبد العزى و عبد قصي ، وأنجب عبد مناف بن قصي هاشماً و عبد شمس و المطلب و نوفل ، وأنجب هاشم بن عبد مناف عبد المطلب ، و أسداً و أبا صيفي و نضلة وأنجب عبد المطلب العباس و حمزة و عبد الله -والد رسول الله صلى الله عليه وسلم- و أبا طالب و الزبير و الحارث و حجلاً و المقوم و ضرار و أبا لهب].
هذا والله تعالى أسأل أن ينفعنا وإياكم دائماً بما ندرس ونسمع، وصلى الله على نبينا محمد وآله.

كان العرب قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم قبائل متفرقة، وكانوا يتبعون غيرهم من الممالك في ذلك الوقت، فكان الغساسنة يتبعون الروم، ويأتمرون بأمرهم، ويمنعون سائر العرب من حدود دولة الروم، أما المناذرة في الحيرة فكانوا يتبعون دولة فارس، أما البلاد اليمانية فكانت تحت التبابعة من حمير زمناً، وتحت حكم الأحباش أزماناً أخرى، أما نجد والحجاز فقد حماها الله من سطوة الملوك، إلا أن العرب كانوا فيها متناحرين فيما بينهم، حتى جاء الإسلام ووحدهم.

قبل الفجر المحمدي (حالة العرب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية)

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، ثم أما بعد: فمازلنا ندرس السيرة النبوية العطرة من كتاب: (هذا الحبيب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم يا محب)، وقد انتهى بنا الدرس إلى هذه المقطوعة الكريمة، وهي: [قبل الفجر المحمدي].

أي: قبل أن يطلع النور المحمدي في ديار الله، وقبل ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أي: كيف كانت حالة العرب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية؟ وهي مكونة من أربعة دروس.

الأول: حالة العرب السياسية.

وسوف نمر بها إن شاء الله ونقف على مواطن ينبغي أن نقف عندها ونعتبر بها.

ثانياً: الحالة الاقتصادية (المالية).

ثالثاً: الحالة الاجتماعية.

رابعاً: الدينية.

لنعرف كيف كانوا متهيئين لطلوع هذا الفجر وظهور هذا النور المحمدي؛ لأنهم كانوا هابطين إلى أقصى معاني الهبوط سياسياً واجتماعياً ودينياً واقتصادياً، فكانوا في حاجة إلى فجر ينبثق أنواره فيكملون به ويسعدون.

وما أحوج المسلمين اليوم بل ما أحوج البشرية جمعاء إلى هذا النور المحمدي.

قال المؤلف غفر الله له ولكم ورحمه وإياكم وسائر المؤمنين والمؤمنات: [قد اجتمعت كلمة المؤرخين عامة] الذين أرخوا تاريخ البشرية القديم والحديث [على أن العالم الإنساني قاطبة -والعالم العربي بصورة خاصة- كان يعيش في دياجير ظلام الظلم والجهل، وظلمات الطغيان والاستبداد] هذا حق -والله- والواقع يشهد، والقرآن يقرر، والنبي يخبر بذلك صلى الله عليه وسلم.

قال: [تتنازعه] أي العالم العام والخاص [الامبراطوريتان الفارسية شرقاً والرومانية غرباً] هذا هو العالم الإنساني والعربي في ذلك الوقت تتنازعه الإمبراطوريتان الفارسية -نسبة إلى فارس- شرقاً، والرومانية -نسبة إلى الرومان- غرباً.

قال: [ويؤكد هذه الحقيقة] التي قدمناها [قول الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم: (إن الله نظر إلى سكان العالم فمقتهم عربهم وعجمهم جميعاً إلا بقايا من أهل الكتاب)].

أي: مجموعات قليلة هنا وهناك، كانوا متمسكين بدين الله عز وجل، بعضهم يهود وبعضهم نصارى، وأما من عداهم فكانوا عامة مشركين.

فقول الحبيب صلى الله عليه وسلم: (إن الله نظر إلى سكان العالم فمقتهم).

المقت معروف (عربهم وعجمهم إلا بقايا قليلة من أهل الكتاب).

يدل على أنه كان هناك يهود ما زالوا على العهد الصحيح، وبقايا من النصارى كذلك.

قال: [فالأحوال مترديه ساقطة هابطة في العالم الإنساني بأسره] أي: قبل البعثة المحمدية [لاسيما في العالم العربي حيث الفساد في كل جوانب الحياة، السياسية منها كالاقتصادية، والاجتماعية كالدينية، الكل سواء] في السقوط والهبوط.
ولا تغضب يا عربي! فأنت الآن مسلم.
احذر! أن يخدعك الشيطان فتغضب للعرب ولو كنت عدنانياً فإنك الآن مسلم والحمد لله! قال المؤلف غفر الله له ولكم ورحمه وإياكم: [وهذه نظرة خاطفة نلقيها جميعاً على ديار العرب] لنشاهد الواقع كما هو [وكلمة عابرة نقولها على تلك الأوضاع المتدهورة المتهالكة؛ ليُعرف مدى الحاجة إلى فجر النبوة المحمدية].
إذا رأينا الظلام الدامس الحالك عم الأرض نتطلع إلى فجر يطلع؛ لأن الظرف يتطلب ذلك، ووالله لولا البعثة المحمدية والفجر النبوي الذي طلع ما تمتعتم بهذه الكهرباء ولا عرفها غيركم.
هذه كلمات يقولها بعض العقلاء في أوروبا، يقولون: لولا الإسلام ما عرفنا الكهرباء ولا طرنا في السماء ولا عرفنا الحياة.
فقد كانوا كالبهائم يأكلون الضفادع، أتدرون من رفع رءوسهم؟ إنها الأنوار المحمدية! لكن مع الأسف قضاء الله أن ينتفعوا منا ثم يذبحونا.
لِمَ هذا؟ ليبقوا في شقاء وبلاء إلى يوم القيامة، لقد انتحروا بأيديهم.
لقد أخذوا هذه الأنوار منا ثم رفسونا، ولو أنهم لم يرفسونا لدخلوا في الإسلام وسعدوا في الدنيا والآخرة، لكن انتقم الله منهم فحرمهم، فهذه نظرة خاطفة لنعرف مدى الحاجة إلى فجر النبوة المحمدية و [لتبديد تلك الظلم المتراكمة وإبعاد تلك الويلات الملازمة للحياة الخاصة والعامة في ربوع ديار العروبة قاطبة؛ إذ لا فرق بين يمنها وشامها ولا بين حجازها ونجدها.
ولتعظم عند ذي الوعي العاقل منة أنوار الفجر المحمدي التي ستغمر الجزيرة والكون من ورائها هدايةً ونوراً].
من كان لا يعرف حالة الفساد لا يحمد الله على حالة الصلاح، لكن من عرف الواقع بادر بالحمد لله وعرف قيمة البعثة المحمدية التي غمرت الجزيرة والكون من ورائها هدايةً ونوراً.
قال: [ولنبدأ بالحالة السياسية في بلاد العرب] ألا تحبون السياسة؟! مداخلة: بلى.
إذاً: تعلموا! وأنا آسف -والله العظيم- لرجال تخرجوا من كليات السياسة لا يعرفون رأسها من رجليها، ابتلي بهم العالم الإسلامي فنزلوا على مناصب ليسوا لها بأهل، يتخبطون تخبط العجائز.
ستقولون: لِمَ هذا يا شيخ؟ فأقول: لأنهم درسوا وكتبوا وتخرجوا وهم في ظلام دامس لا نور فيه لله، ولا نور فيه لرسوله عليه الصلاة والسلام.
كيف يتخرجون عمياً؟ السياسة تحتاج إلى بصيرة وإلى نور كالذي كان يتمتع به عمر ، يقول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: (والله ما قال أبي في شيء: أظنه كذا.
إلا كان كما ظن).
والرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يقول: (لو كان في أمتي محدثون) أي: من تحدثهم الملائكة (لكان منهم عمر ولكن لا نبي بعدي).
وقال: (ما سلك عمر فجاً إلا سلك الشيطان فجاً غير فجه) ليس زقاقاً ضيقاً، بل فج كامل لا يقوى الشيطان على أن يمشي فيه مع عمر.
ما سبب هذا؟ هل لأن عمر يغني؟! هل لأنه يشرب الشيشة؟! هل لأنه يظل يضحك؟! هل لأنه يأكل البقلاوة والمشوي؟! استدعى مرة عمر أحد ولاته على عشاء أو غداء، فنوع له السفرة -علماً أن هذه السفرة لن تصل إلى سفركم أنتم، بل حتى الفقراء منكم- فنظر عمر إلى الطعام وقد تنوع فاضطرب وانتفض انتفاضة الأسد وقام! فارتبك الوالي وقال: ما لك يا أمير المؤمنين! قال: خشيت أن أكون ممن قال الله فيهم: أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ [الأحقاف:20].
فالسياسي الذي لا يصوم ولا يقوم ولا يردد كتاب الله ويتغنى به أنى له أن يبصر ظلام الحياة؟! ستقولون: يا شيخ دلل على هذه الأقاويل؟ أقول: الدليل هو هبوط العالم الإسلامي اليوم.

هل هناك هبوط أعظم منه؟ أين أنوار السياسة؟! ومعنى هذا: أنه يتحتم علينا أن نعود إلى بيوت الله، ونجتمع على الكتاب والحكمة، هذا هو الطريق!

الحالة السياسية في بلاد العرب

قال: [الحالة السياسية في بلاد العرب] أي: كيف كانت؟ قال: [إن مجمل القول في الحالة السياسية في بلاد العرب هو أن بلاد العرب -وهي شبه جزيرة] يطلق عليها لفظ: (جزيرة العرب) تساهلاً أو تسامحاً، بينما هي شبه جزيرة؛ إذ البحار لا تحوطها من كل جهاتها [لوقوعها بين ثلاثة أبحر: الأحمر غرباً، والهندي جنوباً، والخليج شرقاً- من المناطق السياسية ذات الأثر على الحياة الاجتماعية.

ففي اليمن حيث ملوك حمير من التبابعة وغيرهم، والحيرة شرقاً إلى العراق حيث المناذرة، والشمال حيث الغساسنة، أما الوسط وهو نجد والحجاز وتهامة فإنه دائرة المجد، وموضع طلوع الفجر، فأرض حماها مولاها من سطوة الجبابرة، وسياسة المتاجرة، فلم تصل إليها يد الأحباش الأوباش] والحبشي لا يلومنا -إذا كان بيننا أحد من الأحباش- لأن هذا عهد قد مضى، فهم كانوا كفاراً وأنت اليوم مسلم فلم تغضب؟! وأنا أعرف أن هناك من يغضب -كما قدمنا في العرب-!! وتهامة هي الساحل، ونجد هي الجبال -الأرض المرتفعة- من الحناكية إلى الرياض، والحجاز هذا الخط بجباله.

قال: [أما الوسط وهو نجد والحجاز وتهامة فإنه دائرة المجد] أو لا تحبون الحجاز؟! إنها دائرة المجد [وموضع طلوع الفجر فأرض حماها مولاها من سطوة الجبابرة وسياسة المتاجرة فلم تصل إليها يد الأحباش الأوباش ولا يد الفوارس الأنجاس ولا يد الرومان الأنكاس] ستقولون: آه الشيخ هول الدنيا؟! مساكين!! الذي يتأثر بهذا الكلام حيوان ميت! هذا عصر مضى عليه ألف وأربعمائة سنة، فلِمَ تغضب؟ ولعل سياسي يقول: كيف يسب هذا الشيخ فارس والروم؟! لأنه لا يفهم.

قال: [لأنها مشرق الأنوار ومكمن الأسرار، وعما قريب يطلع نجمها ويعلو كعبها، وتسود الدنيا وما فيها] إي والله، هل عرفتم قطعة من الأرض سادت الدنيا سوى هذه؟!! هذه أم العواصم، فلما أصبحت الخلافة في هذا البلد دان العالم بكامله لها وذل وهان.

قال: [فالبلاد اليمانية] هذا شيء من التفصيل [تداولتها ملوك حمير من التبابعة وغيرهم، كما حكمها في فترات ملوك الأحباش مباشرة أحياناً، وبواسطة أبنائها أحياناً أخرى، وقد عظم ملك اليمانيين أحياناً حتى غزوا الشرق، ووصلت طلائع جنودهم إلى بلاد فارس متجاوزة أرض العراق إلى أعماق الشرق، وآخر ملوكهم ذو نواس -وهو صاحب الأخدود وكان يهودي العقيدة- فكان آخر ملوك حمير ببلاد اليمن.

كما أن آخر ملوك التبابعة باليمن كان أبا كرب تبان بن أسعد الذي غزا المدينة هذه ودخل مكة، وكسا الكعبة المشرفة وعاد إلى اليمن وهلك بها.

وأما المناذرة بالحيرة فإن ملوكهم -وآخرهم النعمان بن المنذر - كانوا تابعين في الغالب لملوك إيران، وكذلك الحال بالنسبة إلى الغساسنة بأرض الشام فإنهم تابعون في الغالب لملوك الروم، مع العلم بأن ملوك الحيرة كملوك الشام، أصلهم يمنيون نزحوا من اليمن بعد خراب سد مأرب بواسطة سيل العرم] لأن اليمن هي دار العرب ومنبتهم [والأوس والخزرج بالمدينة النبوية، وطيء بجبل طي شمالاً، والكل من مهاجري اليمن بعد خراب سدهم الذي كان مصدر غناهم وثروتهم، إذ أرسل الله تعالى عليهم سيل العرم عقوبة لهم بعدما ظلموا] كان الرجل يخرج من صنعاء إلى الشام لا يحتاج في رحلته إلى زاد؛ فأشجار العنب والخوخ والرمان والنخيل من اليمن إلى الشام، فلما ظلموا، والظلم: وضع الشيء في غير موضعه، وهو آية الدمار والخراب والفساد، أرأيتم لو قمنا نغني ونرقص في المسجد، فهل وضعنا الشيء في غير موضعه؟! وهكذا يفسد المجتمع، فكل من وضع شيئاً في غير موضعه إما لجهله أو لعناده ومكابرته لابد وأن يتمزق وتمضي سنة الله فيه، كما هو واقع البشرية كاملة.

قال: [قال تعالى: لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ [سبأ:15] إلى قوله: فَأَعْرَضُوا [سبأ:16] أي عن طاعة الله وطاعة رسوله] كيف يكون الإعراض؟ إذا المؤذن يؤذن وأخونا يضحك هذا هو الإعراض [فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَي أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ [سبأ:16]]. ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ [سبأ:17].

لو أن المسلمين قرءوا هذه الآية واجتمعوا عليها لذابوا من خوف الله تعالى، ولكانوا في أربع وعشرين ساعة ربانيون، أولياء لله عز وجل، وارتفعت رءوسهم وسادوا العالم، لكن لا يقرءون القرآن إلا على الموتى فقط؛ وبالأجرة!! قال: [وأما العدنانيون -وهم سكان مكة وما حولها من ديار تهامة والحجاز فمجمل القول في الحالة السياسية عندهم أن قبيلة جرهم- التي استوطنت مكة مع هاجر أم إسماعيل وعاشت زمناً في ظل حكم إسماعيل وأحفاده إلى أن استولت على الحكم بمكة وانتزعته من يد أبناء إسماعيل عليه السلام، وبقي الحكم في جرهم إلى أن جارت وظلمت واستحلت المحرّم في مكة فسلط الله تعالى عليها -كما هي سنته تعالى في الظالمين المعرضين عن طاعة الله وطاعة رسوله- بني بكر من كنانة، وغبشان خزاعة فأجلوهم عن مكة وهم يبكون] أي: أخرجوهم بالقوة وهم يبكون، فما أبقوا واحداً [فالتحقوا باليمن -ديارهم الأولى- والأبياتُ التالية ترسم صورة صادقة لجرهم بمكة وحزنها عند جلائها عنها].

لنسمع ما قال الجرهمي وهو يبكي: قال: [وقائلة والدمع سكب مبادر وقد شرقت بالدمع منها المحاجر كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر] أجلوهم بالقوة لظلمهم

[فقلت لها والقلب مني كأنما يلجلجه بين الجناحين طائر] أي: يخفق.

[بلى نحن كنا أهلها فأزالنا صروف الليالي والجدود العواثر] لأن هذا كافر ليس بموحد، فلم تكن طلعت الشمس المحمدية بعد، ولهذا قال: بلى نحن كنا أهلها فأزالنا .أي: أبعدنا.

من الذي أبعدهم؟ قال: صروف الليالي والجدود العواثر أي: الحظ الهابط.

[وكنا ولاة البيت من بعد نابت .] و نابت هو أحد أحفاد إسماعيل عليه السلام.

[نطوف بذاك البيت والخير ظاهر] وهذا حق! [ونحن ولينا البيت من بعد نابت بعز فما يحظى لدينا المكاثر ملكنا فعززنا فأعظم بملكنا فليس لحي غيرنا ثم فاخر إلى أن قال: وصرنا أحاديثاً وكنا بغبطة بذلك عفتنا السنون الغوابر فسحت دموع العين تبكي لبلدة بها حرم أمن وفيها المشاعر وتبكي لبيت ليس يؤذى حمامه يظل به أمناً وفيه العصافر] أي: لا يؤذى فيه الحمام والعصافر [وفيه وحوش لا ترام أنيسة إذا خرجت منه فليست تغادر] من هو هذا الباكي؟ إنه جرهمي.

أجلاهم الله عن الحرم بعدما عاشوا فيه سعداء آمنين قروناً بسبب أنهم فسقوا.

فهل تتبدل سنن الله؟ لا تتبدل؛ وإنما قد تطول.

لقد فسق العرب والمسلمون، وهم الآن آنسون مطمئنون، ووالله ما هو إلا إمهال منه، وسوف ينتقم! ستقولون: يا شيخ أتحلف هذا الحلف وتكذب علينا؟! أسألكم بالله! أما وضعت بريطانيا رجلها على الشرق بكامله؟! أما وضعت فرنسا قدمها المنتنة على الشام وشمال إفريقيا بكامله؟! أين ملوك الإسلام في الهند وأين وأين ..؟ صح هذا وإلا لا؟ صح ولكن قد نسينا.

إن لم يتوبوا التوبة الصادقة فسوف تنزل بهم النقم؛ فسنة الله لا تتبدل!! ستقولون: لم لا تنزل بفرنسا وبريطانيا وغيرها؟ سوف تنزل، والبلاء سوف ينزل ولكن لا تستعجل: وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ [الحج:47].

ولاية قصي بن كلاب على مكة

قال: [ولاية قصي بن كلاب] أي: على مكة.

فنحن الآن بالديار التي طلع فيها الفجر نكنسها وننظر ما فيها ..

[وبعد مرور زمن طويل ومكة يحكمها بنو بكر وغُبشان خزاعة، أي: من يوم انتزعوا الحكم من يد جرهم، تغلبت غبشان خزاعة على بني بكر واستقلوا بالولاية وتداولوها زمناً، وكان آخر من وليها منهم حليل بن حبيشة بن سلول الخزاعي فخطب ابنته حبي قصي بن كلاب فزوجه إياها فولدت له عبد الدار ، و عبد مناف و عبد العزى و عبداً ، وكبروا وكثر مالهم وعظم شرفهم، ومات حليل فرأى قصي أنه وبنيه أولى بولاية الكعبة، فكلم رجالاً من قريش وبني كنانة طالباً نصرتهم فأعانوه على إخراج خزاعة وبني بكر فأخرجوهم، واستتب الأمر لقصي وبنيه بعد قتال شديد بينهم وبين خزاعة وبني بكر انتهى بصلح وتحكيم عمرو بن عوف الكناني ، كانت نهايته ولاية قصي على مكة والكعبة، فجمع قصي قومه من قريش من منازلهم إلى مكة وملكوه فكان أول أمير من قريش في مكة المكرمة، وكانت له الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء، وبهذا حاز شرف مكة كله].

كانت حجابة البيت والسقاية كلها مجاناً -ليس بالمال- وإنما يُسقون مجاناً، وأحياناً كانوا يجعلون لهم العصير، فيأتون بالزبيب من الطائف ويخلطونه بالماء ويسقون الحجيج الماء الحلو.
والرفادة: هي رفد العاجز المريض الفقير، والندوة هي مجلس الشورى؛ يجتمعون فيه ليتبادلون الرأي في قضاياهم الدنيوية.
واللواء يعين له رجالات خاصة لحمله؛ وبهذا حاز قصي شرف مكة كله.
[وجمع قصي قبائل قريش في مكة والحرم، وبذلك سمي مُجمعاً وفيه يقول الشاعر: قصي لعمري كان يدعى مجمعا به جمع الله القبائل من فهر]

حقائق وعبر من حالة العرب السياسية قبل الإسلام

قال: [حقائق وعبر] نختم بها هذه المقطوعة [من استعراضنا للحالة السياسية في بلاد العرب نستخلص الحقائق التالية: أولاً: إن البلاد اليمانية اعتورتها حكومات متعددة أعظمها حكومات التبابعة من قبيلة حمير.
ثانياً: إن كلاً من الأحباش والفوارس قد استعمروا اليمن بواسطة اليمنيين الذين يستنجدونهم في ظروف معينة.
ثالثاً: شرق الجزيرة من الحيرة إلى العراق لم يكن في الحقيقة إلا ولايات تابعة للحكم الفارسي طيلة الدهر حتى جاء الإسلام، وأن ملوك المناذرة لم يكونوا مستقلين في الغالب وإنما هم تابعون سياسياً للحكم الفارسي المجوسي] وشمال الجزيرة كشرقها لم يكن فيه في الغالب حكم عربي خالص، وإنما كان تابعاً لحكم الروم، والغساسنة فيه كالمناذرة في الشرق سواء بسواء.
[رابعاً: وسط الجزيرة -حيث الحرم وما جاوره من ديار العرب العدنانيين- كان مستقلاً، لم يحكمه الروم ولا فارس ولا الأحباش، لم؛ كرامة الله تعالى لحرمه وسكانه وجيرانه، وهي عبرة لمن اعتبر] حتى اليهود عندما يتبجحون أو يذكرون آمالهم فإنهم يذكرونها من النيل إلى الفرات، ولا يذكرون الحجاز؛ لأنهم يعرفون أنه لا يمكنهم أن يدخلوها ولا أن يحكموها، وإن شئتم فقولوا احتراماً للعالم الإسلامي، أو قولوا كرامة الله! وبالفعل عندما استعمر النصارى العالم الإسلامي لم يستعمر الحجاز.
وعلى كل حال آمنا بالله! قال: وهي عبرة لمن اعتبر.
والعبرة هي: عبّارة؛ حادثة تفهمها وتفهم أسبابها وعواملها ونتائجها بحيث تستطيع أن تتقي مهالك من هذا النوع، فتكون هذه الحادثة كالعبّارة التي تعبر بها النيل من شاطئ إلى شاطئ.
[وحتى عهد الاستعمار الغربي الذي حكم العالم الإسلامي فإنه لم يحكم هذه الديار الطاهرة؛ كرامة الله لحرمه وحرم حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم وسكانهما وجيرانهما] وهذا واقع.
قال: [وفي هذه المقطوعة من العبر ما يلي: أولاً: أن الظلم لا يدوم وإن طال زمانه، سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلاً ثانياً: حماية الله لبلده وحرمه بإهلاك وإبعاد كل من يظلم فيهما، ويستبيح المحرم فيهما] أول ما أجلى الله وأخرج منه قبيلة جرهم، ثم بني بكر، ثم قريشاً وجاء بالإسلام.
[ثالثاً: من فضائل قريش الرفادة والسقاية؛ إذ الرفادة هي جمع المال من أفراد القبائل القرشية سنوياً وإنفاقه في إطعام الحجاج كل عام.
والسقاية كذلك، وهي إحضار الماء محلى أحياناً بالزبيب، وسقي الحجاج أيام حجهم من كل عام].
هذا والله تعالى أسأل أن ينفعني وإياكم بما ندرس ونسمع، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

العادات الاجتماعية عند العرب قبل الإسلام لم تخل مما هو حسن، وقد جاء الإسلام بتهذيبها والحض عليها، ومن هذه العادات المحمودة والخصال الكريمة: الصدق، وإكرام الضيف، والوفاء بالعهود، واحترام الجوار، وتقديس الحرم، واحترام الأشهر الحرم، ومن الخصال الذميمة التي كانت منتشرة قبل الإسلام: تعاطي القمار، وشرب الخمر، وانتشار الزنا والفجور، ووأد البنات.

الحالة الاجتماعية في بلاد العرب قبل الإسلام

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.
أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، ثم أما بعد: فقد سبق لنا قريباً أن عرفنا الحالة الاقتصادية في بلاد العرب، كما عرفنا الحالة السياسية وأنها أسوأ من الاقتصادية، وقد عرفنا -أيضاً- الحالة الاجتماعية وعرفنا منها أرقاماً عدة سنستعرضها فقط.

عاشراً: المداومة على المضمضة والاستنشاق

[عاشراً: المداومة على المضمضة والاستنشاق] كانوا دائماً يغسلون أفواههم وأنوفهم كما نتوضأ نحن؛ لأن الغبار قد يدخل في أنوفهم والتراب كذلك، فهم كعادة انتظمت بينهم كان كل واحد منهم لابد أن يستنشق ويتمضمض كالوضوء، قبل أن يعرفوا الوضوء.

الحادي عشر: السواك والاستنجاء وتقليم الأظافر ونتف الإبط

[الحادي عشر: السواك والاستنجاء، وتقليم الأظافر، ونتف الإبط] أولاً: السواك، وهو عود الأراك، كانوا يطيبون أفواههم بالسواك، والآن الكفار لولا هذه الفرش والمواد التي تيسرت لهم لكانت أفواههم منتنة، ولكن للصناعة والتطور أصبح عندهم فرشة وما يسمونها مادة معجونية يغسلون بها أفواههم مرة في اليوم، أما العرب في الجاهلية فكانوا يستاكون.
ثانياً: الاستنجاء، وما أظن الكفار يستنجون الآن، بل يمسحون بالورق فقط، لكن العرب كانوا يستنجون فيغسلون مخارج البول والعذرة بالماء ولا يكتفون بالتراب أو بالحجارة أو بالورق، وإن كان مجزي عند الحاجة، فقد كانوا يحبون الطهارة.
ثالثاً: تقليم الأظافر: كان للأحباش أظافر طويلة، وكانوا يذبحون بها، تجده يذبح بظفره العصفور والدجاجة، وقد نهانا الرسول صلى الله عليه وسلم عن ذلك.
رابعاً: نتف الإبط: والإبط هو ما تحت الذراع، ينتف شعره لا يحلق؛ لأن الحلق يزيده قوة فينبت بكثرة ويؤذي.
الثاني عشر: الختان للأطفال، والخفاض للبنات

[الثاني عشر: الختان للأطفال، والخفاض للبنات] الختان هو أن يقطع من رأس الذكر الغلفة التي كانت تحجبه، وأول من اختتن هو إبراهيم عليه السلام وعمره ثمانون سنة.

كيف اختتن؟ وضع غلفة ذكره على حجر وضرب بالقدوم فليس هناك سكاكين، وإلى الآن يعرف العرب بأمة الختان، وقد سنه رسولنا صلى الله عليه وسلم.
والخفاض ليس بواجب ولكنه أنفع للمرأة، هناك غلفة أو قطعة كرأس الديك تقطع وما زالت البنت صغيرة فينفعها ذلك، ويحسّن فرجها، وأظن في مصر يفعلون هذا، وقد قال لنا بعض الهابطين: إن المصريين يفعلون هذا لأن نساؤهم سمينات، أو أجسامهم قوية، أما نحن كالبدو فليس هناك شيء.
والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: (الخفاض للبنت مكرمة)، ترغيباً فيه.

الثالث عشر: قطعهم يد السارق اليمنى

[الثالث عشر: قطعهم يد السارق اليمنى] وهذا عجب! فإذا جيء لشيخ القبيلة بأحد من الناس قد سرق وثبتت السرقة قطع يده اليمنى، حتى لا يعاود السرقة.
نعم كانوا يغيرون ويشنون الحروب، أما الجرائم الهابطة فلا يقرونها، بل يقطعون يمنى من يمد يده لمال أخيه.

الرابع عشر: الحج والعمرة

[الرابع عشر: الحج والعمرة] كانوا يحجون ويعتمرون وهم يعبدون اللات والعزى ومناة.
[فهذه جملة من العادات الحسنة الحميدة التي عرف بها العرب في الجاهلية قبل الإسلام، وإنها -وإن لم تكن عامة في كل فرد- فإنها الطابع العام على غالبيتهم، ولولا إرادة الاختصار، وثقة القارئ فيما أقدمه له، لذكرت شواهد ذلك من كلامهم ووقائعهم نظماً ونثراً] أمر مسلم يعني [وحسبنا من ذلك أن أبا سفيان بن حرب لما حضر عند هرقل -ملك الروم- بالشام] وهذا عام صلح الحديبية الذي كانت مدته عشر سنوات، وأصبحت القوافل التجارية بعده تمر بالمدينة بلا خوف، وكان أبو سفيان رئيس أحد القوافل التجارية، فلما سمع به ملك الروم استدعاه بوصفه مثل ملك في مكة، وأراد أن يسأله عن حال الدعوة في المدينة وما حولها، فقد بلغه أن النبي صلى الله عليه وسلم ظهر، فاسمع ماذا قال أبو سفيان .. [وسأله عن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكتمه شيئاً مما سأله عنه، مع العلم بأنه ما زال مشركاً وفي حرب مع الإسلام والمسلمين] بل ذكر صفات الكمال التي اتصف بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصفات الإسلام التي جاء بها كما هي، فما خان، ولا كذب -وهذا هو الصدق- إلا في مسألة واحدة، قال: ما وجدت ما أقول، فسأله فقال: ونحن معه على معاهدة لا ندري ..يعني: يوفي لنا أو لا.
فلما سمع هرقل كلام أبا سفيان كاد يجن، وقال: لو تمكنت من أن أغسل قدميه لفعلت، وأراد أن يعلن إسلامه، ولكنه كان ملكاً، فجمع رجالات الحكومة وخطب فيهم فصاحوا، فقال لهم بعد ذلك: إنما اختبرتكم فقط لأرى قوة ثباتكم وصبركم على دينكم.
وأخرج نفسه من المأزق.
لأنه سمع من أبي سفيان الصفات المحمدية وعرف أن هذا هو رسول الله، وأن هذا هو الذي بشر به عيسى وجاءت بشارته في التوراة والإنجيل، ولكنه آثر الدنيا والمنصب، وخاف أن يعزل ويطرد من الحكم، ولو فعل لكان خيراً له، ومع هذا الله أعلم به، هل مات يحب رسول الله والإسلام.
الله أعلم.

العادات السيئة في المجتمعات العربية

قال: [العادات السيئة: ومن جملة العادات السيئة التي هبطت بالمجتمع العربي قبل الإسلام هي: أولاً: القمار والمعروف بالميسر] في تلك الأيام [وهي عادة سكان المدن في الجزيرة، كمكة والطائف وصنعاء وهجر ويثرب ودومة الجندل وغيرها.
وقد حرمه الإسلام بآية سورة المائدة يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ [المائدة:90].

ثانياً: شرب الخمر والاجتماع عليها والمباهاة] والمفاخرة [بتعتيقها وغلاء ثمنها، وكان هذا عادة أهل المدن من أغنياء، وكبراء وأدباء وشعراء، ولما كانت هذه العادة متأصلة فيهم متمكنة من نفوسهم، حرمها الله تعالى عليهم بالتدريج شيئاً فشيئاً وذلك من رحمة الله تعالى بعباده فله الحمد وله المنة.
ثالثاً: نكاح الاستبضاع] وهو أبشع ما يكون [وهو أن تحيض امرأة الرجل منهم، فتطهر، فيطلب لها أشراف الرجال وخيارهم نسباً وأدباً، ليطئوها من أجل تنجب ولداً يرث صفات الكمال التي يحملها أولئك الواطئون لها] إذا كان للرجل منهم امرأة وحاضت ثم طهرت قدمها لفحل من فحول الرجال الكرام الشجعان قبل أن يمسها لتنجب له ولداً شريفاً.
[رابعاً: وأد البنات، وهي أن يدفن الرجل ابنته بعد ولادتها حية في التراب خوف العار.
وجاء في القرآن الكريم التنديد بهذا العمل، وتقبيحه، وذلك بذكر توبيخ فاعله يوم القيامة.
قال تعالى من سورة التكوير: وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ [التكوير:8-9]] فقد كانوا يدفنون بناتهم أحياءً خوفاً من العار من جهة، ومن الفقر من جهة أخرى، وفي حالة الفقر قد يدفنون الولد أيضاً.
[خامساً: قتل الأولاد مطلقاً ذكوراً وإناثاً، وذلك عند وجود فقر وحالة مجاعة، أو لمجرد توقع فقر شديد عندما تلوح في الأفق آثاره، لوجود محل وقحط بانقطاع المطر أو قتله.
فحرم الإسلام هذه العادة السيئة القبيحة بقوله تعالى: وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ [الأنعام:151] في آية الأنعام، وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ [الإسراء:31] في آية الإسراء.
والإملاق شدة الفقر وعِظَمه.
سادساً: تبرج النساء بخروج المرأة كاشفة عن محاسنها مارة بالرجال الأجانب، متغنجة في مشيتها متكسرة، كأنها تعرض نفسها وتُغري بها غيرها.
سابعاً: اتخاذ الحرائر من النساء الأخدان من الرجال] فقد كانت المرأة الحرة تتخذ صديقاً سرياً تجالسه ويجالسها، ويرحمها وترحمه، هذا الصديق كان سرياً لا علنياً [وذلك بالاتصال بهم وتبادل الحب معهم في السر، وهن أجانب عنهن، فحرم الإسلام هذه العادة بقوله تعالى: وَلا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ [النساء:25] من سورة النساء، وحرم على الرجال ذلك بقوله من سورة المائدة: وَلا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ [المائدة:5].
ثامناً: إعلان الإماء عن البغي بهن، وذلك بأن تجعل إحداهن راية حمراء على باب منزلها لتعرف أنها بغي ويغشاها الرجال، وتأخذ على ذلك أجراً، أي مالاً مقابل الاستبضاع] فقد كانت الأمة -غير الحرة- تبني لها منزلاً أو خيمة وتضع عليها راية حمراء أو زرقاء؛ فيفهم الرجال أن هناك امرأة توطأ بمقابل من الثمن، وفي ذلك الوقت وبالذات وفي البلاد الأخرى كانت دور البغي والبغاء بلا حد ولا حصر، ولكن كان من شرف العرب أن الحرة تموت ولا تأكل بثديها، أما الإماء فلا شرف لهن ولا قيمة، وقد كان رئيس المنافقين بالمدينة عبد الله بن أبي ابن سلول يلزم إماءه بالزنا، وقد نزل في ذلك قرآن من سورة النور، قال الله عز وجل: وَلا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا [النور:33].
[تاسعاً: العصبية القبلية، هي مبدأ: (انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً)] أي: ما دام لك أخ في القرابة أو في القبيلة انصره [فجاء الإسلام فأمر بنصرة الأخ المسلم قريباً كان أو بعيداً؛ إذ الأخوة المعتبرة هنا هي أخوة الإسلام، ونصرته إذا كان مظلوماً -بدفع الظلم عنه-، ونصرته -إذا كان ظالماً- بمنعه من الظلم وحجزه عنه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في رواية البخاري: (انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، فقيل: يا رسول الله! أنصره إذا كان مظلوماً، فكيف أنصره إذا كان ظالماً؟ قال: تحجزه عن الظلم)] أي: تمنعه من أن يظلم.
وتلك والله نصرته وإلا تمزق وخسر دنياه وأخراه.
[عاشراً: شن الغارات والحروب على بعضهم بعضاً للسلب والنهب، فالقبيلة القوية تُغير على الضعيفة لتسلبها مالها؛ إذ لم يكن لهم حكم ولا شرع يرجعون إليه في أغلب الأوقات وفي أكثر البلاد.
ومن أشهر حروبهم حرب داحس والغبراء، التي وقعت بين عبس من جهة وذبيان وفزارة من جهة أخرى.
وحرب البسوس حتى قيل: أشأم من حرب البسوس، التي دامت كذا سنة وكانت بين بكر وتغلب، وحرب بُعاث التي وقعت بين الأوس والخزرج بالمدينة النبوية قبيل الإسلام، وحرب الفجار التي دارت بين قيس عيلان من جهة وبين كنانة وقريش من جهة مقابلة، وسميت حرب الفجار؛ لأنها وقعت في الأشهر الحرم].

[الحادي عشر: عدم الامتهان تكبراً وأنفة] وعدم الامتهان معناه: أنهم لا يمتهنون حياكة ولا خياطة ولا نسيجاً ولا قيناً ولا حديداً، كانوا يترفعون عن هذه الامتهانات [إذ كانوا لا يمتهنون الحدادة والخياطة والحجامة ولا الفلاحة، وإنما يسندون هذه المهن لإمائهم وعبيدهم] فالعبد لا بأس أن يمتهن، والأمة لا بأس أن تشتغل، أما الحر والحرة فلا.
إذاً: كان لهم إماء وعبيد؛ لأنهم إذا غزوا أو أغاروا أخذوا السبي.
[فحسبهم التجارة وركوب الخيل وشن الغارات، وإنشاد الشعر، والمفاخرات بالأحساب والأنساب] بدلاً من امتهان الامتهانات الهابطة كان حسبهم التجارة؛ إذ كانوا يتاجرون مع اليمن والشام والعراق، ويركبون الخيل ويشنون الغارات على بعضهم البعض، وينشدون الشعر، ويفاخرون بالأحساب والأنساب.
[هذه معظم العادات السيئة التي كانت في المجتمع العربي قبل الإسلام] كان ميتاً كغيره من الشعوب [وهي -كما مرت- تحيل المجتمع إلى مجتمع ساقط هابط لا سعادة فيه ولا هناء، إلا أنه -إزاء ذلك- كانت فيه كمالات نوردها تحت عنوان] كان للعرب كمالات؛ ولهذا يقول أحد المعاصرين: كفار العرب أشرف من كفار اليوم، فإذا نظرنا إلى كفار اليوم وإلى هبوطهم وسفالاتهم فكفار قريش أشراف بالنسبة إلى هؤلاء!
العادات الحسنة في المجتمعات العربية

[العادات الحسنة هي:]
أولاً: الصدق

قال: [أولاً: الصدق، والمراد به صدق الحديث، وهو خلق كريم عُرف به العرب في الجاهلية قبل الإسلام، فزاده الإسلام تقريراً وتمتيناً].
وقد وقعت هنا حادثة: فقد حدثني شيخ الإسلام والمسلمين خريج المسجد النبوي الطيب العقبي مؤسس جريدة القبلة وأم القرى قال: كنا نحج على الإبل قبل وجود السيارات، فأخذني أحد الحمالين للحج، وله شاب -ولده- يعمل معه أو كان قريباً له، فأعطاني هذا الشاب يخدمني، فكان ينيخ لي الجمل ويسوق لي ما أحتاج، وكانت المسافة من المدينة إلى عرفات تُقطع في عشرة أيام إلى خمس عشرة يوماً، فانجذب الشاب للشيخ في الوقت الذي كان فيه المجتمع هابطاً ملتصقاً بالأرض.
إذاً: أُعجب الشاب بسلوك الشيخ وأحبه، فعرض عليه الشيخ الطيب في عرفات أن يتوب إلى الله عز وجل، ويترك السرقة والنهب والسلب، فقال الشاب: أستأذن عمي فإن أذن لي تبت! هل تجلى مظهر الصدق هنا وإلا لا؟! فجاء عمه في الخيمة وقال: يا عم! هذا الشيخ يريدني أن أتوب فهل تأذن لي وإلا لا؟ فقال: لا لا، من للعائلة؟ من للأسرة؟ من لكذا ..؟ لا تتوب ..عرفتم الصدق وإلا لا؟ إذ لو قال له: تب؛ ما مد يده أبداً إلى أحد.
هذا في بداية القرن الماضي فقط.
إذاً: الصدق أولاً، والمراد به صدق الحديث، وهو خلق كريم عرف به العرب في الجاهلية قبل الإسلام فزاده الإسلام تقريراً وتثبيتاً، وقد جاء أن إسماعيل وقف في مكان ينتظر موعد شخص كذا يوماً، وقد امتدحه الله بالصدق فقال عز وجل: وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا [مريم:54]، وكذلك جاء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف ينتظر -أيضاً- كذا يوماً شخصاً يأتيه في مكان كذا.
المهم أن هذا الخلق -وإن رحل من ديار العرب- كان متثبتاً معروفاً في الجاهلية والإسلام، فإذا قال الرجل كلمة لا يمكن أن يكذبها في القول والعمل والسلوك.
ثانياً: قرى الضيف

قال: [ثانياً: قري الضيف، وهو إطعامه، وهو من الكرم الذي يُحمد صاحبه عليه، ويحمد له ويثنى به عليه، فجاء الإسلام بتقريره وتأكيده؛ إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه)]
فإذا نزلت على أي قبيلة من قبائل العرب أو على أي حي من أحيائهم أو ماء من مياههم أكرموك، كان ذلك في الجاهلية وفي الإسلام، أما إذا ذهبت إلى أوروبا وأمريكا والصين واليابان وبحثت عن الضيافة، فلا ضيافة أبداً.

إذاً: هذه حسنة من حسنات العرب التي أقرها الإسلام وأصبح المسلمون يعيشون عليها، ومعنى: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلـ -وهذه لام الأمر- يكرم ضيفه) أي: لا يهنه، وذلك في حدود طاقته، ومدة الضيافة ثلاثة أيام وإن زاد فمن فضله، أما الواجبة فهي ثلاثة أيام.
وقد يعتذر المعتذرون الآن، حيث وجدت فنادق للنزول، أو مطاعم للأكل والشرب، أو مقاهي للاستراحة، قد يقولون هذا، نقول: ومع هذا إذا استضافك مؤمن يجب أن تضيفه، لا تقل: من فضلك هناك فندق، أو يوجد مطعم عند باب المسجد، وقد قلت استضافة الناس لوجود هذه المنافع أمامهم.

ثالثاً: الوفاء بالعهود

قال: [ثالثاً: الوفاء بالعهود، وعدم نكثها مهما كلفت من ثمن، وهو خلق سام شريف، وجاء الإسلام بتقريره وتأكيده، قال تعالى: وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا [البقرة:177] في بيان صفات المؤمنين في سورة البقرة] فإذا عاهد المؤمن أخاه في شيء لا يخونه أبداً إلا إذا غلب على أمره وانكسر ولم يستطع القيام به.
رابعاً: احترام الجوار وتقرير الحماية لمن طلبها

قال: [رابعاً: احترام الجوار وتقرير الحماية لمن طلبها] فإذا جاءك رجل يلهث يقول: أجرني أو أنا في حمايتك، فقل له: ادخل وضع سلاحك.
ولا يُضام ولا يمس بسوء وهو في حمايتك، كان العرب يعترفون بهذا، فإذا أجارك أحدهم وأصبحت في جواره فإنه لا يلتفت إليك أحد ولو كنت قاتل أبيه.
وقد أجار ابن الدغنة أبا بكر رضي الله عنه، لما صدر الأمر الجائر بنفي أبي بكر من مكة وإخراجه منها.
لم أخرجوه؟ قالوا: إنه أحدث سوءاً في المجتمع؛ بلبل أفكار النساء والرجال والعبيد، فلابد من إخراجه من هذه البلاد، وقرار النفي هذا سببه أن أبا بكر كان إذا قرأ القرآن أبكى من حوله من النساء والأطفال، فخافوا أن يدخل الناس في الإسلام، فقالوا: إما أن تقرأ في بيتك وإما أن تخرج، وقد كان يتعمد الصلاة حول الكعبة ليجذب النفوس الشاردة، فما كان منهم إلا أن نفوه، فلقيه ابن الدغنة على مسافات بعيدة في الصحراء فقال له: عد في جواري ولا تخف! ثم دخل ابن الدغنة وطاف بالأسواق يعلن أنه أجار ابن أبي قحافة فلا يمسه أحد بسوء.
و أم هانئ أخت علي بن أبي طالب بنت عم الرسول صلى الله عليه وسلم أجارت محكوماً عليه بالإعدام يوم الفتح، فجاء علي يريد أن يُخرجه ليقتله فقالت له: لا.
وذهبت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت: إني أجرت فلاناً يا رسول الله! وابن أمي يريد قتله؟ فقال لها: (أجرنا من أجرتِ يا أم هانئ).
فهل يقع هذا اليوم؟! اليوم هناك اللجوء السياسي، وهو شبيه بالجوار، ولكنه ما بين دولة ودولة، لا يكون داخل البلد نفسها، ولكنه محمود.
وعندنا قصة أيضاً: كان عبد الكريم المغربي قد قام بثورة ضد فرنسا وفي آخر الأمر هزم وغلب، لِمَ؟ كما غلب العرب في أي بلد؛ لأنه لا وحدة ولا وفاق ولا دين (أمة هابطة)، فعندما جاء الفرنسيون والأسبان كانوا أسمى منا عقولاً وأفكاراً ووعداً وصدقاً أو ليس هذا بصحيح؟! والله صحيح، فلو كانوا مثلنا -والله- ما حكمونا.
وعندي حادثة أخرى أيضاً: كان هناك رجل كبير يعمل في مباحث الجزائر، وهذا رجل بحق، ليس ذكراً وإنما رجلاً، تجده بالعمامة واللباس كأنه صحابي، كانت تطرح بين يديه القضايا الهامة، كان هذا الرجل يركب القطار من الدرجة الأولى، وفي القطارات يركب العرب في الدرجة الثانية، أما الخواص؛ الأفذاذ والأغنياء فيركبون في الدرجة الأولى، وكان الأوربيون يركبون في الدرجة الأولى، وهذا الأخ عاصرناه وعرفناه في نادي الترقي، فأراد يوماً أن يُخرج الأوروبيين من هذا المكان أو من هذه الدرجة، فكيف يصنع؟ لأنه يتعب ويسهر طوال الليل.
كان عنده لحية إلى صدره، فإذا أراد أن يخرج الأوروبيات ويطردهم من هذه العربة ليغلقها وينام إلى طلوع الشمس أو الفجر، كان يأخذ يحك في لحيته ثم يستخرج منها -وهماً- قملاً ويرميه، وهو يدعي أنه في نعاس شديد، فيصيح من حوله من الأوروبيين ويخرجون، ويغلق هو الباب لينام وحده.

ومحل الشاهد أنه في ليلة من الليالي حدث هذا، فظنه شاب أوروبي -فرنسي- أنه عربي حمار لا يفهم الفرنسية، فأخذ يسب ويشتم، فقال له هذا الرجل: اسمع لو كنتم عندما غزوتمونا مثلنا اليوم، والله ما دخلتم بلادنا ولا قدرتم علينا؛ لأنه الشاب هذا عيره بأنه محكوم و..و ..ولو كنا نحن في ذلك اليوم كما نحن اليوم والله ما حكمتمونا ولا دخلتم بلادنا.
إن الوقت الذي دخلت فيه فرنسا وغزت بلاد المسلمين، كان المسلمون وقتها يعبدون سيدي عبد القادر ، فلا فهم ولا توحيد ولا ..ولكن أمة ضائعة.
إذاً: الأوروبيون أكثر ذكاء وعقلاً ومعرفة وصدقاً ووفاءً وعدلاً ورحمة، فاستحقوا أن يحكموا، هذا هو الواقع.
ثم بعد ذلك وضع لهذا الشاب الحديد في يديه؛ لأنه معه حديد البوليس السري، وأعطاه لعصبي وقال له: أبقه حتى نرجع بعد ثلاثة أيام.
والشاهد عندنا أن الأمة الهابطة لا تحكمها أمة أهبط منها أو مثلها أبداً، فنحن عندما حكمنا العالم هل كان العالم مثلنا في الشجاعة والإقدام والفهم والوعي والتوحيد؟ لا والله؛ ولهذا في خمس وعشرين سنة ارتفعت راية لا إله إلا الله في نصف العالم، في خمس وعشرين سنة ليس أكثر انتشر الإسلام من وراء نهر الصين إلى الأندلس لأن الأمم كانت هابطة، فلا إيمان ولا عقيدة ولا فهم ولا وعي أبداً.
فلما عرفوا هذه الحقيقة أخذوا العلوم والمعارف منا في الشرق والغرب وقالوا: إذاً نبعدهم عن ساحة العز والكمال بتجهيلهم وتفسيقهم؛ فرموا بالبلايا والمصائب ومزقونا وفرقونا، وبالفعل هبطنا، ولما هبطنا حكمونا، وما ظلمنا الله عز وجل.
وأعود إلى عبد الكريم الخطابي حتى أمدح الملك فاروق وأنتم العنوني، إن الملك فاروق أفضل من عبد الناصر ورجاله مليون مرة، وإن كنتم لا تفهمون هذا فهو شأنكم، أما أنا فعليم، وهذه الحادثة وحدها تكفي: كان عبد الكريم الخطابي نفي إلى جزيرة في البحر الهندي عدة سنين، ثم أرادوا أن يسترجعوه بعدما استتب الأمر لفرنسا واستقرت بشمال إفريقيا، فجاءوا به ورست السفينة -أظن- في ميناء الإسماعيلية .
.
ففهم بعض المؤمنين أن عبد الكريم الخطابي كذا وكذا .
.
فجاءوه بلباس امرأة وألبسوه إياه، ثم خرجوا به من السفينة ودخل مصر أيام حكم الملك فاروق .
ففتش المسئولون عنه فلم يجدوه، وبعد ذلك راسلت فرنسا الحكومة المصرية مطالبة برد السجين، فقال الملك: لن نرده ولن تحفر جواراً لنا! لقد عادت عاطفة الأولين، ولم يسمح برد عبد الكريم ، ثم بقي زمناً حتى مات في مصر.
وهذا نظير شعيب لما جاءه موسى هارباً من القتل بعدما حكموا عليه بالإعدام هناك، فقال له: لا تخف نجوت من القوم الظالمين.
هذا هو جوار الأحرار، أما عبيد الهوى والشياطين فليس لهم قيمة.
إذاً قال: (احترام الجوار)، ونحن نأكل أموال الجيران ونرمي المزابل على أبوابهم؛ لأننا هبطنا، وإلا فللجار ثلاثة حقوق، لقد أصبحنا لا نجل الجار ولا نعظمه ولا نحترمه؛ لأن العقيدة انتهت، والآداب والأخلاق نسيت، والمادة طغت، ونحن نتكلم على العالم الإسلامي بكامله، لا أخص بذلك المدينة ولا مكة، فلا تفهموا من هذا العموم أنه لا يوجد مؤمن بيننا، لا نحسبكم هكذا، ولكن نحن نتكلم بالنسبة لغالب الأمة الإسلامية.
[وأجار المسلمون أبا العاص بن الربيع -وهو مشرك- حتى دخل المدينة واسترد ودائعه وأمواله وعاد إلى مكة ثم أسلم بعد] هذا صهر نبينا صلى الله عليه وسلم زوج زينب وقد كان مشركاً، أسره المسلمون عندما كان متاجراً إلى الشام بتجارته، فعندما خرج المسلمون يستقبلون القوافل جاءوا به فطلب الجوار، فأجاروه في المدينة على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم أخذ ماله وتجارته وذهب إلى مكة ..
أبى أن يسلم في المدينة، حتى لا يقال الخوف والهزيمة، فلما وصل إلى مكة ورد الودائع والأموال ممن أخذها أعلن عن إسلامه ولقي ما لقي.
هذه الصفات الحميدة جداً كانت في العرب في الجاهلية وأقرها الإسلام، ونحن نزعناها كأننا لسنا بحاجة إليها.
خامساً: الصبر والتحمل

[خامساً: الصبر والتحمل] وهذه من الصفات الحميدة عند العرب في الجاهلية [حتى قالوا: تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها] وهذه الحرة فكيف بالحر؟ يموت جوعاً ولا يهين نفسه، أو يهبط إلى حد أن يشحذ أو يسلب.
[وجاء الإسلام فزاد هذا الخلق قوة ومتانة، وفي القرآن اصْبِرُوا وَصَابِرُوا [آل عمران:200]، وفي الحديث (من صبر ظفر)].
سادساً: الشجاعة والنجدة والأنفة

[سادساً: الشجاعة والنجدة والأنفة] والآن ليس هناك النجدة إلا النجدة عسكرية، أما رجالنا كالعجائز لا ينجدون أحداً، لو شاهدوا اثنين يتقاتلان هربوا، ولو استصرخ وقال: أحدهم يا عباد الله أنقذوني! قالوا: خليه خليه، حتى تأتي النجدة العسكرية بسياراتها ورجالها.
[وعدم قبول الذل والمهانة، وهي خلال امتاز بها العرب نساءً ورجالاً، وفي أشعارهم وأقاصيصهم شواهد ذلك].
سابعاً: احترام الحرم والأشهر الحرم

[سابعاً: احترام الحرم، والأشهر الحرم] الآن هل احترمنا الحرم والأشهر الحرم؟ لا.
تجدهم يلعبون القمار ويفجرون ويأكلون الحرام ويتعاملون بالربا، وتجد السب والغدر والغيبة والنميمة! وكأننا نعيش في لندن أو في طوكيو.
والحرم حدوده معروفة، والأشهر الحرم إذا دخل منها رجب -مثلاً- فلا تسمع صوت سلاح، حتى سُمي رجب الأصم، فلا يسمع صوت السلاح فيه أبداً، تجد الرجل يمر بالقافلة التجارية في هذا الشهر فلا يعترض أحداً؛ لأنه في شهر حرام، أما في الحرم فلو مر بقاتل أبيه فإنه لا ينظر إليه؛ لأنه في حرم الله.
وقد احتال بعض المحتالون على الأشهر الحرم فكانوا يقدمونها ويؤخرونها للحاجة، وفيهم نزل قوله عز وجل: إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ [التوبة:37]، يقولون: هذا العام نحن في حاجة إلى غزو أيها المواطنون! وعليه فإننا سنؤخر شهر المحرم إلى صفر مثلاً.
وهذا ليس دائم بل نادر، يقوم به بعض الأبطال والرجال المسموعون في قبائلهم، ولكنهم يحترمون الشهر، فلهذا لا يقاتلون فيه إلا إذا استبدلوه بشهر آخر.
قال الله عز وجل: إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ [التوبة:36]، والأشهر الحرم هي: محرم والحجة والقعدة ورجب، من المفروض ألا تسمع فيها أغاني ولا لهو ولا باطل؛ لأنها أشهر حرم، فكيف هو حال المسلمين اليوم في الأشهر الحرم؟ إنهم يزدادون بلاءً.
[بعدم القتال فيها إلا من ضرورة، وتأمين الوافدين إلى الحرم، ولو كانوا ذوي سوابق في الشر] ولو قاتل من قاتل، فإذا دخل الحرم أو الأشر الحرم فإنه يؤمن.
ثامناً: تحريمهم نكاح الأمهات والبنات

[ثامناً: تحريمهم نكاح الأمهات والبنات] هذه ميزة؛ فمع أنهم كانوا في جاهلية كان لا يتزوج أحدهم أمه أو ابنته أبداً.
تاسعاً: اغتسالهم من الجنابة

[تاسعاً: اغتسالهم من الجنابة] كان المشرك الكافر الذي يعبد اللات يغتسل ويرى أن الغسل واجب من الجنابة، وقد حلف مرة أبو سفيان ألا يغتسل من جنابة حتى يفعل كذا وكذا .

.
أي: ينتقم من رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجاهلية.
إذاً: هذه ميزة.
هل يغتسل اليهود والنصارى الآن من الجنابة؟ لا يغتسلون، نعم يغتسل في الأسبوع مرة في الحمام، أما أنه كلما وطئ اغتسل فلا يعرف هذا، فهم كالحيوانات، ولكن العرب في الجاهلية كانوا يغتسلون من الجنابة.
نتائج وعبر من حالة العرب الاجتماعية في الجاهلية

قال:[نتائج وعبر: إن لهذا المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبراً لنا نبرزها للقارئ إزاء الأرقام الآتية]
أولاً: إن الصفات الحميدة لا تخلص كاملة لأية أمة من الأمم، والذميمة لا تجتمع كاملة فيها

[أولاً: إن الصفات الذميمة -كالحميدة- لا تخلص كاملة لأية أمة من الأمم مهما كان رقيها أو انحطاطها، وإنما العبرة بالحال الغالبة فقط، فمتى غلبت الصات الحميدة كان المجتمع راقياً صالحاً، ومتى غلبت الصفات الذميمة كان المجتمع هابطاً فاسداً] لا تستطيع أمة كأمريكا فيها مائة مليون أن يكونون أمناء كلهم -مثلاً-، ولكن العبرة بالغالب فقط، فالصفات التي ذكرنا الحميدة والذميمة لا تنتظم كل عربي في هذه البلاد، وإنما العبرة بالأكثرية، وإلى الآن وهذه سنة الله فينا.
نحن الآن آمنون أن تذهب هذه النعمة من بين أيدينا، إلا إذا رأينا الفسقة والفجرة والدجالين والمبطلين أصبحوا يمثلون النصف وواحد، يومها ودعوا هذا الخير! فأيما إقليم أو أيما شعب أو أيما أسرة كان الصالحون يمثلون فيها الأكثرية كان هذا أمان لهم، أما إذا غلب الجانب الفاسد على الصالح، فإن ساعتهم قد دقت، وإن دامت أياماً وأعواماً ولكن لابد من نهاية؛ فلهذا ننصح دائماً المسلمين ونقول: اعملوا على تكثير الصالحين والصالحات، قووا جانب الطاهرين والطاهرات؛ ليبقى الفسقة معدودين بأسماء محدودة، أما أن نتهوك ونرتمي كلنا في خضم الفسق والفجور فما هي -والله- إلا أيام ثم نكون عند الله.
وعندنا لهذا بيان محمدي رسمي، اسمعوه: في يوم من أيام الخريف العواصف المسمى الميزان، كان هناك رمال وعواصف تهب على بيوت وخيام المدينة، وقد تمنينا لو كانت كما كانت، لا نريد هذه العمارات والمباني العالية، فهذه تصرفنا عن الدار الآخرة -والله العظيم- فهذا الجمال وهذه المناظر كلها تصرف عن الآخرة، ولو كان هناك تلك الحجرات الطيبة من اللبن المكونة من طبقة واحدة مسقوفة بالخشب، وأبوابها من الخشب والأرض كما هي، والسماء فوقهم طاهرة؛ فإنها تعدل الدنيا وما فيها.
فلما أخذت العواصف والرمال تهب كان صلى الله عليه وسلم يدخل الحجرة ويخرج قائلاً: (ويل للعرب من شر قد اقترب، فقالت أم سلمة أو زينب رضي الله عنهما: أنهلك وفينا الصالحون يا رسول الله؟! قال: نعم.
إذا كثر الخبث)، وقد سبق الله أن قال: وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً [الأنفال:25].
ولهذا أقول للمسلمين -في أنحاء العالم-: إذا أردتم الأمن والرخاء فأكثروا من الصالحين والصالحات، حتى يصبح يعد الفسقة ويعرفون، أما أن يغلب جانب الفسق والفجور وترك الصلاة والخيانة والتكالب على الدنيا والباطل فما هي إلا ساعات عند الله ويسلب ما أعطى، وكم فعل؟! من سلبنا الخلافة الإسلامية وأعطاها لأوروبا تعبث بها؟ أليس الله؟!
مداخلة: ما الفرق بين الصالح والمصلح؟ الشيخ: المصلح: هو الذي يصلح غيره، والصالح في نفسه، والمصلحون دائماً قليلون، تجد إماماً في قرية مصلح يعظ ويبشر ويعلم، أما الصالحون فهم الذين لا يخرجون عن طاعة الله وطاعة رسوله فيؤدونها وافية ولا يؤذون مؤمناً ولا مؤمنة، ولهذا قالوا: الصالح هو من أدى حقوق الله كاملة، وأدى حقوق العباد كاملة، أما الذي ينهش أعراض الناس ويأكل أموالهم ويحسدهم ويبغضهم فهو فاسد.
إذا كان ثمة مصلح واحد في القرية فإنه يكفي، ولكن يجب أن نكون كلنا صالحين، والله عز وجل لما ذكر مراتب الجنة قال: وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ [النساء:69]، لم يقل: والمصلحين، وإنما قال: (وَالصَّالِحِينَ)؛ لأن المصلح عادة فرد ليس أمة، وإذا كنا كلنا صالحين فماذا ستصلح أنت؟! فليس هناك فساد.
ثانياً: لما جاء الإسلام أقر العادات الحسنة ورغب فيها

[ثانياً: لما جاء الإسلام -وهو دين الله عز وجل الذي لا يقبل ديناً سواه- أقر العادات الحسنة، ورغب فيها وواعد عليها بحسن المثوبة حتى أصبحت ديناً يتقرب بها إلى الله عز وجل] العادات الحسنة التي كانت عند أهل الجاهلية لما جاء الإسلام أقرها وأكدها ووعد بالأجر عليها، وأصبحت ديناً نعبد الله به، كالوفاء والصدق والكرم هل هي من الدين أم لا؟ نعم من الدين.
إذاً: لما جاء الإسلام -وهو دين الله عز وجل الذي لا يقبل ديناً سواه- أقر العادات الحسنة، التي كانت في الجاهلية ورغب فيها وواعد عليها بحسن الجزاء؛ حتى أصبحت ديناً يتقرب بها إلى الله عز وجل.

[وأبطل العادات السيئة الذميمة] حرمها وواعد عليها [ونفر منها، وتوعد عليها بالعذاب، ووضع لبعضها حدوداً رادعة، فاقتلع جذورها وطهر المجتمع العربي منها؛ إذ لا مقام لها بين أمة الإجابة والقيادة] من هي أمة الإجابة؟ الذين استجابوا لدين الإسلام ودخلوا فيه.
من هم القادة؟ إنهم المسلمون.
هل قاد العرب وسادوا؟ نعم قادوا وسادوا؛ سادوا البشرية وقادوها؛ لأنهم كانوا كالملائكة في الصفاء والكمال، لكن عندما هبطوا سلط الله عليهم بريطانيا فداستهم بنعالها في مصر والأردن والعراق، وأخذت فرنسا لبنان وسوريا ومراكش، وإلى الآن ما أفاقوا، والله ما أفاقوا، والله ما أفاقوا أبداً، بل ما زالوا في سكرة وإلا ما المانع أن نتوب في أربع وعشرين ساعة.
أسألكم بالله في أربع وعشرين ساعة يختفي وجه الباطل والشر وتصبح الأمة كلها جسماً واحداً وهي في بيوت ربها ومصانعها ومتاجرها، ما المانع؟ إنها الغفلة والجهل.
ثالثاً: الخلال الحميدة يساعد على تأصلها الإيمان والعلم ومجاهدة النفس، والذميمة يساعد على تأصلها الكفر والجهل والهوى

[ثالثاً: الخلال الحميدة -كالذميمة- صفات يساعد على تأصل الأولى في الإنسان وتثبيتها فيه الإيمان والعلم ومجاهدة النفس ومقاومة الشيطان والهوى] الخلال الحميدة كالذميمة، يساعد على تأصلها وثباتها في الإنسان الإيمان والعلم ومجاهدة النفس ومقاومة الشيطان، والهوى، هذا الذي يساعد على تأصيل الخلال الحميدة، أما الخلال الذميمة فما هو الذي يساعد على بقائها وانتشارها وتأصلها؟ قال: [ويساعد على تأصل الثانية وبقائها في الإنسان: الكفر والجهل واتباع الشيطان والشهوات والهوى] هذا الذي يؤصل الصفات الذميمة.
وانظر إلى الصفات الحميدة يؤصلها الإيمان والعلم والتقوى ومكافحة النفس والهوى، والصفات الذميمة يؤصلها في الإنسان الكفر والجهل والهوى واتباع الشياطين.
رابعاً: ضعف الإيمان وقلة العلم في الأمة الإسلامية اليوم أصَّل فيها كثيراً من عادات الجاهلية

[رابعاً: ضعف الإيمان، وقلة العلم في الأمة الإسلامية اليوم -وقبل اليوم- أصَّل فيها كثيراً من عادات الجاهلية الأولى] والله العظيم إن ضعف الإيمان، وقلة العلم الرباني -علم الكتاب والسنة- اليوم وقبل اليوم -ومعنى قبل اليوم: منذ ألف سنة- هو الذي أهبط الأمة [وذلك كالتبرج] هل يوجد تبرج في العالم الإسلامي أم لا؟ (الميني جيب) و (المايكرو جيب)، نحن على شفا جرف والله.
لا قدر الله لو تسقط هذه البقية الباقية من الحياء في يوم من الأيام لرأيت النساء عاريات في الشوارع، لكن اللهم سلم سلم، أسأل الله أن يبقي هذه البقية.
قال: [وارتكاب الفواحش وعدم احترام الحرم، وشرب المسكرات، ولعب الميسر، وإجهاض الحبالى التي كانت في الجاهلية وحرمها الإسلام] واستعمال الحبوب لمنع النسل [وسبب عودتها ضعف الإيمان والجهل واتباع الأهواء، والجري وراء الشهوات والعياذ بالله تعالى].
وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

من سنة الله في خلقه أنه إذا انقطع الوحي، وتطاول العهد على الناس جهلوا وضلوا، وقد كان العرب على الحنيفية، وأول ما بدأ فيهم الشرك أنهم كانوا إذا خرجوا من الحرم أخذوا معهم أحجاراً من أحجار الحرم فإذا نزلوا منزلاً نصبوها وطافوا بها، فلما تصرمت الأجيال الأولى جاءت بعدهم أجيال نظرت إلى هذه الأحجار على أنها آلهة، وأما الأصنام والتماثيل فأول من جاء بها إلى أرض العرب عمرو بن لحي فعبدت الأصنام من يومها إلى أن جاء الإسلام.

الحالة الدينية في بلاد العرب قبل الإسلام

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.
أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، ثم أما بعد.
فيقول المؤلف غفر الله له ولكم، ورحمه وإياكم وسائر المؤمنين: [الحالة الدينية في بلاد العرب] أي قبل البعثة النبوية، وقبل طلوع الشمس المحمدية.
قال: [إن مما لا شك فيه أن هاجر أم إسماعيل] وقد عرفنا من هي هاجر ومن هو إسماعيل [كانت مسلمة] لما أهداها ملك مصر إلى سارة -زوج إبراهيم عليه السلام وابنة عمه- أهدتها هي إلى زوجها إبراهيم، وهل يمكن أن تبقى كافرة وهي تعيش في دار النبوة؟ هذا لا يعقل ولن يكون [وأن ولدها إسماعيل كان مسلماً كأبيه إبراهيم وكأمه هاجر، وأن الله تعالى نبأه وأرسله] أي: نبأ إسماعيل لما بلغ سن التكليف، وأرسله لما بلغ -سنة الله في الإرسال- أربعين سنة، فهو نبي ورسول [رسولاً إلى أهل بيته من زوجة وولد، وإلى أخواله وجيرانه من قبيلة جرهم اليمانية] وقد عرفنا كيف نزلت هذه القبيلة من أجل الماء -ماء زمزم- وأصبحت من أهل الدار، فالرسالة للجميع إذاً، لكن لم تخرج عن دائرة هذه المنطقة، فما أرسل عليه السلام إلى آخرين.
قال: [وأن دين الله -وهو الإسلام- قد عمهم وانتظم حياتهم زمناً طويلاً لا يُعرف منتهاه] ما استطاع مؤرخ أن يقول: بعد ما مضى ثلاثمائة سنة -مثلاً- انقطع النور النبوي من إسماعيل، ولا يدري أحد، وعلى كلٍ كان زمن غير قصير وهم يعيشون على النبوة والوحي والإسلام.
قال: [وكما هي سنة الله تعالى في الناس، إذا انقطع الوحي عنهم جهلوا وضلوا] هذه سنة الله في البشرية، إذا انقطع الوحي، وانقطع رجاله وأهله والعالمون به انتظم الناس الجهل، وأصيبوا بالشرك والكفر [كالأرض إذا انقطع عنها الغيث -المطر- أمحلت وأجدبت، وتحولت خضرتها ونضارتها إلى قترة وظلام يجهل فيه الإنسان ذاته ويتنكر فيه لعقله] إذا لم يوجد في القرية عالم ومضى عليها أعوام وهي كذلك فإن أهلها يصابون بالجهل والظلام، كالأرض التي انقطع عنها المطر فإنها تجدب.
ولو عرف الكافرون والمشركون ذواتهم ما أدخلوها في جهنم، ولا باعوها رخيصة للشيطان، ولكنه الجهل.

ذكر الأصنام في بلاد العرب وبيان أسمائها ومواقعها والقبائل التي كانت تعبدها

قال: [وبمقتضى بدعة عمرو بن لحي في جلب الأصنام إلى الحجاز من الشام انتشرت الأصنام في بلاد العرب، وهذا بيان أسمائها ومواقعها والقبائل التي كانت تعبدها، كما ذكر ذلك ابن إسحاق وغيره من المؤرخين: أولاً: سواع].
وسواع ذكر في سورة نوح عليه السلام، قال الله عز وجل: وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا [نوح:23] أي: كيف تتركون آلهتكم من أجل هذا الرجل؟ [بِرهاط] مكان يقال له بِرهاط [بساحل ينبع، تعبده قبيلة هذيل المضرية] هذا هو إلهها الخاص.
[ثانياً: ود].

وُد أو وَد فيه قراءتان [بدومة الجندل شمال المدينة قريباً من الشام، تعبده كلب القضاعية] هذا كان بدومة الجندل تعبده كلب القضاعية.
[ثالثاً: يغوث: بـجُرش يعبده أهل جرش، وهم بمخاليف اليمن جنوب مكة المكرمة] وإلى الآن يقال فلان الجرشي، فجرش معروفة.
[رابعاً: يعوق: بأرض همدان من أرض اليمن، تعبده قبيلة خيوان، وهم بطن من همْدان] أو همَدان [وفيه يقول قائلهم: يريش الله في الدنيا ويبري ولا يبري يعوق ولا يريش] هذا رجل عرف الحق فكفر بهذا الإله الباطل، قال: لا يريش ولا يبري، والله هو الذي يريش ويبري.
[خامساً: نسر: بأرض حمير من اليمن، وتعبده قبيلة ذو الكلاع من حمير].
هذه هي الخمسة أصنام التي كانت على عهد نوح عليه السلام.
[سادساً: عميانس] وقيل هو تحريف عمّ أنس، أو عم أنس، ركبوها بهذا التركيب [بأرض خولان، تعبده قبيلة خولان اليمانية، وهم الذين قسموا له أنعامهم وحروثهم، ونزل الله فيهم قول الله تعالى من سورة الأنعام: وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ [الأنعام:136]] أي: قبُح هذا الحكم.
وهذه انتقلت إلى بلاد الإسلام، فعندنا الرجل إذا أراد أن يغرس نخلاً أو زيتوناً، فلابد وأن يقول: هذه لسيدي فلان، أو إذا أراد أن يتجر في الغنم فإنه يشتريه ثم يقول: هذه نعجة سيدي فلان، بل حتى المرأة إذا أرادت أن يفقس بيض الدجاجة فإنها تعلِّم على أحد البيض بالسواد وتقول: هذه بيضة سيدي فلان؛ حتى يباركها.
فإذا أثمرت النخلة التي وُهبت للسيد عبد القادر أو لغيره فإنه يعطيها لعبدة السيد، وإذا لم تثمر فإنه قد يعوضها، أما في الجاهلية إذا قالوا: هذه شاة هُبل، أو هذه زيتونته أو نخلته، فإنهم يجعلون لله شيئاً مقابل الصنم، أما نحن فلا.
مثال آخر: إذا اشترى الرجل منا قطيعاً من الغنم في آخر الشتاء؛ نظراً إلى الخصوبة والعام الجيد، عسى أن تلد هذه الغنم وتصبح المائة مائتين، فإنه يقول: هذا شاة سيدي عبد القادر أو البدوي أو العيدروس أو حسن أو فاطمة حسب من كان عندهم من الأولياء، ولا يجعل لله مقابلاً فيقول: وهذه لله، أبداً! أو إذا غرس خمسمائة نخلة -مثلاً- فإنه يقول: هذه النخلة لسيدي فلان، وبالمقابل فإنه لا يقول: هذه النخلة لله.
إذاً: مشركو الجاهلية أفضل من مشركي الإسلام، عقلاً وفهماً.
فهؤلاء أمامكم: لا يجعلون لله نخلة جعلوا مثلها للصنم، والمشرك يقول: هذه لله وهذه للات!! وانظر كيف عابهم الله، من حيث إذا كان الذي جعلوه لله أنتج والذي جعلوه للآلهة ما أنتج، فإنهم يحولون الذي لله إلى الآلهة، وإذا الذي جعلوه لله ما أنتج وأنتج الذي للآلهة فإنهم لا يحولونه لله، فعابهم الله في هذا، وتأملوا الآية: وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ [الأنعام:136] لأن الله لم يشرع هذا وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ [الأنعام:136] ثم قال الله: سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ [الأنعام:136] أي: هذا حكم باطل.
والحمد لله! انتشرت دعوة التوحيد وانتهت هذه الظلمات، وإلا -والله- كان الوضع كما تسمعون.
[سابعاً: سعد: بأرض ملكان بن كنانة المضرية وتعبده قبيلة مِلكان، وفيه يقول شاعرهم: أتينا إلى سعد ليجمع شملنا فشتتنا سعد فلا نحن من سعد وهل سعد إلا صخرة بتنوفة من الأرض لا تدعو لغي ولا رشد].
هذا رجل جاء بإبله وأراد أن يباركها عند سعد، فجمع إبله كاملة حول الصنم، فلما رأت الإبل ما رأت من الذبائح حوله والدماء ملطخة به -لأنه يُعبد- شردت، وما كاد أن يجمعها صاحبها إلا بعد أربع وعشرين ساعة؛ فمن ثم أنشد فقال: أتينا إلى سعد ليجمع شملنا فشتتنا سعد فلا نحن من سعد أي: تبرأنا منه.
وهل سعد إلا صخرة بتنوفة من الأرض لا تدعو لغي ولا لرشد؟! والتنوفة: هي قطعة الأرض الخالية.
[وذلك أن هذا الشاعر أقبل بإبل مؤبلة] أي: كبيرة كثيرة مجموعة [ليقفها على سعد (الصنم) رجاء بركته، فلما رأته الإبل -وكان ملطخاً بدم القربان- نفرت الإبل وشردت فذهبت كل مذهب، فأخذ صاحبها حجراً -وهو غضبان- وضرب سعداً الصنم، وقال له: لا بارك الله فيك نفرت عليَّ إبلي، ثم طلب إبله وجمعها بعد تفرقها، ثم أنشد يقول: أتينا إلى سعد ليجمع ..إلخ].

وهذا مثل أعرابي آخر كان له إله في شعب من الشعاب، أو في وادٍ من الأودية يأتيه عند الحاجة، فجاء يوماً مكروباً عليه ديون أو كذا، فلما دنا -قرب- من الصنم وجد ذئباً أو ثعلباً شاغراً رجله يبول على صنمه، فوقف طويلاً يفكر ثم قال: أرب يبول الثعلبان برأسه لقد ذل من بالت عليه الثعالب! أي: والله ما أرجع إليك.
وتركه الدهر كله.
[ثامناً: ذو الخلصة] وهذا له شأنه [بتبالة جنوب مكة ببلاد اليمن، وكانت تعبده دوس وخثعم وبَجيلة] هذا صنم عظيم يشترك فيه ثلاث قبائل هي: دوس وبجيلة وخثعم [وهذا الصنم بعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم جرير بن عبد الله البجلي فهدمه عندما نصر الله دينه ورسوله والمؤمنين فلله الحمد رب العالمين].
[تاسعاً: إساف ونائلة: وهما صنمان كانا بالكعبة، ثم وضعا على الصفا والمروة كانت تعبدهما قريش]، أخرجوهما من الكعبة ووضعوا واحداً على الصفا والثاني على المروة [من جملة أصنامها] المئات [ويروى أن أصلهما كان رجلاً وامرأة من جرهم] القبيلة التي كانت تسكن الحرم [فَجَرَا في داخل الكعبة] زنى الرجل بالمرأة في داخل الكعبة، وليس هناك غرابة في هذا أبداً، فكم من امرأة الآن تشتكي أن هناك من يؤذيها وهي تطوف.
[فمسخهما الله تعالى، فالرجل يدعى: إسافاً ، والمرأة تدعى: نائلة .
ولما جاء الإسلام تحرج أناس من السعي بين الصفا والمروة لمكان إساف ونائلة منهما] كيف يسعون بين صنمين [فرفع الله ذلك الحرج بقوله عز وجل من سورة البقرة: إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا [البقرة:158]] أي: وإن كان هناك صنمان لا يحل عبادتهما، فالمقصود: هو السعي بين الصفا والمروة.
فأذهب الله ما وجد بعض الناس من مضايقة نفسية وحرج.
[عاشراً: العزى: وكانت بنخلة عن يمين الصاعد إلى العراق من مكة، وكان سدنتها وحجابها بنو شيبان من سليم حلفاء بني هاشم، وكانت تعبد وتقدس تقديس البيت الحرام.
الحادي عشر: اللات: وكانت بالطائف، وكانت ثقيف تعبدها، ومنهم سدنتها وحجابها.
الثاني عشر: مناة: وكانت على ساحل البحر من ناحية المشلل قرب قديد، وتعبدها قبيلتا الأوس والخزرج، ومن دان بدينهم من أهل يثرب] أي: المدينة [ولما جاء الإسلام وانتصر التوحيد على الشرك، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان أو علي بن أبي طالب رضي الله عنهما فهدمها.
الثالث عشر: فِلس] ليس الفِلس المعروف، وإنما هو صنم على صورة إنسان بجبل [بجبلي طيء، وهما سلمى وأجا من أرض طيء شمال الحجاز، قريباً من حائل المدينة المعروفة اليوم، كانت تعبده طيء بأنواع من العبادات كالهدي إليه، والاستسقاء به، والائتمان بساحته.
وبعث إليه النبي صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب فهدمه، وكان شبه إنسان لاصق بجبل أجا].
[الرابع عشر: رئام: وهو بيت لحمير بصنعاء من اليمن يعظمونه وينحرون عنده، وتكلمهم الشياطين عنده؛ لفتنتهم] أي: تشجعهم على الباطل بالكلام معهم.
[الخامس عشر: رُضاء: وهو ببيت أيضاً لبني ربيعة بن كعب بن زيد مناة بن تميم.
ولما جاء الإسلام هدمها المستوغر بن ربيعة وهو يقول: ولقد شددت على رُضاء شدة فتركتها قفراً بقاع أسحما].
[السادس عشر: ذو الكعبات: وهو بيت لبكر وتغلب ابني وائل و إياد ، وكان بسنداد، وهي منازل لـإياد أسفل أسوار الكوفة، وفيه يقول أعشى بن قيس بن ثعلبة : بين الخورنق والسدير وبارق والبيت ذي الكعبات من سنداد] والخورنق هو بيت أو قصر بني للنعمان حاكم تلك البلاد، ولما بني له كان أبدع بناء عُرف، فخاف أن يبني من بناه له لغيره، فأخذه ورماه من أعلاه إلى أسفله فقتله؛ فلهذا يقال: جزاه جزاء سنمار ؛ لأن الباني هذا أو المهندس كان يقال له سنمار ، فلما خاف النعمان أن يبني للفُرس أو لغيره من الأعاجم مثله قال لعماله: خذوه وارموه به من أعلى إلى أسفل وقولوا: سقط.
فأجري هذا مجرى المثل: جزاه مجازاة سنمار .

ذكر أول ما بدأ الشرك في العرب المستعربة من ولد إسماعيل

قال: [وأول ما بدأ الشرك في العرب المستعربة من ولد إسماعيل، أنهم كانوا إذا خرجوا من الحرم لطلب الرزق، أخذوا معهم حجارة من الحرم] يتوسلون بها، أو حتى لا ينسوا أنهم من جيران الحرم [فإذا نزلوا منزلاً وضعوها

عندهم وطافوا بها طوافهم بالبيت، ودعوا الله عندها، وإذا رحلوا أخذوها معهم، وهكذا] من زين لهم هذا؟ إنه الشيطان حسّن لهم هذا العمل، فكانوا يأخذون الحجارة من الحرم يتوسلون بها إلى ربهم، ويضعونها حيث نزلوا، ويطوفون بها كما يطاف بالبيت.
وما هو الفرق؟ بل هذا يدل على عمق إيمانهم، فكانوا إذا رحلوا أخذوها معهم، وهذا كله من وحي الشيطان وتزيينه.
وكانت هذه هي بداية الفتنة.
قال: [وبموت من أحدث لهم هذا الحدث، وبمرور الزمان -نشأ جيل جاهل ينظر إلى تلك الأوثان من الحجارة وأنها آلهة يتقرب بها إلى الله رب البيت والحرم.
فكان هذا مبدأ الوثنية في أولاد إسماعيل من العدنانيين] هذه هي البداية؛ ولكن كم كان بينها وبين زمن إسماعيل عليه السلام؟! الله أعلم.

ذكر أول من أتى بالأصنام والتماثيل إلى الديار الحجازية

قال: [أما الأصنام والتماثيل] التي وجدت عند العرب [فإن أول من أتى بها من الشام إلى الديار الحجازية هو عمرو بن لحي الخزاعي] عليه لعائن الله، والأصنام تكون في شكل إنسان أو حيوان، وأول من جاء بها إلى أرض العرب عمرو بن لحي الخزاعي من الشام [إذ سافر مرة من مكة إلى الشام، فرأى أهل الشام يعبدون الأصنام.
فسألهم قائلاً: ما هذه الأصنام التي أراكم تعبدون؟ قالوا: نعبدها، نستمطرها فتمطرنا، ونستنصرها فتنصرنا.
فقال لهم: أفلا تعطوني منها صنماً فأذهب به إلى بلاد العرب فيعبدوه؟ فأعطوه صنماً يقال له: هُبل، وهو الذي نصبوه حول الكعبة وبقي حولها إلى يوم الفتح الإسلامي، حيث حطم مع ثلاثمائة وستين صنماً] والذي حطمها هو رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة [وأُبعدت، فطهر البيت الحرام، وطهرت مكة والحرم منها والحمد لله رب العالمين.
وكان عمرو بن لحي الخزاعي محترماً في مكة مقدساً عند أهلها] فلهذا قبلوا هديته، وأذعنوا لما قدم لهم [يشرع لهم فيقبلون شرعه، ويبتدع لهم فيحسنون بدعته، فكان أول من بدل دين إبراهيم وإسماعيل في الحجاز].
أول من بدل دين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام في الحجاز هو هذا الطاغية: عمرو بن لحي الخزاعي فكيف هو مصيره؟! قال: [ويشهد بهذا قول النبي صلى الله عليه وسلم في حديثه الصحيح: (رأيت عمرو بن لحي يجر قصبه في النار)].
الرسول صلى الله عليه وسلم عرضت عليه الجنة والنار عدة مرات، أما الجنة فقد وطئها بأقدامه الشريفة، والنار لم يدخلها ولكنها تعرض عليه عرضاً، وآخر عرض كان هنا في المسجد النبوي، قبل أن تعرف الدنيا شاشة التلفاز أو الفيديو، كان ذلك -والله العظيم- وهو يصلي بالمؤمنين بذاك المحراب، فإذا به يتقدم ويقول بيديه هكذا.
ثم في الركعة الأخرى يتراجع القهقرى ويشيح بوجهه هكذا، فسألوه بعدما انتهت الصلاة، فقال: (عرضت علي الجنة).
ولا يكذب بهذا الآن إلا أحمق ولا وجود له؛ لأن التلفاز الآن تشاهد فيه أمريكا من بيتك، يقول صلى الله عليه وسلم: (عرضت علي الجنة، ورأيت قطوفاً من العنب فهممت أن آخذ منه، ولو أخذته لأكلتم منه الدهر كله)؛ لأنه غير قابل للفناء، شأنها شأن الدار الآخرة، (وعرضت علي النار) ولكن ليست كالتلفاز باردة، وإنما لهبها، فكان يشيح بوجهه من شدة الحر، قال: (ورأيت أكثر أهلها النساء)، بشراكن يا بنات آدم! وصدق أبو القاسم صلى الله عليه وسلم، فالجرائم والموبقات والشر والفساد عوامله الدينار والمرأة، ومن أراد أن يتحدى الشيخ يتفضل في مجلس غير هذا.
وليس معنى هذا: أن كل المؤمنات في النار، لا أبداً، وإنما قليل أولئك الصالحات.
إذاً: هذا العرض النبوي الشريف كان في محرابه هذا، ولو نطق الآن لأخبركم.
قال صلى الله عليه وسلم: (رأيت عمرو بن لحي يجر قصبه) أي: أمعاءه ومصارينه، فبطنه كان مسلوخاً مكشوفاً وهو يجره في النار.
قال: [(إنه كان أول من غير دين إسماعيل فنصب الأوثان)].
أول من غير وبدل دين إسماعيل هو عمرو بن لحي ، فرئي في النار وهو يسحب أمعاءه أمامه؛ لأنه أول من بدل الدين الحق.

قال: [(وبحر البحيرة، وسيب السائبة، ووصل الوصيلة، وحمى الحامي ..)] وهذه كلها طقوس أو بدع شرعها الشيطان على لسان عمرو بن لحي .
فالبحيرة: هي الناقة أو الشاة تلد عشرة أولاد أو عشرة أبطن، فيقول لهم الشيطان: هذه يكفيها وخلوها للآلهة، شقوا أذنيها واتركوها فلا تركبوا ولا تحلبوا.
هذه هي البَحيرة وليست البُحيرة.
والسائبة هي: الإبل أو الغنم تلد أعداداً من المواليد ..
فيقولون: سيبوها للآلهة، لا تحلبوا ولا تركبوا.
والوصيلة هي: التي تصل كذا ولد بولد، فيقولون: هذه واصلت كذا، فاتركوها للآلهة.
والحام هو: الجمل الكبير؛ يحمونه للآلهة أيضاً، فإذا طرق كذا أنثى وأنجب بطرقه كذا.
.
قالوا: هذا خلوه للآلهة، فيحمونه، لا يركبونه ولا يبيعونه ولا يأكلونه.
لم؟ لأنه للإله، وهذا قد جاء في سورة المائدة، إذ قال تعالى: مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلا سَائِبَةٍ وَلا وَصِيلَةٍ وَلا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ [المائدة:103].

عمل العرب مع أصنامهم

قال: [عمل العرب مع أصنامهم: أكثر ما يعمله العرب مع أصنامهم أن أحدهم إذا أراد السفر توجه إلى صنمه فتمسح به، ثم سافر.
وإذا عاد من سفره أول ما يبدأ به يتمسح بصنمه ثم يدخل على أهله] هذا ما كانوا يستفيدونه من الصنم، التمسح والوقوف عليه والزيارة، وكانوا أيضاً يذبحون له الذبائح تقرباً إليه.

نتائج وعبر من الحالة الدينية في بلاد العرب قبل الإسلام

[نتائج وعبر: إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة لها نتائج وعبراً نوجزها فيما يلي:]
ثانياً: طاعة عمرو بن لحي وتعظيمه والغلو فيه هو الذي جرأه على نقل الأصنام

[ثانياً: طاعة عمرو بن لحي وتعظيمه والغلو فيه هو الذي جرأه على نقل الأصنام لهم وأمرهم بعبادتها، ولذا وجب التحذير من الغلو في المشائخ، وعدم قبول قولهم وطاعة أمرهم إلا ببرهان من كتاب أو سنة يدل على ذلك ويأمر به] وقد عُبد مشائخ الطرق عندنا، يُسجد لهم سجوداً، وسبب هذا هو الجهل.
ثالثاً: عبادة العرب لآلهة قوم نوح بعد مرور القرون الطويلة أمر عجب

[ثالثاً: عبادة العرب لآلهة قوم نوح بعد مرور القرون الطويلة أمر عجب] ذكرنا: يغوث، ويعوق، وود، ونسر بين أصنام العرب على ما بينهم وبين قوم نوح من قرون عديدة [إلا أنه لا عجب] عندما عبد يعوق ونسر [مع خبث الشياطين، ومكرهم ببني آدم لإغوائهم وإهلاكهم، إنهم -كما زينوا لقوم نوح عبادتهم فعبدوهم- زينوا كذلك للعرب عبادتهم فعبدوهم.
ولا عجب، فإننا في ديار القرآن والإسلام، وزين الشيطان لإخوان لنا عبادة يعوق ونسراً] وهذا في خارج القرية التي ولدنا فيها وعرفناها بحوالي كيلو متر واحد [إذ كان لأهل قرية صغيرة تلان أحدهما يسمونه يعوق، والثاني نسراً] لكنهم كانوا يقولون: يعوب، أي: يقلبون القاف باءً، فإذا انقطع المطر وأجدبت الأرض خرجوا بنسائهم وأطفالهم ولحومهم وطعامهم، وأقاموا هناك موسماً يصرخون فيه ويستغيثون وينادون، ثم يعودون فيمطرون، فإذا سُقوا قالوا: سقينا بيعوق ونسر، واستمر ذلك حتى جاء الشيخ الطيب من المسجد النبوي -رضي الله تعالى عنه وأرضاه- وحارب الشرك والوثنية، فاستحوا بعد ذلك ونسوهم، ولم يبق من يعرف كيف يُعبدون، لكن المكان موجود، فيعوق ونسر جبلان.

فلا عجب أن الشيطان الذي أغوى آدم وحواء، وأخرجهما من دار السلام، وحُكم عليه بالخسران الأبدي من أجلهما، ألا يتساهل مع بني آدم ويسمح لهم أن يعبدوا الله فيدخلوا الجنة! وقد قالها في صراحة أمام الله عز وجل: فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ [ص:82]، إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ [الحجر:40]، وهل يكون العبد مُخْلِصاً أو مخلَصاً بدون علم؟! تقرر وأصبح من الضروريات أن ولاية الله عز وجل لا تتحقق لعبد جاهل أبداً، لا يمكن أن يكون لله ولي جاهل.
لم؟ ما هي العلة؟ لأنه ما اتخذ الله ولياً جاهلاً إلا علَّمه؛ لأن ولاية الله تتحقق بالإيمان الصحيح والعمل الصالح، مع اجتناب الشرك والمعاصي، فالجاهل الذي لا يعرف كيف يعبد الله، وبمَ يعبده، ولا يعرف ما حرم الله ولا ما كره، أنى له أن يتقرب إلى الله بشيء؟! فمن المستحيل أن يكون الجاهل ولياً لله، ولهذا طلب العلم فريضة، ولا يحل لمؤمن أو مؤمنة أن يعيش زمناً وهو لا يعرف محاب الله ومكارهه.
[وكانوا إذا انقطع المطر عليهم وقحطوا خرجوا إليهما، وقدموا لهما شيئاً قرباناً واستغاثوا بهما؛ فإذا أمطروا -بقدر الله- قالوا: مُطرنا باستغاثتنا بيعوق ونسر].
رابعاً: بناء الأضرحة والقباب على قبور الأولياء والصالحين تركة موروثة عن الجاهلية

[رابعاً: بناء الأضرحة والقباب على قبور الأولياء والصالحين تركة موروثة عن الجاهلية قبل الإسلام] اخرج إلى الشام، أو اذهب إلى العراق أو اليمن أو مصر إلى أقصى المغرب؛ تجد القباب والأضرحة أعلام في كل بيت، وفي كل مدينة وقرية!! من أمرنا بهذا؟ من أوحى به إلينا؟ إنه الشيطان! هو من أمر، وهو الذي أوحى.
[زينتها الشياطين وحملت الجهال على بنائها، ثم عبادتها بأنواع العبادات، كالنذر لها] وقد سمعت بأذني أمي عندما كان أخوها يختصم مع زوجته في المحكمة -وكان هناك قبة على جبل- فقالت: يا سيدي فلان! إذا انتصر أبو بكر -تقصد أخاها- سأفعل لك كذا وكذا.
وأعظم من هذا الرجل يزني فلا يمر بالولي ويقول: كيف أمر بسيدي فلان وأنا علي جنابة زنا؟! بينما تجده يعصي الله ويفجر بعباده ولا يخاف، إلى هذا الحد! ما علة هذا؟ إنه -والله- الجهل بمحاب الله ومساخطه، وقد عرف المسلمون هذا وأبوا أن يتعلموا؛ ليبقوا على ظلمتهم.
[والاستغاثة بها وتقديم الشاة والبقرة لها] ونحن نسمع هذا من قديم، يقال: عجل سيدي البدوي !! وهذا في مصر [وإيقاد الشموع عليها] وما بقي الآن شموع؛ لوجود الكهرباء، وإلا قبل كان الشمع غالياً، فتجد الضريح -وخاصة ليلة الاثنين والخميس والجمعة- من غروب الشمس إلى الفجر والضوء فيه، مع العلم أنه ليس هناك من يصلي أو من ينام داخله، وإنما يوقدونه فقط تقرباً إلى الولي، أنه إذا سخر الله لي كذا أو كذا أجعل لك كذا يا سيدي فلان من الشموع.
[وتجميرها] والتجمير من الجمر أي: يبخرونها، فالجمر هو الذي يوضع عليه العود.
وأعطيكم حكاية عن العلامة الشيخ محمد الدسوري الإبراهيمي الجزائري خريج المسجد النبوي؛ هذا الرجل الذي لا تعرفون عنه شيئاً، كان على عهده نخلة في الحَصبة الأولى، وكان يأخذ غلة هذه النخلة ويستفيد منها الآغاوات أيام العثمانيين، فبيتها الشيخ ليلة: وجاء بكيس ومنجل، فلما أغلقوا المسجد أخذ يطلع عليها كالديدبان، ويقطع القنو ويهبط ليجعله في الكيس حتى استوفاها، ثم وضعه عن ظهره ونام وراء الباب، وما أن فتح الآغاوات الباب آخر الليل حتى خرج بالتمر كله، وظل يأكل التمر في بيته والحكومة والدنيا قائمة على من أكل نخلة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ وهل هذه النخلة يأكلها الرسول أو تأكلها فاطمة ؟ ولكنهم يبيعون التمر بدينار للزوار والحجاج.
وهذا البشير الإبراهيمي رحمة الله عليه ذهب إلى الهند فسألوه -في بداية الثورة الجزائرية ضد فرنسا- عن الشعب الجزائري، فقال الجزائري يأكل الهندي ويحرق الجاوي، أعوذ بالله! كيف هذا؟! والله كما أقول لكم! لأن الهندي هو البرشومي؛ يسمونه عندنا الهندي؛ لأنه جاء من ديار الهند، والذي يبيعه ويدلل عليه في الشارع يقول: الهندي والموسا من عندي، أي يقطع لك هو الحبة، والجاوي هو البخور يعرف بالجاوي؛ لأنه يأتي من جاوى فيسمونه الجاوي.
إذاً: فرفشت عليكم لأنه طال بكم الألم والتعب.
قال: [إلى غير ذلك من الحلف بها وتعظيمها وشد الرحال إليها] والله إن القاضي ليصدر الحكم على فلان بأن يحلف عند السيد فلان، فيمشي معه إلى الولي مسافة مائة كيلو أو أكثر ليحلف عند الضريح، ولو قيل له: احلف بالله لحلف سبعين مرة ولا يبالي، لكنه لا يستطيع أن يحلف بالولي، وقد لمُنا القضاة وقلنا لِم هذا؟ فقالوا: حفاظاً على حقوق

الناس، فلو قلنا له: احلف بالله سيحلف سبعين مرة، فماذا نصنع؟! هذه هي مظاهر الجهل التي هبطت بأمة الإسلام من علياء السماء إلى حضيض التراب و يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ [يس:26].
أما زلنا لم نعرف أن الجهل هو مصيبتنا، وهو الذي فرق كلمتنا، وشتت شملنا، ومزق جمعنا، وأوغر صدورنا على بعضنا البعض، وجعلنا نعيش على أمراض يتنزه عنها المسلم، كالكبر والحسد والغل والغش والنفاق وما إلى ذلك، كيف نعالج هذه الأمراض؟! والله لا تعالج إلا بالعودة إلى قال الله وقال رسوله.
وأين ذلك؟ في بيوت الرب سبحانه وتعالى، لا في المدارس والكليات، ولكن في بيوت الله فقط.
فلو أن أهل القرية اجتمعوا كل ليلة بنسائهم وأطفالهم ورجالهم في بيت ربهم من غروب الشمس إلى صلاة العشاء، وذلك طوال العام فهل يبقى بينهم من لا يعرف؟! والله لا يبقى، وأهل المدن كذلك.
إن الكفار إذا غابت الشمس تركوا العمل وذهبوا إلى المقاهي والملاهي، أفلا نترك نحن العمل ونذهب إلى بيت الله؛ لنستمطر رحمته، بنسائنا وأطفالنا؟! يومئذٍ نكون قد اتحدنا وقوينا وقدرنا، وسمونا، وتحققت ولاية الله لنا، وأعطانا ما وعدنا، هذا الكلام لا يريدون أن يسمعوه؛ لأن الله ما زال قاض بهذا القضاء، فمتى نعود؟ الأمر إلى الله.
إن كتاب المسجد وبيت المسلم أنموذجاً -والله- صالحاً لأن يجتمع عليه النساء والأطفال والرجال، ولكن العلماء لم يحملوا هذه الرسالة، ولو نفخوا في أهل القرى والمدن والأحياء على أن يجتمعوا على كتاب الله وسنة رسوله وجمعوهم -والله- لتغير وضعنا في أربعين يوماً، ولكن ما زلنا نائمين النوم الكامل.
والله أسأل أن يوقظنا وأن يرد إلينا حياتنا، إنه ولينا.
وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

أولاً: بيان منشأ الشرك في العرب المستعربة

[أولاً: بيان منشأ الشرك في العرب المستعربة، وهو نقلهم الحجارة من الحرم للتبرك بها والطواف] ويوجد الآن بعض الحجاج يأخذون الحجر من الحرمين إلى بلادهم، وقد أنكر عليهم أهل العلم ذلك، ماذا تصنع بحجر تأخذه من مكة أو المدينة؟! قد يتسبب في الشرك بمرور الزمن.
[ولذا وجب سد هذه الذريعة فلا ينقل شيء للتبرك به، حتى إن عمر رضي الله عنه قطع شجرة بيعة الرضوان؛ مخافة أن تعبد بمرور الزمان]، والشجرة تلك نِعم الشجرة، جلس تحتها الرسول صلى الله عليه وسلم، وبايع ألفاً وأربعمائة رجل، وفي القرآن الإشادة بها: لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ [الفتح:18] لكن لما جاءت خلافة عمر ومر فشاهد الناس يتسابقون إليها أمر بقطعها رضي الله عنه، وهذا هو باب سد الذرائع.
[اللهم إلا ما كان من آثار النبي صلى الله عليه وسلم كشعره أو ثوبه أو سلاحه] هذا أجازه الصحابة، وتنافسوا فيه، فعندما حلق أبو طلحة في منى للنبي صلى الله عليه وسلم، أعطاه الرسول ذاك الشعر هدية، وقال له: وزعه، فأسعدهم من ظفر بشعر النبي صلى الله عليه وسلم، كذلك ثوب الرسول (البردة)، تناقلها الخلفاء حتى انتهت إلى العثمانيين، وسيفه كذلك صلى الله عليه وسلم.
فأي: آثار للنبي صلى الله عليه وسلم محمودة، لا ينازع فيها أحد، كيف لا وهو إذا تفل تلقى أصحابه تفالته بأيديهم ومسحوا بها وجوههم؟! أما ما عدا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا يؤخذ منه قلم ولا ثوب ولا نعل ولا غير ذلك . لما يتسبب فيه من عبادة غير الله.
[ولم يبق من ذلك شيء لمرور الزمان الطويل].

بعد موت إسماعيل عليه السلام وأولاده والعالمين من ذريتهم تحول العرب إلى الوثنية، وانتشرت عبادة الأوثان والأصنام، وقد صاحب ذلك أيضاً دخول النصرانية واليهودية إلى بلاد العرب، أما النصرانية فإن أول من أدخلها إلى بلاد العرب هو العبد الصالح فيميون، ثم ما تبع ذلك من دخول الأحباش بلاد اليمن وهم على دين النصرانية، أما اليهودية فقد دخلت بلاد العرب بعد اجتياح بختنصر أرض يهود في الشمال فحملهم ذلك على النزوح إلى أرض الحجاز، بالإضافة إلا تطلعهم إلى خروج نبي آخر الزمان الذي دنا زمن خروجه.

نتائج وعبر من مقطوعة (البدع الدينية في عهد الجاهلية)

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.
أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، ثم أما بعد: فمع النتائج والعبر من المقطوعة التي درسناها في اليوم السابق لهذا اليوم، فهي تذكرنا بما سبق أن وقفنا عليه وعرفناه.
أولاً: إذا غاب نور العلم بموت العلماء نجمت البدع واستبدل الناس الهدى بالضلال.
وهذه حقيقة! ثانياً: ضعف الإنسان الفطري هو الذي يحمله على طلب ما يجلب له النفع، ويدفع عنه الضر، فإن اهتدى إلى الطريق الصحيح الذي يحصل به على ما يرغب، وينجو به مما يرهب فذاك، وإلا سلك مسالك الغواية والضلال من الظلم والشرك والابتداع.
وهذه سنة ماضية في الخلق! ثالثاً: مع طول العهد من فقد العدنانيين للعلم الصحيح بالله تعالى ودينه فقد بقيت لهم بقايا صالحة، وتذكرون أن العدنانيين عاشوا فترة من الزمان على نور من الله؛ إذ بعث الله فيهم عبده ورسوله إسماعيل، ولكن بمرور الأيام وتوالي القرون انتهى ذلك النور، وجاءت الجاهلية كما مرت وعرفناها.
إذاً: مع طول العهد من فقد العدنانيين للعلم الصحيح بالله تعالى ودينه فقد بقيت لهم بقايا صالحة، وذلك كالحج؛ إذ كانوا يحجون في الجاهلية، والعمرة: إذا كانوا يعتمرون أيضاً، وتعظيم البيت العتيق، واحترام الحرم، والأشهر الحرم، والتقرب إلى الله تعالى بالهدي وإطعام الحاج، وسقايته، ودفع الظلم عنه.
هذا كله كان في الجاهلية، وقد حفظ الله لهم هذه البقايا الصالحة فكانوا كما شهد بذلك القرآن.
هذه هي النتائج.
وأما العبر فهي: العبرة الأولى يا معاشر المستمعين والمستمعات! أن المسلمين فقدوا العلم الصحيح في ديارهم، من إندونيسيا شرقاً إلى موريتانيا غرباً، وابتدعوا بدعاً سيئة شبيهة ببدع أهل الجاهلية، فقد نذروا النذور لأصحاب الأضرحة والقباب، وساقوا لهم الشاة والعجل، وحلفوا بأسمائهم، وكسوا توابيتهم بأفخر أنواع الكسوة، ولعل بعض السامعين لم يسمع بهذا، ولكن إذا خرج من المملكة وسأل عن أضرحة الأولياء ووقف وشاهد وجد ما سمعه حقاً يقينياً؛ والعلة هي فقدان العلم.
فالعرب عندما مات إسماعيل وأولاده وأحفاده والعالمون منهم أصبحوا وثنيين ولا عجب! فالقرية أو الإقليم الذي يموت فيه العلماء ولا يبقى فيه من يعرّف الطريق إلى الله لابد وأن تحدث فيه البدع والضلالات قطعاً وبدون شك، فهذه سنة الله في الخلق.
ثانياً: بدعة خط الرمل.
وليس عندنا من يضرب خط الرمل، ولكن هناك في الشام والمغرب وفرنسا من يضرب خط الرمل، أما في عدن فلهم صفوف، وذلك للاستدلال على المغيبات عند جهال المسلمين، وهذا كبدعة الاستقسام بالأزلام عند أهل الجاهلية المشركين، أما قال تعالى: وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالأَزْلامِ [المائدة:3]! ذاك هو خط الرمل، تجد الرجل يريد أن يتزوج أو يسافر أو يبني أو يغرس فلا يدري الخير فيما عزم عليه فيأتي إلى صاحب الأزلام ليخبره، والأزلام عبارة عن

عيدان منظمة في كيس يديرها ويستخرج منها عوداً، فإن وجد مكتوباً عليه رابح قال لك: امش، أو مكتوباً عليه: خاسر قال لك: اجلس.
لقد ماتت الجاهلية وجاء الإسلام، ثم عادت الجاهلية مرة أخرى فظهر بين المسلمين خط الرمل، تجدهم يخطون فيقولون لك: تزوج أو طلق.
ثالثاً: احتيال بعض المشايخ على تحليل بعض المحرمات؛ لمنافع خاصة لهم أو لغيرهم هو مسلك النسأة في تأخير الشهر الحرام لاستحلاله، وقد قال قائلهم في ذلك: وكنا الناسئين على معد شهور الحل نجعلها حراماً فإذا احتاجت القبيلة إلى غارة أو غزوة في الشهر حرام فإنهم يأتون إلى العالم الجاهل ويقولون له: أخر لنا هذا الشهر، فيؤخروه، وكذلك وجد في المسلمين من إندونيسيا إلى موريتانيا مشائخ باسم الدين يحللون الحرام ويحرمون الحلال بفتاويهم! وتعليل ذلك هو الجهل، ظلام الجاهلية سابقاً، ثم ظلام الجهل مؤخراً، ولا فرق.
وهكذا كل فتيا يراد بها استحلال ما حرم الله بالتأويلات البعيدة اتباع لأهل الجاهلية، واستنان بسنتهم والعياذ بالله تعالى.
وما أذن للناس في الربا ودخول البنوك إلا بهذه الفتاوى، فعندما أفتى من أفتى لنفسه أو لغيره -بالتدريج- أصبح أمراً معتاداً، والسبب هو الجهل، ظلام الجاهلية لا أقل ولا أكثر.
هذه هي سنة الله! فالماشي في الظلام لابد أن يتخبط، ولابد أن يتكسر ولابد أن يتحطم! لما أَبعدنا الكتاب والسنة جهلنا؛ لأن فيهما هداية الله ورسوله.
والآن إلى النصرانية واليهودية بعدما فرغنا من المشركين وجاهليتهم؛ لنتعرف كيف كان العالم قبل أن تطلع الشمس المحمدية؛ لنعرف قيمة الإسلام -وقد عرفناها-، فما إن جهلت هذه الأمة كتاب ربها وانتحت ناحية بعيدة عن سنة نبيها إلا وهي تتخبط، لقد هبطت من علياء السماء إلى الأرض وما قر لها قرارها! فمتى تستقيم إذاً؟ إذا استقامت على قال الله وقال رسوله، وأصبحت الكلمة واحدة والمذهب واحد والطريق واحد؛ حينئذٍ يرتفعون بسهولة، في أربعين يوماً يكونون سادة الدنيا.

النصرانية واليهودية في بلاد العرب

قال: [النصرانية واليهودية في بلاد العرب] التي طلعت فيها شمس الإسلام أولاً [بمناسبة ذكر الدين الذي كان عليه العرب العدنانيون قبل الإسلام -وهو الوثنية- يَحسن ذكر نبذة عن الديانتين النصرانية واليهودية في بلاد العرب جنوباً وشمالاً؛ ليعلم القارئ بكامل الحال التي كان عليها الناس في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام؛ وليعلم أن الإسلام كان حاجة الناس في تلك البلاد كما هو حاجة كل الناس وفي كل ديارهم أمسِ واليوم] وغداً وإلى يوم القيامة [إذ لا كمال للإنسان ولا سعادة إلا به وعليه] ولا يستطيع فيلسوف في دنيا البشر أن يقف أمامنا ويرد ما نقول.

دور فيميون في دخول النصرانية إلى بلاد العرب

قال: [يروي ابن إسحاق] المؤرخ المعروف [حديث وهب بن منبه في دخول النصرانية إلى نجران] كيف دخل المذهب النصراني إلى جنوب الجزيرة ونجران بالذات [جنوب مكة من بلاد اليمن فيقول: إن رجلاً يقال له فيميون من أهل الشام، كان على دين المسيح عليه السلام، وكان صالحاً ورزقه الله كرامات فأحبه رجل من أهل البلاد يقال له: صالح ، ولازمه] لِما رأى فيه الكرامة والصلاح [ولما عُرف فيميون بالصلاح وظهور الكرامات، خرج مع ذلك الرجل الذي أحبه فدخلا بلاد العرب، فعدوا عليهما وباعوهما عبدين في مدينة نجران] لما دخلا بلاد العرب عدوا عليهما وباعوهما عبدين في مدينة نجران؛ لأن العرب كانوا يغيرون إذا وجدوا الضعفاء فيستولون عليهم ويبيعونهم كعبيد، وقد بيع سلمان الفارسي ثلاث مرات حتى وصل إلى المدينة وهو عبد! وأقول: إن ظلام الجاهلية عتم من جديد -أو كاد- حتى في ديارنا هذه، ولو استعرضنا استقدام العمالة والخدم والنساء لكنا نشابه الأولين.
قال: [وأهل نجران يومئذ على دين العرب وهو الوثنية] عبادة الأصنام والأحجار [وكانت نخلة يعبدونها] والآن في بلاد العرب يعبدون نخلة وشجرة وزيتونة، بل حتى شجر النبق كان يعبد في المدينة قبل حوالي ثلاثين سنة أو أقل، وقد قيل لنا قديماً: توجد في المدينة شجرة تعبد! كيف يمكن هذا؟! ليس معقولاً! فقلنا: غداً بعد صلاة العصر نمشي

لها، فمشينا فوجدنا منازل الفقراء المهاجرين من نيجيريا وغيرها من الشرق والغرب هناك، وإذا بشجرة بين تلك الخيام عليها ألف قطعة من قماش، وما إن قال الطلاب: الله أكبر! وأخذوا يضربونها حتى صرخ النساء وبكين وهربن.

كان هذا وراء مسجد الإجابة بالمدينة، وكانت الشجرة مستورة مخبأة من قرون.

قال: [فجعلوا لها عيداً سنوياً] أي: كل سنة، وفي المغرب يسمونه الزردة (زردة سيدي فلان) يكون في العام مرة.

المهم الأولياء في بلاد العالم الإسلامي يقام لهم حفلة سنوية، تسمى مولداً، أو زردة، أو موسماً، وسبب هذا أن نور القرآن انتهى وحل الظلام، فلا تستبعدوا أن يكون لأهل نجران نخلة يعبدونها، وهي أحسن من الصنم على كل حال، على الأقل فيها الرطب.

قال: [يأتونها فيه] في ذلك اليوم، يوم العيد [فيعلقون عليها أجمل الثياب وأحسن حلي النساء] حتى الخلاخل والأسوار، ولا حرج! لأنهم خائفين من الفقر والمرض والبلاء، والله محجوب عنهم لا يعرفونه؛ إذاً يدفعون عن أنفسهم بما زينت لهم الشيطان.

ألا إنه الجهل بالله وتعاليمه! قال: [واشترى فيميون أحد أشراف نجران] فيميون المسيحي الذي جاء من الشام مع زميل له -وهو ولي من أولياء الله الصالحين ظهرت الكرامات على يديه- اشتراه أحد أشراف نجران بعد أن وجده يباع في السوق [وكان فيميون إذا قام من الليل يتهجد أشرق له البيت نوراً] كان إذا قام يصلي في الليل صار البيت كأن فيه مصباح.

أعجب هذا؟ لا أبداً، لقد كان هناك صحابيان جليلان -والله العظيم- في المدينة يسمران مع الرسول في قضايا الإسلام والمسلمين ويخرجان والنور معهما، فإذا افترقا ذهب النور مع كل منهما؛ لأنه كان الظلام وليس هناك كهرباء فإذا دخل وقت العشاء أعتم الظلام، فكانا إذا خرجا من بيت الرسول صلى الله عليه وسلم يكون النور أمامهما، وعندما يصلان إلى مكان الافتراق هذا إلى العنبرية وذاك إلى طوبا يفترق النور بينهما.

إنها كرامة الله لأوليائه! وإلى الآن نحن لم نحقق هذه الولاية؛ لأننا لسنا صادقين في طلبها.

وهناك خطوتين نصل بهما إلى ولاية الله فما هما؟ الإيمان والتقوى، فمن أراد أن يكون ولياً لله فليؤمن حق الإيمان، وليتق الله حق التقوى، خطوتان فقط: آمن واتق، ثم تتجلى لك الكرامات، والدليل على هذه الحقيقة قول الله تعالى: أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ [يونس:62-64].

هذا كلام الله -القرآن العظيم- في سورة يونس عليه السلام، ومن البشرى في الحياة الدنيا الكرامات، وقد فسر النبي صلى الله عليه وسلم البشرى فقال: (رؤيا صالحة يراها أو ترى له).

فهيا نؤمن ونتقي.

كيف نؤمن ونتقي؟ يجب أن نجالس العلماء، ونزاحمهم بالركب طوال الزمن حتى نتعلم حقائق الإيمان وبراهينه، ونشاهد أنواره، فالتقوى لن تكون إلا بعد معرفة ما يُتقى الله فيه، فنعرف الواجبات والمحرمات والمحبوبات لله والمكروهات! عدنا من حيث بدأنا: ألا إنه الجهل! لن نفلح على جهل أبداً، لا بد من العلم وإلا فلا كرامة، ستقولون: يا شيخ هذا العلم يريد أن نوقف مصانعنا ومتاجرنا ومزارعنا حتى نتعلمه وليس معقول هذا؟! أهذا هو جوابكم؟ الجواب: لا، لا ..زيدوا المصانع ووسعوا تجاراتكم وأعمالكم، ولكن فقط بوصفكم مؤمنين، تريدون السماء والملكوت الأعلى، وتحقيق ولاية الله في حيكم أو قريتكم التزموا بمبدأ: ألا يتأخر رجل ولا امرأة ولا ولد أبداً أن يحضر إلى بيت ربه من المغرب إلى العشاء طوال العام، وعلى مدى الحياة، فإذا كان أهل القرية أو الحي في بيت ربهم ساعة ونصف يتعلمون النور والهداية، لن يبقى من لا يعرف! فاعملوا في دنياكم ما شئتم، لكن بين المغرب والعشاء اجلسوا -كجلوسنا هذا- كل ليلة لتتعلموا في ليلة آية وأخرى حديثاً، وإذا بالأنوار تتزايد، والمعرفة تنمو، والتقوى تتجلى، وإذا بأهل القرية كأنهم أسرة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ستقولون: لا نستطيع هذا! فأقول لكم: إذاً ابقوا على ما أنتم عليه!! قال: [فعجب سيده] الذي اشتراه [من هذه الكرامة، فسأله عن دينه؟ فأخبره بأنه على دين المسيح، وأعلمه أن ما عليه أهل نجران هو الباطل، كما أعلمه أن الله تعالى هو الإله الحق، وأن هذه النخلة لا تنفع ولا تضر، وأنه لو دعا الله تعالى عليها لأسقطها، وفعلاً دعا الله تعالى فعصفت بها عاصفة فاقتلعتها من جذورها] هذه كرامة لولي الله فيميون ! ولذلك آمن الرجل الشريف -بعد مشاهدته الكرامة- بدين المسيح وتبعه آخرون، وكان هذا بداية دخول دين المسيح في نجران.

قال: [ولذلك آمن الرجل الشريف بدين المسيح وتبعه آخرون فكان هذا مبدأ دخول دين المسيح في نجران، ثم بمرور الزمان طرأ عليهم ما طرأ من البدع والتحريف للدين المسيحي، حتى أصبحت نصرانية ضالة كما هي في سائر البلاد] مات فيميون والعلماء وتحول الدين إلى خرافة ولا عجب! فالعلماء شموع إذا انطفأت وقع هذا.

دور عبد الله بن الثامر وأثره في نشر المسيحية بنجران

قال: [ومما يذكر هنا أن عبد الله بن الثامر -وكان على دين المسيح- كان له أثر كبير في نشر المسيحية في نجران بعد العبد الصالح فيميون] أي أنه خلفه في الدعوة [وكان من أمر ابن الثامر أنه لما انتشرت المسيحية بين الناس دعاه ملك البلاد، وقال له: أفسدت علي أهل قريتي، وخالفت ديني ودين آبائي، لأُمثلن بك، وجعل يعرضه لكل ألوان التعذيب والقتل، ولم يقدر على قتله، فقال له ابن الثامر : إنك لا تقدر على قتلي حتى توحد الله تعالى، ففعل الملك، وضرب ابن الثامر فقتله، ثم مات الملك على الفور إلى جنبه، وبذلك استجمع أهل نجران على الدين المسيحي، ثم أصابهم ما أصاب غيرهم من البدع والفساد؛ فكان هذا أصل النصرانية في نجران.
ولما ملك ذو نواس الحميري] أصبح ملك اليمن [وكان قد دان باليهودية، ووجد أهل نجران على المسيحية؛ فدعاهم إلى دينه، فأبوا عليه، فحفر لهم الأخاديد وأحرق عدداً كبيراً منهم بالنار ليرجعوا عن دينهم فلم يرجعوا، وهم الذين ذكرهم الله تعالى في سورة البروج، وحدث عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم] قال الله عز وجل: وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ * وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ * وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ * قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ * النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ * إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ * وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ * وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ [البروج:1-8] هذه الآيات في نصارى نجران، عندما أجبرهم هذا الملك اليهودي على التخلي عن المسيحية إلى اليهودية.
قال: [ثم إن رجلاً يقال له: دوس قد نجا من الحريق] لما أُحرق المؤمنين نجا دوس هذا من الحريق [وذهب إلى ملك الروم فاستعداه على ذي نواس الذي قتل النصارى من أهل دينه؛ فكتب له كتاباً إلى ملك الحبشة -حيث هو على دين النصارى- فأعطاه جيشاً قوامه سبعون ألفاً غزا به ذا نواس ، فهزموه ودخلوا البلاد، وحكموها بعد موت ذي نواس ، وكان على رأس الجيش الحبشي أرياط و أبرهة فتنازعا الملك وغلب أبرهة أرياط وقتله، وأصبح أبرهة الحاكم العام في البلاد، وملك الحبشة يدعمه ويشد من أزره.
هذه قصة النصرانية في نجران من بلاد اليمن] و أبرهة هو الذي غزا الكعبة، ويعتبر عميلاً لملك الحبشة، سخره لهذا، ونحن هنا فقط نريد أن نعرف هل كانت نصرانية في بلاد العرب أم لا.

سر وجود اليهود في الجزيرة العربية قبل الإسلام

قال: [أما اليهودية: فإنها لم تدم طويلاً في بلاد اليمن.
وسبب ذلك أن تُبّعاً ذا نواس لما دخل المدينة خرج معه حبران من أحبار اليهود، وهما اللذان دعواه إلى اليهودية فقبلها ودان بها، وعذب نصارى نجران كما تقدم، وانتهى ملكه بموته على يد أرياط و أبرهة الحبشيين كما سبق ذكره.
إلا أن اليهودية كانت بشمال الجزيرة بفدك وتيماء وخيبر والمدينة -التي كانت تسمى يثرب- وسبب دخول اليهود إلى الحجاز من أرض الجزيرة هو الضغط الذي أصابهم من ملوك الروم بعد بختنصر ؛ هذا من جهة، ومن جهة أخرى تطلعهم إلى النبي المبشر به في التوراة والإنجيل، وأنه يخرج من جبال فاران وأن مهاجره يثرب ذات النخيل والأرض السبخة، فنزلوا ديار الحجاز الشمالية؛ رجاء أن يُبعث نبي آخر الزمان فيؤمنوا به ويقاتلوا أعداءهم معه، ويستردوا مُلكهم المسلوب منهم من عدة قرون].
هذا هو سر وجود اليهود في الجزيرة! قال: [مع العلم أن اليهود والنصارى قد فسد معتقدهم، وضاعت شريعتهم تحت تأثير التأويل للنصوص وتحريفها وتغييرها وتبديلها؛ لتوافق الأهواء والأطماع الخاصة والشهوات العارمة] كما هو في الإسلام [فما أصبحت اليهودية والنصرانية تزكي النفوس ولا تصلح القلوب ولا تهذب الأخلاق بعد فسادها، فحاجة أهل الملتين إلى الإسلام كحاجة غيرهم من المجوس والوثنيين، وقد كان اليهود يستفتحون على المشركين العرب يقولون لهم: إن نبياً قد أظل زمانه ويوم يظهر نؤمن به ونقاتلكم معه، ونزل بقولهم هذا القرآن العظيم في

سورة البقرة بقوله تعالى: وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ [البقرة:89]].
وهذه نزلت فيهم.

نتائج وعبر من مقطوعة: (اليهودية والنصرانية في بلاد العرب)

قال: [نتائج وعبر: لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبر نُجملها فيما يلي: أولاً: لم تكن النصرانية ولا اليهودية في بلاد العرب ذات شأن يذكر؛ إذ الوثنية هي الغالبة].
يعني النصارى ألف والمشركون مليون، فالوثنية هي الغالبة.
[ثانياً: الفترة -التي كانت النصرانية في نجران سليمة في معتقداتها وشرائعها- كانت قصيرة جداً، ولذا لم يُقدَر لها أن تنتشر في بلاد العرب].
كانت الفترة الزمنية -التي كانت فيها النصرانية مستقيمة- ضئيلة وقليلة، فلهذا ما انتشرت في بلاد العرب لا في الشمال ولا الشرق ولا الجنوب ولا الغرب، فما لبثت أن دخلها الفساد فلم تكن صالحة للهداية البشرية.
[ثالثاً: اليهودية ما دخلت بلاد العرب إلا بعد فسادها، فلذا لم ينتفع بها أهلها في دار هجرتهم فضلاً عن العرب الذين نزحوا إليهم وسكنوا ديارهم] فلو جاء اليهود بدين صحيح ودخلوا بلاد العرب به لانتفع العرب، ولكن جاءوا بدين خرافة وضلالة، فماذا ينفع؟! [رابعاً: نظراً لفساد الديانتين السماوية اليهودية والنصرانية، وفساد المجوسية والوثنية بالأصالة؛ فإن حال الناس تتطلب ديناً سماوياً جديداً تكمل عليه الأرواح، وتزكو وتهذب به الأخلاق، وتتحقق به للناس السعادة والكمال في الدنيا والآخرة، وهو ما ستكشف عنه الأيام عما قريب إن شاء الله تعالى] إذ الآن قربنا من طلوع الشمس المحمدية.

الحنفاء في بلاد العرب

قال: [هل من حنفاء في بلاد العرب؟] أي: هل من موحدين في بلاد العرب قبل طلوع الشمس المحمدية؟ الجواب: نعم.
ولكنهم يعدون على رؤوس الأصابع.
ئ فماذا يغنون؟! قال: [إن الجواب عن هذا السؤال الملح هو -مع الأسف-: أنه لم يكن في بلاد العرب في هذه الظروف حنفاء يؤمنون بالله وحده ويعبدونه بما شرع مخلصين له في ذلك].

ثانياً: ورقة بن نوفل

قال: [وأما ورقة بن نوفل فقد دان بالنصرانية ومات قبل بدء الدعوة الإسلامية، كما أن عبد الله بن جحش بن رئاب -وإن أسلم في أول الأمر؛ لأنه حضر البعثة المحمدية- إلا أنه ترك الإسلام وتنصر في الحبشة لما هاجر إليها مع من هاجر من المسلمين، وخلَّف زوجته أم حبيبة بنت أبي سفيان ، فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة بها، وأناب عنه في عقد نكاحها أصحمة النجاشي ملك الحبشة رحمه الله تعالى] هذا الصحابي أسلم، ومشى مع زوجته مهاجراً مع المهاجرين كـجعفر وغيره، ولكن مع الأسف انتكس وارتد في بلاد الحبشة، وبقيت أم حبيبة زوجته فتزوجها النبي صلى الله عليه وسلم، ووكل ملك الحبشة أن يعقد له عليها؛ رحمة بها، إذ أسلم ملك الحبشة وعزم على الهجرة ولكن أدركه الموت.

أولاً: زيد بن عمرو بن نفيل

قال: [اللهم إلا ما كان من زيد بن عمرو بن نفيل] الذي خاصمته امرأة ودعا عليها فعميت، و[الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنه يبعث يوم القيامة أمة وحدة)].

أمة يمثلها رجل واحد [فقد كان ينكر أعمال أهل الجاهلية، ويصرح ببطلان دين قريش ويقول لهم: والذي نفسي زيد بن عمرو بيده] قد ظننا أن هذا اليمين خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم، وهذا الموحد يحفظه قبل النبي صلى الله عليه وسلم [ما أصبح منكم أحد على دين إبراهيم غيري] كان يقول لقريش: والذي نفس زيد بن عمرو بن نفيل بيده ما على دين إبراهيم إلا زيد وحده.

قال: [وقال محمد بن إسحاق : لقد حُدِّثت أن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل و عمر بن الخطاب قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أنستغفر لـزيد بن عمرو بن نفيل قال: (نعم.

فإنه يبعث أمة وحده)].

أي: استغفروا له؛ لأنه كان موحداً لا يؤمن بقبة ولا بجبل ولا كوكب ولا رجل، فلا يعرف إلا الله، من بقايا إبراهيم و إسماعيل.

قال: [وقد مات زيد قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم، ومصداق هذا في حديث مسلم إذ قال صلى الله عليه وسلم: (إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم، إلا بقايا من أهل الكتاب).

فهذا الحديث دليل واضح على أنه ما بُعث النبي الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم وفي العرب رجل واحد على دين صحيح يَعبد به الله تعالى].

وأعود فأقول: يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب)، أي: أفراد من النصارى واليهود، وهذا الحديث دليل واضح على أنه ما بُعث النبي الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم وفي العرب رجل واحد على دين صحيح يعبد به الله تعالى، أما زيد فقد كان موحداً فقط لا يعرف صلاة ولا صياماً.

قال: [أما اليهود والنصارى ففيهم بقايا يعبدون الله تعالى بدين صحيح من دين موسى وعيسى عليهما السلام، لكنهم قليل جداً لا يتم على أيديهم هداية الناس ولا إصلاحهم] كإقليم فيه عشرين ألفاً أو ثلاثين ليس فيه إلا واحد على دين صحيح، فهل يستطيع أن يفعل شيئاً؟ لا.

لا يستجيبون، بل الآن في قرى المسلمين علماء ما استجيب لهم، ويضحك منهم.

هؤلاء هم البشر! [ومن شعر زيد بن عمرو بن نفيل المصرح بإيمانه وتوحيده قوله: أرباً واحداً أم ألف رب أدين إذا تقسمت الأمور عزلتُ اللات والعزى جميعاً كذلك يفعل الجدد الصبور] اعتزاله للأصنام ليس بهين.

[فلا العزى أدين ولا ابنتيها ولا صنمي بني عمرو أزور ولا هبلاً أدين وكان رباً لنا في الدهر إذ حلمي يسير] وهذا الشيخ الطيب العقبي رحمة الله عليه وألحقنا به صالحين، خريج المسجد النبوي، حامل راية التوحيد في الديار الجزائرية له قصيدة على هذا النغم، ستسمعونها يوماً إذا يسر الله، كيف أنه حارب الوثنية؛ وثنية القبور وعبادها.

ثالثاً: عثمان بن الحويرث

قال: [وأما عثمان بن الحويرث] هذه المجموعة القليلة من الموحدين [فقد قدم الشام وتنصر، وكانت له منزلة عند قيصر ملك الروم النصراني.

فهؤلاء الرجال الأربعة الذين كانوا قد أنكروا على قريش عبادة الأوثان، وكانوا يُصرحون بأنهم على دين إبراهيم عليه السلام، إلا أنهم في آخر الأمر ماتوا على غير الحنيفية إلا ما كان من زيد بن عمرو بن نفيل] الذي يبعث يوم القيامة أمة وحده [فإنه مات حنيفاً مسلماً على ملة التوحيد، ويؤكد ذلك إذن النبي صلى الله عليه وسلم لولده سعيد و عمر بن الخطاب بالاستغفار له] ولو لم يكن موحداً ما أذن في الاستغفار له [وأخبر أنه يبعث يوم القيامة أمة وحده].

نتائج وعبر من مقطوعة: (الحنفاء في بلاد العرب)

قال: [نتائج وعبر: إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبراً نوجزها فيما يلي: أولاً: بيان أن الناس -عرباً وعجماً- قد ضلوا سواء السبيل، واستوجبوا مقت الله تعالى لهم، اللهم إلا أفراداً قلائل من أهل الكتابين اليهود والنصارى فإنهم بقوا يعبدون الله تعالى بما شرع على ألسنة رسله حتى بعث النبي الخاتم الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم، وهم قليل.

ثانياً: بيان أن العرب لم يبق منهم رجل واحد على دين الله الذي أرسل الله به إبراهيم وإسماعيل -والأنبياء من قبل ومن بعد- يعبد الله تعالى بما شرع ويوحده في عبادته؛ لأن زيد بن عمرو بن نفيل -وإن كان موحداً- إلا أنه لم يكن له شرع يعبد الله تعالى به، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنه قد مات قبل البعثة المحمدية] ومع هذا هنيئاً له فإنه يبعث أمة وحده.
[ثالثاً: حال الناس هذه -في ضلالهم وعدم هدايتهم- كانت مستوجبة للبعثة المحمدية متطلبة لها، بل كانت حاجتها الملحة التي لابد منها].
هذا وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

من سنن الله تعالى في الكون أن الانفراج يكون بعد الشدة، والضياء يأتي بعد الظلام، والعسر يتبعه يسر، لذلك فإنه بعد ذلك الظلام الحالك الذي غطى سماء البشرية، بانتشار مظاهر الكفر والشرك والوثنية، وبعد أن نظر الله إلى الناس فمقتهم لما هم عليه من الكفر والشر والفساد إلا بقايا من أهل الكتاب، بعد ذلك كله أذن الله بانبلاج الصبح وسطوع النور بالرسالة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم.

تباشير الصباح (البشارات بالرسالة المحمدية)

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.
وبعد: فقد انتهى بنا الدرس إلى مقطوعة [تباشير الصباح] وهي الأنوار التي تلوح؛ لتكشف الغطاء وتزيل الظلمة وتتجلى فيها أنوار النبوة المحمدية.
قال المؤلف غفر الله له ولكم، ورحمه وإياكم وسائر المؤمنين والمؤمنات: [إن من سنن الله تعالى في الكون] والسنن: جمع سنة، وهي الطريقة المتبعة [أن الانفراج يكون بعد الشدّة] وهو كذلك: فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا [الشرح:5-6] فالانفراج حسب سنة الله في الكون يكون بعد الشدة [والضياء يكون بعد الظلام، واليسر يكون بعد العسر.
إنه بعد ذلك الظلام الحالك الشديد الذي غطى سماء الحياة البشرية، حيث عتم ظلام الشرك والكفر والظلم والشر والفساد؛ إذ نظر الله تعالى إلى الناس فمقتهم عربهم وعجمهم؛ لما هم عليه من الكفر والشر والفساد إلا بقايا من أهل الكتاب] وقد تقدم خبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك، وبقايا أهل الكتاب هم اليهود والنصارى [في هذا الظرف بالذات أخذت تباشير الصباح تلوح بقرب انبثاق النور المحمدي، يلوح هنا وهناك في الآفاق المظلمة المدلهمة.
وها هي ذي بين يديك أيها القارئ الكريم كواكب زهر تلوح في الأفق كوكباً بعد كوكب، مؤذنة بقرب انبلاج الفجر المحمدي:]

البشارات الإلهية بمحمد صلى الله عليه وسلم في التوراة

قال: [ثالثاً: بشارات الكتب الإلهية به] الكتب التي أنزلها الله على رسله ما من كتاب منها إلا ويحمل البشرى بلغة قومه الذين نزل فيهم.
قال: [ففي التوراة] التوراة أعظم كتاب، فيها ألف سورة، والقرآن فيه مائة وأربعة عشر سورة، والتوراة أنزلها الله على موسى الكليم عليه السلام [يروي البخاري عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قوله] أي قول: عبد الله بن عمرو بن العاص، و عبد الله هذا من عبّاد الصحابة، كان من أعبد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبوه عمرو بن العاص أكبر سياسي عرفه العالم الإسلامي رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم أجمعين [قال: وجدت في التوراة] تصفحتها فوجدت فيها ما يلي: [في صفة النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله سبحانه وتعالى: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للأميين] والحرز هو الذي يمنع الخطر والدهاء والبلاء والشر، فهو حرزنا صلى الله عليه وسلم، ووالله لو اتبعناه ما أصابنا سوء ولا نزل بنا بلاء، ولكن تركنا كلامه كما نترك كلام كالعجوز، ودائماً يعبر بهذه العبارة، لقد عشنا هذا وعرفناه في العالم الإسلامي، فإذا سمع الناس كلمة: قال الرسول جعلوها كقول فلان أو فلانة، فليس عندهم وزن أبداً لكلام النبي صلى الله عليه وسلم.
إن الرسول إذا قال قولاً فيجب أن يكون هذا القول أعلى من مقال الملك أو رئيس الجمهورية، يجب أن نحفل به ونهتم، ولكن جعلنا قول الرسول كقول أي فلاح أو تاجر، أما إذا قال الرئيس أو قال الأمير فإننا نحفل ونهتم.

قال: [أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل] الله أكبر! نبينا اسمه في التوراة: المتوكل، وهل عرفت الدنيا متوكل على الله أكثر من محمد صلى الله عليه وسلم؟! [ليس بفظ ولا غليظ] والله يقول في القرآن: وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ [آل عمران:159].

فلا يجتمع معك أبو بكر ولا عمر .

قال: [ولا صخاب في الأسواق] والصخاب: هو الذي يصيح في السوق، وتعرفون أن الأسواق يصيح أهلها وينادون على بضاعتهم بأعلى صوتهم، أما إذا قلت له: قل: لا إله إلا الله فإنه يستحي! وهذه الجائزة حرمها العالم الإسلامي، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (من دخل السوق وقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وإليه المصير وهو على كل شيء قدير، ورفع بها صوته كتب الله له ألف ألف سنة، ومحا عنه ألف ألف سيئة، ورفعه ألف ألف درجة)، مليون حسنة، ومليون درجة، ومليون سيئة تمحى.
ألا نستطيع ذلك؟! أنخاف ونستحي؟! إذا الناس مشغولون بالبضائع، هذا يعرض كذا وهذا يعرض كذا وأنت تقول: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وإليه المصير وهو على كل شيء قدير) يجعلهم يجفلون ويقفون حتى يرحل الشيطان ثم يعودون إلى ما هم عليه.
من منا أخذ هذه الجائزة؟ ويستفاد من: (ولا صخاب في الأسواق) أنه يكره رفع الصوت في السوق، فليس هناك داعٍ لهذا، فما كتب الله لك سوف يكون، فلا تصرخ بأعلى صوتك؛ لأن نبينا لم يكن موصوفاً بهذه الصفة، وعلينا أنْ نكون أيضاً مثله في آدابنا وأخلاقنا وكمالاتنا.
قال: [ولا يدفع السيئة بالسيئة] ولكن يدفع السيئة بالحسنة، فإن قيل له: يا قصير! أو يا طويل! قال: جزاك الله خيراً، أو لكمه بيده خطأً أو داسه بنعله فلا يقول: أأعمى أنت يا ملعون! وإنما يقول: عفا الله عناك آذيتني، فيدفع السيئة بالحسنة، ولا يدفع السيئة بالسيئة، هذه صفات نبينا في التوراة، وقد تجلت في حقائق الحياة وشاهدها القريب والبعيد.
أما قال له ذاك الأحمق: اعدل فينا يا رسول الله! فقال: (ويحك إذا لم أعدل أنا فمن يعدل) ، ثم قال: (رحم الله أخي موسى قد أوذي بأكثر من هذا وصبر).
قال: [ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء] أي: لن يتوفاه الله ويقبض عنه الوحي حتى يبلغ رسالة الله، والملة العوجاء هي ملة إبراهيم، لأنهم عبثوا بها وعوجوها وكسروها وجعلوا فيها الآلهة والأوثان، فمن يقومها؟ من بُعث لتقويمها؟ رسول الله صلى الله عليه وسلم [ويفتح عيوناً عمياً، وآذاناً صماً، وقلوباً غلفاً بأن يقولوا: لا إله إلا الله] وتحقق هذا الذي في التوراة بالحرف الواحد.
قال: [وفيها -أي في التوراة- أيضاً: تجلى الله من طور سيناء] وطور سيناء في سيناء، وقد عادت -إن شاء الله- إلى العرب أو لا تريدونها؟! قالوا: لا نريد سيناء ولا نريد أريحا، تريد ولكن نريد تل أبيب؟ إذاً: تفضلوا خذوه، قالوا: لا أستطيع! إذاً لم لا تريد أن تأخذ سيناء أو أريحا؟ يعني: تموت جوعاً ولا تأخذ القليل! إذا أُعطيت رغيفاً فكل واحمد الله عز وجل، واسأله أن يعطيك دجاجة مشوية، أما أن تقول: لا، لا أبغي!! .

.
ستقولون: يا شيخ! لا تلمنا؛ لأننا غير موفقين.
أقول: ليس من هذه الأيام بل من خمسة وأربعين عاماً، فلو كنا موفقين ما عاش إخواننا يضطهدون وينكل بهم ويعذبون هذه السنين، ولو كنا بصراء لعرفنا كيف نسلك مسلك الراشدين، الرسول صلى الله عليه وسلم عندما نزل المدينة وهي مطوقة ببني قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة، والعرب جهلة بينهم لا يعرفون شيئاً، عقد معهم الاتفاقيات، وعقد معهم صلحاً مكتوباً عندنا نصوصه.
إن العرب لما رأوا أنفسهم مستضعفين مستعمرين في تلك الأيام وعرضت عليهم الدول واليهود القسمة قبلوها وأخذوا قطعة من الأرض -نصفها في ذلك الوقت-.
فربوا أبناءكم وإخوانكم على الإيمان والإسلام والشجاعة فإذا أصبحوا أولياء الله سوف يتحقق لهم مراد الله.
قالوا: لا.
لا نريد القسمة، وإلى الآن والعلماء يقولون: كيف نرضى بقسمة البلاد، يا عبد الله! أي طين أو أي تراب لله، الملك كله لله، العبرة بأن يعبد الله عز وجل، ما هو بتربة إسرائيل ولا فلسطين ولا بريطانيا، نحن لسنا محصورين في

رقعة أبداً، ولا نقاتل من أجل بقعة، بل نقاتل من أجل أن يعبد الله عز وجل، فهيا نعبد الله ونقيم دينه وشرعه وحينئذ لن نرضى بأن نبقى في فلسطين، حرام، يجب علينا أن نجتاز خط البحر ونُدخل رحمة الله في اليونان وفي الطليان ونمشي ننشر النور، هذا الكلام لا يفهمونه؛ لأنهم ليسوا أهلاً لأن يفهموه، قالوا: نريد دولة إسرائيل فقط، ونحن عندنا كذا دولة عربية فهل عُبد الله فيها؟ هل أقيمت شرائع الله وحدوده؟ هل وهل..أي فرق إذاً؟.

يقولون: لا نفهم هذا الكلام يا شيخ، أنت عميل! عميل أمريكا.

قالوا: أني أشتغل مع السي آي إيه (المخابرات الأمريكية)، والله قالوا هكذا: يشتغل مع السي آي إيه (المخابرات الأمريكية).

لا إله إلا الله! أين يُذهب بعقول البشر العقلاء؟ قال: [وأشرف من ساعير، واستعلى من جبال فاران] وجبال فاران هي جبال مكة [فتجليه سبحانه وتعالى من طور سيناء المراد به إنزاله التوراة على موسى، وإشرافه من ساعير المراد به إنزاله الإنجيل على عيسى، واستعلاؤه من جبال فاران إنزاله القرآن الكريم على المبشر به محمد صلى الله عليه وسلم؛ إذ جبال فاران هي جبال مكة المكرمة].

هذا كله تقرير للنبوة المحمدية، وتباشير سبقت ولادته بقرون..

قال: [وجاء في التوراة أيضاً: أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك] يخاطب الله موسى [وأجعل كلامي في فمه] من الذي يتكلم بكلام الله؟ محمد صلى الله عليه وسلم [فيكلمهم بكل أو أوصيه به، فالذي يجعل الله تعالى كلامه في فمه لن يكون إلا محمداً صلى الله عليه وسلم؛ إذ هو الذي يقرأ القرآن على ظهر قلب] وليس هناك من يقرأ الإنجيل أو التوراة بالغيب أبداً، ولا حفظه أحد، إلا ما كان من عزير عليه السلام فهو نبي، يروى أنه لما فسق بنو إسرائيل -كالعرب الآن والمسلمين- فأباحوا الربا والزنا والباطل والشر وتركوا الصلاة كما هو حال المسلمين سواءً بسواء؛ سلط الله عليهم البابليين، والبابليون سكان بابل، كانوا أمة جبارة، فغزوا فلسطين ودخولها، وذبحوا واستعمروا وحولوا بيت المقدس إلى مخراة، أي: حيث يخرأون، فإذا أراد العسكري أن يبول مشى إلى بيت المقدس ليبول فيه.

وهذا إهانة للفساق الفجار! من هم؟ أبناء الأنبياء والرسل لما فسقوا عن أمر الله وخرجوا عن طاعته أدبهم، سلط عليهم البابليين، فأخذوا التوراة من أيديهم؛ لأنهم ليسوا أهلاً لها.

فلما أخذوا التوراة ما بقي فيهم من يقرأ ولا يعرف فبكوا وبكوا.

وهذ يعني أن فيهم الصالحون كالمسلمين فيهم أولياء لله.

لكن هل العبرة بخمسة أو عشرة؟! لا.

العبرة بالأكثرية.

فجاء -كما يروى- عزير وهو نبي.

فقال: اكتبوا.

فقالوا: هذا ابن الله إذاً.

كيف يستطيع أن يملي التوراة أو يحفظها؟! إنه ابن الله!! فكفروا كفراً آخر، قال الله عز وجل: وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ [التوبة:30]، ما السبب في هذه النسبة؟ قالوا: كيف يعرف كلام الله ويمليه؟! إذاً: من يحفظ كلام الله؟ رسول الله! حفظه وتكلم به، وهذه الصفة في التوراة كما جاء فيها: "أقيم لها نبيناً من وسط إخوتهم مثلك يا موسى وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به" فالذي يجعل الله تعالى كلامه في فمه لن يكون إلا محمداً صلى الله عليه وسلم؛ إذ هو الذي يقرأ القرآن على ظهر قلب [ولا ينطق إلا بما جاء فيه ودعا إليه من الحق والهدى والخير].

هذه بشرى في التوراة، واليهود يعرفون هذا، والله يعرفونه، ولكن ليس كل اليهود، فالكلام لا يُأخذ دائماً على إطلاقه، ولكن نعني: أن العلماء أصحاب المنابر يعرفون هذا، ولا يعترفون به لليهود ويؤولنه، فيقولون: هذا شخص آخر وأنتم لا تفهمون، حفاظاً على المراكز، وحفاظاً على أمل وحلم إعادة مملكة بني إسرائيل، وإلا اليهود يعرفون رسول الله، فعبد الله بن سلام ما إن رأى الرسول حتى اندهش وشهد بأنه رسول الله عن ثلاثة أسئلة فقط وجهها للنبي صلى الله عليه وسلم وأجاب عنها.

ثانياً: أخذ الميثاق له صلى الله عليه وسلم من الأنبياء والمرسلين

قال: [ثانياً: أخذُ الميثاق له صلى الله عليه وسلم] من أخذ الميثاق للنبي صلى الله عليه وسلم؟ إنه الله! وممن أخذه؟ من الأنبياء والمرسلين قبل وجود محمد صلى الله عليه وسلم، فما من نبي إلا ويأخذ عليه عهد وميثاق أنه إذا بعث النبي الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم يجب أن يؤمن به ويتبعه.
قال: [لقد أخذ لله الميثاق على كل نبي نبأه، ورسول أرسله: أن يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وينصره متى بعث] وعاصره، ولو كان رسول موجود عندما بعث نبينا صلى الله عليه وسلم كان يجب أن يأتي إليه ويمشي معه وينصره، ولهذا أبطل أهل العلم فكرة أو فرية أن الخضر حي موجود؛ لأن الخضر نبي، فلو كان حياً موجوداً ألا يأتي إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ليبايعه ويقاتل معه؟! خرج أحدهم وفي يده الحناء، فقالوا إخوانه: ما هذا؟ فقال: الخضر زوجني، وآخر يقول: الخضر كان معنا البارحة، ولك أن تشم رائحة الطيب التي طيبنا بها.
إنهم يستغلون العوام والجهال ويفعلون الأعاجيب! أين الخضر ؟ لو كان هنا لقادنا الآن وقاتلنا في سبيل الله! كيف كان الخضر موجوداً على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يأتي إلى المدينة ولا يمشي وراء رسول الله ولا ينصره؟ أين يعيش هذا في اليابان؟! قال: [ولازم هذا أنه عرّفه باسمه وصفاته] هذا النبي عندما يلزمه الله ويوصيه ويأخذ عليه ميثاق أن ينصر النبي الخاتم ويقف إلى جنبه ويؤمن به لا بد أن ينعته له وإلا كيف سيعرفه [جاء هذا في قوله تعالى من سورة آل عمران: وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ [آل عمران:81]] وهذا عام في كل نبي، فأيما نبي وجد في الشام أو العراق أو باكستان أو خرسان وبعث نبي آخر، فهذا النبي الموجود يؤمن بذلك النبي ويقف إلى جنبه ويؤيده وينصره؛ لأن دعوتهما واحدة، وهي دعوة الله عز وجل.
فاللفظ القرآني عام: وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ ثم قال لهم: أَأَقْرَرْتُمْ قَالُوا أَقْرَرْنَا إذاً: فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ [آل عمران:81].
إذاً: ما من نبي ولا رسول يبعث إلا ويؤخذ عليه الميثاق أنه إذا بعث رسول أو نبي أن يكون وراءه؛ يؤيده وينصره، أم أنهم يتخاصمون ويحسد بعضهم بعضاً؟! هل يقول أحدهم: اذهب أنت إلى الشام ودعني أنا في فلسطين؟! حاشاهم! لن يكون هذا؛ لأن الله طهرهم وهم في أصلاب آبائهم وأرحام أمهاتهم، وهذا المرض يكون في غيرهم: الكبر والحسد والاستيلاء على المنطقة، وأن يكون أتباعه أكثر من أتباع الآخرين، كما يفعل العلماء عندنا اليوم، أما هؤلاء فمصطفون مختارون، كل همهم رضا الله وما يطلبه الرحمان منهم.

أولاً: دعوة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام

قال: [فأولاً: دعوة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام] إذ سألا ربهما أن يبعث في ذريتهما نبياً رسولاً يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم، واستجاب الله لذلك [فقد أخبر تعالى عنهما أنهما سألاه أن يبعث في ذريتهما رسولاً منهم، جاء ذلك في قول الله تعالى من سورة البقرة: رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ [البقرة:128-129]] أين قال إبراهيم وإسماعيل هذا؟ قالاه وهما يبنيان الكعبة.
كانا يتقاولان هذه الأقوال وهما يبنيان الكعبة منذ ستة آلاف سنة وزيادة.
ومن حفظ لنا هذه الدعوة؟ إنه الله! أنزلها علينا في كتابه، فكأننا مع إبراهيم وإسماعيل في مكة وهما يبنيان البيت.
قال: [كما أخبر هو بنفسه صلى الله عليه وسلم مقرراً هذه الحقيقة مؤكداً لها فقال: (أنا دعوة أبي إبراهيم وبشارة أخي عيسى)].
أخبر بهذا النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (أنا دعوة أبي إبراهيم) أي: كنتُ بهذه الدعوة.
ودعوة إبراهيم آية من سورة البقرة.
(وبشارة أخي عيسى)، وهل بشر عيسى بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم؟ أي نعم.
واقرءوا سورة الصف إذ فيها: وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ [الصف:6]، فكيف يكفر المؤمنون؟! لا يستطيعون! وهم يقرءون كتاب الله، وإن تعجبتم فاسمعوا قول الله تعالى من سورة آل عمران: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ

أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ [آل عمران:100]، وكم ارتد من المسلمين بعد أن صبحوا تلاميذ وطلاباً لأستاذة هم شر البرية من اليهود والنصارى!! ستقولون: يا شيخ كيف تقول هذا؟! فأقول: أما تتلمذ مئات الآلاف لأستاذة روس وأمريكان وإنجليز وفرنسيين؟ وبعدُ: ألا يطيع التلميذ أستاذة؟! لأنه إذا عصاه لا يتعلم! قال الله: إن تطيعوا فريقاً فريق الدكاترة والمختصين من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين * وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ [آل عمران:100-101]، هذا كلام الله جل جلاله وعظم سلطانه: وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ [آل عمران:101]، ولهذا متى تكون المناعة؟ تكون عندما تبعث الحكومة المسلمة البعثة الطلابية إلى روسيا أو أمريكا أو اليابان لتعلم الصناعة والمهن المادية لحاجة المسلمين إليها، وتبعث مع البعثة عالماً ربانياً، فيبيتون في بيت واحد، ويصلون الصلوات في ذلك البيت، ويتلون كتاب الله وهدي رسوله صلى الله عليه وسلم.

وقد قلنا هذا الكلام منذ أربعين سنة، فهل أخذ به العرب والمسلمون؟ لا.

لِمَ؟ لأنهم نائمون، ويقولون في مثل هذا الكلام: هذا من مظاهر التخلف والرجعية.

ويذهب المراهقون وينغمسون في بؤر الكفر والباطل ليتعلموا، فيأتون ممسوخين إلا من رحم الله.

هل هذا الكلام كلام حق أم خرافة؟ إن الله غارز الغرائز وطابع الطبائع هو الذي يخبر ويقول: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا [آل عمران:100]، ولم يقل: إن تطيعوا الذين أوتوا الكتاب؛ لأن الطاعة التي تؤثر هي طاعة الأساتذة والخبراء والفنيين والمستشارين، هؤلاء هم الذين تؤثر طاعتهم، فسبحان الله العظيم! لم يقل الله: إن تطيعوا الذين أوتوا الكتاب، وإنما قال: إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا [آل عمران:100] أي: مختصاً همه تكفيرنا وإبعادنا عن نور الله ورحمته، يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ [آل عمران:100] أي: أنكم لم تكونوا كافرين من قبل بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ [آل عمران:100].

ثم يقول: وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ [آل عمران:101] أي: كيف يتأتى لكم أن تكفروا؟! وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ [آل عمران:101]، هذا كلام عربي واضح المعنى: وقد عرف العدو هذا فأبعدنا عن القرآن، فلا تتلى علينا آياته ولا نجتمع لها ولا نسمعها ولا نحاول أن نتفكر فيها، وأُبعدت السنة كذلك؛ وحينئذ ذبحوا وسلخوا وصوروا وفعلوا العجب.

فهل عرف هذا علماء المسلمين وأهل الفقه فيهم؟! ولهذا أقول -والله شاهد-: يجب على الحكومة المسلمة من إندونيسا إلى موريتانيا -وليس عندنا تخصيص- إذا ابتعثت بعثة أن تنتقي الطلبة انتقاء خاصاً، فيكونوا من أصحاب العقيدة والبصيرة، ممن تجاوزوا سن المراهقة أيضاً، حتى لا يذوبوا في الأهواء والشهوات، أي: ممن بلغ الواحد والعشرين؛ لأن نظامنا يقول: لاعب ابنك سبعاً وأدبه سبعاً واصحبه سبعاً، فإذا بلغ الواحد والعشرين ذهب حيث شاء؛ فقد أمنت عليه.

هذه البعثة الطلابية سواء كانوا يتعلمون الكيمياء أو الهندسة أو الفيزياء أو المكنيك وسواء كانوا عشرين أو مائة أو ألفاً فإنهم يوضعون في منزل واحد؛ ليدرسوا في الكلية ويخرجون منها إلى منزل فيه يجتمعون ويتلون كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فيقيمون الصلاة، وبينهم عالم رباني يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم، كما هي دعوة إبراهيم و إسماعيل عليهما السلام.

هل فعل المسلمون هذا؟ لا.

إلا من رحم الله، كيف العائدون عندهم؟ كيف هم إلا من سلم الله؟! من عاد مريضاً ودخل مثل هذا المستشفى (المسجد) كل ليلة يتعلم الكتاب والحكمة يصح ويسلم، وتستنير بصيرته، ويعود إلى كماله، ولكن إذا عاد فإنه يعود إلى المقاهي والملاهي ومجالس الليل، فكيف يصبح؟ يزداد كرباً وهماً.

وا حر قلباه ممن قلبه شبم أين أمة الإسلام؟! عليها السلام! كتب أحدهم لي يقول: أنت أمت الناس وقضيت عليهم، وآخر يقول: من قال إن الناس هلكوا فهو أهلكهم! وأنا أقول: قصدي هو أن أبكي فقط.

فإذا كان كلامي هذا غير صحيح فسامحني الله، وإذا كان صحيحاً أجرني الله، وأنتم عليكم البلاغ.

ونعود لما كنا نتكلم عليه سابقاً: يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (أنا دعوة أبي إبراهيم) بمعنى: أن إبراهيم دعا ربه فاستجاب الله له، ألا تسمى هذه دعوة؟! بلى.

دعوة.

وهل هو أبوه؟ نعم.

فالجد الأعلى أب، وقد قال الله عز وجل: مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ [الحج:78].

فيا بني إسماعيل! ويا أيها العدنانيون! ويا أيها القرشيون! إن أباكم إبراهيم.

ويجوز أن تقول هذا أبي لكبر سنه -ولا حرج- وهذا ابني لصغر سنه.
البشارات الإلهية بمحمد صلى الله عليه وسلم في الإنجيل

قال: [وجاء في الإنجيل] إن النعوت والصفات والبشارات تلوح في أفق الكتب في التوراة والإنجيل، والإنجيل موجود يقرأه القسس والرهبان، ولكن يغمضون أعينهم عن الحق ويؤولونه.
والعرب كذلك أولوا -أيضاً- القرآن، قال لي أحد أهل العلم مرة: كيف تقولون إن الأولياء لا يعلمون الغيب؟ قلت: لا يعلم الغيب إلا الله، فقال: لا.
القرآن يشهد بذلك، أما قال تعالى: عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ [الجن:26-27] أو ولي.
قال: وهذه محذوفة فقط ولكن المقام يقتضيها!! إنه تحريف وتأويل؛ حتى يقال فلان يعلم الغيب، أو فلان يكاشف، فالكشف عندهم موجود، تجده ينظر إليك ويقول: أنت جئت لكذا، وهذا يقع بالتخمين ويصادف أنه جاء ليستدين أو ليستقرض أو لغير ذلك ..فيقول الحاضرون: خلاص كاشفه الشيخ!! ويصبح هؤلاء آلهة.
فلهذا تجده يحلف بالله سبعين مرة ولا يحلف بالشيخ أبداً، وتجد القاضي يصدر حكمه على فلان بأن يحلف لفلان فيقول: مستعد! ويحلف بالله أنه ما أخذ شاته ولا بعيره ولا لا..ولكن لو قال له: احلف بسيدي فلان؟ قال: لا أستطيع.
وعندنا حكاية -لطيفة- والرسول كان يقص مثل هذا ليسلي على أصحابه: صدر حكم على إنسان في قضية بينهما في مال أو بستان أو نعجة أو غير ذلك ..فقال له: تحلف بسيدي فلان؟! فقال: نمشي لنحلف، فلما وصلا إلى الضريح، قال له: أدخل رأسك في النافذة واحلف بحق سيدي فلان.
فأدخل ذاك رأسه وأراد أن يقول: وحق سيدي فلان ما أخذت من فلان كذا! وكان عند الآخر هراوة، فما إن أدخل ذاك رأسه حتى ضربه بالهراوة وتركه يتشحط في دمه وهرب، فلما سئل كيف ضرب هذا؟! قال: ضربه سيدي فلان؛ لأنه كذب عليه.
هذه أمة القرآن!! وتقولون: كيف يأكلون الربا؟ وكيف يبيحون كذا ..؟ لأنهم ما عرفوا الله ولا رسوله، أنجعل من شخص لا يعرف الله ولياً لله؟! لن يكون ولياً إلا إذا عرف الله فأحبه وخافه، ورهبه وعرف ما يحب وما يكره، وأخذ يتملق إليه في كل ساعة بذكره وعبادته.
هذا الذي تعجب منه إذا عصى الله وخرج عن أمره.
إذاً: ما الحيلة يا عباد الله؟! يجب أن نعود إلى بيوت ربنا كما كنا على عهد نبينا، هكذا كما نحن الآن -وطوال الحياة- من المغرب إلى العشاء، فأهل القرية أو المدينة يجلسون في بيت ربهم؛ ليتعلموا ليلة آية وليلة حديثاً -طوال الحياة- فيعلمون ويعملون ويكملون، وإن تجلى لك يومئذ فسق أو باطل أو هزيمة فقل: هذا ليس بدين، ولا هذا كلام رب العالمين.
فالجاهل لا يخاف الله أبداً، إذا احتاج إليك يشرب دمك، وإنما يخشى الله من عرف الله، وكيف نعرف الله؟ بدراسة كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، كما فعل رسول الله بين رجاله وأصحابه، كان الواحد منهم لا يحمل القلم ولا يعرف كيف يكتب ولا يقرأ، ولكن أصبحوا قضاة، وأصبحوا دعاة، وأصبحوا رجالات حرب، عن طريق التلقي.
إنها دعوة إبراهيم: رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ [البقرة:129]
أما نحن ففي المقاهي والملاهي والمقاصف واللعب والضحك طوال العام، فالحمد لله أنّ لدينا بقايا هدىً موجودة.
قال: [في تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان يكرز في برية اليهود] في صحراء اليهود [قائلاً: تربوا؛ لأنه قد اقترب ملكوت السماوات] أي: استعدوا، وربوا أنفسكم على الحق والكمال، وتهيئوا لحمل الرسالة؛ لأنه قد اقترب ملكوت السماوات، أي: الذي يملك بإذن الله الأرض [فقوله: "قد اقترب ملكوت السماوات" إشارة إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم وبشارة به وبقرب بعثته؛ إذ هو الذي ملك وحكم بقانون السماء الذي هو شرع الله تعالى] هذه بشارة عيسى في الإنجيل.
قال: [وجاء فيه أيضاً: قدم لهم مثلاً: قائلاً: "يشبه ملكوت السماوات حبة خردل أخذها إنسان وزرعها في حقله وهي أصغر جميع البذور، ولكن متى نمت فهي أكبر البقول" فهذه البشارة هي عينها التي في القرآن؛ إذ قال تعالى في سورة الفتح: وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ [الفتح:29]].

وأعطيكم فائدة: فلعل من السامعين من يعيش على مذهب غير مذهب الكتاب والسنة.
قال الإمام مالك : من أصابه غيظ إذا ذكر أبو بكر أو عمر أو عثمان أو عائشة أو صحابي فإنه كافر.
لِم قال ذلك الإمام مالك ؟ لأن الله يقول: لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ [الفتح:29] من هؤلاء الذين يغيظ بهم الكفار؟ أليسوا أصحاب رسول الله؟! أما قال الله عز وجل: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ [الفتح:29] فكل من يغتاظ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سمعهم أو دعي إلى محبتهم فهو كافر.هذه فتيا مالك .
ومن مالك هذا؟ إنه إمام المسجد النبوي، عاش في القرن الثاني مباشرة بعد المائة الأولى، أدرك ثلاثمائة صحابي، وستمائة تابعي، أي: تعلم على يد تسعمائة من الصحابة والتابعين.
فقولوا للذي إذا ذكر أبو بكر تغير وجهه وغضب: ويحك! ويحك! أغاظك الله بعبده ووليه! تب إلى الله عز وجل، واخرج من هذه الدائرة الضيقة، وادخل في رحمة الله، عليك أن تسأل أهل العلم، لِم تصر على الباطل والحنث العظيم؟ انج! اطلب نجاة نفسك، أنقذ نفسك وأهلك من ولد وامرأة، لِم الإصرار على الباطل؟ ولا لوم لأنا لم نبلغهم.
قال: [وجاء فيه أيضاً: أنطلق؛ لأني -إن لم أنطلق- لم يأتكم (البارقليط_ قال: سأذهب وأطلع إلى السماء ولم يقل أموت.
والبارقليط هو أحمد صلى الله عليه وسلم [فأما إن انطلقت أرسلته إليكم، فإذا جاء ذاك الذي يوبخ العالم على خطيئته] وقد عرفنا من أول درس أن العالم كان هابطاً، فالبشرية كلها ملتصقة بالأرض، وكان الظلم والشر والفساد، وقليل من المؤمنين هنا وهناك من أهل الكتاب.
هذه شهادة عيسى عليه السلام.
قال: [فهذه بشارة كاملة بالنبي الذي يوبخ العالم على خطيئته، إذ بعث صلى الله عليه وسلم والعالم كله في ظلمات الشرك والكفر، وقد مقت الرب تبارك وتعالى الناس عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب، وقد تقدم بيان ذلك].
قال: [وجاء في الزبور] والزبور هو كتاب داود عليه السلام.
وقد أخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم أن داود كان يقرأ القرآن قبل أن تسرج بغلته، ألهمه الله حفظ الزبور، البغلة تسرج له لأنه نبي...

وصلى الله على نبينا محمد.

بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم برسالة الإسلام الخالدة، وقد سبق مبعثه عليه الصلاة والسلام بشارات الأنبياء قبله، ودعوة إبراهيم الخليل وابنه إسماعيل، ومن الكتب السماوية التي جاءت بالبشارة عليه الصلاة والسلام؛ الزبور والتوراة والإنجيل، وبشر به علماء بني إسرائيل ممن خالطوا العرب قبيل بعثته صلى الله عليه وسلم.

تابع تباشير الصباح (البشارات بالرسالة المحمدية)

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.
قد انتهى بنا الدرس إلى هذه الشهادات وهي تباشير الصباح؛ الصباح الذي يولد فيه المصطفى صلى الله عليه وسلم، وهنا ألفت النظر إلى أن الغاية من دراسة السيرة النبوية والهدف منها والعلة المقصودة هي أن يزداد يقيننا في نبوته صلى الله عليه وسلم، وأن يزداد إيماننا ويقيننا برسالته صلى الله عليه وسلم، وفائدة ذلك -النماء والزيادة في اليقين- وثمرته: أن نحبه صلى الله عليه وسلم أكثر مما نحب كل شيء إلا ربنا عز وجل.
ثانياً: أن نطيعه طاعة الصدق، فنمتثل أوامره الموجهة المسعدة المعلية المعزة المكملة، ونجتنب ما ينهانا عنه؛ لعلمه ومعرفته وما أوحي إليه.
فهذه بعض ثمرات دراسة السيرة.
وأعود فأقول: لِم ندرس السيرة؟ من أجل أن يقوى إيماننا، فيصل إلى مستوى اليقين في أن محمداً صلى الله عليه وسلم رسول الله إلى الناس أجمعين، وهذا اليقين الذي جنيناه وحصلنا عليه من دراسة السيرة ما ثمرته؟ إنه يثمر لنا حبه صلى الله عليه وسلم أكثر من حبنا لكل شيء سوى ربنا عز وجل، ويثمر لنا طاعته، والانقياد له، والمشي وراءه؛ لأنه من لم يمشِ وراءه والله ما أفلح ولا فاز ولا نجح، فلا بد من المشي وراءه، واقرءوا لذلك قول الله تعالى: قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ [آل عمران:31] وحب الله عز وجل أمل كل مؤمن ومؤمنة؛ لأن من أحبه الله أكرمه، وأعزه، ورفعه إليه، وأسعده، ومن أبغضه الله أذله وأشقاه وأرداه.
وكيف نحصل على حب الله؟ الحصول عليه يكون بالمشي وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا عن يمينه ولا عن شماله، وأعوذ بالله أن نتقدمه، وإنما نمشي وراءه، فنأكل كما أكل، ونشرب كما شرب، ونركب كما ركب، وننام كما نام، ونصلي كما صلى، ونحج كما حج، ونقاتل كما قاتل، ونتكلم كما تكلم، وننظر ونلحظ كما نظر ولحظ؛ إذ هو أسوتنا وقدوتنا، قال الله عز وجل: لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ [الأحزاب:21].
فليست دراسة السنة من أجل أن نقول: فهمنا وعلمنا، أو أن فلاناً عليم، لا والله! هذا عبث وضياع للوقت، وإنما من أجل أن يزداد إيماننا ويقيننا، فيثمران لنا حبه واتباعه والمشي وراءه صلى الله عليه وسلم.
هل فهم الأبناء هذه الحقيقة أو ليس هناك حاجة إلى هذا؟

شهادات أهل الكتاب بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم

قال: [شهادات أهل الكتاب] اليهود والنصارى يشهد علماؤهم بأن هذا رسول الله، وأن هذا دين الحق، وأن هذه هي أمة العز والكمال، فشهادة أهل الكتاب أي: شهادة علماؤهم ورجال الفضل فيهم.
قال: [قال بعض أهل المدينة ممن أنعم الله عليهم بنعمة الإسلام فأسلموا لله ظاهراً وباطناً] كعبد الله بن سلام ، ماذا قالوا؟ [إن مما دعانا إلى الإسلام -مع رحمة الله وهداه لنا- أن كنا نسمع من رجال يهود؛ إذ كنا أهل شرك وأصحاب أوثان، وكانوا أهل كتاب عندهم علم ليس عندنا] إذاً هذا قول المشركين من العرب، لما دخلوا في الإسلام وهذه شهادتهم.
قالوا: [وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور -أي: حروب- فإذا نلنا منهم بعض ما يكرهون] بالسب أو الضرب أو الشتم أو أخذ المال [قالوا لنا: إنه قد تقارب زمان نبي يبعث فنقتلكم معه قتل عاد وإرم، فكنا كثيراً ما نسمع ذلك منهم،

فلما بعث الله رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم أجبناه حين دعانا إلى الله، وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به، فبادرناهم إليه فآمنا، وكفروا به وكذبوه، وفيهم نزلت هذه الآيات من البقرة: وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ [البقرة:89].
وقال ابن الهيبان اليهودي -عند موته بالمدينة وقد جاء من الشام-: يا معشر يهود! ما ترونه أخرجني من أرض الخمر والخبز إلى أرض البؤس والجوع؟] وأرض الخمر والخبز هي الشام، وأرض الجوع والفقر هي الجزيرة العربية.
قال: [فقالوا له: أنت أعلم.
فقال: إني قدمت هذه البلدة أتوقع خروج نبي قد أظل زمانه، هذه البلدة مهاجره، فكنت أرجو أن يبعث فأتبعه، إنه قد أظلكم زمانه فلا تُسبقُن إليه يا معشر يهود!!] أي: عجلوا وادخلوا في الإسلام، هذا ابن الهيبان جاء من الشام إلى المدينة وقال: يا يهود! لم جئت من بلاد الخبز واللحم والخنزير إلى بلد الجوع؟ فقالوا: أنت أعرف.
فعلمهم أن نبياً قد أظل زمانه، وأن عليهم أن يؤمنوا به حتى يسعدوا ويكملوا ثم مات.
قال: [وقال صاحب عمّورية -وكان على دين المسيح- لسلمان الفارسي وقد تنقّل إليه من رجل دين إلى آخر حتى انتهى إليه بوصية وُصي بها، وقد حضره الموت قال له: والله ما أعلم أنه أصبح اليوم أحد من الناس على مثل ما عليه هؤلاء -الرهبان الذين تنقل بينهم سلمان - آمرك أن تأتيه، ولكنه قد أظل زمان نبي هو مبعوث بدين إبراهيم عليه السلام، يخرج بأرض العرب، مهاجره إلى أرض بين حرتين بينهما نخل -إنها المدينة ورب الكعبة- به علامات لا تخفى، يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة، بين كتفيه خاتم النبوة، فإن استطعت أن تلحق به بتلك البلاد فافعل].

وسلمان الفارسي كان والده مُوقد نار المجوسية في بلاد إيران -في الفرس- ولكن سمع بعض الكلام من أفواه الناس بأن نبياً قد أظل زمانه، فأخذ يتنقل من بلد إلى بلد حتى وصل المدينة في خلال عشرين سنة تقريباً، وبيع عبداً مرتين.
وعلى كل حال للحديث بقية، والله تعالى أسأل أن يزيدنا يقيناً في إيماننا واتباعاً لنبينا وحباً له صلى الله عليه وسلم، وصل اللهم عليه وسلم تسليماً.

دعوة إبراهيم عليه السلام

تقدم لنا في البشارات: أولاً: دعوة إبراهيم عليه السلام.
فإبراهيم عليه السلام سأل الله أن يرزق أولاده وذريته نبياً فماذا قال؟! قال الله تعالى: رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ [البقرة:129] متى قال هذا إبراهيم؟ قاله وهو يبني الكعبة مع ولده إسماعيل بن هاجر عليهم السلام، واستجاب الله بعد مئات السنين فبعث في ذريته محمداً صلى الله عليه وسلم، أي: تأخرت الدعوة أكثر من ثلاثة آلاف أو ألفين سنة.

أخذ الميثاق له صلى الله عليه وسلم من كل نبي ورسول

ثانياً: أخذ الميثاق له صلى الله عليه وسلم من كل نبي ورسول، فما أرسل الله رسولاً إلا أخذ عليه عهداً إذا بقي حياً وجاء محمد فيجب أن يؤمن به وأن يمشي وراءه، وجاء هذا في قول الله تعالى من سورة آل عمران: وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ [آل عمران:81].
فكيف إذاً بالصعاليك من الناس لا يؤمنون به ولا ينصرونه؟! إن الأنبياء صفوة الخلق أُخذ عليهم العهد والميثاق أن يؤمنوا به صلى الله عليه وسلم وأن ينصروه.

بشارات الكتب السماوية

ثالثاً: بشارات الكتب الإلهية من التوراة والإنجيل والزبور، وقد تقدم لنا بشارة التوراة والإنجيل وما جاء فيهما.
والآن مع الزبور .
على من أنزل الزبور؟ أنزل على داود بن سليمان عليه السلام.
والزبور لا يتضمن أحكاماً، بل يتضمن قصصاً وأخباراً وتربية روحية، أما الأحكام فهي موجودة في التوراة.
[وجاء في الزبور: ومن أجل هذا بارك الله عليك إلى الأبد] هذا الله يخاطب رسوله داود [فتقلد أيها الجبار بالسيف؛ لأن البهاء لوجهك، والحمد الغالب عليك.
اركب كلمة الحق، وسمة التأله، فإن ناموسك وشرائعك مقرونة بهيبة يمينك، وسهامك مسنونة، والأمم يخرون تحتك] هذا كلام الله لداود، والمقصود به وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم.
وهذه صفات نبينا في الزبور: قال: [من أجل هذا بارك الله عليك إلى الأبد] بارك على من؟ على محمد صلى الله عليه وسلم، إلى متى؟ إلى يوم القيامة، فكل الشرائع انقضت بعصورها وأزمنتها وقرونها وأممها إلا هذه الشريعة باقية إلى الأبد، وهذا دليل على خلود هذه الملة وبقائها ما بقيت الإنسانية.
قال: [فتقلد أيها الجبار] لأن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ما كان مسكيناً ضعيفاً، بل حمل راية الجهاد من يوم أن قال الله عز وجل: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ [التوبة:73]، وحسبك أن تعرف أنه خاض سبعة عشر غزوة بيديه ورجليه في مدة عشر سنوات، كانت النار فيها مشتعلة والرسول صلى الله عليه وسلم يقود الأمة إلى الجهاد.
نعم، إنه جبار عظيم.
ثم قال: [فتقلد أيها الجبار بالسيف] أي: احمل السيف، قال صلى الله عليه وسلم: (بعثت بين يدي الساعة بالسيف، وجعل رزقي تحت ظل سيفي)، هل قعد صلى الله عليه وسلم عن غزوة من الغزوات؟ ما قعد.
حتى دانت الجزيرة كلها من شرقها إلى غربها ومن شمالها إلى جنوبها بالإسلام، ومن ثَمَّ أدى مهمته وقبضه الله إليه ورفعه.
قال: [لأن البهاء] الجمال والحسن (جهك)، وهو كذلك، (والحمد الغالب عليك، اركب كلمة الحق) أي: الزمها، ولا تفارقها أبداً مهما كانت الدنيا، وهل يعدل الرسول عن الحق؟! اركبها ركوباً.
قال: [وسمة التأله] وهو التعبد.
وكأنه راهب، وكأنه أبطل مخلوق في الأرض في الجهاد والقتال، ولهذا جيء الوصف لأصحابه بأنهم رهبان بالليل أسود بالنهار.
رهبان بالليل يبيتون يبكون بين يدي الله، ويعفرون وجوههم بالتراب والدموع تسيل على خدودهم، وفي النهار أسود، ليسوا بأولئك الذين كانوا يتململون في التراب راكعين ساجدين، فهم رهبان بالليل أسود بالنهار.
قال: [فإن ناموسك وشرائعك مقرونة بهيبة يمينك] أي: وحيك وشرعك وما جئت به مقرون بهيبة يمينك، وإلى الآن إذا رفعت راية لا إله إلا الله وحملها الأسود وقادوها فإن القوة هي التي تخضع لهم غيرهم.
قال: [وسهامك مسنونة، والأمم يخرون تحتك] إي نعم، أين فارس والروم الدولتان العظميان؟! أيام بعثته كلتاهما خر تحت رجلي محمد صلى الله عليه وسلم.
هذه كلمات الله في الزبور في وصف النبي محمد صلى الله عليه وسلم، واليهود يقرءون هذا ويحرفونه كما حرف المسلمون كلام الله وكلام رسوله بحسب أهوائهم وأطماعهم وشهواتهم، فلا عجب أبداً.

بشارات بعض أنبياء بني إسرائيل بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم

قال: [رابعاً: قال أشعيا النبي عليه السلام] أشعيا هو نبي من أنبياء بني إسرائيل؛ لأن أنبياء بني إسرائيل قرابة العشرين ألفاً ليسوا بقليل [وُلد لنا غلام] أي: طفل [يكون عجباً] متى قال أشعيا هذا؟ قبل ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي مثل: أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ [النحل:1]، وما زال هناك قروناً، ولكن لما كان الأمر مقطوعاً بوقوعه أخبر وأعلن عنه بصيغة الماضي.

[وبشراً، والشامة على كتفيه] والشامة هي علامة كالوشم الذي في الخد، والجهال يجعلونه في أيديهم أو في جباههم، هذه الشامة بين كتفيه شاهدة بأنه نبي الله ورسوله، وقد شاهدها المؤمنون وعرفها حتى المؤمنات من أزواجه صلى الله عليه وسلم.
[أركون السلام] والأركون معناه العظيم بلغة الإنجيل [وسلطانه سلطان السلم، يجلس على كرسي داود] لأن داود حكم وملك الشرق الأوسط بكامله ورسول الله كذلك جلس على كرسيه.
[وقال أيضاً] هذا أشعيا [قيل لي: قم ناظراً، فانظر ماذا ترى؟ قلت: أرى راكبين مقبلين، أحدهما على حمار، والآخر على جمل] هذا وحي أوحاه الله إلى أشعيا، هتف به هاتف سواء في المنام أو اليقظة؛ لأن رؤيا الأنبياء وحي.
وهذه قاعدة محفوظة.
قال أشعيا: (قيل لي: قم)، بمعنى أنه كان جالساً أو نائماً (ناظراً، فانظر ماذا ترى، قلت: أرى راكبين مقبلين، أحدهما على حمار، والآخر على جمل) الذي على الحمار هو عيسى عليه السلام؛ لأن فلسطين ليس فيها جمال، وإنما الجمال في الصحراء، والعالم كله ما بين حمار وبغل إلا بلاد الصحارى يركبون فيها الجمال.
[ويقول أحدهما لصاحبه: سقطت أصنام بابل] وبابل هي أرض العراق، كانت أصنامها عدد الكواكب، فكلها وثنية [للبحر] أي: سقطت إلى البحر [إن الراكبين هما عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم، وسقوط أصنام بابل كان على يد أمة محمد صلى الله عليه وسلم] وهذا حق فهل هناك من يكذب؟! إلا أحمق.
[وقال حزقيل عليه السلام] وهو أحد أنبياء بني إسرائيل [وهو يصف للناس أمة محمد صلى الله عليه وسلم] كان يصف لبني إسرائيل أمة محمد وهي ما وُجدت بعد ولا وجد نبيها، ولكن بوحي الله في كتابه وتنزيله به يعرفون.
لنسمع إلى حزقيل وهو يصف أمة محمد، أي: يصفنا نحن -والحمد لله- ماذا يقول؟ قال: [إن الله يظهرهم عليكم] أي: إن الله تعالى يظهر أمة محمد عليكم يا بني إسرائيل.
وفعل أو لم يفعل؟ فعل.
أظهر المسلمين على اليهود والنصارى [وباعث فيهم نبياً] وباعث في أولاد إسماعيل العدنانيين نبياً [ومنزل عليهم كتاباً] ضخماً عظيماً والتنكير للتفخيم، ألا وهو القرآن الكريم، هل هو كتاب عظيم أم لا؟! إنه عظيم، ومن شك نحن نقول له: تجتمع البشرية كلها على أن تأتي بسورة من مثل سوره، فهذا الكتاب حوى علوم الأولين والآخرين، والملكوت الأعلى والملكوت الأسفل، والغيوب التي ما وقعت ولم تقع إلا بعد آلاف السنين وفصلها تفصيلاً، فهل يقوى على هذا الكلام أحد؟! قال: [ويملكهم رقابكم فيقهرونكم ويذلونكم بالحق] و(بالحق) هذه تزن الدنيا وما عليها، فنحن لا نذل ولا نملك رقاب البشر إلا بالحق، لأننا رسل ربهم؛ لإنقاذهم وهدايتهم وإسعادهم، فإن استجابوا دخلوا في رحمة الله وكملوا وسعدوا في الدنيا والآخرة، وإن لووا رءوسهم ورفضوا وأبوا إلا الشر والخبث والظلم والفساد أدبناهم، فنحن نذلهم حتى يذعنوا للحق ويستسلموا له.
آه لو كان الإسلام حاكماً وسائداً في الدنيا لما رأيت ظلماً، ولما شممت رائحة خبث، وعندما ساد الإسلام كان يمشي الرجل من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، وعندنا مثال صغير -وإن كان أكثر الناس لا يفهمون- والله لقد كنا نسكن في المدينة بلا أبواب، فكانت بيوتنا بلا أبواب، وكان بائعو الذهب -أبوابهم الآن من حديد- والله لا يضعون على الباب إلا خرقة بالية! ما سبب هذا؟ إنه تحكيم شريعة الله، والإذعان والخضوع لحكمه عز وجل.
إن عبد العزيز تغمده الله برحمته أقام هذه الدولة على أربعة أركان وضعها الله جل جلاله وعظم سلطانه، فهيا نندب حتى يسيل الدم من وجوهنا؛ ليستقل لنا نيف وأربعون دولة أو إقليماً -من إندونيسيا إلى موريتانيا- ما استطاع فيها شعب ولا حاكم أن يقيم دولته على هذه الأركان الأربعة، وكأننا لا نؤمن بالله ولا بكتابه ولا بلقائه، ثم نسأل ونقول: لِم أذلنا اليهود؟ لِم حصل لنا ما حصل؟ لو آخذنا الله بذنوبنا لمسخنا؛ لإعراضنا عن دينه وكتابه وشرعه.
لقد جاء الله بهذه الدولة على يد هذا الرجل لا لشيء، إلا لتقوم الحجة لله، ونقول للذين يكفرون بالقرآن ويسخرون بالسنة ويستهزئون بالتعاليم الإلهية: تعالوا نريكم الأمن والطهر والصفاء كيف تحقق على هذا المبدأ القرآني!
واستمعوا الآن إلى الأركان: يقول تعالى في سورة الحج: الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ [الحج:41] ماذا فعلوا؟ أَقَامُوا الصَّلاةَ [الحج:41]، هل أقيمت الصلاة إجبارياً من إندونيسيا إلى موريتانيا؟ أسألكم بالله! أو أنكم لا تعرفون؟! قال الله: وَآتَوُا الزَّكَاةَ [الحج:41] هل جبيت الزكاة رسمياً من الشعب المؤمن من إندونيسيا إلى الدار البيضاء؟ لا.
أما الضرائب فنعم، فادحة، مثقلة، محطمة للأعناق والكهول.

أما الزكاة لا، دعهم يزكون من أنفسهم، وكلامي هذا مسجل عند الله من أربعين سنة وزيادة، فمن يبلغ؟ ليس هناك بلاغ.
قال: الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ [الحج:41] ماذا فعلوا؟ فتحوا أندية اللهو والباطل؟! لا.
بل أَقَامُوا الصَّلاةَ [الحج:41] وما معنى أقاموها؟ أي: إذا أذن المؤذن -في هذه المملكة قبلما تختلط وتصبح بهذه الصورة- لا يمكن أن تعود إلى بيتك بل تمشي رغم أنفك إلى المسجد ولو كنت على غير وضوء، حتى قيل: صلاة سعودية لا طهارة ولا نية.
فإذا سئل أحدهم: هل صليت يا فلان؟ قال: صليت صلاة سعودية لا طهارة ولا نية؛ لأنه لم يكن متوضئاً ولا ناوياً الصلاة، ولكن الهيئة ألزمته فدخل المسجد وصلى حتى لا يألف الفرار والهرب.
قال: وَآتَوُا الزَّكَاةَ [الحج:41] وماذا فعلوا: وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ [الحج:41] هل وجدت هيئة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من إندونيسيا إلى موريتانيا؟ أليسوا بمؤمنين؟! أهم مسحورون؟! لا.
لا يمكن أن يسحر شعب بكامله.
ثم نقول: كيف أذلتنا اليهود، ومزقت شملنا أوروبا وفعلت بنا ما فعلت؟ هل نحن في خير أم أننا نستحق بذنوبنا الخراب والدمار؛ لأننا عرفنا وأعرضنا؟! إذاً: ومن يوم أن قامت هذه الدولة -وهي آية من آيات الله- والعرب والمسلمون والشياطين والدنيا كلها تريد إهباطها، وإلى هذه الدقيقة، يقولون: لمَ يبق هذا الوجود؟ وإذا قلنا هذا القول قالوا: هذا عميل! وهذا ذَنب! إنها لغة الهابطين.
تعالوا نتحداكم في العمالة، ما هي هذه العمالة، أتجحدون دين الله وتغطون ستر الله ونصره؟! خائفين من كلمة عمالة؟ أي عمالة هذه؟! لمَ لا نقوم غداً أو بعد غد ونسمع أن الإقليم الفلاني أو الدولة الفلانية عادت إلى الحق وأقامت الدولة على أركانها الأربعة، وأجبرت الشعب على الصلاة، المدني كالعسكري، الكل يقيمها.
إن إقام الصلاة يخفف من الزنا والعهر والباطل والشر والمنكر في المجتمع بنسبة خمسة وسبعين في المائة، هذا فقط إقام الصلاة.
عرفتم لماذا نغضب ونبكي؟ من حقنا أن نبكي حتى نموت، إلى متى ونحن مؤمنون غير مؤمنين؟ ومسلمون غير مسلمين؟ من ينقذ البشرية؟ إن ملايين اليابانيين والصينيين والأمريكان والأوروبيين سيذهبون إلى جهنم، فمن ينقذهم؟ من المسئول عنهم؟ إننا نحن الورثة، ولكنا أصبحنا بوضعية يقال عنها: إذا كان الإسلام كهؤلاء فلا نسلم، تجد فينا التلصص والإجرام والخيانة والخلق السيئ، فما الذي يدعوهم هؤلاء إلى الإسلام.
وقد أسلم فرنسي منذ زمن وكتب كتاباً، فقال: لو عرفت المسلمين قبل أن أعرف الإسلام ما قبلته ولا دخلت فيه، ولكن عرفت الإسلام من طريق الكتب فأعجبني وأسلمت، لكن لما دخلت بلاد العرب والمسلمين قلت: ما هو هذا الإسلام.
هل أنتم مقتنعون أن هذا هو الإسلام؟ هل يسمح الإسلام بثلاث وأربعين دويلة؟ هل يسمح لهم بالمقاطعة والعناد والحرب والتآمر على بعضهم البعض؟! أعوذ بالله.
وآيتنا أن أذلنا الله بأبناء عمنا اليهود، حفنة من اليهود عددهم خمسة ملايين أذلوا ألف مليون وأهانوهم وكسروا أنوفهم؛ علماؤهم وصلحاؤهم وأغنياؤهم، الكل راكع وساجد تحت سلطان اليهود، من فعل هذا اليهود؟ أعوذ بالله.
وهل يقدرون على هذا؟! فعل هذا الله جل جلاله وعظم سلطانه، لعل المسلمين يفيقون من سكرتهم أو ينهضون من كبوتهم ويقولون: لا إله إلا الله محمد رسول الله.
ولكن ما زال النوم مخيماً، فلا تقولوا كيف هذا؟! إذاً: [قال حزقيل عليه السلام وهو يصف للناس أمة محمد صلى الله عليه وسلم: إن الله يظهرهم عليكم، وباعث فيهم نبياً، ومنزل عليه كتاباً، ويملكهم رقابكم فيقهرونكم ويذلونكم بالحق].
هذا الجار والمجرور (بالحق) يزن الدنيا وما فيها، فالإسلام لا يذل آدمياً ولا يهينه بالباطل، وإنما بالحق.
[ويخرج رجال من بني قيذار في جماعات الشعوب ومعهم ملائكة على خيل بيض متسلحين فيحيطون، وتكون عاقبتكم إلى النار] وبنو قيذار هم ربيعة ومضر من ولد إسماعيل، وكانت الملائكة معهم على خيول -والله العظيم- وشاهدوهم في بدر، وصدق حزقيل عليه ألف سلام وسلام.
قال: [وقال دانيال عليه السلام] ودانيال من أنبياء بني إسرائيل أيضاً وله كلام طويل:[فظهر لي الملك في صورة شاب حسن الوجه] هو يحدث بني إسرائيل بالذي شاهد في منامه أو في يقظته، والأنبياء منامهم وحي، فلنستمع إلى

كلماته الطيبة، ونحن قد عرفنا عن دانيال -سابقاً- خط الرمل والسحر، وتعرفون خط الرمل والتدجيل الذي عندنا، قالوا: إنهم أخذوه عن دانيال، وحاشا دانيال أن يسحر ويدجل.
قال: [فقال: السلام عليكم يا دانيال] الله أكبر! هنيئاً له أو لا! نحن يسلم علينا ملك في النوم فقط، كيف نستطيع نحيا من الحب والولاء، [إن الله يقول] هذا جبريل يتكلم [إن بني إسرائيل أغضبوني] الله أكبر! وأمة محمد -في الجملة- من إندونيسيا إلى موريتانيا أغضبوا ربنا إلا من رحم الله، أيعاكسون ويعاندون ويتمردون على شرعه ولا يغضب؟! وعندنا أحاديث تدل على غضب الله في أدنى مسألة وجزئية، وليس الإعراض الكامل عنه.
قال: [وتمردوا علي، وعبدوا من دوني آلهة أخرى] ونحن عبدنا سيدي عبد القادر ، وسيدي مبروك ، وسيدي خالد ، وسيدي البدوي ، وسيدي رسول الله، و فاطمة ، و الحسين ، وما تركنا شيئاً إلا وعبدناه، هذا في الجملة، ولا تقولوا: إن كل الأمة هكذا، لكن هذا الظاهر، فالزرد والمواسم والحفلات والذبائح والنذور ملأت الدنيا، وما زال هذا واقعاً في كثير من ديارنا.
قال: [وصاروا من بعد العلم إلى الجهل] سبحان الله! هؤلاء كأنهم نحن، فهذا دانيال يتكلم عن بني إسرائيل وإذا بالواقع ينتقل إلينا، فنحن صرنا من بعد العلم إلى الجهل، وليس من الآن فقط، ولكن من قبل ألف سنة ونحن هابطون.
قال: [ومن بعد الصدق إلى الكذب] كل صحفكم -يا قوم- ومجلاتكم مملوءة بالكذب على ألسنتكم، أما الكذب الشائع بيننا فادخل إلى السوق وماشي فلان أو اجلس مع فلان واسمعه، تجد أن نسبة الصدق فينا واحد إلى خمسين، مع أن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: (إياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً)، ورغم هذا الإصلاح والحركة لا تزيد نسبة الصدق على خمسين في المائة، ولكم أن تجربوا ذلك، وقد عرفناه.
قال: [فسلطت عليهم بختنصر، فقتل رجالهم وسبى ذرياتهم، وهدم بيت مقدسهم وحرق كتبهم] ونحن ماذا فعل الله بنا؟ سلط علينا بريطانيا وإيطاليا وفرنسا وهولندا فأذلونا، ومزقونا، وشردونا، أو ليس هذا بصحيح؟! لو كنا ربانيين أولياء لله صالحين فهل يسلط علينا الكفار ليحكموننا؟ هل يمكن هذا؟! مستحيل! قال الله عز وجل: وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا [النساء:141] أي: أهل الإيمان الحق الذين ينطبق عليهم وصف الإيمان.
قال: [وكذلك فعل من بعده بهم] من الروم [وأنا غير راض عنهم] عمن؟ عن شعب الله المختار، عن بني إسرائيل أولاد الأنبياء وأحفاد المرسلين، لم لا يرضى الله عنهم ويسخط عليهم؟ لأنهم أحلوا الحرام وعطلوا الأحكام، وانجروا وراء الشهوات كما هو واقع المسلمين اليوم، يقول الله عز وجل: فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا * وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ [النساء:160-161] هذا فيهم وقد لبسنا نحن ثيابهم.
قال: [ولا مُقيلهم عثراتهم] لأنهم أعرضوا عنا وتركونا فنتركهم [فلا يزالون مغلوبين، عليهم الذلة والمسكنة] ذاك الذل والهون والدون الذي كان في بني إسرائيل ما إن بعث محمد صلى الله عليه وسلم وآمن به من آمن منهم ودخل تحت رايته أصبح بذلك أعز أهل الأرض وأسماهم وأطهرهم.
قال: [حتى أبعث فيهم نبياً من بني إسماعيل] أي: العرب العدنانيون إلى قريش وبني هاشم.
قال: [الذي بشرت به هاجر] وهي أم إسماعيل، بشرت بمن؟ بمحمد صلى الله عليه وسلم [وأرسلت إليها ملاكي فبشرّها.
وأوحي إلى ذلك النبي وأعلمه الأسماء وأزينه بالتقوى] ليس بالملابس والعطر والصابون وإنما بالتقوى [وأجعل البر شعاره] والبر هو الخير، فيكون علامة تميزه [والتقوى ضميره، والصدق قوله، والوفاء طبيعته، والقصد سيرته، والرشد سنته، أخصه بكتاب مصدق لما بين يديه، وناسخ لبعض ما فيها، أُسري به إلي من سماء إلى سماء حتى يعلق فأدنيه، وأسلم عليه، وأوحي إليه، ثم أرده إلى عبادي بالسرور والغبطة] وهذا كان درسنا بالأمس.
قال: [حافظاً لما استودع، صادعاً بما أمر] فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ [الحجر:94] [يدعو إلى توحيدي باللين من القول، والموعظة الحسنة، لا فظ ولا غليظ، ولا صخاب في الأسواق، رءوف بمن والاه، رحيم بمن آمن به، خشن على من عاداه] لين ولكن على من عاداه خشن، واقرءوا قول الله تعالى: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا [الفتح:29].

قال: [فيدعو قومه إلى توحيدي وعبادتي] إذ جاء بكلمة لا إله إلا الله [ويخبرهم بما رأى من آياتي فيكذبونه ويؤذونه] الله أكبر! عليك ألف سلام يا دانيال، فقد أشبعنا هذه الليلة، نسأل الله أن يجمعنا به في دار السلام، ونذكر هذه الجلسة.

إن الإرهاصات الدالة على قرب البعثة المحمدية، وسطوع فجر الإسلام، لم تقتصر على بشارات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كما جاءت بها الكتب السماوية من زبور وتوراة وإنجيل، بل شملت البشارات التي كان يبشر بها علماء وحكماء أهل الكتاب، والبشارات التي هتف بها الجن في بني البشر بخروج النبي الخاتم، إضافة إلى الأحداث العظيمة التي سبقت بعثته والتي مثلت توطئة لها كحادثة إهلاك أصحاب الفيل لما أرادوا غزو البيت.

تابع تباشير الصباح (البشارات بالرسالة المحمدية)

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.
أما بعد: قد انتهى بنا الدرس إلى مقطوعة تباشير الصباح، وكان منها: أولاً: دعوة إبراهيم عليه السلام في قول الله تعالى: رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ [البقرة:129].
ثم بشارة عيسى -روح الله- عليه السلام؛ إذ قال تعالى عنه في سورة الصف: وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ [الصف:6] وفي الحديث يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (أنا دعوة أبي إبراهيم وبشارة أخي عيسى).
كما جاءت بشارات الكتب الإلهية: التوراة والإنجيل والزبور.وقد مر بنا هذا ووقفنا عليه.

ثم شهادات أهل الكتاب، وآخر تلك الشهادات شهادة صاحب عمّورية، وإليكم شهادته: قال صاحب عمورية -وكان على دين المسيح- لسلمان الفارسي الذي قال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم: (سلمان منا آل البيت) وقد انتقل إليه من رجل دين إلى آخر؛ لأن سلمان الفارسي انتقل من بلاد فارس إلى بلاد العرب وقد كان والده -والعياذ بالله تعالى- هو ناظر معبودهم، أي: النار التي يعبدونها، ولكن الولد أراد الله هدايته ورحمته فهرب وأخذ يتنقل ويبحث عن الدين الصحيح من رجل إلى صاحب عمورية هذا فأوصاه بوصية: قال له هذا المسيحي وهو يموت -ولا يعرف إلا الصدق في هذه الحالة-: والله! ما أعلم أنه أصبح اليوم أحد من الناس على مثل ما كان عليه هؤلاء -أي: الرهبان الذين تنقل بينهم سلمان يروي عنهم ويتعلم- آمرك أن تأتيه، ولكنه قد أظل زمان نبي هو مبعوث بدين إبراهيم عليه السلام، يخرج بأرض العرب، مهاجره إلى أرض بين حرتين بينهما نخل -والله إنها للمدينة- به علامات -أي: بهذا النبي إذا ظهر علامات تدل على نبوته- لا تخفى: فهو يأكل الهدية، ولا يأكل الصدقة.
وقد امتحنه سلمان بهذا، فجاءه اليوم الأول بصدقة فردها عليه وقال: أعطها لمستحقها، ثم جاء في اليوم الثاني بهدية فقبلها منه وأثنى عليه خيراً صلى الله عليه وسلم.
قال: وبين كتفيه خاتم النبوة، فإن استطعت -يا سلمان - أن تلحق به بتلك البلاد فافعل.
وقد مشى سلمان يتنقل وبيع -فيما أُذكر- مرتين عبداً، حتى أتى المدينة وهو عبد يشتغل في البساتين.
إذاً: هذه شهادات أهل الكتاب.

هتاف الجن ببشرى النبوة المحمدية

قال: [هتاف الجن بالبشرى] هتاف الجن وصياحهم ورفع أصواتهم ببشرى النبوة المحمدية، فكان أولاً: بشارات أهل الكتاب وشهاداتهم نبوته صلى الله عليه وسلم، والآن شهادة الجن -أيضاً- بذلك.
[إن من جملة تباشير الصباح -التي سبقت طلوع الفجر المحمدي-: أن كثرت الشهب في السماء، ورجمت الشياطين، الأمر الذي اندهش له الناس وفزعت له الكهان من نساء ورجال، وهذا سواد بن قارب رضي الله عنه يمر بين يدي عمر بن الخطاب ، فيقول له رجل: يا أمير المؤمنين! هل تعرف من المار؟ فيقول عمر : لا، ومن هو؟ فيقول له:

هذا سواد بن قارب الذي أتاه رئيّه] والرئي هو الجن الذي يلازم الشخص ويصاحبه ويتراءى له في خلاه [بظهور النبي صلى الله عليه وسلم، وعندها أرسل إليه عمر فجاء، فقال له: أنت سواد بن قارب ؟ قال: نعم.
قال: أفأنت على ما كنت عليه من كهانتك؟ فغضب سواد وقال: ما استقبلني بهذا أحد منذ أسلمت يا أمير المؤمنين] أي: كيف تقول لي هذا يا عمر ؟ لأن عمر قال له: أفأنت على ما كنت عليه من كهانتك؟ وكان كاهناً، ولهذا يرى الجن [فقال عمر : سبحان الله! ما كنا عليه من الشرك أعظم مما كنت عليه من كهانتك] أي: وما تألمنا ولا غضبنا. فالكهانة أخف من الشرك قطعاً، وبهذا خفف عنه ما عاناه.
[فأخبرني بإتيانك رئيك بظهور النبي صلى الله عليه وسلم، قال: نعم يا أمير المؤمنين، بينما أنا ذات ليلة بين النائم واليقظان، إذ أتاني رئيي فضربني برجله وقال: قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالتي، واعقل إن كنت تعقل، إنه قد بعث رسول من لؤي بن غالب يدعو إلى الله وإلى عبادته، ثم أنشأ يقول: عجبت للجن وتطلابها وشدها العيس بأقتابها] والعيس هي الإبل البيض.
[تهوي إلى مكة تبغي الهدى ما صادق الجن ككذابها فارحل إلى الصفوة من هاشم ليس المقاديم كأذنابها] وقطعاً ليس المتأخر كالمتقدم.
أي: فعجل بالدخول في الإسلام.
[ثم ذكر أنه أتاه ليلتين بعد الأولى] أي: الرئي من الجن أتاه ليلتين بعد الأولى [وهو في كلها بين النائم واليقظان وقال له: قم يا سواد بن قارب ، واعقل إن كنت تعقل: إنه قد بعث رسول من لؤي بن غالب يدعو إلى الله وإلى عبادته، وأنشده في كل ليلة أبياتاً منها قوله: أتاني نجيي بعد هدء ورقدة ولم يك فيما قد تلوت بكاذب] هذا قول الجان، والرقدة من الرقاد.
[ثلاث ليالٍ قوله كل ليلة أتاك رسول من لؤي بن غالب ولما بعث النبي صلى الله عليه وسلم أسلم سواد بن قارب ، وأتى النبي صلى الله عليه وسلم وقص عليه قصة رئيه -الجني- وأنشد الأبيات التالية] أمام حضرة النبي صلى الله عليه وسلم.
[فأشهد أن الله لا رب غيره وأنك مأمون على كل غائب وأنك أدنى المرسلين وسيلة إلى الله يا ابن الأكرمين الأطايب فمرنا بما يأتيك من وحي ربنا وإن كان فيما قلت شيب الذوائب وكن لي شفيعاً يوم لا ذو شفاعة بمغن فتيلاً عن سواد بن قارب] أما كثرة الشهب ورمي الشياطين بها ومنعهم من استراق السمع فقد جاء ذكره في القرآن الكريم، وهو قول الله تعالى من سورة الجن: وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا * وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا * وَأَنَّا لا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا [الجن:8-10]] وهؤلاء الجن الذين حضروا صلاة النبي صلى الله عليه وسلم ببطن نخلة بين مكة والطائف ونقلوا رسالتهم إلى أقوامهم، هذا من جملة كلامهم، وقد جاء في سورة الجن من قول الله تعالى: قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ [الجن:1].
فكثرتُ الشهب وهولت العالم وخاصة الكهان، وكانت كل ذلك تباشير طلوع الشمس المحمدية.
والآن مع حادثة أصحاب الفيل، التي كانت قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم بأربعين سنة؛ إذ ولد صلى الله عليه وسلم عام الفيل، وحادثة الفيل هذه نزل فيها سورة بكاملها تسمى سورة الفيل.

حادثة أصحاب الفيل ودلالتها على قرب الفجر

قال: [حادثة أصحاب الفيل: إن المراد من حادثة أصحاب الفيل هو غزو أبرهة الأشرم عامل ملك الحبشة على اليمن] لأن ملك الحبشة استعمر اليمن، أو دخلت في حمايته كما دخلنا نحن في حماية أوروبا عشرات السنين، والدنيا دول! [وكان سبب غزوه مكة -حماها الله من كل جبار ظالم- أنه أراد التقرب إلى ملك الحبشة لأمر حدث بينهما] كأنه أغضبه وخاف فأراد أن يتملق له ليهدئ من روعه ويسكن من غضبه، فماذا فعل؟ [فبنى بصنعاء بيتاً] ومدينة صنعاء قديمة أثرية [لم يُر مثله] أي: في جماله، فالأوروبيون كانوا يعيشون في الكهوف ذاك الزمان [وسماه "القليس"] سمى هذا البيت: القليس [وقال: إنه يدعو الناس لحجه بدل الكعبة في مكة المكرمة] لم؟ [لتتحول تجارة العرب إلى اليمن] أي: سياسة اقتصادية، فأنت تجد الآن البيع والشراء أيام الحج أكثر ما يكون ومنذ التاريخ وهو

كذلك، بل ابتدع -أيضاً- الخرافيون عندنا مواسم للأولياء يحضرونها بالسبعة أيام والعشرة ويستغلها التجارة للتجارة، فيعرضون فيها سلعهم وبضائعهم، وقبل دولة القرآن والتوحيد كان هذا يحدث في أحدٍ أيضاً.
والشاهد عندنا -في هذا العفريت المهزوم- أنه أراد أن يصرف العرب عن مكة ليحولهم إلى صنعاء باليمن، تملقاً إلى ملك الحبشة.
[فسمع بذلك رجل كناني] ويا ليتني كنت هو! هذا بطل من كنانة سمع بهذه المؤامرة [فأتى القليس] أي: الكعبة المصطنعة [وأحدث فيه وذهب] تغوط وأفرز العذرة ولطخ الجدران بها؛ إهانة لهذا البيت الذي يتحدى به بيت الله [فبلغ ذلك أبرهة ، فحلف أن يغزو مكة ويهدم الكعبة] وكاد يصل -كما عزم وعرفتم- ولكن الله صفعهم وردهم.
[وجهز جيشاً قوياً، وأخرج معه الفيل المسمى محموداً] هذا الفيل يسمى محمود [وسار في طريقه -إلى مكة- وكلما اعترضته قبيلة من القبائل العربية لتصده قاتلها وهزمها، حتى انتهى إلى مشارف الحرم] وأنتم تعرفون المكان الذي حطم الله فيه جيشه، ما بين مزدلفة ومنى، يقال له: وادي محسر.
وهذا يستحب الإسراع فيه للمشاة حتى يتجاوزوه؛ لأنه مكان أهلك الله فيه أبرهة وجيشه.
[فبعث رجاله، فساقوا ماشية أهل مكة، ومن بينها مائتا بعير لـعبد المطلب بن هاشم شيخ مكة ورئيس قريش بها] بعث رجاله ليأخذوا مواشي مكة فأخذوها ومن بينها مائتا بعير لشيخ مكة ورجلها الأوحد [ثم جرت سفارة] بين قريش وبين الجيش الغازي وعلى رأسه أبرهة عليه لعائن الله [انتهت بمفاوضات طالب فيها عبد المطلب بإبله] طالب فيها عبد المطلب أبرهة بأن يرد عليه إبله [وأما البيت فقد قال قولاً سار مثلاً] إلى اليوم [إن للبيت رباً يحميه] وهذا مثل عند العوام والعجائز، قاله عبد المطلب شيخ قريش.
[ولما علم عبد المطلب عجز قومه عن مقاومة هذا العدو الظالم ذي الجيش العرمرم الجرار، أمر أهل مكة أن يلتحقوا بشعاف الجبال وقممها حتى لا تلحقهم معرة الجيش الغازي، ففعل ذلك أهل مكة] والتحقوا بالجبال والأماكن البعيدة، حتى إذا دخل الجيش الظالم الغازي لا يفتك بالناس وينتهك حرمات النساء.
[ووقف عبد المطلب بباب الكعبة آخذاً بحلقته، وهو يقول: لاهُمَّ] أي: اللهم [إن العبد يمـ ـنع رحله؛ فامنع حلالك لا يغلبن صليبهم ومحالهم غدواً محالك] غدواً بمعنى: غداً.
[إن كنت تاركهم وملـ ـتنا فأمر ما بدا لك وانصر على آل الصليـ ـب وعابديه اليوم آلك] أهل الله، آله أي: أهله.
واستجاب الله ..[فلما أصبح أبرهة وتهيأ لدخول مكة، ووجه الفيل إلى مكة، أبى الفيل أن يمشي، فإذا وجهه إلى غيرها مشى] وإذا وجهه إلى مكة برك [وما زال يحاوله حتى أرسل الله تعالى عليهم طيراً أبابيل من البحر، يحمل كل طير ثلاثة أحجار، واحدة بمنقاره واثنتين برجليه، فما أصابت رجلاً إلا أخذ لحمه يتساقط] قال الله عز وجل: أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ [الفيل:1-5].
لا إله إلا الله ..هذا قبل أن تعرف البشرية القنابل المدمرة.
[وطلبوا من يدلهم على الطريق ليعودوا هاربين إلى اليمن، فقال دليلهم] طلبوا من يدلهم على الطريق ليعودوا إلى بلادهم باليمن، فقال دليلهم: [أين المفر والإله الطالب .] أي: إذا كان الله هو الذي يطلبكم فأين المفر؟ فالله فوقكم وأمامكم ..[والأشرم المغلوب ليس الغالب وانتهت الحال بهزيمة جيش أبرهة وهلاكه] والله الذي لا إله غيره، لو أن المسلمين في أي ديارهم قاموا على منهج ربهم واستقاموا لأصبحوا كوكباً ينير في دنيا الناس، ولو أطبق عليهم من على الأرض كلهم ما استطاعوا أن يمسوهم بسوء، ولكن لما تخلينا عن ولاية الله وتخلى الله عنا فلا نلوم إلا أنفسنا، ستقولون: يا شيخ كيف تقول هذا؟! ألم تستعمركم بريطانيا وإيطاليا وفرنسا وأسبانيا وهولندا؟ أما كنتم مسلمين يومئذٍ؟ كان أجدادنا مسلمين من نوع الإسلام الذي عليه نحن الآن، ولولا لطف الله ووجود صالحين وصالحات في كل بلد لكانت الفرصة متاحة لأن يسلط الله علينا من يؤدبنا.
[وأما أبرهة فقد نقل مثخناً بجراحاته إلى صنعاء فمات بها] والعياذ بالله إلى جهنم [وقد أنزل الله تعالى سورة الفيل متضمنة هذه الحادثة إجمالاً، وهي آية صدق النبوة المحمدية] ومن يشك في أن محمداً رسول الله؟! والآن نتائج وعبر لهذه المقطوعة التي هي تباشير الصبح المحمدي، ملخصة عندنا في هذه الأرقام الثمانية، وقد درسناها ولكن هذا من باب الاستذكار، علنا نذكر ما سبق لنا أن درسناه.

نتائج وعبر من بشارات نبوته صلى الله عليه وسلم

قال: [نتائج وعبر] يقول الله في القرآن: إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً [آل عمران:13]، وأكثر المسلمين لا يفهمون العبرة ما هي، ولكن يعرفون العبارة التي تعبر من شاطئ إلى آخر، فالعبارة هي التي يعبر بها لتُتجاوز الفتن والمحن والشرور والمفاسد، فاطلب العبارة من عند الله تجدها.
[لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبر نُجملها فيما يأتي]

أولاً: بيان بداية أمر النبي صلى الله عليه وسلم

قال: [أولاً: بيان بداية أمر النبي صلى الله عليه وسلم، وأنها كانت من عهد إبراهيم عليه السلام] وبين مولد الرسول وإبراهيم عليه السلام أكثر من أربعة آلاف أو خمسة آلاف سنة، وبدأت العلامات من عهد إبراهيم، لِم؟ لأن إبراهيم هو الذي سأل الله هذا مع ولده إسماعيل وهما يبنيان البيت، فقالا: رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ [البقرة:129]، واستجاب الله بعد قرون.
[ثانياً: بيان استجابة الله تعالى دعوة خليله إبراهيم عليه السلام] وما زال الله يستجيب لأوليائه، فما دعاه وليه وألح عليه ولازم بابه يقرعه ويبكي إلا حقق الله له مراده، ومن هم أولياء الله؟ الحاضرون كلهم إن شاء الله.
من منكم يبين لنا من هم أولياء الله؟ قم.
وإن كنت تُتهم بأنك تأكل الربا، قالوا: هذا يبيع الريالات الحديد بالورق!! رغم أنك تعتمد على فتيا من جليلين عظيمين من علماء المملكة.
مداخلة: أولياء الله الذين آمنوا وكانوا يتقون.
الشيخ: حسبك! كل مؤمن تقي هو لله ولي، سواء كان أبيض أو أسود، شريف أو وضيع، عجمي أو عربي، فقير أو غني، مريض أو صحيح.
.
فكل هذه الاعتبارات لا محل لها، ومعنى تقي أنه يفعل أوامر الله بصدق، ويتجنب مناهي الله بصدق، ليس أكثر من هذا، أذن لك في اللبن فاشرب، وحرم الخمر فلا تشرب.
هل عرفتم أولياء الله؟ إنهم المؤمنون المتقون، الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، من قال هذا؟ الله وليهم.
ومن الخير أن نعيد الآية الكريمة لعلها تحفظ: يقول الله عز وجل في سورة يونس عليه السلام: أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ [يونس:62-63]، وكأن سائلاً قال: يا رب من هم أولياؤك الذين قلت فيهم: لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، فأجابه بهذه الجملة البيانية الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ [يونس:63].
فكل من يسمع هذا القول يتساءل: لعلي أنا أو أبي منهم، من هؤلاء؟ أو ما تسألون؟ والذين لهم عقول -والله- لا يسكتون، من هم الذين قال الله فيهم: لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ فكان الجواب: الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ، بيض كانوا أو سود، في الأولين أو في الآخرين، فلا التفات إلى صفة من صفاتهم، وإنما فقط إيمان وتقوى.
وبعد يا رب ما لهم؟ نفيت عنهم الخوف والحزن، وماذا بعد؟ قال: لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ [يونس:64]، وحتى لا يُظن أنه يطرأ على هذا نسخ، أو شيء من ذلك، قال الله: لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ [يونس:64].
أرونا قرية من القرى في العالم الإسلامي أهلها كلهم أولياء، دلونا عليها نُحجها، يوجد أو لا يوجد؟ الله أعلم.
وإن كنا -معاشر الأبناء- نقرر حقيقة: وهي أن مراتب الولاية كمراتب الجيش النظامي، فالجيش النظامي يُبتدئ فيه برتبة عسكري ثم ملازم، وملازم أول، وملازم ثاني، ونقيب وعريف، وقائد، ورائد ..ثم مقدم وعقيد. على كلٍ رُتبٌ نهايتها القائد العام، وكلهم في سلك الجيش، فكذلك كل المؤمنين والمؤمنات أولياء ويتفاوتون في الرتب بقدر اليقين وقوة الإيمان، وبقدر امتثال الأوامر واجتناب النواهي تكون الولاية رفيعة، وإذا ضعف الإنسان في أداء الواجبات أو قصّر تنقص درجته، فإذا كفر أو أشرك انمحى اسمه من ديوان الولاية.
إذاً: كلكم أولياء إن شاء الله.
ثانياً: بيان استجابة الله تعالى دعوة خليله إبراهيم عليه السلام

قال: [ثانياً: بيان استجابة الله تعالى دعوة خليله إبراهيم عليه السلام].

ثالثاً: بيان علو شأن الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم وكمال شرفه

قال: [ثالثاً: بيان علو شأن الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم وكمال شرفه الذي لا يُدانى فيه] هل هناك من يقترب منه صلى الله عليه وسلم؟ والله ما كان [وذلك بأخذ الله تعالى الميثاق على الأنبياء وأممهم بأنه متى بعث النبي محمد صلى الله عليه وسلم آمنوا به ونصروه وعزروه] كل الأنبياء أخذ عليهم هذا العهد والميثاق: إذا بعث محمد فيكم آمنوا به وانصروه وعزروه، ما فاز بهذا سواه.

رابعاً: بيان كمال خلق الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم

قال: [رابعاً: بيان كمال خلق الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم] من هو محبوبكم في الدنيا؟ إنه محمد صلى الله عليه وسلم [الذي تجلى وظهر فيما وصفه به ربه تعالى في التوراة، وعلى لسان الملك الذي نزل على النبي دانيال عليه السلام] كما تقدم.
قال -أي: دانيال عليه السلام أحد أنبياء بني إسرائيل- (فظهر لي الملك في صورة شاب حسن الوجه، فقال لي: السلام عليكم يا دانيال، إن الله يقول: إن بني إسرائيل أغضبوني وتمردوا علي وعبدوا من دوني آلهة أخرى، وصاروا من بعد العلم إلى الجهل، ومن بعد الصدق إلى الكذب، فسلطت عليهم بختنصر فقتل رجالهم وسبى ذرياتهم، وهدم بيت مقدسهم، وحرق كتبهم، وكذلك فعل من بعده بهم، وأنا غير راض عنهم ولا مقيلهم عثراتهم، فلا يزالون مغلوبين عليهم الذلة والمسكنة حتى أبعث فيهم نبياً من بني إسماعيل، الذي بشرت به هاجر وأرسلت إليها ملاكي فبشرها، وأُوحي إلى ذلك النبي ..إلى آخر ما جاء).
هذه بشارة دانيال أحد أنبياء بني إسرائيل.

خامساً: بيان شرف العرب، وما حباهم ربهم تعالى به

قال: [خامساً: بيان شرف العرب، وما حباهم ربهم تعالى به، من بعثة أفضل أنبيائه، وجعله حرزاً لهم، فكملوا وسعدوا به بعد أن آمنوا به وبما جاء به، واتبعوا النور الذي أنزل عليه وهو القرآن الكريم] هل هناك من ينكر هذه الحقيقة؟ لم يكن العرب شيئاً في العالم، فأصبحوا سادة الدنيا وأئمة البشرية، أما اليوم فلا، ولكن في العصور الذهبية الثلاثة، وهو عصر الصحابة وعصر أولادهم وعصر أحفادهم، ووالله ما اكتحلت عين الوجود بأمة أشرف ولا أسلم ولا أسعد ولا أطهر ولا أقوى ولا أنظف ولا أقدر ولا أعدل ولا أرحم.

.
-وقل ما شئت- من أمة محمد صلى الله عليه وسلم في عصورها التي كانت -فقط- تعيش على قال الله وقال رسوله صلى الله عليه وسلم، فلا خرافات ولا مذهبية ولا انقسامات، ولكن أمة واحدة.
سادساً: إثبات نبوة الحبيب وتقريرها بشهادات الكتب والأنبياء ومؤمني الجن

قال: [سادساً: إثبات نبوة الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم وتقريرها بشهادات التوراة والزبور والإنجيل وأنبياء بني إسرائيل ومؤمني الجن، وصالحي أهل كتاب من يهود ونصارى] لقد ثبتت نبوة الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم بشهادات التوراة والزبور والإنجيل وأنبياء بني إسرائيل ومؤمني الجن كذلك، وقد عرفنا قصة سواد بن قارب معه رئيّه من الجن [الأمر الذي يصبح معه إنكار رسالته صلى الله عليه وسلم ضرباً من السفه والحمق والضلال العقلي والحكم بالخسران الأبدي لصحابه] أبعد هذه الأنوار التي لاحت في الأفق تغمض عينيك وتقول: ليس برسول؟! مستحيل أن يكون غير رسول الله، لقد شهدت بنبوته الكتب الإلهية والعلماء من الأمم بل حتى الجن صرخوا بهذا وشهدوا، أو لعل هناك من يقول: هذا نبي خاص بالعرب!! كما يقول المسيحيون العمي، فصاحب المنجد يقول: محمد نبي يعتقد العرب أنه نبيهم!

سابعاً: هزيمة أبرهة وجيشه بخارقة أكبر آية على قرب طلوع الفجر المحمدي

قال: [سابعاً: في هزيمة أبرهة وجيشه بخارقة لم يُعرف مثلها أكبر آية على قرب طلوع الفجر المحمدي] في هذه الخارقة أكبر آية على قرب طلوع الفجر المحمدي، فلو دخل أبرهة مكة وهدمها وقتل رجالها وفجر بنسائها، كيف يبعث محمد صلى الله عليه وسلم؟ ما انصرف هذا البلاء إلا لأن محمد سيولد في هذه الليلة، وولد.
إنها آية من آيات الله!

ثامناً: وجوب الإيمان اليقيني بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم، ووجوب اتباعه

قال: [ثامناً: إن العبرة من هذا الذي تقدم في هذه المقطوعة من السيرة هو وجوب الإيمان اليقيني بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم، ووجوب اتباعه] والمشي وراءه لا أمامه ولا عن يمينه ولا عن شماله، ولكن وراءه حيث يضع رجله نضعها، ومعنى هذا أن نعرف صفاته ونتصف بها: في المنطق، في النظر، في المشي، في الركوب، في الأكل، في الشرب، في النوم، في الجماع، في الأخذ، في العطاء ..، هذه هي المتابعة، لم لا يتابع المسلمون نبيهم؟ لأنهم لم يعرفوا آدابه وأخلاقه ولم يعايشوه أبداً، منهم من لم يسمع بذلك أو أنه سمع بمحمد رسول الله فقط، لكن من منعهم من متابعته؟ لا أحد.
نعم هناك في شرق أوروبا وشمالها حيث روسيا البلشفية مسخت المسلمين وحرمتهم من إيمانهم ودينهم بالحديد والنار، وفي الأندلس -كذلك- الصليبيون فعلوا جريمتهم التي لا تغتفر ومسخوا المسلمين، أما فيما عدا هذين الموطنين فالمسلمون لا ضغط عليهم ولا اضطروا إلى ترك الإيمان والمعرفة وطلب العلم، ولكن من أنفسهم.
فالعبرة من هذا الذي تقدم في هذه المقطوعة من السيرة هو وجوب الإيمان اليقيني، ليس مجرد إيمان فقط، بل إيمان ينتهي بك إلى اليقين، فكأنك ترى محمداً صلى الله عليه وسلم وتسمع كلامه [ووجوب اتباعه وتعظيمه ومحبته فوق محبة النفس والمال والأهل والولد].
كيف نتبعه؟ الجواب: ما مات صلى الله عليه وسلم وترك خيراً إلا دل الأمة عليه، ولا شراً إلا حذرها منه، وورث أصحابه من الرجال والنساء عنه صفاته، إذا تكلم، أو إذا خطب، أو إذا جلس، أو إذا قام، حتى الأكل تعلموا كيف يجلسون للأكل.
في مرة من المرات في يوم من الأيام رأيتني في رؤيا منامية في بستان، والرسول صلى الله عليه وسلم جالساً ونحن حوله وهو يأكل، وجلس والله كتلك الجلسة -عملياً- ثنى اليمنى هكذا، وجلس على اليسرى وهو يأكل، ولو اجتمع الأطباء ودرسوا حقيقة هذه الجلسة لوجدا العجب فيها؛ لأن أعمال الرسول كلها ممنوحة من الملكوت الأعلى، لا يخرج عمل عن غير فائدة، فلابد من حصول خير أو دفع شر.
إذاً: وجوب اتباعه في ماذا؟ حتى في نعلك، كيف تلبس نعلك؟ تبدأ باليمين ثم اليسار، لِم؟ لأن الرسول بدأ باليمين.
وكيف تخلعه، بم تبدأ؟ تبدأ باليسار، وكيف تنام على جنبك الأيسر أو الأيمن؟ الأيمن.
وعندما تقوم من فراشك ماذا تقول؟ تحمد الله وتثني عليه وتهلل وتكبر، وإذا أردت أن تركب السيارة ماذا تقول؟ هل تقول: يا ليلى! أو تقول: بسم الله، والحمد لله، سُبْحانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ * وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ [الزخرف:13-14]؟ فمتابعته صلى الله عليه وسلم هي المشي وراءه، بحيث نتقيد بكل صفاته التي ليست خاصة به، وإنما هي مشروعة لأمته.
وبهذا تتحقق الولاية وحب الله عز وجل، وعندنا في هذه القضية آية من كتاب الله، وهي قوله عز وجل: قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ [آل عمران:31]، فالذين يدّعون حب الرسول صلى الله عليه وسلم وهم لا يتابعونه لا في القليل ولا الكثير دعواهم باطلة، فالدعوة إذا لم يؤيدها الدليل فهي فرية وكذبة.
عندما جاء وفد نجران من النصارى إلى المدينة والرسول فيها صلى الله عليه وسلم كانوا ستين راكباً، استضافهم الرسول عند المؤمنين؛ لأنه ليس هناك فنادق ولا مطاعم..
والشاهد عندنا في هذا: أنه لما سألهم عن عبادة عيسى، قالوا: ما عبدناه لذاته، بل عبدناه من أجل أن يحبنا الله، أي: عبدنا عيسى وألهناه من أجل أن نتوسل بذلك إلى الله ربنا ورب العالمين، فنزلت هذه الآية ومعها ثمانون آية في هذا الشأن: قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ [آل عمران:31]، أي: إذا كنتم تريدون أن يحبكم الله فاتبعوا محمداً

صلى الله عليه وسلم يحببكم الله، هذا وعد الله، وما من عبد يتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم في إيمانه وعبادته وشرعه وآدابه وأخلاقه إلا أحبه الله عز وجل.

وهنا لطيفة ينساها الطلاب وهي: ليس الشأن أن تُحِب، وإنما الشأن أن تُحَب، فإذا كان شخص يحب ليلى، وتائه كمجنونها في الصحارى وهي تكرهه، ماذا استفاد إلا البلاء والشقاء، فكونك تدعي حب الله وهو يكرهك ماذا استفدت؟ فليس الشأن أن تُحِب أنت، إنما الشأن كل الشأن أن تُحَب.

فلهذا يا معشر المستمعين والمستمعات! أحبوا الله واطلبوا حبه حتى يحبكم، وأنتم تستطيعون أن تحبوه بقلوبكم وأنتم نائمون على فرشكم، لكن هل هو يحبكم وأنتم كذلك؟ لابد من متابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والسر معروف عند أهل العلم، وهو أن الذي يتابع رسول الله فيما جاء به لا يزال يصفو ويطيب ويطهر حتى يصبح كالملك في صفاء روحه، ومن ثم يحب الله التوابين ويحب المتطهرين.

هذا هو سر القضية.

فصاحب النفس الخبيثة والروح المنتنة من أوضار الذنوب والآثام لا يحبه الله، (إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً)، فمتابعة الرسول تنتج لك صفاء روحك وزكاة نفسك وطهارتها، فإذا طابت الروح وزكت قبلها الله في جواره وأحبها؛ لأن الله طيب لا يقبل إلا طيباً.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

كان محمد صلى الله عليه وسلم نتاج زواج مبارك بين شريف من أشراف قريش وهو عبد الله بن عبد المطلب، وشريفة من شريفات بيوت مكة وهي آمنة بنت وهب، وقد حملت به أمه حملاً خفيفاً لم تكابد فيه ما تكابده سائر النساء في حملهن، وكان يوم مولده مليئاً بالآيات، فقد ولد صلى الله عليه وسلم مسروراً مختوناً، وارتج يوم مولده إيوان كسرى، وخمدت نيران فارس، وغير ذلك من الآيات الباهرات.

طلوع الفجر المحمدي أو الميلاد السعيد

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.
قد انتهى بنا الدرس إلى مقطوعة (طلوع الفجر المحمدي)، بعد أن عرفنا تلك الإرهاصات والبشارات من الكتب السماوية، بل حتى من الجن.
قال: [طلوع الفجر المحمدي أو الميلاد السعيد] ميلاد من هذا؟ إنه ميلاد رسول الله صلى الله عليه وسلم! كيف لا يكون سعيداً وقد سعدت الدنيا كلها به.
قال: [من عام الفيل] وقد عرفنا عام الفيل، فأبرهة -بلغة المعاصرين- عميل الأحباش، بنى كعبة في صنعاء سماها القليس، بغية تحويل تجارة العرب كلها إلى اليمن، ولكي يهجر الناس الكعبة، ولكن الله أذلة وأخزاه، وحسبك أن تقرأ السورة التي نزلت فيه، قال الله عز وجل: أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ [الفيل:1-5]، وهذا قبل أن تعرف البشرية القذائف النارية أو الغازية.
[وفي شهر ربيع الأول الذي أصبح يعرف بربيع الأنوار] عند كثير من الناس [ومن ليلة الإثنين الثاني عشر منه] أي: من ربيع الأول [طلع فجر النبوة المحمدية].
قال: [هذا الذي عليه أكثر المؤرخين للميلاد النبوي السعيد] ولا ننظر إلى الخلافات.
قال: [الحمل قبل الميلاد] فالحمل بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل ميلاده [والمصاهرة قبل الحمل] تزوج أبو الرسول بآمنة قبل الحمل [والوالد قبل الوالد] إذاً: علينا نعرف الوالد قبل الولد [ولكل زمان ومكان] هناك زمان للحمل وزمان للميلاد والمكان وهكذا.
قال المؤلف غفر الله له ولكم ورحمه وإياكم: [في بطحاء مكة] والبطحاء هي الأرض الواسعة، والأبطح في مكة معروف [وفي بيت عريق في الشرف -بيت شيبة الحمد عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي - زوج عبد المطلب ولده عبد الله الذبيح] وستعرفون لِم قيل فيه ذبيح [سليلة الشرف] زوجه بسليلة الشرف [أشرف فتاة وأعفها وأكملها خلقاً وخلقاً؛ وهي آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب الزهرية القرشية] هذه أم نبيكم.
قال: [أما عبد الله الوالد] عرفنا الأم فمن هو الوالد؟ [فللقبه بالذبيح قصة من أظرف القصص وأطرفها] لِم لقب بالذبيح؟ والذبيح بمعنى المذبوح، فـ(فعيل) في الغالب بمعنى (مفعول) [تتشنف الآذان بسماعها، وتهفو القلوب لذكرها، وهذا عرضها باختصار حتى لا نبعد من ساحة الأنوار] لأننا في الميلاد.
قال: [كانت زمزم قد طمرتها جرهم] بئر زمزم دفنتها جرهم وهدمتها ورمت عليها الصخور والتراب، وفعلت هذا لأنها احتلت مكة والمنطقة وهي يمنية، ثم لما فسق رجالها وخرجوا عن طاعة الله وانتهكوا حرماته؛ سلط الله عليهم أهل مكة فأخرجوهم.
قال: [عند مغادرتها مكة؛ لظلمها فانهزامها، وكان ذلك منها نقمة على أهلها الذين حاربوها وطردوها] لما عرفت أنها انهزمت وسوف تغادر البلاد وأن رايتها قد سقطت دمرت زمزم فطمرتها.
[وظلت زمزم مطمورة إلى عهد شيبة الحمد عبد المطلب ، فأُري في المنام مكانها وحاول إعادة حفرها] رأى رؤيا دُلّ فيها على مكان زمزم [ومنعته قريش] من أن يفعل ذلك، حتى لا يفوز بهذا الشرف ويظفر به وحده.
وتعرفون الحسد، وحب الذات والنفس.

[ولم يكن له يومئذ من ولد يعينه على تحقيق مراده إلا الحارث ، فنذر لله تعالى إن رزقه عشرة من الولد -يحمونه ويعينونه- ذبح أحدهم] لمن؟ للآلهة؛ لأنهم كانوا ينذرون أولادهم للآلهة، واقرءوا قول الله تعالى من سورة الأنعام، بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ * وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ [الأنعام:136-137]، فزينوا لهم قتل أولادهم بنذرهم للآلهة ليتحقق لهم ما يتحقق، كنذر جهال المسلمين للأولياء، سواء بسواء.

[ولما رزقه الله عشرة من الولد وأراد أن يفي بنذره لربه] والحمد لله فقد نذر لله، أما جماعاتكم أيها المسلمون فينذرون لسيدي عبد القادر ، وسيدي مبروك ، وسيدي فلان.

.

أما لله فلا، ولهذا قال بعض العلماء: كفار قريش أشراف الكفار؛ لأن عندهم ميزات خير من هؤلاء الكفار الهابطين.

[فاقترع على أيهم يكون الذبيح] اقترع على أولاده العشرة من منهم يكون الذبيح، والقرعة معروفة، أقرها الإسلام، وجاءت حتى في القرآن، في سورة الصافات، قال الله عز وجل: فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ * فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ [الصافات:141-142]، فإذا اختلف أهل المال في قسمته وتنازعوا فالفاصل هو القرعة، فمن خرجت قرعته حمِد الله.

[فكانت القرعة على عبد الله ، وهمَّ أن يذبحه عند الكعبة فمنعته قريش] هم عبد المطلب شيبة الحمد أن يذبح عبد الله عند الكعبة وفاء بالنذر فمنعته قريش [وطلبوا إليه أن يرجع في أمره إلى عرّافة بالمدينة تفتيه في أمر ذبح ولده] والعرافة هي التي تدعي علم الغيب بواسطة الجن، فأرشدوه إلى أن يذهب إلى المدينة النبوية -وكانت تسمى يومئذٍ يثرب- لأن فيها عرافة تفتيه في القضية وتحل مشكلة ذبح ولده.

[فأرشدته] أي: العرافة [إلى أن يضع عشراً من الإبل] وهذه خير من عرافاتنا اليوم بمليون مرة [وهي دية الفرد عندهم] في ذلك الوقت، كانت دية الإنسان عشرة من الإبل [وأن يضرب بالقداح على عبد الله وعلى الإبل] والقداح جمع قدح، وهي الأزلام، وتكون بأن يجعل أحدهم في خريطة أو كيس عيدان أصلها سهام استعملت، مكتوب عليها: ناجح أو خاسر ونحوها من الكلمات التي تبشر أو تنذر، فتأتي أنت وتعطي العراف عشر ريالات ليبحث لك عن المستقبل؛ هل تتزوج فلانة أو لا، هل تدرس في كلية الأدب أم في كلية الشريعة، وهكذا .

.

ثم يدير هذه الأعواد ويخرج عوداً ويقرأه، فإذا وجد (رابح) قال لك: امش، وامض في طريقك، وإذا وجد خاسر ، قال لك: لا، وأدارها وأعاد الاختيار ثانية، وهكذا تتحكم فيهم الأهواء والشياطين.

[فإن خرجت على عبد الله الذبيح زاد عشراً من الإبل، وإن خرجت على الإبل فانحرها] أي: عن عبد الله وتركه [فقد رضيها ربكم] أي أن هذه الكاهنة العرافة تقول: ضع عشرة من الإبل، وضع عبد الله ثم أقم القرعة، فإن خرجت على عبد الله فافده بعشرة أخرى، وهكذا حتى بلغت مائة -كما سيأتي- [ونجا صاحبكم!!] تعني عبد الله .

[فوصلوا مكة، وجيء بالإبل وصاحب القداح، وقام عبد المطلب عند هبل داخل الكعبة يدعو الله عز وجل، وأخذ صاحب القداح يضربها، وكلما خرجت على عبد الله زادوا عشراً من الإبل] من أجل فداه [حتى بلغت مائة؛ كل ذلك و عبد المطلب قائم يدعو الله عز وجل عند هبل] وجماعتنا يدعون الله عند الأولياء، تجده عاكفاً على الضريح يدعو.

وهبل كان أكبر أصنام قريش أو أعظم آلهتهم.

[فقال رجال قريش: قد انتهى رضا ربك يا عبد المطلب] أي: يكفي دعاء [فأبى إلا أن يضرب عنها القداح ثلاث مرات ففعل] كان قوي النية والإرادة، ما اطمأن لأول مرة، بل جعلها تُضرب ثلاث مرات [فكانت في كل مرة تخرج على الإبل، وعندها رضي عبد المطلب ونحر الإبل وتركها لا يصد عنها إنسان ولا حيوان] كل الناس يأكلون من تلك الإبل [ونجّى الله تعالى -والحمد لله لا لسواه- عبد الله والد رسول الله] صلى الله عليه وسلم [فهذا سبب لقب عبد الله بالذبيح، وهو أحب أولاد عبد المطلب العشرة إليه، وزاده حباً فيه هذه الحادثة العجيبة] وقد قال مرة يهودي للنبي صلى الله عليه وسلم: يا ابن الذبيحين، فاندهش الناس كيف عرف! فالذبيح الأول هو إسماعيل عليه السلام؛ فقد وُضع على الأرض ليذبحه إبراهيم، والذبيح الثاني هو عبد الله بن عبد المطلب الذي كاد أن يذبح لولا أن الله فداه، فالرسول هو ابن الذبيحين عند أهل الكتاب، يعرفونه بهذا اللقب.

[وأكرم الله عبد المطلب بإعادة حفر زمزم إذ وافقته قريش على حفرها؛ وكانت موافقتها لآية شاهدتها لـعبد المطلب] وافقت قريش على إعادة حفر زمزم لآية من الآيات شاهدتها، فسلمت وقالت: افعل يا عبد المطلب [وهي أنهم لما منعوه من حفرها وأبى عليهم ذلك، قالوا: نختصم إلى الكاهنة -وهي كاهنة بني سعد وكانت بأعالي الشام-] قالوا: نذهب إلى الكاهنة لنتحاكم إليها، فلم يكن عندهم أمم متحدة، ولكن هذا الموجود [فذهبوا إليها، وأثناء سيرهم في طريقهم إليها عطشوا لنفاد مائهم، فلما ظنوا الهلاك] من شدة العطش؛ لأنهم مسافرون على الجمال [وإذا بعين تتفجر تحت خف ناقة عبد المطلب] هذه هي الآية، وهي أن ناقة عبد المطلب وضعت بقوة رجلها على الأرض ففار الماء من تحتها [فقاموا وشربوا وسقوا، وعندها أذعنوا لأمر عبد المطلب ورضوا له بحفر بئر زمزم خالصة له دون غيره من أهل مكة].

فعبد المطلب أراد أن يحفر بئر زمزم بعدما أن طمرتها جرهم من سنين فمنعته قريش، فسأل الله تعالى أن يرزقه عشرة أولاد حتى يشدوا ساعده ويقووا ظهره ويحفر زمزم، فرزق عشرة أولاد بعدما كان له ولد واحد، وهو الحارث ، وإذا بتسعة وعلى رأسهم عبد الله ، فأراد أن ينفذ ما نذره لله، وجاء بـعبد الله وأراد أن يذبحه وفاء بنذره؛ لأنه تحقق له مراده بإذن الله فمنعته قريش، واقترحت عليه الذهاب إلى الكاهنة المدنية، فتولت هي القضية، وقالت له: ائت بعشرة من الإبل واقترع عليها وعلى ولدك، فإن كان الولد زدت عشراً، وإن كانت العشرة ذبحتها، ففعل حتى بلغت الإبل المائة، فقيل فيه الذبيح.

هذا هو عبد الله والد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وعند أهل الكتاب -كما سمعتم-: الذبيح الأول إسماعيل عليه السلام، والثاني عبد الله والد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

نتائج وعبر من طلوع الفجر المحمدي

قال المؤلف: [نتائج وعبر: إن من نتائج وعبر هذه المقطوعة من السيرة العطرة ما يلي: أولاً: فزع عبد المطلب إلى الله تعالى يدعوه في كل النوائب دليل على أن مشركي العرب ما كانوا ملاحدة، بل كانوا يؤمنون بالله رباً خالقاً رازقاً مدبراً، والقرآن شاهد بهذا] قال الله عز وجل: قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ [يونس:31]، فلم يكن العرب ملاحدة بلاشفة كالشيوعيين يقولون: لا إله والحياة مادة، بل كانوا يؤمنون بالله رباً، وإنما أشركوا آلهتهم في عبادة الله عز وجل، فيذبحون، وينذرون، ويحلفون، ويتقربون إلى الآلهة، كما أنه يذبح وينذر ويحلف بالله عز وجل.

[ثانياً: دعاء عبد المطلب الله تعالى عند هبل استشفاعاً به وتوسلاً؛ ورثه الشيطان جهال المسلمين] عبد المطلب كان يدعو الله، ولكنه واقف إلى جنب الصنم هبل استشفاعاً به، وهذا ورثه الشيطان جهال المسلمين من إندونيسيا إلى المغرب [فإن أحدهم يأتي قبر الولي ويدعو الله تعالى عنده استشفاعاً بالولي وتوسلاً به على سنة عبد المطلب الجاهلي والعياذ بالله تعالى] وأكثر الذين يأتون إلى البقيع من الجهال يدعون الله تعالى لأنفسهم لا يدعون لأهل البقيع؛ متوسلين إلى الله عز وجل بوقوفهم على أضرحة الأولياء، والشيطان هو الذي ورثنا هذه الجاهلية، و (95%) من الجهلة هكذا يفعلون.

[ثالثاً: كرامات عبد المطلب التي أكرمه الله بها -كرؤيا بئر زمزم وحفرها والماء الذي نبع من تحت خف ناقته، وخروج القداح على الإبل لا على ولده- هي في الظاهر كرامات لـعبد المطلب ، إلا أنها في الحقيقة هي آيات النبوة المحمدية وتباشيرها] في الظاهر هي كرامات لـعبد المطلب ، وفي باطن الأمر هي آيات النبوة المحمدية وتباشيرها.

[رابعاً: مواصلة ضرب القداح -حتى بلغت مائة- كانت مبدأ تقرير دية الرجل وهي مائة من الإبل، وأقرها الإسلام فكانت دية الرجل المؤمن، والمرأة على النصف منها].

الحمل والميلاد

والآن [الحمل والميلاد: لقد تزوج عبد الله آمنة ؛ زوجه بها والده عبد المطلب على إثر نجاته من الذبح] ما إن نجح الولد وفاز ونجاه الله زوجه عبد المطلب [وفاء بالنذر، وبنى بها عبد الله ، وحملت منه بالحبيب محمد صلى الله عليه وسلم، وواكبت حمله ووضعه آياتُ نبوته التالية].
قال: [أولاً: إنه ولد صلى الله عليه وسلم من نكاح شرعي لا من سفاح جاهلي، وهي عصمة إلهية، لا يقدر عليها إلا الله] وأزيدكم: من عبد الله إلى عدنان كل نكاح تم كان نكاحاً شرعياً بأركانه.
إنها عصمة الله! كيف أن أكثر من ألف سنة -عشرة قرون أو أكثر- والتزوج ماض -هذا يتزوج وهذا يطلق وهذا يموت- وتلك النطفة طاهرة شرعية، لا سفاح أبداً ولا زنا، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم: (أنا خيار من خيار من خيار من خيار).
[ثانياً: إن أمه آمنة لم تجد أثناء حملها به صلى الله عليه وسلم ما تجده الحوامل عادة] من الأتعاب وما يسمى بألم الوحم [من الوهن والضعف، فكان هذا آية] آية النبوة المحمدية.
[ثالثاً: إن آمنة لما حملت به صلى الله عليه وسلم ولما وضعته رأت نوراً خرج منها فأضاء لها قصور الشام، فقد سئل صلى الله عليه وسلم عن نفسه قال: (أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى، ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضاء لها قصور الشام)] ومع هذا يشكون في نبوته صلى الله عليه وسلم!! [رابعاً: إن آمنة لما حملت به صلى الله عليه وسلم أتاها آت] هتف بها هاتف في منامها [إنك حملت بسيد هذه الأمة، فإذا وضع في الأرض] يعني إذا سقط من بطنك [فقولي: أعيذه بالواحد من شر كل حاسد] يا ليت النساء يعرفن هذا! والواحد هو الله الأحد.
كان هذا أيام الجاهلية والشرك [وآية ذلك أنه يخرج معه نور يملأ قصور بُصرى من أرض الشام؛ فإذاً فسميه محمداً، فإن اسمه في التوراة أحمد، يحمده أهل السماء وأهل الأرض] نعم.
واسمه أيضاً في الإنجيل أحمد، قال الله عز وجل: وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ [الصف:6].
[خامساً: إنه ولد صلى الله عليه وسلم مسروراً، أي: مقطوع السرة على خلاف المواليد في قطع القوابل سِرارهم المتصلة بأمهاتهم] لأن الحبل المتصل من الجنين بالوالدة هو آلة الغذاء التي يتغذى عن طريقها الجنين، والقابلة أو المولدة هي التي تقطع هذا الحبل، فالرسول صلى الله عليه وسلم ولد مسروراً؛ ليفارق العالم في هذه الكمالات.
[سادساً: إنه ولد صلى الله عليه وسلم مختوناً، أي مقطوع غلفة الذكر، فلم يختن كما يُخَتَّن المواليد، ولهذا أُعجب به جده عبد المطلب ، وقال: سيكون لابني هذا شأن عظيم، وحَظِيَ عنده بأكرم منزلة] تعجب عبد المطلب كيف أنه ولد مختوناً! [سابعاً] أي من الآيات- [انكسار البرمة] والبرمة يعرفها الأولون، هي إناء كبير من حجارة أو صخور أو طين [التي وضعت عليه بعد ولادته] عادة يضعونه على برمة عندما يولد [على عادة النساء من قريش؛ إذ وجدت منكسرة على شقين، ولم يَبِت تحتها صلى الله عليه وسلم، فكانت آية نبوته صلى الله عليه وسلم] على خلاف العادات في الحمل والوضع.
[ثامناً: ارتجاج إيوان كسرى فارس، وسقوط أربع عشرة شرفة من شرفاته] ماج واضطرب كالزلزال وسقط منه أربع عشرة شرفة، ساعة أن ولد الرسول صلى الله عليه وسلم.
[تاسعاً: خمود نار فارس التي لم تَخمُد منذ ألف سنة] ألف سنة والنار مشتعلة والمجوس يعبدونها، ثم انطفأت في تلك الليلة، واندهش الناس ما هو السبب، إنها آية من آيات النبوة المحمدية: خمود نار فارس التي لم تَخمُد منذ ألف سنة، وقد عرفتم أن سلمان رضي الله عنه كان والده القيم على تلك النار.
[عاشراً: امتلاء البيت -الذي ولد به- نوراً، ورؤية النجوم وهي تدنو منه حتى لتكاد تقع عليه صلى الله عليه وسلم، رأت هذا أمه والقابلة التي كانت معها وحدثتا به، وهو حق لا باطل، وصدق لا كذب] امتلأ البيت نوراً، وإذا بالنجوم تكاد أن تدخل البيت، وأمه آمنة تشاهد والقابلة معها وحدثتا بذلك.
[فهذه عشر آيات واكبت ميلاده صلى الله عليه وسلم؛ إعلاناً عن نبوته، وإعلاماً بعلو شأنه، وإخباراً بما سيئول إليه أمره، فصلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.
ولد صلى الله عليه وسلم بدار المولد المعروفة، بدار محمد بن يوسف أخي الحجاج بن يوسف ، وهي الآن مكتبة عامة] ودار المولد هذه أصبحت فيما بعد ملكاً لـمحمد بن يوسف أخي الحجاج بن يوسف الزعيم المعروف عند الأمويين، وهي الآن مكتبة عامة؛ لأن الناس كانوا يأتونها ويزورونها، فحولها المسئولون إلى مكتبة عامة، وهذا أفضل، وخير من أن يعبد فيها غير الله.

[وكان ذلك] أي: الميلاد [عام الفيل كما تقدم، أي: بعد غزو أبرهة الأشرم وهزيمته بقرابة خمسين يوماً، فكانت تلك الهزيمة آية أخرى لمحمد صلى الله عليه وسلم دالة على صدق نبوته وصحة رسالته، وعظم شأنه في العالمين] وهو كذلك.

[ولد بعد وفاة والده عبد الله بكذا شهراً] ولد بعد وفاة والده عبد الله بأشهر لا سنة [إذ تركه حملاً في بطن أمه وسافر للتجارة في أرض غزة من فلسطين، حيث توفي جده هاشم] وإلى الآن يوجد قبره فيما أذكر، وأهل غزة يعرفونه [إلا أن عبد الله عاد منها، فمرض في طريق عودته، فنزل عند أخواله من بني عدي بن النجار، فمات عندهم بالمدينة النبوية، وقبره] يمكن الآن نحن جالسون عليه، لأنه كان في المنطقة هذه قبل التوسعة، وكان جهال العرب يشركون به ربهم، فتجد الدعاء والصياح وغير ذلك ..والهيئة كانت تبعدهم، فيقولون: كيف يمنعوننا من زيارة والد الرسول! لأنهم يظنون أن التوسل بالأموات لا يغضب الله!! وكيف لا يغضب الجبار؟ أما كفانا؟! هل أحوجنا إلى غيرنا؟ لم نلتفت إلى غيره؟! هذا فيه إهانة لله عز وجل والعياذ بالله.

قال: [وقبره معروف المكان إلى عهد قريب حيث أخفي؛ لزيارة الجهال له والاستشفاع به، وحتى دعائه -والعياذ بالله- وهذا لغلبة الجهل على المسلمين؛ لقلة العلماء وقلة الرغبة في طلب العلم] وإلى الآن قرى في المملكة وفي الهند وفي غيرها -وفي كل مكان- لم يدخلها عالم، فكيف يتعلم المسلمون؟! قرى بكاملها ليس فيها عالم، كيف يعبدون الله؟ بالتقليد.

فلهذا تطرأ عليهم الشركيات ولا حرج.

نتائج وعبر من مقطوعة (الحمل والميلاد)

والآن [نتائج وعبر: إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبراً نجملها في الأرقام التالية: أولاً: بيان شرف أبوي الرسول صلى الله عليه وسلم وطهارتهما، وفي هذا ما يوجب إكباره صلى الله عليه وسلم ومحبته وتقديره]؛ لأنه من أبوين كريمين طاهرين.

[ثانياً: الآيات العشر -التي واكبت حمله وولادته- تقرر نبوته وسيادته على الناس أجمعين.

ثالثاً: في الآية الثالثة إشارة واضحة إلى عموم رسالته وانتشار دينه في الشرق والغرب] سقوط شرفات قصر كسرى في فارس علامة على أن هذا الدين يعم الأرض، وأنه عام للبشرية وليس خاصاً بالعرب.

[رابعاً: في الآية الثامنة -وهي سقوط أربع عشر شرفة من شرفات القصر- آية نبوته صلى الله عليه وسلم؛ إذ تداول ملكَ الفرس في خلال أربع سنوات عشر ملوك وملكات] في خلال أربع سنوات كان هناك عشرة ملوك في خلال لفارس-يملك الشخص ويقتل أو يموت- [عشرة ملوك ومِلِكات]؛ لأنهم كان فيهم المِلِكات [وتم الأربعة الباقون في عهد الخلفاء الراشدين -رضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين-].

والشرفات جمع شرفة وهي البلكونة، فالبلكونة مشرفة على الشارع، والذي يكون فيها يشرف على ما أمامه، والجمع شرفات، شرفة وشرفات، من الشَرف وهو العلو والارتفاع، وسميت الشرفة شرفة لعلوها وارتفاعها.

مداخلة:

الشيخ: يقول السائل الكريم: لم سمي عبد المطلب بشيبة الحمد ؟ لأنه شاب، وأصبح شيبة ومحمود من قريش كلها.

ومحمود أي: مُثنى عليه مشكور معترف بزعامته في قريش، كالملك، فلهذا قالوا فيه شيبة الحمد ، وهناك شيبة الذم؛ الذي يدعو إلى العهر والباطل والشرك، وشيبة الحمد الذي يدعو إلى الخير والهدى والمعروف.

رضاع الحبيب ومراضعه صلى الله عليه وآله

[رضاع الحبيب ومراضعه صلى الله عليه وآله إن أول مرضع -تشرفت برضاعه صلى الله عليه وسلم- والدته الشريفة العفيفة الطيبة الأردان آمنة بنت وهب الزهرية التي رأت من آيات النبوة ما رأت] أول من أرضعه أمه [ثم ثويبة مولاة أبي لهب التي أرضعت عمه حمزة كذلك، فكان أخاً للنبي من الرضاعة] عمه وأخوه بفضل الله ثم ثويبة ، فقد أرضعت حمزة وأرضعت النبي صلى الله عليه وسلم [وهو عمه صنو أبيه].

[ثم أرضعته حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية من بني سعد بن بكر] إذاً: كم مرضعة الآن؟ أمه، و ثويبة و حليمة السعدية ، وهي معروفة عند العامة [رضع مع ابنتها الشيماء بنت الحارث بن عبد العزى ، وقد رأت في إرضاعه صلى الله عليه وسلم آياتٍ، فلنتركها رضي الله عنها تحدثنا بنفسها عما شاهدت من آيات نبوته صلى الله عليه وسلم] هذه حليمة السعدية المرضعة الثالثة لنبينا صلى الله عليه وسلم، رأت آيات وشاهدت علامات فلنتركها هي تحدثنا:
[إنها قالت: خرجت من بلدي مع زوجي وابنٍ صغير لنا نرضعه في نسوة من بني سعد نلتمس الرضعاء] المرأة إذا كان لها حليب، وزوجها فقير -وإن كان كلهم فقراء- تأتي لترضع أولاد الشرفاء، وكان النساء يأتين إلى مكة ليرضعن أولاد الشرفاء والأغنياء بمقابل؛ للحاجة، وفي الإرضاع خير كبير، فهي تأنس بهذا الولد وتحبه، وقد يكون ولدها في المستقبل ولا ينساها.
فهنا حليمة تقول: خرجت من بلدي -من قريتها- مع زوجي وابنٍ صغير لنا نرضعه في نسوة من بني سعد نلتمس الرضعاء، أي: أولاداً نرضعهم، [وذلك في سنة شهباء] أي: قاحلة، سنة قحط وجدب ليس فيها نبات [لم تبقِ لنا شيئاً] من أموالنا لا إبل ولا غنم [خرجنا على أتان لنا] والأتان هي أنثى الحمار [قمراء] لونها كلون القمر [ومعنا شارف لنا] من النوق [والله ما تَبِض بقطرة] ليس فيها ولا قطرة حليب [وما ننام ليلنا أجمع من بكاء صبينا الذي معنا من الجوع] لا ينامون طوال الليل من بكاء هذا الصبي الذي حملوه معهم وهم يطلبون الرضعاء.
قالت: [إذ ما في ثديي ما يغنيه] ليس في ثديها ما يغني هذا الولد من الحليب [وما في شارفنا ما يغذيه، ولكننا كنا نرجو الغيث والفرج] الله أكبر! هذه موحدة! ترجو الغيث والفرج، من اللات أو العزى؟ لا.
بل من الله.
قالت: [خرجنا نلتمس الرضعاء في مكة، فما منا امرأة إلا وقد عرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأباه إذا قيل لها إنه يتيم] أولئك النسوة وعددهن كثير كلما عُرض النبي على واحدة منهم ويقال لها: إن هذا يتيم فهل ترضعينه؟ تقول: لا لا، لا ينفعني [وذلك أنا كنا نرجو المعروف من أهل الصبي، فما بقيت امرأة قدمت معي إلا أخذت رضيعاً غيري] ما حصلت على ولد [فلما أجمعنا العودة إلى بلدنا، قلت لزوجي: والله! إني لأكره أن أرجع ولم آخذ رضيعاً، والله لأذهبن إلى ذلك اليتيم فآخذه، فقال لي: لا عليك أن تفعلي، عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة، فذهبت إليه فأخذته] من ساقها؟ إنه الله.
[وما حملني على ذلك إلا أنني لم أجد غيره، فلما رجعت به إلى رحلي ووضعته في حجري أقبل عليه ثدياي بما شاء من لبن، فشرب حتى رُوي وشربَ معه أخوه حتى روي، ثم نام، وقام زوجي إلى شارفنا تلك، فإذا هي حافل] ثديها مملوء باللبن [فحلب منها ما شرب وشربت معه حتى انتهينا رياً وشبعاً، فبتنا بخير ليلة، فلما أصبحنا قال لي زوجي: تعلمين -والله- يا حليمة لقد أخذت نسمة مباركة] والنسمة هي الروح أو الإنسان [قلت: والله، إني لأرجو ذلك، ثم خرجنا وركبت أتاني] تعني حمارتها [وحملته عليها معي، فوالله لقطعت بالركب ما يقدر عليها شيء من حمرهم، حتى إن صواحبي قلن لي: يا ابنة أبي ذؤيب ، ويحك أربعي علينا، أليست هذه أتانك التي كنت خرجت عليها؟ فقلت لهن: بلى والله إنها لهي هي، فقلن: والله إن لها لشأناً.
ثم قدمنا منازلنا من بلاد بني سعد، وما أعلم أرضاً من أرض الله أجدب منها، فكانت غنمي تروح علي -حين قدمنا به معنا- شباعاً لبناً، فنحلب ونشرب، وما يحلب إنسان قطرة لبن ولا يجدها في ضرع حتى كان الحاضرون من قومنا يقولون لرعيانهم: ويلكم اسرحوا حيث يسرع راعي بنت أبي ذؤيب ، فتروح أغنامهم جياعاً ما تبض بقطرة لبن، وتروح غنمي شباعاً لبناً، فلم نزل نتعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتاه -أي: سنتا الرضاعة- وفَصلتُه].
وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وسلم.

كانت رضاعة النبي صلى الله عليه وسلم آية كما هو حاله في كل شئونه، فقد أرضعته حليمة السعدية حولين كاملين، وكان طيلة هذه العامين بركة على أهل بيت حليمة، فمنذ نزوله عندهم لمسوا البركة في أنفسهم وأنعامهم وأرزاقهم، وبعد أن مكث في بني سعد ما شاء الله أن يمكث عاد إلى أمه في مكة فكفلته حتى ماتت فكفله جده عبد المطلب، وبعد وفاة جده عبد المطلب انتقلت كفالته إلى عمه أبي طالب، وما زال في كفالته حتى شب صلوات الله وسلامه عليه.

تابع رضاع الحبيب ومراضعه صلى الله عليه وآله

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله؛ أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً، وقد انتهى بنا الدرس إلى هذه المقطوعة [رضاع الحبيب ومراضعه صلى الله عليه وآله].
قال المؤلف غفر الله لنا وله ورحمنا وإياه: [إن أول مرضع -تشرفت برضاعه صلى الله عليه وسلم- والدته الشريفة العفيفة الطيبةُ الأردان آمنة بنت وهب الزهرية ، التي رأت من آيات النبوة ما رأت، ثم ثويبة مولاة أبي لهب التي أرضعت عمه حمزة كذلك، فكان أخاً للنبي صلى الله عليه وسلم من الرضاعة، وهو عمه صنو أبيه.
ثم أرضعته حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية من بني سعد بن بكر؛ رضع مع ابنتها الشيماء بنت الحارث بن عبد العزى ، وقد رأت في إرضاعه صلى الله عليه وسلم آيات] علامات النبوة والتوحيد [فلنتركها رضي الله عنها تحدثنا بنفسها عما شاهدت من آيات نبوته صلى الله عليه وسلم] فلنترك هذه السعدية تحدثنا عن نفسها عما رأت من الآيات.
[إنها قالت: خرجت من بلدي مع زوجي] والمراد من البلد البادية التي كانت تسكنها مع زوجها [وابنٍ صغير لنا نرضعه] كان معها ابن صغير لها ترضعه [في نسوة من بني سعد نلتمس الرضعاء] خرجوا من بلدهم وأتوا مكة يلتمسون الرضعاء؛ ليرضعوا بأجرة -على عادتهم-.
قالت: [وذلك في سنة شهباء] أي: سنة قحط وجدب، لا عشب فيها ولا لبن [لم تبق لنا شيئاً] ماتت الماشية على اختلاف أنواعها [خرجنا على أتان لنا] تعني: حمارة، فأنثى الحمار يقال لها أتان [قمراء] أي: لونها كلون القمر، بيضاء [ومعنا شارف لنا] أي: ناقة كبيرة السن [والله ما تبض بقطرة] لا تسقط قطرة لبن من ضرعها للجدب والجوع وقلة الأكل [وما ننام ليلنا أجمع من بكاء صبينا الذي معنا من الجوع] لا ينامون الليل؛ لأن الصبي الذي معهم يبكي طوال الليل، فكيف ينامون؟! قولوا: الحمد لله! فهل بيننا جائع؟ وهل نحن أفضل من هؤلاء؟ لا أبداً.
.
وإنما ابتلاء الخالق لخلقه، وامتحان لا أقل ولا أكثر؛ إذ قال عز من قائل: وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ [الأنبياء:35] ومن عوفي فليحمد الله، فالحمد لله على أن الطعام متوفر لنا والشراب أيضاً، وحتى الكساء، فليس بيننا عارٍ، فالحمد لله.
قالت: [إذ ما في ثديي ما يغنيه، وما في شارفنا ما يغذيه، ولكنا كنا نرجو الغيث والفرج] الله أكبر! مشركون يرجون الله عز وجل وينتظرون الفرج منه، ليسوا ككفار اليوم، ولكن قلوبهم مع الله [خرجنا نلتمس رضعاء في مكة، فما منا امرأة إلا وقد عرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأباه إذا قيل لها: إنه يتيم] مجموعة النسوة الرضع اللائي جئن من بادية بني سعد أو بكر ما من امرأة يعرض عليها الرسول صلى الله عليه وسلم إلا وتقول: لا، لا؛ يتيم ماذا نستفيد منه؟! يردن رضعاء من الأغنياء، حتى يستفيدوا منهم.
إنه امتحان الله لرسوله صلى الله عليه وسلم.
[وذلك أنا كنا نرجو المعروف من أبي الصبي] كانوا يرجون الخير من والد الصبي [فما بقيت امرأة قدمت معنا إلا أخذت رضيعاً غيري] هي الوحيدة التي بقيت بدون رضيع [فلما أجمعنا العودة] وعزمنا على أن نرجع [إلى بلدنا، قلت لزوجي: والله! إني لأكره أن أرجع ولم آخذ رضيعاً] أي: بعد هذه المسافة والسفر أرجع ولا رضيع معي [والله! لأذهبن إلى ذلك اليتيم فآخذه] حمرت عينيها في زوجها، وحلفت: والله! لأذهبن إلى ذلك اليتيم وآخذه، فكيف أرجع هكذا بلا رضيع [فقال لي: لا عليك أن تفعلي] عجيب هذا الرجل [عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة] سبحان الله! وما

عرفوا الإسلام بعد، ولا معنى لا إله إلا الله، رحم الله امرءاً قال: "كفار العرب أشراف الكفار بالنسبة إلى هذا النوع الهابط من الإلحاد" فانظر إلى هذه الكافرة كيف تقول هذا الكلام هي وزوجها!! [فذهبت إليه فأخذته، وما حملني على ذلك إلا أنني لم أجد غيره] لم تعرف أنه سيكون رسول الله، ولا أن الآيات والكرامات ستتجلى بعد أخذه، وإنما كيف تعود بلا رضيع وقد مشت تلك المسافات، فأخذته -فقط- ولو لم يكن هناك معروف من أهله [فلما رجعت به إلى رحلي] حيث كانوا ينزلون [ووضعته في حجري: أقبل عليه ثدياي بما شاء من لبن] بمجرد أن وضعته في حجرها وألقمته ثديها أقبل عليه ثدياها باللبن.
إنها آيات النبوة! [فشرب حتى روي وشرب معه أخوه حتى روي] وأخوه من الرضاعة ابنها الذي جاءت به.
قالت [ثم نام، وقام زوجي إلى شارفنا تلك، فإذا هي حافل] يكاد اللبن يخرج بلا حلب [فحلب منها ما شرب، وشربت معه حتى انتهينا رياً وشبعاً، فبتنا بخير ليلة، فلما أصبحنا، قال لي زوجي: تعلمين، -والله!- يا حليمة ! لقد أخذت نسمة مباركة] والنسمة: الإنسان [قالت: والله! إني لأرجو ذلك.
ثم خرجنا وركبت أتاني وحملته عليها معي، فوالله! لقطعت بالركب: ما يقدر عليها شيء من حمرهم] انطلقت تلك الأتان، وسبقت كل الركائب التي كانت معها [حتى إن صواحبي] من النسوة [قلن لي: يا ابنة أبي ذؤيب ! ويحكِ أربعي علينا] أي: لا تسرعي وتتركينا [أليست هذه أتانك] التي كنت تركبين؟! [التي كنت خرجت عليها؟ فقلت لهن: بلى والله! إنها لهي هي] ليست خيلاً أو دابة أخرى، وإنما هي هي [فقلن: والله! إن لها لشأناً.
ثم قدمنا منازلنا من بلاد بني سعد، وما أعلم أرضاً من أرض الله أجدب منها، فكانت غنمي تروح علي -حين قدمنا به معنا-] حين قدمنا بالرضيع صلى الله عليه وسلم [شباعاً لبناً، فنحلب ونشرب، وما يحلب إنسان قطرة لبن ولا يجدها في ضرع] إلا هم [حتى كان الحاضرون من قومنا يقولون لرعيانهم: ويلكم! اسرحوا حيث يسرح راعي بنت أبي ذؤيب ، فتروح أغنامهم جياعاً ما تبض بقطرة لبن، وتروح غنمي شباعاً لبنا.
فلم نزل نتعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتاه (أي سنتا رضاعه) وفصلته] أي: من الرضاع؛ لأن الرضاع مدته عامان؛ قال الله تعالى: حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ [البقرة:233].
[وكان يَشِبُّ شباباً لا يشبه الغلمان] يكبر كبراً ليس كالأولاد الصغار، ولكن بسرعة عجيبة، هذه بركة الله! [فلم يبلغ سنتيه] أي: عامي الرضاع [حتى كان غلاماً خفراً (غليظاً شديداً) فقدمنا به على أمه] بمكة [ونحن أحرص شيء على مكثه فينا] تريد أن ترجع به مرة أخرى إلى البادية [لما كنا نرى من بركته، فكلمنا أمه] آمنة بنت وهب [وقلت لها: لو تركت بُنَيَّ عندي حتى يغلظ] ويشتد [فإني أخشى عليه وباء مكة] وهل في مكة وباء؟! على كل تحتال؛ لأن المدن فيها ما فيها بخلاف البادية [فلم نزل بها] أي: نراودها [حتى ردته معنا فرجعنا به، وبعد مقدمنا بأشهر، وإنه لفي بهم لنا] أي في ماشية [مع أخيه خلف بيوتنا] مع أخيه في الرضاعة خلف البيوت في بهم من الماشية [إذ أتانا أخوه يشتدُّ يجري [فقال لي ولأبيه: ذاك أخي القرشي قد أخذه رجلان، عليهما ثيابٌ بيض، فأضجعاه] في الأرض [فشقا بطنه] هذا الغلام فزع.
[قالت: فخرجت أنا وأبوه نحوه فوجدناه قائما منتقعاً (متغيراً) وجهه] متغير الوجه واللون [فالتزمته والتزمه أبوه، فقلنا له: ما لك يا بني؟ قال: جاء لي رجلان عليهما ثيابٌ بيض، فأضجعاني وشقا بطني، فالتمسا فيه شيئاً لا أدري ما هو، فرجعنا به إلى خبائنا] التمسا من بطن الرسول صلى الله عليه وسلم المركز الذي يحله الشيطان وينزل به؛ لأنه يُهيأ لئلا يقوى الشيطان على أن يوسوس له أو يزين له الباطل، بمعنى أنهم هدموا المحطة الشيطانية.
[وقال لي أبوه: يا حليمة ! لقد خشيت أن يكون هذا الغلام قد أصيب، فألحقيه بأهله قبل أن يظهر ذلك له] خاف أن يصاب بمرض أو كذا.

.
فقال لزوجته: عجلي وألحقيه بأهله [فاحتملناه، فقدمنا به على أمه] بمكة [فقالت: ما أقدمك به يا ظئر] والظئر: هي المرضع ذات العطف والحنان على من ترضع، ليست مرضعاً عادية تريد المال فقط، [وقد كنتِ حريصة عليه وعلى مكثه عندك؟! فقلت لها: قد بلغ الند بابني، وقضيت الذي علي] أي: قضت ما عليها من دين، وما أصبحت في حاجة إلى المال، فلهذا رجعت به، وهي حيلة حتى لا تعلم أمه بما جرى لولدها من شق بطنه [وتخوفت الأحداث عليه، فأديته إليك كما تحبين] سليماً معافى.
[قالت: ما هذا شأنك، فاصدقيني خبرك].

آمنة تفرست أن المرضعة تستر شيئاً عظيماً [فلم تدعني حتى أخبرتها] أي: لازمتها آمنة حتى أخبرتها [قالت: أفتخوفتِ عليه الشيطان؟] آمنة تقول للسعدية [قلت: نعم.
قالت: كلا والله ما للشيطان عليه من سبيل، وإن لبني لشأناً، أفلا أخبرك به؟ قلت: بلى] أي: أخبريني [قالت: رأيت حين حملت به أنه خرج مني نور أضاء لي قصور بُصرى من أرض الشام، ثم حملت به، فوالله! ما رأيت من حمل قط] أي: من أوجاع وآلام وأتعاب الحمل [كان أخف عليّ ولا أيسر منه، ووقع حين ولدته وإنه لواضع يديه بالأرض رافع رأسه إلى السماء، دعيه عنك وانطلقي راشدة] أي: اتركيه وعودي إلى أهلك راشدة.
قال المؤلف: [هكذا كان استرضاعه صلى الله عليه وسلم في بادية بني سعد، شأنه شأن أبناء سادات قريش، يرضعون أولادهم في البوادي ليصحوا أجساماً، ويفصحوا لساناً، ويقووا جناناً] فأغنياء مكة هم الذين يرسلون أولادهم للبادية من أجل أن يكبروا أصحاء في أبدانهم، وفصحاء في منطقهم [ولقد قال مرة صلى الله عليه وسلم معتزاً بشرف أصله واسترضاعه في البادية:] قال فداه أبي وأمي: [(أنا أعربكم، أنا قرشي واسترضعت في بني سعد بن بكر)] اعتز بهذه الحال، وقال: (أنا أعربكم) أي: أمتنكم عراقة في العروبية، فأنا قرشي واسترضعت في بني سعد بن بكر.

نتائج وعبر من مقطوعة (رضاع الحبيب ومراضعه صلى الله عليه وآله)

قال: [نتائج وعبر: لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبر نوجزها فيما يأتي: أولاً: بيان عدد مرضعاته صلى الله عليه وسلم وأنهن ثلاث: الأم السريّة آمنة ، و ثويبة مولاة عمه أبي لهب ، و حليمة السعدية رضي الله عنها].
إذاً: كم مرضعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم؟ ثلاث مرضعات: آمنة و حليمة و ثويبة .
الأولى: أمه، والثانية: ثويبة .
والثالثة: حليمة السعدية .
[ثانياً: بيان مدة رضاعه، وأنها كانت حولين كاملين، وهي المدة التي قررها الإسلام] فيما بعد؛ إذ قال تعالى: حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ [البقرة:233].
[ثالثاً: بيان ما نال حليمة السعدية وأسرتها من خير وبركة، وما فازت من شرف -لا يقادر قدره- بإرضاعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وحبها له.
رابعاً: حب النبي صلى الله عليه وسلم موجب للخير دافع للشر] وجرب تجد، فحب النبي صلى الله عليه وسلم موجب للخير دافع للشر [فإن حب أبي لهب له لما بشر بولادته نفعه] أبو لهب عم النبي صلى الله عليه وسلم، لما بشر بأن عبد الله أخاه ولد له ولد فرح [فرؤي في المنام وأنه يعذب لموته على الشرك والكفر إلا أنه يمتص من أنملته ماء كل يوم إثنين، وهو يوم ولادته صلى الله عليه وسلم وتبشيره به] هو في النار للشرك والكفر، ولكن رؤي في المنام يمتص يوم الإثنين ماء من أنملته، مقابل ذلك الحب الذي أحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل النبوة، قبل أن يكون رسولاً.
ومعنى هذا أن حب الرسول الصادق لن يعدم العبد جوازيه إذا كان حباً صادقاً.
[خامساً: تقرير الإسلام لمشروعية الإرضاع حولين كاملين لمن أراد ذلك] أقر الإسلام هذه العادة وأصبحت ديناً وشرعاً وقانوناً.
[سادساً: بيان إعداد الله تعالى عبده ورسوله محمداً صلى الله عليه وسلم لتلقي الوحي عنه بشق صدره، ونزع مغمز الشيطان منه حتى لا يبقى له محل ينزل به ليوسوس] خرب عز وجل تلك المحطة، أما محطاتنا فهي تعمل الليل والنهار.
[سابعاً: بيان آيات نبوته التي رأتها آمنة والدته يوم حملها ويوم وضعها] خرج منها نوراً أضاء قصور بُصرى بالشام.
[ثامناً: جواز الاعتزاز بالخير الذي يعطيه الرب تبارك وتعالى عبده، ويكرمه به.
لكن مع شكر المنعم سبحانه وتعالى على ما أولى العبد من خير وفضل].
هذه نتائج وعبر تلك المقطوعة، والآن إلى مقطوعة أخرى ..

كفلاء الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم وحاضنته

قال: [كفلاء الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم وحاضنته] والكفلاء: جمع كفيل، والحاضنات: جمع حاضنة.
قال: [لقد عاد بالحبيب صلى الله عليه وسلم مرضعته حليمة السعدية لتكفله أمه آمنة ، ويرعاه جده عبد المطلب] إذ جده ما زال موجوداً لم يمت، أما والده فقد توفي قبل ولادته [والله تعالى كالئ الكل وحافظهم، وبهذا كانت آمنة الوالدة أول كافل للنبي صلى الله عليه وسلم في صباه، وشاء الله تعالى أن تخرج آمنة بغلامها الزكي النقي الطاهر إلى يثرب (المدينة النبوية)] من مكة إلى المدينة تحمل غلامها معها [لتُزِيره أخواله من بني عدي بن النجار] جاءت به حتى تزوره أخواله ويعرفهم ويعرفونه [إذ هم أخوال أبيه وخال الأب خال الابن؛ لأن أم عبد المطلب والد عبد الله هي سلمى بنت عمر النجارية] من بني النجار.
[ولما وصلت آمنة الأبواء] قرية موجودة الآن ما بين مكة والمدينة قريبة من رابغ [-عائدة من المدينة إلى مكة- أدركتها المنية فماتت بها] لما جاءت أم النبي صلى الله عليه وسلم تزوِّر ولدها أخوال أبيه -وهم أخواله- وعادت، في طريقها حضرها الأجل وماتت بقرية تسمى الأبواء، وقد عرفنا: (أن النبي صلى الله عليه وسلم لما مر بها وقف على قبرها وبكى، فقيل له: ما يبكيك يا رسول الله؟! قال: لقد استأذنت ربي في أن أزور أمي فأذن لي، واستأذنته في أن أستغفر لها فلم يأذن لي)، ومن شك في الحديث فعليه بالقرآن، قال تعالى من سورة التوبة: مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُوْلِي قُرْبَى [التوبة:113]، فمن مات على الشرك وانقضى لا يستغفر له المؤمن أبداً؛ لأنه نقض لحكم الله عز وجل، والعوام والضلال يقولون: أبو طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة.
وأنا أقول: إن أبا النبي صلى الله عليه وسلم وأمه في النار كسائر المشركين اليوم؛ إذ جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم في هذا المسجد وقال: (أين أبي يا رسول الله؟! قال: في النار).
لأنه مات كافراً، فلما غضب الرجل وتحرك حركة غير عادية قال: (أبي وأبوك في النار) والحديث رواه مسلم .
ونحن عندنا علم ليس عند الآخرين، فالنار لا يخرج منها شريف أو غني أو وضيع أو ابن نبي أو أبو رسول، ولكن من زكى نفسه وطيبها وطهرها من أوزار الذنوب والآثام بواسطة العبادات وأدائها على الوجه الذي شرع الله، فالذي لم يصلِّ لله ركعة ولم يصم ساعة ..
على أي شيء تزكو نفسه؟ أنعكس سنن الله؟! إذاً: على ماذا تزكو نفوس المشركين؟ هل عبدوا الله بشيء شرعه لتزكو نفوسهم؟ الجواب: لا.
هذا الجزء الأول.
والثاني: أنا أرجو، وراجٍ أن أبوا النبي صلى الله عليه وسلم سينجحون في الامتحان في عرصات القيامة ويدخلون الجنة.
هذا رجائي الخاص؛ لأن أصحاب الفترة هم الذين لم تبلغهم دعوة ورفضوها، أو جاء نور وبعدوا عنه، فمن هنا يمتحنون يوم القيامة، وليسوا وحدهم، وإنما كذلك ومن ولد لا يتكلم ولا يسمع، ومن فقد عقله في صباه، وأولاد الكافرين -أربعة أصناف في عرصات القيامة يمتحنهم الله عز وجل- يصدر الله أمره إليهم أن ادخلوا النار، فمن كان منهم متهيئاً لطاعة الله ورسوله -لو أعطي العقل أو السمع والبصر أو حضر وقت النبوة- يقول: مرحباً بقضاء الله ويمشي، فيُخالف به إلى الجنة، ومن كان -لو صح عقله وبدنه، أو حضر النبوة- يقف موقف أبي جهل وغيره يسخر ويستهزئ ولا يعبد الله، يقول: لن ندخل النار، وكيف ندخل النار؟ يلزم ويقهر عليها.
فهمتم رجائي إن شاء الله..
رجاء أنهم يمتحنون كغيرهم ويستجيبون؛ لأن مظاهر اللين والطيبوبة في آمنة تدل على أنه لو بعث الرسول صلى الله عليه وسلم وشاهدت النبوة لكانت وراءها تجري، ووالده كذلك كان خيراً طيباً، ولا أظن أنه يقف موقف أبي لهب أو أبي جهل ، وقد لا يقبلها منكم العلماء، فإن فهمت عني وطابت نفسك وتلاءمت مع ما أقول فبها ونعمت، وإلا أنت وما عليه.
[وحضنت الحبيب محمداً صلى الله عليه وسلم الغلام اليافع مولاة أبيه أم أيمن] أم أيمن كانت عبده مملوكة لعبد الله فورثها ابنه، وقد كانت مع أمه، فلما ماتت أمه تولى حضانته أم أيمن ، واسمها: [بركة -باركها الله ورضي عنها-] لأنها حضرت الإسلام وأسلمت [إنها أم أسامة حب رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن حبه زيد بن حارثة مولاه -رضي الله عنه وأرضاه-] فبركة هذه كانت مولاة لعبد الله بن عبد المطلب ، فلما مات الوالد ورثها الابن (الرسول

صلى الله عليه وسلم)، وكانت مع أمه، فلما ماتت أمه في الطريق حضنته بركة ، ثم بركة زوجها الرسول صلى الله عليه وسلم بمولاه زيد بن حارثة ، فولدت له أسامة ، هذا هو حب النبي صلى الله عليه وسلم، وقد عاشت حتى توفي النبي صلى الله عليه وسلم وزارها أبو بكر و عمر ، فما إن دخلا عليها وسلما حتى اندلعت بالبكاء، فبكيا معها بكاء مراً، فقالوا: ما يبكيك؟ فقالت: أبكي؛ لأن جبريل كان يتردد على ديارنا وانقطع عنها.

[فوصلت به حاضنته أم أيمن مكة المكرمة، فسلمته إلى جده عبد المطلب فكفله] وكان شيخ مكة ورئيسها [فكان ثاني الكفلاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ولقد لقي محمد الغلام الطاهر من الحفاوة والتكريم والإجلال والتقدير من جده الكفيل ما لا يقادر قدره، ولا يُعرف مداه] يكاد يُدخله في جوفه.

لقد ألقى الله حبه في قلبه!! [ومات الجد الرحيم والكافل الكريم، وسن النبي صلى الله عليه وسلم ثماني سنوات] مات الجد الكفيل وسن النبي صلى الله عليه وسلم ثمان سنوات فقط [ليكفله -بوصية خصوصية من عبد المطلب - عمه أبو طالب] الجد عبد المطلب وصى ولده أبا طالب من بين أولاده الأربعة أو الخمسة بأن يكفل محمداً.

وهذا من تدبير ذي العرش لرسوله صلى الله عليه وسلم [وهو شقيق أبيه، فكان أبو طالب ثالث الكفلاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم في صباه] قبل البلوغ [وما زال في كفالته حتى بلغ سن الرشد] الخامس عشرة [ثم لازمه أبو طالب العم الكفيل فلم يتركه ولم يسلمه لقريب ولا لبعيد؛ حتى قبضه الله في السنة الحادية عشرة من البعثة النبوية العظيمة] وقصة موته معروفة، فعندما زاره في مرضه رجال من قريش، أبو جهل وغيره .

.

كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول له: (يا عم! قل: لا إله إلا الله! كلمة أحاج لك بها عند الله)، فما زال يراوده حتى قال -والعياذ بالله-: (هو على ملة عبد المطلب)؛ لأن الحاضرين قالوا له: (أترغب عن ملة عبد المطلب ؟!) أتترك دين آبائك وأجدادك؟! فقال: هو على ملة عبد المطلب ، فرآه النبي صلى الله عليه وسلم في ضحضاح من النار يغلي منه دماغه.

[ومات أبو طالب -مع الأسف- على غير ملة الإسلام لما سبق في قضاء الله أنه يموت غير مسلم، ولا راد لما قضى الله].

نتائج وعبر من مقطوعة (كفلاء الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم وحاضنته)

[نتائج وعبر: إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبراً هي كالتالي: أولاً: بيان يتم النبي صلى الله عليه وسلم؛ إذ مات والده وهو حمل لم يولد بعد، وماتت والدته وهو في السادسة من عمره، وفي القرآن الكريم: أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى [الضحى:6].

ثانياً: بيان من شرفه الله تعالى بكفالة نبيه أيام طفولته صلى الله عليه وسلم.

ثالثاً: بيان شرف بركة أم أيمن مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ إذ أكرمها الله بحضانته بعد وفاة أمه صلى الله عليه وسلم.

رابعاً: تقرير عقيدة القضاء والقدر، وأن السعيد من سعد في بطن أمه، والشقي من شقي في بطن أمه كذلك؛ إذ رفعت الأقلام وجفت الصحف بما هو كائن.

خامساً: بيان أن فعل الخير لا يعدم فاعله جوازيه، فإن أبا طالب أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عنه أنه في النار لموته على غير الإسلام، وأخبر أنه يُخفف عنه العذاب؛ لما قدَّم لرسول الله صلى الله عليه وسلم من عونٍ وحماية طيلة حياته معه في مكة].

والله تعالى أسأل أن يجعلنا وإياكم من محبي رسول الله صلى الله عليه وسلم، والسائرين في مسلكه الفائزين الناجين إن شاء الله.

إن الأيام التي عاشها النبي صلى الله عليه وسلم من طفولته إلى قبيل مبعثه كانت زاخرة بمظاهر الكمال المحمدي، ومن ذلك استسقاء أهل مكة به صغيراً حين يصيبهم القحط والجدب، وأنه صلى الله عليه وسلم لم يذكر أنه انكشفت له عورة طيلة حياته، وكان في شبابه يبغض الأصنام وكل ما يأتيه فتيان مكة من اللهو الباطل، ومنها ظهور شرفه على كافة رجالات قريش حين حكموه في مسائل جليلة كوضع الحجر الأسود في مكانه بعد تجديد بناء الكعبة، وقبولهم بحكمه صلى الله عليه وسلم.

مظاهر الكمال المحمدي قبل النبوة

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.
وقد انتهى بنا الدرس إلى هذه المقطوعة النيرة الكريمة، وهي [مظاهر الكمال المحمدي قبل النبوة] أي: مشاهد الكمال المحمدي قبل أن يُنبأ، من يوم ولادته إلى أن بلغ الأربعين من عمره.
ما هي مظاهر الكمال ومشاهده الدالة على أنه حقاً نبي الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.
قال المؤلف غفر الله له ولكم، ورحمه وإياكم: [إن الفترة التي قضاها الحبيب صلى الله عليه وسلم من أيام طفولته إلى يوم مبعثه، كانت حقاً زاخرة بمظاهر الكمالات المحمدية] وهي أربعون سنة [وكلها دلائل لنبوته] والدلائل: جمع دليل أو دلالة، أي: تدل على أنه نبي حق ورسول صدق [وآيات كمالاته] الأدبية والخلقية والروحية [وها نحن أولاء نستعرض مع القارئ الكريم طرفاً منها] سنستعرض شيئاً قليلاً من تلك الكمالات؛ لأنها في خلال أربعين سنة [طلباً لكمال محبته واليقين في الإيمان به صلى الله عليه وسلم] ليس لمجرد أن نسمع أو نعرف؛ بل من أجل أن نحبه أكثر مما نحبه، وأن يكون إيماننا به يقينياً، فوق مستوى الإيمان العادي.

المظهر الأول: الاستسقاء به صلى الله عليه وسلم وهو طفل لم يبلغ بعد

قال: [وإن أول تلك المظاهر الكمالية الاستسقاء به صلى الله عليه وسلم وهو طفل لم يبلغ بعد، فقد ذكر الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- في مختصره] مختصر السيرة الذي ألفه [أن ابن عساكر روى عن جلصمة بن عرفطة قال: قدمت مكة وهم في قحط] أي: لا مطر [فقالت قريش: يا أبا طالب ! أقحط الوادي وأجدب العيال، فهلم فاستسق] سبحان الله! مشركون يعبدون الأصنام والأوثان يستسقون الله عز وجل! والعالم الإسلامي اليوم لا يستسقي فيه بلد إلا نادراً ما عدا هذه الديار، فيندر أن أهل البلد الفلاني يستسقون، وإنما يذهبون إلى أضرحة الأولياء ويقيمون الزرد، ويجمعون المال من عامة الناس ليستسقوا بذلك! ووالله! إنه كما تسمعون، فما هو السبب؟ هجرنا كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فالقرآن يقرأ على الموتى، والسنة للبركة، فكيف نعرف الاستسقاء؟! ورزقني الله مرة قوماً يريدون الاستسقاء بزيارة سيدي فلان والذبح له، فحولناها إلى استسقاء وصلينا فكانت أول مرة في تاريخنا، إنه لعجب! المشركون يستسقون والمسلمون لا يعرفون.
مؤسف أن نهبط هذا الهبوط.
هنا قريش تقول: يا أبا طالب ! أقحط الوادي وأجدب العيال، فهلم فاستسق بنا، أي: اطلب السقيا من الله رب البيت العتيق، لم يقولوا: اللات ولا عزى ولا هبل [فخرج أبو طالب ومعه غلام كأنه شمس يوم دجن، تجلت عنها سحابة قتماء] أرأيتم كيف رسم صورة نبيكم؟ [ومعه غلام] ولد [كأنه شمس يوم دجن] أي: شمس في يوم مظلم [تجلت عنه سحابة قتماء] أي: تجلت عنه سحابة سوداء فظهر.
هذا وصفٌ لوجه الحبيب صلى الله عليه وسلم.
[وحوله أغيلمة] يعني: أطفال صغار [فأخذه أبو طالب فألصق ظهره بالكعبة ولاذ بأصبعه الغلام، وما في السماء قزعة، فأقبل السحاب من ههنا وههنا وأغدق] أي: أمطر [وانفجر الوادي] الوادي الأمين [وأخصب النادي والبادي وفي هذا قال أبو طالب : وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل هذه آية كالشمس على أنه

رسول الله أم لا، أو هناك شك؟! [فهذه إحدى الكرامات الإلهية للحبيب صلى الله عليه وسلم، وهو مظهر من مظاهر الكمال؛ إذ ألهم الله تعالى أبا طالب أن يستسقي به صلى الله عليه وسلم وهو طفل، فيأخذه ويأتي به إلى الكعبة ويلصق ظهره بها، ويرفع الغلام بين يديه، ولسان حاله يقول: اسقنا ربنا! فقد توسلنا إليك بهذا الغلام المبارك فيسقيهم الله تعالى حتى يجري واديهم وتخصب أراضيهم فكانت هذه من طلائع النبوة وتباشيرها].
قد يقول قائل: وهل يجوز التوسل بالذوات؟ فنقول: عندما أجدب أهل الحجاز على عهد عمر توسل رضي الله عنه بالعباس ، فكيف توسل به؟ قال: أنت عم رسول لله صلى الله عليه وسلم فصلِّ بنا.
وقدَّم عمر العباس مع أن عمراً -فيما أعلم أفضل- أليس كذلك؟ ومع هذا العباس عمّ سيد الناس صلى الله عليه وسلم، فتقدم وصلى العباس وما زالوا يصلون حتى أمطرت السماء.
فإذا أردنا أن نستسقي في قرية من القرى، علينا أن نطلب أفضلنا، وأكملنا، وأتقانا، ليس توسلاً بالذات، وإنما توسلاً بدعائه، فنجعله وسيلة في أن يقبل الله دعاءنا ويسقنا أو يدفع الكرب عنا.
قال المؤلف: [نتيجة هذا المظهر: إن نتيجة هذا المظهر من مظاهر الكمال المحمدي هي تقرير النبوة المحمدية وتأكيدها لتثمر بعد ذلك حب النبي صلى الله عليه وسلم، وتعلق القلب به حتى يكون أحب إلى المرء من نفسه التي بين جنبيه، ويصبح المحب مستعداً -نفسياً- لترك ما يحب لمحبوبه صلى الله عليه وسلم، وبذلك تتم الطاعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ومتابعته فيما جاء عقيدة وعبادة وخلقاً وأدباً، وهذه سبيل النجاة من المرهوب والظفر بالمحبوب في الدارين، وتلك غاية الطالبين الصالحين.

المظهر الثالث: تبغيض الله تعالى إليه الأوثان وكل أنواع الباطل

قال: [وثالث مظاهر الكمال أنه صلى الله عليه وسلم قد بغض الله تعالى إليه الأوثان] كان وهو طفل يبغضها، كما نبغضها نحن اليوم [وكل أنواع الباطل التي كان يأتيها فتيان قريش ورجالاتها من الغناء وشرب الخمر والقمار وسائر الملاهي] ليس الأفيون ولا والكوكايين ولكن الخمر.
وتعرفون الغناء أم لا؟ والحمد لله! نصر الله دينه، وما ضاعت صيحات المؤمنين، لقد مضت علينا فترة في مدينة النبوة كنت إذا مررت فيها بمائة سيارة فلا تجد أكثر من عشر سيارات لا تغني، أما الباقون فكلهم يغنون، وتمشي ليلاً في الشوارع والناس في أسطحة البيوت -قبل أن توجد هذه المبردات- فتسمع الأغاني إلى عنان السماء، أما الآن فالحمد لله، نفعت الدعوة، ليس بالسيف ولا بالعصا -أبداً- ولكن بالدعوة.
والشاهد عندنا: لو كنا صادقين في دعوتنا أيها المستمعون والمستمعات! فهذا يُبلّغ هذا وذاك يبلّغ ذاك، فوالله في أربعين يوماً لن تجد دشاً على سطح بالمدينة، ولكننا خائنون لأماناتنا، لا ننصح ولا نبكي، إما أن نتعنتر وإما أن نسكت.
[وقد أخبر صلى الله عليه وسلم عن ذلك عن نفسه فقال: (لما نشأت بغضت إلي الأوثان وبغض إلي الشعر، ولم أهم بشيء مما كان الجاهلية تفعله إلا مرتين، كل ذلك يحول الله تعالى بيني وبين ما أريد من ذلك، ثم ما هممت بسوء بعدهما حتى أكرمني الله برسالته، قلت ليلة لغلام كان يرعى معي .

.
)] غلام شاب كان يرعى مع النبي صلى الله عليه وسلم الغنم؛ لأن الرسول كان يرعى الغنم و(ما من نبي إلا وقد رعى الغنم) لا البقر والجمال، ولكن الغنم؛ لأن الذي يستطيع أن يسوس الغنم وهي في حاجة إلى العطف والرحمة والإحسان يسوس البشر، أما الذي لا يسوس إلا البقر والجمال فلا ينفع.
يقول صلى الله عليه وسلم: (لما نشأت بغضت إلي الأوثان وبغض إلى الشعر)، ولهذا لم يقل بيتاً من الشعر قط.
وهناك حادثة: أراد مرة الرسول صلى الله عليه وسلم أن يستشهد ببيت شعر وهو: ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأنباء من لم تزودِ فقال: ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك من لم تزود بالأنباء فقال أبو بكر : والله! إنك لرسول الله؛ انفعل الصديق انفعالاً وقال: والله! إنك لرسول الله؛ لأن الله قال: وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ [يس:69]، فما استطاع أن ينشد بيتاً واحداً، فكسر البيت وقدم وأخر؛ لأنه لو كان شاعراً لقالوا: هو شاعر ليس برسول، لكن كذبوا وعرفوا الخطأ، وأنه ليس بشاعر.

قال: [(لو أبصرت لي غنمي حتى أدخل مكة فأسمر كما يسمر الشباب..)] قال لزميله: ارع غنمي الليلة وأنا سأدخل مكة وأسهر أو أسمر كما يسمر الشباب، فوافق الغلام على الأمانة [(فخرجت حتى جئت أول دار من مكة أسمع عزفاً بالدفوف والمزامير لعرس كان لبعضهم)] ساقه القدر فما إن دخل مكة حتى سمع حفل عرس أحدهم، قال: [(فجلست لذلك فضرب الله على أذنيّ فنمت فما أيقظني إلا حر الشمس)] ما إن جلس حتى ألقى الله عليه النوم، وما استيقظ حتى أيقظته حرارة الشمس.
هذه وقاية الله! وقد حدث لي مرة في لبنان شيء من ذلك، فأردت أن أطلع فندقاً بالمصعد، فعندما دخلت، دخلت علي حوراء ولم أعرف ماذا أصنع، فصرخت: أخرجي! فأبت.
وضغطت على زر المصعد ليطلع فأبى أن يطلع ووقف حتى خرجت وبعد ذلك طلع.
إنها عصمة الله، وحمايته لأوليائه.
قال: [(ولم أقض شيئاً، ثم عراني مثل ذلك مرة أخرى)] أخرجه الحاكم وصححه.
وعصمه الله عز وجل له كانت في هاتان المرتان، همّ ولم يبلغ، وحال الله دون ذلك.
[نتائج هذا المظهر: إن لهذا المظهر من مظاهر الكمال المحمدي قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم نتائج هي كما يلي:
أولاً: حماية الله لرسوله صلى الله عليه وسلم من كل ما يسيء إلى سامي مقامه وعظيم منزلته -فداه أبي وأمي-]
وهناك مثلٌ عند أهل العلم يقولون: من العصمة أن لا تجد.
أي: تطلب سوءاً فلا تحصل عليه، هذه عصمة من الله.
فإذا رميت بيدك لتسرق لا تجد ما تسرقه، أو ذهبت لتطلب باطلاً فيحول الله بينك وبينه؛ لأنه يريدك طاهراً له، ولياً من أوليائه فيحفظك.
[ثانياً: بيان رعيه صلى الله عليه وسلم الغنم في البادية، وهي سنة الأنبياء من قبله؛ فقد قال صلى الله عليه وسلم: (ما من نبي إلا وقد رعى الغنم فقالوا: ولا أنت يا رسول الله؟! فقال: ولا أنا، قد كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة)]
والقيراط جزء من أربعة وعشرين كالقرش تقريباً، القيراط كالقرش من العشرين ريال.
[ثالثاً: إن الحكمة من رعي الأنبياء للغنم هي الإعداد لسياسة البشر بالرفق والرحمة واللين؛ لأن الغنم -وهي الضأن والمعز- أضعف من الإبل والبقر، وأحوج إلى الرفق، والإنسان أضعف منها، ولذا يحتاج إلى سياسة الرفق واللين وعدم الشدة والعنف] نريد أن نوجه الخطاب إلى الحكام، أليس كذلك؟! لا.
بل إلى الأزواج في بيوتهم مع زوجاتهم، لا تجد رفقاً ولا ليناً، ولكن سباً وشتماً وصراعاً وطلاقاً، ولن تجد أبداً أكثر من (25%) يحسنون إلى أزواجهم، فما هي إلا الكلمة القاسية والشدة والصفع وقد مللنا من الأسئلة عن الطلاق، وبالطلاق، وعلي الطلاق.
أنا أقول: يا هذا أنت تعيش مع الناس الليل والنهار، فهل آذيت مؤمناً في الشارع؟! إن أذية المؤمن حرام، فكيف إذاً تؤذي من هي في عصمتك وتحت ولايتك؟! وإذا قلت هذا للفحول، فقوله أيضاً للفحلات ظاهر، فبعض الفحلات كالحيات أيضاً، تنهش وتعض وتؤذي، ولكن هذا نادر، أما الرجال فهم الذين يتعنترون على النساء، فليس هناك لين ولا رفق ولا إحسان ولا بشاشة ولا ..وليس معنى هذا أنك تسمح لها أن لا تصلي، أو أن تطل على النافذة وتضحك مع الناس، هذا لا يقوله عاقل، وإنما إذا كان الماء ساخناً فلا تصرخ، وإذا كان الطعام قليلَ الملح فلا تسب ولا تلعن، وإذا قالت: ائتنا بكذا وليس عندك مال، فقل لها: والله ما عندي اليوم! لا تقل: اسكتي!!

المظهر الثاني: أنه صلى الله عليه وسلم لم تكشف له عورة قط

وثاني تلك المظاهر للكمال المحمدي: أنه صلى الله عليه وسلم لم تكشف له عورة قط] ومعنى قط: أبداً.
وهو: من قط الشيء إذا قطعه [بعد أن حدث له مرة وهو ينقل الحجارة مع رجالات قريش لبناء الكعبة المشرفة] لأن قريش بنت الكعبة أيام كان الرسول صلى الله عليه وسلم شاباً، فكان يحمل معهم الحجارة، من جبل أبي قبيس والجبال التي حوله لبناء الكعبة المشرفة [وكانوا يرفعون أزرهم على عواتقهم يتقون بها ضرر الحجارة] كانوا يلبسون الأزر، والرداء على أكتافهم -وإلى الآن ما زال الناس في جنوب المملكة يلبسون هذا، فليس هناك برد- ويرفعون أزرهم على عواتقهم يتقون بها ضرر الحجارة، حتى لا تؤذيهم [وكان هو صلى الله عليه وسلم يضع الحجارة على عاتقه وليس عليه شيء، فرآه عمه العباس] سيد الناس رضي الله عنه [فقال له: لو رفعت من إزارك على عاتقك حتى لا تضرك الحجارة ففعل صلى الله عليه وسلم] استغفله ففعل [فبدت عورته فوقع على وجهه فوق

الأرض] ما إن انكشفت عورته حتى وقع على الأرض -وهذا مظهر من مظاهر الكمال!- كأنه صعق، أما نحن فكيف حالنا؟ تجدهم يدخلون البحر عراة، وبعضهم يتحفظ ويعمل سروالاً يسمونه التبان، على قدر سوءتيه فقط، يغطي فرجاه لا أقل ولا أكثر، وفي الحمامات كذلك أيضاً؛ لأن الحياء من ورّثناه؟ من أين ورثناه؟! هل عشنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من صبانا حتى نكتسب آدابه وأخلاقه؟! هل كان آباؤنا وأجدادنا كذلك؟ إذاً: كيف نرجو هذا؟ والآن لاعب الكرة يكشف عن فخذيه، ليس الساقان، بل الفخذان أيضاً.

[ونودي] من ناداه؟ هتف به هاتف [استر عورتك] ومن ثم صعق على الأرض [أي: ناداه ملك، فما رؤيت له بعد ذلك عورة أبداً] أما نحن فنقول: (إيش فيه)؟! وكلمة: (إيش فيه) هذه هي التي هدمنا بها كل القواعد والأصول، وتجد من يقول: ما سقطت السماء، ولا غارت الأرض، يريدون من كل من ارتكب معصية أن يغرق أو تنزل عليه صاعقة من السماء!! ولو حصل ذلك ما بقي من يعصي، وإلا ما معنى (إيش فيه)؟ أيحرم رسول الله وتقول: (إيش فيه)؟!

[نتيجة هذا المظهر: إن لهذا المظهر نتائج هي كالتالي: أولاً: عناية الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم، وحفظه له من كل ما يسيء إلى مقامه الرفيع ومكانته السامية] فالله وليه يقيه ويحفظه من كل ما من شأنه أن يسيء إليه أو يخدش في كماله.

إذاً: الله يحبه، ولولا حبه ما اصطفاه ولا بعثه رسولاً.

[ثانياً: كشف العورات مما جاء الإسلام بتحريمه ومنعه إلا من ضرورة تطبيب ونحوه] جاء الإسلام بتحريم كشف العورات إلا من تطبيب، ونحوه كغريق فإنه ينقذ على أية حال، أما بدون هذه الضرورة فكشف العورات عندنا محرم، والعورات جمع عورة، والعامة العورة عندهم هي العين التي فيها البياض، وهذه يقال لها: عوراء، ولكن العورة بالتاء المربوطة عندنا نحن المسلمين في الرجال ما بين السرة والركبة، هذه هي العورة، فلا يحل لك أن تكشف ما بين سرتك وركبتك، وأهل العلم -وأنتم منهم- يقولون: العورة عورتان: مغلظة ومخففة.

فالمغلظة هي السوأتان؛ القبل والدبر، والمخففة ما بين السرة إلى موضع العانة، ومن الركبة إلى قرب الدبر، فإذا كان ولا بد ضرورة فاختر أخف الضررين، هذا سر كونها عورتين مغلظة ومخففة.

وأما المرأة المسلمة فكلها عورة ما عدا وجهها وكفيها، عليها في الصلاة أن تكشفهما، أما أمام الأجانب فليس شيء فيها غير عورة، والأجانب هم الذين يحل لهم أن يتزوجوها، فإذا لم يكن ثَم خمار خفيف، تنتقب وتترك عيناً واحدة تهتدي بها إلى حاجتها، و اليوم يوجد غطاء خفيف بريالين تغطي به وجهها كاملاً وتمشي، وترى حتى العقرب في الطريق أو الإبرة، فليس هناك حاجة إلى النقاب، فالنقاب أيام كان الصوف فقط، فكيف تغطي وجهها بالصوف وترى الطريق؟ غير معقول! إلا من بلغت سن انقطاع الحيض والحمل والنكاح، فهذه تكون كالرجل، تخرج كاشفة عن وجهها وحتى عن ذراعيها، وفي هذا يقول تعالى: وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لا يَرْجُونَ نِكَاحًا [النور:60] أي: آيسات من أن يخطبن فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ [النور:60] أي: حرج أو إثم أو ضيق أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ [النور:60] على المشجب وتخرج، حال كونهن غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ [النور:60].

وعندنا لطيفة: بعض النساء تقول: أمكم عجوز! أنا جدتكم، ثم تجعل الحمرة في خديها والسواد في عينيها، وكذا في شفتيها، وحلية الذهب في يديها، والخلخال ..

إلخ وتقول: أمكم عجوز! فأبطل الله هذه الحيلة بقوله عز وجل: غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ [النور:60].

ثم قال عز وجل: وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ [النور:60] ومعنى يستعففن: يلتزمن الملاءة السوداء حتى الموت، وإن بلغت مائة وعشرين سنة، وقد رأينا المدنيات الصالحات في عمر تسعة تسعين تمشي في الشارع لا يرى منها شيء، ويجوز لها، فهذا الذي استحبه الله: وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ [النور:60]، وكأنما طلب لهن العفة بإبقاء الحجاب الكامل مع السن المتجاوزة له.

ألا يقرأ المسلمون هذه الآية؟! [ثالثاً: بيان مشاركة النبي صلى الله عليه وسلم قومه فيما هو خير ومعروف، وهو مظهر من مظاهر كماله صلى الله عليه وسلم ذاتاً وروحاً وخلقاً] وعرفنا هذا المظهر لأنه كان يبني معهم، ويحمل الحجارة على كتفيه، وهذه مشاركة.

وقد عشنا أياماً كان أحدنا إذا أراد أن يبني بناية ليسكنها اجتمع عليه أهل القرية كلهم وساعدوه، وفي يوم أو يومين يكملونها!! فأين تلك الأخلاق؟ هل هناك من يفعل اليوم هذا؟ مستحيل!

المظهر الرابع: تحكيم قريش له في أعظم خلاف لها

قال: [ورابع المظاهر للكمال: هو تحكيم قريش له في أعظم خلاف لها] إن قريشاً على جلالتها وعظمة رجالها وشرفها -سادت العرب في كمالاتها- عندما اختلفت في قضية حكّموا فيها محمداً صلى الله عليه وسلم، وهو الذي لم يتخرج من كلية ولا من جامعة ولا عنده دبلوم سياسي.
وإليكم القصة.
قريش، الخلاف [كاد يفضي بها إلى الحرب والقتال، وذلك أن السيل كان قد طغى على الكعبة فغمرها بالمياه وزلزل بناءها، وكاد يهدُ أركانها] لأن الكعبة في الوادي [وتشاورت قريش طويلاً في إعادة بناء الكعبة بعد الذي أصابها، وكانت تتهيب أن تمس الكعبة بشيء لاسيما هدمها وتجديد بنائها؛ مخافة أن تنالها عقوبة من الله رب الكعبة وحاميها من كل كيد يراد لها] وحادثة الفيل معروفة أمامهم، جيش كامل تحطم من أجل أن لا يصل إلى البيت [وبعد أخذ ورد أقدمت على هدمها وتجديد بنائها بعدما أعدت لذلك عُدته ومنه المال الحلال] فمال القمار لا ينفع، ومال الربا لا ينفع، ولكن المال الحلال فقط، فإذا جئت بألف أو ألفين سألوك: من أين جئت بهذا المال؟ هل من الغارات أم من الربا أم من أين ..؟ فمن قال: هذا من عرقي وجدي وكدي أخذوه منه؛ حتى لا تبنى الكعبة بالحرام.
ولهذا الآن بعض من المسلمين يسألون: هل يجوز أن نصلي في مسجد بناه مرابٍ؟ هل يجوز إذا كان صاحب مال يشتغل بالربا أن يساعد في بناء مسجد؟ أما بالنسبة إلي فأقول: يسروا ولا تعسروا، فما دام بنا المسجد لله ولم يبق له فيه اسم ولا طمع، فلِم لا نصلي فيه؟! [وفعلاً وزعت أركانها على قبائلها] كل قبيلة تأخذ جهة؛ إذ كل قبيلة تريد أن تساهم في بناء البيت، حتى لا يُسمع أو يقال: إن القبيلة الفلانية لم تساهم أو لم تشارك في البناء؛ فلذا أعطوا كل قبيلة جزءاً معيناً.
[وشرعت في الهد والبناء، ولما ارتفع جدار الكعبة وبلغ موضع الحجر الأسود، اختلفوا فيمن يتشرف بوضع الحجر مكانه من الركن اليماني الشرقي] هؤلاء كفار أم مؤمنون؟! والله إنهم كفار مشركون! إذاً: ما هذا الشعور؟ الجواب: أيها الأبناء أصاب قريشاً ما أصابنا، فمات العلماء الذين ورثوا العلم من إسماعيل وإبراهيم، ومضت قروناً حتى نسوا وعم الجهل وغطى، وبقيت فرقة تؤمن بالله وبكعبته وبالحج إلى بيته، وبالحلال والحرام، ولكن هذه الأوثان جاء بها شيطان من الشياطين من الشام، وهو ابن لحي وورّثها فيهم فتعارفوا عليها، شأنهم في ذلك شأن المسلمين الآن، فأنت تجد عندنا قرى لا تعرف الله، لأنه لم يدخلها عالم أبداً، فيصلون كما يريدون..! المهم لا عجب، ولا حول ولا قوة إلا بالله.
قال: [وتنافسوا في ذلك، وشحوا به على بعضهم، حتى كادوا يقتتلون.
وأخيراً ألهمهم الله تعالى إلى تحكيم أول من يقبل من باب الصفا] عملوا كقرعة حتى ينهون هذا الخلاف؟ فقالوا: أول من يدخل علينا غداً أو بعد ساعة من باب الصفاء هو الذي يضع الحجر.
إذاً: كان فيهم عقل، ومع هذا يقول الله: بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ [العنكبوت:63] [وما زالوا كذلك حتى أقبل محمد صلى الله عليه وسلم، فما إن رأوه مقبلاً حتى قالوا: هذا الأمين، رضينا به حكماً] ولهذا الشناقطة يسمون أولادهم بـمحمد الأمين، وأكثر أسماؤهم: محمد الأمين، أي: اسم مركب من اثنين، من النعت والمنعوت.
[وفعلاً رضي صلى الله عليه وسلم بتحكيمهم له، فأمرهم أن يبسطوا ثوباً، فوضعه فيه] من أين تتجلى هذه المعارف؟! لو كان من أمثالكم لتعنتر وأخذه وحده ولم يبالِ، لكن انظر كيف عمل؟ [ثم أمر ممثلي قبائل قريش أن يأخذ ممثل كل قبيلة بطرف ورفعوه] قال: ائتوني بثوب، ووضع الحجر في الثوب ودعا ممثل كل قبيلة، وقال: ارفعوا الثوب؛ حتى يسهموا ويشاركوا كلهم، فلما حاذوا مكان الحجر أخذه هو ووضعه صلى الله عليه وسلم.
من يرقى إلى هذا الكمال؟! [ولما حاذوا به مكانه من الجدار رفعه بيديه الكريمتين فوضعه مكانه، وبذلك حقنت دماء قريش، وعادت الألفة والمودة بين رجالات قريش، فكان هذا الحكم والتحكيم أكبر مظهر من مظاهر الكمال المحمدي قبل إنبائه وإرساله نبياً ورسولاً.
نتائج هذا المظهر: إن لهذا المظهر من مظاهر الكمال المحمدي نتائج هي فيما يلي: أولاً: تقرير الكمال المحمدي الذي دل عليه وصف قريش له بأنه الأمين، إذ لم يُعرف بخيانة في عرض ولا مال ولا قول ولا عمل قط] لم يعرف أبداً بخيانة لا في عرض ولا في مال ولا في قول ولا عمل قط.
[ثانياً: حسنُ السياسة التي بها حقنت دماء قريش التي كادت تسيل من شدة الخلاف واحتدامه.

ثالثاً: إظهار شرف محمد صلى الله عليه وسلم على كافة رجالات قريش بتحكيمهم إياه ورضاهم بحكمه، وبهذا -وغيره- قامت الحجة على أكثرهم في إنكارهم نبوته واعتراضهم على رسالته، واتهامهم إياه بالنقائص!! وهو أكملهم على الإطلاق].

صلوا على نبيكم صلى الله عليه وسلم، وإن شاء الله تبقى هذه المظاهر راسخة في نفوسنا حتى نطبق بعضها إن شاء الله من الآن.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

كانت مظاهر الكمال واضحة في محمد صلى الله عليه وسلم قبل بعثته لكل من خالطه وعاشره، حتى إن من الناس من علم بأن له شأناً عظيماً لمجرد رؤيته، كما حصل مع بحيرا الراهب الذي رآه مرة واحدة وهو غلام، فعلم من علاماته أنه نبي آخر الزمان، ومن مظاهر كماله اشتراكه في حلف الفضول وهو لا يزال ابن عشرين عاماً، وآخر ذلك رغبة خديجة بنت خويلد في الزواج به، وهي من هي في قريش وجاهة ومالاً ورزانة وعقلاً.

تابع مظاهر الكمال المحمدي قبل النبوة

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: قد انتهى بنا الدرس إلى خامس مظاهر الكمال المحمدي، فمظاهر الكمال قسمناها إلى عدة أقسام، وها نحن مع خامس تلك المظاهر؛ لنرى من خلالها كمال نبينا صلى الله عليه وسلم؛ فيزداد حبنا له وفيه، كما يزداد يقيننا برسالته ووجوب متابعته صلى الله عليه وسلم.

المظهر السادس: حضوره صلى الله عليه وسلم حلف الفضول

قال: [وسادس المظاهر للكمال المحمدي: حضوره صلى الله عليه وسلم حلف الفضول.

وإن حلف الفضول كان بعد حرب الفجار] وهي حرب دارت بين قريش ومعها كنانة وبين قيس ومن معها، وكانت هذه الحرب في الأشهر الحرم، فاعترفوا بأنهم فجروا وخرجوا عن الأدب، فكيف يقاتلون في الأشهر الحرم وقد حرم الله القتال فيها؟ هذا كان في الجاهلية! فسميت هذه الحرب بحرب الفجار، بمعنى: الفجور؛ لأنهم فجروا عن طاعة الله فقاتل بعضهم بعضاً في الأشهر الحرم.

وسموا هذا الحلف بحلف الفضول؛ لأنهم تابوا ورجعوا وأرادوا أن ينهوا هذه الجريمة من أساسها.

قال: [التي كانت حرباً فجر فيها أهلها بانتهاكهم حرمة الشهر الحرام، وقد دارت تلك الحرب بين كنانة وقريش من جهة وبين قيس من جهة أخرى، وكان سببها تافهاً لم يعدُ قتل رجل من قيس] رجل من قيس قتله قرشي [فتداعى بعده الأحلاف للقتال] كل جماعة دعت الثانية [ولما انتهت تلك الحرب الفاجرة الخاسرة؛ إذ هي من عمل الجاهلية دعت قريش إلى حلف الفضول] هذا حلف الفضول دعت قريش له فحضره النبي صلى الله عليه وسلم وهو لم يبلغ ولم ينبأ ولم يرسل بعد ..[وسببه: أن رجلاً من زبيد جاء مكة ببضاعة] يتجر فيها [فاشتراها منه العاص بن وائل] شر أهل مكة [وكان ذا قدر وشرف في مكة] العاص بن وائل معروف في شرفه وقدرته وسيطرته في مكة [فمنعه حقه] سواء جاء يبيع الزبدة أو العسل أو الكتان أو أي شيء آخر ..

المهم تجارة اشتراها منه العاص بن وائل ثم تمرد ومنعه حقه، أو لعله أعطاه شيئاً قليلاً واستهانه واحتقره، وهذا شأن الطغاة والمتكبرين [فاستعدى الزبيدي الأحلاف على العاص] نادى ودعا أحلافه وأحلاف بلاده وقومه على أن يضربوا على يد العاص ويستردوا حقه منه، [وهم عبد الدار ومخزوم وجمح وسهم وعدي، فأبوا أن يعينوه على العاص بن وائل] خذلوه؛ لأنهم خافوا من العاص ، أو احترموه، أو لأمر ما لم يستجيبوا [فما كان منه إلا أن علا جبال أبي قبيس] طلع إلى قمة جبل ووقف عليها [وصاح بشعر يصف فيه ظُلامته] يبكي لأنه مظلوم في ديار الكرم والشرف [وعندها مشى الزبير بن عبد المطلب] عم نبينا صلى الله عليه وسلم [وقال: ما لهذا مترك، فاجتمعت هاشم وزهرة وتيم من مرة في دار عبد الله بن جدعان ومعهم النبي صلى الله عليه وسلم وكان عمره إذ ذاك عشرين سنة، فصنع لهم عبد الله بن جدعان طعاماً وتحالفوا وهم في شهر ذي القعدة] الشهر الحرام [أي: حلف بعضهم لبعض متعاهدين متعاقدين بالله ليكونُن يداً واحدة مع المظلوم على الظالم حتى يؤدى إليه حقه ما بل بحر صوفة] وهذا قول يفيد التأبيد (ما بل بحر صوفة)، مثل: لا أكلمك ما طلع نجم، أي: إلى الأبد، وهل هناك يوم لا يطلع فيه نجم؟! وكذلك

لا يعجز البحر عن بل الصوفة، مستحيل! ولو وضعت فيه قنطار صوف أو مليون قنطار، ولكن هذا من باب المبالغة في التأبيد.

[فسمت قريش ذلك الحلف (حلف الفضول) وقالوا قد دخل هؤلاء في فضل من الأمر] وقد حضره النبي صلى الله عليه وسلم قبل الرسالة في العشرين من عمره [ثم مشوا إلى العاص بن وائل وانتزعوا منه حق الزبيدي، وفي هذا قال الزبير بن عبد المطلب وهو عم النبي صلى الله عليه وسلم] قال شعراً منه هذان البيتان: [إن الفضول تحالفوا وتعاقدوا ألا يقيم ببطن مكة ظالم أمر عليهم توافقوا وتعاقدوا فالجار والمعتر فيهم سالم [وفي هذا الحلف يقول الرسول صلى الله عليه وسلم في الإسلام] لما دخل في نور الله وأصبح رسوله [(لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لي به حمر النعم)] فرحاً بذلك الحلف؛ لأنه اجتماع على إقامة العدل والحق وضرب يد الظالمين وتحطيمهم [(ولو أُدعى به في الإسلام لأجبت)] لو دعي في الإسلام إلى حلف ضد الظلم والشر والباطل لأجاب وحضر صلى الله عليه وسلم.

[و عبد الله بن جدعان هذا، هو الذي كان يكسو ألف حلة] كل حج يوزع ألف بدلة على الحجاج، والبدلة هي الحلة، ثوبان من نوع واحد [وينحر ألف بعير في كل موسم] أين تجدوا هذا الكرم؟ في إيطاليا؟ أين أهله؟ ألف حلة يكسوها وألف بعير يذبحها للفقراء وللحجاج [وقالت فيه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها] و عائشة من لم يعرفها بعد عليه أن يجدد إسلامه [(إن عبد الله بن جدعان -يا رسول الله- كان يُطعم الطعام ويَقري الضيف، فهل ينفعه ذلك يوم الدين؟)] يوم الجزاء يوم القيامة [(فقال: لا)] لا ينفعه [(لأنه لم يقل يوماً من الدهر: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين)].

وهذا معلوم عندنا أنه من مات على غير التوحيد كافراً مشركاً لو صام ألف عام وحج ألف حجة فلا قيمة لعمله؛ لأن الله قال: وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا [الفرقان:23]، والله يقول في خطاب رسوله صلى الله عليه وسلم: وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ [الزمر:65] بماذا؟ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ [الزمر:65]؛ فلهذا من مات وهو يصرخ: لا إله إلا الله محمد رسول الله دخل الجنة وإن فعل ما فعل؛ لعظم هذه الحسنة، ومن مات على غير لا إله إلا الله -والعياذ بالله- لو فعل ما فعل لا يدخل الجنة؛ ولهذا العبرة بالخواتيم.

وإني أخشى في هذه الأيام ظاهرة الصحن الهوائي، وأن يموت أهل هذا البيت على سوء الخاتمة؛ لأنهم تحدوا الله ورسوله، وخرجوا عن جماعة المسلمين، وبلغتهم فتيا عالم أعلم أهل الأرض اليوم، وأن هذا لا يصح أبداً في بيت مؤمن، ورغم ذلك يجلس هو وامرأته وبناته أمام العهر وارتكاب الجريمة والجنس، راضين بذلك يوماً بعد يوم؛ حتى يطبع على قلوبهم، فيموتوا على سوء الخاتمة والعياذ بالله، والذين بلغهم هذا الكلام وأصروا فكأن القدر يسوقهم إلى هذه المحنة، وإلا دلوني على مؤمن يسمع هذا الكلام ويبقى في بيته هذا الشيء؟ لا يمكن أن يكون مؤمناً.

إذاً: نتائج هذه المقطوعة.

[نتائج هذا المظهر إن لهذا المظهر من الكمال المحمدي نتائج وعبراً نلخصها فيما يلي: أولاً: شعور أهل الجاهلية بالخطيئة وكراهيتهم لها؛ ولذا سموا الحرب التي انتهكوا فيها حرمة الحرم بحرب الفجار، وهو فعال من الفجور، إذ تبادلوا فيه الفجور فصار فعالاً من باب (فاعَلَ) كقاتل قتالاً] شعور أهل الجاهلية بالخطيئة وكراهيتهم لها، وما زالوا لم يسلموا ولم يعرفوا الإسلام، ولكن عرفوا أن الظلم ليس فيه خير، فمن هنا تحالفوا على أن يردوا حق المظلوم وينصروا المظلوم وهم في جاهلية.

والآن المسلمون لا يعرفون هذا، فلما هاجم العراق المملكة كان المسلمون يصفقون ويقولون: نحن مع صدام !! قلنا: يا جماعة! تكفرون وأنتم لا تشعرون، إن الله عز وجل يقول: وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا [الحجرات:9] فإن أبوا الصلح وبغوا قال الله: فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي [الحجرات:9] قالوا: لا.

سنقاتل مع التي تبغي.

وفيهم من يقرأ القرآن! فانظر إلى فرح الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا الحلف قال: (ولو أُدعى به في الإسلام لأجبت)؛ لأنه لرفع الظلم عن المظلوم، فكيف ننتكس نحن ونقف إلى جنب الظالم؟! إنه هبوط ليس له حد أبداً، وهذا يكشف عن حال المسلمين وأنهم ملتصقون بالأرض، ولا يرفعهم إلا الذي رفعهم أول مرة، وبِم يرفعون؟ -هذا هو

كلامنا طوال العام- بالرجوع إلى منهج رسول الله صلى الله عليه وسلم، كيف كوَّن تلك الأمة النورانية؟ هل كوَّنها بالجامعات والكليات والشطحات؟ لا.
كونها في هذا المسجد، بتعليم الكتاب والحكمة والتزكية.
لقد هجرنا بيوت الله وانتقلنا إلى أسوء الظروف والأحوال والاجتماعات، فكيف نصبح علماء ومؤمنين وربانيين؟ مستحيل! ومن أين سيأتي هذا؟! أن هذا علم يتلقى ويدخل في القلب ويسخر طاقات الإنسان: السمع والبصر واليد والرجل والفرج والبطن، فالكل مسخر لعلم الله عز وجل، فإذا كانت أمة من قرون لم تعرف هذا فكيف تظن بها؟
[ثانياً: بيان ظلم وطغيان العاص بن وائل ، وهو الذي وقف في وجه الدعوة الإسلامية يحاربها حتى مات إلى جهنم] عليه لعائن الله.
[ثالثاً: بيان مروءة الزبير بن عبد المطلب] في الجاهلية قبل الإسلام، فقد تجلت مروءته وصاح قائلاً: كيف نسكت على الظلم ولا نضرب على يدي الظالم؟ [إذ هو الذي كان السبب في تكوين حلف الفضول، وإعادة حق الزبيدي إليه بعد انتزاعه من العاص بن وائل .
رابعاً: بيان فضل بني هاشم على غيرهم، وحسبهم شرفاً مفاخرهم الجمة، وكون النبي صلى الله عليه وسلم منهم] نعم.
بنو هاشم هم سادات العرب وأشرافهم.
[خامساً: تقرير الكمال المحمدي وتأكيده] بماذا؟ [بحضوره صلى الله عليه وسلم هذا الحلف] حلف الفضول [ومفاخرته به في قوله الثابت الصحيح: (لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لي به حمر النعم)]
والمراد من حمر النعم الإبل الحمراء، فهي ذات قيمة على السوداء والبيضاء؛ إذ كانت هي أموالهم فليس ثمة بنوك ولا مستودعات للمال، ولكن الإبل هي رأس مالهم، فبقدر ما يملك الرجل من الإبل فهو في غناه، ثم الجزيرة ليس فيها إلا الإبل، لا مصانع ولا مزارع، قال: [(ولو أدعى به في الإسلام لأجبت)] فلو تقاتلت -مثلاً- إيطاليا مع فرنسا وتحاربتا، وعرفنا أن إيطاليا مظلومة، وقال بعض الدول: نتعاون على ضرب هذا الظالم وتأديبه فهل يجوز الدخول معهم؟ والله يجوز.
وأينما وُجد حلف لضرب الظالم وتأديبه وصرفه عن ظلمه جاز الدخول فيه، وأعيد لكم كلمة نبيكم صلى الله عليه وسلم إذ قال: (ولو أدعى به في الإسلام لأجبت).
[سادساً: عدم انتفاع العبد بما يعمله من الخيرات والصالحات إذا مات مشركاً] مهما عمل المرء ومات مشركاً لا ينتفع بذلك [لقول الرسول صلى الله عليه وسلم لعائشة وقد سألته عن عبد الله بن جدعان : (إنه لم يقل يوماً من الدهر: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين)] فكيف ينفعه ما أنفقه من مال ومتاع؟ [أي: لا ينفعه عمله الصالح لموته على الشرك والكفر] والعياذ بالله.
المظهر السابع: رغبة خديجة فيه وزواجها به صلى الله عليه وسلم

قال: [وسابع الكاملات المحمدية هو: رغبة خديجة فيه وزواجها به صلى الله عليه وسلم] ووالله لو جمعتم نساء العالم الآن ما كن كـخديجة ، ولا وصلن إلى مستواها في كمالها، ولو جمعتم الجامعيات كلهن -أما الجاهلات مثل أمي فاتركوهن- ما كن كـخديجة ، إنها هبات الله وعطاياه [إنه صلى الله عليه وسلم لما تجاوز العشرين من عمره، وحضر حلف الفضول، وَقَبلَه تحكيم قريش له في وضع الحجر الأسود] استطاع صلى الله عليه وسلم أن يحل مشكلة -والله- لا تحلها الأمم المتحدة ولا تقدر عليها، فقد كادت قبائل قريش أن تتقاتل فجاء صلى الله عليه وسلم وحل المشكلة بابتسامة، وطأطئوا رءوسهم وقالوا: هذا محمد الأمين! [واشتهاره بالصدق والوفاء والأمانة والعفة والنزاهة] كل هذا حاصل؛ فقد اشتهر بالصدق في حديثه، والوفاء في وعوده، والأمانة فيما يؤتمن عليه، وبالعفة والنزاهة عن كل ما من شأنه أن ترغب فيه الأهواء والشياطين [زيادة على شرف الأصل، وطيب المحتد، وكان بمكة امرأة سرية ثرية] سيدة وغنية أيضاً [ذات كمالات نفسية من خلق فاضل، وأدب رفيع، تلك هي خديجة بنت خويلد الأسدية القرشية رضي الله تعالى عنها، وقد بلغها من مظاهر الكمال المحمدي ما جعلها تعرض عليه الاتجار بمالها] فقد بلغها عن صدقه ووفائه وأمانته وشجاعته، فعرضت عليه أن يتجر لها في مالها [ليوفر لها دخلاً مادياً يستغني به عن كفالة عمه أبي طالب] إذاً: ليوفر له هو ليس لها هي فقط، دخلاً مادياً يستغني به -أي: الرسول- عن كفالة عمه أبي طالب [ورفادته].

[ورضي الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم بالعرض وقبل الطلب وخرج في قافلة تجارية إلى الشام، ويصحبه لخدمته غلام خديجة المسمى بميسرة] هذا غلام لخديجة قالت له: اخرج مع محمد في التجارة لتخدمه [وهذه] هي [المرة الثانية التي يسافر فيها صلى الله عليه وسلم إلى الشام؛ إذ الأولى كانت مع عمه وفي صباه، وقد تقدم الحديث عنها في رابع الكمالات المحمدية.
ومن الآيات التي شاهدها ميسرة] خادم خديجة [في سفره مع الحبيب صلى الله عليه وسلم أنه رأى ملكين يظللانه من حر الشمس إذا اشتدت الهاجرة، كما أنه صلى الله عليه وسلم نزل يوماً تحت ظل شجرة قريبة من صومعة راهب فرآه الراهب، فسأل ميسرة عنه، فقال له: هو رجل من أهل الحرم قرشي، فقال له الراهب: إنه ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي، وذلك لما شاهد من آيات النبوة التي تلوح لكل ذي بصيرة وتأمل.
كما قال الأعرابي الذي نظر لأول مرة إلى الحبيب صلى الله عليه وسلم فقال: والله ما هو بوجه كذاب!!] هذا أعرابي بدوي عندما نظر إلى وجه الرسول صلى الله عليه وسلم تفرّس وقال: والله ما هو بوجه كذاب! [وعاد الحبيب صلى الله عليه وسلم بتجارة رابحة وسرت خديجة ، وزادها سروراً ما أنبأها به غلامها ميسرة من خبر الراهب وأمر الملكين اللذين يظللانه من حر الشمس، فرغبت لذلك -ولغيره- في الزواج به صلى الله عليه وسلم وعمره يومئذ خمسة وعشرون عاماً، وعمرها ما بين الخامسة والثلاثين والأربعين من السنين] فهي أكبر منه عمراً [وقد تزوجت قبله صلى الله عليه وسلم أبا هالة زرارة التميمي ، وتزوجت قبل هذا بعتيق بن عائذ المخزومي ، وولدت له ابناً يدعى هنداً ، وبهذا كان كل من هند و هالة ربيباً للنبي صلى الله عليه وسلم] والربيب هو ابن الزوجة.
قال: [خطبة الزواج الميمون: وكانت الخطبة كالتالي: بعثت خديجة إليه صلى الله عليه وسلم تقول: يا ابن عم إني قد رغبت فيك لقرابتك وسِطتك] بين الناس [في قومك، وحسن خلقك، وصدق حديثك، ثم عرضت عليه نفسها ليتزوجها، وكانت رضي الله عنها يومئذ من أوسط نساء قريش نسباً، وأعظمهن شرفاً، وأكثرهن مالاً ، وكل واحد من قومها كان حريصاً على الزواج بها لو يقدر على ذلك.
فذكر صلى الله عليه وسلم لأعمامه] الموجودون [فخرج معه عمه حمزة بن عبد المطلب و أبو طالب حتى دخلا على والدها خويلد بن أسد فخطباها إليه فزوجها] وافق [وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرين بَكرة] البكرة من الإبل؛ إذ هذا هو المال [وكانت أول امرأة تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يتزوج غيرها حتى توفاها الله، وانتقلت إلى جواره] هذه كلمة طيبة للسيدات!.
إذاً لم يزعجها بضرة تضارها حتى ماتت [وكل أولاده صلى الله عليه وسلم منها إلا ما كان من إبراهيم فإنه ابن مارية القبطية المصرية] وباقي الأولاد كلهم من خديجة .
إذاً: [نتائج وعبر هذا المظهر: إن لهذا المظهر من مظاهر الكمال المحمدي نتائج وعبراً نجملها إزاء النقاط التالية:
أولاً: تقرير النبوة المحمدية برؤية الملكين يظللانه من حر الشمس.
ثانياً: شهادة الله له بالنبوة، وهي شهادة عالم وكفى بها شهادة.
ثالثاً: بيان ما حبا الله تعالى به نبيه من الكمالات النفسية التي رغبت خديجة في الزواج به.
رابعاً: مشروعية إبداء المرأة رغبتها في الرجل تريد الزواج به] وننبه إلى فتنة دائرة بين العوام والضلال: وهي أنه لا يحل لك يا ابن الإسلام! أن تتصل بالبنت وتخطبها عن طريق التلفون أو المراسلة وأبوها معها وأمها؛ لأنها بكر، لكن لو كانت ثيباً فلك أن تتصل بها، أما البكر فلا يحق لك أبداً أن تتكلم معها، ولكن اطلبها من أبيها أو أخيها أو وليها، وهذه فتنة موجودة سببها الجهل والضلال، أرأيت لو سمع بك الفحل أنك تتصل بابنته؟! لو كنا في عصر الجاهلية يلوي رأسك ويدق عظمك.
خامساً: مشروعية الخطبة للزواج، وتولي ذلك قريب الزوج، كما تولى حمزة وأبو طالب خطبة خديجة من والدها خويلد بن أسد.
سادساً: بيان شرف خديجة أم المؤمنين، وهي حقاً سيدة نساء أهل قريش، وقد جاء جبريل عليه السلام ببشارة لها من أعظم البشريات، جاء بها من الله عز وجل وهي: إن الله يقول لك -يريد رسول الله- أقرئ خديجة مني السلام، وبشرها بقصر في الجنة من قصب.
وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.
المظهر الخامس: اعتراف بحيرا الراهب بكماله وبنبوته صلى الله عليه وسلم

قال: [وخامس مظاهر الكمال المحمدي: اعتراف بحيرا الراهب بكماله وبنبوته، ووصيته عمه أبا طالب به] وبحيرا راهب مسيحي بأرض الشام، وسنقف كيف أوصى بحيرا عمه أبا طالب به، والنبي يومها غلام، بل ناهز الاحتلام [وذلك أنه لما بلغ صلى الله عليه وسلم الثانية عشرة من عمره -أو ما يقاربها-] ناهز الاحتلام ولم يحتلم، ولا يحتلم صلى الله عليه وسلم [وأراد أبو طالب -وهو عمه وكافله- السفر إلى الشام صحبة قافلة تجارية، عز على أبي طالب أن يخلف محمداً وقد امتلأ قلبه بحبه صلى الله عليه وسلم] كيف يسافر في قافلة تجارية إلى الشام ويترك الغلام محمد صلى الله عليه وسلم وحده؟ ما استطاع.

[وعز على محمد صلى الله عليه وسلم أن يفارقه عمه كذلك] حتى الرسول بدوره ما استطاع أن يفارق عمه أيضاً ويبقى بدونه [فتعينت الصحبة، فصحبه أبو طالب معه إلى الشام مجتازين ديار ثمود وبلاد مدين إلى الشام] إذ هذا هو الطريق [وانتهوا إلى بُصرى من ديار الشام] وهي مدينة معروفة [فنزلوا منزلاً قريباً من صومعة راهب هو بحيرا] القافلة نزلت ولكن كانت قريبة من الصومعة التي كان يتعبد فيها الراهب بحيرا [وكان بحيرا ذا علم بالمسيحية والكتب الأولى] كان بحيرا متعبداً ناسكاً وعالم بالديانة المسيحية بأجزائها وتفصيلاتها، وبالكتب السابقة: كالتوراة والإنجيل والزبور [وكان رأساً في المنطقة] المنطقة التي بها صومعته هو الرئيس، إليه يُسلِّم ويرد كل شيء، وهو من أهل الدين [لعلمه وفضله] أضاف إلى العلم الفضل، فلا يكون العالم شحيحاً بخيلاً ذا خلق سيئ -أستغفر الله- والله لا يكون هذا! أننقض أنفسنا وكلامنا؟ فإذا كان العالم سيئ الخلق شحيحاً فما فائدة تحصيل العلم الذي ينتج النتيجة العظمى في القلب وهي حب الله والخوف منه؟! هيهات هيهات أن يكون العالم صعلوكاً كصعاليك البشر!! والشاهد عندنا: في مدحهم للراهب قالوا: كان عالماً وكان ذا فضل.

[وشاء الله تعالى أن يطل من أعلى صومعته] والصومعة كالمنارة، يعبد الراهبُ الله فيها منقطعاً عن الناس، فهذا شأن الرهبان في بلاد النصارى [فيرى قافلة قريش] ذات الإبل العشرات أو المئات [وهي مقدمة نحوه، وأن بينها] أي: بين تلك القافلة [غلاماً تظلله غمامة من الشمس] شاهد بحيرا بين أفراد القافلة غلاماً تظلله غمامة من الشمس [ولما وقفت القافلة للنزول ونزلت رأى الغمامة تقف فوق الغلام لا تتعداه؛ تحفظه من حر الشمس] لما كانت القافلة ماشية كانت الغمامة تمشي، ولكن فقط على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو غلام في الثاني عشرة من عمره، ولما نزلت القافلة ووضعت رحالها وقفت الغمامة أيضاً.

[فعلم] أي: بحيرا [أن لهذا الغلام شأناً] عظيماً [وكيف يصل إليه ويجري الحديث معه ليعرف شأنه؟ فما كان من الراهب إلا أن دعا القافلة إلى طعام عشاء عنده] ولهذا قيل: ذو علم وفضل.

تخيل قافلة فيها عشرات الرجال يقول لهم: العشاء عندنا الليلة!! [بعنوان ضيافة] مطلق ضيافة، وللضيف -كما تعرفون- حقه، ثلاثة أيام [وقبلت القافلة ذلك بعد تردد واستفسار عن مثل هذه الضيافة التي لم تحصل لقوافلهم المتعددة قط] لأنهم هاشميون -فحول الدنيا- لا ينقادون رأساً للطعام، فترددوا وتساءلوا: لِمَ؟ ما سر هذه الضيافة؟ فلعله إذاً يكيد لنا، أو يمكر بنا [وطمأنهم بحيرا ؛ لأنه لا غرض له إلا إكرامهم، والتعرف على أحوالهم] يعني قال: لا تتهيبوا ولا ..فوالله ليس عندي غرض إلا أن أكرمكم.

[ولما حضر الطعام وتقدم الأكلة] جمع آكل [لم يرَ بحيرا الغلام الذي رأى الغمامة تظلله فتعجب] أين الغلام؟ [وقال للقوم: هل تخلف من قافلتكم أحد؟ فقالوا: لا] أي: كل رجال القافلة حاضرون بين يديك [فقال: بلى، أين الغلام الذي كان معكم؟ فجاءوا به] وهذا من حياء رسول الله صلى الله عليه وسلم وأدبه، أنه كيف يجلس مع المشايخ ويأكل معهم وهو حدث السن؟ فرضي أن يبقى في القافلة ولا يأتي ليأكل، أما أولادنا فإنهم يسابقون الضيوف ويدخلون بين أجنحتهم.

[وقد تخلف لصغره وحيائه أن يطعم مع رجالات قريش، فبقي في رحل عمه] وهذا من مظاهر الكمال وهو في الصبى [فلما جاء وجلس أخذ بحيرا يلحظه ويتأمله] ليشاهد النعوت والصفات في جسمه؛ لأنه منعوت عندهم [ولما انصرف القوم قام بحيرا إلى محمد صلى الله عليه وسلم وقال له: يا غلام! أسألك بحق اللات والعزى -جرياً على حلف العرب بهما-] فبحيرا يعرف أن العرب يحلفون باللات والعزى، وأن هذان إلهان جليلان عند قريش، فحلف للرسول بهما ليصدقه، فقال: أسألك يا غلام بحق اللات والعزى [إلا أخبرتني عما أسألك عنه، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تسألني باللات والعزى فوالله ما أبغض شيئاً قط بُغضهما] هذا وهو في الثاني عشرة من عمره [فقال له: أسألك بالله إلا أخبرتني عما أسألك عنه، فقال له صلى الله عليه وسلم: سل عما بدا لك] وكأنه بحر العلم؛ لأنه يستمد المعارف من السماء، من فوق العرش.

[فجعل بحيرا يسأله عن أشياء، عن حاله في نومه وهيئته، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يخبره، فيوافق ذلك ما عند بحيرا من نعوت الرسول صلى الله عليه وسلم وصفاته التي عرفها من الكتب السابقة، ثم نظر إلى ظهره] فليس عليه قمصان ولا حلة [فرأى خاتم النبوة بين كتفيه وكان] هذا الخاتم [مثل أثر المحجم] لأن الحجام عندما يحجم يبقى أثر في القفا أو في أي مكان يحجم منه، يتجمد فيه الدم [ثم التفت الراهب بحيرا إلى أبي طالب ، فسأله عن الغلام فأخبره فعلم أنه النبي المنتظر] من الذي ينتظره؟ العالم كله، فالبشرية كلها تحتاجه، وإن كان الذين ينتظرونه علماء أهل الكتاب فقط الذين عرفوه في التوراة والإنجيل.

[وأمره أن يعود به إلى دياره] أي قال له: عجل! وارجع بابن أخيك قبل فوات الفرصة [مخافة أن يغتاله يهود] لأنه حجر عثرة في طريق عودة مجدهم ومملكتهم، وهم يعرفون هذا [إذا رأوه وعلموا به، فقضى أبو طالب حاجته من تجارته بسرعة، وعاد بابن أخيه مسرعاً إلى مكة].

[نتائج هذا المظهر: إن لهذا المظهر من الكمال المحمدي نتائج نجملها فيما يلي: أولاً: بيان مدى حب أبي طالب للنبي صلى الله عليه وسلم] ما استطاع أن يسافر ويتركه وراءه وهو غلام.

[ثانياً: آية تظليل الغمامة للنبي صلى الله عليه وسلم] من سخر الغمام؟ إنه الله.

من قادها -بحبال القدرة- حتى تماشي رسول الله وإذا وقف تقف معه؟ أي آية أعظم من هذه على أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

[ثالثاً: تقرير النبوة المحمدية بشهادة بحيرا الراهب] أو لا يؤخذ بأقوال العلماء، بمن نأخذ إذاً؟ [رابعاً: عصمة النبي صلى الله عليه وسلم قبل بعثته من الشرك لبغضه الحلف باللات والعزى أشد بغض] إذ حلف أن ليس عنده شيء قط يبغضه أكثر مما يبغض اللات والعزى، لِم؟ لأنهما عُبدا مع الله، وإلِّها كما يؤلّه الله عز وجل.

[خامساً: حرمة الحلف بغير الله تعالى، وأن الحلف بغير الله شرك] وهذه لكم يا معاشر المستمعين والمستمعات! فمن كان يحلف بغير الله فمن الآن يدخل في رحمة الله، ويستغفر الله ويقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمد رسول الله، ولا يحلف بعد اليوم بغيره عز وجل، فقد أخرج الترمذي في جامعه: (من حلف بغير الله فقد أشرك)، وفي لفظ: (فقد كفر)، وشرحنا هذا المعنى كثيراً.

وقد يقول الغافل: كيف أشرك؟ تعال أبين لك: إن أصل الحلف معناه: التعظيم للمحلوف، والبشرية منذ أن كانت لا تعظم إلا أهل العظمة فيها، فلما جاء الإسلام وأبطل الشرك وقصر العظمة على العظيم الأجل الرب سبحانه وتعالى، كان من حلف بغير الله قد عظَّم ذلك المحلوف كتعظيم الله، ومعناه: أنه أشرك هذا المخلوق في العظمة الخاصة بالله وأعطاه منها شيئاً، وهذه هي الشركة، كاثنان يشتركان في دكان أو سيارة أو في شاة -مثلاً- فهذا يحلبها صباحاً وهذا في المساء، أليست هذه الشركة؟ إذاً: الذي يحلف بغير الله أعطى هذه العظمة التي هي حق لله لغيره، فأشرك مع الله.

ولِم (كفر)؟ كفر لأنه غطى عظمة الله تماماً ونسيها وأعطاها لمخلوق، وأي كفر أعظم من هذا؟ وأية تغطية أظهر من هذه التغطية؟ ثم ما الذي يحملنا على أن نحلف بغير الله؟ ما هو الداعي؟ إلا العادات والجري وراء أهل الجهالات.

وإذا كان بيننا أبناء مصريون فسأعطيهم علاجاً؛ لأن بعضهم يقول -دائماً- حالفاً: والنبي!! فأقول له: من فضلك يا بني! لا تحلف بغير الله.

فيقول: والنبي! لا أزيد.

وتلك هي!! والعلاج الذي يعطاه من يجري على لسانه الحلف بغير الله وهو لا يقصد علاج من الروضة الشريفة، من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد شاهد بعض المؤمنين وهم حديثوا عهد بإسلام لا يلبث أحدهم حتى يقول: واللات، أو: والعزى، فقال صلى الله عليه وسلم: (من حلف باللات أو العزى فليقل: لا إله إلا الله، ومن قال لأخيه: تعال أقامرك فليتصدق)، لأن الذين ألفوا القمار -وتعرفون مكة رجالها تجار- إذا حطوا الرحال عاشوا على القمار، فإذا أسلم أحدهم لا ينسى تلك المجالس والسهرات، فلا يشعر بنفسه حتى يقول: تعال ألعب معك -بدون قصد- فوضع الحكيم هذا الدواء لهذا الجرح الدامي، فقال: (من حلف بغير الله) باللات أو العزى أو غيرها (فليقل: لا إله إلا الله، فإنها تمحها)؛ لأن حسنة لا إله إلا الله تفتت الجبال لو كانت آثاماً، فهي ذات مفعول قوي، كما أن كلمة الكفر كذلك؛ تبطل كل عمل عمله الإنسان، فهي ذات مفعول أيضاً، وكلمة التوحيد ضدها.

إذاً: من يجري على لسانه: وحق سيدي فلان! أو ورأس فلان! أو والمصحف! أو والكعبة! وغير ذلك .

.

فالعلاج عندما يشعر أنه حلف بغير الله أن يقول: لا إله إلا الله، أو يقول أخوه له: قل لا إله إلا الله، فإن تكبر وقال: لا -والعياذ بالله- خرج من الإسلام، ولكن في الغالب أنه يقول: لا إله إلا الله.

إذاً: نتائج هذه المقطوعة ازداد بها حبنا لرسولنا وإيماننا ويقيننا فيه.

ثم استفدنا: أن النبي صلى الله عليه وسلم عصم وحفظ وهو صغير، فمن ولادته ما قارف ذنباً، فعندما سمع بحيرا الراهب يقول: واللات والعزى، قال له: لا تحلف باللات والعزى، فإني لا أبغض شيئاً قط أكثر منهما.

بدأت بشائر النور تسطع على وجه الأرض، ولاحت نسمات الحق تداعب جبين الزمان، فقد بلغ محمد أربعين سنة، وتهيأ بشكل كامل لحمل الرسالة، وأول ما بدأ به أمره أن انقطع في غار حراء يتعبد لربه، وكان صلى الله عليه وسلم يرى الرؤيا فتأتي مثل فلق الصبح، فما لبث أن جاءه الملك الكريم من عند رب العالمين بالرسالة، فأوحى إليه بأولى الكلمات (أقرأ باسم ربك الذي خلق).

دنو ساعة طلوع الشمس المحمدية

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.
أما بعد: ها نحن مع هذه المقطوعة من السلسلة الذهبية النورانية، وهي: [دنو ساعة طلوع الشمس المحمدية] أي: قرب طلوعها.
وقد عايشناه صلى الله عليه وسلم من يوم أن ولدته أمه، وقضينا معه أحداث أربعين سنة في تلك الدراسات التي درسناها سابقاً.
قال: [لقد بلغ الحبيب الآن الأربعين من عمره صلى الله عليه وسلم] والحبيب هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومعنى: حبيب: محبوب، من فعيل بمعنى مفعول، كجريح وقتيل وذبيح.
ويحب رسول الله صلى الله عليه وسلم كل أحد، لا يكرهه إنسي ولا جني؛ إذ ليس عنده أخلاق أو سلوك يقتضي كرهه، وأعداؤه كانوا يعرفون هذا ويحبونه، حتى اليهود والنصارى؛ لأن الكراهة لها سبب ودافع، أما هو صلى الله عليه وسلم فلا يوجد أثر في سلوكه أو ذاته يقتضي أن يُوجد بعض البغض أو الكراهية؛ فلهذا هو حبيب بمعنى: محبوب صلى الله عليه وسلم، ومن لم يحبه كفر، فمبغضه كافر، والذي لا يؤمن برسالته كافر مخلد في النار إن لم يتب قبل موته.
[وأخذت ساعة طلوع الشمس المحمدية تقترب، وهاهو ذا صلى الله عليه وسلم إن غدا] أي: راح -بالعامية-، وإلا غدا ذهب في الصباح، وراح ذهب في العشي، لكننا بالعامية نفهم غدا بمعنى: راح.
هذا حتى لا يقال: غدا بمعنى: تغدى أو أكل.
قال: [إن غدا لحاجة أو راح لا يمر بشجر ولا حجر إلا قال له: السلام عليك يا رسول الله! فيلتفت حوله يميناً وشمالاً فلا يرى أحداً سوى الشجر والحجر يسلّم عليه] وإن قلت: ومن سمع بهذا؟ أو من حضره؟ فالجواب: أما رؤي وأصحابه بين يديه والحصى يسبح أمامهم؟! وكذلك شهادة الشجرة التي جاءته تسعى عندما قال له أعرابي: لا أصدق أنك رسول الله إلا إذا نطقت هذه الشجرة وشهدت لك.
ووالله لقد جاءت تجر عروقها حتى شهدت أنه رسول الله.
[فكانت هذه مقدمة الإنباء العظيم] هذا التسليم من الشجر والحجر مقدمة للنبوة المحمدية.

طلوع الشمس المحمدية

والآن [طلوع الشمس المحمدية] كيف طلعت؟ [وفي ليلة الإثنين من شهر ربيع الأول طلعت الشمس المحمدية؛ حيث صار لا يرى رؤيا -في ليله ولا نهاره- إلا جاءت كفلق الصبح] وإن كان هناك خلاف بين أهل العلم في قضية ربيع الأول وليلة الثاني عشر، لكن نحن كما تعرفون نأخذ دائماً برأي أغلبية المسلمين، بناء على قاعدة: أنه لو أخبرك تسعون رجلاً أن امرأتك ولدت البارحة ثم أتى خمسة يقولون: لا، لم تلد.
فمن تصدق؟ أو لو أخبرك خمسون رجلاً أن الرز قد رخص وأصبح يساوي الكيس منه عشرة ريالات، ثم جاءك ثلاثة وقالوا: لا بل هو بعشرين، فمن تصدق؟! أليس هذا هو طبعنا في الماديات أم لا؟ إذاً: إذا كان يخبرنا تسعون أو

خمسون عالماً بشيء ثم يقول ثلاثة آخرون لا ليس كذلك، فهل نلعب بديننا؟! على هذا المنهج نحن سلكنا هذا السبيل، لِمَ؟ لأن يكذب عشرة أولى من أن يكذب تسعون؛ فلهذا ليس هناك حاجة إلى الإشارة إلى خلافات الناس.
[وهذا الزهري] من سادات التابعين [يروي عن عروة] و عروة هذا ابن أسماء وابن الزبير رضي الله عنهم أجمعين، وخالته هي عائشة ، ويا ليتها خالتي!، ستقولون: يا شيخ! احمد الله فهي أمك.
الله أكبر! ولله الحمد، إن عائشة أمنا رضي الله تعالى عنها وأرضاها [عن خالته عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وأرضاها قولها: (إن أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من النبوة -حين أراد الله كرامته ورحمة العباد به- الرؤيا الصادقة)] الرؤيا الصادقة التي لا تتخلف ولا تكون كذباً، فكما يراها تنبلج وتظهر.
[(وحبب إليه الخلوة)] من حبب إليه الخلوة؟ إنه الله! فأصبح يرغب أن ينزل وحده، وأن يبيت وحده، وأن يقضي يومه وحده، فحبب إليه الخلوة صلى الله عليه وسلم والبعد عن الناس [(فلم يكن شيء أحب إليه من أن يخلو وحده)] أصبح يرغب في الانقطاع، وإن قال قائل: من أخبر عائشة بهذا؟ قلنا: إنه هو صلى الله عليه وسلم، وأمها وأبوها، ألم يعاشروا الرسول وعاشوا في تلك الأيام معه في مكة؟ [واختار صلى الله عليه وسلم لخلوته المحببة إليه جبل حراء - وهو أحد جبال مكة المطلة عليها- فكان يخلو به مجاوراً فيه يتحنث -أي: يزيل الحنث عنه-] والحنث هو الإثم والذنب [وهو ما يراه ويسمعه من الشرك والباطل بين أفراد قومه من قريش] طبعاً هو لم يرتكب شيئاً ولكنه يشاهد المنكر والباطل والشرك، فيشاهد الحنث وهو لا يريد أن يراه ولا أن يجالس أهله.
تجد الآن قرية أهلها لا يعيشون إلا على الشيشة والضحك والأباطيل والتهاون في الصلاة، ومجالسهم كلها باطل، فالربانيون يهجرون تلك المجالس، فإذا سألت عن فلان تجده في بيته، أو في بستانه، لا يقوى على أن يشاهد ذاك الباطل أو المنكر، فأكثر مجالس الناس في القرى للأضاحيك والأباطيل، أو لعب الورق والكيرم، أو الغيبة.
ولا نلمهم لأنهم لم يعلموا.
إي والله! مَن علمهم؟ في حجور من جلسوا وتعلموا؟ لا أحد.
إذاً كيف نريدهم ربانيين وهم أميون جاهلون؟! إذاً: ماذا نصنع؟ هل نبكي فقط؟ لِم لا نطالب بالعلم والتعلم، ونصرخ بأعلى أصواتنا؛ حتى نخرج من هذه الظلمة ونبعد عن ساحات الباطل والشر والخسران.
الآن وأنا في طريقي إلى هنا أسمعني من قال: إن الحرب قد اشتد لهيبها بين إخواننا الأفغان، ولا عجب! لأنهم ما عرفوا الله عز وجل، ولا عرفوا الطريق المؤدية إليه، اللهم إلا معرفة تقليدية عمياء لا تنتج الرهبة بالقلب ولا الحب في النفس، فماذا نرجو؟ لقد قضينا عشر سنوات -والحمد لله- على هذا الكرسي ندعو للجهاد ونقول: إنه جهاد ولكنه فيه دخن، فيغضب الغافلون ويتقزز الجاهلون لِم نقول هذا! والآن هل ظهر أن فيه دخن أم لا؟ لقد أصبح الدخن دخان نيران تلتهب وتحرق؛ لأنهم جهال أميون حملوا راية الجهاد.
وقد بينا الطريق -والله يشهد- وذهبنا إليهم وقلنا: عجلوا قبل فوات الفرصة، بايعوا إماماً شرعياً واجتمعوا تحت رايته، وقاتلوا تحت إمامكم الشرعي، وإذا انتصرتم فكل شيء على بابه، فرفضوا؛ لأن كل منظمة تأخذ الأموال وتجمع وتطعن في الثانية -والله العظيم- وقد قال لي أحد رؤسائهم في خلوة: إن منظمة فلان أو جبهة فلان عبارة عن مصيدة لصيد المال فقط.
سمعتم يا مسلمون؟! هذا هو واقعنا؛ لأننا ما عرفنا الله، فلا عجب منا ومن سلوكنا!! [وفي ليلة من ليالي رمضان المبارك -ولعلها السابعة عشرة منه- نزل عليه جبريل عليه السلام يحمل بشرى النبوة تمهيداً لحمل الرسالة إلى الناس كافة.
وهاهو ذا إمام المحدثين البخاري -رحمه الله تعالى ورضي عنه- يروي لنا عن أمنا عائشة رضي الله عنها قصة بدء الوحي إذ تقول] هذه أمنا رضي الله عنها وأرضاها، حِبُّ الحبيب صلى الله عليه وسلم، هذه بنت الصديق تقول: [(أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة في النوم)] أي: أول ما بدئ به من شأن الوحي والنبوة والرسالة الرؤيا الصالحة [(فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء)] والخلاء مأخوذ من الفراغ، وهو البعد عن الناس [(فكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه -وهو التعبد- الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها)] أي: لمثل تلك الليالي [(حتى جاءه الحق وهو في غار حراء)] كان يرجع إلى خديجة لأنها زوجه.
قال: [(فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ)] وليس معناها: لا أطيعك ولا أستجيب لك، وإنما أنا لا أحسن للقراءة، أي: ما أنا ممن يقرءون حتى أقرأ، فلا علم لي [(قال: فأخذني فغطني)] ضمه إليه كما تضم الأم الرءوم

الحنون طفلها، تكاد تدخله في أحشائها [(حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني)] أي: أطلقني [(فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة، ثم أرسلني فقال: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ [العلق:1-5])] إن أول آية نزلت من ذي العرش إلى الأرض هي هذه الآية.

قالت: [(فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده)] أي: يرتعد من الهول؛ لأن ملكاً دخل معه في غار حراء يحدثه ويعلمه، ولو كان غير الرسول لأغمي عليه وصرع [(فدخل على خديجة بنت خويلد فقال: زملوني زملوني)] و(زملوني) أي: أدخلوني في ثياب وغطوني بها، زمله: أدخله في الثياب وغطاه بها [(فزملوه حتى ذهب عنه الروع)] دفء وذهب عنه ذلك القلق والفزع [(فقال لـخديجة وأخبرها الخبر: لقد خشيت على نفسي)] أي: الهلاك [(فقالت: كلا والله ما يخزيك الله أبداً)] أين درست خديجة ، في جامعة إكسفورد؟ من أين تخرجت هذه المرأة؟ والله لو اجتمع خريجات العالم اليوم ما كن نصف خديجة ، ستقولون: لِم يا شيخ تندد؟ لأننا غير راضين بإقحام بناتنا ونسائنا في هذا التعليم المادي، إنها الفتنة العارمة، إنها الحالقة!! تعال وانظر أمة الإسلام كيف هبطت.

قالت: (كلا والله ما يخزيك الله أبداً) ثم عللت -وهي الحكيمة-؟ لِم لا يخزيه الله أبداً فقالت: [(إنك لتصل الرحم)] عرفت عنه ذلك لأنه زوجها، أي: لا تقطع الأرحام بل تصلها؛ وقطيعة الرحم كانت محرمة في الجاهلية مبغوض أصحابها؛ لأنه أمر فطري [(وتحمل الكلّ)] وهو التعبان الذي لا يقوى على المشي، أو العاجز الذي لا يستطيع أن يأكل أو يشرب يطعمه ويسقيه، هذا معنى الكلّ [(وتُكسب المعدوم)] ويصح أن نقول: وتَكسب المعدوم، أي: تعطي ما هو معدوم عند الناس، أو ما عزّ وغلا عند الناس أنت تدفعه، ويصح: (وتُكسب المعدوم) بالضم أي: تعطي ما يعجز الناس عنه، (وتَكسب المعدوم) أي: أنت بجهادك وصبرك وذكائك تحصل على المعدوم الذي لا يوجد بين الناس.

والضم أولى.

[(وتقري الضيف)] قرى الضيف يقريه إذا وضع له طعام العشاء أو الغداء، فقرى الضيف هو إعداد طعامه وشرابه ومبيته ثلاثة أيام؛ لأنه لم يكن في العالم بعد فنادق شيراتون، فأين يذهب الضيف؟ عند المؤمنين.

وقد فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمته في ذلك الزمن أن من استضافك يجب عليك أن تضيفه، وأن توفر طعامه وشرابه وفراشه ثلاث ليالٍ وبعد ذلك مع السلامة، فأصبح كل بيت فندق، وهو أفضل من كون أن يوجد عشرة فنادق في المدينة، فألف فندق أولى من عشرة، ولكن أين الحب؟ أين الولاء؟ أين الأخوة؟ أين الرحمة؟ ذهب أهلها.

[(وتعين على نوائب الحق)] لا الباطل، فإذا نابت رجلاً نائبة حق يجد الرسول إلى جنبه يساعده، أما نائبة باطل فلا يساعد على الباطل ولا ينصر عليه.

لقد سجلت خديجة هذه الكلمات! وسبحان من فتح قلبها وشرح صدرها حتى نطقت بها وسجلها التاريخ، ورضيها الرسول صلى الله عليه وسلم.

نتائج وعبر من مقطوعة (طلوع الشمس المحمدية)

قال: [نتائج وعبر] لهذه المقطوعة التي سمعناها، فهيا بنا ننظر إلى النتائج والعبر ما هي علنا نظفر ببعضها.

[إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبراً نجملها فيما يأتي: أولاً: تقرير سنة غالبة، وهي أن الأنبياء يرسلون على رأس الأربعين من أعمارهم] وقلنا غالبة؛ لأن عيسى عليه السلام نبئ قبل الأربعين، لكن في الغالب ما نبأ الله نبياً ولا أرسل رسولاً إلا على رأس الأربعين، وخاصة الرسالة، لِم؟ لأنه إذا بلغ الأربعين اكتمل عقله وذكاؤه وفطنته، فيتحمل ويقوى، بينما طفرة الشباب وبداية الكهولة قد يضطرب صاحبها؛ فلهذا الأئمة الذين يؤمون الناس نختار الكبار منهم، أما الأحداث فلا، إلا إذا لم نجد، لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (يؤمكم أكبركم سناً).

[ثانياً: بيان آية من آيات النبوة المحمدية وهي: كلام الأشجار والأحجار عليه صلى الله عليه وسلم] أتسلم عليه الأشجار والأحجار؟ تقول: السلام عليك يا رسول الله! وأنت تقول: لا لا ليس برسول؟ مجنون إذاً، مستحيل أن يكون غير رسول الله.

[ثالثاً: تقرير أن الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة؛ إذ فترة الوحي كانت ثلاثاً وعشرين سنة، منها ستة أشهر كانت مناماً].

أولاً: بدأ الوحي للرسول صلى الله عليه وسلم لما بلغ الأربعين، وكان يتلقى الوحي مناماً لمدة ستة أشهر؛ وقد عاش صلى الله عليه وسلم ثلاثاً وستين سنة، فإذا طرحت منها أربعين فكم يبقى لك؟ ثلاثة وعشرين سنة، فإذا ضربتها في اثنين على اعتبار أن كل سنة تحتوي على قسمين كل قسم منها يحتوي على ستة أشهر (أنصاف)، كانت الناتج: ستة وأربعين قطعة أو نصف سنة، إذاً: ستة أشهر كانت مناماً من مرحلة النبوة، ونسبتها نسبة من ستة وأربعين جزءاً.
إذاً الرؤيا الصالحة يراها العبد الصالح أو ترى له جزء من النبوة.
[رابعاً: مشروعية العزلة إذا فسد الناس] مأذون للمؤمن أن يعتزل أهل قريته، أو أهل مدينته، أو أهل بيته ويخلو بعيداً عنهم إذا شاهد الفتنة وخاف على قلبه ونفسه [وأصبح المؤمن لا يسلم من شرهم] أما إذا كان يسلم وهو واثق أنهم لا يؤثرون عليه، فلا ينزل إليهم ويلعب لعبهم أو يقول قولهم، بل يبقى يدعو ويعلم، ويجاهد في سبيل الله، لكن إذا ضعف وخاف أن ينتكس ويصبح حلساً من أحلاسهم فلا، عليه أن يرحل ويسكن في الجبل.
تأخذون بهذا المبدأ أو لا؟ قولوا: الحمد لله نحن في عافية، لكن ممكن تأتيكم نار الدنيا، فنحن نتعلم وإذا جاء وقت العمل نعمل، فالعلم قبل القول والعمل.
[خامساً: بيان أن أول ما نبئ به النبي صلى الله عليه وسلم هو: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ [العلق:1] وأن النبوة كانت قبل الرسالة؛ إذ نبئ صلى الله عليه وسلم بـ(إقرأ)، وأرسل بالمدثر، وبينهما فترة من الزمن] كيف أرسل بالمدثر؟ قال الله عز وجل: يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ * وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ * وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ [المدثر:1-7] بهذا أرسل.
فنبئ بـ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ [العلق:1] أي: أصبح نبياً، ثم أرسل بـ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ [المدثر:1] أي: افعل وافعل وهذه هي الرسالة.
وكذلك أرسل بـ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ [المزمل:1] فجاء يرتعد خائفاً يقول: غطوني..غطوني وبعد فترة من الزمن جاءه الوحي وقال: يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ * وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ * وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ [المدثر:1-7].
[سادساً: تعين القراءة على المسلم وطلب العلم والتعليم] يتعين القراءة على المسلم وطلب العلم، ولا يحل لمسلم أن يبقى جاهلاً بعد أن دخل الإسلام، بل لابد وأن يتعلم العلم، وما أخرنا ولا نزل بنا إلا الجهل، وانظر بِم بدأ الله هذه الدعوة؟ بـ(اقرأ).
ستقولون: يا شيخ! الحمد لله، العالم الإسلامي كله مدارس ومعاهد وجامعات..! نعم، لكن هل أسست لوجه الله؟ هل أبناؤكم وطلابكم دخلوها لله؟ أجيبوني.
مداخلة: لا للوظيفة.
الشيخ: الوظيفة الوظيفة يا ابن الإسلام! ولا بأس أن يتوظف الرجل، ولكن علمه الصناعة لذلك، لا تعلمه الشريعة من أجل أن يتوظف فيصبح يطلب العلم للوظيفة! إن العلم يطلب لمعرفة الله، وللحصول على حبه والرهبة منه، حتى يطاع فيكمل المطيع بطاعة الله ويسعد، أما إذا كنت تريد الدنيا فعلّمه الخياطة، والنسيج، والصناعة، والفلاحة ولا بأس، وينوي أيضاً أنه يريد من هذا أن يستر عورته، وأن يسد خلته، وأن يقضي حاجته، حتى يعبد الله عز وجل، وإنما قلت أنا هذا؛ لأن آثار هذه المدارس ما وجدنا لها كبير فائدة.
[إذ ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب] وهذه قاعدة أصولية: ما لا يتم قضاء الواجب إلا به فهو واجب، فهل يجوز أن نصلي الجمعة في الصحراء أو في الفضاء أو في الشمس والمطر؟ لا يجوز، فأين نصلي الجمعة؟ في المسجد المسقوف.
إذاً: بناء المسجد واجب، وعلى كل مؤمن أن يسهم فيه بيديه ويبني، كما أسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبنا بيديه وحمل الحجارة على كتفه؛ لأنه لا يتم صلاة الجمعة إلا ببناء المسجد، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

أشعة الشمس المحمدية تضيء دار خديجة وتطلع على ورقة بن نوفل

قال: [أشعة الشمس المحمدية تضيء دار خديجة] و خديجة هي أم المؤمنين.
كم واحد منكم سمى ابنته خديجة ؟ كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا سمع كلمة خديجة يرتاح لها.
وإن شاء الله من تُولد له مولودة في هذا الأسبوع يسميها خديجة ؛ إن كنتم تحبون ما يحب الرسول صلى الله عليه وسلم.

ولا يقول قائل: لو ولد لي عشر بنات فسوف أسميهن كلهن خديجة ! لأنه لا يصح، فكيف تنادي هذه وتلك؟ إلا أن تقول يا خديجة الأولى، ويا خديجة الخامسة وهكذا ..فلك ذلك.
[وتطلع على ورقة بن نوفل] طلعت هذه الأشعة على ورقة بن نوفل ، وبيان ذلك فيما يلي: [ما إن جاء صلى الله عليه وسلم خديجة وقص عليها] ما شاهد في غار حراء [حتى قالت له: أبشر يا ابن عم] وهل أبو الرسول أخو أبيها؟ لا.
ولكن قبيلة قريش واحدة، فنحن نقول: أبونا إبراهيم لسموه وعلوه وارتفاع مكانه، ونقول للكبير: أبي، ونقول للصغير: ابني، وهو من قبيلة ونحن من قبيلة، هذه آدابنا، ونقول لمن يساوينا: أخي.
ولا نقول للطفل الصغير: أخي ولكن نقول: ابني، وكذلك الشيخ الكبير لا نقول له: أخي ولكن نقول: أبي؛ لأن الكبير يحترم والصغير يرحم.
فالكبير يوقر ويعظم ويبجل، والصغير يرحم، يقول صلى الله عليه وسلم: (من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا فليس منا) الله أكبر! هذا هو المجتمع المحمدي، فأين هو الآن؟ قالت: [فوالذي نفس خديجة بيده] عجب! هذه المرأة موحدة، من علمها؟ ما أذكاها، وما أعرفها ..فهي تعرف أن لها نفساً بيد من يحيي ويميت، ليس بيد اللات والعزى، إنها واعية بصيرة.
أما نساؤكم وخديجاتكم فيقولون: وحق سيدي فلان!! لأنهن لا يعرفن (والذي نفسي بيده) قط، أما من الآن فيمكن للسامعات أن يحلفن بهذا اليمين: (والذي نفسي بيده) ما قلت، أو ما أذنت، أو ما فعلت ..[إني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة، ثم جمعت عليها ثيابها] ومعنى جمعت عليها ثيابها أي: لبست الملاءة وغطت نفسها بها، وهل كان في ذلك الوقت حجاب؟! كانت جاهلية ومع هذا كان هناك العفيفات والحرائر، وتجوع الحرة ولا تأكل بثديها، فما امتهن كما امتهن النساء اليوم [وانطلقت إلى ورقة بن نوفل ابن عمها] كانت حريصة [وكان] أي ورقة [قد تنصّر] أي دخل في النصرانية [وقرأ الكتب] التوراة والإنجيل [وسمع من أهل التوراة والإنجيل، وقالت له: يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك] يقص عليه ما رآه في غار حراء.
نعم.
لقد طلعت الشمس على دار خديجة وأضاءت على ورقة ، وأخبره الحبيب صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى [فقال له ورقة: هذا الناموس الأكبر الذي أنزل على موسى] أي جبريل [يا ليتني فيها جذع] والجذع من التيوس دون المسن وفوق الصغير، أي: يا ليتني فيها شاباً أقوى على الجهاد؛ لأنه كان كبير السن [ليتني أكون حياً إذ يخرجوك قومك] فتعجب الرسول صلى الله عليه وسلم [فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أومخرجي هم؟)] كيف يمكن هذا؟ إن محمد أفضل وأطيب وأطهر مخلوق عندهم فكيف يخرجونه؟ ما استساغ هذه الكلمة فتعجب [(قال ورقة : نعم.
لم يأت رجل قط بما جئت به إلا عودي)] أي عادوه [(وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً)] لأنه ورقة يعرف نعوت الرسول وصفاته في التوراة والإنجيل، ومن كلام علماء أهل الكتاب.
فهل نذهب نحن الآن لنسأل العلماء؟ لا.
ليس هناك حاجة، لندع المشكلة بيننا في المقهى.
قال: [وكان الحبيب صلى الله عليه وسلم لم يقض المدة التي يقضيها في غار حراء متحنثاً فعاد إلى حراء لإتمامها.
فلما قضاها وعاد من جواره، بدأ بالبيت كعادته، فطاف سبعاً] عرفنا إذاً متى بدأ الرسول صلى الله عليه وسلم يطوف الطواف الشرعي؟ من يوم أن رجع من غار حراء بعدما نبئ [فلقيه ورقة وهو يطوف فقال: يا ابن أخي! أخبرني بما رأيت] وسمعت [فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال ورقة : والذي نفسي بيده إنك لنبي هذه الأمة، ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء موسى، ولتكذبنه ولتؤذينه] أي سيكذبك الناس وسيؤذونك [ولتخرجنه] من مكة [ولتقاتلنه] يقسم له أنه لا بد وأن يكذّب، ولا بد وأن تؤذى، ولا بد وأن يخرج من مكة.
عرف ذلك من قراءته للتوراة والإنجيل، عرف نعوت الرسول صلى الله عليه وسلم وصفاته وسيرته قبل أن يعرفها الناس، فقد نزل خبر السماء به صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل بالتفصيل.
قال: [ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لأنصرن الله نصراً يعلمه] أي ينصر دين الله في رسوله صلى الله عليه وسلم [ثم أدنى رأسه منه فقبل يافوخه] أدنى رسول الله منه وقبل رأسه، هذه سنة من؟ سنة ورقة بن نوفل .
واليافوخ: وسط الرأس [ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى منزله.

وحمل خديجة حرصها على تجلي الحقيقة ومعرفة الأمر على حقيقته ليكون إيمانها بعلم ويقين، فأجرت الاختبار التالي] عجب هذه خديجة ! أجرت اختباراً على رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ حتى يكون إيمانها يقينياً وعلمها أيضاً علماً يقينياً [فقالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا ابن عم هل تستطيع أن تخبرني بصاحبك هذا الذي يأتيك إذا جاءك؟] لأنه ملك لا تراه هي [قال: نعم] أجابها: نعم [قالت: فإذا جاءك فأخبرني] به [فجاءه جبريل عليه السلام كما كان يجيئه] في غار حراء [فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لـخديجة : يا خديجة ! هذا جبريل قد جاءني، قالت: قم يا ابن عم فاجلس على فخذي اليسرى، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس على فخذها اليسرى، قالت: هل تراه؟ قال: نعم، قالت: فتحول فاجلس على فخذي اليمنى، فتحول وجلس وقالت: هل تراه؟ قال: نعم، قالت: فتحول فاجلس في حجري، فتحول فجلس في حجرها، قالت: هل تراه؟ قال: نعم.

فتحسرت وألقت خمارها] من على رأسها [ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في حجرها ثم قالت: هل تراه؟ قال: لا، قالت: يا ابن عم! اثبت وأبشر؛ فوالله إنه ملك، وما هذا بشيطان].

ونساء المسلمين الآن -باستثناء هذه البلاد- يخرجن كاشفات عن رؤوسهن في العمل، وفي الشوارع، وفي كل مكان فمن يصحبهن سوى الشياطين! وهل بلغكم أن بيوتكم -يا من في بيوتهم التلفاز والفيديو وما يعرض فيها من العواهر والكافرين- الملائكة لا تدخلها ولا تبيت بها، لقد استلت بيوت المسلمين من قبل الشياطين؛ فلهذا ما بقي طهر ولا صفاء، (إن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلب ولا صورة).

إذاً: من صنع بنا هذه الصنائع؟ إنهم أبناء عمنا اليهود والنصارى، والآن أتحداكم -واسمحوا لي- أتحدى الذين عندهم التلفاز أن يأتوني بفائدة حقيقية استفادوها منه، بمعنى قويت أبصارهم، أو أبدانهم، أو نمت أموالهم، أو سادوا وشرفوا في أسرهم..والله لا تجد، أما في الجانب الآخر فنعم، أضاعوا الوقت والمال ..ولا أزيد على هذا، ومع هذا تسمعون ولا تستجيبون.استجيبوا خيراً لكم.

[وبهذا كانت خديجة أول من استضاء بنور النبوة المحمدية، وأول من آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم والوحي الذي جاءه، كما أن ورقة كان من الفائزين بالأسبقية لولا أن المنية اخترمته فلم يشهد ضحى الشمس المحمدية].

نتائج وعبر من مقطوعة (أشعة الشمس المحمدية تضيء دار خديجة وتطلع على ورقة بن نوفل)

قال: [نتائج وعبر: إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبراً نلخصها كالآتي: أولاً: بيان كمال عقل خديجة وصحة علم ورقة ، وفضل كل منهما وكمال الروحي.

ثانياً: بيان ذكاء خديجة وسلامة فطرها بإجرائها ذلك الاختبار العجب الذي كانت نتيجته تقرير النبوة المحمدية، فآمنت على علم وبيقين فرضي الله عنها وأرضاها.

ثالثاً: الملائكة تكون مع الحياء والستر، والشياطين تكون مع التفحش والوقاحة والعري.

رابعاً: استحباب ستر المرأة رأسها ولو في خلوتها، حتى لا تقربها الشياطين].

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

بعد أن نزل الملك على نبينا في غار حراء بالأمر الأول انقطع عنه قرابة أربعين يوماً، ثم بعد ذلك أنزل الله عليه سورة المدثر، ثم تتابع نزول الوحي عليه، وكان ينزل في صور عدة؛ وهي الرؤيا الصالحة الصادقة في المنام، والإلقاء في الروع والنفث فيه، وأن يأتيه في صورة صلصلة جرس، وأن يأتيه الملك في صورة رجل فيوحي إليه ما شاء الله، وأن يخاطبه ربه كفاحاً من وراء حجاب.

فتور الوحي وعودته

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.
أما بعد: قد انتهى بنا الدرس إلى المقطوعة [فتور الوحي وعودته] على نبينا صلى الله عليه وآله وسلم.
قال المؤلف غفر الله له ولكم ورحمه وإياكم وسائر المؤمنين: [إنه بعد تلك المفاجأة السارة له صلى الله عليه وسلم] أية مفاجأة هذه؟ إنها مفاجأة جبريل له صلى الله عليه وسلم في غار حراء [ولـخديجة رضي الله عنها و ورقة بن نوفل -غفر الله له- فتر الوحي] بعد تلك المفاجأة السارة التي كانت له ولـخديجة ولـورقة بن نوفل -غفر الله له- لأنه مات قبل النبوة فتر الوحي [وانقطع قرابة الأربعين يوماً، ومات ورقة] غفر الله له، فقد مات قبل عودة الوحي.
[واشتد الألم النفسي بالحبيب صلى الله عليه وسلم حتى صرح] بوضوح [لـخديجة بأنه خائف على نفسه، بل كان كالهائم على وجهه في جبال مكة وشعابها] لتلك الرؤيا التي رآها ثم وقفت وانقطعت [وكان كلما اشتد به الحزن تبدّى له جبريل] أي ظهر له جبريل في الأفق [يقول له: يا محمد! إنك رسول الله حقاً، فيخف عنه حزنه ويقل ألمه، وتمضي الأيام وفجأة -وهو يمشي- يسمع صوتاً من السماء فيرفع بصره، فإذا الملك الذي جاءه بغار حراء قاعد على رفرف بين السماء والأرض، فرعب منه أشد الرعب، ورجع إلى أهله يقول: (زملوني زملوني)] أي غطوني؛ لأن به شبه حمى من الفزع [فأنزل الله تعالى قوله: يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ * وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ * وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ [المدثر:1-7]] وليس هناك فرق بين زملوني ودثروني، فالدثار والشعار ثياب يلبسها المرء ليستدفئ بها، تقيه الحر والبرد.

نتائج وعبر من مقطوعة: (فتور الوحي وعودته)

قال: [نتائج وعبر: إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبراً نلخصها فيما يلي: أولاً: تشويق الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الوحي بانقطاعه عنه مدة من الزمن، الأمر الذي تألم له رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد الألم.
ثانياً: لطف الله تعالى ورحمته بنبيه صلى الله عليه وسلم؛ إذ كان يرسل إليه جبريل يناديه ويطمئنه ويبشره بأنه رسول الله حقاً.
ثالثاً: بيان أول ما أرسل به صلى الله عليه وسلم وهو النذارة، والبشارة لازمة لمن قَبِل النذارة فآمن ووحد الله في عبادته، وتابع الرسول صلى الله عليه وسلم فيما جاء به] فلا تقولن إذاً: ليس بمبشر ولكنه منذر فقط، فإن الله يقول: إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا [الأحزاب:45]، فالبشارة تابعة للنذارة، ولأي غرض هو ينذر؟ ينذر الناس حتى لا يهلكوا، إذاً: الذين آمنوا وعملوا الصالحات بشرهم -يا محمد- بالجنة دار السلام؛ لأن الإيمان يحمل على الطاعة والاستقامة، والطاعة هي فعل المأمور واجتناب المنهي عنه، وفعل المأمور يولد النور والحسنات، وبها تزكو النفس وتطهر وتطيب، والبعد عن المحرمات يبقي الزكاة والطهرة كما هي نامية زائدة، وبذلك يكون المرء من أهل الجنة؛ إذ لا يدخل الجنة إلا زكي النفس طيبها.
أخبرنا بهذا رب العزة عز وجل، قال الله: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا [الشمس:9-10] هذا هو حكم الله الذي أقسم عليه بعدة أيمان.

ومن الذي أفلح؟ أبيض أم أسود، عربي أم أعجمي، فقير أم غني، وضيع أم شريف؟ أفلح من زكى نفسه، وهل للإنسان أن يزكي نفسه؟ وكيف يزكيها؟ لقد وضع الحكيم -جل جلاله وعظم سلطانه- لتزكية النفس البشرية أدوات للتزكية، من استعملها مؤمناً موقناً مخلصاً كما شرعها الله -والله- لتزكون نفسه، وتُشاهد زكاتها كما يُشاهد الناس الكواكب في السماء وهم يمشون في الشوارع.
إن صاحب النفس الزكية لا يلعن أباه ولا أمه، ولا يقول الفجور ولا ينطق بالباطل والسوء، ولا يشرب السموم، ولا يحاول أن يعبث بالناس؛ لأنه يعيش في نور، أليس هذا أوضح من الليل والنهار؟!

صور الوحي المحمدي

قال المؤلف غفر الله لكم وله ورحمه وإياكم وسائر المؤمنين: [صور الوحي المحمدي] إن الوحي المحمدي له عدة صور، فهيا نشاهد تلك الصور، فهي أصح لنا ألف مليون مرة من مشاهدة شاشة التلفاز والفيديو ..
[إن الوحي هو الإعلام السريع الخفي] أوحى يوحي بكذا ..أعلم بسرعة وخفاء.
يقول الشاعر: أشارت بطرف العين خيفة أهلها إشارة محزون ولم تتكلم إذاً: هو الإعلام السريع الخفي، مثل الهاتف، فالوحي مصدر أوحى يوحي وحياً، أو اسم مصدر معناه: الإعلام السريع الخفي، فإن كان غير سريع فليس بوحي، وإذا كان علنياً يراه الناس ويسمعونه فليس وحياً وإنما خطبة.
إذاً: الإعلام السريع الخفي، ذلكم هو الوحي.
[وله] أي هذا الوحي [مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صور] جمع صورة [ذُكر بعضها في قول الله تعالى من سورة الشورى: وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ [الشورى:51]] من هو العلي الحكيم؟ إنه الله جل جلاله.
هذه الآية تضمنت صوراً للوحي، يقول تعالى: وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أبيض أو أسود أو عربي .
.
فكلمة (بشر) هنا نكرة، يدخل فيها كل آدمي، ولِم سمي الآدمي بالبشر؟ لأن بشرته مكشوفة ليس عليها ريش ولا صوف ولا شعر .
.
فلهذا سمي بالبشري، نسبة إلى البشرة.
أما البعير والثور والدجاجة فليس ببشري [وبيان تلك الصور كالتالي] فهيا بنا نستعرض تلك الصور من الوحي المحمدي صورة بعد صورة؛ لترتسم في أذهاننا وتحفظ في قلوبنا، فنصبح وقد كسبنا علماً.

أولاً: الرؤيا الصالحة الصادقة في النوم

قال: [أولاً: الرؤيا الصالحة الصادقة في النوم] الرؤيا الصالحة لا الفاسدة، وفي النوم لا في اليقظة صورة من صور الوحي الذي أوحاه الله إلى مصطفاه محمد صلى الله عليه وسلم [وقد بُدئ بها الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم واستمرت لمدة ستة أشهر] بدأت من ربيع الأول حتى فاجأه الحق في غار حراء من رمضان.
فهل مثل هذه الحادثة تنسى؟ أليس هذا نبينا، نعيش على حبه وطاعته؟ فكيف لا نحفظ أن الرسول بُدئ بالوحي في المنام، فكان ستة أشهر لا يرى الرؤيا إلا جاءت كفلق الصبح، وابتداؤه هذا من ربيع الأول -ربيع الأنور- إلى رمضان ثم فاجأه الحق، إذاً: كان من صور الوحي الرؤيا الصالحة.
ومن هنا عرف السامعون والسامعات معنى الرؤيا الصالحة وأنها جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة، فقد عاش صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً ثلاثاً وعشرين سنة، إذ نبئ وأرسل على رأس الأربعين، وتوفي في الثالثة والستين.
وثلاث وعشرون إذا نصفتها أنصافاً صارت ستة وأربعين نصفاً، وقد كان الوحي مناماً لمدة ستة أشهر، فلهذا الرؤيا الصالحة التي يراها العبد الصالح أو ترى له جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة، ولهذا لا تتغلس، فالحمد لله.

قال: [إذ قالت عائشة رضي الله عنها] و عائشة هي أم المؤمنين، من أحبها بحب الله ورسوله فهو مؤمن، ومن أبغضها والله يحبها ورسوله والمؤمنون فما هو -والله- بمؤمن، فليراجع إيمانه، أيحبها مولاك وتكرهها أنت؟ أنت عدوه إذاً..أيحبها الرسول وتكرهها أنت؟ لا تَدجل على نفسك، آمن يا عبد الله! واخرج من الفتنة.
ماذا قالت عائشة ؟ قالت: [أول ما بُدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة] و عائشة كانت طفلة في مكة، ولكن كانت تعيش بين أم رومان أمها و أبي بكر أبيها، وتسمع كل ما يجري في تلك الدار وتعلم ما جرى بالفعل، وتسأل الرسول صلى الله عليه وسلم فيخبرها، وهي أحب النساء إليه صلى الله عليه وسلم بعد خديجة [فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح] وتعرفون الظلام إذا جاء الصبح كيف يتبدد ويظهر الضوء والأنوار.
هذه صورة من صور الوحي المحمدي.

ثانياً: الإلقاء في الروع والنفث فيه

قال: [ثانياً: الإلقاء في الروع والنفث فيه؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: (إن روح القدس نفث في روعي)] وروح القدس هو جبريل، الذي جاء في بدر على فرس يقال له: الحيزوم، يسمى روح القدس والأمين، ونفث في روعه أي في قلبه وباطن صدره.
بماذا نفث؟ [(أن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها)] من منكم يحفظ هذه الكلمة؟ والله لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها، حدث بها أهلك حتى يصبحوا شجعان أبطال، لا يخافون الموت ولا يهابون الفقر؛ لأنهم يعرفون أن القضاء مضى وأن النفس البشرية لا يمكن أن تموت حتى تستكمل ما أعطاها الله وكتب لها، هذا يرفع من معنويات المؤمنين ويجعلهم أبطال شجعان يخوضون المعارك فلا يخافون أبداً.
يقول صلى الله عليه وسلم: (إن روح القدس نفث في روعي أن نفساً) أي نفس (لن تموت) وتعرفون الموت وتشاهدون إخوانكم يموتون (حتى تستكمل رزقها وأجلها) ولو كانت حبة عنب -والله- لا تتخلف، فلو كتب لك عشرة أطنان من الخبز، فوالله لن تموت حتى تستوفيها بالحبة الواحدة.
.
أو كتب لك كذا طن من لبن أو حليب، فوالله لن تموت حتى تستكمله قطرة بعد قطرة، ولو كتب لك أن تعيش ألف سنة أو مائة أو سبعين أو عشرين فلن تموت حتى تستوفيها، ولو اجتمع أهل الأرض كلهم على أن يقتلوك والأجل ما زال، فوالله ما استطاعوا.
فلم الجبن إذاً؟ ولم الخوف؟! واسمع إلى ما يقول الحبيب بعد ذلك: [(فاتقوا الله وأجملوا في الطلب)] اتقوا الله أيها المؤمنون، وأطيعوه في الأمر والنهي وأجملوا في الطلب، فعندما تطلب رزقك لا تطلبه بالقبح والسوء والتلصص والخيانة والإجرام، فإنك لن تحصل إلا على ما كتب الله لك، فاطلبه إذاً بالصورة الجميلة، هكذا يريد الرسول صلى الله عليه وسلم منا، الطلب بلطف وحسن وجمال، وصور القبح معروفة: الخيانة، والغش، والربا، والاحتيال.
.
هذا كله قبح، ولم تحتال وأنت تعرف أن ما كتب الله لك سوف يأتيك؟! ولن تستطيع أن تأخذ أكثر مما كتب لك.
إذاً: افلح واحرث وازرع واتجر وأجمل في الطلب ولا تقبح.
وأضرب لكم مثلاً في قبح الطلب: تجد من يفتح مقهى من أجل أن يوفر غذاءه وغذاء أسرته يبقى في المقهى أربعاً وعشرين ساعة، لا يتوضأ ولا يصلي، ويقول: لولا هذا ما استطعنا أن نعيش! أو يفتح دكاناً ويلازمه، والناس يصلون وهو يقول: ماذا أصنع؟ أنا صاحب أسرة ولا بد وأن أبقى هنا! هذا كله من الطلب القبيح، فإذا حان وقت الصلاة أغلق دكانك ومقهاك وامش وصلِّ في بيت ربك، واسأله أن يبارك لك.
وآخر تجده يفتح صالوناً يحلق فيه وجوه الرجال! يا سيد! أنت في مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم، محط الأنوار، فكيف تفتح صالوناً تحلق فيه وجوه الرجال؟! أرأيت لو كان الرسول صلى الله عليه وسلم موجوداً هل يرضى بك؟ أو أنه يسلط عليك عمر ؟! ولا بأس بأن تحسن اللحى وتصلحها وتحلق الرؤوس، لكن لا تحلق لمؤمن وجهه، فيقول: مع الأسف هذا طلب الناس فكيف أفعل؟ أتعصي الله وتخرج عن طاعة رسوله وتؤذي المؤمنين من أجل القوت! والله لن تستفيد من صالونك إلا ما كتب الله لك.

إذاً قال: [(ولا يحملنكم استبطاء الرزق على أن تطلبوه بمعصية الله)] اصبر اليوم واليومين والعام والعامين حتى يفتح الله عليك، وإياك أن تطلب الرزق بمعصية الله، بالسرقة أو بالتلصص أو بالكذب أو بالغش أو بالخيانة أو بتعاطي المحرمات.

.

فهذه الطرق ما وضعها الله لجلب الرزق، ولكن وضع الفلاحة، والزراعة، والصناعة، والتجارة، أو العمل اليدوي كحمال يحمل للناس أمتعتهم ولا حرج.

ثم قال صلى الله عليه وسلم: [(فإن ما عند الله لا ينال إلا بطاعته)] وهل هناك شيء يوجد عند غير الله؟ فكل شيء بيده، بيده خزائن السماوات والأرض، فكيف تطلب ما في يد الله بمعصيته؟! هل تتلصص مع الله، ما دام في يد الله اطلبه بطاعته لا بمعصيته.

أيها العاقل من بني آدم! أنت تعرف أن رزقك عند الله إذاً كيف تطلبه بمعصيته؟ أتتحداه؟ ليس معقول هذا أبداً، اطلبه بطاعته، وهذا هو المعقول.

وسبحان الله! هذا الحديث المحمدي عجب، لو فقهه الناس ما أجرم مجرم أبداً، وأعيد تلاوته: يقول صلى الله عليه وسلم: (إن روح القدس نفث في روعي أن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، ولا يحملنكم استبطاء الرزق على أن تطلبوه بمعصية الله فإن ما عند الله لا ينال إلا بطاعته)، وسمي الصدر روعاً؛ لأنه هو الذي يحصل فيه الترويع -الخوف- في القلب.

ثالثاً: أن يأتي الوحي في مثل صلصلة الجرس

قال: [ثالثاً: أن يأتي في مثل صلصلة الجرس] يأتي الملك بصوت كصلصلة الجرس إذا دققته [وهو أشده على رسول الله صلى الله عليه وسلم كما أخبر بذلك عن نفسه في حديث البخاري] من أول كتاب البخاري [إذ قال صلى الله عليه وسلم وقد سأله الحارث بن هشام] أي: سأل النبي صلى الله عليه وسلم [عن كيفية إتيان الوحي له] هذا رجل جريء! لأنه قال للنبي: علمني كيف يأتيك الوحي؟ [فقال: (أحياناً)] في بعض الأوقات [(يأتيني مثل صلصلة الجرس -وهو أشده علي- فينفصم عني وقد وعيت عنه ما قاله)] وينفصم: وينقطع عنه وقد وعى ما قاله وحفظه صلى الله عليه وسلم، فلهذا الرسول صلى الله عليه وسلم يكاد يصبح كتلة من نور، أي يُعصر حتى لا يبقى له كيان آدمي، فينسى الحياة كلها، وقد ذكرت لكم مرات أنه إذا خشع العبد ودخل في نور الله فإنه لا يشعر بالكون، ولا يشعر بمن يصلي حوله.

فالنبي صلى الله عليه وسلم عندما يأتيه الوحي بهذه الصورة يكاد ينقلب كتلة من نور كالملك، ومن ثم يقوى على أن يفهم ما يقوله الملك..فينسى الآدمية ولا يبق له شعور فيها.

رابعاً: أن يأتيه الملك في صورة رجل فيوحي إليه ما شاء الله

قال: [رابعاً: أن يأتيه الملك في صورة رجل، فيوحي إليه ما شاء الله، وهو أهون عليه لوجود التجانس المطلوب عادة للتفاهم بين المتخاطبين] هل تستطيع أن تتفاهم مع بقرة؟ إما أن تصبح بقرة أو هي تصبح إنساناً، هذه سنة الله.

إذاً: هل تستطيع أن تتفاهم مع جني؟ إما أن تكون جنياً أو يكون هو إنسي؛ ليحصل التفاهم، فكيف تتفاهم مع الملك وأنت آدمي وهو ملك؟ كيف يتم التفاهم؟ لا بد من وجود تجانس بين المتخاطبين.

[وقد جاء هذا أيضاً في حديث البخاري ، إذ جاء في قوله صلى الله عليه وسلم: (وأحياناً يتمثل لي)] أي: الملك [(رجلاً فأعي ما يقول)] قطعاً إذا خاطبه آدمي فإنه يفهم عنه [وكثيراً ما كان يأتيه جبريل عليه السلام في صورة دحية بن خليفة الكلبي الأنصاري] وهو من سكان المدينة رضي الله عنه وأرضاه، فدحية فاز بهذه ، ولهذا بعثه الرسول صلى الله عليه وسلم سفيراً، والجماعة الحكام لا يقبلون بهذا، ولكن يختارون الطويل الجميل، وهل يمثل دولة الإسلام الطويل الجميل وخاتم الذهب في أصبعه ووجهه حليق والسيجارة في يده؟! وليس معنى هذا أن يكون السفير أعمشاً أو أغبراً فلا تقبله الدول، فلا بأس أن يكون جميلاً طويلاً قوياً، ولكن مع ذلك يكون مؤمناً حي القلب والضمير عالم بالأمور ظواهرها وبواطنها.

فالرسول كان يختار دحية لأنه متأهل، فبعث به إلى الروم سفيراً له، أما إذا كان قزماً أو دميم الخلقة أو غير ذلك فإنهم يكرهونه، ولا يقبله من أرسل إليهم خاصة وهم كفار، لكن إذا كان قوياً أو كذا فإنهم يرهبونه.
إذاً على حكام المسلمين أن يختاروا للسفارة من هو أهل لذلك، فيجب أن يكون السفير ممثلاً للإسلام وأهله، أما السفير الذي لا يصلي فلا يمثل الإسلام، أو السفير الذي يفطر في رمضان، أو السفير الذي يضع طاولة الخمر في السفارة، وهكذا هم أكثر سفراء المسلمين إلا من رحم الله، ولا تظنوا أن الشيخ يتكلم بما لا يعلم، فهذا عيب وباطل.
فهل عرف الحكام هذا؟ ما عرفوا، ولو عرفوا هذا الدرس وسمعوه لعرف أكثرهم هذه الحقيقة، ومن ثم يعرف من يسفر ومن يولي، لكن ليس عندهم علم كآبائنا وإخواننا وأجدادنا.
خامساً: أن يخاطبه الرب تبارك وتعالى كفاحاً من وراء حجاب

قال: [خامساً: أن يخاطبه الرب تبارك وتعالى] وهذه أرقى صور الوحي، أن يخاطبه الله تعالى ويُسمعه كلامه [كفاحاً من وراء حجاب] أي: وجهاً لوجه هذا معنى الكفاح، فليس ثمة واسطة، ولكن من وراء حجاب؛ لأن العبد لا يقوى على رؤية الرب تعالى، وإذا أردت أن تتأكد فتعال معنا في الضحى وانظر إلى الشمس، ستجد أن بصرك محدود لا قدرة له، فأنت محدود البصر ولا عجب.
لكن نراه يوم أن يخلقنا الله خلقاً جديداً في دار المعاد يوم القيامة يوم تكون أبصارنا لا تفنى ولا تمرض، أما هذه اللحيمات المنتنة أنى لها أن ترى الله، والملائكة معنا فهل رآهم أحد؟ والله إنهم لمعنا، ولكن لا نراهم لضعف أبصارنا، وكذلك الجراثيم قبل وجود مكبرات الرؤية ما كانوا يرونها.
[كما تم ذلك له صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء والمعراج حيث فرض عليه وعلى أمته الصلوات الخمس، وتردد عليه في ذلك عدة مرات؛ يسأله التخفيف] لأنه الرب عز وجل قال: خمسون صلاة، ثم أخذ محمد صلى الله عليه وسلم يراجع موسى فيقول: يا محمد ارجع، واسأل ربك التخفيف، فقد امتحنت قبلك ببني إسرائيل، وإن خمسين صلاة لا يستطيعونها، حتى أصبحت بعد الخمسين خمسة.
فهل استطاعوها؟ وهي موزعة توزيعاً عجباً تعجز البشرية عن مثله، فصلاة الصبح مع انبلاج الفجر، وصلاة الظهر بعد الزوال، وصلاة العصر عندما يصبح ظل الشيء مثله، والمغرب لغروب الشمس، والعشاء بعد غياب الشفق الأحمر، فهي في الليل والنهار.
[وكان ذلك بإرشاد موسى عليه السلام] لقد قدم لنا موسى معروفاً وهو في الملكوت الأعلى، فصلوا عليه وسلموا تسليماً [وكما تم لموسى عليه السلام] أي الكلام من وراء الحجاب [بجبل الطور عدة مرات، فكان يسمع كلامه ولا يرى وجهه] وقد طمع فقال: رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ [الأعراف:143] فلما تجلى الرحمن له تحلل الجبل وتبخر، وما إن رأى موسى الجبل يتبخر حتى صعق، فلما أفاق قال: سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ * قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِي وَبِكَلامِي [الأعراف:143-144] أي: لا تطلب أكثر من هذا.

نتائج وعبر من مقطوعة: (صور الوحي المحمدي)

قال: [نتائج وعبر: إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبراً نذكرها فيما يلي.
أولاً: تقرير الوحي المحمدي وإثباته] تقرر عندنا الوحي المحمدي وثبت، وبم يثبت ويتقرر إذا لم يثبت بما سمعنا؟
[ثانياً: بيان صور الوحي التي كان ينزل بها] وهي خمس صور: أولاها: الرؤيا الصالحة.
وقد كانت ستة أشهر، بدأت من ربيع الأول وختمت برمضان.
والصورة الثانية هي الإلقاء في الروع، وهي: أن يلقى الوحي في نفس النبي صلى الله عليه وسلم، فيفهم عن الله ويحفظ.
والصورة الثالثة هي أن يأتي الوحي فيكون كصلصلة الجرس من شدته على الرسول صلى الله عليه وسلم، وهنا يحتاج الرسول إلى أن يذوب أو يكاد حتى يتلقى عن النوراني.
والصورة الرابعة هي أن يأتي الملك في صورة إنسان جميل كامل طيب.
وقد كان يأتي جبريل في صورة دحية بن خليفة الكلبي الأنصاري رضي الله عنه وأرضاه.

وأخيراً: يخاطبه الرب كفاحاً، أي: مباشرة، ولكن بدون رؤية وجه الله الكريم.
[ثالثاً: تقرير أن الرؤيا الصالحة من الوحي] الرؤيا الصالحة من الوحي إلى يوم القيامة، وهي جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة.
[رابعاً: ذم الحرص من عبد يؤمن بالقضاء والقدر] هل الحرص مذموم من اليهود والنصارى والكفار والملاحدة. .؟ لا. بل مذموم ممن يؤمن بقضاء الله وقدره، لِم العجلة والحرص؟ حتى الصلاة تجده لا يحسنها من العجلة والحرص، أتريد أن تنال ما لم يكتبه الله لك؟ والله لن تحصل عليه، أتريد أن تحصل على الرزق بالكذب والخيانة والغش؟ هل تستطيع أن تظفر بما لم يكتبه الله لك؟ فلم إذاً هذا الحرص الذي يؤدي بك إلى أن تترك طاعة الله ورسوله؟ هذا الحرص المذموم صاحبه لا يحسن صلاته، تجده يدخل يصلي لا يعي ولا يفهم ولا يرتل قراءة، وإنما صلى بالاسم فقط، لِم هذا الحرص؟ ماذا سيفوته؟ هل سيفوته الذي كتب الله له؟ والله لن يفوته، هل سيحصل بحرصه على ما لم يكتبه الله؟ والله لن يحصل على شيء من ذلك.
فلم هذا إذاً؟! (فاتقوا الله وأجملوا في الطلب)، إن طلب الرزق والمال يكون بالصور الجميلة الحسنة لا القبيحة كالحرص وما إلى ذلك.
[خامساً: بيان حقيقة، وهي أن ما عند الله ينبغي أن يطلب بطاعته تعالى لا بمعصيته] إن الملك بيد الله، إذاً يطلب بطاعته، والرزق وكأس الماء والثوب للستر بيد الله، فهل يطلب بمعصية الله؟ هذا جنون! ولكن يطلب بطاعة من بيده هذا، ومن هنا تنكشف عورات الناس، تجدهم يعرفون أن أشياء الله هو الذي يملكها، ويطلبونها بمعاداته! هؤلاء مجانين، يجب أن يطلب ما عند الله بطاعته، عليك أن تتملق وتتزلف إليه بالذكر والصلاة والدعاء، لعله أن يعطيك ويهيئ لك، أما بمعصيته فوالله لا تحصل إلا على ما كتب.
[سادساً: تقرير سنة، وهي أن التجانس ضروري لحصول التفاهم بين المتخاطبين] فلو تكلمت مع فارسي أو بريطاني تحتاج إلى من يترجم، وإن كان هناك تجانس في البشرية، لكن اللغة اختلفت، ولكن تستطيع -أيضاً- أن تفهم عنه ويفهم عنك بالإشارة، فلو كانت عطشاناً -مثلاً- أو تريد أن تصلي فإنه يفهم عنك بالإشارة؛ لوجود التجانس، أو كنت جائعاً -مثلاً- ومسست بطنك فقط فيفهم أنك جائع.
[سابعاً: بيان شرف دحية بن خليفة الأنصاري ؛ إذ كان جبريل يأتي في صورته] و دحية هذا لو كان من نوعنا لانتفخ وانتفش وتكبر، بل لعله يرى نفسه أعظم من الرسول صلى الله عليه وسلم؛ لأن جبريل يأتي في صورته؟! لكن -والله- ما زاده ذلك إلا تواضعاً، وأنتم تشاهدون من إخواننا من كان عسكرياً ثم أصبح عقيداً كيف ينتفخ، أو من كان راتبه ألف ريال ثم صار خمسة كيف يتكبر؛ لأننا ما ربينا في حجور الصالحين، وأين هم الصالحون؟ ذهبوا منذ كذا، لكن لا يمنع أن يكون هناك من هو أصلح منك، لتآخه وتمش وراءه وتأخذ عنه.
أما الذين يعيشون كالحيوانات ولا يجلسون في مجالس العلم والتربية فماذا تطلب منهم؟ احمد الله على أنهم ما ذبحوك، ومع هذا لو جاءوا لذبحوك وأكلوك.
[ثامناً: أكمل صور الوحي ما كان كفاحاً مع الله عز وجل بلا واسطة] يكلمه الله عز وجل ويفهم عنه كلامه ويبلغه للناس.
معاشر المستمعين والمستمعات هنيئاً لكم بما علمتم، فاحفظوه وتجملوا به وتحسنوا، والله أسأل أن يغفر لي ولكم.
كما أن هناك أخ لكم من أهل الدرس مريض، قال لإخوانه يدعو الله له بالشفاء، فأنا سأدعو وأنتم أمنوا ..
اللهم يا حي يا قيوم، يا مالك الملك يا ذا الجلال والإكرام، يا من يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير، إن عبدك صادق قد مرض وأنت تعلم به، وأنت الذي أمرضته فاشفه يا رب.
اللهم اشفه بشفائك الذي لا يغادر سقماً، واشف مرضانا ومرضى المؤمنين والمؤمنات الحاضرين والغائبين يا رحمن يا رحمن يا رحيم! اشف مرضانا ومرضى المسلمين، إنك على كل شيء قدير.
وصل اللهم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

عاد الوحي ينزل على رسول الله بعد انقطاعه لفترة وجيزة فكانت عودته حارة حامية، حيث أمر صلى الله عليه وسلم بإنذار قومه عاقبة ما هم عليه من الشرك، وما هم عليه من الشر والفساد، ومن هنا بدأ صلى الله عليه وسلم يعرض دعوته على من يرى فيه الاستعداد لقبولها، فكان أول من أسلم من النساء زوجه خديجة، ومن الصبيان ابن عمه علي بن أبي طالب، وأول من أسلم من الرجال أبو بكر الصديق، وأول من أسلم من الموالي زيد بن حارثة.

بدء الحبيب صلى الله عليه وسلم دعوته وأول من أسلم

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: قد انتهى بنا الدرس إلى مقطوعة: [بدء الحبيب صلى الله عليه وسلم دعوته وأول من أسلم].

قال المؤلف غفر الله له ولكم ورحمه وإياكم وسائر المؤمنين: [إن عودة الوحي كانت حامية حارة] سبق أن عرفنا أن الوحي انقطع مدة أربعين يوماً، فهاج فيها الحبيب صلى الله عليه وسلم، وتأثر تأثراً كبيراً حتى كان يهيم في جبال مكة [إذ أمر فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بإنذار قومه عاقبة ما هم فيه من الشرك، وما هم عليه من الكفر والفساد والشر] الله جل جلاله يأمر رسوله صلى الله عليه وسلم وينهاه، فهو سيده الذي نبأه وأرسله، وهو الذي يأمره وينهاه.

[كما أمر هو صلى الله عليه وسلم بتعظيم الله عز وجل وتوحيده، ثم بتطهير ثيابه من النجاسات؛ لأنه أصبح يتلقى الوحي في كل حين، فتعين أن يكون صلى الله عليه وسلم على أتم الأحوال وأحسنها، كما أُمر بالاستمرار على هجر الأوثان، والبعد عنها، وعدم الالتفات إليها بحال من الأحوال.

كل هذا تضمنه قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ * وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ * وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ [المدثر:1-7]] هذا النداء الإلهي الموجه إليه صلى الله عليه وسلم في أوامر وتكاليف نهض بها؛ إذ بالفعل قام فأنذر، وكبر الله وعظَّم، وطهر ثيابه، والرجز هجرها وابتعد عن ساحتها.

فأقول: إن عودة الوحي بعد غيابه كانت حامية حارة، والعلة هي أنه أمر صلى الله عليه وسلم بإنذار قومه، ونحن الآن لا نستطيع أن ننذر رجلاً في الشارع، أما الرسول صلى الله عليه وسلم فيؤمر بإنذار قومه من العذاب الذي يُتوقع لهم، ومن عاقبة ما هم فيه من الشرك، وما هم عليه من الكفر والفساد والشر، فقد كانوا كلهم في ظلام، كما أُمر هو صلى الله عليه وسلم بتعظيم الله عز وجل وتوحيده، ثم بتطهير ثيابه من النجاسات؛ لأنه أصبح يتلقى الوحي في كل حين.

وها نحن الآن هل نستطيع أن ندخل في مناجاة مع الله بدون طهارة؟ أبداً.

لا يصح، فلا بد وأن يكون الثوب طاهر والبدن طاهر، والقلب طاهر أيضاً، فالرسول صلى الله عليه وسلم لما أعد لهذا وأُمر كان لا بد من أن يكون طاهر الثياب والأعمال.

كما أمر بالاستمرار على هجر الأوثان، وقد كان من قبل كذلك هاجراً لها، لا ينظر إليها، ولا يقف عندها، ولا يبالي بها؛ لأنه معصوم وهو في رحم أمه، أما كلمة: وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ [المدثر:5]، فليس معناها: أنه كان غير هاجراً لها، أو أنه كان يتصل بها ويجلس مع أهلها ثم أُمر الآن، وإنما هذا -فقط- من باب الأمر بالاستمرار على الهجران، والبعد عن الأصنام وعدم الالتفات إليها بحال من الأحوال، ونظيره: أنك تقول في كل ركعة: اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ [الفاتحة:6]، ألست مهتدياً، ألست مسلماً، ألست على الإسلام، فما معنى هذا الدعاء؟ معناه: أدم لنا هذا الاستمرار حتى نموت على الإسلام.

والأوثان: جمع وثن، وهو كل ما عبد من صنم أو حجر أو شجر أو من معبود سوى الله فإنه يعتبر وثناً.

كل هذا تضمنه قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ [المدثر:1-2] ينذر من؟ ينذر قومه وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ [المدثر:3] أي: عظّمه وأجله وأكبره بكل ما يمكن من التعظيم، وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ بالضم والكسر وهي الأوثان فَاهْجُرْ * وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ [المدثر:4-6] أي: لا تعطي عطاء تريد به الحصول على أكثر منه.

فيجوز لك أن تهدي هدية إلى غني من أغنياء البلد وأنت تريد أن يرد عليك أكثر منها، فبدوي -مثلاً- يهدي حضرياً من أهل الحضر والمال كمية من الزبدة أو من السمن -إذ هذا الذي يوجد عندهم في البادية- وهو يرجو أن يعطى مقابل ذلك كيساً من الرز، إلا أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يرضَ الله له بهذا، فإذا أعطى عطية فلا يرجو أن يرد عليه أكثر منها ولا مثلها، قال الله: وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ [المدثر:6]، أي: لا تعطي -والمن هو العطاء- لتطلب ما هو أكثر.

ولهذا الهدية تنقسم إلى أقسام: فإذا أهديت إلى من هو أفقر منك وأنت طامع، ولم يعطك شيئاً واشتكيت إلى القاضي فلا حق لك؛ لأنك أهديت فقيراً فمن أين يعطيك؟ فأنت مخطئ في هذا الإهداء، واذهب فلا حق لك، لكن إن أهديت غنياً ولم يعطك فهنا لك حق؛ لأنه كان المفروض من هذا الغني ألا يقبل هديتك؛ لأنه عرف أنك أهديته لتأخذ منه أكثر، أما إذا أهديت من يساويك فإن فزت بالعطية فبها ونعمت وإلا فاسكت ولا تشتكي.

فالمصطفى صلى الله عليه وسلم -قائد الصالحين وإمام المتقين- لم يأذن الله له في هذا الباب، وإنما ترك هذا لعامة الناس.

قال: [ومن هنا بدأ صلى الله عليه وسلم دعوته يعرضها على من يرى فيه الاستعداد لقبولها] كما يعرض التجار بضائعهم، وكما يعرض الكُمّل من الخلق -من الرجال- بناتهم للزواج -ويصح هذا- ولكن يعرضونهن على الكُمل من الفحول، أرباب الشهامات والمروءات والصلاح والتقوى، يعرض عليه ابنته وهو لا يريد ديناراً ولا درهماً.

إذاً: العرض معروف، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بدأ يعرض دعوته على أهل مكة، ليرى من يقبل بأنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فيدخل في رحمة الله، ليسعد ويكمل.

وما كان يعرضها صلى الله عليه وسلم على كل من هب ودب -كما يقولون- ولكن يتفرس رجالات قريش، ومن هو أهل لهذه الدعوة، فإذا احتضنها ارتفعت إلى عليائها.

وهذا هو أسلوب الحكماء، ورسول الله سيد الحكماء، فكان يعرضها على من يرى فيه الاستعداد لقبولها.

[فكان أول من أسلم من النساء خديجة بنت خويلد رضي الله عنها وأرضاها] إذاً: عرض عليها؛ لأن امرأته أم أولاده أحق بالإسلام من غيرها، كما أن الصدقة تكون أولاً على القريب.

فكان أول من أسلم من النساء -في العالم لا في مكة فحسب- خديجة بنت خويلد أم المؤمنين رضي الله عنها وأرضاها، وليس معنى (أم المؤمنين) أنها ولدتهم، ولكن معناه أنها محرمة عليهم فلا يتزوجها عبد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، هذا معنى أم المؤمنين، وكذلك عائشة أم المؤمنين لا يحل نكاحها لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد حرمها الله الذي حرم الأمهات والبنات والعمات والخالات، وحرم كل أزواج رسوله صلى الله عليه وسلم، فهن أمهاتنا رضي الله عنهن وأرضاهن.

[وأول من أسلم من الصبيان علي بن أبي طالب] والصبيان هم الأطفال الصغار، جمع صبي، لا بلغة أهل المدينة اليوم، فالصبي عندهم هو العامل، فتجد الفحل بلحيته يقال له صبي؛ لأنه خادم! فالمراد بالصبي هنا: الطفل الذي لم يبلغ الحلم، أي: ما زال دون العاشرة أو الثاني عشرة.

فكان أول من أسلم من الصبيان علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهذه عرفناها ونحن أطفال صغار؛ لأننا كنا نجالس الصالحين ونسمع منهم، وعندنا الآن رجال كبار دكاترة لا يعرفونها، وما سمعوا بها.

قال: [إذ أسلم] أي: علي [وعمره عشر سنين] لكنه يعي، وإلا كيف دخل في الإسلام لولا أنه عرف وتجلت له أنواره؟! [وصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مختفيين بصلاتهما عن أعين قريش] وقد فرضت الصلاة في السنة العاشرة -بعد أن عرج بأبي القاسم صلى الله عليه وسلم إلى الملكوت الأعلى- خمس صلوات، وصلى في مكة ثلاث سنوات، وصلى المؤمنون معه هناك مختفين، فلا أحد يستطيع أن يظهر ويصلي أمام قريش، ولو فعل ذلك لرموه بالحجارة.

فعلي رضي الله عنه لما أسلم في تلك الأيام فرضت الصلاة، فصلى مع النبي صلى الله عليه وسلم مختفٍ معه.

وكذلك هل يستطيع أحد أيام البلشفة الحمراء في روسيا أن يصلي أمام الروسيين؟ لا.

لا يسمحون له.

[وأول من أسلم من الرجال] جمع رجل وهو الذكر من بني آدم [أبو بكر الصديق رضي الله عنه] إذاً: أول من أسلم من النساء خديجة ، ومن الأطفال الصغار علي ، ومن الرجال الكبار أبو بكر الصديق ، وهذه الأولية لها قيمتها، قال الله عز وجل: وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ [التوبة:100]، فالسبق له قيمته.
[واسم أبي بكر قبل الإسلام: عتيق ، واسم أبيه عثمان بن عمرو التيمي القرشي ، وكنية عثمان أبو قحافة]، كنية أبا أبي بكر هي أبو قحافة ، وقد أسلم أبو قحافة عام الفتح، لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة مع اثني عشر ألف مقاتل من الأنصار والمهاجرين، فجيء به ورأسه أبيض تماماً -كان شيخاً كبيراً- فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: (غيروا هذا الشيب وجنبوه السواد)؛ لأنه إن صبغ بالسواد مع كبر سنه أصبحه منظره غير مستقيم.
[وأول من أسلم من الموالي] أي: العبيد الأرقاء، الذين تحرروا أو ما زالوا [زيد بن حارثة بن شرحبيل الكلبي] من قبلية كلب [وكان عبداً لحكيم بن حزام ، فوهبه لعمته خديجة بنت خويلد] أي: عمها أكرمها بهذا العبد، أعطاه إياه لكي يخدمها؛ لأنه مملوك، اشتراه بثمنه، ثم وهبه لخديجة رضي الله تعالى عنها [وهي زوجة لرسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ، فاستوهبه منها رسول الله صلى الله عليه وسلم فوهبته إياه] الرسول صلى الله عليه وسلم قال لها: هب لي خادمك أو صبيك أو عبدك الذي أكرمك به عمك، أي: أعطنيه فأنا في حاجة إليه [فوهبته إياه] قالت: خذه يا رسول الله.
وهل تستطيع أن تقول: لا، والنور يغشاها ويغطيها؟! وقد استوهب إبراهيم -جده صلى الله عليه وسلم- مرة عبداً، فمن هو؟ استوهب سارة امرأته وبنت عمه أن تعطيه هاجر المصرية القبطية ، وقد كان أعطاها ملك مصر لسارة لما شاهد كرامة الله لهذه المرأة، فلما جاءت بها إلى إبراهيم -وهي امرأته- استوهبها إياها، فقالت: خذها، فلما تسراها أنجبت إسماعيل جد سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم.
وكان إبراهيم قد غادر بلاد العراق متجهاً إلى مصر، ولما وصل إلى مصر قال لسارة : اسمعي! إذا سألك هذا الظالم عني فلا تقولي له زوجي، ولكن قولي: أخي؛ إذ ليس في هذه الأرض من مؤمن ومؤمنة إلا أنا وأنت فقط، فأنت أختي وأنا أخوك؛ لأن الوشاة لما رأوا سارة مع زوجها -ويسميهم العامة: القوادين، أو الجرارين- ذهبوا إلى السلطان وأخبروه بأن هناك امرأة صفتها كذا وكذا، وأنه أحق بها.
وهذه طباعنا نحن البشر، إلا من عالج واستأصل الداء من جسده، وعندنا الدواء، ولكن قل من يرغب فيه.

بعض الوصفات الإلهية في علاج أمراض بني آدم

إن الإنسان إذا لم يُعالج ويصح من أدوائه وأمراضه فهو الظلوم الكفور، الطاغية، الشحيح، البخيل، وهذه كلها أمراض لا تعالج إلا بعلاج قد وضعه الله لنا، واقرءوا قول الله عز وجل: إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى [العلق:6] متى؟ أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى [العلق:7] يوم يرى نفسه استغنى فيرتفع.
إي والله! ويقول عز وجل: إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ [إبراهيم:34]، وظلوم أي: كثير الظلم، وكفور: أي كثير الكفر للنعم.
ويقول عز وجل: إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا [المعارج:19-21] ومنوعاً أي: أمنع ما يكون.
هذا هو الإنسان.
فمن عالج واستأصل محط الداء بالدواء وشفي، أصبح والله ما هو بالظالم، ولا الظلوم، ولا الكافر، ولا الكفور، ولا الطاغي، ولا الشحيح ولا..، وإذا مسه الخير بذله، أو مسه الشر صبر ولم يضجر، ووالله لهو الواقع.
ولكن من يرغب منكم في هذه الوصفة الطبية؟ بشرط أن يكون قادراً على أن يستعملها تحت نظر الطبيب، أما أن يستعملها بدون طبيب فقد ينجح بنسبة (70%)، والأولى أن تُستعمل هذه الأدوية تحت أشراف طبيب ناصح.
وإليكموها: إن الذي يشكو من نفسه الهلع، إذا مسه الشر جزع، وإذا مسه الخير منع، ومن يشعر بأنه ظالم لنفسه ولامرأته، ولأولاده، وللناس، ويشعر بالطغيان إذا شبع أو ترفه، أو إذا كثر ماله أصبحت عينه في السماء، له وصفة ربانية: أولاً: يقول الله عز وجل: بسم الله الرحمن الرحيم إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا [المعارج:19-21] واسمع! إِلَّا الْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ [المعارج:22-23] هذا هو العلاج الأول.

إن المصلي الذي يديم الصلاة ولا يقطعها قد استعمل العلاج رقم واحد في علاج هذه الأمراض، وهو يشفى بقدر هذا الرقم، ولكن يَكمُل شفاؤه إذا استعمل الأرقام الثمانية.
ثانياً: وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ [المعارج:24-25]، رقم اثنين: أن تعرف أن في مالك حق لغيرك، فتعطيه لمن يسأل ولمن لا يسأل ألا وهو: الزكاة، والصدقات، وهذا أكبر علاج لمرض الشح -والعياذ بالله-.
فإنفاق المال هو أن تعرف أن في مالك حق معلوم معروف يجب أن تسلمه إلى أهله، ومن هم أهله؟ السائل والمحروم؛ إذ يوجد في القرية من لا يسأل، ويستحي من ذلك ولو مات جوعاً، فهذا المحروم عليك أن تعطيه كما تعطي من يسأل.
ثالثاً: وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ [المعارج:26]، إن الإيمان باليوم الآخر، وبالدار الآخرة، وبالجزاء على الكسب في الدنيا -هذا المعتقد- يفعل العجب في قلب الإنسان وفي نفسه، فالذي لا يؤمن بلقاء الله، ولا يؤمن بالدار الآخرة وما فيها من نعيم مقيم أو عذاب أليم كالحجر، بل الحجر أفضل منه، ولا يُؤمن على شيء، وهذه قضية كررناها آلاف المرات.
ووالله لأن تنام إلى جنب ثعبان أو ذئب لا يلتفت إليك، لكن لو بت إلى جنب من لا يؤمن بلقاء الله واحتاج إلى دمك -والله- فإنك لا تنجو منه؛ إذ ليس عنده مانع أبداً ولا وازع.
إن الذي ليس لديه إيمان بلقاء ربه والوقوف بين يديه، وسؤاله واستنطاقه واستجوابه، ثم الجزاء على هذا الكسب قلّ أو كثر -من لا يوجد في قلبه هذا المعتقد- الحيوانات أبرك منه وأطيب أثراً، وهو شر الخلق، شر الخلق وهو إنسان، واسمعوا قول الله عز وجل: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُوْلَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ [البينة:6]، و(البرية): الخليقة، من برأ إذا خلق، وقول: (البريئة) على الأصل، وقول: (البرية) تحويل الهمزة ياء وإدغامها فيها للتخفيف.
من هم شر البرية؟ إنهم الكفار.
هل تتردد في هذا والله خالق الخير والشر هو الذي يخبر؟! كيف تأمن جانب من لا يؤمن بالله ولا بلقائه؟! وهذا رقم ذو أثر عجيب.
رابعاً: وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ [المعارج:27]، والمشفق هو الخائف، الذي يعيش خائفاً من عذاب الله أن يصيبه في الدنيا والآخرة، ومن كان هكذا لا يفجر، ولا يكفر، ولا يسرق، ولا يقتل، ولا يسب ولا يشتم؛ لأنه خائف من ربه، ووجود هذا الرقم في حياة الإنسان يحولها إلى أحسن حياة، فما دام خائفاً لا يستطيع أن ينظر نظرة محرمة، ولا يستطيع أن ينطق بكلمة سيئة، ولا يستطيع أن يقدم على معصية؛ لأنه يرتعب من ربه، أما الذي لا يخاف الله ولا يرهبه فكيف يُؤمَن على النساء والأموال؟ والله لا يُؤمَن، وهو شر الخلق.
خامساً: وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ [المعارج:29-30]، أي الذي يحفظ فرجه من الزنا واللواط وكشف العورات، ومن عاش على هذا المعنى فهيهات هيهات أن يتوغل في الخبث والشر والفساد، من استطاع أن يسيطر على الغرائز والشهوات تمام السيطرة، وحفظ فرجيه من كل زنا ولواط، ومن كل إبداء عورة والنظر إليها تحولت حياته، فهذا رقم ذو أثر عظيم في تحويل حياة الإنسان.
سادساً: وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ [المعارج:32] وهذه صفة كمال.
فتجده يرعى الأمانة كما يرعى الراعي غنمه؛ عينه دائماً وراء الشاة، أينما وقفت وأينما مشت وأينما نامت، فتجده يرعى أمانته التي اؤتمن عليها، وعهوده التي عهد بها إلى غيره كما يرعى الراعي غنمه.
ولهذا الحفيظ العليم، الذي يرعى العهود والأمانات ولا تتفلت عليه ولا تضيع أمانة عنده، من أكمل الناس.
سابعاً: وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ [المعارج:33]، وفي قراءة (لشهادتهم قائمون) فلا يمكن أن يلين لسانه ويحرف كلمة، بل يقيم الشهادة ولو على نفسه، أو على أبيه وأمه، فيقول الحق وينطق به ويشهد أن فلاناً قال، أو أن فلاناً أعطى، وقد يترتب على شهادته قتل -مثلاً-.
ثامناً: وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ [المعارج:34]، في الآية الأولى: (دائمون)، والمحافظة غير المداومة، فحافظ عليها: أداها في أوقاتها وفي جماعات المؤمنين، وفي بيوت الرب خاشعاً خاضعاً، مستوفية الشروط والأركان والآداب، ومع هذا الأداء ينفع والمحافظة أعظم وأكثر.
هذه الوصفة الطبية الإلهية من سورة المعارج من كتاب الله، هل عرفها المسلمون؟ هل استخدموها؟ فنحن لا نعيش كما تعيش الحيوانات نسيح في الغابات والجبال، بل شأننا هو الاجتماع دائماً، يقول الله عز وجل: وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ

الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ [الكهف:28]، هذا رسول الله يُلزم بأن يصبر مع الصالحين، أما الانفرادية والبعد فما هي إلا مصيدة للشيطان، فلابد من الجلوس في حجور الصالحين وتلقي العلم والمعرفة والهداية من طريقهم.
أما جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم للنساء والرجال طيلة دعوته، وإلا كيف تعلموا وتخرجوا؟ أما أُمر بهذا؟ قال تعالى: وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ [البقرة:129]، ومن يتعلم من كتاب فقط لا يهتدي، بل لابد من جلوس مع الصالحين، حتى يشاهدوا سلوكه ومنطقه وحركته وأعماله، فيوجهونه ويصلحونه.
هذه الوصفة الربانية اعرضوها على إخوانكم، يجب أن نجتمع عليها وندرسها، ونعرف ما فيها، ولكن كأن لسان الحال يقول: يا شيخ لا نريد السماء دعنا في الأرض!! يقول الله عز وجل: وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ [النساء:69] بسبب ماذا؟ بسبب طاعته لله والرسول صلى الله عليه وسلم، هذه الطاعة أليست فعل وترك؟ وكيف نعرف الأمر والنهي إذا لم نعرف هذا من الكتاب والسنة، ومن أفواه المعلمين والربانيين؟

تابع بدء الحبيب صلى الله عليه وسلم دعوته وأول من أسلم

قال: [وأول من أسلم من الموالي زيد بن حارثة بن شرحبيل الكلبي ، وكان عبداً لحكيم بن حزام] وهو عم خديجة [فوهبه لعمته خديجة بنت خويلد -وهي زوجة لرسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ- فاستوهبه منها رسول الله صلى الله عليه وسلم فوهبته إياه فأعتقه صلى الله عليه وسلم وتبناه] أي: جعله ابنه، وقد كان التبني جائز قبل أن ينزل القرآن بمنعه.
فتبناه ولما جاء أبوه وعمه وعثروا عليه في مكة خيره بين أن يجلس معه وبين أن يذهب مع أبيه وعمه.
فقال زيد : أرغب عن رسول الله؟! لن أستطيع أن أذهب مع أبي وعمي وأترك رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن ثَمّ جازاه الرسول أعظم جزاء فقال: أنت ابني، وطاف به في ديار مكة وقال: أشهدكم أن زيد بن حارثة أصبح ابن محمد صلى الله عليه وسلم، ثم أصبح يعرف بعد ذلك بـزيد ابن محمد، حتى جاءت الهجرة ونزلت سورة الأحزاب وفيها إنهاء التبني.
[وذلك قبل البعثة النبوية، وكان زيد قد خرجت به أمه -وهو ابن ثمانية أعوام لُتزيره بعض أقربائه- فأصابته خيل من بني القين، فباعوه في سوق حبّاشة من أسواق العرب] كان هذا أيام الإغارات على الناس، فلا دين ولا ملة ولا شريعة ولا قانون [فاشتراه حكيم بن حزام في جملة أعبد] أي في مجموعة من العبيد [ووهبه خديجة كما تقدم، وقد حزن لفراقه والده، وقال فيه قصيدة منها الأبيات التالية] حزن الأب على فراق ابنه، وكأنه كان يشعر بأن هذا الابن سيكون له شأن عظيم، ووالله ما ذكر صحابي في القرآن إلا هو رضي الله عنه، قال الله عز وجل: فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا [الأحزاب:37] وإليكم هذه الأبيات التي بكى فيها ابنه لما فقده: [بكيتُ على زيدٍ ولم أدرِ ما فَعَلْ أحيٌّ فيُرَجى أم أتى دونه الأجَلْ فوالله ما أدري وإني لسائل أغالَك بعدي السهل أم غالك الجَبَلْ ويا ليت شعري هل لك -الدَهْرَ- أوبة فحسبي من الدنيا رجوعك لي بَجَلْ -أي: يا بجل- تُذكرُنيه الشمس عند طلوعها وتعرض ذكراه إذا غربُها أفل وإن هبت الأرياح هيّجن ذكره فيا طول ما حزني عليه وما وَجَلْ سأعملُ نصّ العيس في الأرض جاهداً ولا أسأم التطواف أو تسأم الإبلْ حياتي أو تأتي عليَّ منيّتي فكلّ امرئ فانٍ وإن غرّه الأملْ] هذه قالها يبكي ولده لما ضاع.
[وبعد زمن قدم والده مكة وعرف ولده زيداً ، وخيره الرسول صلى الله عليه وسلم بين الذهاب مع والده وبين البقاء معه، فاختار رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ ولذا عتقه وتبناه، وكان يعرف بـزيد بن محمد حتى جاء الإسلام وحرم التبني، فأصبح يعرف بـزيد بن حارثة بدل محمد صلى الله عليه وسلم].
والآن نتائج هذه المقطوعة التي درسناها:
نتائج وعبر من مقطوعة (بدء دعوته صلى الله عليه وسلم)

[نتائج وعبر: إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبراً نجملها تحت الأرقام الآتية: أولاً: بيان ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد فترة الوحي من النذارة والتوحيد، والطهارة والاستمرار على هجران الأوثان.

ثانياً: بيان أن أول من أسلم من النساء خديجة ، ومن الصبيان علي ، ومن الرجال أبو بكر ، ومن الموالي زيد بن حارثة رضي الله عنهم أجمعين.

ثالثاً: بيان سبب عتق زيد وتبني الرسول صلى الله عليه وسلم له وهو اختياره للرسول صلى الله عليه وسلم دون والده وعمه] سبب عتقه وتبنيه رضي الله عنه أنه لما جاء أبوه وعمه وعرفوه وعرفهم، خيره الرسول صلى الله عليه وسلم بين أن يمشي معهم وبين أن يبقى عنده، فاختار رسول الله صلى الله عليه وسلم -ولو كنا نحن لاخترنا رسول الله صلى الله عليه وسلم- فمن ثم أعتقه وتبناه، وأصبح يقال له: زيد بن محمد، وهذا قبل البعثة النبوية، ثم جاء الوحي والقرآن والشريعة والقانون الإلهي وحرم الله التبني في آية من سورة الأحزاب.

والآن سأسألكم سؤالاً: من أول من أسلم من العالم؟ مداخلة: خديجة .

الشيخ: إذاً: هذه بطلة النساء.

ومن أول من أسلم من الصبيان الصغار؟ مداخلة: علي بن أبي طالب .

الشيخ: ومن أول من أسلم من الفحول الرجال؟ مداخلة: أبو بكر الصديق .

الشيخ: ومن أول من أسلم من الموالي والعبيد؟ مداخلة: زيد بن حارثة .

الشيخ: إذاً: دخلوا في سلك السابقين الأولين، إي والله إنهم لهم السابقون الأولون.

وسؤال آخر بسيط: ما سبب تبني الرسول صلى الله عليه وسلم لزيد ؟ مداخلة: اختياره لرسول الله.

الشيخ: نعم.

اختياره لرسول صلى الله عليه وسلم عن عمه وأبيه.

وكيف وصل زيد إلى مكة؟ آلمته الجاهلية، فالعرب كانوا يشنون الغارات على بعضهم بعضاً، وليس فقط في الجاهلية، ولكن في الإسلام -أيضاً- لما هبطنا وغابت أنواره، وجدنا القبائل يشنون الغارات على بعضهم بعضاً؛ لأن القضية قضية نور انطفأ، فأكل الناس بعضهم بعضاً، لا أقل ولا أكثر.

وبقي أن هناك فحل -زاده الله فحولة- يسأل ويقول: بعض النساء اليوم تكون في الطابق الرابع وزوجها في الأرض فترفع صوتها وتنادي يا أبا فلان أو يا مصطفى أو يا عيسى، فهل هذا يجوز أو لا يجوز؟ الجواب: إذا ما وجدت بُداً وخافت الضياع فلا بأس، أما إذا كانت تستطيع أن تهبط وتناديه وتصل إليه أو تبعث إليه ببنية صغيرة أو ابن فإنه لا يجوز.

عرفت فالزم! وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

بعد إسلام أبي بكر الصديق قام رضي الله عنه من أول يوم بدعوة من يتوسم فيهم قبول الدعوة من رجالات قريش، فقام سراً بدعوة عثمان رضي الله عنه، فما لبث أن أسلم، ثم توالى دخول طليعة الصحابة في الإسلام كالزبير وطلحة وسعد بن أبي وقاص وغيرهم، فكانوا هؤلاء هم اللبنة الأولى التي قامت عليها دعوة الإسلام، ثم توالى دخول الناس في الإسلام أفراداً أفراداً على تخوف من قريش وبطشها.

إسلام الصديق وأثره في الدعوة

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله فقد رشد، ومن يعصِ الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.
قد انتهى بنا الدرس إلى مقطوعة [إسلام الصديق وأثره في الدعوة] إسلام أبي بكر الصديق وأثر إسلامه في دعوة الإسلام، أي: في انتصارها وانتشارها.
قال: [لقد أسلم الصديق مبكراً] وقد علمنا أن أول من أسلم من الرجال الصديق ، ومن الأطفال علي ، ومن النساء خديجة ومن الموالي زيد بن حارثة [إذ هو أول من أسلم من الرجال الأحرار كما تقدم] وأنتم تعرفون قيمة الأسبقية، يقول الله عز وجل: وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ [الواقعة:10-11] [وقد تَوَجه الرسول صلى الله عليه وسلم] ومعنى (توجه): وضع على رأسه تاج العز [بكلمة] ليس بتاج من نحاس أو فضة أو ذهب، ولكن بكلمة تساوي ألف تاج وتاج [لم يظفر بها أحد غير أبي بكر الصديق ، وهي قو له صلى الله عليه وسلم: (ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت فيه عنده كبوة ونظر)] والكبوة التأخر وعدم التقدم [(وترددٌ إلا ما كان من أبي بكر بن أبي قحافة ما عكم عنه حين ذكرته له، وما تردد فيه)] ومعنى عكم: تريث وتأمل، ولكنه على الفور آمن.
وأعيد هذا التاج من الكلم المحمدي عليه الصلاة والسلام: يقول الحبيب صلى الله عليه وسلم: (ما دعوت أحداً إلى الإسلام) أي للدخول فيه، وهل كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو إلى الإسلام؟ إي نعم.
أما قال تعالى: ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ [النحل:125]، وقال: فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ [الحجر:94]، قال: (إلا كانت فيه عنده كبوه ونظر وتردد، إلا ما كان من أبي بكر الصديق ، ما عكم عنه حين ذكرته له، وما تردد فيه)، فاز بها ابن أبي قحافة رضي الله عنه.
[وكان الصديق رضي الله عنه في سن قريبة من سن الرسول صلى الله عليه وسلم] لعله ليس بينهم إلا أشهر [وكان ذا حسب ونسب في ديار مكة وبين سكانها] ما كان صعلوكاً من أمثالنا، أو شخصاً عادياً، بل كان ذا حسب ونسب ومكانة في مكة (أم القرى) [وهو وإن لم يكن هاشمياً] أي ليس بهاشمي النسب [فهو تيمي قرشي] وحسبه أنه من قريش [يمتاز بحسن الخلق، وكرم النفس، والمعرفة بأنساب العرب؛ حتى إنه ليضرب به المثل في ذلك] كان نساباً وحيداً، يعرف قبائل العرب وأفخاذها وبطونها من عدنان.
[وما إن أسلم رضي الله عنه عن قناعة وعلم] فلم يسلم وهو متردد أو شاك أو مرتاب، أو عن جهل فدخل في الإسلام بدون علم، ولكن أسلم عن علم وقناعة [بما دخل فيه من دين الله تعالى، حتى أخذ يتصل بخيار رجالات قريش في مكة] ما إن أسلم -على الفور- عن علم وقناعة، وفهم الدين الإسلامي الذي دعاه إليه صديقه صلى الله عليه وسلم حتى أخذ يتصل بخيار رجالات قريش في مكة، فيزورهم بالليل أو بالنهار في مكان يخلون فيه بأنفسهم [يعرض عليهم الإسلام سراً] فقط؛ إذ ممنوع من يتكلم باسم الإسلام [فأجابه وأسلم على يديه نخبة ممتازة كان لها] أي: لتلك النخبة الممتازة [الأثر الكبير في نشر الدعوة داخل مكة وخارجها.
وأفراد هذه الطليعة] التي كانت بسبب أبي بكر [هم: عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس الخليفة الراشد رضي الله عنه وأرضاه] أسلم عثمان بدعوة أبي بكر [ويكنى بـأبي عبد الله أو بـأبي عمرو] منهم من يقول: أبو عبد الله ، ومنهم من يقول أبو عمرو [ويلقب] والكنية غير اللقب [بـذي النورين] فالكنية ما صدّرت بأب أو أم، واللقب ما كان للمدح أو الذم.

ويلقب هذا الخليفة الراشد بـذي النورين [لتزوجه بـابنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم] إذ تزوج ببنتين من بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما فاز بهذا أحد سوى أبي عبد الله عثمان بن عفان ، فعلي تزوج بفاطمة فقط، أما هذا فتزوج بابنتين من بنات النبي صلى الله عليه وسلم و خديجة رضي الله عنها، وهما [رقية ثم أم كلثوم رضي الله عنهما] تزوج رقية وبعد أن ماتت تزوج أم كلثوم ، وهما بالبقيع، ولهذا يلقب بـذي النورين؛ لأنـه أخذ نوراً ولما انطفأ زاد نوراً ثانياً.
من وهبه هذا ومن أعطاه؟ إنه الله، ثم رسول الله صلى الله عليه وسلم.
ورغم ذلك ذبحوه في بيته الماديون المتكالبون على الدينار والدرهم، فقد أثار الاشتراكيون في مصر والعراق والشام الثائرة على عثمان ، يقولون: عثمان يفعل بالأموال ويتصرف فيها ويوظف بني عمه ويعمل ويعمل .
.
حتى ألبوا عليه الدنيا، وجاءوا بالآلاف وحاصروا المدينة النبوية.
أرأيتم قبح المادة ورجالها؟! والثاني من تلك الزمرة الطاهرة الطيبة: [الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى القرشي] وهذا قرشي أيضاً وليس بهاشمي [يكنى بـأبي عبد الله] لأن ولده عبد الله ، صاحب المفاخر والمواقف العظيمة، وكذلك أمنا عائشة تكنى به؛ لأنه ابن أختها، وهي لم تلد فكنيت بـأم عبد الله ، تعني ابن أختها، فـالزبير أبو عبد الله ، و عائشة أيضاً أم عبد الله .
وفضل الله عظيم! [وهو حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم] عيسى بن مريم له حواريون، والزبير حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو أعظم من حواري عيسى وأجلّ ..والحواريون هم الأنصار، وليس هناك حاجة إلى ذكر عيوب بني إسرائيل [وابن عمته صفية بنت عبد المطلب] الزبير ابن عمة الرسول صلى الله عليه وسلم؛ لأن صفية بنت عبد المطلب ، أخت عبد الله والد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهو ابن عمته رضي الله عنه وأرضاه.
ثالثاً: [عبد الرحمن بن عوف بن عبد الحارث بن زهرة القرشي ذو الهجرتين رضي الله عنه وأرضاه] الهجرة الأولى إلى الحبشة، والثانية إلى طيبة (المدينة النبوية).
لو كنا في الهند أو في الغرب ونتكلم عن المدينة نهتز، والآن تجمدت أرواحنا، ولهذا يُرتكب فيها الذنوب والآثام، والذي يرتكب الذنوب في المدينة كالذي يرتكبها في المسجد، لأنها حرم؛ ولهذا أنصح الذين لا يريدون أن يستقيموا أن يرحلوا منها، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (المدينة حرام من عير إلى ثور، من أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه صرف ولا عدل)، وهل بلغ هذا إخواننا؟ إي بلغ، ولكنهم لا يبالون.
وسبب عدم مبالاتهم أنهم ما عرفوا الله، ولا عرفوا ما عنده ولا ما لديه؛ فلهذا هم تائهون في ضلال المادة وأباطيلها، تخرج من المسجد النبوي فتجد أمامه ما هو معلق، يسميه أهل المدينة (الدش)، يلتقط فيه كل صورة قبيحة من العالم، من أقصى الغرب إلى أقصى الشرق، والرجل أمامه يضحك مع امرأته وبناته وأولاده، يتنزهون ويرفهون عن أنفسهم.
هؤلاء يدخلون تحت تلك اللعنة أم يخرجون؟ والله إلا أن يتوبوا، فإن عجلوا بالتوبة نجو، وإلا فحولهم تدور، لا يقبل منه صرف ولا عدل.
ورابع الطليعة: [سعد بن أبي وقاص واسم أبي وقاص -والد سعد - مالك بن أهيب بن عبد مناف القرشي ، خال الحبيب صلى الله عليه وسلم إذ جد سعد أهيب عم آمنة بنت وهب أم النبي صلى الله عليه وسلم، وكان رضي الله عنه مجاب الدعوة حتى قيل فيه: احذروا دعوة سعد .
فرضي الله عن سعد وأرضاه] ومعنى مجاب الدعوة أنه إذا سأل الله تعالى شيئاً أعطاه، وقد ظفر بهذا الكمال بواسطة الحبيب صلى الله عليه وعلى آله وسلم، مع رغبته هو، فنحن دائماً نقول في المشيئة الإلهية: إن الله يدخل من يشاء في رحمته، ولكن لا يظن بمن يغني أنه يدخل في الرحمة وهو لا يريدها! فلابد وأن تطلب الرحمة وتقرع أبوابها، ومن ثم لا يطردك الله.
إذاً: طلب أن يكون مجاب الدعوة، فسأل النبي صلى الله عليه وسلم، وقال له: يا رسول الله! ادع الله تعالى لي أن يجعلني مجاب الدعوة، أي: سله أن يجعلني من مجاب الدعوة، فقال له الحبيب صلى الله عليه وسلم: (أطب مكسبك تجب دعوتك) وهذه الجملة -والله- خير من ألف ريال، فالكسب الذي تكسبه وبه تأكل وتشرب وتكتسي وتسكن

وتركب -هذا الكسب- اجعله حلالاً أي: لا تأكلن إلا الحلال، ولا تشربن إلا الحلال، ولا تلبسن ولا تركبن ولا تسكنن إلا من حلال، فإذا أصبحت كذلك تجاب دعوتك -ومن أراد منكم أن يبتدئ فمن الليلة إن شاء الله- لأن الذي لا يطيب مكسبه تتعلق به حقوق الآخرين، ويدعون عليه، فكيف ينجو؟ كيف يرقى إلى مستوى أن تجاب دعوته ونفسه تتلوث وتصاب بالظلمة والعفن؟ مثل هذا لا يُرفع له عمل إلى الله، فكيف ترفع له دعوة؟ إن هذه الكلمة -أقسم بالله- لهي خير من أكبر منهج وضع للسياسية الأمنية في العالم، التي هي عبارة عن برامج ومناهج البوليس والأمن، كتب وخطط يتنافسون فيها، هذه الكلمة -والله- أنفع من تلك كلها، فلو أخذ كل واحد منا وواحدة بهذه الكلمة ما بقيت سرقة ولا غش، ولا خداع، ولا شهادة زور، ولا باطل، ولا احتيال .

.

فماذا نبغي بالعسكر أو البوليس؟!! هذا أستاذ الحكمة صلى الله عليه وسلم ومعلمها يقول: (أطب مكسبك تجب دعوتك)، فأهل القرية إذا استقاموا على منهج الله، وأصبحت قلوبهم وأرواحهم أنوار تتلألأ كأنهم كوكب في السماء وهم في الأرض، ستستنير بهم الأرض كما تستنير السماء بالكواكب.

وخامس هؤلاء الطليعة: [طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب القرشي ، يكنى بـأبي محمد الفياض أحد العشرة المبشرين بالجنة، قتل في وقعة الجمل رضي الله عنه وأرضاه] ووقعة الجمل وقعت لما حدث الخلاف بين علي و معاوية ، وقامت أم المؤمنين -وسيطة الخير- التي لم تعرف الدنيا وسيطاً مثلها لا من الرجال ولا من غيرهم وحدث الذي حدث، تلك هي وقعة الجمل.

وهناك استشهد طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه وأرضاه.

قال المؤلف غفر الله له ولكم ورحمه وإياكم: [فهؤلاء النفر الذين أسلموا على يد أبي بكر الصديق رضي الله عنه] وهم خمسة رجال أسلموا على يد الصديق رضي الله عنه، والجائزة هي: (لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم)، والحمر واحد أحمر، وهو البعير الأحمر، والجمع حُمُر، (والنعم) الإبل، وأغلى أنواع الإبل هي الحمر، لا البيض العيس ولا السود [يضاف إليهم علي رضي الله عنه و زيد رضي الله عنه، و أبو بكر الصديق رضي الله عنهم أجمعين فيصبحون ثمانية أنفار] وإلى الآن: ليس في الإسلام إلا رسول الله وثمانية أنفار [هم أهل السبق في الإسلام، إذ آمنوا وصلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل كل أحد من الناس باستثناء السيدة خديجة رضي الله عنها إذ كانت أول المؤمنين].

نتائج وعبر من مقطوعة: (إسلام الصديق وأثره في الدعوة)

قال: [نتائج وعبر: من نتائج هذه المقطوعة من السيرة العطرة ما يلي: أولاً: بيان فضل أبي بكر الصديق] فهل تشكون في فضله؟ أو لعل بينكم من يلعنه -والعياذ بالله-؟!! [ثانياً: بيان فضل الدعوة إلى الله، وفضل من يهدي الله على يديه فرداً أو أفراداً.

ثالثاً: بيان شرف هؤلاء الأنفار الثمانية لسبقهم في الإسلام؛ إذ أثنى تعالى عليهم في قوله: وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ [التوبة:100]].

سبحان الله! رضا الله عنهم مقبول محمود، أما هم فكيف يرضون عن الله؟ إكرام الله لهم بإعطائهم كل ما سألوا، وبالتالي رضاهم عنه عز وجل بما آتاهم وأعطاهم.

أفواج السابقين بعد الأولين

والآن مع [أفواج السابقين بعد الأولين] الأولين كانوا ثمانية فقط، والآن تأتي الأفواج بعد هذا، فوج بعد فوج.

[وما إن أسلم أولئك النفر الكرام، حتى تتابع أشراف قريش يدخلون في الإسلام فيؤمنون بالله رباً وإلهاً، لا إله غيره، ولا ربّ سواه، وبمحمد نبياً ورسولاً، وبالقرآن هدى ونوراً].

لما ظهرت هذه الطليعة كالكواكب الزهر، وبالطبع الناس يقلدون -وتعرفون التقليد عندنا يقلد بعضنا بعضاً- لكن من يُقلّد أكثر ويقبل إذا كان ذا شرف ومكانة ورئاسة، فإنه يتبع بسرعة، أما الفقير والمسكين فلا يقلد بكفاية قال: [فأسلم -أولاً- أبو عبيدة عامر بن الجراح القرشي الملقب بأمين هذه الأمة] نحن عندنا أمين للمدينة، وهذا أمين أمة الإسلام قاطبة، ما فاز بهذا غيره، وملقبه هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو [أحد العشرة المبشرين بالجنة، وهو الذي

انتزع -بأسنانه- من رسول الله صلى الله عليه وسلم حلقتي الدرع يوم أحد] الرسول صلى الله عليه وسلم دخل الدرع في وجهه، فمن ينتزعه؟ ليس عندهم سيارة إسعاف ولا أطباء .

.
أتى أبو عبيدة فانتزعهما بأسنانه حتى سقطت [فسقطت بذلك ثناياه رضي الله عنه وأرضاه] وهذا شرف له، ويبعث يوم القيامة هكذا.
[و أبو سلمة : عبد الله بن عبد الأسد بن هلال القرشي ، وأمه برة بنت عبد المطلب] هل أسميتم من بناتكم برة؟ لا..لا، ولكن سميتم بيان ورانيا، المهم: من ولدت له في هذا الأسبوع بنتاً فليسمها برة، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم خاف أن يكون هذا في معنى التزكية للنفس، فلما سأل الجارية: ما اسمك؟ قالت: برة ، قال: لا، أنت زينب .إذاً: نسخنا ذلك الحكم! والحمد لله، لأن برة من البرور، والله يقول: فَلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى [النجم:32] ومعناه: أنه كان يصحح الأخطاء، فهو مسئول عظيم، رجل الأمة صلى الله عليه ألفاً وسلم.
قال: [فهو ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، هاجر الهجرتين وشهد بدراً] ومعنى شهد بدراً: حضر وقعة -معركة- وغزوة بدر؛ لأن الذين حضروا غزوة بدر سجلوا في ديوان السابقين، وأعطوا شهادة أو وساماً ما حلم به أحد؛ إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لـعمر -لما أراد أن يضرب رأس ذاك الذي راسل قريشاً عن حسن نية وهو حاطب بن أبي بلتعة -: (لعل الله اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم) .
[وتوفي سنة ثلاث من الهجرة] أي: بعد ثلاث سنوات -فقط- من هجرة الرسول صلى الله عليه إلى المدينة توفي هذا البطل أبو سلمة [وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأته إكراماً له واعترافاً بفضله في إسلامه -أم سلمة - فأصبحت أم المؤمنين].
وليفهم السامعون: أن النبي صلى الله عليه وسلم وُسع عليه في الزواج، حتى جمع بين تسع نسوة، فقد تزوج إحدى عشرة، ولكن الجمع كان بين تسع، وفحولنا أُذن لهم بأربعة فقط، والسبب هو علم الله تعالى بعجزنا ونقصاننا وتقصيرنا، وعدم قدرتنا على العدل بين المؤمنات، أما من كان مضرب المثل في الكمال كرسول الله صلى الله عليه وسلم -والله- لو تزوج مائة ما جار ولا حاف ولا ظلم ولا غمط حقاً لكمالاته.
وشيء آخر: ما تزوج الرسول صلى الله عليه وسلم بكراً إلا عائشة فقط، وتزوجها لأنها بنت أبي بكر الصديق ، الوزير الأول والخليل للرسول صلى الله عليه وسلم، إكراماً له، أما باقي النساء فمن باب ما سمعتم.
امرأة استشهد زوجها وبقيت ثكلى مرمية هنا وهناك، فآواها إلى بيت النبوة إكراماً لها ولزوجها الشهيد.
فمن منكم من يتزوج لهذا الغرض؟ للأسف لا نعرف هذا المعنى أبداً، فلسنا من ذاك الطراز الأول، فالواحد فينا لا يتزوج إلا لشهوة وإما لمال فقط، أما غرض آخر فهو نادر كالذهب [وهذا من إكرام الله تعالى لها ولـأبي سلمة رضي الله عنهما وأرضاهما].
وقد ظلت أم سلمة سنة كاملة وهي تبكي، بعد أن خرج زوجها مهاجراً وأرادت أن تلتحق به ومنعها المشركون من ذلك، فكلما أرادت أن تخرج ردوها من الطريق، فتجلس -فيما يسمى بالأبطح- تبكي طوال الليل.
هذه أم سلمة رضي الله تعالى عنها وأرضاها.
[و الأرقم بن أبي الأرقم : وهو عبد مناف بن أسد القرشي ، أسلم عاشر عشرة، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد استخفى في داره بالصفا] ومعنى استخفى: اختفى واستتر عن عيون المشركين؛ لأنهم لا يسمحون له أن يجتمع مع أحد [يدعو الناس إلى الإسلام سراً حتى اكتمل عدد المسلمين أربعين رجلاً] كانوا عشرة ثم أصبحوا أربعين ببركة هذا الداعي، وببركة بيته عند الصفا [وكان آخرهم إسلاماً عمر بن الخطاب رضي الله عنهم] آخر من أسلم من الأربعين عمر رضي الله تعالى عنه وأرضاه، ويومئذٍ خرجوا من الدار وصلوا جهرة حول الكعبة.
وكان الحبيب صلى الله عليه وسلم يقول: (اللهم أيد هذا الدين بأحد العمرين) إما عمرو بن هشام أبا جهل وإما عمر بن الخطاب ، فاستجاب الله له وأيده بـعمر بن الخطاب .
[و عثمان بن مظعون القرشي] وهو أخو النبي صلى الله عليه وسلم من الرضاعة، دفين البقيع، وكان أول من دفن من المهاجرين في المدينة وقبره موجود إلى الآن [ويكنى بـأبي السائب ، وهو أخ للنبي صلى الله عليه وسلم من الرضاع، وهو أول مهاجر توفي بالمدينة النبوية] أول مهاجر توفي بالمدينة النبوية عثمان بن مظعون [ومن فضائله وكمالاته الروحية: أنه امتنع من شرب الخمر في الجاهلية قبل الإسلام] قبل أن تطلع الشمس المحمدية، وقبل أن

يعرف الله، أبى أن يشرب الخمر، مع أن أهل مكة مقيمين على القمار والمسكرات؛ لأنهم تجار والأموال المتوفر، وليس عندهم إلا رحلة الشتاء والصيف، وبعد ذلك يتوجهون إلى الأندية والخمر.
[وقال: لا أشرب شراباً يذهب عقلي، ويضحك بي من هو أدنى مني، ويحملني على أن أنكح كريمتي] عجب هذا الرجل! بلّغ إخواننا الذين يشربون الخمر والحشيشة وينتسبون إلى الإسلام أيضاً، قال: (لا أشرب شراباً يذهب عقلي) هذا أولاً (ويضحك بي من هو أدنى مني) أي: فضلاً وكمالاً، لأنه إذا سكر وهاج يقول الباطل ويُضحك حتى الأولاد منه، (ويحملني على أن أنكح كريمتي) وكريمته: أخته، أو بنته.
وهذا حاصل موجود.
[و عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف بن قصي القرشي ، وكان أسنّ من النبي صلى الله عليه وسلم بعشر سنين] أكبر من النبي صلى الله عليه وسلم بعشر سنوات [هاجر إلى المدينة مع أخويه الطفيل و حصين ، أسلم قبل دخول الرسول صلى الله عليه وسلم دار الأرقم، وكانت له منزلة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدراً، يكنى بأبي الحارث رضي الله عنه وأرضاه.
وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي القرشي ابن عم عمر بن الخطاب رضي الله عنهما] و زيد أبا سعيد هذا كان يوحد الله بالجاهلية، وهو أحد أربعة رجال لا يعترفون بالأصنام والأوثان [وصهره أيضاً] أي: ابن عم عمر وزوج أخته فاطمة بنت الخطاب [إذ كانت تحته فاطمة بنت الخطاب رضي الله عنها] وهنا قال: كانت تحته ولم يقل كانت فوقه! ولذلك أسمع الذين يطالبون بمساواة المرأة مع الرجل بأنهم كفروا وخرجوا من الإسلام!! كيف يفرق الله بينهما وأنت تطالبون بالمساواة فترث المرأة كما يرث الرجل؟!! والله لكافر هذا ولم يبقَ له حظ في الإسلام؛ لأنه رد على الله حكمه..وادعى أنه أعلم من الله وأعرف منه.
ومما نقصه منذ سنتين -أظن- : أنه صلى إمام المسجد النبوي صلاة الصبح بسورة التحريم، فقرأ قول الله تعالى: كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ [التحريم:10]، فتعجبتُ! لأني قرأت القرآن آلاف المرات، فما خطر ببالي هذا ولا عرفته إلا في تلك الساعة، فقد قال الله: كَانَتَا تَحْتَ [التحريم:10] ولم يقل: فوق ولا مساوية ولا محاذية ولكن (تحت)؛ فلهذا الذين ينادون بالمساواة بين المرأة والرجل في بعض العالم الإسلامي بشروهم بأنهم كفرة فجرة من أهل النار، ولا حظّ لهم في الإسلام، فكأنهم يقولون: لعل الله غالط في قوله: (تحت).
فالزوج فوقها هو المدير، وهو الرئيس والمسئول وهي تحته، كيف يُطالب بأن تكون إلى جنبه، بل طالبوا بالفوقية أيضاً وأن تكون فوق الرجل، والشاهد من هذا في هذه الحادثة بالذات أنه قال: إذ كانت تحته فاطمة بنت الخطاب رضي الله عنها [التي كانت سبب إسلام أخيها عمر رضي الله عنه] فاطمة هذه لما أسلم زوجها رضي الله عنه سعيد بن زيد بن نفيل أسلمت، فقيل لعمر : تتعنتر يا عمر و أختك قد دخلت في الإسلام؟! فاغتاظ واشتد غضبه وذهب إلى بيتها وهي عند زوجها سعيد، فدخل ووجدهم يقرءون آيات من سورة طه في ورقة، فخبئوها -وباختصار!- قال لها: أعطيني ما في هذه الورقة، فقالت: لا أعطيك حتى تغتسل، فأنت كافر.
فاغتسل وقرأ الآيات فانقلب رأساً على عقب، ومشى إلى دار الأرقم بن أبي الأرقم ليعلن إسلامه، فلما دخل عليهم فُجعوا، ظنوا أنه يريد أن يضربهم، فهدأهم الرسول صلى الله عليه وسلم وقال: افتحوا له الباب فقد جاء الله به.
فهذه فاطمة بنت الخطاب رضي الله عنها أسلمت قبل عمر ؛ لأن سعيد زوجها أسلم قبله.
[و أسماء و عائشة بنتا الصديق] أسماء و عائشة بنتا أبي بكر الصديق [أسلمت عائشة وهي طفلة صغيرة] ممكن في الخامسة أو السادسة من عمرها [وأما أسماء فكانت متزوجة بالزبير بن العوام حين أسلمت] حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته [فرضي الله عنهما وأرضاهما] أي: أسماء و عائشة .
ومن لم يحبهما فهو كافر زنديق، وليس معناه فقط أنه إذا لم يحبهما كفر، لا، بل ما وصل إلى كرههما حتى تجاوز مراحل في الكفر والباطل.
[و خباب بن الأرت حليف بني زهرة التميمي] و خباب هذا هو الذي وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم متكئاً في ظل الكعبة، فقال: (يا رسول الله! ألا تدعو لنا؟ ألا تستنصر لنا؟ -لأنهم يذوقون مر العذاب- فقال له الحبيب صلى الله عليه وسلم: إنكم تستعجلون! لقد كان فيمن كان قبلكم يؤتى بالرجل فيوضع المنشار على رأسه فيقسم نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون عظمه ولحمه، لا يرده ذلك عن دينه ولكنكم تستعجلون) واسمع يا خباب ! (سيأتي يوم لينصرن الله هذا الدين، حتى يمشي الرجل من كذا إلى كذا لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه) وبالفعل أمنت الجزيرة أمناً كاملاً.

[و عبد الله بن مسعود بن أم عبد الهذلي و عمير بن أبي وقاص أخو سعد بن أبي وقاص و مسعود بن القاري بن ربيعة من القارة، وهم قوم رماة لقبوا بالقارة.
وهكذا توالى إسلام من أكرمهم الله بالإسلام، فأسلم جعفر بن أبي طالب وامرأته، وأسلم عياش وامرأته، و خنيس ، و عامر بن ربيعة بن عنز بن وائل ، و عبد الله بن جحش وأخوه أبو أحمد ، و حاطب بن الحارث وامرأته فاطمة بنت المجلل ، و عامر بن فهيرة مولى أبي بكر الصديق ، و خالد بن سعيد بن العاص ، و عمار بن ياسر العنسي المذحجي حليف بني يقظة، و صهيب بن سنان الرومي -نسبة إلى الروم- إذ كان قد أسر في أرض الروم -وهي الشام- فاشتري منهم، وورد فيه قول النبي صلى الله عليه وسلم: (صهيب سابق الروم)].
أي: أول من أسلم من الروم، فسبقهم إلى الإسلام.
قال: [فرضي الله عنه وأرضاه وجعل الجنة مأوانا ومأواه، آمين.
لقد بلغ المسلمون هذا العدد الكبير وما زالت الدعوة سراً لم يجهر بها بين صفوف قريش؛ لأن هذا العدد غير كافٍ في دفع ما يتوقع من أذى تصيب به قريش المسلمين، وقبل كل شيء أن الله تعالى لم يأذن بعد لرسوله والمؤمنين بالجهر بالدعوة، ولو أذن لهم لجهروا بها وكلفهم ذلك ما كلفهم، وسيأتي اليوم الذي يؤذن لهم فيه، وسوف يتعرضون لألوان من التعذيب والاضطهاد، يتلقون ذلك بطيب نفس ورحابة صدر؛ لأنه في ذات الله، وما كان في ذات الله فهو محبوب للحبيب الصادق].

نتائج وعبر من مقطوعة (أفواج السابقين إلى الإسلام)

قال: [نتائج وعبر: لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبر نجملها فيما يلي: أولاً: بيان فضل السبق في الخير وأهله.
ثانياً: تقرير مبدأ وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله: (خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا).
ثالثاً: بيان فوز الأرقم بن أبي الأرقم بمنقبة عظيمة، وهي اتخاذ داره مركزاً للدعوة أيام ضعفها واستخفائها، وهي أحرج أوقات مرت بها الدعوة.
رابعاً: بيان فضيلة فاطمة بنت الخطاب بسبقها للإسلام وهداية أخيها عمر بسببها.
خامساً: إن من النساء من فُزن بالسبق في الإسلام، وهن: عائشة وأسماء بنتا الصديق ، وفاطمة بنت الخطاب ، وأسماء بنت عميس امرأة جعفر ، وأم سلمة امرأة أبي سلمة أم المؤمنين وغيرهن رضي الله عنهن وأرضاهن].
وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

كان أفراد المسلمين الأوائل يكتمون إيمانهم خشية أن ينالهم أذى كفار قريش، وكانوا يجتمعون في بيت الأرقم بن أبي الأرقم، فلما بلغوا نيفاً وأربعين مسلماً أذن الله عز وجل بإسلام رجلين عظيمين من قريش، كان إسلامهما عزاً للمسلمين؛ هما حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله، وعمر بن الخطاب العدوي الذي كان شديداً على المسلمين قبل ذلك، وبإسلامهما قرر النبي الإعلان عن دعوته فخرج المسلمون يوماً من دار الأرقم خلف رسول الله في صفين، أحدهما على رأسه حمزة، والآخر على رأسه عمر بن الخطاب.

الجهر بالدعوة بعد الإسرار بها

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.
أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.
وقد انتهى بنا الدرس إلى المقطوعة الذهبية النورانية وهي: [الجهر بالدعوة بعد الإسرار بها] أي: الجهر والإعلان بالدعوة بعدما كانت سرية لا يعرفها إلا من ندر، وقد كانت سرية لأن المؤمنين كانوا أقلية، فقد درسنا أنهم بلغوا الثمانية، وقد كان صلى الله عليه وسلم يجتمع في بيت الأرقم بن أبي الأرقم وحوله ذلك العدد من المؤمنين، فيتلو عليهم آيات الله ويزكيهم، فلما كثر العدد وظهر الإسلام أُمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالجهر، ونحن الآن مع هذه الحادثة: من السرية الكاملة إلى الجهر والإعلان.
قال المؤلف غفر الله له ولكم ورحمه وإياكم: [إنه بعد أن اكتمل عدد المسلمين نيفاً وأربعين رجلاً وكذا وامرأة .
.
] وصل عدد المؤمنين والمؤمنات أربعين رجلاً وبضعة نسوة [وأسلم حمزة عم النبي صلى الله عليه وسلم] وهو أحد الذين انفتح بهم الباب، عم الحبيب صلى الله عليه وسلم، سيد الشهداء ولا فخر [و عمر بن الخطاب] بعد ثلاثة أيام من إسلام حمزة أسلم عمر ، ولما وُجد في الجماعة حمزة الأسد و عمر الفاروق أعلن صلى الله عليه وسلم عن دعوته [استجاب الله لدعوة رسوله صلى الله عليه وسلم] إسلام عمر كان نتيجة دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ سأل الله تعالى أن يؤيد هذا الدين بأحد العمرين: إما عمر بن الخطاب وإما عمرو بن هشام أبا جهل عليه لعائن الله، واستجاب الله فأسلم عمر ، وسوف يأتي بيان إسلامه في موضوع خاص.
[حيث قال: (اللهم أيد الإسلام بأحد العمرين)] وأيده بمعنى: قوه وانصره [يعني عمر بن الخطاب أو عمرو بن هشام (أبو جهل)] وقوله صلى الله عليه وسلم: (بأحد العمرين) من باب التغليب، فيقال: العمران أبو بكر و عمر ولا حرج، أو القمران الشمس والقمر، سائغ هذا في لغة القرآن.
[وبإسلام حمزة و عمر رضي الله عنهما قويت شوكة المسلمين] والشوكة هي التي تؤذي وتدفع، هذه قويت بإسلام هذين الرجلين رضي الله عنهما وأرضاهما [وأنزل قوله تعالى: فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ [الحجر:94]] ومعنى قوله عز وجل: فَاصْدَعْ [الحجر:94] الصدع بالشيء إذا أعلنه وأظهره، بل وكسر الجدران والأسوار ليظهره، وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ [الحجر:94] أي: لا تلتفت إليهم، دعهم يسبوا ويشتموا ويقولوا ما شاءوا، ولا تلتفت إليهم.
[وأنزل الله سبحانه وتعالى قوله لرسوله صلى الله عليه وسلم: وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ [الشعراء:214]] أي: ابدأ بفاطمة ثم انتقل إلى بني هاشم، ومعنى أنذرهم: خوفهم عاقبة الشرك والكفر والإلحاد والخروج عن هداية الله عز وجل [فصعد صلى الله عليه وسلم على جبل الصفا] وجبل الصفا هو الذي منه نبتدئ السعي وننتهي بالمروة، وفيه آية من الآيات في أشراط الساعة -وقد ظهر منها ما ظهر- إذ قال الله تعالى في سورة النمل: وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لا يُوقِنُونَ [النمل:82] ووصف النبي صلى الله عليه وسلم

-بوصفه المبين لكلام الله الشارح له- أنها دابة ذات أربع قوائم تخرج من صدع في جبل الصفا، فالجبل يتصدع وتخرج منه دابة، والآن الجبل أصبح طريقاً لها، فجبل الصفا الآن فيه نفق عظيم تدخل فيه السيارات وغيرها، وسوف تأتي الدابة من ثَمَّ.
يقول صلى الله عليه وسلم في الحديث: (تخرج من صدع من الصفا) والصدع موجود الآن بفضل الله تعالى، وهذه آية من آيات الله أن جبال مكة الآن كلها أنفاق وطرق والحمد لله، وجزى الله القائمين على هذا الخير خيراً.
فالشاهد عندنا: أنه قد وُجد هذا الصدع، ولم يبق إلا أن تخرج الدابة، ووالله! إنها لخارجة، طال الزمان أم قصر فهذا كلام الله: وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ [النمل:82] تكلمهم بأن فلاناً مؤمن وفلان كافر.
[ونادى بأعلى صوته قائلاً: واصباحاه!! واصباحاه!!] فلم يكن عندهم أبواق ولا صفارات إنذار، ولكن من أراد أن ينذر علا جبلاً ونزع ثوبك وجعله في يده ولوح به منادياً: واصباحاه! واصباحاه! هذا هو المنذر العريان، فإذا شاهد أهل القرية أو البلد رجل على الجبل عالٍ يلوح بثوبه وينادي: واصباحاه! اجتمعوا كلهم؛ لعلمهم بأن هناك خطر داهم، وهذا تدبير الله عز وجل للبشرية، ففي كل زمان وفي كل عصر ما يلائمه، والآن وُجدت صفارات الإنذار.
فالنبي صلى الله عليه وسلم يقال له: النذير العريان، ولكنه لا يكشف عورته فهو المصطفى صلى الله عليه وسلم، وإنما حسبه أن ينادي بأعلى صوته: واصباحاه! واصباحاه! وما هي إلا لحظات حتى امتلأ الوادي وجاء الناس من كل حدب وصوب.
[فهز صوته حثيات وادي مكة] لأن مكة واد والجبال حواليه [وأقبل الناس نحو النداء زرافات ووحداناً] أي: جماعات وأفراداً [حتى امتلأت ساحة الصفا، فأقبل عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كالبدر ليلة هالته] أي كأنه القمر قد طلع بأنواره في ليلة الرابع عشر والخامس عشر [فقال: (يا معشر قريش!)] بمعنى: أخبروني [(أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل)] والمراد من الخيل: خيل الغزاة، خيل المغيرين، فهم يأتون بخيولهم، فليس هناك دبابات ولا مصفحات ولكن الخيول [(تريد أن تغير عليكم صدقتموني؟ قالوا: نعم)] لأنهم ما جربوا عليه الكذب قط، ووالله ما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم قط، من طفولته إلى بلوغه إلى حمله رسالة الدعوة، حتى كان يعرف بينهم بالصادق الأمين [(فقال: إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد)] أكثر من الغارة ومن عدو من الأعداء هو: أني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، أي: مقدمة العذاب، فإما أن تدخلوا في رحمة الله، وإما أن يجتاحكم البلاء وينزل بكم العذاب [(أنقذوا أنفسكم من النار)] هذا هو العذاب الشديد، وبم ينقذون أنفسهم من النار؟ بالإسلام، بأن يسلموا قلوبهم ووجوههم لله، فتنجو من عذاب الله؛ لأنهم إن ماتوا على ظلمة نفوسهم وخبث أرواحهم من جراء الشرك والمعاصي فلن يسلموا من عذاب الله.
إذاً: نجاتهم بأن يسلموا القلوب والوجوه لله، وأن يطيعوا الله فيما يأمر به ينهى، والمأمور به أدوات تزكية للنفس البشرية، والمنهي عنه أدوات تخبيث وتلويث، فمن زكى نفسه وباعدها عن الخبث والتلويث نجا، سواء كان أبيض أم أسود عربي أم عجمي.
[فقام أبو لهب بن عبد المطلب] عم النبي صلى الله عليه وسلم، وهو في جهنم، والسيدة أم جميل العوراء امرأته كذلك -والله- معه؛ لتعلموا أنه لا قيمة للنسب -كنت أبيضاً أو أسوداً- فالعبرة بزكاة النفس، هل هي طاهرة كأرواح الملائكة أو خبيثة كأرواح الشياطين، لا أقل ولا أكثر.
والحمد لله! الصيدلية الفخمة العظيمة موجودة، فمن أراد أن يزكي نفسه فليذهب وليشتري أدوات التزكية ويعمل على تزكية نفسه، ولكن أنصح بأن يكون تحت إشراف طبيب.
وما هي هذه الصيدلية؟ إنها القرآن والسنة النبوية، والله إن لفيها من أدوات التزكية والتطهير العجب العجاب، ولكن الأحسن أن تتعلم كيف تستعمل تلك الأدوات، وكونك تحت إشراف عالم رباني هو أفضل وأكمل.
قال: [فقام أبو لهب فقال: تباً لك سائر اليوم] والتب هو الخسران والهلاك.
فدعا على نبينا صلى الله عليه وسلم بالخسران والهلاك، وقال: تباً لك سائر النهار [ألهذا دعوتنا؟] أي: أما تدعونا إلا لهذا؟ وما هو الذي دعاهم إليه؟ إنقاذ أنفسهم من النار.
بماذا؟ بالإسلام، قال: أسلموا وجوهكم وقلوبكم لله.
[فأنزل الله تعالى سورة المسد] هناك سورة في القرآن تسمى سورة المسد، هذه السورة نزلت بكاملها فوراً من الملكوت الأعلى يحملها جبريل رسول رب العالمين إلى سيد المرسلين، قال الله عز وجل: [تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ *

مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ * وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ * فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ [المسد:1-5]].

ومن العجائب التي نعيشها أنه كم من إنسان يسمع هذه السورة في صلاة المغرب أو في صلاة العشاء مدة عشرين سنة أو أربعين -وهو من عوام المسلمين- ولا يحفظها، وهذه ظاهرة من خمسين أو أربعين سنة، أما الآن فقد أصبح الأولاد يقرءون القرآن مجوداً، ومن قبل كان طلاب الكُتَّاب يقرءون القرآن ملحوناً، أو على الأقل غير مجود ولا مرتل، ولكن بفضل الله تعالى ثم بواسطة الجماعة الباكستانية التي أوجدت مدارس قرآنية -كتاتيب- في بيوت الله، وأصبحوا يعلمون القرآن من الصبا مرتلاً، بالغنة والمدود إلى غير ذلك من أحكام التجويد كالإظهار والإخفاء، وشاء الله عز وجل أن تنتصر هذه الدعوة حكومة القرآن في هذه الديار، وأصبح يعقد كل سنة مؤتمر لتحفيظ القرآن تقام له الامتحانات وتوزع عليها الجوائز، وأصبح القرآن يرتل في كل أنحاء العالم، والأسباب ما بينت لكم، فالحمد لله.

لقد كنا نصلي وراء رجال كبار ونحن أطفال فيقرأ (ليلة في قريش لإيلافهم)! ويقرأ: (تبت يداه أبي لهب)، ويقول في الفاتحة: (وكان نعبد وكان نستعين)، و إلى الآن ما زال الناس في البادية هكذا.

وقد دخلت امرأة أبي لهب معه؛ لأنها كانت متعاونة معه، تكيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتمكر به مع زوجها، ومن هذا أنها كانت تأتي بالحطب الذي فيه شوك -كالسدر وغيره- وتضعه في طريق الرسول صلى الله عليه وسلم حتى يشاك بالشوك فتشفي غيظها في صدرها، وتعرفون أنه فيما سبق كان الظلام في الليل فليس كهرباء ولا مصابيح والأزقة ضيقة، فكانت تضع حزمة الشوك حتى يعثر فيها الرسول صلى الله عليه وسلم وتتلذذ بذلك.

هذه هي أم جميل العوراء ، وقد نزلت سورة المسد فيها وفي بعلها.

[وكانت المدة التي دعا فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه سراً ثلاث سنوات] لما بلغوا ثمانية أشخاص فتح الله عليهم بدار الأرقم بن أبي الأرقم ودعوا فيها ثلاث سنوات سراً لا علانية [ثم أمر بالجهر فجهر امتثالاً لأمر الله تعالى في قوله: فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ [الحجر:94]].

نتائج وعبر من مقطوعة (الجهر بالدعوة بعد الإسرار بها)

قال: [نتائج وعبر] هذه المقطوعة لها نتائج وعبر، فهل فينا من يريد أن يستنتج وإلا ليس هناك حاجة؟ كعهدنا القديم، تجد من يقرأ ويسمع ولا يبالي، ولا يريد أن يحفظ شيئاً، ولكن فقط يجلس، وهذا -إن شئت فقل-: حال خمسة وسبعين في المائة من العالم الإسلامي، فليس هناك رغبة ولا تطلع إلى أن يفهم عن الله أو عن رسوله صلى الله عليه وسلم، أو يبلغ عنهما.

قال: [إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبراً نذكرها فيما يلي: أولاً: بيان المدة التي كانت فيها الدعوة سراً وهي ثلاث سنوات] ثلاث سنوات كانت سراً في الظلام؛ خوفاً من سلطان الكفر والكافرين [ثانياً: بيان مقتضى سرية الدعوة وهو قلة المؤمنين وكثرة المشركين] المقتضي لذلك هو قلة عدد المؤمنين، فهم لا يستطيعون مواجهة أمة كاملة أو ودولة بأكملها [ثالثاً: الجهر بالدعوة كان بأمر الله تعالى لآية الحجر] وهي: فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ * إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ [الحجر:94-95] .

والحجر هو حجر الجبل، وأصحاب الحجر هم ثمود قوم صالح، والسورة تسمى سورة الحجر وهي: الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ [الحجر:1].

رابعاً: بيان سبب نزول سورة المسد، وهو قول أبي لهب لرسول الله صلى الله عليه وسلم: (تباً لك سائر اليوم)] من منكم يعرف سبب نزول هذه السورة، ويحدث بها أهله، فيقول: أنا الليلة علمت شيئاً، وهو سبب نزول سورة المسد، ويفرح بذلك كأنه اكتسب ألف ريال.

هل يوجد هذا بيننا أم ما زلنا نائمين؟ ومتى نصحو؟ الله أعلم.

إن سبب نزول سورة المسد يا عالمون! هو أن الرسول صلى الله عليه وسلم أُمر بأن يعلن عن دعوته، فطلع جبل الصفا ونادى: واصباحاه! واصباحاه! فاجتمع الناس عليه، فقال لهم: (أرأيتكم)! أي: أخبروني (إذا أخبرتكم أن خيلاً وراء هذا الجبل أتصدقوني؟ فقالوا: نعم ما جربنا عليك الكذب، فقال: إذاً أنقذوا أنفسكم من النار) أي: أسلموا، وآمنوا.

فقام يتعتنر أبو لهب ويقول: ألهذا جمعتنا؟ تباً لك سائر اليوم! ومن يرد على أبي لهب ؟ إنه الله! وما هذا الرد الذي كان؟ قال الله عز وجل: تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ * وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ * فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ [المسد:1-5].

هل من ممكن أن نحفظ هذا، أم أنه ما دام ليس هناك ريال ولا قرش ولا بطيخة، فليس هناك حاجة؟! من أكثر من سبعمائة سنة ونحن هابطون؛ لأننا لا نعلم، وإذا لم نعلم فلا نعمل -قطعاً-، فلا عمل إلا بعلم، ولا علم إلا بعلم يقيني.

[خامساً: بيان أنه لا دليل] هذه سياسية، وأنتم لا تعرفون السياسة إلا في الصحف والإذاعات والكلام الفارغ، فمن أدلة هذه المقطوعة وبراهينها: [بيان أنه لا دليل لمن يرى سرية الدعوة في بلاد المسلمين اليوم في سرية الرسول صلى الله عليه وسلم لها ثلاث سنوات] لأنه توجد منظمات وجمعيات وأحزاب تعمل في الخفاء في البلاد الإسلامية خوفاً من الدولة، ووالله لا حق لهم ولا يجوز ذلك، لأنهم يستطيعون أن يؤذنوا بأعلى أصواتهم، ويستطيعون أن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر مبتدئين ذلك من بيوتهم، حتى ولو كانت الحكومة شيوعية.

إذاً: العالم الإسلامي يستطيع كل مؤمن فيه أن يدعو إلى الله عز وجل، وأن يعلن عن إسلامه، ويصلي، ويقوم الليل، ويصوم، ويتصدق، ويقول الخير، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ولا أستثني من ذلك مكاناً، ومن ثَمَّ تنتصر دعوة الله، لكن عندما نتحزب ونتجمع ونعمل في الخفاء ونحدث حدثاً؛ نتلقى الضرب على رءوسنا ونخرق الدعوة ونجلب لها الكراهية.

[لأن الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه كان لا يسمح لهم أن يقولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله] لو قالها أحد لمزق، وسيأتي ماذا فعلوا بأبي ذر حين وقف أمامهم وقال: لا إله إلا الله، وكيف أنهم انهالوا عليه بالضرب ومزقوه [ولا أن يؤذنوا ولا أن يصلوا، ولما قويت شوكتهم أمروا بالجهر بالدعوة، فجهروا ولاقوا من الأذى ما هو معروف بين المسلمين] ماذا كانوا يفعلون ببلال بن رباح ؟ كانوا يسحبونه على الأرض ويضعون الصخرة على صدره.

ماذا فعلوا بسمية ؟ أدخلوا الحربة من فرجها إلى فمها ومزقوها.

ماذا فعلوا بعمار ؟ ماذا فعلوا برسول الله؟ وضعوا السلى على ظهره وهو يصلي، في سبيل ماذا؟ من أجل إقامة الدولة الإسلامية؟ لا والله، من أجل أن يعبد الله فقط.

[سادساً: ذكر إسلام حمزة ، ولم تذكر قصة إسلامه، فلنذكرها لما فيها من العبرة، وكذا الحال بالنسبة لإسلام عمر فإنا لم نذكر قصته في سبب إسلامه رضي الله عنه، وسنذكرها إن شاء الله إزاء رقم سبعة بعد قصة إسلام حمزة رضي الله عنه] وإليكم القصة .

قصة إسلام حمزة رضي الله عنه

قال: [قصة إسلام حمزة رضي الله عنه] كيف أسلم حمزة؟ [لقد مر يوماً] أي: مشى [أبو جهل -عليه لعائن الله-] بمن؟ [برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عند الصفا] الرسول صلى الله عليه وسلم كان واقفاً أو جالساً عند الصفا حيث نسعى [فآذاه وشتمه ونال منه بعض ما يكره: من العيب لدينه والتضعيف لأمره] أبو جهل يريد يشفي صدره فماذا يصنع؟ يسب الرسول ويعيره، وينال منه ومن دعوته بالكلام البذيء الذي لا يذكر [فلم يرد عليه الرسول صلى الله عليه وسلم] وهل نستطيع نحن هذا الأمر؟! أيما مؤمن -من إندونيسيا إلى موريتانيا- داعٍ إلى الله بالهدوء والصمت والأدب يقف على شرطي أو صعلوك أو ذو مال فيعيره ويسبه ويشتمه، ويقول له: أنت كذا، أو أنت رجعي متخلف، أو ما هذا التزمت، هل يستطيع أن يصبر ويسكت؟ لا بد من مضاربة بالحجارة والعصي حتى تُخمد الدعوة.

أين الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم؟! ويروى عن عيسى أنه كان يقول للحواريين أصحابه: (من صفعك عن خدك الأيمن فأدر له الأيسر)؛ لأنك حامل للهدى، حامل الطيب والنور، فلا تغضب من أجل كلمة أو دفعة، ولكن ابتسم وقل: جزاك الله خيراً.

ولقد شاهدنا -منذ ثلاثين سنة في هذا المسجد- دعاة من رجال الهيئة يؤذيه الحاج أو المدني أو المقيم فيقول له: جزاك الله خيراً، وتعجبت من هذا! كيف أنه يؤذيه وينتهره بصوته فيقول له: جزاك الله خيراً! أتظن أن هذه الكلمة لا قيمتها لها؟ إنها تحول القلب وتقلبه.

ولكن قولوا لي: من علمنا؟ من أدبنا؟ في حجر من تربينا؟ لا شيء.

فلا لوم إذاً ولا عتاب.

قال: [ولم يكلمه، وكانت مولاة لعبد الله بن جدعان] و عبد الله بن جدعان هذا كان يفعل ما لا تفعله أمريكا اليوم، كان يذبح كل سنة ألف بعير في الحج للحجاج، ولو يجتمع العرب والمسلمون اليوم لا يستطيعون هذا، كان يذبح ألف بعير للوافدين على بيت الله وهو -والله- كافر مشرك، ويكسو ألف حلة، والحلة هي البدلة، ثوبين من نوع واحد، يكسوها الفقراء والمساكين، وهذا تدبير ذو العرش، فليس عندهم مال ولا دولة ولا سلطان، يعيشون في فوضى ولكن الله الحكيم العليم دبر لهم تلك الحياة التي لم تحلم بها الدنيا، وقد عرفنا الهدنة التي تتم في خلال أربعة أشهر (الأشهر الحرم)، كان يمر الرجل فيها من أقصى البلاد إلى أقصاها لا يخاف إلا الله، فلا سلاح ولا أمريكا ولا أمم متحدة، ولكنها هدنة ربانية، فلا إله إلا الله.
جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلائِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ [المائدة:97].
لو أخذت قشرة من شجر الحرم وعقلتها في عنقك وأنت ماش فكل من يراك يقول: هذا كان في الحرم، فلا يؤذيك أبداً.
وهناك حديث عن عبد الله بن جدعان هذا، وهو أن أمنا عائشة الصديقة رضي الله تعالى عنها وأرضاها قالت: (يا رسول الله! أرأيت عبد الله بن جدعان كيف هو الآن؟ قال: في النار.
قالت: يا رسول الله! لقد كان يفعل كذا وكذا؟ قال: لأنه لم يقل يوماً من الدهر: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين).
من مات على الكفر والشرك هل ينفعه ما كان يفعل من الخيرات؟ والله لا ينفع.
فجمعيات التنصير -الآن- التي تنفق الأموال على الفقراء والمساكين لتكفرهم لا يستفيدون أي حسنة، ولن يدخلوا الجنة بها، ولو أنفقوا ما في الأرض جميعاً؛ لأنهم كفار مشركون.
ولقد كانت خادمة هذا الرجل الفاضل الكريم عبد الله بن جدعان [في مسكن لها تسمع ما قاله أبو جهل ، وشاء الله تعالى أن يمر حمزة] في الطريق [راجعاً من قنص له متوشحاً قوسه] أي: كان يصيد، والقنص حيث يصاد الغزال والضباء، ومتوشحاً قوسه: أي: في صدره أو في جسمه [فقالت له المرأة: يا أبا عمارة ! لو رأيت ما لقي ابن أخيك محمد آنفاً من أبي الحكم عمرو بن هشام] كان يكنى بـأبي عمارة ، و عمارة هي بنته، قالت: [وجده هاهنا جالساً فآذاه وسبه وبلغ منه ما يكره، ثم انصرف ولم يكلمه محمد صلى الله عليه وسلم، فاحتمل حمزة الغضب، فخرج يسعى ولم يلتفت إلى أحد حتى أتى أبا جهل وهو جالس في نادي القوم] والنادي مكان يجتمعون فيه [حول المسجد، فضربه بالقوس فشج رأسه شجة منكرة] حمله ذلك الغضب ودفعه حتى وصل إلى النادي وهم جالسون فضرب أبا جهل بقوسه فشج رأسه وسال منه الدم.
هذا وهو كافر يومئذ، كان مشركاً ساعتها [ثم قال: أتشتمه وأنا على دينه أقول ما يقول] أراد أن يغيظه فدخل في الإسلام؛ لأن أبا جهل ما شتم الرسول إلا من أجل مفارقة النبي صلى الله عليه وسلم لدين آبائه وأجداده، فلما أراد حمزة أن يغيظ أبا جهل ضربه فشج رأسه ثم قال له: أنا على دين محمد .

.
[فرُد ذلك علي إن استطعت] يعني هيا يا أبا جهل رد علي هذا إذا استطعت [فقام رجال من بني مخزوم] من بني عم أبي جهل [لينصروا أبا جهل] أخذتهم الحمية فهذا ابن عمهم أو سيدهم، فقاموا لينصروا أبا جهل لما شاهدوا الضرب والدماء وسمعوا كلمة حمزة : (أتشتمه وأنا على دينه).
[فقال أبو جهل : دعوا أبا عمارة ؛ فإني والله قد سببت ابن أخيه سباً قبيحاً] عجب هذا! ولهذا حفظنا كلمة -من سنين- من أحد الصالحين قال: كفار قريش أشراف الكفار.
أي: لهم مزايا وفضائل! أما كفار اليوم فلا يساوون قرشاً بالنسبة إليهم، والله العظيم.
أما كنا نتكلم عن عبد الله بن جدعان أنه يكسو ألف حلة كل عام ويذبح ألف بعير؟! فهل كفار اليوم يفعلون هذا؟ استمع إلى أبي جهل ماذا يقول بعد أن ضرب وسال الدم منه وقام بنو عمه لينصروه: (دعوا أبا عمارة !!) هل يفعل هذا كفار اليوم؟ ولا مسلمو اليوم!! حتى المسلمون لا يفعلونه.
فلا إله إلا الله! وكناه بـأبي عمارة تعظيماً له وتبجيلاً.
[وثبت حمزة من ساعتئذ على ما قاله] هو قاله ليغيظ أبا جهل فقط، لكن من ثَمَّ ثبت واستقر ذلك في قلبه [فأسلم وحسن إسلامه، ويومها عرفت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عز وامتنع بإسلام عمه حمزة] من يوم

أن أسلم حمزة عرفت قريش أن رسول الله قد عز، ومن عز بز، فلا يستطيع أحد أن يضره [المعروف بينهم بأنه أعز فتى في قريش] كان معروفاً في قريش بأنه أعز فتى من فتيانهم، فقد كان شاباً ورجلاً من رجالاتهم.
يا معشر المستمعين والمستمعات من المؤمنين والمؤمنات! إن خلاصة ما سمعتم أن تحمدوا الله على إسلامكم وإيمانكم، وأن تحققوا ذلك بسلوككم وآدابكم، وأن تطلبوا الهدى من مصادره؛ لتعلموا كيف تطهرون أنفسكم وتزكون أرواحكم؛ لأن حكم الله قد صدر فيكم: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا [الشمس:9-10] فلا نسب ولا قرابة ولا بُعد، وإنما أنت ونفسك، فإن كانت طاهرة نقية كأرواح المؤمنين الصالحين فأنت ولي الله، وأنت الذي يجاوره في الملكوت الأعلى، وإن اشتغلت عنها بمالك ودنياك وأعرضت عن تطهيرها خبثت وتلوثت وتدست والمصير يا بني! معروف، فقد قضى الله والله يحكم ولا معقب لحكمه.
وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه.

بعد إسلام حمزة بن عبد المطلب وعمر بن الخطاب خرج المسلمون من بيت الأرقم مظهرين أنفسهم لأهل مكة، ومجاهرين بدينهم الذي ارتضاه لهم ربهم، غير عابئين بما يصبه عليهم أهل مكة من الأذى والعذاب والنكال، فأقض مضاجع كفار قريش أن رأوا استعلاء المسلمين، وعدم مبالاتهم بأهل مكة، وتزايد أعدادهم بشكل مخيف، وعندها لجئوا إلى وسيلة جديدة وهي محاولة مساومة النبي صلى الله عليه وسلم على دعوته، ومحاولة ثنيه عن هدفه، فأرسلوا إليه كبار رجالاتهم والنخبة فيهم، ولكن أنى لهم أن يظفروا منه بشيء، فما يساومونه عليه ليس شيئاً في ملكه، وإنما هو دين رب العالمين.

تابع قصة إسلام حمزة رضي الله عنه

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.
أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.
وقد انتهى بنا الدرس إلى مقطوعة (قصة إسلام عمر رضي الله عنه)، ولا مانع من أن نعيد قصة إسلام حمزة -أسد الله في الأرض- لما بين الرجلين من صلة عجيبة.
فبسم الله أقول: [قصة إسلام حمزة رضي الله عنه] و حمزة هو ابن عبد المطلب ، عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي لقبه رسول الله بالأسد، شهيد أحد رضي الله عنه وأرضاه.
قال: [لقد مر يوماً أبو جهل -عليه لعائن الله- برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عند الصفا] والصفا من حيث نبتدئ السعي (جبل الصفا) [فآذاه وشتمه ونال منه بعض ما يكره: من العيب لدينه والتضعيف لأمره] وهذا شأن الكافر، فالكافر ميت، ونحن نقول: ميت، بينما آخرون يقولون: هو حي، نقتدي به ونأتسي، حتى في الأكل باليسار؛ لأنهم ما عرفوا، أما الذين عرفوا أن الكافر ميت، فقد عرفوا أنه لا يسمع، ولا يبصر، ولا يعي، ولا يفقه، ولا يفهم، بل يسعى كالبهيمة للأكل والشرب والنكاح، ولا يبالي بقتل أبيه أو أمه، فحياة الروح لا وجود لها، فإذا نُفخت فيه روح الإيمان وحيي -عندها- مُره يقوم ويفعل، وانهه ينتهي وينزجر؛ وحدثه يعي ويفقه؛ لأنه حي.
[فلم يرد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم] يقول الله عز وجل: وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ [النحل:127] [ولم يكلمه، وكانت مولاة لعبد الله بن جدعان] و عبد الله بن جدعان من أشراف الكفار -والله- الذين في النار.
أتدرون ماذا كان يصنع؟ كان يكسو ألف حلة كل حج، أي: يوزع ألف بدلة على الحجاج، وكان ينحر ألف بعير يطعمها في منى وعرفات، وهو كافر لكن من أشراف الكفار.
إذاً: كانت مولاة -خادمة بلغتكم- لعبد الله بن جدعان [في مسكن لها تسمع ما قاله أبو جهل] من الكلام السيئ القبيح [وشاء الله تعالى أن يمر حمزة رضي الله عنه راجعاً من قنص له متوشحاً قوسه] أي: عائداً من مكان الصيد؛ لأن أهل مكة ليس عندهم لا عنب ولا بطيخ، بل يعيشون على اللحم والماء، ولا يستطيع شعب ولا أمة ولا أهل قرية في العالم أن يعيشوا على الماء واللحم إلا أهل مكة، وهذا بدعوة إبراهيم عليه السلام.
[فقالت له المرأة: يا أبا عمارة !] فكنته، والكنية تكون بالأب أو الأم [لو رأيت ما لقي ابن أخيك محمد آنفاً من أبي الحكم عمرو بن هشام] فعمرو بن هشام كان يكنى بأبي الحكم وهو أبو جهل .
والجاهلون يريدون أن يكونوا إخوان أبي جهل .
فأبو الجهل هو عمرو بن هشام ، وكل من يرضى بالجهل ولا يريد أن يتعلم يريد أن يكون من أبناء أبي جهل ؛ لأنه كان أبا الحكم فقالوا: أبو جهل ، ورضي بهذا أبو القاسم صلى الله عليه وسلم وأقره.
فيا عبد الله! عليك أن تخلع ربقة الجهل عن نفسك، فوالله الذي لا إله إلا هو لا يحل لمؤمن ولا مؤمنة أن يعيش العام والعامين وهو جاهل، ولو رحل على الإبل أو مشى على قدميه؛ حتى يعرف الله ويعرف ما يحب وما يكره، ويعرف كيف يتملقه ويقدم المحبوب ويبعد المكروه، وإلا كان في عداد الموتى.

قالت: [وجده هاهنا جالساً فآذاه وسبه وبلغ منه ما يكره، ثم انصرف ولم يكلمه محمد صلى الله عليه وسلم] والله عز وجل يقول: وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ [النحل:126] فلو أراد أن يعاقبه صلى الله عليه وسلم كان سبه كما سبه بلا زيادة ولا نقص، ولكنه صبر.
والسورة مكية ولعلها نزلت في هذا [فاحتمل حمزة الغضب] الغضب حمل حمزة وكاد أن يطير به [فخرج يسعى ولم يلتفت إلى أحد] والناس جالسون في ظلال البيوت [حتى أتى أبا جهل -وهو جالس في نادي القوم حول المسجد- فضربه بالقوس فشج رأسه شجة منكرة] هذا حمزة أسد الله في الأرض.

[ثم قال: أتشتمه وأنا على دينه أقول ما يقول] وهنا انفتح باب دار السلام [فرُدّ ذلك علي إن استطعت، فقام رجال من بني مخزوم] من بني عم أبي جهل ؛ لأن قاعدتهم انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً [فقال أبو جهل : دعوا أبا عمارة !] ولن تجد هذا أبداً من كافر! فأشراف الكفار في العالم وسادتهم هم كفار قريش، وأنى لهم هذا الكمال؟! فعندما قام رجال يردوا لـأبي جهل ما فقد، قال: لا.
خلوه!! فهل منا من يقول هذا اليوم؟ لا أحد من المسلمين، فكيف بالكفار والمجرمين والمشركين! قال: [فإني والله قد سببت ابن أخيه سباً قبيحاً] اعترف، ليس للخوف؛ فهو الآن منصور، رجاله إلى جنبه، فهل نتخلق بهذه الأخلاق؟ ومن أين لنا؟ فما ربينا في حجور الصالحين، بل نعيش تائهين في الأرض كالبهائم، والذي لا يجلس في حجور الصالحين -أي: بين أيديهم- الأعوام السبعة والثمانية والعشرة حتى يبلغ الخامس عشرة أنى له أن يعرف هذا الكمال، ومن أين يأتيه، وكيف يحصل عليه؟ هل يحصل عليه من المدارس الحكومية، وكل الهم النجاح فقط للوظيفة؟! أنه لا يريد بذلك وجه الله إلا من شذ وندر.
ولو طُلب العلم لله ما وقعت هذه المحنة ولا كان هذا البلاء، ولكن ما طلب لله.
[وثبت حمزة من ساعتئذ على ما قاله] أي: على أنه على دين محمد صلى الله عليه وسلم [فأسلم وحسن إسلامه، ويومها عرفت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عز] ومن عز بز.
وعز: ظهر في الأفق كوكب عظيم ينير مساحات كبيرة [وامتنع بإسلام عمه حمزة المعروف بينهم بأنه أعز فتى في قريش] امتنع رسول الله وما بقي واحد يصل إليه؛ لأن أبا طالب توفي، وكان النبي صلى الله عليه وسلم في فترة صعبة، فعندما كان أبو طالب يحمي رسول الله ما استطاع أحد أن يمسه أو ينال منه؛ لأن أبا طالب سيد مكة، لكن لما مات وقع الذي وقع، وهاهو ذا قد أتى الله بـحمزة ، فعز صلى الله عليه وسلم وامتنع بإسلام عمه المعروف بينهم بأنه أعز فتىً في قريش.
وحمزة من أسماء الأسد، فحمزة بمعنى: أسد.

قصة إسلام عمر رضي الله عنه

قال: [قصة إسلام عمر رضي الله عنه: وأما قصة إسلام عمر رضي الله عنه فهي كالتالي: مر عمر برجل مخزومي] أي: من بني مخزوم، من جماعة أبي جهل ، مر به في الطريق، فليس عندهم سيارات ولا دراجات فلهذا يمر بعضهم ببعض، والآن لا يلتقي بعضنا بعضاً لأننا طائرين [قد أسلم، فعابه عمر] قال له: كيف تسلم؟ كيف تدخل في هذا الدين؟ كيف تترك دين آبائك وأجدادك؟ ماذا أصابك؟ مع أنه مخزومي [فرد عليه الرجل بأنه إن أسلم هو فقد أسلم من هو أحق باللوم والعتاب مني يا عمر] يقصد أخته وزوج أخته [فقال عمر : من هو؟ قال الرجل: أختك وختنك -أي صهرك-] يعني أختك وزوجها أسلما [فذهب عمر إلى دار أخته فاطمة] واسمها فاطمة بنت الخطاب ؛ وفاطمة اسم شائع عندهم، ومعناه التي فطمت ابنها من الرضاع، فهي فاطم، ولما كان هذا خاصاً بالنساء قالوا: فاطمة [وهي تحت سعيد بن زيد] وقد كان جد سعيد بن زيد أو أبوه ممن يضرب به المثل؛ لأنه كان من أهل لا إله إلا الله موحداً في بلاد الشرك قبل الإسلام [وسأل: ما هذا الذي بلغني عنكما؟ فردّا عليه.
وما كان منه إلا أن ضرب رأس أخته فأدماه] لما ردّا عليه ما قال، غضب وضرب رأس أخته حتى سال منه الدم [فقامت إليه وقالت: وقد كان ذلك على رغم أنفك، فاستحيا عمر حين رأى الدم يسيل من رأس أخته وجلس].
(قد كان ذلك) أي: أسلمت على رغم أنفك يا عمر .
وأين هي الآن فاطمة بنت الخطاب ؟ إنها في دار السلام، فهيا نلتحق بها.

وحياء عمر يدل على أنه كان متأهلاً للكمال.
قال: [وقد رأى بينهما] أي: بين الزوج والزوجة [كتاباً] ورقة فيها كتابة، ليست كتاباً ككتب اليوم فليس عندهم هذا [فقال: أروني هذا الكتاب، فقالت له فاطمة : إنه لا يمسه إلا المطهرون] ولم يكن ذلك القرآن كاملاً ولا ربعه ولكن آيات ستسمعونها إن شاء الله.
فهذه فاطمة بنت الخطاب تواجه أخاها البطل والدم يسيل من رأسها، فما تنازلت ولا لانت ولا رق قلبها أو خافت، بل ردت بما هو الواقع: لا يمسه إلا المطهرون.
قال: [فقام عمر فاغتسل] وهل يفعل هذا المسلمون اليوم؟ فلو قالت امرأة لأخيها -الذي قال لها: أعطيني القرآن- قم فاغتسل، والله لن يغتسل.
بل يسخر منها ويلعنها ويخرج.
ومن صعاليك المسلمين هؤلاء بالملايين! لن يغتسل ولن يأخذ الكتاب، بل يخرج غضبان وكفى، لكن عمر اغتسل، مع العلم أن العرب في الجاهلية كانوا يغتسلون من الجنابة، والكفار اليوم المتحضرون لا يغتسلون من الجنابة أبداً ولا يعرفون الغسل، ولهذا اختار الله تلك البقعة ليبعث فيها صفوة الخلق وإمام المرسلين؛ لوجود أهلية قديمة.
قال:[فأخرجا له صحيفة فيها: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ [الفاتحة:1] فقال: أسماء طيبة طاهرة] ما إن سمع بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ [الفاتحة:1] حتى قال: أسماء طيبة طاهرة؛ لأنهم ما كانوا يعرفونها أبداً، ولذلك في يوم الحديبية -يوم الصلح المشهور- لما أخذ السكرتير يكتب الوثيقة -وهو علي - قال الرسول صلى الله عليه وسلم: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم.
فقال سهيل بن عمرو : لا.
نحن لا نعرف الرحمن الرحيم، ولكن اكتب باسمك اللهم.
فقال النبي: اكتب يا علي ! فانكمش، وانقبض، و عمر كاد يتمزق، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: اسكتوا! اكتب باسمك اللهم.
ثم قال اكتب: هذا ما عاهد عليه محمد رسول الله، فقال سهيل بن عمرو: لا.
لو عرفناك رسولاً ما قاتلناك، ولكن اكتب محمد بن عبد الله! فغضب عمر ..وقال النبي صلى الله عليه وسلم: اسكتوا!
بهذا الدرس لو كان هناك كلية للسياسة الإسلامية وتخريج الساسة لحلوا كل مشاكل العرب، لكن أنى لهم أن يذوقوا هذا ويعرفوه؟ فالنيران مشتعلة والفتنة قائمة في كل مكان؛ لأنهم ما عرفوا الطريق إلى الله بعد.
لقد تنازل الرسول حتى عن كلمة (الله)، وعن كلمة (الرحمن الرحيم)، لما علم أن هذه الاتفاقية ستحقق شيئاً عظيماً مدته عشر سنوات، فالبلاد حرة، شرّق فيها أو غرّب لا يردك أحد عن دين الله، والآن عندنا ساسة ما شاء الله كسروا الرأس بالقدوم فلا بصيرة ولا نور.
[طه * مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى [طه:1-2] إلى قوله تعالى: الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى [طه:8]] هذه الصحيفة كان فيها آيات من سورة طه سمعها عمر [فتعظم ذلك في صدر عمر وأسلم] لأنه كان يصغي ويسمع ليعلم، فما إن سمع هذه الآيات حتى دخل في الإسلام، وأقرأها الآن على مليون مسلم ممن يشربون الخمر أو الحشيش، فهل يتركونها؟ أولاً: ما يعون ولا يفهمون ولا يفقهون أبداً، ولا يدخل نور الكلمات في قلوبهم؛ لأنها مغلقة.
وأعيد تلاوة هذه الآيات، بسم الله الرحمن الرحيم -كيف سمعها عمر ؟ وكيف لان ورق؟ وكيف أسلم؟- طه * مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى * إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى * تَنزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى * الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى * لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى * وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى * اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى [طه:1-8] دخلت كلها في قلبه فحولته.
قال: [وقال لهما: أين رسول الله صلى الله عليه وسلم؟] وكان مختبئاً في دار الأرقم [فقالت له: في دار الأرقم] وهي الآن المكتبة الموجودة في طريق الحجون، تلك المكتبة هي دار الأرقم ، حولت إلى مكتبة لتبقى.
قال: [فذهب إلى دار الأرقم فقرع الباب] لم يدفعه لكن قرعه، وهذا قبل أن ينزل الأدب القرآني، فقد نزل الأدب في المدينة: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا [النور:27]، أي: حتى تصبحوا بشراً لا كالحيوانات تدفعون الأبواب [ففزع من في الدار، فقال لهم حمزة : ما لكم؟ قالوا: عمر] المجموعة الذين في الدار خافوا؛ لأنهم مستخفون بدينهم، و عمر معروف بشجاعته وقوته، فظنوا أنه يريد تحطيمهم [قال: افتحوا له الباب] هذا حمزة أسد الله [فإنه إن أقبل قبلناه، وإن أدبر قتلناه.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجرة من الدار] الدار واسعة، والرسول في إحدى غرفها [فلما سمع الحديث خرج فتشهد عمر ، فكبر أهل الدار تكبيرة سمعها من في المسجد] كبروا لوم يصفقوا! وجماعتكم يصفقون أم يكبرون؟ والله إنهم يصفقون! وقد حضرت مؤتمراً إسلامياً عربياً منذ عشرين سنة، فعندما يدخل الزعيم -وكنا نحن ثلاثة من المدينة فقط نمثل السعودية- يصفقون ويهيجون، وليسوا بجالسين، بل يقفون ونحن لا نقف.
ومن ثم البلاء ينزل والفتن تدور رحاها.
.
أمة أعرضت عن الله ورسوله ودينه ماذا ترجو لها؟! والتكبير عندما يكون بصوت واحد خارج من الضمير يكون له أثره، وقد شاهدت يوماً في بيشاور -في الجهاد- شاباً -فقدناه من سنين- يربي مجموعة، لا أقول فيلق ولكن كتيبة ليغزو بها، فاستعرضها أمامي أنا ومن معي، فلما وقفوا كبروا: فكان تكبيرهم -والله- أشد وقعاً من دوي المدافع.
قال: [وقال عمر : (ألسنا على الحق يا رسول الله؟ قال: بلى -أي: على الحق- قال ففيم الاختفاء؟!)] لم نختفي إذاً ونحن على الحق؟! قال: [فخرجوا صفين عمر في أحدهما و حمزة في الآخر]، الأسدان! عمر في صف و حمزة في صف [وقد كان أسلم قبل عمر بثلاثة أيام -فقط- ولما دخلوا المسجد ورأتهم قريش -وبينهما حمزة و عمر - أصابتها كآبة وحزن شديد] تمزق حبلهم [وسمى النبي صلى الله عليه وسلم ساعتها عمر : الفاروق] أي: الذي يفرق بين الحق والباطل.
فاز عمر بهذا اللقب (عمر الفاروق)، والحمد لله أن حفظ الله لنا هذا التاريخ حتى نسعد به ساعة من حياتنا.
أرأيتم لو كنا نصفق أمام الكرة؟! تجد الكرة في الصين وجماعتنا هنا يصفقون في بيوتهم فرحين! أمجانين هؤلاء أم عقلاء؟ اهبطي يا أمة فقد هبطتي! من فعل بنا هذا؟ إنه العدو! الثالوث الأسود: المجوس واليهود والنصارى.

ارتفاع ضوء الشمس المحمدية، وعشا أبصار المشركين

قال: [ارتفاع ضوء الشمس المحمدية، وعشا أبصار المشركين] هذه مقطوعة جديدة، وصلتها بالأولى واضحة: (ارتفاع ضوء الشمس المحمدية)، فقد كان الضوء خافتاً، ثم ارتفع بوجود عمر و حمزة .
(وعشا أبصار المشركين) أي: عماها وشل نظرها.
قال: [إنه بعد أن أعلن النبي صلى الله عليه وسلم دعوته وجهر بها في أوساط المشركين -وهي دعوة واضحة سليمة لا عيب فيها، واضحة لا غموض ولا لبس فيها- عشت عنها أبصار المشركين] ما أصبحوا يشاهدونها [فلم يروا ما تحمله من الخير والهدى، فناصبوها العداء، وأصبحوا لها خصوماً ألداء، يحاربونها بكل ما لديهم من قوة وشدة.
وفي العرض التالي تتجلى هذه الحقيقة] وهي مناصبة المشركين العداء للرسول والمؤمنين والإسلام.
قال المؤلف غفر الله له ولكم ورحمه وإياكم: [لقد مر بنا في قصة إسلام حمزة -قبل قليل- أنا أبا جهل وجد النبي صلى الله عليه وسلم جالساً عند الصفا، فنال منه سباً وشتماً، وعيباً لأمره، ولم يرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم، إلا أن الله تعالى قيض له أسداً من آساده] صبره عن عتاب أبي جهل أثمر له أسداً [حمزة بن عبد المطلب عم الحبيب صلى الله عليه وسلم، فضربه على رأسه فشجه شجة منكرة، وأغاظه بأتم غيظ إذ أسلم أمامه وحسن إسلامه] هذا حمزة .
قال: [وبإسلام حمزة و عمر رضي الله عنهما دخلت الدعوة في طور جديد، فجاهر الرسول صلى الله عليه وسلم وصدع بما يأمره به ربه، فأقض هذا الموقف الجديد مضاجع المشركين، وأفزعهم، وزادهم هولاً وفزعاً، تزايد عدد المسلمين، وإعلانهم عن إسلامهم، وعدم مبالاتهم بعداء المشركين لهم، الأمر الذي جعل رجالات قريش يساومون رسول الله صلى الله عليه وسلم].
إن كان فيكم من درس في كلية السياسة أيها السامعون فليسمع هذا الدرس من مشرك من أهل مكة، وهل يستطيع سياسي أن ينظم هذه الكلمات أو يتفوه بها أو يقدر عليها؟ لا يستطيع، فلنسمعها، وأنا أعيد هذا الكلام؛ لأن الساسة والسياسيين هبطوا بالعالم الإسلامي إلى الحضيض، وانتشر الفقر والبلاء والفسق والفجور والإهانة والدمار.
هذا هو الحاصل.
ولو كان هناك ساسة يعرفون كيف يسوسون الأفراد والشيوخ لرفعونا وما وضعونا، أم تريدون رعاة الإبل يرفعوننا؟ إن الساسة الذين تخرجوا من كليات السياسية -والله- لهم الذين ورطوا العالم الإسلامي.

قال: [وها هو ذا أبو الوليد عتبة بن ربيعة] اسمه: عتبة بن ربيعة ويكنى بـأبي الوليد [يُبعث من قبل المشركين ليعرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأوه حلاً للمشكلة في نظرهم] بعثه المشركون بحكومتهم ورجالهم إلى الرسول ليساومه في أمر الدعوة [فيقول له] أي: عتبة [يا ابن أخي!] يقول للرسول صلى الله عليه وسلم يا ابن أخي! [إنك منا حيث قد علمت من السطة] أي: من الشرف [في العشيرة، والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم، ففرقت به جماعتهم، وسفهت به أحلامهم، وعبت به آلهتهم ودينهم، وكفرت به من مضى من آبائهم، فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها] أي: ليس بلازم أن تقبلها كلها، وهذا من أدب السياسة [فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم: (قل يا أبا الوليد أسمع)] ما قال: قل يا عتبة ! ولكن قال: قل يا أبا الوليد وأنا أسمع، وهذا من الكمال المحمدي، فهو مضرب المثل في الكمال، قال الله عز وجل: لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ [الأحزاب:21]، عاش ثلاثاً وعشرين سنة وهو يقابل الأبيض والأسود.

أنعمى عن سياسته ولا ندرسها ولا نقف عندها، ونأتي بسياسة الملاحدة والمشركين لنسوس بها المسلمين؟! إنهم لا يقرءون سيرة رسول الله ولا يحبونها ولا ينظرون إليها أبداً، أضفوا عليها كلمة رجعية وتأخر والعالم قد تطور، أين العلم؟ الرجال والنساء ينزو بعضهم على بعض في الشوارع.

قال: [قال: يا ابن أخي! إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً] هذه المساومات [وإن كنت تريد به شرفاً سودناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك].

أي: لا نبت في قضية إلا بحضورك ورأيك.

وهم صادقون، فأصدق من خلق الله في الأرض العرب، في الزمان الأول.

وأعطيكم حكاية: كان الشيخ الطيب العقبي -من مدينة عقبة بن نافع الفاتح- تربى في هذه الديار، جيء به رضيعاً مهاجراً، ودرس في هذا المسجد وأصبح مضرب المثل، وأنا خبرت وعرفت فما رأيت أعلم من هذا الرجل، ولا أصدق منه.

يقول: حججت أيام البدو والصراع والسلب والنهب والغصب على بعير، وكل الحجاج من أهل المدينة كانوا يحجون على الإبل والبهائم، فرئيس القافلة كلف بهذا الشيخ شاباً، قال له: أنت مع هذا الشيخ، فكان ينيخ له البعير الذي سيحمله عشرة أيام ذهاباً وعشرة أيام إياباً، إضافة إلى إقامة الحج التي تكون -على الأقل- شهراً، ويقدم له بعض الخدمات.

فهذا الشاب -يحدثنا الشيخ-: رق قلبه من سماع كلام الشيخ؛ لأنه كان يحضر صلاته، ووضوءه وغير ذلك .

.

فهو ملازم له، فلما رق قلبه قال له الشيخ: لو تتوب خيراً لك؟ أي: تترك هذا السلب والغصب.

فقال: أستشير عمي! فإذا وافق أتوب، فلما جمعهم الله في مجلس، قال: يا عم! هذا الشيخ يقول لي: تب.

فهل تأذن لي؟ قال له: لا لا.

من للعائلة؟ من للأسرة إذا تبت؟! عرفتم كيف الصدق؟ لأنه لو قال: تب وتاب، لن يمس مال امرئ ولا دمه ولا عرضه بعد ذلك.

هذا هو الصدق مضرب المثل، فإذا قال العربي لا يتردد، أما الآن تجدنا نقول كلمة ونعمل غداً بخلافها، مع أننا نحفظ القرآن أيضاً.

قال: [وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا] أنت الملك [وإن كان هذا الذي يأتيك رئياً] يعني: جنياً [تراه لا تستطيع رده عن نفسك، طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه] أي: من هذا الذي تراه [فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه].

قال: [وفرغ عتبةمن كلامه] والرسول ساكت لم يقاطعه [ورسول الله صلى الله عليه وسلم يستمع منه، فقال: (أقد فرغت يأبا الوليد؟)] يعني: هل فرغت يا أبا الوليد من كلامك وعرضك الذي عرضت؟ [قال: نعم.

قال: (فاسمع مني)] كما سمعت منك [قال: أفعل] أي: أسمع [فقال الحبيب صلى الله عليه وسلم: (بسم الله الرحمن الرحيم، حم * تَنزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ [فصلت:1-2])، ومضى رسول صلى الله عليه وسلم يقرأ وقد ألقى عتبة يديه وراء ظهره معتمداً عليهما وهو يسمع منصتاً، حتى انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم] هل يوجد هذا النوع من البشر الآن؟ ماذا يريد منا تلاميذ الكفار والمشركين؟ [إلى السجدة فسجد] أكثر من عشرين آية أو ثلاثين [ثم قال:

(قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك!)] أي: الذي تريد، فإن شئت الإسلام فادخل وإن شئت الكفر فامض فيما أنت فيه.
قال: [وعاد عتبة إلى أصحابه، فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به] فراسة؛ لأن ذات النور القرآني والنور المحمدي بهره فتغير [فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد ؟ قال: ورائي أني قد سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط، ووالله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة، أطيعوني، واجعلوها بي، وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه] أين درَس أبو الوليد؟ كيف وقف هذا الموقف؟ هل يقف المسلمون له ويعرفونه إلا من رحم الله، إلا أهل النور الإلهي فقط، أما أهل الظلم والفسق والفجور أنى لهم هذا؟! قال: [فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم، وكنتم أسعد الناس به.
فما كان جوابهم إلا أن قالوا: سحرك يا أبا الوليد بلسانه.
فقال: هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدا لكم!.
كان هذا عرضاً].
معاشر الأبناء! إن منصور سيد هذا المجلس امرأته في المستشفى، فقال لي: ادع لها بالشفاء، فأمنوا على دعائي جزاكم الله خيراً.
اللهم يا ولي المؤمنين، ويا متول الصالحين، يا رحمان يا رحيم، يا رب العالمين، هذه أكف الضراعة قد رفعناها إليك سائلين ضارعين أن تشفي امرأة منصور شفاءً عاجلاً، شفاء لا يغادر سقماً؛ إنك ولي ذلك والقادر عليه.
واشف اللهم كل مريض فينا وبيننا، ومن يشكو ألماً في نفسه أو في نفس إخوانه.
اللهم اشف جميعنا إنك ولي ذلك والقادر عليه، واشف صدورنا وقلوبنا، وطهر نفوسنا وزكِ أروحنا، واجمعنا على كلمة الهدى يا رب العالمين.
وصل اللهم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

بعد أن أعلن المسلمون دخولهم في دين الله بمكة واستقواءهم بإسلام حمزة وعمر، بدأ الإسلام ينتشر في أوساط أهل مكة، فخاف كفار قريش وزعماؤها من أن يغلبهم أهل الدين الجديد على أبنائهم ومواليهم، فبدءوا يساومون الرسول صلى الله عليه وسلم وينوعون له العروض، عله يقبل بواحد منها، فعرضوا عليه الملك والمال والنساء فلم يقبل، ثم بدءوا يبحثون عن وسائل أخرى لتشويه دعوته، فأرسلوا وفداً إلى يهود يثرب ليأتوه بمسائل يعجز عنها، فأيده الله عز وجل بالوحي إظهاراً لصدقه وتأييداً له.

المحاولة الأولى من محاولات المشركين لثني النبي عن الاستمرار في دعوته

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.
أما بعد: فقد انتهى بنا الدرس إلى مقطوعة من بعض العروض التي عرضتها قريش على النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وهي عروض سياسية تحتاج إلى عناية، ولكي نربط بعضها ببعض نعيد ما درسناه من العرض الأول الذي قدمه أبو الوليد .
أولاً: [ارتفاع ضوء الشمس المحمدية، وعشا أبصار المشركين] هذا هو عنوان هذه المقطوعة، فهيا ننتظم في سلكها، ونعيش ساعة مع ذاك الرعيل الأول في بداية هذه الدعوة النبوية الإسلامية.
[إنه بعد أن أعلن النبي صلى الله عليه وسلم دعوته] بعد ما كان يخفيها ويسرها أُمر بإعلانها، وذلك بعد دخول حمزة و عمر رضي الله عنهما في حظيرة الإسلام، فأمر بأن يعلن أنه لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ [الحج:7] [وجهر بها في أوساط المشركين -وهي دعوة واضحة سليمة لا عيب فيها، واضحة لا غموض ولا لبس فيها- عشت عنها أبصار المشركين] فما رأوها، وما استطاعوا أن يفتحوا أعينهم في هذا النور الإلهي [فلم يروا ما تحمله من الخير والهدى، فناصبوها العداء، وأصبحوا لها خصوماً ألداء، يحاربونها بكل ما لديهم من قوة وشدة.
وفي العرض التالي تتجلى هذه الحقيقة.
لقد مر بنا في الدرس السابق في قصة إسلام حمزة رضي الله عنه -قبل قليل- أنا أبا جهل وجد النبي صلى الله عليه وسلم جالساً عند الصفا] أي: جبل الصفا من مكة المكرمة [فنال منه سباً وشتماً، وعيباً لأمره]؛ لأنه أعمى البصيرة، ضال، مشرك، كافر ..[ولم يرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم] ترفع المصطفى -وهو أهل للرفعة- أن ينزل إلى هذا الحضيض السافل الهابط من الجهلة التائهين في أودية الباطل والشر والفساد، ولا تفهموا أنه لم يرد عليه خوفاً منه، فهل يقوى على أن يمس رسول الله وهو المحفوظ بحفظ الله؟! وسوف تشاهدون كيف أنه لما عزم على أن يضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الذي واجهه، فهرب، وفيه نزل: كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ * نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ * فَلْيَدْعُ نَادِيَه * سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ [العلق:15-18].
[إلا أن الله تعالى قيض له أسداً من آساده] وهل لله أسود؟ نعم.
كل أسد لله [حمزة بن عبد المطلب عم الحبيب صلى الله عليه وسلم] فحمزة أسد الله في الأرض، وهذا لقب رسول الله له [فضربه على رأسه فشجه شجة منكرة] وترك دماءه تسيل، وكأنه يقول: ارفع رأسك يا طاغية فهذا حمزة [وأغاظه بأتم غيظ إذ أسلم أمامه وحسن إسلامه] لما ضربه حمزة كان وقتها كافراً مشركاً، ولما انبلج الصبح أمامه وغطته الأنوار -لأنه انتصر للحق- دخل في الإسلام [وبإسلام حمزة و عمر رضي الله عنهما دخلت الدعوة في طور جديد] بعدما كانت في دار الأرقم بن أبي الأرقم ظهرت ودخلت في طور جديد [فجاهر الرسول صلى الله عليه وسلم وصدع بما يأمره به ربه] إذاً: ظهور صوت الحق وارتفاعه حال تقتضي أن يكرب المشركون ويغتاظوا ويحزنوا.

[فأقض هذا الموقف الجديد مضاجع المشركين، وأفزعهم، وزادهم هولاً وفزعاً، تزايد عدد المسلمين، وإعلانهم عن إسلامهم، وعدم مبالاتهم بعداء المشركين لهم، الأمر الذي جعل رجالات قريش يساومون رسول الله صلى الله عليه وسلم] وهل يساومونه في شراء بستان أو بعير؟ لا.
بل يساومونه على دعوته، لعله يتنازل ويحظى بما يطلب من أمور الدنيا.
[وها هو ذا أبو الوليد عتبة بن ربيعة يُبعث من قبل المشركين] سفيراً يفاوض [ليعرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأوه حلاً للمشكلة في نظرهم، فيقول له: يا ابن أخي!] يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم [إنك منا حيث قد علمت من السطة في العشيرة، والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم، فرقت به جماعتهم] بعد ما كانوا ملتئمين متحدين على مبدأ الشرك [وسفهت به أحلامهم، وعبت به آلهتهم ودينهم، وكفرت به من مضى من آبائهم، فاسمع مني -يا محمد!- أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها] على الأقل [فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم: (قل يا أبا الوليد أسمع)] كناه بكنيته [قال: يا ابن أخي! إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً] لو عُرض هذا العرض على أحدنا الآن يطير به فرحاً، وإن دعا خمسين سنة إلا من عصم الله، إلا من حفظ الله ..[وإن كنت تريد به شرفاً سودناك علينا] جعلناك السيد [حتى لا نقطع أمراً دونك] في كل حياتنا لابد من إذنك وأمرك واستشارتك [وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا] ولا مانع أن تتوج بعمامة، والعمائم تيجان العرب وأنت ملك البلاد.
وهذه العروض اذكروها فإن الشياطين تعرض علينا أشياء كثيرة.
[وإن كان هذا الذي يأتيك رئياً -من الجن- تراه لا تستطيع رده عن نفسك، طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه] وتصبح في خير.
اتهموه بأن معه جني [فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه] أين درس هذا أبو الوليد ؟ ومن أية كلية تخرج؟ كيف عرف هذا الكلام؟! [وفرغ عتبة من كلامه، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يستمع منه] وهو كمال الأدب وبابه [فقال: (أقد فرغت يا أبا الوليد ؟)] يعني فرغت من عرضك الذي عرضت؟ [قال: نعم.
قال: (فاسمع مني)] الرد [قال: أفعل] أي: قل.
من ولي رسول الله؟ إنه الله، وهل يتركه؟ حاشا لله أن يخذل أولياءه أو أن يسلط عليهم أعداءه، اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ [البقرة:257]، مهما اسودت الدنيا واكتحلت الحياة وأظلمت، فالله يجعل لهم نوراً يعرفون به.

[فقال الحبيب صلى الله عليه وسلم: (بسم الله الرحمن الرحيم، حم * تَنزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ [فصلت:1-2])، ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ وقد ألقى عتبة يديه وراء ظهره معتمداً عليهما وهو يسمع منصتاً] هذه سورة فصلت لو قُرأت علينا ونحن جادون في تدبرها وفهمها لتغير حالنا [حتى انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السجدة فسجد ثم قال: (قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك!)] أي: افعل ما ترى.
فأنت وذاك الذي سمعت! [وعاد عتبة إلى أصحابه] سفير المشركين رجع مقتنعاً [فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به] فراسة عجيبة! فالنور المحمدي سطع في وجهه، وآيات القرآن غمرته فتغير وجهه، وما إن نظر إليه أحدهم حتى قال: والله لقد جاءكم بوجه غير الوجه الذي ذهب به.
بمعنى: لم تستفيدوا من هذه السفارة!! [فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد ؟] أخبرنا [قال: ورائي أني قد سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط] وهو كذلك [والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة] يعني: انزعوا هذا من آذانكم، فإنه يضللكم الزعماء، هذا يقول: ساحر، وذاك يقول: شاعر، والآخر يقول: مجنون، كل هذا باطل، وأن الذي سمعته -والله- ما هو بالسحر ولا بالشعر ولا بالكهانة، وهو حق.
والصدق -كما عرفنا- من آيات العرب في الجاهلية، فإذا قال العربي فإنه لا يكذب.
قال: [وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه] أي: هذا أسلم لكم، فلا تعارضوه ولا تحاربوه ولا تتكلموا فيه، بل اتركوه وما جاء به، وهو خبر لا بأس به [فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم] وصدَقَ أبو الوليد ! فقد أقسم بالله قائلاً: والله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم [فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم] أي: اتركوه فإذا قدر العرب عليه وقتلوه وأنهوا دعوته كُفيتم ذلك أنتم.

لم تتعرضون لمحنة؟ [وإن يظهر على العرب] أي: ينتصر عليهم [فملكه ملككم، وعزه عزكم، وكنتم أسعد الناس به] الله أكبر! كيف هذا أبا الوليد ؟! أين درس عتبة هذا؟ هل درسه في كلية السياسية في بريطانيا؟! وأنا أشنع لأن الساسة الذين درسوا السياسية في الغرب هم الذين فعلوا الأفاعيل بالمسلمين، وهم ليسوا أهلاً لأن يسوسوا ويقودوا، ودلونا على مظاهر السعادة والكمال في ديار المسلمين نتيجة هذه السياسة الرشيدة إن كنتم صادقين! ألا تعرفون الخلط والخبط والفتن والمحن؟ فأين هي السياسة؟ من أراد أن يسوس البشر فليسوسهم بنور الله وهدايته، بالعلم الرباني ليس بأفكار التائهين والطائشين والحمقى والمجانين! [فما كان جوابهم إلا أن قالوا: سحرك يا أبا الوليد بلسانه] تخلصوا من ذلك بأن نفوا السحر المعروف بالطلاسم، وقالوا: سحرك بلسانه! والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: (إن من البيان لسحراً)؛ فما كذبوا.

[فقال: هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدا لكم!! كان هذا عرضاً -أولياً-].

المحاولة الثانية من محاولات المشركين لثني النبي عن الاستمرار في دعوته

قال: [وعرض ثانٍ] وعندنا خمسة عروض [إن ما عرضه أبو الوليد على النبي صلى الله عليه وسلم كان عرضاً معقولاً لولا أنه أراد به الصد عن سبيل الله، بصرف الرسول صلى الله عليه وسلم عن دعوته؛ ولذا نزل القرآن الكريم يأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم برفضه وعدم قبوله بالجملة، فقال تعالى من سورة الإنسان: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا * فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا [الإنسان:23-24]] لا أبا الوليد ولا غيره.

لما انتهت المحادثة، أو ما جرى بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبين سفير قريش ورجلها -وقد عرفتم ماذا عرض- نزل قول الله تعالى: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا [الإنسان:23]، إذاً: فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا [الإنسان:24]، وإلى اليوم إياك أن تطيع آثماً أو كفوراً يا عبد الله! فمن أطاع آثماً غمسه في أوحال الذنوب والمعاصي، ومن أطاع كفوراً لنعم الله مزق شمله وحطمه، وهذا للبشرية كلها: وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا [الإنسان:24].

[كما أن رد عتبة على المشركين لما اتهموه بأنه سحر، كان رداً معقولاً ومقبولاً لولا العمه والحيرة اللتان أصيب بهما المشركون، يدل على ذلك أن قولة عتبة أبي الوليد لهم تزن الذهب لو كان لهم عقل، أو كانوا يبصرون] وهي مقولة: (فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم، فإن تصبه العرب بإهلاكه، فقد كفيتموه بغيركم وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم، وكنتم أسعد الناس به).

إي نعم.

إنها كلمة توزن بالذهب، ولكنه قضاء الله وقدره، فما رضوا ولا قبلوا.

قال: [أو كانت لهم حنكة سياسية] وعندنا في الهامش تعليق على كلمة سياسية، قال: (هكذا كانت السياسة العالمية، إذا ظهر في الأمة رجل طموح يطالب بأمر يفاوضونه مفاوضة أبي الوليد لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فيرضونه حتى يرضى ويسكت لهم -كان هذا الوضع في العالم الإنساني- إلى أن ظهر المذهب الشيوعي أخيراً فعدلوا عن المفاوضات والعرض والمساومات إلى التعذيب والتنكيل حتى يقطعوا أنفاسه فيسكت، أو يهلك، وذلك لأنهم لا يؤمنون بالله ولقائه، فلذا هم يعذبون الإنسان وكأنه غير إنسان من شجر أو حجر، فباسم الله نلعنهم، ونبرأ من صنيعهم).

وأعيد هذه النظرية: كان البشرية قبل وجود المذهب الشيوعي إذا ظهر شخص في القرية أو في القبيلة أو في البلاد أو في الأمة ..

وكان له ما كان يأخذون في مفاوضته ومساومته، فإن شاء المال أعطوه، أو وظيفة وظفوه، حتى ينتهي طلبه، لكن لما جاء المذهب الشيوعي مزق الإنسان، فلا يُعرض عليه شيء إلا بالكهرباء، فالمذهب الإلحادي البلشفي الأحمر شر ما عرفت البشرية، وما كان العرب أبداً قبل الاستعمار يؤدبون إخوانهم في سجونهم بما نسمع ويبلغنا، من أنواع العذاب التي حلفتُ على أنه لا يوجد مثلها يوم القيامة في النار، فمن غرس فيهم هذه الغرسة الخبيثة؟ إنها الشيوعية.

[ويدل على عمههم وحيرتهم أيضاً، أنهم بعد ما سمعوا الذي سمعوه من أبي الوليد كونوا وفداً من أعظم رجالاتهم] أي: ما أيسوا فما زالوا يعملون [وبعثوا به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليساومه بنفس المساومة] التي فشل فيها أبو الوليد [ويقول له نفس الكلام الذي قال له أبو الوليد ، وفعلاً أتى الوفد الجديد وكرر قولة أبي الوليد ، فردّ

الرسول صلى الله عليه وسلم قائلاً: (إنه ما بي تقولون -من السحر والجنون- ما جئت بما جئتكم به أطلب أموالكم، ولا الشرف فيكم، ولا الملك عليكم، ولكن الله بعثني إليكم رسولاً، وأنزل علي كتاباً، وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيراً، فأبلغكم رسالات ربي، ونصحت لكم، فإن تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه علي أصبر لأمر الله حتى يحكم بيني وبينكم!!).

ولما سمعوا هذا الرد الكريم الحكيم من سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم فقدوا صوابهم] جن جنونهم [وأخذوا يهذرون ويهرفون بما لا يعرفون، ومن جملة ما قالوه] في هذرهم [أنهم طالبوا النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعو ربه ليحيي لهم من مات من آبائهم] أي: ما دمت أنت الرسول وأنت وأنت ..

فاسأل الله أن يحيي آباءنا الذين ماتوا، وهل هذا الكلام معقول؟! [وأن يزيل عنهم الجبال المحيطة بمكة] لكي تصبح مكة أرضاً زراعية سهلة؛ لأنها محصورة بالجبال.

وهل جاء محمد صلى الله عليه وسلم ليزيل الجبال أو ليحيي الموتى؟ لا.

إنما جاء ليعلم الناس الهدى، وينقذهم من الضلال والخبث والفساد تأهيلاً لهم إلى الجنة دار السلام، فليست هذه مهمته.

[وأن يفجر خلالها الأنهار؛ لتصبح حدائق من نخيل وأعناب] كالمدينة والطائف [وذكروا كلاماً وطالبوا بأمور ذكرها الله تعالى في سورة الإسراء في قوله: وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ [الإسراء:90]] أي: لن نتابعك على ما جئت به وتدعو إليه [حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعًا [الإسراء:90]] هذه واحدة [أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيرًا [الإسراء:91]] أما وأنت تتاجر وتعمل على قرص العيش فكيف نقول أنك رسول؟! [أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا [الإسراء:92]] أي: قطعة قطعة تهلكنا بها.

من أوحي إليهم بهذا الطلب؟ إنه أبو مرة [أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ قَبِيلًا [الإسراء:92]] يريدون مشاهدة الملائكة صفوفاً والله أمامهم.

وهذا والله من وحي الشيطان وإملائه، وقد يوجد عند غيرهم، ووالله إنه لموجود، فالملاحدة اليوم يقولون أكثر من هذا، ويتحدون العلماء والدعاة؛ لأن الموحي بهذا هو إبليس، وإبليس ليس بجديد، بل من عهد آدم وهو يلعب مع البشر بألاعيبه، فما تسمعه اليوم تسمعه من أيام نوح.

[أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ [الإسراء:93]] لم لا يكون لك بيت من ذهب وأنت رسول الله؟ [أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُه [الإسراء:93]] يعني: ننام الليلة فنصبح غداً وكل واحد منا كتاب عند رأسه من الله أني بعثت محمداً رسولاً.

وهذا كله سجله الله لنا، وإلا لما كنا لنعرفه! وأعيد هذه الطلبات جملة: وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعًا [الإسراء:90] وفي قراءة نافع : (حتى تُفجِّر لنا من الأرض ينبوعاً) أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيرًا * أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ قَبِيلًا * أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُه [الإسراء:91-93] [وهنا أمره ربه أن يقول لهم: قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا [الإسراء:93]] يعني أنا بشر منكم، فهل تستطيعون أنتم أن توجدوا هذا التي تطالبون به؟ [ولما فرغوا من عرضهم] العرض الثاني [وردهم السخيف، وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم، تبعه عبد الله بن أبي أمية المخزومي وهو ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم] لما فرغوا من العرض، قام الرسول من بين أيديهم، فتبعه عبد الله بن أبي أمية المخزومي ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم [لأن أمه عاتكة بنت عبد المطلب ، فقال له: عرضت قريش كذا وكذا، ورفضت كل ذلك؟] وهل الرسول يستطيع أن يجيبهم فيما طلبوا؟! فعرضهم ليس بمعقول [فوالله لا أومن بك أبداً] تكلم الشيطان على لسانه، فمصيره إلى جهنم [وعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم حزيناً آسفاً لما فاته مما كان أمله من استجابة قومه لما دعوه ليكلموه في أمر دعوته] لأنه كان يظن في العرض الثاني أنه قد تغيرت نظريتهم لما اجتمعوا وخلوا ببعضهم البعض، فلعلهم تراجعوا، فخاب ظن الرسول صلى الله عليه وسلم، فلهذا عاد حزيناً آسفاً لما فاته مما كان أمله من استجابة قومه [كان هذا عرضاً].

المحاولة الثالثة من محاولات المشركين لثني النبي عن الاستمرار في دعوته

قال: [وعرض ثالث: إنه لما فشل رجالات قريش في المساومات التي تقدموا بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمعوا ما أيأسهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم من عدم التنازل عن دعوته وإن قلّ، وعن عدم التزحزح عما يدعو إليه قيد شعرة: هنا قام أبو جهل ليشفي صدره] لما بلّغه رجاله خيبتهم قام ليشفي صدره [الذي احتدم غيظاً، فأخذ حجراً كبيراً وقال: لأفلقن به رأس محمد صلى الله عليه وسلم وهو يصلي] وأين حمزة يفلق له رأسه هو أيضاً؟! [وتحين عدو الله الفرصة، فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي حول الكعبة بين الركنين مستقبل البيت، جاء أبو جهل لعنه الله، وتقدم نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضربه بالحجر، ورجالات قريش في أنديتهم ينتظرون ما يفعله طاغيتهم عليه لعائن الله، فلما دنا من رسول صلى الله عليه وسلم ولى هارباً منتقع اللون مرعوباً قد يبست يداه على الحجر، وقام إليه رجالات قريش يقولون: ما لك يا أبا الحكم ؟ ما أصابك؟ قال: قمت إليه لأفعل به ما قلت لكم البارحة، فلما دنوت منه عرض لي دونه فحل من الإبل، لا والله ما رأيت مثل هامته، ولا مثل قَصَره، ولا أنيابه لفحل قط] لعظمة هذا الجمل [فهم بي ليأكلني.

وفي هذه الحادثة نزل قول الله تعالى: كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ * نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ * فَلْيَدْعُ نَادِيَه * سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ * كَلَّا لا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ [العلق:15-19]] هذا الكتاب الذي أيد الله به رسوله، ما تحدث حادثة إلا وينزل النور الإلهي ليبينها.

[ولما سمع وشاهد هذه الحادثة النضر بن الحارث ، قام في قريش وقال: يا معشر قريش! إنه -والله- قد نزل بكم أمر ما أتيتم له بحيلة بعد، فقد كان فيكم محمد غلاماً حدثاً، أرضاكم فيه، وأصدقكم حديثاً، وأعظمكم أمانة، حتى إذا رأيتم في صدغه الشيب] والصدغ: ما بين الأذن والعين، والشيب أول ما يبدأ في هذا المكان [وجاءكم بما جاءكم به قلتم: ساحر، لا والله ما هو بساحر، لقد رأينا السحرة، ونفثهم وعقدهم، وقلتم: كاهن، لا والله ما هو بكاهن؛ قد رأينا الكهنة وتخالجهم وسمعنا سجعهم.

وقلتم: شاعر، لا والله ما هو بشاعر؛ قد رأينا الشعر وسمعنا أصنافه كلها هزجه ورجزه.

وقلتم: مجنون، لا والله ما هو بمجنون؛ لقد رأينا الجنون فما هو بخنقه ولا وسوسته ولا تخليطه.

يا معشر قريش! فانظروا في شأنكم فإنه والله قد نزل بكم أمر عظيم.

لقد كاد النضر هذا يُسلم] بهذا الكلام أوشك أن يسلم [لما تبين له من الحق، ولكن منعه الحسد] الحسد لرسول الله هو الذي منعه، كيف يرى النبي صلى الله عليه وسلم وقد ساد قومه؟! وهذا شأن الحسدة [إذ هو الذي قال: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ [الأنفال:32]] وهذه المقولة سجلها الله في كتابه، أي: نهلك ولا نراه ولا نعيش معه.

هذا هو الحسد [جاء هذا في سورة الأنفال، ونزل فيه قوله تعالى أيضاً: سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ * لِلْكَافِرينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ * مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ [المعارج:1-3]] فهو الذي طلب ذلك، فقال: نهلك كلنا ونموت ولا نشاهد هذا الغلط الكبير، ولا نسمع هذا الصوت.

وهذا شأن الحسدة! [إذ كان النضر بن الحارث هذا شيطان قريش، كان أخبثهم نفساً، وأشدهم عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين؛ إذ هو القائل: أنا أحسن حديثاً من محمد صلى الله عليه وسلم، وكان يقص أخبار ملوك فارس، ويقول: سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ [الأنعام:93]] من القصص [لما أصابه من الحسد والغرور وعمى البصر والبصيرة.

كان هذا عرضاً].

المحاولة الرابعة من محاولات المشركين لثني النبي عن الاستمرار في دعوته

قال: [وعرض رابع: إنه لما أعيت الحيل قريشاً، ولم تجد ما تدفع به دعوة الحق التي عشت أبصارها عن أنوارها الساطعة، بعثت وفداً إلى يثرب (المدينة) يُجلي لها حقيقة الموقف بواسطة أحبار اليهود؛ لأنهم أهل كتاب، وذوو علم بالأديان] بعثت قريش وفداً من مكة إلى اليهود بالمدينة ليسألوا اليهود عن هذه الدعوة، هل لها أصل، ولها نتائج؟ ومعناها: أنهم بذلوا ما أمكنهم أن يبذلوه.

[ويتكون هذا الوفد من النضر بن الحارث -شيطان قريش- أميراً] أمّروه عليهم، إذاً: كانوا حكماء، فوفد بدون أمير يقول فيه كل واحد قوله يرجعون وهم مختلفين أو متضاربين في الطريق، فلابد من أمير [و عقبة بن أبي معيط]هذا أخبثهم [مساعداً له] أي: نائباً للأمير [وقالوا لهما: اسألا أحبار اليهود عن محمد صلى الله عليه وسلم وصفا لهم صفته

وأخبراهم بقوله الذي يقول، ودعوته التي يدعو إليها؛ فإنهم أهل كتاب، وعندهم علم بالأنبياء ليس عندنا] كلام معقول [فخرجا حتى أتيا المدينة؛ فسألا أحبار يهود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووصفا لهم أمره، وأخبراهم ببعض قوله، وقالا لهم: إنكم أهل التوراة، وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا.
فقالت لهم أحبار يهود: سلوه عن ثلاث نأمركم بهن] ثلاث أسئلة أو ثلاثة أمور [فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل، وإن لم يفعل فالرجل متقول] أي: يقول من عنده فقط.
وصدق اليهود في هذا**!** [فَرُوا فيه رأيكم: سلوه عن فتية شبان ذهبوا في الدهر الأول ما كان أمرهم؟ فإنه قد كان لهم حديث عجب، وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها، ما كان نبؤه؟] أي خبره [وسلوه عن الروح ما هي؟ فإن أخبركم بذلك فاتبعوه فإنه نبي، وإن لم يفعل فهو متقول، فاصنعوا في أمره ما بدا لكم.
وعاد الوفد] المكون من رجلين: شيطان وإبليس [وقال لهم: جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد صلى الله عليه وسلم، قد أخبرنا أحبار يهود أن نسأله عن أشياء أمرونا بها، فإن أخبركم بها فهو نبي، وإن لم يفعل فالرجل متقول فَرُوا رأيكم فيه.
وسألت قريش النبي صلى الله عليه وسلم وقال: (غداً أخبركم)، ولم يستثن] ما قال: إن شاء الله [وانصرفوا عنه.
وحبس الوحي عنه لعدم استثنائه قرابة نصف شهر حتى حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم] ونحن كيف حالنا؟**!**
أما زعماؤنا فإنهم لا يقولون إن شاء الله أبداً.
ولكن ثورتنا، وروثتنا، وحكمنا ..أما إن شاء الله فليس لها وجود.
بل كان بعضهم إذا قال مؤمن: إن شاء الله، يقول: لا تقل: إن شاء الله.
فرسول الله صلى الله عليه وسلم في موقف عظيم كهذا يُترك لِهمّ وكرب وحزن نصف شهر، من أجل أنه لم يقل: إن شاء الله، وقد بلغنا عن بعضهم أنه إذا قال الرجل: إن شاء الله، قال له: لا تقل إن شاء الله، ولكن قال: آتي.
وما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في شيء أفعل كذا إلا قال: إن شاء الله، طوال حياته.
[وفرحت قريش وقالوا الكثير من القول حتى قالوا: قلاه شيطانه الذي كان يأتيه، ثم أنزل الله تعالى سورة: (الضحى)، ينفي فيها ما قالته قريش وادعاه بعضهم من غلاة المبغضين له صلى الله عليه وسلم من أن الله تعالى قد قلاه، أي: تركه وأضاعه مبغضاً له، وأنزل سورة (الكهف)، وفيها بيان حديث أصحاب الكهف تفصيلاً، وفيها خبر الرجل الطوافة وهو الإسكندر ذو القرنين ، ونزل في شأن الروح قوله تعالى في السورة التي قبل سورة الكهف (الإسراء): وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا [الإسراء:85] رداً على اليهود. كان هذا عرضاً].
وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

بعد المحاولات المستميتة التي قام بها صناديد قريش لثني النبي صلى الله عليه وسلم عن مواصلة دعوته، والاستمرار في نشر رسالته، وبعد أن أعيتهم الحيلة، وبلغ يأسهم منه مبلغه، عادوا على أتباعه من المؤمنين المستضعفين ونكلوا بهم، وأذاقوهم صنوف العذاب، علهم يظفرون بواحد منهم يضعف فيرتد عن دينه، فيوهن من عزائم المسلمين، ويفت في عضدهم، ولكن الله عز وجل أنزل على عباده المؤمنين من الصبر أضعاف ما نزل بهم من العذاب، ليتم نوره سبحانه ولو كره الكافرون.

تابع المحاولة الرابعة من محاولات المشركين لثني النبي عن الاستمرار في دعوته

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فقد انتهى بنا الدرس إلى العرض الخامس من عروض قريش على النبي صلى الله عليه وسلم للتنازل عن دعوته؛ إذ تقدمت قريش للنبي صلى الله عليه وسلم بعدة عروض، درسنا منها أربعة عروض وهذا هو العرض الخامس والأخير.

ولنرجع إلى العرض الرابع وكله خير.

قال المؤلف غفر الله له ولكم ورحمه وإياكم: [وعرض رابع: إنه لما أعيت الحيل قريش] والحيل جمع حيلة، وهو ما استعملته قريش لإحباط الدعوة، وإطفاء النور الإلهي [ولم تجد ما تدفع به دعوة الحق التي عشت أبصارها عن أنوارها الساطعة] ومعنى (عشت أبصارها): ضعفت، فما استطاعت أن تبصر النور [بعثت وفداً إلى يثرب (المدينة)] لأن بها علماء اليهود، تستفتيهم وتسألهم [ليجلي لها حقيقة الموقف بواسطة أحبار اليهود] أي: علماء اليهود [لأنهم أهل كتاب، وذوو علم بالأديان] السابقة.

[ويتكون الوفد من النضر بن الحارث -شيطان قريش- أميراً] عليه لعائن الله [و عقبة بن أبي معيط مساعداً له] وهو شر منه أيضاً [وقالوا لهما] أي: قالت قريش لوفدها أو لرجلي وفدها [اسألا أحبار اليهود عن محمد صلى الله عليه وسلم، وصفا لهم صفته، وأخبراهم بقوله الذي يقول] لما كونوا هذا الوفد في ناديهم، أو في دار الحكومة عهدوا إليه بأن يقول هذا [ودعوته التي يدعو إليها؛ فإنهم أهل كتاب، وعندهم علم بالأنبياء ليس عندنا] أي: نحن العرب لجهلنا.

[فخرجا] أي: وفد قريش: النضر بن الحارث و عقبة بن أبي معيط [حتى أتيا المدينة] وكانت يومها تسمى: يثرب، وفي القرآن ذكر لفظ يثرب في سورة الأحزاب [فسألا أحبار يهود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووصفا لهم أمره، وأخبراهم ببعض قوله، وقالا لهم: إنكم أهل التوراة، وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا.

فقالت لهم أحبار يهود] أي: علماء اليهود [سلوه] أي: النبي صلى الله عليه وسلم [عن ثلاث] أي: ثلاث مسائل [نأمركم بهن، فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل، وإن لم يفعل فالرجل متقول] أي: يتكلم بالباطل، فيقول من عنده ما يقول [فروا فيه رأيكم] إذا تبين أنه غير نبي، روا ما ترون فيه، إما بقتله أو هجره أو ما إلى ذلك.

[سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان أمرهم؟] وهم أصحاب الكهف الثمانية، أو السبعة والكلب الثامن [فإنه قد كان لهم حديث عجب] يعنون: أصحاب الكهف، والراجح أنهم سبعة وثامنهم كلبهم [وسلوه عن رجل طوّاف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها] والمراد من هذا هو ذو القرنين عليه السلام [ما كان نبؤه] أي: ما كان خبره، والغالب أنه كان نبياً [وسلوه عن الروح ما هي؟] سلوه عن الروح ما هي الروح؟ وأين مستقرها؟ وما هي ظواهرها، وكيف يُستدل بها؟ [فإن أخبركم بذلك فاتبعوه فإنه نبي، وإن لم يفعل فهو متقول] أي: يقول من عند نفسه ما شاء أن يقول [فاصنعوا في أمره ما بدا لكم] عندها الأمر إليكم.

واليهود في هذا الموقف كانوا صادقين، أدوا الأمانة كما هي.

[وعاد الوفد إلى قريش، وقال لهم: جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد صلى الله عليه وسلم] وهو كذلك لو امتثلوا [قد أخبرنا أحبار يهود أن نسأله عن أشياء أمرونا بها، فإن أخبركم بها فهو نبي، وإن لم يفعل فالرجل متقول فروا رأيكم

فيه] والمفروض أن يسلموا بعد ذلك وينتهي الخلاف، فما دام أنهم بعثوا وفدهم يستفسر ثم جاء بالأمر كما هو، لم يكفرون إذاً؟ أو يواصلون الكفر والحرب؟ إنه قضاء الله وقدره.

[وسألت قريش النبي صلى الله عليه وسلم وقال: (غداً أخبركم)] لم يكن عنده خبر، ولا بيان ولا علم؛ إذ يتلقى معارفه من الله، فلما قالوا له ما قالوا، قال لهم: (غداً أخبركم)، منتظراً الوحي من الله عز وجل [ولم يستثن، وانصرفوا عنه.

وحبس الله الوحي عنه؛ لعدم استثنائه قرابة نصف شهر حتى حزن صلى الله عليه وسلم] وأكثرنا لا يعرف إن شاء الله، ومن ثَم كما قلت لكم: ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في شيء سأفعل إلا قال إن شاء الله، وكل عمل يُرجى عمله في المستقبل، واجب على المؤمن أن يقول فيه: إن شاء الله، وانظر كيف عوقب رسول الله صلى الله عليه وسلم بانقطاع الوحي عنه نصف شهر، ولا تسأل عن ما تم في هذه الأيام، إن أم جميل العوراء كانت تغني في الشوارع فرحاً بذلك، وقال المشركون: تركه شيطانه الذي كان يأتيه، وحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم حزناً لم نحزنه نحن، ثم أنزل الله تبارك وتعالى عزاء كاملاً له في سورة الضحى، فقال عز وجل: وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى [الضحى:1-3]، كما زعم المبطلون.

أقسم له بأنه ما تركه ولا أبغضه، وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الأُولَى [الضحى:4]، أي: لا تحزن ولا تكرب ولا تأسف، ثم: أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى * وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى * وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى [الضحى:6-8]، كيف إذاً يتركك، ويُقبل قول من قال: قلاه وأبغضه وتركه، والسورة كانت عزاء للنبي صلى الله عليه وسلم، وكانت تربية وتأديباً وتعليماً للمؤمنين.

ثم قال عز وجل: وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى [الضحى:5]، فقال: كيف أرضى وأحد من أمتي في النار؟! إن كل من آمن بهذا النبي الكريم وعبد الله وحده لا يبقى في النار أبداً، وإن زنا وإن سرق، فإذا كان مؤمناً صادقاً في إيمانه موحداً لربه، لم يشرك بالله شيئاً، وإن دخل النار فإنه يخرج منها.

[وفرحت قريش، وقالوا الكثير من القول حتى قالوا: قلاه شيطانه الذي كان يأتيه، ثم أنزل الله تعلى سورة (والضحى)، ينفي فيها ما قالته قريش وادعاه بعضهم من غلاة المبغضين له صلى الله عليه وسلم من أن الله تعالى قد قلاه، أي: تركه وأضاعه مبغضاً له، وأنزل سورة (الكهف)] وبالمناسبة فقد سبق نبينا صلى الله عليه وسلم نبي الله سليمان، فقد قال ذات مرة: لأطوفن الليلة بمائة جارية تلد كل منهما ولداً يقاتل في سبيل الله ولم يستثن، فعوقب، فلم تلد من تلك الجواري إلا واحدة فقط، وولدت طفلاً مشلولاً، ثم تاب؛ لأنه لم يستثن.

أتدري ما قيمة الاستثناء؟ إنه عندما تقول أنت لأفعلن كذا وكذا ..

أنسيت أنك مربوب، وأنك محكوم، وأن حركاتك وسكناتك لم تخلقها أنت؟ ولكن الله وهبك إياها، كيف تستر الله وتغطيه، وتصبح إلهاً وتقول: أفعل!! هذا عيب كبير! قد يؤدي بالعبد إلى الكفر، فأنت عبد الله المربوب، أنى لك أن تغطي الله وتجحده، وهو الذي يدير الملكوت كله؟! ويتصرف في الخلق أجمعين، ولولا حلم الله عز وجل لضرب بهذا الإنسان.

إذاً يجب أن تقول: إن شاء الله، سأسافر، أو سأتزوج، أو سأبني، أو سأقول..وإلا والله ما كان شيء، وقد نزل هذا في سورة الكهف، قال الله عز وجل: وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا * إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ [الكهف:23-24].

ومن هنا إذا قلت: والله لأفعلن، وما قلت إن شاء الله، وحنثت ولم تفعل، تلطخت النفس بلطخة منتنة عفنة من الإثم، ولا يزيل هذا إلا ما بيّن الله تعالى، من كفارة اليمين.

فإذا قال العبد: والله لا أفعل، ثم انهزم وفعل، أو قال: والله لأفعلن، ولم يفعل، فإثمه كبير عظيم، ولا يزيل هذا الإثم إلا ما وضع الله عز وجل من أداة الإزالة، وهو: أن يعتق رقبة، فإن عجز أطعم عشرة مساكين، فإن عجز كساهم كسوة، فإن عجز صام ثلاثة أيام، ولا يزيل هذا الإثم إلا هذه الكفارة.

هذا هو السر؛ لأنه لما قال: والله لأفعلن! كان لا يملك أن يفعل أو لا يفعل، فالله هو الذي يدير الملكوت جل جلاله وعظم سلطانه.

وحسبنا أن الله أدب سليمان النبي الرسول، وأدب سيد الأنبياء وإمامهم صلى الله عليه وسلم، وقد هبطت الأمة حتى أن بعضنا -في بعض الأحيان- إذا قلت له: إن شاء الله، يقول لك: لا تقل: إن شاء الله! وكثير من المسئولين -بلغنا- في العالم العربي بالذات إذا قال العبد عندهم: إن شاء الله، قالوا: لا تقل: إن شاء الله، بل يجب أن تفعل! لأنهم جهلوا وما عرفوا.

قال: [وفيها بيان حديث أصحاب الكهف تفصيلاً] قال الله عز وجل: نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى * وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ [الكهف:13-14] [وفيها أيضاً خبر الرجل الطوافة وهو الإسكندر ذو القرنين] والطوافة: كثير الطواف، يطوف ليفتح العالم ليس أنه يطوف بالبيت.
وقد امتحن -أيضاً- ذو القرنين امتحاناً إلهياً، قال الله عز وجل: وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا * إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا * فَأَتْبَعَ سَبَبًا * حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا [الكهف:83-86] هذه مادة الاختبار: يا ذا القرنين إما أن تعذب هذه الأمة أو تتخذ فيهم حسناً.
فكيف خرج؟ وما هو الجواب؟ قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا * وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا [الكهف:87-88].
كان امتحان له عند توليته الحكم، أي: ماذا ستفعل يا ذا القرنين ، وكيف ستدير الأمور؟ قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ يوم القيامة فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا * وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا [الكهف:87-88] ويا ليت هذه ترفع إلى الحكام في العالم.
فقد امتحن لما وصل إلى أقصى الغرب وملَكَ، فقال الله تعالى له بواسطة الوحي: يا ذا القرنين ماذا ستفعل مع هؤلاء؟ وماذا ستصنع بهم؟ فأجاب هذا الجواب الذي يجب أن يعرفه كل حاكم على وجه الأرض، قال: أَمَّا مَنْ ظَلَمَ أي: اعتدى وفسق وخرج عن الحق والعدل فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا * وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا [الكهف:87-88]، وكل صاحب بيت يجب أن يكون هذا موقفه، وكل صاحب عمل، وكل صاحب قرية، فمن ظلم فسوق تجري عليه أحكام الله إما بالسجن أو الضرب أو القتل، وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا [الكهف:88].
وذو القرنين اختلف الناس فيه اختلافاً واسعاً، وأقرب شيء أن له شعر من هنا وشعر من هنا كالقرنين، أي: قرنين من الشعر.
مداخلة: يقول: ما حكم قول: اللهم أكرمنا إن شاء الله.
الشيخ: الرسول صلى الله عليه وسلم قال: (إذا سألتم الله عز وجل شيئاً فاجزموا المسألة) يعني لا تقول: اللهم اغفر لي إن شئت، (فإن الله ليس بمستكره)، فلا ينبغي أن تقول: اللهم اغفر لأبي إن شئت، أو اللهم ارزقني ولداً إن شئت.

.
لا تقل هذا فإن الله ليس فوقه سلطة، ولكن اجزم المسألة وقل: اللهم اغفر لي وارحمني.
والعوام عندما يقال له: يا فلان صمت اليوم؟ يقول: إن شاء الله.
وقد شاء الله ذلك؛ لأنه صام، أو إذا قلت له: يا فلان! سافرت؟ يقول: إن شاء الله.
كيف إن شاء الله؟! وقد شاء الله وسافرت وجئت!! والعوام لا يتنبهون لهذا، ونقبلها منهم؛ لأنهم ذكروا اسم ربنا تبركاً، وإلا واقعاً فقد شاء الله، فإذا قلت لك: ما اسمك؟ وقلت: إبراهيم إن شاء الله، فقد شاء الله وسماك أبوك إبراهيم.
مداخلة: ولو قال أحد لآخر: أنت إن شاء الله في الجنة؟ الشيخ: نعم.
إذا قال لك أخوك: أنت إن شاء الله من أهل الجنة، فهذا هو الصحيح؛ لأنه لا يجوز له أن يقول: أنت من أهل الجنة جازماً بذلك، فمن أعلمه؟ فلابد وأن يقول: إن شاء الله! ولو كنت ذاهباً لتتوضأ فإنك تقول: إن شاء الله، لأنك قد لا تصل.
قال: [ونزل في شأن الروح قوله تعالى في السورة التي قبل سورة الكهف (الإسراء): وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا [الإسراء:85] رداً على اليهود.
كان هذا عرضاً].
كان هذا العرض الرابع، وها نحن مع العرض الخامس والأخير، من العروض السياسية التي عرضتها قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلها تزلزله.

المحاولة الخامسة من محاولات المشركين لثني النبي عن الاستمرار في دعوته

قال: [وعرض خامس: ولما فشلت قريش في محاولتها الأخيرة بإرسالها وفداً إلى أحبار اليهود: لجّت في الخصومة وأعلنت حرباً كلامية على سول الله صلى الله عليه وسلم؛ محاولة بذلك إطفاء نور الله بأفواهها، وها هو ذا أبو جهل يقول هازئاً ساخراً برسول الله صلى الله عليه وسلم وبما جاء به من الهدى ودين الحق: يا معشر قريش! يزعم محمد صلى الله عليه وسلم أن جنود الله الذين يعذبونكم في النار ويحبسونكم فيها تسعة عشر، وأنتم أكثر الناس عدداً وكثرة، أفيعجز كل مائة رجل منكم عن رجل منهم؟] هذه دعوة أبو جهل ، يخطب في قريش يقول لهم: يا معشر قريش! يزعم محمد صلى الله عليه وسلم -وهذه نحن نقولها أما هو فلا يقول صلى الله عليه وسلم- أن جنود الله الذين يعذبونكم في النار -يعني الزبانية- ويحبسونكم فيها تسعة عشر ملكاً، وأنتم أكثر الناس عدداً وكثرة، أفيعجز كل مائة رجل منكم عن رجل منهم؟ [وفي هذا نزل قول الله تعالى من سورة المدثر: وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا [المدثر:31]] وهم الزبانية لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ [المدثر:31] لأنهم يعرفون هذا في التوراة وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا [المدثر:31]، كان الناس أصناف ثلاثة: أهل التوحيد والإيمان، وأهل الكتاب، وأهل الشرك والكفران.

[ويكشف أبو جهل عن وجه حسده وكبريائه، فيأتيه الأخنس بن شريق] هذا أيضاً من شياطينهم [فيقول له: يا أبا الحكم ! ما رأيك فيما سمعت من محمد؟] يكنيه بـأبي الحكم ويقول له: ما رأيك فيما سمعت من محمد؟ [يريد من قراءته القرآن، فقال: ماذا سمعت؟] أي: ما سمعت أي شيء له قيمة [تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف] وهو مخزومي [أطعموا فأطعمنا] يعني الفقراء والمساكين والحجاج [وحملوا فحملنا] أي: حملوا من عي وتعب وانحصر فحملنا أيضاً [وأعطوا] أي المال [فأعطينا حتى إذا تجاثينا على الركب، وكنا كفرسي رهان، قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء، فمتى ندرك مثل هذه؟ والله لا نؤمن به أبداً، ولا نصدقه] هنا الأخنس بن شريق يختبر أبا جهل فيقول له: ما هو رأيك فيما سمعت من قرآن الرسول صلى الله عليه وسلم؟ فقال له أبو جهل : وماذا سمعت؟ بمعنى لا شيء، فقد تنازعنا نحن وبنو عبد مناف -وبنو عبد مناف بنو هاشم من قريش- أطعموا فأطعمنا يعني الضيوف والفقراء والمساكين طلباً للشرف، وحملوا العجزة والضعفة فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تساوينا في الشرف والكمال قالوا: منا نبي، إذاً متى ندرك نحن مثل هذه؟ ولهذا قال: والله لا نؤمن به أبداً ولا نصدقه.

أرأيتم كيف ظهر الحسد هنا في هذا الموقف؟ فقد حسد أبو جهل بني هاشم.

[ويحملهم البغض والخوف على أن يمنعوا سماع القرآن، فيتخذوا في ناديهم قراراً بمنع سماع قراءة القرآن] صدر قرار رسمي من رئيس مكة: أنه لا يحل لمواطن أن يسمع قراءة القرآن، كأيام الحرب العالمية الأخيرة عندما كان ممنوع سماع الإذاعة حتى لا ينهزم الشعب.

وهنا منعوا سماع قراءة القرآن، ومن ضبط وهو يسمع فإنه يُعذب أو يبعد من مكة.

إذاً: هذا -كما يقولون- إجراء وقائي، حتى لا تفسد عقيدة الشعب ويفتن.

[وأنزل الله تعالى في ذلك قرآناً؛ وهو قوله تعالى من سورة فصلت: وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ [فصلت:26]] ومعنى وَالْغَوْا فِيهِ [فصلت:26] أي: لما يأخذ الرسول صلى الله عليه وسلم أو أبو بكر في القراءة صيحوا أنتم وقولوا الكلام الباطل حتى لا يسمع الناس قراءتهم.

وهذا قد رأيناه أيام الأحزاب، فإذا قام الزعيم ليخطب الحزب، قام الحزب المضاد مشوشاً بالأصوات؛ حتى لا ينتشر الكلام، فالبشر هم هم مرت عليهم ألف سنة أو ألفين ولا فرق؛ والعلة أن الشيطان واحد، فأبو مرة ما تبدل ولا تغير من عهد آدم، فكل الذي وقع في عهد موسى، وفي عهد إبراهيم، وفي عهد نوح، يقع اليوم؛ لأن الشيطان هو الذي يدعو إليه ويزينه ويحسنه، ويلقيه في قلوب أوليائه، فليس هناك فرق أبداً، وهذه السياسة التي عند قريش موجودة الآن.

قال تعالى: وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا بيان رسمي لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ لِم؟ حتى لا يشوش عليكم، ويفسد قلوبكم، ويقبح إليكم سلوككم وسلوك آبائكم وأجدادكم، فهي ليست كلمة موجزة، وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ [فصلت:26] يغلبون من؟ يغلبوا محمداً على دينه.

[وعز عليهم ألا يسمعوه] الرؤساء كأبي سفيان و أبي جهل و الأخنس ما استطاعوا أن يصبروا على عدم سماعه، وقد استطاعوا أن يمنعوا الأمة عن ذلك بالتهديد والوعيد، ولكن والرؤساء كيف يفعلون؟ ما قدروا على ألا يسمعوا، لا سيما وأنه بلغتهم وفصاحتهم.
[-وقد أصدروا قراراً بمنع سماعه- فخرج أبو سفيان و أبو جهل و الأخنس بن شريق خرجوا ثلاثتهم ليلاً ليستمعوا قراءة الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ في صلاته في بيته] والبيوت لم تكن كهذه العمارات، ولكن من طابق واحد والباب من خشب أو ليس فيها باب [واتخذوا مجالس لهم يجتمعون فيها في الظلام] وكان الظلام -قطعاً- لأنه ليس ثمة مصابيح ولا كهرباء [ولا يدري أحدهم عن الآخر] الغريبة أن كل واحد منهم كان يظن أنه ما اطلع عليه أحد، فيجلس في مكان ما ليسمع، والآخر كذلك يظن أنه وحده، والثالث كذلك.
[حتى إذا طلع الفجر] وانفجر الضوء [تفرقوا فجمعتهم الطريق فتلاوموا وتعاهدوا ألا يعودوا لمثلها] يعني كيف تحرمون على الناس هذا وأنتم تفعلونه؟ فقالوا: مِن هذا اليوم لا يمكن لأحدنا أن يجيء مرة ثانية [ولكنهم لم يصبروا] أيضاً [فخرجوا في ليلة أخرى ولا يدري أحدهم عن الآخر، واستمعوا إلى قراءة النبي صلى الله عليه وسلم حتى إذا طلع الفجر تفرقوا وجمعتهم الطريق فتلاوموا، وتكرر هذا منهم ثلاث مرات، وفي الرابعة تعاهدوا ألا يعودوا لمثلها أبداً].
وتذكرون أن أبا بكر الصديق صدر قرار من قريش بنفيه، قالوا له: إما أن تقرأ في بيتك ولا يُسمع لك صوت وإلا أن تخرج من مكة؛ لأنه كان يقرأ حول الكعبة، فنفوه ورجع في كفالة أو في جوار ابن الدغنة ، ثم ابن الدغنة أيضاً هددته قريش وقالت: إما أن يقرأ صاحبك في بيته وإلا نخفر عهدك.
وهو أمر عظيم عندهم!! [وهكذا تجلت الحقيقة واضحة لا غموض فيها ولا لبس ولا خفاء، وهي: أن المشركين عشت أبصارهم عن النور المحمدي، فلم يروا فيما جاء به هدىً ولا خيراً؛ فناصبوه العداء وأصبحوا خصوماً ألداء يحاربونه صلى الله عليه وسلم، ويحاربون دعوته وأتباعه بكل ما لديهم من قوة، كما هي حال الكافرين إلى اليوم] هل اختلف الناس في هذا الزمان؟ لا والله.
[فهم حرب على الإسلام والمسلمين دائماً وأبداً، ولولا أن الله تعالى ناصر دينه وأوليائه لغلبوا على الإسلام والمسلمين، ولم يبق إسلام ولا مسلمون] ولكن الله حامي هذا الدين وحارسه، حتى لا يقول الناس يوم القيامة: ما عرفناك، وما بلغتنا دعوتك، أو مات الرسول ومات العلماء، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق منصورين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون) هذا هو السر؛ لتقوم الحجة على البشرية يوم القيامة، فلو انقطع الإسلام وفسد كما فسدت الأديان الأخرى لقالت الشعوب الآتية: ما عرفناك يا رب، وكان على الله أن يجدد عهد النبوة والرسالة، لكن عرف عز وجل أنه لا حاجة إلى التجديد؛ لأن العالم سيصبح كأمة واحدة، وقد أصبح، إذاً ختم النبوات بمحمد صلى الله عليه وسلم.
لقد كان الله يبعث في كل أمة رسولاً؛ لأن الأمم متباعدة متقاطعة، يركبون البغال والحمير، فكيف يصل الدين إلى الشرق والغرب؟ لكن لما علم الله أنه سيأتي يوم تصبح فيه البشرية كلها تتلقى الكلمة في ساعة واحدة -وهو الآن- لم يعدد النبوات والرسالات، وقد بلغ القرآن وصوت محمد العالم بأسره، فلا يوجد بلد يقول أهله: لم نعرف الإسلام، بل عرفوا وحاربوه، ولعلي أراهن فمن يرد؟ فتل أبيب ألا يتلى فيها القرآن؟ قد كان يتلى القرآن في روسيا.

نتائج وعبر من محاولات المشركين لثني النبي عن الاستمرار في دعوته

قال: [نتائج وعبر: إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبراً نجملها في الآتي: أولاً: إثبات حيرة المشركين إزاء الدعوة المحمدية وإلى اليوم] إثبات حيرة المشركين من الإسلام والمسلمين وإلى اليوم أيضاً وهم في حيرتهم، وكل يوم يُقننون ويُسنون لإفساد هذه الملة؛ لأن الشيطان واحد.
[ثانياً: بيان استعمال المشركين أسلوب المساومات لإحباط الدعوة وإطفاء نورها] وهذا كان نظام البشرية حتى جاءت روسيا البلشفية التي لا تقبل مساومة ولا مطاولة.
فإبراهيم عليه السلام في بابل قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ [الأنبياء:61] وحاكموه، وهكذا سنة الله في الخلق حتى جاء البلاشفة الحمر من ثمانين سنة لا يفهمون مفاوضات، فإذا لم تعجبهم حالك، أو لم يعجبهم سلوكك فإنهم لا يساوموك أو يطالبوك، ولكن يضربوك أو يقتلوك.

فأيما زعيم يظهر عندهم وعند الذين يعيشون على منهجهم لا يفاوضونه، أو يرقونه، أو يعطونه مالاً، أو يزوجونه كما كانت قريش تقول..

! لا، ولكن يتعاملون معه بالحديد والنار.

[ثالثاً: ثبات النبي صلى الله عليه وسلم ووقوفه كأنه جبل أشم أمام المساومات والتحديات] فقد ساوموه بالزواج والمرأة والمال والمنصب والملك، وهددوه بالقتل والتمزيق.

[رابعاً: شهادة عتبة بن ربيعة بصحة الدعوة المحمدية وسلامتها وأحقيتها وهو من خصومها] هذه الشهادة [لها قيمتها المعنوية كما قيل: (والحق ما شهدت به الأعداء)] فقد بعثوا عتبة يفاوض ويساوم ولما رجع قالوا له: سحرك يا فلان! ولكنه قال كلمته الخالدة، ولهذا قالوا: (والحق ما شهدت به الأعداء)، فشهادة عتبة هذه كانت لها قيمتها.

[خامساً: بيان تعنت المشركين وصلفهم وكبريائهم برفضهم دعوة الحق بعد ثبوتها، ومطالبتهم بأمور ليس تحقيقها من لازم النبوة ولا شرطاً في قبول دعوة الحق] وتذكرون ماذا قالوا في سورة بني إسرائيل: لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً [البقرة:55]، وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعًا * أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيرًا * أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ قَبِيلًا * أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ [الإسراء:90-93] من ذهب أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُه قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا [الإسراء:93].

هذا العروض كلها سُجلت في كتاب الله، وقد عرضوها على الرسول صلى الله عليه وسلم، ولهذا قلت: بيان تعنت المشركين وصلفهم وكبريائهم برفضهم دعوة الحق بعد ثبوتها، ومطالبتهم بأمور ليس تحقيقها من لازم النبوة، ولا شرطاً في قبول دعوة الحق.

[سادساً: بيان خبث أبي جهل وشدة عدائه للنبي صلى الله عليه وسلم، ومحاربته لدعوته] فقد سبه وشتمه عند الصفا، ثم جاء حمزة فضربه حتى فلق رأسه، وعندما قرر أن يضربه وجاء ليفعل ذلك واجه الجمل الأعظم فهرب خائفاً.

إنه فرعون هذه الأمة.

[سابعاً: استحباب قول العبد: (إن شاء الله) فيما يستقبل من قول أو عمل] يستحب لأي متكلم من المؤمنين إذا قال: أفعل كذا، أن يقول: إن شاء الله، أما إذا فعل فلا يقول: فعلت إن شاء الله، وإنما يقول: فعلت والحمد لله.

فإذا قيل له: أصمت اليوم، وقد صام، فإنه يقول: صمت والحمد لله، ولا يقول: صمت إن شاء الله، ولكن ما كان مستقبلاً فإنه يقول فيه: إن شاء الله، وقد عرفتم كيف عاتب الله رسولين عظيمين في هذا الأمر! [ثامناً: بيان تأثير القرآن في نفس من يسمعه متدبراً له متفكراً فيه] فالقرآن يفعل العجب كما فعل في عتبة .

خيبة المشركين تتحول إلى نقمة على المستضعفين من المؤمنين

والآن مع [خيبة المشركين تتحول إلى نقمة على المستضعفين من المؤمنين] لما خابت قريش مع الرسول صلى الله عليه وسلم وانهزمت محاولاتها كلها، انتقمت من أصحابه، أما هو فمنعه الله.

[إنه بعد أن بذلت قريش كل ما في وسعها من قوة وحيلة في إطفاء أنوار الدعوة المحمدية، وباءت بخيبة مريرة، حولت ذلك إلى نقمة على المستضعفين من المؤمنين كبلال و عمار ووالده ياسر وأمه سمية ، و صهيب الرومي ، و خباب بن الأرت و عامر بن فهيرة، و أبي فكيهة ، ومن النساء زنيرة و النهدية و أم عبيس] ما تركوا الرجال ولا النساء.

[أما بلال فكان مملوكاً لـأمية بن خلف الجمحي ، وكان يعذبه بإلقائه في الرمضاء] أي الأرض الحارة [على وجهه وظهره، ويضع الصخرة العظيمة على صدره، وذلك إذا حميت الشمس وقت الظهيرة، ويقول له: لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد، وتعبد اللات والعزى، و بلال صابر يردد كلمة: أحدٌ أحدٌ، وأخيراً استبدله أبو بكر الصديق بعبد مشرك] عنده [وأعتقه رضي الله عنهما] كان عند أبي بكر عبد مشرك، فاحتال وقال لـأمية بن خلف خذ هذا العبد، يساعدك ويناسبك وعلى عقيدتك واترك هذا البهلول، وأعتقه أبو بكر رضي الله عنه.

[وأما عمار وأمه ووالده ياسر ، فقد كانوا يخرجونهم إلى الأبطح إذا حميت الرمضاء يعذبونهم بحرّ الرمضاء، فمر بهم النبي صلى الله عليه وسلم وهم يعذبون فقال: (صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة)] فالرسول صلى الله عليه وسلم لا يملك طاقة أبداً، ولكنه يقول لأصحابه: اصبروا، والزموا الصبر! [فمات ياسر تحت العذاب -رحمه الله

رحمة واسعة- وأما سمية] امرأته أم عمار [فقد أغلظت القول لـأبي جهل] أي: كلمته بكلمات قاسية رضي الله عنها [فطعنها بحربة في قبلها] أي فرجها [فماتت شهيدة، وكانت أول شهيدة في الإسلام] كانت أول شهيدة في الإسلام سمية رضي الله عنها.

[وشدد أعداء الله العذاب على عمار ونوعوا العذاب عليه، فمرة بالجرّ، ومرة بوضع الصخرة على صدره، وأخرى بالغمس في الماء إلى حد الاختناق ويقولون له: لا نتركك حتى تسب محمداً، وتقول في اللات والعزى خيراً.

وفعل ما طلبوه منه فتركوه، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم يبكي، فقال: (ما وراءك؟ فقال: شرٌ يا رسول الله، كان الأمر كذا وكذا، فقال: كيف تجد قلبك؟ قال: أجده مطمئناً بالإيمان، فقال: إن عادوا يا عمار فعد)] أي: أعطهم ما أرادوا، وهم يقولون له: سب محمداً واشكر آلهتنا اللات والعزى.

[وأنزل الله تعالى في قوله من سورة النحل: إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ [النحل:106]] إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ [النحل:106] هذا مستثنى، وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ [النحل:106] أما أن يُكره ثم يقعد يغني معهم ويفرح وينسى الله وذكر الدار الآخرة فلا! ولكن وقلبه مطمئن بالإيمان [وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا [النحل:106]] هذا الذي يؤاخذ.

[وأما خباب فقد أسلم سادس ستة، فقد عذبه المشركون عذاباً شديداً؛ إذ كانوا يلصقون ظهره بالرمضاء ثم بالحجارة المحماة بالنار ويلوون رأسه.

وأما عامر بن فهيرة ، فقد أسلم قديماً قبل دخول الرسول صلى الله عليه وسلم إلى دار الأرقم ، وكان من المستضعفين فعُذب عذاباً شديداً، ولم يرده ذلك عن دينه، وكان يرعى غنماً لـأبي بكر ، وكان يروح بها على النبي صلى الله عليه وسلم و أبي بكر -وهما في الغار، طوال المدة التي كانا فيها في الغار-] لما خرج الرسول صلى الله عليه وسلم مهاجراً مع الصديق اضطرتهم الحال إلى أن دخلوا في غار جبل ثور، فكان أبو فهيرة يروح في الليل بالغنم ويحلب لهم ويعطيهم، وقريش لا تدري.

[وأما أبو فكيهة واسمه أفلح أو يسار فقد كان عبداً لصفوان بن أمية بن خلف الجمحي أسلم مع بلال ، فأخذه أمية بن خلف عليه لعائن الله وربط في رجليه حبلاً وأمر به فجر ثم ألقاه في الرمضاء، ومر به جعل -حشرة معروفة- فقال له أمية : أليس هذا ربك؟ فقال: الله ربي وربك ورب هذا] عندما مرت به هذه الحشرة وهو مغلل مكتف قال له أمية : أليس هذا ربك؟ فقال: الله ربي وربك ورب هذا [فخنقه خنقاً شديداً، وكان معه أخوه أبي بن خلف فيقول: زده عذاباً حتى يأتي محمد فيخلصه بسحره.

ولم يزالوا يعذبونه كذلك حتى أغمي عليه فظنوه مات، ثم أفاق، فاشتراه أبو بكر الصديق وأعتقه.

وأما النساء -زنيرة و أم عبيس و لبيبة و النهدية - فقد عُذبن كذلك أشد العذاب من قبل مواليهن ولم يرجعن عن دينهن، فرضي الله عنهن وأرضاهن].

وصلى الله على نبينا محمد وآله وسلم.

إن النقمة التي كانت في نفوس كفار قريش، والعذاب الذي كانوا يصبونه على المؤمنين، لم يكن مقتصراً على المستضعفين منهم دون غيرهم، ولكنه طال حتى النبي صلوات الله وسلامه عليه، فكان كبارات أهل مكة وصناديدهم لا يتركون مناسبة يمكنهم النيل فيها من رسول الله إلا اهتبلوها، ولا يجدون نوعاً من الأذى يستطيعون به إيلام النبي إلا فعلوه، ولكن الله عز وجل خص هؤلاء الصناديد بعقوبات في الدنيا، فكانوا آية للمعتبرين، فضلاً عما ادخره الله لهم من عذاب الجحيم في الآخرة، جزاء ما كانوا يمكرون.

خيبة المشركين تتحول إلى نقمة على المستضعفين من المؤمنين

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.
أما بعد: فقد انتهى بنا الدرس إلى مقطوعة [خيبة المشركين تتحول إلى نقمة على المستضعفين من المؤمنين] هؤلاء المشركين الذين خابوا على رأسهم أبو جهل عمرو بن هشام ، فقد فعلوا ما استطاعوا أن يفعلوه من أجل إيقاف هذه الدعوة، وإسكات النبي صلى الله عليه وسلم عنها، وقد عرفنا تلك المساومات التي تمت، فلما فشلوا وخابوا، وعرفوا أن الوسائل السلمية لا تنفع، كشفوا عن وجوههم وعذبوا المؤمنين عذاباً ما عذبه أحد غيرهم.
[إنه بعد أن بذلت قريش كل ما في وسعها من قوة وحيلة في إطفاء أنوار الدعوة المحمدية وباءت بخيبة مريرة] من ثم [حولت ذلك إلى نقمة على المستضعفين من المؤمنين] وهم أقلية يومها، وهؤلاء الذين نكلت بهم وعذبتهم [كبلال] مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبلال كان مولى من الموالي، ولكن الله رفع شأنه وأعلى قدره؛ لصبره على مر العذاب وأليمه، وما تراجع أبداً، بل مضى في طريقه يعلنها واضحة صريحة: أنه أحد لا أعبد إلا الله.
[و عمار ووالده ياسر وأمه سمية] هذه أسرة كلها عذبت؛ الأب والابن والأم، وما كانوا من أشراف قريش ولكن موالي مستضعفين [و صهيب الرومي ، و خباب بن الأرت و عامر بن فهيرة ، و أبي فكيهة ، ومن النساء زنيرة و النهدية و أم عبيس] هؤلاء كلهم أذاقتهم قريش مر العذاب؛ انتقاماً منهم؛ لأنها فشلت في المحاولات السلمية، فأرادوا أن يُسكتوا الرسول صلى الله عليه وسلم بكل وسيلة، فعرضوا عليه الملك ورفض، وعرضوا عليه النساء، وعرضوا عليه الأموال.

.
وكل ما حاولوا أن يسكتوه به ما أسكته، فمن هنا اشتد غضبهم وأخذوا يعذبون وينكلون بالمستضعفين من المؤمنين.
[أما بلال فكان مملوكاً لـأمية بن خلف الجمحي] كان عبداً له؛ إذ كان الناس يملكون العبيد [وكان يعذبه بإلقائه في الرمضاء] وهي الأرض الحارة، وذلك في أيام الصيف وقت القيلولة [على وجهه وظهره، ويضع الصخرة العظيمة على صدره، وذلك إذا حميت الشمس وقت الظهيرة، ويقول له: لا تزال هكذا] أي تعذب في الرمضاء على ظهرك وبطنك [حتى تموت أو تكفر بمحمد] صلى الله عليه وسلم [وتعبد اللات والعزى] أي: كما عبدوها هم [و بلال صابر يردد كلمة] وهي [أحدٌ أحد، وأخيراً استبدله أبو بكر الصديق بعبد مشرك] عنده [وأعتقه رضي الله تعالى عنهما] وهذه من مكارم أبي بكر رضي الله عنه، فقد استبدله بعبد عنده يملكه لكنه مشرك، وخلص بلال من تلك الفتنة.
[وأما عمار وأمه ووالده ياسر ، فقد كانوا يخرجونهم إلى الأبطح] المعروف الآن [إذا حميت الرمضاء] واشتدت حرارتها [يعذبونهم بحر الرمضاء] الملتهب [فمر بهم النبي صلى الله عليه وسلم وهم يعذبون فقال: (صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة) فمات ياسر تحت العذاب رحمه الله رحمة واسعة] ولا يفوتني أن أقول: إن هذا العذاب صدر من كفرة مشركين وثنيين، لا علم لهم ولا بصيرة ولا قراءة، ويبلغنا اليوم عن إخواننا المسلمين أنهم يعذبون عذاباً هذا

العذاب ليس شيئاً بالنسبة إليه، ولهذا كما قال القائل: (كفار قريش يعتبرون أشراف الكفار)، ووالله إن عذاباً يصب على المسلمين في سجونهم أشد من عذاب المشركين للمؤمنين، وهم يدّعون الإسلام والإيمان أيضاً.
[وأما سمية فقد أغلظت القول لـأبي جهل] أي: قالت كلمة قاسية غليظة لم يطقها أبو جهل [عليه لعائن الله، فطعنها بحربة في قبلها فماتت شهيدة] طعنها بحربة في فرجها فماتت [وكانت أول شهيدة في الإسلام].
اللهم اجمعنا بهم في دار السلام.
[وشدد أعداء الله العذاب على عمار ونوعوا العذاب عليه، فمرة بالجر، ومرة بوضع الصخرة على صدره، وأخرى بالغمس في الماء إلى حد الاختناق ويقولون له: لا نتركك حتى تسب محمداً] صلى الله عليه وسلم [وتقول في اللات والعزى خيراً] أي تمدحها، واللات والعزى صنمان يعبدان بين المشركين [وفعل ما طلبوه منه] أي: أعطاهم ما طلبوا، فسب النبي صلى الله عليه وسلم بلسانه، ومدح اللات والعزى بلسانه، وقلبه لم يصل إليه من ذلك شيء [فتركوه، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم يبكي] لما خلص من عذابهم بما أعطاهم وهو سب النبي صلى الله عليه وسلم ومدح اللات والعزى أتى النبي صلى الله عليه وسلم يبكي، وحق له أن يبكي [فقال] له النبي صلى الله عليه وسلم [(ما وراءك؟ فقال: شر يا رسول الله)] عندما بكى بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم استفهمه: ما وراءك؟ فقال: شر يا رسول الله [(كان الأمر كذا وكذا)] أي: ألزموني أن أقول فيك كذا، وأقول في اللات والعزى كذا تحت العذاب [(فقال)] له الرسول صلى الله عليه وسلم: [(كيف تجد قلبك؟)] الآن وساعة ما كنت تعطيهم ما طلبوا [(قال: أجده مطمئناً بالإيمان)] أي: ساكناً لا قلق ولا اضطراب، لا وسواس ولا شك ولا هواجس [(فقال: إن عادوا يا عمار فعد)] أي: إن عادوا إليك يعذبونك حتى تقول ما طلبوا منك فعد وأعطهم [وأنزل الله تعالى فيه قوله من سورة النحل: إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ [النحل:106]].
أما ما يؤثر عن والده وهو تحت العذاب، هو أنهم طالبوه بأن يسب النبي صلى الله عليه وسلم أو يمدح اللات والعزى فقال: (والله ما كنت لألوث لساني بالكفر بعد أن طهره الله بالإيمان)، ومات تحت العذاب.
وفي بلاد المسلمين يحرقون للشبيبة وجوهها بالحديد والنار، فماذا يصنعون؟ نقول لهم: إذا كنت تعذب في ذات الله فاحلق وأنت كاره لذلك وقلبك مطمئن بأن هذا الهدي المحمدي ينبغي أن يوجد وأن يكون بين المؤمنين، فمن لا يطيق العذاب يكفيه هذه الفتيا الإلهية: إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ [النحل:106] ولا حرج، وإن عادوا عد كما قالها الرسول صلى الله عليه وسلم لـعمار ، وهكذا في أي زمان أو مكان عذب فيه المؤمن وطلب منه كلمة من أجل أن يخفف عنه العذاب فلا بأس أن يقولها؛ لأنها باللسان فقط وقلبه مؤمن مطمئن ثابت، وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا [النحل:106] فهذا الذي يؤاخذ، هذا الذي يعذب يوم القيامة؛ لأنه فرح بكلمة الكفر وتلذذ بها، وصدره منشرح لما قال.
[وأما خباب فقد أسلم سادس ستة، فقد عذبه المشركون عذاباً شديداً؛ إذ كانوا يلصقون ظهره بالرمضاء ثم بالحجارة المحماة بالنار ويلوون رأسه] وما رده ذلك عن الإسلام.
[وأما عامر بن فهيرة فقد أسلم قديماً قبل دخول الرسول صلى الله عليه وسلم إلى دار الأرقم] بمكة [وكان من المستضعفين فعُذب عذاباً شديداً، ولم يرده ذلك عن دينه] بل صبر واحتسب [وكان يرعى غنماً لـأبي بكر] رضي الله عنه [وكان يروح بها على النبي صلى الله عليه وسلم و أبي بكر -وهما في الغار طوال المدة التي كانا فيها في الغار-] لأن قريشاً أصدرت حكمها بالإعدام على رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار الندوة، فبعد أن اجتمعوا وتداولوا هذه القضية من كل جانب، اتفقت الكلمة على قتل النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن مع الرسول ربه عز وجل.
وفجأة طُوقت الدار بأربعين شاباً، يريدون بذلك أن يوزعوا دمه على القبائل كلها، حتى لا يبقى لبني هاشم ما يطالبون به، ومن عجيب ما كان أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لـعلي -ابن عمه-: نم على فراشي.
حتى إذا شاهدوه ظنوا أنه النبي صلى الله عليه وسلم، ثم أخذ حفنة من تراب وخرج ورمى بها في وجوههم وقال: شاهت الوجوه! فما زالوا ينفضون التراب ويزيلونه من أعينهم حتى مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى دار أبي بكر الصديق ، وقد اتفق معه من قبل على الهجرة، وكان أبو بكر رضي الله عنه يقول للرسول صلى الله عليه وسلم: الصحبة الصحبة يا رسول الله؛ إذ سبق المهاجرون الأولون و أبو بكر صابر يريد أن يبقى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان يقول له: الصحبة يا رسول الله! أصحبك في هجرتك، أو اصحبني في هجرتك.

فلما أُعد لهم الطعام الكافي -والتي قامت بهذا هي أسماء بنت أبي بكر الصديق - ولما لم تجد ما تربط به الكيس شقت نطاقها نصفين وربطت ببعضه، فمن ثم لقبت بذات النطاقين، فإذا قيل: من الصحابية الملقبة بذات النطاقين؟ قل: إنها أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها.

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر إلى جبل يقال جبل ثور وفيه غار، فدخلا فيه ثلاثة أيام، كان وقتها عامر بن فهيرة يروح عليهم في الليل بالغنم فيحلب لهم ويعطيهم، وهذه فضيلة من فضائل عامر بن فهيرة .

ولعل بعض السامعين لا يعرفون دار الأرقم، دار الأرقم هذه لما منعت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين من أن يعلنوا عن إيمانهم ويجاهروا به، ومنعوهم من المسجد والبيت، اضطر النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن ينزل بدار رجل من المؤمنين يقال له: الأرقم بن أبي الأرقم ومكث فيه، ومن أراده أتى إليه في ذلك البيت، حتى أسلم حمزة و عمر رضي الله عنهما، وحينئذ خرجوا جهرة، ونزل قول الله تعالى: فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ * إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ [الحجر:94-95].

[وأما أبو فكيهة واسمه أفلح أو يسار فقد كان عبداً لصفوان بن أمية بن خلف الجمحي أسلم مع بلال ، فأخذه أمية بن خلف عليه لعائن الله وربط في رجليه حبلاً وأمر به فجر ثم ألقاه في الرمضاء، ومر به جعل -حشرة معروفة- فقال له أمية : أليس هذا ربك؟ فقال: الله ربي وربك ورب هذا، فخنقه خنقاً شديداً] على هذا الرد الذي رده [وكان معه أخوه أبي بن خلف فيقول: زده عذاباً حتى يأتي محمد] صلى الله عليه وسلم [فيخلصه بسحره] وهذه الكلمات يمليها الشيطان، ولهذا يوجد هذا الكلام الآن بالحرف الواحد، فالذين يُعذبون في العالم من المسلمين يُقال لهم هذا الكلام، بل وأكثر من هذا الكلام [ولم يزالوا يعذبونه كذلك حتى أغمي عليه فظنوه مات، ثم أفاق، فاشتراه أبو بكر الصديق وأعتقه].

[وأما النساء زنيرة و أم عبيس و لبيبة و النهدية فقد عُذبن كذلك أشد العذاب من قبل مواليهن] وأسيادهن [ولم يرجعن عن دينهن، فرضي الله عنهن وأرضاهن].

نتائج وعبر من خيبة المشركين في عدائهم للدعوة المحمدية

قال: [نتائج وعبر: إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبراً نذكرها إزاء الأرقام التالية] وقد أجملت في أربعة أرقام [أولاً: تقرير وتأكيد معنى قوله تعالى: أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ [العنكبوت:2]] إياك أن تفهم أنك ستقول: آمنت، وتجاهر بإسلامك وإيمانك ثم لا تمتحن! فلا بد من ذلك، قال الله عز وجل: أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ [العنكبوت:2] لا بد من التمحيص.

وقد دل على هذا ما سمعتم.

[ثانياً: بيان ما لاقاه المستضعفون المؤمنون من ألوان العذاب] ليكون ذلك عبرة نعتبر بها [ولم يردهم ذلك عن دينهم] لاقوا مر العذاب لكن هل انتكس أحد منهم وارتد، وكفر بالله ورسوله؟ لا.

[ثالثاً: بيان أن أول شهيد في الإسلام كان سمية أم عمار رضي الله عنها.

رابعاً: بيان ما كان عليه طغاة المشركين من شدة وغلظة وحنق على المسلمين، وما أنزلوه من عذاب بالمستضعفين من الموالي والعبيد نساء ورجالاً].

وقد بلغنا أن عذاباً ما عرفته البشرية يصب على المسلمين في البوسنة والهرسك، ولا لوم ولا عتاب! فهم كفار، والكافر يفعل ما طاب له، فكيف يخاف الله رب العالمين وما آمن به؟ وكيف يخاف نقم الله وما آمن بالله؟! إن المحنة محنة الكفر! أما الإسلام والمسلمون فوالله لا يصدر عنهم عذاب مثل هذا العذاب أبداً، فقد أمرنا إذا أردنا أن نقتل بأن نحسن القتلة، وإذا أردنا أن نذبح بأن نحسن الذبحة، أما التمزيق والتقطيع والعذاب فلا يعرفه الإسلام، ولن يكون بين المسلمين، إن المسلمون هم الذين أسلموا وحسن إسلامهم، وعرفوا الله وآمنوا به واستقاموا على منهجه، أما دعوى الإسلام فلا قيمة لها.

المستهزئون بالحبيب صلى الله عليه وسلم وما أنزل الله تعالى بهم من أليم العذاب

قال: [المستهزئون بالحبيب صلى الله عليه وسلم وما أنزل الله تعالى بهم من أليم العذاب] عرفنا ما أصاب المستضعفين، فهيا بنا نعرف ما نال سيد المرسلين، وما أنزل الله تعالى من العذاب بمن آذاه.

[إن تلك النقمة -التي أنزلها المشركون بالمستضعفين من المؤمنين- لم تكن في الحقيقة خاصة بالمستضعفين، بل هي عامة في كل المؤمنين] في مكة [وعلى رأسهم سيد العالمين، الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم، إلا أن الأحرار من المؤمنين كان لهم من المنعة ما جعل المشركين لا يقدرون على أن يعذبوهم مثل تعذيب المستضعفين من العبيد والإماء والموالي والأغراب] فالأحرار من المؤمنين في مكة ليسوا كالعبيد والموالي، فقريش تهابهم وتخافهم لأجل من وراءهم من رجالات.

[وإلا فإنه لم يسلم مؤمن واحد من التعذيب والاضطهاد والاستهزاء به والسخرية منه.

وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سُخر منه واستهزئ به، وسب وشتم، ونال منه المشركون ما لم ينالوه من كثير من المؤمنين، وكان شر من استهزأ برسول الله صلى الله عليه وسلم من عناهم الله تعالى بقوله من سورة الحجر: إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ * الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ [الحجر:95-96]] كفاه إياهم؛ إذ جمعهم الله في بدر وهلكوا فيها، ثم رُموا وألقي بهم في القليب المعروف.

[وها هي ذي أسماؤهم عليهم لعائن الله مع بيان حالهم نهاية حياتهم [أولاً: أبو لهب : وهو عبد العزى بن عبد المطلب ، وهو عم النبي صلى الله عليه وسلم، وكان من أشد الناس تكذيباً لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأكثرهم أذى له، حتى إنه كان يطرح العذرة والنتن على باب النبي صلى الله عليه وسلم إذ كان مجاوراً له] بيته بجوار بيته [وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا وجد ذلك يقول: (أي جوار هذا يا بني عبد المطلب؟)] يعني: إذا كان يفعل بالجار هذا الفعل فأي جوار بقي؟! لا قيمة إذاً للجوار.

[ومر حمزة مرة بـأبي لهب] وحمزة عم النبي صلى الله عليه وسلم أيضاً وهو أخ لـأبي لهب [وهو يطرح العذرة على باب النبي صلى الله عليه وسلم] والعذرة هي الخِرء [فأخذها وطرحها على رأس أبي لهب] يعني أنت وضعتها على عتبة الباب وأنا أضعها على رأسك، هذا حمزة فأين هو الآن؟ في دار السلام، وأين مضجعه؟ عند أحد. وهو سيد الشهداء رضي الله عنه.

[وكانت امرأته أم جميل العوراء] امرأة أبي لهب يقال لها أم جميل وهي عوراء [مثله] أي مثل زوجها [في عداوة الرسول صلى الله عليه وسلم وشدة بغضه، وقد لقبها الرحمن في كتابه بحمالة الحطب] لقبها الرحمن جل جلاله وعظم سلطانه في كتابه -أي: القرآن العظيم- بحمالة الحطب [وهي القائلة: مذمماً عصينا وأمره أبينا ودينه قلينا] تغني بهذا لتشفي به صدرها.

فلا تقول محمداً، ولكن: مذمماً، وأمره أبينا أي: رفضنا، ودينه قلينا يعني تركنا.

[قالت هذا لما نزلت سورة المسد تحمل البشرى لها ولزوجها بالهلاك في الدنيا والخلود في النار في الآخرة، فقد أتت تطلب الرسول صلى الله عليه وسلم -وفي يدها فهر- أي: حجر كبير على قد الكف، وتقف عليه ولم تره حيث ذهب الله ببصرها] جاءت بحجر تريد أن تضرب به النبي صلى الله عليه وسلم وعندما وصلت عميت فلم تره.

[ورأت أبا بكر فقالت له: أين صاحبك؟ فقد بلغني أنه يهجوني] والهجاء معروف، فلما نزلت سورة المسد وفيها حَمَّالَةَ الْحَطَبِ * فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ [المسد:4-5] قالت أم جميل لـأبي بكر : بلغني أن صاحبك يهجوني [ووالله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه] يعني تضرب فم الرسول صلى الله عليه وسلم الذي نطق بالهجاء -كما تزعم هي- عجب! [أما والله إني لشاعرة] ادعت أنها فحلة تنضم الشعر وتقوله [ثم قالت: مذمماً عصينا وأمره أبينا ودينه قلينا] أي تركنا، هذا هو شعرها.

[وأخذ الله جل جلاله أبا لهب بمكة إذ أصابه بمرض خبيث يقال له: مرض العدسة، وكان ذلك يوم هزيمة المشركين ببدر] فلم يحضر بدراً، لكن أصيب بهذا المرض في مكة [فما إن بلغه خبر هزيمة قومه حتى أصيب بمرض العدسة] لما سمع أن المشركين انهزموا في وقعة بدر من شدة الألم والكرب أصيب بهذا المرض (مرض العدسة) [فمات شر ميتة حتى إنهم لم يقدروا على تغسيله، فصبوا عليه الماء من بعيد من شدة الرائحة الكريهة التي تفوح من جسمه الذي نضج وتهرى بصورة لم يعرف لها نظير] وكيف لا والله يقول: تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ [المسد:1].

[ثانياً: الوليد بن المغيرة المخزومي] من بني مخزوم، من جماعة أبي جهل [وهو القائل لقريش: إن الناس يأتونكم في الحج فيسألونكم عن محمد، فلا تختلف أقوالكم فيه بأن يقول بعض: هو شاعر، وآخر يقول هو كاهن، و....و...، ولكن قولوا كلمة واحدة: هو ساحر] يعني الحج مقبل، ووفود الحجاج من كل جهة، فإياكم أن تختلفوا في تسميته،

ولكن قولوا: كلمة واحدة، وهي: أنه ساحر، حتى لا يُتابع ويمشى وراءه أو يقبل دينه [لأنه يفرق بين المرء وأخيه وزوجته، وكان سبب هلاكه: أن وطئ سهماً فخدشه فتورمت رجله، ومات بذلك شر ميتة، وكفى الله رسوله شره وشر كل مستهزئ بحبيبه صلى الله عليه وسلم.

[ثالثاً] هذه قائمة بالمجرمين العظام [أبو جهل عمرو بن هشام المخزومي : وكان من أشد الناس عداوة للرسول صلى الله عليه وسلم واسمه عمرو ، وكنيته أبو الحكم ، وكناه المسلمون بأبي جهل لخبثه وسوء أفعاله وقبيح صنائعه، هلك ببدر قتله ابنا عفراء] شابان مؤمنان هما اللذان قتلاه [واحتز رأسه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه] لما سقط كالبعير عبد الله بن مسعود أراد أن يأخذ رأسه، ويقول للرسول صلى الله عليه وسلم هذا هو الطاغية فرعون هذه الأمة، فحاول وما استطاع؛ لأن عبد الله بن مسعود كان رجلاً ضعيفاً قصير القامة، فلما حاول أن يقطع رأس أبي جهل لم يستطع، فقال أبو جهل : خذ سيفي واقطع رأسي بسيفي، فأخذ سيف أبي جهل وقطع به رأسه [إذ كان يُعيره بابن راعية الغنم] كان أبو جهل يُعير عبد الله بن مسعود ويسخر منه بمكة ويقول له: يا ابن راعية الغنم.

[وهو القائل: لئن سب محمد آلهتنا سببنا إلهه، فأنزل الله تعالى من سورة الأنعام قوله: وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ [الأنعام:108].

رابعاً: النضر بن الحارث : وكان من أشد الناس تكذيباً للنبي صلى الله عليه وسلم وأذىً له ولأصحابه، وكان يقرأ كتب الفرس ويخالط اليهود والنصارى، ولما سمع ذكر النبي] صلى الله عليه وسلم [المنتظر وقُرب مبعثه قال: إن جاءنا نذير لنكونن أهدى من إحدى الأمم، مصداقُ قوله هذا في قوله تعالى من سورة فاطر إذ قال تعالى: وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا * اسْتِكْبَارًا فِي الأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ [فاطر:42-43]] لمخالطته اليهود والنصارى علم أن نبي آخر الزمان قد أظل زمانه، فهو يقول: إن جاءنا نذير لنكونن أهدى من اليهود والنصارى، فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا [فاطر:42] والعياذ بالله تعالى اسْتِكْبَارًا فِي الأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ [فاطر:43].

[وهو القائل: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ [الأنفال:32]] النضر بن الحارث هو الذي قال هذه الكلمة، وسجلها الله في كتابه [وهو المعني بقوله تعالى: سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ * لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ * مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ [المعارج:1-3]، وهو المعني بقول الله تعالى من سورة لقمان: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا [لقمان:6]] نزلت ثلاث آيات في النضر بن الحارث ؛ لأنه تنصر وتهود وعاش مع أهل الأديان الأخرى.

[هلك هذا الطاغية ببدر إذ أسره المقداد بن الأسود ، وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بضرب عنقه لكثرة شره، فقتله علي رضي الله عنه.

خامساً: عقبة بن أبي معيط : الأموي ، وكان من أشد الناس أذىً لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعداوة له وللمسلمين، وهو الذي وضع سلا الجزور بين كتفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي عند البيت ورجالات قريش يضحكون حتى جاءت فاطمة وكانت] يومها [جويرية صغيرة فنحته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ونالت منه سباً وانصرفت رضي الله عنها وأرضاها] بينما كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي حول الكعبة خرج عقبة بن أبي معيط إلى الصفا فوجد سلا لناقة ولدت هناك، فجاء به ووضعه بين كتفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ساجد، ورجالات قريش يضحكون ويتمرغون على الأرض، فجاءت فاطمة وكانت صغيرة فنزعته من على ظهر أبيها، ثم نالت منهم سباً وشتماً، وكانوا لا يستطيعون أن يفعلوا مع بنت كهذه شيئاً.

[هلك هذا الطاغية الخبيث ببدر حيث أُسر بها وصلب، وهو أول مصلوب في الإسلام، وكان أحيمراً أزرق العينين، شبهه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعاقر ناقة صالح قدار بن سالف عليهما معاً لعائن الله] الرسول صلى الله عليه وسلم قال عنه: هذا كقدار بن سالف الذي عقر ناقة صالح في الزمان الأول.

[سادساً: الأسود بن عبد يغوث الزهري : كان من المستهزئين، وكان إذا رأى فقراء المسلمين قال لأصحابه: هؤلاء ملوك الأرض الذين يرثون ملك كسرى] سبحان الله! وكان ما قال، فراسة عجيبة! [وكان يقول للنبي صلى الله عليه وسلم مستهزئاً به: أما كُلِّمت] اليوم [من السماء يا محمد؟!] يستهزئ بالوحي؛ لأنه لم يؤمن به [خرج عدو الله من أهله يوماً فأصابه السموم فاسود وجهه، وأصابته الآكلة (مرض) فامتلأ جسمه قيحاً فمات شر ميتة، فلا رحمه الله، ولا خفف عنه -يوماً- عذابه.

سابعاً: الحارث بن قيس السهمي : وكان أحد المستهزئين بالنبي صلى الله عليه وسلم الذين لا يبرحون يؤذونه طوال حياتهم، وكان لجهله وشدة شغفه بالأوثان يأخذ الحجر يعبده، فإذا رأى غيره أحسن منه تركه وعبد غيره مما رآه أحسن في نظره، وكان يقول: قد غر محمد أصحابه ووعدهم أن يحيوا بعد الموت، والله ما يهلكنا إلا الدهر.
وفيه نزل قوله تعالى من سورة الجاثية: أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ * وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ [الجاثية:23-24]] هذه نزلت في هذا الطاغية.
[وهلك هذا الطاغية الملحد الدهري بالذبحة، إذ أكل حوتاً مملوحاً فلم يزل يشرب حتى مات، وقد امتلأ رأسه قيحاً فكانت ميتته شر ميتة وأنكرها].
ثامناً: أبي و أمية ابنا خلف] أخوان شقيقان [وكانا من أشد الناس أذية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعداوة له ولأصحابه، واستهزاء بدين الله؛ إذ جاء أبي عليه لعائن الله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي يده عظم، ففتته بيده وقال] للرسول صلى الله عليه وسلم [زعمت أن ربك يحيي هذا العظم! وفيه نزلت آية يس: قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ [يس:78-79]].
[وضع عقبة بن أبي معيط طعاماً ودعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (لا أحضره حتى تشهد أن لا إله إلا الله) ففعل، فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال أمية بن خلف لعقبة : أقلت كذا وكذا؟ فقال: إنما قلت ذلك لطعامنا، فنزلت آية الفرقان: وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَا وَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلًا [الفرقان:27-28]] لأن اتخاذه هو الذي سبب له هذا الهلاك [لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولًا [الفرقان:29].
وهلك أمية يوم بدر مرذولاً مخزياً شر ميتة، وهلك أخوه أبي بطريق مكة، إذ ضربه الرسول صلى الله عليه وسلم بحربة في ترقوته في أحد، فهلك بها في طريقه إلى جهنم وبئس المصير.
عاشراً: أبو قيس بن الفاكه بن المغيرة : وكان ممن يؤذي النبي صلى الله عليه وسلم، ويعين أبا جهل على ذلك، هلك] هذا الطاغية [ببدر على يد حمزة عم الحبيب صلى الله عليه وسلم ورضي الله عن حمزة ومن ترضى عن حمزة] مؤمناً [موقناً موحداً لا يشرك بالله شيئاً.
الحادي عشر: العاص بن وائل السهمي : والد عمرو بن العاص رضي الله عنه، وكان من المستهزئين، وهو القائل لما مات القاسم بن النبي صلى الله عليه وسلم: إن محمداً أبتر لا يعيش له ولد ذكر، فأنزل الله تعالى في سورة التكاثر: إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ [الكوثر:1-3]] أي: إن مبغضك هو الأبتر لست أنت.
وقد [هلك] العاص (العاصي) اسماً ومسمى معاً [بمكة بسبب لدغة في رجله انتفخت لها رجله حتى صارت كعنق البعير، فمات بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة بشهر وكذا يوماً ..هلك إلى جهنم وبئس المصير.
الثاني عشر والثالث عشر: نبيه و منبه ابنا الحجاج السهميان: وكانا من المستهزئين المؤذين لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين أيضاً، وكانا إذا لقيا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولان له: أما وجد الله من يبعثُهُ غيرك؟ إن هاهنا من هو أسن منك وأيسر.
هلك كل منهما ببدر، فقتل علي رضي الله عنه منبهاً والآخر لا يدرى من قتله، فإلى سخط الله وعذابه دائماً وأبداً، وذلك جزاء المستهزئين.
الرابع عشر: الأسود بن المطلب بن أسد : ويكنى أبا زمعة ، كان من المستهزئين؛ إذ كان مع أصحابه يتغامزن بالنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ويقولون: قد جاءكم ملوك الأرض، ومن يغلب على كنوز كسرى وقيصر، ويصفرون به ويصفقون؛ لهواً وضحكاً وسخرية، دعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعمى ويثكل ولده] أي: يفقد ولده [فعمي وثكل ولده ومات بمكة، والناس يتجهزون لأحد وهو يحرض الكفار على الخروج مع ما هو عليه من المرض من شدة بغضه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ودين الله، فهلك أعمى أثكل إلى جهنم وبئس المصير.
الخامس عشر: طعيمة بن عدي بن نوفل : كان ممن يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويشتمونه ويكذبونه، أسر ببدر وقتل صبراً بها، فإلى جهنم وبئس المصير.

السادس عشر: مالك بن الطلاطلة بن عمرو بن غبشان : من المستهزئين، وكان سفيهاً، فدعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم فمات بمكة بعدما امتلأ رأسه قيحاً، فإلى جهنم وبئس المصير.
السابع عشر: ركانة بن عبد يزيد : وكان شديد العداوة للنبي صلى الله عليه وسلم والاستهزاء به، فقال يوماً للرسول صلى الله عليه وسلم: يا ابن أخي، بلغني عنك أمر ولست بكذاب، فإن صرعتني علمت أنك صادق -ولم يكن يقدر على صرعه أحد- فصارعه النبي صلى الله عليه وسلم وصرعه ثلاث مرات، ودعاه إلى الإسلام، فأبى أن يُسلم وقال: لا أسلم حتى تدعو هذه الشجرة، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أقبلي) فأقبلت تخد الأرض، فقال ركانة : ما رأيت سحراً أعظم من هذا، مُرها فلترجع، فأمرها صلى الله عليه وسلم فعادت إلى مكانها، فقال ركانة : هذا سحر عظيم.
قال ابن الأثير : هؤلاء أشد عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومن عداهم من رؤساء قريش كانوا أقل عداوة من هؤلاء كعتبة و شيبة ابني ربيعة وغيرهما.
وهناك جماعة كانوا شديدي الأذى والعداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ولكنهم آمنوا وأسلموا وحسن أسلامهم كأبي سفيان بن حرب والحكم بن أبي العاص ، وعبد الله بن أبي أمية المخزومي أخي أم سلمة لأبيها رضي الله عنهما].

نتائج وعبر من عاقبة المستهزئين بالله أو آياته أو رسوله

[نتائج وعبر: إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة من النتائج والعبر ما نوجزه فيما يلي: أولاً: تقرير أن الاستهزاء بالله أو آياته أو رسوله كفر موجب للخلود في العذاب كما أن الاستهزاء بالمؤمنين موجب لغضب الله وسخطه على فاعله.
ثانياً: بيان ما نال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أذى المشركين، وكيف قابله رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصبر حتى نصره الله فأعزه وأعز دينه وأذل المشركين وأبطل دينهم.
ثالثاً: تقرير سنة الله في أن أشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل.
رابعاً: بيان صدق وعد الله تعالى لرسوله في قوله: إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ [الحجر:95] فقد كفاه إياهم بأن أهلكهم كلهم والرسول صلى الله عليه وسلم يشاهد هلاكهم، وفي فترة وجيزة، وزمن قليل.
خامساً: إن الآيات والمعجزات لا تستلزم الإيمان فقد رأى ركانة أعظم آية وما آمن].
وصلى الله على نبينا محمد وآله وسلم.

لما أن أزداد أذى المشركين للمؤمنين المستضعفين، ولم يستطع النبي صلى الله عليه وسلم أن يرد عنهم بطش الكافرين، أمرهم بالهجرة فراراً بدينهم، وحفاظاً على حياتهم، فأمرهم بالهجرة إلى الحبشة، وأخبرهم أن فيها ملكاً على دين المسيح لا يظلم عنده أحد، فخرجت أول كوكبة منهم متوجهين إلى أرض الحبشة، يحملون معهم الدين الحنيف، وسكنوا في جوار النجاشي، الذي أمنهم على أنفسهم، فأصبحوا يعبدون الله عز وجل دون خوف ولا استخفاء.

أول هجرة في الإسلام

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فقد انتهى بنا الدرس إلى مقطوعة [أول هجرة في الإسلام] وما المراد من الهجرة؟ الهجرة: أن ينتقل المسلم من موطن أو بلد أو موضع لا يستطيع أن يعبد الله تعالى فيه إلى بلد آخر يتمكن فيه من عبادة الله عز وجل، فإذا عجز أن يعبد الله في مكان -وهو خُلق لهذه العبادة- تعين عليه أن يرحل إلى مكان آخر يتمكن فيه من عبادة الله عز وجل.

ومن هنا: لو وجد المرء نفسه في منزل أو عمارة يرى أنه لو بقي فيها عصى الله تعالى وجب عليه أن يهجر هذا المنزل إلى آخر، فضلاً عن أن يكون في بلد أو في ديار أو مع قوم لم يمكِّنوه من أن يعبد الله عز وجل، فالهجرة هنا واجبة لازمة.

وإن مات تاركاً لعبادة الله مؤثراً الموطن أو الإخوان أو المال فالله عز وجل يقول: إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ [النساء:97] بأي ظلم ظلموها؟ بأكل الحرام وكسب الكبائر والآثام؛ من أجل البقاء في الموطن، فتركوا ذكر الله، ووقعوا في الشرك والكفر بآيات الله.

هذا هو الظلم للنفس.

قال تعالى: (إن الذين توفاهم) وتوفاهم حذفت منه التاء والتقدير: (تتوفاهم الملائكة) أي: ملك الموت وأعوانه، (ظالمي أنفسهم) أي: حال كونهم ظالمي أنفسهم، قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ [النساء:97]، قالت الملائكة لهم عند قبض أرواحهم: (فيم كنتم)، وما هذه الظلمة والأوساخ والعفن، قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ [النساء:97] فما تمكنا من عبادة الله، وغُلبنا وقُهرنا، فلا طهرت أرواحنا ولا زكت نفوسنا، فتقول الملائكة موبخة مؤنبة لهم: أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا [النساء:97] أي: لا عذر لكم في هذا أبداً.

فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا * إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا * فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا [النساء:99]، وتأملوا لم هذا؟ تفكروا يا معاشر المستمعين والمستمعات! أننا خلقنا وخلقت الأكوان والجنة والنار والكل من أجل أن يعبد الله، فإذا تعطلت العبادة كانت كنكث الأكوان كلها؛ فلهذا لو تركت أهلك ومالك وسلطانك ودولتك وكل ما تملك .

.

ورحلت من أجل أن تعبد الله ما زدت على أن أديت واجباً أوجبه الله عليك، هذه هي الحقيقة! وإن شئتم حلفت بالله لكم على ذلك، أما قال تعالى: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ [الذاريات:56]، فأي مانع يمنع من العبادة معناه تعطيل لسر الحياة بكاملها، وستسمعون كيف هاجر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكيف أُمروا بالهجرة وأُذن لهم فيها.

إذاً: معاشر المستمعين! إن مجلساً فقط يضمك مع أناس سفهاء يقولون الباطل وينطقون بالسوء، يجب عليك أن تهجره، وحرام عليك أن تبقى فيه إيثاراً لمعنى من المعاني أو مصلحة من المصالح.

قال المؤلف غفر الله له ولكم ورحمه وإياكم والمؤمنين: [أول هجرة في الإسلام: إنه بعد أن جهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بدعوته] إذ قضى ثلاث سنوات يدعو سراً -في الخفاء- في دار الأرقم بن أبي الأرقم والتي هي الآن عبارة عن مكتبة عمومية تابعة لوزارة الأوقاف، تلك هي دار الأرقم بن أبي الأرقم ، كان الرسول صلى الله عليه وسلم مختبئاً فيها، ويجيء من شاء الله مجيئه إليه ويسمع عنه ويدخل في رحمة الله [وكثر عدد المسلمين] لما جهر في السنة الخامسة أو الرابعة من الدعوة كثر عدد المسلمين -قطعاً- و[ازداد حنق المشركين على المسلمين، وبسطوا أيديهم وألسنتهم بالسوء] اليد بالضرب، واللسان بالبذاءة والقول السيئ كالتقبيح والتعيير.

[ورأى النبي صلى الله عليه وسلم أنه غير قادر على حمايتهم] علم صلى الله عليه وسلم -فداه أبي وأمي- أنه لا يستطيع حماية إخوانه ولا يقدر على ذلك؛ لضعفه وقلة أنصاره، وكثرة العدو [فأذن لهم في الهجرة إلى الحبشة] أي: لا بأس لمن تضايق وما استطاع أن يتحمل السب والشتم والضرب والتجويع أن يلتحق بالحبشة [فقال لهم -فداه أبي وأمي-] (والعالم أجمع) وهذه من بدعنا، فما سمعنا من قالها أو كتبها، فإن شئتم أنكروها، أما أنا فأقول: فداه أبي وأمي والعالم أجمع، فالكل لا يفدي رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال صلى الله عليه وسلم: [(لو خرجتم إلى أرض الحبشة)] أي: لو خرجتم من هذا الضيق والمضايقة إلى أرض الحبشة [(فإن فيها ملكاً لا يُظلم أحد عنده)] وهل عرف هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم بواسطة الأخبار والأنباء والتجار الذين يترددون على المنطقة؟ لا.

فلا حاجة إلى هذا وجبريل يتردد عليه ويأتيه بالأنباء وأخبار الغيب.

خروج المهاجرين من مكة

قال فداه أبي وأمي: [(لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن فيها ملكاً لا يُظلم أحد عنده حتى يجعل الله لكم فرجاً ومخرجاً مما أنتم فيه)] أي: اذهبوا إلى هذا الملك الطيب الصالح، فقد عرفنا أن من نزل به لا يظلم أبداً ولا يعتدى عليه، وابقوا هناك حتى يجعل الله لكم مخرجاً وفرجاً [وقبل المسلمون العرض الكريم] من النبي الكريم [فخرجوا من مكة فراراً بدينهم] الذي مُنعوا من أن يظهروه ويجثوا عليه حتى يطيبوا ويطهروا [يريدون بلاد النجاشي] وهو أصحمة [وذلك في شهر رجب سنة خمس من البعثة وهي السنة الثانية من إظهار الدعوة] وكأن أمس هو اليوم، لِم؟ للأمن والشبع، فلا خوف ولا جوع، فأيما أرض فيها أناس لا يخافون ولا يجوعون تمضي الحياة عليهم ولا يشعرون، أما صاحب الجوع فلا، لقد كنا ننظر النخلة متى تؤبر ومتى تُبلح حتى يشيب أهل القرية، والآن لا خوف، فأبوابنا مفتوحة وقلوبنا آمنة، والبطون شبعى، ويمضي العام كأنه يوم.

فقولوا: الحمد لله.

وهناك كلمة سياسية: هل تقرءون سورة الفيل؟! سأقرؤها عليكم: بسم الله الرحمن الرحيم أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ [الفيل:1] أي: فعل ما فعل بذلك الجيش المهاجم العازم على إبادة المؤمنين، إنه جيش أبرهة دمره الله بالنفاثات، أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ [الفيل:2-3] كانت تحمل قذائف من جهنم (من سجيل)، تخرج من البحر والناس يشاهدونها، قذيفة في فمه وأخرى في مخلبه، فإذا أرسلت على العسكر تتفتتوا وتحللوا، فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ [الفيل:5]، لقد تنعثرت رءوسهم وأيديهم وبطونهم.

لِم فعل الله بهم هذا؟ إنه أمن وإطعام لقريش، قال الله عز وجل ممتناً عليهم: لِإِيلافِ قُرَيْشٍ * إِيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ [قريش:1-4].

أين الساسة ورجال العلم والمال؟ هناك كلمة واحدة: أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ [قريش:4]، تنشأ الدولة ولها عشرون وزارة: وزارة الدفاع ووزارة الاقتصاد ووزارة المال و و..، وكل ذلك من أجل أن يتحقق لذلك الشعب: أن يشبع ولا يجوع، ويأمن ولا يخاف، ووالله ما تحقق ذلك، فإن شبعوا ما أمنوا، وإن أمنوا ما شبعوا، ومن أراد أن يرد علي فليتفضل! إن كل تلك الوزارات والقيام والقعود والآلات من أجل تحقيق كلمتين: أن الشعب يأمن فلا يخاف، فيمشي في الشارع أو يسافر من شرق البلاد إلى غربها وهو آمن، وينزل في بيت بلا باب ولا نافذة وهو آمن، وألا يجوع أبداً هو ولا أطفاله.

هل استطاعت الصين أن تحقق هذا؟ هل حققته روسيا أو اليابان أو أمريكا؟ لا.

إنك تجد آلاف الملايين في كروب وخبث وشر فساد وظلم وبلاء.

إنك تجد الدول تسعى الليل والنهار وتعمل المستحيل على أن تحقق هذا ولا تستطيع، ومتى يتحقق هذا؟ يتحقق بصلتهم بالسماء، بسلوك مسالك وضعها الله للإكمال والإسعاد في الدنيا والآخرة، ويتحقق بالإسلام يطبق نصاً وروحاً في أي بلد، فيصبحون سعداء أمناء.
ونبرهن وندلل وإن كان الغافلون يكسبوننا حسنات بقولهم: هذا الشيخ يتملق! وقولهم: هذا الشيخ يشتغل مع (CIA) ولا نعرف (CIA) ولكننا نقول: هذا البلد لما دخله عبد العزيز رحمة الله عليه لم يكن فيه شيء سوى حفنة الشعير وقطيع العنز، لم يكن فيه آلات وطائرات، كان يفيض بالشر والخبث، والشرك والباطل، والذبح وسفك الدماء، والزنا والدعارة، وما أن رفعت راية لا إله إلا الله محمد رسول الله، وقيل: هنا لا يعبد إلا الله! ولا يتابع إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى -والله- تحقق من الأمن والطهر ما لم يتحقق في أرض الله إلا على عهد القرون الثلاثة الذهبية، قرن الرسول وأصحابه وأبنائهم وأحفادهم.
لِم فعل الله هذا؟ ليري العميان كيف يتحقق الأمن والطهر والصفاء بالعمل بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.
وقد نزلتُ المدينة فسكنت فيها ببيت بلا باب، ولو كنتُ في ديارنا فيا ويحي وويح أمي! ولولا هذا الخلط والخبط من المهاجرين الذين ما هاجروا لله ورسوله بل هاجروا للمادة فقط والضيق الذي يعانونه لما كان هذا.
ووالله العظيم إني لأذكر صاحب دكان الذهب يضع الخرقة على باب دكانه ويذهب للصلاة، ويروح يتغدى ويرجع وهو كذلك، هل تحقق هذا بالسحر أم بالعصا؟ تحقق فقط بتطبيق شريعة الله، بالكتاب والحكمة، لقد أرانا الله هذه الآية ورغم ذلك لم يمش إقليم ولا بلد إسلامي إلى عبد العزيز أو أولاده حتى تكون بلادهم كهذه البلاد، أو قالوا: ابعثوا لنا قضاة حتى نطبق شرع الله، وقد استقل لنا نيف وأربعون إقليماً ودولة ما استطاع فيهم إقليم أن يرفع راية لا إله إلا الله أبداً، في حين -وبلغوا هذا واسمعوه- كان الواجب الحتمي المفروض -إن كنا مسلمين- على أي إقليم يتحرر من ربقة بريطانيا أو إيطاليا أو فرنسا أن يأتي رأساً وفده ويقول: يا عبد العزيز أو يا فلان -من رجاله- ابعثوا لنا قضاة يطبقون شرع الله فينا فقد استقللنا! هل فعلنا ذلك؟ لا.
ولكن كل إقليم يستقل وينفصل عن الدولة الاستعمارية يرفع عنتريته والإعراض عن الله.
ستقولون: يا شيخ! لا تقل هذا! فأقول: دلوني على إقليم استقل فقال: الآن خرجت فرنسا أو إيطاليا واسمعوا أيها المواطنون عسكريون ومدنيون لا بد من إقامة الصلاة وجباية الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ إذ هذه قواعد الدولة القرآنية الإسلامية.
هل أقيمت الصلاة في بلد؟ لا.
فمن شاء أن يصلي ومن شاء أن يغني.
إذاً: ماذا نرجو؟ وماذا نطلب؟ والله إننا لتحت النظارة، يقول الله عز وجل: إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ [الفجر:14]، فإما أن ننهض من كبوتنا ونقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله، ونطبق شريعة الله تطبيقاً حقاً، وإلا سوف يُنزل الله بنا نقمته وبلاءه؛ إذ أجدادنا الذين حكمتهم أوروبا كانوا أحسن منا في الصفاء والطهر، ونحن أخبث.
وقد سئل أحدهم: أين ربك؟ فقال: بالمرصاد.
فإما أن يستقيم المسلمون في كل بلد على منهج الحق فينجو ويكملوا، وإلا تنزل بهم نقمة الله.

الطريق إلى العلم والنور الإلهي

أخيراً: ما الطريق إلى هذا العلم؟ وإلى الآن لم يردنا هذا السؤال لا من أمير ولا من عالم ولا من حاكم ولا من بصير ولا من أعمى..ولا ولا، ولو نردد هذا القول طوال العام فليس هناك من يقول: يا شيخ! كيف الطريق إلى هذا العلم؟
إذاً: هذا آية أننا موتى! وأقسم بالله الذي لا إله غيره ولا رب سواه أنه لن تعود أمة الإسلام في أي بلد في الشرق أو الغرب من العرب أو العجم إلا إذا عادت إلى علم الكتاب والحكمة، اعتقاداً وقولاً وفقهاً وعملاً وتطبيقاً.
ستقولون: يا شيخ! وهذه المدارس المتنوعة، والمراحل العلمية المختلفة -من الابتدائي إلى آخره- ألا تكفي؟ نعم.
لا تكفي، أين آثارها؟ هل انتهت السرقات والزنا والفجور والكذب والخيانة وخلف الوعد والحسد والكبر والسحر؟! لم ينته شيء! فأين إذاً آثار هذا العلم؟! ونقول -فقط-: إن الطريق هو أن أهل كل قرية إسلامية سواء كانت في جبل أو سفح، على ساحل البحر أو في الرمال الصحراوية -أهلها ثلاثمائة نسمة إلى ألف أو ألفين في الغالب- هذه القرية كل أهلها وسكانها مسلمون، نساء ورجالاً، يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، على أهل هذه القرية أن

يجتمعوا في مسجدهم وإن كان صغيراً كبروه، وإن كان ضيقاً وسعوه، ولو بالخشب والحطب كما كان هو مسجد أبي القاسم ورجاله أبطال العالم وقادة البشرية، فيوسعون هذا المسجد ليتسع لنسائهم وأطفالهم ورجالهم، فإذا وسعوه سألوا أنفسهم: لِم خلقنا؟ فإذا علموا أنه لعبادة الله، سألوا أنفسهم مرة أخرى: لم نعبده؟ وبالطبع: لنسمو ونسعد ونكمل ونرتفع ونصبح أهلاً لسعادة الدنيا والآخرة .

.

فيتنادون من ليلتهم: معاشر الإخوان! معاشر الأبناء! معاشر المؤمنات! من الليلة إن شاء الله لا تغرب شمسنا إلا ونحن في هذا المسجد بنسائنا وأطفالنا.

وأنا أقول: يا عباد الله! إذا مالت الشمس إلى الغروب فأوقفوا العمل: يا فلاح ألق بالمسحاة! ويا تاجر أغلق باب الدكان! ويا صاحب المقهى أو المطعم أوقف هذا الطبخ أو هذا البيع! وتوضئوا الوضوء المعروف لكم واحملوا أسركم إلى المسجد، والقرية لا تحتاج إلى السيارة أو بعير، فالمسجد في وسطها، فإذا دخلوا المسجد جلس إليهم العالم الرباني الذي يفهم عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ليتغنى معهم بآية من كتاب الله، فيحفظونها كلهم في ربع ساعة أو ثلثها، ثم يبين لهم مراد الله منها، ويسألهم هل أنتم مؤمنون؟ فيقولون: نعم.

فيقول: إذا أمركم الله مولاكم وسيدكم هل تفعلون؟ فيقولون: نعم.

فيقول: فقد أمركم الله بكذا في هذه الآية، هل حفظتموها وفهمتم معناها؟ هل أنتم على عزم أن تطيعوا ربكم؟ فيقولون: نعم.

فيقول: إذاً افعلوا هذا الذي أمر الله به الليلة، وعودوا إلى بيوتكم، وأنتم تذكرون الله وتهللون وتكبرون.

ومن الغد -إن شاء الله يحضرون- كأمسهم، فيحفظون حديثاً لنبيهم حفظاً كاملاً في ربع ساعة أو ثلث ساعة، ثم يقول لهم المربي: الرسول يريد منا أن نفعل كذا، أو أن نترك كذا، إذاً معشر المؤمنين والمؤمنات نترك هذا الذي أراد الرسول أن نتركه، ومن الليلة لا يحدث هذا في بيتنا ولا في شارعنا ولا في قريتنا.

ويتركوه! ثم اليوم الثالث كذلك، وهم يتعلمون ويطبقون، ويسمون ويرتفعون، والأنوار تشع يوماً بعد يوم، فوالله لا تمضي سنة إلا والقرية كأنها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا تجد فيها كاذباً، ولا فاجراً، ولا حاسداً، ولا مبغضاً، ولا زنديقاً، ولا مهملاً لدين الله، ولا مبغضاً لأولياء الله.

ولا يبقى في القرية رجل ولا امرأة إلا مريض في بيته، أو حائض، بل حتى الحيَّض يُجعل لهن مكاناً ملاصقاً للمسجد يتلقون فيه حكمة واحدة بلا تعدد ولا كثرة، من حكم أستاذ الحكمة ومعلمها صلى الله عليه وسلم، وهل النبي أستاذ في الحكمة؟ إي نعم، أما قال تعالى فيه: وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ [البقرة:129].

وشيء آخر: لن تجد بينهم من يشكو الفقر أبداً؛ لأنهم لن يُتركوا ليسألوا غير الله، فتجدهم يقتسمون ويقاسمون ما عندهم فيما بينهم؛ لأنهم أسرة واحدة، وبيت واحد، وكلمتهم واحدة، فإذا صفوا وطهروا، ورضوا وصلحوا، وأصبحوا أولياء الله، لو رفعوا أكفهم إلى الله وسألوه أن يزيل الجبال لأزالها.

لِم لا يكون هذا؟ أين العلماء؟ أين الأمراء؟ أين المسئولون؟ لِم لا يعملون هذا؟ لك أن تقول: يا شيخ! جربنا هذا وما نجحنا فيه أبداً.

والله ما كان ولن يكون، فإن لله سنناً لا تتبدل ولا تتحول: فالطعام يشبع، والماء يروي، والنار تحرق، والحديد يقطع، والكتاب والحكمة يزكيان النفس ويطهران القلوب ويصلحان الفاسد فينا، ولن تتخلف سنن الله.

وإذا كان بينهم أهل القرية من هو منافق قد يدخل في رحمة الله ويؤمن، وإذا تضايق وكتب خلوده في جهنم رحل، فما يشعرون إلا ويقال: فلا قد رحل، أغلق دكانه أو باعه.

فلا يبقى في بلاد الطهر أبداً وهو خبيث.

وكذلك المدن ذات الأحياء، هناك بعض المدن فيها سبعين حي أو ثمانين، وأخرى فيها ثلاثة أحياء أو أربعة بحسب اتساعها وكبرها، فأهل كل حي في المدينة يوسعون مسجدهم أو جامعهم، بالإسمنت والحديد وإلا بالطوب واللبن، أو بالخشب وجريد النخل، المهم أن يقوا أنفسهم من الحر والبرد والمطر، ويجتمعون بعد النداء، فيناديهم العالم الرباني في حيهم ومن معه من إخوانه ومن بينهم شيخ القرية أو رئيس الحي فيقول: أبناءنا..إخواننا. أمهاتنا.. بناتنا! من غد إن شاء الله لا يتخلف واحد عن طلب الهدى والعلم في بيت الله.

وما إن تأخذ الشمس في الغروب من اليوم التالي إلا وهم زرافات ووحداناً آتين من بيوتهم ومن دكاكينهم ومن مقاهم بأبنائهم ونسائهم إلى بيت ربهم، وتم هذا؛ لأنهم آمنوا بأنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأن الجنة حق

وأن النار حق، فيجتمعون في مسجدهم ليصلوا المغرب كما نصلي، ثم يجلس لهم المربي ويعلمهم ليلة آية وأخرى حديثاً وهم يحفظون ويعلمون ويطبقون، فما تمضي سنة إلا وتلك المدينة بأحيائها كأنها والله كواكب في السماء تنير الحياة وتضيئها، فلا خبث ولا ظلم ولا شر ولا فساد ..
ولكن أخوة ومحبة وتلاقي وود ورحمة، والحاكم والمحكوم سواء، والغني والفقير سواء، والكل أولياء الله نساء ورجالاً، لِم لا يتحقق هذا؟! إن الشيوعيون لما كانوا يفرضون مبادئهم الإلحادية، كانوا يجمعون أهل القرية بالكرباج والحديد والنار من العصر إلى نصف الليل، يكفرونهم ويغسلون أدمغتهم من الإيمان بالله ولقائه، ونحن لا نحتاج إلى كرباج ولا إلى عصا..
ولا ولا، ولكن كلمة طيبة فقط، نقول: أبناءنا إخواننا أمهاتنا! غداً إن شاء الله نجلس في بيت الله نتعلم الكتاب والحكمة ونصلي المغرب والعشاء، ونعود تباعاً مستنيرين معرضين عن الشهوات والأطماع وزخارف الحياة، وهكذا يتوفر المال، والله إنه يتوفر، فلو سلك كل أهل قرية أو مدينة هذا المسلك -والله العظيم- لفاض مالهم، فالذي كان يعيش على عشرة آلاف في الشهر يكفيه منها ألفان، وماذا يفعل بالباقي؟ يقول: خذوه وأنفقوه في سبيل الله! ماذا قولكم في هذا الأمر؟! هل هناك من يعقب على هذا أو يكتب ليضحك الناس علينا؟ يمنعكم الله من ذلك! إن هذا لهو الحق! إذاً: متى نفيق؟ ومتى نصحو؟ الذين صحوا وأفاقوا يكفِّرون الحكام ويخرجون عليهم ويقولون: الجهاد في سبيل الله! ويقتل بعضهم بعضاً، هؤلاء هم أصحاب الصحوة.
متى نصحو؟ ومتى نفيق، ونحقق ولاية الله؟! ستقولون: يا شيخ! كيف نحقق هذه الولاية؟ أقول: ما هي إلا خطوتان فقط: آمن حق الإيمان واعرض إيمانك على القرآن، فإن صدَّق عليه وأمضى فأنت مؤمن، وإن رأى نقصاً فعليك بإكماله، ثم اتق الله فلا تخرج عن طاعته وطاعة رسوله وطاعة أولي الأمر من المؤمنين علماء أو حكاماً.
ونعود إلى السيرة النبوية ..

خطط اليهود ومكائدهم لإفساد الحكم والدين

ندخل في السياسة قليلاً؛ لكي تتعلموا السياسة! قد ذكرت لكم أن بني عمنا اليهود -عليهم لعائن الله- أرادوا أن يفرّجوا عن أنفسهم فنظروا وقالوا: نعمتنا تأتي من طريق رجال الدين والحكام (الملوك)؛ إذ كانت تلك الفترة لا يسمى الحاكم إلا ملك -كان هذا في العالم بأسره- فليس هناك سلطان ولا داي ولا باي ولا رئيس جمهورية ..
ولكن ملك، بل كان فيما سبق من ملك امرأة ودابة يركبها وخادماً يساعده يسمى ملكاً، أما قال تعالى لبني إسرائيل: وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ [المائدة:20]؟ كيف جعلهم ملوكاً؟ بين ذلك الحبيب صلى الله عليه وسلم، قال: كان من ملك منهم امرأة ومنزلاً أي: بيتاً، وخادماً فهو ملك، ونحن الآن ملوك أم لا؟ ستقولون: لا، حتى لا تحمدوا الله وتشكروه، ولكن نحن الآن أكثر من ملوك، فالذي يملك بيتاً وامرأة وأولاداً ووظيفة ودخلاً سنوياً أو شهرياً ماذا يريد بعد ذلك؟ قولوا: الحمد لله! فاليهود بني عمنا قالوا: اسمعوا! إذا تمكنتم من القس -وهو العالم النصراني- فاذبحوه وابقروا بطنه وخذوا أمعاءه واخنقوا بها الملك.
يقصدون أي ملك كان، ملك فرنسا أو إيطاليا أو أسبانيا، يعني كل الملوك، من أجل أن تنفرج الغمة عن اليهود.
ومن ثم سقطت الملوكية وأصبح الأغبياء يتقززون من كلمة ملك، حتى العرب أصحبوا لا يطيقونها ويشمئزون منها؛ وقد رأينا بأم أعيننا أن البلد الذي فيه ملك -كبلجيكا- أحسن من البلد الذي فيه رئيس وجمهورية، ففي بلجيكا ملك، ومن ثم يُعلم من الإسلام درسٌ كل أسبوع في مدارس الحكومة البلجيكية، وتورط العرب المسلمون وأصبحوا يكرهون كلمة ملك، ويقولون: اذبحوا الملوك.
أيها الناس! ارتفعوا في مستوياتكم العلمية والعقلية، فاليهود هم الذين جاءوا بالبلشفة الحمراء الشيوعية، وتولدت منها الاشتراكية، ومن ثم تغنى الأغبياء بها ورفعوا أصواتهم وقالوا: اشتراكيتنا نوالي من يواليها ونعادي من يعاديها! وأبعدوا الملوك وطردوهم، إنه جهل كامل! فالعزة والكرامة والغنى والطهارة والصفاء تأتي من تطبيق شريعة الله، وسلوك العبد المسلك الذي وضعه الله للكمال والعزة، وليست العزة والكرامة في كلمة ملك أو رئيس أو سلطان.
وهكذا شغلوا الناس بهذه الكلمة وفتنوهم.
وماتت الشيوعية، ولعل من ذبحها هم، فقد استطاعوا أن يسودوا في أوروبا وأن يتحكموا فيها وفي كنائسها، أما أعلنا يوم أعلن بولس الثامن : أن اليهود برآء من دم السيد المسيح، أن الإسلام قد أعلن عن هذا منذ ألف وأربعمائة سنة

فقال تعالى: وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ [النساء:157]، ولما صاروا غارقون في ضلالهم -وهم الضالون- وتحكم اليهود فيهم أعلنوا براءة اليهود من دم السيد المسيح، وأصبحت أوروبا كأمريكا -بلاد الصليب- ثلاثة أرباعها لا يؤمنون بالله ولا بالصليب، بل بلاشفة شعارهم: لا إله والحياة مادة.

بعد أن ذبح اليهود الشيوعية ودفنوا الاشتراكية هل يتركون العالم يستيقظ ويعود إلى لا إله إلا الله؟ لا.

أتوا بالعلمانية، وولدت العلمانية من بطن بني عمنا اليهود، وما هي العلمانية؟ العلمانية هي أن كل شيء للعلم، دع قال الله وقال رسوله، فالقضية قضية علم، وبهذا العلم يتوصل إلى الملكوت الأعلى ويُفعل ويُفعل، وسحرونا بكلمة العلمانية، مع العلم أن هذا الكلام كان من ألف وأربعمائة سنة، ولكن أي علم؟ قال الله عز وجل: هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ [الزمر:9] لا والله، وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ [العنكبوت:43]، وأعظم من ذلك أمر الله رسوله أن يطلب العلم: وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا [طه:114]، أي: يا رب زدني علماً.

وزبدة ذلك تتجلى في طهارة المجتمع وصفائه، وفي مودته وإخائه، وفي تعاونه، يقول الله عز وجل: إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ [فاطر:28]، ما المراد بالعلماء؟ هل هم علماء السحر والتدجيل والتضليل..

أم علماء السياسة المنتنة العفنة التي تعيش على مبادئ وضعها الملاحدة والزنادقة؟! أم علماء الهيدروجين والذرة..

أم علماء الحياة والكون؟! هذه كلها علوم مادية هابطة، إن العلم هو العلم بالله الرب العليم الحكيم، العلم بأسماء الله وصفاته وجلاله وكماله وإنعامه وإفضاله وإحسانه، وما أعد لأوليائه، وما لديه لأعدائه، العلم بمحابه من المعتقدات والأقوال والأعمال.

هذا العلم صاحبه يخشى الله عز وجل، فلا يقدر على أن يكذب كذبة واحدة، ولا يقدر على أن يتناول قرشاً واحداً مما حرم الله، ولا يقدر صاحب هذا العلم أن ينظر إليك بنظرة شزراء فضلاً عن أن يسلبك مالك ويهتك عرضك ويمزق وجودك، ومن شك في هذا فليقف وليشرف على بلد مثل هولندا -مثلاً- تعال ندخل نتنعم بما فيها من كمال، فلا سرقة ولا كذب ولا خيانة ولا فجور ولا باطل..ولا ولا، ولكن ينزو بعضهم على بعض في الشوارع، فأين العلم إذاً؟! لقد كنا في السماء وهبطنا إلى الأرض فما هي السلالم والمعارج التي نعرج بها إلى حيث كنا؟! لقد شاع في ديار المسلمين -بوحي اليهود- السحر، فأصبحنا نرى العجب، وقد عثرت في بيتي أمس على ساحرة، كنت أراها مؤمنة تصوم وتصلي!! أبقي بعدها هذا شيء؟ لقد هبطنا! وما علة هبوطنا؟ والله إنه الجهل بالله وبمحابه وبمكارهه، وما عنده وما لديه، فمن يرفعنا؟ وما الطريق إلى ذلك؟ إنه العلم.

أي علم؟ العلم الذي هو نور الله وعبادته، العلم بشرع الله وما عنده وما لديه، العلم الذي مصدره قال الله جل جلاله، وقال رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، هذا هو الكتاب والحكمة، وهذا الذي يزكي النفوس، ويطهر القلوب، وينظف العقول، ويدعم البشري حتى يصبح شبيهاً بأهل السماء والملكوت الأعلى في طهره وصفائه ويقينه وإيمانه.

وصول أول فوج من المهاجرين إلى الحبشة

قال: [فوصلوها وكانوا قرابة عشرة رجال: منهم عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت الرسول صلى الله عليه وسلم، وأبو حذيفة بن عنبسة بن ربيعة ومعه امرأته سهلة بنت سهيل ، والزبير بن العوام ، فأقاموا بالحبشة شهرين: شعبان ورمضان من سنة خمس من البعثة، وعادوا إلى مكة في شوال، وسبب عودتهم ما بلغهم من أن النبي صلى الله عليه وسلم قد اصطلح مع قريش، وأنه لم يبق اضطهاد للمسلمين من قبل المشركين لما تم من الصلح بينهم وبين الرسول صلى الله عليه وسلم] هذه إشاعة الإعلام.

فعاد المؤمنون إلى مكة بدون تثبت.

[وسبب هذه الشائعة الكاذبة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ حول الكعبة سورة (والنجم)، فلما بلغ قوله تعالى: أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى [النجم:19-20]، ألقى الشيطان في مسامع المشركين قوله] أي قولة الشيطان [تلك الغرانيق العلا، وإن شفاعتهن لترتجى، فخُيِّل للمشركين أن النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي قالها] وإنما قالها شيطان مارد [وأنه بذلك قد امتدحها] أي: امتدح الأصنام [فلما سجد صلى الله عليه وسلم في آخر السورة -وهي سجدة من عزائم السجدات-] عند الجمهور [سجد المشركون معه، حتى إن الوليد بن المغيرة -وكان كبير السن- أخذ كفاً من البطحاء وسجد عليه، ثم تفرق الناس، وبلغ الرسول صلى الله عليه وسلم أن سجود المشركين كان من أجل ما ألقى الشيطان في مسامعهم من مدح للات والعزى موهماً إياهم أن النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي امتدحها، فحزن لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وآلمه الخبر، فأنزل الله تعالى -تسلية له وتخفيفاً عنه- قوله من

سورة الحج: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى [الحج:52]] أي: قرأ [أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ [الحج:52].

فسُرَّ بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وذهب عنه ما وجد في نفسه من الخوف والحزن بما أعلمه به ربه من أن هذا الأمر جرى على سنة من سننه تعالى في أنبيائه ورسله لحكم عالية يعلمها تعالى.

ولما قارب المهاجرون دخول مكة تبين لهم أن إسلام أهل مكة باطل، وأن المشركين ما زالوا على الشرك والكفر، وأنهم قد ازدادوا قسوة وشدة على المسلمين فلم يدخلوا إلا بجوار، أو في استخفاء] بجوار يعني: بكفالة، كل واحد طلب من يكفله [وأقاموا بمكة بعد عودتهم إليها يتلقون الأذى ويعذبون ويضطهدون -كما كانوا قبل هجرتهم وعودتهم- فرأوا لذلك أن يعودوا إلى الحبشة مرة ثانية، فعادوا وهاجر معهم خلق كثير بلغ عددهم ثلاثة وثمانين رجلاً].

وصلِّ اللهم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

لما استقر المقام بالمؤمنين في أرض الحبشة، واستطاعوا أن يعبدوا ربهم دون خوف من أحد، آمنين على أنفسهم في جوار النجاشي، أزعج ذلك كفار قريش، فبدءوا يخططون للنيل منهم في أرض الحبشة، فأرسلوا وفداً إلى ملك الحبشة محاولين رد المؤمنين إلى مكة ليواصلوا تعذيبهم لثنيهم عن دينهم، وبذلوا في سبيل ذلك الأموال الطائلة من الهدايا لأعوان النجاشي، وما صاغوه من الشبهات للطعن في صحة دين هؤلاء المؤمنين، ولكن الله رد كيدهم، حيث رفض النجاشي طلبهم، وجدد العهد بالأمان للمؤمنين، فبقوا في بلاده آمنين إلى أن أذن الله لهم بالعودة إلى مدينة رسول الله.

تابع أول هجرة في الإسلام

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.
أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، ثم أما بعد .
.
أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيتها المؤمنات المستمعات! إننا على سالف عهدنا في مثل هذه الليلة؛ ليلة السبت من يوم الجمعة ندرس السيرة النبوية العطرة من كتاب: هذا الحبيب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم يا محب.
والمقطوعة التي درسناها قبل هذا هي (أول هجرة في الإسلام)، وأول هجرة كانت هي هجرة إبراهيم عليه السلام، فأول من هاجر في سبيل الله هو إبراهيم الخليل عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى التسليم؛ إذ خرج من بابل بعد الحكم الذي صدر عليه بالإعدام -ونجاه الله منه- وهاجر إلى أرض القدس.
أما بالنسبة إلى أمة الإسلام فأول هجرة فيها هي هجرة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى الحبشة - عثمان ومن معه عليهم الرضوان-؛ لأنهم اضطهدوا وعذبوا وضغط عليهم وما استطاعوا أن يعبدوا الله، فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن لهم بالهجرة إلى الحبشة، حيث يوجد فيها ملك صالح وهو أصحمة النجاشي الحبشي.
وكما علمنا أنهم نزلوا بالحبشة وبعد أيام قيل لهم: إن المشركين قد اصطلحوا مع النبي صلى الله عليه وسلم وانتهى ما كان بينهم وبينه قريش من الخلاف والشقاق، وسبب هذا -كما علمنا-: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ سورة (والنجم)، فقرأ قوله تعالى: أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى [النجم:21-20]، فإبليس عليه لعائن الله تصيد الموقف، وألقى في روع أصحابه المشركين أن الرسول مدح الآلهة التي يعبدونها، وأنه قال: (تلك الغرانيق العلا، وإن شفاعتهن لترتجى)، فلما سجد النبي صلى الله عليه وسلم في آخر السورة سجد المشركون حوله كلهم، حتى إن رجلاً كُبَّاراً يعجز عن السجود رفع التراب وسجد عليه، فأشيع بأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد اصطلح مع قومه، وهذه الشائعة هي التي جعلت المهاجرين يعودون إلى مكة، فوجدوها أشد ظلماً وحلوكاً من أول مرة.
قال: [وسبب هذه الشائعة الكاذبة هو أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ حول الكعبة سورة (والنجم)، فلما بلغ قوله تعالى: أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى [النجم:19-20]، ألقى الشيطان في مسامع المشركين قوله: (تلك الغرانيق العلا، وإن شفاعتهن لترتجى)، فخيل للمشركين أن النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي قالها] أي: هذه الكلمة الخبيثة [وأنه بذلك قد امتدحها، فلما سجد صلى الله عليه وسلم في آخر السورة -وهي سجدة من عزائم السجدات- سجد المشركون معه، حتى إن الوليد بن المغيرة -وكان كبير السن- أخذ كفاً من البطحاء وسجد عليه، ثم تفرق الناس، وبلغ الرسول صلى الله عليه وسلم أن سجود المشركين كان من أجل ما ألقى الشيطان في مسامعهم من مدح للات والعزى مُوهماً إياهم أن النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي امتدحها، فحزن لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وآلمه الخبر، فأنزل الله تعالى -تسلية له وتخفيفاً عنه- قوله من سورة الحج: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ

رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى [الحج:52]] أي: قرأ [أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ [الحج:52]] أي: في قراءته [فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ [الحج:52].

فسر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم] وفرح [وذهب عنه ما وجد في نفسه من الخوف والحزن بما أعلمه به ربه من أنّ هذا الأمر جرى على سنة من سننه تعالى في أنبيائه ورسله لحكم عالية يعلمها تعالى] إذ قال عز وجل: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ [الحج:52] أي: سُنة عامة فيمن تقدم.

[ولما قارب المهاجرون دخول مكة تبين لهم أن إسلام أهل مكة باطل] لم يسلموا [وأن المشركين ما زالوا على الشرك والكفر، وأنهم قد ازدادوا قسوة وشدة على المسلمين فلم يدخلوا إلا بجوار] من كان له قريب أو صديق دخل في جواره [أو في استخفاء] دخل سراً بالليل [وأقاموا بمكة بعد عودتهم إليها يتلقون الأذى ويُعذبون ويضطهدون -كما كانوا قبل هجرتهم وعودتهم- فرأوا لذلك أن يعودوا إلى الحبشة مرة ثانية، فعادوا وهاجر معهم خلق كثير بلغ عددهم ثلاثة وثمانين رجلاً، وهي الهجرة الثانية].

[وبقي الحبيب صلى الله عليه وسلم في مكة يدعو إلى ربه سراً وجهراً، صابراً موقناً بنصر الله له ولدعوته، وهو يتعرض لأذى قريش كل يوم، ومن أبرز ما سُجل في هذه الفترة من أذى نال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حدَّث به عمرو بن العاص رضي الله عنه ورواه عنه ابن الأثير وغيره من أصحاب السير وهو قوله: حضرت قريشاً يوماً بالحجر] حجر إسماعيل [فذكروا النبي صلى الله عليه وسلم وما نال منهم وصبرهم عليه، وبينما هم كذلك إذ طلع النبي صلى الله عليه وسلم ومشي حتى استلم الركن] ركن الحجر الأسود [ثم مر بهم طائفاً فغمزوه ببعض القول، فعرفتُ ذلك في وجهه] هذا عمرو بن العاص يقول [ثم مضى، فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها، ثم الثالثة فقال لهم: (أتسمعون يا معشر قريش! والذي نفس محمد بيده لقد جئتكم بالذبح) فلم يتكلموا حتى لكأن على رءوسهم الطير، وإن أشدهم وصاة فيه لَيُرفّؤه بأحسن ما يجد] كان أحسن واحد منهم يحاول أن يقول كلمة يمجد فيها الرسول صلى الله عليه وسلم.

[وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان الغد اجتمعوا في الحجر، وقال بعضهم لبعض: ذكرتم ما بلغ منكم، حتى إذا أتاكم بما تكرهون تركتموه] أي: لما قال تلك الكلمة: (يا معشر قريش والذي نفس محمد بيده لقد جئتكم بالذبح) أي: بالقتل والقتال، فلم يتكلموا وأصيبوا بجبن وانهيار، حتى لكأن على رءوسهم الطير، فما استطاع أحد أن يتكلم بكلمة، وكان أشدهم وصاة أو وصية على الرسول يتلفظ بأحسن القول، وانصرف صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان الغد اجتمعوا في الحجر كالعادة، وقال بعضهم لبعض: ذكرتم ما بلغ منكم؟ أي: من الهون أو الذل، حتى إذا أتاكم بما تكرهون تركتموه، يعني يحرضهم لِم لم يأخذوا منه صلى الله عليه وسلم! قال: [فبينما هم كذلك إذ طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم] كالبدر [فوثبوا إليه وثبة رجل واحد] عملاً بوصية ذلك الحانق الذي لامهم [يقولون: أنت الذي تقول كذا وكذا ..] ويضربونه [فيقول: (أنا الذي أقول كذلك)، فأخذ عقبة بن أبي معيط بردائه، وقام أبو بكر الصديق دونه يقول -وهو يبكي- ويلكم!! أتقتلون رجلاً أن يقول: ربي الله؟!] وعقبة بن أبي معيط من شر المشركين وأخبثهم، مات في وقعة بدر بعدما أسر.

إذاً: لما أخذ عقبة الرسول صلى الله عليه وسلم بردائه قام أبو بكر الصديق رضي الله عنه دونه، فاحتضن الرسول وهو يبكي ويقول: ويلكم! أتقتلون رجلاً أن يقول: ربي الله؟ كمؤمن آل وفرعون.

قال: [كالتي قالها مؤمن آل فرعون، ثم انصرفوا بعدما نالوا من الصديق ما نالوا رفساً بأرجلهم وضرباً بأيديهم] هذه هي الهجرة الأولى، وإلى نتائجها وعبرها ..

نتائج وعبر من مقطوعة (أول هجرة في الإسلام)

قال: [نتائج وعبر: إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبراً نجملها فيما يأتي]
ثانياً: بيان أول هجرة وقعت في الإسلام

قال: [ثانياً: بيان أول هجرة وقعت في الإسلام، وهي الهجرة الأولى إلى الحبشة].
ثالثاً: بيان فضل أصحاب الهجرة إلى الحبشة

قال: [ثالثاً: بيان فضل أصحاب الهجرة إلى الحبشة، ومن بينهم عثمان بن عفان وزوجه رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم] إذاً: بنت الرسول هاجرت من مكة إلى الحبشة.
رابعاً: بيان خطر الشائعات إذ بها رجع المهاجرون ولاقوا ما لاقوا من العذاب

قال: [رابعاً: بيان خطر الشائعات إذ بها رجع المهاجرون ولاقوا ما لاقوا من العذاب حتى اضطروا إلى الهجرة مرة ثانية] لِمَا أشيع من أن الرسول صلى الله عليه وسلم اصطلح أو اتفق أو أن المشركين دخلوا في الإسلام، ولم يقع شيئاً من ذلك، فجاء المؤمنون وظنوا أن الحياة آمنة، وما إن وصلوا حتى رأوا الظلام أكثر مما كان عليه.
خامساً: تقرير قصة الغرانيق

قال: [خامساً: تقرير قصة الغرانيق] والغرانيق جمع غرنوق، وهو طائر كبير أبيض جميل [وأن من العجب أن يكذب بها أناس لمجرد الخوف من أن يقال: إذا صحت قصة الغرانيق فمن الجائز أن يكون] الشيطان [قد أدخل في القرآن ما ليس منه] وأكثر الذين نفوا هذه القصة وردوها كان لهذا الخوف، وهو خوف باطل.
قالوا: إذا سلمنا بهذه وقلنا: نعم.
فمن الجائز أن يكون الشيطان قد زاد في القرآن، وهذه تضحكنا كنظرية بعض الفرق الشيعية بأن الوحي ابتداء كان لعلي إلا أن جبريل خان أمانته وذهب به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وهذا جهل كبير! فإذا كان الله يعجز عن تصحيح هذا الخطأ فلا وجود له وكان -أعوذ بالله- لا يساوي شيئاً!! فهذه القضية نظير هذه.
فهؤلاء قالوا: نخاف إذا قلنا بصحة هذه القصة أن يكون الشيطان قد زاد في القرآن!! إذاً والله أين هو؟ ألا يمحو الباطل؟ ألا ينجي القرآن من كذب الكاذبين؟ كيف يُقال هذا الكلام؟! قال: [وهو وَهمٌ بحت شبيه بوهم الروافض القائلين: بأن جبريل] عليه السلام [بَدَلَ أن يأتي علياً بالوحي والرسالة أتى بهما محمداً صلى الله عليه وسلم؛ إذ لازم هذا أن الله تعالى عاجز، ونسبة العجز إلى الله كفر وكذب وباطل؛ إذ لا يمكن أن يقع في الكون غير ما يريد الله سبحانه وتعالى] وكيف يعقل ذلك؟! فلاحظ تشابه قلوب الروافض مع الذين يقولون بأن هذه القصة ليست بصحيحة!
قال: [ولو فرضنا أن الشيطان ألقى بكلمة أو كلمات في قراءة الرسول صلى الله عليه وسلم أليس الله قادراً على تبيينها وإبطالها؟ بلى؛ وكيف وقد قال: فَإِنْ يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ [الشورى:24]، وكيف وقد قال في سياق الآية: فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ [الحج:52].
والذي ينبغي أن يُعلم هنا: هو أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم ينطق بكلمة تلك الغرانيق] أبداً [وما بعدها] ووالله ما نطق بها [وإنما الذي نطق بها الشيطان، فأسمع صوته أولياءه] لاستعدادهم لذلك [من المشركين ليبقوا على اعتقادهم الفاسد في آلهتهم من اللات والعزى؛ ولذا لما سجد النبي صلى الله عليه وسلم سجدوا معه كما هو في صحيح البخاري رحمه الله تعالى.
وأحسن ما قيل في قصة الغرانيق هو قول الحافظ ابن حجر في الفتح، وما ذكرناه هنا لا يختلف معه] مع ما قاله [والله أعلم وأعز وأحكم.
وصل الله على نبيه محمد وآله وصحبه وسلم.

أولاً: مشروعية الهجرة في الإسلام

قال: [أولاً: مشروعية الهجرة -وهي الانتقال من بلد الكفر حيث تعذر على العبد أن يعبد الله- إلى دار يتمكن فيها من عبادة الله تعالى بدون تعذيب].
وهناك مشكلة الآن قائمة في العالم؛ إذ يوجد المسلمون المؤمنون في كل بلاد الكفر من أمريكا غرباً إلى اليابان شرقاً، فهل يحل لهم أن يقيموا في تلك البلاد؟ الجواب: قلت لهم -عندما اجتمعنا بأكثرهم في أوروبا-: أنصح لكم بأن تعودوا إلى بلادكم؛ إذ لا يحل لكم المقام بين ظهراني الكافرين، مع ما يترتب على بقائكم من فساد بنيكم وبناتكم.
فإن قلتم: لا نستطيع، ففي بلادنا اضطُهدنا وعذبنا وأفقرنا، فعليكم باتخاذ ما يلي: أولاً: انووا الرباط في سبيل الله، فأنتم في بلاد الكفر والمفروض أن المسلمين غزوها وفتحوها ونشروا فيها الإسلام، ولما لم يكن هذا وقد جاء الله بكم

ووجدتم بينهم، فانووا الرباط في سبيل الله، أي: انووا بإقامتكم أنكم تنصرون الإسلام وتحسنوه للناس، وتبينونه لجيرانكم المشركين الكافرين، مع تصحيح عقائدكم، وتهذيب أخلاقكم، واستقامتكم على منهج الحق؛ حتى إذا رآكم الفرنسي أو الإيطالي أو الأسباني يرغب في الإسلام، أما أن تكونوا مثلهم في الخمر والزنا والاختلاط وأكل الحرام فهذه لا تصح من مرابط، فالمرابط ولي الله يُجرى له أجره إلى يوم القيامة.
فصححوا معتقدكم، وهذبوا أخلاقكم، واعبدوا ربكم بما شرع لكم على علم وأنتم مرابطون، ومن مات منكم يُجرى له أجره -إن شاء الله- إلى يوم القيامة، هذا ما دام مأذوناً لهم أن يعبدوا الله بما شرع لهم، أما البلد الذي يُضطهد فيه المؤمن من أجل عبادة الله، ويحال بينه وبين أن يعبد الله، فهذا البلد لا يحل له المقام فيه أبداً، بل يجب عليه أن يهاجر، وقد هجَّر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه إلى الحبشة لما لم يستطيعوا أن يعبدوا الله، بل وهجَّرهم أخيراً إلى المدينة، وفرض الله الهجرة لذلك.
وحسبنا في أن من يبقى في بلد لا يستطيع أن يعبد الله فيه ثم يموت؛ حسبنا الآية التالية من كتاب الله، يقول الله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ [النساء:97] أي: بترك الهجرة وبعبادة غير الله وترك عبادة الله، قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ [النساء:97] الملائكة تقول لهم -ملك الموت وأعوانه-: (فيم كنتم) أي: لماذا أنفسكم خبيثة مظلمة منتنة؟ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا * إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا [النساء:97-98] هؤلاء معفو عنهم: النساء والأطفال وبعض الرجال العجزة، ومن لا يعرف كيف يسافر أو يقيم.
فأقول: هذه البلاد الآن قد فتحت للعالم الإسلامي، ولو استغلت هذه الفرصة لاسترحنا فلا نغزو ولا نرسي سفننا في موانئ الكفر، ولو أن المسلمين عرفوا هذه الحقيقة وكوَّنوا لجنة عليا اضطلعت بأعباء هذه الدعوة ونشرها بالصورة التي لا تزعج الشرق ولا الغرب لكنا أدينا واجب الجهاد في سبيل الله.
إذاً: من نتائج هذه المقطوعة وعبرها: مشروعية الهجرة، وحقيقتها: هي الانتقال من بلد الكفر -حيث يتعذر على العبد أن يعبد الله- إلى دار يتمكن فيها من عبادة الله، سواء كان دار كفر أو دار إيمان.

إرسال قريش وفدها إلى النجاشي

قال: [إرسال قريش وفدها إلى النجاشي] بعدما عرفت قريش أن الصحابة نزلوا عند النجاشي وعادوا كما كانوا اتخذت إجراءً، فلا بد من إجراء تتخذه دولة أبي سفيان ، فماذا فعلوا؟ قال: [لما علمت قريش باستقرار المهاجرين بالحبشة] استوطنوها في ضيافة هذا الملك الصالح [وإيواء ملكها لهم وإكرامه لهم، خافت عواقب ذلك، فكوَّنت وفداً من عمرو بن العاص -السياسي المشهور-] رضي الله عنه، وهو من أفذاذ الساسة في العالم [و عبد الله بن أبي أمية] وقد كانا مشركين [وحمّلتهما هدية فاخرة إلى الملك النجاشي وإلى أعيان رجاله] أيضاً، قالوا: وزعوا هذا الذهب -مثلاً- على حاشية الملك؛ حتى يساعدوكم، أي: لا تعطوا الهدية فقط للملك، وإنما له ولرجاله.
وكيف عرفوا هذا؟ هل درسوه في كلية من كليات السياسة؟ عندي كلمة، وهذه من الجائز أن تكون حقيقة، ومن الجائز أن تكون تخيلاً: إنه بالتتبع والاستقراء فهمتُ أن البشرية كفرد من أفرادها، ففي بداية أمرها كانت تعترف بالصدق وتمقت الكذب، وتحب العدل وتنفي الظلم، وتحب الطهر وتكره الخبث بالفطرة، ثم أخذت تنمو وتنمو حتى بلغت أشدها وكمالها، ثم بعد ذلك أخذت تعجز وتعجز حتى وصلت إلى حد الخرف.
والآن تحدث أحداثاً في البشرية لو كانت على عهد الأولين ما قبلوها، فتجري أحداث من الظلم والخبث والشر والفساد يقشعر لهولها جلد الإنسان، وهي عامة في العالم، وهذا يدل على أننا في سن الشيخوخة، وأن العقل البشري هبط وأصبح يهرف بما لا يعرف.
ونضرب لذلك ونقف على مسائل منها: هاجر عليها السلام لما جاءت قبيلة جرهم العربية وأرادوا أن ينزلوا إلى جوارها في مكة استأذنوا منها، وكيف يستأذنون من امرأة لا وجود لأحد معها إلا طفلها؟ قالوا: أتأذنين لنا أن ننزل بجوارك؟ فتقول: على أن لا حق لكم في الماء -ماء زمزم- فيقولون: نعم.
هل يمكن للبشر الآن أن يقفوا هذا الموقف؟! لو كانوا حتى من صعاليك الناس لطردوها وقالوا لها: اسكتي!! وإبراهيم لما كسّر الأصنام وحطمها كيف تحركت البلاد؟ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ * قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ [الأنبياء:60-61]، أي: نسأله ونستنطقه لعل هناك من يشهد على فعلته.

الآن هذا الموقف هل يقفه العرب والنصارى واليهود بهذا العدل؟ والله لا يعرفونه! ومواقف غيره كثيرة.
من تتبع التاريخ اكتشف هبوط البشرية، وكيف أنها عجّزت، وفقدت عقلها، ولم يصبح عندها أدب ولا حياء ولا كرم ولا شرف ولا ولا ..، بل الظلم والاعتداء والاحتيال والخيانة، وإن رأيت صالحين فبفضل الله والإسلام، والواقع شاهد؛ لأن الإنسان عندما يكبر ويكون في آخر عمره كيف يكون حاله؟ لا يقوى على شيء من الكمال.
قال: [لتستميلهم نفسياً فيردوا المهاجرين قصراً إلى مكة؛ لتعذيبهم وتعويقهم من أية حركة إيجابية تنتصر بها دعوة الإسلام.
ووصل الوفد يحمل الهدايا، وقدمها فعلاً إلى النجاشي وأعيانه رجال الحكم، إلا أن الوفد بدأ في تقديم الهدايا بأعيان رجال النجاشي وأخرُه هو سياسة منه] أي: كانا أعظم سياسة من جماعتهم [ليحصل على دعم الأعيان عند مطالبة الملك برد المهاجرين إلى مكة.
ولما فرغ الوفد من تقديم الهدايا تكلم عمرو وقال للملك ورجاله: إن ناساً من سفهائنا فارقوا دينهم وجاءوا بدين جديد مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم.
وما إن فرغ عمرو من كلامه حتى أشار أصحاب النجاشي بتسليم المهاجرين إلى وفد قريش متأثرين بالهدايا، وما وعدوا به الوفد من المساعدة] قالوا: أعطهم يا ملك! أعطهم إخوانهم؛ لأنهم أخذوا الهدايا ووعدوا بأن يساعدوا [وهنا قال النجاشي : لا والله! لا أسلم قوماً جاوروني ونزلوا بلادي واختاروني على من سواي حتى أدعوهم وأسألهم عن ما يقول هذان] رجلا الوفد [فإن كانا صادقين سلمتهم إليهما، وإن كانوا على غير ما ذكر هذان منعتهم وأحسنت جوارهم.
ثم أرسل النجاشي إلى المهاجرين أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فحضروا وهم مجمعون على أن يقولوا الحق سواء سره أو أساءه، وكان المتكلم عنهم جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه] شهيد مؤتة [فقال لهم النجاشي : ما هذا الذي فارقتم فيه قومكم، ولم تدخلوا في ديني ولا دين أحد من الملل؟] لأنهم لم يدخلوا في النصرانية [فقال جعفر : أيها الملك! كنا أهل جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل الميتة ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه، وأمانته وعفته، فدعانا لتوحيد الله، وأن لا نشرك به شيئاً، ونخلع ما كنا نعبد من الأصنام، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم، وأمَرنا بالصلاة والصيام -وعدد عليه أمور الإسلام- فآمنا به وصدقناه، وحرمنا ما حرم علينا، وحللنا ما أحل لنا، فتعدى علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا؛ ليردونا إلى عبادة الأوثان، فلما قهرونا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك واخترناك عن سواك ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك! وهنا نطق الملك وقال: هل معك مما جاء به عن الله شيء؟ قال: نعم.
فقرأ عليه قرآناً فبكى النجاشي وبكى أساقفته، وقال النجاشي : إن هذا والذي جاء به عيسى يخرج من مشكاة واحدة، وقال لرجلي الوفد] عمرو بن العاص و عبد الله [انطلقا والله لا أسلمهم إليكما أبداً] هذا هو الملك الصالح.
[فلما خرجنا قال عمرو : والله لأتينه غداً بما يبيد خضراءهم] حلف أنه يأتيه غداً بكذبة تقضي على جعفر وجماعته [فقال له عبد الله : لا تفعل فإن لهم أرحاماً، وكان عبد الله أتقى من عمرو .
فلما كان الغد أتى النجاشي وقال له عمرو : إن هؤلاء يقولون في عيسى قولاً عظيماً] عرف من أين تؤكل الكتف! فقال للملك: إن هؤلاء يقولون في عيسى بن مريم قولاً عظيم لا يطاق [فأرسل النجاشي إليهم فجاءوا، فسألهم عن قولهم في المسيح؟ فقال جعفر : نقول الذي جاءنا به نبينا: هو عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول، فأخذ النجاشي عوداً من الأرض وقال: ما عدا عيسى ما قلتَ هذا العود] ومعنى ما عدا: ما تجاوز، أي: الذي قلته هو الواقع [فنخرت بطارقته فقال لهم: وإن نخرتم؟ وقال لـجعفر وأصحابه: اذهبوا فأنتم آمنون، ما أحب أن لي جبلاً من ذهب وأنني آذيت رجلاً منكم!] ورد هدية قريش، وقال: ما أخذ الله الرشوة مني حتى آخذها منكم، ولا أطاعَ الناسَ في حتى أطيعهم فيه، وأقام المسلمون بخير دار وأحسن جوار].

نتائج وعبر من مقطوعة (إرسال قريش وفدها إلى النجاشي)

قال: [نتائج وعبر: إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبراً نوجزها فيما يلي: أولاً: بيان أن ظلم قريش للمسلمين بلغ حداً لم يتجاوزه ظلم عرفه العرب في بلادهم.

ثانياً: بيان خيبة وفد قريش وفشله في مهمته؛ لأنه يحارب الله في أوليائه، ومن يحارب الله يهزم ويخسر في الدنيا والآخرة.
ثالثاً: بيان كمال جعفر بن أبي طالب بالعلم والدين فرضي الله عنه وأرضاه.
رابعاً: بيان كمال أصحمة النجاشي إيماناً وعلماً وكرماً وحسن جوار، فرحمه الله رحمة واسعة.
خامساً: حرمة الرشوة وسوء أحوال أهلها معطين أو آخذين].
وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

لما اشتد أذى كفار مكة للمسلمين أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بالهجرة إلى الحبشة، فهاجر عدد منهم، لكن أبا بكر الصديق مكث في مكة رغبة منه في التخفيف عن المستضعفين من المؤمنين، فلما أن عجز عن ذلك استأذن النبي في الهجرة إلى الحبشة، فلما خرج وإذا هو في طريق هجرته عرض عليه ابن الدغنة أنه سيجيره، فعاد أبو بكر إلى مكة في جوار ابن الدغنة، ولكنه رد عليه جواره بعد حين، وآثر أن يصبر على الأذى مع سائر المؤمنين حتى يأذن الله بنصره لعباده المؤمنين.

ما يجب على المؤمنة من الستر والحجاب وعدم إظهار زينتها

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة.

أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيتها المؤمنات المستمعات! إننا على سالف عهدنا في مثل هذه الليلة المباركة من يوم الجمعة المبارك ندرس السيرة النبوية العطرة من كتاب هذا الحبيب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم يا محب.

وبين يدي الدرس أحد الأبناء قال لي: يا شيخ! إن تبرجاً عجيباً ظهر الآن في النساء فهل من نصيحة؟! فأجبته.

وأقول: يا معشر المؤمنات! إن المسلمة المؤمنة الربانية التي ترجو الله والدار الآخرة لا تبدي محاسنها ولا تظهر ما أمرها ربها بستره وتغطيته، فإن كانت عجوزاً لا تحيض ولا تحبل لكبر سنها فإن لها رخصة من ربها، وإليكن أيتها المؤمنات هذه الرخصة كما هي مبينة في سورة النور من كتاب الله رب العالمين، قال تعالى: وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ [النور:60]، فهذه الآية الكريمة ذات النور الإلهي تخبرنا بأمر القواعد من النساء، والقواعد: جمع قاعد، وهي التي قعدت عن الحيض والحمل؛ لكبر سنها.

وبين ذلك بقوله تعالى: اللَّاتِي لا يَرْجُونَ نِكَاحًا .

أي: آيسات من أن يتزوجن أو يقربهن الفحول؛ وذلكلكبر سنهن فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ ، أي: لا حرج، ولا إثم عليهن إن وضعن ثيابهن على المشجب، وخرجن بدون ثياب.

أية ثياب هذه التي يضعنها على المشجب ويخرجن بدونها؟ إنها الثياب التي كن يسترن بها وجوههن وأعناقهن ورقابهن وشعورهن ألا وهي الخمار، أما أن تخرج عارية فما حدث هذا في البشرية، فلا يفهمن مؤمن ولا مؤمنة من قوله تعالى: (أن يضعن ثيابهن) الخروج بلا ثياب؛ إذ هذا محرم على الرجال فضلاً عن النساء، ولما كان هذا بعيداً عن ذوق الإيمان والمؤمنين لم يكن هناك حاجة إلى أن يُفصّل، فالثياب التي لا حرج ولا إثم على المؤمنة أن تضعها في بيتها وتخرج بدونها لحاجتها تلك التي كانت تستر بها وجهها ومحاسنها.

وقوله عز وجل: (غير متبرجات بزينة) أي: حال كونهن غير متبرجات بزينة، فلهن أن يضعن ثيابهن ويخرجن وليس على وجوههن ما يستر الوجوه، ومع هذا لا بد أن يكنّ غير متبرجات بزينة، فلا كحل في العينين ولا أحمر في الخدين ولا في الشفتين، ولا حلية في العنق، ولا أسورة في الأيدي ولا في الأذان، هذا الأمر من مولاهن العليم ببواطنهن وظواهرهن، الرحيم بهن وبعباده المؤمنين، فإذنه تعالى لأمته الكبيرة السن أن تخرج بدون خمار ليس معناه أن من حقها استغلال هذه الرخصة وعمل المحسنات والمجملات في عينيها وفي رأسها وفي أذنيها وفي صدرها.

وأخيراً: وأعظم من هذا: وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ ، والاستعفاف يكون بمواصلة الحجاب كما هو وإن بلغت المرأة في السن المائة والعشرين، وقد رأينا مؤمنات في المدينة أعمارهن تقارب المائة وزيادة وهي ملتفة بملاءتها السوداء لا يظهر منها شيء.
وكل دعوة إلى كشف الوجه ذي المحاسن والجمال هي دعوة إلى العهر والزنا، فالمؤمنات لا تخرج إحداهن إلا من حاجة، وإذا خرجت سترت محاسنها، ولا تمس طيباً يشم ريحه منها، وقد جاء في هذا وعيد شديد، وأنها كالزانية، وعليها أن تلبس الثياب التفلة التي لا تلفت النظر إليها، لا أن تتفنن في الثياب حتى يُنظر إليها وتفتن غيرها.
هذا هو الطريق فمن سلكه نجا، ومن أعرض عنه وأدبر ولم يلتفت إليه هلك مع الهالكين.
وأنتم أيها السامعون! ويا أيتها السامعات! عليكم البلاغ، فبلغوا!

تفل رافضي على قبر عمر بن الخطاب رضي الله عنه

من غريب ما بلغنا اليوم من أحد رجالات الأمن في المسجد النبوي: أن رافضياً تفل على عمر رضي الله عنه اليوم ثم اعتذر وقال: أنا لا أتفل إلا على عمر أما أبا بكر فلا!! أسألكم بالله أي جهل أعظم من هذا؟ وأنا لا أعجب ومن حقكم أن لا تعجبوا، وقد تقرر عندنا وأصبح من عقائدنا: أن علة الهبوط والسقوط هي الجهل، فما علموهم وما فهموهم، وما أحسنوا تعليمهم، وما أظهروا عقائدهم ولا أبرزوها؛ ليشاهدها صاحبها متفقة مع القرآن.
مستحيل أن يعرف الله عز وجل وجلاله وكماله ومرضاته ومحابه ومساخطه ويقف هذا الموقف المزري، ونقول له: إذا كنت تتفل على قبر ميت لتشفي صدرك، فأنت مريض تحتاج إلى علاج.
اسأل أهل العلم وقل: علمتني أمي بغض فلان وفلان فهل هذا دين الله؟ ونحن نعلمك، ويعلمك المؤمنون، ونحن لا نبصق على يهودي ولا نصراني ولا كافر ولا مشرك ولا..ولا، فكيف نهبط وندعي الإسلام ثم نتفل حتى على الأموات.أعوذ بالله من هذا السقوط والهبوط! فهذه هي ظلمة الجهل.

هجرة أبي بكر الصديق الأولى

قال: [هجرة أبي بكر الصديق الأولى] إذ كان له هجرتان.
وقد عرفنا من كانت لهم هجرتان فهاجروا أول هجرة إلى الحبشة ثم عادوا إليها ثانية.
[إن أبا بكر لما هاجر ذلك العدد الكبير من المسلمين إلى بلاد الحبشة] وعلى رأسهم عثمان ذو النورين رضي الله عنه، ورقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجعفر بن أبي طالب من الدوحة النبوية، عندما لم يطيقوا التعذيب والتنكيل والاضطهاد والسخرية من رجالات قريش الكافرين المشركين، ولم يأذن لهم رسول الله في أن يسبوا أحداً، أو يغتالوه، أو يضعوا حجراً في طريقه فيشفوا بذلك صدورهم، ولكن كان يقول لهم: أقيموا الصلاة واصبروا، فلما لم يطيقوا العذاب قال لهم: إن هناك ملكاً صالحاً في بلاد كذا فاذهبوا إليه لتأمنوا، فهاجروا، فلما هاجر ذلك العدد إلى الحبشة بلغهم أن النبي صلى الله عليه وسلم قد اصطلح مع قريش وأن قريشاً دخلت في الإسلام فعادوا ليجدوا مكة أشد ظلمة مما كانت عليه، فهاجروا مرة أخرى.
قال: [ورأى اشتداد ضغط المشركين على المسلمين مع قلة الناصر] بل وعدمه [وأنه لم يقدر على أن يدفع عن أحد من المسلمين قرر الهجرة إلى الحبشة، وفعلاً استأذن الرسول صلى الله عليه وسلم بأن يهاجر فأذن له، فخرج حتى إذا سار مسافة قرابة اليومين من مكة لقيه ابن الدغنة وهو يومها سيد الأحابيش] والأحابيش هم بنو الحارث من كنانة والهون بن خزيمة بن مدركة وبنو المصطلق بن خزاعة تحالفوا جميعاً بوادٍ يقال له: الأحبش ببطن مكة فقيل لهم: الأحابيش.
[فقال له: إلى أين يا أبا بكر ؟ قال: أخرجني قومي وآذوني وضيقوا علي.
فقال ابن الدغنة : ولم؟ فوالله إنك لتزين العشيرة، وتعين على النوائب، وتفعل المعروف، وتكسب المعدوم، ارجع فأنت في جواري.
فرجع معه حتى إذا دخل مكة قام ابن الدغنة فقال: يا معشر قريش! إني قد أجرت ابن أبي قحافة فلا يعرضن له أحد إلا بخير، وحينئذ كفوا عنه فلم يعرضوا له بسوء] هذا ما يسمى بالجوار، والآن هناك ما يسمى باللجوء السياسي،

فإذا سياسي في بلد ما اضطهد أو ضيق عليه أو فر هارباً قبلوه لاجئاً سياسياً في بلاد الكفر أو بلاد الإسلام، أما الذي كان عند العرب في الجاهلية وأقره الإسلام هو الجوار.
وعندما فتح النبي صلى الله عليه وسلم مكة هرب أحد المشركين واختبأ في بيت أم هانئ وقال: أجيريني يا أم هانئ ! فجاء علي أخوها فوجده فقال: أخرجيه لأقتله، فقالت له: لا تقتله فقد أجرته! وذهبت إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فقال لها: (أجرنا من أجرتِ يا أم هانئ)، فخلدت هذه الكلمة، وتركوه.
[وكان لـأبي بكر مسجد عند باب داره يصلي فيه ويقرأ القرآن] أي مكاناً للسجود؛ لا أنه مبني بناية المساجد [فيبكي] ولذلك لما مرض النبي صلى الله عليه وسلم ودعاه ليصلي بالناس قالت عائشة لمن وفد يطلب الصديق : إن أبي رجل بكاء فلا يصلي بالناس، أي: لا يتمالك نفسه، فاطلبوا غيره.
فكرر النبي صلى الله عليه وسلم الطلب ثلاث مرات ثم تقدم أبو بكر بالناس [فيقف عليه الصبيان والعبيد والنساء] عندما يمرون به الأطفال الصغار والعبيد والنساء يصغين ويسمعن هذا القرآن.
[ويعجبون لما يرون من هيئته وبكائه وقراءته، وبلغ قريشاً ذلك، فأتوا إلى ابن الدغنة وقالوا له: إنك لم تجر هذا الرجل ليؤذينا؛ إنه رجل إذا صلى وقرأ ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم يرق ويبكي، وكانت له هيئة، فنحن نتخوف على صبياننا ونسائنا وضعفتنا أن يفتنهم] حماية للمجتمع -كما يقال- [فأته فمره أن يدخل بيته فليصنع فيه ما شاء] رجالات قريش قالوا لـابن الدغنة المجير: مر أبا بكر أن يدخل في بيته ويصنع ما يشاء، أما عند الباب والنساء والأطفال يمرون به فهو يفسد علينا أمورنا وعقيدتنا ومجتمعنا.
[فذهب ابن الدغنة إلى أبي بكر فقال له: يا أبا بكر ! إني لم أجرك لتؤذي قومك، إنهم قد كرهوا مكانك الذي أنت فيه، وتأذوا بذلك منك، فادخل بيتك فاصنع فيه ما أحببت.
فقال أبو بكر : أو أرد عليك جوارك، وأرضى بجوار الله؟ قال: فاردد علي جواري، قال: فرددته، فقام ابن الدغنة فقال: يا معشر قريش!] هذه البيانات الرسمية [إن ابن أبي قحافة قد رد علي جواري فشأنكم بصاحبكم.
فمرّ بـأبي بكر -وهو عامد إلى الكعبة- سفيه من سفهاء قريش فحثا على رأس أبي بكر تراباً، ومر بـأبي بكر رجل من قريش -ولعله الوليد بن المغيرة أو العاص بن وائل - فقال له أبو بكر : ألا ترى ما يصنع هذا السفيه؟ فقال: أنت فعلت ذلك بنفسك] رفض أن يغير المنكر [ومضى أبو بكر وهو يقول: أي رب ما أحلمك، أي رب ما أحلمك، أي رب ما أحلمك!!] أي ما أعظم حلمك! فعبده عند بيته يقرأ كتابه ويصلي له، ويمر المشركون به فيسخرون منه ويرمون عليه التراب ولم يُنزل بهم عقوبته، ولو شاء لخسف بهم الأرض، ولكنه الحليم العليم.

نتائج وعبر من مقطوعة (هجرة أبي بكر الصديق الأولى)

قال: [نتائج وعبر: لهذه المقطوعة من السيرة نتائج وعبر نجملها فيما يأتي:]
صبر أبي بكر على قومه منتظراً عقوبة الله أن تحل بالظالمين

قال: [رابعاً: وقول أبي بكر : ربي ما أحلمك ثلاثاً] رب بمعنى: يا رب! والله ليس ببعيد حتى نناديه بياء النداء، فالله لا ينادى، ولكن ينادى بأعلى صوت من هو بعيد، حتى يسمع الصوت، فالصديق كان يقول: رب ما أحلمك، أي: ما أشد وأعظم حلمك -ثلاثاً- [بعدما وضع السفيه على رأسه التراب وشكاته إلى الرجل القرشي ورده عليه] شكا أبو بكر -من باب الأسباب- إلى رجل من قريش وخيب ظنه رده عليه [بقوله: أنت فعلت ذلك بنفسك: عبرة لكل مؤمن يضطهد في ذات الله، فيصبر على أذى قومه ينتظر عقوبة الله تعالى تحل بالظالمين].
هذه العبر الأربعة أخذناها من هجرة أبي بكر والآن إلى شعب أبي طالب ، وتعرفون أن مكة كلها شعاب؛ لأنها جبال وبين الجبال أودية، وأهل مكة أعرف بشعابها، وهذا المثل سائر إلى يوم القيامة، ولـأبي طالب شعب - أبو علي عم النبي صلى الله عليه وسلم- الذي كفل رسول الله صلى الله عليه وسلم وتربى في بيته؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يتيماً، قال الله عز وجل: أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى [الضحى:6]، والحمد لله أنا دائماً أفضح لكم نفسي؛ لتنشرح صدوركم، فكلما قرأت سورة والضحى أجد هذه الآيات وأنا كذلك، فوالله لقد وجدني يتيماً فآوني أعمامي وأخوالي، ووجدني عائلاً لا أملك شيئاً فأغناني، ووجدني ضالاً أشد الضلال لا أعرف شيئاً فعلمني.

فالحمد لله، قال الله عز وجل: أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى * وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى * وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى [الضحى:6-8]، إذاً: فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ [الضحى:9]، ووالله ما قهرنا يتيماً قط.
وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ [الضحى:10]، ولا نهرنا سائلاً والحمد لله! وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ [الضحى:11]، وها نحن نحدث الليل والنهار، فالحمد لله.
ثانياً: بيان فضل أبي بكر وما كان عليه من الإيمان والتقوى

قال: [ثانياً: بيان فضل أبي بكر وما كان عليه من الإيمان والتقوى] وتعرفون أيضاً ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو قوله: (لو وضع إيمان أبي بكر في كفة ووضع إيمان الأمة كلها في كفة لرجح إيمان أبي بكر).
وهناك ممن ينتسب إلى المسلمين من يكره أبا بكر ويبغضه ويكفره ويلعنه، ويبلغه أن هذا الموقف كفر مخرج من الملة ويرضى بذلك؛ استجابة لأئمته ودعاته، هؤلاء أبقار أم ماذا؟! إنهم أضل من الحيوانات.
لو قال لك أحد من الناس: إن اعتقادك في كذا كفر، هل تبيت في راحة؟ والله لا تستطيع، حتى تسأل وتتحقق، كيف أعيش كافراً؟! لكن لما كانت المكرة مجوسية؛ لإعادة دولة المجوس تحملوا كل شيء في سبيلها، ولكن العار هو كون هذا يعود على الإسلام والمسلمين.
إذاً: من نتائج هذه المقطوعة: بيان فضل أبي بكر وما كان عليه من الإيمان والتقوى، والإيمان والتقوى بهما تتحقق ولاية الرحمن، فمن أصبح ولياً لله لا يخاف ولا يحزن، قال تعالى: أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ [يونس:62]، من هم؟ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ [يونس:63]، آمنوا إيماناً إذا عرضناه على القرآن وافق عليه، وأمضى وصدق أنه مؤمن، ليس دعوى فقط، فالإيمان الصادق إيمان يوافقه القرآن ويرضى به.
والتقوى هي خوف من الله يملأ قلب الخائف حباً لله، ويُوجد له قوة دافعة إلى أن يطيع الله في الأمر والنهي، ولو أمره بقتل نفسه لقتلها، أو أمره أن يخرج من أهله وماله خرج، تلك هي التقوى: طاعة الله وطاعة رسوله في الأمر والنهي معاً.

توكل أبي بكر على ربه واعتماده عليه

قال: [ثالثاً: في رد أبي بكر جوار ابن الدغنة ورضاه بجوار ربه مثل عالٍ في التوكل على الله تعالى] أما رد عليه جواره؟ قال ابن الدغنة : يا أبا بكر إني لم أجرك لتؤذي قومك، فادخل بيتك فاصنع فيه ما أحببت، فأني لا أريد أن ينقض جواري، فقال: لك جوارك يا ابن الدغنة ورضيت بجوار ربي.
التوكل هنا واضح وأنه اعتمد على الله.

أولاً: هجرة أبي بكر مثلٌ حي لكل مؤمن يضطهد في بلده

قال: [أولاً: هجرة أبي بكر مثلٌ حي لكل مؤمن يضطهد في بلده، فيخرج منه طالباً لعزة نفسه وحرية عمله الإسلامي] كل مؤمن يضطهد في بلده ويحال بينه وبين عبادة ربه تجب عليه الهجرة، عليه أن ينتقل من مكان إلى آخر؛ ليعبد الله عز وجل بحرية، وهذه الهجرة فريضة، فأيما مؤمن أو مؤمنة يحال بينه وبين أن يعبد الله عز وجل وجبت عليه الهجرة، وليس معنى الهجرة أن تنتقل من إقليم إلى آخر، ولكن قد يكون من بلد إلى بلد، أو من قرية إلى أخرى، أو من سهل إلى جبل؛ إذ المطلوب منك أن تعبد الله -وهو سر حياتك وعلة وجودك- فإذا تعطلت هذه العبادة فلا خير في البقاء في هذا المكان، ارحل إلى مكان آخر، والمهاجرون لهم فضيلة دون فضيلة المجاهدين بل تساويها أحياناً.
ومما نذكر في هذا الشأن: أنه لما كان بعض الأصحاب في سفح أوروبا الجنوبي بعد أن اجتازوا البحر الأبيض، توفي أحد المجاهدين، وخرج معه إلى المقبرة عدد قليل، ولما استشهد آخر خرجت البلاد كلها معه، فقال لهم أحد الأصحاب رضوان الله تعالى عليهم: والله لا أبالي أن أموت شهيداً أو مهاجراً؛ إذ فضل الهجرة كفضل الجهاد أو مساوياً له، وقرأ آية سورة الحج: وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ * لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ [الحج:58-59].

فليس هناك فرق كبير بين المهاجر والمجاهد؛ والسر هو أن المهاجر يعبد الله، والمجاهد يدعو إلى عبادة الله؛ لأنه يقاتل من أجل أن يعبد الله.
أما العاجزون من النساء والأطفال وكبار السن فقد جاء العفو عنهم في كتاب الله، قال تعالى: إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا * فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا [النساء:98-99]، إذ ليس كل أحد يستطيع الهجرة، فالمرأة لا تستطيع، والطفل الصغير لا يستطيع، والعاجز عن الركوب أو المشي؛ لمرض أو كبر لا يستطيع، فهؤلاء رجّاهم الله وقال: فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ [النساء:99].

في شعب أبي طالب

قال [في شعب أبي طالب : إنه لما رأت قريش انتشار الإسلام وكثرة من يدخل فيه، وبلغها ما لقي المهاجرون في بلاد الحبشة من إكرام وتأمين مع عودة وفدها خائباً لم يحصل على طائل] فقد تقدم أن قريشاً بعثت وفداً برئاسة عمرو بن العاص إلى النجاشي ملك الحبشة، وقلنا إن عمراً كان أعظم سياسي في العالم بكامله في الإسلام والجاهلية، ولكن جعفر استطاع أن يحبط كل عمله، وبالتالي خاب وفد قريش وعاد في كرب، ولم ينجح في المطالبة بأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وعليه [اشتد حنقها] أي حنق قريش، والحنق كالخنق [على الإسلام والمسلمين، فقامت باتخاذ إجراء انتقامي ظالم جائر، ما كان لها أن تتخذه لولا ما أصابها من خيبة أمل جعلها تفكر هذا التفكير وتعمل هذا العمل الشرير] ما هو هذا الإجراء؟ قال: [اجتمع رجالها واتخذوا قراراً بكتابة كتاب يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني عبد المطلب، على ألا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم، ولا يبيعوهم شيئاً ولا يبتاعوا منهم، وفعلاً كتبوا صحيفة بذلك، وتعاهدوا عليها وتواثقوا، ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة تأكيداً لأمرهم بذلك.
وكتب الصحيفة منصور بن عكرمة بن عامر فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فشلت يده] إجراء من أفظع الإجراءات.
[ولما فعلت قريش هذا الفعل القبيح الجائر انحاز بنو هاشم وبنو المطلب إلى شعب أبي طالب ، ودخلوا فيه برجالهم ونسائهم وأطفالهم، إلا ما كان من الطاغية أبي لهب فإنه لم يدخل معهم؛ لأنه ظاهر قريشاً على عملهم الإجرامي هذا، وكانت سنة سبع من البعثة] هذه الاتفاقية [واستمر الحصار في الشعب لبني هاشم وبني المطلب ثلاث سنوات] إلى العاشرة [عانوا فيها الجوع والحرمان ما لا يخطر ببال، إنهم من شدة الجوع أكلوا ورق الشجر، وكان يُسمع -من بعيد- بكاء أطفالهم من الجوع] حصار ما عرفته الدنيا، جمعوا بني هاشم وبني المطلب هنالك ومنعوا الدخول عليهم والخروج منهم، وهو إجراء وقائي -كما يقولون-! [ولما أراد الله تعالى تفريج كربهم -بعد أن ضربوا الرقم القياسي في الصبر والاحتساب- قيض الله جل جلاله رجالاً من ذوي المروءة والحسب وعلى رأسهم هشام بن عمرو بن ربيعة ، إذ هو الذي مشى إلى رجال من قريش عرف فيهم عدم رضاهم على قرار قريش الجائر، فاستثار شعورهم وحملهم على أن يتعاونوا على نقض الصحيفة] المعلقة في الكعبة [وكانوا خمسة رجال، ولما اجتمعت قريش في أنديتها، قام أحدهم -وهو زهير بن أبي أمية - وأقبل على الناس وقال: يا أهل مكة! أنأكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم هلكى لا يُباع لهم ولا يبتاع منهم، والله لا أقعدن حتى تنشق هذه الصحيفة الظالمة، وقام أحد الرجال الخمسة فقال مثلما قال الأول، وقام ثالث مؤيداً، وقام رابع بنفس الروح، وتقدم المطعم بن عدي إلى الصحيفة ليشقها فوجد الأرضة قد أكلتها إلا كلمة] هذه الأرضة محبوبة لنا، وهي العثة، فقد أكلت الصحيفة إلا كلمة واحدة هي [باسمك اللهم] لأنهم إذا كتبوا عقودهم صدّروها بكلمة (باسمك اللهم)، فهم مؤمنون بالله، وباسمه فعلوا، لكن حاشا لله ما أذن لهم بهذا، لكن الأرضة لم تأكل هذه الكلمة لأن فيها اسم الله [وكان أبو جهل يسمع ويرى ما يجري في القضية، فلم يتمالك اللعين حتى قال: هذا أمر دبر بليل ..ومزقت الصحيفة وبطل مفعولها، ويومئذ خرج بنو هاشم وبنو المطلب من الشعب.
ومن آيات النبوة أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر عمه أبا طالب بأن الأرضة قد أكلت كلمات الباطل والجور فيها وأبقت كلمة الحق فيها، وهي (باسمك اللهم)، وكان الأمر كذلك، فإنهم لما انتزعوا الصحيفة من جدار الكعبة لم يجدوا فيها إلا جملة (باسمك اللهم)، وبذلك وبخهم أبو طالب على صنيعهم فطأطئوا رؤوسهم، ولم يجيبوا بشيء وقال في هذا أبو طالب شعراً وهو قوله: وقد كان في أمر الصحيفة عبرة متى يخبر غائب القوم يعجب محا الله منها

كفرهم وعقوقهم وما نقموا من ناطق الحق معرب فأصبح ما قالوا من الأمر باطلاً ومن يختلق ما ليس بالحق يكذب] هذا من هذا.
وأبو طالب هو الآن في النار، إي والله، وسبب دخوله النار مع هذا الإحسان والكمال؛ لأنه مات على غير عقيدة التوحيد، مات على غير لا إله إلا الله محمد رسول الله، فلهذا تقرر عندنا وأصبح من الضروريات العلمية أن من مات على الشرك لا يدخل الجنة، وذلك لقول الله عز وجل: وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ [الزمر:65] وقوله عز وجل: إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ [النساء:48]، فلذلك نعمل جهدنا على أن لا يموت ميت بيننا وهو لا يقول: لا إله إلا الله، محمد رسول الله.
وبالمناسبة: ندعو مسئولينا -حفظهم الله وأيدهم- إلى أن يوظفوا عقلاء ربانيين حلماء علماء في المستشفيات مهمتهم تلقين الموتى كلمة التوحيد، وقد يموت الشخص -وكثير من يموت- ولا يجد من يلقنه لا إله إلا الله، وأشجعهم بأن النصارى يقومون به، ففي مشافي النصارى نساء ورجال من الرهبان يجلسون إلى سرير المحتضر يلقنونه ميتة الكفر! من أحق بهذا نحن أم هم؟ وإن هبط المسلمون وما فعلوا هذا فهل نحن مثلهم.
فلهذا يجب أن يوظف في كل مستشفى عدد من النساء والرجال يتجولون فيها بحسب ساعات الدوام، وعلى الذين لهم مستشفيات خاصة أيضاً أن يوظفوا رجلاً وامرأة -على الأقل- ليطوفوا بأسرة المرضى، فإذا رأوا المحتضر يحتضر جلسوا إليه ولقنوه حتى يتوفاه الله.
وهذه الكلمة لا يوجد من ينقلها ولا ينشرها؛ لأن فيها الخير والصلاح!! والطريقة هي كالتالي: المستشفى فيها موظفون: الممرضين والممرضات والكناسين والطباخين وهم بالعشرات، وكذلك يجب أن يوجد اثنان أو ثلاثة من النساء الطاهرات، ومن الفحول الرجال على قدر سعة المستشفى، مهمتهم أي غرفة في المستشفى علموا أن السرير الفلاني فيها صاحبه يحتضر -من طريق الأطباء- فيجلسوا إلى جنبه ويلقنوه لا إله إلا الله، لا إله إلا الله، فإذا أفاق المحتضر وقال: لا إله إلا الله، سكت الملقن، ثم ينتظر إن استفاق وقال: أعطوني ماء أو تكلم أعاد عليه التلقين: مرتين أو ثلاثة حتى ينطق بالشهادة مرة أخرى، ولا يقول الملقن للمحتضر: قل! لا.
لأنه قد يقول: لا أقول! فيموت إلى جهنم، وإنما يكون إلى جنبه ويلقنه: لا إله إلا الله! فإذا قالها المحتضر سكت الملقن حتى يموت ذلك الشخص، وإذا عاود الكلام بأمور الدنيا أعادها له؛ حتى يختم له بكلمة التوحيد فيكون ضامناً على الله دخول الجنة.
هذا يجب أن يبلّغ هذه الليلة، وليس هو بالعنف والشدة، ولكن بالرفق واللين، فيذهب إلى صاحب المستشفى أو مديرها ويقال له: من فضلك: لقد سمعنا في المسجد نظرية حق وصدق، وهي: لو أنكم توظفون رجلاً أو رجلين من الصالحين وامرأة أو امرأتين مهمتهم تلقين المحتضر الشهادتين، يتناوبون على ذلك الليل والنهار كسائر الأعمال.
وبهذا يرفعنا الله إلى مستوى ما كنا لنصل إليه إلا بهذه، ويدفع عنا من الكرب والبلاء ما لا يقدر على دفعه إلا هو؛ لأننا استجبنا. وإن شاء الله سنُبشر ونخبركم بأنهم فعلوا.

نتائج وعبر من مقطوعة (في شعب أبي طالب)

قال: [نتائج وعبر: إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبراً هي كالتالي: أولاً: بيان ما وصلت إليه قريش في الظلم والتعسف والجور، وذلك باتخاذ قرار المقاطعة الجائر الهادم لكل خلق وقيمة إنسانية.
ثانياً: بيان ما لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون من أذىً واضطهاد من كفار قريش.
ثالثاً: بيان صبر المسلمين وجلدهم وذلك في ذات الله عز وجل.
رابعاً: بيان أن أهل المروءة والكرم لا يخلو منهم زمان ولا مكان، والحمد لله].
وأخذنا هذه العبرة من الخمسة.
[خامساً: تجلي آية النبوة المحمدية في أكل الأرضة الصحيفة الجائرة إلا اسم الله تعالى] لو لم يكن الرسول على حق ما كانت الأرضة لتأكل الصحيفة حتى لا تبقي منها إلا كلمة باسمك اللهم فقط [وإخبار الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك، فكان الأمر كما أخبر، إذ نزعت الصحيفة فلم يجدوا فيها إلا جملة: (باسمك اللهم) وما عدا ذلك أكلته الأرضة] والرسول أخبر بهذا جماعته في الشعب قبل أن تعلم قريش به.
وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه .

لما رأى كفار قريش انتشار الإسلام في بيوتاتهم، وتزايد عدد الداخلين في هذا الدين، تنادوا للاجتماع والاتفاق على اعتزال كل من يؤيد النبي صلى الله عليه وسلم من بيوت مكة، فحوصر النبي ومن معه من أفراد بني هاشم ومن كان معهم في شعب أبي طالب، واستمر حصارهم فيه ثلاث سنوات، وأثناء هذا الحصار رزئ النبي بوفاة عمه أبي طالب ثم وفاة خديجة رضي الله عنها، فكان عاماً حزيناً في حياة النبي والمؤمنين.

تابع نتائج وعبر من مقطوعة (في شعب أبي طالب)

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا اله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.
أما بعد: فقد انتهى بنا الدرس إلى مقطوعة مؤلمة محزنة وهي قول المصنف: [اشتداد حلوكة الليالي والأيام على الحبيب عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام] ولكن قبل هذا نذكّر بنتائج وعبر المقطوعة السابقة: في شعب أبي طالب:
قال: [أولاً: بيان ما وصلت إليه قريش في الظلم والتعسف والجور، وذلك باتخاذها قرار المقاطعة الجائر الهادم لكل خلق وقيمة إنسانية] لما انهزمت بعثتها عند الملك أصحمة الحبشي وانتصر المهاجرون اشتد حنق المشركين، واشتد ظلمهم، فاتخذوا قراراً من أفظع القرارات -وقد اتخذته الأمم المتحدة في هذه الأيام على دولة عربية- هذا القرار هو حصار النبي صلى الله عليه وسلم وأقربائه في شعب أبي طالب ثلاث سنوات لا يباع لهم ولا يبتاع منهم، واتخذوا لهذا القرار ورقة كتبوها وعلقوها في الكعبة، حتى اضطر المؤمنون إلى أكل ورق الشجر وتقرحت شفاهم من أكله.
وهذا ابتلاء وامتحان، ومن صبر ظفر، فبعد ثلاث سنوات فرجت الأزمة، بعد أن تجلت حقيقة الصبر للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وكان ذلك بأن انبرى خمسة من رجال المشركين من ذوي المروءات وشنعوا على قريش جريمتها ونددوا بها في شجاعة، ثم أقدموا على الصحيفة فمزقوها، وقد عرفتم أن الأرضة أكلتها، ولم تبق منها إلا كلمة واحدة وهي: (باسمك اللهم).
وهذه آية من آيات الله.
[ثانياً: بيان ما لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون من أذى واضطهاد من كفار قريش ثالثاً: بيان صبر المؤمنين وجلدهم وذلك في ذات الله عز وجل.
رابعاً: بيان أن أهل المروءة والكرم لا يخلو منهم زمان ولا مكان، والحمد لله] هؤلاء الخمسة الرجال الفحول هم الذين عزموا على نقض هذه الاتفاقية وبالفعل نقضوها.
[خامساً: تجلي آية النبوة المحمدية في أكل الأرضة الصحيفة الجائرة إلا اسم الله تعالى، وإخبار الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك] قبل أن تمزق الورقة [فكان الأمر كما أخبر] فداه أبي وأمي والعالم أجمع [إذ نزعت الصحيفة فلم يجدوا فيها إلا جملة: (باسمك اللهم)، وما عدا ذلك أكلته الأرضة.
فهذه خلاصة المقطوعة التي سبقت، والآن مع مقطوعة أخرى، والله أسأل أن يحملنا على الصبر حتى لا نبكي، فإن بكينا انقطع الدرس، وهي والله مبكية محزنة للمؤمنين الصادقين.

اشتداد حلوكة الليالي والأيام على الحبيب عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام

قال: [اشتداد حلوكة الليالي والأيام] أي: ظلمتها [على الحبيب عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام: إنه ما إن انفرجت تلك الأزمة الخانقة بالحصار في شعب أبي طالب -التي دامت ثلاث سنوات تقريباً- حتى رُزئ صلى الله عليه وسلم بأعظم رزء، إنه وفاة أبي طالب العم الكافل والطود الأشم المانع، والأسد الحامي، والحصن الواقي، ووفاة خديجة ، ومن هي خديجة ؟ إنها الملاذ بعد الله، والأنيس بعد ذكره، إنها كانت تؤمنه إذا خاف، وتؤنسه إذا استوحش، تريحه بعذوبة حديثها إذا تعب، وتسدده بصائب رأيها إذا قلق أو اضطرب] فرضي الله عن خديجة وأرضاها.

قال: [مرض أبو طالب مرضه الذي توفي فيه، وعلم به كفار قريش، فجاءوا يطلبون منه أن يفاوض لهم ابن أخيه علهم يظفرون بصلح معه قبل وفاة عمه] شعروا بخطورة مرض أبي طالب ، فحاولوا أن يتوسط لهم في صلح بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم [فبعث أبو طالب إلى النبي صلى الله عليه وسلم فحضر] بعث إليه رسولاً أن احضر فامتثل أمره النبي وحضر [فقال له: يا ابن أخي!] أبو طالب قال للنبي صلى الله عليه وسلم، يا ابن أخي! وحقاً هو ابن أخيه، فعبد الله أخو أبي طالب ، وكلاهما ابنا عبد المطلب ، ولكنها آداب رفيعة [هؤلاء أشراف قومك] أي علاتهم وساداتهم، من الشرف الذي هو العلو [قد اجتمعوا لك؛ ليعطوك وليأخذوا منك] أين درس أبو طالب ؟ كيف تحصل على هذه السياسة؟ في كلية السياسة في لندن؟ والله لا يساوون أبا طالب خريجو تلك الكليات.
وقد عرفتم تلك اللطيفة التي منّ الله بها علينا، وهي أن البشرية بدأت بكمالاتها العجب، ولا زالت تنمو المروءات والكرم والشجاعة والطهر والصفاء حتى بلغت سن الكهولة، ثم أخذ عمرها ينزل حتى أصبحت في هذه الأيام في حال الشيخوخة، لا تبالي بالفجور والشر والظلام والفساد، فلا حياء لا مروءة ولا كرم، لقد هبطت؛ وسبب ذلك -فيما أعلم- كبر سنها، فقد أوشكت على النهاية.
والواقع شاهد، فلا يوسوس لك شيطان، فنحن في آخر الأيام، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (بعثت والساعة كهاتين)، ويقول الله عز وجل: اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ [القمر:1]، وقد مضى من يوم بعثته صلى الله عليه وسلم ألف وأربعمائة سنة فكم بقي؟ فلهذا سوف تظهر العجائب وتقوم الساعة ولا يوجد من يقول: لا إله إلا الله، أو الله.
فهذا الهبوط المشاهد في العالم مثله مثل الشيخ إذا كبر أصبح يهذر ويقول ما لا يعلم.
واسمع كلمات المشركين في صفائها ومكانتها وذوقها، أبو طالب يقول: يا ابن أخي! هؤلاء أشراف قومك قد اجتمعوا لك؛ ليعطوك وليأخذوا منك، لا أنهم يأخذون بدون عطاء، ولكن بالعدل والإنصاف، أي: يعطونك شيئاً ينفعك ويأخذون منك شيئاً ينفعهم.
قال: [فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (نعم كلمة واحدة تعطونيها تملكون بها العرب، وتدين لكم بها العجم)] والعالم ما بين عرب وعجم، وأبيض وأسود [فقال أبو جهل : وأبيك وعشر كلمات] (وأبيك) يعني: حلف بأبيه أن يعطيه عشر كلمات ليس كلمة واحدة فقط [فقال صلى الله عليه وسلم: (تقولون: لا إله إلا الله، وتخلعون ما تعبدون من دونه)] أي: تبرهنون على أنكم قلتم هذا في صدق لا في نفاق بأن تخلعوا عبادة غيره عنكم.
هذه هي الكلمة الواحدة التي تدين بها العرب بها العجم [فصفقوا بأيديهم] فرحين أم ساخطين؟ نحن نصفق إذا فرحنا كالنساء، إذاً هم خير منا في هذا الأمر! والآن في المؤتمرات العربية والإسلامية إذا خطب الخطيب ورفع الهمم وقفوا يصفقون وهم قيام، كأنهم مجانين، وشاء الله وانتهت هذه البدعة مع الزعماء والأحزاب، قضى الله عليها، وفي مؤتمر عربي حضرناه ثلاثة من المملكة فقط، وحضره نساء العرب ورجالهم إلا ما كان من المملكة بلا نساء، كنا جالسين فقام الزعيم ليخطب وقاموا يصفقون فقلنا: لهم هذا منكر وهو تقليد للنصارى.
فنحن إذا أُعجبنا بشيء سبحنا الله أو كبرناه، لا أننا نصفق كالنساء.
والمهم: أن المشركين لما سمعوا كلمة الحبيب صلى الله عليه وسلم صفقوا بأيديهم [وقالوا: أتريد يا محمد! أن تجعل الآلهة إلهاً واحداً] إذاً صفقوا متعجبين من هذه الكلمة، كيف تصدر من عاقل مثل محمد صلى الله عليه وسلم وقالوا: [إن أمرك لعجب] يعني كيف تمحو الآلهة كلها أو تجمعها كلها في إله واحد؟ هذا غير ممكن! وكل إله يعبده قوم [ثم قال بعضهم لبعض: إنه والله ما هذا الرجل الذي يعطيكم شيئاً مما تريدون] عرفوا صلابته صلى الله عليه وسلم وعرفوا ثبات مبدأه ومنهجه، فقالوا: ما هو بالرجل الذي يعطيكم ما تريدون، يعني ايئسوا منه [فانطلقوا وامضوا على دين آبائكم حتى يحكم الله بينكم وبينه] وهذا كلام موحدين؛ لأنهم كانوا يؤمنون بالله ولكنها الشهوات والأهواء والتقليد [ثم تفرقوا وفيهم نزلت الآيات الأولى من سورة (ص_ وهي قول الله تعالى بعد بسم الله الرحمن الرحيم [ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ [ص:1] إلى قوله: إِنْ هَذَا إِلَّا اختلاقٌ [ص:7]..] والآيات كاملة هي: ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ * بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ [ص:1-2] عزة ظهرت في كلامهم! كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوْا وَلاتَ حِينَ مَنَاصٍ * وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ * أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ * وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ * مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلاقٌ * أَؤُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ [ص:3-8].
قال: [واشتد المرض بأبي طالب فعاده الرسول صلى الله عليه وسلم، فوجد عنده بعض المشركين]يعودونه؛ لأن عيادة المريض من أخلاقهم أيضاً وآدابهم مع كفرهم [فعرض عليه الشهادة] أي: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً

رسول الله [فقال] في عرضه لها عليه [(يا عم! قل لا إله إلا الله كلمة أُحاج لك بها عند الله يوم القيامة)] يعني: إذا قلتها ومت عليها أنا بإذن الله تعالى أطالب بنجاتك يوم القيامة بهذه الكلمة [فنظر أبو طالب إلى أشياخ الشرك حوله] الذين جاءوا يعودونه في مرضه [فقالوا له: أترغب عن ملة عبد المطلب ؟] بعد شاهدوا منه ملامح الرغبة في أن يجيب ابن أخيه ويقول الكلمة التي سيحاج له بها عند الله، فلما شاهدوا الحال قالوا هذه الكلمة الساحرة: أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ يعني هذه ملة أبيك وجدك، فكيف ترغب عنها بكلمة أخرى؟ [فقال: هو على ملة عبد المطلب] وختم له بالموت على الشرك [ومات، فحزن الرسول صلى الله عليه وسلم] حزن على موت عمه؛ لِما كان يحصل عليه من نصرته والوقوف إلى جنبه ودعمه في دعوته [فقال -صلى الله عليه وسلم:- (لأستغفرن لك ما لم أنهَ عن ذلك)] وهذا الذي يملكه رسول الله صلى الله عليه وسلم، واللام في قوله: (لأستغفرن) لام القسم، يعني: والله لأستغفرن لك ما لم أنه عن ذلك، أي: إن نهاني ربي فالأمر له [فأنزل الله تعالى من سورة التوبة: مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُوْلِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ [التوبة:113]] وسورة التوبة سورة مدنية، فالآيات كانت تنزل في مكة وبعد سنتين أو ثلاثة أو أربعة توضع في السورة المدنية؛ لأن القرآن نزل آيات وسور، لم ينزل نزل جملة واحدة كالتوراة والإنجيل.

نعم هو موجود في اللوح المحفوظ كما هو، قال الله عز وجل: بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ [البروج:21-22]، لكنه نزل في ثلاث وعشرين سنة، فكان يقول لهم جبريل : ضعوها الآية الفلانية في المكان الفلاني، والرسول صلى الله عليه وسلم يبلّغ، وكتبة الوحي يضعونها، فالآية السابقة الذكر من سورة التوبة وسورة التوبة مدنية بحتة، ولكن هذه الآية وضعت في هذا المكان منها.

[وأخبر هو صلى الله عليه وسلم بعد: أن عمه أبا طالب في ضحضاح من نار يصل إلى كعبيه يغلي منه دماغه] بعدما مات ودخل النار، بلغ النبي صلى الله عليه وسلم وأعلم بأن أبا طالب في النار، وأنه في ضحضاح منها يغلي منه مخه، ونظير هذا: عندما كان صلى الله عليه وسلم عائداً من مكة إلى المدينة، مر بالأبواء حيث توفيت والدته آمنة هناك في الجاهلية وهو صغير، والأبواء قريباً من رابغ، فوقف على قبرها يبكي طويلاً، فسأله أصحابه: ما أبكاك يا رسول الله؟! قال: (بكيت؛ لأني استأذنت ربي في أن أزور قبر أمي فأذن لي، واستأذنته في أن أستغفر لها فلم يأذن لي)، لأن من مات ونفسه خبيثة بأوضار الشرك والآثام لا تقبل فيه شفاعة ولا يُرفع له صوت، حكم الله بهذا وانتهى، وقد أقسم الجبار بقسم العظيم، قال تعالى: وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا * وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا * وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا * وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا * وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا * وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا * وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا [الشمس:1-8]، وهي تسعة أو عشرة أيمان من أجل هذا الحكم الخطير، وهو: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا [الشمس:9-10].

فلهذا كن ابن من شئت، كن ابن موشي ديان -أخبث اليهود- وزك نفسك بالإيمان وصالح الأعمال، وأبعدها عن الشرك وأوضار الآثام، فلا يضرك كون أبيك يهودياً، ولا قيمة له، وكن ابن رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم سيد الخلق، وخبث نفسك بأوضار الشرك والفسق والفجور فلا ينفعك النسب أبداً.

ولا تعجبوا فالقرآن شاهد، أن أبا إبراهيم (آزر) في النار، وقد أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم بحادثة بأنه (إذا قامت القيامة ووقف الناس في عرصاتها جاء إبراهيم إلى ربه وقال: أي رب! لقد وعدتني أن لا تخزني يوم القيامة وهذا أبي الأبعد في النار، فأي خزي أعظم من هذا الخزي؟! فيقول له الرب تبارك وتعالى: انظر تحت قدميك -لأنه واقف ويسأل- فينظر وإذا بأبيه آزر في صورة ضبع ذكر ملطخ بالدماء والقيوح والأبوال والأوساخ، فما إن ينظر إليه حتى يصرخ: بعداً بعداً!! سحقاً سحقاً!! فيؤخذ من قوائمه الأربع ويلقى في أتون الجحيم.

فتهدأ نفس إبراهيم وتطيب فلا يفكر في أبيه بعد قط).

هذا إبراهيم مع وعد الله تعالى له في قوله: وَلا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ * يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ [الشعراء:87-89]، ظن أن الله استجاب له.

وهذا نوح أبو البشرية الثاني عليه السلام، هل شفع في ولده كنعان ؟ لم يشفع، ولمّا سأل متعجباً: رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ [هود:45] قال الله له: قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ [هود:46] وفي قراءة: (إنه عَمِلَ غير صالح) فَلا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ [هود:46].

ولكن هبطت الأمة، وأصبح مشايخ الطرق والزوايا يعيشون على صدقاتها وإحسانها، على أن يشفعوا لمريديهم، وكانوا الناس -والله- يتصدقون بالبساتين عندما يضمن لهم الشيخ هذا، وكأنهم لا يقرءون القرآن، وهم يقرءونه ولكن على الموتى لا على الأحياء.
قال الله تعالى: مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا [التوبة:113] أي: نحن منهم ليس النبي وحده أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُوْلِي قُرْبَى [التوبة:113] يعني أصحاب القرابة مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ [التوبة:113]، وكل من مات على الشرك والكفر من أصحاب الجحيم، أما من مات على التوحيد وكان شارباً للخمر أو قاتلاً للنفس المحرمة فلا نحكم عليه بالنار ولا بالخلود فيها، بل نفوض أمره إلى الله عز وجل.
قال: [وبعد خمسين يوماً من موت أبي طالب تقريباً، ماتت أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها، وتتابعت المصائب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، واشتد الكرب وعظم الحزن.
مات العم الذي كان عضداً قوياً لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان حرزاً منيعاً] أي: له صلى الله عليه وسلم [وماتت بعده خديجة المؤنسة ساعة الوحشة، والمؤمنة المطمئنة ساعة القلق والخوف، وخلت الساحة للمشركين] وبدأ الكرب من جديد[فأخذوا ينالون من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم يكونوا ينالونه من قبل، فقد رموا بالأقذار عليه] عقبة بن أبي معيط عليه لعائن الله جاء بسلا جزور من ساحة المروة أو الصفا ولما سجد صلى الله عليه وسلم وضع ذلك القذر على كتفيه، والمشركون يضحكون حول البيت، وجاءت فاطمة -وهي طفلة صغيرة- فأخذته من على ظهره ونالتهم سباً وشتماً، وهم أهلٌ لذلك، ولكن لمروءتهم أيضاً ما تكلموا عليها؛ لأنها صغيرة، أما لو كانوا من جماعتنا اليوم لألحقوها بأبيها، وغمسوا رأسها في السلا، لكن لهم ميزات رغم كفرهم.
إذاً: خلت الساحة للمشركين فأخذوا ينالون من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم يكونوا ينالونه من قبل، أيام وجود عمه كالأسد إلى جنبه.
قال: [وعلى باب داره، بل وداخل الدار، حتى رموا بالقذر في القدر الذي يطبخ فيه] طعامه صلى الله عليه وسلم.
ولكنه صبر، فأين صبرنا نحن؟ لو صبرنا عُشر صبره صلى الله عليه وسلم لارتفعت راية لا إله إلا الله في كل مكان.

نتائج وعبر من مقطوعة (اشتداد حلوكة الليالي والأيام على الحبيب عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام)

قال:[نتائج وعبر: إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبراً نوجزها في التالي] والعبر: جمع عبرة، مأخوذة من العبور، والعبّارة في البحر ما يعبر به من الخطر إلى النجاة والسلامة، قال الله عز وجل: إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُوْلِي الأَبْصَارِ [آل عمران:13]، والذين لا أبصار لهم لا يجدون عبّارة، ويبقون دائماً في أحوالهم.

خامساً: فيما أصاب رسول الله عزاء لكل مؤمن فيما يصيبه في هذه الحياة من بلاء ومصائب

قال: [خامساً: فيما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من مصائب عزاء لكل مؤمن فيما يصيبه في هذه الحياة من بلاء ومصائب مهما عظمت] يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (إذا أصيب أحدكم بمصيبة فليذكر مصيبته بي فإنها أعظم المصائب)، فإذا مات ابنك أو أخوك فالرسول أعظم من أخيك وأبيك [إذ رسول صلى الله عليه وسلم أسوة المؤمنين والمؤمنات] لقول الله تعالى: لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ [الأحزاب:21].

رابعاً: تتابع المصائب عليه صلى الله عليه وسلم كان مؤذناً بالفرج القريب

قال: [رابعاً: تتابع المصائب على الحبيب صلى الله عليه وسلم كان مؤذناً بالفرج القريب] قال الله عز وجل: فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا [الشرح:5-6]، ولن يغلب عسر يسرين أبداً.
ثانياً: ذكر آخر عرض عرضه المشركون على الرسول للصلح

قال: [ثانياً: ذكر آخر عرض عرضه المشركون على رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلح] وما بقي بعد ذلك عرض، فقد كان هذا آخر عرض، توسطوا فيه بـأبي طالب وقالوا: قل لابن أخيك يقبل منا كذا وكذا، ونعطيه كذا وكذا [ولم يفلحوا؛ لأنهم مصرون على الشرك] ما أفلحوا في وسائطهم وعرضهم؛ لأنهم مصرون على الشرك والعياذ بالله، ولو تبرءوا وقالوا: لا إله إلا الله ورموا بالأصنام خارج مكة لكان انتهى نزاعهم وصراعهم.

ثالثاً: بيان سبب نزول آيات: (ص) و(التوبة) و(القصص)

قال: [ثالثاً: بيان سبب نزول آيات: (ص وقد تقدمت [و(التوبة) أيضاً وهي قوله تعالى: مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُوْلِي قُرْبَى [التوبة:113] وآيات [(القصص) وهي قوله تعالى: إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ [القصص:56]، لأنه لما عزم على أن يستغفر لـأبي طالب نزلت آية التوبة، فحزن الرسول صلى الله عليه وسلم، فأذهب الله حزنه بقوله: إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ [القصص:56]، أي: أنه ليس لك قدرة على أن تهدي من تريد، ولكن الله يهدي من يشاء، ففوض الأمر إليه.

فخفف عن رسول الله ألمه [فالأولى في المصالحة الفاشلة، والثانية والثالثة في أبي طالب ، الثانية في عدم الاستغفار له، والثالثة في تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم وحزنه على موته على الشرك].

يا عبد الله! ايئس من نجاة من مات على الشرك! ولهذا قامت دعوة المصلحين في هذه الديار، تحارب الشرك من أيام شيخ الإسلام إلى اليوم ونفع الله بها، وإلا كان ثلاث أرباع العالم الإسلامي مشرك، كانوا يقرءون القرآن ويشركون بالله، في الدعاء، والاستغاثة، والحلف، والنذر.

وعورضت هذه الدعوة بأشد أنواع المعارضة، ومن تكلم بها قالوا: وهابي خامسي!! كانت الأمة هابطة، ولكن شاء الله أن يرحمها، فهيأ الأسباب وقامت هذه الدولة، ويسّر الله الاستقلال للعرب والمسلمين، وانتشرت دعوة الله، وأصبح الذين يعيشون على الشرك عدد قليل لا يساوي شيئاً، كانوا يحلفون بـ: لا ورأسك! والملح الذي أكلنا! وحق سيدي فلان، وينذرون للسيد فلان في النجاح والانتصار في الخصومة، وكان كل ذلك عبادة لغير الله بكل الوضوح.

فالحمد لله على حالنا الآن، فقد كان إخوانكم وآباؤكم يموتون إلى جهنم، فمن مات على الشرك لا ينفعه صلاة ولا صيام، واقرءوا قول الله تعالى: وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ [الزمر:65] وقوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ [النساء:48].

أولاً: بيان سنة وفاة كل من أبي طالب وخديجة رضي الله عنها

قال: [أولاً: بيان سنة وفاة كل من أبي طالب و خديجة رضي الله عنها وهي سنة عشرة من البعثة] وهي السنة التي تم فيها الإسراء والمعراج لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي التي نزل فيها جبريل وصلى بالرسول صلى الله عليه وسلم يومين معلماً له أول الوقت وآخره، وفرضت الصلوات الخمس في هذه السنة أيضاً، وبقي الحبيب صلى الله عليه وسلم في مكة بعدها ثلاث سنوات؛ فلهذا لما كان يصلي جاء عقبة بن أبي معيط ورمى على ظهره السلا.

خروج الحبيب صلى الله عليه وسلم إلى الطائف يطلب النصرة لدينه

قال: [خروج الحبيب صلى الله عليه وسلم إلى الطائف يطلب النصرة لدينه] لا لماله ولا لولده ولا لنفسه، ولكن يطلب النصرة لدينه [وبعد أن فقد رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه أبا طالب -الذي كان عضده القوي وحماه المنيع- خرج إلى الطائف يطلب ناصراً من ثقيف ينصره على قومه، ويعينه على إبلاغ دعوته] هذا هو التفكير الرشيد! فبعد أن أغلقت الأبواب في مكة لا بد وأن يبحث عمن ينصر دعوته في مكان آخر [خرج وهو راج] يعني: آمل طامع، ليس آيس [أن يقبل أهل الطائف منه ما جاءهم به من الله عز وجل، ولما وصل الطائف، قصد ثلاثة أنفار من ثقيف هم سادة ثقيف وأشرافها] الرسول سياسي، عرف من يقصد، فقصد من عندهم الكلمة ولهم القول، وهم ثلاثة من سادات ثقيف وأشرافهم، فإذا لم يكن عند هؤلاء نصر فمن باب أولى العوام وبقية القوم[وهم الإخوة الثلاثة: عبد يا ليل بن عمرو بن عمير و مسعود و حبيب ، وكان عند أحدهم امرأة من قريش، فجلس إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاهم إلى الله] أي: قولوا: لا إله إلا الله [وكلمهم بما جاءهم من نصرته] على الإسلام [والقيام معه على من خالفه من قومه، فقال أحدهم: هو يمرط ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك!!] قال: يمزق ثياب الكعبة المشرفة إذا

كان الله أرسل محمداً صلى الله عليه وسلم، وهذه يمين فظيعة فوق ما يطاق، ولو كنت أنا -والله!- لأغمى علي[وقال الآخر: أما وجد الله أحداً يرسله غيرك؟!] أعوذ بالله من هؤلاء الرجال [وقال الثالث: والله! لا أكلمك كلمة أبداً] فأغلقت أبواب الطائف نهائياً وسدت، فإذا كان خيارهم وفحولهم وأشرافهم وقفوا هذا الموقف، إذاً: من يقبل دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ [لئن كنت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كما تقول لأنت أعظم خطراً من أن أرد عليك، ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي أن أكلمك!!] وهذا أبشع من الأولين، فكل كلمة أقبح من التي قبلها، وهؤلاء ساسة -رجالات العرب- والآن لا تجد هذا الكلام عند أحد ولا يقوى عليه، لو تتكلم مع يهودي أو صليبي لا تجد هذا منه، ولا يقوى على هذا المواقف[فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندهم وهو يائس من خير ثقيف، وقد طلب إلى الإخوة الثلاثة ألا يذكروا ما دار بينه وبينهم إلى قريش، فلم يفعلوا] هذه أخرى، أعطوه الذي أعطوه من التخييب، ومع هذا قال لهم: أرجو أن لا تذكروا هذا لقريش.

يعني: لا تقولوا جاءنا ابن أخيكم ورددناه ولكن اسكتوا، فلم يفعلوا [وأغروا به سفهاءهم، وعبيدهم يسبونه ويصيحون به ويرمونه بالحجارة حتى أدموا عقبيه، وألجئوه إلى حائط "بستان" لابني ربيعة : عتبة و شيبة] وهذا كنا نعرفه أيام فرنسا في الجزائر، فإذا أكل شخص في رمضان في العاصمة الجزائرية يأتي الأطفال وراءه بالحجارة والضرب والصياح والضجيج والبوليس الفرنسي ساكت.

لِمَ؟ لأنه عصى الله عز وجل.

وهؤلاء المشركون سلطوا على رسول الله الصبيان والأطفال والعبيد يصيحون وراءه ويرمونه بالحجارة حتى أدموا عقبيه، واضطروه إلى بستان لابني ربيعة : عتبة و شيبة ، فقد كانا بمكة ولهما بستان عنب في الطائف[وعمد صلى الله عليه وسلم إلى ظل شجرة عنب، فجلس تحتها مستظلاً بها] فقد كانوا يرفعون العنب ويجعلون له سقفاً، ولهذا جلس تحته صلى الله عليه وسلم [فلما اطمأن وسكنت نفسه قال: (اللهم! إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي، وهواني على الناس! يا أرحم الراحمين! أنت رب المستضعفين وأنت ربي إلى من تكلني، إلى بعيد يتجهمني أم إلى عدو ملكته أمري، إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك أوسع لي.

أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك، أو يحل علي سخطك، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك)].

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه.

بعد ما تعرض له النبي صلى الله عليه وسلم من الحصار في شعب أبي طالب، وبعد ما أصابه من الحزن على فقد عمه الشفيق، الذي كان يرد عنه أذى المشركين، ثم موت زوجته الرءوم المحبة خديجة، بعد ذلك كله أراد الله مكافأة نبيه على صبره وتحمله وتجلده لهذه الأحزان، فهيأ له رحلة الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم رحلة المعراج إلى الملكوت الأعلى، حيث رأى من آيات ربه الكبرى، فكان في ذلك تسلية له صلى الله عليه وسلم وأي تسلية.

تابع خروج الحبيب صلى الله عليه وسلم إلى الطائف يطلب النصرة لدينه

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.
أما بعد: فقد انتهى بنا الدرس إلى مقطوعة درسنا بعضها ولم نستكملها، فإليكموها وافية نافعة بإذن الله تعالى.
قال المصنف: [خروج الحبيب صلى الله عليه وسلم] من أين خرج، ولِم خرج؟ وماذا استفاد من خروجه، وماذا تم له؟ قال: [خروج الحبيب صلى الله عليه وسلم إلى الطائف] والطائف معلومة معروفة، وهي من ديارنا أيها المؤمنون [يطلب النصرة لدينه] لما لم يجد من ينصره في مكة رأى أن يذهب إلى الطائف ليتصل ببعض الشخصيات ذات الأثر في المجتمع علهم يمدون له يد العون والمساعدة، من أجل أن يبلغ دعوة الله عز وجل.
قال المؤلف غفر الله له ولكم ولسائر المؤمنين: [وبعد أن فقد رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه أبا طالب] الذي كان العضد القوي الذي يشد من أزره صلى الله عليه وسلم [الذي كان عضده القوي، وحماه المنيع] وحقاً ما استطاع مجرم ولا مشرك ولا ظالم أن ينال من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً أبداً أيام عمه أبي طالب ، ثم لما توفي تجرءوا على الرسول صلى الله عليه وسلم.
قال: [خرج إلى الطائف يطلب ناصراً من ثقيف ينصره على قومه] وثقيف من قبائل العرب الأشداء الأقوياء، مُعترف لهم بذلك [ويعينه على إبلاغ دعوته] وهي القائمة على مبدأ: أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.
من قال هذه الكلمة صادقاً موقناً تهيأ لأن يعبد الله وحده وبكل ما شرع، وتهيأ أن يطيع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليعلم محاب الله ومكارهه من طريقه صلى الله عليه وسلم، وما كان يطلب الرسول إلا هذا، أن يقولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.
قال: [خرج وهو راجٍ أن يقبل أهل الطائف منه ما جاءهم به من الله عز وجل] والمؤمن يرجو ربه ولا ييأس ولا يقنط [ولما وصل الطائف قصد ثلاثة أنفار من ثقيف هم سادة ثقيف وأشرافها] ومن هم؟ [وهم الإخوة الثلاثة: عبد يا ليل بن عمرو بن عمير و مسعود و حبيب وكان عند أحدهم امرأة من قريش، فجلس إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاهم إلى الله، وكلمهم بما جاءهم من نصرته] على الإسلام [والقيام معه على من خالفه من قومه، فقال أحدهم: هو يمرط ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك!!] يعني: أنه يمزق ثياب الكعبة إن كان ما يقول النبي صلى الله عليه وسلم هو الحق!! وهي معصية ما فوقها معصية عندهم.
هذا الأول.
[وقال الآخر: أما وجد الله أحداً يرسله غيرك؟! وقال الثالث: والله! لا أكلمك كلمة أبداً، لئن كنت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تقول لأنت أعظم خطراً من أن أردَّ عليك، ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي أن أكلمك!!] وهذا أسوأ من الاثنين.
وللموعظة: لو أن داعية من دعاة المسلمين اليوم واجه مثل هذه الكلمات لأصيب بصدمة نفسية ولم يرفع رأسه بعد ذلك يدعو إلى الله! ولكن الحبيب صلى الله عليه وسلم تحمّل، وحُق له أن يتحمّل.
[فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندهم] من عند أولئك الأشراف، سادات ثقيف، الذين رأى فيهم أنهم قد يجيبونه إلى ما يدعوهم إليه [وهو يائس من خير ثقيف] وهو كذلك.

فإذا كان أشرافهم وعظماؤهم وخيرتهم فعلوا هذا فكيف بباقي الناس [وقد طلب إلى الإخوة الثلاثة أن لا يذكروا ما دار بينهم إلى قريش] يعني: إن كنتم لم تجيبوني وأسمعتموني ما آذاني فأطلب وأرجو منكم أن لا تذكروا هذا لقريش، فلا تقولوا أتانا وفعلنا وقلنا [فلم يفعلوا وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم] والسفهاء: جمع سفيه وهو من لا رشد له كالأطفال، والعبيد: الخدم [يسبونه ويصيحون به ويرمونه بالحجارة حتى أدموا عقبيه -صلى الله عليه وسلم-] هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم تدمى عقباه ويصيح به الصبيان والمجانين والعبيد ويسخرون به فأين نحن منه؟! [وألجئوه إلى حائط -أي بستان-] اضطروه إلى أن يدخل هارباً بنفسه إلى هذا البستان [لابني ربيعة عتبة و شيبة ، وعمد صلى الله عليه وسلم إلى ظل شجرة عنب فجلس تحتها مستظلاً بها، فلما اطمأن وسكنت نفسه] أي: هدأ روعه وألمه وتعبه [قال: (اللهم! إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس.

يا أرحم الراحمين! أنت ربُ المستضعفين وأنت ربي، إلى من تكلني، إلى بعيد يتجهمني، أم إلى عدو ملكته أمري، إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك أوسعُ لي.

أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك، أو يحل علي سخطك، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك)] وبعض أهل العلم يضعفون هذه الرواية، وأنا أكاد أجزم أن هذا لن ينطق به إلا محمد صلى الله عليه وسلم، وكونه قال: (إلى من تكلني؟!) فليس في هذا شيء، ومعناه: إلى من تكلني؟ إلى فلان وفلان! أي: تول أنت أمري.

وهذه دعوة نقولها نحن دائماً: اللهم! لا تكلني إلى نفسي ولا إلى أحدٍ سواك طرفة عين.

فأنا أقول: هذه الكلمات النورانية لا يستطيع أحد أن يخترعها أو ينفثها من صدره غير محمدٍ صلى الله عليه وسلم، وأعيدكموها لأني معجب بها: (اللهم! إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي وهواني على الناس،) لأنهم رموه بالحجارة (يا أرحم الراحمين! أنت رب المستضعفين وأنت ربي، إلى من تكلني؟! إلى بعيد يتجهمني، أم إلى عدو ملكته أمري؟! إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك أوسعُ لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تُنزل بي غضبك أو يحل علي سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك).

[ولما فرغ صلى الله عليه وسلم من مناجاته ربه عز وجل] كان يتكلم سراً مع الله، والله يسمعه ويراه [ورآه ابنا ربيعة عتبة و شيبة : دعوا غلاماً لهما] أن تعال يا غلام (خادم) [يقال له: عدّاس ، وأمراه أن يأخذ قطفاً من عنب فيضعه في طبق، ثم يذهب به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيضعه بين يديه، ويقول له: كل من هذا] أي: كُل من هذا الذي وضعته بين يديك [ففعل عداس] ما أمر به من قبل المالكين [فلما وضع الرسول صلى الله عليه وسلم فيه يده قال: "بسم الله" ثم أكل، فنظر عداس في وجهه، ثم قال: والله! إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد] يعني: بسم الله عند الأكل لا يعرفها أهل هذه البلاد، وحلف على ذلك [فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ومن أي البلاد أنت يا عداس ؟! وما دينك؟)] لم يكن يعرفه من أين [قال: نصراني] مسيحي [وأنا رجلٌ من أهل نينوى، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من قرية الرجل الصالح يونس بن متى؟! فقال له عداس : وما يدريك ما يونس بن متى؟)] يعني كيف عرفته؟! [(فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ذاك أخي كان نبياً وأنا نبي.

فأكب عداس على رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل رأسه، ويديه وقدميه)] لأن المسيحي خير من المشرك، وإلى اليوم المسيحي خير من ألف شيوعي ملحد [وهنا نظر ابنا ربيعة أحدهما للآخر] متعجبين [وقال له: أما غلامك فقد أفسده عليك] قال لأخيه: أما غلامك -خادمك- فقد أفسده عليك [فلما جاءهما عداس ، قالا له: ويحك يا عداس ! ما لك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه؟ قال: يا سيدي! ما في الأرض شيء خيراً من هذا] الله أكبر! [لقد أخبرني بأمر لا يعلمه إلا نبي] وقصة يونس عليه السلام معروفة [فقالا له: ويحك يا عداس ! لا يصرفنك عن دينك، فإن دينك خير من دينه] كلام رائع! فما داما يعرفان أن له دين، فلم لا يكون لهم هم أيضاً دين؟! [وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عائداً من الطائف بعد أن أيس من خير ثقيف] لا خير عندها [حتى إذا كان بنخلة] وهو واد بين مكة والطائف موجود حتى الآن [قام من جوف الليل يصلي] لأن الصلاة فرضت [فمر به نفرٌ من الجن الذين ذكرهم الله تعالى في سورة الأحقاف في قوله: وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا [الأحقاف:29]] الآيات.

.

وهم من جن نصيبين] ما إن سمعوا القرآن حتى صاح بعضهم ببعض: أنصتوا! -والرسول يصلي ويقرأ- وما إن فرغ حتى قالوا: هيا نعود إلى ديارنا نحمل هذه الدعوة، وجاء هذا مفصلاً في سورة الأحقاف؛ إذ قال تعالى: وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ * قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ * يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * وَمَنْ لا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَولِيَاءُ ..[الأحقاف:29-32] الآيات.
وحسبهم أن نزلت فيهم سورة الجن: قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا [الجن:1-2]، إلى آخر الآيات، وكلها فرحة بأن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.
فيستحيل أن يكون هذا ليس كلام الله أو يكون هذا ليس برسول الله، والله يدخل في رحمته من يشاء.
قال: [وكانوا سبعة نفر وحملوا رسالة الله تعالى إلى قومهم منذرين، كما نزلت سورة (الجن) في شأنهم أيضاً، وفيها من أخبارهم الكثير].

نتائج وعبر من مقطوعة (خروجه صلى الله عليه وسلم لدعوة أهل الطائف يطلب النصرة لدينه)

قال: [نتائج وعبر: إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبراً نذكرها إزاء الأرقام الآتية: أولاً: بيان ثبات الرسول صلى الله عليه وسلم وعدم يأسه مهما عظم البلاء، يدل على ذلك خروجه إلى الطائف يطلب النصرة.
ثانياً: بيان أن النبي صلى الله عليه وسلم كان حكيماً بل أستاذاً في الحكمة] وهذا الذي نعيش عليه ونعتقده، فرسول الله ليس حكيماً فقط، بل أستاذ ومعلم الحكمة، أما قال الله تعالى فيه: هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ [الجمعة:2] وكل سنة حكمة، والحكيم هو الذي يضع الشيء في موضعه، فإذا قال كلمة قالها في موضعها، وإذا تحرك حركة كذلك، أو فكر تفكيراً فإنه لا يخرج عن دائرة الحكمة.
فالحكمة: هي وضع الشيء في موضعه.
ومثال ذلك: لو أن أحد العمال أصابه إعياء وتعب، فزحزح من حوله في المسجد لينام! وهل هذا مكان للنوم؟! هل وضع النوم في مكانه؟ لا.
إذاً هذا خطأ ليس من الحكمة.
فالحكمة: هي وضع الشيء في موضعه، فلا يخطئ.
قال: [فانظر كيف اختار النفر الثلاثة إذ كانوا سادة ثقيف] وهذا لحكمته صلى الله عليه وسلم، لما أراد أن يطلب عوناً ومساعدة من ثقيف لم يأت أصحاب الصعاليك والفقراء، بل اختار أشرف أهل البلاد، وأقدرهم وأقواهم على أن يقفوا إلى جنبه إذا أراد الله ذلك، فلم يصح بالعوام؛ لأن هذا غير نافع، فمن الحكمة أن يختار من هم أهل للقيام بهذه الدعوة، فإذا هم عجزوا ورفضوا فغيرهم من باب أولى ألف مرة [فلو أجابوا دعوته لأجابت كل أهل الطائف، فلما رفضوها علم أن غيرهم سيرفضها، فلذا لم يتصل بأحد غير النفر الثلاثة] هل تجلت لكم الحكمة أم لا؟ لقد وضع صلى الله عليه وسلم طلبه ورسالته في الموضع اللائق بها؛ إذ لو استجاب أولئك الثلاثة لمشى أهل الطائف وراءهم.
[ثالثاً: بيان سوء معاملة أهل الطائف، ومع هذا لم يدعُ عليهم صلى الله عليه وسلم بل دعا لهم] ولما حاصر الطائف بعد الهجرة شهراً كاملاً ما استطاع أن يدخلها؛ لأنها بلاد محصنة بالحصون، ورجع عائداً فقال الصحابة: (ادع عليهم يا رسول الله! فقال: اللهم! اهد ثقيفاً وأت بهم) فما وصل المدينة حتى جاء وفدهم يعرض استسلام الطائف لرسول الله صلى الله عليه وسلم.
ولو كان من إخواننا لكان يلعنهم طوال الليل [فقال: (اللهم! اهد ثقيفاً وأت بهم)، واستجاب الله تعالى له فيهم فأتوا بعد حصارهم وآمنوا وأسلموا.
[رابعاً: بيان فضل عداس ، وشهادته بنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم.
خامساً: بيان مكان لقاء الجنّ النبي صلى الله عليه وسلم] وقع هذا في بطن نخلة [وحملهم رسالة الإسلام إلى أقوامهم] وكان أقوامهم في ذلك اليوم بمدينة نصيبين بالشام.

كان الجن يسكنون هناك، عندهم عاصمة تسمى نصيبين، فحملوا الرسالة إلى قومهم، ووُجد من المؤمنين من حمل هذه الرسالة أيضاً، ولكن العبرة كون الجن يقفون هذا الموقف، ويحملون دعوة الله.
إذاً: انتهت هذه المقطوعة، وأنتم تلاحظون أن الكلام مشروحاً مفصلاً لا يحتاج إلى شرحنا.

الإسراء بالحبيب صلى الله عليه وسلم والعروج به إلى الملكوت الأعلى

قال: [الإسراء بالحبيب صلى الله عليه وسلم والعروج به إلى الملكوت الأعلى] الإسراء: مصدر أسرى يسري إسراءً به، وسرى يسرى السّري.
وكان الإسراء من مكة إلى بيت المقدس في لحظات، والعروج من بيت المقدس إلى الملكوت الأعلى، إلى مستوى سمع فيه النبي صلى الله عليه وسلم صرير الأقلام.
قال: [نبدأ الحديث بسم الله، ثم بالسؤال التالي: متى كان الإسراء والمعراج؟ إنه في السنة العاشرة من سني البعثة النبوية إنه -الإسراء والمعراج- كان مكافأة ربانية على ما لاقاه الحبيب صلى الله عليه وسلم من أتراح وآلام وأحزان] ظل عشر سنوات وهو يتجرع الغصص ويتلقى الآلام والكروب والأحزان، فأراد سيده أن يكافئه بالإسراء والمعراج، أي: تعبت يا عبدنا من أجلنا، والآن نريح عليك.
وجماعتنا الآن يريحون على أنفسهم في لندن وباريس، ويتركون المسجد النبوي والأنوار ويقولون: نروح على أنفسنا! وقد نددنا بهذه الحركة وقلنا: لا ينبغي لأحد أن يشجع المؤمنين على ترك ديار النبي والذهاب إلى بريطانيا وغيرها حاملاً نساءه وأطفاله.
ولكن: لقد أسمعت لو ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تنادي قال: [إذ كان بعد حصارٍ دام ثلاث سنوات في شعب أبي طالب] وهو شعب بين جبلين ليس فيه إلا الحجارة السوداء الحارة، حوصر فيه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فلا يسمح لأحد أن يدخل عليهم، أو يبيعهم شيئاً أو يشتري منهم شيئاً، واستمر هذا الأمر ثلاث سنوات.
قال: [وما لاقى أثناءه] أثناء الحصار في الشعب [من جوع وحرمان] واضطروا إلى أكل ورق الشجر حتى تقرحت شفاههم، رسول الله وأسرته ومن معه من آل أبي طالب [إنه كان بعد فقد الناصر الحميم] هذا الإسراء كان بعد فقد النبي صلى الله عليه وسلم الناصر الحميم وهو أبو طالب [وفقد خديجة أم المؤمنين] والآن صحت المناسبة.
.
فهناك مؤمن من إخواننا رأيته يبكي -ونحن نصلي- في المحراب على ميتته فظننتها أمه، فعزيته وقلت له: اصبر! ثم جاءني أحد الإخوان وأخبرني أن زوجته هي من مات، وهو يطلب أن أدعو الله له.
وأقول: إن مصيبة الزوجة قد تكون أعظم من مصيبة الأم، فخديجة رضي الله عنها لا نستطيع أن نقدر ما كانت تقدمه للنبي صلى الله عليه وسلم.
إذاًّ: يا حي يا قيوم! ويا أرحم الراحمين! ويا رب العالمين! اغفر لهذه المؤمنة التي فقدها زوجها عبد الرحمن ، اللهم اغفر لها وارحمها، وعافها واعف عنها، اللهم ارض عن خديجة وبلغها سلامنا يا رب العالمين.
قال: [إنه كان بعد خيبة الأمل في ثقيف، وما ناله من سفهائها وصبيانها وعبيدها، بعد هذه الآلام، كافأ الحبيب حبيبه، فرفعه إليه وقربه وأدناه] وتعرفون حادثة الإسراء، اقرءوا: سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى [الإسراء:1]، كان صلى الله عليه وسلم في بيت أم هانئ فجاء الملكان وقاداه إلى الحرم حتى بئر زمزم، وأجريت له عملية شق الصدر، وحشي صدره بالنور والعلم والحكمة؛ حتى يقوى على أن يعايش أهل الملكوت الأعلى، ثم أسري به إلى بيت المقدس، وهناك ربط البراق في حلقة باب بيت المقدس، وجمع الله له الأنبياء أجمعين فصلى بهم إماماً، فكان إمام الأنبياء صلى الله عليه وسلم، ثم عرج به سماءً بعد سماء إلى أن انتهى إلى الفردوس الأعلى، ثم ارتفع إلى مستوى سمع فيه صرير الأقلام، ثم كلمه الله كفاحاً بلا واسطة وجهاً لوجه، وفرض عليه وعلى أمته الصلوات الخمس.
ومن عجيب أحداث هذه القصة أنه كان يتردد على موسى، فموسى جرب بني إسرائيل وعرفهم، فأول الصلوات كان خمسين صلاة، فما زال يراجع ربه حتى أبقاها خمساً، ومع هذا من المسلمين من لا يقوم بها، وهي خمسة فقط، فكيف لو كانت خمسين؟! قال: [وخلع عليه من حلل رضاه ما أنساه كل ما كان قد لاقاه من حزن وألم ونصب وتعب،

وما قد يلاقيه في سبيل إبلاغ رسالته ونشر دعوته، فصلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ما ذكر الله الذاكرون، وما غفل عن ذكره الغافلون].

كيفية الإسراء به صلى الله عليه وسلم

قال: [وكيف كان الإسراء؟ لقد كان الإسراء من بيت أم هانئ] وأم هانئ هي أخت علي بن أبي طالب فهي بنت أبي طالب [حيث أُخرج الحبيب منه إلى المسجد الحرام إلى ما بين الحجر والحطيم، حيث أجريت له عملية شق الصدر فأخرج القلب وغُسل بماء زمزم المبارك] فماء زمزم ماء مبارك.
هل يوجد ماء عمره ستة آلاف سنة؟ إن زمزم عمره ستة آلاف سنة، وحسبكم ما عرفتم أن (زمزم طعام طعم وشفاء سقم) و(زمزم لما شرب له) إذ كان بهمزة جبريل، ليس بآلات الصين، والصحابة رضي الله عنهم كانوا يغسلون جراحاتهم بماء زمزم، وتشفى بإذن الله، وإلى الآن لو أن مؤمناً صادق الإيمان أقبل في صدق يشربه للعلاج والشفاء لشفي، أما إن كان مزعزع العقيدة مضطرب النفس فإنه لا يحصل على شيء إلا أن يشاء الله.
قال: [ثم أُتي بطست من ذهب مملوء إيماناً وحكمة فحشي القلب بذلك الإيمان وتلك الحكمة، ثم أعيد القلب كما كان.
ثم أُتي بدابة وهي البراق] دابة تدب على الأرض بأرجلها الأربع تسمى البراق [فركبه إلى بيت المقدس، فربطه في حلقة باب المسجد، ودخل المسجد فصلى فيه، ثم وضع له معراج ممتد ما بين السماء الدنيا فاستفتح جبريل] فعرج بصحبة أخيه في الرسالة جبريل عليه السلام، حتى انتهيا إلى السماء الدنيا [فسئل عمن معه؟ فأخبر أنه محمد صلى الله عليه وسلم، وقد أُذن له، ففتح لهما، وهكذا سماء َبعد سماء حتى انتهيا إلى السماء السابعة، وقد لاقاهما في كل سماء مقربوها من الملائكة والأنبياء، فلقيا في الأولى آدم عليه السلام، وفي الثانية يحيى وعيسى عليهما السلام، وهما ابنا الخالة، وفي الثالثة يوسف عليه السلام] الصديق ابن الصديق [وفي الرابعة إدريس عليه السلام، وفي الخامسة هارون عليه السلام، وفي السادسة موسى عليه السلام، وفي السابعة إبراهيم عليه السلام] أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام [وكان صلى الله عليه وسلم يلقى في كل سماء من الترحيب ما تقرُ به عينه وينشرح له صدره، وتطيب به نفسه -وهو لذلك أهل- ثم رفعت له سدرة المنتهى وإذا ورقها كآذان الفيلة، ونبقها كقلال هجر، وغشيها عند ذلك أمور عظيمة، وألوان متعددة باهرة، وركبتها الملائكة مثل الغربان على الشجرة كثرة، وفراش من ذهب، وغشيها من نور الرب جل جلاله ما غشيها، ورأى صلى الله عليه وسلم في هذا المكان جبريل عليه السلام وله ستمائة جناح ما بين كل جناحين كما بين السماء والأرض، وهذا ما دل عليه قوله تعالى من سورة النجم: وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى * إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى * مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى [النجم:13-17].
إذ ثبت ينظر إلى المكان الذي حُدد له النظر إليه فلم يتجاوزه، وهذا غاية الأدب منه صلى الله عليه وسلم كما رفع له البيت المعمور فإذا هو يدخل كل يوم سبعون ألف ملك، ثم أتي بإناء من خمر، وإناء من لبن، وإناء من عسل، فأخذ اللبن، فقيل له: هي الفطرة التي أنت عليها وأمتك.

.
ثم رفع وأدني حتى انتهي إلى مستوى سمع فيها صرير الأقلام، وهنا قربه ربه وناجاه -وإن لم يره-؛ لأنه نور كيف يراه؟! وفرض عليه وعلى أمته الصلوات الخمس، ولما رجع عائداً مر بموسى عليه السلام فسأله؛ فأخبره، فطلب إليه أن يعود إلى ربه يسأله التخفيف؛ لأن موسى جرب بني إسرائيل ولم يجد لهم عزماً، فخشي أن يحصل لأمة محمد ما حصل لأمته، فعاد الحبيب صلى الله عليه وسلم إلى حبيبه جل جلاله وعظم سلطانه يسأله التخفيف؛ إذ فرضها أولاً خمسين صلاةً، فما زال يراجعه سائلاً التخفيف حتى كانت خمساً بدل الخمسين].
وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

إن آيات النبوة المحمدية أكثر من أن تعد أو تحصى، ومن هذه الآيات العظيمة حادثة انشقاق القمر، والتي حدثت بعد أن طلب المشركون من رسول الله آية تدل على صدق رسالته، فلما أراهم إياها لم يزدهم ذلك إلا إعراضاً ونفوراً، ثم بعد ذلك دعا عليهم النبي صلى الله عليه وسلم بسنين كسني يوسف، فناشدوه أن يدعو الله لهم أن يكشف عنهم، فلما كشف الله عنهم ذلك لم يؤمنوا، ثم جاءت الآية الأخيرة وهي بشارته صلى الله عليه وسلم بانتصار الروم على الفرس، وإيذان الله بذلك بفرح المؤمنين ونصرهم على عدوهم من المشركين في بدر.

تابع كيفية الإسراء به صلى الله عليه وسلم

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.
أما بعد: فقد انتهى بنا الدرس إلى قول المؤلف غفر الله له ولكم ورحمه وإياكم: [ونزل الحبيب صلى الله عليه وسلم صحبة جبريل عليه السلام إلى بيت المقدس] وقد تقدم أن الإسراء بالحبيب صلى الله عليه وسلم والعروج به إلى الملكوت الأعلى كان بعدما عانى صلى الله عليه وسلم من الآلام والأتعاب طوال عشر سنوات لاقى فيها مر العذاب، فأراد الله عز وجل أن يخفف عنه آلامه وحسراته وما كان يعانيه فرفعه إليه، من بيت أم هانئ إلى المسجد الحرام إلى بئر زمزم، ثم أجريت له عملية التطهير وحشي قلبه بالإيمان والحكمة، وأصبح أهلاً لأن يعايش أهل الملكوت الأعلى ورفع بعد ذلك، وها نحن نواصل حديث الإسراء ..
قال المؤلف: [ونزل الحبيب صلى الله عليه وسلم صحبة جبريل عليه السلام إلى بيت المقدس] لما أسري به من مكة إلى بيت المقدس على براق -دابة خلقها الله لهذه المهمة ما بين البغل والحمار- ربطها في حلقة باب المقدس وتركها كذلك وعُرج به، وتم الذي تم ونزل والدابة مربوطة عند الباب، وعاد بها إلى مكة[فنزلت الأنبياء يشيعون الحبيب صلى الله عليه وسلم] نزلت الأنبياء من الملكوت الأعلى، من دار السلام، من الجنات، إلى مسجد بيت المقدس ليشيعوا نبيهم صلى الله عليه وسلم ويودعوه [فصلى بهم صلاة الصبح بالمسجد الأقصى] فلهذا يعرف بإمام الأنبياء؛ إذ أمهم وصلى بهم [وركب البراق -حيث تركه مربوطاً بحلقة الباب- وعاد إلى مكة في صبيحة تلك الليلة، وقد ذهب عنه كل كرب وغم وحزن وهم] بعد عشر سنين لاقى فيها من العذاب ما لاقى، وكأنكم تذكرون ذهابه إلى الطائف وعودته منه، وتذكرون الحصار الذي دام ثلاث سنوات في شعب بين جبلين [وعاد أوفر ما يكون ثقة وطمأنينة، وتلك ثمرة هذه الرحلة المباركة إلى الملكوت الأعلى، إذ رأى فيها بأم عينيه ما كان أخبر وتلقاه وحياً من ربه، فصدَّق الخُبرُ الخبر] ما كان غيباً وأخبر به عن طريق الوحي شاهده بأم عينيه، فصدق الخُبر الخبر [وليس من رأى كمن سمع] هذا مثل [والحمد لله ذي الإنعام والجلال والإكرام.
وكيف قابلت قريش هذا النبأ العظيم؟] نبأ الرحلة إلى الملكوت الأعلى [إنه صلى الله عليه وسلم قد عاد إلى المسجد الحرام وجلس فيه -وهو لا يدري- بم تقابل قريش هذا النبأ العظيم، والحدث الجلل، فما زال جالساً حتى مر به أبو جهل] طاغية المشركين [عليه لعائن الله، فسأله قائلاً مستهزئاً: (هل استفدت الليلة شيئاً؟ فأجاب المصطفى صلى الله عليه وسلم: نعم.
أسري بي الليلة إلى بيت المقدس.
قال أبو جهل : ثم أصبحت بين ظهرانينا)] المسافة تحتاج إلى أربعين ليلة [(قال النبي صلى الله عليه وسلم: نعم.
فقال أبو جهل : أُخبر قومك بذلك؟)] أي: بهذا الذي تقول من الرحلة [(فقال النبي صلى الله عليه وسلم: نعم)] أي: أخبرهم [فقال أبو جهل : يا معشر بني كعب بن لؤي، هلموا] يعني: تعالوا [فأقبلوا] يسرعون [فحدثهم النبي صلى الله عليه وسلم فمن مُصدق، ومن مكذب مصفق واضع يده على رأسه؛ استعظاماً للخبر وإنكاراً له، وتعجباً منه] منهم من صدق، ومنهم من كذب وأنكر، ومنهم من استهزأ وسخر، ووضع يديه على رأسه متعجباً مستنكراً[ولشدة ما أثار الخبر من سخرية وتعجب ارتد بعض من آمن ولم يرسخ الإيمان في قلوبهم] إنها هزت الإعلام القوية! هناك من

رجع إلى الشرك بعد الإيمان، ولكنهم عدد قليل، وهم الذين أسلموا حديثاً ولم يرسخ الإيمان في قلوبهم [ولم تخالط بشاشته قلوبهم.

ومشى رجالٌ من المشركين المستهزئين إلى أبي بكر الصديق] لأنهم يعرفون صحبته وولايته لرسول الله صلى الله عليه وسلم [وقالوا له: إن صاحبك يزعم أنه قد أُسري به إلى بيت المقدس، فقال الصديق : إذا كان قال هذا فقد صدق! إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك، أصدقه في خبر السماء يأتيه في غدوة أو روحة، فلقب أبو بكر بالصديق من يومئذ] هذه هي الجائزة التي فاز بها، تمت في هذا الحدث الجلل[واجتمع رجال من قريش، وأرادوا امتحان النبي صلى الله عليه وسلم] فيما أخبر به عن الإسراء والمعراج [فقالوا له: انعت لنا المسجد الأقصى] يعني: ما دامت تقول إنك وصلت إليه، فانعته له، فنحن عرفناه وزرناه [فأخذ ينعته لهم، فالتبس عليه] عندما أخذ يحدثهم التبس عليه، نسي بعض الجهات أو الشرفات أو الأبواب [فجيء له بالمسجد ينظر إليه وينعته لهم] والذي يكذب بهذه الحادثة الآن لا عقل له، لِم؟ لأن شاشة التلفاز تعرض عليك أمريكا بما فيها، وفي محراب النبي صلى الله عليه وسلم عرضت الجنة بكاملها، وكانت عناقيد العنب مدلاة وهمّ أن يأخذها، وعرضت النار بكاملها ورأى أكثر أهلها النساء، وآمن المؤمنون والمؤمنات بذلك، أما الآن فالإيمان لم يعد كالسابق؛ لأنه ليس هناك ما يدعو للتكذيب، فكفر اليوم قذر لا قيمة له، لأن كل شيء قد كشف، ونحن نحقر أنفسنا، فما نحن بشيء، أين الغيب الذي نؤمن به؟ كل شيء أصبح شهادة، ولهذا إنّ يوماً سيأتي لا يقبل الإيمان فيه أبداً.

قال: [وعندئذ قالوا له: أخبرنا عن عيرنا القادمة من الشام] يعني ما دمت جئت في الطريق فأخبرنا عن قافلتنا القادمة من الشام [فقال: (قد مررت على عير بني فلان بالروحاء وقد أضلوا بعيراً لهم، وهم في طلبه فسلوهم عن ذلك، ومررت بعير بني فلان وفلان وفلان، ورأيت راكباً قعوداً بذي مرّ فنفر بكره منه فسقط فلان فانكسرت يده فسلوه)] وهذه أعظم [(ومررت بعيركم بالتنعيم يقدمها جمل أورق عليه غرارتان تطلع عليكما طلوع الشمس) فخرجوا إلى الثنية فجلسوا ينتظرون طلوع الشمس، ليكذبوه، وفجأة قال قائل: هذه الشمس قد طلعت، فقال آخر: والله هذه العير قد طلعت يقدمها بعير أورق كما قال.

ومع هذا لم يؤمنوا، وقالوا: إن هذا إلا سحر مبين، وأنزل الله تعالى مصداق ذلك فاتحة سورة (الإسراء - بسم الله الرحمن الرحيم: سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ [الإسراء:1].

فلهذا التكذيب بالإسراء والمعراج كفر، ومن كذّب كفر، فالمعراج ذكر في سورة (والنجم)، قال الله عز وجل: وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى [النجم:13-15]، أي: رأى جبريل مرة أخرى في الملكوت الأعلى بالضبط عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى [النجم:14-15]، وكان الإسراء بالجسد والروح، والمرضى والمصابون بالعقلانيات والفلسفات الكاذبة يقولون: كان بالروح فقط، ولِم؟ أيعجز الله أن يرفع أحداً؟ قد يرفع أهل الأرض كلهم.

نتائج وعبر من قصة الإسراء به صلى الله عليه وسلم

قال المؤلف: [نتائج وعبر: إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبراً نجملها فيما يأتي: أولاً: المعجزات ليست ضرورية لحصول الإيمان، فقد رأى كفار قريش آيات عظاماً ولم يؤمنوا] المعجزة ليست ضرورية حتى يؤمن الناس عليها، فقريش رأت أعظم المعجزات ولم تؤمن.

[ثانياً: تقرير حادثة الإسراء والمعراج، وثبوتها بالكتاب والسنة والإجماع، وأن الإسراء والمعراج كانا بالروح والجسد معاً.

ثالثاً: سبقُ أبي بكر وفضله وسبب تلقيبه بالصديق فرضي الله عنه وأرضاه] فضله تجلى في هذه الحادثة، وهي سبب تلقيبه بالصديق ؛ لأنه أول من صدق بالحادثة الخطيرة وقال: أنا أصدقه فيما هو أعظم من هذا، في خبر السماء يأتي في الروحة والغدوة.

ثلاث آيات من آيات النبوة المحمدية

قال: [ثلاث آيات من آيات النبوة المحمدية] والآية كالشمس، فالشمس آية، والقمر آية، والليل آية، يقول الله عز وجل: وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ [فصلت:37].
ما معنى آية الشمس والقمر؟ ألا تدل الشمس على خالق لها قوي قدير، عليم حكيم؟ وهكذا كل ما يدل على الله وعلى علمه وقدرته فهو آية.
فالنبوة المحمدية لها ثلاث آيات، بل لها ألف آية، لكن ذكرنا ثلاثاً في هذا الموطن، والباقي سيأتي، وكل آية تدل دلالة قطعية على أن محمداً رسول الله.
[إن آيات النبوة المحمدية أكثر من أن تعد أو تحصى، وقد تقدم العديد منها في مطلع هذا الكتاب، وسيأتي في آخره ذكر عشرات المعجزات، وإنما أردنا ذكر ثلاث آيات هنا؛ حيث أفردها المؤرخون بالذكر لعظم دلالتها وقوة برهانها على صدق الحبيب صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من الهدى ودين الحق، كما أن الناحية التاريخية تقتضي ذكرها هنا بعد حادثة الإسراء والمعراج].
ثانياً: دعاء النبي صلى الله عليه وسلم على أهل مكة بالقحط

قال: [وثاني الآيات] كانت الأولى: انشقاق القمر وهي أعظم آية، وثاني الآيات [هي دعاء النبي صلى الله عليه وسلم على أهل مكة بالقحط لما استعصوا، وأبوا قبول دعوة الحق، ولجوا في الخصومة والعناد والمكابرة، فقد قال صلى الله عليه وسلم: (اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف)] أي: اللهم أعني عليهم بسبع سنين قحط وجدب كسبع يوسف بن يعقوب، وهذا واضح في سورة يوسف[فأصابتهم سنة حتى أكلوا الميتة والجلود والعظام] جلود البهائم أكلوها [فجاء أبو سفيان ومعه رجال من مكة] لأن دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم كانت في المدينة بعد الهجرة، وأصابتهم بعدها سنة لم يعرفوا نظيرها، فأكلوا العهن والجلود، كانوا يأتون بالوبر ويغمسونه في الدم ويشوونه ويأكلونه، فجاء أبو سفيان وهو رئيس الدولة رضي الله عنه؛ لأنه أسلم وكان من خيرة المسلمين [ومعه رجال من مكة وقالوا: (يا محمد! إنك تزعم أنك بعثت رحمة وإن قومك قد هلكوا فادع الله لهم)] عرفوا كيف يتوسلون! لكن لِم لم يقولوا: يا رسول الله؟! [(فدعا صلى الله عليه وسلم فسقوا الغيث)] بدعوته سقاهم الله المطر [(وقد كان بلغ بهم الجوع حتى إن أحدهم كان يرى ما بينه وبين السماء كهيئة الدخان من الجوع)] كان أحدهم يفتح عينيه فيرى السماء وكأنها دخان من شدة الجوع [وفي هذا نزل قرآن] عظيم [وهو قوله تعالى من سورة الدخان: فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ * يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ [الدخان:10-11]] وتم وعد الله [إلا إنهم لما دعا لهم الرسول صلى الله عليه وسلم وسقوا الغيث، عادوا إلى الإصرار والعناد، فعلم تعالى ذلك منهم وقال: إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ [الدخان:15]] وفعلاً عادوا إلى الحرب والكفر والشرك والباطل [وقد انتقم الله منهم يوم بدر، إذ قال تعالى: يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ [الدخان:16]، وفعلاً قد أخذ الله رؤساءهم يوم بدر فأهلكهم ولم ينج إلا القليل منهم، ممن كتب الله لهم النجاة ليؤمنوا وينجوا من عذاب الآخرة كأبي سفيان وغيره].
قال الله عز وجل في هذه السورة: فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ * يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ * رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ * أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ * ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ * إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ [الدخان:10-15] واذكر أو انتظر يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ [الدخان:16].
وتمت انتقامة الله، فهلك كل رؤسائهم في بدر إلا من شاء الله، وعلى رأسهم أبو جهل ، وقد جاء ابن مسعود رضي الله عنه ليحتز رأسه فما استطاع، بعد أن علا على صدره، فقال له أبو جهل : لا تستطيع يا ابن فلانة، ولكن خذ سيفي واقطع به رأسي!.
أرشده الطاغية كيف يذبحه.
ثالثاً: تحقق قول الله في انتصار الروم على فارس

قال: [وثالث الآيات: هي أنه يوم اشتد الصراع بين المشركين من جهة وبين المؤمنين من جهة أخرى -وذلك بمكة- كانت قد دارت حرب ضروس بين فارس والروم الدولتين العظميين المتجاورتين] كانوا كروسيا وأمريكا في هذا الزمان، وقد دارت حرب بين فارس والروم وهما دولتان عظيمتان؛ لأن كل واحدة منهما كانت تسعى لأن تملك وتحكم [ونظراً إلى أن دولة الروم مسيحية من أهل الكتاب، ودولة الفرس مجوسية وثنية، كان أهل مكة يتلقون الأخبار ويتتبعونها، ويسرهم أن تنتصر دولة الفرس الوثنية] وكان المسلمون على العكس، يودون أن تنتصر دولة

الروم على دولة الفرس الوثنية [ونزل قرآن كريم في هذا الشأن، وهو قوله تعالى من سورة الروم: الم * غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ [الروم:1-5]] وجاء خبر النصر وهم في بدر، سبحان الله العظيم! بشريان في وقت واحد [فأخبر تعالى بأن فارساً قد غلبت الروم، وأن الروم ستغلب فارساً في خلال بضع سنين، والبضع من الثلاث إلى التسع، فقال المشركون لأبي بكر الصديق : اجعل بيننا وبينك أجلاً] مدة معينة [إن ظهر الروم على فارس كان لك كذا وكذا] من الإبل [وإن ظهرت فارس على الروم كان لنا كذا وكذا] هذا رهان، والرهان كان شائعاً وجائزاً في الجاهلية [والذي قال هذا وراهن أبا بكر الصديق] هو [أبي بن خلف] شيطان المشركين [وإن الرهن كان على خمس قلائص من الإبل] جمع قلوص وهو الفتية من الإبل [ولم يمض البضع من السنين حتى غلبت الروم فارساً، وكان ذلك يوم بدر حيث فرح المؤمنون بنصر الله لهم على المشركين، ونصر الروم على فارس الوثنية، فكان هذا آية من أظهر الآيات دلالة على صدق ما جاء به الرسول محمد صلى الله عليه وسلم من الهدى والدين الحق.

هذه ثلاث آيات ناطقة بالنبوة المحمدية، شاهدة بصدق ما جاء به الحبيب صلى الله عليه وسلم من الهدى والدين الحق].

أولاً: حادثة انشقاق القمر

قال: [وأولى هذه الآيات: آيةُ انشقاق القمر] أعظم آية أن ينشق القمر نصفين [فقد روى أحمد في مسنده عن أنس بن مالك أن أهل مكة سألوا النبي صلى الله عليه وسلم آية] قالوا: أعطنا آية تدل على أنك رسول الله، والسؤال لا شك أنه سؤال معجزة؛ لأن المعجزة الخارقة للعادة هي التي تُعجز كل شيء إلا الله، فلا يقوى عليها إلا هو [فانشق القمر فرقتين] وأصبح جبل حراء في الوسط، نصف القمر من هنا ونصفه من هنا [وروى البخاري عن قتادة عن أنس : أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية، فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما] أي: بين شقتي القمر[ومصداق هذا في كتاب الله تعالى، إذ قال عز من قائل في فاتحة سورة القمر: اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ * وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ * وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ [القمر:1-3]].

وخطب حذيفة بن اليمان بالمدائن يوماً فقال -بعد أن حمد الله وأثنى عليه-: اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ [القمر:1]] في خطبته [ألا وإن الساعة قد اقتربت، ألا وإن القمر قد انشق، ألا وإن الدنيا قد آذنت بفراق، ألا وإن اليوم المضمار وغداً السباق] اليوم العمل وغداً الجزاء [وروى أحمد عن ابن مسعود رضي الله عنه قوله: انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نظروا إليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اشهدوا) وقال المشركون: هذا سحر ابن أبي كبشة] وهذا اللقب عرفه أهل التوراة؛ لأنه تربى في البادية.

فحليمة السعدية مرضعة الحبيب صلى الله عليه وسلم كان زوجها يقال له: أبو كبشة ، فلقب النبي صلى الله عليه وسلم بهذا، وقالوا: ابن أبي كبشة[وقالوا: نسأل السفّار خارج مكة، فسألوا السفار] جمع سافر أو مسافر [فأخبروا أنهم رأوا ليلة كذا قد انشق القمر فرقتين] فلعله كان السحر في مكة فقط، فسألوا المسافرين في الأنحاء إذا جاءوا: هل رأيتم انشقاق القمر؟ فأخبروا بانشقاقه.

وقد أخبر الله بذلك، فقال عز وجل: اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ [القمر:1].

نتائج وعبر من آيات النبوة المحمدية

قال: [نتائج وعبر] نأخذ من هذه المقطوعة نتائج نضعها في قلوبنا، وعبر في أبصارنا حتى ننتفع [لقد اشتملت هذه المقطوعة من السيرة العطرة على نتائج وعبر، هي كالتالي: أولاً: آية انشقاق القمر من أكبر الآيات، وهي ثابتة بالكتاب والسنة وبالأخبار المستفيضة المتواترة، وهي تقرر النبوة المحمدية وتؤكدها] فلهذا نحن لا نستطيع أن نكفر أبداً [ثانياً: بيان أن دعوة النبي صلى الله عليه وسلم لا ترد] ألم يدعو على قريش فأقحطوا وأجدبوا، ثم دعا لهم فسقوا؟ [وأن استجابة الله تعالى له آية نبوته وتقرير رسالته وصحة دعوته.

ثالثاً: بيان أن هذه الآيات] الثلاث [لا تستلزم الإيمان ممن رآها؛ إذ رآها المشركون وما آمنوا ولا أسلموا إلا من شاء الله تعالى منهم ذلك] ولهذا لسنا في حاجة إلى آية، فإذا قيل لك: يا فلان! ادع الله أن يعطيك آية أو كرامة حتى نتبعك!

فليس هناك حاجة؛ لأنهم قد يشاهدونها ثم لا يتابعونك [رابعاً: تقرير صحة الدين الإسلامي، وأنه الدين الحق لصدق ما يُخبر به كتابه من الغيوب المتعددة، وتقع كما أخبر ولا تتخلف أبداً] قال الله عز وجل: غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ [الروم:2-4]، وقد تحقق هذا [خامساً: بيان أن أهل الكتاب من يهود ونصارى أقرب إلى المسلمين من المشركين والملاحدة الشيوعيين] وبعض الجماعات تغضب من هذا القول، ووالله لليهود أفضل من الشيوعيين مليون مرة، والتعامل مع اليهود أفضل مليون مرة من التعامل مع المشركين؛ لأنهم أهل كتاب ووعي وبصيرة، ترقق قلبه فيرق قلبه ويؤمن بالله ولقائه ليس كالمشرك الملحد.
ونبيكم صلى الله عليه وسلم وأصحابه في مكة كانوا ينتصرون للروم، والروم كفار، والمشركون كانوا ينتصرون لفارس، وانحاز المسلمون للروم؛ لأنهم أقرب من المشركين إليهم، بينما كان المشركون يتعصبون لفارس وينتصرون لها؛ لأنها وثنية تعبد ما يعبدون من الأوثان.

الخروج بالدعوة خارج مكة

قال: [الخروج بالدعوة خارج مكة] انتهت العشر سنوات [إنه لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف يعرض دعوته على رجال ثقيف، وعاد آيساً من خيرهم] كما سمعتم [دخل مكة في جوار المطعم بن عدي ؛ إذ طلب إليه ذلك، فوافق عليه] دخل في جوار المطعم والجوار كان له شأن عند العرب، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (أجرنا من أجرت يا أم هانئ) وقد آجرت طاغية وجب قتله يوم الفتح، دخل بيتها وقال: أستجير بك يا أم هانئ ! فجاء علي يريد أن يقتله فقالت: لا يا ابن أمي! وذهبت إلى رسول الله وقالت: يا رسول الله! قد أجرت فلان وابن أبي يريد أن يقتله، فقال: (أجرنا من أجرت يا أم هانئ).
وهذه الكلمة عندنا تزن الدنيا بما فيها، ما أطيبها، فرضي الله تعالى عنها وأرضاها.
قال: [فرآه أبو جهل فقال مستهزئاً: هذا نبيكم يا بني عبد مناف!! فرد عليه عتبة بن ربيعة قائلاً: وما ينكر أن يكون منا نبي وملك؟] وجه إليه صفعة [وسمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لـعتبة : (أما أنت فما حميت لله، وإنما حميت لنفسك)] يعني: ما أخذتك الحمية لوجه الله، وإنما لنفسك وقومك فقط [(وأما أنت يا أبا جهل فوالله لا يأتي عليك غير بعيد حتى تضحك قليلاً وتبكي كثيراً، وأما أنتم -يا معشر قريش- فوالله لا يأتي عليكم غير كثير حتى تدخلوا فيما تنكرون وأنتم كارهون)] هم ينكرون التوحيد، وسوف يدخلون فيه وهم كارهون.

[وكان الأمر كذلك فكانت آية نبوته صلى الله عليه وسلم.
وبقي صلى الله عليه وسلم بمكة وقد قلّ ناصره] أي: قل من ينصره [واشتدت عداوة القوم له، ولم يكن بمكة من المؤمنين غير المستضعفين، ففكر صلى الله عليه وسلم في الخروج بدعوته خارج مكة، فأخذ يعرض نفسه طالباً نصرته حتى يبلغ دعوة ربه، وذلك في المواسم والأسواق والمناسبات السنوية وغيرها، فأتى قبيلة كندة فدعاهم وطلب نصرته، فأبوا عليه.
وأتى بطناً من كلب يقال لهم: بنو عبد الله فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نصرته، فلم يقبلوا منه ما عرض عليهم.
ثم أتى بني حنيفة -وهم قوم مسيلمة الكذاب - فلم يكن أحد أسوأ منهم رداً وأقبحهم، وأتى بني عامر فعرض عليهم نصرته والإيمان بدعوته فرفضوا، وقال له أحدهم: أرأيت إن نحن تابعناك، فأظهرك الله على من خالفك أيكون لنا الأمر من بعدك؟] طماعون هؤلاء يريدون الدنيا [فرد عليه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: (الأمر إلى الله، يضعه حيث يشاء) فقال العامري: أفنهدفُ نحورنا للعرب دونك، فإذا ظهرت كان الأمر لغيرنا؟! لا حاجة لنا بأمرك] أي نقدم نحورنا للعرب تقتلنا، حتى إذا انتصرت يكون الأمر لغيرنا؟! لن نقبل بهذا.
أما إذا وعدتنا بأن نصبح الملوك والحكام فلا بأس.
عفاريت العرب!! [ولما رجع بنو عامر إلى ديارهم، أخبروا شيخاً كبيراً من رجالاتهم بالخبر، فوضع يده على رأسه، وقال: يا بني عامر هل من تلاف؟ والذي نفسي بيده ما تقوّلها إسماعيلي قط، وإنها لحق، وأين كان رأيكم عنه؟] ومن هو هذا الذي نفسه بيده؟ إنه الله! وكثيراً ما نقول: المشركون إيمانهم أنظف من إيماننا! فهذا يقول: بحق سيدي عبد القادر! وهذا يقول: ورأس سيدي البدوي! أن أهل القرآن يهبطون والجاهلون يعلون .
.

! إن الذي يعرف أن نفسه بيد الله لا يعصيه، وقد كانت عائشة تحب هذه اليمين وتقول: هذه يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم.
[ولم يزل صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه ودعوته على كل قادم له اسم وشرف] ليس على العوام والصعاليك ولكن على أهل الجاه والسلطة، فهم الذين يُعرض عليهم الدعوة، كما فعل في الطائف، عرض نفسه على ثلاثة فقط من ثقيف [عله يجد من ينصره على دعوته، وكان كلما أتى قبيلة يدعوها تبعه عمه أبو لهب ، فإذا فرغ من كلامه يقول لهم: يا بني فلان إنما يدعوكم هذا إلى أن تسلخوا اللات والعزى من أعناقكم إلى ما جاء به من الضلالة والبدعة، فلا تطيعوه ولا تسمعوا له] متى سمع أن الرسول صلى الله عليه وسلم ذهب إلى كذا كان كالذنب وراءه، فإذا دعا الرسول صلى الله عليه وسلم أحداً وفرغ وانصرف قال لهم أبو لهب : يا بني فلان! إنما يدعوكم هذا إلى أن تسلخوا اللات والعزى من أعناقكم ليدعوكم إلى ما جاء به من الضلالة والبدعة، فلا تطيعوه ولا تسمعوا له.
وسمى الدين بدعة، وعندنا العوام يسمون السنة بدعة، فإذا رأوك تصلي بنعلك قالوا: هذا مبتدع!

نتائج وعبر من الخروج بالدعوة المحمدية إلى خارج مكة

قال: [نتائج وعبر: إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبراً نوجزها فيما يلي: أولاً: ما كان العرب يلتزمونه من الجوار سنة حسنة، وهي تعرف اليوم باللجوء السياسي: ثانياً: آية صدق النبوة المحمدية تتجلى في صدق ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم أبا جهل وقريشاً إذ كان ما أخبر به كلاً منهما كما أخبر] ما نقص شيء أبداً [ثالثاً: قوة فراسة العامري] الشيخ الكبير [إذ عرف صدق النبي صلى الله عليه وسلم وصحة دعوته وأنها الحق] بمجرد سماع كلامه [رابعاً: بيان ما كان عليه أبو لهب من الصد عن الدعوة ومحاربتها حتى خارج مكة.
خامساً: استعمال أبي لهب لفظ البدعة والضلالة فيما هو شرع وهدى كاستعمال أصحاب الأهواء اليوم لفظ البدعة والضلالة على هدي الكتاب والسنة؛ تنفيراً للناس عنهما].
وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

لما انقضت على دعوة الإسلام ثلاث عشرة سنة في مكة، ولم يسلم في تلك الفترة إلا العدد اليسير، وهم المؤمنون المستضعفون المعذبون من قبل كفار قريش وزبانيتهم، أراد الله عز وجل ظهور الإسلام وانتشار خبره في أصقاع الأرض فهيأ لذلك تدابير إلهية، ومن ذلك إيمان بعض الشخصيات الاجتماعية من غير أهل مكة، وقدوم الأوس والخزرج إلى مكة في موسم الحج ولقائهم بالنبي صلى الله عليه وسلم، ومبايعتهم له في العقبة الأولى والثانية، وإرسال النبي مصعب بن عمير معهم إلى المدينة لتعليمهم حتى يتهيئوا لاحتضان الدعوة وصاحبها في مدينتهم.

تدابير إلهية لظهور الإسلام

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.
أما بعد: فقد انتهينا إلى مقطوعة [تدابير إلهية لظهور الإسلام] من هو المدبر؟ إنه الله؛ المدبر لظهور الإسلام وعلوه وسطوع شمسه ونصرته، فهيا نستمع إلى هذه التدابير ليزيد إيماننا وترتفع درجة يقيننا، ونصبح مؤمنين بحق إن شاء الله ربنا.

التدبير الرابع: إتيان جماعة من أهل المدينة النبي ومبايعتهم له (بيعة العقبة الثانية)

قال: [ورابع: هو أنه لما فشا الإسلام] أي انتشر [في المدينة بين الأنصار، اجتمع جماعة من أهل المدينة وقرروا أن يأتوا النبي صلى الله عليه وسلم في الحج ويجتمعوا معه سراً ويدرسوا معه -على كثب- موضوع هجرته إليهم، وانتهوا إلى مكة، واتصلوا بالحبيب صلى الله عليه وسلم سراً وواعدوه وسط ليالي التشريق] الثلاثة، الليلة الوسطى منها [فوافوه بالعقبة ليلاً، وكانوا سبعين رجلاً] هذه البيعة الثانية العظيمة [ومعهم امرأتان هما: نسيبة بنت كعب أم عمارة ، و أسماء أم عمرو بن عدي من بني سلمة، وكان مع الرسول صلى الله عليه وسلم عمه العباس رضي الله عنه، وهو يومئذ كافر لم يؤمن] إذ ما آمن إلا بعد وقعة بدر [وإنما حضر] العباس [ليستوثق لابن أخيه من كل ما يعده به الأنصار ويعطونه له من أنفسهم] يستوثق منهم: يعني يأخذ مواثيق وعهوداً، فلا يأخذون الرسول صلى الله عليه وسلم ثم يهملونه ويعرضونه للأذى والبلاء، فلا بد وأن يعدوا وعد الصدق بأن يحفظوه كما يحفظون أنفسهم وأهليهم، والعباس ذكي مع أنه كافر ولكن وقف إلى جنب ابن أخيه، وعرف ما يئول إليه المستقبل [فكان أول من تكلم العباس ، فقال: يا معشر الخزرج! إن محمداً منا حيث علمتم في عز ومنعة] وإن كان الواقع غير ذلك، ولكن هذه السياسة الرشيدة [وقد أبى إلا الانقطاع إليكم، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه ومانعوه فأنتم وذلك، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه، فمن الآن فدعوه؛ فإنه في عز ومنعة] هذه كلمة العباس ، فهل عرف السياسيون هذه؟ آه! بينهم وبينها كما بين السماء والأرض [فقال الأنصار: قد سمعنا ما قلت، فتكلم يا رسول الله! وخذ لنفسك ولربك ما أحببت] الباب مفتوح [فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم وتلا القرآن ورغب في الإسلام، ثم قال: (تمنعونني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم) فأخذ البراء بن معرور بيده، ثم قال: نعم.
والذي بعثك بالحق نبياً لنمنعنك مما نمنع منه أُزرنا.
فبايعنا يا رسول الله فنحن والله أبناء الحروب وأهل الحدقة ورثناها كابراً عن كابر، وهنا اعترض الكلام أبو الهيثم بن التيهان ، فقال: يا رسول الله! إنا بيننا وبين الرجال حبالاً] صلات يعني [وإنا قاطعوها، فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله ونصرك أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟ فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: (بل الدم الدم، والهدم الهدم)] وهذه كلمة شائعة عند العرب، يعني دمي دمكم وهدمي هدمكم، فليس هناك فرق، يعني: لا يمكن أن أترككم [(أنا منكم وأنتم مني، أحارب من حاربكم وأسالم من سالمكم)] صلى الله عليه وسلم [وهنا التفت إليهم العباس بن عبادة الأنصاري وقال: يا معشر الخزرج! هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل؟ تبايعونه على

حرب الأحمر والأسود] وهو كذلك [فإن كنتم ترون أنكم إذا نهكت أموالكم مصيبة وأشرافكم قتلاً أسلمتموه، فمن الآن فهو -والله- خزي الدنيا والآخرة] أي: من الآن اتركوه ولا تأخذوه [وإن كنتم ترون أنكم وافون له فخذوه، فهو -والله- خير الدنيا والآخرة، فأجابوه قائلين: إنا نأخذه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف، والتفتوا إلى الحبيب صلى الله عليه وسلم وقالوا: فما لنا بذلك يا رسول الله؟] يعني: ما الجزاء؟ ماذا سنعطى؟ [قال -فداه أبي وأمي والناس أجمعون-: (الجنة!!)] وزيادة (والناس أجمعون) هذه من فتوحات الله علينا، فما عرفناها ولا سمعناها من السلف، فإن كانت مقبولة مقبولة، وإن كانت مردودة نستغفر الله من ذلك، ولكن ليس فداه أبي وأمي فقط بل -والله- والعالم أجمع [فقالوا: ابسط يدك نبايعك، فبسط يده فبايعوه على خلاف البيعة الأولى؛ إذ بايعوه على حرب الأحمر والأسود] البيعة الأولى كانت تتعلق بالإيمان والعبادة، أما هذه فعلى الحرب والجهاد (على حرب الأحمر والأسود) والأحمر بمعنى الأبيض؛ لأن العرب ليسوا كالأوروبيين [وعين منهم صلى الله عليه وسلم اثني عشر نقيباً] والنقيب معروف [تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس، فالخزرجيون هم: أسعد بن زرارة ، و سعد بن الربيع و عبد الله بن رواحة و رافع بن مالك و عبادة بن الصامت و سعد بن عبادة و المنذر بن عمرو بن خنيس و البراء بن معرور ، والأوسيون- الثلاثة- هم: أسيد بن حضير و سعد بن خيثمة و رفاعة بن عبد المنذر ، وبهذا كانت بيعة العقبة الثانية، وصرخ الشيطان من أعلى العقبة] أصابه كرب وهم وحزن [قائلاً: يا أهل الجباجب! هل لكم في مذمم والصباة معه قد اجتمعوا على حربكم] وأهل الجباجب هم: أهل المنازل، والصباة جمع صابٍ، أي: المائل عن دينه، ويقصد بمذمم محمد صلى الله عليه وسلم، حاكياً ما قالته المجرمة أم جميل العوراء [فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (هذا أزب العقبة)] وأزب العقبة: شيطانها، والأزب هو القصير الماكر والبخيل الخبيث [(أتسمع أي عدو الله! أما والله لأتفرغن لك)، ثم قال صلى الله عليه وسلم: (ارجعوا إلى رحالكم)، فقال العباس بن عبادة: والذي بعثك بالحق نبياً لئن شئت لنميلن غداً على أهل منى بأسيافنا، فقال صلى الله عليه وسلم: (لم نؤمر بذلك)] أي: لم يأمرنا ربنا بقتلهم[وسمعت قريش بهذه البيعة المباركة، فلاحقت أهلها فلم تظفر إلا بسعد بن عبادة فعذبته] والباقون نجوا [ثم نجاه الله تعالى فلحق بالمدينة، واشتد لذلك غضب قريش وعظم أذاها للمؤمنين، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم المؤمنين بالهجرة إلى المدينة، فكان أول من قدم المدينة أبو سلمة بن عبد الأسد ، ثم هاجر عامر بن ربيعة مع امرأته ليلى ، ثم عبد الله بن جحش وتتابع الأصحاب، فهاجر عمر بن الخطاب و عياش بن ربيعة وغيرهم].

وهذا كله تدبير الله عز وجل؛ حتى نجلس مثل هذه الجلسة ونحمد الله ونثني عليه، ونصلي على نبيه صلى الله عليه وسلم، وندعو الله فيرضى عنا، ولولا ذاك ما حصل هذا أبداً، ولا اجتمعنا.

التدبير الثالث: قدوم رهط من الخزرج إلى مكة (بيعة العقبة الأولى)

[وثالث] التدابير الإلهية [بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه طالباً النصرة على القبائل الوافدة إلى الحج والعمرة، وإذا برهط من الخزرج] والرهط هو مجموعة من ثلاثة إلى الثلاثين أو أربعين [عند العقبة] أية عقبة هذه؟ الحد بين منى ومكة [فدعاهم إلى الله تعالى وعرض عليهم الإسلام، وذكرهم هذا بما تقوله اليهود لهم بالمدينة، من أن نبياً يبعث الآن نتبعه ونقتلكم معه قتل عاد وثمود] وقد جاء ذلك في سورة البقرة؛ إذ قال تعالى: وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ [البقرة:89]، كانوا يقولون للعرب في المدينة وغيرها: إن نبياً قد أظل زمانه، سوف نؤمن به ونقاتلكم معه ونقتلكم قتل عاد وثمود.

[فقال بعضهم لبعض: هذا والله النبي الذي توعدكم به اليهود، فأجابوا دعوة النبي صلى الله عليه وسلم وصدقوا به] هذا الرهط [وقالوا له: إن بين قومنا شراً وعسى الله أن يجمعهم بك، فإن اجتمعوا عليك فلا رجل أعزّ منك، ثم انصرفوا عنه، وكانوا سبعة نفر.

فلما قدموا المدينة ذكروا لأهلها النبي صلى الله عليه وسلم ودعوهم إلى الإسلام حتى فشا فيهم وانتشر خبره] خبر الرسول صلى الله عليه وسلم بالإسلام [حتى إذا كان العام المقبل وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلاً] جاءوا للحج [فلقوا النبي صلى الله عليه وسلم في العقبة فبايعوه بيعة النساء] والمراد من بيعة النساء هو ما جاء في قوله تعالى من سورة الممتحنة: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلا يَسْرِقْنَ وَلا يَزْنِينَ وَلا يَقْتُلْنَ أَوْلادَهُنَّ وَلا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ [الممتحنة:12]، وفيها ست مواد تسمى بيعة النساء، وبايع عليها الرجال؛ إذ هي هي.

[وكانت هذه بيعة العقبة الأولى، وكان أهل هذه البيعة أسعد بن زرارة ، و عوف و معاذ ابنا الحارث هما ابنا عفراء ، و رافع بن مالك بن عجلان ، و عبادة بن الصامت وغيرهم من الخزرج] هؤلاء من الخزرج [ومن الأوس: أبو الهيثم بن التيهان ، و عويم بن ساعدة ، فانصرفوا بعد البيعة، وبعث معهم النبي صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار وأمره أن يقرئهم القرآن، ويعلمهم الإسلام] ومصعب بن عمير كان شاباً أبواه ليس لهما إلا هو، فكان يمشي في الحرير وكان أعزّ شاب في مكة، فما إن أسلم ودخل في الإسلام حتى رئي يلبس جلد الغنم، وقد استشهد في أحد رضي الله عنه.

[فنزل مصعب بالمدينة على أسعد بن زرارة] لأنه ليس هناك فنادق [وأنزله أسعد في دار بني ظفر، واجتمع عليه رجال ممن أسلموا، فسمع به سعد بن معاذ و أسيد بن حضير وهما سيدا بني الأشهل -وكانا مشركين- فقال سعد لـأسيد : انطلق إلى هذين اللذين أتيا دارنا فانههما -يعني بالرجلين مصعب بن عمير و أسعد بن زرارة- فإنه لولا أسعد بن زرارة وهو ابن خالتي لكفيتك ذلك، فأخذ أسيد حربته، ثم أقبل عليهما فقال: ما جاء بكما تسفهان ضعافنا؟ اعتزلا عنا، فقال له مصعب : أو تجلس فتسمع، فإن رضيت أمراً قبلته، وإن كرهته كف عنك ما تكره؟ فقال: أنصفت] أي أنصفت فيما قلت [ثم جلس إليهما، فكلمه مصعب بالإسلام، فقال: ما أحسن هذا وأجله، كيف تصنعون إذا دخلتم هذا الدين؟ قال: تغتسل وتطهر ثيابك، ثم تشهد شهادة الحق -لا إله إلا لله محمد رسول الله- ثم تصلي ركعتين، ففعل ذلك وأسلم.

ثم قال لهما: إن ورائي رجلاً إن تبعكما لم يتخلف عنكما أحد من قومه، وسأرسله إليكم وهو سعد بن معاذ] رضي الله تعالى عنه وأرضاه، الذي اهتز عرش الرحمن لموته.

قال: [وانصرف أسيد إلى سعد وقومه، فلما نظر إليه سعد قال: أحلف بالله لقد جاءكم بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم] فراسة كاملة [ثم قال لـأسيد : ما فعلت؟ قال: كلمتُ الرجلين، ووالله ما رأيت بهما بأساً، وذهب سعد بن معاذ إلى أسعد و مصعب ، فدعاه] مصعب و أسعد [إلى الإسلام فأسلم على نحو ما أسلم أسيد ، ثم ذهب إلى دار بني عبد الأشهل فسألهم قائلاً: كيف تعلمون أمري فيكم؟ قالوا: سيدنا وأفضلنا! قال: فإن كلام رجالكم ونسائكم علي حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله، فوالله ما أمسى في دار بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلماً أو مسلمة] تدبير من هذا؟ تدبير العليم الحكيم[ورجع مصعب إلى منزل أسعد بن زرارة ، وما زال يدعو إلى الإسلام حتى لم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون، إلا ما كان من بني أمية بن زيد ووائل وواقف فإنهم أطاعوا أبا قيس بن الأسلت ، فوقف بهم عن الإسلام حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل بالمدينة، وحتى مضت بدر وأحد والخندق ثم دخلوا في الإسلام فأسلموا وحسن إسلامهم] تأخر إسلامهم.

التدبير الثاني: قدوم أبي الحيسر أنس بن رافع مكة مع فتية من بني عبد الأشهل

[وآخر] أي تدبير آخر [هو قدوم أبي الحيسر أنس بن رافع مكة مع فتية من بني عبد الأشهل] من المدينة أيضاً، هذا أبو الحيسر أنس بن رافع قدم مكة مع فتية شبان من بني عبد الأشهل [من بينهم إياس بن معاذ ، قدموا يلتمسون حلفاً من قريش على قومهم من الخزرج] أي: قدموا يطلبون النصرة من قريش، تمدهم بالرجال أو السلاح حتى ينتصروا على عدوهم في المدينة [فأتاهم النبي صلى الله عليه وسلم] لما بلغه أن فتية جاءوا من المدينة وغرضهم طلب النصرة على أعدائهم خف الحبيب صلى الله عليه وسلم وانطلق إليهم، وهنا تلاحظون قيامه -صلى الله عليه وسلم- الحق على دعوة الله! [وقال لهم: (هل لكم فيما هو خير لكم مما جئتم له؟)] عرض عليهم دعوته في لطف، فقال: (هل لكم فيما هو خير لكم مما جئتم له؟) يعني: أنتم جئتم تطلبون الرجال والسلاح والنصرة، وهناك ما هو خير لكم من هذا [ودعاهم إلى الإسلام وقرأ عليهم القرآن] دعاهم إلى الإسلام وقال: أسلموا.

[فقال إياس -وكان غلاماً حدثاً- هذا والله خير مما جئنا له] كانت القلوب الطيبة تقبل بدون تردد [فضرب وجهه أبو الحيسر بحفنة من البطحاء] وهذا شيطان! لأنه لم يعجبه كلام الشاب، فأخذ حفنة من البطحاء وضربها بوجهه.

وهذه هي البشرية: إنسان مرفوع وآخر هابط [وقال: دعنا منك] أي: اتركنا [فلقد جئنا لغير هذا] هذا قاله للرسول صلى الله عليه وسلم، فهم جاءوا -كما علمتم- يريدون السلاح والرجال [وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يلبث أن هلك إياس] مات [فسمعه قومه يهلل ويكبر حتى مات، فما يشكون أنه مات مسلماً .

.

] للكلمة التي قالها [وهذا تدبير] تدبير من؟ تدبير الله، يسوق أقداراً لأقدار.

التدبير الأول: قدوم سويد بن الصامت إلى مكة

قال: [ما زال الحبيب صلى الله عليه وسلم يعرض دعوته] كما سمعنا على القبائل في الأسواق، وفي المواسم، وفي الحج ..وهكذا، فهذا واجبه وقد أداه [ونصرته على كل ذي اسم وشرف] أي: على كل رجل ذي سمعة، وذي شهرة، وذي منصب في قريته وبلاده -اسمه مشهور وشرفه عالي ظاهر- وهذا من الحكمة، فلا يعرض نصرته على الصعاليك، فلا بد من أهل نصرة، كما رأينا ذلك في ثقيف، فثقيف الأمة الجبارة اختار منها النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة رجال فقط، فلما خاب منهم عرف أن الكل لا ينفع ولا يضر.
قال: [وقدم مكة سويد بن الصامت الملقب بالكامل] أي: جاء زائراً أو معتمراً أو حاجاً أو تاجراً..وسويد تصغير أسود، وكان يلقب بالكامل [لقوته وجلده، وهو أوسي من أهل المدينة] أي: من بلاد الأوس، والأوس والخزرج كانوا يسكنون المدينة، وأصلهم يمنيون زحفوا من اليمن بعد خراب سد مأرب؛ بذنوب أهل البلاد [قدم حاجاً ومعتمراً، فتصدى له الرسول صلى الله عليه وسلم] أقبل عليه بوجهه، وهذا شأن الصادق في طلب الهدى ونشر الخير بين الناس [فدعاه إلى الإسلام وقرأ عليه القرآن] ويا ليتنا عرفنا الآيات التي قرأها عليه، لنطير بها فرحاً ولا نزال نقرأها أبداً؛ لأنها تعالج الأمراض النفسية [فقال: إن هذا لحسن] هذا الكامل لما سمع القرآن قال: إن هذا لحسن! يعني بذلك القرآن [ثم انصرف وقدم المدينة، فلم يلبث أن قتله الخزرج في حرب بُعاث الدائرة بين قبيلتي الأوس والخزرج] من أربعين سنة، وهما قبيلتان أبوهما وأمهما واحدة، ولكن ثارت بينهما حرب بُعاث ودامت حتى أطفأ الله نارها بأبي القاسم صلى الله عليه وسلم [فكان قومه يقولون: قتل الكامل وهو مسلم] لأنه لما عاد من مكة كانت أنوار القرآن والإيمان في لسانه ووجهه، ومات وهو يذكر هذا، فقال قومه: مات فلان مسلماً، ولا يستبعد ذلك؛ لأنه استفاد من تلك النظرة المحمدية، والآيات النورانية التي سمعها، وقال: إن هذا لحسن! وهذه شهادة منه.
قال المؤلف: [وهذا تدبير] من دبر هذا؟ من أتى بالكامل ؟ إنه الله.

نتائج وعبر من مقطوعة (تدابير إلهية لظهور الإسلام)

قال: [نتائج وعبر: إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبراً نجملها فيما يأتي: أولاً: بيان شرف سويد بن الصامت -الملقب بالكامل - إذ كان أول من لقيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرض عليه الإسلام فاستحسنه، ونقل خبره إلى المدينة] ومات مسلماً [ثانياً: بيان شرف إياس الشاب الذي ما إن سمع قول الرسول صلى الله عليه وسلم، حتى قال: هذا والله خير مما جئتم له.
ثالثاً: بيان فضل الرهط الذين لقيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عند العقبة وعرض عليهم الإسلام، فأجابوه وآمنوا وعادوا إلى المدينة فنشروا الإسلام.
رابعاً: بيان شرف أهل بيعة العقبة الأولى، وعلى رأسهم أسعد بن زرارة .
خامساً: بيان فضل مصعب بن عمير شهيد أحد رضي الله عنه؛ إذ ضرب المثل في حسن الدعوة والصبر على البلاء فرضي الله عمن ترضى عن مصعب من كل مؤمن موحد.
سادساً: شرف أهل بيعة العقبة الثانية وفضل النقباء منهم، وهم اثنا عشر رجلاً.
سابعاً: بيان عداوة الشيطان إذ صرخ متألماً لما شاهد من نصرة الإسلام، وأغرى المشركين بالمؤمنين وأذاع خبر بيعة العقبة فلعنة الله عليه].

مكائد اليهود ضد أعدائهم ومخططاتهم للإعلان عن دولتهم

معاشر المستمعين! أريد أن أزودكم بمعارف فتح الله بها علينا! اعلموا أن اليهود رفضوا الإسلام على علم وبصيرة، لا لشيء إلا لخوفهم ألا يتحقق أملهم في إعادة مملكة بني إسرائيل، الإمبراطورية التي كانت على عهد النبيين داود وسليمان عليهما السلام، فما رفضوا الإسلام إلا خشية أن يذوبوا فيه وينقطع أمل إيجاد مملكتهم المنشودة، فهم يعملون لذلك قبل مبعث الرسول صلى الله عليه وسلم، وهم الذين ألبوا النصارى والمجوس على حرب الإسلام، فهم الذين نسجوا الخيوط، ووضعوا الطريق لضربه، وما زالوا يتآمرون ويعملون حتى فتنونا وشتتونا ومزقونا وأذلونا، وأذهبوا نور القرآن من قلوبنا ومن أبصارنا، وأصبحنا أمة هابطة من إندونيسيا إلى المغرب.

كيف وماذا صنعوا؟ وجدوا الصليبي أقوى، والمسلم أرحم، فاليهودي يعيش مع المسلمين لا يؤذى، ولكن الصليبيين أعداء اليهود، فقد كان الصليبي الحق لا يستطيع أن يفتح عينيه في يهودي؛ ومن العبادة عندهم ألا يفتح عينيه في يهودي؟ أيقتل إلهه وينظر إليه؟ بل كانوا يقلونهم كالسمك في قدور الزيت، وتنشرح صدورهم لذلك؛ لأنهم قتلوا إلههم.
تجدهم يعلقون الصلبان في أعناقهم؟ وما هو الصليب؟ إنه عيسى عليه السلام.
إذاً: كيف يضرب اليهود الصليبية ويمزقوها؟ نسجوا وأوجدوا ثوب الإلحاد في العالم، والإلحاد حديث العهد، فقد كان الأبيض والأسود في العالم يؤمن بوجود الله، والمعبودات والأصنام كلها يُتوسل بها إلى الله، حتى المجوس كانوا يعبدون النار يتوسلون بها إلى الله، لكن فكرة: لا إله والحياة مادة، هي من وضع اليهود، وليس عامة اليهود المتفرقين في اليمن والجزائر وتونس..ولكن خواصهم، وعلماؤهم، فالعوام لا يفهمون هذا.
فوضعوا اليهود الإلحاد في قميص الشيوعية؛ فالشيوعية تقوم على مبدأ: لا إله والحياة مادة، ونشروا المذهب البلشفي، وأصبح ثلاثة أرباع أوروبا لا يؤمنون بلقاء الله، أما الصليب فإنه يشترونه ولا حرج، ويدل على ذلك أن مئات الآلاف من الكنائس فقراء لا أحد فيها، فانتشرت هذه الضلالة العجيبة، وهبطت بالمسيحيين، وأصبحوا يقربون اليهود ويدنونهم، وينزلونهم منازل عظيمة، وما هي إلا سنوات حتى استولى اليهود على الأموال، وأصبحوا الأساتذة الكبار في السياسة وغيرها من العلوم، فسيطروا على أمريكا وأخضعوها، وفعلوا بأوروبا ذلك أيضاً، من أجل أن يملكوا ويعلنوا عن مملكة بني إسرائيل.
ومن مظاهر السعي والعمل الجاد بالليل والنهار، أنهم استطاعوا أن يفرضوا على العالم بكامله مسلمه وكافره دولة بني إسرائيل في فلسطين، في أرض القدس التي يعظمها كل العالم الإسلامي، والصليبية خنست وخضعت، وأُوجد بالفعل دولة بني إسرائيل.
إذاً: تنطلق الانطلاقة الأولى من النيل إلى لفرات، وبعد ذلك تحكم العالم كعهد سليمان عليه السلام.
ولما بلغت الشيوعية مداها وتحقق لليهود آمالهم سلبوها وانتهوا منها، ويمكن أنهم قد توقعوا أيضاً أن ظروف الشيوعية قد تطيح بهم، ولذلك أوجدوا البديل، وما هو البديل؟ إنه المذهب العلماني الذي يسود العالم اليوم، وما هي العلمانية؟ هي أنه كل شيء للعلم، فعطلوا شرائع الله كلها، وأوقفوا الآداب والأخلاق، وأصبح العلم هو كل شيء، كل شيء بالعلم من الذرة إلى المجرة، وساد هذا المذهب، وانتشر في العالم، وضرب به من ضرب من العالم الإسلامي، وصفق البلهاء والجهال لهذا المذهب.
والآن أوجدوا حركة أخرى ..فبعيني هاتين كان الحاكم الفرنسي إذا زار المنطقة في العام مرة أو في السنتين تأتي امرأته وعلى وجهها الخمار الأسود كالمرأة المسلمة بالمدينة؛ لتعرفوا أن كشف الوجوه وإزالة الحجاب هو من فعل بني عمنا ومن صنائعهم.
ولكن بقي التدين وطالت مدة الإعلان عن دولتهم، فقالوا: هيا نمسخ العالم! فاستطاعوا أن يمسخوا أوروبا وأكثر بلاد العالم الإسلامي، فنزعوا حجاب، وأوجدوا الاختلاط، ووظيفة المرأة..وتغنى العلماء بالمرأة، وحقوق المرأة وكذا .. حتى مسخت المرأة في أوروبا وأمريكا، وأكثر بلاد العرب، وأصبحت المرأة تعمل ست ساعات، وفقد الناس لذة الحياة، فما إن تدق الساعة السابعة إلا وهم يجرون في الشوارع ذاهبين إلى أعمالهم ..وفقدوا كذلك الراحة.
وماذا حدث بعد ذلك؟ انتشر اللواط!! لقد وُجدت أندية اللواط في العالم، وقد سمعت في الإذاعة من يقول: تم عقد النكاح لثلاثة وأربعين رجلاً على آخر مثله في بلاد العرب.
إذاً: فسدت الأخلاق وهبطت البشرية إلى الحيوانية، ينزو بعضهم على بعض في الشوارع، وتعال إلى دول ترقت من قديم كالسويد والدنمارك وغيرها، لتجدهم في الغابات ينزو بعضهم على بعض، وكان هناك إعلان في بريطانيا مفاده: أنه لا مانع من أن يتزوج الرجل برجل آخر، ويعقد لهم قاض.
ثم بعد ذلك طالت المدة ولم يعلنوا عن دولتهم، فماذا فعلوا؟ بدءوا بالصور، الصور في المجلات، ووالله الذي لا إله غيره أنه أثيرت الغرائز وحركت الشهوات وحصل الزنا واللواط بواسطة هذه المرائي والمناظر، وهم على علم حين ينشرونها، فكل شيء حتى حبة الحلوى فيها عاهرة، وانظروا إلى مجلاتكم وجرائدكم، والصور على البضائع وعلى كل شيء لإهاجة الشهوات البشرية؛ حتى تهبط الأمم ويمسخها الله، ولا تصبح أهلاً للبقاء.
وما زلنا كالعميان، تجد عندنا المراقص، والملاهي، والتلفاز، والفيديو وغير ذلك .
.

ثم رأوا من جديد أن المدة قد طالت فكيف يفعلون؟ قالوا: هيا بنا نعمل مخططاً جديداً .

.

فادعوا أن الأرض امتلأت بالبشرية -وكأن البشرية لا خالق لها ولا رب ولا رازق، وعموا عن قول الله تعالى: وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ [الإسراء:31]- فمنعوا الزواج المبكر، حتى لا يولد الناس، وجوزوا الإجهاض وشرعوا له، ثم قالوا: نسلط الذكر على الذكر والأنثى على الأنثى في الغابات والبساتين؛ حتى يروُن غرائزهم بالشهوات وينتهي الزواج وعقد النكاح.

فإن أراد الله عز وجل أن يوقف هذه النار ويطفئها فلا راد لأمره، وإن أراد أن تمضي سنته في البشرية الهابطة المعرضة عنه، فسوف ينتصر هذا الذي يفعل اليهود ويتحقق لهم ما أرادوا.

ونحن لا يسعنا إلا أن نرفع أكفنا إلى الله -وقد عودنا الاستجابة- وهناك كم وكم ممن يذكر أن الله استجاب له بدعوة أهل هذا الدرس وشفاه، وعندنا مؤمن يقول: أنفقت أكثر من أربعين ألفاً على الإنجاب ولم أنجب، ولم أترك طبيباً ولا دواء إلا تناولته، ثم وجدت هذا الطريق، فادعوا الله لي أن يرزقني الولد.

إذاً: أنا أدعو وأنتم أمنوا -على هدي الرسول صلى الله عليه وسلم- فليس كلنا يدعو: اللهم يا ذا الجلال والإكرام! اللهم يا بديع السموات والأرض! اللهم إنا نسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت يا حنان يا منان، يا بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، إنا نسألك لهذا المؤمن ولكل مؤمن ومؤمنة يرغب في الولد أن ترزقه ولداً صالحاً تقر به عينه يا رب العالمين! ونسألك اللهم أن تنزل نقمتك وعظيم بأسك على الفئة الكافرة الناقمة على الإسلام، اللهم أنزل بهم سخطك، وأنزل بهم نقمتك وعذابك، وأرنا فيهم يا رب ما يسوءهم، اللهم عجل بنقمتك لهم حتى لا يجتمعوا في ديارنا ولا يعلنوا عن كفرهم بيننا، إنك ولينا وعدوهم يا رب العالمين! اللهم أرنا فيهم آية من آياتك، اللهم حرقهم ومزقهم وشتت شملهم وجمعهم وردهم خائبين خاسرين يا رب العالمين! وصلِّ اللهم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

لما كانت بيعة العقبة الثانية أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير إلى المدينة ليعلم المسلمين الجدد ويفقهم في دينهم، فبدأ عندها أهل المدينة يدخلون في دين الله زرافات ووحداناً، عندها أمر النبي صلى الله عليه وسلم المؤمنين في مكة باللحاق بإخوانهم من الأنصار، فقام الأنصار من الأوس والخزرج باستقبال إخوانهم المهاجرين، ومكنوا لهم في دورهم وشاركوهم في طعامهم وشرابهم.

لطائف أمور قبل هجرة الحبيب صلى الله عليه وسلم

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.
أما بعد: فقد انتهى بنا الدرس إلى [لطائف أمور قبل هجرة الحبيب صلى الله عليه وسلم] فهيا بنا نقضي هذه الساعة مع رسولنا صلى الله عليه وسلم.
سابعاً: إرسال مصعب بن عمير إلى المدينة كأول سفير للإسلام

قال: [وسابع هذه الأمور] اللطيفة [هو أن النبي صلى الله عليه وسلم كان قد أرسل مع أهل بيعة العقبة الأولى مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف] هذا الذي كان يمشي في الحرير، وما إن أسلم حتى هجره أبوه وأمه وأسرته ولبس جلد الغنم [وأمره أن يقرئهم القرآن، ويعلمهم الإسلام، ويفقههم في الدين] لأن الجماعة الأولى التي هاجرت قبل الرسول صلى الله عليه وسلم كانت في حاجة إلى من يعلمها ويثقفها، فبعث معهم النبي صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير ، وكان أول من بعث إلى المدينة لهذه المهمة.
قال: [فكان أول من لقب بالمقرئ] وهو أول من لقب في العالم الإسلامي بهذا اللقب [واستشهد بأحد، فهو ضجيع سيد الشهداء حمزة في ساحة أحد، يزاران مع بعضهما بعضاً، فرضي الله عنهما وأرضاهما وجعل الجنة مأواهما].
سادساً: هجرة صهيب رضي الله عنه

قال: [وسادس هذه الأمور] اللطيفة قبيل الهجرة النبوية [هو هجرة صهيب] ولا أشك أن ملايين المسلمين لو يصابون بمثل هذه الأحداث في ذات الله لعادوا إلى الكفر ومشوا وراء الكافرين، وهاهم لم يصبهم شيء وصفقوا وراء اليهود والنصارى، والعلة هي ضعف الإيمان أو انعدامه .

.
قال: [إنه حين أراد الهجرة إلى المدينة قال] له [كفار قريش: أتيتنا صعلوكاً فكثر مالك عندنا] وصعلوكاً أي: فقيراً [وبلغت الذي بلغت ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك! والله لا يكون ذلك، فقال لهم صهيب : أرأيتم إن جعلت لكم مالي أتخلون سبيلي؟ قالوا: نعم.
قال: فإني جعلت لكم مالي، ودلهم على مكانه وهاجر] لأن الأموال كانت تدفن أو توضع في أماكن خفية [فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم بادره قائلاً: (ربح البيع صهيب .

.
ربح البيع صهيب)، ونزل فيه قرآن يتلى إلى اليوم] بل إلى يوم القيامة [وهو قوله تعالى في سورة البقرة: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ [البقرة:207]] واشتراها بمعنى: باعها لله، وخرج من ماله كله.

خامساً: نزول المهاجرين على دور إخوانهم من الأنصار

قال: [وخامس هذه الأمور] اللطيفة قبيل الهجرة [أن المهاجرين جميعهم، ما منهم أحد إلا نزل ببيت أحد الأنصار، فأي كرم أعظم من هذا؟] دلوني!! المهاجرون يتدفقون على المدينة، وكل مهاجر ينزل ببيت أخيه المؤمن من الأنصار، فلا فنادق ولا أربطة..ولا ولا، ولكن كل مهاجر يؤويه أخوه ويُسكنه، ليأكل معه ويشرب.
[وأي إخاء أصدق من هذا الإخاء؟ وأي إسلام أحسن من هذا؟ وأي صبر أقوى من هذا؟ وأي إيمان أثمر من هذا؟ وأين نحن اليوم من ذا وذاك يا عباد الله؟]
أولاً: نص حديث البيعة

قال: [أول هذه الأمور: نص حديث البيعة] التي تمت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين وفد الأنصار من المدينة وهي بيعة العقبة الأخيرة [إذ جاء فيه] أي: في نص البيعة [ما يلي: قال عبادة بن الصامت -وكان أحد النقباء-] والنقباء جمع نقيب وهو من يمثل مجموعة من الناس [بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الحرب] لا السلم [على السمع والطاعة في عسرنا ويسرنا، ومنشطنا ومكرهنا، وأثرة علينا] ومعنى (أثرة علينا) أي: لو تفضل الذين يلون الأمر واستأثروا بشيء من الخير دوننا لا نبالي، لا نحزن ولا نكرب ولا نطعن ولا ننتقد.
فقد يحكم البلاد في يوم من الأيام بعد رسول الله من يحكم، ويؤثر عليهم غيرهم بنوع من أنواع العطاء: وظيفة عالية أو أموالاً أو غير ذلك ..فلا يكربون لذلك ولا يحزنون ولا يأسفون ولا يطعنون.
قال: [وألا ننازع الأمر أهله] أي: لا نطالب بالحكم أبداً والولاية من أُسند إليه الأمر [وأن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم] هذه بنود اتفاقية البيعة، وقد تمت قبل هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة بأيام.
ثانياً: تلقيب العباس بن عبادة العوفي بلقب المهاجر الأنصاري

قال: [وثاني هذه الأمور: أن العباس بن عبادة العوفي هو الوحيد الذي ظفر بلقب مهاجر أنصاري] ما وجد في الصحابة من يقال فيه: مهاجر وأنصاري إلا هذا، وهذا اللقب يزن الدنيا وما فيها، فهو أنصاري ومهاجر، والمهاجرون هم من خرجوا من مكة إلى المدينة وعلى رأسهم سيد المهاجرين صلى الله عليه وسلم، والأنصار هم الذين آووا ونصروا في المدينة، وقد كان كذلك؛ لأنه قبل دخول الرسول المدينة ذهب العباس إلى مكة مهاجراً، ثم عاد أنصارياً، ففاز بأعظم لقب، وهو لقب ذو شرف، وذو قيمة، وذو وزن، واقرءوا في القرآن ماذا حدَّث الله عن المهاجرين والأنصار في كتابه.
قال: [فالأصحاب كلهم إما مهاجر أو أنصاري إلا العباس بن عبادة العوفي ، فإنه خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة وأقام بها، فكان يقال له: مهاجر أنصاري، استشهد بأحد رضي الله عنه وأرضاه وجعل الجنة مأواه.
ثالثاً: خروج الأصحاب إلى المدينة جماعة إثر جماعة

قال: [وثالث هذه الأمور] اللطيفة [لما تمت بيعة العقبة الثانية، وقد تضمنت نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم: (إن الله عز وجل قد جعل لكم إخواناً وداراً تأمنون بها)، فخرجوا أرسالاً -أي: جماعة إثر جماعة- وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ينتظر إذن ربه له في الهجرة إلى المدينة] لما تمت البيعة الثانية قال الرسول صلى الله عليه وسلم للمؤمنين في مكة: إن الله عز وجل قد جعل لكم إخواناً، هم الأنصار بالمدينة، وداراً وهي طيبة، تأمنون بها من الضرب والاعتداء الذي ينالكم بمكة من مجرمي المشركين، فخرجوا من مكة جماعة بعد جماعة، وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ينتظر الأذن من ربه عز وجل، ولو أنه لم يأذن له بالهجرة لَما هاجر صلى الله عليه وسلم، ولكن انتظر أذن مولاه في الهجرة إلى المدينة.
رابعاً: هجرة آل أبي سلمة رضي الله عنهم

قال: [ورابع هذه الأمور: أن أول مهاجر من قريش من بني مخزوم إلى المدينة كان أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال واسمه عبد الله رضي الله عنه وأرضاه] ولعل الله يحول بيننا وبين البكاء حتى لا يتعطل الدرس! قال: [وحديث هجرة أبي سلمة اللطيف الشريف كان كالتالي، فلنستمع إليه: لما عاد أبو سلمة من الحبشة] مع زوجته؛ لأنهما كانا مهاجرين إلى هناك، وكانت أول هجرة قبل اتفاقية المدينة [إذ هاجر إليها أولاً، ولما وصل مكة آذته قريش] لأنه رجل وعمود في تلك البلاد، فآلمهم إسلامه وهجرانه لهم فآذوه [وبلغه إسلام من أسلم من الأنصار] علم أن هناك فئة

من الأنصار أسلمت فقرر الهجرة إلى المدينة؛ لأنه لم يطق البقاء في مكة لِما يصب عليه من ألوان العذاب والإهانة والاضطهاد [فقرر الهجرة إلى المدينة، فحمل زوجته أم سلمة وطفله وقاد بهما راحلته] و أم سلمة أمنا جميعاً [وخرج] أي: من مكة [فلحقه رجال من بني مخزوم، فقالوا له: هذه نفسك قد غلبتنا عليها، أرأيتك صاحبتك هذه، علام نتركك تسير بها في البلاد؟] قالوا له: أما نفسك فقد غلبتنا عليها، يعني هذا شأنك، ولكن وهذه المرأة وهذا الطفل لم تخرج بهم؟! ولم يسمحوا له بأخذهما.

قال: [ونزعوا خطام البعير من يده] كان يقود البعير فأخذوا خطامه من يده [وأخذوا الراحلة وعليها امرأته] أم سلمة [وولده] سلمة [وغضب عند ذلك رجال من رهط أبي سلمة] أساء إليهم هذا الموقف [فقالوا: والله لا نترك ولدنا عندها] حملتهم الغيرة فقالوا: خذوا أنتم امرأتكم أما ولدنا فلا تأخذونه [إذ نزعتموها من صاحبنا، فتجاذبوا الطفل حتى خلعت يده] هذا يجذب وهذا يجذب والولد يصرخ فانخلعت يده [وانطلق به بنو عبد الأسد، وحبس بنو المغيرة أم سلمة عندهم] لأنها تابعة لهم.

ولنستمع إليها وهي تحدث عن قصة هجرتها] أم سلمة -أمكم أيها المؤمنون- تحدث عن قصة هجرتها بعدما انتهت وسهلت لها [قالت رضي الله عنها: فرقوا بين وبين زوجي -إذ واصل هو سيره إلى المدينة- وبيني وبين ولدي إذ أخذه رهط زوجي، فكنت أخرج كل غداة إلى الأبطح] وهو موجود في مكة في طريق منى [فأجلس أبكي؛ فلا أزال أبكي حتى أمسي، وذلك سنة أو قريباً منها] لأنها فارقت زوجها وولدها، وحيل بينها وبين هجرتها، فكانت تخرج من الصباح للأبطح تبكي إلى المساء ثم تعود إلى بيتها، وظلت على هذه الحال قريباً من السنة[حتى مر بي رجل من بني عمي أحد بني المغيرة، فرأى ما بي فرحمني، فقال لبني المغيرة: ألا تخرجون هذه المسكينة؟ فرقتم بينها وبين زوجها، وبينها وبين ولدها، قالت: فقالوا لي: الحقي بزوجك إن شئت، قالت: وردّ بنو عبد الأسد إليَّ عند ذلك ابني] سلمة [فارتحلت بعيري] أي: ركبت عليه [ثم أخذت ابني فوضعته في حجري] ووضعت الولد في حجرها [ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة، وما معي أحد من خلق الله، فقلت: أتبلغ بمن لقيت حتى أُقدم على زوجي] وتبلغ: استعان، أي: تجعل بلغتها من لقيت في الطريق حتى تصل إلى زوجها [حتى إذا كنت بالتنعيم] والتنعيم ملتصق بمكة الآن أو في وسطها، وهو حدود الحرم [لقيت عثمان بن طلحة بن أبي طلحة أخا بني عبد الدار، فقال لي: إلى أين يا بنت أبي أمية؟ قلت: أريد زوجي بالمدينة، قال: أوما معك أحد؟ قلت: لا والله إلا الله وبنيَّ هذا] الطفل الصغير [قال: والله ما لك من مترك] أي: لا نتركك [فأخذ بخطام البعير فانطلق معي يهوي بي، فوالله ما صحبت رجلاً من العرب قط أرى أنه كان أكرم منه] من هذا الرجل [كان إذا بلغ المنزل أناخ بي] تعني البعير [ثم استأخر عني] وابتعد [حتى إذا نزلت] من على البعير [استأخر ببعيري فحط] عني [ثم قيده في الشجرة ثم تنحى عني إلى شجرة أخرى فاضطجع تحتها] حتى لا يقربها ولا ينظر إلى وجهها، وهو ما زال كافراً، فرحم الله من قال: إن كفار العرب يعتبرون أشراف الكفار.

رجل يقودها مسافة عشرة أيام مجاناً وهو كافر.

إنه الكرم والعاطفة والمروءة تقودهم! [فإذا دنا الرواح] وأردنا أن نواصل السفر [قام إلى بعيري فقدمه فرحله] وضع عليه الرحل [ثم استأخر عني وقال: اركبي، فإذا ركبت واستويت على بعيري أتى وأخذ بخطامه، فقاده حتى ينزل بي] ما هذا الكمال؟! ولهذا اختارهم الله فبعث فيهم خاتم أنبيائه وإمام رسله؛ لعلمه عز وجل بأنهم سيحملون هذه الأمانة، وقد حملوها [فلم يزل يصنع ذلك بي حتى أقدمني المدينة] بعد عشرة أيام [فلما نظر إلى قرية بني عمرو بن عوف بقباء قال: زوجك في هذه القرية] انزلي [-وكان أبو سلمة نازلاً بها- فادخليها على بركة الله] مشرك يقول: ادخلي على بركة الله! والمؤمنون اليوم لا يقولونها! لانقطاعهم عن الملكوت الأعلى، وبعدهم عنه البعد الكبير [ثم انصرف راجعاً إلى مكة وهو يومئذ على الشرك] ليس على التوحيد [وما أسلم إلا في هدنة الحديبية] في السنة السادسة.

وقالت رضي الله عنها: [والله ما أعلم أهل بيت في الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبي سلمة، وما رأيت صاحباً قط أكرم من عثمان بن طلحة] ختمت قصتها بهذا القول: (والله ما أعلم أهل بيت في الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبي سلمة)؛ لأنها كانت طوال سنة تبكي، وزوجها في المدينة، وطفلها في أيد الآخرين، (وما رأيت صاحباً قط أكرم من عثمان بن طلحة) رضي الله عنه وأرضاه.

قال المؤلف: [مراجعة] للفائدة علنا نكتشف شيئاً [هيا بنا يا إخوة الإسلام نراجع قصة أم سلمة هذه لعلنا نبكي فنمسح بدموعنا بعض آثامنا، ونُذهب بها بعض قساوة قلوبنا.

هذه أم سلمة وذاك زوجها -قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم- أبو سلمة ذو الهجرتين] كان زوجها قبل أن يتزوج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم هاجر إلى الحبشة -الهجرة الأولى- ثم إلى المدينة [يخرج بها من مكة مهاجراً بها إلى دار الهجرة، فتفتك منه زوجته وولده، ويفتك الولد من أمه، ويترك أبو سلمة زوجته وولده ويهاجر إلى ربه تاركاً نصفه وراءه، وتنظر أم سلمة فلم تجد مواسياً] يواسيها [ولا مؤانساً] يؤانسها [فتخرج كل يوم إلى الأبطح تبكي طول يومها، وتعود إلى كسر بيتها إلى انسلاخ سنة بأشهرها الإثني عشر، ثم يؤذن لها بالهجرة فتهاجر وحدها على بعير وما معها سوى طفلها، تسافر مسافة عشرة أيام.
حقاً ما قالته: ما أعلم أهل بيت أصابهم ما أصاب آل أبي سلمة، وأخرى في كمال عثمان بن طلحة الذي يضرب الرقم القياسي في الكرم النفسي: إنه يجد امرأة على بعيرها تريد السفر مسافة عشرة أيام في صحراء، لا خضراء بها ولا ماء، فيقول -وقد سألها عن حالها-: والله مالك من مترك، ويقود بعيرها ويحسن إليها في ركوبها ونزولها، ويريها من العفة والكرم ما لم تره امرأة مثلها قط.
آه أين هؤلاء الرجال الأعفاء الكرماء ذوو النجدة؟! لقد أقفرت منهم الحياة، وأجدبت منهم ساحة الوجود] إي والله [ولا خير في دنيا يُفقد فيها أمثال هؤلاء].

دعاء لمريض

معاشر المستمعين! الشيخ أبو يوسف أحد رجالات الدرس من عشرات السنين هو في المستشفى الآن، وطلب منكم أن تسألوا الله له الشفاء، ليعجل بشفائه، وكم من واحد أيضاً يقول: إني مريض أو عندي مرض .
.
وهذه فرصة ذهبية، فقد جمعنا الله في بيته ندرس كتابه ونصلي على نبيه، وهي أعظم وسيلة نتوسل بها إلى الله، فهيا ندعو والله الشافي.
اللهم يا ذا الجلال والإكرام! يا ذا الجلال والإكرام! يا ذا الجلال والإكرام! اشف عبدك أبا يوسف من مرضه، ورد إليه صحته وعافيته، واشف كل مريض عندنا وبيننا ومعنا أو أوصانا أن ندعوك يا ربنا لشفائه، اللهم اشف كل مريض منا وفينا، وأعظم أجر من مرض منا وشفيته يا رب العالمين! هذه أكف الضراعة قد رفعناها إليك وأنت القائل: ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ [غافر:60] فقد دعوناك ربنا فاستجب لنا، فاشف هذا المريض ومن معه، واشف كل مريض، واشفنا من مرض قلوبنا القاسية الجدبة يا رب العالمين! اللهم زك نفوسنا، وطهر قلوبنا، واجمعنا دائماً على رضاك يا ولي المؤمنين! ويا متولِّ الصالحين! وصل اللهم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين ..

تاسعاً: إسلام عمرو بن الجموح

قال: [وتاسع هذه الأمور هو: أنه لما عاد أهل بيعة العقبة إلى المدينة وأظهروا الإسلام فيها، كان من بينهم: معاذ بن عمرو بن الجموح و معاذ بن جبل ، وكان لـعمرو بن الجموح -والد معاذ - صنم قد اتخذه في داره] كان له صنم يعبده في بيته [شأنه شأن سادات وأشراف المدينة] كما عندكم أنتم التلفاز والفيديو أيها الأشراف، وهم كذلك عندهم صنم يتسلون به [وكان الصنم من خشب، فكان يعبده بدعائه وتعظيمه، فيجيء معاذ ولده مع معاذ بن جبل] الشاب المدني [في فتيان] وشبيبة [ممن أسلموا] يأتون [بالليل المظلم، فيأخذون الصنم ويلقونه في حفرة لبني سلمة، يلقون فيها العذرة والأوساخ منكساً رأسه] يأخذونه بالليل ويأتون إلى حفرة فيها أوساخ وعذرة ويلقون به فيها منكساً، أي: يجعلون رأسه أسفل ورجلاه أعلى [فيصبح عمرو فيطلبه فلا يجده، فيبحث عنه فيجده في تلك الحفرة منكساً ملطخاً، فيأخذه فيطهره ويطيبه وينصبه في داره، فيأتي الفتيان المسلمون ليلاً فيأخذونه ويفعلون به ما فعلوا به الليلة البارحة، وهكذا فيأتي به عمرو ويقول: لو أعلم من فعل هذا بك لأضربنه].
قال: [ولما أكثروا به ذلك] تعددت المرات وهو يتألم ويتحرق [جاء به يوماً فغسله وطهره وطيبه، ثم جاء بسيفه فعلقه عليه] علق السيف بهذا الصنم المعبود [ثم قال: إني والله لا أعلم من يصنع بك ما ترى] بمعنى: لو كنت أعلم ما أتركك تهان هذه الإهانة، لكن والله لا أعلم من يصنع بك هذا [فإن كان فيك خير فامتنع فهذا السيف معك] أي: إن كان فيك خير فامتنع عن كل من جاء يريد أن يلقي بك والسيف عندك [فلما أمسى عمرو جاء الفتيان فعدوا عليه، وأخذوا السيف من عنقه، ثم أخذوا كلباً ميتاً فقرنوه به في حبل] ربطوه مع كلب ميت [ثم ألقوه في بئر من آبار بني سلمة فيها عذر من عذر الناس، ثم غدا عمرو يطلبه فلم يجده في مكانه الذي تركه فيه، فخرج يتبعه حتى وجده في

تلك البئر منكساً مقروناً بكلب ميت، فلما رآه وأبصر شأنه تبين له عدم صلاحيته للألوهية] ليس أهلاً لهذا [وكلمه بعض رجال قومه في الإسلام فأسلم، وقال في صنمه شعراً هذا نصه: والله لو كنت إلهاً لم تكن أنت وكلب وسط بئر في قرن إلى أن قال: الحمد لله العلي ذي المنن الواهب الرزاق ديان الدِّيَن هو الذي أنقذني من قبل أن أكون في ظلمة قبر مرتهن].

فرضي الله تعالى عنه وأرضاه.

ثامناً: ترضي ابن كعب على أسعد بن زرارة كلما سمع أذان الجمعة

قال: [وثامن هذه الأمور] واللطائف [هو أن عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال: كنتُ قائد أبي لما ذهب بصره] عَميَ هذا الصحابي في كبر سنه [فكنت إذا خرجت به إلى الجمعة] ليصليها [فسمع الأذان] يؤذن [صلى على أسعد بن زرارة] أي قال: اللهم اغفر له وارحمه [فسألته عن ذلك قائلاً: يا أبت! مالك إذا سمعت الأذان للجمعة صليت على أبي أمامة ؟] يعني: لِم تصلِّ على فلان كلما سمعت الأذان؟ [قال: يا بني! إنه كان أول من جمع بنا في المدينة في هزم النبيت من حرة بني بياضة يقال له: نقيع الخضمات، قلت له: وكم كنتم يومئذ؟ قال: أربعين رجلاً] يعني يتذكر إفضاله عليهم وإحسانه أيام كان يجمعهم في جبل من جبال المدينة، فكان إذا سمع الأذان صلى عليه وسلم: أي قال: اللهم اغفر له وارحمه، اعترافاً له بالجميل.

كانت هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة مليئة بالعبر والدروس؛ فقد كان الأخذ بالأسباب بعد التوكل على الله ماثلاً فيها بوضوح، ابتداء من تكتم النبي صلى الله عليه وسلم على وقت خروجه إلى المدينة، واتخاذ الصاحب والرفيق الناصح في هذه الرحلة المحفوفة بالمخاطر، واصطحاب الدليل الحاذق العارف بطريق الصحراء، وتجنيد الأتباع المخلصين لإنجاح عملية الخروج من مكة، والتخفي أثناء الرحلة إلى المدينة.

هجرة الحبيب الطيب محمد صلى الله عليه وسلم إلى طيبة الطيبة

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.

خروج المشركين في طلب النبي وصاحبه

[وطلبهما المشركون طيلة الثلاثة الأيام] كانوا يقلبون الحجارة بحثاً على النبي صلى الله عليه وسلم [ومن آيات النبوة الدالة على نبوته صلى الله عليه وسلم [أن العنكبوت نسجت على الغار، والحمامة عششت وباضت؛ تعمية على الطالبين من المشركين] وبعضهم يقول: هذا الأثر ضعيف، ولم يضعف؟ أمستحيل يا هذا! قالوا: هذا لا يتلاءم مع الواقع! وأيام محنة إبراهيم أما جاءت الوزغة تنفخ وسائر الحيوانات كانت تطفئ النار؟ فليس هناك غرابة أبداً [ولما مضت ثلاثة أيام وسكن الناس عنهما وأيسوا من العثور عليهما، أتاهما من استأجراه بالراحلتين، وكانت أسماء قد جاءت بطعام في سفرة، ونسيت أن تجعل له عصاماً] من حبل أو شيء [وأرادت أن تعلق السفرة بالبعير] ليبقى فيها الطعام [فلم تستطع ذلك، فشقت نطاقها نصفين فعلقت السفرة بنصفه وانتطقت بالنصف الآخر، فمن ثم لقبت بذات النطاقين] من أجل هذا لقبوها بذات النطاقين ، ولم تكن جامعية، ووالله ما كانت تعرف القراءة ولا الكتابة، فكيف عرفت هذا الكمال؟! إن الاستمداد من السماء أولى.
قال: [ولما كان المشركون يطلبون رسول الله صلى الله عليه وسلم و أبا بكر -وهما في الغار- سمع أبو بكر قرع نعال الطالبين، فخاف حزناً وقال: يا رسول الله! لو يرفع أحدهم قدمه لرآنا، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم: (ما بالك يا أبا بكر ! باثنين الله ثالثهما؟).
وفي ذلك نزلت آية سورة التوبة: إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا [التوبة:40]] وهذه نزلت في غزوة تبوك لما تخلف من تخلف، قال الله عز وجل: إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ [التوبة:40] متى؟ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا [التوبة:40] أي: من مكة، ثَانِيَ اثْنَيْنِ [التوبة:40] لا ثالث لهما، إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ [التوبة:40] ومن صاحبه هذا؟ إنه الصديق ! والضلال يقولون: أبو بكر كافر، ما هذا العمى والضلال؟ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ [النحل:43] قالوا: لن نسأل، دعنا ندخل جهنم! قلنا: ادخلوها.
إن المؤمن الصادق في إيمانه إذا قيل له في معتقده شيء رحل إلى الشرق والغرب ليتأكد من صحة عقيدته وسلامتها أو بطلانها وفسادها، لا يتعصب ويقول: مذهبنا، أو قومنا! ووالله إنه لأمر عجب، فهذا أبو بكر نزل فيه قرآن: إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ [التوبة:40] فكيف نقول: كفر؟! وكيف نقبل من قول من يقول بهذا، وأين عقله؟!

الاستراتيجيات المتبعة في حادثة الهجرة للتعمية على كفار قريش

قال: [ولما أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الخروج عهد إلى علي بن أبي طالب أن يتخلف بعده بمكة ليؤدي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الودائع التي كانت عنده للناس، إذ كان الناس يضعون عنده ودائعهم مما يخافون عليه، وذلك لما رأوا من أمانته وصدقه] صلى الله عليه وسلم، وكان ذلك وهم كفار.

قال: [وأتى أبا بكر فخرج معه من خوخة له] كان في داخل البيت مخرج آخر تعمية على أعين الخصوم [في ظهر بيته، فعمدا إلى غار ثور] وجبل ثور معروف [وأمر أبو بكر ابنه عبد الله أن يتسمع لهما ما يقول الناس فيهما نهاره] يتحسس ما يقوله الناس [ثم يأتيهما مساء بما كان في ذلك اليوم من الخبر] وكل هذا من باب الحيطة والأخذ بالأسباب، فالرسول سياسي حكيم ولا عجب! [كما أمر أبو بكر عامر بن فهيرة مولاه] خادمه [أن يرعى غنمه نهاراً ثم يُريحها عليهما مساء؛ ليسقيهما من لبنها، وإذا جاءهما عبد الله أو أخته أسماء بطعام أتبع عامر أثرهما بالغنم فعفى أثرهما] عندما يأتي أسماء أو عبد الله بالطعام يتبعهما ابن فهيرة بالغنم حتى يغطي آثار أقدامهم ومشيهم [وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر ثلاثة أيام] بذلك الغار، والغار موجود إلى الآن.

خروج النبي من بيته وتخليفه لعلي بن أبي طالب في فراشه

قال: [فخرج من بين أيديهم ووضع التراب على رءوسهم وهم لا يشعرون، وانصرف صلى الله عليه وسلم حيث أراد، وبعد ساعة أتاهم آتٍ فقال لهم: ما تنتظرون هاهنا؟ قالوا: محمداً، فقال: خيبكم الله! قد والله خرج عليكم، ثم ما ترك رجلاً منكم إلا وضع التراب على رأسه، وانطلق لحاجته، فوضع كل واحد منهم يده على رأسه فإذا التراب عليه، فجعلوا يتطلعون من خلال شقوق الباب فيرون علياً على الفراش متغطياً ببرد النبي صلى الله عليه وسلم، فيقولون: والله إن هذا لمحمد نائماً عليه برده، فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا، فقام علي رضي الله عنه عن الفراش، فلما رأوه قالوا: والله لقد صدقنا الذي كان حدثنا وانصرفوا.
أما الحبيب صلى الله عليه وسلم فلنترك لعائشة أم المؤمنين تقص علينا تحركه نحو هجرته] والذين يكرهون عائشة يتمزقون الآن من الكرب والهم.
زدهم يا رب هماً وكرباً! [فقد قالت] رضي الله عنها [كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يخطئ أن يأتي بيت أبي بكر أحد طرفي النهار -إما بكرة وإما عشية- حتى إذا كان اليوم الذي أذن فيه لرسول صلى الله عليه وسلم بالهجرة فإنه أتانا بالهاجرة، وساعة كان لا يأتينا فيها] وسط النهار [فلما رآه أبو بكر قال: ما جاء برسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الوقت إلا أمر حدث، فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم تأخر له أبو بكر عن سريره فجلس صلى الله عليه وسلم] عليه؛ لأنه ليس هناك كراسي ولكن أسرة [وليس عند أبي بكر إلا أنا وأختي أسماء] والتي تقول هذا هي عائشة حبُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم [فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أخرج من عندك] حتى لا يسمعوا الحديث وينقلونه [فقال: يا رسول الله إنما هما بنتاي] أي: عائشة و أسماء ليس غير هذا [وما ذاك فداك أبي وأمي؟ فقال: إن الله قد أذن لي في الخروج والهجرة] استفهم أبو بكر : ما ذاك -فداك أبي وأمي- حتى تقول: أخرج من معك؟ فقال له صلى الله عليه وسلم: إن الله قد أذن لي في الخروج، أي: من مكة، والهجرة إلى المدينة [فقال أبو بكر : الصحبة يا رسول الله؟ قال: الصحبة] وتحقق الأمل! إن أحدنا عندما يرى الرسول صلى الله عليه وسلم في المنام يكاد يطير في السماء، وهي رؤية منامية، فكيف بالواقع؟ [قالت عائشة : والله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحداً يبكي من الفرح حتى رأيت أبا بكر يبكي يومئذ] قالت: ما كنت أعرف أن إنساناً يبكي من الفرح حتى رأيت أبا بكر يبكي منه؛ ولهذا في الدعاء: أقر الله عينيك بدموع الفرح [ثم قال أبو بكر : يا نبي الله! إن هاتين راحلتان قد كنت أعددتهما لهذا، فاستأجرا] أبو بكر والرسول صلى الله عليه وسلم [عبد الله بن أريقط من بني الديل] وهو خريت (جغرافي) يعرف الجزيرة شبراً شبراً ويعرف الطرق [وكان مشركاً ليدلهما على الطريق، فدفعا إليه الراحلتين يرعاهما لميعاد خروجهما من مكة إلى المدينة] ويستقبلهما بهما.
تأخر النبي في الهجرة إلى المدينة انتظاراً للإذن الإلهي واجتماع قريش لبحث شأنه

أما بعد: فقد انتهى بنا الدرس إلى مقطوعة تحت عنوان: [هجرة الحبيب الطيب محمد صلى الله عليه وسلم إلى طيبة الطيبة] فهيا بنا نعايش نبينا صلى الله عليه وسلم فترة من الزمن [إنه بعد أن خرج المؤمنون من مكة أرسالاً] جماعة بعد أخرى [إلى المدينة مهاجرين] لأنهم لم يطيقوا الاضطهاد والتعذيب والتنكيل في مكة؛ فأذن لهم نبيهم صلى الله عليه وسلم بالهجرة إلى المدينة، وهي الهجرة الثانية، أما الأولى فقد كانت إلى الحبشة [ولم يبق منهم إلا محبوس أو مفتون] والحبس يكون في البيت؛ لأنه ليس عندهم سجون، والمفتون هو: المعذب المضطهد، وما عدا هؤلاء خرجوا إلى المدينة [كان الحبيب صلى الله عليه وسلم في انتظار الإذن له من ربه عز وجل بالهجرة] كان ينتظر متى يأذن

الله له في أن يهاجر من مكة إلى المدينة؛ إذ لا يمكن أن يخرج بدون إذن [وأبقى معه علياً لحاجته إليه] لم يأذن لعلي ابن عمه في أن يهاجر؛ لأنه كان محتاجاً إليه.

فهنيئاً لك يا ابن أبي طالب [وأما أبو بكر الصديق فإنه كثيراً ما كان يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة] ولم يأذن له [فيقول] له [لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحباً] أي: لا تعجل يا أبا بكر في الهجرة لعل الله يجعل لك صاحباً يصحبك في هجرتك [فيطمع أبو بكر أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الصاحب] له [وفي هذه الأيام بالذات، كان رجال قريش يتخوفون منه صلى الله عليه وسلم أن يلتحق بدور الأنصار] بالمدينة [وهم ذوو شوكة ومنعة وقد لحق بهم المؤمنون، فقرروا] إذاً [عقد اجتماع لهم بدار الندوة] لاتخاذ قرار ينفعهم؛ لأنهم خافوا إذا هاجر والتحق بالمهاجرين في المدينة أن يكون له شوكة ومنعة ومن ثم تحدث الويلات، فما كان منهم إلا أن قرروا عقد اجتماع لهم بدار الندوة [يحضره أولو الرأي والمشهورة منهم للتفكير في أمر محمد صلى الله عليه وسلم، وجاءوا دار الندوة] وجلسوا [وإذا بشيخ جليل عند بابها، فسألوه: من أنت؟ قال: شيخ من نجد] وأهل نجد أهل دهاء وبصيرة وسياسة [سمعت بما اتعدتم عليه] بمعنى: تواعدتم [فحضرت لأسمع ما تقولون، وعسى ألا تعدموا مني رأياً ونصحاً، فدخل معهم وقد ضم الاجتماع: أبا سفيان و أبا جهل و النضر بن الحارث وكبار رجال قريش، ودارت المناقشة للبحث عن المخرج] فهم يتخوفون لو أن الرسول هاجر أن تكون له شوكة ثم يهاجمهم ويفتح بلادهم، وهذا الذي وقع [فقال بعضهم: إن هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم -يعنون النبي صلى الله عليه وسلم- فإنا والله ما نأمنه من الوثوب علينا فيمن قد اتبعه من غيرنا فأجمعوا فيه رأياً، فقال بعضهم: احبسوه في الحديد] يعني: ضعوا سلسلة في رجليه واربطوه بها [وأغلقوا عليه باباً ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله -يريدون حتى يموت في الحبس- وفي هذا يقول تعالى عنهم: أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ [الطور:30] أي: الموت، وهو معنى قوله تعالى: وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ [الأنفال:30]] وكيف يثبتونه؟ في الحبس بالسلاسل [أي: في الحديد محبوساً في دار حتى الموت.

وهنا قال الشيخ النجدي -وهو إبليس عليه لعنة الله- أتاهم في صورة شيخ جليل ليثقوا به فيما يقترحه عليهم] وفي الإمكان أن يرى المؤمن ملكاً، والجن كذلك، فإبليس جاء في صورة إنسان وتشكل في صورة آدمي من أفاضل الرجال ولا حرج، ولكنا -فقط- نخشى من التدجيل والتضليل فيقول شخص: أنا رأيت ملكاً يقال له كذا وكذا، ويبدأ الخبط والخلط، فإغلاق هذا الباب أولى منه.

قال: [وهو الذي صرخ بأعلى العقبة منذ أشهر قائلاً:] ليلة المعاهدة، صرخ بأعلى صوته: وقال [يا أهل الجباجب] والمراد من الجباجب جبال مكة [هل لكم في مذمم والصباة؟] والصباة: جمع صابٍ، والمذمم يعني به محمداً صلى الله عليه وسلم، وحاشا وكلا، فوالله ما هو بمذمم، بل هو محمود، ولكنه العدو [ورد عليه الرسول صلى الله عليه وسلم قائلاً: (هذا أزب العقبة، والله لأفرغن لك أي عدو الله).

جاء اليوم لينتقم] من الرسول صلى الله عليه وسلم [فقال لا والله ما هذا لكم برأي] يعني: رأي الحبس في الحديد وفي البيت حتى الموت ليس برأي، فبالإمكان أن يأتي شخص ليفكه ويطلق سراحه، قال: [والله لئن حبستموه كما تقولون ليخرجن أمره من وراء الباب الذي أغلقتموه دونه إلى أصحابه فلأوشكوا أن يثبوا عليكم فينزعوه من أيديكم، ثم يكاثروكم به حتى يغلبوا على أمركم، ما هذا لكم برأي فانظروا غيره.

فتشاوروا، ثم قال بعضهم: نخرجه من بين أظهرنا فننفيه من بلادنا] وهذه نظرية أخرى [فإذا أخرج عنا فوالله ما نبالي أين ذهب، قال الشيخ النجدي: والله ما هذا لكم بالرأي! ألم تروا حسن حديثه، وحلاوة منطقه، وغلبته على عقول الرجال بما يأتي به، دبروا فيه أمراً غير هذا] وهو صائب أو مصيب [فقال أبو جهل : والله إن لي فيه لرأياً ما أراكم وقعتم عليه أبداً، قالوا: وما هو يا أبا الحكم ؟] وهذه كنيته: أبا الحكم [قال: أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى شاباً نسيباً وسيطاً فينا، ثم نعطي كل فتى منهم سيفاً صارماً، ثم يعمدوا إليه فيضربوه ضربة رجل واحد فيقتلوه فنستريح منه] و أبو جهل ذبحه عبد الله بن مسعود في بدر [ويتفرق دمه في القبائل، فلا يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً، فيرضون منا بالعقل] أي: بالدية [فنعقله لهم، أي: ندفع ديته لهم، وهنا قال الشيخ النجدي (إبليس): هذا الرأي الذي لا رأي غيره] وافق على الإعدام [فأجمعوا عليه] أي: على القتل [ونفذوا خطتهم، وقد أوحى تعالى بذلك إلى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، فأمر] صلى الله عليه وسلم [ابن عمه علياً بأن ينام على فراشه ويتغطى ببرده صلى الله عليه وسلم، وأعلمه أنه لا يناله ما يكره إن شاء الله تعالى] وأتى الشبيبة على الباب صف من هنا وآخر من هناك والسيوف في أيديهم، وهم ينظرون من شقوق الباب فيجدون علياً نائماً فيقولون: ما زال نائماً [ثم أخذ حفنة من

تراب وخرج وهو يقرأ: يس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ [يس:1-2]، إلى قوله: فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ [يس:9]، فأعمى الله أبصارهم] وهذه الآية يذكر بعض أهل التفسير أنها مجربة، فمن أراد أن ينفر أو يهرب من أعدائه عليه أن يقرأ هذه الآية فلا يشاهدونه أو يعمون عنه أو يغفلون، على شرط: أن لا تكون لصاً هارباً بأموال الناس، ولكن تكون ولياً ربانياً وأحاط بك ظالمون، فإذا قرأت هذه الآية عموا عنك فلا يبصرونك لولاية الله تعالى لك، قال الله عز وجل: يس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * تَنزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ * لِتُنذِرَ قَوْمًا مَا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ * لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ * إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلالًا فَهِيَ إِلَى الأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ * وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ [يس:1-9] أي: غطيناهم فلا يبصرون.

نتائج وعبر من مقطوعة هجرة الحبيب الطيب محمد صلى الله عليه وسلم إلى طيبة الطيبة

قال: [نتائج وعبر] والنتائج جمع نتيجة، والعبر جمع عبرة، وهي ما يعبر به من الشر إلى الخير، أو من الهلاك إلى النجاة، كالعبّارات في ميناء البحر[إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبراً نذكرها فيما يلي: أولاً: بيان مدى حب الصديق للرسول صلى الله عليه وسلم] و الصديق هو أبو بكر رضي الله عنه وأرضاه [إذ كان يرغب في صحبته] عندما يسافر مهاجراً [حتى إنه -لما أذن للرسول صلى الله عليه وسلم بالهجرة وقبل صحبته- بكى من شدة الفرح رضي الله عنه، وهذا شأن المحب الصادق] أما قالت لنا عائشة : إنه بكى من شدة الفرح، وأنها ما كانت تظن أو تعرف أنه يُبكى من شدة الفرح حتى رأت الصديق يبكي من ذلك؟! [ثانياً: بيان قرار قريش الجائر] وهو الحكم بالإعدام على النبي صلى الله عليه وسلم [الذي شارك فيه أبو مرة -إبليس عليه لعائن الله-] وكنية إبليس هي: أبو مرة، ليس أبو حلوة؛ إذ كل المهالك هو الذي يقود إليها، وكل مرارة في الحياة هو سببها [ورضيه لما فيه من الإجماع على قتل النبي صلى الله عليه وسلم] إبليس رضي بذلك القرار الجائر؛ لأن فيه قتل النبي صلى الله عليه وسلم [وتوزيع دمه على القبائل حتى لا يُطالب بدمه ويُرضى بالدية] لأن قبائل قريش متعددة، وكلهم أصل واحد، فإذا شاركوا كلهم في الدم فليس من المعقول إذا قتلوا محمداً صلى الله عليه وسلم أن بني هاشم يطالبون بقتل كل من شارك في القتل، وما عليهم إلا أن يرضوا بالدية فقط، وهي حيلة إبليس: أن يوزع دمه على القبائل فلا يستطيع بنو هاشم أن يطالبوا كل القبائل بدمه، ويرضون بالدية، وهي مائة بعير.
[ثالثاً: آية خروج الرسول صلى الله عليه وسلم ومروره بين أيدي المشركين ووضع التراب على رءوسهم وهم لا يشعرون] وهذه من أعظم آيات النبوة، فقد فتح الباب وخرج وهم صف من هنا وآخر من هناك وسيوفهم مسلطة، ثم وضع التراب على رءوسهم قارئاً بعض آيات سورة يس، وينطبق أيضاً على التراب قوله تعالى: وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى [الأنفال:17].
[رابعاً: بيان أن أول فداء كان في الإسلام؛ فداء علي النبي صلى الله عليه وسلم] والفداء هو أن يضحي الإنسان بحياته كاملة فداءً لأمته أو بلاده أو كذا ..فأول من عرف الفداء هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه [إذ تركه نائماً على فراشه وخرج، والمشركون يظنون أنه النبي صلى الله عليه وسلم وهو علي رضي الله عنه].
ولطيفة أخرى لم نعرِّج عليها، وهي: لم هؤلاء الشبيبة لا تقتحم المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم؟ لأنهم كانوا يحترمون المنازل، فلا يهاجمون الرجل ويدخلون عليه في بيته أبداً، ولكن عندما يخرج يستلموه، فلا يروعون امرأة ولا طفلاً ولا أحداً أبداً، والآن العرب يفعلون أشياء أبشع من هذا وهم مسلمون.
أليسوا يمثلون قبائل قريش؟ أليس السلاح بأيديهم؟ لم يبيتون واقفين ينتظرون خروج النبي؟ لم لا يهاجمون البيت، وبابه ليس من حديد ولكن من خشب؟! كل هذا احتراماً لما جرت به العادة والعرف أن المرء لا يُداهم في بيته.
[خامساً: بيان أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يأخذ بالأسباب وبالحزم فيها، إذ أوهم المشركين بترك علي نائماً على فراشه، هذا أولاً، وثانياً: أعد الراحلة للسفر والخريت العالم بالطريق ومسالكها.
وثالثاً: دخوله غار ثور مع صاحبه استخفاء عن أعين المشركين الطالبين له.
سادساً: آية نسج العنكبوت وتعشيش الحمامة وتبييضها؛ ستراً على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعمية على المشركين، ولا عجب في هذا، فإن الوزغة لما ألقي إبراهيم في النار كانت تنفخ فيها لتشتعل على إبراهيم، فكانت الوزغة أخبث حيوان وكان قتلها أجر إلى اليوم لورود السنة بذلك.
سابعاً: بيان طيبوبة أسرة الصديق نساءً ورجالاً، وبيان سبب لقب أسماء بذات النطاقين].

لما أن تسامعت قريش بخروج النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر من مكة في طريق هجرتها إلى المدينة جن جنونها، فخرجت في إثرهما علها تدركهما قبل وصولهما إلى مهاجرهما، ولكن رجال قريش عجزوا عن اللحاق بنبي الله وصاحبه أو العثور على أي أثر لهما، عند ذلك أعلنت قريش عن مكافأة قوامها مائة من الإبل لمن أتى بالنبي حياً أو ميتاً، فخرج القافة من قبائل العرب طمعاً في أن يحوزوا هذه المكافأة، ولكن حفظ الله نبيه من كيد أعدائه، وبلغ طيبة الطيبة، وأعلن بعدها قيام الدولة الإسلامية في المدينة.

مسألة: حكم سدل اليدين في الصلاة وعدم رفعهما عند تكبيرة الإحرام

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، ثم أما بعد ..

أيها الأبناء! والإخوة المستمعون! ويا أيتها المؤمنات المستمعات! إننا على سالف عهدنا في مثل هذه الليلة؛ ليلة السبت من يوم الجمعة المبارك ندرس السيرة النبوية العطرة من كتاب هذا الحبيب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم يا محب.

وبين يدي الدرس عندي مسألتان أطرحهما للسامعين: أولاً: سألني سائل قال: أرى بعض المصلين لا يرفع يديه عند تكبيرة الإحرام، بل يقف فقط معتدلاً ويقول: الله أكبر.

فسألت من يفعل هذا، فقال: إني إباظي! يعني أنه منسوب إلى عبد الله بن إباض، والأصل من الخوارج الذين خرجوا على علي رضي الله تعالى عنه.

هذه المسألة يا معشر الأبناء! ذات عروق مديدة وطويلة في تاريخ هذه الأمة، وما زالت آثارها إلى الآن، ولكن في الإمكان علاجها لو صدقنا الله وآمنا بلقائه.

فمثلاً: بصورة عامة -وإني والله لأتكلم على علم- أقول: الفرقة التي أصابت المسلمين فأصبحوا كتلاً وتجمعات، منشؤها ليس الخوف من الله، ولا الرغبة في الدار الآخرة، وإنما السياسة والعصبية، فقد هبطت الأمة إلى الأرض، فأصبحت تعيش على التعصب، ووجد من يقول: إقليمي! وبلدي! وموطني! ومذهبي! وطائفتي ..

! وهذا من كيد أعداء الإسلام، من اليهود والنصارى والمجوس، فهم الذين وضعوا عناصر الفرقة والتمزيق.

فمن هنا كل طائفة تجتهد بواسطة أئمتها وعلمائها أن تبقى متباينة مع الآخرين، وقد تتبعنا هذا في المذهب الشيعي فما وجدنا عبادة -من الوضوء إلى الرباط - إلا ويضعون لهم فارقاً يفرقهم عن جماعة المسلمين؛ حتى يبقوا مستقلين يسوسوهم ساستهم ويقودهم أئمتهم.

فإخواننا الأباظيون يعرفون مجتمعهم ومذهبهم، فما الذي يحملهم على أن يتعصبوا لمذهبهم ولا يذوبون في جماعات المسلمين؟! فقط لا يرفع يديه؛ لأنه متلزم بمذهب ..

هذا وقد رأى المسلمين في الشرق والغرب الكل يرفع يديه، هل يريد الدار الآخرة أم لا؟ هل هو مؤمن بالله ولقائه أم لا؟ هل الأمة كلها أخطأت في رفع يديها عند تكبيرة الإحرام؟ هل وهم جماعة لا يساوون واحد إلى مائة على الحق؟ وما هي أدلة الحق؟ ائتي بالأدلة والبراهين: حدثنا فلان عن فلان عن فلان عن رسول الله، أو حدثنا فلان عن فلان عن علي بن أبي طالب ، أو فلان عن فلان عن مالك ، فهذه كلها أدلة.

كيف نبيع آخرتنا بهذه العصبية؟ نحن نبحث عن سنة رسول الله وحيثما وُجدت فرحنا بها وعملنا، وإن خالف هذا العمل أهلي وقبيلتي بكاملها.

والشاهد عندنا في أننا ما زلنا ملتصقين بالأرض، وما عرفنا الطريق إلى الله بعد، هو كلمة حنبلي، ومالكي، وشافعي، وحنفي -مع أنها ليست بضارة- لأن الكل من أهل السنة والجماعة، ومع هذا ليس من حقي أن أقول: أنا حنبلي.

ولِم أدعُ إلى الفرقة؟ أليس هؤلاء إخواني؟ وكذلك ليس من حقي أن أقول: أنا حنفي.
وما معنى حنفي؟ هل جلست بين يدي أبي حنيفة ودرست وتعلمت، وإذا فرضنا أنك جلست بين يديه وتعلمت وعرفت، ثم التفت يوماً فوجدت سنة عند فلان من الناس فهل يمنعك هذا من ترك سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت مسلم؟! لولا عدم العلم والبصيرة، يجب أن تفرح لأنك وجدت سنة حقيقية، فلم تتركها.
وقد كانت السياسة في يوم من الأيام مهيمنة على هذا الأمر، حتى وقع من أحد ملوك المغرب قوله: (من قبض يقبض)، يعني من رأيتموه يصلي قابضاً يديه اقبضوه إلى السجن.
إنه هبوط ليس فيه عدل.
ومن قال: كيف ولِم؟ نقول: انظر إلى حال المسلمين كيف تمزقوا وتشتتوا وذلوا وهانوا واستعبدوا واستغلوا، ولو كانوا أمة واحدة على منهج الحق لجمعوا الدنيا كلها تحت راية لا إله إلا الله محمد رسول الله، لكن الذنوب والآثام والهبوط هو الذي حصل.
إن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم هي القبض، وليغضب من يغضب، ومالك -والله- لا يغضب، أقسم بالله ما تعصب إمام من أئمة الإسلام، فمتى وصلت السنة فرح وعمل بها، وكيف يغضب أو يتعصب الذي يريد الله والدار الآخرة؛ هذا ليس إيمان حقيقي ولا إسلام لله، إن مالك هو الذي روى القبض وروى عنه محمد بن يوسف المصري وروى البخاري عن محمد بن يوسف المصري حديث الموطأ، فكيف يسبل مالك ؟! وقد بينت لكم العلة: إن التقوقع والتجمع هو الذي أيد هذه البدع وأثبت الناس عليها، يقولون: كيف نكون مالكية ثم نذوب في الأحناف أو الشافعية، والشافعي يقول كذلك، والحنفي كذلك، والزيدي، والأباظي ..
وما هكذا دين الله، فدين الله مبني على الإذعان والانقياد ومتابعة الرسول صلى الله عليه وسلم، فمتى صح الخبر عن سيد البشر آمنا به وعملنا في حدود طاقتنا وقدرتنا.
فأي مسلم أتى إلى مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ووجد الناس كلهم يرفعون أيديهم فعليه أن يرفع يده، ولو لم يكن عنده دليل على هذا، وعلى فرض أنه وجد دليلاً فعليه أن يدخل في جماعة المسلمين ولو ترك السنة.
وهذا من باب الفرض فقط، ولا نفرق المسلمين ولا نتميز عنهم.
إذاً: هذا مرده إلى الجهل أولاً، وعدم البصيرة واليقين بالدار الآخرة وما فيها، كسائر الذنوب والآثام، ولا سبيل أبداً إلى الرفعة والسمو والكمال إلا بالعلم الحق؛ قال الله وقال رسوله صلى الله عليه وسلم.

الحث على التبرع والمساهمة لبناء مسجد في السودان

ثانياً: جاء شيخ من السودان يحمل خريطة لإنشاء مسجد، وقال لي: بعثوني إليك لكي تقوم ببناء المسجد، قلت له: كيف يقولون هذا؟ ومن أنا حتى أقوم ببناء المسجد؟ فقال: هكذا! قالوا لي: اذهب إلى الشيخ الفلاني وهو الذي سيدفع نفقة بناء المسجد.
وقد حاولت معه فلم أستطع، وقال: أبداً أنا مرسول إليك.
فأنا ساهمت بشيء، وعليه من كان له شيء من المال ويرغب في بناية مسجد أو المشاركة فيه -وكثير من يقول: أنا عندي أمانة ووقف أريد بناء مسجد- فالسوداني موجود وأنا الواسطة، وليتوكل على الله، وحتى لو فرضنا أنهم يكذبون فيكفي النية، فأنت دفعت لبناية مسجد والمساعدة عليه.

الطريق إلى المدينة

قال المؤلف: [الطريق إلى المدينة] الله أكبر! هيا نصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة.
ومن كان يحب الرسول حقاً والله إنه لينشرح صدره ويتخيل كأنه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن كان من الجماعة الأخرى فغني يا شيخ كما تغني ولا فائدة .
.
قال: [وخرج الحبيب صلى الله عليه وسلم وصاحبه بعد هدوء الأحوال] لما فشلوا في المؤامرة الدنية التي اتخذوا فيها قراراً بقتل الرسول صلى الله عليه وسلم، وتوزيع دمه بين القبائل، وكان خزياً وعاراً لهم ذلك الحال، أخذوا يفتشون

مكة ويقلبون ضواحيها ثلاثة أيام بحثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو في غار جبل ثور مع الصديق رضي الله عنه، وإذا تململ الصديق وأظهر الخوف قال له: (ما بالك باثنين الله ثالثهما يا أبا بكر ؟).
قال: [تلقاهما من استأجراه بالراحلتين] تلقاهما في مكان ما من استأجراه بالراحلتين، وهما جملين لـأبي بكر الصديق [فقدَّم أبو بكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم أفضلهما] نظر إلى الراحلتين فاختار أحسنهما وقدمها لرسول الله صلى الله عليه وسلم: وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ [الحشر:9] [وقال: اركب -فداك أبي وأمي-] ومعنى فداك أبي وأمي: أفديك بأبي وأمي، أي: يموت أبي وأمي ويذبحان وأنت لا، لِما يعرف من قيمة حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم.
وهنا مناسبة: فكم من مرة أقول: والله إني لأرضى أن أذبح أنا وأفراد أسرتي -بناتي وابني وأمهم- ولا تسقط هذه الدولة السعودية، ولن تجد في الألف من يتذوق هذا أو يفهمه أو يعيه، ولكن فقط ينظرون إلي بنظرة سيئة، على أني عميل أو ذنب، أو من هذا الكلام .

.
ووالله لو أسقطت هذه الدولة -وهو يعملون على إسقاطها الليل والنهار الأبيض والأسود في الشرق والغرب؛ لإنهاء الإسلام- لما بقي من يستطيع أن يرفع يده ويقول: أنا مسلم! ولحل بهذه الديار من الخبث والفساد والشر ما لم يخطر بالبال، هذا كله لا يفكرون فيه.
فأبو بكر قال للرسول صلى الله عليه وسلم: فداك أبي وأمي اركب؛ لعلمه ماذا يترتب على موت الرسول صلى الله عليه وسلم من انطفاء نور الإسلام ووقوف الدعوة المحمدية، وعليه فلا يحل لمؤمن ولا مؤمنة أن يراه الله تعالى يعمل ولو بكلمة على إطفاء هذه البقية الباقية التي تقوم بها الحجة لله تعالى، ونحن ننظر إلى ثلاث وأربعين دولة في العالم الإسلامي، ما وُجدت فيها دولة استحى رجالها وأقاموا الصلاة بين المؤمنين والمؤمنات، وهذه وحدها كافية، وما استطاعوا -فقط- أن يحولوا الضرائب المشئومة التي يفقرون بها كواهل المواطنين ويجبون الزكاة، ولكن يقولون: لا نريد زكاة، ولا نريد أن نذكر الناس بالإسلام أبداً، وما استطاعوا أن يسنوا قانوناً من القوانين يحرم الاختلاط بين النساء والرجال، وهذه البقية الباقية نريد أن نحطمها ونمزقها ويا ويل من يعيش يومها وقد تمزقت وتلاشت! ستقولون: يا شيخ لم تقول هذا؟ قد تقوم دولة إسلامية كدولة عمر رضي الله عنه!! فأقول: والله لا يكون مع هذا المجتمع الهابط، حتى توجد أمة ربانية صادقة، تتنازل عن كل شيء من أجل محاب الله عز وجل، أما أن تقوم لنا دولة ونحن نشاهد الدش فقط، فمستحيل! كم صرخنا وبكينا وبكى العلماء وقالوا: إن الربا حرام! لا تقفوا أمام البنوك، واتركوها تغلق أبوابها.
وليس عندنا يهود ولا نصارى في المدينة، فنحن الذين نشجع هذا، فهل استجاب أحد؟ إنما يريدون العصا فقط، وحينئذ لا ينفع استجابة أبداً، فأنت الآن ممتحن، أما إذا صدر أمر سام بإغلاق البنوك وأنت ما زلت كما كنت، فما أنت بالمؤمن الصادق الإيمان؛ لأنك خفت فقط لأنك منعت، ولكن امتنع بإيمانك إن كنت مؤمناً، وإن مت جوعاً لا يضرك ذلك.
أما أن يكون المكر والخداع والحيل والفتن والضلال فكيف تقام الدولة!! وآخر كلامي: لا يراك الله بكلمة تقولها تحطم بها هذه البقية الباقية، واعمل على دعمها وإقامتها وشدتها وصلاحها باستقامتك فقط أنت، فإذا استقام الناس استقرت الحكومة وتاب حتى العصاة فيها إن كانوا، أما بالكلام فقط ونحن منغمسون في متاهات الضلال والشر والفساد وحب الدنيا والإسفاف والتكالب عليها فلا ينفع ذلك، وتعال عندنا لنريك أنّا ما أدخلنا بيتنا تلفازاً قط، ولا نشتري جريدة ولا مجلة فيها صور، وأنت بناتك ونساءك في أيديهن مجلات فيها صور الخلاعة والدعارة وتقول: لِم تنشر هذه؟ تنشر امتحاناً لك! وهل سألت أهل العلم وقالوا: لا بأس أن تتصفح امرأتك مجلة فيها عواهر، هل هناك من يفتي بالجواز؟ إذاً لم نفعل هذا؟! المهم والله إننا لتحت النظارة، ولا أدري كيف يغضب الله.
قال: [فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا أركب بعيراً ليس لي)] الله أكبر! أين المسلمون اليوم من هذا؟ هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقدم له صاحبه الراحلة للسفر الضروري؛ ولطلب النجاة، فيقول: لا أركب راحلة ليست لي، يعني: أنا ما استأجرتها ولا أملكها فكيف أركب؟ [فقال الصديق : هو لك فداك أبي وأمي] يعني: هو لك أنا الذي استأجرته من أجلك، ووهبته لك، فهو لك فداك أبي وأمي [فقال الحبيب صلى الله عليه وسلم: (لا، إلا بالثمن الذي ابتعتها به)] أي: اشتريتها به.
وحينئذ هي راحلتي وأركبها.

[فقال أبو بكر : هو كذا وكذا] يعني: بألفين أو بثلاثة آلاف [فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (قد أخذتها به)] و أبو بكر أخبره بالواقع [وركبا وانطلقا وقد أردف أبو بكر مولاه عامر بن فهيرة ؛ ليخدمهما في رحلتهما إلى طيبة الطيبة] كيف يخدمهما؟ يجمع الحطب ويطبخ وكذا ..

لأن أبا بكر مشغول بالرسول، فهل يتركه ويمشي يحتطب؟! فلا بد من خادم معهم [وساروا -ثلاثتهم- على بركة الله، وعين الله ترعاهم] كأنها سفينتهم وعين الله ترعاهم.

وصول النبي صلى الله عليه وسلم إلى ديار بني عمرو بن عوف

قال: [وواصل الركب الميمون سيره يتقدمه الخريت بن الديل حتى وصلوا إلى قباء ديار بني عمرو بن عوف يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول] وهذا تاريخ مضبوط.

وهو اليوم الذي ولد فيه صلى الله عليه وسلم، وبلغ الهجرة فيه، ونبئ فيه، ومات فيه [فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم على كلثوم بن الهدم أخي بني عمرو بن عوف] فاز بإكرام رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجزاه الله خيراً؛ لأنه ليس هناك قصر ضيافة [وكان عزباً] ما عنده امرأة ولا ولد [فينزل عليه الأعزاب من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرين] لأنهم جاءوا من سنة أو سنتين قبل ذلك، وهو ليس عنده امرأة وعنده بيت، فكان ينزل عليه المهاجرون، ويمكثون ما شاء الله ثم ينصرفوا [حتى قيل لبيته: بيت العزاب، ونزل أبو بكر على خبيب بن إساف بالسنح، ولحق علي الركب بعد أن أدى ودائع الناس، ووصل قباء بعد ثلاثة أيام من وصول الحبيب صلى الله عليه وسلم إليها وقد تفطرت قدماه] لأنه جاء حافياً يمشي على الأرض [حتى إنه لما دعا به الرسول صلى الله عليه وسلم قيل: إنه لا يقدر على المشي، فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتنقه وبكى رحمة به، وتفل في كفيه الطاهرتين ومسح بهما رجلي علي فشفي في الحال] وهذه آية من آيات النبوة [ولم يشكو قدميه حتى قتل رضي الله عنه] قتله خارجي من الخوارج [وقد نزل علي على امرأة لا زوج لها، فرأى رجلاً يأتيها في الليل فارتاب في أمرها فسألها، فقالت: الذي يأتيني هو سهل بن حنيف ، إنه رآني امرأة لا زوج لي فهو يكسر أصنام قومه ويحملها إلي ويقول: احتطبي بها] يعني: اطبخي بها واستدفئي [فكان علي يذكر هذا لسهل بن حنيف بعد موته -رضي الله عنهم أجمعين-] أي: حدث بالقصة بعد زمان.

لا إله إلا الله! أين نحن الآن؟ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

هل أصحاب الموالد يفعلون هذا؟ والله لا يفعلون، لِمَ؟ لأنهم يريدون الأكل والشاي واللحم، والأغاني والأناشيد، وإذا لُمتهم يقولون: هذا وهابي!.

إن الاجتماع على سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكون يوماً في العام أو يومين.

بعض الأحداث في مكة أثناء سفر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة

قال: [هذا ونعود إلى مكة؛ لتسجيل حادثتين أو ثلاث من مهمات الأحداث: الأول: أن قريشاً لما كانوا يبحثون عن النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه أتوا دار أبي بكر] جاء إلى دار أبي بكر الشرط والجندرمة والدرك [فخرجت لهما أسماء] بنت الصديق ذات النطاقين [فسألوها: أين أبوك يا بنت أبي بكر؟] ولطيفة هذه الكلمة! ولو قسنا كرامة العرب ومروءتهم الآن لا نجدها حتى في المسلم.

فكانوا يمتازون بأشياء، حتى قال بعض المعاصرين: (كفار قريش أشراف الكفار)، ولو كان جماعة العرب الآن لقالوا: أين أباك يا كلبة؟ أو ينغزها بالحربة [قالت: لا أدري والله أين أبي] وهي صادقة ما كذبتهم [فرفع أبو جهل يده -وكان فاحشاً خبيثاً- فلطم خد أسماء لطمة أسقط قرطها من أذنها] حملته العنجهية والغضب فلطم أسماء حتى أسقط قرطها من أذنها.

وهذه حادثة ما كنا لنعرفها لو مشينا مع الرسول صلى الله عليه وسلم.

[والثاني: أن قريشاً ما إن فقدت النبي صلى الله عليه وسلم وطلبته ولم تجده حتى أعلنت عن جائزة مقدارها مائة بعير لمن يأتي برسول الله حياً أو ميتاً] لما فشلت في البحث وما وجدته، أعلنوا عن جائزة -بأعلى أصواتهم-: من أتانا بمحمد حياً أو ميتاً فله مائة بعير، حتى يصبح من أغنياء مكة.

[والثالث: أنه لما غادر رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة مع صاحبه، قالت أسماء : مكثنا ثلاثاً لا ندري أين اتجه رسول الله صلى الله عليه وسلم] ثلاث ليالٍ لا يدرون أين اتجه الرسول صلى الله عليه وسلم [وإذا برجل من الجن

يُقبل من أسفل مكة يتغنى بأبيات من الشعر] وهذه معجزات تواكب عصر النبوة [وإن الناس ليتبعونه يسمعون صوته ولا يرونه، حتى خرج من أعلى مكة وبهذا عرفنا وجهة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه وأنهما اتجها إلى المدينة النبوية] ما استدلوا إلا بصوت الجن وكلامهم.
[وها هي ذي الأبيات التي كان يتغنى بها رجل الجن: جزى الله رب الناس خير جزائه رفيقين حلا خيمتي أم معبد] نزلا في خيمة أم معبد في الطريق كما سيأتي.
[هما نزلا بالبر ثم تروحا فأفلح من أمسى رفيق محمد ليهن بني كعب مكان فتاتهم ومقعدها للمؤمنين بمرصد] وفتاتهم هي أم معبد ، عجوز كانت في الطريق تقوم بمهام لكل من يمر بها محتاجاً، فتحلب له على الأقل الحليب من شاتها.
أي: تساعد المهاجرين.
[والرابع: أن أسماء قالت: لما خرج أبو بكر مهاجراً أخذ كل ماله معه] لأنه ليس هناك صناديق، فالذي عنده مال يضعه عند رأسه، أو يحفر له في الأرض، أو تحت جدار فقط، حتى في أوروبا كانوا لا يعرفون صناديق الحديد ولا البنوك [وكانت ستة آلاف درهم] يعني: ممكن ما يعادل ستين ألف ريال الآن تقريباً [فدخل علينا جدي أبو قحافة] شيخ هرم مثلي [وكان قد ذهب بصره] عمي لكبر سنه [فقال: إني أراه قد فجعكم بماله مع نفسه؟] يعني: هو ذهب من عندكم وترككم كاليتامى وزاد بأخذ المال، ولم يكن أبو قحافة قد أسلم وقتها بعد.
[قالت: قلت له: كلا يا أبت!] وهذه الزعيمة تعدل نساء العالم كلهم اليوم [إنه قد ترك لنا خيراً كثيراً، وأخذت أحجار فوضعتها في كوة في البيت الذي كان أبي يضع ماله فيها، ثم وضعت عليها ثوباً ثم أخذت بيده فوضعتها عليها وقلت: يا أبت! هذا المال الذي ترك لنا أبو بكر ، فقال: إن كان ترك لكم هذا فقد أحسن، وفي هذا بلاغ لكم] يعني: يصل بكم إلى نهاية حاجتكم [قالت أسماء بعد ذلك: والله ما ترك لنا شيئاً، وإنما أردت أن أسكن الشيخ بذلك لا غير] هذه أسماء تتصرف بحكمة! فهل تخرجت من جامعة أكسفورد؟ أو من كلية السياسة والمال والاقتصاد كبعض نسائنا وبناتنا؟ تجدها تتخرج من كلية كافرة فتصبح شر البرية.
واحر قلباه من قلبه شبم .. إن إخواننا وآباءنا وأجدادنا لم يجدوا من يعلمهم، وما سمعوا بهذا الكلام ولا اجتمعوا عليه قط، فكيف يكملون ويسعدون وهم لا يعرفون؟! إننا نظلمهم.
قال: [عودة إلى مسايرة الركب الميمون: وفي طريق الركب الميمون مروا بخيمة أم معبد فسألوها طعاماً أو شراباً فلم يصيبوا عندها شيئاً] لم تكن تملك شيئاً [وكانت بكسر خيمتها شاة هزيلة خلفتها لهزالها] وكسر البيت: جانبه [فقال الحبيب الطيب: (هل بها من لبن) فقالت: هي أجهد من ذلك] فكيف يكون فيها اللبن؟ [فقال: (هل تأذنين لي أن أحلبها؟) فقالت: بأبي أنت وأمي إن رأيت بها حليباً فاحلبها، فدعا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءت فمسح بيده ضرعها، وسمى الله تعالى ودعا لها في شأنها فتفاجت ودرت واجترت، ودعا بإناء يروي الرهط فحلب فيه ثجاً حتى علاه لبنها، ثم سقاها (أم معبد) حتى رويت] لأنها عطشى وظمأى وجائعة [وسقى أصحابه حتى رووا وشرب آخرهم] أعطوني رجلاً من هذا النوع [وكيف لا وهو القائل: (ساقي القوم آخرهم شرباً)] وهذه نعمل بها حتى في الشاهي، فمن يصب الشاهي لا يشرب إلا بعدما يبقى هو الأخير [ثم بايع أم معبد على الإسلام وارتحل معه رفاقه] بايعها على الإسلام، قال لها قولي: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.
قصة لحاق سراقة بن مالك بركب النبي صلى الله عليه وسلم

قال: [وها هو ذا أبو بكر الصديق يروي الحادثة التالية: وهي آية النبوة كآية در الشاة، وهي أعظم] كون الشاة هزيلة في كسر البيت لا حليب فيها، ويمسح فقط على ضرعها ويسمي الله ويدعو وإذا بالضرع يفيض باللبن فيروى هو والجماعة، هذه معجزة [قال رضي الله عنه: قال سراقة بن مالك بن جعشم] وهو الذي وضع تاج كسرى على رأسه بعد ذلك، فقد جاء يريد الجائزة، باحثاً عن الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبه؛ ليرجع برأسه إلى قريش [لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجراً من مكة إلى المدينة، جعلت قريش فيه مائة ناقة لمن رده عليهم، وبينما أنا جالس في نادي قومي] الذي يجتمعون فيه [إذ أقبل رجل منا حتى وقف علينا، فقال: والله لقد رأيت ركباً ثلاثة مروا علي آنفاً، إني لأراهم محمداً وأصحابه، قال: فأومأت إليه أن اسكت] يعني: خلينا نفوز بالجائزة [ثم أمرت بفرسي وسلاحي فأحضرا لي، وركبت وأنا أرجو أن أرده على قريش وآخذ المائة ناقة] ومائة ناقة أفضل من مائة جمل، ففي بطنها مائة أخرى.

قال: [وركبت سائراً في أثري حتى بدا لي القوم ورأيتهم عثر بي فرسي] والإنسان يعثر أيضاً برجله [فذهبت يداه في الأرض] أي: ساخت قدما الفرس في الأرض [وسقطت عنه] لما يهبط الفرس لا بد أن ينكب هو [ثم انتزع يده من الأرض] أي الفرس [وتبعهما دخان كأنه إعصار، فعرفت حين رأيت ذلك أنه قد مُنع مني، وأنه ظاهر] أي: منتصر [فناديت القوم قائلاً: أنا سراقة بن جعشم] والقوم هم: أبو بكر ورسول الله و عامر بن فهيرة ، والخريت الذي معهم [أنظروني أكلمكم فوالله لا أريبكم] يعني: فقط أمهلوني أصل إليكم وأخبركم.
وأسلم تقريباً؛ لأنه شاهد الآيات [فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لـأبي بكر : (قل له: وما تبغي منا؟)] يعني ماذا تريد؟ والرسول لم يخاطبه ولكن وكّل الوزير [قال: خذ يا رسول الله! سهماً من كنانتي، وإن إبلي بمكان كذا فخذ منها ما أحببت، فقال له صلى الله عليه وسلم: (لا حاجة لي بإبلك)] وهو كذلك [فلما أراد سراقة أن يرجع، قال له صلى الله عليه وسلم: (كيف بك يا سراقة إذا سُوِّرت بسواري كسرى؟)، قال سراقة : كسرى بن هرمز ؟ قال: (نعم)، وعاد سراقة إلى مكة لا يلقى أحداً يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا رده بقوله: كفيتم ما ههنا] وتم هذا لسراقة ولبس سواري كسرى في عهد عمر رضي الله عنه، مصداقاً لما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم، بينما بشر بهذا في أيام كان الإسلام فيها أذل ما يكون.
فكيف يكفر الكافرون بعد ذلك؟!

نتائج وعبر من مقطوعة (الطريق إلى المدينة)

قال: [نتائج وعبر] لمن يعي وهو حي يبصر [إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبراً نجملها فيما يلي:
[أولاً: بيان خبث أبي جهل لعنة الله عليه وشدته على المؤمنين، فلعنة الله عليه حياً وميتاً] لأنه ضرب أسماء حتى أسقط قرطها من أذنها [ثانياً بيان مدى ما بذلت قريش في سبيل قتل النبي صلى الله عليه وسلم والقضاء على الإسلام] حكموا أولاً عليه بالإعدام، ثانياً: أعطوا مائة ناقة لمن يرده ميتاً أو حياً [ثالثاً: من الجن مؤمنون، وإن كلامهم ليسمع وإن لم تر ذواتهم] لكن قد لا يكون ذلك اليوم؛ لأن ثَم معجزات تواكب النبوة [رابعاً: فضل أم معبد وهي عاتكة بنت خالد] أم معبد هذه كنيتها، واسمها: عاتكة بنت خالد ، كان لها خيمة بالطريق، تضيف من يأتي محتاجاً أو جائعاً إن وجد عندها، وما وجد الرسول عندها شيئاً.
[خامساً: تجلي آية النبوة المحمدية في درِّ الشاة وسقي الرسول صلى الله عليه وسلم أهل بيت أم معبد وسائر أفراد رفقته.
سادساً: تجلي آية النبوة في سقوط فرس سراقة وعجزه عن الوصول إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وفي إخباره الرسول صلى الله عليه وسلم له: بأنه سيسور سواري كسرى وكان الأمر كما أخبر صلى الله عليه وسلم.
سابعاً: تجلي آية النبوة في شفاء علي فور مسح الرسول صلى الله عليه وسلم رجليه].
وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

لما أن دنا النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر من المدينة نزلا بقباء وهي على بعد ثلاثة أميال منها، وفي أثناء إقامته صلى الله عليه وسلم بها بنى أول مسجد في الإسلام، فلما انتهى من بنائه توجه إلى المدينة وما إن وصلها حتى استقبله الأنصار مهللين مكبرين، وقد غصت بهم الطرق وامتلأت أسطح المنازل بالنساء والأطفال، وكان رسول الله يسير في طرقات المدينة راكباً ناقته، تاركاً لها الحبل على الغارب، فما إن وصلت إلى باب بيت أبي أيوب الأنصاري حتى بركت وضربت بجرانها في الأرض، فعرف حينذاك المكان الذي سيقيم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

في طيبة دار الحبيب صلى الله عليه وسلم

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فقد انتهى بنا الدرس إلى مقطوعة تحت عنوان: [في طيبة دار الحبيب صلى الله عليه وسلم] وطيبة هي المدينة النبوية، ونحن في المدينة، اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، لقد مات الملايين وهم في شوق لأن يشاهدوها ويدخلوها، ومن أتوها وعادوا كانوا يبكون بأعلى أصواتهم لا يريدون مفارقتها، وذلك لكمال إيمانهم وحبهم الصادق لرسول الله صلى الله عليه وسلم، أما نحن فندخن فيها، ونغني، ونزمر، ونكذب، ونقول الباطل، ونأكل الحرام، فسبحان الله! كيف يستسيغ مؤمن هذا؟! ومن يوم أن أكرمنا الله بالجلوس في هذا الدرس -من حوالي أربعين سنة- ونحن نقول: الذي لا يستطيع أن يستقيم في الحرمين عليه أن يخرج، وأرض الله واسعة، لا يبقى أبداً في بلد يلعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من يحدث فيه حدثاً أو يؤي محدثاً، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (المدينة حرام من عير إلى ثور من أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل).

فإذا كنت لا تريد أن تستقيم على منهج الطهر والحق فارحل وبلاد الله واسعة، لا تدنس أو تنجس أرض القدس والطهر، وقلنا: لا يحل لك أن تفتح صالون حلاقة تحلق فيه وجوه الفحول في مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا يحل لك أن تحدث ما يسمونه بالاستوديو للتصوير، أو دكاناً تبيع فيه الأغاني، والآن ما إن ظهرت تلك الطامة الكبرى -الصحن الهوائي- حتى صرخ العلماء وبكوا، وأصدر المفتي -حفظه الله- فتياه، والناس يعاندون الله ورسوله والمؤمنون، وكأنهم يقولون: رغم أنفك، فتجد في السطح ثلاثة دشوش، في مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم، وفي مكة بلد الله، أين الإيمان؟ اسألوا عن الإيمان ما هو، حتى تؤمنوا إيماناً حقيقياً، وإذا لم يكن لكم رغبة في الله والدار الآخرة، ارحلوا، انزلوا ببريطانيا أو فرنسا أو إيطاليا، ولا تبقوا بدار الإيمان.

ويعفا عن مؤمن مستقيم زلت قدمه يوماً من الأيام فارتكب ذنباً ثم صرخ وبكى منه وتاب، أما هذا التحدي فلا يقبل أبداً، ووالله إن له لعاقبة، فقد وردني بالأمس كتاباً من مؤمنة تبكي وتقول: ولدي في عمر سبع عشرة سنة يفجر بأخته مرتين، فماذا نصنع؟ لأنه يشاهد العواهر في المعارض، والضحك والألاعيب، والمرأة تقبل الرجل و و.

.

حتى إتيان الفاحشة يؤتى في آخر الليل في الدش.

إن من يربي أولاده على هذا يستوجب المسخ والطرد من هذه الديار، كيف يبلغه أن هذا حرام، وأنه يفسد عقله ودينه، ويطرد الملائكة من بيته، وأنه يصبح غير مؤمن ويصر على أن يفعل، أنا لا أحسب هذا مؤمناً ولا عرف الله.

وهكذا ننتظر نقمة الله، ووالله إن لم يتداركنا الله بتوبة لحل بنا ما حل بالمسلمين، حيث أذلهم اليهود والنصارى قرناً كاملاً من أقصى الشرق إلى الغرب؛ لفسقهم وفجورهم وإعراضهم عن كتاب الله ورسوله، وفساد قلوبهم وعقائدهم.

قال: [إن الثلاث عشرة سنة التي قضاها رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة من يوم مبعثه إلى يوم هجرته كانت كلها آلاماً ودموعاً وأحزاناً، لم ينعم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بساعة سرور، أو يوم راحة قط.
إلا أن العشر سنين التي قضاها بالمدينة كانت كلها جهاداً متواصلاً لم يفتر شهراً واحداً، ولم ينعم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالراحة يوماً واحداً، وكان شظف العيش فيها بالغ أشده، فلم يشبع فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم من خبز شعير مرتين في يوم واحد قط] ونحن نتقلب في هذا النعيم ونضحك، كأننا نملك صكوكاً من الله عز وجل ألا نضرب ولا يُنتقم منا.
[نعم لقد كانت للحبيب صلى الله عليه وسلم بدار الهجرة أياماً مشرقة، إلا أن أكثر أيامها كانت محرقة، وهلم بنا -إخوة الإيمان- نعيش بأرواحنا مع رسولنا وحبيبنا تلك السنين العشر التي عاشها صلى الله عليه وسلم بالمدينة دار هجرته وحاضرة دولته، دولة الإسلام الخالدة، وسوف نشعر بأننا السنين العشر ما كانت السنة الواحدة منها إلا عشر سنوات، فعشر السنين كانت وكأنها مائة سنة أو تزيد] ما تحقق فيها لا يتحقق في عشر سنين [وذلك لما تم فيها من جلائل الأعمال، ما تخللها من عظائم الأمور، والله نسأل أن يرزقنا البكاء عند ذكر ما يبكي منها، وأن يرزقنا الفرح عند ذكر ما يُفرح، فيكون ذلك شاهد حبّنا للحبيب صلى الله عليه وسلم، وآية إيماننا به، وعنوان إسلامنا لربنا وإحساننا في ديننا.
فهيا بنا نعايش الحبيب وصحبه بأرواحنا وإن لم نعايشهم بأبداننا؛ لطول العهد، وفضل ما بيننا وبينهم، إذ هم كواكب مشرقة في السماء تنير الأرض لأهلها، وأما نحن فإننا ضعيفو الصلة بالسماء وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

الحبيب صلى الله عليه وسلم بقباء

قال: [الحبيب صلى الله عليه وسلم بقباء.
إنه قبل وصوله صلى الله عليه وسلم إلى قباء -وهي ضاحية من ضواحي المدينة على ثلاثة أميال منها- كان رجال من الأنصار لما بلغهم خروج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إذا صلوا الصبح خرجوا إلى ظاهر المدينة إلى الحرة الجنوبية ينتظرون طلوع رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم، فلا يبرحون ينتظرون حتى لم يبق ظل يستظلون به من حر الشمس، ثم يعودون إلى بيوتهم.
ولما كان اليوم الذي وصل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا قد خرجوا كعادتهم، وما إن عادوا إلى بيوتهم لارتفاع النهار وانعدام الظلال إلا وصائح يصيح بأعلى صوته: يا بني قيلة! هذا جدكم قد جاء.
وكان الصائح رجلاً من اليهود كان قد علم بخروجهم كذا يوماً انتظاراً لقدوم الرسول صلى الله عليه وسلم ونسبهم إلى (قيلة)] لأنهم يقال لهم بنو قيلة، نسبة إلى جدة لهم تسمى قيلة، والقيل: الملك، والجمع: أقيال، والقيلة: ملكة.
وجدكم أي: حظكم وسعادتكم [وما إن سمعوا الصراخ حتى خرجوا كلهم، وإذا برسول الله صلى الله عليه وسلم مع صاحبه مستظل بظل نخلة، وأكثرهم لم يكن قد رأى النبي صلى الله عليه وسلم، وكان أبو بكر في سن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وركبهما الناس يسلمون عليهما وما يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبي بكر] تدفقوا أكبوا عليهم يسلمون ولا يدرون هذا رسول الله أو هذا، لتشابه الرجلين الكريمين [حتى زال الظل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام أبو بكر فأظله بردائه فعرفوه عند ذلك] أن الرسول صلى الله عليه وسلم غير أبي بكر [ونزل الحبيب على كلثوم بن الهدم ، ونزل الصديق على خبيب بن إساف كما تقدم].
وما نزلا في بيت واحد لأنه لا يتسع، أما الآن فأنتم أصحاب العمارات تملكون الخمسين غرفة والستين، بينما الأولون كانوا لا يستطيعوا أن يجمعوا بين اثنين أبداً لضيق المكان، ونحن ندخل ونخرج ولا نقول: الحمد لله في صدق وبكاء أبداً، وأفضلنا يقول: الحمد لله بنفس بارد.

وقد كنت في غداء مرة فعددت عشرة أنواع من الطعام والشراب: الماء، والحليب، والتمر، والدجاج، والخبز، والسلطة بنوعيها، والحبحب، والعنب .

.
المهم أنها عشرة، فعلى الأقل نحمد الله عشر مرات بصدق.

ومما أذكره تذكيراً وتعليماً -طيلة ما حييت- أني رأيت رجلين، رجلاً في بريدة -كبير في السن- جلسنا معه على أكل، ومن لحظة ما بدأ الأكل وهو يقول: الحمد لله الحمد الله الحمد لله، حتى فرغنا، وآخر في الرياض لقيته بعد كذا سنة وكأنه أخذ عن الأول، فما إن جلسنا للأكل حتى بدأ يحمد الله حتى فرغنا، وهذا قليل! كيف نجزي الله تعالى على إفضاله وإنعامه؟ والحمد لله أن قبل منا كلمة الحمد لله، فكيف إذاً نُحرمها ولا نقولها لربنا في صدق.
وسر هذا؛ بعدنا عن السماء، وأننا ما ربينا في حجور الصالحين.

أول عمل بقباء لرسول الله صلى الله عليه وسلم

قال: [أول عمل بقباء لرسول الله صلى الله عليه وسلم] هل عبّد الطرق؟ هل جدد المباني؟ أم ماذا عمل؟ قال: [] في أسبوع يبني مسجداً؛ لأن المسجد باللبن والخشب، وهو أول مسجد بني في الإسلام، مسجد أسس على التقوى من أول يوم، فلهذا (من تطهر في بيته -يا أهل المدينة- وأتى مسجد قباء لا يأتيه إلا للصلاة فيه فصلى ركعتين كان له كأجر عمرة)، وكان الحبيب صلى الله عليه وسلم يأتيه ماشياً وراكباً، يطلب رضا الله، ونحن لا نطلب ذلك لسوء أحوالنا! فرسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي مسجد قباء ليصلي فيه ويبشر المؤمنين ويرغبهم بكلمة حق.
قال: [وكان مسجد قباء أول مسجد بني في الإسلام، وقد ذكره تعالي في كتابه وأثنى على أهله خيراً فقال تعالى من سورة التوبة: لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ [التوبة:108].
وهنا بقباء أتى سلمان الفارسي الذي طالما انتظر مجيئه.
جاءه من المدينة بكيس من التمر، وقال: هذا صدقة تصدقت بها عليكم -وهو يريد بذلك اختباره- فقال الحبيب صلى الله عليه وسلم: (إنا لا نأكل الصدقة) وأمره أن يتصدق بها على غيره، وانصرف سلمان وعاد في اليوم الثاني -ومعه تمر آخر- وقدمه للرسول صلى الله عليه وسلم وقال: هذه هدية قدمتها لك، فقبلها صلى الله عليه وسلم ودعا له بخير.
وهنا أعلن سلمان إسلامه، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله.
وسبب عمل سلمان هذا أنه علم من الكتب السابقة أن النبي محمداً صلى الله عليه وسلم من نعوته وصفاته أنه يقبل الهدية ولا يأكل الصدقة.
ولما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كتب الله له من أيام في قباء بديار بني عمرو بن عوف سار إلى المدينة، وفي طريقه أدركته صلاة الظهر بديار بني سالم بن عوف، وكان اليوم يوم جمعة فصلى بهم الجمعة وخطبهم في مسجدهم ببطن الوادي (رانونا) فكانت أول جمعة صليت في الإسلام.
وركب الحبيب صلى الله عليه وسلم راحلته فأتاه عتبان بن مالك و عباس بن عبادة في رجال من بني سالم وقالوا له: يا رسول الله! أقم عندنا حيث العدد والعدة والمنعة، وهم ممسكون بخطام ناقته لينيخوها، فقال لهم: (دعوها فإنها مأمورة) وواصل سيره إلى طيبة طابت مغانيها، وسلام على ساكنيها].

نتائج وعبر من وصوله صلى الله عليه وسلم إلى قباء وأول عمل قام به

قال: [نتائج وعبر: إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبراً نوجزها في الآتي: أولاً: بيان أن مسجد قباء كان أول مسجد بني في الإسلام.
ثانياً: بيان كيفية معرفة سلمان للنبي صلى الله عليه وسلم، وذلك بما أجرى من اختبار عليه بالصدقة والهدية؛ لعلمه السابق أن من صفات نبي آخر الزمان أنه يقبل الهدية ولا يأكل الصدقة.
ثالثاً: بيان أن أول جمعة صليت في الإسلام هي تلك التي صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد بني سالم بن عوف ببطن وادي (رانوناء).
رابعاً: عرض بني سالم على النبي صلى الله عليه وسلم الإقامة بينهم وترغيبه في ذلك وذكرهم لكثرة رجالهم وسلاحهم ومنعتهم الحربية يعتبر موقفاً مشرفاً خالداً لهم رضي الله عنهم وأرضاهم].

استقبال الأنصار للحبيب صلى الله عليه وسلم وعظيم فرحهم وحفاوتهم به

قال: [استقبال الأنصار للحبيب صلى الله عليه وسلم وعظيم فرحهم وحفاوتهم به: إنه ما إن ركب صلى الله عليه وسلم راحلته، وسارت به من ديار بني سالم متجهة نحو المدينة، وأهل كل دار من دور الأنصار يمر بها إلا ويستقبله رجالها قائلين: هلم إلينا يا رسول الله! إلى العدد والعدة والمنعة، -وهم ممسكون بخطام ناقته- وهو يقول: (دعوها فإنها مأمورة).

وخرج أهل المدينة لاستقبال الحبيب صلى الله عليه وسلم عن بكرة أبيهم، فامتلأت الطرق، وظهروا على سطوح المنازل نساءً وأطفالاً ورجالاً، وهم يقولون: الله أكبر جاء رسول الله، الله أكبر جاء محمد، الله أكبر جاء رسول الله، والنساء والصبيان يضربون بالدفوف وينشدون: طلع البدر علينا من ثنيات الوداع وجب الشكر علينا ما دعا لله داع أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع جئت شرفت المدينة مرحباً يا خير داع وواصل الحبيب سيره في تلك الحشود الحاشدة، والجموع المتجمعة في هذا اليوم التاريخي العظيم الذي قال فيه أنس بن مالك : (لقد رأيت اليوم الذي دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا، واليوم الذي قبض فيه فلم أر يومين مثلهما قط).

حتى انتهى إلى قرب دار أبي أيوب الأنصاري ، فبركت -والرسول صلى الله عليه وسلم مرخ لها الزمام لها- ثم وثبت فسارت غير بعيد، ثم بركت وتلحلحت وضربت بجرانها في الأرض، فنزل عنها الحبيب صلى الله عليه وسلم فاحتمل أبو أيوب الرحل فوضعه في بيته، ونزل النبي صلى الله عليه وسلم بداره، لأنه أحد أخوال أبيه من بني النجار.

ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسفل من الدار، و أبو أيوب و أم أيوب بالعلوي، فآلم ذلك أبا أيوب ، فقال يا رسول الله! إني أكره أن أكون فوقك وتكون تحتي، فاظهر أنت فكن في العلوي وننزل نحن فنكون في السفلي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا أبا أيوب إن أرفق بنا وبمن يغشانا أن أكون في أسفل البيت) وبذلك طابت نفس أبي أيوب رضي الله عنه.

وكان أبو أيوب يصنع للرسول صلى الله عليه وسلم الطعام، فإذا أكل منه صلى الله عليه وسلم وتركه أُخذ وقدم لـأبي أيوب ليأكل منه، فكان رضي الله عنه يسأل عن موضع أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتتبع موضع أصابعه فيأكل منه، رجاء البركة.

فصنع له يوماً طعاماً فيه ثوم، فلما رد إليه سأل عن موضع أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له: لم يأكل، ففزع، وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أحرام؟ فقال: (لا.

ولكني أكره ذلك).

وهذا لأنه صلى الله عليه وسلم يناجي الملك، وغيره لا يناجي.

ومبرك الناقة كان مربداً ليتيمين، وكان فيه نخل وبعض قبور، فسأل عنه فقال له معاذ بن عفراء : يا رسول الله! هو ليتيمين لي وسأرضيهما منه، فاتخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجداً].

نتائج وعبر من استقبال الأنصار للحبيب صلى الله عليه وسلم

قال: [نتائج وعبر: إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج نجملها في الآتي: أولاً: بيان عظم فرحة الأنصار بمقدم الرسول صلى الله عليه وسلم، وما أبدوه من حفاوة وترحيب لم يسبق لهما نظير في التاريخ البشري قط.

ثانياً: بيان آية الناقة في سيرها وبروكها لقوله صلى الله عليه وسلم: (دعوها فإنها مأمورة).

ثالثاً: بيان فوز أبي أيوب خالد بن زيد بنزول الرسول صلى الله عليه وسلم بداره، وإقامته بها حتى بنى مسجده، وحجرات نسائه بإزائه.

رابعاً: بيان أدب أبي أيوب وكمال حبه لرسول الله صلى الله عليه وسلم؛ إذ لم تطب نفسه أن يسكن في أعلى المنزل والرسول صلى الله عليه وسلم في أسفله.

خامساً: مشروعية التماس البركة من آثار النبي صلى الله عليه وسلم -إن وجدت- كسؤره وشعره وريقه وثيابه، وما إلى ذلك ..].وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه.

لما استقر برسول الله صلى الله عليه وسلم المقام بطيبة الطيبة نظر صلى الله عليه وسلم إلى المربد الذي بركت فيه ناقته فأمر ببناء مسجده فيه، فكان هذا المسجد المبارك أحد المساجد الثلاثة التي لا تشد الرحال إلا إليها، ثم بنى صلى الله عليه وسلم بإزائه بيوت نسائه، وقد ذكر صلى الله عليه وسلم في فضل مسجده أن الصلاة فيه بألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام، وغير ذلك من الفضائل التي تزخر بها كتب السنة.

بناء المسجد النبوي وفضله وشرف المدينة وأهلها

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.
أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، ثم أما بعد .
.
أيها الأبناء! والإخوة المستمعون! ويا أيتها المؤمنات المستمعات! إننا على سالف عهدنا في مثل هذه الليلة؛ ليلة السبت من يوم الجمعة المبارك ندرس السيرة النبوية العطرة من كتاب هذا الحبيب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم يا محب، وقد انتهى بنا الدرس إلى مقطوعة (بناء المسجد النبوي وفضله وشرف المدينة وأهلها).
قال: [إنه ما إن بركت الناقة وضربت بجرانها من مساء يوم الجمعة من شهر ربيع الأول، حتى سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المربد الذي بركت فيه الناقة لمن هو؟ وقال: (يا معشر الأنصار ثامنوني بحائطكم هذا؛ لأتخذه مسجداً) وقال معاذ بن عفراء : هو ليتيمين لي، هما سهل و سهيل ابني عمرو وسأرضيهما، فاتخذه مسجداً.
وأمر أصحابه بالشروع في العمل، وتقدمهم لذلك؛ تشجيعاً لهم واندفعوا -مهاجرين وأنصاراً- يعملون حتى قال قائلهم: لئن قعدنا والنبي يعمل لذاك منا العمل المضلل وكان بالمربد قبور مشركين ونخل وخرب، فأمر بالنخل فقطع، وبالخرب فسوي، وبالقبور فنبشت، وأخذوا ينقلون الحجارة وهم يرتجزون: اللهم لا خير إلا خير الآخرة فارحم الأنصار والمهاجرة والرسول صلى الله عليه وسلم ينقل الحجارة ويقول: (لا عيش إلا عيش الآخرة، اللهم ارحم المهاجرين والأنصار) وارتجز علي قائلاً: لا يستوي من يعمر المساجدا يدأب فيه قائماً وقاعدا] لأن هذه الأراجيز تتناسب مع الشغل، فهم لا يأكلون بقلاوة ورز بين أيديهم حتى يقولون شعراً، ولكنهم يشتغلون، فلا بد من نغم خاص يشجع على الحركة والعمل.
قال: [ومن يرى عن الغبار حائداً] وبعض المرضى من المنافقين ما دخلوا في هذا العمل، فرمز إليهم علي بهذا البيت؛ لأن الرسول لما أخذ يشتغل اندفع المؤمنون معه، بينما تقزز المنافقون، كيف أنهم يحملون الطين والتراب على رءوسهم.
ومعنى حائداً: أنه لا يريد أن يمسه الغبار لكبريائه وجهله وعدم إيمانه.
[فأخذ عمار بن ياسر يرتجزها] حفظها وأخذ يغني بها هو أيضاً [فظن أحد الأصحاب أنه يعنيه بها تعريضاً به، فقال لعمار : يا ابن سمية ! والله إني لأراني سأعرض هذه العصا لأنفك] واحد من الأصحاب ظن أنه يقصده؛ لأنه أخذها من علي وأصبح يتغنى بها.
و سمية أمه أول شهيدة في العالم الإسلامي، استشهدت في مكة قبل الهجرة، واستشهد زوجها ياسر ، واستشهد عمار في حرب الفتنة [فسمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فغضب] كيف والصاحب يقول لصاحبه هذا؟ [وقال: (ما لهم ولعمار !! يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار)] وهذا وسام شرف، لا تساويه أوسمة العالم اليوم، حتى وإن كان الراتب مليون ريال في اليوم، فقد فاز بها ابن سمية .

قال: [وتم بناء المسجد بالحجارة وكان سقفه جريد النخل، وبني بإزائه حجرات نسائه صلى الله عليه وسلم] وما زالت كما هي، محاطة بسياج من حديد، وأما التربة والمكان فهو هو، ولهذا يأتيني بعض الغافلين ويقول: كيف تقولون: إنه لا تجوز الصلاة في مساجد فيها قبور، وها هو مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم فيه قبور؟ الجواب: والله! ما دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد، بل دفن في بيت عائشة ، ودفن معه و الصديق و الفاروق كذلك باستئذان، فنقول: والله لقد بني المسجد قبل وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، فالمسجد بني ولا قبور، بناه وهو حي، فهذه الشبهة باطلة، فلا المسجد بني على قبر، ولا الرسول دفن في المسجد، لا هذا ولا ذاك، وإذا نفوا وجود البيت فهذا البيت موجود، بدليل: (ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة).
قال: [وكان هذا المسجد المبارك أحد المساجد الثلاثة التي لا تشد الرحال إلا إليها] وقد يقول قائل: اليوم ليس هناك رحال، فنحن نطير بالطائرة أو السيارة، فنقول: إن الرحل والرحال هو ما يرحل عليه، سواء كان جنياً أو عفريتاً أو دابة أو طائرة، فكل ما يُرتحل عليه رحل [وذلك لفضلها واستواء سائر المساجد في الفضل دونها] كل المساجد في العالم مطلقاً متساوية في الثواب والأجر والمنزلة في الشرق أو الغرب إلا هذه الثلاثة: المسجد الحرام، والمسجد النبوي، والمسجد الأقصى، فلا كربلاء ولا بغداد ولا عبد الحميد .

.
فكل المساجد سواء إلا هذه الثلاثة [فقد قال الحبيب صلى الله عليه وسلم: (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى)].

فضل المسجد النبوي

قال: [وقال صلى الله عليه وسلم في بيان فضله: (صلاة في مسجدي هذا بألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام)] وجمهور الفقهاء والمحدثين والعالم على أن المسجد النبوي هو هو وإن بلغ صنعاء، إلا ما كان من النووي صاحب شرح مسلم، فإنه يقول: الرسول قال: (في مسجدي هذا) فيلزم منه أن يكون في محل الإشارة.
فمن استطاع أن يصلي في القديم يصلي، أما عمر لما زاد فيه وعاب عليه البعض، قال له: اسكت! هو مسجد رسول الله ولو بلغ صنعاء [وقال: (من أتى مسجدي هذا، لا يأتيه إلا لخير يعلمه أو يتعلمه، كان كالمجاهد في سبيل الله)] فُزتم بها يا أولي النيات الصالحة [وقال -فداه أبي وأمي- صلى الله عليه وسلم: (ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة)] وقد ذكرت لكم لطيفة وهي: إن أهل الجنة لا يبغون عنها حولاً ولا تحولاً، واقرءوا آية سورة الكهف، قال الله عز وجل: كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا * خَالِدِينَ فِيهَا لا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا [الكهف:107-108] ومن هنا فتح الله علينا وقلنا: إن المهاجرين الأوفياء الطاهرين الأبرار في المدينة -والله- لا يرضون بالتحول عن المدينة ولو أُعطي الشام بكامله، فهذه روضة من رياض الجنة، من استقر فيها لا يرضى بالتحول عنها أبداً.
وقد رأينا بعض الإخوان -والله- يبكون بالدموع ويصرخون وهم خارجون من المدينة.
شرف المدينة وأهلها

قال: [أما عن شرف المدينة وأهلها، فحسبنا أن نورد بعض ما ورد وصح في بيان فضلها وفضل أهلها، ومن ذلك: قوله صلى الله عليه وسلم: (إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها)] ومن رأى أفعى وهي تدفع في نفسها وتتكامل حتى تدخل الغار عرف كيف تأرز [وقوله صلى الله عليه وسلم: [(أمرت -من أمره بهذا؟ هل هناك حاكم فوقه؟ نعم.
إنه الله- بقرية تأكل القرى، يقولون: يثرب، وهي المدينة تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديد)] والمراد من القرية: الحاضرة العاصمة، لا اصطلاح الجغرافيين الهابطين، أما قال تعالى: أُمَّ الْقُرَى [الأنعام:92]؟ وهل هناك مدينة تعدو على مكة في العالم؟! فالقرية هي المدينة الجامعة التي ضمت واشتملت على السكان، ليست البلد الصغير.
قال: (تأكل القرى) وأية قرى هذه التي أكلتها؟ أكلت قرية فارس وعاصمتها، وأكلت بلاد الروم اسطنبول وتركيا.
إذاً: أكلت القرى.
وهي يومها سبخة: أي: فيها نخل، وهذا علم من أعلام النبوة.

قال (يقولون: يثرب، وهي المدينة، تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديد)، فالذي يجلس فيها خبيث النفس غير صالح غير طيب لا بد وأن مآله إما إلى المقبرة أو إلى خارج المدينة.
قال: [ولو صح حديث] هذا كلام المؤلف [(اللهم إنك أخرجتني من أحب البلاد إلي فأسكني في أحب البلاد إليك) ولم يعارض بحديث: (والله إنك خير أرض الله وأحب أرض الله إلي، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت) لكانت المدينة أفضل من مكة -كرمها الله-] هناك حديثان: الأول أخذ به مالك ، ومات وهو يقول: إن المدينة أفضل من مكة، وصحح الحديث في نظره، والثاني قال به جمهور الأئمة والفقهاء: إن مكة أفضل.
إذاً: قال صلى الله عليه وسلم: (اللهم إنك أخرجتني من أحب البلاد إلي -وهي مكة- فأسكني في أحب البلاد إليك) قال هذا: وهو خارج من مكة، ثم أسكنه الله المدينة، ومعناه: أنها تفوقت على مكة.
والحديث المعارض لهذا الحديث فيه ضعف، وهو قوله صلى الله عليه وسلم: (والله إنكِ خير أرض الله وأحب أرض الله إلي، ولولا أني أخرجت منكِ -في الهجرة- ما خرجت) ولولا هذا لكانت المدينة أفضل من مكة كرمها الله.
وقد فتح الله علينا ويسر لنا فجمعنا بين الحديثين وقلنا: من استطاع أن يصوم ويقوم في مكة فليسكن بها، ليصوم النهار ويقوم الليل فإن الحسنة بأضعاف، حتى إذا ضعف وكبر سنه أو مرض أتى إلى المدينة ليموت فيها، لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (من استطاع منكم أن يموت بالمدينة فليمت بها؛ فإني أكون له شهيداً أو شفيعاً يوم القيامة).
وقد حرص عمر رضي الله عنه على تحقيق هذه الهديّة، فكان يسأل الله ويقول: يا رب! أسألك شهادة في سبيلك وموتاً في بلد رسولك، فتسمعه ابنته أم المؤمنين حفصة ، فتقول: إيه يا أبتاه! أين الشهادة؟ تعني أن الشهادة في أطراف الدنيا، فيقول: اسكتي! ففضل الله واسع.
واستشهد رضي الله عنه بعد أن قتله مجوسي -لعنة الله عليه- من عبدة النار في محراب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ودفن معه صلى الله عليه وسلم، فجمع الله له بين الشهادة والموت في المدينة.
إذاً: عرفتم الأولى: وهو أنه ما دمت قادراً على العمل والصيام والقيام فعليك بمكة، فإن الحسنات فيها تضاعف إلى مئات الآلاف، وإن عجزت وقاربت الرحيل فأت إلى المدينة حتى تموت بها.
أما أن تقضي عمرك في مكة عفرتة ومزامير وطبول وخمر وأباطيل ثم تريد المجيء إلى المدينة فلا ينفع ذلك.
قال: [ومما يزيد المدينة حباً في قلوب المؤمنين ورغبة في المقام بها حتى الموت؛ قوله صلى الله عليه وسلم: (من استطاع أن يموت في المدينة فليمت بها؛ فإني أكون له شاهداً أو شفيعاً يوم القيامة) عرف هذا عمر رضي الله عنه فكان يدعو ويقول: اللهم إني أسألك شهادة في سبيلك وموتاً في بلد رسولك] وحقق الله له ذلك.
[وحسب المدينة شرفاً وفضلاً أن أصبحت داراً للرسول صلى الله عليه وسلم بها مسجده وفيها قبره، ومنها مبعثه] فأهل البقيع يخرجون مع الرسول صلى الله عليه وسلم، أول من يخرج من الدنيا إلى الحياة الثانية وراء نبيهم صلى الله عليه وسلم [وأما أهل المدينة -وهم الأنصار- فشرفهم كان بمسارعتهم للإيمان، وإيواء الرسول والمؤمنين، ونصرتهم، ومقاسمتهم العيش معهم؛ أثنى الله تعالى عليهم بقوله: وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ [الحشر:9]] أية بلد أثنى الله على أهلها كهذه؟! [وقرر الرسول صلى الله عليه وسلم شرفهم وفضلهم في أحاديث كثيرة، منها قوله صلى الله عليه وسلم: (آية الإيمان حب الأنصار)] علامة الإيمان حب الأنصار [(وآية النفاق بغض الأنصار)] علامة النفاق بغض الأنصار [وقوله: (الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق)] وهو كما قال [(فمن أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله)، وقوله صلى الله عليه وسلم: (لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار)] لأن الهجرة ذات فضل عظيم لا يتنازل عنها أحد، فلولا الهجرة لكان صلى الله عليه وسلم رجلاً من الأنصار [(ولو سلك الأنصار وادياً وشعباً لسلكت وادي الأنصار وشعبهم، الأنصار شعار والناس دثار)] الله أكبر! والشعار هو الثوب الذي يلي الجسد، أما الدثار ما كان فوقه، فالأنصار شعار للرسول صلى الله عليه وسلم ومن دونهم دثار.
قال: [ولنستمع إلى شاعر الأنصار يقول ويذكّر بما أكرمهم الله تعالى به من الإسلام، وما خصهم به من هجرة رسوله إليهم ونصرهم له، وبذل الرخيص والغالي له صلى الله عليه وسلم ليأمن ويعز وينتصر] وشاعرهم هو أبو قيس صرمة بن أبي أنس الأنصاري يقول: [ثوى في قريش بضع عشرة حجة] وثوى بمعنى: أقام، وهو الرسول صلى الله عليه وسلم.[يذكر لو يلقى صديقاً مواتيا ويعرض في أهل المواسم نفسه فلم ير من يؤوي ولم ير داعيا فلما

أتانا أظهر الله دينه وأصبح مسروراً بطيبة راضيا وألفى صديقاً واطمأنت به النّوى وكان له عوناً من الله باديا] وهو الصديق رضي الله عنه صاحبه بالغار.
[يقص لنا ما قال نوح لقومه وما قال موسى إذ أجاب المناديا فأصبح لا يخشى من الناس واحداً قريباً ولا يخشى من الناس نائياً بذلنا له الأموال من أجلّ مالنا وأنفسنا عند الوغى والتآسيا نعادي الذي عادى من الناس كلهم جميعاً ولو كان الحبيب المواسيا] هذا هو الشعر، ليس شعر أغنية عبد الوهاب التي يرقصون لها.
الشيخ الطيب العقبي .. حبه للمدينة وبعض سيرته

وهنا لطيفة -كررناها-: الشيخ الطيب العقبي خريج المسجد النبوي جيء به من مدينة عقبة بن نافع في جنوب الجزائر رضيعاً مع أسرته وتربى في طيبة، فكان بحراً من بحور العلم، وما كنا نرى عالماً سواه -وهو كذلك- فهو الذي أنشأ جريدة القبلة في مكة، وبعدها حولها إلى جريدة أم القرى، وقد أعطاني بطاقته وزرته في مكتبه في مكة، وقال لنا: كنت أقسم الدخل للجريدة ثلاثة أقسام: قسم أعطيه لطلبة العلم في المسجد، وقسم للجريدة، وقسم لأسرتنا.
هذا هو الطيب العقبي .
يقول: كنا نخرج في أمسيات من المسجد النبوي إلى أُحد بعد العصر -على أرجلهم- فنعود بخمسين أو بسبعين بيتاً من أجود الشعر.
هذا وهم طلبة.
وثارت الحرب العالمية الأولى، ورحل إلى تركيا في اسطنبول وإلى الشام خوف المجاعة قبل الدولة الإسلامية السعودية، ثم دخل الجزائر، فأنشأ جريدة الإصلاح قبل أن تعرف تلك الديار جريدة واحدة بالعربية، والتف حوله بعض المصلحين المؤمنين، فذبح أحدهم كالكبش وهو يتوضأ في الساقية، وما عرف هناك إلا بالوهابي، الذي ينشر الوهابية، وكل من ينتسب إليه وهابي أيضاً.
أمة هابطة إلى الحضيض.
والشاهد عندنا من قصته: أنه شاء الله بعد الحرب العالمية الثانية وهدوئها أن يأتي أحد المستشرقين إلى النادي ليسمع الدروس، فقال للشيخ: الفرصة متاحة لأن تزور فلسطين وتزور المدينة على حسابنا، وكان ذلك بعد أن سقطت فلسطين في يد اليهود، فزارها.
وكان يحب المدينة وأهلها، وقد كنت أستاذاً في مدرسة خيرية تابعة له، وأبطلنا حفلات الأعراس الباطلة، فكنا نأتي بالتلاميذ ينشدون الأناشيد وبعض الكلمات والسلام، ثم يقدمون لنا الكسكسون والعنب، وفي مجلس وأنا إلى جنبه قال لي: أمهاتنا في المدينة يقلن: ابدءوا بالعنب الصغير، أي: بالحبة الصغيرة، وكان يأخذ الحبة الصغير أولاً.
فكان شوقه إلى المدينة باقٍ.
وقد جاء يوماً وألقى كلمة في الروضة الشريفة بعدما اعتمر وقال: فتح الله علي، فقلت: إن هذا المسجد مذكور في القرآن الكريم، بالإيماء والإشارة، أما قال تعالى: سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى [الإسراء:1] إذاً: لا بد وأن يوجد مسجد قصي ليأتي بعده الأقصى، فسورة الإسراء نزلت في مكة، أما المدينة كانت يثرب.
إذاً أين القصي؟ فلا بد وأن يوجد، فالقصي هو مسجد النبي صلى الله عليه وسلم، والأقصى ما كان أبعد منه وهو مسجد فلسطين.
إذاً: المسجد النبوي مذكور في القرآن بالإشارة والإيماء.
وحصل أن أحد المؤمنين العقبيين لما مات العقبي أراد أن يبني مسجد ويسميه بـ(مسجد العقبي)، فبناه وكتب عليه ذلك، فجاء وزير الأوقاف ورجاله ومحوا ذلك الاسم، وما رضوا أن يكون المسجد باسم العقبي ، وهذا فقط لأنه من أهل التوحيد، من أهل لا إله إلا الله، و العقبي إن شاء الله في دار السلام.
ومن شدة توحيده رحمه الله أنه قال: لا تدفنوني مع هؤلاء المشركين.
ولكن ادفنوني لوحدي؛ لأنه كان هناك قبور تعبد من دون الله، وبالفعل أخذوه إلى ساحل البحر ودفنوه وحده، وقد زرناه بعدما عدنا، ووقفنا على قبره.
هذا هو الطيب العقبي رحمة الله عليه.
نتائج وعبر من مقطوعة (بناء المسجد النبوي وفضله وشرف المدينة وأهلها)

قال: [نتائج وعبر] نأخذ ما يسر الله لنا من عبارات إلى ساحة السلامة[إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبراً نذكرها فيما يأتي: أولاً: بيان تاريخ بناء المسجد النبوي الشريف، وبناؤه أول عمل قام به النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة] كان هذا في أيامه الأولى للهجرة، فلو سألت عن تاريخ المسجد فقل: ألف وأربعمائة وخمس عشرة، لأنه كان أول ما دخل المدينة، والهجرة بدأت من دخول الرسول صلى الله عليه وسلم المدينة، والمفروض أنها من ربيع الأول لكن عمر جعلها من أول السنة، فالفرق شهرين أو ثلاثة فقط.
[ثانياً: بيان فضل المسجد النبوي الشريف.
ثالثاً: بيان فضل المدينة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى السلام] والله لا توجد بلدة مثلها إلا مكة، فلهذا من استطاع أن يموت بها فليمت.
[رابعاً: بيان فضل الأنصار، وهم سكان المدينة الذين آووا ونصروا] الرسول وأصحابه من المهاجرين.
[خامساً: بيان فضل العيش في المدينة والوفاة فيها] لقوله صلى الله عليه وسلم: (من استطاع منكم أن يموت في المدينة فليمت بها؛ فإني أكون له شاهداً أو شفيعاً يوم القيامة).
اللهم اجعلنا جميعاً من أهل المدينة، وتوفنا في المدينة، وابعثنا مع نبينا فيها، اللهم آمين.

جهود الحبيب صلى الله عليه وسلم في الإصلاح والتأسيس والبناء بالمدينة النبوية

قال: [جهود الحبيب صلى الله عليه وسلم في الإصلاح والتأسيس والبناء بالمدينة النبوية] رجل عظيم هذا، والله ما اكتحلت عين الوجود بأعظم منك يا رسول الله، لا في الإيمان، ولا في الإسلام، ولا في الإحسان، ولا في الآداب، ولا في الأخلاق، ولا في الشجاعة .

.
فقد الرسول صلى الله عليه وسلم شجاعاً أكثر من علي ، وأكثر من خالد ، ووالله ما عرفت الدنيا أشجع منه، والدليل قول الصحابة رضي الله عنهم: كان إذا اشتد الوطيس واحمر -وطيس المعركة- نلوذ برسول الله، ونأتي وراءه.
والدليل من القرآن الكريم: قول ربه عز وجل له في سورة النساء: فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ [النساء:84] والذي يبعثه الله ليقاتل العالم بأسره وحده لا شك أن فيه من الشجاعة ما ليس لغيره، ولعل بعض السامعين ما تفطنوا!
إن الله عز وجل يقول: فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ [النساء:84] أي: لا تكلف أحداً، ولولا علمه تعالى بشجاعته الخاصة الفذة التي لا نظير لها ما قال له: ادخل المعارك وحدك.
قال: [إنه من ساعة حلوله بالمدينة أخذ صلى الله عليه وسلم على عاتقه مهمة الإصلاح والتأسيس والبناء للمجتمع المسلم والدولة الإسلامية الوارثة لأكبر دولتين عالميتين -وهما دولة الفرس ودولة الروم- وبتتبع الخطوات التالية تتجلى هذه الحقيقة وتتأكد بإذن الله تعالى.

.
.[
وصلى الله على نبينا محمد وآله وسلم.

من ساعة حلول النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة أخذ على عاتقه مهمة الإصلاح والتأسيس والبناء للمجتمع المسلم والدولة الإسلامية، فكانت أول خطوة متمثلة في بناء المسجد النبوي وحجرات زوجاته صلى الله عليه وسلم، واستقدام أهل بيته وأهل بيت أبي بكر رضي الله عنه، ثم الاتصال بيهود الذين كانوا جيرانه في المدينة، وبعد ذلك كتابة وثيقة الجوار والتحالف بين المسلمين وجيرانهم من يهود، وضوابط العلاقة بينهم، وما يترتب على تحالفهم من حقوق وواجبات.

تابع جهود الحبيب صلى الله عليه وسلم في الإصلاح والتأسيس والبناء بالمدينة النبوية

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فقد انتهى بنا الدرس إلى مقطوعة: (جهود الحبيب صلى الله عليه وسلم في الإصلاح والتأسيس والبناء بالمدينة النبوية) فهيا بنا نعايش رسولنا ساعة بقلوبنا وأرواحنا، كما أننا لولا الغفلة لكنا نسلم عليه في كل يوم على الأقل خمس مرات أو سبعاً، ولكن الغفلة حبستنا ومنعتنا، وإلا إذا صلينا الفريضة أو النافلة وجلسنا بين يدي الله نحييه قائلين: التحيات لله والصلوات والطيبات، ونستقبل رسول الله وكأنه بين أيدينا ونقول: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، لوصلته على الفور، أدق وأخف من أي جهاز، فرأساً يسمعها ويرد السلام.

فأهل الغفلة لا نصيب لهم من هذا، أما الذاكرين الله، وأولو البصائر والنهى يسلمون على رسول الله وجهاً لوجه، ويجدون لذة ذلك وطعمه وريحه، كأنهم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ قال: (صلوا علي وسلموا حيثما كنتم، فإن صلاتكم تبلغني).

وإن شاء الله من الليلة نسلم عليه وجهاً لوجه.

وها نحن معه صلى الله عليه وسلم وقد وصل إلى المدينة مهاجراً، وتقدمه بعض أصحابه ..

قال: [إنه من ساعة حلوله بالمدينة] أي: نزوله فيها [أخذ صلى الله عليه وسلم على عاتقه مهمة الإصلاح والتأسيس والبناء للمجتمع المسلم والدولة الإسلامية الوارثة لأكبر دولتين عالميتين -وهما دولة الفرس ودولة الروم-] وهذا كلام صحيح، لا ينكره إلا ميت.

الخطوة الأولى: بناء المسجد النبوي الشريف والحجرات الطاهرات

قال: [وبتتبع الخطوات التالية تتجلى] تظهر وتنكشف [هذه الحقيقة وتتأكد بإذن الله تعالى: الخطوة الأولى] التي خطاها في هذا المضمار، مضمار البناء والتأسيس للدولة الإسلامية التي ستأكل الدول، فقد قال صلى الله عليه وسلم: (أمرت بالهجرة إلى قرية تأكل القرى)، وقد أكلتها كلها.

[إن أول خطوة كانت في الإصلاح والبناء والتأسيس هي بناء المسجد النبوي الشريف والحجرات الطاهرات] فما إن بركت القصواء وألقت بجرانها في ذلك المكان حتى قال: (دعوها فإنها مأمورة)، ومن الغد ساوم أهل الأرض وثامنهم واشترى الأرض وبنى مسجده وحجراته الطاهرة الشريفة.

الخطوة الثانية: استقدام الأسرتين الشريفتين

قال: [الخطوة الثانية: إنها استقدام الأسرتين الشريفتين، أسرة الحبيب صلى الله عليه وسلم وأسرة الصديق رضي الله عنه] الأولى أسرة الحبيب صلى الله عليه وسلم؛ إذ ترك بمكة زوجته أم المؤمنين سودة بنت زمعة ، وبناته فاطمة و زينب .

و الصديق ترك زوجته وأولاده؛ إذ فرا بنفسيهما، ولما استقرا وأصبحت المدينة دار استقرار كانت ثاني خطوة هي استقدام عائلاتهم، حتى يطمئنوا ويقووا على البناء والتعمير.

قال: [إنه لما كان عبد الله بن أريقط الخبير] أو الخريت الجغرافي العالم [بالطرق استأجره الرسول صلى الله عليه وسلم مع صاحبه في هجرتهما عائداً إلى مكة] جاء بهما إلى المدينة بأجرة، فلما أراد أن يعود إلى مكة اتفقا معه على أجرة ثانية ويأتيهما بعائلتهما، فـ[استأجره الرسول صلى الله عليه وسلم مع صاحبه] أبو بكر الصديق ، وهو الذي صحبه في الغار ثلاثة أيام بين الحيات والعقارب، ثم في رحلة من أخطر الرحلات.
إنه صاحبٌ حق، والله أثبت له هذه الصحبة؛ إذ قال تعالى: إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا [التوبة:40].
قال: [بعث معه الرسول صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة ومولاه أبا رافع بمال ورواحل] بمال للأكل والشرب والحمل، ورواحل جمع راحلة من الإبل، لأنه سيأتي بأسرة كاملة، وأدوات منزلها وغير ذلك .
.
[وأمره أن يأتي ببقية أسرته الشريفة، فجاء فعلاً ببناته الطاهرات فاطمة وغيرها ما عدا زينب فإنها تحت أبي العاص بن الربيع] كانت متزوجة، فلا يستطيع أن يأتي بها وهي زوجة كافر [كما جاء بسودة بنت زمعة إحدى أمهات المؤمنين، وكذلك فعل الصديق أيضاً، إذ بعث في طلب أسرته، فجاء بها ولده عبد الله بن أبي بكر ، ومن بينهم عائشة أم المؤمنين] وهي طفلة صغيرة [كما جاء بأم أيمن زوج زيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبهذا استقر النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة دار هجرته، والتي أصبحت تعرف: بالمدينة النبوية] وقد كانت تعرف بيثرب، وبعد استقرار النبي صلى الله عليه وسلم فيها أصبحت تعرف عند أهل الأرض والسماء: بالمدينة النبوية، وحولها العوام إلى المدينة المنورة وسكتنا، وإلا هي المدينة النبوية، والنبوية أفضل من المنورة، لكن جاءت على ألسنة العوام والعلماء سكتوا، وإلا فاسمها: المدينة النبوية؛ إذ لا توجد بقعة على الأرض تحلف بالله أن هذا نبينا قط إلا هذه.

الخطوة الثالثة: الاتصال باليهود

قال: [الخطوة الثالثة: الاتصال باليهود] وكانوا ثلاث قبائل: بنو النضير في الشرق، وبنو قينقاع في الوسط، وبنو قريظة في الجنوب.
[بواسطة عبد الله بن سلام رضي الله عنه] كان سفير النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الشأن، ولا يوجد في الصحابة والتابعين ولا من بعدهم لفظ سلام بالتخفيف إلا عبد الله بن سلام ، والباقي ابن سلَّام [ودعوتهم إلى الإسلام] لما أسلم عبد الله بن سلام -كما سيأتي- اتخذه صلى الله عليه وسلم واسطة وقال: ادع إخوانك وبني عمك إلى رحمة الله عز وجل، أداءً لدعوة الناس إلى الإسلام [إنه ما إن نزل صلى الله عليه وسلم بطيبة] وطيبة هي المدينة اسمها طيبة وطابة، من الطيب، وطِيبها ملأ الكون [حتى جاءه عبد الله بن سلام أحد أحبار اليهود بالمدينة ليمتحنه في صدق نبوته وصحة رسالته] لعلمه أراد أن يختبره، فإن ثبتت نبوته آمن ودخل في رحمة الله.
وهكذا نريد لعلماء اليهود والنصارى والمجوس وغيرهم أن يقفوا هذا الموقف، فيأتون ويسألون أهل الإسلام، فإن عرفوا أنه الحق دخلوا في رحمة الله، أما أن يعيشوا بعيدين يلعنون ويشتمون فقط فما هو بعقل هذا ولا بعلم.
قال: [فيسأله الأسئلة التالية، فيقول له: إني سائلك عن ثلاثة لا يعلمهن إلا نبي وهي] سيسأله عن ثلاث مسائل لا يعلمها إلا نبي، فإن أجاب وعرف فهو نبي، وإن عجز فهو مدّع.
إذاً: ما هذه الأسئلة الثلاثة؟ السؤال الأول: [ما أول أشراط الساعة] ما أول علامات قيام القيامة وانتهاء هذه الحياة؟ وقد علمنا أن للساعة أشراطاً بعضها صغرى -وقد ظهر منها الكثير- وبعضها كبرى وهي عشر، لم يظهر منها شرط؛ لأنه متى ظهر شرط منها تتابعت الأخرى وتتالت كالمسبحة إذا سقطت منها حبة تساقطت واحدة بعد واحدة، وأول هذه الأشراط: طلوع الشمس من مغربها؛ لأن هذا إيذان باختلال الفلك الذي تدور فيه الشمس، فما أكملت دورتها ورجعت إلى الوراء، وإذا ظهرت هذه العلامة فالمؤمن مؤمن والكافر كافر، قال الله عز وجل: هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُوا [الأنعام:158] وهي آتية لا محالة.
ثم قال: [ما أول طعام يأكله أهل الجنة؟] ما هو أول طعام يأكله المؤمن عندما يدخل دار السلام؟ والثالث: [ما بال الولد ينزع إلى أبيه أو إلى أمه؟] فيصبح شبيهاً بأبيه أو بأمه، أو بأهل أبيه أو بأهل أمه.
هذه هي الأسئلة.

[فأجابه الحبيب صلى الله عليه وسلم قائلاً: (أخبرني بهن جبريل آنفاً)] يعني: قبلما تجيء أنت وصلني هذا [(فقال عبد الله: جبريل؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: نعم.
قال عبد الله: هو عدو اليهود من الملائكة)] وإلى الآن عدو اليهود من الملائكة جبريل، قالوا: لأنه يعلن الحروب ويدعو إليها ويسلط عليهم البشر.
جهل مركب! ويدَّعون العلم، قال الله عز وجل: قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ [البقرة:97].
[وأخذ الرسول صلى الله عليه وسلم يشرح مضمون الأسئلة فقال: (أما أول أشراط الساعة فنار تخرج على الناس من المشرق تسوقهم إلى المغرب)] تخرج من قعر عدن وتسوق الناس إلى بيت المقدس، وهي آتية لا محالة [(وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت)] الحوت له كبد فيها قطعة مدلاة ناعمة طرية جداً، وهي موجودة الآن -وحوت دار السلام ليس كحوت دار الوبال- فتلك القطعة ألذ ما يكون وأهش، فزائدة كبد الحوت هذه أو طعام يأكله أهل الجنة [(وأما الولد فإذا سبق ماء الرجل -أي: منيه- ماء المرأة نزع الولد إلى أبيه)] إذا تدفق ماء الرجل قبل ماء المرأة فالشبه يكون للأب [(وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزع الولد إلى أمه)] و عبد الله بن سلام عرف هذا من التوراة، ومن الجائز أنه سئل موسى أو هارون عن ذلك فأجابهما الله، فجاء عبد الله يمتحن بهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم.
[وهنا قال عبد الله بن سلام: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنك رسول الله] فدخل في الإسلام.
وهو مبشر بالجنة، كان يمشي والصحابة يقولون: هذا مبشر بالجنة [ولما أسلم عبد الله بن سلام وحسن إسلامه كانت الفرصة مواتية] ملائمة [للاتصال باليهود ودعوتهم إلى الإسلام] خطى النبي صلى الله عليه وسلم خطوة بتدبير الله، فجاءه عبد الله بن سلام العالم الحبر وأسلم، والآن يستخدمه أو يستعمله في الدعوة.

الخطوة الرابعة: وضع النبي ميثاقاً للمهاجرين والأنصار متضمناً موادعة اليهود بالمدينة

قال: [الخطوة الرابعة: وضعه صلى الله عليه وسلم ميثاقاً للمهاجرين والأنصار متضمناً موادعة اليهود بالمدينة] وضع ميثاقاً للمهاجرين والأنصار -والمهاجرون هم أهل مكة الذين هجروا بلادهم، والأنصار هم أهل المدينة- متضمناً موادعة اليهود؛ لأن اليهود يمثلون ثلث البلاد.
[إن من أبرز الجهود التي بذلها الحبيب صلى الله عليه وسلم في الإصلاح والتأسيس والبناء: كتابه الذي كتبه فضمنه ميثاقاً في غاية الدقة، وحسن السياسة، فآلف بين سكان المدينة من الأنصار والمهاجرين وجيرانهم من طوائف اليهود، وربط بينهم فأصبحوا به كتلة واحدة يستطيعون أن يقفوا في وجه كل من يريد أهل المدينة بسوء.
وهذه ديباجة الكتاب المذكور] أي: مقدمته [وبعض ما حواه من مواد الميثاق الذي اشتمل عليه] وهو:

مواد كتاب النبي بين المؤمنين والمسلمين من المهاجرين والأنصار

قال: [بسم الله الرحمن الرحيم.
(هذا كتاب من محمد النبي الأمي بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب -ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم- أنهم أمة واحدة من دون الناس...) إلى آخر كتابه صلى الله عليه وسلم المتضمن لأعظم ميثاق عرفه الناس.
وهذا بعض ما جاء فيه من مواد في غاية الأهمية ..
[أولاً: إن المؤمنين لا يتركون مفرّحاً بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء وعقل] والمفرح هو: المثقل بالدين أو بالعقل، والعقل هي الدية، كأن يقتل خطأً -مثلاً- فتجب عليه الدية[ثانياً: لا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه] لا يحالف هذا ويترك مولاه [ثالثاً: إن المؤمنين المتقين على من بغى منهم أو ابتغى دسيعة ظلمة أو إثم أو عدوان، أو فساد بين المؤمنين، وإن أيديهم عليه جميعاً ولو كان ولد أحدهم] كلمتهم ويدهم واحدة على من أراد أن يُدخل غشاً أو مكراً بينهم [رابعاً: لا يقتل مؤمن مؤمناً في كافر، ولا ينصر كافراً على مؤمن، وإن ذمة الله واحدة، يجير عليهم أدناهم] إذا قتل مؤمن كافراً لا يقتل به؛ لأن الكافر -كما علمنا- ميت والمؤمن حي، فكيف يقتل الحي بالميت؟ ولا ينصر الكافر على المؤمن.
قال: (وإن ذمة الله واحدة، يجير عليهم أدناهم) أي: أدنى واحد منهم يتولى الحماية [خامساً: إن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس] أي: الكفار [وإنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر

عليهم] حماية كاملة [سادساً: إن سلم المؤمنين واحد، لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم] ما في فرق بين مؤمن ومؤمن، لا يسالم مؤمن دون المؤمن، كلهم سواء [سابعاً: من اغتبط مؤمناً قتلاً عن بينة فإنه قود به إلا أن يرضى ولي المقتول، وإن المؤمنين عليه كافة، ولا يحل لهم إلا قيام عليه] إذا قتل مؤمن مؤمناً عن بينة فإنه يقتاد منه، إلا أن يرضى الولي بالدية [ثامناً: إن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين] فإذا دخل المسلمون في جهاد فإن اليهود ينفقون معهم المال [وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم أو أثم فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته.

تاسعاً: إن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم، وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وإن بينهم النصح والنصيحة، والبر دون الإثم، وإنه لم يأثم امرؤ بحليفة، وإن النصر للمظلوم، وإن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم] عجب [عاشراً: إنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة، وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثاً، ولا يؤويه، وإنه من نصره أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل.

الحادي عشر: وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم] عجب هذا الكتاب! من علم الرسول هذه السياسة؟

مناظرة النبي لليهود بعد إسلام عبد الله بن سلام

قال: [(فقال عبد الله : يا رسول الله! إن اليهود قوم بهت)] يعني يأتون بالكذبة التي لا تخطر على بال ويلقونها عليك [(وهم يعلمون أني سيدهم وابن سيدهم، وأعلمهم وابن أعلمهم)] معروف بينهم، وحقاً هو سيدهم وابن سيدهم، وأعلمهم وأبوه كان أعلمهم أيضاً [(فادعهم فسلهم عني)] ما تقولون في عبد الله بن سلام ؟ [(قبل أن يعلموا أني قد أسلمت)] أما إذا علموا أنه أسلم فلا يعترفون له بشيء [(فإنهم إن يعلموا أني قد أسلمت، قالوا فيّ ما ليس فيّ)] من البهتان والكذب؛ لأنهم قوم بهت يختلقون الكذب على الفور [(فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم إلى اليهود)] تعالوا عندنا في المسجد [(فدخلوا عليه)] و عبد الله بن سلام في زاوية [(فقال لهم: يا معشر يهود! ويلكم اتقوا الله، فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم تعلمون أني رسول الله حقاً، وأني جئتكم بحق فأسلموا، فأجابوا قائلين: ما نعلمه)] وهم يعلمون نعوت الرسول صلى الله عليه وسلم وصفاته في التوراة والإنجيل كالشمس، ولكن يغطونها ويحرفونها ويؤولونها لمصالحهم الهابطة [فأعاد صلى الله عليه وسلم دعوتهم إلى الإسلام ثلاث مرات] وهم يقولون: لا نعلمه، ثم قال لهم: [(فأي رجل فيكم عبد الله بن سلام؟)] أي: ما تقولون في هذا الرجل؟ [(قالوا: ذاك سيدنا وابن سيدنا، وأعلمنا وابن أعلمنا)] كما هو الواقع لم يجحدوه [(قال: أفرأيتم إن أسلم؟)] ما تقولون؟ [(قالوا: حاشا لله، ما كان ليسلم)] أي: كيف يسلم؟ [وهنا قال الحبيب صلى الله عليه وسلم: (يا ابن سلام اخرج عليهم فخرج، فقال: يا معشر يهود! اتقوا الله، فوالله الذي لا إله إلا هو، إنكم تعلمون أنه رسول الله، وأنه جاء بالحق.

فلما سمعوا هذا القول قالوا: شرنا وابن شرنا وتنقصوه)] وانهالوا عليه بالسب والشتم.

وهنالك مواقف عند اليهود يهبطون فيها إلى مستوى الشياطين ومن يتتبعها يجدها، وإلى الآن ما زالوا كذلك.

[(فأخرجهم الرسول صلى الله عليه وسلم)] ما بقي مجال للنظر في وجوههم [وقال عبد الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم: هذا الذي كنتُ أخاف، وكان عبد الله بن سلام يقول: لما دخل الرسول صلى الله عليه وسلم المدينة نظرت إلى وجهه فعرفت أنه ليس بوجه كذاب] لما دخل النبي صلى الله عليه وسلم المدينة والتف حوله الأنصار والمهاجرون نظرت إليه عبد الله بن سلام ، فقال: هذا والله ما هو بوجه كذاب.

إنها أنوار الإيمان والرسالة!

ما حفظه عبد الله بن سلام من وصايا النبي أول دخوله المدينة

قال: [وكان أول شيء سمعته منه قوله صلى الله عليه وسلم: (أفشوا السلام)] هذه خطبة موجزة وُضع فيها دعائم الإخاء والتعاون والمودة والمحبة بين المهاجرين والأنصار، فهل نستطيع أن نأخذ بها نحن وهي ثلاث كلمات فقط؟ لو اجتمع علماء النفس والسياسة والاجتماع -والله- ما وصلوا إليها ولا عرفوها، ولا أتوا بشبيهها، ما هذه الكلمات؟ خطب النبي صلى الله عليه وسلم الأنصار والمهاجرين وهم مجتمعين في مسجده فقال: (أفشوا السلام) ومعنى أفشوا السلام: ليسلم بعضكم على بعض، الكبير على الصغير والماشي على القاعد، وليرد السلام من سُلم عليه؛ حتى تصبح المدينة كلها سلام، والآن تمر بمائة رجل ويمر بك مثل ذلك فمن كنت تعرفه قلت له: السلام عليكم! ومن كان يعرفك

قال لك: السلام عليكم، والباقي لا!! أتدرون ما هي الحكمة المحمدية؟ ومن أين يتلقاها؟ من الحكيم العليم، من خالق الحكمة والعلم، ووالله! لو أن أهل قرية أو مدينة أخذوا بهذا المبدأ -إفشاء السلام- لأصبح جو المدينة كله سلام، فالناس يحتكون ببعضهم البعض جماعات وأفراداً، هذا داخل وهذا خارج، فلو ألقى كل واحد منهم السلام على أخيه لأصبح الجو كله سلام، وفي هذا المناخ الذي كله سلام ينتهي القبح والشر والفساد.
والثانية: [(وأطعموا الطعام)] أي: لا تتركوا جائعاً بينكم يا أهل المدينة أو يا أهل القرية، فإذا كانوا يطعمون الطعام أصبح بيت كل مؤمن مطعم، وما بقي جائع بالقرية أو بالمدينة، تجد المسلم يطبخ الطعام ويبحث عمن يأكل معه فيجد اثنين أو ثلاثة، والآخر كذلك فما يبقى من يطلب الطعام، وهذا كله موجب للحب، فالذي تأكل في بيته لا تستطيع أن تلعنه أو تشتمه أو تكذب عليه .

.
أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم فطالما استعبد الإحسان إنسانا والثالثة: [(وصلوا بالليل والناس نيام)] وإذا كان الرجال الفحول كلهم يبيتون يصلون فهل يسرقون غداً؟ هل يفجرون؟ والله ما كان، إن الذي يبيت يتململ بين يدي الله ويعفر في وجهه بالتراب ويبكي لا يقول الباطل أو يفعل الشر، مستحيل هذا! وبالتالي يصبح جو المدينة كله طهر وسلام.
لقد اختصر النبي صلى الله عليه وسلم هذا كله في ثلاث كلمات: (أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا بالليل والناس نيام).
قال: [(تدخلوا الجنة بسلام)] ولم يذكر إيجابيات الناحية الاجتماعية، وما يتحقق من الأمن والأخوة والمحبة بناء على ذلك، ولكن أغفل هذا؛ لأن تطلعهم إلى دار السلام أسمى وأعظم.
فهم الذين تركوا أموالهم وديارهم وأهاليهم وهاجروا لأجل الجنة، وأولئك هم الذين استقبلوا المهاجرين وفتحوا ديارهم وأسهموهم وشاركوهم في الطعام والشراب، لأجل الجنة، فعرف رغبتهم وما يريدون فأرشدهم صلى الله عليه وسلم إلى ذلك في ثلاث خطوات فقال: (أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام).
وعندنا قصة كي أضحككم بعض الشيء: قال أحد الإخوان ممن عرفناه في الديار الجزائرية ويزورنا في الحج والعمرة دائماً، وهو رجل صالح: استضافني رجل رياضي -كان في الكشافة- وجاء آخر في القرية مداح، والمداح صاحب دف يمدح الصالحين أو غيرهم ويعطونه مقابل مدحه مالاً.
قال: فركبنا حافلة من عدن إلى سيدي مبروك أو قرية أخرى، وكنا قد طلعنا مع أمين عام الجامعة الإسلامية والشيخ عمر ، وما إن ركبنا الحافلة حتى طلع أعمى مداح في يده دف، وآخر معه يقوده ويجمع المال، فلما ركبنا قال المداح في مدحه: يا سعود يا يهود! يا سعودي يا يهودي!! أي أنه كان يجمع المال بسب آل سعود، أين وصلت هذه الأمة؟ أين هبطت؟ لا تأسف! أما عفستهم بريطانيا وأذلتهم واستخدمتهم؟! ولو كانوا أولياء الله ما كان لها أن تحكمهم، وما إن أفاقوا حتى جاءت بالشيوعية فمزقت قلوبهم وعقائدهم وفعلت بهم الأعاجيب وأكل بعضهم بعضاً، وهذا كله من مظاهر هبوط هذه الأمة، ولا تعجب عما ينزل بها ويصيبها.
ونعود إلى المداح الجزائري.
قال: فنام الرياضي وله شخير عجب، فما استطاع الضيف المداح أن ينام إلى جنبه في الحجرة، لأن الغرفة ضيقة؛ ولا تسأل عن الشخير، فأحياناً لا يطاق! فماذا يصنع المداح؟ استيقظ وجاء بمنديله ودفه وبدأ يعمل، فاستيقظ الرياضي فزعاً، يسأل عما يحصل؟ ما لك أنت؟ فقال: اسكت.
ما استطعت أن أنام!.
تسلى بالدف حتى لا يسمع صوت الشخير.
والشاهد عندنا في هذه القصة هو الشخير، فالنبي صلى الله عليه وسلم قال: (صلوا بالليل والناس نيام) ونحن نشخر.
وبعد هذه التسلية نعود إلى الحضرة المحمدية، ونعيد الأسباب التي نصبح بها من أهل الجنة: الخطوة الأولى: إفشاء السلام على الأبيض والأسود، والغني والفقير، حتى يصبح جو البلاد كله سلام، وترحل الشياطين ولا يبقى شر ولا فساد، وهذه وحدها تنقي البلاد من الخبث.
الثانية: إطعام الطعام.
ضع مائدتك وابحث عن فقير من جيرانك يتغدى معك؛ لتسد خلته وتقضي حاجته.

الثالثة: صلوا بالليل -النافلة والتهجد- والناس نيام.

معنى الإحداث في المدينة وحكمه

ومعي سؤال بالمناسبة: سائل يقول: ذكرتم حديث: (أن المدينة حرام من عائر إلى ثور، وأن من أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل) قال: وما فهمنا هذه الأحداث التي يعنيها الرسول صلى الله عليه وسلم، ونريد أن نعرف شيئاً منها.
الجواب: هل كان للرسول صلى الله عليه وسلم بنوك في المدينة تتعامل بالربا؟ الجواب: لا.
فمن افتتح بنكاً لهذا الغرض فهو ممن قال الرسول فيهم: (لا يقبل الله منه صرف ولا عدل)، والذي يفتح دكاناً يحلق فيه وجوه الرجال (صالون حلاقة) هذا أحدث في المدينة حدثاً، فهل كان على عهد الرسول والصحابة والتابعين من يحلق للرجال وجوههم؟! والذي يفتح استوديو للتصوير ويصور الناس ويأخذ مالاً على ذلك أحدث حدثاً، أما لعن الرسول صلى الله عليه وسلم المصورين؟ فكيف يفتح دكاناً للتصوير في المدينة؟ والذي يفتح دكاناً لبيع الأفلام والفيديوهات وصور الخلاعة ويعمل على نشرها بين المؤمنين في المدينة أحدث حدثاً ..
وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

إن من الرشد والكمال النبوي والنضج السياسي والحكمة المحمدية ما أقدم عليه النبي صلى الله عليه وسلم من المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، في ظرف كان المهاجرون أحوج ما يكونون إلى من يخفف عنهم آلام الغربة ومفارقة الأحباب والأهل والفاقة وقلة ذات اليد، وبهذه المؤاخاة كان الأنصاري يعرض على أخيه أفضل ماله وأعجب أزواجه لتكون له بعد انقضاء عدتها، فتكون في المدينة مجتمع متلاحم ينهض بكل عبء يلقى عليه.

تابع جهود الحبيب صلى الله عليه وسلم في الإصلاح والتأسيس والبناء بالمدينة النبوية

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.
أما بعد: فقد انتهى بنا الدرس إلى الخطوة الخامسة من جهود الحبيب صلى الله عليه وسلم في الإصلاح والتأسيس والبناء بالمدينة النبوية، فبعد نزوله مهاجراً بطيبة كان له جهود عظيمة ذكرنا منها ما يسر الله ذكره لنا، وهي جهود في الإصلاح والتأسيس والبناء في المدينة النبوية، ولخصنا ذلك في خطوات:
الخطوة الخامسة: هي مؤاخاته صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار

قال: [الخطوة الخامسة] في الإصلاح والبناء والتأسيس في المدينة للنبي صلى الله عليه وسلم [هي مؤاخاته صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار] أمتان آخى بينهما، فربط كل رجل بآخر وقال: أنت أخوه وهو أخوك، وحينئذ يتم التعاون بمعناه الكامل، وهذا لم يُسبق إليه صلى الله عليه وسلم ولا فعله غيره ولا يقدر عليه أحد.
قال: [إن من الرشد والكمال النبوي، والنضج السياسي، والحكمة المحمدية خطوة الحبيب صلى الله عليه وسلم في المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار في ظرف كان المهاجرون فيه أحوج ما يكونون إلى ما يخفف عنهم آلام الغربة والفاقة والفرقة، إذ تركوا ديارهم وأموالهم وأهليهم، وحلوا ببلد] ونزلوا به [لم يكن ليتسع حتى لأهله فضلاً عن النازحين إليه] ما هي المدينة؟ ماذا فيها؟ أهلها محتاجون وفقراء، فكيف تتحمل المدينة -إذاً- أمة أخرى؟! [وبهذه المؤاخاة التي آخى فيها الرسول الحكيم بين المهاجرين والأنصار، والتي كان الأنصاري فيها يقول لأخيه المهاجر: انظر إلى أعجب نسائي إليك أطلقها، فإذا انتهت عدتها تزوجتها] وليس فوق هذا شيء أبداً! وهذا قطعاً قبل نزول آيات الحجاب، فالحجاب نزل في السنة السادسة [كان المجتمع المدني قد التحم بعضه ببعض، وأصبح جسماً واحداً ينهض بكل عبء يلقى عليه.
وبذلك أعده الرسول الحكيم ليتحمل عبء إعلان الحرب على الأبيض والأصفر، وقتال القريب والبعيد من كافة أهل الشرك والكفر] ولولا أنه عد المدينة بهذه العدة وجعلها بهذه المثابة فربط بين المهاجرين والأنصار، وجعلهم إخواناً على قلب واحد، لما استطاع أن يعلن الحرب على الأبيض والأسود؛ فالأرضية متنها وقعد قواعدها ثم أعلن الحرب.
عجب سلوك هذا النبي الحكيم! ومع هذا تدرّس حياة الملاحدة والعلمانيين والبلاشفة في جامعات العالم الإسلامي إلا من رحم الله، ولا تدرس أبداً سياسة النبي صلى الله عليه وسلم حتى لا يقال: قال رسول الله أو فعل رسول الله.
[وهذا أنموذج مصغر من تلك المؤاخاة: [أخوان المهاجر أبو بكر الصديق الأنصاري خارجة بن زهير] آخى الرسول بين أبي بكر وبين خارجة ، فأبو بكر مهاجر وخارجة أنصاري.
[أخوان المهاجر أبو عبيدة عامر بن الجراح الأنصاري سعد بن معاذ] وآخى بين أبي عبيدة المهاجر وبين سعد بن معاذ الأنصاري.
[أخوان المهاجر عبد الرحمن بن عوف الأنصاري سعد بن الربيع أخوان المهاجر عمر بن الخطاب الأنصاري عتبان بن مالك أخوان المهاجر عثمان بن عفان الأنصاري أوس بن ثابت أخوان المهاجر طلحة بن عبيد الله الأنصاري كعب بن مالك أخوان المهاجر سلمان الفارسي] وإن كان من غير مكة فقد هاجر من فارس.

[الأنصاري أبو الدرداء أخوان المهاجر بلال بن رباح الأنصاري أبو رويحة] وهكذا آخى النبي صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار، ليصبح الأخ يقاسم أخاه ما عنده، لا فضل لهذا عن هذا، فقرص العيش يقتسمونه.
ومن يفعل هذا ويقدر عليه من البشر سوى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟! قال: [وها هي ذي الكلمة الطيبة التي قالها الحبيب صلى الله عليه وسلم فتمت بها المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، إنها هي قوله -فداه أبي وأمي والناس أجمعون-: (إن إخوانكم قد تركوا الأموال والأولاد وخرجوا إليكم)] هذه استولت على مشاعر وأحاسيس وقلوب الأنصار ورضوا بالمؤاخاة وقالوا: نقتسم معهم ما عندنا [وإما إن قالها] أي: هذه الكلمة الخالدة [حتى قال الأنصار: أموالنا بيننا قطائع] قطعة لي وقطعة لك [فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: (أو غير ذلك؟ فقالوا: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: هم قوم لا يعرفون العمل فتكفوهم العمل وتقاسمونهم الثمر، قالوا: نعم)] لأن أهل مكة لا يعرفون المسحاة ولا دلو الماء، فكيف يعملون معهم؟ تجد المهاجر جالس في المسجد وأخوه يشتغل من الصباح إلى الظهر ثم يقتسم التمر والعنب معه؟ لأن المهاجر لا يعرف الفلاحة، فكيف يُكلّف؟! إذاً: ارحموهم أيها الأنصار؛ لأنهم لا يحسنون جلب الماء ولا سقي النخل أو تأبيرها أو غير ذلك ..فرضوا بذلك رضي الله عنهم.
[(وبعدها قال المهاجرون: يا رسول الله! ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن مواساة في قليل ولا أحسن بذلاً من كثير، لقد كفونا المئونة وأشركونا في المهنأ، حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله، فقال الحبيب صلى الله عليه وسلم)] مواسياً مطمئناً القلوب والنفوس [(لا. ما أثنيتم عليهم ودعوتم الله لهم)] يعني: لا تخافوا أن يذهبوا بالأجر، ما دمتم تثنون عليهم وتدعون الله لهم، أي: مقابل هذا الأجر الثناء عليهم ودعوة الله تعالى لهم، وهي سنة باقية إلى اليوم، يقول صلى الله عليه وسلم: (من صنع إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تجدوا فادعوا له).
من صنع إليك يا عبد الله! معروفاً فكافئه بمثله أو أفضل، فإن عجزت ادع الله له، قل: جزاك الله خيراً! والعامة عندنا يقولون: شكراً، وهي مترجمة عن الإنجليزية.
فتجده يأكل عندك أو يشرب ثم يقول لك: شكراً أو ثانكيو، والرسول المعلم الكريم يقول: (من صنع إليكم معروفاً فكافئوه) مقابل جميله وإحسانه، فإن عجزت فادع الله له، فأقل ما تقول: جزاك الله خيراً، أو بارك الله فيك وفي مالك، وفيما أعطاك أو أبقاك الله صالحاً.
أما ثانكيو ومِرْسي فهي من الفرنسية والإنجليزية.
أولاً: الشكر لله الواحد المعطي ما هو للعبد، ثم لما تشكره إما أن تقدم له مالاً أو طعاماً أو كساءً أو عملاً تكافئه به، وإلا ادع الله له الذي يتولى الجزاء، ويستجيب الله لك إن شاء.
قال: (فقال الحبيب صلى الله عليه وسلم: لا، ما أثنيتم عليهم ودعوتم الله تعالى لهم) والثناء على الشخص المسلم معروف، تقول: فلان أحسن إلينا، أكرمنا، فعل معنا كذا وكذا ..وهذه من صفات المؤمنين، هذا الثناء.
أما الدعاء هو أن تقول: اللهم بارك له في حياته وفيما أعطيته، وأقل شيء: جزاك الله خيراً! [هكذا كانت المؤاخاة في ظروف الحاجة، ولما وسع الله تعالى على المسلمين نسخ التوارث بها، وأقر المودة والحب بينهم] كانوا يتوارثون، المهاجر يرث الأنصاري، والأنصاري يرث المهاجر إذا مات؛ لأنهم إخوة، فلما زال الضيق وزال العسر والشدة ووسع الله على المسلمين نسخ الله التوارث بينهم [فقال تعالى: وَأُوْلُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا [الأحزاب:6]] أما التوارث انتهى، استمر عاماً أو عامين أو ثلاثة وقت الضيق والضغط والحاجة، ولما انتشر الإسلام واتسعت رقعة المسلمين نسخه الله، فمن كان من جماعتك ورحمك ترثه ويرثك، بينما الذي لا صلة لك به إلا الإيمان والهجرة فإنه لا يرثك ولا ترثه، قال عز وجل: وَأُوْلُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ [الأحزاب:6] اللهم: إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ [الأحزاب:6] كتاب القضاء والقدر وفي القرآن الكريم مَسْطُورًا [الأحزاب:6] أي: مسجلاً.

الخطوة الأولى: بناؤه صلى الله عليه وسلم المسجد وحجرات نسائه

الخطوة الأولى: إن أول خطوة كانت له في الإصلاح والبناء والتأسيس: هي بناء مسجده وحجرات نسائه صلى الله عليه وسلم، فمن يوم أن نزل بالمدينة في بيت أبي أيوب الأنصاري شرع في بناء المسجد فبناه وبنى حجرات نسائه الطاهرات، ومن بين الحجرات حجرة ضمت جسده الطاهر صلى الله عليه وسلم وجسدي حبيبيه وصاحبيه أبي بكر و عمر رضي الله عنهما وأرضاهما.

الخطوة الثانية: استقدام أسرة النبي وأسرة أبي بكر الصديق

الخطوة الثانية: استقدام الأسرتين، أسرته هو وأسرة الصديق رضي الله عنه.
فزود من أراد بالمال والمتاع وجيء بأسرة النبي صلى الله عليه وسلم وأسرة أبي بكر الصديق ليتم الاستقرار بمعناه التام.
وهذا كله تخطيط رشيد حكيم.
الخطوة الثالثة: الاتصال باليهود بواسطة عبد الله بن سلام

الخطوة الثالثة: الاتصال باليهود بواسطة عبد الله بن سلام ، الحبر اليهودي الذي اعتنق الإسلام عند مشاهدة النبي صلى الله عليه وسلم، وبواسطته بلّغ رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوته إلى اليهود؛ لأنهم أهل كتاب يسكنون المدينة، فما إن استقر حتى بلغهم دعوة الإسلام.
الخطوة الرابعة: وضعه ميثاقاً سياسياً بين المهاجرين والأنصار متضمناً موادعة اليهود

الخطوة الرابعة: وضعه ميثاقاً سياسياً عجباً بين المهاجرين والأنصار من جهة وموادعة اليهود من جهة ثانية.
ولا بأس من أن أذكر نفسي وإياكم به؛ لتشاهدوا آثار العلم والسياسة الرشيدة والوعي والبصيرة، وكيف لا وهو يتلقى الوحي من الله، واهب العلوم والمعارف وخالق أهلها.
قال: [وضعه صلى الله عليه وسلم ميثاقاً للمهاجرين متضمناً موادعة اليهود بالمدينة] والميثاق عهد موثق بوثائق الكتابة والحلف [إذ من أبرز وأظهر الجهود التي بذلها الحبيب صلى الله عليه وسلم في الإصلاح والتأسيس والبناء كتابه الذي كتبه فضمنه ميثاقاً في غاية الدقة وحسن السياسة، فألف بين سكان المدينة من الأنصار والمهاجرين وجيرانهم من طوائف اليهود] بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة [وربط بينهم فأصبحوا كتلة واحدة يستطيعون أن يقفوا في وجه كل من يريد أهل المدينة بسوء.
وهذه ديباجة الكتاب المذكور وبعض ما حواه من مواد الميثاق الذي اشتمل عليه: بسم الله الرحمن الرحيم] افتتح الكتاب ببسم الله الرحمن الرحيم، أي: بسم الله وافق وكتب، وبدون إذن الله ليس له أن يفعل شيئاً.
[(هذا كتاب من محمد النبي الأمي بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب] يعني: المدينة [ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم- أنهم أمة واحدة من دون الناس .) إلى آخر كتابه صلى الله عليه وسلم المتضمن لأعظم ميثاق عرفه الناس] كتاب النبي صلى الله عليه وسلم المتضمن لهذا الميثاق أعظم ميثاق عرفته البشرية [وهذا بعض ما جاء فيه من مواد في غاية الأهمية].
بعض مواد الميثاق الذي وضعه النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة

قال: [أولاً: إن المؤمنين لا يتركون مفرحاً بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء وعقل] والمفرح هو: المثقل بالدين الكثير، أو بدية التزمها، فهؤلاء كلهم يشتركون في التسديد بالتضامن: المهاجرون والأنصار واليهود.
[ثانياً: لا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه] مثلاً: أنت عندك مولى من مواليك حررته وأعتقته وأصبحت مولاه وهو مولاك، لا يحل لمؤمن أن يتعاقد معه بعقد دونك أنت، تعتبر هذه خيانة.
[ثالثاً: إن المؤمنين المتقين على من بغى منهم أو ابتغى دسيعة -أي: قوة- ظلم أو إثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين، وإن أيديهم عليه جميعاً ولو كان ولد أحدهم] من بغى من هؤلاء الذين تحالفوا وابتغى عظيم ظلم أو إثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين فأيديهم عليه جميعاً ولو كان ولد أحدهم، يضربون على يديه مجتمعين، ولو كان ولد أبي بكر أو عمر مثلاً.
[رابعاً: لا يقتل مؤمن مؤمناً في كافر، ولا ينصر كافراً على مؤمن، وإن ذمة الله واحدة، يُجير عليهم أدناهم] لا يقتل مؤمن مؤمناً في كافر للحديث الذي عرفه العالم الإسلامي: (لا يقتل مسلم بكافر)، وقد عرفتم العلة، فالمسلم حي والكافر ميت، فهل يقتل ميت بحي؟ أي عقل هذا؟ فالكافر ما دام لا يؤمن بالله ولا يعبده فهو والأموات سواء؛ إذ خلق لعبادة الله، فإذا رفضها فوجوده كعدمه، فلهذا لا يقتل مسلم بكافر.
فهذه ضمن هذا الميثاق.

وكذلك لا ينصر كافر على مؤمن، فإذا ظلم كافر مؤمناً لا يجوز أن تنصره وتقف إلى جنبه، ولا يحل أبداً، ويجير عليهم أدناهم، أي: أدنى المؤمنين يجير وتقبل جيرته، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (أجرنا من أجرتِ يا أم هاني) فإذا مؤمن أجار كافراً -بمعنى: أمنه- فلا يصح لمؤمن أن يقتله؛ لأنه في ذمة هذا المؤمن، سواء كان شريفاً أو وضيعاً، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (المؤمنون سواسية كأسنان المشط يسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد واحدة على من سواهم)، فإذا أجار مواطن كافراً لأمر ما، لا للغش والخديعة والأذى؛ فلا يحل لمؤمن أن يقتله وهو في ذمة وجواره.

[خامساً: إن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس] المؤمن مولى للمؤمن الآخر، يواليه وينصره، وكل المؤمنين موالين لبعضهم البعض، وهذا ظاهر قوله تعالى: وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ [التوبة:71] [وإنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم] أعطى هذا حتى لليهود، ما داموا موالين للمسلمين فهذا هو موقف المسلمين منهم.

[سادساً: إن سِلم المؤمنين واحد، لا يُسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم] إن سلم المؤمنين لا يختلف، ولا ينقسم، فلا يسالم مؤمن دون مؤمن، لا تسالم فلان وتترك فلان من المؤمنين، لا يصح أبداً ولا يقبل.

[سابعاً: من اغتبط مؤمناً قتلاً عن بينة فإنه قود به إلا أن يرضى ولي المقتول] بالدية مثلاً [وإن المؤمنين عليه كافة] مجتمعين على ضربه على يديه [ولا يحل لهم إلا قيام عليه] فالمؤمنون كلهم على القاتل نصرة لدين الله؛ لأن هذا عبد الله ووليه.

[ثامناً: إن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم أو أثم فإنه لا يوتغ] أي: لا يوبق ولا يهلك [إلا نفسه وأهل بيته] فقط.

[تاسعاً: إن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم، وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وإن بينهم النصح والنصيحة، والبر دون الإثم، وإنه لم يأثم امرؤ بحليفه، وإن النصر للمظلوم، وإن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم.

عاشراً: إنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة، وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثاً، ولا يؤويه، وإنه من نصره أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل.

الحادي عشر: وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم] يقول الله عز وجل: فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ [النساء:59]، هذه بعض فقرات هذه الوثيقة التاريخية.

أين درس رسول الله صلى الله عليه وسلم؟! أين تعلم هذا؟! إنه يتلقاه مباشرة من السماء، من وحي الله عز وجل.

نتائج وعبر من مقطوعة (جهوده صلى الله عليه وسلم في الإصلاح والتأسيس والبناء بالمدينة النبوية)

قال: [نتائج وعبر] لهذه المقطوعة التي ذكرناها[إن لهذه الخطوات الخمس في السيرة العطرة نتائج وعبراً نجملها في الآتي: أولاً: المسجد في الإسلام] وبين المسلمين [هو المنطلق لكل خير وكمال تطلبه الأمة المسلمة] المسجد بناؤه، وتأسيسه، وإقامته، وبكل ما يقع فيه هو المنطلق لكل خير وكمال تطلبه الأمة المسلمة [إذ فيه تعالج أمراض الجهل وسوء الخلق، والملكات السيئة في بعض الأفراد] وهذا الذي نكرره، وهيا نعود إلى عهد النبوة، هل نحن أحرار؟ هل دولتنا مستقلة؟ هل شعبنا مستقل ليس فيه بريطانيا ولا إيطاليا؟ هيا نراجع تاريخنا -فقط- من المغرب إلى العشاء، فلا يبقى مواطن في الشارع، ولا في الدكان ولا في المقهى ولا في المصنع، يوقف العمل لهذا لأمر عظيم، ونحمل أسرنا إلى بيوت ربنا ونتعلم الكتاب والحكمة ونزكي أنفسنا ونهذب أخلاقنا ونعلو بآدابنا ليلة بعد ليلة، فنصبح بحق أولياء الله، ويومها: من يقاوم أولياء الله؟ أو يطمع في إذلالهم أو قتلهم؟ ولا يكلف هذا المسلمين شيئاً! وكثيراً ما أقول: ألسنا نقتدي بالنصارى في كثير من مظاهر الحياة لأنهم غالبون، فلِم لا نقتدي بهم في قضية إن النصارى من أمريكا وإلى آخر أوروبا إذا دقت الساعة السادسة أوقفوا العمل تماماً، لقد نزلنا مرة من الطائرة فقال لي أحد الزملاء: عجل عجل! قلت له: في أي شيء؟ قالوا: اشتر لنا العشاء؛ لأنه إذا دقت الساعة السادسة ما بقي دكان مفتوح؛ لأنه وقت راحة.

ثم يذهبون إلى دور السينما والملاهي والملاعب والمقاصف والرقص لمدة أربع أو خمس ساعات، والمسلمون لا يستفيقون، ضحكوا وسخروا من هذه النظرية، قالوا: كيف نأتي بنسائنا وأطفالنا إلى المسجد؟ وهل المسجد أفضل أم المقهى؟ ثم يا أبنائي! لا طريق للعودة إلى الكمال والقيادة والسيادة إلا المسجد، ولمدة ساعة ونصف فقط، من يمنعك من أن تعمل طوال النهار في مصانع الذرة والهيدروجين والفلاحة والصناعة؟ ابذل طاقتك.
لكن ذاك الوقت اجعله لتطهير نفسك وتزكيتها، وتهذيب أخلاقك وآدابك، وغرس معنى الأخوة والمحبة والولاء بين المؤمنين؛ ليصبح أهل القرية كأنهم أسرة واحدة يتقاسمون الخير والشر، هل يصعب هذا؟ والله لا يصعب على مؤمنين طهرت نفوسهم وزكت أرواحهم! وهذا الكلام مكرر مله السامعون، ولكن نعيده لأنه لا علاج سواه، فلو أن شخصاً مريضاً بالصداع مثلاً، كلما ذهب للطبيب قال له: خذ إسبرين! هل له أن يقول للطبيب: كيف دائماً لا آخذ إلا الإسبرين؟!! طيب.
ما في دواء إلا هذا لمن يصاب بالصداع، فالصداع علاجه الإسبرين، وكذلك -والله- لا علاج للأمراض التي تعيشها أمة الإسلام إلا بالعودة إلى المسجد من أجل تعلم الكتاب والحكمة وتزكية النفوس وتطهيرها، ومن ثم -والله- لا يبقى بخل ولا حسد ولا غل ولا غش ولا خداع ولا نفاق ولا كذب ولا كبر، وتنتهي كل مظاهر الشر، ويحل محلها الطهر والصفاء، ويشعر المؤمنون بالسعادة؛ لأن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.
[ثانياً: ظهور الحكمة المحمدية في كل خطوة من هذه الخطوات الخمس.
ثالثاً: المواد التي اشتمل عليها الميثاق الذي تضمنه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم للمهاجرين والأنصار دالة على ما كان يتمتع به الحبيب صلى الله عليه وسلم من العلم والحكمة وحسن السياسة والرشد العام فيها] ولو درس هذا طلاب السياسة لارتفعت قيمهم وعلت، لكن لا، هذا شيء مضى، ولسنا كمحمد صلى الله عليه وسلم ومن ثم يتركون ذلك النور.
[رابعاً: المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وكتاب الميثاق] الذي قرأنا بعضه [وما اشتمل عليه من مواد إصلاحية وسياسية؛ الكل دال بوضوح على أن هناك توقعاً لحرب قد يطول مداها] بالتأمل لهذه المواد والميثاق بالذات وما احتوى عليه دالة أو منبئة أن حرباً عامة متوقعة قد يطول مداها وإلى يوم القيامة [وكذلك فقد دامت زهاء عشر سنوات، أي: إلى أن التحق الحبيب صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى، وخاضها بعده خلفاؤه وتابعوهم، وستبقى الحرب وتستمر بين الشرك والتوحيد، والإيمان والكفر ما بقيت فتنة، ووجد من يعبد غير الله تعالى.
مصداق هذا قوله تعالى من سورة الأنفال: وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ [الأنفال:39]] لأن الكافرين مصيرهم مظلم، وحياتهم شقاء، ينتهون إلى حيث لا يستطيع عقل أن يتصوره، تجدهم يعيشون طوال حياتهم في آلام، في احتراق، في جوع، في عطش .
.
فمن ينقذهم؟ إن مهمة إنقاذ البشرية من النار والخلود فيها على المسلمين.

أحداث بعضها مفرح وبعضها محزن

قال: [أحداث بعضها مفرح وبعضها محزن] في سيرة الحبيب صلى الله عليه وسلم[ما زالت سنة هجرة الحبيب صلى الله عليه وسلم الأولى لم تكتمل] السنة التي هاجر فيها ما اكتملت، باقي فيها شهران أو ثلاثة [وما زالت الأحداث والوقائع فيها تتجدد.
وهذه بضع تلك الأحداث نذكرها تحت عناوينها].
الحدث الأول المفرح: [الصلاة والأذان: من المعلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان قبل الإسراء والمعراج يصلي هو والمؤمنون معه ركعتين في الصباح وركعتين في المساء] قبل العروج إلى الله عز وجل وفرض الصلاة في الملكوت الأعلى كان النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون -وعددهم معروف في مكة عشرة أو عشرين نفر- يصلون ركعتين في الصباح وركعتين في المساء [وذلك لقوله تعالى في خطابه صلى الله عليه وسلم: فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ [غافر:55]] هذه الآية مكية.

ومعناها: فاصبر على آلام وجراحات وأتعاب المشركين لك ولإخوانك المؤمنين، لِمَ؟ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ [غافر:55] أي: لا بد وأن وينتصر الحق، وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ [غافر:55] وهذا دليل صلاة الركعتين من أول النهار وآخره قبل فرضية الصلوات الخمس.

[ولما أسري به صلى الله عليه وسلم إلى بيت المقدس، وعرج به إلى الملكوت الأعلى فرض الله تعالى عليه وعلى أمته الصلوات الخمس] كم ساعة تحتاج لكي تعرج إلى الله عز وجل؟ تحتاج سبعمائة آلاف وخمسمائة سنة وأنت طائر حتى تخترق السماوات السبع؛ إذ سمك كل سماء خمسمائة عام، وما بين السماء والسماء خمسمائة أخرى، ولك أن تُقدّرها، هذا فقط تنتهي به إلى الجنة دار السلام وفوقها عرش الرحمن عز وجل.

والعروج هو الطلوع، وعندنا الآن ما يسمى بالمعراج أو المصعد.

قال: [نزل جبريل عليه السلام فصلى بالرسول صلى الله عليه وسلم عند الكعبة، فعلمه كيفية الصلوات الخمس] صلى النبي صلى الله عليه وسلم بصلاة جبريل، فكان جبريل المُعلم [وبين له أوقاتها الاختيارية والضرورية] في اليوم الأول بدأ صلاة الصبح مع طلوع الفجر، واليوم الثاني قبل طلوع الشمس بنصف ساعة أو ساعة، وفي الظهر بدأ بها أول الزوال، ثم أخرها إلى قبيل العصر بربع ساعة مثلاً، المهم علمه أوقاتها الواسعة والضيقة، الضرورية والاختيارية.

[ولما هاجر إلى المدينة بعد ثلاث سنوات من فرض الصلوات الخمس] إذ فرضت في العاشرة [نزلت الرخصة بقصر الرباعية إلى ركعتين في السفر كما كانت ركعتين قبل الإسراء والمعراج، وهذا معنى قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في حديث البخاري : (إن الصلاة نزلت ركعتين ركعتين، فزيدت في الحضر وأقرت في السفر)] وهذا التأويل من أجمل ما يكون؛ لأن الظاهرية يبطلون صلاة الظهر أربعاً للمسافر، بحجة أنها نزلت هكذا.

فعندما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وبعد ثلاث سنوات من فرض الصلوات الخمس نزلت الرخصة بقصر الرباعية إلى ركعتين في السفر؛ لأن الجهاد والغزو بدأ [إذ نزلت الرخصة بقصر الرباعية على ركعتين في قول الله تعالى من سورة النساء: وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا [النساء:101]].

وصلى الله على نبينا محمد وآله وسلم .

لما أسري بالنبي صلى الله عليه وسلم ليلاً إلى المسجد الأقصى، ثم عرج به إلى السماء عندها فرضت عليه الصلاة، وبعدها نزل جبريل فصلى عند الكعبة إماماً والنبي صلى خلفه مأموماً ليعلمه كيفية الصلوات الخمس وأوقاتها الاختيارية والاضطرارية، وبعد أن هاجر صلى الله عليه وسلم إلى المدينة نزلت الرخصة بقصر الرباعية إلى ركعتين في السفر، أما فيما يتعلق بكيفية نداء المسلمين للصلاة فقد جمع النبي الصحابة وشاورهم في الأمر فاقترح بعضهم البوق وبعضهم الآخر اقترح الناقوس فكرههما النبي صلى الله عليه وسلم، ثم أرى الله أحد الصحابة صيغة الأذان، فأخبر بها النبي فأقرها، وأمر بلالاً أن يؤذن بها.

الصلاة والأذان

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.
أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، ثم أما بعد .
.
أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيتها المؤمنات المستمعات! إننا على سالف عهدنا في مثل هذه الليلة؛ ليلة السبت من يوم الجمعة ندرس كتاب هذا الحبيب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم يا محب، وقد انتهى بنا الدرس إلى مقطوعة تحت عنوان: [أحداث] جمع حدث، وهو الجلل العظيم، والتنكير للتعظيم [بعضها مفرح] للرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين والمؤمنات [وبعضها محزن] للجميع، وهذا شأن المؤمنين.
قال المؤلف غفر الله له ولكم ورحمه وإياكم وسائر المؤمنين: [ما زالت سنة هجرة الحبيب صلى الله عليه وسلم الأولى لم تكتمل] وقد هاجر من مكة بعد أن قام بها ثلاث عشرة سنة يدعو إلى الله، والعشر سنوات الأولى لم يفرض فيها ولم يشرع سوى التوحيد، ثم فرضت الصلوات الخمس ليلة الإسراء، فصلى في مكة هو والمؤمنون ثم تتابعت هجرتهم، وكان آخر من هاجر الحبيب صلى الله عليه وسلم، ولم تكتمل السنة الأولى من هجرته حتى وقعت بعض الأحداث [وهذه بعض تلك الأحداث والوقائع نذكرها تحت عناوينها].
الرخصة في قصر الرباعية في السفر

قال: [ولما هاجر إلى المدينة] المدينة النبوية [بعد ثلاث سنوات من فرض الصلوات الخمس نزلت الرخصة] نزلت من أين؟ من عند الله رب العالمين، بواسطة من؟ الإعلام الإلهي الخبي [بقصر الرباعية إلى ركعتين] قصر الصلاة الرباعية كالظهر والعصر والعشاء إلى ركعتين [في السفر، كما كانت ركعتين قبل الإسراء والمعراج] وتقدم لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قبل الإسراء والمعراج كان يصلي هو والمؤمنون ركعتين في الصباح وركعتين في المساء، ثم فرضت الصلوات الخمس وصلى جبريل بالرسول صلى الله عليه وسلم، وصلى الرسول بالمؤمنين فكانت الظهر والعصر والعشاء أربع ركعات، و الصبح ركعتان، والمغرب ثلاث.
[وهذا معنى قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في حديث البخاري] وهذا الحديث فهمه الظاهرية فهم خاص، فقالوا: الصلاة فرضت ركعتين ركعتين، ثم زيدت في الحضر، وبقيت ركعتين في السفر، فمن صلى أربعاً في السفر فصلاته باطلة.
قلنا لهم: تعالوا نتفاهم، ما هو بالهراوة! لما كانت الوفود تتوالى على أبي القاسم صلى الله عليه وسلم في السنة الثامنة والتاسعة بكاملها، هل صلى بهم ثم قال: أيها الناس! من كان منكم مسافراً فليسلم من ركعتين أو ليبق جالساً حتى نسلم نحن ويسلم معنا؟ لِم لم يفعل هذا؟! ومن فهم هذه قطع أعناق المتنطعين.

طيب.
وإذا صلى مع الإمام؟ قالوا: يبقى جالساً ولا يسلم حتى يسلم الإمام، وإن شاء سلَّم خدعة وقام يصلي نافلة معنا.
صورياً يعني.
ولم هذا التعصب كله؟! إن الصلاة فرضت أربع ركعات، نزل جبريل فصلى بالرسول صلى الله عليه وسلم وعلمه أوقاتها، ثم جاء المدينة، فرحمة من الله بالمؤمنين قصر الله الرباعية إلى ركعتين في السفر لا في الحضر.
فأم المؤمنين رضي الله عنها قالت [(إن الصلاة نزلت ركعتين ركعتين، فزيدت في الحضر وأقرت في السفر)] وهو دليل الظاهرية [إذ نزلت الرخصة بقصر الرباعية على ركعتين في قول الله تعالى من سورة النساء: وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا [النساء:101]] الآية.
نقول: أولاً: علمنا أن الصلوات الخمس ما فرضت إلا في السنة العاشرة، وفرضت في السماء لا في الأرض، ونزل جبريل فعلّم الرسول صلى الله عليه وسلم كيفية الصلاة، أوقاتها الضرورية والاختيارية، ثم هاجر الحبيب وهاجر من قبله المؤمنون وهم يصلون كما فرضت الصلاة، ثم رحمة بالمؤمنين قصر الله الرباعية إلى اثنتين وذلك في السفر، أما في الحضر فهي أربع كما كانت، والرباعية ثلاث صلوات فقط: الظهر والعصر والعشاء، فأم المؤمنين عندما قالت (إن الصلاة نزلت ركعتين ركعتين) تعني قبل المعراج، فإنهم كانوا يصلون ركعتين في الصباح وركعتين في المساء، لقول الله عز وجل: وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا [طه:130].
قالت: (ثم زيدت في الحضر وأقرت في السفر) والشبهة من هنا، قالت الظاهرية: الصلاة فرضت ركعتين، ثم زيدت في الحضر وبقيت في السفر ركعتين، وبناءً على هذا إذا صليت الرباعية وأنت مسافر فصلاتك باطلة، وإذا كنت مع إمام سلّم واخرج، وإن خفت أن يضربوك أو يتهموك فسلم في نفسك وقم وانو ركعتين نافلة.
المهم إياك أن تواصل صلاتك مع الإمام فتصلي أربعاً فتبطل صلاتك.
وهل قول عائشة أعظم من قول أبيها؟ أو أكبر من قول عمر و عثمان و علي والعشرة المبشرين بالجنة؟ هل هو أكبر من قول ابن عمر والصحابة؟ وإن قلت: كيف؟ قلنا: إن أئمة الإسلام الأربعة -الذين من خرج عنهم ضلّ- مجمعون على هذا، فكيف نخرج عنهم؟ أنحن أعلم؟ أنحن أكثر تقوى وخوفاً من الله؟ ما هو معقول! فهذا المخرج هو السليم، أنها نزلت ركعتين قبل المعراج بالوحي، فكان الحبيب صلى الله عليه وسلم يصلي مع الطائفة المؤمنة في مكة ركعتين في الصباح وركعتين وفي المساء؛ إذ فرض الله هذا في قوله: وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا [طه:130] والتسبيح هو الصلاة، فكلها تسبيح، ثم لما أسري به إلى الملكوت الأعلى وفرضت الصلوات الخمس نزل جبريل فعلمه كيف يصليها في أوقاتها الضرورية والاختيارية، فبقيت حضرية أربع ركعات، ولما أراد الله أن يرحم المؤمنين وقد بدأ الجهاد والسفر والتعب قال لهم -وقوله الحق-: وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا [النساء:101] والترخيص هنا واضح، فكيف نغفل عن هذا؟ ثم أقر النبي صلى الله عليه وسلم هذا القصر للمسافر ولو كان غير خائف من عدو، نظراً إلى مشقة السفر وحاجة المسافر إلى الوقت والراحة، كل هذا تفضل من الله وامتنان على المؤمنين، فقصرت الرباعية إلى ركعتين، وبقيت المغرب ثلاثة لأنها وتر النهار والله يحب الوتر.
مشاورة النبي للصحابة في كيفية دعوة الناس للصلاة

قال: [هذه هي الصلاة، أما الأذان؛ فإنه بعد أن استقر الحبيب صلى الله عليه وسلم بالمدينة وبنى مسجده فيها وأصبح المسلمون يجتمعون فيه للصلاة، وكانوا يأتون وقت الصلاة بدون إعلام] ليس هناك من يعلمهم بدخول وقت الصلاة، ولكنهم عرفوا الأوقات الاختيارية والضرورية بطلوع الفجر، وبزوال الشمس، وبغروبها [فيصلون وينصرفون] واستمروا على ذلك فترة من الزمن [ويأتون في الوقت التالي للأول وهكذا، ثم رأى الرسول صلى الله عليه وسلم] باجتهاد منه [أنه ينبغي أن يكون هناك ما يعلم به المسلمون دخول وقت الصلاة وقرب إقامتها] لأنه مسئول، ففكر كيف يحل هذه المشكلة، فلا بد من شيء يعلم به المسلمون دخول وقت الصلاة ووقت إقامتها .
.

[فاستشار أصحابه] جمع أصحابه واستشارهم: ما هو الحل يا أصحابي؟ أيها المؤمنون! ما هو الحل؟ وهذه صورة ديمقراطية، ووالله الذي لا إله إلا هو! ما عرفت أمة على وجه الأرض العدالة الاجتماعية كما عرفتها أمة محمد صلى الله عليه وسلم، لو عملت بشريعتها وقوانينها.
ثم يأتي الملاحدة والعلمانيون والهابطون ليقولوا: الإسلام ليس فيه ديمقراطية ولا شورى ولا عدالة .
.
وقد لا نلومهم كثيراً؛ لأنهم رأونا ملتصقين بالأرض هابطين، وأبوا أن ينظروا إلينا أيام كنا في عنان السماء وهم كالبهائم على الأرض، نسوا ذلك وغطوه، ورأونا على الوضعية التي هم السبب فيها، فهم الذين صرفونا عن روح الحياة، والحياة في هذه الحياة، ثم أخذوا يتبجحون: الديمقراطية!! ها هو الحبيب صلى الله عليه وسلم في قضية كهذه -وهو رسول الله- يستشير المؤمنين يقول: ما هي العلامة التي يعرف بها إخوانكم الصلاة إذا حضرت؟ والله عز وجل أمره بذلك، قال عز من قائل: وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ [آل عمران:159]، وهل يوجد سلطان أو حاكم يستبد بأي موضوع وحده؟ ليس بمعقول، وأنا لا أعقل هذا، فلا بد من جماعة يستشيرها، فإن كانوا هابطين مثله هلك الكل، وإن كانوا سامين وعالين فإنهم يرشدونه ويعلمونه، أما أن يقود شخص أمة ويستبد فيها بعقله فلا يقدر أبداً، فلا بد حوله من رجال يختارهم، فإن كانوا صالحين ساعدوه على صلاحه، وإن كانوا هابطين دمروه، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (ما من نبي ولا خليفة إلا جعل الله له بطانتين: بطانة تأمره بالخير وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالسوء وتحضه عليه) والمحفوظ والمعصوم من عصمه الله.
قال: [فأشاروا عليه بالبوق] والبوق له صوت قوي [فكرهه] ما قبل هذا، لم يا رسول الله؟ [لاستعمال اليهود له] فاليهود يستعملونه في بيعهم، ويدعون به بعضهم بعضاً، فهل نكون مثلهم؟ لا بد من استقلال [وأشاروا بالناقوس فكرهه أيضاً] لم يا رسول الله؟ [لاستعمال النصارى له] فالنصارى يستعملونه، فهل نرضى أن نكون تابعين للنصارى؟ لا يحل هذا أبداً [وانصرفوا ولم يتفقوا على شيء] ما فتح الله بعد.
وهنا بالمناسبة -ونحن ندعو إلى الله ونريد هداية هذه الأمة وسموها-: اليهود والنصارى وهم أهل كتاب أسمى وأعلى من المشركين والمجوس والبلاشفة والملاحدة لم يرض الرسول صلى الله عليه وسلم أن يتشبه بهم.
ما السر يا هذا؟ وما هي العلة؟ وما هي الحكمة؟ أقول: العلة أننا أئمة الدنيا وقادة البشرية وهداة الإنسانية إلى كمالها وسعادتها، فهل يكون القائد الرائد السائد الهادي مثل من يهديهم ويسودهم ويقودهم؟ كيف يتفضل إذاً؟ كيف يتابع؟ كيف يُمشى وراءه؟ كيف تقبل كلمته؟ نحن قوم شرح الله صدورنا ونور قلوبنا وأنزل علينا وحيه وشرائعه وقوانينه لهداية البشرية، فنحن حاملوها والداعون إليها وقد اهتدينا بها وصلحنا عليها.
إذاً: يجب أن نتميز عن الأمم حتى ترانا فتعشق صورنا وهدايتنا، وتقبل الإسلام وتدخل فيه، أما إذا كنا مثلهم فكيف يتقبلون؟ وأذكر لكم حادثة شاهدناها: فرنسي امتن على بعض المسلمين وهم مستعمرون، قال: نحن مستعمرون لكم ومع هذا نسمح للمواطن أن يتزيا بزينا، يقصد البرنيطة والكرفتة، وما شابه ..بل نفرح بهذا، وأنتم عمر حققكم كان إذا رأى الذمي يلبس لباس المسلمين يؤدبه ويلزمه بلباس خاص أو ما يميزه في مظهره، فاندهش المسلم وقال: يا مسيو! عمر كان في وقت المسلمون كلهم عسكر -ووالله العظيم! كلهم جند الله- والجهاد فرض عين، فلما كان الذميون من إخوانكم لا يسمح لهم أن يقاتلوا -ممنوع على الكتابي أن يجاهد مع المسلمين- والمسلمون عسكريون كان لهم لباسهم الخاص، فهل تسمح فرنسا للمواطنين أن يلبسوا لباس القبطان أو الجنرال أو العسكر؟! من يفعل ذلك يسجن أربع سنوات؛ لأن المدني شيء والعسكري شيء آخر.
فقطع حجته ولسانه! والسر الأول هو الحقيقة، فهذه الأمة مربية، هادية، مصلحة، إمام للبشرية، يجب أن تمتاز حتى تتبعها الشعوب والأمم وترغب في كمالها وسعادتها، أما أن تنزل، فيصبح الفرنسي كالمسلم والبريطاني كالمؤمن فلا يصلح هذا أبداً، ومن أيام بدأت الأمم المتحدة والدنيا ونحن نقول: يا جماعة! يجب أن يكون المسلم بطربوشه وعمامته وثيابه ..في الأمم المتحدة، لا يكن في القاعة ألف ممثل، وممثلو الدول الإسلامية منهم كاليهود والنصارى، حرام هذا، لا يجوز! فإذا كنت بعمامتك أو طربوشك أو مشلحك ودخل شخص عرف أنك مسلم! وسأل عن معنى المسلم؟ قلت له: تعال عندنا في الفندق نعلمك.
فينشرون دعوة الله بوجوههم، ولباسهم، فعندما يجلس المسلمون في الأمم المتحدة وفي المؤتمرات والمناقشات يجب أن يكونوا متميزين في هيئتهم على باقي الدول الكافرة؛ ولهذا كان الحكيم صلى الله عليه وسلم يعي ما يقول ويعرف ما يقرر ويشرع: (من تشبه بقوم فهو منهم).

فعندما عُرض عليه البوق لم يقبله، لم؟ حتى لا نتشبه باليهود، ثم لما عرض عليه الناقوس رفضه، حتى لا نتشبه بالنصارى.
وإلا أصبحت دعوتنا واحدة! وأزيد المحنة محنة: كاتب في السعودية في جريدة الشرق الأوسط غلط غلطاً فاحشاً، يقول: من يقول إن هذه المليارات كلها تدخل النار؛ لأنهم لم يدخلوا في الإسلام، وهذا فهم هابط ليس بصحيح، ويستشهد بالآيات القرآنية!! وأنا لو كنت حاكماً لاستدعيته واستتبته، إما أن يتوب وإما أن يقتل، هذا فرج الهم عن اليهود والنصارى، فقال: أنتم بخير، أنتم مؤمنون، ويستشهد بقوله عز وجل: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ [البقرة:62] فكلهم في الجنة، يقول: كيف هذه المليارات من البشر كلها تحرق بالنار؟ حاشا الله أن يفعل هذا، ربنا رءوف رحيم - في مقال طويل عريض- ليس بلازم أن يدخلوا في الإسلام وإلا ما دخلوا الجنة، وعمي عن قول الله تعالى: وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ [آل عمران:85].
لقد عرفنا وعلمنا أن الذين يسكنون الملكوت الأعلى يواكبون النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، فهم أصحاب الأرواح الطاهرة، والنفوس الزكية، وهذه النفوس والله لا تزكو على يهودية ولا نصرانية ولا بوذية ولا مجوسية ولا على أي ملة من الملل إلا على الإسلام فقط، فهذه العبادات كما شرعها ربها وربنا ورب العالمين، وكما بينها رسوله محمد صلى الله عليه وسلم إذا العبد عملها زكت نفسه، وبغيرها لو عبد الله بهواه، وببدعه ما زكى أبداً، وحصل على جرام واحد من الحسنات، ولو صعد إلى الجبل وهبط خمسين مرة في اليوم والليلة.
وليس معناه أننا نُكرِه الناس على الإسلام لأنه ديننا، لا، فهذا فهم باطل سيئ، بل ندعو الناس إلى الإسلام؛ لأن أرواحهم لا تطيب ولا تطهر إلا على هذه القوانين الإلهية، وإذا قلت: أنا مسلم وابن مسلم وأمي مسلمة، وأنت لا تستعمل هذه الأدوات للتزكية فلن تزكو نفسك، ووالله لا تدخل الجنة ولو كنت ابن النبي أو أباه، وليست القضية قضية أوهام وشطحات، يقول الله عز وجل: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا [الشمس:9-10] هل تريد أن تعيش مع الملائكة وروحك كروح البهائم؟ مستحيل هذا! ويا ليتنا نعرف من كتب هذا، وهو في نفس الوقت يرد على من قال: إنه لا دين اليوم إلا الإسلام، إما أن تدخل فيه وإلا فأنت شقي، وكيف تقبل الجريدة هذا الكلام وتنشره؟ وهذا العجب الآخر! إنه جريدة الشرق الأوسط أو الشرق الأهبط -أحسن-.

رؤيا عبد الله بن زيد في صيغة الأذان

قال: [فنام عبد الله بن زيد الأنصاري الخزرجي] رضي الله عنه بعد أن خرجوا من المجلس مهمومين لم يتفقوا على شيء [فرأى] هذا العبد المؤمن عبد الله بن زيد الأنصاري الخزرجي [أن رجلاً عليه ثوبان أخضران يحمل ناقوساً في يده] في المنام في تلك الليلة [فقلت له: يا عبد الله! أتبيع هذا الناقوس؟] حتى نستعمله نحن في المسجد [فقال: وما تصنع به؟ قلت: ندعو به إلى الصلاة.
قال: ألا أدلك على خير من ذلك؟ قلت: وما هو؟ قال تقول: الله أكبر، الله أكبر.
أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله.
أشهد أن محمداً رسول الله، أشهد أن محمداً رسول الله.
حي على الصلاة، حي على الصلاة.
حي على الفلاح، حي على الفلاح.
الله أكبر، الله أكبر.
لا إله إلا الله.
فأخبرها الرسول صلى الله عليه وسلم فقال: (إنها رؤيا حق إن شاء الله، فقم مع بلال فألقها عليه فإنه أندى صوتاً منك)] يعني: صوته رقيق وندي يتغلغل في الجو ليس بخشن.
[فلما أذن بها بلال سمعه عمر بن الخطاب رضي الله عنه -وهو في بيته- فخرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يجر رداءه ويقول: (يا نبي الله! والذي بعثك بالحق! لقد رأيت مثل هذا الذي رأى)] أي: عبد الله بن زيد، فتوافقت الرؤيتان [فقال الحبيب صلى الله عليه وسلم: (فلله الحمد)] لم يقل: فالحمد لله، ولكن حصر الحمد لله وحده، فليس هناك من هو أهل لأن يحمد غيره، فلله خاصة الحمد، وانظر كيف اجتمعوا وما استطاعوا أن يفعلوا شيئاً، والله عز وجل أعطى من شاء من يعطي فلمن الحمد إذاً؟ لله وحده، فلله الحمد.

قال: [وزاد بلال في أذان الفجر: (الصلاة خير من النوم) فأُقر عليها] وهذه فيها خلاف، فمالك في موطئه- وهو من أهل المدينة وأئمتها- قال: إن (الصلاة خير من النوم) زادها بلال على عهد عمر؛ عندما تأخر عمر ولم يحضر ليصلي بالمؤمنين وهو إمامهم، فوقف عندها بلال وقال: الصلاة خير من النوم يا أمير المؤمنين! فاستحسنها عمر فقال: اجعلها في أذانك يا بلال ! ومنهم من يرى غير هذا الرأي، فيقول: إن بلالاً إما علمه الرسول صلى الله عليه وسلم إياها وإما قالها؛ المهم عندنا أنها ثبتت للفصل بين أذان تصلى فيه الصلوات، وبين أذان يؤكل فيه، أو يتسحر المتسحرون.
وقد أحدث هذا ارتباكاً عظيماً، وحادثة جهيمان غفر الله لنا وله من عوامل هذه، قوم درسوا السُنة بدون مشايخ؛ إذ مشايخ السنة ماتوا من قرون، فقالوا: لا يجوز أن يقال: الصلاة خير من النوم في الأذان الثاني، فهذه تقال: في الأذان الأول، وبدأت الفتنة، وكانت هذه الدعوة مسندة إليّ عن طريق سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز ، بعد ما طلبوا منه أن أكون الأمير في المدينة؛ فألحوا علي فقبلت إرضاءً لسماحة الشيخ، وإلا أنا لست أهلاً لهذا، وقد قلت لهم: أنا في الجامعة الليل والنهار وفي المسجد ليس عندي وقت.
ولما بدأت الفتنة كانوا يؤذنون في حي الحارة الشرقية، فقلت: أمشي وأسمع الأذان بنفسي، فجلست في السطح أنتظر، فلما أذنوا أبوا أن يقولوا: الصلاة خير من النوم في الأذان الأخير؛ فقلت لأحد الطلبة: قم أذن وقل: الصلاة خير من النوم؛ لأن أهل الحي يرتبكون، فإذا كان هناك امرأة -مثلاً- تريد أن تصوم -عازمة على أن تقضي أيام حيضها- وسمعت: الصلاة خير من النوم تقول: قد طلع الفجر، فلا تصوم.
المهم: ارتباك كبير لهذه القضية التي أصلها أن بلالاً هو الذي قال لـعمر : الصلاة خير من النوم عند باب بيته؛ ليوقظه فقط، وأنها ليست من الدين في شيء، وليس فيها كلام عن الله ولا عن رسوله صلى الله عليه وسلم، وإنما هي علامة فاصلة فقط بين وقتين، وما زال الصراع إلى الآن أيضاً في بلاد المسلمين مع طلبة العلم، وما زالوا يصرون أن تكون في الأذان الأول.
وقد قلنا لهم: يا جماعة! إذا عرفوا في بلدك هذا الفاصل فلا يجوز تغييره، حرام أن تحدثوا بلبلة بين المسلمين، فالصلاة خير من النوم -فقط- لتفرق بين أذان يأكل فيه الإنسان ويشرب ويتسحر، وبين أذان يصلى فيه صلاة الصبح، فأبوا أن يفهموا.
إن موطأ مالك أصح كتاب بعد كتاب الله عز وجل، يقول فيه: إن بلالاً لما تأخر عمر وقف عند بابه ووعظه وقال له: الصلاة خير من النوم؛ فأعجبت عمر وقال: اجعلها إذن في أذانك يا بلال ! أي محنة في هذه؟! هذه أحدثت بلابل وأسالت الدماء، وهذا كله عن عدم البصيرة.
والرسول صلى الله عليه وسلم كان عنده علمان، بلال يؤذن أول الليل، يقول صلى الله عليه وسلم: (كلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم) الأعمى! فلم تكن الصلاة خير من النوم هي الفاصلة، وإنما جعل أذانين بصوتين مختلفين، فصوت بلال معروف عند أهل القرية، وصوت ابن أم مكتوم معروف أيضاً، وابن أم مكتوم لا يؤذن حتى يقال له: أذن فقد طلع الفجر؛ لأنه أعمى، فالصلاة خير من النوم علامة فاصلة فارقة بين أذان السحور وأذان صلاة الصبح، فإذا اعتادها أهل بلاد أو أهل قرية في أحد الأذانين حرام أن يستبدلها شخص، فيشوش على الناس ويهلكهم؛ لأنهم ألفوا على أنها تقال عند طلوع الفجر، أو تقال في وقت ما زال الفجر لم يطلع بعد.
قال: [وعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالاً الإقامة، فقال له: (وإذا أقمت للصلاة تقول: الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله، حي على الصلاة، حي على الفلاح، قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة، الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله)] هذا تعليم رسول الله، والرسول صلى الله عليه وسلم أخذ الإقامة من الأذان، وزاد فيها: قد قامت الصلاة، قد قامت الصلاة.

فرض الصلاة وبيان أوقاتها الاختيارية والضرورية

قال: [الصلاة والأذان: من المعلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان قبل الإسراء والمعراج يصلي هو والمؤمنون معه ركعتين في الصباح وركعتين في المساء، وذلك لقوله تعالى في خطاب النبي صلى الله عليه وسلم: فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ [غافر:55]] والصلاة تسبيح، وبالإبكار: في الصباح [ولما أسري به صلى الله عليه وسلم] ليلاً [إلى بيت المقدس وعرج به إلى الملكوت الأعلى] والملكوت بمعنى: الملك

العظيم، والملك العظيم فوق السماوات السبع [فرض الله تعالى عليه وعلى أمته الصلوات الخمس] خمس صلوات في اليوم والليلة معروفة عند عامة المؤمنين والمؤمنات [نزل جبريل عليه السلام فصلى بالرسول صلى الله عليه وسلم] إماماً [عند الكعبة] جبريل إمام والرسول مؤتم به؛ ليعلمه كيفية الصلاة ويعلمه أوقاتها [فعلمه كيفية الصلوات الخمس، وبين له أوقاتها الاختيارية والضرورية] وأول الوقت وقت اختياري، وآخر الوقت وقت ضروري.
هذا بإيجاز.
فالصبح وقتها الاختياري من طلوع الفجر الذي ينبلج فيه الضوء شرقاً وغرباً، ويستمر الوقت اختيارياً إلى الإسفار، فإذا ظهر في الأفق شق صفرة دخل الوقت الاضطراري، بمعنى: أنه لا تؤخر صلاة الصبح إلى الإسفار إلا من ضرورة، هذا معنى الضروري، والاختياري واسع: صلِّ متى شئت فيه، أما الاضطراري فمعناه: أنه لا تؤخر الصلاة فيه إلا من ضرورة قصوى أجبرتك على أن تؤخر الصلاة.
مثلاً: الظهر يبدأ وقتها من زوال الشمس عن كبد السماء واندحاضها مائلة إلى الغرب، ويستمر الوقت الاختياري إلى قبل العصر بحوالي ربع ساعة، والعصر من زيادة الظل مثليه إلى قبل الإسفار، وقبل الإسفار هذا وقت ضروري ما تؤخر فيه الصلاة إلا لضرورة، والمغرب وقتها متصل بالعشاء -وقتها الاختياري- فلهذا تعجل ولا تؤخر؛ لأن الوقت ما بين المغرب والعشاء ضيق يصل إلى ساعة وربع، والعشاء وقتها الاختياري إلى نصف الليل، وبعد نصف الليل وقت اضطراري، فلا تؤخر إلا من ضرورة.
هذا معنى الاختياري: أنك مخير فيه متى تصلي، والاضطراري لا تؤخر الصلاة فيه إلا لحاجة ضرورية.

نتائج وعبر من تشريع الصلاة والأذان

قال: [نتائج وعبر] من هذه المقطوعة الشريفة.
[إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبراً نوردها إزاء الأرقام التالية: أولاً: تقرير أن الصلاة كانت قبل الإسراء والمعراج عبارة عن ركعتين في أول النهار وركعتين في آخره، ثم فرضت كما هي الآن، الظهر أربع ركعات، والعصر أربع ركعات، و المغرب ثلاث والعشاء أربع، والصبح ركعتان ثم قصرت (رخصة) الرباعية إلى ركعتين في السفر سواء كان مع السفر خوف أو لم يكن.
ثانياً: رؤيا المؤمن صالحة وتحمل البشرى له ولمن رئيت له قطعاً.
ثالثاً: بيان صيغة الأذان والإقامة وفضل عبد الله بن زيد و عمر بن الخطاب رضي الله عنهما؛ لرؤياهما الأذان في المنام.
رابعاً: مشروعية مخالفة اليهود والنصارى] في كل شيء إلا ما لا بد منه.
[خامساً: بيان أن المؤذن ذا الصوت الندي أولى بالأذان من غيره.
سادساً: بيان فضل بلال وأنه أول مؤذن في الإسلام] أول من أذن في الإسلام بلال .
أما عمر فقال: لولا أعباء الخلافة لكنت مؤذناً.
وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

كانت السنة الأولى من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم مليئة بالأحداث، وكان منها المحزن ومنها المفرح، فمن الأحداث المحزنة وفاة كلثوم بن الهدم مضيف رسول الله أثناء إقامته بقباء، ووفاة أسعد بن زرارة أحد النقباء وأول من بايع النبي في العقبة الثانية، ومن الأحداث المفرحة ولادة عبد الله بن الزبير أول مولود للمسلمين بعد الهجرة، وبناء النبي صلى الله عليه وسلم بعائشة بنت الصديق رضي الله عنهما.

وفاة كلثوم بن الهدم وأسعد بن زرارة رضي الله عنهما

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.
أما بعد: فقد انتهى بنا الدرس إلى أحداث بعضها مفرح، وبعضها محزن، وعرفنا أول حدث وها نحن مع الحدث الثاني.
قال: [وفاة كلثوم بن الهدم] موت الصاحب الكريم، الذي أضاف رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنزله في بيته يوم نزل بقباء مهاجراً [وأسعد بن زرارة رضي الله عنهما] وهما علمان من أعلام الدعوة الإسلامية.
قال: [ومن أحداث هذه السنة المؤلمة المحزنة وفاة كلثوم بن الهدم ، الرجل الذي أسلم قبل مقدم الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، ولما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجراً من مكة إلى قباء نزل في منزله، فشرفه الله تعالى بنزول صفيه وخيرته من خلقه في منزله، ولم يلبث كلثوم بن الهدم إلا قليلاً، -وكان رجلاً مسناً- حتى مات، فإلى رحمة الله ورضوانه ابن الهدم] وقد يقول قائل: ليس بحدث هذا! لكن لو كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لعرف قيمة ذلك.
[ومات بعد كلثوم : أبو أمامة أسعد بن زرارة أحد النقباء، وهو أول من بايع الرسول صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة الثانية] التي كان لها أثر وصدى عظيم [وكانت وفاته بسبب ذبحة صدرية] عافانا الله وإياكم من الذبحات والذبح! لأن المسلمون الآن يذبح بعضهم بعضاً [ولما مات أبو أمامة أسعد بن زرارة قال اليهود والمنافقون: لو كان محمد نبياً لما مات صاحبه!] وهذا كلام عجائز! واليهود يهبطون أحياناً ويصبحون كالأطفال [فسمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (إني لا أملك لنفسي ولا لصاحبي من الله شيئاً)] فأسكتهم وألقمهم الحجر.
[وطلب بنو النجار من النبي صلى الله عليه وسلم -بعد أن مات أبو أمامة نقيبهم- أن يقيم لهم نقيباً آخر] لما مات نقيب بني النجار طلبوا من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يعين لهم نقيباً ويسميه ليتولاهم [فقال لهم: (أنتم أخوالي وأنا بما فيكم وأنا نقيبكم)] لأن تعيين رؤساء ونقباء تفرقة للأمة، فالنقباء يكونون في الجيش، أما في داخل البلد فكيف يعين نقباء؟! معناه: تفرقة!.
فأعطاهم خيراً مما طلبوا.
[فكانت هذه منقبة لبني النجار يعتدون بها على قومهم] كيف وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم أنا نقيبكم [وترك النبي صلى الله عليه وسلم تعيين أحد منهم كراهية أن يفضل بعضهم على بعض، فخصهم بفضيلة عامة لهم جميعاً، وهي كونه صلى الله عليه وسلم نقيباً لهم، وهذا من الحكمة المحمدية والرشد والنضج السياسي.
اللهم صلِّ على محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً].

نتائج وعبر من مقطوعة (وفاة كلثوم بن الهدم وأسعد بن زرارة)

قال: [نتائج وعبر: أولاً: موت فضلاء الرجال يعد رزية تؤلم المؤمنين وتحزنهم] إي والله! موت فضلاء الرجال وعظمائهم يعد رزية ترزأ بها الأمة وتؤلم المؤمنين وتحزنهم[ثانياً: بيان أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يملك لنفسه

ولا لغيره نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله تعالى] كيف وقد أمره الله تعالى أن يقول: قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ [الأعراف:188] فهو عبد الله ورسوله [ثالثاً: تجلي مظاهر الرشد والحكمة والسياسة المحمدية التي لا يجارى فيها أبداً] والله لا يجاريه مخلوق في الحرب أو في السلم، في المال أو في الاقتصاد أو في الآداب ..
وفي كل شئون الحياة؛ لأنه يتلقى معارفه من الله، خالق الخلق ومدبر الكون والحياة، وواهب العلم لأهله، فكيف إذاً يجارى في ميدان من ميادين الحياة؟! فلهذا إذا بلغك قوله أو أمره أو تشريعه فأذعن وسلم فإنك على حق ولم تخطئ!

أول مولود للمهاجرين بالمدينة

قال: [أول مولود للمهاجرين بالمدينة] من الأحداث المفرحة: أول مولود للمهاجرين بالمدينة [ومن أحداث هذه السنة الأولى من هجرة الحبيب صلى الله عليه وسلم المفرحة: ولادة عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما] وهو ابن أسماء بنت أبي بكر الصديق [فقد جاءت أسماء إلى المدينة مهاجرة ضمن أسرة الصديق] وهي التي تلقب بذات النطاقين ، وسبب ذلك أنه لما عزم الرسول صلى الله عليه وسلم على الهجرة -أي: جاء الأمر من السماء- كان الصديق يقول: الصحبة الصحبة يا رسول الله! فلما جاء الأمر دخل عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم في وقت ما كان يزورهم فيه، وأخذت أسماء تعدّ الزاد لرسول الله وأبيها، وأرادت أن تلصقه بالراحلة فما وجدت حبلاً، فقسمت نطاقها -حزامها- نصفين، فربطت بنصفه والنصف الباقي احتزمت به؛ فلقبت بذات النطاقين .
وفي الجنة تسألون عنها بذات النطاقين رضي الله عنها، وهي أخت الصديقة عائشة رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم.
قال: [وهي متم] والمتم: هي التي تلد قريباً، سواء كانت شاة أو بقرة أو امرأة، فالمتم: هي التي قاربت ولادتها [فما إن نزلت بقباء حتى وضعت عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما، فجاءت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة، فحنكه بأن أخذ تمرة ومضغها ثم أدخلها في فم الطفل] أبت أن ترضعه اللباء، وجاءت به إلى النبي صلى الله عليه وسلم من مسافة ثلاثة كيلو تقريباً وهي تمشي، فلا يوجد سيارات، وقدمت الطفل بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم، فأخذ تمرة من تمر المدينة المبارك، فمضغها حتى أصبحت كالحرير ثم أدخلها في فم عبد الله ؛ ففاز عبد الله بالذكاء والدهاء والعلم والصبر، لا إله إلا الله! وهذا التحنيك كان الحبيب صلى الله عليه وسلم يقوم به، فهل منا الآن من يحنك؟! لا.
نأكل ونشرب كالبهائم، وأعمالنا في الشهوات والأهواء! ولو نجد عبد العزيز بن باز ويقبل، فهذا يرجى منه؛ لأنه عاش عمره كاملاً في عبادة الله وطاعته.
قال: [فكان أول شيء دخل جوفه هو ريقه رسول الله صلى الله عليه وسلم] أول شيء دخل بطن عبد الله بن الزبير ريقة الحبيب صلى الله عليه وسلم، وهي ريقة طيبة، ووالله إن بوله -أيضاً- طيب! ليس ريقه فقط، كان إذا بصق في السفر أو الحضر لا يسقط بصاقه على الأرض! حتى يتلقفونه ويتدلكون به! أما بوله عليه الصلاة والسلام فقد كان عليه الصلاة والسلام في الشتاء يتبول في إناء -قدح- تحت السرير، فعطشت أم أيمن واسمها بركة -مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم- فالتمست ماء فوجدت القدح فيه ماء كثير، فشربته كاملاً، وما شعرت أبداً بشيء، فلما استيقظ -فداه أبي وأمي! والعالم أجمع- وأراد أن يريق ذلك البول كعادته لم يجده، فقال: يا أم أيمن ! أين ما كان في القدح؟ فقالت: شربته.
فقال: (صحة يا أم أيمن !) فوالله ما مرضت من بطنها حتى ماتت! فلهذا أهل المغرب يقولون: صحة، وما عرفوا معناها؟ فإذا شرب أحدهم قال: صحة، وإذا أكل قال: صحة، ونحن نقول: هنيئاً، وهذه حق أهل الجنة.
إذاً: هذه كلمة رسول الله صلى الله عليه وسلم: صحة! قال: [ودعا له بالبركة] حنكه ودعا له بالبركة، فهنيئاً لك يا عبد الله ، و الزبير أبوه ابن عمة النبي صلى الله عليه وسلم وحواريه [وكبّر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرحاً بهذا المولود] كبروا ولم يصفقوا! فلم لا زلنا نصفق؟ هل أعلنا الخروج عن هدي الرسول صلى الله عليه وسلم؟ لو تعلمنا وعلمنا والله لا نصفق: (إنما التصفيق للنساء، والتسبيح للرجال).

وأظن ما زالوا إلى الآن في اللقاءات العظيمة والاحتفالات يصفقون، وأحياناً يهيجون هيجاناً! وقد حضرنا مؤتمراً منذ عشرين سنة، فقام الزعيم يخطب، فشنف الآذان وحرك القلوب بالهراء! كلام -والله- ما أنبت بصلة! إلا البلاء والخراب، وإذا بالحاضرين يصفقون هيجاناً: طق.

.

طق! وأنا وزميلاي نتساءل: لم هؤلاء يصفقون؟! وهما مدرسان في المسجد النبوي الشيخ عمر محمد والشيخ عبد المحسن عباد ، وقلنا لهم: هذا من عادة النساء وليس من عادة الرجال! فالتصفيق للنساء، هكذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم.

التسبيح للرجال، ولو قلتم: الله أكبر لتحرك الكون! أما أن تصفقوا فهذه عادة من عادات الغرب، سقيناها وشربناها وتاب الله علينا منها! ولِم كبر الصحابة؟ لمجرد أن دعا الرسول صلى الله عليه وسلم بالبركة لهذا الغلام المهاجر الجديد، فقالوا: الله أكبر! وكلمة الله أكبر تعدل الدنيا وما فيها! [الذي كان أول مولود يولد للمهاجرين في الإسلام، كما كان النعمان بن بشير أول مولود ولد في الإسلام للأنصار] المهاجرون لهم عبد الله، والأنصار لهم النعمان بن بشير [وبذا أخرس الله ألسنة اليهود] وقطعها [إذ ادعوا أن المسلمين قد سحروا، فلذا لم يولد لهم؛ فأكذبهم الله في دعواهم بولادة عبد الله بن الزبير وولادة النعمان بن بشير الأنصاري رضي الله عنهم أجمعين] لما لم يولد للمهاجرين مولوداً وقد جاءوا رجالاً ونساء كثر، قال اليهود: سحروا فلا يولد لهم أبداً؛ لأن اليهود يستعملون السحر، وهي مهنتهم التي لا يفوقهم فيها جيل ولا قبيل من الناس، ولم يقولوا: سحرناهم! بل قالوا: سحروا فلا يولد لهم، فأكذبهم الله عز وجل وأخزاهم بولادة النعمان بن بشير للأنصار وبـعبد الله بن الزبير للمهاجرين، فالحمد لله!

نتائج وعبر من مقطوعة: (أول مولود للمهاجرين بالمدينة)

قال: [نتائج وعبر: إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة] ومعنى عطرة: ريحها طيب [نتائج وعبراً نذكرها فيما يأتي: أولاً: بيان أن اليهود من دأبهم ترويج الشائعات الباطلة والمغرضة] وإلى اليوم! إلى الآن يروجون الشائعات والأباطيل.

والإعلام أكثره في أيديهم، وهو بكامله مسخر لهم.

[ثانياً: تقرير أن اليهود يتعاطون السحر وهم أعلم به من غيرهم] ولهذا قلت أنا: أشك أن يكونوا قد سحروا العرب! يعني خواص العرب، وإلا كيف يطأطئون رءوسهم ويسكتون، وهم في استطاعتهم في أربع وعشرين ساعة -والله- أن لا يبقوا يهودياً في فلسطين، فمن الجائز أن يكونوا مسحورين؛ لأننا نعيش مع اليهود في العالم بأسره، في الحفلات واللقاءات والمنظمات، فإذا وضعت قطرة في كأس من الشاي أو القهوة يصبح الرجل يحبهم أو على الأقل لا يسبهم! إنهم أمكر أهل الأرض، لعنهم الله وغضب عليهم! وأنا لا أتشفى فوالله لقد غضب الله عليهم! أما قال تعالى: اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ [الفاتحة:6-7]؟ فسرها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (اليهود)؛ ولم غضب الله عليهم؟ أليسوا أبناء الأنبياء وأولاد المرسلين؟! أليسوا أبناء يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم؟! والله نعم! أتدرون لم غضب الله عليهم؟ لأنهم استحلوا محارم الله! وأشاعوا الربا! ولبس نساؤهم الكعب العالي! هل تعرفون الكعب العالي؟ لولا التشنيع عليه لكان الآن في الأسواق، لكننا -والحمد لله- شنعنا فما بقي كعب عالٍ.

هذا الكعب العالي تلبسه المرأة وتصبح تتمايل! فلا تستقيم في مشيتها، وهو من اليهود، فلما خرجوا عن طاعة الله وقتلوا الأنبياء والعلماء، وأفسدوا في الأرض؛ غضب الله عليهم غضبة لا تزال إلى جهنم، إلا من تاب منهم وأناب إلى الله، ونحن -والله- لولا رحمة الله وشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم كنا أصبنا بما أصيب به اليهود؛ إذ ما سلكوه في الحياة سلكناه بكامله وزدنا عليهم، والواقع شاهد! لكن حمى الله الأمة ببركة نبيها، فلا يُسلط عليها المسخ ولا الدمار ولا الخسف.

[ثالثاً: فضيلة أسماء بنت الصديق وولدها عبد الله بتحنيك رسول الله صلى الله عليه وسلم له] هذه فضيلة عظيمة! كون رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل ولدها ويحنكه، ويدخل ريقته في فمه، ووالله ما أسعد منه.

[رابعاً: جواز الفرح بفضل الله والتكبير عند حصول النعمة ورؤية الخير] وكان الحبيب صلى الله عليه وسلم إذا بشر بخير يخر ساجداً.

فإذا بشرت بتلفون أو بخطاب أو أُبلغت خبراً طيباً فقل: الله أكبر! وخر ساجداً، وهذه تسمى سجدة الشكر، ولا يعرفها بين المؤمنين أكثر من واحد في الألف! والذين يعرفونها ولا واحد في الألف يفعلها إلا ما ندر! لأننا هبطنا! كنا في علياء السماء علماً ومعرفة وكمالاً، ونزلنا إلى الأرض، وأهل الأرض لا يستطيعون أن يتفوقوا بهذه.
[خامساً: معرفة أول مولود ولد في الإسلام للمهاجرين والأنصار، وهما عبد الله و النعمان] عبد الله المهاجر والنعمان الأنصاري المدني .

بناء النبي صلى الله عليه وسلم بأحب نسائه إليه

قال: [بناء النبي صلى الله عليه وسلم بأحب نسائه إليه] وهذه من الأحداث المفرحة! بناء النبي صلى الله عليه وسلم بأحب نسائه إليه، وهي عائشة الصديقة! حب رسول الله صلى الله عليه وسلم! بنت أبي بكر الصديق ! ورغم ذلك يوجد بينكم من يلعنها! وامصيبتاه! أين يُذهب بعقول البشر؟! أتشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتعلم الكفر والباطل وتلقنه، ثم تعيش عليه ولا تسأل؟! ويتهمونها بالفاحشة!! واسمحوا لي إذا قلت: اليهود لا يقدمون على هذا! -والله العظيم!- يتحاشون بيوت النبوة، ونحن لما هبطنا كانت هذه حالنا! قال: [ومن أحداث هذه السنة الأولى للهجرة النبوية [المفرحة: بناء النبي صلى الله عليه وسلم بزوجه عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما؛ إذ كان قد عقد عليها صلى الله عليه وسلم بمكة قبل الهجرة] وبنى بها في المدينة.
لما ماتت خديجة حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتألم، فقد كانت تشد من عضده وتسند ظهره، وما حزن ولا كرب ولا تألم إلا وفرجت عنه بكلِمها الطيب وسيرتها الحميدة، فلما توفيت رغبه الصديق وقال: أزوجك عائشة يا رسول الله! تجد فيها الأنس وما يزيل عنك وحشتك.
قال: [وذلك بعد وفاة خديجة رضي الله عنها، وكان عمرها إذ ذاك ست سنوات] قدمها الصديق الحبيب للحبيب صلى الله عليه وسلم، قال له: هذه تؤنسك يا رسول الله! وتجد فيها العوض عن أم المؤمنين خديجة ، وهي طفلة صغيرة يومئذ.
ومن هنا: يجوز للأب أن يزوج ابنته في هذه السن! أو أقل، وقد تزوج البنت في عامها الأول.
يقال لك: زوجني إياها يا فلان! فتقول: نعم.
قبلنا ورضينا؛ حتى تبلغ.
ولا يخون الأب ولا يخلف وعده إلا إذا تغير سلوكه وهبط وأصبح شريراً أو تاركاً للصلاة فنعم! ومن الممكن أن ينفق عليها الأب ويكسوها كل عام ولا حرج.
قال: [وفي شوال من هذه السنة المباركة بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعائشة بدار أبيها بالسنح نهاراً وهي بنت تسع سنين] لا تقل: أنا لا أستطيع أن أعطيك ابنتي وهي بنت تسع سنين فما زالت صغيرة، فإن وجدت مثل رسول الله في سلوكه وكماله فلا تتحرج أبداً، أما الصعاليك من أمثالنا فنعم تخاف على ابنتك منهم! قال: [وكان بعض الناس يتشاءمون بالبناء بين العيدين] عيد رمضان وعيد الأضحى [فردت عليهم عائشة بقولها: تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم في شوال، وبنى بي في شوال، فأيّ نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت أحظى عنده مني؟!] تفاخر! والآن لا يوجد من يجعل الزواج بالنهار أبداً، على عكس فعل رسول الله، فكل الأعراس الآن بالليل، والرسول صلى الله عليه وسلم تزوج بالنهار، و زينب أم المؤمنين رضي الله عنها تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم نهاراً فبعد أن صلوا الظهر فتح الباب وقيل للناس: تعالوا! لتأكلوا طعام العرس! وأما نحن اليوم فعرسنا لا يكون إلا بالليل، فلا يصلون المغرب ولا العشاء ولا الصبح، فلا إله إلا الله! من صرفنا؟ لا ندري، اللهم إلا أن يكون الجهل وما عرفنا! وقد كان بعض الناس من العرب يتشاءمون بالبناء بين العيدين، عيد رمضان وعيد الحج، فقالت عائشة : أنا تزوجت في شوال بين العيدين، وبنى بي رسول الله صلى الله عليه وسلم بين العيدين ولم يكن أحد أحظى عند رسول الله مني [وهو كما قالت؛ فقد روى البخاري عن عبد الله بن عمرو بن العاص قوله] وعمرو بن العاص رجل سياسة، لم تكتحل عين الدنيا بأسيس منه، أما ولده عبد الله فكان من العباد الزهاد يقوم الليل ويصوم النهار؛ حتى أشفق عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ورحمه [سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أحب نسائه إليه] من هي أحب نسائك إليك يا رسول الله؟! ولِم يتدخل هذا التدخل؟ يريد أن يعرف أحب نسائه إليه فيحبها بحب رسول الله صلى الله عليه وسلم لها، ويجلها ويقدرها بحب رسول الله صلى الله عليه وسلم لها [فقال: (عائشة)] بصراحة [وعن

أحب أصحابه إليه فقال: (أبو بكر)] فاز بها الصديق وأسرته، ولا يوجد أسرة في الإسلام أيام البعثة النبوية أسلم كل أفرادها إلا أسرة الصديق ، فقد أسلموا نساءً ورجالاً وأجداداً وأولاداً، فـأبو قحافة والد الصديق أسلم عام الفتح، وكل الأسرة مؤمنة بخلاف باقي الأسر! فهذا تجد جده كافراً، وهذا تجد أباه كافراً، أو ابنه كذلك .

.
أما هذه الأسرة فكلها مؤمنة، وهذا فضل الله عليهم، ويدل على ذلك: استخلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم لـأبي بكر في الصلاة، ومعنى هذا أنه استخلفه في الدولة والدين معاً رضي الله عنه وأرضاه.
فما تقولون فيمن يكفر الصديق ؟! هل يبقى مسلماً؟ من كفر مؤمناً فقد كفر، لو كفرت كناساً في الشارع وهو مؤمن فأنت كافر! خرجت من الإسلام، إلا أن تكون لك بينة على ذلك، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (إذا قال المؤمن لأخيه: يا كافر! فقد باء به أحدهما) لا محالة، إن كان كما قال فنعم، أما إن كذب فهو الكافر! قال: [وفي دخول الحبيب صلى الله عليه وسلم على عائشة في النهار رد على ما اعتاده الناس اليوم من الدخول بالليل دون النهار] الآن ليس هناك من يدخل على امرأته في النهار أبداً، فالعشاء في الليل والدخول في الليل، من يحيي هذه السنة؟ لا أحد يستطيع.
لِم لا تكون الوليمة بعد صلاة الظهر، ثم لا يأتي العصر إلا وقد فرغوا ويدخل العريس على عروسه بعد صلاة العصر؟! لعلنا نخاف من الجيران والأمهات!

نتائج وعبر من مقطوعة: (بناء النبي صلى الله عليه وسلم بأحب نسائه إليه)

قال: [نتائج وعبر] لمن أراد أن يعبر إلى شاطئ السلامة [إن لهذه المقطوعة من السيرة نتائج وعبراً نجملها كالآتي:
أولاً: جواز العقد على البنت قبل بلوغها دون الدخول بها] وهذا لا خلاف فيه بين المسلمين، جواز عقد النكاح على البنت قبل بلوغها -في السادسة أو العاشرة قبل بلوغها- دون الدخول بها.
ويعرف بلوغ البنت بثلاث علامات: الحيض، أو الاحتلام، أو إنبات شعر العانة.
أو ببلوغها خمس عشرة سنة.
وقبل البلوغ لا يُدخل بها؛ لأن الفحل يؤذيها ولا تستطيع.
وعلى كل حال العقد جائز حتى في السنة الأولى، لكن الدخول عليها والخلوة بها لمجامعتها لا بد فيه من البلوغ، أما ما يسن من القوانين عن ثماني عشرة سنة فباطل ومنكر.
[ثانياً: فضل عائشة على سائر النساء بحب الرسول صلى الله عليه وسلم لها أكثر من غيرها.
ثالثاً: جواز الدخول على العروس نهاراً] ليس شرطاً بالليل [ولا معنى لتخصيص ذلك بالليل] أبداً.
[رابعاً: إبطال وهم من توهم شؤم الزواج والبناء بين العيدين الفطر والأضحى] هذا وهم باطل، ليس عندنا أيام فيها تشاؤم أبداً طوال العام.
[خامساً: فضل أبي بكر الصديق لحب الرسول صلى الله عليه وسلم له أكثر من أصحابه].
ولندعو الله في هذه الليلة المباركة مع هذا الجمع المبارك، فادعوا وأمنوا، ونحن شركاء في الدعاء وفي الأجر إن شاء الله! اللهم يا حي يا قيوم! يا بديع السماوات والأرض! يا مالك الملك! يا ذا الجلال والإكرام! يا من يحيي ويميت وهو حي لا يموت وهو على كل شيء قدير! هذه أكفنا قد رفعناها إليك يا رب العالمين! فلا تردها خائبة يا ولي المؤمنين! ويا متولِّ الصالحين! اللهم إن بيننا مرضى، وفي بيوتنا مرضى، وفي مشافينا مرضى؛ ولا شافي إلا أنت، فاشفهم يا ألله! اشفهم بشفائك الذي لا يغادر سقماً، اللهم اشفهم يا رب! فإنه لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقماً يا رب العالمين! اللهم إنا نسألك لإخواننا من عبادك المؤمنين في الأفغان وفي الديار الجزائرية أن تطفئ نار الفتنة التي بينهم، اللهم أطفئ نار الفتنة التي بينهم، واجمع قلوبهم على تقواك يا رب العالمين! اللهم أطفئ نار هذه الفتنة، ووحد كلمتهم، واجمع -يا ألله!- صفوفهم على عبادتك وعلى طاعتك يا ولي المؤمنين! ويا متول الصالحين! ربنا إنا نسألك وأنت خير من يسأل، وندعوك وأنت أول وخير من يدعى، فاستجب لنا ربنا! اللهم لا تدع لنا في مقامنا هذا ذنباً إلا غفرته، ولا هماً إلا فرجته، ولا كرباً إلا نفسته، ولا حاجة من حوائج الدنيا لك فيها رضا ولنا فيها صلاح إلا قضيتها يا رب العالمين! اللهم إنا نسألك لهذه البقية الباقية في هذه الديار أن تبقيها يا ألله! وأن تبعد عنها نار الفتن، وأن تبعد عنها كل من يكيد لها ويصرفها عن الحق يا رب العالمين! وصل اللهم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

بعد أن أصبحت المدينة دار إسلام محضة على الرغم ممن فيها من المشركين والمنافقين واليهود، حيث أصبح للمؤمنين فيها شوكة وقوة لا يستهان بها، أذن الله تعالى للمسلمين بالقتال، فبدأ النبي بإرسال السرايا لتعقب قوافل المشركين التجارية، فكانت أولى السرايا مكونة من المهاجرين دون الأنصار، وكان عليها حمزة بن عبد المطلب، ثم تلتها سرية عبيدة بن الحارث، ثم تلتها سرية سعد بن أبي وقاص.

آخر أحداث السنة الأولى من الهجرة

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد:فقد انتهى بنا الدرس إلى مقطوعة [آخر أحداث هذه السنة: ثلاث سرايا يبعث بها النبي صلى الله عليه وسلم] والمراد من السنة؛ السنة الأولى من الهجرة النبوية.

قال: [إنه بعد أن أصبحت المدينة وكأنها دار إسلام محضة] والمدة هي سنة فأقل، ولكن انتشر فيها الإسلام، فما من دار إلا ودخلها الإسلام [على الرغم ممن فيها من المشركين والمنافقين واليهود] المشركون من العرب موجودون في المدينة، والمنافقون يظهرون الإيمان وفي بطونهم وقلوبهم الكفر والنكران، واليهود أهل كتاب يدافعون عن وجودهم.

[حيث أصبح للمؤمنين فيها] أي: في المدينة [شوكة] والتعبير بـ(الشوكة) كان في الزمان الأول، وهو ما يشاك به العدو، سواء كان مدفعاً أو إبرة، فالشوكة بمعنى: قوة يشاك بها العدو ويتألم لها [وقوة لا يستهان بها] من فكر فيها أو نظر إليها يراها شوكة لا يستهان بها، قادرة على أن تخرق فلول الأعداء، وبعد [أذن الله تعالى للمسلمين بالقتال] قتال المشركين، وقبل أن تكون لهم هذه الشوكة القوية لم يأذن لهم، وحسبك أن تذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم أقام في مكة ثلاث عشرة سنة -وهو نبي ورسول كثر أتباعه- ومع هذا لم يأذن الله تعالى له بالقتال، فما أذن لأصحابه أن يقتلوا واحداً أبداً.

وجاء صلى الله عليه وسلم المدينة مهاجراً وبها أصحابه، فلم يأذن لهم أن يقتلوا أو يغتالوا أحداً؛ انتظاراً لأمر الله عز وجل، فلما رأى الله تعالى أن لعباده المؤمنين شوكة وقوة يقدرون بها أن يقاتلوا أعداءهم؛ أذن لهم وسمح لهم [وذلك في قوله تعالى من سورة الحج] والآية مدنية مكية [أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ [الحج:39-40]] هذه أول آية تأذن للرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين في قتال أعدائهم المشركين الكافرين.

و(أُذِن) بالبناء للمجهول، من الذي يأذن؟ الله! ولم يقل: أذن الله، إذ لا يأذن إلا هو، و(أُذن) أي: أعطوا إذناً بأن يقاتلوا أعداءهم، وذلك لما رأى تعالى أنهم أصبحوا أهلاً لأن يقاتلوا أعداءهم، ووجدت لهم شوكة وقوة لا يستهان بها.

قال: [وعملاً بهذا الإذن الإلهي] الذي تلقاه الرسول صلى الله عليه وسلم من ربه تعالى [أخذ الرسول صلى الله عليه وسلم يبعث بالسرايا] والسرايا جمع سرية: وهي مجموعة الرجال يسرون بالليل، يقال لها: سرية وإن مشت في النهار، لكن الأصل فيها المشي في الليل [لتعقب قوافل المشركين التجارية] للمشركين -وعاصمتهم مكة- قوافل في الشمال من الشام إلى مكة، وفي الجنوب من مكة إلى اليمن، يأتون بالخمر والزبيب والعسل، وهذه القوافل القافلة فيها مائة بعير إلى ألف، تحمل الذخائر والأطعمة [لعله يظفر بأموالهم التي أصبح المسلمون أحق بها وأولى منهم بمثلها] وتفسير هذا: أننا -والله- ما خلقنا إلا لنعبد الله، ومن شك في هذا فهو أحمق! فنحن خلقنا للعبادة، لِم يطعمنا الله ويسقينا؟ لنعبده! حتى تبقى الحياة ونتمكن من عبادة الله.

فالذين لا يعبدون الله لا حق لهم في الطعام والشراب، ولكن كما قال تعالى رداً على الخليل عليه السلام من سورة البقرة: قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ * وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ * وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ [البقرة:126] أراد إبراهيم ألا يأكل ولا

يشرب من مكة إلا المؤمنون، فقال: وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ [البقرة:126]، فقال تعالى: وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ [البقرة:126].
ونقول شيئاً آخر: وهو أننا لا نحرم الكافرين من الطعام والشراب حتى يموتوا؛ لأننا نرجو لهم أن يسلموا غداً ويدخلوا في رحمة الله؛ فكيف نقضي عليهم؟! من يعبد الله إذاً؟! أما الحقيقة: أن الطعام والشراب من أجل أن يعبد الله في الأرض، فالذين لا يعبدون الله لا حق لهم في الحياة، وإنما يبقون أحياء رجاء أن يؤمنوا غداً ويعبدوا الله كما هو واقع البشرية.
فالمسلمون يعبدون الله ويدعون إلى عبادته، ويجاهدون في سبيل ذلك، والمشركون كالبهائم يأكلون ويشربون ويكفرون.
من أحق بالمال إذاً؟! الذين يدعون إلى الله ويؤمنون به.

نتائج وعبر من إرسال سرية سعد بن أبي وقاص

قال: [نتائج وعبر: إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبراً نوجزها فيما يلي: أولاً: بيان فضل سعد بن أبي وقاص حيث عقد له النبي صلى الله عليه وسلم لواءً وأرسله على سرية يقودها إلى جهاد الكفار.
ثانياً: شرف المقداد بن الأسود حيث حمل راية الجهاد في سبيل الله.
ثالثاً: بيان كمال طاعة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الالتزام بما يعهد به إليهم].
سرية سعد بن أبي وقاص

قال: [سرية سعد بن أبي وقاص : وفي ذي القعدة من سنة الهجرة الأولى المباركة، وبعد سريتي حمزة و عبيدة : عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد بن أبي وقاص لواءً أبيض، وأرسله في عشرين رجلاً يمشون على أقدامهم، يسرون بالليل ويكمنون بالنهار، وكان يحمل اللواء المقداد بن الأسود رضي الله عنه] وهذا أحد رجالات ألف، ورجالات ألف هم خالد و الزبير و المقداد ، فإذا طلب القائد ألف رجل يُبعث له منهم برجل؛ لأنه يسدّ مسدّهم، وكانوا يعرفون بين الأصحاب بجماعة ألف؛ لأنهم يقومون مقام ألف، فإذا دخل الواحد منهم المعركة شتتها وهزم العدو [وكان أفراد السرية كلهم مهاجرين ليس بينهم أنصاري، أرسلهم إلى (الخرّار) وعهد إليهم ألا يتجاوزوه فساروا ففاتتهم عير المشركين، إذ وصلوا الخرار صبح خامسة، وسبقتهم عير قريش بيوم، فلم يظفروا بها، ولم يقع قتال، وعادوا سالمين غانمين الأجر والمثوبة دون ما خرجوا له من الظفر بعير المشركين].
نتائج وعبر من إرسال سرية عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب

قال: [نتائج وعبر: إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبراً هي كالتالي: أولاً: من مظاهر الكمال المحمدي أن يرسل عميه حمزة و عبيدة للغزو دون غيرهما من أصحابه الأنصار والمهاجرين، ليضرب المثل في الكمال الخلقي والروحي] بعث عميه وترك الأبطال الآخرين: وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ [الحشر:9].
[ثانياً: فضل مسطح بن أثاثة حيث قلد اللواء وهو ابن خال أبي بكر الصديق .
ثالثاً: بيان أن أول سهم رمي به في سبيل الله السهم الذي أصاب سعداً رضي الله عنه].
سرية حمزة بن عبد المطلب

قال: [فبعث أول سرية، وهي سرية حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم] واشتبه على بعض الطلاب ما ذكرناه أن عبد الله بن جحش صهر النبي صلى الله عليه وسلم وابن عمته -أخو زينب بنت جحش - بعثه الرسول صلى الله عليه وسلم مع نفر عديد لتتبع وقص أحوال المشركين حول مكة، لكن السرية الحقيقية هي التي يحمل صاحبها علماً -راية- يقاتل تحتها، فلا لبس إذاً في القضية.
قال: [وعقد له لواء أبيض] يحمله والجيش وراءه، وحامل اللواء هو أمير السرية وقائدها.
من علم الرسول صلى الله عليه وسلم هذا؟ هل قلد المشركين؟! لا.

يتلقاه من الملكوت الأعلى [وهو أول لواء أو راية عقدت في الإسلام] سمه لواء أو راية كما شئت؛ لأن الجيش يشاهد بعضه بعضاً بحمل الراية، ولو لم يكن هناك راية يلتبس عليهم ويختلفون، والآن اللواء في الجيش قيادة خاصة، قد يصل عدد أفراده إلى خمسين ألفاً، فلا بد من عدد حتى يصبح لواء.

[وبعث معه ثلاثين رجلاً من المسلمين المهاجرين] ما بعث مدنياً أبداً؛ لأن المهاجرين ضيوف على الأنصار، قاسموهم أموالهم وبيوتهم، فلا يريد أن يكلفهم الجهاد والمهاجرون جاءوا لهذا الغرض ويعدون له، وهذا من النضج السياسي -بلغة الهابطين- هذا من تعاليم الله وهداية الله، وبيان رسول الله صلى الله عليه وسلم، فالمهاجرون -أولاً-: متفرغون.

ثانياً: جاءوا لهذه المهمة.

ثالثاً: عرفوا الله وآمنوا به، وهجروا ديارهم وأموالهم لأجله.

إذاً: هم أقدر على القتال من غيرهم، ولو بعث الأنصار لقال المنافقون: انظروا! ترك جماعته وبعثكم أنتم! وفي أربع وعشرين ساعة تشتعل نار الفتنة، وهذا هو الطابور الخامس، وهو موجود إلى اليوم، سيقولون: انظروا كيف يترك أبناء عمه ورجاله، ويبعث بكم أنتم لتموتوا! ولكن أبا القاسم صلى الله عليه وسلم عرف كيف يجتنب هذا الأمر، وبعث برجاله من المهاجرين فقط.

قال: [وبعث معه ثلاثين رجلاً من المهاجرين؛ وذلك ليعترض عير قريش التجارية المارة بسيف البحر] ولا أدري هل يقال: سِيف البحر أم سَيْف البحر؟ وسَيف البحر؛ لأنه كالسيف، فالبحر طرفه أبيض كالسيف، وبالعامية يقال: سِيف البحر، لكن الوقت ضاق؛ لذلك لم نقف عليها.

وهذا علم لا ينفع، وجهالة لا تضر، وهو ساحل البحر [التي كان عليها أبو جهل في ثلاثمائة رجل من قريش] بعث الرسول صلى الله عليه وسلم ثلاثين رجلاً، وأهل القافلة ثلاثمائة، يعني الواحد بعشرة! وكان على رأس القافلة شيطان المشركين وزعيم الباطل أبو جهل عمرو بن هشام [ولم يقع بينهم قتال] لِم؟ [لحجز مجدي بن عمرو الجهني بينهم، إذ كان مجدي موادعاً للفريقين معاً] أي: بينه مصالحة وبين المشركين وبين المسلمين أيضاً، فوقف وسطاً ومنع الحرب.

[وكان الذي يحمل لواء حمزة أبو مرثد الغنوي] اللواء والراية أعطاها الرسول صلى الله عليه وسلم لـحمزة ، و حمزة وكل بها من هو أهل لها، وهو أبو مرثد الغنوي رضي الله عنه [وكانت هذه السرية في شهر رمضان بعد سبعة أشهر من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم]

نتائج وعبر من أول سرية في الإسلام

قال المؤلف غفر الله له ولكم ورحمه وإياكم: [نتائج وعبر: إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبراً نوجزها كالتالي: أولاً: بيان تقيد الرسول صلى الله عليه وسلم بالإذن من ربه فلا يأتي ولا يذر غالباً إلا بإذن من ربه عز وجل] كان ينتظر أمر ربه.

وهنا لطيفة أيضاً: كم أقام النبي صلى الله عليه وسلم بتبوك؟ عشرون يوماً، وبعض طلبة العلم يقولون: الرسول صلى الله عليه وسلم قضى هذه المدة وهو يقصر الصلاة، وأصحابه يقصرون معه، فمن أين لكم أن تحددوا المدة بأربعة أيام؟ هذا خروج على مالك و الشافعي و أحمد ، والرسول صلى الله عليه وسلم لا يرحل ولا يقيم إلا بالتعاليم الإلهية، فهو ينتظر أمر الله، إن قال له: واصل الزحف وادخل الشام وقاتل الرومان فعل، وإن قال له: ارجع رجع؛ فهو ينتظر! وأيما مسافر يسافر من المدينة إلى أي بلد ينظر في حاله: فإذا كان السفر لمدة يومين أو ثلاثة أو أربعة فإنه يقصر صلاته، لكن إذا عرف أنه سيقيم أكثر من أربعة أيام، خمسة أو سبعة أو شهر وجب عليه أن يتم صلاته ولا يقصر، فإن هو لا يدري ولكن ينتظر برقية تأتي، أو جوازاً يخرج وكل يوم يقول: غداً سأسافر، فهذا يبقى يقصر ولو عامين أو ثلاثة؛ لأن حكمه حكم المسافر، لا يدري متى يرحل.

أما إذا تقرر أن الطائرة لا تقله إلا بعد عشرة أيام فيجب أن يتم صلاته؛ لأنه هدأ وسكن واستقر وما بقيت مخاوف ولا أعمال؛ لأن رخصة القصر هي رحمة بالمؤمنين، وقد كانوا يسافرون على الجمال والبغال والحمير، فمن لطف الله تعالى أن قصر لهم الصلاة تخفيفاً عنهم، فمن كان مسافراً ولا يدري متى يقوم أو يقعد يقصر شهراً أو شهوراً، لكن إذا تعين أنه لا يسافر إلا بعد أسبوع أو بعد خمسة أيام فهنا سكن وهدأ، فليس عنده قلق، وعليه يجب أن يتم.

احتجوا بها على من قالوا: ليس هناك مدة معينة، كيف يقول: مالك و أحمد و الشافعي و أبو حنيفة ثم نقول ليس صحيحاً؟! نستحي -والله- من هذا! إذاً النتيجة الأولى أو العبرة -يا من يعبرون إلى الطريق السوي!- بيان تقيد الرسول صلى الله عليه وسلم بالإذن من ربه، فلا يأتي ولا يذر غالباً إلا بإذن من ربه عز وجل.
والجماعات الذين يقاتلون في البلاد الإسلامية، في الأفغان وفي الجزائر وفي القاهرة وفي غيرها من أذن لهم؟ أنا في حيرة! أجيبوني.
وإياكم أن تكذبوا على الله، آلله أذن لهم؟! وما هي الآية التي تحمل هذا العلم؟! الإذن يأتي عندما يبايعون إماماً ربانياً ويمشون وراءه، ويصبح هو الآمر والناهي بإذن الله؛ حينئذ إذا أمرهم بقتال قاتلوا، وإذا قال: اقعدوا قعدوا، ولا يخرجون عن طاعته، أما بدون إمام فهو قتال انتقام؛ هذا ينتقم من هذا لأجل كذا أو لأجل كذا فالدافع إليه فقط هو الانتقام! لا أقل ولا أكثر، أما القتال الرباني فينتظر أمره من الله، كما انتظره رسول الله صلى الله عليه وسلم.
وما المانع من أن تبايع الأمة مسلماً ربانياً وتلتف حوله؟ ومن خرج عنه فهو يتولى أمره بالمصالحة والمهادنة، فإن استجابوا فذاك، وإن رفضوا فليقاتلوا حتى يفيئوا إلى أمر الله، قال تعالى: وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ [الحجرات:9].
[ثانياً: بيان أول سرية في الإسلام، وأنها سرية حمزة عم رسول الله صلى الله عليه وسلم] حمزة أسد الله في الأرض، لقبه بهذا الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد استشهد في أحد بعد أن مُثِّل به.
[ثالثاً: بيان الكمال المحمدي في إرساله عمه] ليموت، أحب الناس إليه بعد فاطمة [والمهاجرين دون الأنصار لتلقي عير قريش.
رابعاً: بيان أن أول لواء عقد في الإسلام كان لواء سرية حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه].
والآن عند المسلمين آلاف الألوية وما استطاعوا أن يهاجموا اليهود ويطردونهم من فلسطين! لم لا يستطيعون؟ والله لا يستطيعون! سيقول قائل: كيف تحلف يا أحمق؟! فأقول: نعم.
لا يستطيعون؛ لأنهم لم يقيموا دين الله بينهم في ديارهم؛ حتى يُجلوا اليهود من تلك الأرض أو يخضعوهم للإسلام، ولو أقاموا الإسلام أربعاً وعشرين ساعة في ديارهم لرحل اليهود بدون قتال! هل تفهمون هذه الأسرار؟ وإذا شككتم فتأملوا: كم مضى على اليهود وهم يتعنترون ويتبجحون ويفعلون العجب والمسلمون ألف مليون مسلم؟ مضت خمسون سنة؛ لِم لم نفعل شيئاً؟ لأن الله ليس معنا.
لم يسلطنا على اليهود نشردهم ونقتلهم ونحن مثلهم؟ لا تقام فينا الصلاة، ولا تجبى الزكاة، ولا يؤمر بمعروف، ولا ينهى عن منكر، ولا يدعى إلى الله! أي فرق بيننا وبينهم؟ الطين فقط! والله لا يريد الطين ولا التراب، فكلمة وطن خرافة، فوطننا الأرض كلها، نقوم فيها بدعوة الخلق إلى أن يعبدوا الله، فلا فرق بين اليابان والأمريكان، ستقولون: لا تلمنا يا شيخ! لأننا ما عرفنا، إي والله ما عرفتم! جهال!

سرية عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم

قال: [سرية عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم] وهو من أبناء عم رسول الله صلى الله عليه وسلم [في شهر شوال، وهو الشهر الثامن من مهاجر الحبيب صلى الله عليه وسلم -عقد صلى الله عليه وسلم لعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم لواءً أبيض، وأمره بالسير إلى بطن رابغ من الحجاز، وكان اللواء مع مسطح بن أثاثة] ومسطح هو ابن خال أبي بكر الصديق ، وقد شارك -مع الأسف- في الفرية على عائشة رضي الله عنها، فدخل مع ألسنة الناس، فعاتبه الصديق وطرده من بيته، وكان يأكل ويشرب وينام في بيت أبي بكر ، فلما ولغ مع الوالغين في عرض أم المؤمنين طرده، وأبى الله ذلك، وأنزل قرآناً يُقرأ إلى اليوم على الأحياء لا على الأموات؛ لأن سورة النور لا تقرأ على الموتى كـ(يس)، فقال عز وجل: وَلا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ [النور:22]؟ فقال أبو بكر : وكيف لا؟ ورد مسطح إلى بيته، وكان قد حلف على ألا يدخل بيته بعد اليوم، ولا يأكل طعامه ولا شرابه وهو يجاري الدهماء والعوام ويقول هذا القول، ولكن الله أبى؛ لأن مسطح رجل إسلام وإيمان، وكونه قال ما قال مع الناس فكلنا يقع في هذا.

قال: [فسار في ستين رجلاً ليس بينهم أنصاري قط] كلهم مهاجرون، ليس فيهم أنصاري؛ حتى لا يقول المنافقون: انظروا كيف يحافظ على رجاله، ويبعث بالأنصار ليموتوا، وتعرفون الإعلام وتسمعونه، فأصابع اليهود هي التي تديره! ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم عرف كيف يتخلص من ذلك، فأخزاهم وأذلهم.
[ساروا طالبين قافلة للمشركين أفرادها مائتا رجل، فالتقوا معهم على ماء يقال له: أحياء] مكان فيه ماء، بئر أو حوض أو نهر [وكان على المشركين عكرمة بن أبي جهل].
وعكرمة بن أبي جهل يحدث عن نفسه قال: ما كنت أبغض مخلوقاً كبغضي لمحمد صلى الله عليه وسلم.
كان أشدّ من أبيه، ولما أراد الله أن يدخله في رحمته قدر حادثة بسيطة وهي: لما دخلت خيل الله مكة في السنة الثامنة من الهجرة فاتحين، هرب زعماء الباطل وشياطين الشرك، وأكثرهم طأطأ رأسه وانحنى في ساحة البيت العتيق، ودخل أبو القاسم والسيف في يده، ثم نادى: (يا معشر قريش! ما ترون أني فاعل بكم؟ قالوا: أخ كريم وابن أخ كريم قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء)، فعادوا إلى بيوتهم سالمين.
وهذا الكلام رددناه أربعين سنة، وقلنا: عندما ينتصر المجاهدون في أي بلد، ويطردون الاستعمار يأخذون في ذبح إخوانهم، قائلين: كانوا مع المستعمرين، أو كانوا مع كذا .

.
ولا يشفقون ولا يرحمون واحداً، ولو عرفوا هذا الموقف من رسول الله، لقالوا لإخوانهم: اذهبوا فأنتم الطلقاء، فالآن حكمنا وسدنا، فلا حاجة إلى دمائكم وقطع رقابكم.
فهل فعلوا هذا من إندونيسيا أو موريتانيا؟ لا.
لِمَ؟ لأنهم ما عرفوا.
وتذكرون أن علة الفساد والظلم والخبث هي: الجهل بالله، وبمحابه ومكاره، ومن لا يعرف الله لا تعول عليه أبداً؛ لأنه أعمى تقوده الشياطين إلى حيث تشاء، لا نور له ولا بصيرة، فلو كنا عالمين عارفين -والله- ما تخبطنا هذا التخبط ولكنه العمى والمشي في الظلام.
إذاً: نعود إلى حيث هرب عكرمة بعد أن مات والده مات في بدر وأصبح الزعيم الثاني ذهب إلى ساحل البحر، فوجد باخرة تريد أن تقلع -وبواخر ذاك الزمان بالشراع- فلما أصبح في عرض البحر نظر الربان أو الملاح إلى الحمولة فوجدها كثيرة، فنادى: أيها الركاب! ادعوا الله، وسلوا النجاة، فإنكم في خطر .

.
فقال: عكرمة ! ماذا؟ ندعو الله! والله لترجعن بي إلى الساحل، ولأذهبن إلى محمد وأقبل رأسه.
أي: ما دامت القضية هكذا فالعود أحسن، لأنه هرب من كلمة (الله).
واستجاب الملاح ورده إلى الساحل، وجاء إلى الرسول صلى الله عليه وسلم واحتضنه وبكى، وما استطاع أن يفتح عينيه فيه من الحياء، وكان عكرمة حامل راية الجهاد في فتوحات خاضها في الشام وغيرها؛ والله عز وجل يقول: فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ [العنكبوت:65]، فإذا نزلوا وأمنوا، قالوا: يا سيدي عبد القادر ويا مولاي فلان.
وذكر الشيخ رشيد رضا في تفسيره (المنار) هذا التفسير المحروم منه طلبة العلم الصغار، قالوا: هذا فيه وفيه! ذكر أن شيخه محمد عبده ذكر أن باخرة عثمانية -أيام الدولة العثمانية- كانت تحمل الحجاج من قابلة الغرب إلى قابلة الشام في مدينة اللاذقية، والحج كان في ذاك الوقت عسير، فاضطربت السفينة بأمواج وعواصف بحرية، فأخذ الحجاج ينادون: يا رسول الله! يا فاطمة ! يا حسين ! يا بدوي ! يا سيدي محيي الدين ! يا كذا..، ولم يعرفوا الله، قال: فقام أحد المؤمنين -وكان طويل القامة- ورفع يديه وقال: اللهم أغرقهم فإنهم ما عرفوك، فشفا صدره وصدر المؤمنين؛ لأن الغرق! بين أيديهم وهم يا سيدي عبد القادر..يا فاطمة..يا فلان..ولم يعرفوا الله قط!! والمشركون كانوا أذكياء: فإذا كانت الحادثة لا يعرفون إلا الله، لكن إذا نزلوا وأمنوا تغنوا بالآلهة، لكن جماعتنا على حد سواء في الخير والشر لا يعرفون الله، وسبب هذا الجهل.
قال: [أو مكرز بن حفص ولم يقع بينهم قتال، وإنما تراموا بالسهام فأصيب سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه بسهم، فكان أول سهم رمي به في الإسلام.

ثم انصرف القوم عن القوم وفر إلى المسلمين المقداد بن عمرو البهاراني و عتبة بن غزوان بن جابر المازني وقد كانا مسلمين، وإنما خرجا مع الكفار من أجل أن يهربا إلى المسلمين] وجدا فرصة رضي الله عنهما مع الخروج القافلة، ومن ثم هربا [لمنع المشركين لهما من الهجرة، وحبسهما دونها].

أبواب الجهاد المشرعة في هذا الزمان

والآن معاشر المستمعين! لدينا كلمة تتعلق بالقتال والجهاد ..
تذكرون أننا نردد من سنين: أن الله تعالى فتح لنا العالم بأسره، وأصبحنا ندخل أمريكا واليابان والصين وزادنا الله الآن الروس، وأصبحنا ندخل أي بلد، وندعو فيه إلى ربنا عز وجل، فالإسلام موجود في أمريكا وألمانيا (المخ الصليبي) فيها مساجد ودعوة وعلماء، وبلجيكا أصبحت كبلد إسلامي، فالدين يعلم في مدارسها الابتدائية، وفرنسا فيها ثلاثة آلاف مسجد! من فتح هذا؟ إنه الله! فقلنا: يا حكام ويا علماء، الفرصة متاحة، لا حاجة إلى أن نغزو ونرسي سفننا الحربية على ساحل بريطانيا أو فرنسا أو إيطاليا، ولم يعد هناك حاجة إلى هذا أبداً، ورسمنا لهم خطة، وكتبناها في عدة رسائل وتكلمنا بها، ومنذ يومين زعيم من زعماء الأقلام كتب كلمات يضحك ويسخر فيها مما كتبناه، فأحببت أن أبينها لعلها تنقل إلى أخينا على وجهها الصواب.
قلت -وما زلت-: لو اجتمع حكام المسلمين وعلماؤهم في القاهرة أو في المدينة أو في أي بلد، وكونوا لجنة عليا للدعوة الإسلامية، فما دام الجهاد أوقفه الله..
والحمد لله! ونحن لا نفرح بالبلاء؟ لا، أبداً، بل نفرح بالعافية، فالحمد لله وقف الجهاد، لِم؟ لأن البلاد مفتوحة، فنحن عندما ندخل الصين أو اليابان لا ندخل للمال والطعام والشراب ولكن ندخل لنعلمهم، فمن رضي منهم بالإسلام دخل، ومن لم يرضَ فهذا شأنه..
ولا نقتل أحداً أبداً، ووالله العظيم ما قتل أحد من أجل الإسلام.
وهذه اللجنة يشارك فيها كل بلد إسلامي بعالم أو عالمين، وبمال سنوي، ضريبة لله، وبذا تتكون لجنة عليا من أربعين أو خمسين أو ستين عالماً، ومالها يكون ميزانية مخفية لا نتبجح بها، يسهم فيها كل مؤمن ومؤمنة، ثم توضع خارطة للعالم، يعرف بها -مثلاً- عدد المسلمين في اليابان وعدد مراكزهم ومساجدهم؟ وكذلك في أمريكا الشمالية وفي كل بلد ..
فإذا عرفنا أين يتواجد المسلمون وأعدادهم وما ينبغي لهم، حينئذٍ نتولى بناية المساجد، وإرسال الداعية والإمام، ونأخذ نربي أولئك المؤمنين تربية روحية حقة، فيصبحون يدعون إلى الإسلام بحالهم لا بألسنتهم، وبكمالهم الروحي وبصفاتهم الإيمانية ينجذب الناس وراءهم ويدخلون في رحمة الله.
وذكرت أن من الدعوة الناجحة هناك أن يوحد المذهب؛ حتى نقضي على الفرقة التي مزقتنا، فنحن مهاجرون مرابطون في سبيل الله، فلا نذهب إلى مكان إلا بـ(قال الله وقال رسوله)، لا نقل: حنفي ولا مالكي ولا غير ذلك..
فنحن مسلمون، نجتمع في بيت الله ونقول: قال الله وقال رسوله، ونوحد كلمة المؤمنين وقلوبهم حتى يكون لها نور، وتنتشر دعوة الإسلام؛ لأن الفرقة ممزقة.
ثم قلت -على سبيل المثال-: كتاب منهاج المسلم: وضعناه لهذا لغرض منذ ثلاثين سنة، فلا تقل: حنفي ولا شافعي ولا حنبلي، ولكن قال الله وقال رسوله.
فقالوا: هذا الكاتب يدعو لكتبه.
وأنا لم أقل: هذه التي تدرس، ولكن قلت: مثل هذه تدرس، فالكتاب الذي يجمع قلوب المؤمنين ولا يفرقهم هو الذي ينبغي أن يكون؛ إذ الفرقة والخلاف داخل بلاد المسلمين مزقت الإسلام وأهله، فكيف ونحن ندعو إلى الله في الخارج؟! والله لا يجوز وحرام.
فقالوا: هذا الكاتب يتنكر لعلماء الإسلام وأئمتهم وشنع تشنيعاً عجباً!! ولا لوم على من قال ذلك ولا عتب فلو عرف كما عرفنا ما قال ذلك.
وخلاصة القول: ما زال الله عز وجل ينظر إلينا، وفتح علينا العالم بأسره، فهيا ندعو إلى الله عز وجل، إن الدعوات الفردية لا تنفع، ودعوات الحكومة السعودية فقط لا تكفي، فلابد من لجنة عليا يشارك فيها كل مؤمن ومؤمنة بربع ريال في العام، حتى يشعر أنه جاهد في سبيل الله، وتوحد تلك الجمعيات عقيدة وسلوكاً وعلماً ومعرفة، فيصبحون

وكأنهم جسم واحد، فيظهرون على الكفار والمشركين، ويدخلونهم في دين الله، والملاحظ أنه رغم ضعف المسلمين فإن الكفار يدخلون بالآلاف في دين الله كل سنة، لكن لو كانت تلك الدعوة لكنا أدينا واجب الجهاد -أولاً- وفريضته، وأصبح المسلمون غير آثمين؛ لأن العالم الآن بكامله مفتوح لهم، فلا يفتحون من جديد.
وبهذا: نكون قد أدينا فريضة الجهاد، ونشرنا دعوة الله عز وجل، وأنقذنا الكافرين والمشركين من الخلود في النار، ولو دعا بهذه الدعوة علماء وصاحوا بها كما صحنا لأنتجت، لكن هذا الكلام يموت في المجالس، ولما كتب في الجرائد، ردوا عليه: وقالوا غير صحيح! عفا الله عنا وعنهم ..
وصلى الله على نبينا محمد .

ما إن بدأ الإسلام يقوى في المدينة ويعز أهله نجم النفاق من اليهود والمشركين الموجودين فيها، وبدأ التحزب والتكتل ضد الإسلام والمسلمين، وأصبحت المدينة ميداناً للصراع الداخلي بسبب هذه المجموعات الخبيثة، وظهر نفاق عدد من اليهود في سقطات ألسنتهم وسوء أفعالهم رغم ادعائهم الدخول في الإسلام، فعرفوا عند المسلمين بأسمائهم، والحال نفسه كان مع منافقي العرب من أهل المدينة الذين عرفهم المسلمون بأسمائهم، وكان على رأسهم المنافق الكبير عبد الله بن أبي ابن سلول.

ظهور العداء الشديد وبدء الصراع الداخلي

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصِ الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.
أما بعد: فقد انتهى بنا الدرس في السيرة النبوية العطرة من كتاب هذا الحبيب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم يا محب إلى مقطوعة [ظهور العداء الشديد وبدء الصراع الداخلي] أي: بدء الصراع في داخل المدينة.
فهيا نراجع تلك الحياة التي مضى عليها ألف وأربعمائة من السنين وزيادة، ونعيش هذه الساعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه والمؤمنين.
قال: [إنه ما إن انقضت السنة الأولى من سني الهجرة المباركة للحبيب صلى الله عليه وسلم ولاح في الأفق ظهور الإسلام، وعزةُ أهله حتى نجم النفاق من اليهود والمشركين معاً، وأخذ التحزبُ والتكتل ضد الإسلام والمسلمين يلوح في الأفق، وأصبحت المدينة ميداناً للصراع الداخلي.
وها هي ذي قائمة بأسماء منافقي اليهود مقرونة بسوء أفعالهم، وأخرى بأسماء منافقي المشركين مشفوعة كذلك بقبح أعمالهم وسوء سلوكهم].

دور اليهود في نفاق العرب المشركين

قال: [منافقو المشركين] وهم من العرب الذين أشركوا في عبادة الله الأوثان والأصنام فعبدوها معه، فكانوا بذلك مشركين، فالمشرك هو من أشرك الشيء بالشيء، فإذا أشركت فلاناً في بيتك جعلته شريكاً.
فالذين عرفوا مع الله غيره من مخلوقاته، ودانوا له بالحب والولاء والطاعة والإذعان، والتقرب إليه بأنواع العبادات أولئك هم المشركون.
والموحدون ضدهم، يقولون: لا إله إلا الله، فلا يدعى إلا هو، ولا يستغاث ويحلف إلا به، ولا يركع ويسجد إلا له، ولا يطاع إلا هو.
هذا هو الموحد.
[لقد كان لمنافقي اليهود أثر كبير على المشركين؛ إذ جلّ المنافقين من المشركين، كان نفاقهم بسبب منافقي اليهود] فالعرب كانوا لا يعرفون النفاق أبداً، أصرح الخلق هم، إذا قال الكلمة لا يمكن أن يتردد فيها، الصدق شعار العرب، لكن أثر فيهم اليهود بالتعاليم الخاصة، فجعلوا من العربي الذي لا يمكن أن يكذب طول حياته منافقاً.
وأعطيكم حكاية حدثناكم بها مئات المرات عن الشيخ الطيب العقبي ، خريج المسجد النبوي، صاحب جريدة القبلة بمكة، ثم جريدة أم القرى، توفي في الديار الجزائرية، ونشر فيها دعوة التوحيد رحمة الله عليه، فقد ذكر صدق العرب في أحد دروسه فقال: كنا حجاجاً نركب الإبل وصاحب الحملة هو الذي يقودنا.
إذ ليس سيارات يومئذٍ، فوكل صاحب الحملة بالشيخ شاب عربي، ليلتزم الشيخ لينيخ الناقة وغير ذلك .
.

خدمة له، فهذا الشاب انجذب للشيخ، وأخذ يسمع منه ويقبل ما يقول، وفي هذا الوقت بالذات العرب انتكسوا، كان الجهل والظلم والشر والفساد، قبل سطوع الأنوار المحمدية على يد عبد العزيز .
قال: فلما كنا في عرفة وقد مشينا من المدينة عشرة أيام أو أكثر، قلت للشاب: ألا تتوب يا بني! وتترك السلب والنهب وغصب الناس؟ فقال الشاب: أستشير عمي! فإذا قبل مني أن أتوب تبت.
فلما فحضر عمه أو أبوه قال له: يا عم! إن هذا الشيخ يقول لي لو تركت الظلم والفساد وتبت إلى الله كان خيراً لك؟!
فقال: ويحك! ومن للعائلة ومن للأسرة إذا أنت تبت!.
والشاهد عندنا هو: الصدق؛ إذ لو قال: تبت لتاب إلى الأبد، ومعناه: أنه لن يعود إلى الظلم بحال من الأحوال، عرفتم الآن أن نفاق اليهود هو الذي بلبل أفكار العرب وجعلهم يهبطون وينافقون، وهل كان منافقون بمكة؟ والله ما كان.
لكن لما عاشروا اليهود، وجاءت دعوة الإسلام أخذ اليهود يصبون في آذان العرب وفي فهومهم الباطل، فوجد منهم المنافقون كما سنسمع.

ذكر من عرف بالنفاق من المشركين بالمدينة

قال: [إذ حسّنوا لهم ذلك تحت عنوان النصيحة لهم، وإرشادهم إلى السلوك اللائق بهم حفاظاً على وجودهم ومكانتهم بين الناس، ومن بين من عُرف من منافقي المشركين هم: أولاً: زوي بن الحارث من بني عمرو بن عوف.
ثانيهم: جلاس بن سويد من بني حبيب، وكان ممن تخلف عن الرسول صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك، وهو القائل: لئن كان هذا الرجل -يعني: النبي صلى الله عليه وسلم- صادقاً لنحن شرّ من الحمر] يعني: إذا كان هذا الرجل صادقاً فيما يقول فنحن شر من الحمير -وهو كذلك- [وسمع هذه المقالة الخبيثة ربيبه عمير بن سعد] والربيب هو ابن الزوجة [فقال له: والله يا جلاس إنك لأحب الناس إليّ] وأحسنهم عندي يداً، وأعزهم عليّ أن يصيبه شيء أكرهه [ولقد قلت مقالة لئن رفعتها عليك لأفضحنك، ولئن صمتٌّ] يعني: سكت [عليها ليهلكن ديني، ولإحداهما أيسرُ عليّ من الأخرى] يقول لزوج أمه: لقد قلت مقالة لئن رفعتها عليك -يعني: إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه- لأفضحنك، ولئن صمتّ عليها ليهلكن ديني، ولإحداهما أيسر عليّ من الأخرى، أي: نقلها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم [ثم مشى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ما قال جلاس] لأنه قال: لئن صمتّ فمعناه أني أهلكت ديني، فهو مضطر، لابد أن ينقلها وإن كان جلاس زوج أمه [فحلف جلاس بالله لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقد كذب عليّ عمير] يعني: أنه لم يقل هذه الكلمة [وما قلت ما قال عمير بن سعد ، فأنزل الله تعالى فيه: يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ [التوبة:74]] والقرآن يشفي الصدور، فما من حادثة تحدث إلا وينزل قرآن يبينها [وقد رُوي أن جلاساً قد تاب، وحسنت توبته حتى عرف منه الخير والإسلام] ولا تعجب، فما مات رسول صلى الله عليه وسلم وما زال منافق في المدينة، كلهم ماتوا أو دخلوا في الإسلام، وهذا جلاس نجا.
[ثالثاً: الحارث بن سويد أخو جلاس بن سويد] عائلة واحدة [كان منافقاً، فخرج مع المسلمين يوم أحد فقتل المجذر البلوي و قيس بن زيد أحد بني ضبيعة] قتلهما في المعركة لا من أجل الله والإسلام ولكن [أخذاً بثأر له منهما إذ قتلا أباه في الجاهلية] هو دخل يقاتل مع المسلمين، لكن لما رأى الرجلين الذين قتلا أباه فيما مضى تبعهما وقتلهما [ثم التحق بقريش بمكة] لما انتهت المعركة التحق بدار الكفر يومئذ في مكة [ثم بعث إلى أخيه جلاس يطلب التوبة ليرجع إلى قومه بالمدينة] أي: ندم، واتصل بأخيه ليشفع له في العودة [فأنزل الله تعالى فيه قوله: كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ [آل عمران:86]] فحرم هداية الله له وهلك.
[رابعاً: نبتل بن الحارث من بني لوذان بن عمرو بن عوف، هو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من أحب أن ينظر إلى شيطان فلينظر إلى نبتل بن الحارث)، وكان رجلاً جسيماً أذلم] والأذلم هو: الأسود الطويل مسترخي الشفتين [ثائر شعر الرأس، أحمر العينين، أسفع الخدين، وكان يأتي النبي صلى الله عليه وسلم يتحدث إليه فيسمع منه، ثم ينقل حديثه إلى المنافقين] واسطة شر [وهو القائل: إنما محمد أُذُنٌ] بمعنى: كل من يأتيه يقبل كلامه [من حدثه شيئاً صدّق] ولهذا أصبح هو واسطة، ينقل الأخبار [فأنزل الله تعالى فيه من سورة التوبة: وَمِنْهُمُ الَّذِينَ

يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ [التوبة:61]] سبحان الله! كيف رد الله هذا بقول: نعم (أُذُن) ولكن أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ [التوبة:61].

والآن البشرية تقول أبشع من هذا الكلام مع العلماء وغير العلماء؛ لأنه جهل ومرض، عدم علم ومرض نفس، وليس ثم علاج إلا بالإيمان وصالح الأعمال.

[خامساً: مربع بن قيظي ، وهو الذي قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين أجاز في حائطه] أي: في بستانه [ورسول الله صلى الله عليه وسلم عامد إلى أُحد] برجاله.

لما كانت غزوة أحد جاء المشركون من الجنوب والغرب فخرج الرسول صلى الله عليه وسلم من الشمال بجيشه، فمروا من بستان؛ لأنه ليس هناك طريق، فهذا المنافق الأعمى لما دخل الرسول صلى الله عليه وسلم برجاله مارين من البستان قال: [لا أحل لك يا محمد -إن كنت نبياً- أن تمر في حائطي] أي: في بستاني [وأخذ حفنة من تراب ثم قال: والله لو أعلم أني لا أصيب بهذا التراب غيرك لرميتك به] وهذا يحتاج إلى صفعة [ولما ابتدره الصحابة أن يقتلوه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (دعوه)] أي: اتركوه.

وهذه الرحمة المحمدية [(فهذا الأعمى أعمى القلب أعمى البصيرة)] أي: ماذا ترجون منه؟ [وضربه سعد بن زيد بالقوس فشجه] ما طاق سعد كلامه وضربه بقوسه فشج رأسه.

[سادس المنافقين: أوس بن قيظي أخو مربع، وهو الذي قال يوم الخندق: يا رسول الله: إن بيوتنا عورة فأذن لنا فلنرجع إليها، فأنزل الله تعالى فيه قوله: يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا [الأحزاب:13]]؛ لأن في غزوة الخندق خرج المؤمنون كلهم إلى سلع وتركوا النساء والأطفال والذراري في المدينة.

فهذا المنافق قال: يا رسول الله! ائذن لنا أن نعود إلى بيوتنا، فإنها مكشوفة، وقد يأتينا العدو من جهة أخرى، فرد الله تعالى عليه بقوله: يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا [الأحزاب:13] أي: من المعركة، حتى لا يواجهوا المشركين؛ لأن الأحزاب الذين جاءوا من كل حدب وصوب، ما جاءوا لأجل النساء والأولاد والذراري والأموال، ولكن جاءوا لقتل الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين، فلا حاجة لهم في أن يدخلوا المدينة.

فهؤلاء المنافقون فضحهم الله: يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ [الأحزاب:13] يعني: مكشوفة وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا [الأحزاب:13] من القتال والجهاد؛ لأنهم لا يريدون نصر الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين.

[سابعاً: حاطب بن أمية بن رافع الخزرجي ، وكان شيخاً كبيراً في الجاهلية له ابن من خيرة المسلمين، يقال له: يزيد بن حاطب ، أصيب يوم أحد، فنقل مثخناً بجراحاته] هذا الشاب الطيب، جرح جراحات في غزوة أحد فنقل بجراحاته [إلى دار بني ظفر، فاجتمع إليه من رجال المسلمين ونسائهم] قبل نزول الحجاب [وهو يموت] يلفظ في أنفاسه وجاء المؤمنون والمؤمنات يشاهدون أخاهم وهو يموت [فقالوا له: أبشر يا ابن حاطب بالجنة، فنطق أبوه حاطب المنافق، فقال: أجل] أي: نعم [جنة ولكن من حرمل] وشجر الحرمل شجر مر يابس، ثم قال: [غررتم والله هذا المسكين من نفسه] أي: خدعتموه وغششتموه.

[ثامناً: بشير بن أبيرق أبو طعمة سارق الدرعين الذي أنزل الله تعالى فيه: وَلا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا [النساء:107]] كان هذا الرجل قد سرق درعاً، ولما خرج المسلمون يتبعونه وضعه في بيت يهودي، وقال اليهودي هو الذي سرقه، واليهودي لم يسرق، ثم جاء إخوانه المنافقون وشهدوا..

فانغر الرسول صلى الله عليه وسلم بهم ووقف إلى جانبهم؛ حتى أنقذه الله بقوله: وَلا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ [النساء:107] الآيات من سورة النساء ..

وقد هرب إلى مكة، وجاء ليلة من الليالي يسرق البيوت، فحفر في جدار بالفأس، لعله كان يريد الوصول إلى غرفة فيها طعام أو مال أو كذا..

ولما دخل نصفه وقع عليه الجدار، فأمسكوه وهو كذلك ..

[تاسعاً: قزمان حليف لبني أبيرق، والذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنه من أهل النار)، وذلك أنه قاتل يوم أحد قتالاً شديداً، وقتل بضعة نفر من المشركين] ولم يكن يقاتل لوجه الله، بل حمية عن بلاده ووطنه المدينة [فأثبتته الجراحات، فحمل إلى دار بني ظفر، فقال له رجال من المسلمين: أبشر يا قزمان فقد أبليتَ اليوم، وقد أصابك ما ترى، قال: بِمَ أبشر؟ فوالله ما قاتلت إلا حمية عن قومي، فلما اشتدت به جراحاته أخذ سهماً من كنانته فقتل به نفسه، فصدق عليه قول الحبيب صلى الله عليه وسلم: (إنه من أهل النار).

عاشر المنافقين: عبد الله بن أبي ابن سلول الخزرجي ، وهو رأس المنافقين وإليه يجتمعون، وهو القائل: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل] في غزوة خرجوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم فيها حصل خلاف على ماء فقال هذه الكلمة: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، والله يقول: وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ [المنافقون:8].

قال: [وذلك في غزوة بني المصطلق، وفيه -وفيه رهطه- نزلت سورة المنافقون بأسرها، وهم الذين كانوا يدسون إلى بني النضير حين حاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويقولون لهم: أثبتوا فوالله: لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ [الحشر:11]] وأجلي بنو النضير وما خرج معهم منافق، وهذه لغة المنافقين وهذه أحوالهم.

وأخيراً قال: [هؤلاء عشرة من منافقي المشركين، الذين كانوا يمالئون اليهود وغيرهم على الإسلام، وقد أسلم من أسلم منهم وحسن إسلامه، ومات على النفاق من مات منهم؛ بحيث لم يقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لم يبقَ منهم منافق، لا من اليهود ولا من المشركين؛ إذ اليهود قد أنهي وجودهم على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم. إنهم كانوا ثلاث طوائف: بنو قينقاع وبنو النضير، وبنو قريظة، أما بنو قينقاع وبنو النضير فقد أخرجوا من المدينة، وأما بنو قريظة فقد أعدموا فيها لخيانتهم وغدرهم].

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه ..

تعريف النفاق وذكر علامات المنافق

لعل بعض السامعين والسامعات لا يعرفون معنى المنافق والنفاق.

النفاق هو: إظهار الإسلام باللسان والجوارح، وإبطان الكفر في القلب والنفس.

الظروف أجبرتهم على أن يسلموا ظاهراً، وأن يخفوا كفرهم باطناً، والمنافق من الرجال والمنافقة من النساء.

والنفاق: مأخوذ من نافقة اليربوع، والعامة تسميه: الجربوع، وهذا يوجد في الصحارى وهو حيوان يسمى باليربوع، يبني داره وسكناه تحت الأرض، يجعلها مخازن يختبئ فيها، ويدخر فيها طعامه، ويجعل هناك نافقة..

أي: يحفر الأرض حتى لا يبقى إلا قشرة قليلة من التراب وتلك هي النافقة، فإذا جاء من يتابعه ويبحث عنه خرج من تلك النافقة التي أعدها، وهي قشرة رقيقة يفتحها برأسه ويهرب، وإذا جرى لا يمكنك أن تدركه.

وسبحان الله! رجلاه طويلتان ويداه قصيرتان.

فالمنافق يظهر لك الإيمان والإسلام ويجاملك ويداريك وهو عنده اتصال بالمشركين والكافرين، فإذا ضاقت به الأرض خرج من أحد الطريقين.

ومن هذا اشتق لفظ النفاق، والنبي صلى الله عليه وسلم كان يعطي رجاله علامات النفاق، كما يعطى الآن في العالم البوليس أو رجال الأمن صفات خاصة بأهل الإجرام والظلم والشر والفساد ليتابعونهم، فالرسول صلى الله عليه وسلم ليس عنده رجال أمن ولا جيش خاص، ولكن كل مؤمن جندي من جنود الله، ورجل من رجالات الأمن والمباحث، إذا شعر بأنه وجدت جريمة -قريبة أو بعيدة- بحث عنها وكشفها ووضع الحد لها، وإذا رأى منكراً أوقفه، وإذا رأى ظلماً أبعده، وكل مؤمن إذا قال إمام المسلمين الجهاد، حمل السلاح وخرج.

وهذه الوضعية أسلم مليون مرة من الوضعية العصرية التي عرفها العالم.

يقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم في وصف المنافقين: (آية المنافق ثلاث) ثلاث خصال دالة على أنه منافق: (إذا وعد أخلف)، فإذا جربت من جارك أو من يعمل معك من مواطنيك ووجدته كلما وعدك أخلف فاعلم أن فيه آية من آيات النفاق، وقد يعجز المؤمن ويأتي ويعتذر، فيقول: وعدتك ولكن ما استطعت أو نسيت، ولكن أن يتكرر ذلك منه في المرة الأولى والثانية والثالثة، فهذا يتلذذ بإشقائك وتعذيبك يا مؤمن!! على سبيل المثال: في الحر الشديد يقول لك: موعدنا إن شاء الله الساعة الواحدة بعد صلاة الظهر في المكان الفلاني، فيمشي المؤمن ويقف في الشمس وينتظر قائلاً: الآن يأتي..

والآن سيأتي، وذاك مع أسرته يضحك، ويقول: اتركوا الشمس تأكله، ويتلذذ بذلك! أو قد يعد مؤمناً نصف الليل لأجل سفر خارج البلاد، والمؤمن يأتي بزاده وينتظر في مفترق الطرق قائلاً: الآن يأتي.

.

الآن سيأتي، وذاك نائم غير مبال به، يتلذذ بتعذيبه.
قال: (وإذا حدث كذب) كلما يحدثك يكذب عليك، في المرة الأولى والثانية والثالثة.
إذاً: يريد أن يعذبك ويفسد عليك عقلك ودينك، فإذا جربت عليه الكذب مرة وثانية وثالثة، فهذا هو، ضع يديك عليه.
(وإذا اؤتمن خان) إذا وضعت عنده أمانة قرشاً أو دجاجة -فضلاً عن كبش أو ناقة- احتال كيف يقول: مع الأسف! أنت واهم فلم تضع عندي شيئاً، وراجع نفسك يا فلان، لعلك أعطيتها غيري! ويأخذ الأمانة ويأكلها ويتلذذ بها، وليس عندك شاهدان ولا كتابة، فلمن تشتكي؟! ومن الأمانات ذات القيمة: السر.
فإذا أسررت له بخبر ينبغي أن لا يبرز ويظهر، أفشاه.
المهم: خيانة الأمانة من صفات المنافقين.
ورابعة في حديث آخر: يقول صلى الله عليه وسلم (أربع من كنّ فيه كان منافقاً تام النفاق، ومن كانت فيه خصلة كانت فيه خصلة من النفاق وزاد: وإذا خاصم فجر)، إذا خاصمك أمام القاضي أو الأمير أو الحاكم لا يلتزم بالآداب والصدق، ويأتي بالكلام الباطل؛ ليشوش على القاضي، أما المؤمن في الخصومة كغيرها يقول الصدق، وما عرف وما علم.
فكان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يضبطون المنافقين بهذه الصفات، ولكن لا يستطيعون ضربهم ولا قتلهم؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: (أخشى أن يقال: محمد يقتل أصحابه).
وها نحن نمر الآن بهذه الحال.
فإياي وإياكم والكذب! وإياي وإياكم وخلف الوعد! وإياي وإياكم وخيانة الأمانات! وإياي وإياكم الفجور والخروج عن الآداب حال الخصومات! لأن النفاق العملي موجود، بينما النفاق العقدي مات أهله، وقد يوجدون الآن، ولا مانع من وجودهم؛ ولكن بلاد العرب ذليلة مهانة -بلاد المسلمين- فلو كنا سادة نحكم العالم الغربي -مثلاً- فلعل بعضهم ينافق ليعيش، لكن الآن ما في داعي للنفاق! ينافق لأجل ماذا؟ الآن يفرحون بمن لا يصلي، فكيف ينافق إذاً؟ إذاً: نحذر هذا حتى لا يكون فينا وصف من أوصاف المنافقين، فإذا حدثنا لا نكذب، وإذا اؤتمنا أمانة لا نخونها، وتبقى عندما مدى ما نحن أحياء، إذا واعدنا لا نخلف، وقد نخلف الوعد لكن لا عن قصد وإرادة، وإنما للضعف والنسيان، فقد تعد وتنسى، أو يأتي طارئ يمنعك من المقابلة، والله يعلم ما في ضمائرنا ونياتنا، أما أن نتعمد، فنعد مؤمناً لنعذبه وهو ينتظر فهذا لن يكون من مؤمن أبداً ولا مؤمنة.

ذكر من عرف بالنفاق من اليهود بالمدينة

قال: [إن من بين من عرفوا بالنفاق من اليهود بالمدينة، حيث أظهروا الإسلام كيداً للرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين ومكراً بهم، وهم مصرون على كفرهم ويهوديتهم -عليهم لعائن الله-.
أولاً: زيد بن اللصيت ، وهو القائل لما ضلت ناقة النبي صلى الله عليه وسلم] في غزوة تبوك، وطلبوها فما وجدوها؛ لأنهم خيموا ونزلوا في الطريق [يزعم محمد أنه نبي، يأتيه خبر السماء وهو لا يدري أين ناقته] انكشفت عورته! فالمنافقون لا يصبرون، ولو كان بين يدي لصفعته على خده [ولما بلغ هذا القول النبي صلى الله عليه وسلم قال:] اسمعوا الرد الكريم؛ لتعرفوا مقام محمد صلى الله عليه وسلم في العالمين [(والله لا أعلم إلا ما علمني الله)] يعني: إذا لم يعلمني فلا أعلم أبداً [(وقد دلني الله عليها، فهي في هذا الشعب قد حبستها شجرة بزمامها)] تعلق زمامها بغصن شجرة فربطها، وما استطاعت أن تخلص [فذهب رجال من المسلمين فوجدوها كذلك] ولعنة الله على ابن اللصيت .
[ثانياً: رافع بن حريملة ، وهو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما مات -عليه لعائن الله- (مات اليوم عظيم من عظماء المنافقين)] يعني: من كبارهم وأقويائهم.
[والثالث والرابع] من منافقي اليهود [رفاعة بن زيد بن التابوت ، و سويد بن الحارث : أظهرا الإسلام نفاقاً ومكراً وخديعة] هذان اليهوديان رفاعة بن زيد و سويد بن الحارث أظهرا الإسلام وأعلناه نفاقاً ومكراً وخديعة [فوادَّهما بعض المسلمين] ومعنى (وادهما) يعني: صادقهما وأحبهما، لما أظهرا من الإسلام [اغتراراً بهم] من باب الاغترار بالصورة والمنطق والبيان [فأنزل الله تعالى قوله ينهى المسلمين عن موادتهم] أي: محبتهم وصحبتهم [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا [المائدة:57]] يا من آمنتم بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ورسولاً [لا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا

وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ [المائدة:57]] أي: لا تتخذوهم أولياء، توالونهم بالعون والمودة واللقاء وما إلى ذلك [وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ [المائدة:57]] اتقوا الله! لا تغضبوه عليكم بموادة أعدائه من المنافقين اليهود؛ لأن الله إذا صاحبت وواددت عدوه فأنت ضده، وإذا عاديت ولي الله، وحاربته ووقفت ضده، وقفت ضد الله، لا تفهم إلا هذا: (من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب).

فالذي يوالي منافقاً ضد الإسلام والمسلمين ويوادّه معناه: أنه وقف ضد الله عز وجل، فليستعد، ويكفي هذان اليهوديان أنهما أظهرا الإسلام وتملقا وبرزا في صور الكمال الإسلامي، فانخدع بعض المؤمنين بهم وصاحبوهم وأحبوهم، وما رضي الله بهذا، فأنزل آية خالدة تتلى إلى يوم الدين: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أيضاً أَوْلِيَاءَ لكم توالوهم بالحب والعون وما إلى ذلك ..

وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ [المائدة:57]، احذروا غضبه ونقمته وعذابه.

هل يبقى بعد هذا مؤمن يواد كافراً منافقاً يريد ضرب الإسلام وتحطيمه؟! قال: [وكان رفاعة هذا إذا كلّم رسول الله صلى الله عليه وسلم لوّى لسانه ويقول: أرعنا سمعك يا محمد حتى نُفهمك] أي: حتى نُفهمك كلامنا [ثم طعن في الإسلام وعابه، فأنزل الله تعالى فيه: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ * وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا * مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا [النساء:44-46].

الخامس، والسادس، والسابع: سعد بن حنيف و نعمان بن أوفى بن عمرو وأخوه عثمان بن أوفى] ثلاثة من اليهود المنافقين؛ أظهروا الإسلام وهم على يهوديتهم.

و[الثامن والتاسع: سلسلة بن برهام ، و كنانة بن صوريا كل هؤلاء كانوا من أحبار يهود] أي: علماء اليهود [فأسلموا نفاقاً للدس والفتنة والوقيعة بين المسلمين، فلعنة الله عليهم أجمعين].

وتذكرون أن الإسلام على عهد عيسى وحوارييه لم يتجاوز سبعين سنة، ثم تحول إلى وثنية، فما عُبد الله سبحانه وتعالى برسالة عيسى وحوارييه والمؤمنين إلا سبعين سنة، ثم حُول إلى وثنية وتثليث، والذي قام بهذه المهمة هو بولس اليهودي، بعد أن دخل في المسيحية واعتنقها وأدخل الناس فيها تضليلاً وإيهاماً، ثم أخذ يتصرف فجعل عيسى ابن الله، وهم الذين بالأمس قتلوه وصلبوه -أي: الذي شبه لهم-.

والشاهد عندنا في مكرهم وإفساد العقائد والأديان واضح، فقد أفسدوا الديانة الإسلامية التي جاء بها عيسى عليه السلام بعد سبعين سنة فقط، وإن تبحث عما أصاب العالم الإسلامي في عقائده تجد أصابعهم، ودائماً نقول: الثالوث! واليهود هم العمدة في ذلك، وإلى الآن ما زالوا يفعلون، وقد تجد هذا في مناهج التربية والتعليم، لكن هل عرف المسلمون هذا؟ لا.

وكأنهم ما سمعوا ولا قرءوا هذه الآية أبداً.

[فهؤلاء تسعة من أحبار اليهود أسلموا ظاهراً وهم كفار باطناً] برسول الله وبكتابه وبالإسلام [وكان غرضهم من إسلامهم الدس والوقيعة بين المسلمين، والفتنة لضعفاء الإيمان، والتعرف على أحوال المسلمين الخفية؛ ليقفوا في طريق دعوة الإسلام حتى لا تظهر ولا تنتشر حفاظاً على كيانهم المزعزع، وتشبثاً بحلمهم الباطل، وهو إعادة مجد ومملكة بني إسرائيل التي تحكم من النيل إلى الفرات].

وقد بينا للسامعين والسامعات أن اليهود ما كفروا عن جهل، فلم يعرفوا أن الإسلام هو دين الله، ولكن -فقط- منعهم أنهم إذا دخلوا في الإسلام وذابوا فيه، فمن يعيد مجد بني إسرائيل! ومن يعيد مملكتهم التي سادت في الشرق والغرب على عهد سليمان ، فقالوا: كيف نضحي بهذه الأحلام والآمال؟! وقد عملوا لها من قرون، فكانوا ينتظرون الإسلام ظناً منهم أنه سيماشيهم، ويسير معهم ويتحول إلى دعوة يهودية، فلما وصل الإسلام إلى المدينة، وقبل وصوله إلى المدينة كانوا متحفظين، فما استطاعوا أن يقولوا شيئاً ينتظرون الأحداث، وما إن نزل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وانكشفت عورتهم حتى صمموا على أن لا يعرفوا الإسلام.

والدليل دولتهم في فلسطين، أعطوهم ملء الأرض ذهباً هل يتنازلون عنها؟ لو قالت أمريكا تعالي يا حفنة اليهود نعطيكم قارة بكاملها في أمريكا الشمالية هل يرضون بذلك؟ لا يرضون، حتى يقتلوا تقتيلاً، لِم؟ لأنهم يعملون منذ قرون على إيجاد مجدهم ومملكتهم، وبهذا يتواصون، ويدرسون ويتعلمون نساء ورجالاً، ولهذا لا يسمحون لغير

اليهودي الأصيل أن يدخل معهم أو يكون في جملتهم، أبداً؛ وإذا غرروا بشخص وخدعوه أعطوه يهودية يتزوجها لتكون جاسوسة لصالحهم.

كان اليهود في المدينة يستفتحون على العرب من أهل المدينة بظهور نبي آخر الزمان، وأنهم سيتبعونه ويقاتلون معه العرب، فلما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم انقلبوا على أعقابهم وجحدوا رسالته وأظهروا له العداء أبد الدهر، كما كانوا يأتونه بين حين وآخر بأسئلة تعجيزية أو مسائل جدلية ليحرجوه بها، ولكن الله عز وجل يوفق نبيه للجواب على أسئلتهم، فلا يزيدهم ذلك إلا نفوراً وعناداً وكفراً، وكان على رأس هؤلاء اليهود حيي بن أخطب، وشاس بن قيس، وأبناء أبي الحقيق.

الأعداء المعلنون عداءهم من اليهود

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصِ الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.
أما بعد: فقد انتهى بنا الدرس إلى مقطوعة تحت عنوان [الأعداء المعلنون عداءهم من اليهود] لرسول الله والمؤمنين والإسلام في المدينة النبوية، نسرد أسماءهم وحسبهم جنهم وبئس المصير.
قال: [إن من ذكرنا من منافقي اليهود قد ادعوا الإسلام كذباً لأجل الدس والوقيعة بين المسلمين] نعم أسلم من اليهود بالمدينة عدد، ولكن أسلموا فقط للوقيعة والخديعة والدس بين المسلمين [وهناك عدد كبير من أحبار اليهود] أي: علمائهم [لم ينافقوا بل أعلنوا عن عدائهم للرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين، حملهم على ذلك البغي والحسد للعرب على ما فضلهم الله تعالى من اصطفاء محمد رسولاً منهم إلى الناس كافة] وهم أبناء إسحاق بن إبراهيم ونحن أبناء إسماعيل بن إبراهيم، فنحن وإياهم أبناء عم؛ فلهذا كان الحسد متأصلاً.
قالوا: كيف أبناء عمنا يفوزون ونخسر، ويرتفعون ونهبط، وقد تشاهد هذا في الأقارب! قال: [ولنذكر هنا رؤساءهم من أهل البغي والحسد والضغينة منهم، وما كانوا يقولون للرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه من سوء القول وقبيحه جدالاً مرة وعناداً مرة أخرى، وتطاولاً واعتزازاً مرة ثالثة، وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر منهم: حيي بن أخطب النضري] من بني النضير [وكان من أخبثهم وأكثرهم عداء للرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين، وهو أبو صفية زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم] لما فتح الله على رسوله والمؤمنين ديار خيبر وقع بين أيديهم الأسرى من الرجال والذراري والنساء وكان لحيي بن أخطب بنتاً هي صفية ، فأعطيت للرسول صلى الله عليه وسلم فأعتقها وتزوجها، وأصبحت أم المؤمنين رضي الله عنها [وأخواه أبو ياسر بن أخطب و جدي بن أخطب ، و سلام بن مشكم ، و كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق ، وأخوه سلام بن أبي الحقيق و رافع الأعور الذي قتل بخيبر، و الربيع بن الربيع بن أبي الحقيق و عمرو بن جحاش و كعب بن الأشرف -وهو طائي وأمه نضرية - و الحجاج بن عمرو حليف كعب بن الأشرف ، و كردم بن قيس حليف كعب بن الأشرف ، وكل هؤلاء نضريون] من قبيلة بني النضير، ليسو من بني قريظة ولا بني قينقاع.
قال: [و عبد الله بن صوريا الأعور ، وكان أعلم أحبار اليهود بالحجاز، وهو من بني ثعلبة.
و رفاعة بن قيس ، و سويد بن الحارث ، و فنحاص ، و شاس بن عدي ، و مالك بن صيف ، و رافع بن أبي رافع ، و رافع بن حريملة ، و مالك بن عوف ، و كعب بن راشد ، و عازر وكل هؤلاء من بني قينقاع] القبيلة الثانية [ومنهم عبد الله بن سلام وقد أسلم وحسن إسلامه، وكان مبشراً بالجنة] على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم [والزبير بن باطا ، و عزال بن شميل ، و كعب بن راشد ، و وهب بن يهوذا ، و أسامة بن حبيب ، و رافع بن رميلة ، و نافع بن أبي نافع ، و عدي بن زيد ، وهؤلاء كلهم قرظيون] من بني قريظة؛ لأن القبائل اليهودية كانت ثلاث: بنو النضير، وبنو قينقاع، وبنو قريظة.
قال: [و لبيد بن الأعصم وهو الذي سحر النبي صلى الله عليه وسلم بواسطة بناته، وهو من بني زريق، و كنانة بن صوريا وهو من بني حارثة] هذه مجموعة من منافقي اليهود ومن الأعداء الصرحاء.

نتائج وعبر من مقطوعة (الأعداء المعلنون عداءهم من اليهود)

قال: [نتائج وعبر: إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبراً نجملها فيما يأتي: أولاً: صعوبة موقف الدعوة وتحرج القائمين عليها في هذه الفترة الصعبة من الهجرة.
ثانياً: خطر المنافقين أشد من خطر الكافرين الظاهرين.
ثالثاً: معرفة ما ذكر من منافقي كل من اليهود والمشركين.
رابعاً: مظاهر النبوة المحمدية في عدة مواقف من هذا العرض.
خامساً: فضيلة كل من عبد الله بن سلام] حبر اليهود، وكان له موقف -وقد تقدم- وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم خبأه واستدعى اليهود وسألهم: ما تقولون في عبد الله بن سلام ؟ فقالوا: سيدنا وابن سيدنا، وأعلمنا وابن أعلمنا، ثم خرج ليفضحهم، فما إن أعلن عن إسلامه حتى قالوا: شرنا وابن شرنا وأجهلنا وابن أجهلنا، فكانت فضيحة لهم.
هذا هو عبد الله بن سلام رضي الله عنه [و مخيريق من يهود المدينة الذين أسلموا وحسن إسلامهم] فرضي الله عنهم.
قال: [سادساً: كفر اليهود وحربهم للإسلام وأهله كان نتيجة بغيهم وحسدهم للعرب على انتقال النبوة إليهم] كانت النبوة في بني إسرائيل قروناً عديدة فلما انتقلت عنهم ما أطاقوا ذلك! والحسد الآن موجود بين العرب، يحسد بعضهم بعضاً، بل بين الإخوان والجيران إلا من طهر الله قلبه وزكى نفسه، وعرّف بمولاه فعرفه، فهذا لا يضره شيء.
قال: [كما كان خوفاً من أن يحول الإسلام دون عودة مجدهم المتمثل في مملكتهم التي يحلمون بها وأنها من النيل إلى الفرات].

أسباب عداء اليهود للإسلام والمسلمين وتدميرهم الملك والممالك

لو سئلت -وإن كنت لم تدرس- عن سبب عداء اليهود للإسلام فقل: كانوا يحلمون ويعملون من قرون على عودة مملكة بني إسرائيل، فلما ظهر الإسلام في الأفق، صاروا أمام خيارين إما أن يدخلوا في رحمة الله ويصبحوا مسلمين، وحينئذ لم يبقَ لهم حلم ولا أمل في إعادة المملكة ولا المجد الكاذب، وإما أن يصروا على الكفر والحرب والعناد على مبدأ يحقق مجدهم؛ فاختاروا جهنم على ما أرادوا، وقد تحقق لهم ما أرادوا فأنشئوا دولة بني إسرائيل في تل أبيب، وعما قريب يعلنون عن المملكة.
وأيام موشي ديان كان هناك احتفال بذكرى اليهود، فلما كان يخطب وأثّر على أهل البرلمان، صاح واحد وقال: أنت الملك فقال: اسكت! اترك هذا الأمر، ما حان الوقت بعد.
ومعناه: أنهم يحلمون بوجود مملكة يكون على رأسها ملك من بني إسرائيل، وقبل أن يتم هذا ما سمحوا لذاك أن يقول: أنت الملك! فما زلوا يعدون لذلك، ومن ثم يقبحون الملك والممالك في العالم بأسره؛ ليحتفظوا هم فقط بمملكة تسود العالم.
وهذا الموضوع درسناه من عشرات السنين، فهم لا يريدون اسم ملك؛ لأن المُلك في نظرهم لا يكون إلا لبني إسرائيل، وحاربوا أهل الدين والملوك معهم، وقالوا: اذبح (القس) أي: العالم النصراني، وخذ أمعاءه واخنق بها الملك؛ لأن الملوك سنة الله فيهم أنهم يحتفظون بالدين أكثر من غيرهم، وهم لا يريدون أن يبقى دين، فعبثوا بالعالم ومزقوا الملوك وشتتوهم ليحصلوا على هذا الأمل.
والعجيب! أن العرب والمسلمين انصاعوا وذابوا وأصبحوا يكرهون كلمة ملك أو مملكة حتى علماؤهم؛ لقصر العلم وقلته، وإن عشتم -لا قدر الله- فسوف يعلنون عن مملكتهم، إلا إذا أسلم العرب والمسلمون وجوههم وقلوبهم لله، وأصبحت رايتهم واحدة، وكلمتهم واحدة؛ فحينئذ سوف ينزل البلاء باليهود وتطهر الأرض منهم، وراجعوا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الشأن حيث قال: (لتقاتلُن اليهود)، وهذا في الوقت الذي كان يتساءل أصحابه فيه: أي اليهود الذين سنقاتلهم وقد شردناهم وأخرجناهم من الجزيرة؟ قال: (ثم لتسلطن عليهم فتقتلوهم حتى يقول الشجر: يا مسلم هذا يهودي ورائي تعال فاقتله، إلا شجر الغرقد)، وهذا الشجر كان ينبت في البقيع، ولهذا سمي ببقيع الغرقد، هذا الشجر يخبركم عن عناية اليهود به إخوانكم في تل أبيب وداخل فلسطين، فهم يعتنون به كما يعنى بالزيتون والرمان والتفاح والبرتقال .
.

فشجرة اليهود هي الغرقد، وهي الوحيدة التي لا تخبر عنهم، فإذا اختبأ اليهودي وراءها لا تقول: يا مسلم هذا يهودي ورائي! ومن هنا: أحب اليهود هذا الشجر واحترموه، واعتنوا به عناية زائدة؛ لأنه لا يفضحهم، واعلموا أن الشجر لا يكذب، والحجر لا يكذب، فهل يقول للرجل: يا مسلم وهو لا يصلي ويسب الله؟! وهل هذا مسلم؟ أو يقول: يا مسلم، والرجل مستحل لكل ما حرم الله؟! لا.

وقد علم بنو عمنا هذا -عليهم لعائن الله- وعرفوا أن الفرصة متاحة لهم ما دام العرب فاسقين فاجرين، مختلفين متناحرين، فنشروا -وبأي واسطة- كل ما من شأنه أن يلطخ القلوب ويفسد النفوس من وسائل تصرف المسلم عن دينه.

لقد علموا أن مدى حياتهم ووجودهم وسيادتهم مع فسق المسلمين والعرب وبعدهم عن الإسلام، والأمر ليس جديداً، فقد خرجوا من المدينة مشردين، والآن أقاموا دولة في قلب العالم الإسلامي، إذاً: آمالهم ماشية، وقد عرفوا يقيناً أن الذي يُتم لهم مرادهم ويحقق لهم هدفهم فسق العرب والمسلمين وفجورهم، وشركهم وأباطيلهم وانصرافهم واختلافهم، وهم يعملون على تحقيق ذلك بشتى الوسائط والوسائل في العالم بأسره، ومن لا يصدق هذا الكلام نقول عليه: مات رحمة الله عليه.

فهيا نقبل على الله في صدق، ونحمل راية لا إله إلا الله محمد رسول الله، ولو فعلنا والله لأخذوا في الرحيل -أقسم بالله- بدون حرب، من قدر على الرحيل منهم سوف يرحل؛ لعلمهم ولجهلنا، فهم عرفوا هذا ونحن ما عرفناه، ولكننا لا نبالي بأن نبقى متفرقين مختلفين متناحرين لا قيام للشريعة عندنا، ولا هم لنا إلا الأكل والشرب والجماع.

جدليات اليهود ومظاهر عنادهم

قال:[جدليات اليهود ومظاهر عنادهم] للرسول والمؤمنين [وإلى جانب ذلك الدس والوقيعة التي يقوم بها منافقو يهود ممن أسلم من أحبارهم في الظاهر وهو مبطن للكفر والعداء الشديد في الباطن هناك جماعات أخرى تصرح بكفرها وحقدها وعدائها] في صراحة [للرسول صلى الله عليه وسلم ودينه وأتباعه، وتجادل وتعاند، ولنذكر للعبرة طرفاً من جدالها وعنادها: فهذا رافع بن حريملة عليه لعائن الله يقول في جدله الساقط: يا محمد! إن كنت رسولاً من الله -كما تقول-: فقل لله فليكلمنا حتى نسمع كلامه] ويا ليته كان بين يدي وصفعته على خده [فأنزل الله تعالى فيه قوله: وَقَالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ لَوْلا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ [البقرة:118].

وهذا سلام بن مشكم و نعمان بن أبي أوفى و محمود بن دحية و شاس بن قيس و مالك بن الصيف يقولون للرسول صلى الله عليه وسلم: كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا؟] إذ استقبل الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنون بيت المقدس في صلاتهم سبعة عشر شهراً تقريباً، ثم نزل قوله تعالى: قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ [البقرة:144] فجن جنونهم، كيف يترك قبلتهم ويستقبل البيت الحرام؟ وهم يعلمون أن قبلة الحق هي البيت الحرام وليس بيت المقدس.

قالوا: [وأنت لا تزعم أن عزيراً ابن الله؟!] وهذه مسألة ثانية، أي: كيف نتبعك وأنت تركت قبلتنا ولا تعتقد أن عزيراً ابن الله؟ [فأنزل الله رداً عليهم: وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ [التوبة:30]] فقط، والواقع خلاف ذلك [يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ [التوبة:30]] من يدافع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ إنه الله رب العالمين.

[وهذا جبل بن أبي قشير و شمويل يجدان رسول الله صلى الله عليه وسلم] في مكان ما [فيقولان له: يا محمد! أخبرنا متى تقوم الساعة إن كنت نبياً كما تقول] وهم يعرفون أن الساعة لا يعلمها إلا الله، لكن العناد والمكابرة وأذية الرسول صلى الله عليه وسلم، لعنة الله عليهم [فأنزل الله تعالى رداً عليهم قوله: يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ [الأعراف:187]] والله ناصر أولياءه.

[وهذا نعمان أيضاً و بحري بن عمرو و شاس بن عدي أتوا النبي صلى الله عليه وسلم يتحدونه، فكلموه وكلمهم صلى الله عليه وسلم، ودعاهم إلى الله تعالى، وحذرهم من نقمته، فقالوا: ما تخوفنا يا محمد! نحن -والله- أبناء الله وأحباؤه فأنزل الله تعالى رد عليهم من سورة المائدة قوله: وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ

يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ [المائدة:18]] أفحمهم، وقطع ألسنتهم، أي: لو كنتم أبناءه وأحباءه فلم يعذبكم؟ أما مسخ أجداكم قردة وخنازير؟! [وهذا رافع بن حارثة وسلام بن مشكم و مالك بن الصيف و رافع بن حريملة أتوا النبي صلى الله عليه وسلم يجادلونه، فقالوا: يا محمد! ألست تزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه، وتؤمن بما عندنا من التوراة، وتشهد أنها من الله حق؟ قال: (بلى، ولكنكم أحدثتم وجحدتم ما فيها مما أخذ الله عليكم من الميثاق فيها، وكتمتم منها ما أمرتم أن تبينوه للناس، فبرئت من إحداثكم)] أي تبرأت مما أحدثتموه من البدع في دين الله.

[فقالوا معاندين: إنا نأخذ بما في أيدينا، فإنا على الهدى والحق، ولا نؤمن بك ولا نتبعك، فأنزل الله تعالى فيهم قوله من سورة المائدة: قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ [المائدة:68]] فأسكتهم.

ونحن لم ينلنا ولا (1 %) مما نال رسول الله صلى الله عليه وسلم، ظل سبع سنوات أو ثمانية وهو في هذا الصراع، ونحن لا نستطيع أن نقول لنسائنا: لا تفعلي كذا، أو لأبنائنا: لا تفعلوا كذا.

.

[وهذا النحام بن زيد و كردم بن كعب و بحري بن عمرو أتوا النبي صلى الله عليه وسلم يجادلونه، فقالوا: يا محمد! أما تعلم مع الله إلهاً غيره؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الله لا إله إلا هو، بذلك بعثت وإلى ذلك أدعو) فأنزل الله فيهم وفي قولهم: قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ * الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ [الأنعام:19-20]].

[وأتى رهط منهم] أي نفر، سبعة أو ثمانية أو تسعة [فقالوا معاندين مجادلين: هذا الله خلق الخلق، فمن خلق الله؟] وهم يعرفون، لكن يريدون أن يستفزوا الرسول صلى الله عليه وسلم ويؤلموه.

.

[فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتقع لونه] وتغير [ثم ساورهم غضباً لربه، فنزل عليه جبريل فسكنه] بعد أن اشتد غضبه، وكاد ينالهم [وقال: خفف عليك يا محمد!] وهذا الغضب كان لله، فلو أخذوا ماله، وضربوا جسمه ما غضب، لكن لما افتروا على الله وكذبوا لم يتمالك صلى الله عليه وسلم نفسه، وانفعل أشد انفعال، ولولا أن جبريل سكنه لكان ينال منهم.

[وأتاه من الله بجواب ما سألوه عنه: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ [الإخلاص:1-4]] الجواب الشافي، الصالح للرد على كل هذه الأباطيل بل على العلمانية والبلشفية ونفاة وجود الله، قل يا رسولنا المبلغ عنا لهذا السائل أو السائلين الحمقى الذين سألوك: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ [الإخلاص:1-4] كيف ينفى وجود الله؟! ودائماً نقول: لو كنا في بهو أو ما يسمى بالقاعة الكبرى للبلاشفة في روسيا -في موسكو- أيام بدءوا الإلحاد، ووقف رجل وقال بينهم: لا إله إلا الله، والله ما استطاعوا أن ينقضوها نقضاً عقلياً حقيقياً ولبهتوا، ولو وقف -أيضاً- آخر في بهو كنيسة في إيطاليا وقال: اسمعوا! لا إله إلا الله، والله ما استطاعوا أن ينقضوها.

أما البلاشفة والملاحدة الذين يقولون: لا إله والحياة مادة -وهو العصب الذي يتمسكون به- فنقول لواحد منهم: قف يا هذا! ونسألك إن كنت عاقلاً أو فيلسوفاً أو حكيماً أو عالماً.

فيقول: نعم.

فنقول: هل أنت موجود أو غير موجود؟ فإن قال: غير موجود، قلنا: أخرجوه فإنه مجنون؛ لأنه قائم بيننا ويقول: إنه غير موجود! وإن قال: موجود، باسم المفعول، قلنا: من أوجدك؟ فإن قال: الحجر، قلنا: فأنت مجنون، وهل حجر يوجد عقلاً وبشرية بهذا الكمال! وإن قال: الكوكب قلنا: وهل يفعل الكوكب هذا؟ أو قال: أمي.

قلنا: أمك موجودة مخلوقة أيضاً، فمن أوجدك؟ وقتها ليس عنده إلا هذه الكلمة (الله).

وبطلت فرية العلمانيين والملاحدة.

ونأتي في البهو الصليبي ونقول: لا إله إلا الله، فيقولون: الأقانيم الثلاثة -وأولهم عيسى، وعيسى كلمة الله وروحه نفخها في مريم البتول- فنقول: أما صلبتموه؟ وكيف يصلب الإله ويموت؟ وأنتم تعلقون الصلبان في أعناقكم أسفاً وحسرة على موت ربكم، أعوذ بالله! أي عقول هذه؟! فيقولون: الأقنوم الثاني -أمه البتول العذراء الطاهرة المؤمنة-

فنقول: من يضحك على قلوبكم وعقولكم؟ فيقولون: الأقنوم الثالث -روح القدس جبريل- فنقول: جبريل رسول الوحي، مخلوق لله عز وجل سفير له بينه وبين أنبيائه، فأين التعدد؟ والله ما هو إلا إله الواحد، الله وحده!
وسورة الصمد تعدل ثلث القرآن، فمن أراد أن يكسب أجر قراءة ثلث القرآن فليقرأ قل هو الله أحد مرة واحدة، ولكن يرتلها وهو مؤمن بما تدعو إليه وتحمله، موقناً بأنها وحي الله وكلامه، لأنها وحدت الله عز وجل وأبعدته عن مشابهة الكائنات والمخلوقات، فليس له كفؤ ولا مثيل قط، وكيف يكون له نظير أو مثيل وهو خالق كل شيء؟! ومن أبسط الأدلة على ذلك هذا العمود، أيكون هذا العمود مثل المهندس الذي بناه؟ إن هذا العمود لا عقل له ولا بصيرة، وكذلك هذا الكرسي، أهذا كالنجار الذي صنعه؟ إذاً: كيف تكون الكائنات شبيهة بالله وهو خالقها؟ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ [الشورى:11].
ومعنى (الصمد) أي أن كل الخلائق محتاجة إليه، في حياتها وبقائها، ووجودها..
وفي كل شيء مفتقرة إليه وهو غني عنها كلها، لا يحتاج إلى ملك ولا إلى نبي، ولا إلى مهندس، ولا إلى شمس وإلى لا قمر، ولا إلى كائن ما كان، فالصمد هو: الذي افتقر إليه واحتاجه كل كائن، واستغنى عن كل كائن.
هذا هو الله! وهل يوجد لهذا نظير، اثنين أو ثلاثة؟!! قال عز وجل: لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ [الإخلاص:3] أي: هذا الذي شاع بين الخليقة من التناسل في الحيوانات والموجودات كلها ليس عنده، فهو لم يلد ولم يولد، وأعظم من ذلك وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أي مثيل أَحَدٌ [الإخلاص:4].

نتائج وعبر من مقطوعة (جدليات اليهود ومظاهر عنادهم للنبي صلى الله عليه وسلم)

قال: [نتائج وعبر] لهذه المقطوعة التي سمعناها[أولاً: تقرير أنه كان من اليهود منافقون ولا عجب؛ فإنهم أهل لكل شر إلا من رحم الله] وإلى اليوم، من هبط بالعالم الإسلامي؟ إنهم اليهود، ما إن أجلاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة حتى عقدوا العزم على أن يحاربوا الإسلام ما حيوا، والرسول صلى الله عليه وسلم أعلنها صريحة (لا يجتمع دينان في الجزيرة) أي: هذه قبة الإسلام لا يوجد فيها دينان أبداً، ما هو إلا دين الله الحق، ونفذ عمر المهمة؛ لأن الصديق عاش في فتنة الردة ثلاث سنوات فأقل، ثم تولى عمر ذلك فأجلاهم وأبعدهم، ومن ثَم عقدوا العزم على الحرب والكيد.
فتح عمر بلاد فارس، وأسقط عرش كسرى فتكون حزب يعمل في الظلام للانتقام من عمر والإسلام -وهذا الحزب والله إلى اليوم أفراده موجودون- فبحثوا عمن يتعاونون معهم، فتعانقوا مع اليهود، وعمر رضي الله عنه هو الذي طعن في محراب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخر صريعاً وهو يصلي، قتله أبو لؤلؤة المجوسي مولى المغيرة بن شعبة ، دسه ودفع به الحزب الذي يعمل في الظلام.
وهم الذين أوجدوا فتنة عثمان ، فعبد الله بن سبأ الصنعاني اليهودي هو الذي أوقد تلك الفتنة، وكذلك فتنة علي و معاوية -والله- بألفاظهم أججوها وأوقدوا نارها، وما زالوا كذلك حتى وصل الإسلام إلى الأندلس فتعانقوا مع كبار القسس ورجال الدين الصليبي الذين كانوا يرتعدون خوفاً من نور الإسلام، ومن ثم تعانق الثلاثة، فتكون منهم ما نسميه اليوم بالثالوث الأسود.
ثم دخلوا في معارك وفشلوا وانهزموا، فقالوا: دعونا من حرب الإسلام والمسلمين، وهيا نمكر ونكيد لهم، فبحثوا عن سبب قوة العرب، وسبب إقبال البشرية على الإسلام، فقالوا -بالبحث والعناية-: سبب حياتهم القرآن، وهم والله صادقون! فالقرآن هو الذي أحيا هذه البشرية ورفعها.
فقالوا: كيف نفعل؟ أنحرق القرآن؟ ومن أين لنا أن نصل إليه وهو في صدور النساء والرجال في العالم، ثم قالوا: فقط نصرفهم عنه؛ حتى لا يقرءوه ولا يجتمعوا عليه للهداية والنور الإلهي فيسموا ويرتفعوا، فوضعوا قاعدة وهي: (تفسير القرآن العظيم صوابه خطأ).
أي: إن فسرت آية وأصبت فيها فأنت مخطئ ويا ويلك، (وإن أخطأت فأنت كافر).
فما أصبح مؤمن يقول: قال الله، ولكن قال سيدي فلان، وقال العلامة فلان، وقال شيخنا، وإذا قال: قال الله قالوا له: اسكت أنت لا تعرف عن الله، فالقرآن صوابه خطأ وخطأه كفر .
.

ماذا يفعل المسلمون بالقرآن إذاً؟ هل يحرقونه؟ لا، يقرءونه على الموتى، فأصبح العالم الإسلامي من أندونيسيا إلى موريتانيا إذا مات الميت يجمعون طلبة القرآن بالدينار والدرهم، أو على الأقل بالأرز اللحم، ثلاث ليال أو سبع ليقرءوا عليه القرآن، علبيه وأصبح الناس يقرءون القرآن لهذه المهمة.
وكانت والدتي رحمة الله عليها قبل أن أكبر وأعلمها تقول: سألت الله أن يرزقني ولداً واجعله من حفظة القرآن حتى يأتيني باللحم في كل مناسبة؛ لأن طلبة القرآن كان يوضع لهم اللحم، ثم يأخذ لحمة ويلفها في منديله ويأتي بها إلى امرأته أو أمه، واللحم كان صعباً حينذاك، فبعض العائلات يأكلونه من العام إلى العام.
فكان القرآن لا يُعلّم في الكتاتيب والمساجد إلا لهذه المهمة، فهبطت الأمة، وماتت، وفسدت عقائدها، وأشركت بالله، وعبدت الأصنام والموتى، وما بقي شيء ..
ومن شك في ذلك نقول له: هل استعمرنا الغرب والشرق وداسنا بنعاله أم لا؟! ولو كنا مؤمنين أولياء لله ما سلطهم الله علينا، يقول عز وجل: وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا [النساء:141].
أما السنة النبوية، والحكمة المحمدية المفسرة لكلام الله، المبينة لمجمله، فكانت لا تقرأ إلا للبركة، كانوا في رمضان يأتون إلى الروضة، وإلى اليوم -وإن كان إخواننا يظنون أننا ننقدهم، ونحن نريد أن نهديهم بإذن الله- تجد أعيان المدينة ورجالاتها في الروضة يقرءون البخاري للبركة، وطوال العام لا يجلس واحد ليتعلم الهدى، أما في رمضان وفي حلقة كبيرة يدرسون البخاري للبركة لا لتعلم الهدى ومعرفة الأحكام الشرعية والسياسة والقانون والآداب الإسلامية.
من فعل هذا بنا؟ إنه الثالوث الأسود، وهل مات هذا الثالوث؟ لا.
بل علا وزاد وارتفع، ولا يموت إلا إذا ارتفعنا فإنه يخنس، وهم يعملون على إماتتنا حتى بالدش والخلاعة والصور، وما زال العالم الإسلامي في سكرته إلى الآن.
هل عرفتم من هو الثالوث؟ احذروه، وذلك بمناقضته، كلما دعا إلى باطل أعرضوا عنه.
المهم إذا أردنا أن نخزيهم ونذلهم فعلينا أن نستقم، فنحل الحلال ونحرم الحرام، فنحن خلقنا لعبادة الله وطاعته وتعلم كتابه وهدي رسوله صلى الله عليه وسلم، علينا أن نستقيم آداباً وأخلاقاً وعبادات إذا أردنا أن تنحل تلك الآمال التي في قلوبهم، أما إذا قعدنا على الخلافات، والصراعات، والتكفير، والذم، والسب، والبروك، والجثوم على المعاصي وكبائر الذنوب، فهم في راحة كبيرة.
[ثانياً: بيان ما كان يلاقيه الرسول] الحبيب [صلى الله عليه وسلم من جدل اليهود وعنادهم في المدينة قبل خروجهم منها.
ثالثاً: نزول القرآن بالرد على ما كان اليهود يلقونه من الشبه والحجج الباطلة والمزاعم الكاذبة].
اللهم أصلحنا ظاهراً وباطناً.
اللهم أصلحنا ظاهراً وباطناً، يا فاطر السماوات الأرض أنت ولينا في الدنيا والآخرة توفنا مسلمين وألحقنا بالصالحين.
وصل اللهم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

بعد فتح مكة واستتباب الأمر للمسلمين وتحول مكة إلى دار إسلام وتوحيد بعد أن كانت دار كفر وإلحاد، وبعد خروج النبي لملاقاة الروم في تبوك وخوف الروم من ملاقاته ورجوعهم عنه، بعد ذلك كله بدأت وفود قبائل الجزيرة تفد على النبي إما مبايعة أو مصالحة، وممن صالحه من العرب وفد نصارى نجران، حيث أتوه فعلموا أنه نبي مرسل فصالحوه على ألفي حلة يدفعونها له كل سنة، على أن يخلي بينهم وبين دينهم، ويرسل معهم رجلاً من أصحابه ليتحاكموا إليه فيما يختلفون فيه.

تنبيه واستدراك على بعض المسائل في الدروس السابقة

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.
أما بعد: فبين يدي الدرس أعلمكم أن أحد الأبناء الصالحين العلماء طالع هذا الكتاب مطالعة جيدة وعثر -فيما يرى- على ثلاثة أخطاء: الخطأ الأول -وهو حق، وقد محوناه-: وهو لما ذكرنا ركانة وكيف جادل الرسول صلى الله عليه وسلم وحاجه وقارعه قلنا: لعنة الله عليه، ثم محوناها في هذه الطبعة.
لِمَ؟ لأنه أسلم بعد ذلك في عام الفتح.
المسألة الثانية -حسب رأيه-: أن قضية الغرانيق ردها كثير من العلماء وما قبلوها.
والمسلك الذي وفقني الله تعالى إليه وسلكته نِعم المسلك، وأنا على يقين من صحة ما قلت وكتبت، قضية الغرانيق تداولها العلماء من عهد الصحابة، فالمشركون سجدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا رجلاً كباراً ما استطاع أن يسجد فأخذ حفنة من تراب وسجد عليها، ولو لم يكونوا قد سمعوا من الشيطان مدح آلهتهم (تلك الغرانيق العلا وإن شفاعتها لترتجى) ما كانوا ليسجدوا.
فنحن نقول: الرسول صلى الله عليه وسلم يعصمه الله فلا ينطق بكلمة الباطل، وإنما الشيطان نطق بها وأسمعها إخوانه ورجاله، فظنوا أن الرسول صلى الله عليه وسلم امتدح آلهتهم، فلما سجد في آخر سورة النجم سجدوا عند قول الله تعالى: أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى * أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنثَى * تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى [النجم:19-22] الآيات .
وهذه المسألة الثانية لا وزن لها، وإننا فيها على حق إن شاء الله.
الثالثة: استقبال الأنصار للرسول صلى الله عليه وسلم بنشيد طلع البدر علينا عند قدومه من قباء بنسائهم وأطفالهم، وهذا إن ضعفه أناس وقالوا: لا يصح، فليس فيه ضرر، ما فيه إلا خير.
وقد نبهت؛ لأن هذا الأخ فتح الله علينا وعليه كتب كتاباً يباع، فخفت أن تتبلبلوا به، والكتاب يدور حول هذه النقاط الثلاث: الأولى: لعننا لركانة -وقد محوناه في الطبعات الجديدة- ثم لما نقلنا عن علماء التاريخ كابن الأثير لم يذكر إسلام ركانة ، فكونه تتبع الأخبار ووجد أن الرجل قد أسلم فنحن معذورون، ولكن نحن بموقفه الصعب أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم متحدياً له، قلنا: لعنة الله عليه! ثم إذا أسلم أو تاب تاب الله عليه، ولما عرفنا أنه أسلم نصبر على أذاه ولا نلعنه.

وكاليهود نصارى نجران يجادلون ويعاندون

قال: [وكاليهود] في حربهم للرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وعنادهم ومكرهم بالمدينة [نصارى نجران يجادلون ويعاندون] وقد درسنا وعرفنا ما فعله اليهود بالمدينة، والآن وفي هذه المقطوعة نعرف ما عمله نصارى نجران.

والنصارى: جمع نصراني وهم المسيحيون، ونجران مدينة من مدن المملكة في جنوبها، وهي موجودة إلى الآن، كان فيها نصارى يعبدون المسيح، وجاء وفدهم إلى المدينة..

قال: [وبمناسبة ذكرنا جدال اليهود وعنادهم نذكر جدال النصارى وعنادهم المتمثل في وفد نجران -وإن كان هذا الوفد لم يفد في هذه السنة الأولى من الهجرة- إذ وفد في سنة الوفود في سنة تسع من الهجرة] جاء هذا الوفد في السنة التاسعة، وتسمى سنة الوفود؛ إذ دخل الناس في دين الله أفواجاً من جميع أنحاء الجزيرة، وفي هذا نزل قوله تعالى: إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا [النصر:1-2]، والفتح كان سنة ثمانية من الهجرة، سقطت بعدها عاصمة الشرك وتحولت إلى قبة إسلام، ومن ثم أصبح العرب يأتون جماعات جماعات من أنحاء شتى إلى المدينة.

ومن ضمن الذين أتوا وفد النصارى من نجران -لا مرحباً بهم- فقد آذوا رسولنا صلى الله عليه وسلم.

[وكان أفراد هذا الوفد ستين راكباً] وفد مكون من ستين فارساً أو راكباً ليسوا مشاة [من بينهم أربعة عشر راكباً من أشرافهم، والذين يئول أمرهم إليهم من رجال الوفد ثلاثة وهم: العاقب واسمه عبد المسيح ، و السيد واسمه الأيهم ، و أبو حارثة أسقفهم وهو أحد بني بكر بن وائل، وكانت له منزلة رفيعة عند ملوك الروم] في بلاد الروم كانت له منزلة عالية وذلك [لما أبداه من اجتهاد في دينهم] والدعوة إليه، فلما شاهدوا منه اجتهاداً في نشر المسيحية في الجزيرة أعزوه وأكرموه [ولما كان عليه من العلم] كان عالماً بالتوراة والإنجيل، ولذا هو أسقف [فلذا أمدوه بالمال فبنوا له الكنائس وبسطوا عليه الكرامات] بنوا الكنائس في نجران.

[ولما وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة، جلس إمامهم أبو حارثة على بغلته التي يركبها، متوجهاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإلى جنبه أخ له يقال له: كرز بن علقمة فعثرت بغلته، فقال أخوه كرز : تِعس الأبعد -يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم- فقال له أخوه أبو حارثة : بل أنت تعست] أي: ليس محمداً صلى الله عليه وسلم؛ لأن الأسقف عالم وليس جاهلاً، وأخوه جاهل: فقال له: تعست أنت.

[فقال: ولم يا أخي؟] يعني: لِم تردّ الدعوة بالشر علي أنا؟ [قال: والله للنبي الذي كنا ننتظر] من زمان متى تطلع شمسه.

وهذه شهادة الأسقف -أعلمهم- [فقال له كرز : ما يمنعك منه -أي من الإيمان به واتباعه- وأنت تعلم هذا؟ قال] معتذراً [ما صنع بنا هؤلاء القوم؟] يعني نصارى الروم [شرفونا ومولونا وأكرمونا، وقد أبوا إلا خلافه، فلو فعلت نزعوا منا كل ما ترى] ومن هنا تستطيع أن تقول: إن (75 %) من القسس اليوم وقبل اليوم يعرفون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو رسول الله الخاتم، وأن الإسلام هو دين الله الحق، ولا يمنعهم من ذلك إلا المنصب، فهذه أسرة كاملة تعيش عيشة الملوك فكيف تخرج من النصرانية وتدخل في الإسلام لتفتقر بعد ذلك وتعيش في حالة سيئة، فهذا يمنعهم أن يسلموا إلى الآن، والآن هم أكثر علماً لانتشار العلم، ولكن يوجد -أيضاً- منهم مقلدون لا يعرفون شيئاً [فأضمرها كرز] في نفسه [وأسلم بعد] لأنه ليس عنده مسئولية كأخيه، فأضمر ما قال أخوه في نفسه ولم يتكلم ثم أسلم بعد ذلك.

قال: [وحضرت صلاة العصر] للوفد [وقد دخلوا مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلوا العصر إلى المشرق] وقبلة النصارى إلى الآن إلى المشرق [وكان بعض الصحابة أنكر عليهم ذلك فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: (دعوهم)] خلوهم واتركوهم [(يصلوا إلى المشرق؛ إذ تلك قبلتهم في كنائسهم)].

وقد حدثناكم بحادثة مسيو طارطار ، مسيو طارطار قس وأستاذ في جامعة السوربون بفرنسا، كتب في جريدة لوموند الفرنسية يتأسف وينتقد المملكة وحكومتها لم يمنعون إخوانهم في المملكة أن يقيموا قداساً لهم، وهم يسمحون للمسلمين ببناء المساجد في بلادهم.

وقد أعطيت المقال مترجماً فرددت عليه، بكلمة فاصلة خالدة، وهي: إن هذه المملكة بمثابة قبة للإسلام، أو بمثابة مسجد؛ لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (لا يجتمع دينان في الجزيرة) فهذه قبة الإسلام وبيضته، وقلت: يا مسيو! هل يعقل أن نبني كنيسة في داخل مسجد؟ الجواب: لا يجوز، وهل يجوز أن نبني مسجداً في داخل كنيسة؟ الجواب: والله لا يجوز.

فمن هنا المملكة لا تسمح بأن يقام قداس للنصارى أو لليهود أو لغيرهم لأن هذا مسجد، فرد قائلاً: عندنا الحجة.

ها هو نبيكم صلى الله عليه وسلم لما وفد وفد نجران عليه سمح لهم أن يصلوا في مسجده، وقد عرف هذا ونحن لا نسمع به، فـ(90 %) من المسلمين لا يعرفون هذا، سبحان الله العظيم! فقلت له: يا مسيو طارطار ! الأمر هذا نسخ.

والنسخ كان قانوناً جائزاً معمولاً به، فالنبي صلى الله عليه وسلم عهد إلى أصحابه بأن لا يجتمع دينان في الجزيرة، فنفذ عمر رضي الله عنه أمره وأجلى اليهود والنصارى.
ثم كتب قائلاً: لم تمنعون هذا القداس من أن يقام في غرفة في فندق؟ فقلت له: هذا ليس خاصاً بالنصارى، فعندنا الخرافيون وأصحاب التيهان والضياع لو وجدناهم يقيمون حفل مولد أو ما شابهه من البدع فعلى الفور يُطوقون ويسفرون وهم مسلمون، فكيف إذاً بغير المسلمين؟ وهو الواقع، فلو عرفت الهيئة ببدعة تقام في المحل الفلاني يطوقون ويجلون أصحابها.
فسكت القس وانتيهنا.
واسم هذا القس طارطار بطاءين وراءين؛ ومناسبة قوله ذلك هي سماح رسول صلى الله عليه وسلم للنصارى بأن يصلوا في مسجده.

مصالحة الرسول لوفد نجران على الجزية مع بقائهم في بلادهم

[فقالوا للرسول صلى الله عليه وسلم: يا أبا القاسم دعنا ننظر في أمرنا] أي: نفكر ساعة [ثم نأتيك بما تريد أن تفعل فيما دعوتنا إليه، فانصرفوا، ثم خلوا بالعاقب] أحد زعمائهم الثلاثة [الذي هو صاحب الرأي فيهم، فقالوا له: يا عبد المسيح ماذا ترى؟ فقال: والله يا معشر النصارى! لقد عرفتم أن محمداً نبي مرسل، وقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم -يريد عيسى عليه السلام- ولقد علمتم أنه ما لاعن قوم نبياً قط فبقي كبيرهم ولا نبت صغيرهم، وإنه للاستئصال منكم إن أنتم فعلتم، فإن كنتم قد أبيتم إلا إلف دينكم والإقامة على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم فوادعوا الرجل ثم انصرفوا إلى بلادكم.
فأتوا الرسول صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا أبا القاسم! قد رأينا ألا نلاعنك] يقصدون المباهلة [وأن نتركك على دينك ونرجع على ديننا، ولكن ابعث معنا رجلاً من أصحابك ترضاه لنا يحكم بيننا في أشياء اختلفنا فيها من أموالنا فإنكم عندنا رضاً] أي: محترمين نقبل حكمكم وقضاءكم.
[وصالحوا النبي صلى الله عليه وسلم على ألفي حُلّة] يدفعونها كل سنة جزية، والحلة هي البدلة، ثوبان من لون واحد [وعلى أن يضيفوا رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم] إذا جاءوهم ينزلونهم في نزل يشرفوهم ويكرموهم فيه [وجعل لهم ذمة الله تعالى وعهده ألا يفتنوا عن دينهم، ولا يُعشروا] لا يدفعون العشر [وشرط عليهم ألا يأكلوا الربا ولا يتعاملوا به].
سبحان الله! بلغ العروبة والإسلام، اشترط على نصارى نجران بعد أن دخلوا في ذمته ألا يتعاملوا بالربا، لِم؟ ألا يفهم الرسول صلى الله عليه وسلم أحوال البشرية؟ أقسم لكم بالله -والله- لو يتحول هذا الربا إلى صناديق إسلامية ربانية لظهر في الأفق الإسلامي من النور ما لا يحلم به أحد، وتنتهي كل أنواع الباطل والشر والفساد، فلا سرقة، ولا خيانة، ولا كذب، ولا تلصص، ولا جريمة، ولا حسد، ولا بغضاء .

.
ويصبحون كأمة واحدة، ولكن اليهود عرفوا من أين تؤكل الكتف، عرفوا ما هو الذي يهبط الأمة المحمدية، فحرموها من السلف والقرض والاقتراض والتعاون وحولوه إلى بنوك فاحترق بذلك المسلمين .

.
إن الفقر الذي يمزق العالم الإسلامي لا نظير له، وسببه هو الربا.
والمرضى والجاهلون يقولون: ما هو الربا؟ ونحن نقول: لو لم يكن الربا كنت إذا احتجت إلى شيء قلت: يا أخي! أقرضني ألف أو عشرة فيفرح؛ لأنها موجودة في صندوقه، وهناك من يريد الانتفاع بها، فيقرضه إياها ويستفيد أجراً ثم ترد عليه.
كنت ستجد من يقول: عندنا أموال، فمن يتعاون معنا على إنشاء مزرعة أو مصنع؟ فيجد إخوانه ينتجون له ويعملون، وتبقى الصلة والرحمة شائعة بين الناس، لكن الآن أقرض شخصاً من إخوانك واطلب منه أن يرد المال! جرب ذلك .

.

لقد أقرضت -أنا- حوالي خمسين أو ستين شخصاً، فما رد علي قرضي إلا واحد منذ عشرين سنة وواحد بعده، والباقي لم يردوا شيئاً، أخذوه إما بالمماطلة أو بالتنازل..وهذه حالنا.
ما سبب هذا؟ إنها البنوك والربا، وعلة هذا الجهل، ما عرفت الأمة ربها، ولا ما عنده ولا ما لديه، فأعرضت عن ذكر الله إعراضاً كاملاً، فالقرآن يقرأ على الموتى والسنة للبركة، فكيف يفقهون؟ وكيف يعلمون؟ وكيف يفهمون؟. مستحيل!! قال: [وبعث معهم أبا عبيدة عامر بن الجراح أمين هذه الأمة المحمدية رضي الله عنه وأرضاه].

مناظرة أشراف وفد نجران من النصارى لرسول الله صلى الله عليه وسلم

قال: [فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم ثلاثة] أشرافهم وقادتهم [وهم: أبو حارثة و العاقب و السيد -وهم مع اختلافهم في أمرهم- يقولون في المسيح: هو الله، ويقولون: هو ولد الله، ويقولون: هو ثالث ثلاثة] والنصارى مختلفون إلى اثنين وسبعين فرقة، كلهم مشركون يؤلهون غير الله ورغم ذلك مختلفون، ومن اختلافهم قولهم في المسيح: هو الله، وابن الله، وولد الله [وهذا قول أهل الملة النصرانية ويحتجون في قولهم: إنه ولد الله؛ لأنه لم يكن له أب يعلم] أبداً ما لعيسى أب يعرف [وقد تكلم في المهد] وهو يرضع [وهذا لم يصنعه أحد من ولد آدم قبله] فلهذا يكون هو ابن الله.
وهل هذا قياس معقول؟ هل الرب تبارك وتعالى الذي خالق السماوات والأرض والملكوت كله يحتاج إلى زوجة؟ تعالى الله عن اتخاذ الولد والزوجة! ولقد قال الجن: ما اتخذ الله صاحبة ولا ولداً، إذاً من زوجته؟ هذه أضحوكة، هزء وسخرية، ولكن الشيطان يفعل الأعاجيب ببني آدم، ويعميهم ويصممهم.
فالشاهد في إيرادهم هذه الأباطيل قال: [ويحتجون في قولهم: إنه ثالث ثلاثة بقول الله تعالى: فعلنا وأمرنا وخلقنا وقضينا] الله عز وجل رب العزة والجلال يقول: إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ [القمر:49] فقالوا: (إنا) هذه لا تعبر عن واحد، فلا بد أن يكون معه اثنين أو ثلاثة.
ولو كان واحداً لقال: أنا.
فقلنا لهم: هذا بسبب جهلكم بلغة العرب، وإلا (إنا) يقولها السلطان، والرئيس، والحاكم بمعنى نحن، فليس بلازم أن تعبر (إنا) عن ثلاثة أو أكثر، فالواحد يقول في عظمته: إنا أمرنا بكذا، أو إنا قلنا لكم كذا وكذا..المهم أنهم يتعلقون بخيوط العنكبوت.[فيقولون: لو كان واحداً ما قال إلا: فعلت..وقضيت..وأمرت..وخلقت، ولكنه هو وعيسى و مريم] ومتى وجد عيسى ومتى وجدت مريم ؟ إن بين عيسى وآدم ثمانية آلاف سنة، وليس هذا الوقت فقط! فمن كان يخلق مع الله أولاً؟! أقول: إن عقيدة النصارى يردها الأطفال الذين يلعبون، فهي لا تعتمد على شيء عقلي أبداً، يقولون: هو وعيسى و مريم ! طيب قبل ما يوجد عيسى و مريم من كان مع الله؟ ثم مصيبة أخرى: لو كان عيسى ابن الله فكيف يسمح لليهود أن يصلبوه ويقتلوه؟ أليس هذا قول النصارى؟! والله يقول: وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ [النساء:157] أي: ألقى الله الشبه على رجل فأخذوه وصلبوه، ويعتقدون أنهم قتلوه، وإثمهم كامل على جريمة ارتكبوها وإن لم يفعلوا؛ لأن الله حماه ورفعه إليه.
[ويحتجون في قولهم هذا بأنه كان يحيي الموتى ويبرئ الأسقام، ويخبر بالغيوب، ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيراً] وهذا عطاء الله؛ لتقوم الحجة على الكافرين، فهذه معجزات ليس معناها أنه هو خالق الطير، ولكن الله أجرى هذا على يديه ليؤمنوا أنه عبد الله ورسوله.
فهذه حجة واهية وباطلة.
ويقول الله عز وجل: إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ [المائدة:110] فهذا امتنان الله على عيسى بأن رفعه هذه المنزلة، لا أنه هو ابن الله أو ثاني اثنين مع الله.
قال: [ولما كلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم: (أسلموا، فقالوا: قد أسلمنا، فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: إنكم لم تسلموا، فأسلموا قالوا: بلى قد أسلمنا قبلك.
قال: كذبتم يمنعكم من الإسلام دعاؤكم لله ولداً، وعبادتكم الصليب، وأكلكم الخنزير)] أي: كيف تقولون أسلمنا وأنتم تعبدون مع الله غيره وتأكلون الخنزير؟! [قالوا: فمن أبوه يا محمد؟] إذاً من أبو عيسى؟ [فصمت عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجبهم، وأنزل الله تعالى نيفاً وثمانين آية من أول سورة آل عمران في شأن عيسى، فحدثتهم

عنه بالتفصيل، وبدأ الحديث بولادة جدته حنة لأمه مريم في حديث عجيب يدل دلالة قطعية على عبودية عيسى عليه السلام، ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وجاء فيه: إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ [آل عمران:59]].

يقول الله عز وجل: إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ [آل عمران:33-36] إلى آخر نيف وثمانين آية كلها في دحض افتراءات النصارى الباطلة.

قال: [ثم دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المباهلة] والمباهلة: هي أن ندعو الله عز وجل على الظالم فينا أن يهلكه، فنجتمع في صعيد واحد ونرفع أيدينا إلى الله ونقول: اللهم من كان على الباطل فأبده، ومن كان على الحق فأبقه [وخرج صلى الله عليه وسلم ومعه علي و فاطمة و الحسن و الحسين رضي الله عنهم أجمعين] وهؤلاء هم الذين إذا ماتوا كان النبي صلى الله عليه وسلم مسئولاً عنهم: ابنته وولديها وصهره -ابن عمه-.

قال: [فلما رأوهم قالوا: هذه وجوه لو أقسمت على الله أن يزيل الجبال لأزالها] اندهشوا [فخافوا ولم يباهلوا] وهذه يُطالب بها أحياناً عند الجدال، نسأل الله عز وجل أن يهلك المبطل ويحق الحق.

[ونزل في ذلك قول الله عز وجل: فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ [آل عمران:61]] هذه نزلت فيهم.

نتائج وعبر من مقطوعة (وكاليهود نصارى نجران يجادلون ويعاندون)

قال: [نتائج وعبر: إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبراً نجملها في الآتي: أولاً: بيان أن موقف أهل الكتاب من يهود ونصارى من الإسلام واحد] ليس هناك فرق بين اليهود والنصارى، فموقفهم من الإسلام واحد، لا يريدون أبداً أن يدخلوا في دين الله.

وعلة اليهود: خشيتهم أن ينتهي حلمهم في إيجاد مملكتهم في المستقبل؛ إذ لو دخلوا في الإسلام ذابوا في نوره.

والنصارى: العوام منهم مساكين مقلدين، يسوسوهم ملوكهم ورؤساء دينهم، محافظين بذلك على مراكزهم المالية، لا أقل ولا أكثر! [وهو موقف عدائي خالص، وصدق الله العظيم إذ يقول: وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ [البقرة:120]] هذه الآية نزلت من ألف وأربعمائة سنة، فهل تغير اليهود والنصارى؟ هل رضوا عن المسلمين في يوم ما؟ لا.

لأن (لن) للتأبيد كما قال الزمخشري وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ [البقرة:120]، فإذا أصبحت يهودياً رحبوا بك، أو نصرانياً رفعوك إلى القمة، أما وأنت مسلم فلا رضا عنك أبداً، وهذا خبر الله فمن يرده؟! [ثانياً: بيان أن المنافع المادية كثيراً ما تحمل صاحبها على الإصرار على الباطل وهو يعرف الحق] وهم عندما يسمعون هذا الكلام يبكون في نفوسهم، لكن لا يستطيعوا أن يخرجوا عن تلك الأموال والمناصب ليصبحوا يبيعون الفلفل في الشارع! ولا تقل هذا فقط، ألا ترى أن بائع الدخان لا يستطيع أن يتنازل عنه؟! يقول: إذا ما بعنا الدخان الزبناء لا يأتونا! وهكذا طبيعة البشر واحدة، إلا إذا دخل في المستشفى وتمت استقامته على تلك العقاقير الإلهية [حفاظاً على تلك المنافع المادية حتى لا تنزع منه -كما قال أبو حارثة -.

ثالثاً: بيان مرية النصارى في معرفة الله عز وجل إذ مرة يقولون: هو المسيح، ومرة يقولون: هو ولد الله، ومرة يقولون: هو ثالث ثلاثة] خبط عشواء، ارتياب وشكوك لا قيمة لها.

[رابعاً: بيان أن من لم يوحد الله تعالى في ذاته وصفاته وأفعاله وعباداته فليس بمسلم] لأنهم قالوا: نحن مسلمون -في زعمهم- لكن ما داموا لا يوحدون الله في ذاته وصفاته وعباداته فكلمة (مسلم) لا تنفعهم، وهل قبلها الرسول صلى الله عليه وسلم منهم؟ لا.

بل ردها عليهم ثلاث مرات، وقال: ما أسلمتم، أتدعون لله ولداً وتعبدون الصليب، وتأكلون الخنزير وتقولون: مسلمون؟! [خامساً: حب المرء للشيء وإلفه له يحمله على الإصرار على الباطل وإنكار الحق] كأصحاب البدع عندنا، تجد أن لديهم بدعاً عاش عليها هو وأبوه وأمه خمسين سنة مثلاً، فلا يتنازل عنها لقولك: هذه بدعة أبداً! إلا

بعد الصقل والنشر والتربية حتى يزول ذلك من نفسه، يقول لك: كيف نعمل هذا العمل خمسين سنة ثم تقول لي: إنه بدعة، واتركه الآن؟! كيف أتركه؟ وهذه طبيعة الإنسان؛ فلهذا أصحاب الباطل يحتاجون إلى علاج دائم بأنواع من الأساليب المختلفة حتى يتنازلوا عن ذلك المعتقد أو ذلك السلوك الذي كان يسلكوه، أما من أول مرة فلا يستطيعون؛ لأن فطرتهم تأبى ذلك.

[سادساً] وأخيراً [مشروعية المباهلة في الإسلام كما كان في أديان الأنبياء من قبل] المباهلة مستمرة إلى الآن، فلو اختلف اثنان أحدهما على حق وآخر على باطل ثم تباهلا يصيب الله عز وجل الكاذب، وينصر صاحب الحق.

دعاء

الآن معاشر الأبناء! ندعو الله عز وجل.

اللهم يا أرحم الراحمين يا أرحم الراحمين! يا أرحم الراحمين! إن بيننا وفينا وفي بيوتنا ومشافينا مرضى فاشفهم يا رب العالمين..

اللهم اشفهم يا رب العالمين، اللهم إنه لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقماً، يا ولي المؤمنين ويا متولي الصالحين تول عبادك المؤمنين في كل مكان، واحفظهم بحفظك وارعهم برعايتك، وانصرهم على من عاداهم وعاداك يا رب العالمين.

اللهم إن نار الفتنة تلتهب في الديار الجزائرية، اللهم إنها فتنة عارمة ملتهبة، ولم يكن لهم من أحد إلا أنت، ففرج يا ربنا ما بهم وأطفئ نار الفتنة عليهم، وأخرجهم من هذه الظلمة وهذه الفتنة يا رب العالمين.

وإن لنا إخواناً في فلسطين، وفي البوسنة والهرسك، وفي الأفغان، وفي الشيشان ..

ليس لهم من ولي إلا أنت، فهم أولياؤك وأنت وليهم، فاصرف عنهم مكر الماكرين وكيد الكائدين، ونجهم وخلصهم من فتنتهم يا رب العالمين.

اللهم إن هذه البقية الباقية في العالم الإسلامي، هذه البلاد وهذه الحكومة، اللهم احمها بحمايتك، واحفظها بحفظك، واصرف عنها كل سوء، اللهم من أرادها بسوء فاجعل سوءه عليه يا رب العالمين، اللهم أبقها ما بقينا يا حي يا قيوم، لا ترنا فيها مكروهاً يا ولي المؤمنين، ويا متولي الصالحين.

وصل اللهم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

بعد أن كان محظوراً على المسلمين قتال الناس مطلقاً قبل الهجرة أذن الله لنبيه بقتال الكفار، وفي السنة الأولى أرسل ثلاث سرايا، أما في السنة الثانية فقد غزا النبي بأصحابه تسع غزوات، كان أولها غزوة الأبواء أو ودان في صفر، وكان الغرض منها إدارك عير لقريش، فلما وصل النبي ومن معه إلى الأبواء وادعته قبيلة بني ضمرة، إلا أن العير فاتته فأقام بالأبواء بقية صفر ثم انقلب إلى المدينة في ربيع الأول، وكان لواءه بيد عمه حمزة، وقد استخلف على المدينة سعد بن معاذ.

الحالة الصحية بدار الهجرة

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فقد انتهى بنا الدرس إلى مقطوعة تحت عنوان [الحالة الصحية بدار الهجرة] ودار الهجرة هي المدينة النبوية التي كانت تعرف سابقاً بيثرب، وجاء هذا الاسم في سورة الأحزاب، قال الله عز وجل: يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا [الأحزاب:13] ولكن تقرر بعد ذلك أن اسمها طيبة، ومن قال يثرب فليكفر عن هذه الكلمة بأن يقول: طيبة..طيبة؛ حتى يتأدب.

فهي المدينة النبوية، والعامة يقولون: المدينة المنورة، وقلدهم أيضاً الناس، ولا ينبغي أن يترك لفظ المدينة النبوية مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسبحان الله! الآن لا توجد مدينة فيها الأنوار الكهربائية أكثر من المدينة، فهي منورة، ولكن التنوير الحقيقي بالوحي الإلهي والنور الرباني والنور المحمدي.

قال: [ولما قدم الحبيب صلى الله عليه وسلم] الحبيب هو محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن لم يحبه فهو كافر، وفي إيمانه كاذب، والحبيب بمعنى المحبوب لا بمعنى المحب، والعجب أن كل صفاته الذاتية والخلقية تفرض حبه بالفطرة؛ فلهذا لا أحسب أن يهودياً أو نصرانياً أو بوذياً يكره ذاك الرسول أبداً، فلا يوجد عامل من عوامل الكره أو البغض التي تستدعي ذلك، والله فرض على المؤمنين حبه ليطيعوه، فالذي لا تحبه لا تطيعه، وتكذب علي إذا قلت: إني أطيعه، إلا إذا خفت من هراوته.

ففرض حبه صلى الله عليه وسلم؛ ليتمكن المؤمنون من طاعته، والذي لا يطيعه -والله- ما أحبه، كيف تدعي حب رسول الله وأنت تعاكسه وتخالفه وتمشي بعيداً عنه؟ أنى لك أن تحب؟! يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (أحبوا الله لما يغدوكم من النعم، وأحبوني بحب الله) ومن أحب الله هل يكره رسوله؟ لا.

بل يحبه، ومن أحب الله هل يكره أولياءه؟ لا.

لا يكره أولياءه.

إذاً: لما قدم الرسول صلى الله عليه وسلم [وأصحابه المدينة، وجدوها أسوأ البلاد مناخاً وصحة] وسبحان الله! عشنا في قرية كأنها المدينة في أول أمرها، تجد البعوض، ومستنقعات الماء، والحمى، والمثلوثة -كما يقولون- والوجوه مصفرة، ولا دواء ولا علاج، حتى الإسبرين ما جاء إلا بعد حين، ولنتصور المدينة كذلك، وها هي أم المؤمنين رضي الله عنها تصفها لنا.

قال: [كما قالت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وأرضاها: لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، قدمها وهي أوبأ أرض الله من الحمى] عافاكم الله من الحمى، وقد قضينا حوالي خمس عشرة سنة بالمثلوثة يومين راحة والثالث حمى، والحمى الحمى النافض، التي تبدأ بالبرد الشديد وتتحول إلى حرارة يفيض بعدها العرق، ويهدأ الجسم، فاحمدوا الله على ما أنتم فيه .

.

قالت: [فعانى الأصحاب المهاجرون] أي: قاسوا وتحملوا [من حماها ما عانوا، إلا أن الله تعالى وقى رسوله صلى الله عليه وسلم فلم يمرض بها] وهذه آية من آيات الله؛ لأنه حامل رسالة، فإذا مرض كيف يقوم بالدعوة؟ إنه تدبير الله عز وجل، وعند وفاته مرض صلى الله عليه وسلم بالحمى النافض، وكان يقول: (أهريقوا علي سبع قرب) وتوفي صلى الله عليه وسلم، وإنا به لاحقون.

[ولنستمع إليها رضي الله عنها، وهي تصف الحالة الصحية المتردية بالمدينة فتقول: قدم الرسول صلى الله عليه وسلم المدينة وهي أوبأ أرض الله من الحمى، فأصاب أصحابه منها بلاء وسقم، فصرف الله تعالى ذلك عن نبيه صلى الله عليه وسلم، فكان أبو بكر و عامر بن فهيرة و بلال موليا أبي بكر] عامر بن فهيرة و بلال كانا عبدين وسيدهما أبو بكر [مع أبي بكر في بيت واحد فأصابتهم الحمى، فدخلت عليهم أعودهم] هذه الصديقة عائشة تقول: فدخلت عليهم أعودهم في مرضهم، فليس هناك مستشفى، أما الآن فالحمد لله المشافي حوالينا يميناً وشمالاً في كل منعطف، وقلّ حمدنا لله، فأعوذ بالله من حالنا!! قالت: [وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب] أي: ذلك قبل أن تنزل آيات الحجاب، حيث يحتجب النساء عن الرجال، إلا المحارم من الآباء والأبناء والإخوان [وبهم ما لا يعلمه إلا الله من شدة الوعك، فدنوت من أبي بكر] والدها [فقلت له: كيف أجدك يا أبت؟ فقال] البيت الآتي: [كل امرئ مصبح في أهله والموت أدنى من شراك نعله] فقلت: والله ما يدري أبي ما يقول] أي: يهذر من آلام الحمى [ثم دنوت إلى عامر بن فهيرة] مولى الصديق [فقلت له: كيف تجدك يا عامر ؟] أي كيف تجد نفسك [فقال: لقد وجدت الموت قبل ذوقه إن الجبان حتفه من فوقه كل امرئ مجاهد بطوقه كالثور يحمي جلده بروقه] أي: بقرنه ..أنشد شعراً بعد أن سألته.

[فقلت: والله ما يدري عامر ما يقول].

هذه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، ولعن الله من كرهها من الإنس والجن.

لقد رأيتها في منامي وأنا طفل أتعلم القرآن، فوقع في قلبي حبها.

والله إني رأيتها في منامي في بستاننا وأنا طفل [وكان بلال إذا تركته الحمى اضطجع بفناء البيت] وبلال كان عبداً لأبي جهل أو لأحد طغاة المشركين، فاشتراه أبو بكر ليخلصه من عذاب المشركين له؛ لأنه لما أسلم سحبوه على الرمضاء وعذبوه العذاب الذي لا نظير له، طالبين منه كلمة الكفر، وهو يقول: أحد أحد! فاشتراه أبو بكر وأعتقه فصار مولى له، وهاجر معه.

قال: [ثم رفع عقيرته] أي: صوته قائلاً: [ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بفخ وحولي إذخر وجليل وهل أردن يوماً مياه مجنة وهل يبدون لي شامة وطفيل] وهذا من شوقه إلى مكة، فشامة وطفيل جبلان فيها.

[والمقصود من إيراد الحالة الصحية بالمدينة -أيام الهجرة إليها- أن نعلم أن الحبيب صلى الله عليه وسلم وأصحابه لم يجدوها مفروشة بالرياحين، ولا سليمة من المنغصات والكدورات، بل فيها المخاوف والشدائد.

إنها كيد اليهود ومكرهم، وخبث المنافقين وكفرهم، وعداء المشركين وحربهم، وحتى المناخ مفعم بحمى الملاريا والبلديزم] هذه المدينة في أول أمرها، ونحن قد دخلناها مهاجرين كغيرنا، فالحمد لله، كنا نأتي بالماء على ظهورنا، وليس ضوء ولا كهرباء، لكن الأمن والطهر حسبنا، فبابنا كان لا يغلق بالليل، فالحمد لله؛ لأن البلد الذي تحكمه آيات الله يطهر ويأمن والله العظيم، ولا يأمن بلد ولا يطهر إلا إذا حكمه القرآن الكريم.

[في هذا الجو القاتم يضطلع الحبيب صلى الله عليه وسلم بأعباء دعوته ومهام رسالته، فلا يترك فرصة تضيع بدون إبلاغ دعوته ونشر رسالته، وها هو ذا الآن وقد قضى سنة في دار هجرته، وقد مرت بنا أحداثها، وجلّها مؤلمة يستقبل السنة الثانية من سني هجرته] انتهت سنة، والآن يستقبل السنة الثانية من هجرته وذلك [بالإعداد للجهاد، والتحرك لقتال من يليه من المشركين عملاً بقوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ [التوبة:123]، وذلك بعد أمره تعالى بالجهاد في قوله: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ [التوبة:73].

وبعد الإذن العام بقتال المشركين الظالمين في قوله تعالى] من سورة الحج [أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ [الحج:39]] أما في مكة فقد أمضى النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة سنة ما ضرب أحداً فيها بحجر، ولا سمح لأحد من أبطاله أن يضرب أحداً أو يغتاله أو يقتله، ثلاث عشرة سنة وهو كذلك، والكفار جبابرة والمؤمنون مضطهدون يرحلون إلى الحبشة فراراً بدينهم، وما أذن لعمر ولا حمزة ولا لأولئك الأبطال أن ينتقموا من عمرو بن هشام أو غيره من الكفار.

ونحن نسوق هذا؛ لأننا اليوم ينتقم بعضنا من بعض، ويكفر بعضنا بعضاً، فمن أي دين هذا وردنا؟ ومن أذن لنا بذلك؟ لقد قلنا وكتبنا منذ أكثر من ثلاثين سنة: كفوا ألسنتكم عن تكفير حكامكم، ما أنتم والله بمسئولين عن تكفيرهم، ولا تعبدكم الله بذلك، ولا أذن لكم فيه.

وهيا نضع القضية على بساط البحث، فهذا الحاكم يصوم ويصلي ويقول: أنا مؤمن مسلم، فيقولون: لا لا.

بل أنت كافر كافر، والرسول القائد الأعظم صلى الله عليه وسلم يقول: (اسمعوا وأطيعوا ولو تأمر عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة، إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم فيه من الله برهان).

وبعد ذلك هل معنى هذا أنكم إذا رأيتم الكفر البواح تقولون: كافر كافر! لا ليس هذا المقصود، ولكن بايعوا إماماً وخوضوا معركة واعزلوا هذا الحاكم الكافر.

وإياكم أن تفهموا غير ما أقول، والذي لم يفهم فليراجعني بعد ذلك، فهذه مسئولية نسأل عنها يوم القيامة.

و(إلا أن تروا كفراً بواحاً) معناه: واضحاً صريحاً (لكم فيه من الله برهان)، وحينئذ اعزلوا هذا الحاكم وأبعدوه ونصبوا آخر بدله، لكن الآن الحاكم ليس وحده فهناك الجيوش والمدرعات والصواريخ، وإذا مات الحاكم لا نستطيع أن نُجلس مكانه آخر، فالوقت غير الوقت.

إذاً الحاكم معه الجيش، ولو حاول أحد أن يتكلم أسكته، لكن مع هذا إذا كانت الأمة حية، وقالت: الله أكبر ترددت في الكون كله، وحينئذ تقول: يا حاكمنا! إما أن تتوب وإما أن تنتقل عن إدارة حكمنا، فإن قال: لا، اسكتوا ولوح بالجيش، ففي هذه الحال نسأل أنفسنا: هل نحن مستعدون لأن نقاتل هذا الحاكم بجيشه وحكومته ورجاله؟ فإن كنا غير مستعدين لقلتنا واضطرابنا واختلاف شعبنا فلم نقول له: يا كافر؟! لأن هذا يزيد في بغضه لنا وحربه علينا، وسيقول: وبعد أنا كافر فماذا تريدون؟ فمن الخير ألا يُكفّر، ولكن نربت على كتفيه ونقبل يديه ونروضه رياضة كاملة عسى أن يتوب إلى الله ويقود أمته بكتاب الله وسنة رسوله، فليس القضية فقط أن نقول: الكافر الكافر! وإذا رفع السلاح هربنا، هذا حرام! ما هذه السياسة العمياء؟! والحمد لله شاهدنا أحداثاً مريرة، وفي بلاد كان فيها نور انطمس، ولسنا في حاجة إلى تعدادها أو ذكرها.

لقد أقام الرسول صلى الله عليه وسلم بمكة ورب العالمين مؤيد له، وهذا جبريل أو ملك الجبال يقول له: إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين، أي الجبلين، وهذا لما رجع من الطائف يبكي مجروحاً مما وقع، فقال صلى الله عليه وسلم: (عسى الله أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئاً).

لكن لما جاء المدينة وأصبحت دار هجرة وأصبح المنافقون فيها والكافرون خائفين، حينئذ أذن الله تعالى له في القتال، قال عز وجل: أُذِنَ [الحج:39] والآذن هو الله لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ [الحج:39].

وسوف نعيش في دروسنا هذه تسع غزوات غزاها أبو القاسم صلى الله عليه وسلم ورجاله.

قال: [وبعد الإذن العام بقتال المشركين الظالمين في قوله تعالى: أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ [الحج:39]، بعد أن كان محظوراً عليهم قتال الناس مطلقاً وذلك قبل الهجرة، ففي السنة الأولى بعث صلى الله عليه وسلم ثلاث سرايا تقدم الحديث عنها في أحداث السنة الأولى وقد ولّت.

وفي هذه السنة الثانية بلغت غزواته فيها تسع غزوات] وعندنا في الكتاب خطأ وهي أنها: ثماني عشرة غزوة، فيصحح، وهذه المطابع وهذا شأنها.

غزوة الأبواء

قال: [وأولاها] أي: أولى الغزوات في السنة الثانية [غزوة الأبواء: كانت هذه الغزاة المسماة بالأبواء أو (ودَّان) لقرب ما بين الأبواء وودَّان؛ إذ ما بينهما من مسافة قد لا تزيد على ستة أميال] وهي شرق رابغ، والأبواء فيها قبر أم الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد زارها لما كان عائداً من مكة أو ذاهباً إليها فقال: (استأذنت ربي في زيارة أمي فأذن لي)، واسم أمه: آمنة بنت وهب (واستأذنته في أن أستغفر لها فلم يأذن لي)، وبكى وهو واقف على قبرها، ومصداق هذا كلام الله عز وجل: مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُوْلِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ [التوبة:113]، وهذه السورة لا تقرأ على الموتى؛ والعرب والمسلمون لا يعرفون هذا الحكم، يقولون لك: آمنة في الجنة وأبو طالب عم الرسول في الجنة، ويكذبون على الله والرسول بلا

علم، ولو قرءوا هذه لما تجرءوا على الكلام، يقول الله عز وجل: مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُوْلِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ * وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ [التوبة:113-114].

أصناف من يمتحنون يوم القيامة

عندنا لطيفة قد لا تعثرون عليها، فإن وُفقت فيها فبها ونعمت ومنه الفضل عز وجل، وإلا فإني أستغفر الله وأتوب إليه، ولكنها تفيد الأبناء.

أقول: عندنا أربعة أصناف من الناس يمتحنون يوم القيامة: الصنف الأول: أولاد الكفار الذين ماتوا في صباهم، أين مصيرهم وهم لم يشركوا بالله، ولم يذبحوا الناس، ولم يسلبوا الأموال؟ الصنف الثاني: الذين ولدوا وكبروا وهم معاتيه مجانين، لا يفرقون بين الشحم واللحم، أو النار والفحم، واستمر بهم ذلك حتى ماتوا؟ الصنف الثالث: من ولدوا وفي السنة الأولى أو الثانية من عمرهم أصابهم صمم في آذانهم وعمى في أعينهم، فلا يسمعون ولا يبصرون، فكيف يعلّمون؟ لو كان يبصر لعلّم بالإشارة، ولو كان ينطق لعلّم بالسماع، لكن إذا كان لا يسمع ولا يبصر فكيف يعبد الله ويعرفه؟ ولهذا دائماً يقول تعالى في عدة آيات: وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ [النحل:78]، والأفئدة هي العقول، فمن جُن لا يخاطب، والسمع والبصر لا بد منهما مع بعضهم البعض، ومن فقدهما لا يُكلف.

الصنف الرابع: هم أهل الفترة، وهي الفترة التي يفتر فيها الوحي وينقطع، فما هو مصير من ولد من زمن آدم وإلى الآن في بلاد ما وجد فيها من يعلمه؟ أو وُجد في بلاد كلها ضلال وشرك وكفر ولم يصله خبر النبوة؟ هؤلاء كلهم يسمون أهل الفترة، ومنهم آمنة و عبد الله و عبد المطلب ، وغيرهم؛ لأن آمنة ما عاشت حتى استنار الكون بالإسلام، و عبد المطلب كذلك.

أما أبو طالب فالذين يشهدون له بالجنة يكذبون رسول الله في ذلك، فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول له وهو مريض على سرير الموت -والشياطين حوله أمثال أبي جهل وفلان وفلان-: (يا عم قل لا اله الا الله كلمة أحاج لك بها عند الله) فينظر أبو طالب إلى الشياطين فيقولون له: أترغب عن ملة عبد المطلب ؟! وفي آخر لحظة قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: (هو على ملة عبد المطلب)، وأخذت روحه، فإلى جهنم.

وأخبر عنه الرسول الكريم بعد ذلك فقال: (إنه في ضحضاح من النار إلى كعبيه يغلي منه دماغه)، ثم يأتي المغرورون والمخدوعون والمقلدون ليقولوا: كيف يدخل عم الرسول النار؟ نعم، قدم للنبي صلى الله عليه وسلم خدمات عظيمة، وكان كالأسد يحميه، وما أوذي الرسول إلا بعد وفاة أبي طالب ، ولكنه مات على الشرك والكفر.

هؤلاء الأصناف الأربعة أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحالهم، وأنهم يمتحنون، يقول الله تعالى لهم بواسطة ملك من الملائكة: إن ربكم يقول لكم: ادخلوا النار.

وأبوابها مفتوحة، فمن كان مستعداً متهيئاً لو جاءه الرسول وبلغته دعوته أن يؤمن به، يقول: سمعاً وطاعة ويمشي إلى جهنم فيخالف به إلى الجنة، ومن كان مستعداً للكفر وحرب الإيمان وحامليه ودعاته يقول: كيف ندخل النار؟ لا نستطيع أن ندخلها، فيلجئون إليها إلجاءً ويدعون إليها دعاً، هذا هو الحكم.

ونحن نرجو أن يكون عبد الله أو عبد المطلب أو آمنة ممن هم مستعدون لدخول الإسلام وقبول التوحيد، ومن ثم يستجيبون لأمر الله ويخالف بهم إلى دار السلام، ما عندنا إلا هذا.

تابع غزوة الأبواء

قال: [كانت هذه الغزاة المسماة بالأبواء أو ودان لقرب ما بين الأبواء وودان، إذ ما بينهما من مسافة قد لا تزيد على ستة أميال، وهي أول غزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت في صفر] محرم هو بداية السنة الثانية، وكان ذلك في صفر [وسببها أنه صلى الله عليه وسلم بلغه مرور عير لقريش بالأبواء] بلغه عن طريق الأخبار من أناس يمشون يذهبون ويجيئون أو تجار أو مسافرين أن عيراً لقريش سوف تمر بالأبواء آتية من الشام تحمل البر والشعير والزبيب والأطعمة؛ إذ ليس هناك بواخر ولا سيارات ولكن الإبل، وهذا بناء على أنهم أخرجوه من داره واضطروه للخروج وحاربوه، ثم إن أموال أصحابه كلها في مكة، فمن الخير والحكمة والمنطق والعدالة أن يعترض

عيرهم ويأخذها أو يأخذ بعضها؛ ليطعم المؤمنين في المدينة [ووجود بني ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة في المنطقة] ممكن يستعين بهم بعد الله [فخرج لذلك، بعد أن استخلف على المدينة سعد بن عبادة رضي الله عنه] الرسول سياسي حكيم، ما ذهب مسافة بضعة كيلو مترات حتى استخلف على المدينة والياً عاماً وهو سعد بن عبادة الأنصاري رضي الله عنه [ولما وصل إلى ديار بني ضمرة وادعته هذه القبيلة بواسطة سيدهم وصاحب الأمر فيهم] ووادعته.
يعني: سالمته على ألا تؤذيه ولا يؤذيها، فكانت مصالحة مع قبيلة كافرة مشركة.
ونعود للسياسة: فقد بلغني الآن في المجلس أن سماحة المفتي الذي هو -والله- أعلم أهل الأرض اليوم وأصفاهم وأطهرهم وأزكاهم الشيخ عبد العزيز بن باز -أسأل الله أن يأخذ من أيامي ويزيد في أيامه، وأقول ذلك وأدعو بهذا الدعاء؛ لأني أخاف إذا مات أن تصاب المملكة بظلمة، فمن يخلفه بعد ذلك؟ إلا أن يشاء الله- أفتى بجواز المصالحة مع اليهود، وغضب من غضب، والحمد لله نحن قلنا هذا من أربعين سنة، ووالله لو كان العرب رشداء حكماء متأهلين للسيادة والكمال لكانوا من يوم أن قهرتهم إسرائيل في الحرب الأولى أو الثانية وطالبت المصالحة يصالحونها.
ولكن يقولون: إذا تم الصلح انتشر الزنا والخمر والباطل، وهاهم اليوم ينشرونه بدون مصالحة، وكيف ينشرونه؟ ألسنا المؤمنين فكيف نقبل الهبوط؟ كانوا خائفين لو تم الصلح أن تنقلب البلاد كلها إلى فسق وفجور، وها هي ذا منقلبة بدون مصالحة، وهل هذا تعليل؟! والله لو تم الصلح وكنا عازمين لكانت الآن فلسطين دولة إسلامية؛ لأن اليهود معروفون: أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ [البقرة:100]، تقووا أنتم يا عرب وأدخلوا نور الله في دياركم، وسالموهم عاماً أو عامين وبعد عشرة أعوام لعلهم ينقضون هم المعاهدة، فهذه طبيعتهم، فإذا نقضوها اصفعوهم وكلوهم كما فعل سيدكم صلى الله عليه وسلم.
ولا يفهمون هذا؛ لأنهم ما تخرجوا من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم.
النبي صلى الله عليه وسلم ما خرج من المدينة إلا ووضع عليها سعد بن عبادة رضي الله عنه والياً، والأحزاب اليوم في البلاد العربية والإسلامية ليس فيها حزب عنده رئيس، ولكن فوضى عامة وهيجان ثائر لا معنى له؛ ولهذا لا يستطيعون أن يقيموا حتى شعيرة دينية، فلو أن لهم رئيساً يصيح فيهم قائلاً: حجبوا نساءكم ما بقي -والله- امرأة تخرج إلا متحجبة، وبعد عام يقول: امنعوا وضع أموالكم في بنوك المرابين.
فلا تجد من يُدخل ماله في بنك ربوي، وبذلك يرتقي بهم حالاً بعد حال، وإذا بالبلاد كلها نور.
ولكن هيجان أعمى بلا بصيرة، والضربات كلها تنصب على الإسلام وعقيدته.
إذاً: كانت هذه الموادعة [بواسطة سيدهم وصاحب الأمر فيهم مخشي بن عمرو الضمري ، وفاتت عير قريش] ما وصل الرسول صلى الله عليه وسلم حتى مضت [فعاد صلى الله عليه وسلم ولم يلق كيداً] أي: شقاء وعذاب [غير أنه أقام بالأبواء بقية صفر وعاد في ربيع الأول، وكان لواؤه صلى الله عليه وسلم في هذه الغزوة أبيض يحمله عمه حمزة رضي الله عنه].

دعاء

معاشر المستمعين والمستمعات إخوانكم يتوسلون بكم إلى الله عز وجل؛ لأنكم مؤمنون أحياء تدعونه وأنتم في بيته وتدرسون كتابه وهدي نبيه، إن لهم مرضى في المستشفيات وفي البيوت، وقد استجاب الله لكم غير ما مرة، فهيا ندعو لهم بالشفاء: يا حي يا قيوم! يا حي يا قيوم! يا بديع السموات والأرض! يا مالك الملك! يا ذا الجلال والإكرام! هذه أكفنا قد رفعناها إليك سائلين ضارعين أن تشفي مرضانا ومرضى المؤمنين، اللهم إن لنا مرضى في بيوت وآخرين في المشافي وبيننا فاشفهم يا رب العالمين، إنه لا يشفي إلا أنت، اللهم اشفهم، اللهم اشفهم وعافهم ولا تبتلينا يا ربنا إنك ولينا وولي المؤمنين.
وصل اللهم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

طلب العون لبناء مركز إسلامي في هولندا

وأخيراً: هناك إخوان لكم جاءوا من هولندا يطلبون عوناً منكم؛ لأنهم يقومون ببناء مركز لتعليم أبنائهم وإخوانهم لنشر الإسلام هناك، فمن كان عنده ريال أو عشرة أو خمسة أو مائة فليقدمها، وَمَا أَنفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ [سبأ:39]، وهذا جهاد في الحقيقة؛ لأنهم ينشرون الإسلام في ديار الكفر، والله تعالى لا يضيع أجر من أحسن عملاً، ونحن لا نفتح هذا الباب وهو ممنوع، وإلا يصبح كل من له حاجة يجيء يشحتنا هكذا بين الناس، ولكن نصبر ولا نفتح الباب إلا نادراً.

وصلّ اللهم وسلم على محمد وآله وصحبه .

بعد غزوة الأبواء التي لم يلق فيها النبي ومن معه أحداً من المشركين، فلم يقاتلوا ولم يغنموا، خرج في نفس الشهر يريد أن يلقى عيراً لقريش ببواط، فلم يدركهم، وثبت ببواط إلى جمادى الأولى، ثم خرج في غزوة ثانية في نفس الشهر وهي غزوة العشيرة، فلم يظفر بشيء من عير قريش، ولكنه وادع في هذه الغزوة بني مدلج وحلفاءهم من بني ضمرة، فكان في ذلك خير للإسلام والمسلمين.

غزوة بواط

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فقد انتهى بنا الدرس عند مقطوعة من ثاني غزواته صلى الله عليه وسلم وهي [غزوة بواط] وبواط: مكان قريب من ينبع.

قال: [وبعد عودته صلى الله عليه وسلم من غزوة (ودَّان) أو (الأبواء)] والأبواء منطقة قريبة من رابغ، وبها آمنة بنت وهب أم النبي صلى الله عليه وسلم؛ إذ كانت قادمة من عند أخوال النبي صلى الله عليه وسلم فتوفيت بها، وقد استأذن النبي صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل في أن يسمح له بزيارتها فأذن له، وطلب منه أن يأذن له في الدعاء والاستغفار لها فلم يأذن له، فبكى صلى الله عليه وسلم، ويشهد لهذا قول الله عز وجل من سورة التوبة: مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُوْلِي قُرْبَى [التوبة:113]، وعليه فلا يجوز الاستغفار لمن مات على الكفر والشرك أبداً.

قال:[في ربيع الأول من هذه السنة الثانية من هجرته المباركة] من مكة إلى المدينة [استخلف على المدينة النبوية السائب بن عثمان بن مظعون] و عثمان بن مظعون أخو النبي صلى الله عليه وسلم من الرضاع، وأول من مات من المهاجرين بالمدينة [أو سعد بن معاذ] اختلفت الروايات في أيهما استخلفه النبي صلى الله عليه وسلم على المدينة وخرج غازياً [وخرج في نفس شهر ربيع الأول في مائتي راكب، يريد عيراً لقريش عليها مائة رجل من بينهم أمية بن خلف] الطاغية الكبير [وتعداد أبعرتها يبلغ ألفين وخمسمائة بعير] كانت تحمل البضائع [فسار صلى الله عليه وسلم ولواؤه] أي: رايته [مع سعد بن أبي وقاص] وهو من سادات المهاجرين رضي الله عنهم [حتى بلغ بواط من ناحية جبل رضوى جهة ينبع النخل] وجبل رضوى موجود إلى الآن، وتغنى به الشعراء [فلبث ببواط بقية شهر ربيع الثاني، وعاد في أوائل جمادى الأولى إلى المدينة دار هجرته المباركة، ولم يلق كيداً] لا قتال ولا غيره [وذلك لعدم اصطدامه بعير قريش حيث فاتت] مرت وفاتت [ونجت بتدبير الله عز وجل وإرادته، وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن].

خرج النبي صلى الله عليه وسلم في مائتي راكب بنية أن يأخذوا هذه الغنائم مقابل ما أخذت قريش من أموالهم وطردتهم، فلهم حق في ذلك، ولكن لم يشأ الله، فالقافلة مضت قبل أن يخرجوا إلى الطريق وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

قال: [وحسب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أنهم اجتهدوا باذلين الأسباب، وليس عليهم إلا ذلك] حسبهم أنهم بذلوا جهدهم وطاقتهم، وهذه أسباب لا بد منها، ولكن لم يشأ الله أن يظفروا بهذه الغنيمة [أما بلوغ الأرب] وقضاء الحاجة [والحصول على المطلوب فهو لله عز وجل].

هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه مائتا مؤمن مهاجر وأنصاري أرادوا شيئاً لكن الله لم يرده، وقد أدوا الأسباب كاملة ولم يشأ الله ذلك.

قال: [وهو يعطي ويمنع؛ لحكم عالية يجب التسليم له في ذلك والرضا بما قضى] فما تململوا ولا تضجروا ولا سخطوا ولا قالوا كيف هذا ولا .

.

وهذا هو تفويض الأمر إلى الله، فالسبب فعلوه والنجاح على الله عز وجل، وكونه تعالى لم يمكنهم فهو لحكمة عالية، فهذا تدبيره في خلقه، فلم يبق علينا إلا أن نسلم لله في حكمه، وأن نرضى بقضائه وتطمئن نفوسنا بذلك، فلا حزن ولا غم ولا هم.

غزوة العشيرة

قال: [وثالثتها: غزوة العشيرة] وفي لفظ العسيرة على خلاف، فتصح بالشين والسين [في آخر جمادى الأولى، وبعد عودته في أول الشهر من غزوة بواط بلغ النبي صلى الله عليه وسلم أن أكثر من عير لقريش -أي: قوافل تجارية- ذاهبة إلى الشام، فعزم على السير إليها لعله يظفر ببعضها] بلغه من طريق الأخبار لا الإعلام -فالناس يغدون ويروحون- أن أكثر من عير لقريش في طريقها إلى الشام، فأراد أن يتقابل معها ويسلبها أهلها [فخرج صلى الله عليه وسلم بعد أن استخلف على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد] و أبو سلمة هو شهيد أحد، وهو الذي تزوج الرسول صلى الله عليه وسلم امرأته أم سلمة بعد استشهاده، و أم سلمة هي التي جلست تبكي عاماً كاملاً بعد أن منعها قومها من الهجرة مع زوجها وأخذوا ولدها، فكانت تخرج إلى الأبطح تبكي حتى يأتي الليل، وهي أمنا الآن رضي الله عنها [وأعطى اللواء عمه حمزة] ابن عبد المطلب [رضي الله عنه، وسار حتى نزل العشيرة من بطن ينبع] من بطن ينبع النخيل [ولم يلق من عيرات قريش ولا عيراً لفواتها] وكذلك ما تألم ولا تأسف، فهو مأمور بالجهاد، وبلغه أن عيراً أو عيرات خرجت ففاتته فماذا يقول؟ يقول: ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، والأجر كامل ثابت لا ينقص منه شيء.
قال: [ولكنه صلى الله عليه وسلم وادع فيها بني مدلج وحلفاءهم من بني ضمرة] وهذه فائدة جديدة، فهاتان القبيلتان وادعهم على ألا يتعرضوا له ولرجاله ولا يتعرض لهم ولا لرجالهم ولا لأموالهم.
والموادعة: مصالحة على ألا تؤذوننا ولا نؤذيكم، فاقتضت هذا المصلحة ذلك وهم كافرون مشركون، وهو تمهيد عظيم للدعوة الإسلامية [فكان في ذلك خير للإسلام والمسلمين.
فأقام بالمنطقة بقية جمادى الأولى، وليالي من جمادى الآخرة، وعاد إلى المدينة ولم يلق كيداً من أحد، والحمد لله رب العالمين].

غزوة بدر الأولى

قال: [ورابعتها] رابع الغزوات في السنة الثانية من الهجرة [غزوة بدر الأولى] وهناك بدر الأولى وبدر الآخرة وبدر الكبرى في الوسط، وأصل بدر ماء بئر لرجل يقال له بدر.
قال: [إن سبب هذه الغزوة: هو أن كرز بن جابر الفهري أغار على سرح المدينة -أي: ماشيتها من إبل وغنم وبقر-] هذا العفريت يقال له: كرز ، وجد أغنام المدينة ترعى فاستغل الفرصة واستولى عليها نكاية بالمهاجرين والأنصار [وذلك بعد عودة النبي صلى الله عليه وسلم من غزوة العشيرة ببضعة أيام -من ثلاثة إلى تسعة- فلما أغار كرز على سرح المدينة، خرج الحبيب صلى الله عليه وسلم مع أصحابه في طلبه لافتكاك الماشية منه] وتخليص ما بيده [فاستخلف صلى الله عليه وسلم على المدينة زيد بن حارثة مولاه] جعله خليفة ينفذ أحكام الله في الناس [وأعطى اللواء] أو الراية [علي بن أبي طالب] فقد كان ينوع صلى الله عليه وسلم في حمل الراية يوم هذا ويوم هذا بحسب الاستعدادات، ويا ليتنا كنا معهم، وقد خرجوا مرة في غزوة -ستأتي- ما معهم إلا قليل من التمر فأصبح يعطى الرجل تمرة واحدة في أربع وعشرين ساعة، ولو حصل لنا هذا لالتحقنا ببريطانيا وما قبلنا الإسلام، فقولوا الحمد لله على العافية، فلو ابتلينا بعُشر ما ابتلوا به فقط من الجوع والخوف فلا تسأل عن حالنا.
قال: [وسار في طلب كرز حتى بلغ وادياً يقال له: سفوان في ناحية بدر] واد من الأودية يقال له: سفوان في ناحية بدر [وفاته كرز فلم يدركه] أخذ ما أخذ وهرب [فسميت هذه الغزوة بغزوة بدر الأولى، إذ انتهى فيها مسير رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قرب بدر، ووصفت بالأولى؛ لأن بعدها بدراً الكبرى التي نصر الله فيها الرسول والمؤمنين على أبي سفيان والمشركين، وهناك بدر الآخرة، فلذا قيل في هذه: بدر الأولى] إذاً: غزوات بدر ثلاث غزوات: أولى وثانية وثالثة.

قال: [وخامستها] خامسة الغزوات في السنة الثانية من الهجرة[سرية عبد الله بن جحش إلى نخلة بين مكة والطائف] و عبد الله بن جحش صهر النبي صلى الله عليه وسلم، أخو زينب أم المؤمنين، ولهما قصة جاءت في سورة الأحزاب وهي: أن النبي صلى الله عليه وسلم أُمر بأمر من الله أن يخطب زينب القرشية لمولاه زيد ، وكان صلى الله عليه وسلم في أعلى درجات الحياء (كان أشد حياء من البكر في خدرها)، فلما خاطبها قبل نزول الحجاب فهمت أنه يخطبها لنفسه، فطارت من الفرح، فقلن لها المؤمنات: أنت غالطة، إنما يخطبك لزيد مولاه، فقالت: لزيد ؟ قالوا: نعم.

فقالت: لا يكون هذا! شريفة تتزوج مولى من موالي العرب؟ ووقف إلى جنبها أخوها عبد الله هذا وقال: شرفنا! أيتحدث الناس أن فلانة تزوجت مولى؟! ويأبى الله إلا أن يتم ما يريد، فأنزل قوله عز وجل: وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالًا مُبِينًا [الأحزاب:36].

فما إن نزلت الآية وتناقلتها الأفواه وتليت في البيوت حتى اطرحت زينب وأخوها على الأرض، وقالا: افعل يا رسول الله ما تشاء! وبالفعل تزوجت زينب زيد بن حارثة ، وكانت الحياة بينهما غير مستقرة ولا هادئة، بل زيد ما طابت نفسه أن يتزوج شريفة أرفع منه درجة، وتضايق من آلامها، وكان يأتي الرسول صلى الله عليه وسلم ويقول: يا رسول الله! ما أطيق، فيقول له الرسول: أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ [الأحزاب:37]، والرسول خائف أن يزوجه الله إياها، فأنزل الله تعالى قوله: وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ [الأحزاب:37]؛ لأن الله أراد أن يهدم صورة من صور الجاهلية وهي: أن الرجل إذا تبنى ولداً ونسبه إليه حرم عليه أن يتزوج امرأته؛ لأنه كولده، فأراد الله أن ينسخ هذه العادة، وأن المتبنى لن يكون ولداً أبداً، وزوجته تحل لمن تبناه وأنه ليس كالابن أبداً.

إذاً: طلقها زيد ، قال الله عز وجل: فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا [الأحزاب:37]، من الذي زوجه إياها؟ الله جل جلاله، لقد تم العقد -والله- في الملكوت الأعلى، وكانت تفاخر النساء وتقول: ما منكن امرأة إلا وتولى نكاحها أبوها أو أخوها وتولى نكاحي ربي من فوق سبع سموات.

وحق لها أن تفاخر، ويكفيها هذا شرفاً؛ لأنها اطرحت بين يدي الله، وسلمت أمرها لرسول الله، فأعطيت هذه المفخرة وهذا الكمال.

أما زيد المبتلى فأعطاه الله شرفاً لم يفخر به غيره من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو: أن الله أنزل اسمه في كتابه ليقرأه العرب والعجم إلى يوم القيامة، ولم يُنزل اسم صحابي قط في القرآن الكريم إلا زيد ، قال الله عز وجل: فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا [الأحزاب:37]، والرسول ابتلي كما ابتلي زيد وابتليت زينب وأخوها، فماذا أعطى الله لرسوله؟ حسبه أن يقول له: (زوجناكها).

إذاً: عرفنا عبد الله صاحب السرية أخو زينب رضي الله عنها، وصهر الحبيب صلى الله عليه وسلم، وهناك فرق بين الغزوة والسرية، والغالب أن الغزوة شهدها الرسول صلى الله عليه وسلم بنفسه وحضرها، أما السرية فأحياناً يخرج فيها وأحياناً لا يخرج، فالغالب في السرية ألا يكون فيها الرسول صلى الله عليه وسلم.

قال: [هذه السرية شاء الله تعالى أن تكون سبباً قوياً في غزوة بدر الكبرى] والله يقضي أو يربط أقداراً بأقدار [ومقدمة عجيبة لها؛ إذ كانت هذه السرية في رجب من هذه السنة الثانية، وكانت غزوة بدر الكبرى في رمضان من هذه السنة نفسها، فما بين سرية ابن جحش وبدر الكبرى إلا شهر شعبان لا غير.

فقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم أبا عبيدة عامر بن الجراح أن يتجهز للغزو] وهذا أحد العشرة المبشرين بالجنة [فأطاع وتجهز] ومعنى تجهز: أعد اللباس وحفنة الطعام والسهام والرماح، وهيأ أهله وأوصى عليهم أو طمأنهم [أي: أعد عدة سفر وغزوة، فلما أراد المسير بكى؛ صبابة إلى رسول الله] شوقاً وحزناً [أي: تألم لفراقه ولم يطقه فبكى حنيناً وشوقاً] ما استطاع أن يفارق الرسول صلى الله عليه وسلم [فلما رأى منه ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الحبيب المحب تركه] يعني قال: اقعد عندنا، خليك معنا ما دمت لا تستطيع الفراق [وبعث غيره هو عبد الله بن جحش] أخو زينب رضي الله عنهما [وبعث معه ثمانية رجال من المهاجرين] سرية من ثمانية رجال من المهاجرين

ليس بينهم أنصاري [وكتب له كتاباً عهد له فيه بأمور] في الكتاب [وأمره ألا يقرأه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه] حتى لا يضطرب رجال السرية، فلو مشى يوماً واحداً أو نصف يوم لعلهم يقولون نرجع، لكن قال له: لا تقرأ الكتاب إلا بعد يومين [ويمضي لما أمره به، ولا يُكره أحداً من أصحابه] على أن يمشي معه.
يعني: يعلمهم ويمضي ومن أراد أن يرجع فلا يكرهه على البقاء، فليس ثمة إكراه [ولما سار اليومين فتح الكتاب ونظر فيه، فإذا فيه الأمر بالنزول بنخلة وهي مكان بين مكة والطائف] موجود إلى الآن ومعروف، يقال له: نخلة [يرصد فيه قريشاً ويعلم أخبارها وتحركاتها وتدابيرها العسكرية الحربية].
من أي كلية حربية تخرج الرسول صلى الله عليه وسلم؟ كيف عرف هذه التدابير؟ إنه أستاذ الحكمة ومعلمها، ومن أراد أن يرتقي في باب الحروب وقيادتها فليقرأ سيرة محمد صلى الله عليه وسلم بإيمان وصدق، ووالله لن يساويه أحد أو يساميه.
قال: [فأعلم عبد الله أصحابه فساروا معه] ما تأخر أحد [وكان سعد بن أبي وقاص و عتبة بن غزوان قد أضلا بعيراً لهما] أي: فقدا بعيراً من أبعرتهما التي يركبون عليها [كانا يتعقبانه فتخلفا يطلبانه] جلسا في المنطقة يطلبان بعيرهما والسرية راجلة [فسار عبد الله مع بقية أصحابه حتى نزلوا بنخلة] المكان المطلوب [فمرت عير لقريش تحمل زبيباً وغيره] والزبيب من الطائف وهو العنب الجاف، يستعملونه في الماء كي يصير حلواً [وفيها عمرو بن الحضرمي و عثمان بن عبد الله بن المغيرة وأخوه نوفل و الحكم بن كيسان ، فأشرف لهم عكاشة بن محصن] وهذا من رجالات السرية، أراد أن يخدعهم، والحرب خدعة، فمن وضع هذه القاعدة؟ هل وضعها رجال الحرب في بريطانيا؟ لا.
وضعها أبو القاسم صلى الله عليه وسلم، قال: (الحرب خدعة)، فاختزل الحرب كلها في الخدعة، فماذا فعل عكاشة بن محصن ؟ قال: [وقد حلق رأسه] صار أصلعاً؛ ليوهمهم أنه جاء معتمراً، ما جاء للغزو أو للتعرف على أحوال قريش، فرأسه ليس فيه شعرة واحدة [فلما رأوه حالقاً رأسه أمنوا بعد أن خافوهم إذ قالوا: لا بأس هؤلاء عمار] أي: معتمرون.
قال: [وتشاور أفراد السرية الإسلامية، وكان اليوم هو آخر يوم من رجب: لئن تركناهم هذه الليلة دخلوا الحرم] فالحرم قريب [وامتنعوا منا، ولئن قاتلناهم الليلة قاتلناهم في الشهر الحرام فتردد القوم] فيم يصنعون، قالوا: إن تركناهم دخلوا الحرم ولا يحل لنا قتالهم في حرم الله، وإن قاتلناهم الآن نخشى أن يكون هذا اليوم من رجب، ورجب من الأشهر الحرم، بل من أعظمها [ثم تشجعوا على قتل من يقدرون منهم؛ لأن جرائم المشركين أعظم من القتل في الشهر الحرام] جرائم المشركين أعظم من كونك قاتلت في الشهر الحرام [فرمى واقد بن عبد الله التميمي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله] وهلك الحضرمي [واستأسر عثمان بن عبد الله و الحكم بن كيسان ، وهرب نوفل فطلبوه فأعجزهم هرباً] من الجري[وأقبلوا بالقافلة] التي كانت تحمل الزبيب وغيره [والأسيرين عائدين إلى المدينة] جاءوا إلى المدينة [حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذكر بعض آل عبد الله بن جحش أن عبد الله قال لأصحابه: إن لرسول الله صلى الله عليه وسلم الخمس] وهذا بإلهام من الله قبل أن ينزل تقسيم الغنائم، قال عبد الله بن جحش : يا إخواننا اعرفوا أن للرسول الخمس في هذه الغنيمة، بإلهام من الله، وما أنزلها الله في القرآن بعد، حتى انتهت بدر ونزلت: وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ [الأنفال:41] أي: حتى رمضان.
قال: [فعزل له خمس العير، وذلك قبل أن ينزل فرض الخمس، وإنما كان بإلهام من الله تعالى لعبد الله بن جحش صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم] وفي ذاك الوقت لم يكن صهره بعد [إلا أن النبي صلى الله عليه وسلم أنكر عليهم قتالهم في الشهر الحرام] قال: ليس من حقكم أن تقاتلوا في الشهر الحرام [فوقف العير والأسيرين] أي قال: اتركوا هذا حتى يحكم الله عز وجل إذ لا حق لنا فيه [وأبى أن يأخذ شيئاً من ذلك، فلما فعل هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم سُقِطَ في أيدي السرية، وظنوا أنهم قد هلكوا، وعنفهم المسلمون على صنيعهم هذا] كيف أنهم يقاتلون في الشهر الحرام؟ قال: [وأذاعت قريش الخبر مشنعة أكبر تشنيع] كإذاعة لندن أو أكثر، قالوا: هاهو محمد يقاتل في الشهر الحرام ويقتل الناس [إن محمداً وأصحابه استحلوا الشهر الحرام، وسفكوا فيه الدم، وأخذوا الأموال، وأسروا الرجال، واعتذر من اعتذر لهم بمكة من المؤمنين، وقالوا] في اعتذارهم [إنما أصابوا من أصابوا في أول ليلة من شعبان وليس في رجب الحرام كما أشيع، إذ آخر يوم من رجب جائز أن يكون أول يوم من شعبان.
وكثرت التساؤلات، فأنزل الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم عذر أصحاب السرية، منددا بصنيع المشركين، فقال تعالى في سورة البقرة] وتأملوا [يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ [البقرة:217]] يعني: عن القتال فيه [قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ [البقرة:217]] ولكن [وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ

أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ [البقرة:217]] يعني: ترتكبون ألف جريمة، وجريمة واحدة تشنعون عليها، فسبحان الله العظيم! يدافع عن أوليائه [فقررت الآية الكريمة أن القتال في الشهر الحرام أمر عظيم، ولكن أعظم منه صد الناس عن الإسلام؛ حتى لا يؤمنوا ويوحدوا فيكملوا ويسعدوا.

وأعظم من القتال في الشهر الحرام أيضاً الكفر بالله تعالى وبرسوله ولقائه، كما أن الصد عن المسجد الحرام بمنع المؤمنين من دخوله والتعبد فيه، كإخراج أهله المقيمين فيه بتعذيبهم والتنكيل بهم حتى يضطروا إلى الهجرة منه أكبر من القتال في الشهر الحرام.

وأخيراً: فإن فتنة المؤمنين عن دينهم باضطهادهم وتعذيبهم أشد ظلماً وأقبح جرماً من القتال في الشهر الحرام.

وعندما نزل عذر أصحاب السرية في هذه الآية الكريمة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلين: هل لنا من أجر في قتالنا هذا؟ فأنزل الله تعالى قوله: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ [البقرة:218]وانتهت تلك الضجة] المفتعلة [وبعثت قريش تطلب فداء أسيريها وأرجأهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يرجع سعد بن أبي وقاص وزميله عتبة بن غزوان إذ تأخرا عن السرية في طلب بعيرهما كما تقدم] يعني قال: انتظروا حتى يأتي البطلان[ولما وصل سعد و عتبة أفدى رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان بن عبد الله فلحق بمكة، أما الحكم بن كيسان فقد أسلم وحسن إسلامه] الأسيران أحدهما فُدي، والثاني أسلم وحسن إسلامه [فلم يرده رسول الله صلى الله عليه وسلم على المشركين، واستشهد الحكم يوم بئر معونة فرضي الله عنه وأرضاه.

وقد سجل هذه السرية الصديق رضي الله عنه في ستة أبيات من الشعر فقال] أبو بكر الصديق دون القضية كاملة فقال: [تدعون قتلاً في الحرام عظيمة وأعظم منه لو يرى الرشد راشد صدودكم عما يقول محمد وكفر به والله راء وشاهد وإخراجكم من مسجد الله أهله لئلا يرى لله في البيت ساجد فإنا وإن عيرتمونا بقتله وأرجف بالإسلام باغ وحاسد سقينا من ابن الحضرمي رماحنا بنخلة لما أوقد الحرب واقد دماً وابن عبد الله عثمان بيننا ينازعه غل من القد عاند].

دعاء

معاشر المستمعين عرفتم أن الله استجاب لكم البارحة فماذا ستقدمون من الشكر له؟! وأنا داع وأنتم أمنوا.

اللهم لك الحمد يا رب السموات والأرض ورب العالمين، اللهم لك الحمد على ما أوليت وأعطيت وأنعمت وتفضلت، اللهم لقد رفع إليك عبيدك المؤمنون أكفهم فما خيبتها يا رب فاستجبت لهم وسقيت ديارهم، اللهم زدنا يا ربنا، اللهم زدنا يا ربنا، اللهم زدنا يا ربنا، ولا تنقصنا يا مولانا، وأعطنا ولا تحرمنا.

اللهم إنا نحمدك ونشكرك على ما أوليت وأنعمت، اللهم لك الحمد على ما قضيت، ولك الشكر على ما أعطيت، اللهم لك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً، اللهم لك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، اللهم كما سقيتنا اسق ديار إخواننا المحتاجة إلى الماء يا رب العالمين.

اللهم إن بيننا مرضى وفي بيوتنا مرضى وفي مشافينا مرضى يسألونك الشفاء فاشفهم يا رب العالمين، اللهم اشفهم يا رب العالمين، اللهم عجل بشفائهم يا مولى المؤمنين ومتولي الصالحين، اللهم إن فتناً دائرة في بلاد الإسلام والمسلمين فأطفأ نارها وأخمدها واجمع أهلها على عبادتك وتقواك، اللهم اجمعهم على عبادتك وتقواك، اللهم أطفأ نيران تلك الفتنة فإنها لا خير فيها لإخواننا المؤمنين، اللهم أطفأها وعوضها بالصلح والمصالحة والسير في الصراط المستقيم، إنك ولي ذلك والقادر عليه.

وصلِّ اللهم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

كان النبي صلى الله عليه وسلم يرسل السرايا ويخرج في بعض الغزوات دون أن يواجه أحداً من المشركين، إلى أن جاء موعد غزوة بدر، والتي خرج فيها رسول الله ليدرك عيراً لقريش، عليها تجارتهم وأموالهم، وحين تسامعت قريش بهذا خرجت لملاقاة النبي في ألف مقاتل أو قريباً من ذلك، وقد فاتت العير رسول الله ومن معه، وهيأ الله الظروف للقاء الكبير بين أهل الإيمان والتوحيد وأهل الكفر والفجور.

نتائج وعبر من سرية عبد الله بن جحش إلى نخلة بين مكة والطائف

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.
أما بعد: الدرس الماضي ما استطعنا أن نكمل النتائج والعبر التي تمت في تلك الأحداث، وهاهي ذا بين أيديكم .
.
قال: [نتائج وعبر: إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبراً نوجزها فيما يلي: أولاً: بيان ما اضطلع به الحبيب صلى الله عليه وسلم من أعباء الجهاد والدعوة؛ إذ ما فرغ من غزوة حتى تهيأ لأخرى وأعدّ لها، فجزاه الله عن الإسلام وأمته خير ما جزى به نبياً عن أمته.
ثانياً: بيان الكمال المحمدي في حسن التدبير، وكمال التصرف وعظيم الرشد في كل أعماله.
ثالثاً: بيان أول غنيمة كانت في الإسلام، وخمّست بإلهام من الله تعالى حتى فرض الله تعالى بعد ذلك تخميس الغنائم] وهي غنيمة عبد الله بن جحش ، أخو زينب ، صهر الحبيب صلى الله عليه وسلم، لما بعثه رسول الله مع جماعة من أصحابه وكتب له كتاباً وقال: لا تقرؤه حتى تصل إلى كذا، وكانت النتيجة طيبة، فقتلوا ابن الحضرمي وأسروا اثنين وجاءوا بالغنيمة، وفي الطريق قال عبد الله لرجاله: نعطي الخمس للرسول صلى الله عليه وسلم، وهذا قبل أن يشرع الله تخميس الغنائم، وبعدها قال تعالى: وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ .[الأنفال:41].
قال: [رابعاً: بيان أول فداء في الإسلام] أول فداء تم في الإسلام عندما جاء الصحابة الغزاة بأسيرين أحدهما أسلم وحسن إسلامه واستشهد في الإسلام، والثاني فداه رسول الله بمال، فقد بعثت قريش بمال وافتدت به أسيرها، فكان أول فداء في الإسلام.
[خامساً: بيان مدى ما كان عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من حبهم لنبيهم، حتى إن أبا عبيدة لم يستطع أن يفارق الحبيب صلى الله عليه وسلم، فرحمه لذلك وأبقاه معه] أبو عبيدة عامر بن الجراح لما هيأه الرسول صلى الله عليه وسلم للسرية بكى صبابة وشوقاً وحنيناً، وما استطاع أن يفارق الرسول صلى الله عليه وسلم، فقال له النبي: ابق معنا.وهذا فيه بيان مدى حب أصحاب رسول الله لنبيهم.
[سادساً] وأخيراً [بيان أن سرية عبد الله بن جحش كانت مقدمة لغزوة بدر الكبرى].

غزوة بدر الكبرى

قال: [غزوة بدر الكبرى] فهيا نعش أحداثها [لهذه الغزوة الفاصلة في تاريخ الدعوة الإسلامية] وحقاً فاصلة [والمعنون لها في القرآن -بيوم الفرقان- لها خطوات قبل الالتقاء فيه، وله أحداث جسام عنده وبعده، وهذه هي الخطوات التي تمت من الجانبين: الإيماني والكفري، أو التوحيدي والشركي] جانب الإيمان وجانب الكفر، أو جانب التوحيد وجانب الشرك [أولاً: قافلة تجارية كبرى لقريش خرجت من الشام يقودها أبو سفيان] رئيس مكة وحاكمها [ورجاله] معه [في طريقها إلى مكة المكرمة] وقد تقدم أن القافلة يكون فيها أحياناً ألف بعير تحمل السلع والبضائع [ثانياً: يصل خبر القافلة إلى النبي صلى الله عليه وسلم] لأن الناس يسافرون ذاهبين آيبين، فوصل خبر إلى النبي

صلى الله عليه وسلم أن قافلة أبي سفيان خرجت من الشام في يوم كذا وقد تمر بالحجاز [فينتدب بعض أصحابه لاعتراضها] وتلقيها في طريقها [إذا مرت بالحجاز، لعل الله تعالى ينفلهم إياها -أي: يرزقهم ما تحمله من بضائع وسلع نافعة وعظيمة- وهم أحوج ما يكونون إلى ذلك؛ لأن أموالهم تركوها بمكة وفروا] هاربين [بأنفسهم مهاجرين فصادرتها قريش منهم] فلهذا هم في حاجة إلى هذه القافلة وما تحمل من السلع والبضائع.
قال: [ولنستمع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لهم: (هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها)] أي: يجعلها نافلة لكم [فخف بعض، وثقل بعض] أي: بعض الصحابة خفوا ونشطوا ليخرجوا وبعضهم سكنوا وثقلوا [لأن الأمر ما كان ملزماً وإنما هو مجرد عرض لا غير] واسمع الصيغة! (هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها)، فما هو بأمر هذا ملزم، فلهذا بعضهم خف، وبعضهم ثقل [كما أنهم ما كانوا يظنون أن النبي صلى الله عليه وسلم سيواجه حرباً ويلقى قتالاً] ولو أنهم فهموا أن الرسول صلى الله عليه وسلم في هذه الحادثة والغزوة يلاقي حرباً لكانوا يخفون، لكن ظنوا استقبال هذه العير إما يحصلوا عليها وإلا تفوتهم كسابقاتها، وهذا سر تباطئهم أو عدم خفتهم.
[ثالثاً: أبو سفيان يدنو من الحجاز بقافلته، وها هو ذا يتحسس الأخبار ويسأل كل من يلقى من الركبان؛ خوفاً من محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه أن يعترضوا طريقه] وهو بالغ الذكاء [وفعلاً أصاب خبراً من بعض الركبان مفاده] هذا الخبر الذي حصل عليه [أن محمداً صلى الله عليه وسلم قد استنفر أصحابه له ولعيره، فقوي بذلك خوف أبي سفيان ؛ فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري] يعني: قال له: امش وبلغ رسالتنا إلى قريش قبل أن يتم الأمر.
و أبو سفيان كان حكيماً رضي الله عنه، ونقول: رضي الله عنه؛ لأنه دخل في رحمة الله بعد ذلك وأسلم [وبعثه إلى مكة؛ ليستنفر قريشاً فيخرجوا لحماية عيرهم التي بها أموالهم.
رابعاً: في مكة ترى عاتكة بنت عبد المطلب رؤيا أفزعتها] عاتكة عمة الرسول صلى الله عليه وسلم، رأت رؤيا منامية أفزعتها، وحقاً هي مفزعة [وذلك قبل قدوم ضمضم الغفاري إلى مكة بثلاث ليال، فبعثت إلى أخيها العباس رضي الله عنه فتقول له: يا أخي! لقد رأيت الليلة رؤيا أفظعتني، وتخوفت أن يدخل على قومك شر ومصيبة] وجاء العباس [فقال لها: وما رأيت؟ قالت: رأيت راكباً أقبل على بعير له حتى وقف بالأبطح] وهو مكان واسع معروف في مكة [ثم صرخ بأعلى صوته: ألا انفروا يا لغدر لمصارعكم في ثلاث مرات.
فرأى الناس قد اجتمعوا إليه، ثم دخل المسجد الحرام والناس يتبعونه، فبينما هم حوله، مثل به بعيره على ظهر الكعبة] ارتفع من بعيره إلى سطح الكعبة [ثم صرخ بمثلها: ألا انفروا يا لغدر لمصارعكم في ثلاث، ثم مثل به بعيره على رأس جبل أبي قبيس فصرخ بمثلها، ثم أخذ صخرة فأرسلها، فأقبلت تهوي حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارتضت، فما بقي بيت من بيوت مكة ولا دار من دورها إلا دخلتها منها فلقة] وتمت الرؤيا كما سمعتم [فقال لها العباس والله إن هذه لرؤيا فاكتميها ولا تذكريها لأحد.
واستكتمته إياها إلا أنه قصها على الوليد بن عتبة صديقه واستكتمه إياها] أي: قال له: لا تخبر بها أحداً، يعني: ما صبر هو فأطلع عليها صديقه [فذكرها الوليد لأبيه؛ ففشت] أي: انتشرت، وهكذا الأخبار تفشو دائماً بهذه الطريقة [حتى بلغت أبا جهل فغضب لذلك، فلما رأى العباس يطوف بالبيت ناداه: يا أبا الفضل ! إذا فرغت فأقبل إلينا، فلما جاءه قال له: يا بني عبد المطلب متى حدثت فيكم هذه النبية؟] أي: متى وجدت فيكم هذه النبية؟ يعني عاتكة ، وهذا من شدة الألم والفزع [قال العباس : قلت: وما ذاك؟ قال: تلك الرؤيا التي رأت عاتكة ! قال العباس : فقلت: وما رأت؟ قال: يا بني عبد المطلب أما رضيتم أن يتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم؟ لقد زعمت عاتكة في رؤياها أنه قال: انفروا في ثلاث، فسنتربص هذه الثلاث] الليالي، وننظر بعد ذلك [فإن يك حقاً ما تقول فسيكون، وإن تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شيء، نكتب عليكم كتاباً أنكم أكذب أهل بيت في العرب.
وبعد ثلاث وصل ضمضم بن عمرو الغفاري ، ووقف على بعيره ببطن الوادي، وقد حول رحله وشق قميصه، وجدع بعيره، وهو يصرخ بأعلى صوته قائلاً: اللطيمة اللطيمة، أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه] فكان كما رأت عاتكة .
وشقه قميصه؛ لتهويل الأمر، على عادتهم [لا أرى أن تدركوها الغوث الغوث؛ وتجهزت قريش، وهم يقولون: أيظن محمد وأصحابه أن نكون كعير ابن الحضرمي ، كلا والله ليعلمن غير ذلك] وعير الحضرمي أخذوها الأصحاب بعد أن قتلوا ابن الحضرمي وأخذوا أسيرين وهرب الثالث وجاءوا بالغنيمة.

قال: [ولما أجمعت قريش المسير، ذكرت ما كان بينها وبين بني بكر من حرب فخافت أن تضرب من خلف، إلا أن إبليس جاءهم في صورة سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي] وهو الذي يوم هاجر الرسول مشى وراءه بفرسه يبغي جائزة قريش، فعثر ثلاث مرات، وبعد أعلن توبته.
وبشره النبي صلى الله عليه وسلم بسواري كسرى، وبالفعل لما دخل عمر بجيشه قصر كسرى وأُخذ السوار أُلبسه سراقة [وكان من أشراف بني كنانة، فقال لهم: أنا جار لكم فلا تأتيكم كنانة من خلفكم بشيء تكرهونه، فطمأنهم بهذا فمشوا سراعاً] وهل يستطيع إبليس أن يتمثل في صورة رجل؟ نعم.
والله يتمثل، أما علمتم يوم كانوا يتداولون القضاء على رسول الله في ناديهم، أنه جاء رجل من رجالات نجد الحكماء البصراء الساسة، وهو الذي أرشدهم إلى أن يعدموه ويستريحوا منه؟! ويكنى بأبي مرة، وقد جاء الآن في صورة أحسن رجل ليوهمهم ويخدعهم.
[خامساً: وخرج النبي صلى الله عليه وسلم في ليال مضت من شهر رمضان مع أصحابه، وذلك يوم الإثنين لثمان ليال خلون من شهر رمضان، واستعمل على المدينة عبد الله بن أم مكتوم] الذي كان يؤذن وهو أعمى، ونزل فيه قوله تعالى: عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَى * وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى [عبس:1-3]، فهو الذي لام الله عليه رسوله، جعله الرسول نائباً عنه في المدينة.
أما نحن إذا حصل لنا لوم بسبب شخص فلا ننظر إليه، والله عز وجل يلوم رسوله صلى الله عليه وسلم ويقول: عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَى * وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى * أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى * أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى * فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى * وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى * وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى * وَهُوَ يَخْشَى * فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى [عبس:1-10] فكان الرسول صلى الله عليه وسلم ما إن يرى ابن أم مكتوم حتى يوسع له المكان أو يفرش له الفراش ويقول: (اجلس يا من لامني ربي من أجله).
قال: [إلا أنه رد أبا لبابة من الروحاء، واستعمله على المدينة] لما خرجوا وانتهوا إلى الروحاء على أميال من المدينة رد النبي صلى الله عليه وسلم أبا لبابة وقال له: امش أنت وتولى أمر المدينة؛ لأنه بصير أولى من عبد الله بن أم مكتوم .
إذاً: أولاً: أفرح ابن أم مكتوم وأدخل عليه السرور.
والثاني: علم أنه لا يستطيع أن يؤدي الواجب وهو أعمى فبعث أبا لبابة .
وهذا من الحكمة المحمدية! [وأعطى اللواء مصعب بن عمير] شهيد أحد [وكان أمامه صلى الله عليه وسلم رايتان سوداوان: العقاب وكانت مع علي بن أبي طالب ، والأخرى مع بعض الأنصار] واللواء غير الرايات [وكان معهم سبعون بعيراً يعتقبونها] كل من عيي ينزل ويركب الثاني، ويعتقبونها أي: يتناوبون ظهورها [وهم ثلاثمائة وأربعة عشر رجلاً] كان عددهم عدد قوم طالوت ، وقد نصرهم الله على عشرات الآلاف، وكذلك أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم نصرهم الله على ألف مشرك تقريباً.
قال: [وليس معهم إلا فرسان: فرس الزبير بن العوام ، وفرس المقداد بن عمرو] وهو المقداد بن الأسود [ثم سلكوا طريق العقيق على فجّ الروحاء، ونزل صلى الله عليه وسلم ببئر الروحاء] وهو موجود إلى الآن، يسمونه: بئر الراحة [ثم ارتحل منها، فترك طريقاً على يساره، وسلك ذات اليمين، وقطع الوادي إلى مضيق الصفراء، ثم بعث بسيس الجهني و عدي بن أبي الزغباء إلى بدر يتحسسان له الأخبار عن أبي سفيان وعيره] وهذا عمل حكيم من رسول الله صلى الله عليه وسلم.
[ثم سار سالكاً ذات اليمين على وادي ظفران، ولما قطعه نزل.
وقد أتاه صلى الله عليه وسلم الخبر عن مسير قريش ليمنعوا عيرهم] بلغه أن قريشاً خرجت.
أما صاح فيهم ضمضم وأخبرهم فخرجوا؟ فبلغ الخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن قريشاً خرجت لتحمي العير وتمنعها.
[فاستشار الناس وأخبرهم عن مسير قريش] أيها الأصحاب! ماذا ترون؟ إن قريشاً خرجت برجالها.
قال تعالى: وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ [آل عمران:159] [فقام أبو بكر فقال وأحسن] أي: قال وأحسن القول [ثم قام عمر فقال وأحسن، ثم قام المقداد بن عمرو فقال: يا رسول الله امض لما أمرك الله به؛ فنحن معك؛ والله لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى: فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ [المائدة:24]، ولكن نقول: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون] والمقداد هذا من أصحاب الألف، أي: إذا طلب

مدد لجيش بألف رجل، بُعث له بواحد من هؤلاء يقوم مقام الألف، وكذلك كـخالد بـن الوليد و علـي بـن أبـي طالـب و الزبير بن العوام .
قال: [فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه.
فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم خيراً، ودعا له به] وبرك الغماد: أبعد بلاد في اليمن.
[ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أشيروا علي أيها الناس)] الموقف حرج.
وهو يريد بذلك أن يحرك الأنصار؛ حتى لا يقال: هؤلاء المهاجرون أموالهم ضاعت وأرادوا أن يستردوها، فما ذنبنا نحن نموت؟! [فوقف سعد بن معاذ] الذي اهتز عرش الرحمن لموته، حزناً عليه، فأين هؤلاء الرجال؟ والله لو تجمع البشرية كلها اليوم ما كانوا سعد بن معاذ ، لا في صبره ولا في إيمانه ولا في يقينه ولا في آدابه ولا في أخلاقه ولا في جهاده، فنحن هبطنا من زمان.
ماذا قال سعد ؟ [وقال: والله لكأنك تعنينا يا رسول الله! قال: (أجل)، فقال سعد : فقد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا؛ فامض يا رسول الله لما أردت ونحن معك، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا أحد] هل هذا الكلام يُسمع اليوم عندنا؟
لقد قلنا لإخواننا الفلسطينيين: بايعوا -بيعة الرسول صلى الله عليه وسلم- رجلاً، وليقم فيكم دين الله وشرعه، وما أن تمر سنيات ثلاث أو أقل وإذا بكم كتلة من النور في الأرض تغمر العالم، وتستردون فلسطين، وتطهرون بلاد العرب أجمعين؟ قالوا: لا نستطيع.
إذاً: لم يقتل بعضكم بعضاً؟ لم تتعرضون للبلاء وتُحزنون إخوانكم المسلمين وتكربونهم، هل لأمة مختلفة متناحرة أن ترفع رايتها؟! أنى لها ذلك؟! إن أمة الإسلام من أقصى الشرق إلى الغرب -أربعون دولة وزيادة- مفترقة، ووالله إنهم لآثمون، ولن ترفع رءوسهم ولن يعزوا ولن يسودوا أبداً ما داموا كذلك، كيف يرضون بالتفرق والتمزق؟ لماذا لا يأتون إلى روضة النبي ليبايعوا خليفة لهم؟! قالوا: لا نستطيع.
والآن الشبان يتحمسون قائلين: التحكيم والحاكمية لله، وهم ما طبقوه في أنفسهم، ويريدوا أن يطبقوه على الجهلة والعميان من المسلمين.
لابد من بيعة ربانية، فإذا قال أمير المؤمنين: قفوا.
وقفوا أجمعون، وإذا قال: اجلسوا.
جلسوا، وبدون هذا لن ترتفع راية الحق في العالم الإسلامي أبداً.
هذا منهج رسول الله صلى الله عليه وسلم، ألم يفرض الله حب الرسول؟! ومن لم يحب الرسول كافر عليه لعائن الله؛ لأن من لم يحبه لا يطيعه، ولو أطاعه في حادثة عصاه في عشر أخرى، وهل المسلمون الآن يحب بعضهم بعضاً؟ أمثل دولة عندنا وأمثل مكان هذا الذي نحن فيه، تجدهم يبغضون بعضهم بعضاً، فكيف يحبون من هبطوا عن الإسلام وبعدوا منه؟! قال: [وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً إنا لصُبُرٌ في الحرب، صُدُقٌ في اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله، فسُر الرسول صلى الله عليه وسلم لقول سعد ونشّطه، فقال: (سيروا وأبشروا، فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم)] هناك تلفاز رباني، ينظر من خلاله إلى مصرع أبي جهل ورجاله.
[وطلب النبي صلى الله عليه وسلم من أصحابه أن يشيروا عليه كان يعني به الأنصار؛ لأن شروط بيعة العقبة التي كانت بينه وبينهم لم تتضمن نصرتهم له خارج المدينة وإنما داخلها فقط] ما التزموا له بالقتال خارج المدينة في بيعة العقبة قبل الهجرة [فخاف ألا يقاتلوا معه من خرج لقتاله، فلذا طمأنه سعد بن معاذ بما قال وسر به، وتابع صلى الله عليه وسلم سيره تجاه بدر حتى نزل قريباً منها].

تدبير حربي (مسح النبي صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر للمنطقة)

[تدبير حربي: وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر، والأصحاب نزول، ركبا ليمسحا المنطقة التي نزلوا بها تعرفاً إلى ما في المنطقة، وتطلعاً إلى أخبار العدو (العير وقريش) معاً] أي: رسول الله وأبو بكر [فعثرا على شيخ يقال له: سفيان الضمري] لما نزلوا قريباً من بدر ركب رسول الله على فرس أو بعير، وركب أبو بكر كذلك وأخذا يمسحان المنطقة، يتعرفان إلى ما فيها لعلهم يعثرون على مسافر في الطريق [فسأله رسول الله صلى الله عليه

وسلم عن قريش وعن محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وماذا يعرف عنهم] الرسول سأل هذا الرجل عن قريش وعن محمد ماذا يعرف عنه [فقال الرجل: لا أخبركما حتى تخبراني من أنتما؟] وهذا لو درس في كلية السياسة ممكن يصل إلى هذا المستوى [فقال له رسول صلى الله عليه وسلم: (إن أخبرتنا أخبرناك)] أي: إن أخبرتنا أنت الأول أخبرناك نحن.
قال المؤلف: [في هذا القول من الحيطة والاحتراس ما فيه] أمر عظيم [فقال الشيخ: أذاك بذاك؟] يعني: أنا أخبركما وأنتم تخبراني [فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (نعم)، فقال الشيخ مخبراً: قد بلغني أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا، فإن صدق الذي أخبرني فهم اليوم في مكان كذا وكذا، للمكان الذي نزل به الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه] عجب هؤلاء العرب! [وبلغني أن قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا، فإن صدقني الذي أخبرني فهم الآن بمكان كذا وكذا، إشارة إلى المكان الذي هم الآن به وهو العدوة القصوى] من وادي بدر.
[ثم قال: وأنتما؟] يعني: أنا أخبرتكما، والآن أنتما أخبراني [فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (نحن من ماء ..)] أليسوا من ماء الفحول؟ وكلنا من ماء، وهذه هي التورية، فما كذب صلى الله عليه وسلم، ولكن صرف الرجل عن معرفته [أي: من جنس الماء الذي خلقنا منه لقوله تعالى: وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍ [الأنبياء:30]، فكانت منه صلى الله عليه وسلم تورية حسنة يتطلبها الموقف] فهذه حرب لا بد من الاحتراس والاحتياط فيها.
قال: [فأخذ الشيخ يردد كلمة من ماء محتاراً في هذه النسبة، أمن ماء العراق هما أم من ماء كذا] ما عرف [وعاد النبي صلى الله عليه وسلم إلى المعسكر الإسلامي] حيث ترك رجاله.

تدبير آخر (عثور الصحابة على رجلين يسقيان الماء لقريش)

قال: [تدبير آخر: وفي المساء أرسل النبي صلى الله عليه وسلم علياً و الزبير و سعد بن أبي وقاص في رجال يتحسسون العدو ويتعرفون أخباره] وأظن أن الكليات السياسية الآن والحربية بالذات عندها نوع من هذا، وإن كان عندهم شيء -والله- أخذوه من هذا [فعثروا على رجلين يسقيان الماء لقريش، فأتوا بهما إلى المعسكر الإسلامي، فسألوهما فقالا: نحن سقاة لقريش، فأنكروا عليهما ذلك، واتهموهما بأنهما سقاة للعير لا لقريش رغبة من الأصحاب في العثور على العير لا على النفير؛ لأن العير لا شوكة فيها بخلاف النفير، وهم يودون غير ذات الشوكة، كما قال تعالى: وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ [الأنفال:7]، وسألوهما، فلما أصرا على ما قالا، ضربوهما فأوجعوهما، فقالا: إنهما لـأبي سفيان] هم قالوا بداية: نحن سقاة لقريش، وقريش قادمة لقتالهم، فما أطمأن الأصحاب إلى هذا الخبر فضربوهما حتى قالا: نحن سقاة للعير.
قال: [وكان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي فلما سلّم من صلاته قال لهم: (إذا صدقاكم ضربتموهما، وإذا كذباكم تركتموهما، صدقا والله إنهما لقريش.
أخبرانا عن قريش)] وما من حقهم أن يضربوهما، كان عليهم أن يأخذوا بالخبر، ولكنه سوء فهم [فقالا: هم وراء هذا الكثيب الذي ترى بالعدوة القصوى، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كم القوم)، فقالا كثير، قال: (فما عدتهم)، قالا: لا ندري، فقال: (كم ينحرون كل يوم من الإبل)، قالا: ما بين التسعة إلى العشرة، فقال صلى الله عليه وسلم: (إذاً القوم ما بين التسعمائة والألف)] هذا الكمال المحمدي؛ إذ البعير يكفي تسعين واحد إلى مائة [(ثم قال لهما: فمن فيهم من أشراف قريش؟) قالا: عتبة بن ربيعة ، و شيبة بن ربيعة ، و أبو البختري بن هشام ، و حكيم بن حزام و.و.] أعظم رجالات قريش [فذكرا كماً من أشراف قريش.
وهنا أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس، وقال: (هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها)] وخيرة رجالها [ثم سار رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أصحابه فنزلوا مكاناً قريباً من العدوة الدنيا لا ماء فيه، فعطش المعسكر، وأصاب بعضه جنابة بالاحتلام، فلم يجدوا ماءً يغتسلون به، ووسوس الشيطان لبعضهم: كيف تقاتلون غداً وأنتم جنب؟ وكيف تقاتلون ولا ماء عندكم؟ قد تموتون عطشاً ..إلى آخر ما يلقي الشيطان في نفوس الناس، فأكرمهم الله تعالى، فأنزل عليهم مطراً، فسقوا واغتسلوا ولبد الرمل ليسهل الكرُ والفرّ عليه.
وفي هذا يقول الله تعالى: إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ [الأنفال:11]].
وصلى الله على نبينا محمد وصحبه .

كانت غزوة بدر فرقاناً، فقد كانت أول مواجهة عسكرية حقيقة بين المؤمنين والكافرين، وقد استخدم فيها النبي إستراتيجيات الحرب التي تدرس اليوم في الكليات العسكرية، فأرسل العيون تسبق الجيش للتعرف على أحوال العدو وجاهزيته، واختار مكاناً في ميدان المعركة تكون له فيه الأفضلية على عدوة، ثم رتب جنوده وصف صفوفهم، وعبأهم تعبئة معنوية، وبشرهم بالجنة لمن لقي العدو صابراً محتسباً.

تدبير سابق (فرار أبي سفيان بعير قريش بعد علمه بترقب الرسول وصحبه له)

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فها نحن مع غزوة بدر ومع أحداثها المتعددة.

قال: [تدبير سابق] أي: تدبير لهذه المعركة سابق لوقوعها.

[وكان المعسكر الإسلامي قد بعث بسيس بن عمرو و عدي بن الزغباء] بعثهما قطعاً رسول الله صلى الله عليه وسلم [يتحسسان أخبار العدو] الذي هو أبو سفيان وجيشه [ويرقبان تحركاته، فنزلا على تل قريب من ماء] والتل هو الجبل الصغير [ثم نزلا يسقيان الماء في شن لهما] والشن: القربة القصيرة [وعلى الماء رجل يقال له: مجدي بن عمرو الجهني فسمع بسيس و عدي صوت جاريتين، تقول إحداهما لصاحبتها، إنما تأتي العير غداً أو بعده] كان هناك جاريتان تتحدثان وهما تسقيان الماء، تقول إحداهما لصاحبتها: إنما تأتي العير غداً أو بعده، والعير هي عير قريش القادمة من الشام تحمل البضائع والسلع، التي خرج الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنون من أجلها.

قال: [فأعمل لهم ثم أقضيك الذي لك، فسمع عدي وصاحبه حديثهما وما دل عليه، فجلسا على بعيرهما، وأتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم] ركبا البعير وسارا إلى النبي صلى الله عليه وسلم [فأخبراه بما سمعا من خبر ورود العير غداً أو بعد غد.

إلا أن أبا سفيان لحذره وشدة توقعه تقدم العير إلى ماء بدر فوصله، ووجد مجدياً فسأله قائلاً: هل أحسست أحداً؟ قال: ما رأيت أحداً أنكره، إلا أني رأيت راكبين قد أناخا إلى هذا التل، ثم استقيا في شن لهما ثم انطلقا، فأتى أبو سفيان مناخهما وأخذ من بعير ناقتهما، ففتته فإذا فيه النوى] قلب التمر [فقال: هذه والله علائف يثرب، فرجع إلى العير سريعاً فحولها عن طريقها فأخذ الساحل وترك بدراً يساراً، وانطلق مسرعاً، وبذلك نجت العير بكل ما فيها] وهذا تدبير الله عز وجل، ولكن ذكاء أبي سفيان ودهاءه وخبرته كانت السبب في هذه القضية.

[وأرسل أبو سفيان إلى قريش يخبرهم أن العير قد نجاها الله] إذ كانوا يؤمنون بالله، لا يقولون نجاها هبل [فارجعوا] أي: ليس هناك حاجة إلى أن تتقدموا إلى محمد لتقاتلوه، فالعير نجت فعودوا إلى دياركم [فقال أبو جهل : والله لا نرجع حتى نرد بدراً] يعني: حتى نصل إلى ماء بدر فنشرب منه ونروى.

والله يسوق أقدار لأقدار حتى يُذبح هناك [وكانوا بالجحفة] أي كان هناك معسكرهم وجيشهم، والجحفة شرق رابغ قريبة منها [فنقيم عليها ثلاثاً فننحر الجزر، ونطعم الطعام، ونسقي الخمر، وتعزف علينا القيان، وتسمع بنا العرب، وترى مسيرنا وجمعنا فلا يزالون يهابوننا أبداً] عنترية! قال أبو جهل : والله لا نرجع حتى نرد بدراً -وكانوا بالجحفة على مسافة يومين أو ثلاثة- فنقيم عليها ثلاثاً -أي: ثلاث ليال على بدر- فننحر الجزر، ونطعم الطعام، ونسقي الخمر، وتعزف علينا القيان -أي: المغنيات- وتسمع بنا العرب، وترى مسيرنا وجمعنا فلا يزالون يهابوننا -سياسة أيضاً عسكرية- [وكانت بدر سوقاً سنوية يجتمع فيه الناس] بما أنه وسط بين الشمال والجنوب، وقريب من الساحل، وقريب من المدينة كانوا ينزلون فيه كل سنة للبيع والشراء، ولوجود الماء أيضاً ماء بدر.

[ورفض الأخنس بن شريق الثقفي -وهو حليف بني زهرة- فقال: يا بني زهرة، ارجعوا فإنه لا حاجة لكم بالمسير إلى بدر] وأخذوا برأيه [إذ نجى الله أموالكم وخلص صاحبكم -وهو مخرمة بن نوفل - فرجعوا إلى مكة فلم يشهدوا بدراً، وسارت قريش حتى نزلت بالعدوة القصوى] ولو أخذوا برأي أبي جهل لمشوا، ولكنه تدبير ذو العرش.

عودة إلى المعسكر الإسلامي (التحول قريباً من بئر بدر)

قال: [عودة إلى المعسكر الإسلامي: ونظر الحباب بن المنذر إلى المكان الذي نزل فيه الرسول صلى الله عليه وسلم بأصحابه، فرآه غير لائق عسكرياً] ما هو صالح للعسكرة فيه [فتقدم إلى رسول الله وقال: يا رسول الله! أرأيتم كيف ينادون نبي الله؟ لم لا يقول يا محمد؟ أو يا سيدنا؟ أو يا مولانا؟ لأن الله أدبهم، فنادى نبيه في كتابه عدة مرات بـ(يا أيها النبي)، و(يا أيها الرسول)، قال عز وجل: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ [الحجرات:2]، وقال: لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا [النور:63]، فكانوا رضوان الله عليهم لا ينادونه إلا بـ(يا رسول الله!) أو يا (نبي الله!) وما ناداه أحد بيا مولاي أو يا سيدي أبداً.

قال: [أرأيت هذا المنزل؟ أمنزل أنزلكه الله، ليس لنا أن نتقدم ولا نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟] هذا رجل سياسي درس في كلية الحرب في العالم، وهو توفيق من الله عز وجل للحباب بن المنذر ، وقد سمعتم ما قدم للرسول صلى الله عليه وسلم من اقتراح، قال: (يا رسول! أرأيت هذا المنزل؟ أمنزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدم ولا نتأخر عنه) إذ لو كان قد أوحى الله إلى رسوله أن انزل هنا ما بقي كلام، فالله أعلم وأحكم وأرحم.

(أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟) أي: من هذه الحيثية: من ناحية الحرب والمكيدة رأيت أن هذا المكان أليق.

[قال] أي رسول الله صلى الله عليه وسلم [(بل هو الرأي والحرب والمكيدة)] ليس بوحي من الله ولا تعليم منه، فقال: [يا رسول الله! فإن هذا ليس بمنزل فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله، ثم نعوِّر ما وراءه من القُلُب، ثم نبني عليه حوضاً فنملؤه ماء، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون] نعم الرجل، لا نساوي نعله نحن؛ لأنهم إذا فقدوا الماء ماتوا عطاشاً، أو فروا هاربين.

[فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لقد أشرت بالرأي)] ما تردد أبو القاسم وفهم ما قاله الحباب وقال: لقد أشرت علينا بالرأي السديد الصائب الذي ينبغي أن نأخذ به، وفي القرآن: وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ [الشورى:38]، وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ [آل عمران:159].

[فنهض رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسلمين، وسار إلى أدنى ماء من القوم فنزل عليه، ثم أمر بالقلوب فعورت، وبنى حوضاً على القليب الذي نزل عليه فملئوه ماءً، ثم قذفوا فيه الآنية] التي يأخذون بها الماء.

وهذا تدبير سابق للمعركة.

تدبير صالح (إقامة عريش للرسول يدير منه المعركة)

قال: [تدبير صالح: وتقدم سعد بن معاذ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا نبي الله! ألا نبني لك عريشاً تكون فيه] والعريش من الشجر والجريد، إن شئتم قولوا موضع القيادة أو مركزها [ونعد عندك ركائبك] نتركها إلى جنبك [ثم نلقى عدونا، فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك، فلحقت بمن وراءنا، فقد تخلف عنا أقوام -يا نبي الله- ما نحن بأشد لك حباً منهم] عرض سعد على رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا العرض: وهو أن يُبنى له عريش ينزله ليدير المعركة من خلاله، شأنه شأن القادة، وإلى جنبه ركائب معدة له، فإن رأى ضعفاً أو هزيمة ركب الركائب عائداً إلى المدينة؛ لأن فيها رجالاً ليس من معه بأشد حباً له منهم.

قال: [ولو ظنوا أنك تلقى حرباً ما تخلفوا عنك، يمنعك الله بهم يناصحونك ويجاهدون معك، فأثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبني العريش وجلس فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان هذا من سعد تدبيراً حسناً] وكلهم موفقون، وسر هذا العلم والتوفيق قول الله عز وجل: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا [الأنفال:29]، فهذه ثمرات تقوى الله عز وجل، فما من عبد يتقي الله حتى في غنم يرعاها كما يحب الله، إلا كتب الله له فيها الخير والبركة والنصر والفوز، فكيف إذاً بخوض المعارك وقيادة الجيوش.

والمرأة التي تتقي الله في بيتها، بمعنى: لا تخرج عن طاعته لا بغش ولا خداع ولا كبر ولا خيانة، ولا فسق ولا فجور -والله- تصبح من أعجب النساء في إدارة هذا البيت، والأمير الذي يؤمر على بلد أو منطقة فيتقي الله عز وجل

فيما أسند إليه، يصبح خير الأمراء في العالم ويتحقق على يديه ما لا يتحقق على يد غيره، وهكذا وعد الله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا [الأنفال:29]، والفرقان هو نور قلبي روحي يكشف لك المغيبات.
يقول عبد الله بن عمر : "ما قال أبي في شيء أظنه كذا إلا كان كما ظن"، وكم من إنسان يأتي ليغتال رسول الله، فيقول عمر : أخرج السيف من تحتك! هذا النور يسمى بالفرقان، الذي يفرق الله به بين الحق والباطل والضار والنافع والصحيح والباطل، وهو ثمرة تقوى الله عز وجل؛ والتقوى معناها: فعل ما أمر الله بفعله، واعتقاد ما أمر الله باعتقاده، وقول ما أمر الله بقوله، وهذه كلها أدوات تزكية للنفس وتطهيرها، وعندما تطهر النفس وتطيب وتستنير لا تصب عليها الذنوب والآثام فتدفنها وتقضي عليها، فهي تفعل المأمور وتجتنب المنهي، ولا تزال كذلك .
.
وهذا النور يقوى فيها حتى تصبح ذا بصيرة، وفراسة، والمؤمن له فراسته.
إذاً: فقادة الجيوش وقادة الأمم والشعوب، من كان عنده منهم هذا الفرقان نجح، والمحروم من هذا لا يستطيع أن ينجح، ولكن دائماً من خيبة إلى خيبة.

تقارب المعسكرين (تحرك قريش نحو وادي بدر)

قال: [تقارب المعسكرين: وتحركت قريش نحو الوادي (وادي المعركة) فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم تنحدر من الكثيب إلى الوادي] من كثيب الرمل العالي إلى الوادي [قال: (اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك، وتكذب رسولك، اللهم فنصرك الذي وعدتني.
اللهم أحنهم الغداة)] أي: أَمِل رءوسهم وأذلهم غداة [ورأى عتبة بن ربيعة على جمل أحمر فقال: (إن يكن في أحد من القوم خير، فعند صاحب هذا الجمل الأحمر إن يطيعوه يرشدوا)] لما رأى النبي صلى الله عليه وسلم عتبة بن ربيعة -وهو من سادات قريش ورجالات مكة- على جمل أحمر قال: لو يطيعه رجالات قريش لرشدوا.
إنها الفراسة، وهذا هو الفرقان.
في معسكر الكفر (ما دار بين المشركين حول البدء في المعركة من عدمه)

قال: [في معسكر الكفر: ولما استقرت قريش في معسكرها، بعثت عمير بن وهب الجمحي يحزر لها أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم] بعثت رجل خبرة وسياسة ينظر إلى المعسكر المحمدي حتى يحزر عدد رجاله.
أين درس هؤلاء؟ هؤلاء -والله- لا يعرفون الكتابة؟ كيف وصلوا إلى هذه المستويات؟! ما هبطوا هبوط البشرية اليوم، فما زالوا ذوي بصيرة، لا يحلفون إلا بالله.
[فأجال فرسه حول المعسكر الإسلامي ثم رجع، فقال: ثلاثمائة رجل يزيدون قليلاً أو ينقصون] ولو تبعث الآن خبراء أو طيارين بأيدهم السحر، والله لا يستطيعون تحقيق هذا الهدف، فبعد أن أجال بفرسه حول المعسكر قال: ثلاثمائة يزيدون أو ينقصون، وكان والله كما حزر، فهم ثلاثمائة وأربعة عشر، على عدة قوم طالوت .
هؤلاء الرجال هم الذين في خمس وعشرين سنة بلغوا بالإسلام شرقاً إلى ما وراء نهر السند، وغرباً إلى الأندلس، ولو أردت أن تنشئ مصنعاً لا يتم لك وينتج النتاج المطلوب في هذه الفترة، ولو لم تكن كذلك أرواحهم وآدابهم وعقولهم والله ما بلغوا هذا ولن يبلغوه، ونحن لما هبطنا ما استطعنا أن نطهر حتى أرضنا من الباطل والشرك والفساد والسحر.
ثم قال: [ولكن أمهلوني حتى أنظر ما إذا كان للقوم كمين أو مدد] أي: أمهلوني لا تأخذوا بما قلت الآن حتى أجول مرة ثانية فلعل هناك كمائن دس فيها رجالاً، أو لعل هناك مدد سيأتي، حتى نكون على بصيرة!! عجيب هذا الرجل! [وضرب في الوادي حتى أبعد فلم ير شيئاً، فرجع إليهم فقال: ما وجدت شيئاً، ولكن قد رأيت -يا معشر قريش!- البلايا تحمل المنايا] فراسة أخرى هذه [نواضح يثرب تحمل الموت الناقع] ونواضح يثرب: الإبل التي يسقون عليها بساتينهم، ويثرب هي المدينة، فما زال اسمها يثرب في ذلك الوقت [قوم ليست لهم منعة ولا ملجأ إلا سيوفهم] يعني: ما لهم من منعة يتمنعون بها ولا ملجأ يلجئون إليه إلا سيوفهم فقط، هذا الذي عندهم [والله ما أرى أن يُقتل رجل منهم حتى يقتل رجلاً منكم] وأصاب في ذلك!.

قال: [فإذا أصابوا منكم أعدادهم فما خير العيش بعد ذلك؟ فروا رأيكم] أي: إذا أصابوا -وعددهم ثلاثمائة- منكم مثل عددهم فما قيمة العيش بعد موت هؤلاء الأبطال والرجال، ومعنى هذا: هيا نعود إلى مكة ولا ندخل في معركة لا خير فيها!! هل هناك من يرى هذا الرأي عندنا اليوم ويفكر هذا التفكير؟ هل يوجد من يلهمه الله هذا؟ موجود ولكن ندرة ليسوا بكثرة.

[وكان هذا من عمير -وإن كان نصيحة- مثل الطابور الخامس] والذين عاشوا في الحرب العالمية الأخيرة يعرفون الطابور الخامس، أيام ألمانيا وقتالها.

قال المؤلف: وإن كان هذا من عمير نصيحة حقيقية، لكن يعبر عنها بالطابور الخامس [فلما سمع حكيم بن حزام] وهذا من خيرة الرجال [ما قال عمير أتى عتبة بن ربيعة فقال: يا أبا الوليد ، إنك كبير قريش وسيدها والمطاع فيها، هل لك إلى ألا تزال تذكر فيها بخير إلى آخر الدهر؟ قال: وما ذاك يا حكيم ؟ قال: ترجع بالناس] إلى مكة، ولكن ما دبره الله فوق عرشه ماض، ولابد وأن يقع.

فهؤلاء كالطابور الخامس.

وقد بعثنا خطاباً لإخواننا المجاهدين في الجزائر، وقلنا لهم: تنازلوا عن المطالبة بالحكم والمشاركة فيه، أطفئوا هذه النار الملتهبة، إنه لا خير في هذا الحكم الموهوم الذي تطالبون به، لقد تنازل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلمة (رسول الله) في صلح الحديبية، والآن لو طالب من الطلاب يسمع أن فلاناً تنازل عن كلمة رسول الله يقول: كافر، ويلعنه! والرسول تنازل عن هذه الكلمة، وتنازل عن كلمة (الرحمن الرحيم) كذلك، فبعدما خرج برجاله للعمرة ووقفت قريش وقالت: مستحيل أن تدخل! وتم صلح لمده عشر سنوات، وأخذ يملي الرسول صلى الله عليه وسلم شروط الصلح -والكاتب علي إذ الكتاب قليل- قال: اكتب هذا ما عاهد محمد رسول الله .

.

فقال سهيل بن عمرو -ممثل قريش-: لا.

لو عرفناك رسولاً ما قاتلناك، ولكن اكتب محمد بن عبد الله.

وغضب أبو بكر و عمر ، فقال الرسول: اسكت أنا رسول الله! اكتب: هذا ما عاهد عليه محمد بن عبد الله.

ثم قال: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم، فقال سهيل : لا.

لا نعرف الرحمن الرحيم، ولكن اكتب باسمك اللهم، وتذمر الأصحاب وتململوا، فقال: لا.

أنا رسول الله! وتنازل عن كلمة الرحمن الرحيم، لأجل حقن الدماء، وإن أردت أن تتأكد فحروبه كلها في عشر سنين تعداد القتلى فيها من الجانبين ألفين وخمسمائة قتيل بالعد، والآن يُقتل هذا العدد في يوم واحد، ومن المسلمين ليس من الكافرين، عرفتم إلى أين وصل هبوطنا؟ إلى الحضيض.

قال: [وتحمل أمر حليفك عمرو بن الحضرمي قال: فعلت فعلي عقله] لأن عمرو بن الحضرمي قتل في السرية التي خرجت قبل غزوة بدر وكان يرأسها عبد الله بن جحش صهر النبي صلى الله عليه وسلم، وكان بعثهم النبي صلى الله عليه وسلم للتطلع على أحوال المشركين بين مكة والطائف فوجدوا هذه السرية فقتلوا عمرو بن الحضرمي وأخذوا أسيرين، وقريش كانت لا تزال غاضبة ساخطة من ذلك الحدث؛ إذ أشاعت في الدنيا كيف أن محمداً يستحل الشهر الحرام ويقاتل فيه، ولكن الله كذبهم.

ومعنى: احمل أمر حليفك عمرو بن الحضرمي : أي تحمل دفع ديته، وأسكت أهله وأسكت الناس، ولا تحارب رسول الله من أجل عقل شخص أو ديته.

وهو كلام رشيد! [وما أصيب من ماله، فأت ابن الحنظلية - أبا جهل - فإني لا أخشى أن يشجر أمر الناس غيره، إلا أن عتبة قام خطيباً، فقال: يا معشر قريش، إنكم -والله- ما تصنعون شيئاً بلقائكم محمداً وأصحابه، والله لئن أصبتموهم لا يزال الرجل ينظر في وجه الرجل يكره النظر إليه، قتل ابن عمه أو ابن خاله أو رجلاً من عشيرته؛ فارجعوا] إلى دياركم.

وهذا الكلام مع أن هؤلاء المتكلمين مع الكافرين مشركين، ليسوا في جماعة المؤمنين! ومعنى (وما أصيب من ماله فأت ابن الحنظلية) يقصد أبا جهل (فإني لا أخشى أن يشجر أمر الناس غيره) أي لا يفرق رأي الناس إلا هو.

قال: [وخلوا بين محمد وبين سائر العرب] أي: العرب المشركين [فإن أصابوه فذاك الذي أردتم، وإن كان غير ذلك ألفاكم ولم تعرضوا منه ما تريدون] أي ولم تصيبوا منه ما تريدون.

[وأتى حكيم أبا جهل] رئيس الفتنة [وأخبره أن عتبة أرسله إليه بكذا وكذا] أي: بالرجوع وعدم القتال [أي: بالعدول عن الحرب والعودة إلى مكة، فقال: انتفخ والله سَحره، كلا والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد] وسحره: رئتاه.
وانتفخ سحره: أي من شدة الخوف كادت روحه أن تخرج، فقال أبو جهل : (والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد) فحكّم الله.
سبحان الله! لا يعرفون سوى الله ومع هذا هم مشركون.
قال: [وما بعتبة ما قال، ولكنه قد رأى أن محمداً وأصحابه أكلة جزور وفيهم ابنه فقد تخوفكم عليه] يعني هذا الذي اقترح عليكم العودة إلى مكة وعدم القتال ولده مع المؤمنين، وقد رأى أن عددهم قليل فسوف يموتون فلهذا يريد أن يصرفكم عن قتالهم [فلما بلغ عتبة قول أبي جهل (انتفخ والله سحره) قال: سيعلم مُصَفِّر استه من انتفخ سحره أنا أم هو؟] ردها عليه.

في معسكر الإسلام (صف النبي لأصحابه ودخوله العريش)

قال: [في معسكر الإسلام: وشرع القائد الأعظم الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم في تعديل صفوف أصحابه، وكان بيده قدح] عود خفيف [يعدل به القوم، فمر بسواد بن غزية وهو مستنتل] خارج قليلاً [من الصف فطعن في بطنه بالقدح وقال: (استو يا سواد)] اعتدل يعني [فقال سواد يا رسول الله! أوجعتني، وقد بعثك الله بالحق والعدل فأقدني من نفسك، فكشف له صلى الله عليه وسلم عن بطنه، وقال له: (استقد)] أي: خذ حقك مني واضربني أيضاً بعود كما ضربتك [فاعتنقه يُقبّل بطنه] وهذا الذي يريده.
هل فيكم من يحب شيخه أو قائده أو ملكه أو رئيسه بهذه الطريقة؟ لا.
بل يكرهونهم! ووالله لن تقوم لنا قائمة، إذا لم نكن بهذا المستوى، لقد فرض الله حب رسوله فرض العقائد؛ لأن من لا يحبه لا يطيعه، ولا ينتظم حاله ولا أمره إلا بحبه، فلهذا الخلاف والصراع في العائلات ما هو في الأحزاب ولا الدول والحكومات فقط، فكل واحد يزعم أنه عبد القادر الجيلاني أو خالد بن الوليد ، فكيف ينتظم أمرنا؟ قال: [(ما حملك على هذا يا سواد ! قال: يا رسول الله! حضر ما ترى فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك، فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير)] خشي أن يموت قبل أن يمس جسده جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم.
[وبعد أن عدّل رسول الله صلى الله عليه وسلم صفوف أصحابه رجع إلى العريش] مركز القيادة [فدخله ومعه أبو بكر الصديق ليس معه فيه غيره] لا يستطيع أبو بكر أن يدع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ألم يكن معه في غار جبل ثور، فكيف يفارقه؟! و أبو بكر الصديق هذا يقول فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لو كنت متخذاً غير ربي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً)، ويقول: (لو وضع إيمان أبي بكر في كفة وإيمان الأمة في كفة لرجح إيمان أبي بكر)، والهابطون يكفرونه! إذا سألك من أنت؟ فقلت: أنا أبو بكر تغير وجهه وكاد أن يموت! [وقام الحبيب صلى الله عليه وسلم يناشد ربه ما وعده من النصر ويقول فيما يقول: (اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد بعدها في الأرض)ويرفع يديه إلى السماء حتى يسقط الرداء من منكبيه] فليس عنده ثياب كثيابنا، ولكن رداء، فلما يرفع يديه يسقط الرداء من ورائه [وجعل أبو بكر رضي الله عنه يلتزمه من ورائه ويسوي عليه رداءه، ويقول مشفقاً عليه من كثرة الابتهال] والضراعة لله [يا رسول الله! بعض مناشدتك ربك] ما هو كلها [فإنه سينجز لك ما وعدك].
قال: [وخفق النبي صلى الله عليه وسلم خفقة -أي إغفاءة قليلة-] نومة بسيطة في العريش [ثم انتبه منها فقال: (أبشر يا أبا بكر أتاك نصر الله، هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده على ثناياه النقع) أي الغبار].
وصلى الله على نبينا محمد وآله وسلم .

في صبيحة يوم الجمعة السابع عشر من شهر رمضان للسنة الثانية من الهجرة تلاقى فريق التوحيد بقيادة محمد رسول الله مع فريق الشرك بقيادة أبي جهل، وقد قلل الله كلاً من الفريقين في عين الآخر ليقضي الله أمراً كان مفعولاً، وقد بدأت المعركة كعادة العرب بالمبارزة فخرج ثلاثة من المشركين، وخرج لهم ثلاثة من جند الله فتصاولوا حتى نصر الله الفئة المؤمنة على أقرانهم، ثم ما لبثت المعركة أن اشتعلت، وشاركت الملائكة مع المؤمنين، ونصر الله نبيه والمؤمنين، وقتل جل سادات مكة وصناديد قريش، وسحبت جثثهم إلى قليب بدر.

التقاء الفريقين (بداية معركة بدر)

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فها نحن مع غزوة أو معركة بدر الكبرى، وقد مشينا فيها وسايرناها عدة ليال، والآن مع [التقاء الفريقين] أي: فريق التوحيد وفريق الشرك، فريق الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين، وفريق أبي سفيان والكافرين، وما تقدم كان تمهيدات.

قال: [في صبيحة يوم الجمعة] يوم السابع عشر بالضبط [من شهر رمضان من السنة الثانية من الهجرة] ولا خلاف في هذا التاريخ، فصبيحة يوم الجمعة من شهر رمضان من السنة الثانية من الهجرة [تلاقى فريق التوحيد مع فريق الشرك، وقد قلل الله كلاً من الفريقين في عين الآخر] وكان هذا تدبير ذي العرش جل جلاله وعظم سلطانه؛ فحتى يلتحم المقاتلون قلل الله المشركين في أعين المؤمنين، حتى رأوهم قلة لا قيمة لهم، وقلل الله المؤمنين في أعين المشركين حتى قال قائلهم: أنا أستطيع أن أقضي عليهم [جاء هذا في قول الله تعالى من سورة الأنفال: وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ [الأنفال:44]] لماذا؟ [لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا [الأنفال:44]] وهو أن يهزم المشركين ويسقط منهم في الميدان سبعين قتيلاً، ويؤسر سبعين.

هذا كله تدبير الله جل جلاله وعظم سلطانه.

قال: [وبدأت المعركة فرمى المشركون مهجعاً مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنهما بسهم فكان أول قتيل من المسلمين في المعركة] أول سهم رمى به المشركون أصاب مهجعاً مولى عمر بن الخطاب أي: خادمه، فكان أول قتيل من المسلمين في معركة بدر [ثم رمي حارثة بن سراقة -أحد بني عدي بن النجار وهو يشرب من ماء الحوض بسهم- فأصاب نحره فقتل] هذا أيضاً الثاني [وهو الذي جاءت أمه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عاد إلى المدينة] لما رجع النبي صلى الله عليه وسلم المدينة بعد المعركة جاءت أمه [وقالت: يا رسول الله! أخبرني عن حارثة فإن كان في الجنة صبرت، وإلا فليرين الله ما أصنع.

تريد من البكاء والنياحة عليه].

لما انتهت المعركة وقدم رسول الله -القائد- صلى الله عليه وسلم المدينة كان قلبها يحترق على ولدها وفلذة كبدها، فقالت: يا رسول الله! أخبرني عن حارثة فإن كان في الجنة صبرت، وإلا فليرين الله ما أصنع -تريد من البكاء والنياحة على حارثة [فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ويحك أهبلت؟! إنها جنان ثمان وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى)].

قال: [وخرج من معسكر المشركين الأسود بن عبد الأسد المخزومي -وكان رجلاً شرساً سيئ الخلق-] الآن عدنا للمعركة فحادثة أم حارثة تمت بعد رجوعهم إلى المدينة [فقال: أعاهد الله لأشربن من حوضهم أو لأهدمنه أو لأموتن دونه] لأن الرسول صلى الله عليه وسلم ورجاله عملوا حوضهم وخربوا الأحواض الأخرى، وبقي الماء عند المؤمنين دون الكافرين، وهذا من خطط الحرب السليمة.

قال: [فخرج إليه حمزة رضي الله عنه] خرج لهذا المشرك الذي قال: أعاهد الله لأشربن من حوضهم أو لأهدمنه أو لأموتن دونه [فلما التقيا] وجهاً لوجه [ضربه حمزة فأطن قدمه بنصف ساقه -وهو دون الحوض-] كان لم يصل إليه بعد [فوقع على ظهره تشخب رجله دماً، ثم حبا إلى الحوض] لينفذ ما تعهد به [حتى اقتحم فيه، يريد أن يبر يمينه]

هذا الكافر المشرك حلف وأبى أن يتقهقر أو ينهزم حتى يبر بيمينه؛ لأنهم كانوا يعظمون الله والأيمان، ونحن الآن نحلف بالله سبعين مرة ولا نبالي فإنا لله وإنا إليه راجعون! قال: [وأتبعه حمزة فضربه حتى قتله في الحوض، فكان أول قتيل من المشركين في بدر].

المبارزة قبل الالتحام (طلب المشركين مبارزة بعض الصحابة قبل معركة بدر)

قال: [المبارزة قبل الالتحام] والمبارزة هي أن يخرج من الجيش الإسلامي وكذلك من الجيش المشرك من يتبارز قبل بدء المعركة، وهذا من أجل تهييج النفوس وإثارتها، وهي سنة من سنن الحرب أيام كان القتال بالسيف والرمح، أما الآن فقتال بالخديعة والنفاق.
قال: [من سنة الحرب عند الأولين أنهم يبدءون المعركة بالمبارزة، بأن يطلب أحد المعسكرين المبارزة من الآخر، من باب إثارة الحمية وتهييج المقاتلين] وأنتم تعرفون هذا في الكُرة فقط، وقد رأيناكم، فالمتفرجون على مقاعدهم يميلون ويتمايلون من هيجانهم!! إذاً: عندما يلتقي العدوان يبدءون بالمبارزة لإثارة النفوس وتهييج القلوب، فإذا التحموا تقاتلوا في جدّ وصدق.
قال: [وهنا في غزوة بدر خرج عتبة بن ربيعة بين أخيه شيبة وابنه الوليد بن عتبة بن ربيعة فدعا إلى المبارزة] بدأ المشركون [فخرج إليه فتية من الأنصار] شبان من أنصار الرسول صلى الله عليه وسلم من أهل المدينة [وهم: عوف و معوذ ابنا عفراء ، و عبد الله بن رواحة] ثلاثة مقابل ثلاثة [فسألوهم] أي: سأل المشركون المؤمنين [من أنتم؟ فقالوا: رهط من الأنصار، قالوا: ما لنا بكم من حاجة] أي: ما جئنا لقتالكم أنتم، بل نريد أن نقاتل إخواننا الذين خرجوا من ديارنا مهاجرين [ثم نادى مناديهم: يا محمد! أخرج لنا أكفاءنا من قومنا.
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قم يا عبيدة بن الحارث وقم يا حمزة وقم يا علي ، فلما قاموا ودنوا منهم قالوا: من أنتم؟ قال: عبيدة : عبيدة وقال حمزة : حمزة ، وقال علي : علي] أي: أنا علي [قالوا: نعم.
أكفاء كرام] كانت أخلاقهم في الملكوت الأعلى، فهل بقي هذا في البشرية اليوم؟ لم يعد ذلك، انتهى، فسبحان الله! لقتلهم وقتالهم يطلبون أكفاء كرام! لأن الساقطين والهابطين لا قيمة لهم، فلم يقاتلونهم؟! ولعلكم تذكرون ما قلت لكم: إنه كلما مضى عام شاخت البشرية، وأصيبت بالهلاك والعجز والضعف في العقل والفهم، وهي سنة الله في الكبير، وهكذا الحياة كل يوم تزداد هبوطاً في أخلاقها، وفي آدابها، وفي سلوكها، وفي معارفها.
تلك الأخلاق والله لا توجد في الكافرين اليوم، ولا يشمون رائحتها؛ ولهذا قال صلى الله عليه وسلم: (لا يأتي يوم إلا والذي بعده شر منه -إلى يوم القيامة- حتى تلقون ربكم) وصدق أبو القاسم صلى الله عليه وسلم.
قال: [فبارز عبيدة : عتبة بن ربيعة ، وبارز حمزة : شيبة بن ربيعة ، وبارز علي : الوليد بن عتبة ، فأما حمزة فلم يمهل شيبة أن قتله] بسرعة [وكذلك علي لم يمهل الوليد أن قتله، واختلف عبيدة و عتبة بينهما ضربتين فأثبت كلاهما صاحبه] أوقفه [وكرّ حمزة و علي بأسيافهما على عتبة فذففا عليه] أي أسرعا قتله وأنهيا حياته ضرباً بالسيف [واحتملا صاحبهما وحازاه إلى معسكرهم] والآن تشتعل النار، فالمبارزة تمت والنفوس هائجة.
قال: [ثم ظهر النبي صلى الله عليه وسلم للناس فحرضهم على القتال] وظهر لأنه كان في مركز القيادة في العريش، وما زال مكانه إلى الآن في بدر معروف [فقال: (والذي نفس محمد بيده)] وهذه يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت أمنا الصديقة عائشة تحبها، وتقول: هذه يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما بلغنا ولا سمعنا بيننا من يحلف بها الآن، ولا ندري لماذا؟ أما بحق سيدي عبد القادر فحدث ولا حرج.
أتدرون ما سر هذه اليمين؟ عندما يحلف بالذي نفسه بيده، هل يكذب؟ هل يخرج عن طاعته؟ مستحيل! فقد عرف من مالكه ومن هو في سلطانه وتحت يده فقال: (والذي نفسي بيده)، فصاحب هذه اليمين لا يمكن أن يكذب أبداً.
قال: [(والذي نفس محمد بيده، لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر، إلا أدخله الله الجنة)] طمأنهم بأن الاستشهاد الآن خير ألف مرة خير من الدنيا وأن مآله إلى الجنة.
والمحتسب هو الذي لا يقاتل من أجل السمعة والشهرة والغلبة والانتصار، ولكن لأجل الله تعالى.
و(مقبلاً غير مدبر)؛ لأن الهروب من كبائر الذنوب، فالذي يهرب من العدو ويعطيه ظهره ارتكب جريمة مبينة في سورة الأنفال، قال تعالى: وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ [الأنفال:16] فكان المؤمنون لا ينهزمون.

وعندنا لطيفة وهي: أيام كان العثمانيون يفتحون أوروبا الشرقية، كان أحدهم -وهذا الإخبار من قادات أوروبا- يربط نفسه بالسلسلة مع المدفع ويقاتل ويقاتل حتى يصل إلى العدو ويقتله وهو على المدفع فلا يعطيهم ظهره أبداً، ولهذا فتحوا العالم؛ أخذاً بهذه الآية الكريمة، فالمؤمن لا يعطي دبره أبداً للعدو، بل يموت وجهاً لوجه، ولهذا كان الرجل يثبت في وجه ألف، ولا يدبر أبداً؛ لأنه يقاتل باسم الله، ومن أجل الله وقلبه مربوط بالملكوت الأعلى؛ ليحتل الفردوس الأعلى، وينزل مع مواكب النبيين والصديقين والشهداء.

قال: [فقال عمير بن الحمام أخو بني سلمة وفي يده تمرات يأكلهن: بخ بخ أفما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء؟ ثم قذف بالتمرات من يده وأخذ سيفه] يعني: استبطأ أكله سبع تمرات أو ثمانية.

وهذه حقيقة إيمانه الصادق، ويقينه الكامل التام [فقاتل القوم حتى قتل رضي الله عنه وأرضاه.

ثم تقدم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن عفراء -وهو عوف بن الحارث- فقال: يا رسول الله! ما يضحك الرب من عباده؟ قال: (غمسه يده في العدو حاسراً)] أي: كاشفاً عن رأسه [فنزع درعاً كانت عليه فقذفها ثم أخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل رضي الله عنه وأرضاه].

قال: [وهنا قدم الحبيب صلى الله عليه وسلم فأخذ حفنة من الحصباء، فاستقبل قريشاً بها وقال: (شاهت الوجوه) ثم نفحهم بها، وأمر أصحابه وقال: (شدوا) وعاد إلى العريش يدير المعركة، واقتتل الفريقان وكانت الهزيمة للمشركين.

فقتل الله من قتل من صناديد قريش، وأسر من أسر من أشرافهم، فلما وضع القوم أيديهم يأسرون كان الحبيب صلى الله عليه وسلم ساعتئذ في العريش، و سعد بن معاذ قائم على باب العريش متوشح السيف في نفر من الأنصار يحرسون رسول الله صلى الله عليه وسلم خوفاً عليه من كَرة العدو عليه] ما أطيب هذه الساعة التي نعيشها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في معركة من أشد المعارك!!

نهاية سعيدة (انتصار المسلمين في معركة بدر)

قال: [نهاية سعيدة] أي: نهاية المعركة السعيدة [ودارت المعركة وشاركت فيها الملائكة وعلى رأسهم جبريل عليه وعليهم السلام، وكان عددهم ألف ملك في صورة رجال عليهم عمائم بيض أرسلوها على ظهورهم؛ إذ شوهد بعضهم وأخبر بهم الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن سورة الأنفال قال تعالى: إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ [الأنفال:9] أي: تطلبون الغوث منه؛ لأنهم رضي الله عنهم ضجوا بالدعاء عند ملاقات المشركين، سائلين الله تعالى أن يمدهم بنصر منه فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ [الأنفال:9] وفيها أيضاً] أي في هذه السورة [إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا [الأنفال:12] فبعض الملائكة قاتل بالفعل، وبعضهم كان يثبت قلوب المؤمنين حتى تصبر على القتال.

ولقد انتهت المعركة بنصر حاسم للمسلمين؛ إذ قتل من صناديد قريش سبعون وأسر منهم سبعون] بركة النبي صلى الله عليه وسلم، ورحمة الله، وأنوار الإسلام.

والآن المسلمون يقتل بعضهم بعضاً بأكثر من ذلك، فمعارك رسول الله صلى الله عليه وسلم التي كانت بينه وبين المشركين عشر سنين تقريباً -والله- ما زاد القتلى فيها على ألفين وخمسمائة، والآن يسقط هذا العدد في يوم واحد.

والفرق هو أنهم في الملكوت الأعلى ونحن في الأسفل، لقد هبطنا تماماً، فكل معاركه صلى الله عليه وسلم عدد قتلاها من الجانبين ألفان وخمسمائة بعد عشر سنين، وسبع وعشرين معركة، والآن -كما قلت لكم- القتلى بالآلاف بين المسلمين بعضهم البعض وليس الكافرين.

هبطنا يا رب فارفعنا إليك! قال: [وكان من بين القتلى: الطاغية فرعون هذه الأمة أبو جهل و عتبة بن ربيعة وولده الوليد بن عتبة وأخوه شيبة بن ربيعة و حنظل بن أبي سفيان و عقبة بن أبي معيط و أبو البختري و عبيدة بن سعيد بن العاص و نوفل بن خويلد و النضر بن الحارث بن كلدة و العاص بن هشام و أمية بن خلف وغيرهم إذ كانوا سبعين قتيلاً] من خيار المشركين [ومن بين الأسرى العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم] وأخذ أسيراً لأنه كان مع المشركين، ما استطاع أن يتخلف فيتهمونه بأنه ضدهم، فخرج معهم وهو لا يريد قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه، ولهذا أسر [و عقيل بن أبي طالب و نوفل بن الحارث بن عبد المطلب و عمرو بن أبي سفيان و

أبو العاص بن الربيع زوج زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، و أبو عزيز بن عمير أخو مصعب بن عمير و سهيل بن عمرو أحد ساسة قريش البارزين] وسفير قريش في الحديبية.

آية محمدية (تحول العود إلى سيف في يد عكاشة بن محصن)

قال: [آية محمدية] علامة من علامات النبوة المحمدية [كانت المعركة دائرة والقتال مستمراً وسيف عكاشة بن محصن ينقطع من الضرب في يده، فكيف يقاتل؟ فأتى الرسول صلى الله عليه وسلم وهو في العريش -مركز القيادة- وشكا إليه انقطاع سيفه] وانكساره [فأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم جذلاً من حطب] عوداً من حطب [وقال: (قاتل بهذا يا عكاشة) فلما أخذه من يد رسول الله صلى الله عليه وسلم هزه في يده فعاد سيفاً في يده طويل القامة، شديد المتن، أبيض الحديدة، فقاتل به حتى فتح الله على المسلمين] وهذه آية من آيات النبوة المحمدية: أن ينقلب الحطب إلى سيف من حديد! وما أكثر آيات النبوة ومعجزاتها.
قال: [وكان ذلك السيف يسمى (العون)، وما زال مع عكاشة يقاتل به حتى قتل رضي الله عنه في حرب الردة على عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنهم، فكان هذا السيف آية النبوة المحمدية القوية] يعني: ما انتهى فقط بمعركة بدر، بل بقي كما هو سيف يقاتل به حتى استشهد في حرب الردة على عهد أبي بكر ؛ إذ ارتد جماعات من العرب فقاتلهم الصديق رضي الله عنه.

جيف المشركين (سحب جثث المشركين إلى قليب ببدر)

قال: [جيف المشركين] أجسادهم لما ماتوا، ماذا فعل بها رسول صلى الله عليه وسلم؟ [لما خمدت نار المعركة ودفن المسلمون شهداءهم، وكانوا أربعة عشر شهيداً سحبت جيف المشركين إلى قليب] والقليب بئر ليس فيها ماء [كان في ساحة المعركة، فألقوا فيه إلا ما كان من الطاغية أمية بن خلف ، فإنه قد انتفخ في درعه فملأها، فذهبوا ليحركوه فتزايل] أي: تساقط [لحمه فتركوه مكانه، وألقوا عليه ما غيبه من التراب والحجارة] بعد أن تحلل.

توبيخ الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم لأعدائه (مخاطبة النبي لقتلى المشركين في القليب)

قال: [توبيخ الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم لأعدائه] لنسمع توبيخه صلى الله عليه وسلم للمشركين [وفي جوف الليل] وسط الليل [سُمع النبي صلى الله عليه وسلم وهو واقف على القليب الذي ألقيت فيه جيف المشركين يناديهم موبخاً لهم مقرراً: (يا أهل القليب بئس عشيرة النبي كنتم لنبيكم، كذبتموني وصدقني الناس، وأخرجتموني وآواني الناس، وقاتلتموني ونصرني الناس، فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً؟ فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقاً) فقال له بعض أصحابه: يا رسول الله! أتنادي قوماً قد جُيفوا؟!] ولعل السائل عمر [فقال لهم: (ما أنتم بأسمع منهم لما أقول لهم، ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبوا)].
لما قالوا: كيف تخاطب جيف أموات؟ قال لهم صلى الله عليه وسلم: (ما أنتم بأسمع منهم لما أقول لهم، ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبوا).
قال: [وفي هذا يقول حسان في قصيدة سجل فيها غزوة بدر، منها قوله: فدع عنك التذكر كل يوم ورد حرارة الصدر الكئيب وخبر بالذي لا عيب فيه بصدق غير إخبار الكذوب بما صنع المليك غداة بدر لنا في المشركين من النصيب غداة كأن جمعهم حراء ...] كجبل حراء في كثرتهم.[بدت أركانه جنح الغروب فلاقيناهم منا بجمع كأسد الغاب مردان وشيب أمام محمد قد وازروه على الأعداء في لفح الحروب بأيديهم صوارم مرهفات وكل مجرب خاطي الكعوب بنو الأوس الغطارف وازرتها بنو النجار في الدين الصليب] أي: المتين.
[فغادرنا أبا جهل صريعاً وعتبة قد تركنا بالجبوب وشيبة قد تركنا في رجال ذوي حسب إذا نسبوا حسيب يناديهم رسول الله لما قذفناهم كباكب في القليب ألم تجدوا كلامي كان حقاً وأمر الله يأخذ بالقلوب فما نطقوا ولو نطقوا لقالوا صدقت وكنت ذا رأي مصيب].

خلاف الأحبة وحسمه (اختلاف الصحابة في قسمة الغنائم)

قال: [خلاف الأحبة وحسمه] الخلاف مر، وعواقبه سيئة، وحرام على المسلمين أن يختلفوا، وهذه الحادثة علمتهم [وأمر القائد الأعظم الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم -بعد انجلاء الموقف بقتل المشركين وأسرهم- أمر بجمع الغنائم فجمعت، واختلف الأصحاب المجاهدون رضوان الله عليهم فيمن هو الأحق بها؟] أي بالغنائم [فقال الجامعون لها] الذين جمعوها من المعركة [هي لنا، وقال المقاتلون الذين شغلوا عن جمع الغنائم بقتال المشركين وطلبهم: والله لولا نحن ما أصبتموها؛ إذ نحن الذين شغلنا العدو عنكم حتى أصبتم الذي أصبتم] من الغنائم [وقال الذين كانوا يحرسون النبي صلى الله عليه وسلم في العريش؛ خشية أن يخالف إليه العدو: والله ما أنتم أحق بها منا، فأنزل الله تعالى قوله: يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ قُلِ الأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ [الأنفال:1] وانتهى الخلاف.

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ يا رسولنا قُلِ الأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ [الأنفال:1] اجمعوها الآن ليقضي فيها الله ورسوله كما يريد، فلا حق لأحد فيها، وجمعوها بالفعل بعد عتاب في هذه الآية الكريمة ثم نزل قوله تعالى: وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [الأنفال:41] فمن ثم قسمت الغنائم بقسمة الله إلى يوم القيامة، وخمسها لإمام المسلمين، يوزعها على الفقراء والمساكين، وأقرباء الرسول صلى الله عليه وسلم وأهل الحاجة، وأربعة أخماس للمجاهدين، فصاحب الفرس له قسمان؛ لأن فرسه ذات أثر وهو ينفق عليها، والراجل على رجليه له قسم واحد.

[وبهذا انتزعها الله من أيديهم حسماً للخلاف، ثم أنزل] بيان [قسمتها في قوله: وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [الأنفال:41]] وسمي يوم الفرقان؛ لأن الله فرق فيه بين الحق والباطل، فبعد انتصار المؤمنين في بدر لاحت أنوار النصر إلى يوم القيامة [وبهذا حسم الخلاف وانتهى نهائياً، والحمد لله رب العالمين].

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه.

دعاء

يا معشر المؤمنين! إخوانكم يطلبون منكم أن تدعو الله لهم، فبعضهم مرضى وبعضهم يعانون من الخلاف والفرقة في بلادهم، وبخاصة ديارنا الجزائرية، فالنار مشتعلة فيها، والقتلى والموت بلا عدد إلا ما شاء الله، فارفعوا أكفكم إلى الله أن يطفئ نار تلك الفتنة، وأن يُحل محلها السلم والسلام.

اللهم يا حي يا قيوم! يا بديع السماوات والأرض! يا مالك الملك! يا ذا الجلال والإكرام! اللهم إنا نسألك بأنك أنت الله الذي لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد أن تطفئ تلك النار التي تتأجج بين عبادك المؤمنين في الجزائر، وفي غيرها من بلاد المسلمين يا رب العالمين.

اللهم أبدل الفتنة بالوفاق والاتفاق والحب والولاء، والإقبال عليك وعلى طاعتك وطاعة رسولك يا رب العالمين، واحفظ ربنا هذه الديار من الفتن، وقها كل فتنة يا رب العالمين، اللهم من أراد أن يمسها بسوء فأنزل به نقمتك، اللهم أنزل به نقمتك لتبقي لنا هذه البقية الباقية في العالم الإسلامي، إنك ولي ذلك والقادر عليه.

ربنا إن يبننا مرضى وفي بيوتنا مرضى وفي مشافينا مرضى، ولا شافي إلا أنت، اللهم إنه لا شافي إلا أنت، فاكشف اللهم ضرنا واشفنا يا ربنا، وارزقنا رضاك ومحبتك.

يا ولي المؤمنين تولنا ولا تتركنا، يا متولي الصالحين تولنا ولا تتركنا، إنك ولينا ولا ولي لنا سواك، فاغفر لنا وارحمنا واعف عنا وعافنا، وتوفنا وأنت راض عنا، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين، وصل اللهم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

بعد أن تم النصر للمسلمين في بدر قام النبي وأصحابه بدفن النفر الذين استشهدوا من المسلمين، وسحبوا قتلى المشركين إلى القليب، وكان تعدادهم سبعين، وكان الأسرى منهم مثل ذلك، ولما أن وصل النبي إلى المدينة استشار أصحابه في شأن الأسرى، فأشار عمر بقتلهم، وأشار أبو بكر بفدائهم، وارتاحت نفس النبي لرأي أبي بكر ففدى الأسرى، إلا أن الله تعالى أنزل على نبيه يعاتبه على قبول الفداء وعدم قتل الأسرى.

بشائر النصر (بعث النبي لعبد الله بن رواحة وزيد بن حارثة لتبشير أهل المدينة بالانتصار في بدر)

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.
أما بعد: ها نحن مع أول غزاة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان في السنة الثانية من الهجرة المحمدية، غزوة بدر الكبرى، وقد انتهى بنا الدرس إلى مقطوعة تحت عنوان: [بشائر النصر] كيف تلوح؟ قال: [وعجل الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم بتبشير المسلمين في المدينة بالنصر الذي تم، فبعث عبد الله بن راوحة بشيراً إلى أهل العالية] من المدينة [وبعث زيد بن حارثة إلى أهل السافلة] كان للمدينة عالية وسافلة كمكة.
[قال أسامة بن زيد] حب رسول الله صلى الله عليه وسلم [رضي الله عنه: أتانا الخبر حين سوينا التراب على رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم] ماتت رقية بنت محمد صلى الله عليه وسلم وخديجة بنت خويلد رضي الله عنهما وأرضاهما [التي كانت عند عثمان بن عفان رضي الله عنه] ويقال فيه عثمان ذو النورين؛ لأنه تزوج رقية و أم كلثوم ابنتي النبي صلى الله عليه وسلم.
قال: أتانا الخبر [أن زيد بن حارثة قد قدم، فجئت وهو واقف بالمصلى قد غشيه الناس وهو يقول: قتل عتبة بن ربيعة ، و شيبة بن ربيعة ، و أبو جهل ، و زمعة بن الأسود ، و أبو البختري ، و أمية بن خلف ، و نبيه و منبه ابنا الحجاج ، فقلت: يا أبت أحق هذا؟ قال: نعم، والله يا بني!] أي: نعم والله يا بني كل هؤلاء الطواغيت قتلوا في بدر.
وهذه هي البشرى!

طلوع البدر (عودة الحبيب إلى المدينة ومعه الأسارى من المشركين)

[طلوع البدر] بعد البشرى[وطلع الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم من بدر عائداً إلى المدينة] هو أتى من بدر ونوره أعظم من نور البدر، فلقد هدى الله بنوره ما لم يهد على نور بدر، وكفى بقول الله عز وجل: وَسِرَاجًا مُنِيرًا [الأحزاب:46].
قال: [ومعه الأسارى من المشركين] وكانوا سبعين أسيراً [واحتمل معه صلى الله عليه وسلم الغنائم] التي غنموها من العدو عندما انهزم وقتل صناديده وأسروا [وجعل عليها عبد الله بن كعب النجاري] من بني النجار [وسار صلى الله عليه وسلم، حتى إذا خرج من مضيق الصفراء نزل على كثيب بين المضيق وبين النازية إلى سرحة به، فقسم هناك الغنائم بالسوية على المسلمين، ثم ارتحل حتى إذا كان بالروحاء] قريباً من المدينة [لقيه المسلمون يهنئونه بما فتح الله عليه وعلى من معه بالنصر المبين، وأثناء مسيره -وبالصفراء بالضبط- قتل علي بن أبي طالب النضر بن الحارث -أحد الأسرى-] وكان شيطاناً مارداً، فهو الذي قال من سورة الأنفال: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ [الأنفال:32] أي: إذا كان ما جاء به محمد هو الحق، فنحن لا نستطيع أن نعيش أبداً، ونمطر حجارة من السماء ولا نرى محمداً ينتصر ودينه ينتشر.
ولهذا ما صبر علي فقتله.

قال: [كما قُتل عقبة بن أبي معيط قتله عاصم بن ثابت الأنصاري] و عقبة هذا من شر الخلق وقد شبهه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدار بن سالف عاقر ناقة صالح، فقد كان أزرق العينين، أحمر اللون، قصير القامة، كأنه قدار بن سالف .

وسبحان الله! ذاك ظالم في قوم صالح، وهذا ظالم في أمة محمد صلى الله عليه وسلم [بعرق الطيبة] في مكان يسمى عرق الطيبة [وثم لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو هند حجام الرسول صلى الله عليه وسلم] الذي كان يحجم لرسول الله اسمه أبو هند ، والحجامة من سنن أبي القاسم صلى الله عليه وسلم، وهي دواء، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (الشفاء في ثلاث: شربة عسل وشرطة محجم وكية نار).

قال: [لقيه بحميت حيساً] والحميت: الزق من الجلد، والحيس: السمن يخلط بالتمر والأقط [فقال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنما هو أبو هند امرؤ من الأنصار فأنكحوه، وأنكحوا إليه) ففعلوا، وكان أبو هند مولى لفروة بن عمرو البياضي ، ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسيره إلى المدينة فوصلها قبل الأسارى بيوم] عندما قدم أبو هند للحبيب صلى الله عليه وسلم هذا الطعام احتفاء به وتكريماً بعودته من الغزوة كافأه الرسول صلى الله عليه وسلم بأن قال: (إنما هو أبو هند امرؤ من الأنصار)، فسجل اسمه في الأنصار، ثم قال: (فأنكحوه) أي: زوجوه لا تقولوا: هذا مولى، (وأنكحوا إليه) أي: تزوجوا منه، وجعله واحداً من أنصار المدينة.

أيهما خير القتل أو الفداء؟ (استشارة النبي لأصحابه في أمر الأسرى من قريش)

قال: [أيهما خير القتل أو الفداء؟] وكان الأسرى قد وصلوا بعد وصول النبي صلى الله عليه وسلم بيوم إلى المدينة، والسؤال: أيهما خير القتل أم الفداء؟ هل يُفادون بأموال تعود على المسلمين المجاهدين، أم يقطعون رءوسهم ويستريحون منهم؟ حصل خلاف في هذه القضية سنسمعه إن شاء الله.

قال: [إنه بعد أن أتم الله نصره لرسوله والمؤمنين حيث انهزم المشركون وفروا من المعركة لائذين] بالفرار [تاركين وراءهم سبعين جثة ألقيت في القليب، وسبعين أسيراً وُضعوا في القيود، وقفل رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعاً ونزل منزلاً، واستشار أصحابه في الأسرى أيُقتلون أم يُفادون بمال يستعان به على مواصلة الجهاد؟ فقال صلى الله عليه وسلم: (إن الله قد أمكنكم منهم، فما تقولون في هؤلاء الأسرى؟)، فقام عمر رضي الله عنه فقال: يا رسول الله اضرب أعناقهم] فقد كذبوك وأخرجوك.

هذه كلمة ابن الخطاب ، ولعل بعض الزوار لا يعرفونه، يقول ابنه عبد الله : "ما قال أبي في شيء أظنه كذا إلا كان كما ظن".

وقد وافق ربه في أربع أو خمس مسائل، وما كان الشيطان يقوى أو يقدر على أن يمشي مع عمر في طريق واحد، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (ما سلك عمر فجاً إلا سلك الشيطان فجاً غير فجه)، وقال أيضاً: (لو كان في أمتي محدثون) يعني: من تحدثهم الملائكة (لكان منهم عمر ، ولكن لا نبي بعدي)؛ إذ الملائكة لا تحدث إلا الأنبياء.

تنازل النبي عن بعض الحق لما فيه مصلحة الإسلام والمسلمين

قلنا: وكان من بين هؤلاء الأسرى العباس بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم، و عقيل بن أبي طالب وكذلك: نوفل بن الحارث بن عبد المطلب و عمرو بن أبي سفيان و أبو العاص بن الربيع زوج زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، و أبو عدي بن عمير أخو مصعب بن عمير و سهيل بن عمرو ، وهو أحد ساسة قريش البارزين، وسفيرها في الحديبية، فهو الذي فاوض الرسول صلى الله عليه وسلم في الصلح، ولا ننسى موقفه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتعلم هذا الضائعون، فعندما قال النبي: اكتب: باسم الله الرحمن الرحيم -وكان الكاتب علياً - قال سهيل بن عمرو : ما نعرف الرحمن الرحيم..ولكن اكتب باسمك اللهم، فوجل علي وانتفض عمر فقال لهم النبي: اسكتوا أنا رسول الله! لأنه يعلم أن الصلح يحقق له هدنة تدوم عشر سنين ينتقل فيها الإسلام بين الناس بدلاً من أن يكون محصوراً في المدينة، وكتب باسمك اللهم.

ثم قال: هذا ما عاهد عليه رسول الله، فقال سهيل : لو عرفناك رسول الله ما قتلناك! وعند هذه كاد يتفجر عمر .

فقال النبي: اكتب هذا ما عاهد عليه محمد بن عبد الله.
وتنازل عن كلمة (رسول الله) لأجل ما يتحقق بهذا الصلح من المصلحة للمسلمين، والآن -أعني شبيبتنا الناهضة- لو أن سياسياً في مكان ما اضطر لمصلحة الإسلام والمسلمين بأن يتنازل عن كلمة كهذه لكفروه في الشرق والغرب، والليل والنهار وكتبوا حتى على بابه: كافر! لأنهم ما تربوا في حجور الصالحين، ولا تلقوا العلوم والمعارف من الكتب والمحاضرات، فالذي يكون أهلاً للكمال يجب أن يزاحم العلماء بركبتيه، وأن يجالسهم حتى تزكو روحه وتطيب نفسه بالكتاب والحكمة، ولهذا لا تسأل عن تخبط العالم الإسلامي، ونتائجه دائماً الخراب، ولن تقوم لنا قائمة أبداً؛ لأننا ما نهجنا نهج رسول الله صلى الله عليه وسلم.
قال: [فخير تعالى في هذه الآية الإمام بين المن مجاناً وبين الفداء بمقابل وبين القتل، فليذُر الإمام مع المصلحة العامة للإسلام والمسلمين، فإن كانت في الفداء فدى، وإن كانت في القتل قتل، وإن كانت في المن منّ].

مكانة القرآن في حياة المسلمين

إن القرآن هو روح الحياة، القرآن الذي يقرأ على الموتى هو الروح، ولا حياة بدونه، والدليل: أن العرب الذين كانوا يعيشون في الصحراء من هذه الديار على أسوأ الأحوال، تستعمرهم دولة فارس في الشرق، والروم في الشمال، والأحباش في الجنوب..وفي خمس وعشرين سنة أصبحت هذه الأمة سيدة العالم، ولم تكتحل عين الوجود بأمة أكمل ولا أطهر ولا أشجع ولا أرحم ولا أعدل ولا أعلم من هذه الأمة، من خلال أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم وأبنائهم وأبناء أبنائهم.
وهل هناك آية تدل على أن القرآن روح؟ إي والله! اسمع! يقول تعالى من سورة الشورى: وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا [الشورى:52] فسمى القرآن روحاً؟ فمن ثم من آمن بهذا القرآن وقرأه وفهمه، وطبق أنظمته حيي، وعز وطهر وكمل، وتهيأ للملكوت الأعلى، ومن أعرض عنه أعماه الله وأذله وأخذه، يقول عز وجل: وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى [طه:124].
ولقد عرف المجوس واليهود والنصارى أن هذه الأمة روحها القرآن، فحاولوا أن ينتزعوه وعجزوا، لأنه محفوظ في صدور الرجال والنساء، وحاولوا -فقط- تغيير حرف واحد وما استطاعوا.
فقالوا: احتالوا عليهم واصرفوهم عنه، فلا يتدبرون، ولا يطبقون، ولا يعملون ..
إذاً: كيف نفعل؟ قالوا: اقرءوه على الموتى! فأصبح العالم الإسلامي لا يعرف الاجتماع على القرآن إلا فقط ليلة الميت، يجتمعون سبع ليال، أو أربعين ليلة أحياناً.
إن أردنا عودة للكمال فعلينا أن نعود إلى القرآن.
ومن يفسر لنا القرآن؟ إنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكل أقضية رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحكامه وآدابه من القرآن الكريم، مدونة موجودة.
ومما يؤسف له إلى الآن أننا ما أقبلنا على القرآن الكريم، نعم وجد إقبال عليه من حيث حفظه، فقد كان حفظة القرآن قليلين، والآن كثروا في كل البلاد، لكن الاجتماع عليه لاستخراج أنواره والهداية بها! ليس موجود إلا من رحم الله عز وجل.

من زهد عمر رضي الله عنه ونتائجه

كيف وصل عمر إلى هذا المستوى الرفيع؟ نذكر له صورة واحدة من صور زهده: أقام له أحد ولاته أيام خلافته مأدبة طعام، ووضع لونين أو ثلاثة من الطعام على السفرة، فلما نظر عمر إلى الطعام وألوانه انتفض انتفاضة الأسد وقام، فقال له الوالي: يا خليفة رسول الله! ما لك لا تطعم؟! فقال -بالحرف الواحد-: خشيت أن أكون ممن قال الله تعالى فيهم: أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ [الأحقاف:20].
والآن فقراؤنا على مائدتهم ثلاثة أو أربعة أنواع من الطعام، تجد الفول والعسل واللبن والخبز والشاي والقهوة .
.

وهو من أفقر الناس.
عرفتم كيف ارتفع عمر ؟ ارتفع بصفاء الروح، وطهارة النفس وزكاتها، فهي التي تجعل المرء هكذا، أما الذي يكب على الشهوات أنى له أن يصل إلى هذا المستوى؟ وكيف يميز بين الحق والباطل؟ والخير والشر، والعدل والظلم؟ ويؤكد هذه النظرية أو هذه القاعدة الحقيقية قول الله عز وجل واسمعوا وتأملوا: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا [الأنفال:29] ومعنى هذا الكلام أيها المسلمون أن تتقوا الله فلا تعصوه، وتعملون على طاعته، وتزكون أنفسكم حتى تصبح كتلة من نور.
ذلكم هو الفرقان، الذي تفرقون به بين الحق والباطل، فلا يلتبس عليكم شيء.
والآن قادة العالم الإسلامي ورجالاته ومسئولوه ومديروه ومدبروه لا يملكون هذا الفرقان؟ والذي اتقى الله عز وجل فلم يخرج عن طاعته، ولم يفسق عن أمره، فنهض بالتكاليف وأداها على الوجه المطلوب، وتجنب مغاضب الله ومساخطه، وما حرمه وما نهى عنه..
-والله- ليعطين هذا الفرقان، وتصبح نظريته السياسية والاقتصادية والاجتماعية لا تخطئ.
ومن كان يعيش على الفسق والفجور والباطل أنى له أن يعطى هذا النور؟ والبرهنة: العالم الإسلامي الذي يتخبط تخبط العميان، والسبب أن المسئولون لا يملكون هذا النور؛ لأن هذا النور يأتي بتقوى الله، كن شريفاً أو وضيعاً أو كن ما شئت وأن تتقي الله يأتيك الله هذا النور، ويكون ذلك -أولاً-: بأن تعرف فيم تتقي الله من الأمر والنهي.
ثانياً: أن تجاهد نفسك حتى تؤدي المأمور على الكيفية والنحو والظرف المأمور به، حتى يُنتج لك طاقة نورانية.
ثالثاً: تجنب مساخط الله من الكلمة إلى النظرة إلى كل سيئة؛ ليبقى النور كما هو ويزداد؛ لأن الذنوب تقضي على تلك الأنوار وتفسدها..
إذاً: استشار النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه في أمر الأسرى، أما قال تعالى: وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ [آل عمران:159] ونطق عمر فقال: يا رسول الله اضرب أعناقهم، قد كذبوك وأخرجوك [فأعرض عنه النبي صلى الله عليه وسلم] أعطاه عرضه ولم التفت إليه، بل سمع رأيه وسكت، يريد رأياً من الآخرين [ثم عاد صلى الله عليه وسلم إلى قوله طالباً المشورة في الأسرى، فقام أبو بكر رضي الله عنه فقال: يا رسول الله! نرى أن تعفو عنهم، وأن تقبل منهم الفداء.
فذهب عن وجه النبي صلى الله عليه وسلم ما كان فيه من الغم فعفا عنهم وقبل الفداء] فرج أبو بكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بكلامه ذلك، فما أرحم الصديق ! لا إله إلا الله، هذا أبو بكر الصديق يقول فيه النبي صلى الله عليه وسلم: (لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن أخوة الإسلام أفضل).

بين الصديق والنبي .. موقفان متشابهان

الصديق له موقفان جليلان: الأول: ساعة ما كان مع الرسول صلى الله عليه وسلم في الغار، خاف وارتعد؛ لأنه وجد الحيات والعقارب وكان المشركون يقلبون الحجارة بحثاً عن النبي وصاحبه، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم: لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا [التوبة:40]، وذلك بعد أن خاف وقال: لو نظر أحدهم تحت قدمه لرآنا يا رسول الله! فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا [التوبة:40] (ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما؟).
والموقف الثاني: في بدر الرسول صلى الله عليه وسلم كان يرتعد خائفاً رافعاً يديه إلى ربه يقول: (رب! إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد في الأرض) و أبو بكر يأخذ رداء النبي صلى الله عليه وسلم ويصلحه ويقول: لا تخف يا رسول الله إن الله معنا.
فسبحان الله العظيم! موقفان مختلفان، فما هو السر؟ الموقف الأول؛ كان النبي صلى الله عليه وسلم فيه أدى كل ما وجب أن يؤديه من الحذر والحيطة والاستعدادات الكاملة، فمن هنا كان مطمئناً إلى أن الله لا يخيبه، فقد اختار الرفيق في خروجه من مكة، واختار الجغرافي الخاص (الخريت)، وتهيأ واستعد لهذه السفرة وهذا الخروج.
إذاً: ما ترك شيئاً من الأسباب إلا عمله، ومن هنا كان اطمئنانه إلى نصر الله.
فلما كان الصديق خائفاً قال له: (ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟)، لكن في بدر الرسول صلى الله عليه وسلم شعر بأنه قصّر، حيث كان خروجه بثلاثمائة مقاتل فقط لأجل القافلة لا لقتال قريش، وقد رمت بأفلاذ أكبادها، فلهذا قال كلمته: (رب إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد بعد في الأرض).

ومن هنا إذا أعد المسلمون العدة وهيئوا كل أسباب الجهاد والنصر، واطرحوا بين يدي الله فالله ناصرهم.
وإن قصروا في تلك الأسباب وما أدوها على وجهها فإنهم يخافون، وقد يهزمون ولا ينتصرون، فإذا كنت تريد أن تقاتل وتجاهد، هيأ وأعد ما ينبغي أن تعده، ثم باسم الله قاتل والله ناصرك، أما أن تكون هابطاً -كهبوطنا نحن الآن وإن كان ليس في العدة العتاد ولكنه في قلوبنا الممزقة وشهواتنا الطاغية وجهلنا العام- فكيف تنتصر؟ إن بنو عمنا اليهود أذلوا العالم الإسلامي -وهم حفنة- وهزموا ألف مليون؛ وكل مسلم مسئول عن هذا عربي أو عجمي..
مع أن اليهود أعداء الله ورسوله إلى يوم القيامة، والسر أنه لا صلة لنا -حقيقية- بالله ، فسقنا عن أمر الله وخرجنا عن طاعته، وحكمنا أهواءنا وشهواتنا، وأقبلنا على أوساخ دنيانا وتقاتلنا عليها، وما أصبحنا أمة ولا جماعة واحدة، وسُنة الله ماضية لن تتخلف، فلا بد من هزيمة، ولن يتم نصر أبداً إلا إذا كان طالبي النصر أهلاً لذلك، بإيمان وتقوى وفرقان يضيء لهم الحياة ويبين لهم الطريق.

موافقة عمر لربه في أمر الأسرى

قال: [فأنزل الله تعالى من سورة الأنفال مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ [الأنفال:67]] أي: تريدون المال الدنيوي، والله يريد الآخرة.
وهذا عتاب.
فما من شأن النبي صلى الله عليه وسلم أن يقبل الأسرى ويأخذ المال، وما زال ما أثخن في الأرض فتحاً وتعميراً وبناء، كان من المفروض أن يقتل هؤلاء؛ ليفزع العرب في كل مكان ويندهشوا، وييأسوا من نصرتهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، لكن لما قبلوا الفداء قد يقال: هؤلاء نستطيع أن نستميلهم بالمال [فوافقت الآية عمر رضي الله عنه فيما رآه من قتل الأسرى في هذه المعركة.
وأنزل الله تعالى عذر نبيه صلى الله عليه وسلم وعذر صاحبه أبي بكر الصديق فقال: لَوْلا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلالًا طَيِّبًا [الأنفال:68-69]] الله أكبر! الذي عنده ربه كيف يكرب أو يخاف أو يحزن؟ والمقطوع عن مولاه كيف يعيش؟ كيف يكمُل أو يسعد؟ لَوْلا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ كتاب المقادير سَبَقَ هذه المفردات لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ [الأنفال:68] لكن هذا أمر كتبه وقدره، فلا بد وأن يتم ابتداء، ثم قال: فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلالًا طَيِّبًا [الأنفال:69] فاستراحت النفوس وارتاحت الصدور، أي كلوا من هذا الفداء للأسرى حَلالًا طَيِّبًا [الأنفال:69].
[وأنزل في الأسرى قوله: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ [الأنفال:70]] ففتح لهم باب الدخول في الإسلام، ودخلوا إلا ما كان من الشياطين كعقبة و النضر وغيرهم.
وقوله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا أي: رغبة في الإسلام وشوق إليه يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ ، فإذا أخذ منك ألف دينار أو ألفين فالله يعوضكم خيراً منها؛ لأن الفداء لا بد منه فهذا حق المجاهدين، قال تعالى: وَيَغْفِرْ لَكُمْ أي: ما سبق من الشرك والكفر والظلم والحرب للإسلام ورسوله وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ [الأنفال:70].
بشرى عجيبة! [فشجعهم بهذا على دفع الفدية وواعدهم بالمغفرة والرحمة إن هم أسلموا وحسن إسلامهم] وليس إسلام نفاق بأن يقول: أسلمت ما دام في الأسر [من بين هؤلاء الأسرى العباس بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم، و عقيل بن أبي طالب وغيرهما] من الأسرى أشراف، وهل هناك أشرف من العباس عم سيد الناس؟! قال: [وبهذا كان القتل للأسرى في هذه المعركة البدرية خيراً من المفاداة؛ لأنها أول معركة انتصر فيها الإسلام، وإن كان المفاداة في غيرها خيراً، وفي كل خير والحمد لله إذ أنزل تعالى بعد هذه الآيات من سورة الأنفال أنزل سورة القتال، وفيها قوله تعالى: فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا [محمد:4]] هذه التعاليم من أين أتت، هل أتت من قادة الجيش؟ هل أتت من خريجي كليات الحرب؟ وأنى لهم أن يحوموا حول هذا؟ سبحان الله! والمسلمون معرضون عن القرآن تماماً.
ستقولون: لا تقل يا شيخ معرضون فتكذب عليهم؟ أقول: إنهم يقرءونه كل ليلة ولكن على الأموات، ما يموت ميت رجل أو امرأة غني أو فقير حتى العاهرة إذا ماتت يقرءون عليها القرآن، أقربائها يأتون بأهل القرآن يقرءون عليها؛

حتى تنجو من النار وتدخل الجنة! ويبرهن على هذا الواقع الواقعُ نفسه، فالمسلمون ممزقون مشتتون أذلاء، مهانون فقراء يجرون وراء الشرق والغرب لضعفهم وهبوطهم.

كرم محمدي

قال: [كرم محمدي] كرم محمدي بين أيدينا [إنه لعظم كرمه صلى الله عليه وسلم ووافر رحمته، لما أعطى الأسارى لأصحابه يأتون بهم إلى المدينة النبوية مفرقين بينهم، قال لهم: (استوصوا بالأسارى خيراً)] لما قسم الأسارى على الرجال وهم قادمون قال لهم: (استوصوا بالأسرى خيراً)؛ أي: بالإحسان إليهم.
وهم مشركون.
[وها هو ذا أبو عزيز بن عمير أخو مصعب بن عمير ، وقد أسر يحدث فيقول: مر بي أخي مصعب ورجل من الأنصار بأسيرين] ومصعب كان من أسرة غنية في قريش، اعتنق الإسلام في أيام الدعوة الأولى، وقد كان يمشي في الحرير فرئي بعدها يمشي وعليه جلد شاة يستر عورته، وعذبوه، ونكلوا به، قالوا له: كيف تترك دين آبائك وأجدادك وتتبع دين محمد صلى الله عليه وسلم؟! وشاء الله أن يكون أول من يهاجر إلى المدينة، فكان داعية عجباً، وقد استشهد في أحد مع حمزة بن عبد المطلب .
قال: [فقال له: شد يديك به -أي: حافظ عليه- فإن أمه ذات متاع] يعني صاحبة ذهب وفضة [لعلها تفديه منك] قال لمن بيده أخوه: شد عليه فإن أمه ثرية لعلها تفديه بقنطار من ذهب [قال أبو عزيز : وكنت في رهط من الأنصار حين أقبلوا بي من بدر، فكانوا إذا قدموا غداءهم أو عشاءهم خصوني بالخبز وأكلوا التمر] عملاً بقول نبيهم صلى الله عليه وسلم: (استوصوا بهم خيراً)، ولو دخلت اليوم إلى سجون العرب لشاهدت البلاء والعذاب الذي لا يكون في يوم القيامة.
إنهم يتفننون الأسرى بشيء لا يطاق ولا يُذكر، ينشرون بالمناشير، وتفقأ عيونهم، وتخرق عظامهم، وكأنهم ليسوا بشراً، بل يأتون بهم الفواحش.
وبعد هذا نريد أن نكمل ونسعد!! أمجانين نحن؟ والله لولا حلم الله عز وجل ما استحق المسلمون البقاء إلى اليوم! فكان المسلمون إذا قدموا الغداء والأسرى الكفار بينهم قدموا لهم الخبز وأكلوا هم التمر، عملاً بوصية رسولهم صلى الله عليه وسلم: (استوصوا بالأسرى خيراً)، فماذا أصاب العرب المسلمين؟ الأمر واضح، إنهم ما عرفوا الله حتى يكمل إيمانهم به، وحتى يُوجد إيمانهم خوفه ومحبته، ومن لم يخف الله ولم يحبه فكيف يطيعه؟ مستحيل! وعدنا من حيث بدأنا: إنه الجهل، يجب أن نعود إلى كتاب الله وهدي رسوله، فلا صحف ولا مجلات ولا تلفاز ولا راديو، وإنما بيوت الرب فقط، كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وقد بينا هذا الخبر فسخر منا الناس؛ وسخروا لأنهم أمة هابطة، فقلنا: أيما أهل إقليم عرب أو عجم، فقراء أو أغنياء عليهم أن يلتزموا في طلب العلم من الكتاب والسنة، فإذا دقت الساعة السادسة مساء أوقفوا العمل، فلا دكن مفتوح ولا مقهى ولا متجر ولا مصنع ولا مزرعة فيها فلاح، بل يغتسلون ويتطيبون ويتطهرون ويأتون إلى جامعهم في قريتهم أو حيهم بنسائهم وأطفالهم، ويكون النساء من وراء ستارة والأبناء دونهن والفحول أمامهم، ثم يجلس لهم المربي يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ..
يوماً بعد يوم وعاماً بعد عام ما يمضي كبير زمن إلا وكلهم ربانيون، أولياء لله، لو رفعوا أكفهم إلى الله ما ردها.
ووراء ذلك لن يبق زنا ولا خنا ولا غش ولا كذب ولا خداع ولا باطل ولا..
كل هذا سينتهي، فوالله إن أعلمنا بالله هو أتقانا له، لا يكذب ولا يخون ولا يغدر ولا يغش ولا يقول الباطل، وكل المصائب من الجهلة.
قال: [لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم بنا، فما تقع في يد رجل منهم كسرة خبز إلا نفحني بها، فأستحيي فأردها على أحد، فيردوها علي ما يمسها.
فسبحان الله! ما أطوع أصحاب رسول الله لرسول الله فصلى الله عليه وسلم، ما أرحمه! لقد نالت رحمته أعداءه، ورضي الله عن صحابته الطيعين البررة الخيرين].
وصلى الله على نبينا محمد وآله.

بعد أن أنعم الله على رسوله وعلى المؤمنين بالنصر المؤزر في بدر، وهزموا عدوهم من المشركين، فقتلوا فريقاً منهم وأسروا فريقاً، عندها أخذت قريش تفكر في كيفية فكاك أسراها، وكان منهم سهيل بن عمرو وأبو العاص بن الربيع وأبو وداعة، أما سهيل فقد جاء مكرز بن حفص وأسر بدلاً منه حتى يرجع هو إلى مكة ويأتي بمال الفدية، وأما أبو العاص ففدته زوجه زينب بنت رسول الله، وأما أبو وداعة فكان له ابن بار جاء بماله من مكة وفداه به.

صدى هزيمة المشركين في مكة (بعد انهزامهم في معركة بدر)

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فقد انتهى بنا الدرس إلى غزوة بدر، ودرسنا الكثير منها وها نحن في أخرياتها، وكانت غزوة بدر الكبرى قد وقعت في رمضان من السنة الثانية من هجرة الحبيب صلى الله عليه وسلم، وكلها عظات وعبر، وفيها من آيات النبوة المحمدية ودلائلها، فهيا بنا نقضي هذه الساعة مع رسولنا صلى الله عليه وسلم.

[صدى هزيمة المشركين في مكة] المشركون هزمهم الله عز وجل؛ إذ مات من صناديدهم سبعون صنديداً، وأسر من رجالاتهم وأطفالهم سبعون أسيراً، فهيا نسمع إلى خبا الهزيمة في مكة عاصمة الكفر يومئذ.

قال: [ودخل مكة أول داخل من المعركة الحسيمان بن عبد الله الخزاعي] أول من دخل ووصل مكة ليعلن عما تم في المعركة كان المسمى الحسيمان بن عبد الله الخزاعي من قبيلة خزاعة [فسألوه في لهف] ماذا حصل؟ كيف الواقعة؟ [ما وراءك؟ قال: قتل عتبة و شيبة و أبو الحكم و أمية بن خلف و زمعة بن الأسود و نبيه و منبه و أبو البختري ، فلما أخذ يعدد أشراف قريش، قال صفوان بن أمية وهو قاعد في الحجر: والله ما يعقل هذا] أي: كلامه الذي قاله ليس بمعقول ولا مقبول، فكيف يموت هؤلاء كلهم؟! [فاسألوه عني.

فقالوا: ما فعل صفوان بن أمية ؟] حتى يتبينوا هل هو عارف بالمعركة ورجالها أم لا [قال: هو ذاك جالس في الحجر، وقد رأيت أباه وأخاه حين قتلا] فقطع الشك عنهم.

قال: [ولنستمع إلى أبي رافع] و أبو رافع هذا مولى الحبيب صلى الله عليه وسلم [يحدث بنبأ هزيمة المشركين فيقول: كنت غلاماً للعباس ، وكان أبو لهب قد تخلف عن بدر] وحقاً أبو لهب ما حضر بدراً [وبعث مكانه العاص بن هشام] ينوب عنه في القتال [فلما جاءه الخبر أقبل يجر رجليه بشر، حتى جلس على طنب حجرة زمزم -أي: طرفها- فبينما هو جالس إذ قال الناس: هذا أبو سفيان بن الحارث قد قدم، فما إن رآه حتى قال له: هلم إلي، لعمري عندك الخبر، فجلس إليه والناس قيام عليه، حتى قال له: يا ابن أخي! أخبرني كيف كان أمر الناس؟ قال: والله ما هو إلا أن لقينا القوم فمنحناهم أكتافنا، يقتلوننا كيف شاءوا، ويأسروننا كيف شاءوا، وايم الله مع ذلك ما لمت الناس، لقد لقينا رجالاً بيضاً على خيل بُلْقٍ بين السماء والأرض، والله ما تُليق شيئاً] أي: لا تبقي [ولا يقوم لها شيء.

قال أبو رافع : قلت: تلك والله الملائكة، فرفع أبو لهب يده فضرب بها وجهي ضربة شديدة، وثاورته فاحتملني فضرب بي الأرض، ثم برك علي يضربني، فقامت أم الفضل إلى عمود من عمد الحجرة، فأخذته فضربته به ضربة شقت رأسه، وقالت: استضعفته أن غاب عنه سيده؟ فقام مولياً ذليلاً، فوالله ما عاش بعدها إلا سبع ليال فرماه الله بالعدسة] والعدسة قرحة قاتلة [فقتلته.

هذه واحدة من صدى الهزيمة .

وأخرى: وهي أن قريشاً لما فوجئت بالكارثة الشديدة، ناحت نساؤها نوحاً شديداً، ثم رأوا أن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إذا علموا ذلك شمتوا بهم، فصدر أمر بمنع النياحة] أمر حكومي: ممنوع البكاء [وعدم المطالبة بمفاداة الأسرى] أي: لا تطالبوا بأسراكم [خشية أن يغالي محمد وأصحابه في ثمن الفداء] يعني لا تطالبوا بالفداء واسكتوا، فإنكم إذا طالبتم رفعوا القيمة من الألف إلى العشرين، هذه هي سياستهم.

قال: [ومن غريب ما حصل: أن الأسود بن المطلب قد أصيب له ثلاثة من ولده وهم.

زمعة و عقيل و الحارث ، فأحب أن يبكي] فما استطاع [وحال دون ذلك قرار المنع الذي صدر عن قريش، فبينما هو كذلك] في ذلك الكرب [إذ سمع نائحة من الليل تنوح] تبكي [فقال لغلام له: اذهب فانظر هل أحل النحب؟] أي: هل أباحوا البكاء فنبكي [أي: هل بكت قريش على قتلاها؟ لعلي أبكي على أبي حكيمة -ولده زمعة - فإن جوفي قد احترق، فذهب الغلام وعاد فقال له: إن الباكية امرأة تبكي على بعير لها أضلته] لا إنها تبكي على ميت [فأنشد هو يقول: أتبكي أن يضل لها بعير ويمنعها من النوم السهود فلا تبكي على بكر ولكن على بدر تقاصرت الجدود على بدر سراة بني هصيص ومخزوم ورهط أبي الوليد].

من أصداء المعركة وآثارها

قال: [من أصداء المعركة وآثارها: إن لمعركة بدر أصداءً وآثاراً إنا -وإن كنا قد عايشنا المعركة ورأينا أحداثها داخل الساحة وخارجها- إلا أن لهذه المعركة التاريخية الفاصلة أصداءً وآثاراً ذات مدى قريب أو بعيد، فحسن رؤية ذلك ومشاهدته، وإزاء النقاط السود نذكر ما يمكن ذكره من ذلك:]

إعلان أبي العاص بن الربيع عن إسلامه بين قريش

قال: [ثم قال: يا معشر قريش! هل بقي لأحد منكم عندي مال لم يأخذه؟ قالوا: لا، فجزاك الله خيراً، فقد وجدناك وفياً كريماً، قال: فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، والله ما منعني من الإسلام عنده إلا تخوف أني إنما أردت أكل أموالكم، فلما أداها الله إليكم وفرغت منها أسلمت] فلو أسلم في المدينة لقالوا: أسلم من أجل الأموال خلاها عندهم!.
قال: خفت من هذا الظن السيئ، فعدت كافراً إليكم وأعطيتكم أموالكم، والآن أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله [ثم خرج حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرد عليه زينب بعد فترة فرّق الإسلام فيها بينهما لتقدم إسلامها وتأخر إسلامه].

نكتفي بهذا، وصلى الله على نبينا محمد .

إسلام أبي العاص

قال: [إسلام أبي العاص وكيف كان] كيف أسلم زوج زينب ؟ قال:[قبيل فتح مكة خرج أبو العاص بن الربيع بعل زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم] وبعل أي: زوج [المهاجرة إلى أبيها بالمدينة، خرج تاجراً إلى الشام] قبل المعركة [وكان رجلاً مأموناً] يضرب به المثل في الأمانة [يأخذ أموال أرباب الأموال ويتجر فيها، وعند رجوعه من الشام اعترضته سرية من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذوا ما معه من أموال، وهرب فأعجزهم] ما استطاعوا أن يدركوه.
[ووصل المدينة ليلاً مختفياً فدخل على زينب] امرأته [فاستجار بها فأجارته] قال: أمنيني فقالت: أمنتك.
أين اللجوء السياسي؟ لقد عرفه العرب قبل أن تعرفه العجم.
سبحان الله! أبو العاص يطلب من امرأة أن تجيره، وإذا أجارته لن يمسه أحد أبداً، ولا ننسى: (أجرنا من أجرتِ يا أم هاني)، فلما فتح الله تعالى مكة على رسوله والمؤمنين -ولو شاهدتم ذلك المنظر لتقززتم من الصراع والدماء بيننا- بإثني عشر ألف مقاتل تجمعت رجالات قريش وطأطئوا رءوسهم ينتظرون حكم رسول الله فيهم، فنظر إليهم وقال: (يا معشر قريش! ما تظنون أني فاعل بكم؟ قالوا: أخ كريم وابن أخ كريم، فقال: اذهبوا فأنتم الطلقاء)، لا انتقام ولا سجن ولا غرامة ولا غير ذلك .
وإخواننا أيام الاستعمار ما إن يستقلوا حتى يأخذوا في قتل إخوانهم وذبحهم، يقولون: هذا عميل! هذا صنيع الاستعمار! هذا كذا .
لا إله إلا الله، فأغضبوا الرحمن فسلبهم الخير ومنعهم السعادة، وأصبحوا اليوم يتمنون استعمار الغرب، ولا أن يعيشوا هذه الدويلات الهابطة!! و أم هاني بنت أبي طالب بنت عم الرسول صلى الله عليه وسلم.
كان عفريت من العفاريت ما ترك جريمة إلا فعلها ثم لاذ بجنابها يوم الفتح، فقال: أجيريني يا أم هاني ! فأجارته، فجاء علي يريد أن يقتله فقالت: (لا، لقد أجرته يا ابن أمي)، ثم جاءت تشتكي إلى الرسول صلى الله عليه وسلم أن علياً يريد قتل من أجارته فقال لها: (أجرنا من أجرتِ يا أم هاني).
والآن العرب كلهم لا يجيرون واحداً.
لا إله إلا الله.
هيا مع صهر الحبيب صلى الله عليه وسلم أبي العاص زوج زينب رضي الله عنهم أجمعين.
قال: [وقد جاء في طلب ماله] جاء المدينة ليطلب المال الذي أخذته السرية؛ لأن مال غيره لا يستطيع أن يصبر عليه، والموقف الأعظم من ذلك أنهم قالوا له: أسلم نرد عليك مالك، فقال: لا.
سيقولون: أسلم فقط من أجل المال [فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لصلاة الصبح، وكبر فيها وكبر الناس معه صرخت زينب] بأعلى صوتها [من صفة النساء: أيها الناس! إني قد أجرت أبا العاص بن الربيع] أين درست هذه؟ كيف عرفت هذا؟ هي أجارته ولكن ماذا تصنع حتى تحقق هدفها؟ ما كان منها إلا أن تركت الرسول والمؤمنين حتى كبروا لصلاة الصبح فلم يبقى من يرد عليها شيء، فصرخت بأعلى صوتها: إني قد أجرت ابن الربيع فأجيروه.
الله أكبر.
ما قالت أبي ولا أنا بنت رسول الله ولا هذا زوجي.
[(أيها الناس! هل سمعتم ما سمعت؟ قالوا: نعم.
قال: أما والذي نفس محمد بيده، ما علمت بشيء من ذلك حتى سمعت ما سمعتم إنه يجير على المسلمين أدناهم)] حتى لا يقال هي مؤامرة من أجل أن يحرر صهره.
لا إله إلا الله.
أين قرءوا وأين تعلموا؟ والله ما عندنا واحد إلى مائة مما عندهم، فـ(المسلمون سواسية كأسنان المشط يسعى بذمتهم أدناهم)، أين هؤلاء المسلمون اليوم؟ إنهم يأكلون البقلاوة، وتعرفون أسنان المشط ليس فيها طويل وقصير، بل متساوية، (وهم يد واحدة على من سواهم).
فإذا أجار حلاق أو كناس كافراً يقولون: نعم.
هذا حقه، فقد أجاره مسلم.

[ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل على ابنته فقال: (أي بنية أكرمي مثواه)] أي: مقامه عندكِ، أطعميه وأسقيه وإن كان كافراً [(ولا يخلصن إليكِ؛ فإنكِ لا تحلين له)] أي: لا يصل إليكِ بجماع فإنكِ لا تحلين له.
لأنه كافر وهي مؤمنة.
الله أكبر! هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه دياره وها نحن في مسجده، ولعل هذا المكان كان بيت زينب .
[ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أفراد السرية] الذين أخذوا أموال أبي العاص [فقال لهم: (إن هذا الرجل منا حيث قد علمتم)] يعني: أجرناه [(وقد أصبتم له مالاً، فإن تحسنوا وتردوا عليه الذي له فإنا نحب ذلك)] رسول الله الحاكم العام يستشير رجاله الذين بعث بهم وجاءوا بهذه الغنيمة ويطلب منهم هذا الطلب.
وهذا ما عرفناه نحن أبداً ولا سمعنا به بيننا، فأين آداب النبي محمد صلى الله عليه وسلم؟! قال: [(وإن أبيتم فهو فيء الله الذي أفاء عليكم)] يعني: إن أحسنتم بها وإلا هذا فيء أفاءه الله عليكم ما نستطيع أن نأخذه [(وأنتم أحق به)] الله أكبر [فما كان منهم إلا أن ردوا عليه كل ماله حتى إن الرجل يأتي بالشنة والآخر يأتي بالشظاظ] والشظاظ: الخشبة الصغيرة، فجاءوا بكل ما أخذوا حتى إن الرجل يأتي بالعود والخيط، ويستطيع أحدهم أن يخبئ شيئاً أو يقول: هذا لا يحتاج إليه أبو العاص ، ولكن ردوا كل شيء أخذوه منه.
قال: [حتى ردوا عليه ماله بأسره، فاحتمله إلى مكة ورده إلى أهله] أما نحن فيشترك معك أحدهم: يقول لك: بدل ما تحط فلوسك في البنك نعملها بها تجارة أحسن، ثم يأخذ الفلوس ويضحك عليك ويقول: والله ما استفدنا شيئاً.
أتدرون لماذا شاع الربا؟ والله بذنوبنا، خنا الأمانات وما أصبحنا أهلاً للأمن والأمان والثقة والصدق والوفاء، فعاقبنا الله بأخذ الربا، ومن شك في ذلك خلا بشخص في قريته أو مدينته وقال له: عندنا قليلاً من المال نريد أن نتجر به ونربح أحسن من أن يبقى عندنا، ثم يعطيه له ويسكت عنه، وبعد سنتين أو ثلاثة يسأله: هل هناك شيء؟ واسمع ماذا يقول، سيقول: ما بقي شيء!! أعوذ بالله منا! هبطنا.
ما سر هبوطنا؟ إنه البعد عن الله، حُرمنا كتاب الله وهدي رسوله صلى الله عليه وسلم، ربطونا بالملاهي والمقاهي والألاعيب والأباطيل، أنسونا ذكر الله فكيف ترجو منا أن نصدق أو نفي أو نتكرم أو نتفضل ونحسن؟ كيف يأتي هذا من أمة ماتت؟ ولا ينفع البكاء! ستقولون: دُلنا على الطريق، أليس هو الجهاد؟! آه لهمِّكم وكربكم تحبون الموت، تقولون: هذه الدول كافرة نقتلها ونتخلص منها وندخل الإسلام، والله لا ينفعنا هذا، أقسم بالله الذي لا إله غيره لا يزيد إلا البلاء بلاءً والدمار دماراً، إذاً: ماذا نصنع؟ هل تريدون المصنع الحقيقي الرباني لتخريج الربانيين؟ ليس هناك -والله- إلا أن نعود إلى ربنا وقد أسلمنا قلوبنا ووجوهنا إليه.
والطريقة هي: أن أهل كل قرية من القرى الإسلامية عربية كانت أو عجمية، يقولون: تبنا إليك ربنا وعدنا، فإذا دقت الساعة السادسة مساءً وقبل غروب الشمس بدقائق تطهروا وحملوا نساءهم وأطفالهم إلى بيت ربهم، فلا يبقى رجل ولا امرأة في تلك القرية قط إلا مريض في مستشفى وممرض واقف عليه، ويدرسون ليلة آية من كتاب الله يتغنون بها ويتلذذون بألفاظها وأنوارها فيحفظونها ويفهمون معناها، وتوضع أيديهم على المطلوب منها فيستعدون للعطاء، وليلة أخرى يدرسون حديثاً، وأهل المدن كذلك، فأهل كل حي أو منطقة في المدينة إذا دقت الساعة السادسة مساءً لا تجد منهم رجلاً ولا امرأة ولا طفلاً في الشارع، فالكل في بيت ربه، يتعلمون ليلة آية وليلة حديث، ثم يصلون العشاء ويعودون والأنوار تغمرهم وآمال الملكوت الأعلى تسيطر عليهم وكلهم حب في الله ولقاه، ويوماً بعد يوم وعاماً بعد عام تصبح تلك الديار كأنها كواكب في السماء، وتطهر طهارة كاملة، فلا يصبح -والله- بخل ولا حسد ولا رياء ولا نفاق ولا خداع ولا غش ولا ولا.
كالملائكة في السماء، وما بذلوا شيئاً لا دماء ولا دينار ولا درهم، ولكن فقط صدقوا الله، وقالوا: آمنا بالله فوقفنا بين يديه ووضعنا أنفسنا له -القلوب والوجوه-.
هذا هو الحل، أما حل القتال والتكفير والجهاد فخرافات وضلالات إبليس، والله لا تجزي ولا تنفع، وإنما تجر البلاء وتقضي على البقية الباقية.
هل فهمتم أو صعب؟ أعوذ بالله من أن يكون صعباً! إن اليهود والنصارى إذا كانت الساعة السادسة ذهبوا إلى الملاهي والمراقص والمقاصف بنسائهم وأطفالهم، وأنتم لا تذهبون إلى بيت ربكم تسترحمونه ليخلصكم من محنتكم؟ كيف ستقيمون دولة الإسلام وتعيشون في ظلها وأنتم أطهار أصفياء ويرتعد العالم منكم؟ بلّغوا هذا الكلام، أو أنكم لا تستطيعون؟ لأنا محكوم علينا بالموت والهبوط واللصوق بالأرض، أو تشكون في هذا؟ والله الذي لا إله غيره إني لعلى علم وبصيرة، أيُقبل ناس على ربهم فيطردهم؟ والله ما كان، أقسم بالله ما قرع أحد باب الله إلا قال له: ادخل.
وأهل قرية -فقط- يجتمعون ويصبحون كتلة من نور لو كادهم أهل الأرض ما استطاعوا أن ينالوا منهم منالاً.

قصة مفاداة سهيل بن عمرو بعد أسره في بدر

قال: [سهيل بن عمرو] وهو سفير قريش يوم الحديبية [قدم مكرز بن حفص المدينة في فداء سهيل بن عمرو] بعد أن أُخذ أسيراً جاء مكرز بن حفص لفدائه [وكان قد أسره مالك بن الدخشم أخو بني سالم بن عوف الأنصاري] وهو من أهل قباء [فلما خاطبهم مكرز في فداء سهيل بن عمرو قالوا له: هات الذي لنا -يريدون من المال- مقابل فداء سهيل.
فقال لهم مكرز : اجعلوا رجلي مكان رجله، وخلّوا سبيله حتى يبعث إليكم بفدائه] يعني: هو الآن ما عنده شيء، فاربطوني أنا من رجلي مكانه واتركوه هو يعود إلى مكة وسيبعث إليكم بالأموال وإلا فأنا مكانه [فخلوا سبيل سهيل وحبسوا مكرز مكانه، وكان سهيل رجلاً أعلم -أي: مشقوق الشفة العليا، وكان خطيباً- فقال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله! دعني أنزع ثنيتي سهيل بن عمرو] حتى لا يفصح بعد

ذلك ويخطب [فلا يقدم عليك خطيباً أبداً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا أمثل بـه؛ فيمثل الله بـي وإن كنت نبيـاً، وإنـه عسى أن يقوم مقاماً لا تذمه عليه)] وكذلك كان، فقد أسلم سهيل رضي الله عنه وأرضاه.
ودعونا نفضح أنفسنا أيها المسلمون! فما زلت أكرر أن العرب في سجونهم يمثلون بالسجناء ويفعلون بهم ما لا يتم -والله- في النار يوم القيامة، وقد صرخنا أربعين سنة فما تغير عندهم شيء، بل يزدادون هبوطاً، وقد جاءنا مرة شخص من بلاد العرب فجلس هنا وقال: انظروا إلي فقد نزعوا أسناني وكسروا ضلوعي! وأنا لا أعرف كيف أفسر هذه الظاهرة، هل أصبحوا قردة وخنازير؟ والله لا تفعل القردة هذا ببعضها! إلى من نشكو؟ وإلى الآن يمثل بعضهم ببعض؟ والرسول لكسر سن واحدة قال لـعمر : (لا، أخشى أن يمثل الله بـي وإن كنت نبياً)، هل هذا كله سحر اليهود؟! أصبح الناس لا يفكرون ولا يفقهون ولا يفهمون ولا يعرفون، ينكلون بإخوانهم أشد التنكيل ويمثلون بهم تمثيلاً ما عرفته الدنيا.
لا إله إلا الله، لولا رحمة الله بهذه الأمة لتهيأت للمسخ كما مسخت أمم قبلها.

قصة مفاداة أبي العاص بن الربيع بعد أسره في بدر

قال: [أبو العاص بن الربيع : أبو العاص بن الربيع هو ختن النبي صلى الله عليه وسلم] ومعنى ختنه: زوج ابنته [إذ هو زوج زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجه إياها قبل البعثة النبوية برغبة من والدتها خديجة -رضي الله عنهم أجمعين وألحقنا بهم آمين-.
ولما بُعث النبي صلى الله عليه وسلم آمنت خديجة وكذا بناتها ومنهن زينب ، وبقي أبو العاص على شركه، وخرج مع المشركين إلى بدر، فوقع في الأسر، فبعثت زينب في فدائه بمال] لأن زينب كانت في مكة، فبعثت بمال تفادي به زوجها [وبعثت فيه بقلادة لها كانت خديجة أدخلتها بها على أبي العاص حين بنى بها] أي أن ذلك المال الذي بعثت به كان قلادة من ذهب، هذه القلادة كانت خديجة أدخلت بها زينب على أبي العاص يوم بنى بها، وكأنها تريد أن تذكر أباها بالحادثة.
[فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم رق لها رقة شديدة] كاد يذوب [وقال: (إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها مالها فافعلوا)] من القائل؟ إنه قائد المعركة، وحاكم البلاد، قال: إن رأيتم أن تردوا عليها مالها فافعلوا، ولم يقل: يجب! أو ردوا عليها!.
فأين نحن من هذا؟ أين أخلاقنا وآدابنا ومستوياتنا البشرية الرفيعة؟ إن رسول الله وهو قائد المعركة التي خاضها وانتصر فيها بإذن الله، والحاكم العام والسلطان وقل ما شئت .

وهذا أسيره وزوج ابنته، لم يقل: أطلقوا فلاناً! بل بقي في صهره في الأسر حتى جاء المال الذي يفدى به [فقالوا: نعم يا رسول الله وأطلقوه وردوا عليها الذي لها، وتجلت في هذه آيات الحب الصادق والطاعة الإيمانية، والبشرية المحمدية الطاهرة الرفيعة] الحب الصادق يتجلى في الطاعة الإيمانية، ويبرز هنا أيضاً البشرية المحمدية الطاهرة الرفيعة.

هجرة زينب رضي الله عنها

قال: [هجرة زينب رضي الله عنها] و زينب هي بنت الحبيب صلى الله عليه وسلم، بنت خديجة بنت خويلد ، وهي كذلك زوج أبي العاص رضي الله عنه وأرضاه [لما من النبي صلى الله عليه وسلم على أبي العاص بدون مقابل] بالفداء [كأنه التزم للنبي صلى الله عليه وسلم أن يخلي سبيل زينب لتلتحق بأبيها صلى الله عليه وسلم بالمدينة النبوية.
ومن هنا لما وصل أبو العاص بن الربيع إلى مكة] وأطلق سراحه [بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة ورجلاً من الأنصار إلى مكة ليأتيا بـزينب ، وقال لهما: (كونا ببطن يأجج حتى تمر بكما زينب فتصحباها حتى تأتياني بها)، فخرجا مكانهما وذلك بعد بدر بشهر تقريباً، فلما قدم أبو العاص أمرها باللحوق بأبيها] ذكر موقف الرسول منه وقال: التحقي بأبيك [وبينما زينب تتجهز] تستعد وتتهيأ للسفر [لقيتها هند بنت عتبة ، فقالت لها: يا ابنة محمد، ألم يبلغني أنك تريدين اللحوق بأبيكِ؟ فخافتها زينب]خافت منها [فقالت لها: ما أردت ذلك، فقالت لها: أي ابنة عمي لا تفعلي، إن كانت لكِ حاجة بمتاع مما يرفق بك في سفرك أو بمال تتبلغين به إلى أبيك، فإن عندي حاجتك] الله أكبر! عجيبة هذه المرأة! وهل توجد امرأة من هذا النوع اليوم؟ هذا وهي ما زالت كافرة، تقول لـزينب : اطلبي فقط، تريد أن تساعدها.
هذه المرأة تساوي نساء الدنيا كلهم اليوم، ولن تقف امرأة هذا الموقف [فلا تستحي مني، فإنه لا يدخل بين النساء ما بين الرجال] يعني: إذا كان الرجال بينهم عداوات فإن النساء ما من حقهن أن يقع بينهن هذا [قالت زينب : والله ما أراها قالت ذلك إلا تفعل] قالت زينب -في نفسها- والله ما أراها قالت هذا إلا لتفعل [ولكن خفتها فأنكرت أن أكون أريد ذلك] يعني تحققت أن هذا لم يكن إلا وهي تريده، لكن لما خافت أنكرت عليها خروجها.
وكذلك أم سلمة -أمكم- خرجت خفية فردت من الطريق، وبقيت بعدها سنة كاملة تبكي طوال النهار في الأبطح وتعود في الليل إلى البيت، وكانوا قد افتكوا منها ولدها كذلك ومزقوه.
قال: [ولما فرغت زينب من جهازها، قدّم لها حموها كنانة بن الربيع بعيراً، فركبته وأخذ هو قوسه وكنانته، ثم خرج بها نهاراً يقود بها وهي في هودج لها على البعير، وسمع بذلك رجال من قريش فلحقوا بها فأدركوها بذي طوى] وهو مكان قريب من مكة [فكان أول من سبق إليها فروَّعها هبار بن الأسود بن المطلب بن أسد إذ أشار إليها بالرمح فخافت فطرحت ما في بطنها، وبرك على الأرض حموها ونثر كنانته، ثم قال لهم: والله لا يدنو مني رجل إلا وضعت فيه سهمي فتراجعوا عنه وانصرفوا، ثم تقدم نحوه أبو سفيان مفاوضاً له فقال

له: إنك لم تصب؛ خرجت بالمرأة على رءوس الناس علانية وقد عرفت مصيبتنا ونكبتنا، وما دخل علينا من محمد، فيظن الناس إذا خرجت بابنته علانية على رءوس الناس من بين أظهرنا أن ذلك من ذل أصابنا عن مصيبتنا التي كانت، وأن ذلك منا ضعف ووهن] و أبو سفيان -حقيقة- سياسي رقم واحد! قال: [ولعمري ما لنا بحبسها عن أبيها من حاجة، وما لنا في ذلك من ثؤرة، ولكن ارجع بالمرأة حتى إذا هدأت الأصوات وتحدث الناس أن قد رددناها فسُلها سراً وألحقها بأبيها، قال: ففعل، فأقامت ليالي حتى هدأت الأصوات خرج بها ليلاً حتى أسلمها إلى زيد بن حارثة وصاحبه فقدما بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان في قصة هجرة زينب عبرة لأولي الألباب].

فداء أبي وداعة

قال: [فداء أبي وداعة : لقد أسر أبو وداعة السهمي فيمن أسر في المعركة، فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم أو سمع به أنه ضمن الأسرى قال -فداه أبي وأمي-] والحاضرون أجمعون بل والعالم أجمع [(إن له بمكة ابناً كيساً تاجراً ذا مال وكأنكم به وقد جاءكم في طلب فداء أبيه)] قال النبي عنه: إن له ابناً كيساً عنده مال وثروة، فلا تلبثوا أن يأتيكم يطالب بفداء ولده [ولما قالت قريش: لا تعجلوا بفداء أسرائكم لا يأرب عليكم محمد وأصحابه، قال المطلب بن أبي وداعة : صدقتم لا تعجلوا، وانسل هو ليلاً] إلى المدينة [فقدم المدينة ففدى والده بأربعة آلاف درهم، وهكذا يفعل الأكياس البررة بآبائهم، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أخبر به وكانت آية نبوة].

كان عمير بن وهب ممن آذوا المسلمين في مكة، وقد خرج مع كفار قريش لملاقاة المسلمين في بدر، وخرج معه ابنه وهيب، فأسر ابنه مع من أسر، فبيت عمير النية للقدوم إلى النبي وقتله بين أصحابه، وذلك إثر اتفاق حصل بينه وبين صفوان بن أمية تحت جدار الكعبة، إلا أن الله أطلع نبيه على هذه المؤامرة، فلما قدم عمير ودخل على رسول الله قرره رسول الله بما في نيته، فكان ذلك سبباً في إسلامه وفكاك أسيره.

مثل رائع يضربه أبو العاص (إسلام أبي العاص بعد تأديته أموال المشركين)

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.
أما بعد: لنقضي ساعة مع حبيبنا صلى الله عليه وسلم نصلي عليه ونكرر الصلاة ونترضى عن آله وأصحابه، مع ما نكتسب من معرفة هي سبيل سعادتنا وكمالنا في الدارين إن شاء الله رب العالمين.
ما زلنا مع وقعة أو غزوة بدر التي غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ثلاثمائة وأربعة عشر صحابياً رضوان الله عليهم أجمعين، وكانت في رمضان، بل في اليوم السابع عشر منه، واليوم نختمها إن شاء الله.
قال: [مثل رائع يضربه أبو العاص] و أبو العاص هو زوج زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإليكم هذا المثل الرائع الذي يضربه هذا البطل، هذا المؤمن، هذا البصير، هذا الشريف، هذا الكريم .
قال: [إنه لما قدم أبو العاص من الشام ومعه أموال التجارة واعترضته السرية قال له رجالها: هل لك أن تسلم وتأخذ هذه الأموال؛ فإنها أموال المشركين؟] و أبو العاص كان قد خرج من مكة إلى بلاد الشام بأموال تجارية لأغنياء قريش، فلما خرجت سرية من سرايا النبي صلى الله عليه وسلم تتطلع وتتطلب بعض التجارات التي تأتي إلى قريش ليعترضوها ويأخذوها -مقابل أن قريشاً سلبتهم أموالهم وأخرجتهم من ديارهم- اعترضت أبا العاص ومعه أموال كثيرة، فلما حاصروه ووقف بين أيديهم عرضوا عليه أن يسلم فإذا أسلم حل له هذا المال كله، ويصبح بعد ذلك أغنى أغنياء تلك الديار [فقال: بئس ما أبدأ به إسلامي أن أخون أمانتي] يعني: أي إسلام هذا إذا بدأت فيه بخيانة أمانتي؟ هذا وهو -والله- جاهل وكافر، ما درس في كلية ولا جامعة [فرفض المقترح] ورده على أصحابه، وهرب.
وجروا وراءه فما استطاعوا أن يلقوا القبض عليه.
ولما جن الظلام ونام الناس دخل المدينة -وهذا سبق أن عرفناه- ونزل على بنت الرسول وزوجه زينب رضي الله عنها، وقال لها: أجيريني يا زينب ! فماذا تفعل بنت رسول الله؟ وقفت موقفاً لو أتيت بكل خريجات الجامعات اليوم والله ما وقفنه ولا عرفنه، فماذا فعلت؟ لما أذن المؤذن لصلاة الصبح والرجل محبوس عندها، بعد أن أمنته وأجارته -والإسلام يجيز إجارة المرأة كإجارة الرجل؛ لأن المسلمين سواسية كأسنان المشط يسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد واحدة على من سواهم- وكبر الناس تكبيرة الإحرام ودخلوا في الصلاة قامت هي ورفعت صوتها وقالت: إني أجرت ابن فلان وسكتت.
فما إن سلم الحبيب صلى الله عليه وسلم والمؤمنون من صلاة الصبح حتى استقبلهم وقال: سمعتم ما سمعت؟ قالوا: نعم.
فقال: (أما والذي نفس محمد بيده ما علمت بشيء من ذلك حتى سمعت ما سمعتم).
الله أكبر! أين نساء أولئك الأقوام بالنسبة إلى نسائنا وقد هبطنا وهبطن معنا.
قال: [وكان الذي كان] أي: هذا الذي قصصناه [ووصل مكة وأدى أموال الناس وهي أمانات في ذمته، ثم أعلن إسلامه] في وسط المشركين لا يخاف إلا الله رب العالمين [فكان هذا مثلاً رائعاً في الوفاء يضربه ختن الحبيب صلى الله عليه وسلم أبو العاص بن الربيع ، فرضي الله عنه وأرضاه، وجعل الجنة مأوانا ومأواه، آمين].

إسلام عمير بن وهب

قال: [إسلام شيطان] من هذا الشيطان؟ وهل الشيطان يسلم؟ هيا نتعرف إلى هذه الحقيقة.
قال: [كان بمكة رجل يدعى عمير بن وهب يمثل الشيطان في كيده وخبثه، آذى المؤمنين في مكة أذى كبيراً وكثيراً]، هذا الرجل يقال له عمير بن وهب يمثل الشيطان في كيده وخبثه [وُصف بأنه شيطان من شياطين قريش] معروف عندهم بأنه شيطان من شياطينهم، ونحن الآن لا نفهم معنى شيطان، وهم يفهمون، فما معنى شيطان؟ الشيطان معناه: الذي ينصر وينشر الخبث والظلم والشر والفساد بلسانه وأعماله.
هذا هو الشيطان، أليس الشيطان هو الذي يوجد العداوات بين الناس ويعلن الحروب بينهم لتسيل الدماء؟! قال: [جلس] هذا الشيطان [يوماً يتحدث مع صفوان بن أمية بعد مصاب أهل بدر] بعد نكبة المشركين وهزيمتهم في بدر جلس عمير مع صفوان بن أمية وهو من كبار طغاة قريش [فذكر أصحاب القليب] والقليب هي بئر عميقة ليس فيها ماء، وأصحابها هم صناديد قريش، لما قتلوا في بدر أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بإلقائهم فيها [فقال صفوان : والله ما في العيش بعدهم خير] لما ذكّره برجالاته الذين قتلوا قال: والله ما في العيش

بعدهم خير، أي: لا قيمة للحياة اليوم بعدهم [فقال عمير : صدقت والله] قال الشيطان: صدقت والله! ما في العيش خير بعد أولئك الرجال الذين ماتوا.
وتلاحظون أنه حلف بالله فلم يحلف بسيدي إبراهيم، وما حلف بإسماعيل، فقد كانوا أعرف منا بالإسلام تقريباً لولا العناد والمكابرة.
[ثم قال: أما والله لولا دين علي ليس له عندي قضاء] هذا الشيطان يقول [وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدي لركبت إلى محمد حتى أقتله] يقول: لولا دين علي .
ونحن نستدين ونأكل الدين ثم نلعن صاحبه ونقول: هذا عميل! فالمسلمون من أقصى الشرق إلى الغرب -إلا أفراداً- لا يعتبرون الدَّين شيئاً أبداً، المهم أنه حصل عليه، فيأكل ويغني.
وهذا شيطان في الكفر يقول: لولا دين علي قضاؤه لفعلت كذا وكذا .
لكن لا أستطيع وعلي دين الناس!! ومن شك فيما أقول فليذكر كيف وجد الربا وبنيت بنوكه وفتحت أبوابها في ديار المسلمين؟ هل فتحت بالحديد والنار؟ هل قهرتنا أوروبا عليه؟ هل ألزم حكام المسلمين الشعوب أن يفعلوا هذا؟ الجواب: لا والله، لا والله، وإنما المسلمون أقبلوا على هذا الباطل وتقحموا هذه الفتنة ليتأهلوا للبلاء والشقاء.
وسؤالي: كيف وقع هذا؟ والجواب: وقع لأننا ما أصبحنا نسلف ولا نقرض إخواننا، وأصبح إخواننا لا يردون قرضاً ولا سلماً ولا سلفاً، وقد كان المسلمون في صدر هذه الأمة الصالح يجيء الرجل لأخيه فيقول: تستطيع أن تجعل عندنا مالاً نتجر به من الشرق إلى الغرب، أو ننشئ مزرعة، أو نفتح دكاناً أو متجراً، فيأخذ أخوه -وكله أمل في الله عز وجل أن يستفيد ويفيد أخاه- ويحفظ له أمانته وماله، ويتجر أو يصنع أو ينشئ ما ينشئ ومال فلان محفوظ وهو مطمئن تمام الاطمئنان، وقد يكسبه فائدة اتفقا عليها كالنصف أو الربع أو الثلث.
ووجه آخر: وهو أن يقول شخص: عندي فلوس في جيبي أو في بيتي فماذا أصنع بها وقد زادت عن قوتي؟ فيبحث عمن يقرضه من المؤمنين؛ لينتفع بذلك ثم يرده عليه، وهو خير من أن تبقى عنده، فما الفائدة من بقائها وهو ليس في حاجة إليها، فيقرضها إخوانه، وإذا حل الأجل يأتون بين يديه ويقدمونها شاكرين داعين.
لكن انتكسنا وهبطنا وعبدنا الدينار والدرهم وأصبح هو الأمل، وحينئذ ما بقي من يقعد ويسلف ولا من يرد ويرجع، ولا من يضارب ويتجر ويربح، وأعطينا هذا لليهود والنصارى، فالأموال تُجمع في بنوك بلاد الإسلام ثم تباع لأمريكا واليابان والصين بأرباح.
معاشر المستمعين! عرفتم كيف سقطنا؟ وإن قلتم: يا شيخ! ما عوامل هذا؟ الجواب: إنه الثالوث الأسود، المكون من الأعداء الثلاثة: المجوس، واليهود، والنصارى، لما فشلوا في حربنا ومواجهتنا كادوا لنا ومكروا بنا، فأفسدوا قلوبنا بتمزيقنا وتشتيتنا، وإثارة العداوات والبغضاء بيننا، بعد أن أخذوا مادة الحياة من قلوبنا ألا وهي: القرآن العظيم، فأبعدونا عن مصدر حياتنا -القرآن الكريم- وحولونا إلى المقابر والمآتم ودور الموت، فلا يجتمع عليه اثنان يتدبرانه أو يتفكران في كلام الله أبداً.
وهكذا علة تتولد عنها علة حتى وصلنا إلى ما نحن عليه.

تقرير النبي لعمير بن وهب بما حصل بينه وبين صفوان من حوار وإسلامه إثر ذلك

[قال: (اصدقني الذي جئت له؟!)] يعني: وأخبرني بالصدق، ما المهمة التي جئت لها؟ فأنت ما جئت لابنك أبداً [قال: ما جئت إلا لذلك، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (بل قعدت مع صفوان بن أمية في الحجر -حجر البيت- فذكرتما أصحاب القليب من قريش، ثم قلت: لولا دين علي وعيال عندي لخرجت حتى أقتل محمداً فتحمل لك صفوان دينك وعيالك على أن تقتلني له، والله حائل بينك وبين ذلك).
قال عمير : أشهد أنك رسول الله، قد كنا يا رسول الله! نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء، وما ينزل عليك من الوحي، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا و صفوان] يعني: ما حضر أحد معنا أبداً ونحن في الحجر وقلت له: لا تحدث بهذا أحد [فوالله إني لأعلم أنه ما أتاك به إلا الله، فالحمد لله الذي هداني للإسلام وساقني هذا المساق ثم شهد شهادة الحق، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: (فقهوا أخاكم في دينه وأقرئوه القرآن وأطلقوا له أسيره)].
تجلت الأنوار المحمدية! قال: (فقهوا أخاكم في الدين) هذا أولاً، ثم (أقرئوه القرآن، وأطلقوا له أسيره) [ففعلوا وعاد عمير إلى مكة وقام بالدعوة إلى الإسلام بنفس القوة التي كان يدعو بها ضد الإسلام وأوذي كثيراً في ذلك، وقد دخل بدعوته في الإسلام خلق كثير] وهل نحن قائمون بهذا الواجب؟! وهناك رسالة عنوانها: (اعلم يا أخي تنجو وتسعد) أي: اعلم يا أخي! البريطاني والصيني والروسي والياباني أنك تنجو من عذاب النار والخلود فيها وتسعد بدخول الجنة، هذه الرسالة بفضل الله أعاننا على تأليفها وكتابتها ونشرها -ولا يقول لكم أبو مرة إنما هو شيخ يعمل في دعاية لكتبه، احذروا والعنوه فإنه كاذب- قلت فيها: ليعلم وزراء الأوقاف وأغنياء العالم الإسلامي أن ترجمة هذه الرسالة إلى اللغات الحية للناطقين بها كالإنجليزية والفرنسية والروسية والألمانية والفارسية والأوردية واليابانية والصينية ونشرها بين أفراد تلك الدول من أوجب الواجبات على المسلمين، ألا فلنذكر هذا ولنعمل على تحقيقه، والله المستعان! وقد ذكرني بها موقف الحبيب الآن، فما إن أعلن عمير عن إسلامه حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم: (فقهوه في الدين وأقرئوه القرآن)، فمن يقوم بهذا الواجب الآن؟ إن هذه الرسالة تكشف عوارنا الآن، فقد طبعنا منها ووزعنا عشرة آلاف نسخة، وكانت كأنما توضع على القبور، لم يتحرك لها عالم ولا غني ولا حاكم أبداً، وهي تمضي كما مضت عشرات الرسائل من قبل، تماماً كأننا نوزعها على القبور، فهل الميت يقرأ أو يعمل؟ ولو أراد الله حياتنا والعودة بنا إلى سماء كمالاتنا -والله- لاختطفت وأصبحت حديث العلماء والمسئولين والأغنياء في العالم الإسلامي، وفجأة ما تمضي ثلاثة أشهر إلا وهي توزع في العالم بلغاته، ولا يكلف ذلك شيئاً، فقط يرفعنا إلى مستوى أهلنا الله له كهداة للبشرية ودعاتها للخير والهدى.
وتحسسوا بعد شهرين أو ثلاثة أو سنة هل حدث شيء؟ ولا شيء.

إذاً: كأنما وزعناها على القبور، فلا عالم يتكلم ولا غني يقول: أنا أولى بهذا، ولا حاكم يقول: أوزعها على السفراء والقناصل، أبداً، وإذا أراد الله الحياة فإننا في خلال أربعين يوماً سنسمع أنها ترجمت إلى لغة كذا وأنها توزع في كذا.
ولا يقول قائل: هذا كلام لا معنى له في الدرس! فإذا قال قائل هذا الكلام فإن معناه: أننا ما زلنا أمواتاً، فهذه دعوة الله، وهذه مهمة رسول الله صلى الله عليه وسلم .
قال: [وهكذا بعدما كان عمير بن وهب شيطاناً أسلم فأصبح داعية إسلامياً وهدى الله على يديه خلقاً كثير] فرضي الله عنه وأرضاه وجعل الجنة مثوانا ومثواه، [وهنا تتجلى آية النبوة المحمدية، والحقيقة الإيمانية، وهي أن من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له] وآية النبوة المحمدية هنا أنه كيف تم الكلام في مكة سرياً لا يعرفه إلا صفوان و عمير ثم يبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحرف الواحد، هل هناك لا سلكي؟ كيف تم هذا؟ تم بالوحي الإلهي، إذاً: والله إنه لرسول الله.

حجة عمير بن وهب لدخول المدينة دون أن يشك فيه

قال: [فإن لي قبلهم علة: ابني وهيب أسير في أيديهم، فاغتنمها صفوان وقال: علي دينك أنا أقضيه عنك، وعيالك مع عيالي أواسيهم ما بقوا، لا يسعني شيء ويعجز عنهم] قال: صفوان : علي قضاء ديونك وعيالك عيالي فهيا امش، نفذ فقط مهمتك بقتل الرسول صلى الله عليه وسلم، وهل صفوان يصدق أو يكذب؟ والله لا يكذب.
فقد عرفنا عنهم أنهم لا يعرفون الكذب، فسوف يسدد عنه ديونه لو مات، وعياله من ثم هو ينفق عليهم كما ينفق على عياله.
[فقال له عمير : فاكتم شأني وشأنك] أي: لا تحدث أحداً؛ خشية أن ينتقل الخبر إلى المدينة ولا نتمكن من قتل محمد [قال صفوان : أفعل] أي: لن يسمع أحد بهذه القضية وامش.
ولكن سبق الوحي .

! [فأمر عمير بسيفه فشحذ له وسم] وشحاذ السيوف صانع خاص، وسممه: أي دهنه بالسم فإذا ضرب به جسم لا يعيش صاحبه، وهذا ذاهب ليقتل الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة [ثم انطلق حتى أتى المدينة، فبينما عمر بن الخطاب في نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر] كما يتحدثون في مكة كانوا يتحدثون في المدينة، فالحدث جلل في أيامه الأولى [إذ نظر عمر إلى عمير بن وهب حين أناخ على باب المسجد متوشحاً السيف].
وهل تعرفون عمر يا زوار؟ يقول عنه ولده عبد الله : "والله ما قال أبي في شيء: أظنه كذا إلا كان كما ظن" لقد أعطي رضي الله عنه فراسة نورانية، فسبحان العظيم! كيف حصل عليها؟ حصل عليها بيقينه وبإقباله على ربه، وبإعراضه عن أوساخ الدنيا وقاذوراتها، وهذا الفرقان الإلهي بين أيدينا لو كنا أهلاً له، إذ أعلن تعالى ذلك إعلاناً رسمياً، ومن يرغب في هذا فليتفضل، وأحق بهذا رجالات الحكم والدولة، رجالات الأمن والسياسة؛ حتى يكونوا كعمر بصراء يعرفون الحق من الباطل والنافع من الضار، يقول تعالى في سورة الأنفال: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا [الأنفال:29]، فقط اتقي الله ويجعل الله لك الفرقان.
وكيف هذا؟! إن تقوى الله هي عبارة عن خوف من الله وحب فيه يحملك على أن تطيعه في أمره ونهيه، ففعل الأمر يزكي النفس ويطهرها فتشرق وتتلألأ بأنوارها، وترك المعاصي يقعدها عن التلوث والتخبث والعفن والنتن، فتبقى كلها أنوار، وصاحب هذا النور إذا نظر وقال كذا .
كان كما قال.
فيا من يقود ويسود أنت أحق بهذا النور، وإذا لاحظنا وجدنا أن هذا النور عند المسلمين نادر، فباب الله مفتوح، من أراد أن يدخل قرع الباب ودخل، ولا يرد الله أحداً أبداً.
ونعود فنقول: إن هذا الشيطان قبله الله، ونحن نترضى عنه الآن، رغم أنه أقبل على أكبر جريمة وهي قتل نبي من الأنبياء.
[فقال] عمر [هذا الكلب عدو الله عمير بن وهب والله ما جاء إلا لشر] ما إن شاهد عمر الرجل ينيخ ناقته متوشحاً سيفه حتى قال ما قال، ووالله ما أخطأ [ثم دخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم] حارس أمين عمر [فقال: يا نبي الله! هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشحاً سيفه] يعني: انتبه! [فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أدخله علي)] إذاً: عمر كان بواباً، ومن لا يرغب في أن يكون بواباً لرسول الله صلى الله عليه وسلم؟ يا ليتنا كنا كناسين [فأخذ عمر بحمالة سيفه في عنقه ولببه بها] جعل حمالة السيف في عنقه ولببه بها وجره، قال: تعال لا تدخل متعنتراً، ولكن ادخل ذليلاً يا عدو الله! [وقال لرجال من الأنصار: ادخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجلسوا عنده واحذروا عليه من الخبيث؛ فإنه غير مأمون] لما قدمه قال لبعض الأنصار: ادخلوا أنتم واجلسوا وانتبهوا لهذا الخبيث فإنه غير مأمون، فقد عرف أنه جاء لمهمة [ثم دخل به على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم و عمر آخذ بحمالة سيفه في عنقه قال: (أرسله يا عمر ! ادن يا عمير !)] وعمير تصغير لعمر، فعمر أفخم، وعمير صغير [فدنا وقال: انعموا صباحاً] وهي تحية من تحايا أهل الجاهلية، فما كانوا يعرفون السلام عليكم.
[وكانت هذه تحية أهل الجاهلية، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (قد أكرمنا بتحية خير من تحيتك يا عمير !)] أي: أعطانا الله تحية خيراً من تحيتك أنت يا عمير ! فما نحن في حاجة إلى أنعم صباحاً [(بالسلام تحية أهل الجنة)] فالسلام عليكم هي تحية أهل الجنة، أما سمعتم الله يقول: سَلامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ [يس:58]، وهذا سلام الله على أهل الجنة، ويقول تعالى: تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ [إبراهيم:23] وأيضاً: وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ [الرعد:23-24].

[فقال عمير : أما والله يا محمد! إن كنت بها لحديث عهد] يعني: أنعم صباحاً [قال: (فما جاء بك يا عمير ؟!)، قال: جئت لهذا الأسير الذي بين أيديكم -يعني: ولده وهيباً -] ليستخلصه [فأحسنوا به] طلب من الرسول أن يحسن إلى ولده [قال الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم: (فما بال السيف في عنقك؟)] يعني: أخبرني عن السيف الذي في عنقك، فالذي جاء يطلب أسيراً لا يأتي بالسيف، بل يأتي بالمال ليفاديه أو يأتي طالباً الإحسان، فما بال هذا السيف في عنقك؟ [قال: قبحها الله من سيوف] ما نفعت [وهل أغنت عنا شيئاً] يعني هل أغنت عنا في يوم بدر شيئاً؟

شرف أهل بدر

قال: [شرف أهل بدر] أهل بدر لهم شرف أم لا؟ إي والله لا أشرف منهم في دنيا البشر وتتجلى الحقيقة بما نسمع.
قال: [أهل بدر هم المؤمنون الذين خرجوا من المدينة مع النبي صلى الله عليه وسلم؛ لاعتراض عير قريش القادمة من الشام، ثم لما نجت العير] وسلمت والتحقت بمكة [تصدوا لقتال كفار قريش في وادي بدر، وكانوا ثلاثمائة وأربعة عشر رجلاً على عدة قوم طالوت] والذين يقرءون سورة البقرة على الأحياء لا على الموتى يعرفون طالوت ، فطالوت بطل اختاره الله عز وجل لحمل رسالة الجهاد؛ وإنقاذ بني إسرائيل، فخرج معه أربعون ألفاً وامتحنهم الله في الطريق فرجعوا خاسرين أجمعين إلا ثلاثمائة وأربعة عشر رجلاً.
وكان امتحانهم بأن قال لهم طالوت : في الساعة الفلانية سوف نمر بنهر الأردن وأنتم عطاش، ولم يسمح الله تعالى لكم أن تشربوا منه إلا من اغترف غرفة واحدة بيده، فما إن وصلوا حتى أكبوا كالإبل الظمأى على النهر فقال لهم: عودوا إلى بلادكم ما أنتم بأهل للجهاد، واستخلص منهم ثلاثمائة وأربعة عشر رجلاً، وخاض المعركة بهم وانتصر، ولاحت هناك أنوار داود إذ هو الذي بارز جالوت وهزمه وانتصر الحق، قال تعالى: كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ [البقرة:249].
وكذلك أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم خرجوا من المدينة وهم ثلاثمائة وأربعة عشر رجلاً فقط ليواجهوا ألف رجل من صناديد قريش.
قال: [هؤلاء هم أهل بدر الفائزون بأكبر فضل وأعظم شرف، تدل لذلك الأخبار النبوية التالية]:

أدلة شرف أهل بدر وعلو مكانتهم

ثالثا: إخبار جبريل النبي بمنزلة من شهد بدراً من الملائكة

قال: [ثالثاً: روى البخاري : أن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له: ما تعدون أهل بدر فيكم؟] أي: كيف تحسبونهم؟ [قال: (من أفضل المسلمين) -أو كلمة نحوها- قال (أي جبريل): وكذلك من شهد بدراً من الملائكة] أي: إذا كنتم أنتم أيضاً تعدون أهل بدر بهذه المثابة فنحن أيضاً نعد الملائكة الذين حضروا بدراً بهذه المثابة.
رابعاً: عفو النبي عن حاطب بن أبي بلتعة فعلته لشهوده بدراً

قال: [رابعاً: رواية الشيخين في حاطب بن أبي بلتعة وقد كتب كتاباً إلى أهل مكة قبيل تحرك الجيش الإسلامي لفتح مكة] في السنة الثامنة [فقال عمر : ائذن لي يا رسول الله! أضرب عنقه] وكانت هذه الحادثة لما نقضت قريش العهد وخانت الاتفاقية وعزم الرسول صلى الله عليه وسلم على أن يقاتلها.
ولهذا كنت أقول للعرب من أربعين سنة -وهم يسخرون-: صالحوا اليهود، ارحموا إخوانكم الفلسطينيين، إلى متى وهم مشردون، موزعون في الأقاليم يهانون؟! اصطلحوا وأعطوهم قطعة أرض، ونموا قدرات إخوانكم وطاقاتهم وأمدوهم بالعلم والمال ليكونوا درعاً حصيناً لكم، فقالوا: هذا عميل لليهود!! وكيف نصطلح مع اليهود؟ فقلنا لهم: إنهم ينقضون العهد فلا تخافوا، فإذا عاهدتموهم لن تستمر المعاهدة إلى يوم القيامة؛ لأنهم كلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم، فاغتنموا هذه الفرصة -فقط- عاماً أو عامين أو ثلاثة، وتقووا وسينقضون هم العهد، واضربوهم بحق يومئذ.
فيسخرون ويضحكون ويقولون: أيش هذا الكلام؟! وبعد مضي ثلاثين سنة أصبحوا يبحثون عن الصلح، ولما تم الصلح أصبحوا غاضبين ساخطين، قالوا: كيف نجري معاهدة على الأرض؟!.
والمعاهدة لا قيمة لها، فنحن نريد أن يُعبد الله، فأمنوا لإخوانكم الأرض ليتمكنوا من الصيام والقيام وعبادة الله التي خلقوا من أجلها، أما الطين والتراب فلا قيمة له عند الله، ولا وزن في ميزان الله أبداً.
ثم قالوا: إذا نحن اصطلحنا معهم نخشى أن ينتشر فينا الزنا والجرائم وغيرها .
فقلنا: يا بهاليل! لم أنتم لا تنقلون إليهم أنوار الإيمان بصدقكم وصفائكم وطهركم وصلاتكم وعباداتكم؟! ألا تؤثرون أنتم وتخافون أن يؤثروا فيكم؟ أهذا كلام يقوله ذو دين أو عقل؟! فما دمنا اتصلنا بهم واتصلوا بنا لم لا نورد الإسلام عليهم بصدقنا وكرامتنا وعهدنا ووفائنا وطهرنا، فينجذبون إلى رحمة الله؟ يقولون: لا.
نخاف أن ينقلوا إلينا العهر والباطل والشر، وهل نحن أبقار من أتى صب فينا الفساد؟ إي نعم! فلقد متنا! إذاً: فحاطب بن أبي بلتعة ليس عنده من يحمي أسرته في مكة؛ لأنه لاجئ أو مولى من الموالي ليس بأصيل، فرأى أن يكتب كتاباً سرياً يبعث به إلى قريش؛ حتى تُحفظ أسرته عند التقاء الحرب.

وأوحي إلى الرسول بالأمر، وبعث من بعث من رجالاته وقال: في روضة خاخ تجدون امرأة تركب ناقة، وفي عقاصها الكتاب، ومشى علي و الزبير يجرون على إبلهم يوماً أو يومين حتى وصلوا روضة خاخ، ووجدوا المرأة، وقالوا لها: هاتي الرسالة! فقالت: ما عندي رسالة!.
لأنها عربية أمينة!.
فقالوا لها: اسمعي أخرجيها وإلا نسلخ عنك ثيابك!.
ولأنها عربية شريفة لا تستطيع أن تكشف عورتها أخرجتها من شعرها في عقاصها، وكان فيها: من حاطب بن أبي بلتعة إلى فلان فإن الرسول سيخرج إليكم، وهذه عهدتنا فاحفظوا لنا أسرتنا معكم، وفيه نزل قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ [الممتحنة:1] الآيات.
وبما أن حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه وأرضاه كان من أهل بدر عفا الله عنه، واعترف له بتلك الفضيلة، [فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: (قد شهد بدراً، وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة، أو قد غفرت لكم) فدمعت عينا عمر رضي الله عنه وقال: الله ورسوله أعلم.
هذا بيان شرف أهل بدر وفضلهم، ولا يسعنا نحن إلا أن نترضى عنهم، ونسأل الله تعالى أن يجعلنا معهم بفضل منه ورحمة إنه بر رحيم وجواد كريم].
لقد عشنا هذه الساعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت من بيوت الله وبين أوليائه ووالله إنها لخير من الدنيا وما فيها.
وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

أولاً: إخبار النبي أم حارثة أن ولدها في الفردوس الأعلى

قال: [أولاً: قوله صلى الله عليه وسلم لأم حارثة الشهيد الأنصاري] و حارثة مات في معركة بدر وكان من أهل المدينة [وقد سألته أمه قائلة: يا رسول الله! قد عرفت منزلة حارثة مني، فإن يكن في الجنة أصبر وأحتسب، وإن تكن الأخرى فليرين الله ما أصنع -تعني من البكاء والنوح-] يعني: أعلمني إذا كان في الجنة حتى أصبر، وإذا لم يكن في الجنة فليرين الله ما أصنع [فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ويحك أوهبلت؟ أوجنة واحدة؟! إنها جنان كثيرة، وإنه في جنة الفردوس)] فهللت وكبرت! ولكن لا تنتفخوا وتعلنوا قتال بعضكم البعض، قائلين: الجهاد! الجهاد! فوالله ما هو جهاد الرحمن هذا، وإنما جهاد الشيطان.
هل تعرفون الجهاد ما هو؟ أن إمام المسلمين وقائدهم يرسو بسفنهم على شاطئ دولة كافرة ويراسلها بثلاثة أمور: تدخلون في الإسلام تكملون وتسعدون، أو تسمحون لنا أن ندخل لنعلّم إخوانكم وأبناءكم دين الله؛ ليسلموا ويكملوا ويسعدوا.
أو القتال بيننا وبينكم، ونحن مضطرون إلى هذا إنقاذاً لكم.
فإن قالت الدولة الكافرة: مرحباً نحن أولى بالإسلام منكم ودخلوا في رحمة الله تجاوزوهم إلى إقليم آخر، وإن قالوا: لن نبدل ديننا بدين آخر أبداً، ولكن ادخلوا ونحن في ذمتكم، فندخل نعلم ونربي وأنوار الإسلام تتجلى في رجالاتنا: الحياء، والأدب، والكرم، والوفاء، والصدق، والشجاعة، فيغمرهم ذلك النور ويدخلون في دين الله جماعات جماعات وبيوتات بيوتات.
وإن قالوا: لا ذا ولا ذاك، فليس لنا إلا المعركة، وينصرنا الله، ونقتل الكافرين المقاتلين، ويدخل النساء والأطفال في رحمة الله، هذا هو الجهاد، وليس الجهاد أن نقول للحاكم: أنت كافر! أو للحكومة أنت كافرة! أو للعلماء أنتم كفار؛ لأنكم تداهنون الحكومة، وكل من يسكت كافر! فهيا إلى الجهاد! ثم نأخذ في الاغتيالات، وتتصدى لنا الحكومة باسم الأمن وتحقيقه .
اضرب ودمر واقتل وشرد حتى ينطفئ نور الله، ولا يبقى من يريد الله ولا الإسلام.
قال: [فهذا الخبر -وإن كان في شهداء بدر- فإنه دال على فضل أهل بدر من استشهد منهم ومن لم يستشهد].

ثانياً: قوله صلى الله عليه وسلم: (لن يدخل النار رجل شهد بدراً أو الحديبية)
قال: [ثانياً: قوله صلى الله عليه وسلم: (لن يدخل النار رجل شهد بدراً أو الحديبية)] هذا إعلان من الله يعلنه رسول صلى الله عليه وسلم بأنه (لن يدخل النار رجل شهد بدراً أو الحديبية)، أي: صلح الحديبية [رواه أحمد على شرط مسلم ، فهذا الحديث صريح في بيان فضل أهل بدر والحديبية] وصلح الحديبية كان في السنة السادسة من الهجرة، تم بين رسول الله وأصحابه وقريش، على أن تدوم الهدنة عشر سنوات، يمشي فيها المسلم يتجول حيث كان لا يخاف أحداً إلا الله، ويمشي الكافر حيث كان لا يخاف أبداً إلا الله، وهذا الصلح ضرب فيه الرسول المثل .
ولما كان ممثل قريش سهيل بن عمرو -الذي قال عنه عمر : نكسر ثنيته- خطيباً بارعاً انتدبته قريش لهذه المهمة، فلما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (اكتب باسم الله الرحمن الرحيم)، قال: لا، لا نعرف الرحمن الرحيم، ولكن اكتب: باسمك اللهم، فتألم أصحاب رسول الله فقال: اسكتوا! أنا رسول الله.
وتنازل عن كلمة الرحمن الرحيم.
ولو أن واحداً منا -من الدعاة- اليوم يتنازل عن كلمة كهذه في أوروبا أو الصين لفائدة الإسلام -والله- لكفرتموه ولعنتموه، ولم تقولوا: مؤمن هذا أبداً!! آه ماذا فعل بنا الجهل؟!! ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم: (اكتب هذا ما عاهد عليه محمد رسول الله) فقال سهيل : لا،

لو عرفنا أنك رسول الله ما قتلناك، ولكن اكتب: هذا ما عاهد عليه محمد بن عبد الله، وهنا كاد عمر أن يتمزق فقال الرسول: اكتب! أنا رسول الله.

وهذا من أجل أن يحقق أمناً للمسلمين أن يتنقلوا في تلك الديار غير خائفين ولا فزعين، ومن أجل أن تنتشر دعوة الله فلا تطارد هنا ولا هناك، فهل عرف ساسة الإسلام ورجاله هذا المعنى؟ أنى لهم ذلك وما قرءوا ولا علموا؟! وا حر قلباه ممن قلبه شبم

كانت غزوة بدر الكبرى فرقاناً بحق، تجلت فيها الكثير من العبر منها: إثبات مبدأ الدفاع عن النفس وأن جزاء السيئة سيئة مثلها، وإشاعة مبدأ الشورى بين الراعي والرعية فيما يتعلق بمصالح الأمة، وترسيخ مبدأ الوفاء بالعهود والمواثيق، وأهمية اتخاذ وسائل التمويه والخدعة ومتابعة تحركات العدو، وتقرير مبدأ موالاة المؤمنين ولو كانوا من غير ذوي القربى، ومعاداة الكافرين ولو كانوا آباء أو أبناء أو إخوانا.

نتائج وعبر من غزوة بدر الكبرى

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.
أما بعد: فقد انتهى بنا الدرس إلى هذه النتائج والعبر لغزوة بدر الكبرى، فقد عايشنا تلك الغزوة عدة أيام، وها نحن اليوم مع عبرها ونتائجها، إن كنا أهلاً لأن نستفيد من العبر، فنعبر بها إلى شاطئ السلامة، وأهلاً للنتائج؛ ننتفع بها كما ننتفع بمادياتنا من مال وغيره.
اللهم اجعلنا ممن ينتفع بنتائج العلم وعبره! قال المؤلف غفر الله له ولكم، ورحمه وإياكم وسائر المؤمنين: [نتائج وعبر: إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبراً نجملها في الآتي:]

خامساً: وجوب مراعاة العهود والمواثيق والالتزام بها

قال: [خامساً: وجوب مراعاة العهود والمواثيق والالتزام بها] من عاهد يجب عليه أن يفي، ومن التزم لأخيه بشيء يجب أن يفي به، ولا يحل أبداً نقض عهد ولا ميثاق، وهذا نظام حياتنا، يقول تعالى: وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا [البقرة:177]، فلو عاهدت يهودياً من شر اليهود يجب أن تفي له ولا تخنه.
وقد [تجلى هذا] أي: ظهر [في طلب النبي صلى الله عليه وسلم بيان موقف الأنصار من القتال معه فيما لو حدث قتال بعد نجاة العير] لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن بينه عهد وبين الأنصار أن يقاتلوا معه الأبيض والأسود، ولكن عهدوا إليه أن يحفظوه ويؤمنوه هو ومن معه، أما القتال فشيء آخر، فلما خرج لقتال قريش المتمثل في عير أبي سفيان ما استطاع أن يحملهم على ذلك فاستشارهم.

الرابع عشر: قتال الملائكة في معركة بدر

قال: [الرابع عشر: قتال الملائكة في معركة بدر، ورؤية بعضهم وظهور آثارهم آية من آيات النبوة المحمدية] كان الملائكة في بدر ألف ملك، ثبتوا أقدام المؤمنين، وهزموا المشركين برؤيتهم فقط.
إذاً: كون الملائكة تنزل من السماء بإذن الله وتقاتل مع رسول الله لينتصر آية عظيمة تدل على أن محمداً رسول الله؟ واقرءوا لذلك قوله تعالى: إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ * وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ [الأنفال:9-10] ولو قاتل المسلمون الصادقون الآن الكافرين لما تخلى الله عنهم، والله لينصرنهم بالملائكة، وقد شوهد هذا بين قتال الصحابة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثانياً: الأخذ بمبدأ الدفاع عن النفس

قال: [ثانياً: الأخذ بمبدأ الدفاع عن النفس عملاً بقول الله تعالى: أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ [الحج:39]] الدفاع عن النفس مشروع ولا يشك أحد في هذا، دفعك عن نفسك المكروه مأذون فيه، وإن أردت أن تتحمل الأذى في ذات الله وتصبر فمأذون لك أيضاً، لكن كونك تدفع عن نفسك من ظالم اعتدى عليك فلا حرج.
وقول الله عز وجل: أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ [الحج:39] كان أول آية نزلت بالإذن للمؤمنين في القتال، وإلا كان المؤمنون يتعرضون لأذى المشركين ولم يؤذن لهم في قتالهم، واستمر ذلك مدة ثلاث عشرة سنة، كان المشركون يضربون المؤمنين ويعذبونهم ويطردونهم، ولم يأذن الله ولا رسوله لمؤمن أن يغتال كافراً أو يقتله أو حتى يبارزه ويقاتله، ثم لما وجدت النواة الأولى للدولة الإسلامية بالمدينة، ووجد رجال أقوياء يحملون السلاح ويقاتلون رفع الحضر وجاء النص الكريم: أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ [الحج:39-40]، فكانت أول آية في الإذن بالقتال للمسلمين.

أولاً: العمل بمشروعية: جزاء السيئة سيئة مثلها

قال: [أولاً: العمل بمشروعية: جزاء السيئة سيئة مثلها] قال تعالى: وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا [الشورى:40]، هذه قاعدة ربانية؛ إذ هي بإذن الله تعالى [إذ قريش طردت المؤمنين وصادرت أموالهم] لما طردت قريش المؤمنين من مكة وهاجروا إلى المدينة تركوا خلفهم أموالهم فاستغلتها المشركون، وهذه سيئة [فاعتراض عيرها لأخذ ما معها من أموال كان عدلاً لا ظلم فيه] ومن هنا لما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم أن عير قريش قد جاءت من الشام متجهة إلى مكة معها ألف حمل، انتدب رجاله وخرج بهم وكانوا ثلاثمائة وأربعة عشر رجلاً لاعتراض عير قريش، وأخذ أموالها مقابل ما أخذت من أموال المؤمنين، وهذا هو سبب غزوة بدر الأول.
إذاً: علم الرسول من طريق الوحي أن عير قريش وعلى رأسها القائد أبو سفيان رضي الله عنه -إذ أسلم ومات على الإسلام- آتية من الشام فانتدب رجاله على سبيل الاستحباب فقط، وما ألزم أحداً بالخروج ولا أوجب عليه أن يخرج، فخروجه لاعتراض عير قريش وأخذ أموالها من باب وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا [الشورى:40].

الثاني والعشرون: بيان ما كان عليه العرب في الجاهلية من بعض الكمالات كالأمانة والنجدة

قال: [الثاني والعشرون: بيان ما كان عليه العرب في الجاهلية من بعض الكمالات كالأمانة والنجدة والعفة].
الثالث والعشرون: آية النبوة المحمدية في إخباره صلى الله عليه وسلم عميراً بما قاله في الحجر

قال: [الثالث والعشرون: آية النبوة المحمدية في إخباره صلى الله عليه وسلم عمير بما قاله في الحجر مع صفوان وليس معهما أحد إلا الله].
الرابع والعشرون: بيان تاريخ غزوة بدر، وأنها في رمضان من السنة الثانية من الهجرة

قال: [الرابع والعشرون: بيان تاريخ غزوة بدر، وأنها في رمضان من السنة الثانية من الهجرة].
السابع عشر: رد الخلاف إلى الله والرسول في كل ما يشجر بين المسلم والمسلم

قال: [السابع عشر: رد الخلاف إلى الله والرسول في كل ما يشجر بين المسلم والمسلم؛ إذ الخلاف الذي تم في شأن الغنائم رد إلى الله والرسول، وقضى الله تعالى فيه بما هو العدل والخير].
الثامن عشر: مشروعية فداء الأسرى، أو قتلهم، أو المن عليهم

قال: [الثامن عشر: مشروعية فداء الأسرى، أو قتلهم، أو المن عليهم إذ رد هذا إلى الإمام يحكم بما فيه خير للإسلام والمسلمين].
التاسع عشر: موافقة عمر رضي الله عنه ربه في أسرى بدر، إذ كان قتلهم أولى من فدائهم

قال: [التاسع عشر: موافقة عمر رضي الله عنه ربه في أسرى بدر، إذ كان قتلهم أولى من فدائهم].
العشرون: تجلي الرحمة المحمدية في وصيته صلى الله عليه وسلم بالأسرى خيراً

قال: [العشرون: تجلي الرحمة المحمدية في وصيته صلى الله عليه وسلم بالأسرى خيراً وبيان مدى طاعة أصحابه له صلى الله عليه وسلم].
الحادي والعشرون: تقرير مبدأ الجوار في الإسلام

قال: [الحادي والعشرون: تقرير مبدأ الجوار في الإسلام وأن المسلمين يجير عليهم أدناهم والمرأة في الجوار كالرجل سواء].
السادس عشر: بيان هلاك المستهزئين مصداقاً لقول الله تعالى

قال: [السادس عشر: بيان هلاك المستهزئين مصداقاً لقول الله تعالى لرسوله وهو في مكة: إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ [الحجر:95] إذ هلك بالمعركة جلهم كـأبي جهل و عتبة و أمية و الوليد و عقبة بن أبي معيط].
الخامس عشر: خذلان الشيطان إخوانه من المشركين

قال: [الخامس عشر: خذلان الشيطان إخوانه من المشركين؛ إذ فر هارباً لما رأى الملائكة في ساحة المعركة بعد أن أجارهم ودخل المعركة معهم] فقد جاءهم في صورة سراقة بن مسلم وقال: أنا معكم وتقدموا، فلما شاهد الملائكة هرب، وقال: إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ [الأنفال:48]، فبعد أن شجعهم على قتال الرسول والمؤمنين فر هارباً، معتذراً بقوله: إني أرى ما لا ترون!! والشيطان هذه هي مهمته: الخذلان! يدفع الإنسان إلى المعركة ومن ثم يخزيه ويذله .

الثالث عشر: تقرير مبدأ لا موالاة بين الكافر والمؤمن

قال: [الثالث عشر: تقرير مبدأ لا موالاة بين الكافر والمؤمن] لا موالاة ولا محبة ولا نصرة بين كافر ومؤمن، وهي قاعدة قرآنية، قال تعالى: لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ [المجادلة:22] وقال عز وجل: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ [التوبة:23] وقال عز من قائل: لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً [آل عمران:28].

قال: [إذ قاتل الرجل ولده وقاتل أباه وقاتل ابن عمه في معركة بدر] لما التقى الجيشان بارز الابن أباه وقتله، وبارز الأب ولده وقتله، وبارز الأخ أخاه وقتله.

وعندنا لطيفة: ما معنى الموالاة؟ وهو معنى دقيق جهله كثير من الناس وتخبطوا فيه! هل معناه ألا نشتري سيارات من أمريكا؟ أو لا نشتري الأدوية من سويسرا؟ نريد أن نفهم معنى الموالاة بين المؤمنين والكافرين.

يقول الله عز وجل: وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ [التوبة:71]، ما هذه الموالاة؟ الموالاة تدور على شيئين: على الحب والنصرة، ولا تتجاوز هذين المبدأين، فلا يحل لمؤمن أن يحب كافراً -والله- ولو كان ابنه الأكبر، ولا يحل لمؤمن أن يحب كافراً ولو كان أباه، بل لا بد من كرهه.

والنصرة: لا يحل لمؤمن أن ينصر كافراً على مؤمن أبداً، ولا يحل للمؤمنين أن يحبوا الكافرين بقلوبهم ويعطونهم عواطفهم ونفوسهم، ولا أن ينصروهم على المؤمنين، أما أن ننصرهم على أعدائهم إذا كان بيننا وبينهم اتفاقية أو معاهدة فنعم.

أما أننا ننصرهم على المؤمنين فالجواب: لا، نعم بيننا وبينهم ميثاق ولكن إذا كان من يقاتلونه من المؤمنين فلا نفي لهم بهذا الوعد؛ لأنه محرم علينا أن نقاتل معهم إخواننا.

هل عرف المستمعون الموالاة في الإسلام ما هي؟ و على ماذا تدور؟ على شيئين: الحب والنصرة.

فلا يحل لمؤمن أن يحب يهودياً ولا نصرانياً ولا مجوسياً ولا صابئة .

ولو كان من أقرب أقربائه، ولا أن يعطيه سويداء قلبه وهي مملوءة بحب الله فيحب من يكرهه الله.

أيكرهه الله وتحبه أنت؟ أتتناقض مع سيدك؟ إذا كان لك أخ كافر وأراد أن يضرب مؤمناً فلا تساعده أنت، ولا تنصر الكافر على المؤمن، أما إذا أراد أن يضرب كافراً آخر فلا بأس، إذا كان بينك وبينه عهد أن تنصره وينصرك.

وهذه ثمرة أو نتيجة نأخذها من غزوة بدر حيث جاء المشركون وتواجهوا مع آبائهم وأبنائهم.

عاشراً: ضرورة استعمال الرأي والمكيدة في الحرب

قال: [عاشراً: ضرورة استعمال الرأي والمكيدة في الحرب] أتدرون من قال هذا للرسول؟ إنه الحباب بن المنذر فقد سأل الرسول صلى الله عليه وسلم عن موقعه أهو بأمر الله أما رأي فقط؟ فلما أخبره النبي بأنه الرأي فقط قال: إذاً نتقدم.

الحادي عشر: آية انقلاب العصا سيفاً صارماً في يد عكاشة بن محصن

قال: [الحادي عشر: آية انقلاب العصا سيفاً صارماً في يد عكاشة بن محصن قاتل به طوال حياته: من أعظم آيات النبوة المحمدية] لو قيل لك ما الدليل على أن محمد بن عبد الله نبي؟ قل: الآيات كثيرة ومنها: أن عصا -خشبة- أعطاها لعكاشة بن محصن يقاتل بها فتحولت في يده سيفاً قاتل به فيه بدر وانتصر، ثم بقي عنده يقاتل به طيلة حياته، وأي آية أعظم من هذه أن تنقلب العصا سيفاً، لولا قدرة الله وإرادته، ولو كان سحراً لتراءى للنظارين أنه سيف صارم وهو في الحقيقة خشبة، أو ينتهي السحر ويعود السيف عصا كما كان، ولكن هذا بقي طوال حياة الرجل يقاتل به.

الثاني عشر: آية حفنة الحصا التي رمى بها النبي صلى الله عليه وسلم فأصابت جيشاً بكامله فخبلته

قال: [الثاني عشر: آية حفنة الحصا التي رمى بها النبي صلى الله عليه وسلم فأصابت جيشاً بكامله فخبلته، وأصابته بالتمزق والهزيمة من آيات النبوة المحمدية] فقد أخذ النبي صلى الله عليه وسلم حفنة من تراب ورماها قائلاً: (شاهت الوجوه)، فأخذ المشركون كلهم ينفضون الغبار عن أنفسهم، وتمزقت وحدتهم وتشتت شملهم.

تاسعاً: مشروعية الضرب الخفيف من أجل استنطاق أفراد العدو

قال: [تاسعاً: مشروعية الضرب الخفيف الذي لا يكسر عضواً ولا يشين جارحة، من أجل استنطاق أفراد العدو للحاجة إلى ذلك، وحرمة التنكيل وشدة التعذيب] وهذا الآن عند العرب، وقد جاءنا رجل من بلاد عربية لا سن له، فقلنا: أين أسنانك؟ فقال: قلعوها.

أيقلعون أسنان مواطن وهو أخوهم؟! لا إله إلا الله! وما زلت أقول: انتظروا أيها العرب! إن نقمة الله قريبة، إن فظائع تبلغنا -والله إنها لحق- في سجون العرب ما وقعت في نار جهنم، وليس بيهود ولا نصارى من يُعذب ومن يعذّب ولكن من المسلمين، لم هذا؟ من أذن لهم؟ الله سمح لهم به؟ وما هي نتائج تعذيبكم؟ دلونا عليها، أما زلتم هابطين واليهود تذلكم وتطأ على أعناقكم؟ أين الرحمة الإنسانية فقط؟ أين إخوة الإيمان؟ أتكسر عظام أخيك؟ بل والله بالمنشار ينشرونها!! من أذن بهذا؟ أهذه مظاهر إسلامية هذه؟! هل هؤلاء مسلمون؟ لما أخذ

علي ومن معه ذاك الراعي وضرباه قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: (إن صدقكم ضربتموه، وإن كذبكم تركتموه)، وما رضي لهم أيضاً، مع أن الضرب ضرب غير مبرح، كضرب الأستاذ للتلميذ، أو الرجل لولده؛ حتى يعترف.
إذاً: يشرع الضرب الخفيف الذي لا يكسر عضواً من أعضاء الإنسان ولا يشين الجارحة أو يقبحها فتصبح شينة، من أجل استنطاق أفراد العدو؛ وللحاجة إلى ذلك؛ ليدلنا أين وصل العدو، أو أين هو مختبئ، لأن هذا المضروب، قد لا يتحمل هذا الضرب ويخبر بالواقع، ويحرم التنكيل وشدة التعذيب، حتى لليهود والنصارى والمشركين، وليس خاصاً بالمؤمنين فقط، ولا نقول: هذا يهودي فنقلع عينيه أو ننزع سنه! والله لا يجوز، هل عرف المسلمون هذا؟ لا، لا يعرفون، هل هم درسوا وقرءوا؟ قرءوا دليل الخيرات، ويقرءون القرآن على الموتى أكثر من ثمانية قرون، فكيف يتعلمون؟!

ثامناً: مشروعية استعمال الرموز والمعاريض والتورية في الكلام في حالة الحرب

قال: [ثامناً: مشروعية استعمال الرموز والمعاريض والتورية في الكلام في حالة الحرب والتعمية على العدو، وقطع الطرق عليه، والحيلولة بينه وبين المرافق التي قد ينتفع بها في شن غاراته والزحف بقواته] وعرفنا ذلك في قصة الرجل الذي سأله الرسول عن قريش وتحركاتها، فقال: تسألوني وأنا أسألكم أيضاً، فلما أخبرهم وقال من أنتم قال له النبي صلى الله عليه وسلم: (نحن من ماء) وهو صادق في ذلك، فالخلق كلهم من ماء مهين.
إذاً: أصبحنا حربيين، ولو سلكنا مسلك رسول الله لتفوقنا على العالم.

سابعاً: بيان أن من ضروريات الحرب بث العيون للتعرف على تحركات العدو

قال: [سابعاً: بيان أن من ضروريات الحرب] يا رجال الحرب! [بث العيون للتعرف على تحركات العدو، وعلى أماكن وجوده وتقدير قواته وحزرها ومعرفة مدى ما تقدر عليه] وهذا معروف؛ لأن أوروبا تفعله، وطبعاً أخذته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونحن تابعون لها.
وفي هذه الغزوة (غزوة بدر) تجلت فيها هذه الحقيقة، وهي: أن من ضروريات الحرب بينك وبين العدو بث العيون -الجواسيس بلغتهم- للتعرف على تحركات العدو، وعلى أماكن وجوده وتقدير قواته وحزرها، ومعرفة مدى ما تقدر عليه تلك القوة.

سادساً: بيان فضل أبي بكر وعمر والمقداد بن عمرو وسعد بن معاذ

قال: [سادساً: بيان فضل أبي بكر و عمر و المقداد بن عمرو و سعد بن معاذ تجلى ذلك في كلماتهم التي قالوها للرسول صلى الله عليه وسلم عند طلبه المشورة من أفراد أصحابه حيث قرت بذلك عينا النبي صلى الله عليه وسلم] عندما استشار رجاله قام هؤلاء الأربعة ومن بينهم المقداد فقال: لو خضت بنا هذا البحر لخضناه معك، فلا تتردد يا رسول الله! فقرت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وفرح بما قال أصحابه.
ثالثاً: لا إثم ولا عقاب على ترك المندوب من الأقوال والأعمال

قال: [ثالثاً: لا إثم ولا عقاب على ترك المندوب من الأقوال والأعمال] والمندوب والمستحب بمعنى واحد، فإذا استحب لك الشارع أن تفعل كذا فهو في خير، فإذا فعلت أثبت، وإذا لم تفعل فلا إثم عليك، وهذه قاعدة عامة في الشريعة كلها، فالله يأمر ويكون الأمر للندب لا للإيجاب، ويأمر ويكون الأمر للإيجاب وليس للندب، فما كان للإيجاب وجب على المؤمن أن ينهض به، وما كان للندب فهو بين خيارين فإن فعل أعطي الأجر والمثوبة، وإن ترك فلا عقوبة.
ومن هنا: يجب على المؤمنين والمؤمنات أن يعرفوا أوامر الله وأوامر رسوله صلى الله عليه وسلم، ما هو الذي للوجوب، وما هو الذي للندب والاستحباب، وكذلك النهي، نهي الله ونهي رسوله، أيكون للتحريم أو يكون للكراهة والتنزيه، ووالله! إننا لمفتقرون إلى العلم، ولن نكمل ونسعد إلا إذا علمنا فعملنا وفق ما طلب منا وفرض علينا.
قال: [إذ لم يعتب الرسول على الذين لم يخرجوا إلى غزوة بدر؛ لكون الطلب كان ندباً لا وجوباً] خرج من المدينة ثلاثمائة وأربعة عشر رجلاً وبها آلاف؛ لأنه ما أمرهم صلى الله عليه وسلم، وإنما قال: أرى أنني أخرج لاعتراض عير قريش فمن أراد أن يخرج معنا فبسم الله، ولو أمر وقال: عليكم بالخروج وانفروا لوجبت، ومن هنا ما عاتب الله الذين تخلفوا ولا الرسول عتب عليهم، فدل على أن الأمر كان للندب والاستحباب، فلا حرج على تاركه والمتخلي عنه. وهذه قاعدة عامة.

رابعاً: مشروعية الشورى

قال: [رابعاً: مشروعية الشورى، وإنها من الواجبات الضرورية في كل ما يهم أمر المسلمين، لاستشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه في أمر قتال المشركين في بدر] وتذكرون أن النبي صلى الله عليه وسلم في الطريق أوقف الصحابة واستشارهم: فلما وافقوا

وقالوا: لو خضت بنا البحر لخضناه يا رسول الله! قال: بسم الله، ولو قالوا: نحن غير مستعدين والظروف غير ملائمة، ونرى يا رسول الله أن يؤجل هذا إلى وقت آخر لقبل منهم ذلك.
والشورى موجودة حتى عند اليهود، وهي نظام عالمي الآن، ولا أظن أن هناك من لا يستشير أحداً، فمجالس الشورى موجودة في الدول كلها، وكذلك البرلمانات، وقد أخذوا هذا من الإسلام، دين الرحمان لهداية البشرية وإكمالها وإسعادها.
ونحن مأمورون بالشورى حتى في بيوتنا، استشر أولادك وامرأتك، استشر إخوانك، استشر من تعمل معهم ففي الشورى خير؛ لأنك قاصر عاجز، وقد يوجد عند أخيك من العلم ما لا يوجد عندك، وقد يوجد عنده من البصيرة ما لا يوجد عندك، فخذ برأي إخوانك خير لك، ولهذا يقول الحبيب صلى الله عليه وسلم: (ما خاب من استخار، ولا ندم من استشار، ولا عال من اقتصد)، هذه الكلمات الثلاثة من وحي الله، ومن أين لآدمي أن يعرف هذا، لولا وحي الرحمن؟! ومعنى: (ما خاب من استخار)، أي: من التبس عليه أمر ولم يدر أيفعله أو يتركه؟ أفي فعله خير أم في تركه خير فليستخر الله، مثلاً: أراد أن يتزوج فلانة وما عرف هل تصلح أم لا تصلح، تليق أم لا تليق، أو أراد أن يفتح متجراً واضطربت نفسه هل الوقت ملائم أم لا، أو أراد أن يسافر إلى كذا؛ فيطلب من الله أن يختار له، سبحان الله! وأين الله حتى نطلب منه الخيار؟ هو معنا يسمعنا ويرانا ويقدر على إعطائنا ومنعنا، ما لك يا عبد الله لا تستخيره والكون كله في قبضته! اطلب منه أن يختار لك، والذي تميل إليه بعد ذلك وتفعله والله لهو الذي اختاره الله لك، ووالله إنه لخير لك، إن الباب عندنا ولكنا أغلقناه فلا نلتفت إليه، ثم نستشير بعد ذلك الحشاشين والصعاليك والذين لا نور لهم ولا هداية.
فإذا كنت تريد أن تقدم على أمر لا تدري العاقبة فيه ما هي، فأنت عبد الله، قل فقط: أي رب إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم وسم أمرك .
ثم امش والذي تفعله يكون هو الذي اختاره الله لك، وهو خير لك، وما تركت فهو الشر .
قال: (ولا ندم من استشار)، فالذي يستشير في مهام الأمور لا يندم، ولا يقع في الورطة التي يندم عليها، بل على الأقل يبرئ ذمته أنه استشار، فلا ندم أبداً إن شاءا لله.
قال: (ولا عال من اقتصد) أي: ما افتقر إلى الناس ولا مد يده إليهم يسأل من اقتصد في معيشته، أما الذي يتخبط ولا يعرف وزناً ولا عدلاً ويأكل كما تأكل البهائم، ويلبس كما يشتهي، فلا بد من يوم يفتقر فيه.
من يرد على رسول الله ذلك؟ والله لا يستطيع ابن آدم أن يرد على هذا.
إذاً: لم يا رسول الله لا تعمل أمتك بهذا؟ لأنهم أبعدوها عن ساحتك، فليس عندها من الرسول إلا الموالد فقط؛ لتأكل الكسكس والرز وترقص، أما أن تمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ووراءه وتلتمس خطاه وتقول ما يقول وتفعل ما يفعل فهذا منعوه عنا من سبعة أو ثمانية قرون.
إذاً: الذي يقتصد فلا يسرف في أكله وشربه وتصرفاته وبنائه ومركبه لا يحتاج إلى غيره، والذي يتخبط لا بد أن يقع.

كانت السنة الثانية من الهجرة حافلة بالأحداث، ومن أهم أحداثها تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة، وفرض صيام رمضان، ومشروعية صلاة العيد وزكاة الفطر، وفريضة الزكاة وبيان أنصبتها وشروطها، ومن الأحداث وفاة عثمان بن مظعون أخي النبي من الرضاع ووفاة رقية بنت النبي، وزواج عثمان من أم كلثوم بنت النبي، وزواج علي من فاطمة بنت النبي، ومن ذلك وصول زينب بنت النبي إلى المدينة قادمة من مكة، ولحاق أبي العاص بن الربيع بها مسلماً فيما بعد.

عاقبة التنكب عن الطريق المستقيم

يقول الله في سورة آل عمران: إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ [آل عمران:112]، أي: كتبت عليهم الذلة والمسكنة لا تفارقهم (إلا بحبل من الله)، فإذا اعتصموا بالله وآمنوا به ودخلوا في دينه الإسلام زال الذل والمسكنة عنهم.
أو (حبل من الناس) كمعاهدة، وكما هو حبل أوروبا الآن في يد اليهود، ولو انقطع هذا الحبل وقالوا لنا كما قال هتلر: اقتلوهم، لنزل بهم من الذل والمسكنة ما أخبر الله تعالى به.
إذاً: حبل الله هو الإسلام، فإذا أسلموا انتهى الذل والمسكنة، أما إذا كان هناك دولة قوية أو دول سُحرت واستُخدت في نصرتهم، فهم أقوياء بهم أعزة لا بأنفسهم وذاتهم، وهذا كلام الله العزيز.
يبقى قول النبي صلى الله عليه وسلم: (لتقاتلن اليهود ثم لتسلطن عليهم فتقتلوهم، حتى يقول الشجر والحجر: يا مسلم! هذا يهودي ورائي فاقتله، إلا شجر الغرقد فإنه من شجر يهود).
والحديث في صحيح مسلم.
الآن جيوشنا العربية والإسلامية باستثناء هذا الجيش المسلم لا تقام فيهم الصلاة، ويلعبون القمار، ويأكلون ما يأكلون من الحرام .
وقل ما شئت، ويكفرون كفراً إلى عنان السماء، ولا يغضب أحد لذلك، فلو قاتلنا اليهود هل يكذب الشجر والحجر ويقول: يا مسلم! وذاك ما أسلم لله شيئاً، أسألكم بالله هل يكذب الشجر؟ أينطق بقدرة الله وإعلامه ثم يكذب؟ شخص ما أسلم لله شيئاً لا وجهه ولا قلبه، هل يكون مسلماً؟ كيف يكذب الشجر والحجر، ويقول: (يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله)؟!! إذاً: أبشروا أن يوماً سيأتي يعود فيه الإسلام والمسلمون، ويتقوى اليهود وتزداد قوتهم وكثرتهم، ثم يسلطنا الجبار عليهم فنقتلهم ونتابعهم، فمن اختبأ تحت شجرة أو حجرة قالت الشجرة أو الحجرة: يا مسلم! هذا يهودي ورائي فاقتله، إلا شجر الغرقد فإنه شجرة اليهود.
وقد بلغني عن إخوان لنا أتوا من فلسطين من سنين أن شجر الغرقد محترم عند إسرائيل كما هو التفاح والعنب، والغرقد شجر فيه شوك مكروه، يوجد عندنا في الغابات، لكنهم يقدسونه؛ لأن اليهودي إذا اختبأ وراءه فإنه لا يفضحه ويقول: يا مسلم! هذا يهودي ورائي فاقتله!
ولذلك اليهود في فلسطين المحتلة شجر الغرقد عندهم مبجل محترم.
وهذه من أكبر الآيات الدالة على أن محمداً رسول الله.
إذاً: اليهود يقوون ويعظمون ويكثرون ويغلبوننا ويقهروننا ويذلوننا؛ لأننا فسقنا عن أمر ربنا، وخرجنا عن طاعة سيدنا، وعمّتنا الفوضى والخيانة والكذب، فأرانا الله آية من آياته، ثم لما يهدينا ونسلم إليه قلوبنا ووجوهنا في يوم ما من الأيام سنقاتل اليهود ونشفي صدورنا منهم، ويساعدنا على قتلهم الشجر والحجر، اللهم إلا شجر الغرقد.
والعجيب لم لا يؤمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم، وعندهم الأدلة والبراهين على صدق نبوته ورسالته، بل عندهم ما لم يكن عند المسلمين؟ السبب أنهم آثروا الدنيا على الآخرة، وغرهم علماؤهم وضللوهم: و قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ [آل عمران:24]، فابقوا على دينكم حتى تظهر رايتكم وتعود مملكتكم من النيل إلى الفرات، بل من الشرق إلى الغرب كما كانت على عهد سليمان عليه الصلاة والسلام.
وسمي البقيع ببقيع الغرقد لكثرة شجر الغرقد فيه.
اللهم اجعل دفن عظامنا فيه! اللهم ادفنا واقبرنا في البقيع!.
لأن أهله أول من يخرج من الأرض مع نبيهم صلى الله عليه وسلم، فأول من تنشق عنه الأرض الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وأهل البقيع، وآلاف الصحابة وآلاف الصلحاء وآلاف الأولياء .
فلابد وأن تكون فيه بركة، يقول أبو القاسم صلى الله عليه وسلم: (من استطاع منكم أن يموت بالمدينة فليمت بها؛ فإني أكون له شهيداً أو شافعاً يوم القيامة)، ومن شهد له الرسول بالصلاح والإيمان هل يعذب؟ من شفع له النبي هل يبقى في الأرض؟ لا، بل يرتفع إلى السماء، ولعل هناك من يقول: هذا الحديث هل عمل به أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم؟ فنقول: نعم.
عمل به عمر رضي الله عنه.
عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه الخليفة الراشد، الذي سن لنا التراويح، وسنها لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي في حجرته فلما فشاهده الصحابة صلوا وراءه ثلاثة أو أربعة، ثم تحدثوا بذلك، قالوا: نحن صلينا البارحة مع النبي صلى الله عليه وسلم، فجاء في اليوم الثاني ثلاثة أربعة أيضاً وصاروا مجموعة، ثم في اليوم الثالث كذلك، فخرج إليهم النبي صلى الله عليه وسلم وقال: (لولا أني خشيت أن تفرض عليكم لصليت بكم)، لكن فليصل كل على حدة، فكانوا يصلون جماعة هنا وأخرى هناك على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلى عهد أبي بكر كذلك، فجاء عمر ليلة من الليالي ووجد تعدد الجماعات في المسجد، فأمر أبي بن كعب -أعلم أهل القرآن وأحفظهم- أن يصلي بالناس، فاجتمع المسجد كله وراء إمام واحد، ودخل عمر عليهم فقال: (نعمت البدعة هذه، ولكن التي تنامون عنها

أفضل)، أي: صلاتك في بيتك أفضل قطعاً، فـ(صلاة المرء في بيته أفضل إلا المكتوبة) فقط، وأي نافلة في بيتك أفضل منها في مسجد رسول الله أو في المسجد الحرام.

بشارة الرسول لأبي بكر وعمر وعثمان بالجنة

إن عمر مبشر بالجنة، ومن كفّر عمر كفر، والدليل أنه بعد أن انتهت معركة أحد الدامعة، في هذا الوقت وفي المساء أخذ الرسول صلى الله عليه وسلم وهو في جراحاته يزحف إلى جبل أحد حتى ارتقى عليه، وانضم إليه أبو بكر و عمر و عثمان ، فلما جلس على الجبل اضطرب، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم: (اسكن أحد ما عليك إلا نبي وصديق وشهيدان)، ومن يقول هذه سوى رسول الله؟ والله لا يقولها أحد، ولا يقدر على أن يتكلم بالغيب البعيد أحد سواه.
من هذا النبي؟ إنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، والصديق من هو؟ إنه أبا بكر رضي الله عنه، والذي يسب أبو بكر ويكرهه ويكفره هل يبقى مسلماً؟ والله ما هو بمسلم، وإنه لمن المخلدين في النار، وهل يوجد من يقول بكفره؟ نعم! وما أكثر الهلكى والمرضى!.
إن أبا بكر رضي الله عنه ما ترك غزوة غزاها رسول الله إلا وهو معه، ومع هذا ما كتبت له الشهادة، فمات في بيته بعد سنتين وثلاثة أشهر من وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وهو خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو الذي جهز جيش أسامة بعد وفاة الحبيب صلى الله عليه وسلم، وهو الذي ضرب أهل الردة، وكسر رءوس من منعوا الزكاة في شرق البلاد وغربها.
مرت به عائشة وهو في سكرات الموت، فقالت بما قال الله عز وجل من سورة ق: وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ [ق:19]، قالتها عائشة وأبوها على فراش الموت حزينة متألمة، ودفن أبو بكر الصديق إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم، أكرمه بهذا العطاء ربه عز وجل.
والشهيدان هما: عمر و عثمان ، وهل ماتا في فارس أو في بلاد الروم أو في إفريقيا؟ لا، إنما ماتا في المدينة، إذاً كيف يكونان شهيدين؟ إن عمر قتله مجوسي في محرابه، بعد أن خبأ خنجراً مسموماً تحت إبطه، ولما ركع المسلمون وركع عمر بهم أخرجه وطعن به عمر فوقع في المحراب، هذا المجوسي هو أبو لؤلؤة ، دفعه إلى هذا وحمله الحزب الوطني الذي يعمل في الظلام من أجل إعادة دولة الساسانيين وإرجاع تاج كسرى، فما إن سقط عرش كسرى حتى تكون حزب وطني يعمل على الانتقام من الإسلام وأهله؛ ليعيد مجد الساسانيين ودولتهم.
أيها المستمعون! هل بينكم من يرد على هذا الكلام الخرافي؟ من أين لي هذا الكلام؟ لقد كنا أيام الفتُوة والدعوة نوفد من قبل الجامعة الإسلامية للدعوة أيام العطلة في أوروبا، أو في إفريقيا، وبينما كنت يوماً في الدار البيضاء أعطيت جريدة أو مجلة فيها إعلان عن أن الدولة الإيرانية -وكان يرأسها يومئذ الشاه- أقامت ذكرى عامة على مرور ألفين وخمسمائة عام على الدولة الساسانية في جميع سفاراتها وقنصلياتها!! لا إله إلا الله! دولة مسلمة تحتفل بذكرى دولة كافرة احتفالاً رسمياً؟! أيحضر القناصلة المسلمون والسفراء ويأكلون البقلاوة في احتفال عام على التاج الساساني؟! لو أن بلداً عربياً قال: سنقيم ذكرى مرور ألفين سنة وكذا على موت أبي جهل مثلاً، هل ينظر إليه كبلد مسلم؟ أيحتفلون بذكرى أبي جهل عدو الله ورسوله ونقول: مسلمون!! هذا الحزب الوطني يعمل إلى الآن على إعادة دولة الساسانيين -والله العظيم- وكانت أول رصاصة أطلقت منه لتحط في صدر الإسلام قتله لـعمر رضي الله عنه، ومن ثم انهد ذلك الحصن العجيب، ونزل البلاء بالعالم الإسلامي، وكان أبو لؤلؤة المجوسي عبداً مملوكاً لأحد الصحابة وهو لا يدري عن حاله.
إذاً: عمر شهيد، استشهد في المدينة النبوية.
بقي عثمان بن عفان أي: صاحب النورين، كيف فاز بهذين النورين؟ فاز بهما لأن الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم زوجه ابنته أم كلثوم رضي الله عنها وماتت، ثم زوجه رقية رضي الله عنها وماتت، فأصبح يعرف بذي النورين ؛ لأنه تزوج بنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم، أم كلثوم و رقية ، وقد دفنتا في البقيع رضي الله تعالى عنهما وأرضاهما وألحقنا بهما مسلمين، وقد مات عثمان رضي الله عنه في بيته بعد أن قتله الغوغائيون.
واسمع علامة النبوة: الرسول ثنيته مكسورة، ووجهه مجروح، ورأسه دخل المغفر فيه، يقول: (اسكن أحد) أي: لا تضطرب، (ما عليك إلا نبي وصديق وشهيدان)، وتم الخبر: فأبو بكر صديق، و عمر و عثمان ، ماتا في بيتهما وكان لليهود أثر في التآمر عليهما.
إذاً: طرد اليهود وأجلوا من المدينة، وكانوا يحلمون حلماً عجيباً، قبل ظهور النبي صلى الله عليه وسلم، كانوا يبيتون يدوكون ليلتهم يقولون: غداً يظهر النبي الخاتم وننتصر به، حتى كانوا إذا أغضبهم العربي قالوا: عما قريب يظهر النبي الخاتم ونقاتلكم وراءه، ونقتلكم قتل عاد وإرم، وقد ذكر الله تعالى هذا في سورة البقرة، قال عز وجل: وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ [البقرة:89]، ومعنى: (يستفتحون) أي: يستنصرون أنه سيأتي نبي يقاتلون وراءه العرب.
فلما ظهر أنه من أولاد إسماعيل ليس من أولاد إسحاق قال بنو عمنا: يريدون أن يأخذوها فلن يأخذوها، وكفروا على علم!! إذاً: الثالوث الأسود المكون من المجوس واليهود والنصارى، حمل راية الزعامة فيه عبد الله بن سبأ الصنعاني اليهودي، وأخذ يفتل وينسج، وجاء بالغوغاويين من الديار المصرية ومن الديار العراقية قائلاً: تعالوا هذا الخليفة عثمان يوزع الأموال، وينصب أبناءه وإخوانه المناصب والأمة في جوع.
وهذه نغمة اشتراكية.
ومن ثم جاء الغوغائيون والماديون -والذين ما جلسوا في حجور الصالحين- من كل حدب وصوب يطالبون عثمان بأن يخلع نفسه، والأصحاب -تلامذة أبي القاسم- حاروا كيف يفعلون؟ أيسيلون الدماء في مدينة رسول الله؟ وعاشوا أياماً لا تستطيع أن تتصور كربها وأحزانها وآلامها، والغوغائيون الماديون عملاء الماسونية والصليبية والمجوسية في هياج، وكان بعد ذلك أن ذبح عثمان والمصحف بين

يديه يتلوه!! وهذه هي شهادته رضي الله عنه، وإذا قلتم: غير شهيد كذبتم نبيكم، أما قال: (اسكن أحد ما عليك إلا نبي وصديق وشهيدان)؟ من منكم يرغب أن يكون شهيداً ولو مات في بيته؟ يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (من سأل الشهادة يقيناً أنزله الله منازل الشهداء ولو مات على فراشه)، فمن سأل الله أن يموت شهيداً في صدق، بلغه الله منازل الشهداء وإن مات في بيته وعلى فراشه، وهذه سهلة لكل مؤمن يسأل الله في صدق أن يرزقه إياها.

والآن: أين الجهاد؟ ليس هناك جهاد، اعبدوا الله فقط، صوموا وصلوا، فللجهاد رايته وإمامه، فإذا غزوت تحت تلك الراية وقتلت فأنت شهيد، أما ما يشيعه الخوارج الآن وتلامذتهم في العالم الإسلامي من تكفير الحكومات والعلماء وأتباعهم قائلين: الجهاد! والله ما هو إلا خروج عن ملة الإسلام، وما كان ولن يكون جهاد بدون راية وإمام يقول: اغزوا بسم الله عز وجل؛ ليفتح دور العالم ويضيئها بأنوار الإيمان والإسلام.
إذاً: اسألوا الله تعالى الشهادة يعطيكم أجرها وإن متم على فرشكم.
والذين لا يناسبهم هذا الكلام يقولون: هذا الشيخ عميل! يسموننا علماء السلطان أو السلاطين، ويتغنى بذلك الببغاوات والجهال ويرددونه.
ونعود إلى ما كنا بدأناه من أن عمر رضي الله عنه كان يتمنى أن يموت بالمدينة، فأقول: عمر رضي الله عنه كان يقول: اللهم إني أسألك موتة في بلد رسولك وشهادة في سبيلك، فتعجب منه ابنته أم المؤمنين حفصة وتقول: يا أبتاه! كيف تسأل الشهادة والموت في مدينة رسولك؟! يعني: الشهادة في ذاك الوقت تكون في حدود أوروبا الشرقية أو في شمال إفريقيا، أو فيما وراء نهر السند، فكيف تحصل على الشهادة وأنت في المدينة؟! فيقول: اسكتي يا حفصة الله واسع الفضل العظيم، ما هو شأنك أنت، دعيني أدعو الله عز وجل، واستجاب الله لعمر واستشهد في مدينة الرسول، وقبر إلى جانبه، ففاز بها؛ فلهذا إن كنتَ صادقاً اسأل الله حتى المحال ولا تعجز فإن الله يعطيك، فقد جمع الله له بين الشهادة والموت في المدينة لعمر رضي الله عنه.
طوفت بكم هذا التطواف لأنه في صالحنا، فلابد من الوعي والبصيرة والفهم، وما قعد بنا إلا الجهل، هو الذي أخرنا وأوقفنا هذا الموقف الذليل الرخيص أمام اليهود والشرق والغرب؛ لأننا ما عرفنا الله ولا عرفنا كيف نعبده.

أهم ما وقع من أحداث في السنة الثانية من هجرة الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم

قال: [أهم ما وقع من أحداث في السنة الثانية من هجرة الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم: لقد تمت أحداث في السنة الثانية كالسنة الأولى من الهجرة، تسجيلها مهم في الناحية التاريخية لاسيما في قضايا النسخ التي يتوقف الحكم بها على معرفة تاريخ وقوعها، وهذه أهم الأحداث التي وقعت في هذه السنة الهجرية المباركة].
أولاً: وفاة عثمان بن مظعون

قال: [أولاً: وفاة عثمان بن مظعون أخي النبي صلى الله عليه وسلم من الرضاع، وقد دفن في البقيع، ووضع النبي صلى الله عليه وسلم حجراً على قبره وقال (أعلم به قبر أخي)] والقبر عندنا لا يرفع أكثر من شبر، ويرفع قدر شبر حتى يميز عن باقي الأرض.
إذاً: القباب من قببها؟ إنهم الجهال! وإلا نحن أتباع النبي محمد صلى الله عليه وسلم القبر عندنا لا يرفع أكثر من شبر، وإذا تريد أن تعلمه بحجر لتعرفه ضع عليه حجراً، كما وضع الرسول صلى الله عليه وسلم على قبر أخيه من الرضاع حجراً.
والآن لما ترقينا أصبح الناس يضعون لوحة فيها صورة الميت على قبره، وكذلك تاريخ موته، وهل سألوا أهل العلم فأجازوا لهم هذا؟ ما سألوا أبداً، ولا يريدون أن يسألوا أو يعلموا، وكذلك بنوا القبور بالإسمنت والرخام، ويأتون بباقات الزهور كاليهود والنصارى ويضعونها على القبر، وكأنهم لا يؤمنون بأن العبد في قبره إن كان من أهل الجنة فتح له عنها وقيل له: انظر مقعدك من الجنة، فيسعد سعادة والله ما يسعدها البشر في دنياهم، إن هذا النوع من البشر كأنه لا يؤمن بعذاب القبر ولا بنعيمه ولا يعرف هذا؛ فلهذا يأتون بباقات الزهور كاليهود والنصارى، وما حملهم على هذا إلا الجهل!! قال: [وكانت وفاته في ذي الحجة] كانت وفاة عثمان بن مظعون في ذي الحجة، الشهر الذي قبل المحرم من آخر السنة الثانية.

ثانياً: تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة الشريفة

قال: [ثانياً: تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة الشريفة] تذكرون أن النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون صلوا ثلاث سنوات في مكة، ولم تفرض عليهم الصلاة إلا في السنة العاشرة من الهجرة، بعدما رفع النبي صلى الله عليه وسلم إلى الملكوت الأعلى، منتهياً إلى سدرة المنتهى وعندها جنة المأوى، بل ارتقى إلى مستوى سمع فيه صرير الأقلام، وتأخر جبريل عنه فقال له: تقدم معي، فقال جبريل: لا، فما منا إلا وله مقام معلوم، وكلمه الله كفاحاً بلا واسطة، وسمع كلامه صلى الله عليه وسلم، وتردد عليه حتى اكتملت فرضية الصلوات الخمس.
عجب هذا! فلو قُدّر لك أن تعيش سبعة آلاف وخمسمائة عام وأنت تطلع إلى السموات السبع فلن تصل؛ لأنها سبع سماوات، سمك كل سماء فيها مسيرة خمسمائة عام، وما بين السماء والسماء مسيرة خمسمائة عام كذلك، وقد ارتقى الحبيب صلى الله عليه وسلم إلى الملكوت الأعلى من بيت أم هانئ إلى المسجد الحرام ثم إلى زمزم حيث أجريت له عملية ما كانت البشرية تحلم وقتها بعملية القلوب وشقها، وغسل بماء زمزم قلبه وحشي بالإيمان والحكمة، ثم أسري به إلى بيت المقدس في لحظات، وجمع الله له الأنبياء، فصلى بهم إماماً، فهو إمام

المرسلين صلى الله عليه وسلم، ثم عرج به إلى الملكوت الأعلى، وفرضت عليه الصلوات الخمس، وبعد أن عاد تقول أم هانئ بنت أبي طالب : (ما زال فراشه دافئاً لم يبرد).
إذاً: كان هذا في الشتاء وإلا كيف ظل فراشه دافئاً لم يبرد، ونحن استنبطنا هذا من قول أم هانئ ، فالمعراج كان في الشتاء لم يكن في الصيف.
ومن ارتاب في هذا فليقرأ قوله تعالى: سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى [الإسراء:1]، والسري هو المشي بالليل، والعروج إلى الملكوت الأعلى دلت عليه الآيات الآتية، يقول عز وجل بعد بسم الله الرحمن الرحيم: وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى [النجم:1]، وهذه يمين، والحالف هو الله عز وجل مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى * وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَى * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى * فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى * مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى * أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى * وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى [النجم:2-15]، فالذي ينكر هذه الرحلة الإلهية السماوية كافر كافر كافر.
والقبلة تحولت من بيت المقدس إلى بيت الله في مكة، فقد صلى النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون وهم أقلية إلى الكعبة، والظاهر أنهم كانوا يستقبلون الكعبة من الجهة اليمانية، من جهة الحجر الأسود أو الركن اليماني واستمر ذلك ثلاث سنوات، ثم هاجر الحبيب صلى الله عليه وسلم وسبقه المهاجرون، فصلى إلى بيت المقدس غرب المدينة سبعة عشر شهراً، يعني: سنة وخمسة أشهر، وكان اليهود يطعنون بذلك -وتعرفون بني عمنا- ويقولون: هذا يكفرنا ويصلي إلى قبلتنا!! المهم كان صلى الله عليه وسلم يتألم وتاقت نفسه إلى أن يستقبل الكعبة، وكانت المدينة في بدايتها، واسمع ما قدم تعالى للأحداث لتهون بعد ذلك: سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ [البقرة:142-143]، وإذا عرفتم إذاعة صوت العرب فكذلك كانت المدينة، فالمنافقون واليهود والمشركون يروجون الخبر العجب العجاب، فقدم الله هذا قبل أن يقع حتى تهدأ نفوس المؤمنين، فقد كانوا يجدون الطعن والسخرية والضحك، يقال: اليوم تحول على القبلة وغداً يتحول عن دينه أيضاً .
فقال الله عز وجل: فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ [البقرة:144] واستقر الوضع وأصبح الذي يصلي إلى بيت المقدس صلاته باطلة.
وقصة مسجد القبلتين معروفة، وقد رأينا اليوم زوار يزورونه، وسمي مسجد القبلتين لأنه الخبر جاء أهله وهم يصلون إلى بيت المقدس في صلاة العصر، فتحولوا عنه إلى الكعبة وهم يصلون.
والآن تعال في أي مسجد واعمل هذا، هل يستطيع أهل المسجد أن يدوروا لك في انتظام ويستقبلوا القبلة، والله لا يستطيعون، يحتاجون إلى العسكر يدربوهم، وبهذه وحدها نعرف هبوطنا وعلو أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، أسألكم بالله صفين أو ثلاثة كيف يدور الإمام ويدورون معه؟! المهم صلوا ركعتين إلى بيت المقدس وركعتين إلى الكعبة في صلاة العصر، والآن إذا لم تدربهم كالتلاميذ لا يمكن أن يتم هذا، ترى واحد يزحف وواحد يقدم وواحد يقول كيف.
وهكذا، لكن الصحابة لما أقبلوا على الله واستنارت قلوبهم هداهم الله فاستداروا كما هم عليه.
وأهل قباء بلغهم الخبر في صلاة الصبح، بأن الصحابة صلوا العشاء مع رسول الله مستقبلين للكعبة فصلوا إلى الكعبة، وهكذا استتب الأمر، وتغيظ اليهود وكربوا وانتصرت دعوة الله، والله يقول: وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [البقرة:148]، ووجهة أي: قبلة، فاليهود لهم قبلة والنصارى لهم قبلة والمسلمون لهم قبلة، وأخبر تعالى أن اليهود لا يتفقون مع النصارى على قبلتهم، وصدق الله العظيم إلى الآن هل اتفق اليهود والنصارى؟ لا، فالنصارى يصلون إلى مطلع الشمس، واليهود إلى بيت المقدس، سبحان الله العظيم! وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا [البقرة:148]، وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ [البقرة:145]، هل انتقض هذا القرآن؟ هل اتحد اليهود والنصارى على قبلة؟ لا يمكن؛ لأن الله قال: وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ [البقرة:145]، وهذه من دلائل النبوة وصدق الدعوة المحمدية.
ثالثاً: فرض صيام رمضان ونسخ صيام عاشوراء

قال: [ثالثاً: فرض صيام رمضان ونسخ صيام عاشوراء] في السنة الثانية من الهجرة كان الناس يصومون عاشوراء، فلما فرض الله رمضان تركوا عاشوراء وصاموا رمضان.
وقد علمتم أن الرسول صلى الله عليه وسلم سأل اليهود عن هذا الصيام، فقالوا: هذا يوم نجا الله فيه موسى وبني إسرائيل فنحن نصومه شكراً لله، فقال: (نحن أحق بموسى منكم)، ووالله إنه لأحق، فهم مشركون ضلال، فأمر الرسول بصيام يوم عاشوراء وصام أهل المدينة من الأنصار والمهاجرين وصوموا أطفالهم حتى الرضع -الله أكبر! إنه إقبال الصادق على الله- ثم نزل قوله تعالى: شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ [البقرة:185] فنسخ الله صيام عاشوراء الذي كان واجباً وبقي مستحباً، وفرض صيام رمضان، وقال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم: (لئن عشت لأصومن التاسع والعاشر)؛ فلهذا يستحب أن نصوم التاسع والعاشر من محرم، على وجه الندب والاستحباب فقط، أما الوجوب انتهى.
قال: [فنسخ وجوب صيام عاشوراء وبقي استحبابه ثابتاً بالسنة النبوية الصحيحة، وأن صيامه يكفر ذنوب سنة ماضية] الجائزة التي يُعطاها من صام يوم عاشوراء أن الله يكفِّر عنه ذنوب سنة ماضية، أما من صام التاسع من ذي الحجة فإن الله يكفِّر عنه ذنوب سنتين: الماضية والآتية، ولا تقل: كيف؟ آمن فقط بأن صيام يوم التاسع من ذي الحجة يكفِّر الله به ذنوب سنتين سنة ماضية وسنة باقية.
رابعاً: مشروعية صلاة العيد وزكاة الفطر، وأنها من سنن الإسلام الواجبة

قال: [رابعاً: مشروعية صلاة العيد وزكاة الفطر، وأنها من سنن الإسلام الواجبة] في هذه السنة -أيضاً- شرعت صلاة العيد وزكاة الفطر، وآية الأعلى تدل على هذا المعنى: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى [الأعلى:14-15]، وتزكى: أي أخرج زكاة الفطر قبل أن يذهب إلى المسجد، ثم تذكر وهو ماش إلى المسجد فكبر: الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، ثم صلى صلاة العيد.
من فعل هذا أفلح.
وهو دليل على مشروعية زكاة الفطر، وأنها قبل الصلاة، وأن من خرج من بيته يمشي يكبر إلى المسجد أو إلى ساحة الصلاة، ثم يصلي، والآية أعم من هذا.
خامساً: فريضة الزكاة وبيان أنصبتها وشروطها

قال: [خامساً: فريضة الزكاة وبيان أنصبتها وشروطها] فرضت الزكاة في السنة الثانية من الهجرة، وبينت شروطها التي تجب فيها، والمقادير التي إذا بلغها المال زكي.
سادساً: بيان المعاقل وجعلها في كتاب معلقاً بقراب سيف النبي

قال: [سادساً: بيان المعاقل وجعلها في كتاب معلقاً بقراب سيف النبي صلى الله عليه وسلم] والمعاقل جمع عاقلة وهي الدية، فإذا قتل شخص خطأ ووجبت عليه الدية، دفعها أعمامه وإخوانه وأبناء أعمامه وأبناء إخوانه وهؤلاء يسمون العاقلة، إي الورثة من جهة الذكور لا الإناث، يعني: عمته وخالته لا يدخلان في ذلك.
إذاً: هذا بيان العاقلة، وهي وصية مكتوبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب ، فعندما قالوا له: أنت وصاك الرسول بالأمة، وأنت الخليفة، فقال: والله ما عندي إلا هذه، وأخرجها من قراب سيفه.
سابعاً: وفاة رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال: [سابعاً: وفاة رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم] توفيت رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في السنة الثانية، وكانت تحت عثمان رضي الله عنه.
ثامناً: زواج عثمان بن عفان الخليفة الراشد بأم كلثوم بنت رسول الله

قال: [ثامناً: زواج عثمان بن عفان الخليفة الراشد بأم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم] تزوج عثمان في السنة الثانية من بنت الرسول صلى الله عليه وسلم أم كلثوم وأمها هي خديجة بنت خويلد رضي الله عنها [بعد وفاة أختها رقية رضي الله عنهما وأرضاهما] أي: لما ماتت رقية زوجه الرسول صلى الله عليه وسلم أختها بعد فترة من الزمن.
تاسعاً: وصول زينب بنت رسول الله مهاجرة من مكة إلى المدينة

قال: [تاسعاً: وصول زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجرة من مكة إلى المدينة النبوية] في السنة الثانية من الهجرة جاءت زينب مهاجرة من مكة إلى المدينة، وقد كانت عند أبي العاص بن الربيع .
عاشراً: إسلام أبي العاص بن الربيع

قال: [عاشراً: إسلام أبي العاص بن الربيع] زوج زينب [ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه زوجته زينب رضي الله عنها] كما درسنا.
الحادي عشر: تزوج علي رضي الله عنه بفاطمة بنت رسول الله

قال: [الحادي عشر: تزوج علي رضي الله عنه بفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم] في السنة الثانية أيضاً تزوج علي بفاطمة كما تزوج عثمان بأم كلثوم .
الثاني عشر: أول صلاة عيد وأضحيته

قال: [الثاني عشر: أول صلاة عيد وأضحيته كانت في هذه السنة؛ إذ صلى بهم الرسول صلى الله عليه وسلم وضحى، وضحى أصحابه من أهل اليسار معه] صلاة عيد الأضحى وصلاة عيد الفطر كانت في السنة الثانية.
الثالث عشر: الآية النبوية المتمثلة في إخبار النبي عن قاتل علي بن أبي طالب أنه أشقى الناس

قال: [الثالث عشر: آية نبوة الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم إذ قال: (ألا أخبركم بأشقى الناس رجلين؟)] و(ألو) تعرفونها، فهي معروفة عندنا، فالأولاد الصغار يقولون: ألو ألو، فمن أين (ألو) هذه؟ هل وجدت مع التلفون هكذا؟ لقد سبق القرآن بها قبل عشرات القرون: فـ(ألا) أداة استفتاح وتنبيه، ينبه بها المخاطب رجاله [(قالوا: بلى يا رسول الله! قال: أحيمر ثمود عاقر الناقة)] وثمود قوم صالح في الشمال، ومن عقر الناقة منهم كان أحيمراً، يعني: وجهه أحمر، يقال له: قدار بن سالف [(والذي يضربك يا علي على هذه -ووضع

يده على رأسه- حتى تبتل هذه -ووضع يده على لحيته-)] والذي قتل علياً خارجي من الخوارج، قال: علي كافر! كيف يحكم أبا موسى الأشعري و عمرو بن العاص ، والله يقول: إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ [يوسف:67]، وهذه الأغنية هي التي يتغنى بها خوارج اليوم أيضاً.
وهي آية من آيات النبوة [وكان الأمر كما أخبر إذ ضرب علياً أحد الخوارج على رأسه فقتله] في الكوفة.
وقلنا إنه قتله؛ لأنه يعتقد أن علياً كافر؛ لأنه حكَّم في قضيته مع معاوية أبا موسى الأشعري و عمرو بن العاص والحكم إنما هو لله، وهذه الأغنية ما زالت حية إلى الآن! قالوا: إن الحكَّام كفار؛ لأنهم لا يحكِّمون الله، والعلماء وافقوهم فهم كفار أيضاً، وأنتم أيها الشعوب رضيتم وسكتم فأنتم كفار كذلك، فلم يبق مؤمن على وجه الأرض إلا هم، يعني فقط الذي يكفر الناس هو المسلم! يا عباد الله! يخبر الرسول عن هذه الحادثة قبل أربعين سنة من مقتل علي رضي الله عنه، وأن أشقى رجل في الدنيا مع الأحيمر قدار بن سالف هو قاتل علي رضي الله عنه.
والله تعالى أسأل أن يلهمنا رشدنا، وأن يعلمنا ما جهلنا، وأن يرضى عنا كما رضي عن أصحاب رسولنا.
وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه .

اليهود هم شر الخلق، وهم المثال الحي للغدر والخيانة والتآمر، وبسبب أخلاقهم هذه سلط الله عليهم بعض خلقه إذ كانوا يستوطنون الشام، حتى خرجوا منه متوجهين إلى أرض الحجاز، فأقاموا في المدينة وما حولها، ومن طوائف اليهود تلك: بنو قريظة، وبنو النضير، وبنو قينقاع، وقد عاهد رسول الله بني قينقاع معاهدة سلم وحسن جوار إلى أن نقضوها بعد فراغ النبي من بدر، فسار إليهم النبي وأنزلهم على حكمه فصادر أموالهم وأجلاهم من المدينة، وترك لهم النساء والذرية.

غزوة بني قينقاع

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فقد انتهى بنا الدرس إلى مقطوعة [غزوة بني قينقاع]، وبنو قينقاع هم إحدى الطوائف الثلاث اليهودية التي كانت تسكن المدينة النبوية.

أسباب سكن اليهود في المدينة

سكنوا المدينة ذات السبخة والنخيل والجوع والجهل بعد أن تركوا بلاد الشام، بلاد الزبدة والعسل لسببين: السبب الأول: اضطهاد النصارى لهم، فقد كان الصليبيون عبدة المسيح يضطهدون اليهود، حتى إن بعضهم كان يقليهم في الزيت كالسمك، والسبب أنهم ينظرون إلى اليهودي على أنه قتل إلههم فكيف يحبونه؟ وكيف يطمئنون إليه، وهو قاتل إلههم؟ فقد كانوا يعتقدون أن اليهود هم من صلبوا المسيح؛ لأن الذي تمثل لهم في صورة المسيح -وهو مدير شرطتهم- قتلوه بوصفه هو المسيح، فالجريمة ثابتة وإن لم يُقتل المسيح؛ إذ رفعه الله إليه لما حاصروا منزله إلى الملكوت الأعلى، وهو فيه الآن -والله العظيم- فلما داهموا البيت ألقى الله الشبه على مدير شرطتهم فاحتضنوه وسحبوه إلى المشنقة وصلبوه.

وهذا نبينا صلى الله عليه وسلم حاولوا أن يغتالوه مرتين: المرة الأولى: سقوه السم بواسطة عجوز يهودية منتنة، حتى مات صلى الله عليه وسلم وهو يجد أثر السم في فمه.

والثانية: لما أراد بنو النضير أن يسقطوا عليه رحى من السطح! وكيف لا وهم قتلة الأنبياء! إذاً: لما كانوا يعانون من ضغط النصارى فروا إلى الجزيرة (بلاد العرب) فنزلوا بفدك وتبوك وخيبر والمدينة هاربين.

السبب الثاني: أن التوراة تبشر كالإنجيل بنبي آخر الزمان، وأنه يخرج من بين جبال فاران بمكة، وأن مهاجره المدينة ذات السبخة وكانت تسمى آنذاك يثرب، فقالوا: ننزح هناك لعلنا نؤمن به وندخل تحت رايته، ونعيد مجدنا ومملكة بني إسرائيل، ونؤدب أعداءنا من النصارى.

وهذا سبب واضح غير خفي، ووالله إنه لحق! وإياكم أن تفهموا أنكم تسمعون من المسجد النبوي الكذب والخرافات والأوهام، انزعوا هذا من أذهانكم! إذاً: نزحوا إلى المدينة وكانوا ثلاث قبائل: بنو النضير في شرقها، وبنو قينقاع في وسطها، وبنو قريظة في جنوبها الغربي.

قال المؤلف غفر الله له ولكم ورحمه وإياكم وسائر المؤمنين: [بنو قينقاع هم إحدى طوائف اليهود الثلاث الذين كانوا نزلوا المدينة النبوية قبل الإسلام بزمن طويل؛ فراراً من اضطهاد الروم لهم] أي: هروباً من اضطهاد الروم لهم، والروم هم النصارى في الشام وفي تركيا وغيرها [وانتظاراً للنبوة المحمدية] هذان هما السببان [المبشر بها في التوراة والإنجيل] وإلى الآن وهم يحرفون البشارات، كعلماء المسلمين إذا أرادوا الدنيا يحرفون الكلم، ولا عجب! قال: [ولما حل النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة مهاجراً السنة الماضية -أي: الأولى من الهجرة- عاهدهم صلى الله عليه وسلم معاهدة سِلم وحسن جوار، وقد تقدمت وثيقتها تحمل نصوص موادها].

حكم مصالحة اليهود في فلسطين

نستعجل هنا خشية أن ننسى: ففي هذه الأيام ضجة كبيرة: يقولون: كيف نصالح اليهود؟ والصحف والمجلات تكتب، والعلماء يحاضرون ويندّدون بالمصالحة، وهذه المصالحة شيخكم هذا -إن تثقون فيه- طالب بها قبل أكثر من سبع وثلاثين سنة، قلنا: يا عرب! صالحوا اليهود، اعترفوا بهذه القسمة التي فرضت عليكم، وبلاد العرب ما زالت مستعمرة أكثرها، وأيدوا إخوانكم في أرضهم، وأمدوهم بالمال وعلموهم ليعزوا ويكملوا، لا تتركوهم مشردين مقسمين، طوائف هنا وهناك في كرب وهم! فيضحكون، ويقولون: كيف هذا؟ نصالح على ماذا؟!.

أأنتم أفضل أم رسول الله؟ أأنتم أعلم أم رسول الله؟ الرسول صلى الله عليه وسلم صالح المشركين وليس أهل الكتاب اليهود فقط، فصلح الحديبية كان مع المشركين عبدة الأصنام الذين لا يؤمنون بالله ولا بكتابه ولا بلقائه، ومدة المصالحة كانت عشر سنوات.

وفوتوا الفرصة على إخواننا الفلسطينيين، وتركوهم خمساً وثلاثين سنة أو أربعين مشردين، ولو رضوا بتلك القسمة التي فرضت عليهم من قبل الأمم المتحدة، وأخذوا يلمون شعثهم ويربون إخوانهم ويعلمونهم ويؤهلونهم، وقالوا: الله أكبر! وتحت راية: لا إله إلا الله لفر اليهود من ديارهم، ولكن ما رضوا، والآن عدنا إلى المصالحة، فقالوا مرة أخرى: لا يجوز أبداً، كيف نصالح اليهود؟.

فقلنا: يا جماعة أنتم وعربكم عاجزون عن حربهم؛ لأن الله ليس معكم، -والله- ما هو معنا، ولو كان الله معنا أيخيفنا اليهود أو يحزنوننا؟ أبداً، فنحن نعرف أننا خرجنا عن هديه وسبيله وطريقته وحكمنا الأهواء وفارقنا الصلاة وتركنا الزكاة ورضينا بالشيوعية والبلشفية والاشتراكية والضلالات فكيف يكون الله معنا؟! حاشا لله: إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ [النحل:128].

فمن هنا لا نستطيع أن نقاتلهم ولا نقدر، أما قاتلناهم وهزمونا؟ إذاً: لم لا نصالحهم وهم أقدر منا وأقوى وأكثر قدرة على قتالنا؟! ونحن نصالحهم من أجل أن نتكون من جديد، لنصبح أمة قادر على قيادة البشر لا حفنة كاليهود.
والذي همني أكثر هو فكرة في أذهان إخواننا، وهي أنهم يقولون: إذا صالحناهم ودخلوا بلادنا سقطنا في أحضان الخمر والزنا والجرائم وكذا .

.

فمن الخير ألا نصالحهم حتى يبقوا بعيدين عنا، وهذه خرافة! أهذا كلام يقوله ذو عقل ودين؟ لماذا لا نكون نحن الذين ندخلهم في رحمة الله، عندما يختلطوا بنا ويدخلوا ديارنا، ويشاهدوا أنوارنا ووفاءنا واستقامتنا وعزنا وطهارتنا، وقد دخل من قبل الملايين في الإسلام من أجل المنظر والمظهر؛ إذ لا يوجد كافر دخل الإسلام بالحديد والنار، ولكن فقط بالأسوة الحسنة.
أقول: إن من إخواننا العلماء وغيرهم من يقولون: إذا صالحنا اليهود ودخلوا بلادنا واتجرنا معهم فإنهم يدخلوننا في الفسق والفجور والباطل!! وأقول: لم لا نقول: إذا دخلوا بلادنا أو دخلنا بلادهم فنحن الذين نسلبهم الكفر وندخلهم في الإيمان لاستقامتنا وعزتنا وطهارتنا ووفائنا، أما هم في خبثهم كيف يسلبوننا ما نحن عليه؟ المفروض أننا نحن الذين نجذبهم إلينا؛ لأنهم إذا دخلوا ديارنا وجدوا الوفاء، فإذا نودي للصلاة وقف كل شيء وأقبلنا عليها، ولا يجربون علينا كذباً، ولا نظرة باطلة، ولا مكالمة مع امرأة ولا شيء .

.

لا أننا نقول: إذا صالحناهم ودخلوا بلادنا أو دخلنا معهم يجذبوننا إلى الزنا واللواط والجريمة والسرقة، فهل نحن أبقار؟ هل نحن بهائم؟ أين الإيمان والإسلام؟ وأين الربانية الصادقة؟ وأين أنوار الله؟ أمر محزن لمن يفكر ويفهم ويعي.
استغلال الوضع العالمي الراهن بإيجاد طرق دعوة بديلة لنشر الإسلام

أيضاً: -وإن كنا لا نجد من يبلغ هذا الكلام أبداً- قد كتبنا وكتبنا وصحنا وتكلمنا وليس هناك من قال في جريدة: سمعنا كذا وكذا! أو قال: وجدنا رسالة فيها كذا.

.

أبداً! أمة هابطة لا يرفعها إلا الله! قلت لكم: لا يوجد كافر اضطهد بالتعذيب والنار أو بكسر العظام حتى ثم أسلم، والله لا وجود لهذا، سواء في شمال أفريقيا أو في الشرق الأوسط أو فيما وراء نهر السند أو في ممالك الهند أو في أوروبا، ليس هناك من أكره على الإسلام، وإنما كان الكفار من مجوس ويهود ونصارى ومشركين إذا شاهدوا أنوار المؤمنين في ديارهم دخلوا في الإسلام عن طواعية.
هل هناك ذو عقل يردّ هذا؟ كيف أسلمت أفريقيا؟ كيف دخل الإسلام الأندلس؟ هل أسلموا بالحديد والنار؟ إن الله يقول: لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ [البقرة:256]، إنه فقط سلوك المسلمين وربانيتهم المتمثلة في الطهر والصدق والوفاء والرحمة والعز، هذه هي التي جذبت الكفار من كل الأجناس إلى الدخول في الإسلام.
والآن العالم في حاجة إلى الإسلام -والله العظيم- العالم في حاجة إلى الإسلام، فقد عمه الخبث، وظهرت فيه مظاهر الفساد والظلم مما لم تعرفه البشرية من قبل، إن البشرية تهبط كل يوم، فمن ينقذها إلا الإسلام فقط، هيا أيها المسلمون أتاح الله لكم الفرصة! لا ترسوا سفنكم على شواطئ بلاد العالم، ولا تجهزوا طائراتكم ونفاثاتكم، ولا توجهوا صواريخكم أبداً، فقد فتح الله لكم الأبواب كلها من البرازيل إلى اليابان والصين، فادعوا إلى الله عز وجل، وأنقذوا البشرية، فقد انتهى شأن الصاروخ والدبابة والطيارة أبداً، أما عرفتم أن في الأمريكان أكثر من ثلاثة ملايين مسلم؟ أما عرفتم أن ألمانيا ذات المخ الممتاز فيها عشرات المساجد؟ أما عرفتم أن فرنسا فيها أكثر من ثلاثمائة وثلاثة آلاف مسجد؟ وفي بلجيكا وفي وهولندا .

.

أما بريطانيا ففيها مراكز للدعوة.
واليابان كذلك.
فباسم الله مادام قد فتح الله الباب وأراحنا من القتال؛ لأننا في الزمن الأول كان الإسلام يقول: لما يستتب الأمر في هذه المنطقة ننظر إلى حدودنا من شرق أو غرب فإذا وجدنا دولة كافرة نعد العدة ونزحف، وعلى أبواب بلادهم نراسلهم -والجيوش واقفة-: هل تدخلون في رحمة الله وهنيئاً لكم، أسلموا تسلموا، تسعدوا وتكملوا، وتصبحوا خيرة الخلق، فإن قالوا: لا ندخل ديناً غير ديننا، ولا نستبدل بديننا ديناً آخر، قلنا: اسمحوا لنا يا حكام ويا جيوش أن ندخل هذه الديار نعلم أهلها ونربيهم؛ لأنكم عاجزون عن تربيتهم وتعليمهم، ويكفيكم ما أنتم عليه من الجهل والظلم والشر والخبث، فإن قالوا: مرحباً، دخلنا البلاد وأدرناها، وما هي إلا سنيات حتى لا يبقى فيها كافر، ويدخلون في رحمة الله، فإن رفضوا قاتلناهم، ونقاتل من؟ الجيوش وقادتها، وما إن ينهزموا ويدخل خيل الله إلا كلمة الله أكبر في كل بيت؛ لأنهم يشاهدون بأعينهم الطهر والصدق والوفاء والرحمة والعزة والشرف، فينجذبون انجذاباً كاملاً ويدخلون في الإسلام.
فالآن أراحنا الله من هذا الأمر، وأولاً: ليس عندنا القدرة التي نقاتل بها.
ثانياً: قال الله ما لكم حاجة في هذا الآن، فأيما بلد فيه كفر كوّنوا فيه مسجداً وجماعة وادعوا إلى الله.
وهذا هو الواقع.
إذاً: كيف نفعل لنقيم هذا الواجب؟ بلغوا: أنه يجب أن تكوَّن منظمة إسلامية يشارك فيها كل قطر إسلامي بعالم من علمائه، وتصبح المنظمة ذات نيف وأربعين عالماً، ثم تبدأ تبعث بلجان؛ لجنة إلى أمريكا، وأخرى إلى أوروبا الغربية، وأخرى إلى أوروبا الشرقية، وأخرى إلى اليابان، وأخرى إلى الصين، وأخرى إلى الهند.

.

لتدرس أحوال المسلمين هناك، وتتعرف إليها بدقة، فتعرف حتى أعداد المسلمين واتجاهاتهم، ومذاهبهم، وما هم عليه، وما وجوه الخلاف بينهم، وما وجوه الفرقة والنزاع -إذ بينهم نزاع كما هو بين المسلمين في ديارهم- ثم تضع خارطة على طاولة وتنظر من خلالها .

.

إذاً: نحتاج إلى ميزانية عظيمة أكثر من ميزانية دولة كبرى، نعم، وكيف نجمع هذه الميزانية؟ فقط بالدعوة الربانية، تقوم لجان وتدخل القرى والمدن والجبال والأرياف، وتتكلم مع المسلمين بذوق ونطق، وتقول: يا مسلمون! على كل مؤمن أن يدفع ريالاً في السنة.
وهناك ألف مليون مسلم، وهذه فاتحة فقط، فإذا كنت أنا أدفع ريال فغيري يدفع ألف ريال أو مليون وذلك عندما تتجلى حقيقة الجهاد، ثم تلك اللجنة العليا توحد الكتاب، وهي خطوة أولى، حتى لا يبقى هذا حنفي وهذا مالكي وهذا شافعي وهذا إباضي، وهذا زيدي.

.

ولكن كعهد النبوة: قال الله وقال رسوله.
ويكفينا فرقة وخلاف، فقد كانت مقتضياتها موجودة وانتهت، فالعالم الآن كأنه بلد واحد، هذا الدرس يمكن أن يُسمع في العالم بكامله، فلا حاجة إلى الفرقة والخلاف أبداً، وحفظ الله لنا كتابه وهدي نبيه صلى الله عليه وسلم.
وتقوم هذه المنظمة بإيجاد أئمة ودعاة خريجي الكليات الإسلامية، وتبعث في كل مسجد بثلاثة يكونون لجنة في ذلك المسجد مكونة من الراعي والإمام والمزكي للنفس، إذاً: والكتاب واحد، وعلى سبيل المثال: -وإن كان بعض الطلبة يكربون لهذا ويقولون: كيف هذا يقوم بالدعاية لنفسه!- يدرس كتاب منهاج المسلم، ففيه العقيدة السلفية الربانية، والآداب الإسلامية، والأخلاق الإسلامية، والعبادات والمعاملات، كتاب وضع كأنه دستور، وما خرج عن المذاهب الأربعة قط، وكل أحكامه قال الله وقال رسوله، هذا الكتاب يوزع ويطبع بلغات، وقد طبع الآن بالفرنسية وبالإنجليزية، فإذا توحدت العقيدة والآداب والأخلاق والعبادات والمعاملات توحدت تلك الأمة، وأصبح ليس فيها خلاف، وهذا مثال فقط، أن يوحد الكتاب كما وُحدت الميزانية حتى لا يكون فرقة ولا خلاف فالكتاب هو المربي، وتأخذ تلك اللجان تنمو بأولادها من بنين وبنات بالصدق والوفاء، والطهر والصفاء، والنورانية، فينظر المسيحي إلى المسلم فيخجل؛ لأنه عايشه في جانبه عاملاً أو كان له مجاوراً فما ضبط عليه كلمة سوء، وبعد أربعة أشهر فقط ينجذب إليه، وتأخذ أنوار الإسلام تنتشر، وفي خمس وعشرين سنة أو ربع قرن لا يستبعد أن توجد دويلات إسلامية في أوروبا وأمريكا، وينتشر الإسلام ودعنا من الدولة، وبذلك نكون قد أدينا واجب الجهاد في سبيل الله لإنقاذ البشرية وهدايتها؛ ولنشر دعوة الله في الأرض بكل هذه السهولة واليسر.
وتبقى مشكلة أخرى وهي: أنهم ينظرون إلى المسلمين في بلادهم وهم في أسوأ حال، فالجرائم عندهم والخبث، فيقولون: كيف نسلم؟ فنقول لهم: لا، أولئك هبطوا، ولكن تعالوا انظروا إلى إخوانكم في بلادكم، فهم طبقوا الإسلام على أنفسهم، وآثروه على غيره واختاروه فلاحت أنوار الهداية فيهم، وأولئك أعرضوا عنه وابتعدوا، فلا يكون هذا مانعاً لكم من دخولكم في الإسلام، ولعله إذا لاحت أنوار الإسلام خارجه تغمر داخله، فيعجب المؤمنون والمسلمون! ولا أطيل عليكم فهذه هي طريق الدعوة بعد أن أراحنا الله من أن نغزو ببواخرنا وطائراتنا؛ لأن الغزو لا للمادة ولا للشرطة والحكم، ولكن فقط لهداية الخلق والبشرية، فلما هيأ الله الفرصة وأصبح الإسلام ينتشر في أوروبا وفي أمريكا وفي اليابان وفي الصين وفي الهند وفي عدة بلاد بواسطة جماعات تنقل الكلمة فقط، فلم إذاً لا نغتنم الفرصة؟ أين المسئولون في العالم الإسلامي؟ ستقولون: يا شيخ ومن يبلغهم؟ إن كلامك هذا يقولون عليه: هراء! خيال! أوهام! يقولها هذا الشيخ العجوز المسكين!.
وهذا لأننا ما زلنا هابطين، وما أتيحت الفرصة لأن نرتفع ونسمو ونعلو، فقد كررنا هذا الكلام عشرات السنين، والحمد لله نادينا بتكوين الرابطة فتكونت، والجامعة الإسلامية وجدت، ولكن ما تم المراد والمقصود على وجهه.
وعلى كل حال نعود الآن إلى حبيبنا صلى الله عليه وسلم، وهو في غزوة بني قينقاع، وبلغوا هذا إن استطعتم ولو في المجالس.
قال: [وقد نافق كثير من أحبارهم ووالوا المشركين في الخفاء] رغم ما كان بينهم وبين الرسول صلى الله عليه وسلم من معاهدة ببنودها نافق بعضهم، وكان على اتصال بالمشركين يؤلبهم على الرسول والمؤمنين، ولا عجب فإنهم اليهود [وكانوا يتربصون بالنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الدوائر] أي: متى تقع معركة بينه وبين المشركين فينهزم ويعلون هم ويظهرون.

كانت السنة الثانية من الهجرة حافلة بالأحداث الجسام والأمور العظام، ثم تلتها السنة الثالثة والتي ابتدأت بغزوة ذي أمر، حيث سمع النبي بجماعة من غطفان تجمعوا لمحاربة النبي، فخرج إليهم النبي في أربعمائة وخمسين رجلاً، فما إن وصل إلى ماء ذي أمر حتى تفرق الأعراب وهربوا إلى رءوس الجبال، فعاد النبي ولم يلق بأساً، وبعد ذلك خرج النبي لملاقاة بني سليم الذين تجمعوا لقتاله في الفرع من بحران، فلما بلغها النبي تفرق بنو سليم ولم يواجهوه، فقفل راجعاً إلى المدينة.
أحداث السنة الثالثة من هجرة الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم

قال: [أحداث السنة الثالثة من هجرة الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم: أولى غزوات السنة الثالثة:]
نتائج وعبر من غزوة الفرع من بحران

قال: [نتائج وعبر: إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبراً نذكرها فيما يلي: أولاً: مظاهر العزم والحزم لدى الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم] فما إن بلغه خبر تجمع الأعراب حتى أعلن التجمع في المسجد، وما تردد يومين أو ثلاثة، فالحزم لا يقتضي هذا والعزم، ولكن على الفور.
[ثانياً: آية النبوة المحمدية] تجلت [في انهزام المشركين بمجرد تحركه صلى الله عليه وسلم نحوهم] تفرقوا وشردوا.
[ثالثاً: فضيلة ابن أم مكتوم لاستخلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم له غير مرة إماماً وحاكماً] وكان أعمى يصلي بالناس ويقضي بينهم ويحكم، وهل اختاره النبي لعماه؟ لا، ولكن لأنواره القلبية، ولزكاة نفسه ومعرفته بشريعة الله، فهو تلميذ رسول الله صلى الله عليه وسلم.
[رابعاً: جواز تولية الأعمى إذا كان ذا أهلية للولاية من الإيمان والعلم والتقوى] صاحب الإيمان الصحيح والعلم بالشريعة والتقوى لله عز وجل وله ولا تخف، فإنه ينفع بإذن الله.
وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه.
.
غزوة ذي أمر

قال: [غزوة ذي أمر: ودخلت السنة الثالثة -بعد انقضاء الثانية بما فيها من أحداث جسام وأمور عظام- وها هي ذي السنة الثالثة تفتتح بغزوة ذي أمر.
وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم بلغه أن جمعاً من غطفان من بني ثعلبة بن محارب، قد تجمعوا عند ماء يقال له: (ذو أمر) من أرض نجد؛ ليحاربوه صلى الله عليه وسلم فسار إليهم في أربعمائة وخمسين رجلاً، وكان ذلك يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول من سنة ثلاث من الهجرة.
واستخلف صلى الله عليه وسلم على المدينة عثمان بن عفان رضي الله عنه وسار حتى بلغ ماء (أمر) فعسكر حوله، وقد هرب الأعراب الذين تجمعوا لحربه صلى الله عليه وسلم، والتحقوا برءوس الجبال، وكان قد نزل عليهم مطر غزير بلَّ الثياب، حتى إن النبي صلى الله عليه وسلم لما ابتلت ثيابه الطاهرة جلس تحت شجرة، ونشر ثيابه لتيبس من البلل، فرآه المشركون المعتصمون برءوس الجبال خالياً وحده، فنزل رجل منهم يقال له: غورث أو دعثور بن الحارث نزل بإيعاز من إخوانه المشركين، وكان أشجعهم وأقدرهم على القتال، ومشى حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد سل سيفه وقال: يا محمد! من يمنعك اليوم مني؟ وهمَّ بضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: (الله) فوقع السيف من يده، فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لدعثور : (من يمنعك مني؟) فقال: لا أحد] لا عمه قريب منه ولا أهل القرية، ولا هو يؤمن بالله، إذاً: لا أحد [وأنا أشهد أنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله] فدخل في رحمة الله؛ لأن شجاعته وقدرته على القتال ومراسه الشهور والسنين انهار ولم ينفعه، إذاً: هذا محمد رسول الله.
وهذه آية من آيات النبوة، لاحت في الأفق، وشهد بأنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله؛ لأنه كان يعرف هذا، وأن المسلمين يقاتلون من أجله.
قال: [ووالله لا أكثر عليك جمعاً أبداً] أي: لا أجد جمعاً يتجمع ضدك يريد أن يقاتلك فأقف معهم أكثرهم [فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه فرجع إلى قومه] الرسول صلى الله عليه وسلم أعطاه سيفه: قال: خذه [فقالوا له: ويلك ما لك؟] يعني: لماذا لم تنفذ المأمورية وجئتنا منهاراً، أما بعثناك لتقتل الرجل؟ [فقال لهم: نظرت إلى رجل طويل، فدفع في صدري فوقعت لظهري، فعرفت أنه ملك، وشهدت أن محمداً رسول الله، ووالله لا أكثر عليه جمعاً] أبداً [وجعل يدعو قومه إلى الإسلام، ونزل في هذه الحادثة وفي نظائرها قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ [المائدة:11]].
وهذه الآية لنا أيضاً، فلو مات النبي أو قتل من يندب ويصرخ ويتألم؟ نحن، فكل مؤمن يجب أن يشكر الله على هذه النعمة، وهي نجاة نبينا صلى الله عليه وسلم، وقد حصل هذا عدة مرات والآية واحدة اقرأها في كل حادثة: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ [المائدة:11].
قال: [وعاد صلى الله عليه وسلم مع أصحابه ولم يلقوا -والحمد لله- كيداً] عادوا سالمين ولكن غير غانمين سوى الأجر، فقد خرجوا في سبيل الله يومين أو ثلاثة، والحمد لله وقاهم الله مكر العدو، وكان قائد الحملة هذه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

غزوة الفرع من بحران

الآن مع غزوة الفرع، والفرع على طريق الهجرة الآن، وقد كانت أمنا الصديقة عائشة أم المؤمنين تحج مُفرِدة، وعندما تقضي الحج وتعود تنزل بالفرع لتستريح عشرين يوماً أو خمس عشرة يوماً ثم تعود للعمرة وتعتمر.
كانت فقيهة رضي الله عنها.
قال: [غزوة الفرع من بحران] المنطقة تسمى بحران، وهي قريبة من المهد الآن [ببحران] بهذا المكان [(معدن بالحجاز) ناحية الفُرع تجمع بنو سُليم لقتال النبي صلى الله عليه وسلم] في هذا المكان بنو سليم تجمعوا لقتال الرسول صلى الله عليه وسلم [وعلم صلى الله عليه وسلم بتجمعهم لحربه] عرف بالوسائل المعروفة: المسافرون أو القادمون أو الذاهبون.

.

فالحركة دائمة ليل نهار، وإن شئتم قولوا: بالوحي الإلهي، أو الرؤية فقط الصالحة، فلا عجب! وممكن له رجال -أيضاً- يمشون حول المدينة ويتعرفون إلى الأعداء ولمن يريد أن يكيد ويقاتل.
المهم علم صلى الله عليه وسلم بتجمعهم لحربه [فانتدب أصحابه] والمندوب ضد الواجب، فانتدبهم بكل سهولة ويسر لا بتشدد ولا بإلزام ولا بإيجاب، قال: من أراد أن يخرج معنا فليخرج، هذا هو الانتداب.
والآن نعرف الانتداب في الوظيفة فقط، مثلاً انتدبت الجامعة فلان إلى كذا وكذا.

.

والرسول صلى الله عليه وسلم أمر أن يقاتل وحده، ويحرض المؤمنين على القتال، قال تعالى: فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ [النساء:84] وهنا قالت العلماء -العالمون بالأسرار-: هذه الكلمة تدل قطعاً على أنه لا أشجع من رسول الله صلى الله عليه وسلم في العالم، ومليون عنتر لا يكون مثله، وكيف لا يكون من أشجع الرجال والله عز وجل يكلفه أن يقاتل وحده؟ ولولا علم الله بقدرته وشجاعته وبطولته لما أمره بذلك، وهذا كشفت عنه الوقائع، فأصحاب الألف كالزبير و علي وفلان وفلان .

.

قالوا: كنا إذا حمي الوطيس نلوذ برسول الله صلى الله عليه وسلم، ومعنى نلوذ به: نأتي وراءه، ونحتمي به.

.

اللهم صل عليه وسلم، هذا عبد الله ورسوله.
قال: [وخرج إليهم في ثلاثمائة رجل بعد أن استخلف على المدينة ابن أم مكتوم] وكان رجلاً أعمى يؤذن لصلاة الصبح، واستخلفه مرة قبل هذه في السنة الثانية على المدينة أيضاً، والآن الهابطون واللاصقون بالأرض لو رأوا عالماً أعمى سخروا منه!! أين هبطنا؟ إن ابن أم مكتوم وهو رجل أعمى يستخلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم على إدارة البلاد والعباد، لمعرفته بعلمه وإيمانه وتقواه وعدله ورحمته.
وهو الذي نزل فيه قوله تعالى: عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَى [عبس:1-2]، والسبب أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ذات مرة في مكة في حزم وقوة وعزم يتصدى لرجال قريش وخاصة ذوي المنزل أو المنصب ليستهويهم ويأخذهم إلى رحمة الله، فجاء عبد الله بن أم مكتوم يناديه: يا رسول الله! علمني، والرسول صلى الله عليه وسلم مشغول إما بعتبة وإما بأبي جهل أو بغيرهم .

.

فلا يريد أن يكلمه، ومن ثم نظر إليه وعبس، يعني كأنه قال: دعني أنا في مهمة، فعاتبه ربه عز وجل قائلاً: عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَى [عبس:1-2] ولم يقل: عبست وتوليت، لا، فهذه تؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم، والله لا يريد أذاه بل يريد فقط تربيته وتزكية نفسه، فلو قال: عبست وتوليت، لا يطيقها، ولذا جاء بصورة الغائب، فقال تعالى: عَبَسَ حبيبنا وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَى * وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى * أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى * أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى * فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى * وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى * وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى * وَهُوَ يَخْشَى * فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى * كَلَّا [عبس:1-11] أي: لا تعد لهذا.
وجربوا أنفسكم، هل تتجلى هذه الكمالة فيكم أم لا؟ ومن ثم كان إذا جاء ابن أم مكتوم يقوم له رسول الله صلى الله عليه وسلم ويترك له فراشه إلى جنبه، ويقول: (هذا من عاتبني ربي من أجله!)، ويكفي أن يستخلفه أميراً على المدينة مرتين، وقد قلت لكم غير ما مرة: لو أن شخصاً يُرفع به قضية إلى الأمير، ويُوبخ فيها، فلن ينظر بعد ذلك في وجه من رفع به، بل يلعنه ويشتمه، وهذه هي تجربتنا، فلا عفو ولا صفح ولا إحسان ولا.

.

ولا.

.

؛ وسبب ذلك: أننا ما رُبينا في حجور الصالحين، إن أولادكم يتربون في حجور العواهر: الفيديوهات والتلفاز والأدشاش والرقص والصور البشعة.

.

فينشأ الأولاد على هذا النوع، وأعوذ بالله من مستقبلهم! من جنى عليهم؟ أنتم أيها الفحول؛ لأنكم ما عرفتم، وما علمتم، أتحول بيتك إلى مباءة للشياطين، وتطرد منه الملائكة، ولا لشيء، لا لريال ولا لقرش أبداً.

.

هل تأخذون أجوراً على هذا؟ هل تعلو مراتبكم وتسمو آدابكم وأخلاقكم؟ وهل سمت آداب وأخلاق الكفار الذين صنعوا هذا الباطل وعاشوا عليه؟ أشيروا إلى كمالات لهم؟ إنهم كالبهائم هابطون، إذاً: لم نجري وراءهم نحن؟ آه! لقد أصبحت بيوت كثير من الناس يتعلم فيها الخبث والشر والفساد.
قال: [وسار إليهم، فلما علموا بمسيره إليهم تفرقوا] أما قال صلى الله عليه وسلم: (نصرت بالرعب مسيرة شهر)، وقد تجمع الرومان وأعدوا العدة لغزو محمد النبي الخاتم، فأعدوا ثلاثمائة ألف أو مائتي ألف، وعزموا على أن يزحفوا إلى الحجاز من الشام، فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلن التعبئة العامة: وخرج في اثني عشر ألفاً -والحمد لله- وكانت هذه الغزوة ذات أحداث، فما إن سمع الروم بخروجه حتى انهارت قواهم وعدلوا عن حرب محمد صلى الله عليه وسلم، وعسكر بتبوك على الحدود عشرين يوماً، ثم عاد، وبينما هو عائد لاحلت له المدينة فقال: (هذه طابة، وهذا أحد جبل يحبنا ونحبه)، وقد علمنا هذا من صحيح البخاري، فهل تحبون العلم أم لا؟ وطابة منها الطيب، وعلى الذين يريدون أن يعيشوا فيها على الزنا، والربا، واللواط، والخيانة، والغش، والكذب، وترك الصلاة.
.
أن يرحلوا، فليست هذه بديار فساد، وهذا الكلام قلناه من أربعين سنة، فإذا كنت لا تستطيع أن تستقيم في مكة والمدينة فارحل، واخرج من بلد الله.
ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: (أمرت بقرية تأكل القرى) وصدق رسول الله، فقد أكلت قرى فارس والروم، وسلبتهم تلك السيادة، وسادت المدينة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهد أبي بكر و عمر و عثمان و علي .
.
فمن كان لا يستطيع أن يستقيم عليه أن يرحل، عليه أن ينزل في بلاد أخرى، فالمدينة كالمسجد.
وهل هناك من يسرق في المسجد؟ آه! الآن يسرقون حول الكعبة وفي الروضة؛ لأنهم ميتون، من علمهم؟ من بصرهم؟ من رباهم؟ الجواب لا أحد، فقد تربوا على الباطل والخيانة والكذب وحب الدنيا وزخارفها .
.
إذاً: ما المخرج؟ لِم لا تسألون هذا السؤال؟ لأننا ما زلنا هابطين، وستقولون: لا ندري، أو ما عندنا استعداد لنخرج من هذا أبداً وإن بينت لنا المخرج.
.
وهذا لسان الحال.
والمخرج هو: أن نرجع إلى الله في صدق، وأن نحقق شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويأخذ أهل القرية -سواء في الحجاز أو في الشام أو في اليمن أو في العراق.
.
- قائلين لإخوانهم: من الليلة لا يتخلفن رجل ولا امرأة ولا طفل في قريتنا عن المسجد، فإذا مالت الشمس إلى الغروب أوقف العمل في المزرعة والدكان وفي غيره .
.
ونأتي المسجد ليجلس لنا مرب حكيم، يعلمنا الهدى ويعرفنا بالطريق السوي والنهج القويم المستقيم، وهكذا ليلة يعلمنا آية وأخرى يعلمنا حديثاً، فما إن تغرب الشمس كل يوم إلا والقرية خالية من سكانها، وكلهم في بيت الرب عز وجل! الله أكبر، عرفوا الله، وآمنوا به، وصدقوا وعده ووعيده؛ فاجتمعوا يتعلمون الكتاب والحكمة، فلا تمضي سنة إلا وهم أشباه الملائكة بالتمام، ووالله لتختفين مظاهر الخبث والشر والظلم والفساد بكلها، ويحل محلها الحب، والولاء، والصدق، والوفاء، والطهر، والصفاء .
.
إي نعم.
فالكتاب والسنة يزكيان النفوس ويهذبان الروح والعقل، وقد مضى التاريخ بهذا، فوالله ما رأت الدنيا ولا اكتحل عين الوجود بأمة أطهر ولا أرحم ولا أعدل ولا أصفا من تلك التي كانت تجلس في حجر رسول الله يعلمها الكتاب والحكمة ويزكيها، والواقع عندنا واضح، ويا أهل المجلس سامحوني إذا قلت لكم: والله إن أعلمنا بالله أتقانا له، وأجهلنا هو أفسقنا، ولا نتردد.
فهبوط أمة الإسلام من عرب وعجم سببه الوحيد الجهل، فما علمناهم ولا عرفناهم ولا هديناهم ولا طهرناهم، تجدهم يسلمون ويدخلون في الإسلام وهم لا يعرفون، ونريد منهم أن يصبحوا أولياء لله، كيف يتم هذا؟ أين الإيمان وأين التقوى؟ وعرفنا حال أهل القرى لكي يستقيموا، والآن مع أهل المدن، فكل مدينة ذات سبع مناطق أو ثمانية تلتزم بمبدأ الإيمان بالله الصادق كالقرية.
وينادي فيها يا معشر الإخوان والأبناء! إن شاء الله من الليلة، لا يتخلفن رجل ولا امرأة ولا طفل إلا ذو عذر عظيم، فنجتمع في بيت ربنا ونبكي بين يديه، ونطرح بين يديه، نسترحمه ونطلب هداه، ونطلب معرفته، ونطلب الكمال منه والسعادة .
.
عن طريق تعلم الكتاب والحكمة.
فإذا التزموا بذلك وفي سنة واحدة يصبح ذاك الحي والله ككوكب في السماء بالنسبة إلى ما حوله، فأنواره تلوح، ولا خبث ولا شر ولا فساد ولا شح ولا بخل ولا تكالب على الدنيا.
.
ووالله ليفيض المال.

.
آه! ما المانع أن نفعل هذا؟ ألا نستطيع، سبحان الله! ألا نستطيع وتلك القرية انتهى فيها المنكر والباطل والسوء، وما قاله المربي هو الذي قالوه، وما دعوا إليه هو الذي سمعوه وفعلوه، وتصبح كلمتهم واحدة وقلبهم واحد كمثل رجل واحد، فلا مذهبية ولا طائفة ولا حزبية ولا.
.
ولا.
.
وهل هذا يكلف شيئاً؟ هل يكلف مالاً؟ لا، بل -والله- ليوفر المال.
وهذا والكلام سمعتموه أيها الحاضرون من سنين، فما بلغنا أن أهل قرية اجتمعوا أبداً، وقد قلنا: لو علمنا أن القرية الفلانية أهلها نهجوا هذا المنهج لزرناهم، نتبرك بهم، ونشاهد آثار الرحمة الإلهية عندهم، ولكن لا يوجد من فعل ذلك.
قد أسمعت لو ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تنادي هل بلغكم أن خطيباً في يوم الجمعة في الشام أو العراق أو الحجاز قال: هذا هو المنهج فهيا بنا نجتمع في بيوت الله؟! هل بلغكم أن كاتباً من كتاب الصحف والمجلات كتب وقال: ينبغي أن نطبق هذا؟ هل هناك لجنة قامت وزارت الحاكم وقالت: هيا بنا نطبق هذا المنهج المحمدي؟ ليس هناك من فعل هذا.
إذاً: ننتظر فقط رحمة الله عز وجل.
قال: [وكان هذا مصداق قوله صلى الله عليه وسلم: (نصرت بالرعب مسيرة شهر)، فرجع صلى الله عليه وسلم مع أصحابه ولم يلقوا -والحمد لله- كيداً، وكانت مدة الغياب عن المدينة عشرة أيام] فقط.
وهذه الغزوة غزوة الفرع لها نتائج وعبر، كالعادة نسمعكم إياها.
نتائج وعبر من غزوة ذي أمر

قال: [نتائج وعبر] لهذه الغزوة نُذكِّر بها أنفسنا [إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبراً نوجزها فيما يأتي: أولاً: مشروعية محاربة من يحارب ومسالمة من يسالم] كان الرسول صلى الله عليه وسلم إذا قبيلة من قبائل العرب سالمته سالمها، وإذا حاربته حاربها، وهؤلاء العرب تجمعوا ليضربوه، فلما بلغه ذلك رسمياً من طريق جبريل أو من طريق إنسان ما، ما كان منه إلا أن أعلن التعبئة وخرج بأربعمائة وخمسين رجلاً، ومن هذه الحادثة استنبطنا مشروعية قتال من يقاتلنا، وعدم قتال من لا يقاتلنا.
[ثانياً: مشروعية الخروج إلى العدو وتتبعه؛ إرهاباً له] ما دمنا قد عرفنا أنهم يتململون ويتجمعون نخرج لإرهابهم وتخويفهم.
[ثالثاً: ظهور آية من آيات النبوة المحمدية] والآية هي: العلامة الظاهرة الدالة على الشيء، وآيات النبوة: علامتها الناطقة بها، وآيات القرآن كلها تدل دلالة قطعية على أنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.
.
وإن قلت: ما وجه ذلك؟ وكيف؟ فنقول: إن الآية فيها علم وحكمة ومعرفة، فهل هذا الكلام لم يقله أحد؟ أيمكن هذا؟ أيكون كلام بلا متكلم؟ مستحيل! إذاً: هذه الآية وحدها دالة على وجود الله، ثم على علمه وقدرته وحكمته ورحمته، والذي نزلت عليه لا يكون إلا رسولاً؟ وكيف لا يكون رسولاً؟ مستحيل أن ينزل عليه كلام الله ولا يكون رسولاً، فكل آية من ستة آلاف ومائتين وأربعين آية كلها تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.
وآيات النبوة المحمدية هي المعجزات، فكل حادثة تخرق العادة وليس في استطاعت الناس أن يأتوا بها دالة على نبوته صلى الله عليه وسلم قال: [وذلك بسقوط السيف من يد دعثور ، وإعلان إسلامه، وتعهده بألا يكثر جمعاً ضد رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لِما شاهد من آية نبوته صلى الله عليه وسلم].
[رابعاً: تجلي الرحمة المحمدية في العفو عمن أراد قتله بعد التمكن منه] لأنه جاء ليقتله فانهزم أمامه، وأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم سيفه وعفا عنه، فأي رحمة أكثر هذه؟ ولو كنت أنا أو أنت فعلى الأقل نسبه أو نشتمه، أليس كذلك؟ هذا إذا لم نصفعه، لكن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عز وجل عنه: وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا [الأحزاب:43].
والتجلي هو الظهور، قال تعالى: وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى [الليل:2] أي: ظهر بطلوع الشمس.
[خامساً: بيان حسن عاقبة العفو بعد القدرة على المؤاخذة] من قدر على أن يأخذ ثم عفا بشره بالعاقبة الحميدة، وهذه تجلت في موقف النبي صلى الله عليه وسلم من دعثور ، فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم قادراً على قتله وعفا عنه، وكان من نتائج ذلك أن أسلم دعثور وأخذ يدعو إلى الإسلام.
ولو سبه وشتمه لمشى يألب عليه جماعة أخرى.
فهيا نأخذ بهذا المبدأ إن شاء الله، فإذا شتمك من شتمك قل له: جزاك الله خيراً.

لما هزمت قريش في بدر وقتل سبعون من صناديدها وأسر مثلهم، عرفت عند ذلك أنها لن تكون قادرة على حماية قوافلها التجارية من هجمات المسلمين، حيث كان طريقها يمر قريباً من المدينة، فقررت أن تغير طريقها فصارت تسلك بقوافلها طريق العراق متجهة إلى الشام، فبلغ النبي خروج قافلة لقريش محملة بالفضة، فانتدب لها سرية بقيادة زيد بن حارثة، فادركت السرية القافلة على ماء يقال له القردة، فلما رأى المشركون السرية فروا مخلفين وراءهم القافلة بكل ما تحمل، فساقها زيد راجعاً بها إلى المدينة.

سرية زيد بن حارثة إلى القردة

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.
أما بعد: لنقضي ساعة مع حبيبنا صلى الله عليه وسلم، وقد انتهى بنا الدرس إلى [سرية زيد بن حارثة إلى القردة] وقد اختلف في ضبط هذه الكلمة، وهي عبارة عن ماء يسقي منه العرب.
والسرية: جمع سرايا، وهي مجموعة من المؤمنين ينتدبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويؤمر عليهم أميراً يقودهم إلى غزو قرية من القرى أو بلد من البلدان، أو اعتراض قافلة من القوافل.
هذه السرية كانت ضمن أحداث السنة الثالثة للهجرة، فالسنة الأولى من الهجرة لم يكن فيها غزو ولا جهاد، وقد أقام الرسول صلى الله عليه وسلم بمكة والمؤمنون معه ثلاث عشرة سنة ولم يأذن لهم بالقتال، وما أنزل الله في كتابه آيات الجهاد، ولا أمرهم بأن يقتلوا أو يغتالوا أو يحاربوا أحداً؛ لعلم الله تعالى بضعفهم وقلة قدرتهم على القتال، فكانوا يؤذون ويضربون ويسحبون في الرمضاء في أيام الصيف، ويعيرون ويركلون والرسول يقول لهم اصبروا: (صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة)، كيف وقد كان يؤذى هو صلى الله عليه وسلم وهو يصلي حول الكعبة! لقد أتى عقبة بن أبي معيط -عليه لعائن الله- بسلا جزور ذبح عند الصفا يتقاطر دماً، فلما سجد صلى الله عليه وسلم وضع عقبة السلا بين كتفيه صلى الله عليه وسلم، والمشركون حول الكعبة يضحكون ويتمرغون على الأرض.
.
وتأتي الزهراء فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم بنت خديجة بنت خويلد فتأخذ السلا وتبعده عن ظهر أبيها، وتنالهم سباً وشتماً، ولم يردوا عليها؛ لأنها كانت جويرية صغيرة في السادسة أو السابعة من عمرها.
إذاً: لم يأذن الله تعالى لهم في القتال حتى هاجروا إلى المدينة، وكانت تسمى يثرب في الجاهلية، وعندما حل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وطلعت فيها أنواره ولاحت في الأفق سميت بالمدينة النبوية، ثم حرفها العوام والجهال فقالوا: المدينة المنورة، وهي المدينة النبوية نسبة إلى النبوة المحمدية.
فنزل صلى الله عليه وسلم بها وتقدمه أصحابه، وانتشر الإسلام فيها بصورة عجيبة، فما من بيت فيها إلا وفيه من يؤمن بالله ولقائه، وما إن نزل بالمدينة صلى الله عليه وسلم بدار بني عوف بن عامر بقباء وقضى بينهم سبعة أيام إلى عشرة أيام حتى بنا مسجد قباء، ولا تعجبوا! وجمعهم على الكتاب والحكمة، ثم أذن له بالدخول إلى المدينة، فدخلها وهو على ناقته القصواء، وأهل البيوتات يستقبلونه في طريقه فيقولون: انزل رسول الله في خير منزل! يريدون أن ينيخوا ناقته فيقول: (دعوها فإنها مأمورة)، حتى وصلت إلى الروضة، وكانت عبارة عن خرائب وقبور جاهلية وفيها بعض النخيل، فلما وصلتها بركت الناقة، وأمامها بيت الصاحب الذي فاز بنزول رسول الله صلى الله عليه وسلم عنده وهو أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه.
وإليكم العجيبة: نزل الرسول صلى الله عليه وسلم في بيت أبي أيوب الأنصاري بالغرفة السفلية، وكان أبو أيوب وأهله في الغرفة العلوية، فما أطاق أبو أيوب أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم تحته وهو فوقه، فجاء يعتذر ويقول: يا رسول الله! اطلع إلى العلية ونحن ننزل إلى السفلية، وعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حب الرجل وإيمانه وصدقه، فامتنع عن ذلك وعلل للامتناع بأن المؤمنين يفدون عليه ويدخلون في كل ساعة، يسألون ويسلمون، فكونه في الأسفل خير وأوسع وأرحم، فطابت نفس أبي أيوب الأنصاري .
وبنى صلى الله عليه وسلم المسجد وكان -والله- يحمل اللبن على كتفه، وهو ينشد: اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة، فاغفر اللهم للأنصار والمهاجرة، وتم بناء المسجد الخالد الذي به روضة من رياض الجنة، ولا تسألني كيف ذلك، فعقولنا قاصرة -والله- لا تدرك ذلك، فما عليك إلا أن تؤمن أنها روضة من رياض الجنة.
المفاضلة بين مكة والمدينة وأقوال أهل العلم في ذلك

هنا لطيفة أقدمها للحجاج والزائرين ما سمعوها ولا عثروا عليها في كتاب، وهي: أن الله تعالى قال في سورة الكهف من خاتمتها في أهل الجنة: لا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا [الكهف:108]، فأهل الجنة يعيشون ملايين السنين لا ترغب نفس أحدهم أن تتحول عما هي فيه، ونحن الذي يعيش منا في القاهرة يود لو رأى دمشق، والذي يعيش في دمشق آه لو زار صنعاء، والذي في باريس يقول: آه ليته عرف برلين.
أما أهل الجنة فلا يبغون عنها حولاً.

إذاً: هذه روضة من الجنة كما أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فآمن يا عبد الله ولا تسأل؛ إذ قال صلى الله عليه وسلم: (ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة)، ووالله لقد رأينا المؤمنين وهم يغادرون المدينة يذرفون الدموع، ويبكون بأعلى أصواتهم حنيناً إلى المدينة وألماً لفراقها، وعرفنا رجالاً ونساء لو تعطيهم ما شئت أن تعطيهم في الشرق والغرب على أن يتركوا المدينة والله ما تركوها، ولو توجتهم ملوكاً، أو نصبتهم وزراء على أن يفعلوا ذلك ما فعلوه!! ما هذه الجاذبية؟ إنها روضة من رياض الجنة، وأهل الجنة لا يبغون عنها حولاً، يقول تعالى: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا * خَالِدِينَ فِيهَا لا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا [الكهف:107-108].

اختلف العلماء في هل المدينة أفضل أم مكة؟ فمالك رحمه الله ومن وافقه من رجاله وتلامذته ومشايخه يقول: المدينة أفضل.

والجمهور كأحمد و الشافعي و أبي حنيفة يقولون: مكة أفضل.

ونحن ماذا عسانا أن نقول؟ نقول كما قالوا ولا نجزم.

ولدينا لطيفة فتح الله بها علينا نقول فيها: يا عبد الله! ويا أمة الله! إن كنت قادراً على العبادة والصيام والقيام فانزل بمكة، فإن العبادة فيها تضاعف أضعافاً مضاعفة، فالصلاة الواحدة بمائة ألف صلاة، فمتى كنت قادراً على العبادة من الصيام والقيام فمكة أفضل لك، ويوم أن تعجز عن العبادة لكبر سنك أو ضعف قدرتك أو عجزك فتعال إلى المدينة، فالمدينة خير لك؛ وذلك لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (من استطاع منكم أن يموت بالمدينة فليمت بها، فإني أكون له شاهداً أو شافعاً يوم القيامة).

وهذا عمر بن الخطاب تسمعه حفصة ابنته -أمنا معشر المؤمنين- يقول: اللهم إني أسألك شهادة في سبيلك وموتاً في بلد رسولك! فتعجب حفصة وتقول: أبتاه كيف تموت في المدينة وتستشهد! يعني: ميادين الجهاد خارج الجزيرة، في حدود فارس والروم، فكيف تحصل على الشهادة وتموت بالمدينة، فيقول لها: اسكتي يا حفصة ! إن فضل الله واسع وعظيم، واستجاب الله لـعمر فقتله أبو لؤلؤة المجوسي بعد أن طعنه في محراب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو راكع والأمة من ورائه، فاستشهد في مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أين ما فهمت حفصة رضي الله عنها؟! لقد استجاب الله لعبده وأعطاه سؤاله، وأين دفن عمر ؟ في حجرة الصديقة إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجمع الله له بين الشهادة والموت في مدينة رسول الله، أبعد هذا تسألني عن فضل المدينة؟ إن فضلها عظيم، ومع هذا نصرح من أربعين سنة وزيادة ونقول: أيها المواطنون! من لم يستطع منكم أن يستقيم في المدينة فليرحل عنها، ولينزل حيث يفجر أو يظلم أو يفسق أو يخرج عن طاعة الله، أما أن يفعل ذلك في هذا البلد، فلا فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول: (المدينة حرام من عائر إلى ثور) فأحد في الحرم وثور جبل وراءه، وعير هذا الجبل الأسود، إذا خرجت يلوح لك يكتنفها جنوباً وغرباً و(المدينة حرام من عائر إلى ثور من أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً)، فالذي لا يستطيع أن يستقيم فيها عليه أن يرحل، وينزل في بلد آخر، والمدينة تنفي خبثها كما ينفي الكير خبث الحديد، والرسول صلى الله عليه وسلم أخبر والواقع شاهد، فكم من خبيث نفته.

إذاً: من كان قادراً على الصيام والقيام وفعل الخيرات والصالحات فعليه بمكة، ومن شاخ وكبر أو مرض وعجز فعليه بالمدينة ليموت بها؛ لأن من مات بها فاز بأعظم جائزة، لقوله صلى الله عليه وسلم: (من استطاع منكم أن يموت بالمدينة فليمت بها، فإني أكون له شاهداً أو شفيعاً يوم القيامة)، وهذه ضمانة لدخول الجنة.

إذاً: بعد هذا التجوال عرفنا المدينة، وعرفنا أن السنة الأولى من الهجرة لم يكن فيها جهاد، والسنة الثانية كانت غزوة بدر، ويا لها من غزاة، التقى فيها ثلاثمائة وأربعة عشر رجلاً جاهدوا وقاتلوا تسعمائة بطل وصنديد من صناديد قريش وهزموهم، ومن أراد أن يعرف ذلك فليقرأ سورة الأنفال ففيها البيان والتفصيل، ولما انتهت غزوة بدر خاف المشركون صولة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم وبدأت الحرب .

ترجمة قائد السرية زيد بن حارثة وقصة زواجه من زينب بنت جحش

قال: [سرية زيد بن حارثة إلى القردة] وهو زيد بن حارثة الكلبي نسبة إلى قبيلة كلب، وشأنه عجيب، فقد سبي أيام كان العرب يغزو بعضهم بعضاً، والقوي يأكل الضعيف، وبيع في مكة كعبد وهو عربي قح، فاشتراه ابن أخي خديجة ووهبه لها يخدمها، فتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة فوهبته زيداً ، فكان زيد عبد محمد صلى الله عليه وسلم، وتمضي الأيام ويجيء أبوه وعمه للحج أو العمرة، فيجدان زيداً في مكة ويعرفانه ويسألانه: أنت زيد بن حارثة ؟ فيقول: نعم، ويخبرانه بأنهما أبوه وعمه.

ثم أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلبون منه أن يمنحهم ولدهم ويرده عليهم بالمال أو بغيره، فقال لهم الحبيب صلى الله عليه وسلم: نخيره فإن اختارني عليكما لا أفرط فيه ولا أسلمه لكم، وإن اختاركما فهو لكما .

وهذه هي العدالة.

ثم قال: يا زيد ! هذا عمك وأبوك وأنا من تعرف، فهل تذهب معهما أو تبقى معي؟ فقال: لا أستبدل بك غيرك! فقال إذاً: اذهبوا واتركوه، ومشى رسول الله صلى الله عليه وسلم في أسواق مكة، يعلن أن زيد بن حارثة أصبح ابناً لمحمد قبل النبوة، فتبناه وأصبح يعرف بـزيد بن محمد الذي آثره على عمه وأبيه، وكان مكافأة رسول الله له بأن تبناه، والتبني كان شائعاً ذائعاً عند العرب يومئذ.

وسبحان الله تمضي الأيام وينبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأتي الرسالة ويبقى زيد يعرف بابن محمد، وهاجر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، وهاجر زيد ، وأراد الله تعالى أن يبطل عادة التبني الشائعة في بلاد العرب، فماذا يصنع رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ تلقى الأوامر والتعاليم من ذي العرش، فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب زينب بنت عمته أخت عبد الله بن جحش وهي

ثيب وليست ببكر، فقد تزوجت في مكة وتطلقت في الجاهلية، فلما خطبها -وكان صلى الله عليه وسلم أشد حياء من البكر في خدرها بشهادة أصحابه- كلمها في خفاء بصوت هادئ، وما استطاع أن يفصح من شدة حيائه.
وبين قوسين: (كيف بناتكم وأبناؤكم اليوم الذين يجلسون أمام التلفاز والفيديو يشاهدون العواهر يرقصن ويغنين، هل بقي في هؤلاء الأولاد حياء؟) آه! يا أصحاب الصحون الهوائية التي تجلب كل ألوان الخبث والشر والفساد، كيف نساؤكم وأولادكم؟ امرأة وفي هذه الأذن تقول لي بالتليفون: ماذا نصنع يا شيخ؟ ابني يفجر بأخته، وآخر يقول: ولدي يفجر بأخيه.
كيف تعلموا هذا وعرفوه؟ هل كان يخطر ببالهم أو يعرض لهم خيالاً في خيالاتهم؟ والله ما كان، ولكنا طردنا الملائكة من بيوتنا وأبحناها للشياطين فنزلوها، وأتينا بعوامل وأسباب الخبث، وأصبحت البنت تشاهد الرجل يقبل المرأة ويضمها إليه وهي تكشف عن سوأتها، فتعلم البنات والبنون السوء والفحش، وما زلنا سكارى لا نفقه ولا نعلم ما نقول.
والله لو كان هناك إيمان حق، وسمع أحد بهذه الحوادث لذهب الآن إلى بيته ورمى بذلك الدش، وأخرج ذلك التلفاز من بيته، ولكن إيماننا هابط إلى حد الضياع، فلا يزن خمسة في المائة، فلا تجد من يستطيع ذلك.
أين الحياء و(الحياء من الإيمان)! ففهمت زينب أن الرسول صلى الله عليه وسلم يخطبها لنفسه، ففرحت وهشت، وكيف لا وستصبح غداً أم المؤمنين؟! وما هي إلا سويعات حتى تبين لها أن الرسول صلى الله عليه وسلم يخطبها لابنه بالتبني زيد بن حارثة ، فقالت: لن يكون هذا.
فهي شريفة من سادات النساء كيف تتزوج مولى من الموالي؟ وأخوها البطل عبد الله بن جحش أول من قاد سرية في الإسلام وقف إلى جنبها وقال: شرفنا قبل كل شيء، أيتحدث الناس ويقولون: زينب بنت جحش المخزومية تزوجها مولى من موالي الناس؟ لن يكون هذا.
إذاً: ماذا يصنع رسول الله وهو مأمور لحكمة عالية؟ ما هي إلا ساعات ونزل البيان الإلهي الآتي: وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ أي: لا زينب ولا أخوها إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالًا مُبِينًا [الأحزاب:36] والله ما إن نزلت الآية وتليت في البيوتات حتى اطرحت زينب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم يزوجها من شاء، وفعل ذلك أخوها عبد الله ، وتزوج زيد بن حارثة مولى رسول الله زينب بنت جحش المخزومية القرشية.
هل بقي للشرف والمكانة الاجتماعية قيمة؟ إذاً أراد الله أن يبطلها!.
ولما حرمت الخمر كذلك -والله- جرت أزقة المدينة بها؛ لأنهم كانوا يدخرونها ويعتّقونها بالسنة والسنتين في القلال والقرب، فلما حرّمت كان المؤمن يأخذ القربة ويدفقها عند الباب، ويأتي بالبرميل ويدفقه، حتى جرت أزقة المدينة بالخمر.
هذا هو الإيمان!! إذاً: تزوج زيد زينب ولم يطق ذلك فهي شريفة وهو مولى، ولم يسعد بها، وكان يأتي رسول الله يشتكي قائلاً: يا رسول الله! ما أطيق البقاء معها، تراني دونها وهي أعلى مني! فيقول له النبي صلى الله عليه وسلم: اتق الله يا زيد واصبر لحكم الله وقضائه، ثم نزل قوله تعالى: فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا [الأحزاب:37] تدبير من هذا؟ إنه تدبير العليم الحكيم.
فطلقها زيد برضاه؛ لأنه ما طاق البقاء معها لشعوره بالضعف وقوتها، فلما طلقها زوّجها الله جل جلاله من فوق سبع سماوات محمداً رسوله ونبيه، وكانت رضي الله عنها تفاخر نساء الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك وتقول: (ما منكن إلا وتولى عقدها أبوها أو أخوها، وتولى عقد نكاحي ربي جل جلاله وعظم سلطانه).
ومن ثم بطل التبني، وأصبح المتبنى أخاً في الإسلام وليس بابن أبداً، وزوجته يتزوجها من كفله ولا حرج، وفي هذا قرآن كريم من سورة الأحزاب، يقول تعالى: النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ [الأحزاب:6] إلى آخر الآيات.
والشاهد عندنا: انظر كيف جزى الله زيداً ، وكيف جزى زينب ، فالمعروف لا يضيع عند الله! وإياك أن تفهم أنك تصنع معروفاً لوجه الله ثم هو يهملك أو يفقدك الأجر، مستحيل! فالمعروف لا يضيع عند الله! زيد لما صبر وتحمل جزاه الله بميزة وفضيلة وشرف وهو أنه ذُكر باسمه العلم في القرآن الكريم، ولم يذكر صحابي آخر غيره، فلم يذكر عمر ولا الصديق ولا علي ولا الحسن ولا الحسين ، قال تعالى: فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا [الأحزاب:37] فأي شرف أعظم من هذا الشرف؟ والسبب أنه كان كبش فداء، وقدم نفسه كالضحية من أجل أن يُحق الله الحق، فجزاه الله بأن ذكره باسمه العلم في كتابه، والنساء والرجال من ألف وأربعمائة سنة وإلى قيام الساعة وهم ينطقون بـزيد .
و زينب شرّفها لا بأنها أصبحت أم المؤمنين فقط، ولكنّ الله تولى عقد نكاحها بنفسه، فما هي إلا ساعة والرسول صلى الله عليه وسلم يدعو أهل المسجد إلى الطعام، طعام عرس زينب رضي الله عنها.
إذاً: عرفنا من يكون زيد بن حارثة ، فهو الذي أعطاه الرسول القيادة في هذه الغزوة.

سبب تسيير النبي صلى الله عليه وسلم سرية زيد بن حارثة إلى القردة

قال: [لما هزمت قريش في بدر] وقتل سبعون صنديداً وأسر من رجالاتها مثل ذلك [وعرفت أنها غير قادرة على حماية قوافلها التجارية عبر طريق قوافلها القديم] لأنهم كانوا يأتون مع الساحل من الشام إلى مكة [والذي كان يمر قريباً من المدينة إلى مكة: غيّرت طريقها الأول] إنها السياسة، فقد أصبح هذا الطريق مشبوه، قد يعترضهم فيه محمد ورجاله آخذين القوافل بما فيها.
إذاً: غيروا طريقاً آخر.
[وصارت تسلك طريق العراق إلى الشام، وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم] كيف بلغه؟ إما بالوحي والإعلام الإلهي، أو برجالات العرب [كما بلغه أن عيراً لقريش تحمل كميات هائلة من الفضة] قناطير من الفضة تحملها قافلة قريش [وأنها سلكت طرق العراق] لتبتعد عن ساحة المدينة [انتدب لها سرية من أصحابه بقيادة زيد بن حارثة حب الحبيب صلى الله عليه وسلم ومولاه، فسار زيد مع أفراد سريته

حتى انتهوا إلى ماء يقال له: (القردة) وعليه عير قريش] نازلة حول الماء تشرب إبلها ورجالها [فهرب أهل القافلة] شردوا؛ لأن من جاءهم مؤمن معه الله، فانهزموا بمجرد أن عرفوا [وهم أبو سفيان بن حرب و صفوان بن أمية وآخرون] وأبو سفيان رضي الله عنه أسلم بعد ذلك، ولكن كان رئيس مكة وقائدها [وغنم زيد مع رجاله القافلة بما فيها] قناطير الفضة، والفضة غالية [وأسروا معها الدليل] الذي كان يقود القافلة ويدلها على الطريق الصحراوية [وهو فرات بن حبان من بني بكر بن وائل استأجره أبو سفيان ليدلهم على مسالك الطريق الجديد لقوافلهم] أي: أسروا مع الفضة خريتاً جغرافياً.

قال: [ولما وصل زيد] المدينة [سلم الغنائم إلى النبي صلى الله عليه وسلم] وهل أخذ منها زنبيلاً أو كيساً أو غرارة؟ حاشاه، فقد ارتفعوا عن ذلك، ولو كانت عندنا لأخذوا ربعها عند الجمارك [ومنها الأسير فرات بن حبان الوائلي] فأعطى الفضة والأسير للنبي صلى الله عليه وسلم [وأسلم فرات وحسن إسلامه] فهنيئاً له، أخذ أسيراً فأصبح أميراً بدخوله في رحمة الله رضي الله عنه وأرضاه [وقسم الرسول صلى الله عليه وسلم الغنائم بعد أن خمّسها] لأن التخميس كان بعد غزوة بدر، بعد أن اضطرب الصحابة في قسمة الغنائم اضطراباً كبيراً، ثم نزل القرآن يبين ويفصل ذلك، قال تعالى: وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ [الأنفال:41] وأربعة أخماس للمجاهدين، خمس لله وللرسول وللفقراء والمساكين واليتامى، والأربعة أخماس للمجاهدين [فكان الخمس عشرين ألف درهم] إذاً مجموعها مائة ألف درهم [وقال في هذه الغزوة المظفرة حسان] ابن ثابت شاعر الحبيب صلى الله عليه وسلم [شعراً هذه أبيات منه: دعوا فلجات الشام قد حال دونها جلاد كأفواه المخاض الأوارك بأيدي رجال هاجروا نحو ربهم وأنصاره حقاً وأيدي الملائك إذ سلكت للغور من بطن عالج فقولوا لها: ليس الطريق هنالك].

نتائج وعبر من سرية زيد بن حارثة إلى القردة

قال: [نتائج وعبر: إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبراً نوجزها فيما يأتي: أولاً: بيان مدى أثر هزيمة قريش في بدر] عدلت عن طريق قوافلها من ألف سنة إلى طريق جديد، خافت مِن من؟ من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فعدلت عن طريقها القريب إلى آخر بعيد [حتى أصبحت في رعب وخوف لا نظير لهما] ولم اليهود الآن لا يرعبون ولا يخافون منا؟ وقريش بصناديدها وأبطالها الذين يضرب بهم المثل انهزموا وأصيبوا بالرعب والخوف من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، هناك ألف مليون مسلم الآن لا تخافهم إسرائيل ولا ترهبهم ولا ترتعد منهم، بل تتبجح وتعلن ما تريد أن تعلن.

من يفسر لنا هذه الظاهرة ونعطيه جائزة؟ يقول المجيب جزاه الله خيراً -وهذه هي الجائزة وزاده الله علماً- قال: لأن إيماننا الآن لا يوزن بإيمان الصحابة ولا (1 %)، فلو عاد الإيمان إلى قلوبنا وارتفعت هممنا وتنزهنا عن الشهوات والأطماع والأوساخ وقلنا: الله أكبر -والله- لارتعدت فرائص اليهود ورحلوا، ولا يقفون أمام قتالنا، لكن هبطنا.

وهذا هو السر.

[ثانياً: فضيلة زيد بن حارثة لاختياره لهذه السرية المظفرة قائداً ناجحاً] اختاره الرسول صلى الله عليه وسلم قائداً فهنيئاً له، قائد وناجح ومظفر.

[ثالثاً: مشروعية تخميس الغنائم وتنفيذ ذلك] والغنائم الآن انتهت فليس عندنا غنائم، ولكن هم يغنموننا، لكن إن عدنا وغزونا في سبيل الله لإعلاء كلمة الله وأخذنا الغنائم فإنها تقسم كما سمعتم: الخمس (20%) لإمام المسلمين يعيش عليها الفقراء والمساكين ومن إليهم، وأربعة أخماس للمجاهدين، ومن كان له مفعول في الحرب كصاحب طيارة نفاثة، أو دبابة فإنه يأخذ خُمُسين، والذي على رجليه أو دابته أو دراجة يعطونه نصف الأول، والأولون كان فيهم صاحب الفرس يأخذ حظين: حظ لفرسه وآخر له، والمشاة يأخذون بحظ واحد؛ لأن صاحب الفرس له مفعول أكثر في المعركة، ثم هو ينفق على فرسه أيضاً، فيعطى حظين، والماشي يعطى حظاً واحداً إلى اليوم.

[رابعاً: بيان أن النبي صلى الله عليه وسلم كثيراً ما كان يكلف المهاجرين دون الأنصار في شأن الغزو والحرب خارج المدينة] كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أراد غزوة أو أعد لسرية من السرايا لا يطلب الأنصار من أهل المدينة، ولكن يطلب فقط المهاجرين، حتى لا يقول المنافقون: انظر! يترك بني عمه ووطنه ويأخذ أهل المدينة ليموتوا، فكان صلى الله عليه وسلم لا يخرج الأنصار أبداً، ولكن يأخذ مجاهدين من أهل مكة من المهاجرين.

هذا أولاً.

وثانياً: [نظراً إلى بنود بيعة العقبة] وهي بيعة الرسول صلى الله عليه وسلم لثلاثين من أهل المدينة في مكة، بل في جمرة العقبة، فقد تمت الاتفاقية على أنهم لا يقاتلون معه خارج المدينة، ولكن من غزاه في المدينة يقفون إلى جنبه، أما خارج هذه الساحة فلا يقاتلون معه، فطبق النبي صلى الله عليه وسلم هذه المادة، ومع هذا لو قال لأهل المدينة: اخرجوا لخرجوا بنسائهم ورجالهم.

هذا والله تعالى أسأل أن يرد إلينا إيماننا ليرهبنا العدو، وترحل الشياطين من نفوسنا، وتحل الملائكة في بيوتنا، ولا يُرى فينا إلا الطهر والصفاء، فلا خيانة ولا غش، ولا حسد ولا كذب، ولا فسق ولا فجور، ولا ظلم ولا شر.

وكأننا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، اللهم حقق لنا هذا إنا طالبوه.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

بعد هزيمة قريش في بدر أرسل رسول الله زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة إلى المدينة يسبقون الجيش بالبشرى، فلما رآهما كعب بن الأشرف تأسف على قتل صناديد قريش، وأظهر العداء لله ولرسوله، وأخذ يؤذي رسول الله بشعره، ويشبب بنساء المؤمنين، فانتدب له رسول الله رجالاً من المسلمين لقتله، فخرج محمد بن مسلمة وأبو نائلة وثلاثة رجال معهما، وأعدوا خطة للانفراد بكعب بن الأشرف خارج حصنه، عليه وسلم.

سرية محمد بن مسلمة لقتل كعب اليهودي

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.
أما بعد: فلنقض ساعة مع حبيبنا صلى الله عليه وسلم، وها نحن مع [سرية محمد بن مسلمة لقتل كعب اليهودي] عليه لعائن الله، ها نحن مع رسولنا صلى الله عليه وسلم وأصحابه في تلك الأيام الزاهرة، وهذا فضل الله علينا أن جمعنا في بيته ووضع بين أيدينا سيرة حبيبه لنعايشه هذه الساعة المباركة، هذا فضل الله، والله ذو الفضل العظيم.
قال: [لما انهزمت قريش في بدر] وبدر غزوة تقدم بيانها وتفصيل ما فيها، تلك الغزوة التي قاتلت فيها الملائكة، ونصر الله رسوله والمؤمنين، وكانت هزيمة مرة للمشركين؛ إذ قتل منهم سبعون صنديداً، وأسر منهم سبعون.
إذاً: قال المؤلف غفر الله له ولكم ورحمه وإياكم وسائر المؤمنين [وجاء البشيران من قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم] جاءوا من بدر يحملان البشرى لأهل المدينة، وهما [زيد بن حارثة و عبد الله بن رواحة] انفصلا عن المعسكر المحمدي وأسرعا في القدوم إلى المدينة يحملان بشرى النصر للمؤمنين [فبشرا] أي: المؤمنين والمؤمنات [بنصر المسلمين وهزيمة المشركين في بدر] فليس عندهم إذاعة ولا تلفون آنذاك.
[وبلغ ذلك كعب بن الأشرف الطائي الأصل] من قبيلة طيء ولكن تهود فهو يهودي [اليهودي العقيدة ابن النضرية اليهودية] أمه يهودية، لكن هو من قبيلة طيء العربية وتهود [لما بلغه ذلك] أي: التبشير بالنصر وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه انتصروا على المشركين في بدر [قال: والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم -يعني: أمية بن خلف و أبا جهل و عتبة بن ربيعة - لبطن الأرض خيرٌ من ظهرها] يعني: نموت أحسن من أن نبقى أحياء؛ لأنه كافر متمرد [وكشر عن نابه كالكلب العقور] يحمل الضغينة في نفسه والانتقام [وأخذ يسب النبي صلى الله عليه وسلم] يهودي خبيث [ويتشبب بنساء المسلمين] والتشبب في النساء: التغزل فيهن بألفاظ وقصائد شعرية، بمعنى: إهانة نساء المؤمنين وعدم احترامهن [ثم ذهب إلى قريش] ما صبر [يستعدي رجالها على حرب النبي صلى الله عليه وسلم، فاستضافوه] أنزلوه ضيفاً عليهم، وهذا العمل الآن يقوم به اليهود، فليس هذا اليهودي الأول فقط [واجتمعوا عليه] في مكة [وهو يسب النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين] بلسانه الطلق العربي [وسألوه عن دينهم فقال: إن دينكم خير من دين محمد صلى الله عليه وسلم] سألوه هل نحن على حق، وهل ديننا دين حق؟ أو ماذا ترى يا عالم اليهود؟ فقال: إن دينكم خير من دين محمد صلى الله عليه وسلم [وكذب اللعين] حقاً [وغش] كذب في قوله وغش العرب في مكة وما نصح، وهو يعلم أن دين محمد هو الدين الحق، ولا دين حق سواه، لا اليهودية ولا النصرانية ولا المشركين [فنزل فيه قرآن من سورة النساء] وفضحه [وهو قوله تعالى] بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا [النساء:51]] فمزق الله حيلته، وأبطل كلامه ومسخه.
أَلَمْ تَرَ أي: ألم ينته إلى علمك يا رسولنا إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ شيئاً من التوراة يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وعبادة الأوثان وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وهم قريش هَؤُلاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا يعني: دينهم أعز وأحسن من دينكم.
قال: [ولما عاد إلى المدينة، وأوحى الله تعالى إلى رسوله بما قاله كعب وما فعله، وما عزم عليه، الأمر الذي استوجب قتله] على هذا المكر، وهذه الخديعة، وهذا الاتصال بالمشركين، والتمدح بدينهم، وتفضيله على الإسلام ورسوله [بنقضه -أولاً- العهد] لأن الرسول لما دخل المدينة عقد مع اليهود عقداً وقد مر بنا بنصوصه.
ثانياً: [وتأليبه الأعداء] وتحريضهم وجمعهم [على قتال المسلمين] فاستوجب القتل لنقض العهد أولاً، وثانياً: لتأليبه المشركين على المسلمين[فقال الرسول صلى الله عليه وسلم لبعض أصحابه: (من لي بابن الأشرف)] أي: من لي منكم يأتيني بكعب بن الأشرف أو يقتله؟ وحرض النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بهذه الكلمة [فقال محمد بن مسلمة أخو بني عبد الأشهل] من الأنصار [أنا لك به يا رسول الله، أنا أقتله، قال (فافعل إن قدرت على ذلك)] واليهود يتمزقون إلى اليوم، يقولون: كيف يبيح محمد قتل المعاهدين؟ وكعب هو الذي نقض العهد، وألب المشركين، وسب النبي صلى الله عليه وسلم وتغنى بنساء المسلمين فهل يصح بقاؤه بعد ذلك؟ [فقال: يا رسول الله! إنه لابد لنا من أن نقول] أي: غير الصدق والحق، والحرب خدعة، يعني: لابد أن نمدحهم، أو نذم المسلمين، أو لابد من حيلة حتى نتوصل بها إلى قتل هذا الطاغية [قال صلى الله عليه وسلم: (قولوا ما بدا لكم)] يعني: الثلة الذين تخرج إلى قتل هذا الطاغية [(فأنتم في حل من ذلك)] ما هناك محرم عليكم ولا ممنوع؛ لأنكم تؤدون واجب الإسلام والمسلمين.
وقد قرر النبي صلى الله عليه وسلم هذا في حديث: (الحرب خدعة).

قال: [فاجتمع على قتله محمد بن مسلمة و سلكان بن سلامة وهو أخو كعب من الرضاعة، و عباد بن بشر ، و الحارث بن أوس ، و أبو عبس بن جبر أحد بني حارثة، وساروا نحوه] مجموعة تبرعت بقتله [ولما كانوا بمقرب من قصره] له قصر وراء قباء [قدموا سلكان بن سلامة أبا نائلة أمامهم] قالوا: امش أنت أمامنا [فذهب فأتى كعباً في قصره، فجلس إليه ساعة، وتحدث معه، وتناشدا الشعر، وكان كل منهما يقول الشعر، ثم قال سلكان : ويحك يا ابن الأشرف ! إني قد جئتك لحاجة أُريد ذكرها لك، فاكتم عني] يعني: إني قد جئتك لحاجة عظيمة، أريد ذكرها لك، فاكتم عني ولا تحدث بها أحداً [قال: افعل] أي: حدث وأذكر حاجتك [قال: كان قدوم هذا الرجل علينا بلاء] يعني: النبي صلى الله عليه وسلم [عادتنا العرب ورمتنا عن قوس واحدة، وقطعت عنا السبل حتى ضاع العيال، وجهدت الأنفس] يشكو إلى كعب [قال: كعب أنا ابن الأشرف ، أما والله لقد كنت أُخبرك -يا ابن سلامة - أن الأمر يصير إلى ما تقول.
قال سلكان : إن أردت أن تبيعنا طعاماً] يعني: أردت في مجيئي هذا أن تبيعنا طعاماً [ونرهنك ونوثق لك] أي: نضع عندك رهناً ووثاقاً [قال: كعب : أترهنوني أبناءكم؟] تضعون أولادكم عندي رهينة [قال سلكان : لقد أردت أن تفضحنا، إن لي أصحاباً على مثل رأيي، وقد أردت أن آتيك بهم، فتبيعهم وتحسن في ذلك، نرهنك من الحلقة ما فيه وفاء، وأراد سلكان أن يعمي عليه، فلا ينكر السلاح إذا جاءوا به] أراد التعمية عليه؛ حتى إذا شاهد السلاح معهم لا يتأثر [فقال لكعب : إن في الحلقة -السلاح- لوفاء.
ورجع سلكان إلى أصحابه فأخبرهم خبره، وأمرهم أن يأخذوا السلاح، ثم ينطلقوا، فيجتمعوا إليه، فاجتمعوا إليه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج معهم إلى بقيع الغرق، ثم وجههم قائلاً: (اللهم أعنهم)، ثم رجع النبي صلى الله عليه وسلم، ومضوا هم حتى انتهوا إلى حصن كعب ، فهتف به أبو نائلة سلكان فنزل في ملحفته] الملفوف فيها [وهو حديث عهد بعرس] أيام عرسه [فأمسكت به امرأته وهو خارج] من المنزل [فقالت له: إنك امرؤ محارب، فكيف تنزل في هذه الساعة؟] كانت ذات بصيرة [فقال لها: إنه أبو نائلة] أخي من الرضاعة [لو وجدني نائماً لما أيقظني.
فقالت له: والله إني لأعرف في صوته الشر].
قال: [فلم يلتفت كعب إلى قولها.
ونزل وتحدث مع أبي نائلة ساعة] من الزمن [ثم قال له أبو نائلة : هل لك يا ابن الأشرف أن نتماشى إلى شعب العجوز] مكان يسمى شعب العجوز [فنتحدث بقية ليلتنا هذه؟ قال: إن شئتم فخرجوا يتماشون، فمشوا ساعة ثم إن أبا نائلة أدخل يده في فود رأس كعب] في شعره [ثم شم يده، فقال: ما رأيت كالليلة طيباً أعطر قط] من هذا، بعد أن أدخل يده في شعر رأسه وشمه قال له: ما رأيت اليوم أو كالليلة أعطر قط من هذا [ثم مشى ساعة، ثم عاد لمثلها حتى اطمأن كعب] إلى أنه -حقيقة- فرح به ويحبه ويشم طيبه [ثم مشى ساعة، ثم عاد لمثلها وأخذ بفود رأسه] أي: رأس كعب [وقال: اضربوا عدو الله، فضربوه فاختلفت عليه أسيافهم فلم تغن شيئاً، قال أبو نائلة : وذكرت مغولاً في سيفي حين رأيت أسيافنا لا تغني شيئاً، فأخذته فوضعته في ثُنيته] وهو موقع ما بين السرة والعانة في الإنسان [وقد صاح عدو الله صيحة ما بقي حصن إلا وقد أوقدت عليه نار] إعلام بالحرب أو بالفتنة [فوقع عدو الله على الأرض هالكاً.
فغادرناه صريعاً] على الأرض [ومضينا، وكان قد جرح الحارث أصابته سيوفنا] لما ضربوا بالسيوف تلاقت فأصيب أخوهم.
قال: [فحملناه -ومعه نزيف من جرحه- حتى انتهينا إلى المدينة، فوجدنا النبي صلى الله عليه وسلم فسلمنا عليه، فخرج إلينا فأخبرناه بقتل عدو الله، وتفل صلى الله عليه وسلم على جرح صاحبنا فشفاه الله تعالى] تفاله صلى الله عليه وسلم كان بلسماً شافياً [فعدنا إلى بيوتنا] العملية كانت بالليل [وأصبح كل يهودي خائفاً على نفسه] ما دام طاغيتهم تحطم، أصبح كل يهودي خائفاً على نفسه يرتعد.
هذه هي سرية محمد بن مسلمة خرجت من المدينة إلى قصر كعب بن الأشرف وكانوا حوالي خمسة أنفار حتى قتلوا كعب بن الأشرف اليهودي.

نتائج وعبر من قتل كعب بن الأشرف اليهودي

قال: [نتائج وعبر: إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبراً نجملها في الآتي: أولاً: -اذكر يا عبد الله- مشروعية الاحتيال على قتل من وجب قتله لغدره وخيانته بتأليب الكفار على المؤمنين] ومن يقول: لا يجوز قتله؟! وقد أذن فيه رسول الله وأمر به، والعلل معروفة، فقد ألب على المسلمين العدو، وما عمل بمقتضى المعاهدة التي كانت بين الرسول وبين قومه.
[ثانياً: جواز استعمال المعاريض والتوريات للتوصل إلى إحقاق حق وإبطال باطل] والمعاريض خلاف الكلام الصريح، والتوريات: أي: يوري بكذا وكذا وهو يريد كذا؛ للتوصل إلى إحقاق حق.
[ثالثاً: آية نبوة الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم؛ إذ شفا الله الجريح ذا النزيف الخطير بريقته الطيبة الطاهرة] ولو بصقنا الآن كلنا على جريح ينزف لازداد ألمه، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم تفل -فقط- عليه فشفاه الله، وهي علامة من علامة نبوته صلى الله عليه وسلم.
[رابعاً: فضيلة محمد بن مسلمة رضي الله عنه بقتله كعباً الطاغية عليه لعائن الله] سجل التاريخ له هذه المفخرة، وتمكن بالتورية والحيل من قتل هذا الطاغية الذي ألب على المسلمين وكشر عن نابه وحزن لما بلغه انتصارهم، وخان العهد ونقض الميثاق وحسبه ذلك.
[خامساً: بيان أثر قتل كعب؛ إذ أصبح كل يهودي خائفاً على نفسه لا يطمئن على حياته] معنى هذا أن قتل كعب زعزع قلوب اليهود كلها.

غزوة أحد

قال: [غزوة أحد] وهي من أشهر الغزوات وأعظمها بعد غزوة بدر، وقد نزل فيها عشرات الآيات من سورة آل عمران.

العوامل التي ساعدت على نشوب غزوة أحد

قال: [عوامل هذه الغزوة القاسية الشديدة] وحقاً كانت غزوة قاسية شديدة؛ لأن المشركين لما انهزموا في بدر ألبوا عامة العرب على غزو محمد في عقر داره انتقاماً منه.

قال: [إن لهذه الغزوة عوامل وأسباب ظاهرة، منها: أن قريشاً وقد أصيبت في صناديدها الذين ألقوا في القليب، قليب بدر العام الماضي سنة اثنتين من الهجرة المباركة، فقد قام رجال منها بالدعوة إلى الحرب للأخذ بالثأر من محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه، ومن دعاة الحرب] الذين يدعون لها [عبد الله بن أبي ربيعة ، و عكرمة بن أبي جهل ، و صفوان بن أمية وغيرهم كثير.

فأتوا أبا سفيان بن حرب وطلبوا إليه أن يُقنع أصحاب أموال العير -التي نجت- أن يجعلوها في حرب تشن على محمد وأصحابه، ولا يأخذوا منها شيئاً] هذه سياسة، أن يُقنع أصحاب العير -تلك العير التي جاءت من الشام، وخرج لها الرسول برجاله ليستقبلوها ويأخذوها، ثم نجت وانتهت إلى مكة، وهي أموال طائلة كثيرة- بأن يجعلوها ويتبرعوا بها في حرب على المسلمين [واستجابوا للطلب] بعد أن أقنعهم [وفيهم نزل قول الله تعالى من سورة الأنفال: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ [الأنفال:36]].

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ [الأنفال:36] لِم؟ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ [الأنفال:36]، فَسَيُنفِقُونَهَا [الأنفال:36]، بالفعل، ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً [الأنفال:36] أنفقوها في حرب أحد وكانت عليهم حسرة، ثُمَّ يُغْلَبُونَ [الأنفال:36]، وغلبوا وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ [الأنفال:36].

قال: [هذا سبب، وآخر: هو أن الذين تخلفوا عن بدر من المهاجرين والأنصار، كانوا يسألون الله تعالى أن يتيح لهم فرصة قتال المشركين كالتي أتيحت لأهل بدر؛ لِيُروا الله تعالى ما يفعلون بالمشركين من القتل لهم والفتك بهم إيماناً واحتساباً؛ ليعوضوا ما فاتهم من الأجر والغنيمة يوم بدر] العامل الأول: هو أن المشركين أرادوا أن ينتقموا من الرسول والمسلمين لما أصابهم في بدر، والعامل الثاني: أن المؤمنين من أهل المدينة الذين ما خرجوا إلى بدر؛ لأن التعبئة لم تكن عامة، وإنما باختيار، فالذين تخلفوا عن غزوة بدر تحسروا وتأسفوا على عدم الخروج، وسألوا الله تعالى أن يرزقهم معركة أخرى، يقاتلون فيها وينتصرون.

قال: [هذان عاملان ظاهران لغزوة أحد] أو سببان قويان في وجود غزوة أحد [وهناك عوامل خفية قوية ذُكرت في قول الله تعالى في سورة آل عمران: وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ [آل عمران:140] أيام النصر والهزيمة وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ [آل عمران:140-141]] وهذه أعظم من السببين الأولين: وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ [آل عمران:140] يوم لنا ويوم علينا وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا [آل عمران:140] إعلام ظهور ومشاهدة لا إعلام غيب وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ [آل عمران:140] يا أيها المسلمون شُهَدَاءَ [آل عمران:140] إذ استشهد في أحد سبعون شهيداً وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ [آل عمران:140-141]، هذا بيان الله عز وجل.

قال: [وفي شوال من السنة الثالثة من الهجرة المباركة خرجت قريش برجالها ونسائها وأحابيشها، وبكل من قدرت على تأليبه والإتيان به من بني كنانة وأهل تهامة، وسارت بقيادة أبي سفيان بن حرب زعيمها بعد هلاك أبي جهل ، حتى نزلت على شفير وادي قناة المقابل للمدينة النبوية، وبلغ النبي صلى الله عليه وسلم الخبر، فاستشار أصحابه يوم الجمعة في الخروج إلى المشركين لقتالهم خارج المدينة، أو البقاء فيها وقتالهم داخلها، ورجح لهم القتال داخلها] (ورجح) أي: النبي صلى الله عليه وسلم لهم القتال داخل المدينة [وأراهم أنه أقرب إلى النصر على المشركين من قتالهم خارجها، وقص عليهم رؤيا رآها: وهي أنه رأى بقرة تذبح، ورأى في ذباب سيفه ثلماً، وأنه رأى أنه أدخل يده في درع حصينة، وأوّلها المدينة، ومع هذا أصر أكابر الأصحاب على القتال خارج المدينة] وخاصة الشبيبة، قالوا: كيف نقاتل بين نسائنا وأولادنا؟! هذا جبن وعار، لابد وأن نخرج لقتالهم خارج المدينة. وهؤلاء أصحاب الحماس.

[فنزل الرسول صلى الله عليه وسلم عن ما رآه إلى ما رأوه ما دام الله تعالى لم يوح في ذلك إليه بشيء] نزل عن رأيه لرأيهم؛ لأنهم أكثرية، والوحي ما نزل في هذا بشيء، فهو مخير صلى الله عليه وسلم؛ وجمعاً للقلوب قال: اخرجوا، وكان ذلك بعد صلاة الجمعة في مسجده.

[ودخل صلى الله عليه وسلم بيته فلبس درعه ووضع لأمته على رأسه وخرج إليهم] يمشي بالحديد [فما إن رأوه حتى ندموا، ورأوا أنهم قد أكرهوه على الخروج ظاهر المدينة، فندموا ندماً شديداً، وحاولوا أن يثنوه عن عزمه.

وقالوا: يا رسول الله! أقم؛ فالرأي ما رأيت، وكان الذين أصروا على الخروج هم الذين تخلفوا عن بدر فقال لهم صلى الله عليه وسلم: (ما ينبغي لنبي أن يضع لأمته بعد ما لبسها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه)].

وهذه استفادت منها بريطانيا والمسلمون لا يستفيدون؛ لأنهم أموات، فبريطانيا لما ثارت بعض الجماعات في السودان أيام كانت حاكمة هناك، ما كان منها إلا أن جهزت جيشاً وأبحر ليؤدب هؤلاء الثائرين هناك، والشيخ: محمد عبده تغمده الله برحمته، أبرق إليها، وقال: ما هناك داع إلى الزحف والقتال، ونحن سنتولى إطفاء هذه الفتنة، وأراد أن يكبح جماحها ويحفظ إخوانه من البلاء، فردت عليه تقول: إن بريطانيا إذا أبحرت ورمت بجيوشها في البحر لا تعود أبداً حتى تنفذ أمرها، وكأنها تأخذ بقول الرسول صلى الله عليه وسلم (ما ينبغي لنبي أن يضع لأمته ثم ينزعها قبل أن يحكم الله بينه وبين عدوه).

قال: [(وقد دعوتكم إلى هذا -عدم الخروج- فأبيتم إلا الخروج، فعليكم بتقوى الله، والصبر عند البأس إذا لقيتم العدو، وانظروا ماذا أمركم الله به فافعلوا).

واستخلف الرسول صلى الله عليه وسلم على المدينة ابن أم مكتوم] جعله والياً عاماً [وخرج في ألف مقاتل] ألف بطل [وسلك بمن معه من المؤمنين على البدائع في حرة بني حارثة، ودليله في هذا أبو خيثمة أخو بني حارثة، ومروا بحائط] أي: بستان [لمربع بن قيظي ،

وكان منافقاً؛ فلما سمع حس رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين رفع حفنة من تراب، وقال: والله لو أعلم ألا أصيب بها غيرك يا محمد لضربت بها وجهك، فبدره سعد بن زيد بضربة شج بها رأسه، وابتدره رجال ليقتلوه، فقال لهم الرسول صلى الله عليه وسلم: (دعوه لا تقتلوه؛ فإنه أعمى القلب أعمى البصر)] منافق أخذ حفنة من تراب وأراد أن يضرب بها وجه الرسول صلى الله عليه وسلم.

[وساروا حتى إذا كانوا بالشوط بين المدينة وأحد، انخذل عنهم عبد الله بن أبي بثلث الناس] رجع من ضعاف الإيمان والمنافقين ثلاثمائة نفر [وكان -لعنه الله- رأيه عدم الخروج مثل رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم] كان رأيه في عدم الخروج كرأي النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنه محنّك [فلذا قال هنا: أطاعهم وعصاني؟!] أي أطاع رسول الله الذين قالوا نخرج، وعصاني أنا الذي قلت لا نخرج ونقاتل داخل المدينة.

ثم قال: [ما ندري علام نقتل أنفسنا هاهنا أيها الناس؟! وتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام والد جابر يقول لهم: يا قوم أذكركم الله ألا تخذلوا قومكم ونبيكم، فقالوا: لو نعلم أنكم تقاتلون ما أسلمناكم، ولكنا لا نرى أن يكون قتال.

فلما استعصوا وأبوا إلا الانصراف قال لهم صلى الله عليه وسلم: (أبعدكم الله -أعداء الله- فسيغني الله عنكم نبيه)].

نكتفي بهذا القدر، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

بعد بدر كادت قلوب رجالات قريش تذوب كمداً وحنقاً على رسول الله والمؤمنين، فجهزوا جيشاً لملاقاة المسلمين وغزوهم في عقر دارهم، فلما سمع النبي بذلك جمع أصحابه ليستشيرهم في أمر القوم، فرأى الشيوخ أن ينتظروا عدوهم في المدينة، ورأى الشباب والمتخلفون عن بدر الخروج لملاقاتهم خارج المدينة، فأجابهم النبي إلى ذلك، فخرج في ألف مقاتل ليواجه جيش أبي سفيان والذي قوامه ثلاثة آلاف مقاتل، والتقوا عند جبل أحد الذي عرفت المعركة باسمه.

تابع غزوة أحد

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.
أما بعد: فلنقض ساعة مع حبيبنا صلى الله عليه وسلم، وقد انتهى بنا الدرس إلى غزوة أحد، وقد سبق أن عرفنا عوامل هذه الغزوة القاسية الشديدة، وحقاً إنها غزوة قاسية شديدة، ويكفي من قساوتها أن يستشهد فيها حمزة عم رسول صلى الله عليه وسلم، وأعظم من ذلك أن تكسر رباعية رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويشج وجهه، ويصاب في أنفه، وكلها آلام شديدة، ولهذا كانت الغزوة غزوة قاسية شديدة.
وعرفنا عوامل هذه الغزوة وهي -أولاً-: أن قريشاً لما أصيبت بهزيمة مُرّة في غزوة بدر من السنة الثانية للهجرة، وبعد تلك النكبة أو المصيبة تهيأت لأن تنتقم وتثأر من رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين، وقد طلب أبو سفيان -وكان رئيس قريش- من أهل العير الذين نجت عيرهم من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يجمعوا تلك الأموال لتغزى بها المدينة النبوية، وكان هذا من أبرز العوامل التي اقتضت غزوة أحد.
وثاني العوامل: أن المؤمنين من المهاجرين والأنصار الذين لم يحضروا غزوة بدر ولا شهدوها ولا فازوا بما فيها، تمنوا على الله وسألوه أن يُوجد لهم غزاة أخرى يفرغون فيها ما في نفوسهم، ويقاتلون فيها في سبيل الله.
هذان العاملان هما الباعثان على غزوة أحد.
وفي شوال من السنة الثالثة من الهجرة المباركة خرجت قريش برجالها ونسائها وأحابيشها، والأحابيش: هم الذين تعاهدوا عند جبل على أن يقاتلوا كل من يقاتلهم، فيقال للرجل منهم حبيش، وبلغ النبي صلى الله عليه وسلم خروج قريش، وأنها عازمة على قتاله وأصحابه من المؤمنين، فاستشار صلى الله عليه وسلم أصحابه في هل من اللائق أن نخرج إلى قريش خارج المدينة ونقاتلها هناك، أم أن يبقوا في المدينه ويقاتلونهم من داخلها، من على السطوح والمنازل، واختار صلى الله عليه وسلم قتال قريش من داخل المدينة، لكن الذين رغبوا في أن يستردوا ما فاتهم من غزوة بدر، قالوا: لا.
نقاتلهم خارج المدينة، كيف نسمح لهم بالدخول؟ وعرف الرسول صلى الله عليه وسلم قصدهم ورغبتهم وما أرادوه، وكان لم يوح إليه شيء في هذا، وإنما اجتهاد منه فقط، وكان ذاك اليوم يوم جمعة، فدخل حجرته ولبس لأمته وخرج يرصف في الحديد، فما إن رآه أصحابه على تلك الحال حتى ندموا وتأسفوا، وقالوا: علنا ألزمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا وهو لا يريده! فتأسفوا وتحسروا وطلبوا منه الرجوع، لكنه صلى الله عليه وسلم واجههم بهذه الكلمات الخالدة وهي: (ما ينبغي لنبي أن يضع لأمته بعد ما لبسها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه.
وقد دعوتكم إلى هذا فأبيتم إلا الخروج، فعليكم بتقوى الله، والصبر عند البأس إذا لقيتم العدو، وانظروا ماذا أمركم الله به فافعلوا).
وهذا يدل على صدق عزم الرسول صلى الله عليه وسلم، وأنه شأنه شأن الأنبياء، إذا أعلنوا الحرب لا يطفئونها حتى يحكم الله بينهم وبين أعدائهم.
واستخلف الرسول صلى الله عليه وسلم على المدينة ابن أم مكتوم رضي الله عنه، وخرج في ألف مقاتل -كما سبق- وسلك بمن معه من المؤمنين على البدائع في حرة بني حارثة، ودليله في هذا أبو خيثمة أخو بني حارثة، ومروا بحائط لمربع بن قيظي ، وكان منافقاً؛ فلما سمع حس رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين -أي حركة مشيهم- رفع حفنة من تراب، وقال: والله لو أعلم ألا أصيب بها غيرك يا محمد لضربت بها وجهك!!.
أعوذ بالله من هذا المنافق! متغيظ متألم كيف يتجاوز الرسول وأصحابه بستانه!! فبدره سعد بن زيد بضربة شج بها رأسه، وابتدره أيضاً رجال ليقتلوه، فقال لهم رسول صلى الله عليه وسلم: (دعوه لا تقتلوه؛ فإنه أعمى القلب والبصر) أي: لو كان قلبه سليماً بصيراً ما كان يكفر وينافق ويعلن عن كفره، فالذي يحلف أنه لو أمكنه أن يضرب وجه رسول الله بالتراب لضربه ليس بمؤمن أبداً، بل من شر الكفار وأخبثهم، وتجلت هنا الرحمة المحمدية، فعندما ابتدره رجال ليقتلوه -وحق لهم ذلك- قال لهم النبي ما قال، حتى لا يقال أن محمداً قتل من سبه أو توعده، فحلم وصبر صلى الله عليه وسلم.
هذا ما سبق أن قرأناه .

ما وقع من أحداث أثناء مسيره صلى الله عليه وسلم إلى معركة أحد

قال: [وساروا] مشوا [حتى إذا كانوا بالشوط بين المدينة وأحد انخذل عنهم عبد الله بن أبي بثلث الناس] بثلاثمائة رجل؛ إذ كانوا ألفاً، و أبو سفيان جاء بثلاثة آلاف [وكان لعنه الله] وكان عبد الله بن أبي رئيس المنافقين يتطلع للملك قبل مجيء النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، فقد عزم الأوس والخزرج على أن يتوجوه بتاج الملك ويملكوه عليهم، ولكن ضاعت الفرصة عليه بدخول الرسول صلى الله عليه وسلم المدينة، ووقف الأنصار دون ذلك.

قال: كان [رأيه عدم الخروج، مثل رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم] كان رأي ابن أبي ألا يخرج أهل المدينة لقتال أبي سفيان ولكن يقاتلون من داخلها، ووافق رأيه رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم [فلذا قال هنا: أطاعهم وعصاني؟] أي: أطاع الأنصار والمهاجرين الذين أمروه أن يخرج إلى قتال أبي سفيان خارج المدينة وعصاه هو [ما ندري علام نقتل أنفسنا هاهنا أيها الناس؟!] وهذه كلمة هذا المنافق، أو رئيس المنافقين؛ إذ قال: أطاعهم وعصاني! ثم قال: لا ندري علام نقتل أنفسنا هاهنا أيها الناس؟! [وتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام والد جابر] أي مشى وراءهم، ليردهم أو ليعظهم ويذكرهم [يقول لهم: يا قوم! أذكركم الله ألا تخذلوا قومكم ونبيكم، فقالوا: لو نعلم أنكم تقاتلون ما أسلمناكم، ولكنا لا نرى أن يكون قتال] هذا عذرهم [فلما استعصوا وأبوا إلا الانصراف] من جيش الرسول إلى المدينة [قال لهم صلى الله عليه وسلم: (أبعدكم الله -أعداء الله- فسيغني الله عنكم نبيه)] لما عزموا على الرجوع عائدين إلى المدينة قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم داعياً عليهم: (أبعدكم الله أعداء الله) وصفهم بأنهم أعداء الله (فسيغني الله عنكم نبيه).

قال: [وفيهم نزل قول الله تعالى من سورة آل عمران] وهي السورة التي احتوت على غزوة أحد بكاملها [وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ [آل عمران:167]] أي: في صدورهم.

هذه نزلت في ابن أبي رئيس المنافقين، والثلاثمائة الذين عادوا معه إلى المدينة، وتركوا رسول الله ورجاله في طريقهم إلى المعركة.

قال تعالى: وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ [آل عمران:167] قالها لهم عبد الله بن حرام والد جابر : تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا [آل عمران:167] عن أنفسكم وإخوانكم؛ يعني: إذا لم تقاتلوا في سبيل الله قاتلوا لتدفعوا العدو عنكم وعن إخوانكم، فرد عليه -كما سمعتم- ابن أبي ورجاله: قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ [آل عمران:167]، وما يكتمون هو أنهم يريدون هزيمة رسول الله والمؤمنين؛ لأنهم منافقون.

قال: [ولما هموا بالانصراف] عن معسكر الرسول عائدين إلى المدينة [قال بعض المسلمين: هيا نقاتلهم] لما شاهدوهم قد عزموا العودة إلى المدينة وترك الرسول ورجاله قال بعض المسلمين: هيا نقاتلهم! [وقال آخرون: ذروهم] اتركوهم [يعودوا إلى ديارهم، فنزل فيهم قول الله تعالى من سورة النساء: فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا [النساء:88]] هذه الآية من سورة النساء نزلت فيهم: فَمَا لَكُمْ [النساء:88] أيها المؤمنون! فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ [النساء:88]؛ إذ فئة قالت: هيا نقاتلهم، وأخرى قالت: اتركوهم يعودوا إلى ديارهم، واختلفوا فيهم، فأنزل تعالى قوله: فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا [النساء:88] بذنوبهم وكفرهم ونفاقهم أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا [النساء:88].

قال: [وهنا اضطرب المؤمنون] وحق لهم أن يضطربوا [وهمَّ بنو سلمة وبنو حارثة بالفشل، إلا أن الله ثبتهم فثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم] بنو حارثة وبنو سلمة من الأوس والخزرج لما عاد من عاد من المنافقين همّوا بالفشل؛ لأن ثلث الجيش رجع، فكيف يقاتلون وقد جاءت قريش بأحابيشها ونسائها ورجالها؟! [وفيهم نزل قوله تعالى من سورة آل عمران: إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ [آل عمران:122]] إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلا [آل عمران:122] أي: من بني سلمة وبني حارثة وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا [آل عمران:122] ولهذا لم يتركهما وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ [آل عمران:122] وفعلاً توكلوا وعادوا إلى السير في موكب النبي صلى الله عليه وسلم ورجاله.

قال: [وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين، وكانوا سبعمائة رجل بينهم فارسان لا غير] ما معهم إلا فرسان [رسول الله صلى الله عليه وسلم وآخر] وهذا الآخر هو أبو بردة [ساروا حتى نزلوا بالشعب من أحد، وجعل ظهره بجبل أحد، وقال صلى الله عليه وسلم: (لا يقاتلن أحد حتى آمره بالقتال)] أي: لا يقاتل أحد منكم أيها المؤمنون حتى آمره بالقتال.

فلابد من النظام!

عودة إلى معسكر التوحيد والإيمان

قال: [ونعود الآن إلى معسكر التوحيد والإيمان: أخذ أبو دجانة السيف، ولف العصابة على رأسه -علامة الموت- ورمى بنفسه في المعركة وهو يقول: أنا الذي عاهدني خليلي ونحن بالسفح لدى النخيل ألا أقوم الدهر في الكيول] والكيول: هو آخر الصفوف.

[أضرب بسيف الله والرسول] كان ينشد رضي الله عنه: (أنا الذي عاهدني خليلي) يعني: الرسول صلى الله عليه وسلم.

(ونحن بالسفح لدى النخيل): في المدينة (ألا أقوم الدهر في الكيول): لا أقف في آخر الصفوف أبداً، بل دائماً في أولها (أضرب بسيف الله والرسول).

[فجعل لا يلقى أحداً إلا قتله] لا يواجه أحداً إلا قتله [ورأى أبو دجانة مقاتلاً من المشركين يخمش الناس خمشاً شديداً] يثير الحماسة في نفوسهم [فقصد له] واتجه نحوه [فلما حمل عليه السيف ولول، فإذا به امرأة هي هند ، فأكرم سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يضرب به امرأة] أليس السيف سيف رسول الله؟ فأكرمه أن يضرب به امرأة، وهي التي كانت تحمس الناس على القتال.

قال: [ودارت رحى المعركة، واستعرت نارها وتأجج لهبها، وكان حمزة فيها أسداً يهد الرجال هدّاً، وكان وراءه وحشي غلام جبير بن مطعم يترصده؛ إذ أوعز إليه سيده بأنه إذا قتل حمزة يعتقه، وكان وحشي بارعاً في الضرب بالرماح، ضربته لا تكاد تخطئ، وكانت هند

موتورة بموت أبيها ببدر] لأن والدها مات في بدر [كلما مرت فيه تقول له: يا أبا دسمة ! استشف واشف، تحرضه على قتل حمزة رضي الله عنه، فقال وحشي : ما زلت أتبع حمزة وهو كالجمل الأورق إذ تقدمني إليه سباع بن عبد العزى فقال له حمزة : هلم إلي يا ابن مقطعة البظور] ومقطعة البظور هي الخاتنة التي تختن البنات، والبظر هو: ما يقطع من فرج البنت [فضربه ضربة ما أخطأت رأسه فقتله] إلى جهنم [ثم هززت حربتي] هذا الآن وحشي يتكلم [حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه فوقعت في ثنته] والثنة ما بين السرة والعانة من الإنسان [حتى خرجت من بين رجليه، فأقبل نحوي فغُلب فوقع، فأمهلته حتى مات فجئت فأخذت حربتي ثم تنحيت إلى المعسكر، ولم تكن لي في شيء حاجة غيره] يعني كانت مهمته أن يقتل حمزة فقط، فلما مات أخذ حربته وعاد إلى المعسكر [وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد أعطى اللواء مصعب بن عمير رضي الله عنه، وقتل مصعب ، فأعطاه علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وتقدم علي باللواء، وهو يقول: أنا أبو القصم ، فناداه أبو سعد بن أبي طلحة -وهو صاحب لواء المشركين- قائلاً: هل لك يا أبا القصم في البراز من حاجة؟ قال علي : نعم.

فبرزا بين الصفين فاختلفا ضربتين فضربه علي فصرعه، ثم انصرف عنه ولم يجهز عليه، فقيل له: أفلا أجهزت عليه؟ [قال: إنه استقبلني بعورته، فعطفتني عليه الرحم، وعرفت أن الله قد قتله] يعني ما استطاع أن ينظر إليه، وهي حيلة من المشرك، فلما وقع من الضربة كشف عن سوأته، حتى لا يجهز عليه علي ، فقالوا لعلي : أفلا أجهزت عليه؟ قال: إنه استقبلني بعورته، فعطفتني عليه الرحم، وعرفت أن الله قد قتله.

فلا يحتاج إلى قتل.

قال: [والتقى -والمعركة دائرة- حنظلة بن أبي عامر بأبي سفيان بن حرب ، فلما علاه حنظلة بالسيف رآه شداد بن الأوس فضربه -أي شداد الكافر- فقتله.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن صاحبكم لتغسله الملائكة، فسألوا أهله ما شأنه)، فسئلت امرأته فقالت: إنه كان في ليلة عرسه، فسمع الهاتف بالجهاد فخرج ولم يغتسل؛ فلذا غسلته الملائكة، وأنزل الله تعالى نصره على المسلمين وصدقهم وعده، فحسموهم بالسيف حسماً حتى كشفوهم عن المعسكر، وكان الهزيمة لا شك فيها، حتى قال الزبير بن العوام رضي الله عنه، والله لقد رأيتني أنظر إلى خدم هند وصواحبها وهن مشمرات هوارب] والخدم هو: الخلخال في الرجل.

قال: [وفي هذا يقول الله تعالى من سورة آل عمران: سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ * وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ [آل عمران:151-152]] إلى آخر الآيات.

وصلى الله على نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم.

التحام الصفين

قال: [ولما التقى الجمعان وتقابل الرجال] المعسكران، جمع رسول الله، وجمع أبي سفيان [قامت هند امرأة أبي سفيان] فالسلطان معه امرأته أيضاً، وهي أشد منه، رضي الله عنهما ويا ليتنا مثلهما [تحرض على القتال في نسوة معها يضربن بالدف خلف الرجال؛ تحريضاً لهم على القتال، وهذه بعض الأبيات التي كن ينشدنها للتحريض: ويها بني عبد الدار ويها حماة الأدبار ضرباً بكل بتار نحن بنات طارق إن تقبلوا نعانق ونفرش النمارق أو تدبروا نفارق فراق غير وامق] يغنين ويدفغن، يشجعن رجالهم، وهن عربيات قرشيات.

بين معسكر التوحيد والشرك

قال: [واستعرض الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم جيشه] لما اصطفوا ووقفوا وجعلوا ظهورهم إلى الجبل جبل أحد، واستقبلوا المشركين بوجوههم استعرض صلى الله عليه وسلم جيشه- فرد عبد الله بن عمر و أسامة بن زيد و زيد بن ثابت و البراء بن عازب] ردهم إلى المدينة قال: أنتم عودوا؛ لأنهم كانوا صغار السن لا يستطيعون الصمود في القتال [في فتيان لم يبلغوا سن التكليف] كانوا لم يبلغوا بعد الخامسة عشرة من أعمارهم، فليسوا أهلاً لأن يقاتلوا ويثبتوا [وأجاز سمرة بن جندب و رافع بن خديج وقد بلغا من العمر الخامسة عشرة، وكانا قويين] في بدنهما [وتعبأت قريش، وذلك صبيحة يوم السبت، وكان جيش قريش ثلاثة آلاف مقاتل بينهم مائتا فارس] وما في عسكر المؤمنين إلا فارسان، رسول الله صلى الله عليه وسلم وآخر [فجعلوا خالد بن الوليد على ميمنة الخيل] خالد بن الوليد رضي الله عنه وأرضاه كان كافراً يومها ليس بمؤمن، وهو الملقب: بسيف الله في الأرض، كان يضرب به المثل، وعند أوروبا أيضاً، وإن كان في آخرهم جحدوا [و عكرمة بن أبي جهل على ميسرتها] كان التنظيم هكذا في ذلك الوقت: الميمنة والميسرة والمقدمة والمؤخرة.

وعكرمة أيضاً -رضي الله عنه- كان كافراً يومها، جاء ينتقم لأبيه، فأبو جهل قتل في بدر، فدفع الحماس عكرمة -أيضاً- لينتقم، ولكن شاء الله أن يكون من أهل الجنة، وإلا كان يتغيظ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو تمكن منه لأكله.

وسبب إسلامه هو أنه لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فاتحاً في السنة الثامنة من الهجرة، ومعه اثنا عشر ألف مقاتل، اجتمعت قريش في المسجد، ووقف عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بسيفه وقال: (ما تظنون يا معشر قريش! أني فاعل بكم، قالوا: أخ كريم وابن أخ كريم، قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء!!)، فعكرمة ما استطاع أن ينظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أو يبقى معه، فهرب مع مجموعة إلى ساحل البحر، فوجد سفينة أوشكت على أن تقلع فركبها؛ ليهرب من الحجاز إلى الحبشة أو إلى الهند، فلما مشت السفينة جاءت أمواج بحرية واضطربت السفينة، فقال لهم ربانها أو ملاحها: ادعوا الله، وسلوه الله أن ينقذكم من الغرق!! فقال عكرمة :

من هذا هربنا والآن نُطالب به؟ والله لتردني حتى أؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم، فنحن ما هربنا إلا من كلمة التوحيد، والآن في عرض البحر تقول: لا تدعوا إلا الله وحده!!.
ورده إلى الميناء وجاء إلى الرسول صلى الله عليه وسلم مطأطئاً رأسه، ما استطاع أن يفتح عينيه، وشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأصبح الرسول أحب ما يملك بين يديه.
هذا هو عكرمة رضي الله عنه الذي جاء في أحد منتقماً لأبيه.
قال: [وهنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من يأخذ هذا السيف بحقه؟)، فقام إليه رجال، فأمسكه عنهم] ما أعطاهم إياه [حتى قام إليه أبو دجانة سماك ابن خرشة أخو بني ساعدة، فقال: وما حقه يا رسول الله؟ قال: (أن تضرب به العدو حتى ينحني)، فقال: أنا آخذه يا رسول الله بحقه، فأعطاه إياه، وكان أبو دجانة شجاعاً يختال عند الحرب، وله عصابة حمراء، فلفها على رأسه ومشى يختال بين الصفوف، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم، حين رآه يتبختر في مشيته] ويختال [بين الصفوف: (إنها لمشية يبغضها الله إلا في مثل هذا الموطن)] ليظهر قوته وأنه لا يبالي بالشجعان والأبطال في زهو وكبرياء.
فتلك المشية لا يحبها الله، وهي عنده مكروهة، إلا في مثل هذا الموطن.
[هذا هو الموقف في معسكر التوحيد قبل الهجوم، أما معسكر الشرك فإن أبا سفيان بعد ترتيب الصفوف قام -يخاطب بني عبد الدار- فقال: يا بني عبد الدار! قد وليتم لواءنا يوم بدر فأصابنا ما قد رأيتم، وإنما يؤتى الناس من قبل راياتهم؛ إذا زالت زالوا، فإما أن تكفونا لواءنا وإما أن تخلوا بيننا وبينه فنكفيكموه، فهتفوا به وتوعدوه، وقالوا: نحن نسلم إليك لواءنا؟ ستعلم غداً إذا التقينا كيف نصنع؟! وهذا الذي أراده أبو سفيان بن حرب] هيجهم من أجل أن يثير حفائظهم [وهو تحميسهم للقتال، واستعدادهم له وشدتهم فيه].

خرج النبي صلى الله عليه وسلم بألف مقاتل من المدينة لملاقاة قريش عند أحد، وفي أثناء الطريق رجع عبد الله بن أبي رأس المنافقين بثلث الجيش، فلما وصل النبي بجيشه إلى أحد أمر الرماة بالصعود إلى الجبل والمكث فيه وعدم النزول مهما كانت نتيجة المعركة، وكانت الغلبة أول الأمر للمسلمين، وتفرق المشركون وولوا الأدبار، فلما رأى الرماة ما آلت إليه نتيجة المعركة طمع نفر منهم في الغنائم، فنزلوا عن الجبل مخالفين أمر رسول الله، عندها استغل المشركون غفلة المسلمين فمالوا عليهم وقتلوا منهم عدداً كبيراً كان على رأسهم حمزة عم النبي، وأصيب المسلمون في هذه المعركة مصاباً جللاً.

تابع غزوة أحد

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.
أما بعد: فلنقض ساعة مع حبيبنا صلى الله عليه وسلم، وها نحن مع غزوة أحد من أحداث السنة الثالثة للهجرة النبوية، وانتهى بنا الدرس إلى قول المؤلف غفر الله له ولكم ورحمه وإياكم وسائر المؤمنين: [ولما رأى الرماة انكشاف المشركين] والرماة: جمع رامي، وهم الذين رمون بالنبال والسهام [والمؤمنين يسلبون ويجمعون الغنائم، مالوا على المعسكر وكشفوا ظهور المؤمنين لخيل المشركين] وا أسفاه [فكانت الهزيمة، وصرخ صارخ] والعياذ بالله [أن محمداً قد قتل، وأصاب المؤمنين كرب عظيم ذهلت فيه العقول، وخلص العدو إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فرماه ابن قمئة -أقمأه الله- بحجر فكسر أنفه ورباعيته وشج في وجهه، وتفرق عنه أصحابه إلا قليلاً، وأصعدوا في الأرض حتى إن منهم من وصل إلى المدينة، وفي هذا يقول تعالى من سورة آل عمران: حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ * إِذْ تُصْعِدُونَ وَلا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ [آل عمران:152-153]].

سبب الهزيمة (أسباب انهزام المسلمين في غزوة أحد)

ما سبب هذه الهزيمة المرة المنكرة، التي تكسر فيها رباعية النبي صلى الله عليه وسلم وأصيب في أنفه وشج وجهه؟ قال: [سبب الهزيمة: وسبب هذه الهزيمة المريرة -بعد ذلك النصر العظيم- هو أن الرماة الذين كانوا خمسين رامياً، قد وضعهم الرسول صلى الله عليه وسلم على جبل الرماة] وهو جبل قائم إلى الآن [وأمّر عليهم عبد الله بن جبير وقال لهم موصياً إياهم في شخص أميرهم] الذي هو عبد الله بن جبير [(انفح عنا الخيل بالنبل؛ لا يأتوننا من خلفنا، واثبت مكانك إن كانت لنا أو علينا)] هذه وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمير الرماة وهي لهم جميعاً وهم خمسون رامياً.
و(انفح عنا) أي: ادفع عنا الخيل بالنبل، خيل قريش (لا يأتوننا من خلفنا، واثبت مكانك إن كانت لنا أو علينا) يعني: سواء كان النصر لنا أو علينا فلا تبرح مكانك أنت ورجالك، وكان صلى الله عليه وسلم قائداً لم تحلم الدنيا بمثله؛ لأنه يتلقى معارفه من الملكوت الأعلى.
قال: [هؤلاء الرماة لما نصر الله المسلمين في أول النهار وانهزم المشركون أمامهم وأكب المؤمنون على جمع الغنائم وحيازة الأموال، ونساء المشركين مشمرات عن سوقهن هاربات، ولواؤهم على الأرض لم يحمله أحد حتى جاءت امرأة من قريش فرفعته] لواء قريش كان ممزقاً على الأرض، لا يوجد من يرفعه حتى رفعته قرشية.
[لما رأى الرماة هذا الواقع ثبت بعضهم في أماكنهم وهم القليل، ونزل البعض الأكثر متعللين بهزيمة المشركين] يعني: لا معنى للبقاء هنا والمشركون قد انهزموا [وأخذوا في نهب الأموال وجمع الغنائم كغيرهم.
ولما رأى خالد بن الوليد -وهو على خيل المشركين- لما رأى خلو الجبل من الرماة وضعف المقاومة منه، كر عليهم بخيله، فاحتل الجبل وقتل من فيه] احتل الجبل جبل الرماة وقتل من فيه من الذين ثبتوا [وأصلَوا المسلمين نار سهامهم، فمزقوهم بها تمزيقاً] وأصلوا أي: خالد ورجاله (خيل قريش) أصلوا المسلمين نار سهامهم فمزقوهم بها تمزيقاً [وعاد المشركون الفارون إلى المعركة، ووقع المسلمون بين نارين هما كفكي المقارض، فكانت الهزيمة، وأصيب الرسول صلى الله عليه وسلم بما أصيب به، وصرخ الشيطان قائلاً: إن محمداً قد مات! وألقى رجال سلاحهم من أيديهم وبقوا واقفين حيارى مدهوشين، منهم عمر و طلحة ، فأتاهم أنس بن النضر -عم أنس بن مالك -] خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم [فقال لهم: ما يحبسكم؟ قالوا: قتل محمد صلى الله عليه وسلم.
قال: فما تصنعون بالحياة بعده؟ موتوا على ما مات عليه، ثم استقبل المشركين، فقاتل حتى قُتل، فوجد به أكثر من سبعين ضربة وطعنة ولم يعرفه إلا أخته عرفته ببنانه.
وبلغ الكرب المعسكر الإيماني حتى قال من قال: ليت لنا من يأتي عبد الله بن أبي ابن سلول] رئيس المنافقين [ليأخذ لنا أماناً من أبي سفيان قبل أن يقتلونا؟ فقال لهم أنس بن النضر : يا قوم إن كان محمد قد قتل فإن رب محمد لم يُقتل، فقاتلوا على ما مات عليه محمد صلى الله عليه وسلم، اللهم إني أعتذر إليك مما يقول هؤلاء، وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء، ثم قاتل حتى قُتل رضي الله عنه وأرضاه.

وكان أول من عرف أن الرسول حي -لم يقتل- كعب بن مالك رضي الله عنه، فنادى بأعلى صوته: يا معشر المسلمين أبشروا، هذا رسول الله لم يقتل، والرسول صلى الله عليه وسلم ينادي: (إلي عباد الله! إلي عباد الله!) وثاب إليه رجال] أي: رجعوا [وقاتلوا دونه، وأبلي في هذا أبو طلحة و أبو دجانة البلاء الحسن، وتقدموا نحو الشعب وهم يدفعون ويقاتلون حتى وصلا إليه، وما إن أسند رسول الله صلى الله عليه وسلم على الشعب حتى جاء أبي بن خلف] عليه لعائن الله [يصرخ: لا نجوت إن نجا -أي محمد صلى الله عليه وسلم- وهو يتقدم نحو النبي صلى الله عليه وسلم، فتناول الرسول صلى الله عليه وسلم حربة من يد أحد أصحابه وطعنه بها في ترقوته، فخار كما يخور الثور] بأعلى صوته [فسحبوه كالثور المذبوح، ومات بها في طريقه إلى مكة بسرف إلى جهنم وبئس المهاد.
وارتفع الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم إلى الصخرة -حيث يوجد بعض أصحابه- فسر لذلك، وجاء أبو سفيان يحاول الوصول إلى أصحاب الصخرة في سفح أحد، فردوه خاسئاً خائباً وأخذ النعاس الأصحاب، فذهب بذلك الخوف عنهم وسكنت نفوسهم، وفي هذا يقول تعالى من سورة آل عمران: فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا مَا أَصَابَكُمْ [آل عمران:153]] على ما فاتكم من الغنائم والنصر ولا ما أصابكم من القتل والجراحات [وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ * ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ [آل عمران:153-154]] وهذا تدبير مولاهم؛ لأنه إذا نعس الإنسان ينسى الآلام ولا يفكر في شيء.

ما بعد نهاية المعركة

قال: [وانتهت المعركة، وكانت درساً قاسياً للمسلمين، ومثلت هند بنت عتبة امرأة أبي سفيان بالقتلى، فقطعت الآذان والأنوف والمذاكير، وبقرت بطن حمزة رضي الله عنه، ولاكت] بأسنانها [كبده لتأكل منها، فلم تقدر عليها، فرمتها وذهبت] وهذه المرأة والله في الجنة، فقد تابت وتاب الله عليها وقبلت توبتها .
[وأتى أبو سفيان فوقف تحت الصخرة، وقال: أفي القوم محمد؟ ثلاثاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تجيبوه.
ثم قال: أفي القوم ابن أبي قحافة ؟ ثلاثاً، ثم قال: أفي القوم ابن الخطاب ؟ ثلاثاً، ثم التفت إلى من معه فقال: أما هؤلاء فقد قتلوا، فقال عمر : كذبت يا عدو الله! قد أبقى الله لك ما يحزنك.
فقال: أعلُ هُبل] وهبل هو صنمهم ومعبودهم في مكة [فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أجيبوه، قولوا: الله أعلى وأجل)] لما قال أبو سفيان : اعل هبل، قال المسلمون: الله أعلى وأجل [فقال أبو سفيان : إنما لنا العزى ولا عزى لكم] وهو معبود آخر كهبل [فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم)] هم قالوا: لنا العزى ولا عزى لكم، ونحن نقول: الله مولانا ولا مولى لكم.
[فقال أبو سفيان : أنشدك الله يا عمر أقتلنا محمداً؟] يريد أن يتبين ويتأكد من صحة صراخ إبليس عندما قال: قتل محمد [قال عمر : لا وإنه ليسمع كلامك، فقال: أنت أصدق من ابن قمئة] لأن ابن قمئة ادعى أنه قتله، فقال: أنت أصدق منه [ثم قال: هذا بيوم بدر والحرب سجال] يعني: يومنا هذا يقابل يومكم في بدر لما انتصرتم، والحرب سجال، دَلو لنا ودلو لكم [أما إنكم ستجدون في قتلاكم مُثُلاً، والله ما رضيت ولا سخطت، ولا نهيت ولا أمرت، ثم انصرف ومن معه وقال: إن موعدكم العام المقبل] وأبو سفيان هذا زعيم في الحقيقة رضي الله عنه بعد ذلك.
اسمع ما قال: قال: أما إنكم ستجدون في قتلاكم مُثُلاً -أي: تمثيلاً- والله ما رضيت -بهذا التمثيل لقتلاكم- ولا سخطت، ولا نهيت عنه ولا أمرت، ثم انصرف ومن معه وقال: إن موعدكم العام المقبل، أي: نعيد الحرب من جديد.
[ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً في أثرهم] لما مشوا عائدين إلى مكة بعث علياً رضي الله عنه في أثرهم [وقال له: (انظر؛ فإن جنبوا الخيل وامتطوا الإبل فإنهم يريدون مكة)] أي: امش وراءهم وانظر، إذا تجنبوا الخيل وتركوها وركبوا الإبل فاعلم أنهم يريدون العودة إلى بلادهم، لكن لو ركبوا الخيل وتركوا الإبل فإنهم يريدون أن يعودوا إلينا.
وهذه سياسة عسكرية، وعلم لدني، فقد بعث علياً وهو كقطعة لحم منه -وأشجع من عرفتم- وقال له: امش يا علي وراءهم وانظر، فإن تجنبوا الخيل وامتطوا الإبل فإنهم يريدون مكة، وإن ركبوا الخيل فإنهم يريدون المدينة.
قال: [(فوالذي نفسي بيده! لئن أرادوها لأناجزنهم)] هذه كلمة الرسول، حلف بالله خالقه، والذي نفسه بيده، لئن أرادوها -أي: المدينة- ليقاتلنهم فيها [فخرج علي في أثرهم فوجدهم قد جنبوا الخيل وامتطوا الإبل، فرجع يصيح ما استطاع أن يكتم الخبر -وقد أُمر أن يكتمه- ولكن من شدة الفرح] ما استطاع أن يكتم.
[وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم من ينظر في القتلى، فرأى سعد بن الربيع الأنصاري وبه رمق] من الحياة [فقال سعد للذي رآه: أبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم مني السلام، وقل له: جزاك الله خير ما جزى نبياً عن أمته، وبلغ قومي السلام] رضي الله تعالى عنه [وقل لهم: لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أذى وفيكم عين تطرف، ثم مات إلى رضوان الله، فرحمك الله يا سعد بن الربيع ورضي عنك.
ووجد حمزة رضي الله عنه ببطن الوادي قد بقر بطنه عن كبده ومثّل به، فقال النبي صلى الله عليه وسلم حين رآه: (لولا أن تحزن صفية أو تكون سنة، لتركته حتى يكون في أجواف السباع وحواصل الطير)] يعني: لا أدفنه، لولا أن تحزن صفية عنه.
(أو تكون سنة للناس) أي: يتركون الشهداء بدون دفن.
ويتركه حتى يكون في أجواف السباع وحواصل الطير [(ولئن أظهرني الله تعالى على قريش لأمثلن بثلاثين رجلاً منهم)] مقابل تمثيلهم بحمزة رضي الله عنه وأرضاه.
[وقال المسلمون: لنمثلن بهم؛ فأنزل الله تعالى: وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ [النحل:126]، فعفا رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبه، ونهى صلى الله عليه وسلم عن المثلة، وهمَّ رجال بحمل قتلاهم ليدفنوهم بالمدينة فأمر رسول الله

صلى الله عليه وسلم بدفنهم حيث صرعوا، وأمر أن يدفن الاثنان والثلاثة في القبر الواحد، وأن يقدم إلى القبلة أكثرهم قرآناً] يقدم إلى القبلة أكثرهم قرآناً ويدفنوا في قبر واحد [وصلى عليهم، فكان كلما أتي بشهيد جعل حمزة وصلى عليهما] كلما جيء بشهيد من المعركة يضع حمزة معه ويصلي عليهما؛ حتى يصلي على حمزة عدة صلوات، وهذا دليل على حبه لحمزة رضي الله عنه وما ناله من ألم بعد موته، وكيف لا وهو عمه!! [ونزل في قبر حمزة أبو بكر و عمر و الزبير وجلس الرسول صلى الله عليه وسلم على حافة القبر، وأمر صلى الله عليه وسلم أن يدفن عمرو بن الجموح و عبد الله بن عمرو بن حرام في قبر واحد.
وانصرف الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم مع أصحابه عائدين إلى المدينة فدخلوها مساء يوم السبت يوم المعركة الخالدة معركة أحد التي نزل فيها جزء كبير من سورة آل عمران].

مواقف في أحد

قال: [مواقف (في أحد) ومواقف]

مواقف مشرفة

قال: [مواقف مشرفة: وباستعراض سريع لمعركة أحد تتجلى لنا مواقف مختلفة، منها المشرف، ومنها المخزي.
ومن المواقف المشرفة ما يلي]:

رابعاً: موقف الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم

قال: [رابعاً: موقف الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم -ومواقفه كلها مشرفة-] وليس موقفاً واحداً فقط[لما أسند صلى الله عليه وسلم في الشعب أدركه أبي بن خلف على جواد له يزعم أنه يقتل عليه محمداً صلى الله عليه وسلم، تقدم نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول: لا نجوت إن نجا، فلما اقترب منه تناول الرسول صلى الله عليه وسلم الحربة من يد الحارث بن الصمة ، فلما أخذها انتفض بها انتفاضة تطايروا عنه تطاير الشعر عن ظهر البعير، ثم استقبله فطعنه بها طعنة أصابت نحره فوقع عن فرسه فحمل إلى قريش وهو يخور كالثور ويقول: قتلني -والله- محمد، فمات في الطريق عند سرف].
خامساً: موقف أنس بن النضر الأنصاري

قال: [خامساً: موقف أنس بن النضر الأنصاري ، إنه لما صاح أزب العقبة -الشيطان- قائلاً: إن محمداً قد مات، وانجفل الأبطال ووقفوا عن القتال حيارى مشدوهين مدهوشين، صاح فيهم أنس قائلاً: ما يحبسكم عن القتال؟ قالوا: قد قتل النبي صلى الله عليه وسلم، فقال لهم: ما تصنعون بالحياة بعده؟ موتوا على ما مات عليه.
يا قوم! إن كان محمد قد قتل فإن رب محمد لم يقتل، فقاتلوا على ما قتل عليه محمد، اللهم إني أعتذر إليك مما يقول هؤلاء، وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء] الله أكبر!

سادساً: موقف آخر للحبيب صلى الله عليه وسلم

قال: [سادساً: موقف الحبيب صلى الله عليه وسلم -وحياته كلها مواقف شرف وكمال- ولكن نذكر ما نذكر للمناسبة ولإثارة كوامن الحب في النفس بالذكر.
إنه صلى الله عليه وسلم بعد تلك الجراحات المؤلمة، أخذ صلى الله عليه وسلم شيئاً فجعل ينشف الدم عنه ويقول: (كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم إلى ربهم، فأوحي إليه: لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ [آل عمران:128] فقال: اللهم اغفر لقومي؛ فإنهم لا يعلمون)].
سابعاً: موقف فاطمة بنت رسول الله

قال: [سابعاً: موقف فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم: إنه لما جرح والدها صلى الله عليه وسلم أخذ علي يأتي بالماء، و فاطمة تغسل جراحات الحبيب والدها محمد صلى الله عليه وسلم، ولما رأت الدم لم يرقأ] أي: لم يكف [بالغسل، جاءت بحصير فأحرقته وضمدت بالرماد الحار جراحات أبيها صلى الله عليه وسلم فرقأ الدم ولم يسل.
إن هذا الموقف للزهراء بنت الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم يسمو كل المواقف].

ثامناً: موقف عبد الله بن عمرو بن حرام

قال: [ثامناً: موقف عبد الله بن عمرو بن حرام : إنه لما انهزل وانخذل ابن أبي بثلث الجيش] عند قدومه إلى أحد كما تذكرون [وانصرف عائداً هو ومن معه إلى المدينة، استقبلهم عبد الله وقال: تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا] عن أهليكم وإخوانكم إن لم تقاتلوا في سبيل الله [قالوا: لو نعلم قتالاً لاتبعناكم، فأنزل الله تعالى فيه قرآناً يقرأ إلى يوم الدين].

تاسعاً: موقف حنظلة غسيل الملائكة

قال: [تاسعاً: موقف حنظلة غسيل الملائكة: إنه] أي حنظلة [تزوج وبات عريساً ليلته، فأيقظه صوت الجهاد، ولم يغتسل بعد، فقام فلبس درعه وحمل سلاحه ولحق بالمعركة وهي دائرة، فخاضها خوض الأبطال وقاتل حتى استشهد -وهو جنب- فغسلته الملائكة، وأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: (سلوا امرأته) فسألوها فأخبرت أنه خرج من عندها جنباً ولحق بالجهاد لما سمع صوته، فكان موقفاً مشرفاً لحنظلة ، وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم].

عاشراً: موقف أم عمارة نسيبة

قال: [عاشراً] وأخيراً [موقف أم عمارة نسيبة : إنها خرجت أول النهار تنظر ما يصنع الناس ومعها سقاء فيه ماء، فأتت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في أصحابه -والدولة والربح للمسلمين- فلما انهزم المسلمون انحازت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وباشرت القتال تذب بالسيف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وترمي عن القوس حتى خلصت الجراحات إليها.
بهذا حدثت رضي الله عنها فكان موقفاً مشرفاً لها رضي الله عنها] ولا حرمنا ما أعطاهم، ولا منعنا إن شاء الله من جهاد كجهادهم لنلاقي ما لاقوا .
وصل اللهم على نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم .

أولاً: موقف أبي طلحة الأنصاري

قال: [أولاً: موقف أبي طلحة الأنصاري ؛ إذ وقف موقفاً لا يزال يذكر له ما بقي الإسلام والمسلمون.
قال أنس رضي الله عنه: لما كان يوم أحد، انهزم الناس عن النبي صلى الله عليه وسلم و أبو طلحة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم مُجوّب عليه بجحفة له، وكان أبو طلحة رامياً، كسر يوم أحد قوسين أو ثلاثة، فإذا مر الرجل بجعبة من النبل يقول له: انثرها لـأبي طلحة] والجعبة حيث توضع النبال.
أي: يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: انثرها أمام أبي طلحة [ويشرف النبي صلى الله عليه وسلم على القوم، فيقول له أبو طلحة : بأبي أنت وأمي لا تُشرف، يصيبك سهم من سهام القوم، نحري دون نحرك] لما كان النبي يريد أن يظهر نفسه لأصحابه كان أبو طلحة لا يرضى بذلك خشية أن يصيبه سهم من السهام [فرضي الله عن أبي طلحة وأرضاه وجعل الجنة مأواه، اللهم بحبنا فيك لهم فاجمعنا بهم] اللهم بحبنا فيك لهم فاجمعنا بهم يا رب العالمين.

ثانياً: موقف عائشة بنت أبي بكر و أم سليم الأنصارية

قال: [ثانياً: موقف عائشة بنت أبي بكر و أم سليم الأنصارية ، قال أنس : لقد رأيت عائشة بنت أبي بكر و أم سليم وإنهما لمشمرتان عن خدم سوقهما تنقزان بالقرب تفرغانها في أفواه القوم مرات عديدة] عائشة و أم سليم كانتا تحملان قرب الماء وتتعاهدان الجرحى وهم يئنون ويصرخون وتصبان الماء في أفواههم [فما أشرف هذا الموقف وما أشرف صاحبتيه رضي الله عنهما وأرضاهما].

ثالثاً: موقف طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه

قال: [ثالثاً: موقف طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه -قال- : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب -ومعه نفر من أصحابه- إذ علت عالية من قريش الجبل، ونهض رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصخرة من الجبل ليعلوها، وكان قد بدّن] يعني: عظم بدنه [وظاهر بين درعين، فلما ذهب لينهض] صلى الله عليه وسلم ليطلع للصخرة [لم يستطع، فجلس تحته طلحة فنهض به حتى استوى عليها، فقال صلى الله عليه وسلم: (أوجب طلحة حين صنع برسول الله ما صنع!)] أوجب لنفسه البشرى بالجنة حين صنع برسول الله ما صنع.

غزوة أحد من الغزوات العظيمة في السيرة النبوية والجهاد الإسلامي ضد أهل الشرك والوثنية، وقد كانت بقيادة الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم، وقد أبلى فيها بلاءً حسناً، وأظهر فيها شجاعة لا تبارى، وكان لأصحابه رضي الله عنهم فيها مواقف مشرفة، كما كان للمنافقين وأذيالهم مواقف مخزية، وكل سيجازى بعمله، وفيها دروس وعبر عظيمة ينبغي أن تكون نبراساً لنا في حياتنا وجهادنا ضد أعداء الله من اليهود والنصارى وأذنابهم.

المواقف المشرفة في غزوة أحد

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.
أما بعد: لنقضي ساعة مع حبيبنا صلى الله عليه وسلم، وقد انتهى بنا الدرس إلى المواقف المخزية في غزوة أحد، هذه الغزوة التي تعتبر من أجلّ الغزوات وأعظمها، وقد جاء ذكرها في عشرات الآيات من سورة آل عمران، ودرسنا ما شاء الله منها وانتهينا إلى مواقف مشرفة، فعرفناها ولا بأس أن نشير إليها على عجل لننتقل إلى المواقف المخزية.
إذاً: كان هناك مواقف مشرفة هنيئاً لأهلها، ومواقف مخزية فيا حسرة أهلها، وهذا كله للعظة والعبرة.
اللهم لا تحرمنا العظات ولا العبر! أولاً: من المواقف المشرفة موقف أبي طلحة الأنصاري ، إذ وقف موقفاً لا يزال يذكر له ما بقي الإسلام والمسلمون، قال أنس رضي الله عنه: لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبي صلى الله عليه وسلم و أبو طلحة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم مُجوّب عليه بجحفة له، وكان أبو طلحة رامياً، كسر يوم أحد قوسين أو ثلاثة، فإذا مر الرجل بجعبة من النبل يقول له: انثرها لـأبي طلحة ، ويشرف النبي صلى الله عليه وسلم على القوم فيقول له أبو طلحة : بأبي أنت وأمي لا تشرف، يصيبك سهم من سهام القوم، نحري دون نحرك!! وكذلك موقف عائشة بنت أبي بكر الصديق فقد كانت تعالج المرضى، وموقف طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه، وموقف الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم ومواقفه كلها مشرفة، وموقف أنس بن النضر الأنصاري الذي استشهد وكان يقاتل دون رسول الله صلى الله عليه وسلم، وموقف آخر للحبيب صلى الله عليه وسلم وحياته كلها مواقف، وموقف فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد كانت تغسل جراح أبيها مع علي رضي الله عنه، وموقف عبد الله بن عمرو بن حرام الذي استشهد في هذه المعركة، وموقف حنظلة غسيل الملائكة، وموقف أم عمارة نسيبة ، فقد خرجت أول النهار تنظر ما يصنع الناس ومعها سقاء فيه ماء، فانتهت إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وهو في أصحابه والدولة والربح للمسلمين، فلما انهزم المسلمون انحازت إلى رسول الله وباشرت القتال تذب بالسيف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.
باختصار هذه مواقف مشرفة، وقد مرت بنا، والآن مع مواقف ضدها محزنة مخزية.

المواقف المخزية في غزوة أحد

قال: [مواقف مخزية: كانت تلك مواقف مشرفة لأهلها ولمحبيهم معهم] ونحن إن شاء الله نحبهم [وهذه مواقف مخزية لأهلها ولمحبيهم معهم أيضاً] ونعوذ بالله أن نكون من محبيهم [وأول هذه المواقف المخزية:]
رابعاً: موقف هند بنت عتبة امرأة أبي سفيان

قال: [رابعاً: موقف هند بنت عتبة امرأة أبي سفيان : إنها بإغرائها] أغرت وحرشت وحشي على قتل حمزة [وبإثارتها الحماس في جيش المشركين وبتمثيلها بقتلى المسلمين، وببقرها بطن حمزة وأكلها كبده -وإن لم تبتلعها لعدم قدرتها عليها- بهذا قد وقفت شر موقف وأخزاه، ولولا أن من الله تعالى عليها بالإسلام لكانت مع أبي بن خلف و أبي جهل في جهنم، ولكن رحمها الله، فأسلمت وحسن إسلامها ونُسي لها موقفها هذا؛ لأن الإسلام جبَّ ما قبله] الإسلام يقطع ما قبله، فهذه هند رضي الله عنها وأرضاها امرأة أبي سفيان رضي الله تعالى عنه وأرضاه أسلمت وأسلم زوجها ودخل الكل في رحمة الله.
إذاً: هذه المواقف مخزية حقاً، وهي شر المواقف، وتقابلها المواقف المشرفة، وهكذا الناس منهم الصالح والطالح، فهذا يقف موقفاً يُسعد ويشرّف، وهذا يقف موقفاً يُخزي ويذل ويهين، والأمر يرجع إلى الله عز وجل.
ثالثاً: موقف أبي عامر الذي لقبه الرسول صلى الله عليه وسلم بالفاسق

قال: [ثالثاً: موقف أبي عامر الذي لقبه الرسول صلى الله عليه وسلم بالفاسق بدلاً عن الراهب الذي كان يعرف به في الجاهلية قبل الإسلام] فقد تنصّر وأصبح راهباً، وجاء يوم أحد للفتنة، وكان يعرف بالراهب في الجاهلية [إنه وقف -لعنه الله- بين الصفين صبيحة يوم أحد] بين صف المؤمنين والمشركين [ونادى قومه وتعرف إليهم] أنه فلان [وحرضهم على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين] بوقاحة وجرأة [فوقف موقفاً مخزياً، ولذا أجابه رجال من الأنصار بقولهم: لا أنعم الله بك عيناً يا فاسق! فقال -لعنه الله-: لقد أصاب قومي بعدي شر] أي: تغيرت عقولهم وقلوبهم؛ لأنه كان خارج المدينة، فلما ناداهم وحرضهم على قتال الرسول صلى الله عليه

وسلم أجابوه: لا أنعم الله بك عيناً يا فاسق! فقال: قد أصاب قومي بعدي شر، يعني: تغيرت نفوسهم [وقاتل مع المشركين قتالاً شديداً، فكان بئس الموقف، وموقف هذا الفاسق لا ينسى له الدهر كله] هذا أبو عامر الراهب الذي لقبه الرسول صلى الله عليه وسلم بالفاسق، وهو -والله- كذلك.
مداخلة: أين عمر منه؟ الشيخ: عمر في صفوف المقاتلين.
وصفوف المقاتلين ليست كصفوف الصلاة، فالمجاهدون كانوا على سفح أحد والمشركون بمسافة أمامهم، وهذا الفاسق وقف في الوسط رافعاً صوته ليبلغ الأنصار من أهل المدينة ما يريد، فليس لعمر أن يخرج بدون إذن القائد صلى الله عليه وسلم، فإذا كان هناك مبارزة فإنها لا تكون إلا باسم القائد وإذنه.
وعلى كل حال! سنبلغ عمر إن شاء الله إذا التقينا.

ثانياً: موقف مربع بن قيظي الأعمى

قال: [ثانياً: موقف مربع بن قيظي الأعمى عليه لعائن الله] وقد عرفتم عنه [إنه لما مر ببستانه الجيش الإسلامي] في طريقهم إلى أحد [بقيادة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسمع بحس الجيش، وعرف أن محمداً صلى الله عليه وسلم هو قائده، رفع حفنة من تراب وحصى] بيديه [وقال: والله لو أعلم أني لا أصيب بها غيرك يا محمد لضربت بها وجهك] والعياذ بالله! هذا مربع بن قيظي [وقال: إن كنت رسولاً فإني لا أحل لك أن تدخل حائطي] بستاني، وهو منافق [فكان موقف هذا المنافق الأعمى القلب والبصر أخزى موقف وأقبحه على الإطلاق].
وهذا لتعرفوا البشرية يا أبناء الإسلام وأحوالها! فالبشر هم البشر، منهم الطيب ومنهم الخبيث، منهم الأعمى ومنهم البصير، منهم المحق ومنهم المبطل، وكل هذا تهيئة وإعداداً للنزول الأخير، إما في الملكوت الأعلى، وإما في الدركات السفلى، وتنطوي صفحة الحياة كلها، فلا بد من الطيب والخبيث.

أولاً: موقف عبد الله بن أبي ابن سلول

قال: [أولاً: موقف عبد الله بن أبي ابن سلول -رأس المنافقين بالمدينة- إنه ما إن خرج الجيش الإسلامي من المدينة في طريقه إلى أحد، وهو يشكك في صحة الجهاد وجدوى هذا الخروج، حتى استجاب له ثلاثمائة رجل من المنافقين وضعاف الإيمان، ورجعوا من الطريق، فخذلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين الصادقين.
فكان هذا موقفاً شر موقف وأخزاه لـابن أبي ومن والاه] فقد استخدم الطابور الخامس ونجح والعياذ بالله.
وتذكرون أنه نقم لأنه كان يرى أن على المسلمين ألا يخرجوا إلى المشركين خارج المدينة، ووافق موقفه موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما استجاب الرسول للأنصار والمهاجرين ولم يستجب له غضب، فحمل الحقد وأصبح ينفخ نفخة السوء والشر، فرجع من الطريق بثلاثمائة مقاتل.

نتائج وعبر من غزوة أحد

قال: [نتائج وعبر: إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبراً نجملها إزاء الأرقام التالية:]

سادساً: بيان كمال قيادته العسكرية صلى الله عليه وسلم

قال: [سادساً] من النتائج والعبر لو أن المسلمين أخذوا بها [بيان كمال قيادته العسكرية] الرسول كان قائداً، ووالله ما اكتحلت عين الوجود بأعلم بالحرب من الرسول صلى الله عليه وسلم.
من أي كلية تخرج؟ من بريطانيا؟ أم من كلية يوغسلافيا أيام الشيوعية؟ ولو كنا قادة حربيين عسكريين كرسول الله كيف يغلبنا جماعة اليهود ويذلوننا ويكسرون أنوفنا؟ أين قياداتنا ورجالنا؟ ولكن عرف اليهود من أين تؤكل الكتف، وأن النور الإلهي إذا بقي في الأمة فإنهم لن يستطيعوا أن يفتحوا أعينهم أبداً في وجهها، فقالوا: أطفئوا هذا النور.
وحولوا القرآن إلى الموتى، والسنة للبركة، وقسموا الأمة إلى مذاهب وطوائف وأقاليم، ويومها رفعوا رءوسهم.
قال: [ويتجلى ذلك بوضوح في اختياره مكان المعركة وزمانها، وفي وضعه الرماة على جبل الرماة، ووصيته لهم بعدم مغادرة أماكنهم مهما كانت الحال ولو رأوا الموت يتخطف إخوانهم في المعركة، ويدل على هذا أن الهزيمة النكراء التي أصابت الأصحاب كانت نتيجة تخلي الرماة عن مراكزهم كما مر في عرض المعركة وتسجيل أحداثها].
أما قال النبي صلى الله عليه وسلم للرماة: (الزموا أماكنكم سواء كانت لنا أو علينا)، ولو بقوا في أماكنهم لما وقع شيء أبداً من الهزيمة، ولَما جرح الرسول صلى الله عليه وسلم، ولا قتل فلان وفلان من الصحابة رضوان الله عليهم؛ لأن أول المعركة كانت لأصحاب رسول الله، وفر المشركون بصورة عجيبة، وفر بعدهم نساؤهم، فلما رأى خالد بن الوليد نزول الرماة عن الجبل وأنه قد خلا إلا من قليل احتله وكانت الهزيمة.
قال: [وفي إرساله -أيضاً- علياً رضي الله عنه يتتبع آثار الغزاة للتعرف على وجهتهم إلى المدينة أو إلى مكة ليتحرك بحسب ما يتطلبه الموقف] أي أية سياسة أعظم من هذه؟ لما مشى المشركون وما عرف الرسول وجهتهم، فلعلهم يعودون إلى المدينة لأخذ الأموال وقتل

النساء والأطفال -وإن كان العرب لا يقتلون النساء والأطفال- كلف علياً بأن يتبعهم، ليرى هل يعودوا إلى المدينة لإتمام المسلمين أم أنهم اكتفوا بذلك وهم في طريقهم إلى مكة.
وهذه حنكة وقيادة وبصيرة.
خامساً: بيان شجاعة الرسول صلى الله عليه وسلم القلبية والعقلية

قال: [خامساً] خامس النتائج والعبر لمن يجنيها ويريدها، أما المسلمون الذين ماتوا فلا يسألون عن هذا، ولا يفرحون به [بيان شجاعة الرسول صلى الله عليه وسلم القلبية والعقلية] فالشجعان بعضهم شجعان قلوب، وبعضهم شجعان عقول، وشجاعة العقل أعظم من شجاعة القلب؛ لأن الأسود والنمور عندها شجاعة قلب، ولكن شجاعة العقل أعظم وأولى، وتتجلى هذه في نبينا صلى الله عليه وسلم.
[فقد تجلت في مواقف عديدة له صلى الله عليه وسلم منها: أنه لم يثن عزمه رجوع ابن أبي بثلث الجيش] ووالله لولا شجاعته القلبية والعقلية لقال: هيا نرجع! لقد قلنا لكم: علينا أن نقاتل في المدينة، فقلتم: نخرج وها هو نصف جيشكم راح!!.
ولو كنت أنا -والله- لقلت هذا؛ لأنه طالبهم صلى الله عليه وسلم بأن يقاتلوا العدو في المدينة، فيرجمه النساء والأطفال من أسطح البيوت بالحجارة، ويتوزعون فيها فلا ينفعون بشيء، وأنه أولى من أن يخرج إليهم لكن الجماعة الموجودين رفضوا، فقال لهم النبي: تفضلوا، فلما خرجوا وفي أثناء الطريق رجع ابن أبي بثلاثمائة معه وهو ثلث الجيش تقريباً.
إذاً: لو كان غير الرسول ممن لا شجاعة عقلية عنده ولا قلبية لقال: الحمد لله، الآن عرفتم؟! هاهو ثلث الجيش قد رجع، فهيا نرجع ونقاتل في المدينة.
لكنه صبر صلى الله عليه وسلم ومضى في طريقه إلى أحد.
[وثباته صلى الله عليه وسلم في المعركة أيضاً بعد أن فر الكثير من أصحابه] هربوا وهو ثبت، حتى قال شجعانهم كـعلي و الزبير : كنا إذا حمي الوطيس والتهبت نار الحرب نحتمي بالرسول صلى الله عليه وسلم.
فالشجاعة العقلية في عدم رجوعه، والقلبية في كونه يقف في وجه الأعداء وهم يضربونه ومن ورائه الأبطال يحميهم، وما هرب كما هرب أصحابه بل ثبت صلى الله عليه وسلم.
قال: [وانتفاضته وهو مثقل بجراحاته وطعنه أبي بن خلف طعنة خار لها كالثور وسقط منها كالجبل ومات في طريقه] جلس الرسول صلى الله عليه وسلم في آخر المعركة مع أصحابه أبو بكر عمر على سفح الجبل على صخرة، فجاء الطاغية أبي بن خلف يريد أن يشفي صدره بقتل محمد صلى الله عليه وسلم، فالصحابة خافوا واندهشوا، بينما قام الرسول وانتفض انتفاضة الأسد وأخذ حربة وضربه بها في ترقوته فخار كما يخور الثور.
وهذا موقف شجاع منه صلى الله عليه وسلم!
رابعاً: تقرير مبدأ الشورى

قال: [رابعاً: تقرير مبدأ الشورى] الديمقراطية التي يتغنى بها الملاحدة، وهل عرفت الدنيا شورى كما عرفها الإسلام؟ وكون المسلمين ضلوا الطريق وتاهوا في متاهات وغشاهم الجهل وأضلهم وأعماهم فلا يُسب بذلك الإسلام أبداً، فالإسلام هو أول من قرر الشورى في الحكم، أما قال تعالى لرسوله: وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ [آل عمران:159] وامتدح المؤمنين -تعالى- قائلاً: وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ [الشورى:38]، والرجل منا يستشير امرأته، ويستشير أولاده، ويستشير جيرانه، والمؤمن الحازم لا يقدم على أمر ذي أهمية حتى يستشير، والقاعدة وضعها الرسول صلى الله عليه وسلم ولن تستطيع يد البشرية أن تربطها إذ قال: (ما خاب من استخار، ولا ندم من استشار، ولا عال من اقتصد) هل عرف علماء الاقتصاد هذا؟ والله ما عرفوا، يذهب من يدرس ويتخرج على أيدي الملاحدة وأعداء الإسلام والمسلمين ليصبح رجل اقتصاد، والرسول قال كلمة فقط: (ما عال من اقتصد)، فالذي يقتصد في لباسه وطعامه وشرابه ومنامه وفي حياته لا يفتقر، والفقر الذي أصاب المسلمين وحطمهم علته عدم الاقتصاد، سواء كان راتبه ألف أو عشرة يسرف ويعبث ثم يمد يده أو يحاول أن يسرق أو يأخذ الرشوة!! والشاهد عندنا: لِم نُحرم العيش على هدي النبوة المحمدية، ونعيش على فهوم وأفكار وأباطيل ودعاوى هابطة لاصقة بالأرض؟ بكم يشترى هذا الحديث؟! وأنا أقول: قولوا لعلماء الاقتصاد أن ينقضوا هذا: (ما عال من اقتصد) وهو حديث واحد من آلاف الأحاديث، كل هذا تركه المسلمون وهجروه وما سمعوا به ولا عرفوه، وليس فيهم من يقول: أنا والحمد لله وفقت للاقتصاد، فما استقرضت ولا استلفت ولا سرقت ولا كذبت ولا طالبت أحداً، وما أعطانيه الله عشت عليه عشرات السنين، هل فيهم أحد وقف هذا الموقف؟! لكن أنا والحمد لله ما استلفت من أحد طوال حياتي، إلا مرة واحدة حاولت فيها ولم أنجح، هذا وأنا صاحب أسرة، وراتبي أقل الرواتب من بدايته، فالحمد لله، عرفنا هذا المبدأ ونحن أطفال بعد أن تعلمناه في المسجد، كنا نعيش على التمر والناس يطلبون ويهرجون ونحن نكتفي بتمرنا، كان الناس يطلبون اللبن ونحن عنزتنا تكفينا، لا نطلب لبناً من غيرها، وهكذا.
بينما نرى المسلمين من حولنا يتخبطون.
لقد بلغني أن أحد الأبناء اشترى ثلاث سيارات أو أربعاً ليبيعها مرة أخرى ببخس! ما حملك على هذا يا عبد الله! جع كما جاع رسول الله واصبر، لف جسمك في خرقة واصبر حتى يفرج الله، لكنه لم يفهم الاتجاه الإسلامي الحقيقي أبداً.
قال: [إذ استشار صلى الله عليه وسلم أصحابه في قتال المشركين خارج المدينة أو داخلها وأخذ برأي الأغلبية] والقصة مرت [وسجل حكمة انتفع بها كل من أخذ بها من مؤمن وكافر وهي قوله: (ما كان لنبي أن يضع لأمته على رأسه، ثم يضعها قبل أن يحكم الله بينه وبين عدوه) إنها آية العزم والحزم والصدق] وقد انتفع الكفار بهذا.

ذكر الشيخ رشيد رضا عن شيخه محمد عبده رحمة الله عليهما: أن ثورة قامت في السودان -سودان النيل- تريد الحكم، فبلغ الأمر بريطانيا فتحركت وهي الحاكمة المسيطرة على مصر والسودان وغيرها، فلما علم الشيخ محمد عبده تغمده الله برحمته تحرك بريطانيا خاف على إخوانه في السودان -لا أقل ولا أكثر- فأبرق ببرقية يسترحم ويستعطف فيها رئيسة الحكومة أو رئيس الحكومة البريطانية متعهداً هو بإطفاء هذه النار، ولا حاجة إلى أن تبحر بريطانيا وتأتي بجيشها لتدمر المسلمين، فاعتذرت الحكومة وردت عليه بأن بريطانيا إذا أبحرت بجيوشها لا ترجع حتى تنفذ مأموريتها! وليست هذه الأولى، فما ارتقت بريطانيا ولا فرنسا ولا العالم الأوروبي إلا على هداية محمد وأنوار الإسلام -والله العظيم- وإن كانوا يصوغون صياغة ثم ينسبونها إلى رجالاتهم، فالقانون الفرنسي الاجتماعي السياسي أخذ (75%) منه من خليل المالكي وهذا باعترافهم، فالفقه المالكي فقه محترم، وكتاب خليل بن إسحاق يعتبر أعظم كتاب في الفقه المالكي، ثم نسب بعد ذلك هذا العمل إلى رجالاتهم، ولا تقل كيف، فقد كانوا أمة هابطة كالبهائم والحيوانات، ما عرفوا النور ولا سمعوا به حتى لاح في العالم، وخاصة لما انتقل الإسلام إلى غرب أوروبا وشرقها، ومن ثم أخذوا يتمنطقون بالشورى والديمقراطية وكأننا لا نعرفها!! والآن نطالب المسئولين في بلادنا -وهي أطهر بلاد برحمة الله- فإذا بلغهم خبر أو رفعت لهم قضية عليهم أن لا يقبلوها سجالاً، بل لا بد من التثبت وسؤال أهل البصيرة والمعرفة، حتى لا يقعوا في الخطأ ثم يتأسفون بعد ذلك.

وأقول: حتى أنت في بيتك استشر زوجتك قبل أن تشتري شيئاً أو ترده، والأخ يستشير أخاه في أي عمل؛ لأن كل إنسان في حاجة إلى نور قد يوجد عند غيره، وما خاب من استخار، ولا ندم من استشار، وكم من أخطاء نقع فيها؛ لأننا نستقل برأينا أو بفهمنا، أو يأتي لنا شخص برأي هابط ويغشنا فنأخذ به ونتورط.

ثانياً: رد عين قتادة بعد أن تدلت على وجنته

قال: [ثانياً: رد عين قتادة بعد أن تدلت على وجنته، فأصبحت أحسن منها قبل إصابتها وتدليها بعد خروجها، فكانت آية نبوة محمد صلى الله عليه وسلم] قتادة هذا الصحابي رضي الله عنه أثناء المعركة ضرب في رأسه فخرجت عينه وتدلت إلى وجنته، فجيء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فردها ومسحها فعادت والله أكثر إشراقاً وإضاءة واستنارة مما كانت عليه قبل الحادثة، وهذه آية من آيات النبوة تنطق بأن محمداً رسول الله، وهي دليل على رسالته صلى الله عليه وسلم، كيف ترد عين بعدما خرجت وتدلت وليس هناك من بلسم ولا دواء إلا قدرة الله عز وجل وتأييده بذلك لنبيه صلى الله عليه وسلم؟!

أولاً: صدق رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم

قال: [أولاً: صدق رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم، إذ رأى في منامه ثلماً في سيفه] رأى رؤيا، ورأى في سيفه انثلاماً وانكساراً [فأوله] صلى الله عليه وسلم [بموت بعض آل بيته، فمات حمزة رضي الله عنه، و عبد الله بن جحش ابن عمته] وصهره أخو زينب رضي الله عنه وأرضاها.

مات هؤلاء كلهم ونحن ماذا ننتظر؟ هل عندنا صكوك بأن لا نموت؟ لا.

سوف نموت.

وما الذي سيقابلنا؟ يقابلنا أعمالنا فقط.

فمن استطاع أن يصلح عمله فليفعل، وإلا فالموقف فوق ما نتصور، فاعملوا على تزكية أنفسكم وتطهيرها بمواد التطهير، بهذه العبادات المقننة تقنيناً كيماوياً، فهي أدوات التزكية والتطهير، واحذروا أدوات التخبيث والتلويث والتدمير، وهي كل معصية لله ورسوله صلى الله عليه وسلم، فإنها تحول النفس البشرية إلى أنتن من أرواح الشياطين، وحكم الله الصادر: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا [الشمس:9-10].

ثالثاً: قتل النبي صلى الله عليه وسلم أبي بن خلف

قال: [ثالثاً: قتل النبي صلى الله عليه وسلم أبي بن خلف] هذا الطاغية المجرم، المشرك الكافر، وكان قد توعده رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقتل في مكة، وأُعلم أنه سيقتل على يد محمد صلى الله عليه وسلم، وأنكر ذلك وكابر وعاند وجاء للحرب ضد رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة [وكان قد أخبر به في مكة قبل الهجرة، وتم كما أخبر فكان آية النبوة المحمدية، ولم يقتل النبي صلى الله عليه وسلم أحداً سواه] في حروبه كلها السبعة عشر ما قتل أحداً إلا أبي بن خلف [وشر الخلق من قتله نبي] شر الخلق على الإطلاق من قتله نبي من الأنبياء [كما أخبر بذلك الرسول صلى الله عليه وسلم] وكان قد قتله صلى الله عليه وسلم عندما جاء يهاجمه وهو بين أصحابه بعدما انتهت المعركة، فأخذ الرسول حربة من يد أحد أصحابه وضربه بها في ترقوته، فخار كما يخور الثور، وسقط ومات في الطريق عليه لعائن الله.

عاشراً: بيان أن الرغبة في الدنيا وطلبها بمعصية الله والرسول هي سبب كل بلاء ومحنة

قال: [عاشراً: بيان أن الرغبة في الدنيا وطلبها بمعصية الله والرسول هي سبب كل بلاء ومحنة تصيب المسلمين في كل زمان ومكان] أخذنا هذا من غزوة أحد؛ لأنه لما انتصر الإسلام في أول النهار ثم هبط المسلمون لجمع الغنائم كانت الهزيمة.

الحادي عشر: بيان صدق وعد الله للمؤمنين بالنصر

قال: [الحادي عشر: بيان صدق وعد الله للمؤمنين بالنصر؛ إذ ظهر ذلك في أول النهار، قال تعالى: وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ [آل عمران:152]] ثم حصل الذي حصل .

الثاني عشر: بيان عقوبة الله تعالى للمؤمنين لما عصوه

قال: [الثاني عشر: بيان عقوبة الله تعالى للمؤمنين لما عصوه بترك الرماة لمراكزهم الدفاعية وطلبهم للغنيمة، ولما تساءلوا عن سبب هزيمتهم أجابهم الله تعالى بقوله: قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ [آل عمران:165]] ومن يرد على الله؟! قال تعالى: أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [آل عمران:165] [وهو ظاهر قوله تعالى: إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ [آل عمران:152] أي: من النصر مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ [آل عمران:152]] هل عرف المسلمون هذا؟ لا.
إنهم مشغولون بالأغاني.
وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

ثامناً: صبره صلى الله عليه وسلم

قال: [ثامناً: مظاهر صبره صلى الله عليه وسلم، وقد تجلى صبره بوضوح في عدم جزعه لما أصابه وأصاب أصحابه من آلام وأحزان، ومن فوات النصر الذي قاربه في أول النهار وخسره في آخره حيث انقلب إلى هزيمة مرّة وانكسار خطير].

تاسعاً: بيان الآثار السيئة لتقديم الرأي على قول الرسول

قال: [تاسعاً: بيان الآثار السيئة لتقديم الرأي على قول الرسول صلى الله عليه وسلم؛ إذ كان من عوامل الهزيمة إصرار الصحابة على رأيهم في القتال خارج المدينة، في الوقت الذي كان الرسول صلى الله عليه وسلم يرى عدم الخروج حتى ألجئوه إلى أدراعه ولباس لأمته، ثم ندموا فلم ينفع ندم] ولا يحل لثلاثة أنفار أن يستبدّ كل منهم برأيه، فكيف لأمة لا تولي من يأمرها وينهاها؟ أو أنها توليه ثم تفسق عنه وتخرج عن طاعته! كيف تنتصر؟ إن الإسلام لا يبيح أبداً أن يعيش المسلمون بلا إمام يقودهم، والذي يلعن الإمام أو ينتقده أو يطعن فيه فاسق خارج عن جماعة المسلمين.

سابعاً: رحمة الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم

قال: [سابعاً: مظاهر رحمة الحبيب صلى الله عليه وسلم حيث تجلت في عفوه عن الأعمى الذي سبه ونال منه حتى همّ أصحابه بقتله فأبى عليهم وقال: (دعوه فإنه أعمى القلب أعمى البصر)] هذا الأعمى أخذ تراباً من الأرض وقال للنبي صلى الله عليه وسلم: لو أعلم أني لا أصيب به غيرك لرميتك به، وقال: كيف تمر بخيلك على بستاني وأنت تدعي النبوة، وهمَّ أصحابه صلى الله عليه وسلم بأن يقتلوه فقال: (دعوه فإنه أعمى القلب أعمى البصر)، وهذا من الرحمة المحمدية.
قال: [وفي قوله -وهو يجفف الدم السائل من وجهه الكريم الشريف-: (اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون)] كان يمسح الدماء صلى الله عليه وسلم وهي تسيل من وجنتيه ورأسه قائلاً: (اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون).
أي رحمة أعظم من هذه؟ تعالوا إلى الجزائر الآن، وانظروا كيف يأكل بعضهم بعضاً، وباسم الإسلام أيضاً، والإيمان والجهاد!! أتجاهدون المسلمين؟ من أذن بالجهاد في بلاد المسلمين؟ إلا اليهود فقط، إن الجهاد هو قتال الكفار بعد خطوات لا بد منها، فبعد أن نرسو بسفننا على شواطئهم نعرض عليهم ثلاثة أمور: إما الدخول في الإسلام، وإما السماح لنا بالدخول إلى ديارهم لتعليم الأمة وإنقاذها وإرشادها من جهلها وكفرها، وإما أن نقاتلهم ليس أن نقتلهم فقط.
والآن تخرج جماعات في بلاد المسلمين تسمى كتائب الإيمان يقاتلون المسلمين، ويقولون: هذا جهاد؟! أتقاتل المسلمين وتسميه جهاداً؟ وأمس لامني بعض الغافلين وقالوا: كيف تقول كتائب الكفر وهم كتائب الإيمان؟ آه! ماذا نصنع؟ ما ربينا في حجور الصالحين، ولا تعلمنا الهدى من آبائنا وأمهاتنا! قال: [وفي بكائه صلى الله عليه وسلم على عمه عندما وضع بين يديه ليصلي عليه حتى أغمي عليه من شدة الوجد والبكاء] لما وضع حمزة بين يديه ليصلي عليه بكى وبكى حتى أغمي عليه صلى الله عليه وسلم.
أية رحمة أعظم من هذه؟!

بعد انتهاء غزوة أحد ورجوع المسلمين إلى المدينة، علموا بأن أبا سفيان قد أزمع الرجوع إلى المدينة لقتال المسلمين، فتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه للخروج إليهم، ولم يخرج معهم إلا من كان خرج في أحد، فخرجوا حتى أتوا حمراء الأسد، فمكثوا فيها ثلاثة أيام، وقذف الله الرعب في قلوب المشركين فلم يرجعوا، وبعد ذلك رجع المسلمون إلى المدينة من غير قتال، وقد تم لهم ما أرادوا من قذف الرعب والخوف في نفوس المشركين والمنافقين واليهود وغيرهم من المناوئين للمسلمين، وفي ذلك عبر عظيمة ودروس للمؤمنين جليلة.

غزوة حمراء الأسد

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.
أما بعد: لنقضي ساعة مع حبيبنا صلى الله عليه وسلم، وقد انتهى بنا الدرس إلى غزوة هي رابع الغزوات؛ إذ الماضية ثلاث، وهذه هي الرابعة، وهي غزوة صغيرة لكن أحداثها جليلة، وعبرها وفوائدها عظيمة وهي [غزوة حمراء الأسد] وحمراء الأسد في طريق مكة على أميال من المدينة.

قال: [إن من مظاهر الكمال المحمدي في كل جوانب الحياة العسكرية والمدنية على حد سواء خروجه صبيحة الأحد] لأن معركة أُحد كانت يوم السبت، ويوم الجمعة كان يوم التشاور، وانتهت المعركة في يوم واحد، وفي صبيحة يوم الأحد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم غازياً حتى انتهى إلى حمراء الأسد، وكانت ليلتها ليلة بكاء وعويل ودموع وآلام، فما من بيت في المدينة إلا وسقط منه شهيد، ومع هذا ومن الغد صباحاً كان الإعلان عن الحرب والخروج! لماذا؟ [لإرهاب الأعداء في الداخل والخارج] أي أعداء في الداخل؟ إنهم المنافقون واليهود، أعداء في الداخل، ولو ما خرج النبي صلى الله عليه وسلم لقالوا: انكسر ابن أبي كبشة، وانتهى، ولن يخرج مرة أخرى للقتال، لكن خروجه دل على أنه أقوى مما كان، وأقدر على خوض المعارك مما سبق، هذه هي الحكمة.
والعدو في الخارج كذلك ينهزم، فمن فكر في أن يتم البقية الباقية من محمد ورجاله ويكر عليهم مرة أخرى يتراجع عن ذلك إذا سمع أنه خرج لقتال أبي سفيان مرة أخرى، وينتهي ذلك التفكير.
وهذه هي المناورات السياسية العسكرية.
قال: [إنه بعد الهزيمة النكراء التي أصابت المسلمين يوم السبت ما راع الناس إلا ومؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤذن بالخروج لملاحقة أبي سفيان بن حرب وجيشه] يمشي وراءه ويطارده [وقال: (لا يخرج معنا إلا من حضر معنا معركة أمس)] لِم قال النبي: الذين قعدوا وما خرجوا معنا يوم أمس وما جرحوا وما أصيبوا وما تعبوا فلن نقبلهم في غزوتنا هذه، ونحن في غنى عنهم؟! والمفروض أن يأخذ من الذين جلسوا، فهم أقوياء ما تعبوا ولا جرحوا ولا تألموا، ونفوسهم -أيضاً- حزينة أنهم تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين، وهم أكثر حماسة للقتال.
إنها الحنكة السياسية، والحكمة المحمدية.
[فخرج المؤمنون ومن بينهم أخوان جريحان، فكان خفيف الجرح يحمل أخاه، فإذا تعب وضعه يمشي ساعة] ثم يحمله.
كان هناك أخوان خرجا يحمل أحدهما الآخر وكلاهما مجروح! لكن من كانت جراحاته خفيفة كان يحمل الآخر، وإذا عيا وضعه يمشي قليلاً ثم حمله!! ولولا الإيمان لما تم هذا في الخلق! فهذه آيات الإيمان وعلاماته.
قال: [حتى وصلا معسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثمانية أميال من المدينة، حيث عسكر الرسول صلى الله عليه وسلم بحمراء الأسد.
واستأذن جابر رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج فأذن له] مع أنه لم يخرج معه في الأمس، لكن كان له سبب، وهو أن جابراً لما خرج والده قال له: لا تخرج، اجلس مع أخواتك فأنت الكفيل والولي، فرضي رسول الله صلى الله عليه وسلم بعذره وأقره، فلما طلب جابر بن عبد الله الخروج قال: لا بأس.
فأنت وإن لم تخرج إلى أحد لكنك تأخرت بسبب، يعني: أنت أردت الخروج، لكن والدك الشهيد ما أذن لك، وقال لك: الزم أخواتك.
وهذه من الرحمة المحمدية.
قال: [فأذن له بعد أن عرف عذره، وهو أن والده الشهيد عبد الله بن عمرو بن حرام لم يأذن له في الخروج إلى أحد، وأوصاه بأخواته السبع، إذ لم تطب نفس عبد الله أن يترك سبع بنات ليس معهن رجل] فعرف النبي صلى الله عليه وسلم ذلك وأذن له.
قال: [وما زال النبي صلى الله عليه وسلم بحمراء الأسد حتى مر به معبد الخزاعي] كان مسافراً في طريقه من خزاعة، وخزاعة بينها وبين الرسول صلى الله عليه وسلم أوثق الصلات، فقد كانت بينه صلى الله عليه وسلم وبينهم معاهدة حلف ضد المشركين [وخزاعة مسلمها ومشركها كانت عيبة نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم -أي: موضع سره وثقته، لا تُخفي عليه شيئاً من الناس في تهامة- فقال معبد -وهو يومئذ مشرك-: يا محمد! أما والله لقد عز علينا ما أصابك] وناداه باسمه العلم لأنه ليس بمؤمن متأدب، وإلا قد نزل قرآن: لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا [النور:63] يعني قولوا: يا رسول الله ويا نبي الله! لكن بحكم أنه مُظلم النفس بالكفر

والشرك قال يا محمد! [ولوددنا أن الله عافاك فيهم، ثم خرج حتى لقي أبا سفيان ومن معه بالروحاء] واصل مشيه حتى أدرك معسكر المشركين بالروحاء [وقد أجمعوا الرجعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه] درسوا ليلتهم وفكروا فقالوا: بم رجعنا؟ وماذا حققنا من هذه الحملة؟ ثم أجمعوا الرجعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه [إذ قالوا: أصبنا منهم ما أصبنا، فكيف نرجع قبل أن نستأصلهم؟ فلما رأى أبو سفيان معبداً] في المعسكر [قال له: ما وراءك يا معبد ؟!] يعني: من أين أتيت وماذا خلفت وراءك من أهوال أو أحداث؟ [قال: خرج محمد وأصحابه يطلبونكم في جمع لم أر مثله أبداً] وألمانيا هزمت فما بالك بـأبي سفيان [فقال أبو سفيان : ويحك! ما تقول؟] أي: ما لك؟ ماذا أصابك؟ [قال: والله ما أرى أن ترحل حتى ترى نواصي الخيل] يعني: عجل! فليس هناك عند القوم تباطؤ.

وفعلاً ما تردد أبو سفيان ، وقال: الرحيل! وانحلت العزيمة.

[فقال أبو سفيان : فوالله لقد أجمعنا الكر عليهم لنستأصل بقيتهم.

قال معبد : إني أنهاك عن ذلك! والله لقد حملني ما رأيت] من عظمة جيش محمد [أن قلت فيهم أبياتاً من الشعر، قال أبو سفيان : وما قلت؟] وأبيات الشعر في ذاك الزمان كانت المثل [قال: قلت: كادت تُهد من الأصوات راحلتي إذ سالت الأرض بالجرد الأبابيل] أي: جماعات الخيل كطير أبابيل.

وهذا شعر ارتجالي! [تردي بأسد كرام لا تنابلة عند اللقاء ولا ميل معازيل] وصف عجيب! [فظلت عدواً أظن الأرض مائلة لمّا سموا برئيس غير مخذول] وهو الرسول صلى الله عليه وسلم.

[فقلت ويل ابن حرب من لقائكمُ إذا تغطمطت البطحاء بالخيل إني نذير لأهل البسل ضاحية لكل ذي إربة منهم ومعقول] والبسل: قريش.

من جيش أحمد لا وخش تنابلة وليس يوصف ما أنذرت بالقيل فأوقع هذا الشعر في نفس أبي سفيان هزيمة] وقعت الهزيمة الآن [وذكر كذلك رأي صفوان بن أمية إذ سبق أن كفه عن الرجوع إلى المدينة عندما عزم على الرجوع] صفوان بن أمية حاول أن يكف أبا سفيان عن الرجوع إلى المدينة، فما استجاب له، فلما جاء معبد زاد الطين بلة [وقال له: لا تفعل، فإن القوم قد حرنوا، وإني أخشى أن يكون لهم قتال غير الذي كان، فارجعوا، فرجعوا، ولذا أمر بالرحيل والعودة إلى مكة] من يدبر هذا الملكوت؟ إنه الله جل جلاله وعظم سلطانه.

[وأثناء ذلك مر به ركب من بني عبد قيس، فقال لهم: أين تريدون؟ قالوا: نريد المدينة، قال: ولم؟ قالوا: نريد الميرة] أي نشتري الطعام [قال: فهل أنتم مبلغون عني محمداً رسالة أرسلكم بها، وأحمّل لكم هذه غداً زبيباً بعكاظ؟] يعني: بلغوا رسالتي وأنا أملأ لكم هذه زبيباً في الحج المقبل من سوق عكاظ [إذا وافيتموه فأخبروه أنا قد أجمعنا السير إليه وإلى أصحابه لنستأصل بقيتهم] هذه هي الرسالة التي حملها: (بلغوا محمداً أنا عزمنا أن نعود إليه لاستئصاله) والمكافأة زبيب من سوق عكاظ.

[وكان هذا مجرد مناورة من أبي سفيان يريد بها تغطية هزيمته لما سمع من معبد] أراد أن يغطي هزيمته فعمل مناورة [ولما وصلت القافلة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلغوه رسالة أبي سفيان قال: (حسبي الله ونعم الوكيل)] هم بلغوا الرسالة كما هي، والنبي قال: (حسبي الله ونعم الوكيل) [وفي هذا نزل قول الله تعالى من سورة آل عمران: الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ [آل عمران:173]] لما بلغهم أن أبا سفيان سيكر عليهم قالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، فأنزل الله الآية، وقال صلى الله عليه وسلم: (حسبنا الله ونعم الوكيل).

والسبب هو أن إبراهيم لما حكم عليه النمرود بالقتل بعد أن اتخذ قراراً جماعياً بأنه لا بد من قتله حتى يبذر الرعب في طريق الشعب فلا يتابعه أحد، أمر بأن توقد ناراً أربعين يوماً، يساهم فيها الصغير والكبير من الشعب بالحطب، حتى كانت المرأة تنذر للآلهة نذراً حزمة من الحطب، وأخبرنا ذوو العلم الرباني أن من تعرفونها في بيوتكم الآن وهي: الوزغة الخبيثة أنها -والله- كانت تنفخ النار لتتأججها تغيظاً على إبراهيم، فمن وجد وزغة فليقتلها فإن في قتلها حسنة عظيمة، وكانت أمنا عائشة رضي الله عنها تضع جريدة نخل في حجرتها، وكلما رأت وزغة قتلتها، وعرف هذا عامة المسلمين، وفي قرانا كنا نعرف هذا.

إذاً: المشركون -كما قلت لكم- أسهموا كبيرهم وصغيرهم في جمع الحطب، واشتعلت النار حتى أصبح الطائر لا يمر من فوقها لقوتها، ثم فكروا في كيفية إلقاء إبراهيم فيها، فوسوس لهم الشيطان وأوحى إليهم أن يصنعوا منجنيقاً، أو ما يسمى بالمقلاع ويضعوه فيه ثم يقذفون به إلى النار! وفي أثناء طيرانه من المقلاع إلى النار عرض له جبريل فقال: يا إبراهيم! هل لك حاجة؟! فقال: "أما إليك فلا، ولكن حسبي الله ونعم الوكيل!" يعني: حسبي الله -يكفيني الله- وهو نعم الوكيل! وصدر أمر الله الوكيل الذي اعتمد عليه الخليل، قال تعالى: يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ [الأنبياء:69]، فوالله ما أحرقت ولا أتت على شيء من جسمه ولا ثيابه إلا على الحبال الذي كانت في يديه ورجليه، وخرج وجبينه يتفصد عرقاً، قالت العلماء: لو لم يقل الله: (سلاماً) لقتلته من البرد! ولكانت أشد عليه من الثلج، وهو احتراس عجيب، فهو كلام الله عز وجل! ثم ودعهم إبراهيم عليه السلام قائلاً: إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ [الصافات:99] فترك البلاد وأهلها، وخرج معه ابن عمه لوط بن هاران وامرأته سارة أيضاً، وكانت هذه أول هجرة لله في الدنيا، أخبر بهذا الرسول صلى الله عليه وسلم، فأول هجرة وقعت في التاريخ البشري هي هجرة إبراهيم من بابل العراق إلى أرض القدس والشام.

إذاً: عرفنا هذه الكلمة: (حسبي الله ونعم الوكيل)، وعلينا أن نقولها عند الحاجة، وأن نفوض أمرنا إلى الله، لا إلى شرطي ولا إلى حاكم ولا إلى جماعة، فما دمت يا عبد الله! تعيش لله فإن نابك شيء فقل: حسبي الله ونعم الوكيل! يكفيك الله عز وجل بها.

قال: [وأقام الرسول صلى الله عليه وسلم بحمراء الأسد أربعة أيام: الأحد والإثنين والثلاثاء والأربعاء] أين أبو سفيان ؟ أين رجاله؟ معبد دوخهم.

وهذا رجل الإعلام الحقيقي، فقد هزمهم بالأبيات التي أنشدها [ثم قفل راجعاً إلى المدينة، فظفر في طريقه بـمعاوية بن المغيرة بن أبي العاص] وهو متمرد [وبـأبي عزة الجمحي أيضاً، وقد تخلف عن المشركين نائماً] أي: كان في معسكر مع أبي سفيان ، ولما مشوا كان نائماً فتركوه [وكان أبو عزة قد أسر يوم بدر، واسترحم الرسول صلى الله عليه وسلم فرحمه فمن عليه] وأطلقه [وعاهده ألا يقف موقفاً

ضده، وخان] بعد أن أسر في بدر استرحم النبي صلى الله عليه وسلم أن يعفو عنه فأطلقه، وأخذ عليه عهداً: ألا يقف ضده أبداً، ووافق على هذا، ثم خان العهد وجاء في أحد ليقاتل مرة أخرى.
إذاً: يجب أن يقتل ولا يرحم مرة ثانية.
قال: [وجاء مع المشركين إلى أحد؛ فلذا أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بقتله فقتل] ويستحق [وقال صلى الله عليه وسلم: (لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين)] كم مرة لدغنا من اليهود أيها العرب والمسلمون؟! هذه قاعدة قعدها رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين)؛ لأن المؤمن حي ذو وعي وبصيرة وفقه وولاية ربانية؛ كيف يلدغ من جحر مرة ثم يرجع إليه ثانية؟! ولعل أوروبا استعملت هذه الحكمة، لكن لم ينسبوها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ من الغيظ والحقد، وإنما نسبوها إلى كافر من كفارهم، فهم يستعملونها ولكن لا تنسب إلى الإسلام ورسوله، لفطنته صلى الله عليه وسلم وذكائه وولايته لربه.
قال: [وأما معاوية فهو الذي مثل بحمزة في أحد] ومعاوية هو: ابن المغيرة بن أبي العاص ليس معاوية بن أبي سفيان ! وكان قد مثل بحمزة في أحد فقطع أنفه رضي الله عنه [فقد ضل الطريق] ذاك نام حتى أتاه الركب، وهذا ضاع في الطريق، تخلف لأمر ما وهو سائر فساقه الله! وعثر عليه المسلمون [فأتى دار عثمان وقد استشفع بعثمان] جاء المدينة ولجأ إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه لقرابة بينهم [فقبل النبي صلى الله عليه وسلم شفاعته فيه، على أنه لو وجده بعد ثلاثة أيام ليقتلنه] قبل شفاعة عثمان على أنه لو وُجد بعد ثلاثة أيام يقتل؛ لأنه لا خير فيه ولا يُؤمن أيضاً، فلعله يغتال بعض الصحابة.
[فجهزه عثمان لقرابته] يعني: بالطعام وغيره [وقال: ارتحل] عجّل [فارتحل فأخطأ الطريق، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد ارتحل من حمراء الأسد وقال لأصحابه: (إن معاوية أصبح قريباً، ولم يبعد فاطلبوه) فطلبه زيد بن حارثة و عمار بن ياسر فوجداه فقتلاه] إلى جهنم وبئس المصير! يعني: لجأ إلى عثمان والرسول صلى الله عليه وسلم كان في المدينة قبل أن يخرج، واشترط عليه النبي صلى الله عليه وسلم ألا يبقى بعد ثلاثة أيام، فلما كان الرسول صلى الله عليه وسلم عائداً من حمراء الأسد وهي على بعد ثمانية كيلو مترات أو تسعة من المدينة قال لأصحابه: (إن معاوية أصبح قريباً منكم) علم بالوحي الإلهي (ولم يبعد فاطلبوه) فطلبه زيد بن حارثة و عمار بن ياسر رضي الله عنهما فوجداه فقتلاه بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم.
قال: [وعاد الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يلق كيداً] لم يلق حرباً ولا قتالاً [وأرهب بذلك العدو المنافق في الداخل] من كانوا بالأمس فرحين بالهزيمة، فخروج الرسول صلى الله عليه وسلم هذا يجعلهم في موقف ترتعد منه قلوبهم [والمشركين في الخارج، فصلى الله عليه وسلم! ما أعظم حكمته وأجل سياسته وأكمل صبره!].

نتائج وعبر من غزوة حمراء الأسد

قال: [نتائج وعبر: إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبراً نوجزها في الآتي: أولاً: بيان مظاهر الكمال المحمدي من شجاعة وصبر وتحمل وحسن سياسة وكمال تدبير] هذا كله تجلى في غزوة أحد.
[ثانياً: بيان فضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما كانوا عليه من طاعة وصبر وتحمل واستجابة لله والرسول] وهذا ظاهر، ألم يخرج الأخ يحمل أخاه؟! والله ما تخلف أحد حتى جاء المأذون له في البقاء يستأذن فخرج.
وخرجوا إلى من؟ إلى جيش أضعاف جيشهم وهم جرحى مكسورين، قال تعالى: الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ [آل عمران:173].
[ثالثاً: تأثير الدعاية في نفوس غير الصابرين؛ ولذا كان خطر الدعاية عظيماً ووجب اتقاؤه] وقد كان للدعاية أثر في جيش أبي سفيان ، وما زالت الدعاية تفعل العجب إلى الآن؛ فلهذا الرشداء والحكماء في ديارهم لا يسمحون للألغاط وكلام الصحف وغيرها أبداً؛ حتى لا تؤثر على الشعب.
وأضرب لكم مثلاً: لما اهتزت الدنيا وقامت وقعدت -وخاصة إذاعات العرب والمسلمين وصحفهم- بأن أمريكا وصلت إلى القمر وروسيا في طريقها إلى ذلك -ولعلكم كنتم أحداثاً يومها فلم تسمعوا بهذا- كانت يومها إذاعات العرب تتكلم عن أولئك الذين صعدوا إلى القمر وكأنهم محمد صلى الله عليه وسلم، ونحن نقول: حرام هذا وعيب! أتتبجحون وتتمدحون بانتصارات أعدائكم؟! أين يُذهب بعقولكم يا عرب؟! أخفوا هذا وتجاهلوه، وقولوا: ما كان ولن يكون! إبقاء على روح أممكم وشعوبكم، ومجلة صينية قرأتها بلساني ونظرتها بعيني ادّعت أن هذه فرية وكذبة من الدولتين العظميين للتمويه على البشرية واستغلالها وإذلالها، وأنهم لم يصعدوا إلى سطح القمر، وأن ما حصل لم يكن سوى مناورات في جبال، تمت كالأفلام السينمائية! هذا كله حفاظاً على شعبها من الذوبان والانهزام من القوتين العظميين آنذاك روسيا وأمريكا، وأعلن الطيار الأمريكي بعد ذلك أنهم كذبوا، وما استطاعت أمريكا ولا روسيا أن تكذّب ذلك الخبر وسكتوا، ونحن نقول: طلعوا القمر!! قلنا لهم: القمر؟! رسول الله صلى الله عليه وسلم تجاوز السبع الطباق، وأنكرتم هذا وكذبتموه وما قلنا شيئاً!! والسبب في هذا هو تأثير الدعاية على نفوس غير الصابرين؛ ولذا كان خبر الدعاية عظيماً.
ومن هذا الباب لا يحل للمواطنين أن يتكلموا على جيشنا، ولا انتصاراته ولا هزائمه، بل يردوا ذلك إلى المسئولين، قال تعالى: وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ [النساء:83] أي: بمجرد أن يظهر شيء تجدهم يذيعونه بين الناس للفتنة، وما يحل لنا هذا في ديارنا، فأمورنا يجب أن تمشي بسرية، سواء كانت هزيمة أو انتصار.
[رابعاً: تقرير مبدأ: (المؤمن لا يلدغ من جحر واحد مرتين)].

[خامساً: مشروعية الشفاعة في غير الحدود الشرعية] عثمان رضي الله عنه شفع، وأجاز الرسول صلى الله عليه وسلم في الشفاعة غير حد، أما إن زنا شخص أو قتل فلا يحل لك أن تشفع فيه، فالشفاعة جائزة في غير الحد، أما في الحدود فلا شفاعة، هذا هو الشرط.
وتسمعون ما يجري في البوسنة والهرسك، وأن قوات الأمم المتحدة المهزومة تتمالأ مع الصرب، وإخواننا يتصدون للبلاء والعذاب، فماذا نصنع؟ قلت: لو قام أحد الكتاب والعلماء وأصحاب المراتب العالية وقال: لِم لا نقول لأوروبا وأمريكا: لقد فشلتم في إنقاذ هؤلاء البشر، ونحن أحق منكم بإنقاذهم، وفتحت تركيا بابها؛ لأنها هي الجسر إلى تلك البلاد، وأصبح كل يوم وفي كل صباح تنزل بها الكتائب من ماليزيا إلى موريتانيا، لتصفية حساب الصرب نهائياً! ثم يقولون: الآن أنقذنا البشرية! فنحن أصحاب الرسالة، نحن المسلمون! ولو فعلوا هذا لارتفعت راية لا إله إلا الله في عنان السماء، ولا يكلفهم ذلك شيئاً، ولكن فقط نحتاج إلى رجل علم وبصيرة وسياسة! أما عجزت أمريكا؟ وهُزمت جيوش بريطانيا وفرنسا وقالوا: ما استطعنا! إذاً نقول لهم: اتركوهم ونحن أحق بهذا، ولن نتجاوز حدود البوسنة والهرسك، وينزل كل صباح خمسة آلاف مدججين بالسلاح لمدة شهر، وعندها هل يستطيع الصرب أن يتكلموا أو يرفعوا رءوسهم؟ لم لا نفعل هذا؟ إن الله لا يوفقنا لأننا لسنا بأوليائه، وأعلنا الحرب عليه؛ فلهذا لا يهدينا الله، ولو رجعنا وتبنا إليه لهدانا وهو الهادي لعباده الصالحين؛ لكن لأننا ما واليناه ما والانا، ولم يهدنا، فإلى الله البكاء والشكوى.
وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه .

حدثت في السنة الثالثة من الهجرة أحداث عظيمة كان من أهمها غزوة أحد، وفي السنة الرابعة كانت هناك أحداث عظيمة أيضاً من أهمها وأعظمها حدث أصحاب الرجيع، الذي قتل فيه ستة من قراء الصحابة غدراً وظلماً وعدواناً عند ماء يقال له الرجيع، وقد حزن النبي صلى الله عليه وسلم لهذه الحادثة المؤلمة حزناً عظيماً، وشأن هذا الحدث كغيره في الاستفادة منه وأخذ الدروس والعبر في حياة المسلمين.

أهم ما وقع من أحداث في السنة الثالثة من هجرة الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.
أما بعد: لنقضي ساعة مع حبيبنا صلى الله عليه وسلم، وقد انتهى بنا الدرس إلى [أهم ما وقع من أحداث في السنة الثالثة من هجرة الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم] نستعرضها ثم ننتقل إلى أول أحداث السنة الرابعة.
قال: [إن أهم ما وقع في هذه السنة الثالثة من سنوات الهجرة المباركة من أحداث ذات خطر وشأن، يمكن ذكره إزاء النقاط التالية: أولاً: قتل كعب بن الأشرف اليهودي الذي بسط يده ولسانه لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين يؤذيهم ويكيد لهم ويؤلب المشركين واليهود عليهم، قتله محمد بن مسلمة الأنصاري رضي الله عنه] بإذن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأنه كاد لرسول الله والمؤمنين، ومكر وفعل الأعاجيب، وألب المشركين؛ إذاً: خان معاهدته، واستوجب القتل، فاغتيل عليه لعائن الله! [ثانياً: وقوع غزوة أحد، واستشهاد قرابة سبعين رجلاً مسلماً فيها ونحو ثلاثين مشركاً، ومن بين الشهداء أربعة مهاجرون، وهم: حمزة بن عبد المطلب ، و مصعب بن عمير ، و عبد الله بن جحش ، و شماس بن عثمان ، ومن بين الأنصار أنس بن النضر ، و سعد بن الربيع ، و عمرو بن الجموح ، و عبد الله بن عمرو بن حرام ، ومن مسلمي اليهود مخيريق رضي الله تعالى عنه] هذا من مسلمي اليهود في المدينة، استشهد يوم أحد.
[ثالثاً: غزوة حمراء الأسد في اليوم الثاني بعد أحد] وهذا كله مضى وعلمناه، وهذه الخلاصة فقط.
[رابعا: غزوة ذي أمر، وهو ماء بنجد لغطفان] وتقدمت أيضاً، وغزوة الفرع من بحران كذلك.
[خامساً: سرية زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم] وسرية محمد بن مسلمة التي قتلت كعب بن الأشرف اليهودي.
[سادساً: ولادة الحسن بن علي رضي الله عنه، وحمل فاطمة بالحسين بعد خمسين يوماً من ولادتها.
سابعاً] وأخيراً [حمل جميلة بنت عبد الله بن أبي بعبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة، وذلك في شوال ليلة الأحد].
هذه خلاصة أحداث السنة الثالثة.

أحداث السنة الرابعة من هجرة الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم

قال المؤلف غفر الله له ولكم ورحمه وإياكم: [أحداث السنة الرابعة من هجرة الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم] والآن مع أحداث السنة الرابعة.

حدث الرجيع

قال: [ودخلت السنة الرابعة من سنوات الهجرة المباركة وأول أحداثها: حدث الرجيع] والرجيع: ماء لهذيل بناحية الحجاز يقع قريباً مما بين مكة وعسفان.
[في هذه السنة قدم نفر من عضُل والقارة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة، وذكروا له] أي: رجال الوفد للنبي صلى الله عليه وسلم [أن فيهم إسلاماً، وأن لهم رغبة في أن يبعث معهم نفراً يفقهونهم في الدين] وهي مجرد خدعة [فبعث صلى الله عليه وسلم ستة نفر، هم: مرثد بن أبي مرثد الغنوي ، و خالد بن أبي البكير الليثي ، و عاصم بن ثابت الأوسي ، و خبيب بن عدي ، و زيد بن الدثنة البياضي ، و عبد الله بن طارق حليف بني ظفر، وأمّر عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مرثد بن أبي مرثد الغنوي .
وساروا حتى إذا بلغوا الرجيع غدر بهم النفر الذين طلبوهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ليفقهوهم في الدين، حيث استصرخوا عليهم حياً من هذيل يقال لهم: بنو لحيان؛ فجاءوا في مائة رجل] وماذا يصنع الستة أمام مائة؟! [فلجأ المسلمون إلى جبل حولهم حيث لا طاقة لهم بقتال مائة رجل وهم ستة رجال لا غير، فاستنزلوهم بعهد قطعوه لهم بأنهم لا يمسونهم بسوء] طلبوا نزولهم من الجبل على عهد منهم ألا يغدروا بهم وألا يمسوهم بسوء [فقال عاصم] وهو أحد الرجال الستة [والله لا أنزل على عهد كافر] والكافر غدار، فالذي لا يؤمن بالله ولقائه كل سلوكه هابط لا يُوثق به! ثم قال: [اللهم خبر نبيك عنا!] أي: بهذا الذي حدث [وقاتلهم هو و مرثد و خالد بن البكير ، ونزل ابن الدثنة و خبيب و عبد الله بن طارق فأوثقوهم] بالحبال [فقال عبد الله : هذا أول الغدر، فقتلوه فألحقوه برفيقيه، وانطلقوا بابن الدثنة وخبيب فباعوهما بمكة، فاشترى خبيباً بنو الحارث، وكان خبيب هو الذي قتل الحارث يوم بدر؛ فاشتروه ليقتلوه بالحارث ، فسجنوه في بيت ماوية مولاة حجير بن أبي إهاب ، فبينما هو عندها وقد استعار منها موسى ليستحد بها] طلب منها أن تعيره سكيناً ليحلق بها عانته؛ لأنه عرف أنه سيقتل، وأراد أن يتطيب وأن يتنظف قبل قتله.

قال: [حتى إذا قتل يكون نظيفاً من شعر عانته؛ إذ جاء صبي يدب إليه] والسكين أو الموسى في يده [فجلس على فخذه، وهو يستحد والموسى في يده، فلما رأته المرأة صاحت، فقال لها: أتخشين أن أقتله؟ إن الغدر ليس من شأننا! فكانت المرأة تقول بعد ذلك: ما رأيت أسيراً خيراً من خبيب ، لقد رأيته -وما بمكة من ثمرة- وإن في يده لقطفاً من عنب يأكله] أي: عنقوداً من العنب [ما كان إلا رزقاً رزقه الله عز وجل] شأنه في هذا شأن مريم، أيام كانت في محرابها، وزكريا يدخل عليها فيجدها تأكل فاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء! فيقول: يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ [آل عمران:37]، فخبيب السجين رضي الله عنه كانت الملائكة تضع بين يديه العنب في مكة حيث لا توجد هناك فاكهة.

[ولما خرجوا به من الحرم إلى الحل ليقتلوه] لأنهم يحترمون حرم الله، وقد غرس الله في قلوبهم تعظيمه لحكمة بينها الله في قوله: جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلائِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ [المائدة:97] يعني: من أجل أن يعيش سكان الحرم آمنين ألقي في قلوبهم تعظيمه، فيمر الرجل بقاتل أبيه أو أخيه لا يلتفت إليه وهو داخل الحرم، وها هم لما أرادوا أن يقتلوا خبيباً رضي الله عنه ما استطاعوا أن يقتلوه في حرم الله؛ فخرجوا به إلى الحل ليقتلوه هناك.

قال: [قال: ذروني] اتركوني [أصلي ركعتين] لما أرادوا قتله وصفوف رجالهم واقفة ينتظرون قال: ذروني أصلي ركعتين [فتركوه فصلاهما، فكانت سنة القتل؛ إذ علم بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقره عليها] وقد فعل المسلمون هذا من بعد، فعندما يحكم على المسلم بالقتل أو بأن يقطع رأسه يطلب أن يصلي ركعتين، فكانت سنة سنها خبيب وأقرها النبي صلى الله عليه وسلم؛ فهي ماضية إلى يوم الدين [صلاها غير واحد من المؤمنين، ثم قال لهم: لولا أن تقولوا: جزع من الموت لزدت] يعني: لصليت أربع -مثلاً- بدل الركعتين [أو طولتهما] بالركوع والسجود والقراءة، لكن خفت أن تقولوا: خاف من الموت فهو يطيل الصلاة ويكثر من الركعات [ثم أنشأ يقول: ولست أبالي حين أقتل مسلماً على أي جنب كان في الله مصرعي وذلك في ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلو ممزع ودعا ربه قائلاً: اللهم أحصهم عدداً، واقتلهم بدداً، ولا تبق منهم أحداً.

ثم صلبوه على الأعواد وقام إليه عتبة بن الحارث ليقتله، وقال له: أترضى] يا خبيب ! [أن يكون محمد مكانك وأُطلقك؟] أي: أترضى يا خبيب ! أن يكون محمد على أعواد المشنقة وأطلقك؟ [فقال: والله لا أرضى أن أطلق ويشاك محمد بشوكة] لا أن يقتل! وإنما أن يشاك بشوكة فقط [وقتله فمات إلى رحمة الله ورضوانه] هذا خبيب رضي الله عنه.

[وأما عاصم فإنهم بعثوا من يأتيهم برأسه ليبيعوه من سلافة بنت سعد ، إذ كانت نذرت] للآلهة [أن تشرب الخمر في رأس عاصم يوم قتل ابنيها في أحد، فجاء النحل فمنع من أرادوا أخذه؛ فتركوه حتى الليل، فجاء سيل فجرفه ولم يُعثر عليه، استجابة الله تعالى لـعاصم ؛ إذ كان قد عاهد الله تعالى ألا يمس مشركاً ولا يمسه مشرك، فمنعه الله تعالى في مماته كما منعه في حياته] فرضي الله عنه وأرضاه.

[وأما ابن الدثنة فإن صفوان بن أمية بعث به مع غلامه نسطاس] ونسطاس هذا نصراني [إلى التنعيم ليقتله بأبيه] الذي قتل يوم بدر [إذ كان قتل يوم بدر، وألقي في القليب] من جملة من قتل من المشركين وألقي في القليب [فلما وصل به هناك إلى الحل ساومه قائلاً: أنشدك الله! أتحب أن محمداً الآن مكانك تضرب عنقه وأنك في أهلك؟] كما فعل عتبة [قال: ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأنا جالس في أهلي!] فقال أبو سفيان -وكان حضر الإعدام مع رجال من قريش-: ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً] صلى الله عليه وسلم [ثم قتله نسطاس فانتقل إلى رحاب رحمات الله تعالى وسوم رضوانه فهنيئاً له].

[ومن كرامات خبيب رضي الله عنه] وقد عرفنا أول كرامة وهي أنه كان يأتيه العنب وهو سجين في مكة [أن سعيد بن عامر -وكان ممن حضر قتل خبيب -] إذ حضر جمع غفير ليتفرجوا ويشاهدوا [كان كلما ذكر قتل خبيب بقلبه أو لسانة أخذته غشية] أو إغماءة! كلما ذكر خبيباً -وقد شاهد قتله- بقلبه أو لسانه أخذته غشية [وبلغ ذلك عمر رضي الله عنه؛ فسأل سعيداً فقال: نعم.

ما ذكرت خبيباً إلا غشي علي؛ فزادته عند عمر خيراً].

معاشر المستمعين والمستمعات! لهذه المقطوعة نتائج وعبر، فهيا نقف عليها.

نتائج وعبر من حدث الرجيع

قال: [نتائج وعبر: إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبراً نوجزها كالتالي]:

ثالثاً: مشروعية الصلاة عند القتل

قال: [ثالثاً: مشروعية الصلاة عند القتل] إذا حكم القاضي بقتل فلان لأنه زنى أو قتل ففي هذه الحال هو مؤمن مسلم فإذا جلس على المنصة التي سيقتل عليها لا يقول: اسمحوا لي أن أصلي! بل يتوضأ ويصلي ركعتين، وبذلك يكون قد أتى بسنة أقرها النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأن السنة النبوية إما أن تكون فعلية، فإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم أتى بكذا من العمل فإننا نقلده ونأتسي به في ذلك الفعل وهو سنة، حتى وإن لم يأمرنا به ولم يقل؛ لأنها سنة فعلية، وأعظم من ذلك السنة القولية: فإذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: افعلوا كذا فتلك سنة الرسول صلى الله عليه وسلم.

وهناك سنة تقريرية: كسنة الصلاة عند القتل، فما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بها ولا فعلها، ولكن أقر صاحبه على فعلها، فهي سنة تقريرية.

إذاً: السنة تكون قولية، وهذه لا خلاف فيها، سواء كانت ذكراً أو دعاءً أو صلاة، أو أي عبادة من العبادات فإذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم بها أو وأمر فهي سنة قولية.

والسنة الفعلية: هي ما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يأمر به.
والسنة التقريرية: هي ما لم يفعله الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يأمر به، ولكن فعله أحد الأصحاب فأقره الرسول صلى الله عليه وسلم.
فخبيب ألهمه الله عز وجل فعله، ولم يشاهد أحداً فعل هذا قبله، فقال: دعوني أصلي ركعتين فتركوه، وسمع الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا وسكت، فهي سنة تقريرية.
قال: [وأن خبيباً هو الذي سنها وأقره رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها] فكانت سنة، وقد تقدم أن كثيراً من المؤمنين فعلوها.

رابعاً: بيان فضل ابن الدثنة في رضاه بالموت على أن يصاب رسول الله بشوكة تؤذيه

[رابعاً: بيان فضل ابن الدثنة في رضاه بالموت ولا يُصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بشوكة تؤذيه].
خامساً: تقرير حب أصحاب رسول الله له أشد من حبهم لأنفسهم

[خامساً: تقرير أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبونه صلى الله عليه وسلم أشد من حبهم لأنفسهم] وهذا واجب على كل مؤمن ومؤمنة، والله لا يؤمن أحدنا الإيمان الذي ينجي ويسعد حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، حتى من نفسه، هل تذكرون سر حب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ إن سر حب الرسول صلى الله عليه وسلم أن نطيعه، فالذي لا يحبه لا يطيعه، ومهما جاهدت نفسك وأنت لا تحبه فإنك لا تطيعه، لكن إذا أحببته فإنك ستحب كل ما يحب، ولو قال: اصمت سبعة أيام ولا تتكلم، لصمت!.
وشيء آخر: إن الذي لا يحب معلمه ومربيه لا يستطيع أن ينتفع بدراسته أبداً، وكذلك إمام للمسلمين إذا لم يحب فإنه لا يطاع، ويُخرج عنه؛ فلذا حبه واجب، بل إنك إذا لم تحب أباك فإنك لا تطعه، هذا وأنت ابنه! وعلى كل حال حب رسول الله صلى الله عليه وسلم إيمان، وكرهه كفر والعياذ بالله تعالى.
ما هي مظاهر حب الرسول صلى الله عليه وسلم؟ مظاهر حبه أن تحب ما يحبه، وأن تكره ما يكره.
فإذا أحب رسول الله صلى الله عليه وسلم اللحية في وجهه أحببها أنت، أو أحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ترفع يديك سائلاً ضارعاً فافعل، ويدل ذلك على حبك له.
المهم طاعة الله ورسوله فيما يحبان ويكرهان تنتج عن حب العبد لله وحب العبد لرسول الله صلى الله عليه وسلم، أما ادعاء حبك الله أو الرسول صلى الله عليه وسلم وأنت تجاهر بالمعصية، ولا تريد أن تلتزم بما يأمرك به أو ينهاك فهذا رده أهل البصيرة والنهى.
ومن ذلك قولهم: تعصي الإله وأنت تظهر حبه هذا لعمري في الفعال بديع لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع وهو كذلك.

ثانياً: بيان كرامة خبيب التي أكرمه الله تعالى بها

قال: [ثانياً: بيان كرامة خبيب التي أكرمه الله تعالى بها، وهو أكله قطف العنب في غير إبانه، وغير مكانه أيضاً] حتى ولو كان وقت العنب، فالعنب في الطائف أو الشام وليس في مكة [والغشوة التي تصيب سعيداً عند ذكره] هذه كرامة لخبيب ، فإذا ذكره هذا المؤمن بقلبه أو بلسانه فإنه يغمى عليه! وهذه الكرامات لا يحرم الله تعالى منها أولياءه أبداً في كل زمان ومكان، فالكرامة التي يكرم الله تعالى بها أولياءه لا تنقطع عنهم لا في الحياة ولا في الممات!

أولاً: الغدر والخيانة وصف لازم في الغالب لأهل الكفر والشرك

قال: [أولاً: الغدر والخيانة وصف لازم في الغالب لأهل الكفر والشرك] ولا ينبغي أن يثق مؤمن بكافر، فالغدر والخيانة والمكر ضد الإسلام والمسلمين من صفات الكفر والكافرين حتى ولو كانوا عرباً؛ فكيف وهم عجم؟! والدليل هذه الحادثة، فقد جاء ستة أنفار يدعون أن إسلاماً بينهم، وأنهم في حاجة إلى من يفقههم في دين الله، والرسول صلى الله عليه وسلم لا يعلم شيئاً؛ ولم يوح إليه بشيء؛ ليتم قضاء الله وينفذ مراده، وإلا لو أراد الله غير ذلك لأوحى لنبيه على الفور: بأن هؤلاء خونة وأنهم غادرون! لكن لينفذ أمر الله عز وجل ما علم الرسول صلى الله عليه وسلم شيئاً، فما كان منه صلى الله عليه وسلم إلا أن اختار ستة نفر من خيرة الرجال وبعث بهم مع هؤلاء القوم، ثم غدر بهم الغادرون الكافرون المشركون.
إذاً: الغدر والخيانة وصف لازم في الغالب.
وقد يندر أن يكون كافر أو مشرك لا يغدر، لكن العبرة بالعموم لا بالأقليات، والعلة معروفة، فالذي لا يخاف الله ولا يحبه كيف لا يغدر؟! إنه إذا غلبته شهوته على أي شيء يفعله! لكن الذي يخاف الله ويراقبه هو الذي لا يستطيع أن يغدر أو يخون أو يفجر، بل كل من يرتكب من المسلمين كبائر الذنوب والآثام لا يرتكبها إلا حين نسيانه لله عز وجل وغفلته عنه، فلهذا جاء في كتاب الله آية من القرآن الكريم من أراد أن يأخذ بها فهي سهلة، وهي قوله تعالى من سورة العنكبوت مخاطباً رسوله صلى الله عليه وسلم -وأمته تابعة له في كل خير-: اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ [العنكبوت:45] فالذين يجلسون يدرسون كتاب الله ويتلونه آناء الليل أو النهار، متدبرين متأملين؛ هذه التلاوة تكون عصمة لهم، تحفظهم من الوقوع في الفواحش والمناكير.

ثم قال عز وجل: وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ [العنكبوت:45] فالذين يقيمون الصلاة على الوجه المطلوب، ويؤدونها في أوقاتها التي حددها الله، في بيوت ربهم، مع جماعة الإسلام من إخوانهم، ويخشعون فيها، متمين ركوعها وسجودها؛ مطمئنين فيها، هذه الصلاة أودع الله فيها سراً أنها تحجب صاحبها عن الوقوع في الفحشاء والمنكر، وتولد نوراً كافياً لصاحبها يشع عن بصره وقلبه ولسانه؛ فلا يقع في كبائر الذنوب والآثام.
ثم قال تعالى: وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ [العنكبوت:45] فالذي يذكر الله بقلبه ولسانه يتعذر عليه بل يستحيل أن يعصي الله عز وجل، هل تستطيع أن تذكر الله والوقوف بين يديه ثم تمد يدك لتسيء إلى أحد؟! لا تستطيع.
وقد عرفنا كم من مؤمن يكاد يقع على معصية فيذكر الله فيتركها، وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ [العنكبوت:45] في الصيانة والمناعة والحفظ من الوقوع في الباطل.
وأخيراً: وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ [العنكبوت:45]، هذه هي مراقبة الله، فالذي لا ينسى الله ويراقبه في كل شئونه، إذا أراد أن يقوم أو يقعد أو يمشي أو ينام أو يأكل أو يشتري أو يعطي أو يأخذ أو يبني، لا يستطيع أن يعصي الله، وكيف يعصيه وهو يذكره؟! كيف يعصيه وهو يعلم أن الله ينظر إليه ويراقبه؟! إذاً: الغدر والخيانة وصف لازم في الغالب لأهل الكفر والشرك؛ لأنهم لا يؤمنون بالله ولا يذكرون الله ولا يتلون كتابه، ولا يعرفون أنه معهم حيثما كانوا ينظر إليهم ويراقبهم.

كيفية حب الله ورسوله والطرق المؤدية إليه

ويبقى كيف نحب الله وكيف نحب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ وما الطريق إلى حب الله ورسوله؟! إن الرسول صلى الله عليه وسلم بين لنا الطريق فقال: (أحبوا الله لما يغدوكم به من النعم)، فعندما تتناول طعامك سل نفسك: من خلق هذا الطعام؟ ومن رزقكه؟ ومن وضعه بين يديك؟ فإذا ذكرت هذا الفضل لله أحببته، بل -فقط- تناول كأس الماء واشرب متذكراً من أوجده لك؟ وأنه لو اجتمع أهل الدنيا كلهم على إيجاده ما أوجدوه لك! إذاً: يقول الرسول صلى الله عليه وسلم معلماً مربياً: (أحبوا الله لما يغدوكم به من النعم، وأحبوني أنا بحب لله تعالى)، أتحب الله ولا تحب رسوله؟! أيعقل هذا؟ كل من أحب الله وجد نفسه ملجأً مضطراً إلى ما يحب الله، والله يحب رسوله؛ فكيف لا تحبه؟! وخلاصة هذا الموضوع: أنه لا بد من ذكر نعم الله علينا، فلا نعيش كالبهائم نأكل ونشرب ولا ندري ما يجب علينا تجاهها! فإذا تجلت لنا نعمة في حياتنا يجب أن نعرف مصدر هذه النعمة وهو الله! سواء كانت عافية أو أمناً أو رخاءً أو طعام، وأي نعمة من النعم مصدرها وواهبها ومعطيها هو الله عز وجل، ثم لنقل: الحمد لله! فنشكر الله عز وجل؛ وذلك يوجد حباً في قلوبنا لخالقنا، أما أن نأكل ونشرب ونركب كالبهائم ثم لا نسأل فلن نعرف الله ولا حبه، ومن لا يحب الله لا يحب رسوله أبداً، فالأصل هو حب الله عز وجل.
ولا ننسى موضوع نصارى نجران لما جاءوا يجادلون رسول الله صلى الله عليه وسلم في شأن عيسى وأمه، وكانوا ستين راكباً ادعوا أنهم ما عبدوا عيسى إلا طلباً لحب الله، فقالوا: هذا عيسى ابن الله وهذه أمه ما عبدناهما إلا من أجل الله عز وجل! وما أحببناهما إلا من أجل أن يحبنا الله عز وجل؛ فنزل في ذلك أكثر من ثلاثين آية فاصلة، ومنها قوله تعالى: قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ [آل عمران:31] يعني: يا وفد نجران! ويا نصارى نجران! الطريق إلى أن يحبكم الله هو أن تتبعوني، فإذا اتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في العقائد والعبادات والأحكام والآداب والأخلاق؛ زكت نفوسهم، وطابت أرواحهم، وطهرت، والله -كما علمنا- طيب يحب الطيبين، قال تعالى: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ [البقرة:222] وأفلح من زكى نفسه وطهرها.
فمتابعة الرسول صلى الله عليه وسلم بفعل العبادات وترك المنهيات تزكي النفس، وتحيلها إلى كتلة من نور، وكأنها أنفس الملائكة! والله تعالى يحب التوابين ويحب المتطهرين.
وهنا لطيفة! يقولون: ليس الشأن أن تحِب، وإنما الشأن أن تُحَب، هناك أناس يحبون الأصنام والأوثان، فهل ذلك الحب ينفعهم؟ لا، لا ينفعهم، وفلان يحب ليلى ويهيم بحبها في الصحارى وليلى لا تحبه فماذا استفاد؟! العناء والتعب والآلام والكروب فقط! فكون المرء يدعي حب الله وهو لا يحبه فأي فائدة جناها من وراء حبه؟! ولو بذل في ذلك الأموال الأرواح والله لا يستفيد شيئاً! فليس الشأن أن تحِب، إنما الشأن أن تُحَب.
فبعض الغافلين في هذه الأمة والجهلة عبدوا الأولياء والقبور بأفظع أنواع العبادات، بل قدموا أولادهم قرابين لها! هل ينفعهم ذلك؟ لا ينفع، إنهم يحبون أولياء الله إلى حد أنهم يستغيثون بهم، ويذبحون لهم، ولكن لا ينفعهم ذلك أبداً، إذ ليس الشأن أن تُحِبوا أنتم، وإنما الشأن أن تُحَبوا.
إذاً: كيف نحصل على حب الله؟ يا معشر المستمعين والمستمعات! هذا السؤال مطروح علينا: كيف نحصل على حب الله، ونصبح محبوبين له عز وجل؟ الخطوة الأولى: أن نطهر قلوبنا ونزكي أرواحنا، فالله طيب لا يقبل إلا طيباً، فعلينا أن نعمل على تزكية أنفسنا وتطهيرها؛ فتصبح أرواحنا كأرواح الملائكة؛ يحبهم الله ويرفعهم إليه ويسكنهم في جواره.

كيفية تزكية النفس ووسائل تطهيرها

السؤال الثاني: كيف نزكي أنفسنا ونطهرها؟ ما هي الحركة التي تجعل أنفسنا زكية طاهرة؟ الجواب: أن نفعل ما أمرنا الله ورسوله بفعله من العبادات، من لا إله إلا الله إلى إماطة الأذى عن الطريق إيماناً واحتساباً، هذه العبادات كلها أداة تطهير للنفس وتزكية، -والله العظيم- وإذا زكت النفس وطهرت حذار يا بني! أن تصب عليها أوساخ الذنوب والآثام.
إذاً: تجتنب بكل قواك كل ما من شأنه أن يدسي نفسك ويخبثها، وذلك هو معصية الله ومعصية رسوله صلى الله عليه وسلم.

فمن آمن وعمل الصالحات زكت نفسه، فليحذر أن يلوثها ويخبثها بالذنوب والمعاصي، وما هي الذنوب والمعاصي؟ هي الخروج عن طاعة الله، فإذا حرم الخمر لا تشربها، وإذا حرم الله الكذب لا تكذب، وإذا حرم الله عقوق الوالدين فلا تعق، وعليك أن تحرم كل ما حرم الله من قول أو فعل، فلا تفعل ولا تقل ما حرم الله! ومعنى ذلك: تحتفظ بزكاة نفسك وطهارتها.
ومن رحمة الله أنه فتح باب التوبة لنا، فإذا زلت القدم وسقط عبد الله في كبيرة من كبائر الذنوب، أو في معصية من المعاصي؛ على الفور يقوم يبكي ويحثو التراب على رأسه ويستغفر الله؛ فيمحى ذلك الأثر، إن الذي عرف الله وآمن به إذا فعل المعصية لا يشعر بنفسه إلا وهو يصرخ عندما يفيق منها، وقد ثبت في الصحيح أن رجلاً تماراً كان في سوق المدينة كان يبيع التمر، فجاءته امرأة زوجها في غزوة من الغزوات، اضطرت إلى أن تشتري تمراً لها ولأولادها، ووقفت أمام التمار وقالت: أعطني كذا، وأخرجت كفها -فقط- لتناوله النقود! فأعمى الشيطان هذا المؤمن وأكب على كفها يحبه ويقبله، وما إن شعر بعد ذلك بالمعصية حتى قام يصرخ! وكان -والله- يحثو التراب على رأسه وينتف شعر لحيته، ويصيح حتى وصل أحداً! وعاد من أحد إلى الروضة وهو يصرخ ويبكي، فلما فرغ النبي صلى الله عليه وسلم من صلاة المغرب سأل هذا الرجل.
قال: (هل شهدت الصلاة معنا؟! قال: نعم.
قال: إن الحسنات يذهبن السيئات).
والشاهد عندنا: أنه ليس أحد معصوم سوى رسول الله صلى الله عليه وسلم، لكن إذا زلت القدم وسقط عبد الله أو أمته في ذنب من الذنوب؛ فعليه أن يمسح ذلك الأثر على الفور، ولا يبيت على معصية، بل يقول: أستغفر الله وأتوب إليه، وتذرف عينه الدمعة، ويرجف قلبه؛ لينمحي ذلك الأثر، لا أن يستمر على ذلك الإثم فتتلطخ نفسه ويذهب ذاك النور نهائياً، والعياذ بالله.
قال: [وذلك واجبهم وواجب كل مؤمن ومؤمنة في الحياة] ولا خلاف بين المسلمين في وجوب حب الله ورسوله، ولكن يبقى: ما كل من ادعى الحب ثبت له! فلا بد من أن نثبت هذا الحب حقيقة، وهو طاعة المحبوب، وحب ما يحب وكره ما يكره.
والله تعالى أسأل أن يرزقنا حبه وحب رسوله صلى الله عليه وسلم، وحب كل ما يحبه الله ورسوله من المؤمنين والمؤمنات ومن الصالحات في هذه الحياة.
وصل اللهم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

حدث في السنة الرابعة للهجرة حدث أليم آلم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين، وهو قتل السبعين صحابياً في بئر معونة، الذين خرجوا إلى نجد يدعون إلى الله تعالى وإلى الإسلام، فغدرت بهم قبائل عصية ورعل وذكوان، وقتلوهم جميعاً رضي الله عنهم وأرضاهم، وهذا يدل على أن المشرك لا عهد له ولا ذمة، مهما أعطى من العهود والمواثيق، وقد حزن النبي صلى الله عليه وسلم لهذا الحدث الجلل حزناً عظيماً؛ لأنه قتل فيه سبعون من خيرة الصحابة وقرائهم، ولذلك فقد قنت شهراً كاملاً يدعو على من قتلهم من عصية ورعل وذكوان.

حدث بئر معونة الجلل

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.
أما بعد: لنقضي ساعة مع حبيبنا صلى الله عليه وسلم، وقد انتهى بنا الدرس إلى [حدث بئر معونة الجلل] وهو حدث من أحداث السنة الرابعة، بل ثاني أحداث السنة الرابعة، فالحدث الأول كان حدث الرجيع، وقد علمنا ما أصاب المؤمنين فيه، والحدث الثاني: هو هذا الحدث؛ حدث بئر معونة، وسنعرف إن شاء الله بئر معونة، والحدث الذي تم ووقع فيها.
قال المؤلف غفر الله له ولكم ورحمه وإياكم وسائر المؤمنين: [وفي هذه السنة الرابعة من هجرة الحبيب صلى الله عليه وسلم حدث أفظع حادث، ذلك هو حادث بئر معونة الذي ذهب ضحيته سبعون صحابياً من خيرة الأصحاب؛ نتيجة الغدر والخيانة] ذهب هذا الوفد إلى دار السلام، إلى الجنة دار الإبرار؛ نتيجة الغدر والخيانة، ولا لوم على الكافر إن غدر أو خان فهذا طبعه.
لكن هل يغدر المسلم؟ هل يخون؟ والله لا يغدر ولا يخون، وإن غدر وخان من ينتسب للإسلام فليس بمسلم.
قال: [وذلك أن أبا براء عامر بن مالك المعروف بملاعب الأسنة] بطل [قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة، فعرض عليه النبي صلى الله عليه وسلم الإسلام ودعاه إليه] أسلم تسلم [فلم يُسلم، ولم يبعد عن الإسلام] بكلام سيئ أو بحركة غير سليمة، ولكن فقط لم يدخل في الإسلام، ولم يكن قلقاً أو منزعجاً منه [وقال] هذا أبو البراء للرسول صلى الله عليه وسلم [يا محمد! لو بعثت رجالاً من أصحابك إلى أهل نجد، فدعوهم إلى أمرك] الذي تدعو إليه [رجوتُ أن يستجيبوا لك] ونجد هي كل ما ارتفع من وراء المدينة [فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إني أخشى عليهم أهل نجد)] يعني: أخاف عليهم أن يغدروا بهم [قال أبو براء : أنا جار لهم فابعثهم فليدعوا الناس إلى أمرك] أي: في حمايتي وجيرتي.
وتعرفون الجوار، لكن أين هو الآن؟ ذهب وحل محله الغدر والخيانة والكذب، وكان قبل ذلك إذا أجارت امرأة أكبر مجرم وقالت: هو في جواري، فإنه لا يمسه أحد؛ وهو احترام العربي لأخيه العربي، ولا ننسى قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (أجرنا من أجرتِ يا أم هانئ)، وكان عفريت من عفاريت المشركين يوم الفتح هرب إلى بيتها في مكة، فعثر عليه علي في بيت أخته فقال: لأقتلنك.
إذ أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بقتل ثلاثة أو أربعة نفر ممن غلوا في الظلم والشر والفساد، فقالت: لن تمسه يا ابن أمي وقد أجرته، ثم ذهبت إلى رسول الله صلى الله عليه وذكرت له الحادثة، فقال لها: (أجرنا من أجرتِ يا أم هانئ).
وأبو بكر رضي الله عنه لما أقلق المشركين في صلاته وقراءته القرآن قالوا: إما أن تقرأ في بيتك وإما أن تخرج من مكة، فقد أفسدت قلوب بناتنا ونسائنا وأبنائنا، فخرج من مكة مطروداً، ومشى الأيام والليالي ثم لقيه ابن الدغنة ، فقال: يا ابن أبي قحافة إلى أين؟ وما حالك؟ فقال: الأمر كذا وكذا .
فقال: ارجع وأنت في جواري، فرجع في جوار ابن الدغنة وطاف به في مكة قائلاً: قد أجرت ابن أبي قحافة ! فما استطاعت قريش أن تنقض هذا الجوار، وعاد الصديق يصلي حول البيت ويقرأ والنساء والخدم والعجائز يسمعنه، فقالوا لـابن الدغنة : إما أن تلزم صاحبك بأن يصلي في بيته ولا يجاهر بصلاته أو أخفرنا جوارك، فقال: أي أبا بكر إما وإما، فقال أبو بكر رضي الله عنه: رضيت بجوار الله وخذ جوارك يا ابن الدغنة .
قال: [فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين رجلاً من خيرة الأصحاب] علماً وإيماناً وشجاعة وقدرة على البلاغ [منهم: المنذر بن عمرو و الحارث بن الصمة و حرام بن ملحان و عامر بن فهيرة مولى الصديق و عروة بن أسماء بن الصلت و نافع بن بديل بن ورقاء ، فساروا حتى نزلوا ببئر معونة -وهي بين أرض بني عامر وحرة بني سليم- ولما نزلوها بعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عدو الله عامر بن الطفيل] لأن الرسول كتب لهم كتاباً ليقدموه إلى رئيس المنطقة، فقدمه حرام رضي الله عنه إلى هذا الملعون [فلما أتاه لم ينظر فيه -أي: في الكتاب- حتى عدا على حرام فقتله] قبل أن يقرأ الكتاب.
قال: أنت جئت بكتاب من محمد العدو ثم ضربه فقتله.
[ثم استصرخ عليهم بني عامر قومه] أن تعالوا اقتلوا هؤلاء الغزاة أو الظالمين [فأبوا أن يجيبوه إلى ما دعاهم إليه] استصرخ فيهم بأعلى صوت: هلموا! إلى هؤلاء فاقتلوهم، فلم يجيبوه [وقالوا: لن نخفر أبا براء وقد عقد لهم عقداً وجواراً] يعني: لن نخفر أبا براء في عقد عقده لهم وجوار منحهم إياه [فاستصرخ عليهم قبائل من بني سليم من عُصية ورعل وذكوان، فأجابوه] وهؤلاء هم الذين قنت عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم شهراً كاملاً، بعد أن قتلوا سبعين صحابياً، الواحد منهم يساوي سبعين ألفاً.

وأقول: لو أن خادم الحرمين يأمرنا الآن بأن ندعو في صلاة المغرب والصبح في المملكة كلها عسى الله أن يفتح باباً لإلجاء إخواننا وإنقاذهم في البوسنة والهرسك؛ لأن المملكة فيها أكثر من عشرة ملايين، فإذا رفعوا كلهم أكفهم إلى الله فلن يردها خائبة إن شاء الله، ولن يكتمل الشهر إلا وقد فرج الله عن إخواننا بما يشاء، إما بجيش الندوة الإسلامية أو المؤتمر الإسلامي، أو بما يشاء، فالرسول صلى الله عليه وسلم قنت شهراً كاملاً يدعو على عصية ورعل وذكوان؛ لهذه السيئة والفضيحة التي ارتكبوها.

قال: [حتى غشوا القوم فأحاطوا بهم في رحالهم، فلما رأوهم أخذوا سيوفهم ثم قاتلوا حتى قتلوا عن آخرهم رحمهم الله أجمعين، اللهم إلا ما كان من كعب بن زيد فإنهم تركوه بين القتلى وفيه رمق من حياة، فعاش] رضي الله عنه [حتى قتل يوم الخندق شهيداً فرضي الله عنهم أجمعين.

وكان عمرو بن أمية الضمري المضري و المنذر بن محمد بن عقبة الأنصاري] كانا [في سرح لقومهما] يعني في ماشية يسرحون بها [فرأوا الطير تحوم على قتلى المؤمنين] غير بعيد عنهم؛ لأن الطير يأكل اللحم وخاصة العقبان والبازات، ويشربون الدماء [فقالا: والله إن لهذه الطير لشأناً، فأقبلا نحوها لينظرا، فإذا القوم في دمائهم] التسعة والستون صحابياً [والخيل التي قتلتهم واقفة] تنتظر [فقال الأنصاري لعمرو : ما ترى؟ قال: نرى أن نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره الخبر، فقال الأنصاري: لكني ما كنت لأرغب بنفسي عن موطن قُتل فيه المنذر بن عمرو ، وما كنت لتخبرني عنه الرجال، ثم قاتل القوم] وحده [حتى قتل] قاتل أمة كاملة وحده حتى استشهد؛ لأنه أراد أن يقتل.

قال: [وأخذوا عمراً أسيراً] و عمرو من مضر ليس من الأنصار ولا المهاجرين [فلما أخبرهم أنه من مضر تركوه] أخذوه أسيراً فلما أخبرهم بأنه من مضر تركوه [وجز ناصيته عدو الله عامر بن الطفيل] والناصية: شعر مقدمة الرأس.

وهذا ليعلن أنه أصبح عبداً مملوكاً [وأعتقه عن رقبة زعم أنها كانت على أمه] وهذا هو العجب! كافر يعتق رقبة من أجل أمه؛ لأنها ماتت قبل أن تفي بها!! رغم ذلك الظلم والشر والطغيان! فلما أخذ هذا الأسير ولم يكن من جماعة الرسول صلى الله عليه وسلم ولكن من مضر، جز ناصيته ليعلن أنه عبد ثم أعتقه عن أمه.

ولو أخذوه الصرب اليوم لبقروا بطنه وأخذوا مصارينه ودماغه وصبوا فيها الغازات.

قال: [وسار عمرو حتى إذا كان بالقرقرة أقبل رجلان من بني عامر حتى نزلا بظل هو فيه] ظل شجرة أو جبل [فسألهما: ممن أنتما؟ فقالا: من بني عامر، فأهملهما حتى ناما، ثم قتلهما أخذاً بثأر شهداء بئر معونة الذين قتلوا باستصراخ عامر بن الطفيل العامري عليهم، ولم يعلم بالعقد والجوار الذي لهما من رسول الله صلى الله عليه وسلم] فقد كان لهم عقد جوار مع الرسول صلى الله عليه وسلم، فمن وجدهما في دائرة المدينة وما حولها لا يقتلهما؛ لما لهما من الجوار [فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبره بما فعل، قال له: (لقد قتلت قتيلين لأدينهما)] وأدينهما أي: أدفع ديتهما لأهلهما بحكم العقد الذي بيني وبينهم.

[وآلم رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر وحزن لذلك] وهنا أخذ يقنت عليهم شهراً كاملاً [وقال: (هذا عمل أبي براء فقد كنت لهذا كارهاً متخوفاً)] وهو الذي جاء ثم أبى أن يسلم ولكنه قرب من الإسلام وقال: ابعث معنا رجالك يدعون بدعوتك عسى أن يستجاب لهم، والرسول لا يعلم الغيب، ولكنه تخوَّف وما استطاع أن يرد من قال: ابعث رجالك يدعون بدعوتك وهم في جوارنا ثم لا يسمح بذلك [وبلغ هذا أبا براء فشق عليه وآلمه] كلام الرسول الذي قاله [كما بلغ بنيه تحريض حسان له على قتل عامر بن الطفيل] وحسان شاعر النبي صلى الله عليه وسلم فقد حث أبا براء على قتل عامر بن الطفيل في قصيدة [فقام إليه ربيعة فطعنه فقتله إلى جهنم وبئس المهاد] ومات عامر بن الطفيل ، قتله بطل.

إذاً: آلم رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر استشهاد سبعين من أصحابه، وحزن لذلك، وهنا قلنا قبل أيام أن الله تعالى يقول: فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ [البقرة:38]، وذكرت أنهم لا يخافون ولا يحزنون في الحيوات الثلاث، في هذه الحياة الدنيا، وفي البرزخ، وفي الحياة الآخرة، وبعض الطلبة قال: لقد حزن الرسول صلى الله عليه وسلم عندما مات ولده إبراهيم في السنة الأولى من عمره، وذرفت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: (إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي الرب، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزنون)، وليفهم الطالب هنا أن الحزن يختلف، فالحزن الذي يمنعك من الأكل والشرب ويصب عليك هموماً وغموماً وتصبح به في غير عقلك تقول الباطل وتفعل المنكر هذا هو المنهي عنه، أما الألم الباطني الذي يكون في القلب فهو يحصل بفطرة الإنسان وطبعه، وليس هذا الذي نفاه الله تعالى، بل نفى الحزن المعروف عند الجهلة والفساق والضلال، الحزن الذي يدفع صاحبه للتكلم بالباطل، والتحرك الحركات السيئة، والقنوط من الأكل من الشرب .

.

ذاك هو الحزن الذي نفاه الله عن أوليائه، ففي هذه الحادث حزن الرسول صلى الله عليه وسلم وتألم، لكن هل قال غير الحق أو فعل غير ما يرضي الله عز وجل؟ أو قال لأهله: لا تقدمون لنا طعام ولا شراب ولن نأكل لأننا حزينون؟ لا.

[وهذه أبيات حسان في تحريض بني أبي البراء على قتل ابن الطفيل لعنه الله تعالى] يقول: [بني أم البنين ألم يرعكم وأنتم من ذوائب أهل نجد تهكم عامر بأبي براء ليخفره وما خطأ كعمد ألا أبلغ ربيعة ذا المساعي فما أحدثت في الحدثان بعدي أبوك أبو الحروب أبو براء وخالك ماجد حكم بن سعد].

نتائج وعبر من حدث بئر معونة

قال: [نتائج وعبر] والعبر جمع عبرة وهو ما نعبر به إلى شاطئ السلامة كالعبارة في البحر، والنتيجة ما نستنتجه لننتفع به.
قال: [إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبراً نذكرها إزاء الأرقام الآتية] وهي ستة أرقام.

[أولاً: بيان أن الغيب استأثر الله تعالى به] أي: علم الغيب، استأثر الله تعالى به، قال تعالى: قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ [النمل:65]، وإخواننا أيام الهبوط كانوا يقولون: فلان يعلم الغيب، ويذهبون ليقفوا أمامه، فيقول للواحد منهم: امرأتك كذا وابنك كذا .
ثم يأخذ منه الفلوس على علم الغيب المزور!! [إذ لو كان النبي يعلم الغبيب بدون إعلام الله تعالى له لما أرسل شهداء بئر معونة] أيرسلهم وقد علم أنهم سيقتلون؟ مستحيل! إذاً هذه نتيجة من هذه الحادثة: أن الغيب استأثر الله عز وجل به، فمن ادعى أنه يعلم الغيب فقد كذب، بل ارتد وكفر، والرسول صلى الله عليه وسلم عندما يخبر بالغيب إنما يتلقاه من الله عز وجل.
وهناك أيضاً الفراسة، فصاحب المران والرياضة والفراسة -وخاصة أهل التقوى- إذا نظر إلى الشيء قد يقول كذا فيه ولا يخطئ، وقد فاز بهذا عمر بن الخطاب ، يقول عبد الله رضي الله عنه: "ما قال أبي في شيء أظنه كذا إلا كان كما ظن".
وكم من شخص جاء ليغتال رسول الله والسيف تحته فينظر إليه عمر ويقول: ألق السيف يا عدو الله! هذه هي الفراسة، وهذا نتيجة صفاء الروح وطهارتها، إذ قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا [الأنفال:29]، والفرقان هو القوة الباطنية الفارقة بين الحق والباطل، وبين الصواب والخطأ، وبين الهداية والضلال؛ ولهذا -كما قلنا-: يجب أن يكون رجال السياسة والمباحث والمخابرات والقضاة والمسئولون من هذا النوع، من أهل التقوى، لكي ينظر فيعرف، أما أن يكونوا جهالاً لا تقوى لهم ولا هداية فإنهم يتخبطون، وقد أين حُرم العالم الإسلامي من هذه الأنوار الإلهية، فأكثرنا لا يعرف معنى التقوى!! قال: [ثانياً: بيان ما باء به عدو الله عامر بن الطفيل من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.
ثالثاً: فضيلة المنذر بن محمد بن عقبة الأنصاري إذ قاتل وحده؛ طلباً للشهادة ففاز بها] قاتل أمة كاملة وحده.
[رابعاً: بيان ما باءت به عصية ورعل وذكوان من غضب الله تعالى وعذابه] إذ قنت رسول الله صلى الله عليه وسلم شهراً كاملاً يدعو عليهم بالهلاك، وما أفلحوا؛ فلهذا قلت: بلغوا مسئولينا -جزاهم الله خيراً- لو أنهم يقنتون في هذه الليالي من أجل إخواننا في البوسنة والهرسك، فقد اشتد الكرب عليهم، وما أظن أمة كاملة وهي عشرة ملايين في المملكة ترفع يديها ثم يردها الله خائبة.
[خامساً: مشروعية القنوت في الصلاة للدعاء على الظلمة، ولرفع البلاء النازل على المؤمنين.
سادساً: فضل شهداء كل من الرجيع وبئر معونة] وغزوة الرجيع تقدمت، وقد قتل فيها سبعة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم [إذ ذهبوا ضحية الغدر والخيانة لنزول قرآن فيهم هذا نصه] منسوخ هذا القرآن [(بلغوا قومنا عنا، أنا قد لقينا ربنا، فرضي عنا ورضينا عنه) ثم نسخ] هذا قرآن نزل ونسخه الله عز وجل، فقد بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الخبر وما يدري ما وقع فالمسافة بينه وبينهم عشرة أيام، فبينها الرسول هذه الآية وأعلنها ثم أعلم بنسخها من القرآن، وسورة الأحزاب نسخ منها أكثر من ثلثها، أما قال تعالى: مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا [البقرة:106].
وإن شاء الله -معشر المستمعين والمستمعات- لا يرى الله غادراً بيننا ولا خائناً، فلا يغدر ولا يخون المؤمن، ومن رأيتموه يغدر أو يخون من المؤمنين فثقوا أنه والله ما بلغ درجة الإيمان، وما هو بالمؤمن، واحلف على ذلك ولا تحنث.
وأنتم تشاهدون ملايين لا يصلون. وملايين لا يشهدون صلاة الجماعة. وملايين يشربون الحشيشة. وملايين يعيشون على الغيبة والنميمة والسب والشتم والسخرية. أهذا هو الإيمان؟!! وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

لقد بذلت قريش لحرب الإسلام وإطفاء نوره كل ما في وسعها، ولكن الله متم نوره ولو كره المشركون، ومن تلك المحاولات البائسة لإطفاء نور الإسلام ما حدث في السنة الرابعة حينما أرسل أبو سفيان -أيام كان مشركاً- رجلاً أعرابياً ليقتل النبي عليه الصلاة والسلام، فلما وصل إلى المدينة اكتشف أمره، وافتضح تدبيره، فلم يحقق ما كان يريد فأخذ وحبس ثم أسلم، ورد النبي عليه الصلاة والسلام على ذلك بأن أرسل عمرو بن أمية الضمري ورجلاً معه لقتل أبي سفيان، ولكنهم لم يستطيعوا ذلك، وقد أظهر عمرو بن أمية في هذه السرية شجاعة نادرة، وبطولة فذة، حتى دعاء له النبي صلى الله عليه وسلم بخير.

سرية عمرو بن أمية الضمري إلى مكة لقتل أبي سفيان

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.
أما بعد: لنقضي ساعة مع حبيبنا صلى الله عليه وسلم، وقد انتهى بنا الدرس إلى مقطوعة من أحداث السنة الرابعة، وهي: [سرية عمرو بن أمية الضمري إلى مكة لقتل أبي سفيان] معاشر المستمعين والمستمعات! لنقضي هذه السويعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وننسى وجودنا هذا وما فيه من ظلمة أو نور.
فهيا ننتقل إلى ما وراء ألف وأربعمائة سنة، وهذا فضل الله علينا.

ثانياً: رد النبي على أبي سفيان بإرسال عمرو بن أمية الضمري لقتله

قال: [ولما حدث هذا الذي حدث من أبي سفيان من إرساله من يغتال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري مع رجل من الأنصار إلى مكة وأمرهما بقتل أبي سفيان بن حرب] يجوز أو لا يجوز؟ قال تعالى: وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ [النحل:126]، أما بعث الشيطان ليغتال الرسول صلى الله عليه وسلم؟ إذاً: يبعث الرسول من يقتله ولا حرج.
[قال عمرو : فخرجت أنا ومعي بعير والرجل صاحبي علة] أي: جعله كالضرة له يقاسمه المركب وغيره [فكنت أحمله على بعيري حتى جئنا بطن يأجج فعقلنا بعيرنا بالشعب، وقلت لصاحبي: انطلق بنا إلى أبي سفيان لنقتله، فإن خشيت شيئاً فالحق بالبعير فاركبه، والحق برسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره الخبر، وخلِّ عني] أي: لا تسأل عني، واتركني! وهذه هي الخطة: حبس البعير في مكان ما، وقال لصاحبه: إن خفت شيئاً فاركبه والحق برسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره الخبر.

[قال عمرو : فدخلنا مكة] البلد الأمين، حرم الله.
وبلغوا الذين يزنون ويسرقون فيها أن مصيرهم خزي في الدنيا وذل وجهنم يوم القيامة، والمدينة كذلك حرم الله وحرم رسوله، أيغشى فيها مؤمن كبائر الذنوب والآثام ويزعم أنه مؤمن؟!! وما زلت أكرر: من لا يستطيع الاستقامة في الحرمين فليغادرهما، وأرض الله واسعة، فإذا كنت لا تقدر على حفظ لسانك وفرجك وعبادة ربك فارحل، أترضى أن يسخط الله عليك في حرمه؟ يقول الحبيب صلى الله عليه وسلم في الصحيحين وفي الموطأ وفي المسانيد: (المدينة حرم من عير إلى ثور) وهما جبلان هذا في الجنوب الغربي وهذا في الشمال الشرقي (من أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه صرف ولا عدل) أي: لا فرض ولا نفل.
هل سمعتم يا أبناءنا؟! والذين ما سمعوا واحد إلى مائة ألف، أما الذين عرفوا فإنه يموت أحدهم جوعاً ولا يمد يده إلى حرام في هذا المكان، ويعيش أربعين سنة عزباً لا يفكر في زنية أو فجور، وعلة الذين يقدمون على المعاصي في هذا المكان واضحة: ما عرفوا الطريق إلى الله، ما أيقنوا بلقاء الله، ما عرفوا من الله ما يحبوه به ويرهبوه ويخافوه.
فهم جهلة يعيشون في ظلمة، فكيف تعمل معهم؟! [قال عمرو : فدخلنا مكة ومعي خنجر قد أعددته إن عاقني إنسان ضربته به.
فقال لي صاحبي: هل لك أن نبدأ فنطوف ونصلي ركعتين؟] أولاً [فقلت له: إن أهل مكة يرشون أفنيتهم بالماء مساء] يرشون حول البيوت بالماء بعد العصر لتتلطف الأرض وتذهب الحرارة، أيام كانت الأرض تراباً [ويجلسون فيها وأنا أعرف بهم، قال: فمشينا حتى أتينا البيت] العتيق [فطفنا به وصلينا، ثم خرجنا، فمررنا بمجلس لهم فعرفني بعضهم] لأنه مكي [فصرخ بأعلى صوته: هذا عمرو بن أمية] يعني: لماذا جاء؟ [فثار أهل مكة إلينا، وقالوا: ما جاء إلا لشر، فقلت لصاحبي] العلة [أن جاء هذا الذي كنت أحذر، أما أبو سفيان فليس إليه سبيل] يعني: ما أظن أني واصل إليه [فانج بنفسك] أنت.
[فخرجنا نشتد] هاربين [حتى صعدنا بالجبل، فدخلنا غاراً بتنا فيه ليلتنا؛ ننتظر أن يسكن الطلب] فالمشركون يطلبونهم في كل مكان [فوالله إنا لفيه] في ذلك الغار [إذ أقبل عثمان بن ملاك التيمي يتخيّل بفرس له، فقام على باب الغار، فخرجت إليه فضربته بالخنجر، فصاح صيحة أسمع أهل مكة، فأقبلوا إليه ورجعت إلى مكاني] في الغار [فوجدوه وبه رمق] بقية حياة [فقالوا: من ضربك؟ قال: عمرو بن أمية ، ثم مات] على الفور [ولم يقدر يخبرهم بمكاني] قال: [وشغلهم قتل صاحبهم عن طلبي فاحتملوه، ومكثنا في الغار يومين حتى سكن عنا الطلب] وما بقي من يسأل عنا [ثم خرجنا إلى التنعيم، فإذا بخشبة خبيب] التي صلب عليها وقتل [وحوله حرس] يحرسون جثته، يتوقعون أن أناساً يأتون إليها [فصعدت خشبته واحتملته على ظهري، فمشيت به نحو أربعين خطوة فعلموا به فطرحته، واشتدوا

في أثري] يطلبونني [فأخذت الطريق فأعيوا ورجعوا، وانطلق صاحبي فركب البعير وأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره، وأما خبيب فلم يُر بعد ذلك، وكأن الأرض قد ابتلعته] لم يعثر على جثته، أخفاه الله عز وجل.
وأهل الدرس يعرفون من خبيب ، ولا ننسى الكلمة التي فاوضه فيها رجال المشركين حيث قالوا: أترضى أن يكون محمد في مكانك وتطلق أنت وتعود إلى أهلك وأولادك؟ فقال: والله ما أرضى أن يشاك محمد بشوكة وأنا بين أهلي!!. وقتل على تلك الخشبة.
قال: [وسرت حتى دخلت غاراً ومعي قوسي وأسهمي، فبينما أنا فيه إذ دخل عليَّ رجل من بني الديل أعور يسوق غنماً، فقال: مَن الرجل؟ قلت: من بني بكر، قال: وأنا من بني بكر، فاضطجع معي ورفع عقيرته يتغنى] بعد أن أمِن [ويقول: ولست بمسلم ما دمت حياً ولست أدين دين المسلمينا] يغني بذلك، ما أجهله! [ثم نام فقتلته، ثم سرت فإذا رجلان بعثتهما قريش يتحسسان أمر النبي صلى الله عليه وسلم، فرميت أحدهما بسهم فقتلته واستأسرت الآخر] أي: أخذه أسيراً [فقدمت به على النبي صلى الله عليه وسلم] هذا هو البطل! ليس بطل الكرة!! [وأخبرته الخبر فضحك ودعا لي بخير] ضحك الرسول صلى الله عليه وسلم ودعا له بخير، فهنيئاً له!
أولاً: إرسال أبي سفيان رجلاً لاغتيال النبي صلى الله عليه وسلم

قال المؤلف غفر الله له ولكم ورحمه وإياكم وسائر المؤمنين: [ما زال أبو سفيان يتحسر على فوته قتل النبي صلى الله عليه وسلم] أبو سفيان -رضي الله عنه الآن- الذي انهزم مع جيشه في بدر وغزا المدينة يوم أحد، وهمه وقصده وكل ما يريد أن يقتل محمداً صلى الله عليه وسلم، وينتهي من هذا الدين وهذه الدعوة، ما زال يتحسر على عدم قتل النبي صلى الله عليه وسلم، والحسرة والندامة آلام نفسية يعرفها كل من أصيب بها [حيث خاب أمله في ذلك بعد غزوة أحد التي كلفته أموالاً طائلة وأتعاباً شديدة رجاء أن يثأر لقتلاه في بدر من محمد صلى الله عليه وسلم الذي قتل رجاله وأسر أعداداً منهم في بدر].
وانظر إلى هذا العمل الباطل الفاسد الكافر ويأبى الله إلا أن يصبح أبو سفيان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأهل المحبة والرضوان، ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ [الحديد:21]؛ فلهذا من أصيب منا بذنوب وتمرغ فيها ولصق بها لا ييأس، عسى الله عز وجل أن ينقذه وإذا به من أوليائه.
[ومن هنا فكر في خطة خسيسة وهي إرسال من يغتال] غيلة وخديعة [محمداً صلى الله عليه وسلم، إذ قال بين رجاله] وأهل مجلسه من أعيان بلاده [ما أحد يغتال محمداً؟ فإنه يمشي في الأسواق] أي: ليس في حجرته، أو عليه حرس، بل يمشي في الأسواق ويتجول، فمن يقتله [فندرك ثأرنا منه] هذا كلام أبي سفيان لرجاله وخواصه في مكة [فأتاه رجل من العرب، فدخل عليه منزله] الذي هو فيه [وقال له: إن أنت وفيتني] ما أطلب يعني [خرجت إليه حتى أغتاله] وهذا رجل مادي! قال: (إن أنت وفيتني) الجائزة العظمى خرجت إليه حتى أغتاله [فإني هاد بالطريق خريت] يعني: جغرافي، يعرف مسالك الطرق ودروبها، ويستطيع أن يصل إلى محمد في حال ما ويغتاله [معي خنجر مثل خافية النسر] والخافية جمعها خواف، وهي: ريشة من أربع ريشات إذا ضم الطائر جناحيه خفيت.
فهو مخبئ لخنجره كهذا الذي يخبيه الطير [فقال له أبو سفيان : أنت صاحبنا] أي: أنت الذي نريدك [وأعطاه بعيراً ونفقة] بعيراً يركبه ونفقة ينفقها على نفسه وأهله [وقال له: اطوِ أمرك] أي: غطه واستره فلا يطلع عليك أحد [فإني لا آمن أن يسمع هذا أحد فينميه إلى محمد] أبو سفيان ذا حيطة واحتراس، قال: إني لا آمن أن يسمع هذا أحد فينقله إلى محمد صلى الله عليه وسلم [فقال الأعرابي] والأعرابي هو من يسكن في البادية، ليس من أهل مكة ولا الطائف [لا يعلمه أحد] يعني: كن مطمئناً أبا سفيان [فخرج ليلاً فوصل المدينة في ستة أيام] طوى المسافة طياً؛ فالمسافة تحتاج إلى عشرة أيام وهو قضاها في ستة؛ لأنه يعرف الطرق المختصرة فهو خريت.
قال: [فعقل راحلته بحي بني عبد الأشهل] وراحلته هي سيارته، عقلها في حي بني عبد الأشهل [ثم أقبل قاصداً رسول الله صلى الله عليه وسلم] لا يريد إلا هو لينفذ مأموريته [فوجده بين أصحابه يحدثهم في مسجده] يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم؛ ليتخرجوا في عشر سنين أمثل البشر في كمالاتهم، ووالله ما عرفت الدنيا أمثل كمالاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، كيف وصلوا إلى هذا في عشر سنين فقط؟ كانوا يتعلمون الكتاب والحكمة، وقد عرف هذا الثالوث الأسود المكون من المجوس واليهود والنصارى، فقالوا: هيا نفصل هذه الأمة عن الكتاب والسنة، فتموت ونعلو فوقها! ونجحوا مائة في المائة، فالسنة أصبحت تقرأ للبركة، حتى في الروضة، والقرآن يقرأ على الموتى، ويقولون في قاعدة عجيبة: "تفسير القرآن صوابه خطأ وخطؤه كفر".
فمن يقوى على أن يقول: قال الله؟! ونجحوا في ذلك.
فالرسول في مسجده كان يحدثهم، يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم، وهي دعوة إسماعيل وإبراهيم عليهما السلام وهما يبنيان الكعبة يتقاولان هذه المقولة: رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ [البقرة:129]، واستجاب الله لدعوة الرسولين العظيمين إبراهيم وولده إسماعيل، فبعث في أولاد إسماعيل محمداً صلى الله عليه وسلم، وها هو ذا في مسجده يعلمهم الكتاب والحكمة.
قال: [فلما دخل المسجد رآه الرسول صلى الله عليه وسلم] والرسول نوراني، فإذا كانت الفراسة تعطى لكثير من الناس فرسول الله صلى الله عليه وسلم أولى بها [فقال] عليه الصلاة والسلام [(إن هذا الرجل يريد غدراً)] يريد أن يغدر، يعني: هيأته وهيكله ولونه وحركاته دلت عليه [(والله حائل بينه وبين ما يريد)] هذا الرجل الذي يريد غدراً الله حائل بينه وبين ما يريد، فلا يمكنه من غدره [فوقف وقال: أيكم ابن عبد المطلب؟] والمفروض يقول: أيكم ابن عبد الله بن عبد المطلب، لكن نسبتهم إلى عبد المطلب أعظم وأشهر [فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم: (أنا ابن عبد المطلب)] ولا تقول: كذب؛ لأنه لم يقل: أنا ابن عبد الله .
فعبد الله هو ابن عبد المطلب، إذاً هي هي، ولو قلت أنت: أنا ابن آدم ما كذبت، فأنت فعلاً من بني آدم [فذهب ينحني على رسول الله صلى الله عليه وسلم] كأنه يريد أن يضمه إليه ويقبله [كأنه يسارُّه] أي: يحدثه سراً.

[فجذبه أسيد بن حضير] بعنف، وكأنه أحس منه خيانة [وقال: تنحَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم] أي: ابتعد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [وجذبه بداخل إزاره، فإذا الخنجر، فقال: يا رسول الله! هذا غادر، فأُسقط في يد الأعرابي] انهار وانفضح [وقال: دمي دمي يا محمد] أي: لا تقتلوني، لا تسيلوا دمي [وأخذه أسيد يلببه، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: (أصدقني ما أنت وما أقدمك؟ فإن صدقتني نفعك الصدق، فإن كذبتني فقد أُطلعت على ما هممت به)].

[قال الأعرابي: فأنا آمن؟ قال: وأنت آمن، فأخبره بخبر أبي سفيان بن حرب وما جعل له] من الجائزة [فأمر به النبي صلى الله عليه وسلم فحبس عند أسيد بن حضير] لم يكن عندهم سجون، وكذلك خبيب لما سجنوه، وضعوه في بيت امرأة في مكة [ثم دعا به من الغد] تعال [فقال: (قد أمَّنتك فاذهب حيث شئت، أو خير لك من ذلك، قال: وما هو؟ فقال: أن تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله)] وهذا خير [فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك أنت رسول الله، والله يا محمد! ما كنت أفرق من الرجال] أي: أخاف من الرجال [فما هو إلا أن رأيتك فذهب عقلي وضعفت] كان شجاعاً لا يخاف من أحد أبداً ولا يفزع، لكن ما إن رأى النبي صلى الله عليه وسلم حتى انهارت قواه [ثم اطلعتَ على ما هممت به، فما سبقت به الركبان، ولم يطلع عليه أحد فعرفت أنك ممنوع، وأنك في حق وأن حزب أبي سفيان حزب شيطان] هذا الأعرابي يقرر هذه الحقيقة.

[فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يبتسم، وأقام أياماً، ثم استأذن النبي صلى الله عليه وسلم فخرج من عنده ولم يسمع له بذكر] راح.

نتائج وعبر من إرسال سرية عمرو بن أمية لقتل أبي سفيان

قال: [نتائج وعبر] هذه المقطوعة نستخلص منها نتائج مباركة طيبة، وعبراً نعبر بها أحداثاً وويلات إن كنا رشداء.

[إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبراً نجملها إزاء الأرقام التالية] خمسة أرقام فقط.

[أولاً: مشروعية المعاملة بالمثل] جواز المعاملة بالمثل [وهي في كتاب الله تعالى؛ إذ قال تعالى: وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ [النحل:126]] لما بعث أبو سفيان رجله ليغتال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الرسول أيضاً رجلاً ليغتال أبا سفيان ، ولا الأول فاز ولا الثاني فاز، فالذي بعثه أبو سفيان ما نجح في اغتيال رسول الله صلى الله عليه وسلم، والذي بعث الرسول ليقتل أبا سفيان ما قتله؛ لأن الله أراد أن يتم الرسول رسالته، وأراد أن يصبح أبا سفيان مسلماً ربانياً يقود المعارك في الإسلام، فالظاهر تدبير الناس والباطن هو تدبير الله عز وجل.

قال: [إذ أبو سفيان هو الذي بدأ فبعث من يغتال رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ ولذا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من يقتل أبا سفيان] وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ [الشورى:40].

[ثانياً: تقرير القضاء والقدر] أيها المستمعون ويا أيتها المستمعات! القضاء هو الحكم، والقدر هو تقدير الحكم ومعرفة كميته وهيئته ووقته.

وقبل أن يخلق الله عز وجل الخليقة خلق قلماً وأمره أن يكتب فكتب كل ما أراد الله أن يكون، وأقسم لكم بالله إن حركة يدك مكتوبة في كتاب المقادير إن حرّكتها، ولا يمكن أن يخرج شيء عما قدّر الله عز وجل أبداً.

ومن الأدلة العقلية البسيطة: لو لم يكن الأمر هكذا لخرب العالم في أيامه الأولى ولم تستمر الحياة أبداً، لكن لحكمة القضاء والقدر تمضي الحياة إلى آخر ساعاتها، وضربت لكم مثلاً: المهندس المعماري أمام طاولته وهو على كرسيه يضع خريطة يرسم فيها إنشاء قرية فضلاً عن فيلا أو عمارة، فيرسم على الورق ما يريد، ثم تأتي اليد القادرة على التنفيذ لتشيد ما تم رسمه، وبعد أربع سنوات أو عشر -مثلاً- تجد ما رُسم أصبح حقيقة، ما نقص شيء منه ولا زيد فيه، فكيف تجهل إذاً قدر الله عز وجل؟! قال: [إذ أبو سفيان قضى الله تعالى أن يسلم ويصبح في عداد المسلمين، بل في عداد الأصحاب رضوان الله عليهم فلذا لم يتأت لـعمرو بن أمية] البطل [قتله] وقد قتل ثلاثة غيره. فما أراد الله أن يقتل أبا سفيان وأما الثلاثة كتب الله قتلهم.

[ثالثاً: بيان شجاعة وبطولة عمرو بن أمية حتى لكأنها نادرة في الناس، وفوزه بدعاء الرسول صلى الله عليه وسلم له بالخير] حقاً شجاعة عمرو وبطولته كأنها نادرة، وقد سمعتموها، وفوزه أيضاً بدعاء الرسول صلى الله عليه وسلم له خير من الدنيا وما فيها.

[رابعاً: بيان تأثير الدعاية في عقول الناس] ولهذا ساد اليهود العالم في هذه الأعوام الأخيرة من سبعين سنة أو كذا؛ لأنهم سيطروا على الإعلام، وأخذنا هذه النتيجة من الديلي عندما نام يتغني قائلاً: ولست بمسلم ما دمت حياً ولست أدين دين المسلمينا لأنهم ملئوه ببغض الإسلام ورسوله والمسلمين، وشاع ذلك بين الناس في كل مكان، فأصبح هذا الجاهل يتغنى فرحاً بأنه يكره الإسلام ولا يدين به، وكله من تأثير الإعلام، وأنت تجد اليوم كثير من المسلمين يقولون الباطل ويسخرون ويتهكمون ويرمون البرآء بالسوء.

وكل ذلك نتيجة الإعلام والتقليد، تجده يجلس مجلساً فيسمع الناس يسبون ويشتمون ويقولون في فلان كذا وكذا .

فيقتنع هو ويمشي يحدث أهله بذلك!! وهذا المسكين الديلي كيف أصبح يتغنى بالكفر؟! هل عرف الإسلام؟ ما عرف، ولكن شوهوه له وبغضوه فيه وتركوه يتغنى به؛ فلهذا نحن دعاة الحق والخير طالبي رضوان الله نحفظ ألسنتنا من قالة السوء، فلا نقول الحديث ولا الخبر إلا على علم وصدق، وإن كان فيه أذى لا نقوله أبداً، ولا نكون سبباً أبداً في أذية مؤمن أو مؤمنة، وتعاليم الرسول لنا: (من كان يؤمن بالله واليوم والآخر فليقل خيراً أو ليصمت)، كف عنك لسانك يا فلان، قال: (وإنا لمؤاخذون بما نقول؟ قال: ثكلتك أمك يا معاذ ! وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم)، وأكثر أعمال المسلمين هبطت لهذا الوضع السيئ، فلا تنجح أي دعوة.

قال: [وإلا فكيف يتغنى الراعي] راعي الغنم [الديلي بكونه غير مسلم، وأنه لا يدين بدين المسلمين؟] أثروا فيه بالدعاية، وبغضوا إليه الإسلام وأهله.

[خامساً: بيان مدى ما بذلته قريش من حرب الإسلام وإطفاء نوره، ولم تقدر] ولم تستطع [والحمد لله] كيف عرفنا هذا؟ من أين استنبطناه؟ أبو سفيان حاكم مكة أما جاء بحرب للمدينة؟ لماذا؟ يريد إنهاء الإسلام، أما بعث من يغتال رسول الله؟ لِم؟ لإنهاء الإسلام والتخلص منه.
وما بذله اليهود والنصارى والمجوس أكثر مما بذلته قريش خمسمائة مليون مرة، وكل ذلك من أجل ألا يلوح نور الله في الأرض، وأن لا يبقى إسلام ولا مسلمون، وما زالوا يفعلون.
هذا والله تعالى أسأل أن ينفعنا دائماً وإياكم بما ندرس ونسمع، وصلِّ اللهم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اليهود قوم أصحاب غدر، لا عهد لهم ولا ذمة، عُرفوا بنقض العهود والمواثيق، وقد كانت بينهم وبين الرسول صلى الله عليه وسلم عهود ومواثيق أبرمها لهم الرسول حينما هاجر إلى المدينة، حتى يأمن شرهم وغدرهم، ولكنهم لم يلتزموا بعهدهم، فأدبهم الرسول صلى الله عليه وسلم، وعاملهم بما يستحقونه، فمنهم من حاربهم، ومنهم من قتلهم، ومنهم من أجلاهم عن المدينة، وكان من الذين أجلاهم يهود بني النضير في قصة معروفة في السيرة النبوية.

غزوة بني النضير

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.
أما بعد: لنقضي ساعة مع حبيبنا صلى الله عليه وسلم، وقد انتهى بنا الدرس إلى أولى غزوات السنة الرابعة، وهي [غزوة بني النضير] وبنو النضير هم قبيلة من قبائل اليهود الثلاث التي كانت تسكن المدينة النبوية.
قال: [بنو النضير إحدى ثلاث طوائف كانت] هذه الطوائف الثلاث [تسكن حوالي المدينة من اليهود] عليهم لعائن الله [وقد وادعهم الرسول صلى الله عليه وسلم يوم قدم المدينة مهاجراً] وادعهم: من الموادعة والمهادنة [وكتب لهم بذلك كتاباً] أي: صكاً يحمل الموادعة التي تمت بينه وبينهم، فلا ظلم ولا اعتداء [فنقضت بنو قينقاع عهدها أول من نقض] بنو قينقاع كانوا جنوب المدينة وهم أول من نقض العهد وحل الاتفاقية [وذلك] أي: ذلك النقض تم [في السنة الثانية وبعد غزوة بدر مباشرة -كما تقدم استعراضه في أحداث السنة الثانية-] ما صبروا إلا سنة واحدة ونقضوه في السنة الثانية من الهجرة النبوية [فأجلاهم الرسول صلى الله عليه وسلم] أي: أبعدهم من المدينة [ولم يقتلهم؛ إذ قبل فيهم شفاعة حليفهم عبد الله بن أبي]، فقد جاء وتوسط لهم عند الرسول صلى الله عليه وسلم وقال: أحلافي فاسمح لهم يا رسول الله! بالخروج من المدينة.
قال: [فخرجوا من المدينة ونزلوا أذرعات بالشام وهلكوا بها] وأهل الشام يعرفونها إلى الآن [وهاهم أولاء بنو النضير ينقضون عهدهم أيضاً [اليوم بتآمرهم على قتل النبي] صلى الله عليه وسلم [بصورة مكشوفة واضحة] تآمروا -كما ستسمعون- مؤامرة شنيعة على أن يقتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

إجلاء بني النضير عن المدينة

قال: [ونزل اليهود أخيراً على حكم الرسول صلى الله عليه وسلم منصاعين] منقادين [لأمره] ما هذا الحكم؟ [وهو أن يخرجوا من المدينة حاملين أموالهم على إبلهم، ما عدا الحلقة (السلاح)] وهي السيوف والرماح، فلا تحمل وتبقى [حتى لا يحاربوا بها مرة أخرى، فأخذوا أموالهم الصامتة والناطقة] والأموال الناطقة هي: الإبل والبقر والغنم؛ لأنها تصرخ، والأموال الصامتة الذهب والفضة وكل الأمتعة [حتى إن أحدهم يهدم سقف بيته ويحمل بعض أخشابه] على بعير، يأخذها للمكان الذي سيبني فيها بيته الجديد [أو يهد نجف الباب ليأخذ الباب] ويمشي [وفي هذا يقول تعالى: يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ [الحشر:2]] أين أولو الأبصار من العرب؟ ما بقي بصيرة! ولو بقيت بصائر ما حكمنا اليهود وسادونا! وقوله تعالى (فَاعْتَبِرُوا) من العبّارة، وهذه يعرفها المصريون؛ لأنهم يعبرون بها النيل.
فكلمة كهذه تعبر بها يا عبد الله! المهالك والمخاوف وتجتازها، وانظر ماذا حصل للذين فسقوا عن أمر الله وخرجوا عن طاعة رسوله وتآمروا عليه وعلى أوليائه، ماذا فعل بهم؟ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ [الحشر:2].
قال تعالى: [وَلَوْلا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلاءَ [الحشر:3]] والخروج من المدينة [لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا [الحشر:3]] بالقتل [وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ [الحشر:3]] ولكن لما أمر بإجلائهم نجوا من القتل، وأما عذاب النار لازم [ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ [الحشر:4]] والشق والمشاقة: أن تقف في شق ويأخذ آخر شقاً آخر، كالمعاداة، ذاك في عدوة وهذا في عدوة، فلا لقاء ولا اتصال ولا تفاهم.
فالذين شاقوا الله ورسوله جلسوا في شق وتركوا الله ورسوله في ناحية مقابلة، ما آمنوا ولا طبقوا شرعاً ولا شعيرة ولا عبدوا الله.
قال تعالى: [وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ [الحشر:4]] ولما شاق المسلمون ربهم، ونزلوا في شق وخلوا الله ورسوله في شق، سلط عليهم الكفار فأذلوهم واستعمروهم، والعجب أنهم إلى الآن لم يرجعوا عما هم فيه، فما زالوا في شق واحد بعيد، لكن يوم أن يقولوا: الله أكبر! إمامنا فلان، وشريعتنا القرآن وتطبق فيهم، يكونوا عادوا وتابوا، ولو أعلنوا الحرب ضد العالم بكامله لانتصروا عليه، ولن تغن عنه الطائرات ولا الذرة ولا الهيدروجين.
قال: [وأجلي بنو النضير عن المدينة] الرسول صلى الله عليه وسلم.
من كتب عليهم الجلاء؟ الله [ولم يُسلم منهم إلا رجلان، هما: يامين بن عمير و أبو سعيد بن وهب فأحرزا أموالهما] وبقيا بالمدينة [ولما مر اليهود بخيبر] طريقهم إلى الشام [نزل بها سلام بن أبي الحقيق و كنانة بن الربيع و حيي بن أخطب شياطين اليهود، فاستقبلهم يهود خيبر بالطبول والمزامير والغناء بزهاء وفخر؛ كأنهم أبطال فاتحون، وما هم إلا خونة ناكثون مهزومون] استقبلوهم بالطبول والمزامير وكأنهم فتحوا المدينة، وهم شاردون أذلة هاربون، ولكن من باب التغطية والتعمية على إخوانهم.

تقسيم النبي صلى الله عليه وسلم أموال بني النضير على المهاجرين

[وقسم الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم أموال بني النضير بين المهاجرين لا غير] فقد كانت أموالهم فيئاً، أفاء الله به على رسوله، فقسمه النبي صلى الله عليه وسلم على المهاجرين فقط؛ لأنهم فقراء، أما الأنصار أصحاب النخيل والديار فما أعطاهم شيئاً؛ لأن هذه ليست غنيمة، فالغنيمة قسمها الله: وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ [الأنفال:41]، وأربع أخماس للمجاهدين، وهل قاتل الرسول والمؤمنون بنو النضير؟ لا.

الله الذي أجلاهم، كان مجرد حصار ما سالت فيه دماء ولا أطلق رصاص، وخرجوا، فالمال هذا فيء؛ لأنه رجع إلينا ونحن أحق به، وهو من فاء الظل إذا رجع، فالأموال التي في أيدي الكفار ليست حقاً لهم، ونحن أحق بها، فإذا رجعت إلينا سمينها فيء.

قال: [إذ هم أصحاب الحاجة، حتى إنهم عالة على الأنصار] وقد عرفنا هذا، فقد قاسموهم الطعام والشراب، [هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن أموال بني النضير لم تكن غنائم أحرزت بالقتال] أي: ما أطلقت فيها رصاصة [وإنما كانت فيئاً أفاءها الله على رسوله بدون سفر ولا قتال] من المدينة إلى بني النضير ثلاثة كيلو أو أربعة كيلو، فلا سفر ولا قتال، إذاً: أموالهم ليست بغنيمة، ولكنها فيء.

[وفي هذا يقول تعالى من سورة الحشر: وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنكُم [الحشر:6-7].

إلا أنه صلى الله عليه وسلم قد شكا إليه أبو دجانة] وهذا رأيناه في أحد يختال بفرسه [و سهل بن حنيف حاجة فأعطاهما خاصة دون بقية الأنصار رضوان الله تعالى عليهم أجمعين] ما أعطى إلا لرجلين شكوا خصاصتهما وفقرهما، وهل يردهما الرسول؟ لا.

ولو شكا آخرون لأعطاهم، لا يستطيع أن يرد أحداً صلى الله عليه وسلم، لكن ما شكا إليه إلا أبو دجانة و سهل بن حنيف رضي الله عنهما.

والحمد لله، أنتم الآن في مسجد رسول الله، الملائكة تصلي عليكم، فالحمد لله، ماذا تريدون بعد هذا؟! وأذكركم بأن هذه الحلقة مضت عليها معاشر المستمعين! قرابة السبعين أو الثمانين سنة، وأنت إذا مررت بديار الشام أو المغرب أو أي مكان تدخل فيه لا تجد في المسجد إلا ثلاثة أو أربعة أنفار، وتمر بالمقاهي -وخاصة في المساء- فتجد عندها حلقات لا تحصى، لا يتلقون فيها إلا الفسق والفجور، ولا تسمع ذكر الله، إلا سب الله، والدخان إلى عنان السماء، ولا صلاة ولا فريضة ولا ولا .

وهم أذلاء تحت سلطان الكفر، ما الذي حملهم على هذا؟ إنه الجهل! جهلوا ربهم وما عرفوه، وما سألوا عن محابه ولا عن مساخطه، وما تعرفوا إليه، وما عرفوا ما لديه وما عنده، جيلاً بعد جيل وهم هابطون، -والله- يخبرونني رجال من العراق أن المؤذن في صلاة الصبح يؤذن ولا يدخل المسجد، لأنه لا يجد من يصلي! ونريد أن ننتصر على اليهود!! أنضحك على الله؟! سيقول شخص: يا شيخ ما هذه المبالغات وهذه الشطحات، تأدب! فأنا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (لتقاتلن اليهود حتى يقول الشجر والحجر: يا مسلم! هذا يهودي ورائي فاقتله إلا شجر الغرقد).

أسألكم بالله إذا نطق الشجر والحجر هل يكذب؟ هل يقول: يا مسلم ومن يناديه ليس بمسلم؟ لِم لم يقل: يا عربي وقال: يا مسلم؟! الآن لو تجمعون قواكم -أيها العرب- وتزحفون والله ما انتصرتم على اليهود، ستقولون: هذا الشيخ أحمق!.

إن هذا الكلام قلناه من خمسين سنة؛ لأن اليهود سلطهم الله لفسقنا وفجورنا وذنوبنا وآثامنا وشركنا وهبوطنا، ولن يدفعهم عنا إلا إذا أسلمنا؛ لتتجلى الآيات العظمى ويلوح في الآفاق أن الله مع أوليائه لا مع أعدائه.

والطريق هو: أنه إذا دقت الساعة السادسة مساء، إذا بالعواصم والمدن فارغة!! أين رجالها أين أهلها؟ في بيوت الرب! فلا دكان مفتوح ولا مقهى ولا متجر ولا مصنع، أين أهل البلاد؟ عند ربهم، في بيته عز وجل، والنساء كذلك وراء الستار ومكبرات الصوت لديهن، والغلمان كالملائكة صفوفاً في طهرهم وصفائهم، والفحول أولياء الله أمامهم، وليلة يتعلمون آية من كتاب الله، وليلة حديثاً من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيحفظون الآية ويتغنون بها، فتشرح صدورهم، وتوضع أيديهم على المطلوب منها، فإن كان فيها معتقداً عقدوه في قلوبهم، وإن كان أدباً وخلقاً تحلوا به على الفور، وإن كان واجباً عزموا على النهوض به، وإن كان محرماً كرهوه على الفور وتركوه، ويوماً بعد يوم، وعاماً بعد عام وإذا بالعالم الإسلامي كله ولي لله، ومن يقوى وقتها على أن ينال منه مكروهاً؟ فلو قالوا: الله أكبر! -والله- لارتجت الأرض تحت أرجل الكفار، ولم يبق شح ولا بخل ولا رغبة في الدنيا ولا باطل ولا ولا .

هذا هو الطريق.

ستقولون: لا نستطيع يا شيخ! فنحن مسحورون سحرنا اليهود! وكيف نترك أعمالنا ومقاهينا و.

و.. ونجلس من المغرب إلى العشاء، ونتعلم قال الله وقال الرسول، والناس صاروا في السماء وغاصوا في الماء، ويملكون كذا وكذا؟! وهذا هو الواقع المر!! لتدوم هذه الذلة والمسكنة إلى أن يشاء الله رفعها.

خروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى بني النضير

[ولما لم ينصاعوا للأمر بالجلاء والخروج من المدينة لتشجيع المنافقين لهم] وقد سمعتم ما أخبر الله تعالى عنهم بالحرف الواحد [أعلن القائد الأعظم الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم الحرب عليهم] انتهت الاتفاقية وانحل العقد وأعلنت الحرب [فولى على المدينة ابن أم مكتوم] ولاه أميراً على المدينة، يخلفه في أهلها بالقضاء والشرع والحكم فيها، و ابن أم مكتوم رجل أعمى، ورغم ذلك أصبح أميراً يقود أمة، وأذكر بذلك الغافلين الناسين غير العالمين.

من هو عبد الله بن أم مكتوم الأعمى؟ إنه مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة، كان يقول صلى الله عليه وسلم: (إن بلالاً يؤذن بليل، و ابن أم مكتوم يؤذن، فإذا سمعتم أذانه فأمسكوا عن الطعام والشراب)، هذا الرجل الكفيف كان في مكة، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتصدى في الدعوة لرجالات قريش ذوو الاعتبار، الذين إذا أسلم الواحد منهم انفتح به باب للإسلام، وهي سياسة رشيدة، فجاء ابن أم مكتوم مرة يجري وراء الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: يا رسول الله! علمني، والرسول كان مشغولاً بفلان وفلان من الكفار، فجذبه قائلاً: علمني مما علمك الله! فغضب النبي صلى الله عليه وسلم، وهل غضب لنفسه؟ لا.
للدعوة.
فأنزل الله تعالى فيهما قرآناً يقرأ إلى اليوم، وهو قوله تعالى: عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَى [عبس:1-2]، وما قال: عبست وتوليت، ولكن بحكاية الغيبة: عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَى * وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى * أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى * أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى [عبس:1-5] أي: استغنى عنك وعن دعوتك فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى * وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى * وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى * وَهُوَ يَخْشَى * فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى * كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ [عبس:6-11]، فكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا كان جالساً وجاء ابن أم مكتوم يقف له ويجلسه مكانه، ويقول: (مرحباً بالذي عاتبني ربي من أجله).
هذا الرجل أصبح اليوم أميراً على المدينة، بعد أن خرج الرسول في غزوة وولاه عليها.
ونحن شاهدنا اثنين ممن فقدوا أبصارهم ورأينا فيهم الخير العظيم، الأول: هو الشيخ محمد بن إبراهيم مفتي الديار السعودية رحمه الله، فقد كان من خيرة الرجال وهو كفيف، والثاني: سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز ، ولو جمعنا اليوم علماء العالمي الإسلامي كلهم لا يزنونهم، وقد جلست مرة إلى بعض الهابطين -مسئول- فكان يسخر من أحدهم لأنه أعمى.
إذاً: ابن أم مكتوم الآن أميراً على المدينة، يخلف رسول الله في قيادته، وليست هذه أول مرة يوليه فيها الرسول، فقد ولاه قبل ذلك أيضاً، لأن الله عاتبه من أجله، وهذا معناه أنه محبوب لله، ولو لم يكن ابن أم مكتوم محبوباً لله ما عاتب عليه رسوله صلى الله عليه وسلم، ويا ليتنا نعرف قبره فنزوره الآن! قال: [وخرج إليهم برجاله، فحاصرهم قرابة نصف شهر] خمس عشرة يوماً [وأثناء ذلك] الحصار المضروب عليهم [هددهم بإحراق نخلهم وقطعه، وفعلاً أحرق بعض المؤمنين طرفاً وقطعوا بعضاً] من بساتينهم [وتألم لذلك بعض المسلمين، لاسيما لما قال اليهود للرسول صلى الله عليه وسلم: عهدُنا بك تنهى عن الفساد وتعيب صاحبه، فكيف تأذن بإحراق النخيل؟
ونزل في ذلك قوله تعالى من سورة الحشر: مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ [الحشر:5]] صحح الله الموقف ورد على اليهود، واللينة: هي نخل الرطب، الذي تمره لين، وهو نوع جيد، أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا أي: جذوعها فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ ويذلهم.
والفاسقون هنا هم اليهود. فقد فسقوا أشد فسق.

مساندة المنافقين ليهود بني النضير

[وبعث إليهم صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة يأمرهم بالخروج من جواره] و محمد بن مسلمة هو الذي قتل كعب بن الأشرف [لنقضهم العهد الذي بينهم وبينه، فبعث إليهم المنافقون -وعلى رأسهم ابن أبي كبير المنافقين-] يشجعونهم على البقاء وعدم الجلاء يقولون: اثبتوا فنحن معكم، إن قاتلتم قاتلنا معكم، وإن متم متنا معكم، واصبروا.
وهذا المسلك إلى الآن يسلكه المنافقون والكافرون واليهود، وليس هناك تغير أبداً.
[وفي ذلك يقول تعالى من سورة الحشر: أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ [الحشر:11] في عدة آيات إلى قوله تعالى: كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ [الحشر:15] وهم بنو قينقاع أهلكهم الله.

غدر بني النضير برسول الله صلى الله عليه وسلم ونقضهم للعهد

يقول: [إنه بعد انتهاء وقعة أحد المؤلمة] التي عشناها [جاء أبو براء العامري زائراً المدينة] وتقدم الحديث عن هذا [فلاقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرض عليه الإسلام فلم يسلم ولم يرفض، وقال للرسول صلى الله عليه وسلم: لو تبعث إلى ديارنا بعثاً من صالحي رجالك يدعون إلى أمرك] التي تدعو إليه، يعني: إلى الإسلام [فإني أرجو أن يجابوا لذلك] وتقبل دعوتهم، وكان حسن ظن منه [فأبدى النبي صلى الله عليه وسلم] أي: أظهر [تخوفاً] وهو كذلك [على أصحابه] فوعده أبو براء بأنه سيكون جاراً حتى لا يُمسوا بسوء] كما هي عادة العرب، من قال: هذا بجواري لا يمسه أحد، وهو المعروف الآن باللجوء السياسي.
[وبعث النبي صلى الله عليه وسلم سبعين رجلاً من خيرة الأصحاب] وحدثت واقعة بئر معونة [واستشهد فيها كافة الأصحاب.
وإن عمرو بن أمية لما وقع في أسر عامر بن الطفيل] الذي أعتقه عن أمه [أعتقه وعاد عمرو إلى المدينة، وفي طريقه] إلى المدينة [لقي رجلين من بني عامر فقتلهما؛ ثأراً لشهداء بئر معونة، وكان القتيلان معاهدين للنبي صلى الله عليه وسلم ولم يعلم بذلك عمرو ، وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بالحادث] الجلل [فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لأدينّهما] أي: لأدفعن ديتهما؛ لأن بيني وبين قومهم معاهدة [وفعلاً جاء ذووهما يطالبون بديتهما] جاء رجال قبيلة الرجلين القتيلين يطالبون بالدية حسب الاتفاقية.
[وكانت معاهدة اليهود تقضي بأن يدي كل من الطرفين ما لزمه من دية شرعية] الاتفاقية التي كانت بين الرسول وبين بني النضير تقضي بأنه إذا أودى الرسول قتيلاً أو قتلى فإنهم يشاركون فيها، وإن بنو النضير أودوا -أيضاً- لحادث قتلى أو قتيل فإن الرسول يساهم

معهم [فخرج النبي صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر و عمر و علي] خرج مع ثلاثة من رجالات المهاجرين أي إلى بني النضير، شرق المدينة [يطالبهم بالإسهام والمشاركة في دية العامريين بموجب المعاهدة، فانتهى] صلى الله عليه وسلم [إلى ديارهم] مع أصحابه الثلاثة [وذكر لهم ما جاءهم من أجله] قال: جئت لكي تشاركونا في دفع دية العامريين [فأبدوا ارتياحاً واستعداداً، وأنزلوه مع أصحابه منزلاً حسناً] وذلك [في ظل جدار من بيت أحدهم] حصير على الأرض وظل جدار، نِعم المجلس! [وأظهروا أنهم يسعون في تحقيق طلبه] أي: يتجولون على جيرانهم وإخوانهم ليجمعوا ما يريد [وإذا بهم يتآمرون على قتله] قالوا: الفرصة سانحة هذا هو اليوم المختار [إذ قالوا: إنها فرصة قد لا تتاح لكم، فتخلصوا من الرجل بقتله، وعينوا لذلك عمرو بن جحاش] اليهودي [فقال: أنا لذلك] مستعد [فقالوا: نطلع على السطح ونلقي عليه رحى من فوق نقتله بها] والرحى: صخرة يطحن بها الحب معروفة.
قال: [وأنكر عليهم سلام بن مشكم عملهم] ما رضي هذا [وقال: لا تفعلوا، لكنهم أجمعوا على أن ينفذوا خطتهم القذرة هذه] المنتنة [وقبل أن يفعلوا بدقائق] وذاك الوقت ما في دقائق بل لحظات [أوحى الله تعالى إلى رسوله صلى الله عليه وسلم بما هموا به] وعزموا [من قتله] إنه الإعلام السريع الخفي! [فقام على الفور] ما إن بلغته المؤامرة حتى قام [كأنه يقضي حاجة] يتبول [ودخل المدينة، ولما استبطأه أصحابه] الثلاثة [قاموا ولحقوا به، فأخبرهم بمؤامرة اليهود، وأن خبر السماء قد سبقهم] قبل أن يطلقوا الرحى [وكأن آية المائدة نزلت في هذه الحادثة، وهي قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ [المائدة:11]]
وقتل الرسول قتل لكل مؤمن، أليس كذلك؟ والله لأن يرضى المؤمنون كلهم أن يقتلوا ولا يقتل نبيهم.
قال المؤلف: [ولهذه الحادثة أشباه] ونظائر [وتتلى الآية عند كل واحدة منها تذكيراً بنعمة الله وفضله على المؤمنين ليشكروا الله بالصبر والطاعة].

نتائج وعبر من غزوة بني النضير

قال: [نتائج وعبر] يا من يريدون عبارات لشاطئ السلامة! هذه المقطوعة فيها نتائج وعبر طيبة لمن يريدها.
[إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبراً نوجزها فيما يلي: أولاً: تقرير مبدأ أن نقض المعاهدة إعلان للحرب] تعلموا هذه: أن نقض المعاهدة معناه إعلان للحرب، فإذا أعلن عدوك عن نقض المعاهدة أعلنت أنت عن الحرب؛ لأننا نحن المسلمون -بالذات- إذا أردنا أن نحارب لابد وأن نعلن عن نقض العهد، ونذكر أسبابه ثم نعلن عن الحرب.
أخذنا هذا من قصة بني النضير.
[ثانياً: بيان الكمال المحمدي في الوفاء بالعهود والالتزام التام بالمعاهدات] أما ودى القتيلين صلى الله عليه وسلم، وذهب إلى بني النضير يطالبهم -بنفسه- بالمساهمة في الدية حسب الاتفاقية؟ [ثالثاً: بيان سجية من سجايا اليهود، وهي نقض المعاهدات، وكذا الحال بالنسبة إلى الكفار، إذا رأوا حاجتهم في النقض نقضوا؛ وذلك لكفرهم بالله ولقائه] نقض العهود طبيعة من طبائع اليهود، فإذا رأوا المصلحة في نقض العهد نقضوه، فلو اتفقت مع أحدهم عند الباب ثم مشيت مائة خطوة ورأى أن النقض أولى تجده ينقض مباشرة، وكذلك الحال بالنسبة إلى الكفار إذا رأوا حاجتهم في النقض نقضوا عهودهم.
[رابعاً: بيان أن الفيء خلاف الغنيمة صورة وحكماً] الفيء خلاف الغنيمة؟ فالغنيمة قسمها الله: أربعة أخماس للمجاهدين الذين حضروا المعركة، وخمس للرسول أو للحاكم والفقراء والمساكين ومن إلى ذلك.
أما الفيء فللرسول؛ لأن المسلمون لم يقاتلوا، ولا جردوا سلاحهم، ولا سافروا، ولكن الله فاء به على رسوله، فيعطيه للفقراء والمساكين، أما الأغنياء فليس لهم فيه حق.
[خامساً: قد تقتضي الضرورة الحربية هدم الجسور وبعض الدور وقطع الأشجار للضرورة] والآن إخواننا في الجزائر يفعلون هذا! وذاك ليس إلا مع دولة كافرة، فإذا هدمت جسراً أو قطعت طريقاً من أجل أن تمشي وينهزم العدو فلك ذلك.
أما المسلمون في ديارهم يفعلون هذا فبأي شرع وبأي عقل وبأي منطق؟ إنه الجهل! كل من يرى رأياً ينصره.
[سادساً: ولوع اليهود بالمزامير والطبول والأغاني، وحفلات الرقص والمجون في كل زمان] حتى في خيبر، كان إخوانهم مهزومين فاستقبلوهم بالطبول والمزامير، والحمد لله فقد ملأنا بيوتنا بهذه الأصوات، استجابة لبني عمنا اليهود! فبيوت المؤمنين التي لا يذكر فيها إلا الله، ولا يغشاها ولا يعمرها إلا الملائكة تحولت في العالم الإسلامي بكامله إلى بؤر للشياطين، تدخل البيت منها فتجد راقصة ترقص تلوي رأسها وثديها مكشوف لأجل المغني!! وأعطوني الآن فحلاً من أصحاب الثمانية والتسعين سنة أستحلفه بالله: هل كان الفحل منا يرضى أن تنظر امرأته إلى رجل؟ هل كانت ترضى المرأة أن ينظر زوجها إلى امرأة عارية؟! فرض الله الحجاب ومنع النساء من الخروج في الشوارع وكشف الوجوه؛ ليعيش الرجل خمسين سنة لا يرى فيها وجه امرأة إلا امرأته، وتعيش المرأة خمسين سنة لا ترى فيها وجه فحل إلا فحلها؛ لتبقى الكرامة والطهر والسلامة والعفة .
والآن علينا السلام، من خط هذه الخطة ونظمها؟ إنهم اليهود.
[سابعاً: بيان أن سورة الحشر جلها نزلت في بني النضير] أكثر سورة الحشر نزل في بني النضير، واقرأها تجد ذلك.

حمل الكبر لليهود على جحود الحق وإنكاره

قال: [عبرة خاصة].

عبرة لو كان هناك من يعتبر [إنه لما أُخرج بنو النضير من ديارهم وتركوها خراباً مر بها عمرو بن سعدى اليهودي وكان متألهاً في بني قريظة] أي متعبداً [لا يفارق الكنيسة أبداً، فرأى خرابها وفقدان أهلها بعدما كانوا يعمرونها ولهم فيها طيب عيش وهدوء نفس، وراحة بال، فأتى بوق الكنيسة فنفخ فيه فاجتمع رجال بني قريظة] القبيلة اليهودية الثالثة بالمدينة [فذكرهم بحال بني النضير وحال بني قينقاع من قبلهم، وما حل بهم من ذل وهوان وخسران، وقررهم بما يعرفون من التوراة وهو: أن محمداً هو النبي الخاتم وأنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حقاً وصدقاً، وأن النجاة في اتباعه والخسران في حربه والكفر به ومعاداته، فأقروا لما أكثر عليهم من الحجج والشواهد والبراهين، فقال له كعب بن أسد القرظي : ما يمنعك يا أبا عبد الرحمن من اتباعه؟ قال: أنت يا كعب ! قال كعب : فلم -والتوراة- ما حلت بينك وبينه قط؟ قال الزبير بن باطا : بل أنت صاحب عهدنا وعقدنا فإن اتبعته اتبعناه، وإن أبيت أبينا، فأقبل عمرو بن سعدى على كعب ، فذكر ما تقاولا في ذلك.

إلى أن قال عمرو : ما عندي في أمره إلا ما قلت، ما تطيب نفسي أن أصير تابعاً!!] يعني: لا تطيق نفسي أن أصبح تابعاً لمحمد، وهذا هو السر في كفر اليهود، فقد كانوا يتطلعون إلى السيادة، فلما جاء الإسلام وعرفوا الطريق، خافوا إذا دخلوا فيه أن ينتهي أملهم، فلا يصبحوا في يوم من الأيام قادة ولا سادة للبشرية، فلهذا آثروا الدنيا على الآخرة مع ما أصابهم من ذل وهوان ودون، وما زالوا إلى الآن مصرين على أن يسودوا البشرية ويحكموها، وهم في طريقهم إليها، والآن يعملون الأعاجيب في تذويب القلوب وإطفاء نور الإيمان منها.

قال: [وهكذا يحمل الكبر صاحبه على جحود الحق وإنكاره وإن خسر نفسه وأهله في الدنيا والآخرة، وهو الخسران المبين].

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

غزوة ذات الرقاع من الغزوات التي غزاها النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه، وقد كان من سببها أن علم الرسول صلى الله عليه وسلم بأن قبائل من غطفان قد تجمعوا لحربه والمؤمنين، فخرج إليهم في أربعمائة من الصحابة الكرام، فلما علموا بخروج الرسول والمؤمنين تفرقوا في شعف الجبال، وقذف الله في قلوبهم الرعب، فلم تحدث مواجهة بينهم وبين المسلمين، ورجع المسلمون إلى المدينة سالمين، وقد لقي المسلمون في هذه الغزوة شدة وتعباً شديداً، حتى إنهم أكلوا أوراق الشجر، وكانوا يعصبون الرقاع على أرجلهم من شدة الحر حتى تقطعت، ولذلك سميت هذه الغزوة بغزوة ذات الرقاع.

غزوة ذات الرقاع

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.
أما بعد: فقد انتهى بنا الدرس إلى غزوة هي ثاني غزوات نبينا صلى الله عليه وسلم في السنة الرابعة من الهجرة المحمدية وهي [غزوة ذات الرقاع]، والرقاع جمع رقعة، وهي: ما يرقع الإنسان به ثوبه أو حتى رجليه.
قال: [ذُكر] أي: ذكر أهل السيرة النبوية [في سبب هذه الغزوة أن بني محارب وبني ثعلبة من غطفان] قبيلتان من غطفان [قد جمعوا الجموع] من الرجال المقاتلين [وأجمعوا أمرهم] بنظام ودقة وحزم [على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم] جمعوا رجالهم وعتادهم وأجمعوا على أن يحاربوا الرسول صلى الله عليه وسلم [فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم] سواء كان بواسطة الوحي أو بواسطة العيون والناس الذين ينتقلون من مكان إلى مكان، المهم أنه بلغه يقيناً أن هاتين القبيلتين قد جمعتا رجالهما وعتادهما وأجمعتا على حربه صلى الله عليه وسلم، ولا عجب إذ هم كافرون مشركون، وعز عليهم أن تعلو أنوار الإسلام والتوحيد، فقالوا: نقاتله! [فخرج إليهم في أربعمائة مقاتل من المهاجرين والأنصار، واستخلف على المدينة أبا ذر الغفاري أو عثمان بن عفان رضي الله عنهما] اختلف في أيهما استخلف، فنقول: إما عثمان وإما أبا ذر ، واستخلفه في المدينة ليقوم مقامه في إجراء الإحكام، كالحاكم العام [وسار إليهم] بجيشه [وهم بجوار نجد فنزل نجد -نخلاً- وهو موضع من نجد في أرض غطفان] وكلمة نجد تعني شرق المدينة.
[ولما علم بمسيره] صلى الله عليه وسلم [من أجمعوا أمرهم على قتاله: تفرقوا ولحقوا برءوس الجبال] ولا ننسى قوله صلى الله عليه وسلم: (نصرت بالرعب مسيرة شهر)، فما إن علم هؤلاء أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أجمع على حربهم وخرج برجاله حتى تفرقت كلمتهم وتمزقت صفوفهم والتحقوا برءوس الجبال شاردين هاربين.
وهذه آية من آيات النبوة! قال: [فلم يكن قتال] في هذه الغزوة.
ما حصل فيها قتال بين المؤمنين والمشركين [وسميت هذه الغزوة بذات الرقاع] لِمَ؟ [لأنهم كانوا يعتقبون البعير كل ستة ببعير] كان كل ستة رجال يركبون بعيراً يتناوبونه، يمشي أحدهم كيلو متر أو اثنين ثم يهبط ليركب الثاني.
وهكذا، وعددهم كان أربعمائة، وإذا قسمت الأربعمائة على ستة وجدت أن معهم ستة وستين بعيراً تقريباً، والبعير لا يعتقبه إلا اثنان فقط، لا يحمل أكثر من اثنين.
[وكان الفصل] أي: الوقت [صيفاً، ولم يطيقوا الحر] إذا مشوا على أرجلهم حفاة لا يطيقون أن يمشوا من شدة الحرارة [فكانوا يلفون الخرق على أرجلهم، فسميت ذات الرقاع] لهذا السبب.
وكانوا يتوضئون ويمسحون على الرقاع، وفي هذا دليل فقهي على أنه ليس شرطاً أن تلبس الخفين أو الشراب .
فكل ما يستر الرجل عن الحر أو البرد يصح المسح عليه.
والفقهاء يشترطون للمسح على الخفين شروطاً بلغت تسعة، وبالغوا فيها، والقول الوسط الذي يتلاءم مع الرحمة الإيمانية الإسلامية أن من احتاج إلى أن يلف على قدميه شيئاً يقيه الحر أو البرد جاز له أن يمسح عليه، يتوضأ ثم بدل أن يغسل رجليه يمسح عليهما.
وفي كيفية المسح يشترط الفقهاء -أيضاً- شروطاً، والذي ثبت في السنة وصح أنه يمسح على ظاهر الرجل مرة واحدة، وعلي رضي الله تعالى عنه كان يقول: "لو كان الدين بالعقل -ما هو بالوحي والشرع- لكان مسح أسفل الخف أولى من أعلاه"؛ لأن باطن الخف هو الذي يمس الأرض أو التراب.
إذاً: سميت هذه الغزوة بغزوة ذات الرقاع؛ لأنهم لفوا على أرجلهم خرق من قماش أو كتان أو صوف ليقوا أنفسهم حر الأرض في أيام الصيف، ومسحوا عليها عند وضوئهم.

أحداث غزوة ذات الرقاع

قال: [وحدث في هذه الغزوة ما يلي:]
أولاً: موقف عمار بن ياسر وعباد بن بشر عند الحراسة

[أولاً: أن النبي صلى الله عليه وسلم لما بات برجاله بات في مضيق (شعب بين جبلين_ خرج برجاله أربعمائة، ولما جاء الليل وأرادوا أن يناموا ويبيتوا بات برجاله في مضيق (وهو شعب بين جبلين)، وهذا أنسب لهم، وكيف لا وهو الحكيم صلى الله عليه وسلم! [وجعل على الحراسة مهاجراً، وهو عمار بن ياسر رضي الله عنه وأنصارياً وهو عباد بن بشر] جعل اثنين يحرسون النائمين وهم في الشعب؛ لأنه لو أتى عدو وهم نائمون يذبحهم، فلابد إذاً من حراسة، واختار مهاجراً وأنصارياً، وهذا هو العدل، والمهاجر هو عمار بن ياسر رضي الله عنه، ولعلكم تعرفون أمه سمية ، أول شهيدة في الإسلام سمية ، وأبوه ياسر كذلك قتل شر قتلة في مكة.

قال: [فخير أحدهما الآخر في حراسة أول الليل أو آخره] ليس شرطاً أن يقفا معاً ساهرين طوال الليل، فقالوا: هيا نقتسم الحراسة، واحد يأخذ أول الليل والثاني يأخذ آخره، وهذا فيما بينهم، فقد عُهد إليهم بأن يحرسوا، أما كيف؟ فهم المسئولون.

قال: [فاختار الأنصاري أول الليل] وهو عباد بن بشر ، اختار أن يحرس أول الليل، أو نصف الليل الأول، و عمار يحرس آخر الليل [فحرس، ثم قام يصلي] لم يجلس فقط يراقب العدو، وإن كان العدو مُتوقعاً، ولكن من الجائز أن لا يأتي أيضاً، إذاً فقام يصلي [ويقرأ في سورة الكهف] وتعرفون فضل قراءة سورة الكهف في يوم الجمعة، وهذا لا يتركه إلا غافل، فهو نور يكتسبه الإنسان من الجمعة إلى الجمعة، ولا يقع في زلة إن شاء الله.

قال: [فجاء أحد القناصة من العدو، فرماه بسهم فنزعه] لعله أصابه في يده أو في رجله أو في كتفه، المهم ما أصاب مكان القتل والأذى الكبير، والسهام معروفة عندهم [فنزعه وواصل صلاته] لم يقطعها [ثم رماه بآخر] ذاك القناص رماه بسهم آخر [فنزعه] من جسمه مرة أخرى، وواصل صلاته [ثم رماه بثالث] بسهم ثالث [فاستيقظ صاحبه] عمار بن ياسر من نومه [فرأى الدم يسيل منه، فسأله فأخبره؟ فقال: لم لا توقظني] يعني: عندما أصبت بأول سهم كان يجب أن توقظني [فقال: إني كنت في سورة أقرؤها، فلم أحب أن أقطعها حتى أكلمها].

كيف حالنا نحن اليوم إذا أخذنا في قراءتها؟ لأدنى شيء نقطع السورة ونتكلم، لا لصيحة أو أمر ذي قيمة، فقط لأي شيء نقطعها ونتكلم مع الناس، ما السر؟ لأن قلوبنا ليست مملوءة بالنور، فالظلمة كثيرة، فنحن نغفل وننسى ونعرض.

ثانياً: أننا عندما نقرأ لا نكون مع الله أبداً، ولكن مع أنفسنا، ومع دنيانا، ومع أحوالنا، ولو كان العبد يستشعر أنه يتكلم مع الله، لو طعن لا يستطيع أن يترك التكلم معه عز وجل، ويشتغل بآخر، وهذا هو واقعكم وأنتم تشهدون بهذا، بينما الصاحب الجليل عباد بن بشر ، ما استطاع أن يترك الكلام مع ربه عز وجل وهو يقرأ سورة الكهف ويلتفت إلى غيره. وتعليل ذلك ما سمعتم.

قال: [فلما تابع علي الرمي ركعت فآذنتك] أي: أعلمتك [وأيم الله لولا أن أضيّع ثغراً أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظه لقطع نفسي قبل أن أقطعها أو أنفذها -أي: أتمها قراءة-] هذه الحادثة الأولى في هذه الغزاة.

ثانياً: محاولة غورث الغطفاني قتل النبي صلى الله عليه وسلم

قال: [ثانياً: أن غورث الغطفاني قال لرجاله] في ذلك الجيش الذي أراد أن يقاتل الرسول صلى الله عليه وسلم [ألا أقتل لكم محمداً؟] لبطولته وشجاعته خاطب رجاله وقال: ألا أقتل لكم محمداً؟ [قالوا: بلى] اقتله.

[وكيف تقتله؟ قال: أفتك به، وأخذ يتتبع جيش الإسلام] يعني: مشى وراء الجيش الإسلامي، يتحين الفرصة متى تتاح له؛ ليقف على رسول الله ويقتله.

[فلما نزلوا في واد كثير الأشجار وتفرقوا] رضوان الله عليهم فيه [للاستراحة تحت ظلال أشجاره، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد جلس تحت شجرة] في تلك الأشجار [وعلق سيفه بها] سيف له حمالة يعلقه بها [فجاء غورث الغطفاني في استخفاء وختل حتى أخذ السيف وأصلته] أخرجه من غمده [وقال للرسول صلى الله عليه وسلم: من يمنعك اليوم مني يا محمد؟ فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له: (الله)] أي: هو الذي يمنعني منك [فانهار الرجل وسقط السيف من يده، فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال له: (من يمنعك مني اليوم؟)] هذه بتلك [قال: لا أحد] لأنه لا يؤمن بالله ولا يعرفه [وجلس بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم] كالطفل الصغير، بعد أن خارت قواه وذابت معنوياته، لا يقوى على أن يتكلم أو يفعل شيئاً [وعاهده على أن لا يحارب ضده] عاهد الرسول صلى الله عليه وسلم على أن لا يدخل في حرب ضده أو ضد أصحابه.

قال: [ورجع إلى قومه] رجع غورث إلى قومه [فأخبرهم فأسلم كثير على خبر هذه الحادثة] لما لاحت لهم الحقائق وشاهدوا آثار النبوة أسلم كثير منهم؛ لأن قضية أن ينهار بطل وتخور قواه ويجلس على الأرض، آية من آيات النبوة المحمدية، وهذا لن يكون إلا نبي، فلهذا أسلم في هذه القضية كثير من أهل غطفان.

ثالثاً: ما وقع لجمل جابر أثناء مسيره إلى الغزو وشراء النبي له

قال: [ثالثاً: أن جمل جابر بن عبد الله] رضي الله تعالى عنه، ابن شهيد أحد عبد الله بن حرام [قد انقطع وأصبح لا يقدر على المشي إلا بصعوبة] كان لجابر جمل يحمل زاده، وهذا الجمل عجز عن المشي وتعب لكبر سنه أو لأمر آخر [فمر به الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم وهو واقف، والجمل حاسر] أي: باركاً على الأرض [فقال له: (ناولني سوطه)، فناوله إياه فضربه به الجمل فقام وسار حتى كاد يسبق غيره] ضربه باسم الله، فنهض البعير وسار حتى كاد يسبق بعض الإبل! [ومن باب المطايبة] فقد كان صلى الله عليه وسلم يطايب أصحابه، كما تطايبون أنتم أصحابكم بالكلم الطيب، واللقمة الطيبة، والمطايبة معروفة [قال صلى الله عليه وسلم لجابر : (أتبيعنيه يا جابر ؟)] يعني: أتبيعني هذا الجمل؟ [(قال: بل أهبه لك يا رسول الله؟ قال: لا، بل بعنيه)] هذا الصواب [فساومه شيئاً] فشيئاً، يعني بِعنيه بخمسمائة درهم فيقول: بستمائة -مثلاً-، وهذه هي المساومة [حتى بلغ الثمن المطلوب فباعه إياه] واشتراه النبي صلى الله عليه وسلم، والثمن غير موجود، ولكن إذا وصل المدينه أعطاه إياه، فيجوز أن تشتري بثمن مؤجل ليوم أو يومين أو عشرة.

[واشترط جابر حملانه إلى المدينة] يعني قال: بعتكه بستمائة درهم -مثلاً- على شرط أن أركبه إلى المدينة، ومن ثم أسلّمك الجمل.

وهو شرط جائز؛ لأنه لا ينقص من المبيع شيئاً، وهو مثل أن أقول: أشتري منك سيارة على أن توصلني بها إلى بيتي مثلاً، ولا حرج؛ لأنه ليس هناك نقص [فقبل النبي صلى الله عليه وسلم الشرط، ولما وصلوا إلى المدينة] وهي المدينة النبوية هذه، وسبحان الله! ديننا كله يقينيات -إي والله العظيم- ليس كخرافات اليهود والنصارى، فهذه هي المدينة، وهذا هو قبر نبينا صلى الله عليه وسلم، ووالله الذي لا إله غيره لا يوجد نبي ولا رسول تحلف بالله على أنه هو هذا الذي في قبره غير محمد صلى الله عليه وسلم.
ولما وصلوا إلى المدينة [جاء جابر بالجمل فأناخه على مقربة من بيوت النبي صلى الله عليه وسلم، وقال لبعضهم: أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بأن جابراً جاء بالجمل، فأخبره، فقال صلى الله عليه وسلم لعمار : (أعط هذه الدراهم لجابر وقل له: يأخذ جمله فإنه لا حاجة لي به)] أولاً: أعطه ثمن الجمل كما اتفقنا، ولما يأخذ الثمن قل له: خذ الجمل أيضاً، فإن الرسول لا حاجة له به.
أي كرم هذا؟! هل من الممكن أن يلاحظ هذا الكرم في الناس؟ نعم.
ولكن في أمة الإسلام -والله- وحدها، وإن كان بقلة، ويوجد في أزمنة وينعدم في أخرى، لكن في أمم أخرى هابطة يستحيل هذا.
[فأخذ جابر الجمل وثمنه شاكراً لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم فضلهما].
هذه ثلاثة أحداث تمت في هذه الغزوة.

نتائج وعبر من غزوة ذات الرقاع

قال: [نتائج وعبر] والنتائج: ما ينتج من الشيء ويستفاد منه، والعبرة ما يعبر به الإنسان معابر هذه الحياة.
[إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبراً نجملها في الآتي: أولاً: بيان مصداق قوله صلى الله عليه وسلم: (نصرت بالرعب مسيرة شهر)] وتذكرون أنه قال: (أوتيت خمساً لم يؤتها نبي قبلي) منها: (نصرت بالرعب مسيرة شهر)، لما خرج صلى الله عليه وسلم باثني عشر ألف مقاتل لقتال الروم ونزلوا بتبوك، وكان الرومان قد عزموا على حرب الرسول صلى الله عليه وسلم، وجهزوا مائتي ألف مقاتل، ما إن بلغهم خروج الرسول من المدينة حتى انهزموا، فأعلن يومها، وقال: (نصرت بالرعب مسيرة شهر).
الثانية: (أحلت لي الغنائم ولم تحل لنبي قبلي)، كان الأنبياء إذا قاتلوا كفاراً وغنموا غنائم تأتي النار فتحرقها، ولا يأخذ منها لا النبي ولا المقاتلون شيئاً؛ لأن المقاتلين ضعاف، إذا عملوا ذلك قاتلوا من أجل الغنيمة، أما هذه الأمة فإنها تقاتل من أجل الله، وإن أعطيت الغنائم -والله- لا يخرجن أحدهم للقتال من أجل الغنيمة، وإنما لنصر دين الله وأوليائه.
الثالثة: (بعثت لكافة البشر، وكان النبي يبعث في قومه)، وهذه فضيلة له صلى الله عليه وسلم لم ينلها سواه، فهو رسول الله إلى البشرية كلها.
الرابعة: (وأعطيت الشفاعة العظمى يوم القيامة)، والشفاعة العظمى هي: أن البشرية وهي واقفة في ساحة فصل القضاء في عرصات القيامة تريد أن يحكم الله بينها وتنتهي مشكلتها يبحثوا عمن يشفع لهم عند الله، فيطلبون آدم فيعتذر، ويحيلهم إلى نوح فيعتذر، ويحيلهم نوح إلى إبراهيم فيعتذر، ثم إلى موسى، ثم إلى عيسى . حتى يأتون النبي صلى الله عليه وسلم فيقول: (أنا لها أنا لها).
الخامسة: قوله صلى الله عليه وسلم: (جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيما مؤمن أدركته الصلاة فليصل) إن وجد الماء، وإن لم يجد تيمم وصلى.
[ثانياً: مشروعية اتخاذ الحرس عند الخوف] يجوز أن يُتخذ عارف أو حارس عند الخوف على مال أو عرض أو أي شيء يُخاف عليه؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذي سن هذه السنة، وجعل للجيش حارسين هما: عباد بن بشر و عمار بن ياسر ، ويستنبط من هذا: مشروعية اتخاذ الحرس عند الخوف، فإن كان لا خوف فلا معنى للحرس.
[ثالثاً: بيان كمال عباد بن بشر الأنصاري في خشوعه في صلاته وتدبره كلام الله تعالى] أصيب بثلاثة سهام وثبت على قراءته وهو يصلي.
[رابعاً: آية النبوة المحمدية تتجلى وتظهر في انهيار غورث وسقوط السيف من يده] رجل بطل جاء ليقتل والسيف في يده، ومن أراد قتله بين يديه لا يملك شيئاً، ثم ينهار ويخور ويسقط السيف من يده.
هذه علامة من علامات النبوة المحمدية، ومعجزاته صلى الله عليه وسلم بلغت ألف معجزة!! ومع هذا كفروا به، وجحدوا رسالته، وما لذلك من سبب إلا حب الدنيا واتباع الهوى.
[خامساً: بيان الكرم المحمدي المتجلي في إعطاء جابر الجمل والثمن معاً] كان المفروض أن يأخذ الجمل، ما دام قد دفع ثمنه، لكنه أعطاه الجمل ودفع له الثمن، وهو مظهر من مظاهر الكرم المحمدي! ومن يساويه أو يصل إليه؟! [سادساً: آية النبوة المحمدية في جمل جابر الذي أصابه الكلل والإعياء حتى انقطع، ثم عاد خيراً مما كان ببركة ضربه له صلى الله عليه وسلم ورغبته في عودة صحته وسلامته].

التنبيه على بعض المنكرات

معاشر المستمعين! نبهنا -من قبل- وقلنا: يا عبد الله! لا تلبس ولدك لباس غير المسلمين فإنك تورط نفسك في ورطة كبيرة وأنت لا تدري، فقد يعلق في قلب ولدك حب هذا اللباس، فيحب الصانعين له والذين يلبسونه؛ لأن هذه السنة النبوية لو يجتمع أهل الأرض كلهم على نقضها -والله- ما استطاعوا، وبلغوا علماء النفس والاجتماع والسياسة أن (من تشبه بقوم فهو منهم)، فالذي يعجز ويأخذ في التشبه بإنسان لابد وأن يكون مثله، كان الأولون يتشبهون بالأبطال كـعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، فلا يلبثوا أن يصبحوا شجعاناً.

إذاً: من تشبه وأخذ في أن يكون مثل مخنث فلا يلبث أن يكون مثله، ومن أراد أن يكون كفلان في سخائه وكرمه وأخذ يتشبه فلا يلبث أن يصبح مثله، ومن نظر إلى كافر وأحب أن يكون مثله في زيه أو حركاته، والله لا يلبث أن يكون مثله.

وهذه لا يستطيع أحد أن ينقضها، فلهذا نحذر ما استطعنا أن نتشبه نساء ورجالاً بغير المؤمنين والصالحين والصالحات.

وعندنا حادثة جديدة أو ورطة تورطها إخواننا وهي: اتخاذ حفلات العرس بالليل، وتركوا النهار نهائياً، في حين أن الرسول صلى الله عليه وسلم عرس على نسائه، وزوج بناته نهاراً، فقد كان يأتي الأكلة بعد صلاة الظهر فيتغدون ويدعون لصاحب العرس وينتهون قبل العصر، والنساء من بعد العصر إلى المغرب ثم يخرجن، والآن أصبحنا نقيم حفلات العرس في الليل، ونمر ببعض الفنادق ونحن في طريقنا إلى صلاة الصبح فنجدهم هابطون من الفندق، لِم هذا الباطل! آلله أذن لكم؟! ويستأجر أحدهم الفندق بعشرات الآلاف، لا بألف ولا ثلاثة، ولكن بالعشرين والثلاثين والأربعين، وهذا تقليد محض لليهود والنصارى، لم نعدل عن سنة الإسلام ونأخذ بسنة اليهود والنصارى، أنريد أن نكون مثلهم؟ من تشبه بقوم فهو مثلهم.

وبدأنا هذه الدعوة إن شاء الله وسنواصلها حتى تنتصر، ويصبح إخواننا لا يقيمون مأدبة عرس إلا في النهار، ويشهدون صلاة المغرب والعشاء والصبح في بيوت الله، ويتخلون عن هذه البدعة المنكرة؛ لما لها من آثار سيئة، وسوف تنتصر الدعوة إن شاء الله، إذ انتصرت في اللحى من قبل، فقد كنا نجلس خمسين رجلاً فينا ملتحٍ واحد، والآن يجلس كلهم ملتحون، وانتصرت دعوتنا في التدخين أيضاً، فمنذ أربعين سنة، كنا نجلس في مجلس غداء أو عشاء، فلا يسلم من التدخين إلا رجلان أو ثلاثة، والآن العكس، والله ما أصبحت توضع تلك الصحون لإطفاء السجائر.

وقد أصبنا كذلك من قبل بالأغاني طوال الليل إلى عنان السماء، وكنا نبيت على السطوح قبل وجود الكهرباء فلا تمر بنا سيارة ليس فيها أغاني، وكنا نبكي ونقول: آه! قال السلف الصالح: كنا نمر بأزقة المدينة في الليل فنسمع تلاوة القرآن ولها دوي كدوي النحل، فتحولت إلى أغاني العواهر والماجنين والعياذ بالله، وصِحنا -والحمد لله- وبكينا واستجاب المؤمنون والمؤمنات، والآن تمر بالعديد من السيارات؛ فلا تسمع الأغاني إلا في القليل منها، فلهذا نرجو أن لا تطول المدة حتى تكون حفلات الأعراس في النهار، والليل يعبد فيه الرحمن، ولا تترك صلاة العشاء ولا الصبح .

واثبتوا على دعوة الحق وبلغوها، والله ولي المؤمنين ومتولي الصالحين .

رسول الله صلى الله عليه وسلم هو أشجع الشجعان؛ لما آتاه الله من قوة وشجاعة وبسالة لا نظير لها، وقد نصره الله تعالى بالرعب مسيرة شهر، يتجلى ذلك في غزواته التي كان يرهب فيها أعداء الله تعالى فلا يستطيعون له مواجهة، ومن تلك الغزوات غزوة ذات الرقاع التي خرج فيها إلى نجد، فتفرق العدو، وهربوا ولم يواجهوه، وغزوة السويق أو بدر الأخرى التي خرج فيها للقاء أبي سفيان وفاءً بالوعد الذي تواعدوه في أحد، ولكن أبا سفيان لم يفِ بوعده، ولم يستطع المواجهة، خوفاً وجبناً، فنصر الله تعالى نبيه، وعاد إلى المدينة سالماً غانماً.

عدم قتل اليهود لعيسى وثبوت الجريمة عليهم

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.
أما بعد: لنقضي ساعة مع حبيبنا صلى الله عليه وسلم، وبين يدي الدرس ما يلي: أولاً: أحد المستمعين الأفاضل فهم أنني قلت مقرراً أن اليهود قتلوا عيسى عليه السلام، فنبهني إلى أنه لعل بعض السامعين فهم هذا، والله يقول: وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ [النساء:157].
وأقول: نحن قررنا في مجالسنا المباركة -مئات المرات- أن اليهود يعتبرون -شرعاً- قتلوا عيسى عليه السلام؛ لأنهم عزموا ونفذوا، إلا أن الله رفعه إليه، ثم صلبوا من ألقى الله الشبه عليه وقتلوه، فالجريمة ثابتة لهم.
ومن هنا إذا نزل عيسى عليه السلام يتضح لهم كذبهم، وأنه لم يقتل، وأنه ليس بساحر ولا دجال، ولا ابن زنا ولا عاهر، بل هو عبد الله ورسوله، كما يتضح للنصارى الصليبيين بأن عيسى ليس ابن الله، ولا ثاني اثنين مع الله، بل هو عبد الله ورسوله.
فمن تبادر إلى ذهنه أن اليهود قتلوا عيسى، فليعلم أنهم ما قتلوه؛ لأن الله -وليه- حفظه؛ وأنهم عندما جاءوا لقتله وحاصروه في منزله، دخل رئيس الشرطة فألقى الله الشبه عليه، ورفع عيسى من روزنة البيت، فلما تباطأ وما خرج تدفقوا عليه، فوجدوه شبه عيسى، فألقوا القبض عليه بالسلاسل، وأخرجوه، ثم صلبوه في اليوم الثاني.

فضل الجلوس في مجالس الذكر وخاصة في المسجد النبوي

ثاني مسألة: اذكروا عند جلوسكم هذا أن الملائكة تصلي عليكم، ولو قدمتم ما في الأرض جميعاً على أن يصلي عليكم ملك واحد -والله- ما استطعتم، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم أخبرنا أن من صلى فريضة وجلس في المسجد ينتظر الصلاة الأخرى فإن الملائكة تصلي عليه تقول: (اللهم اغفر له، اللهم ارحمه ما لم يحدث) فأنتم تحصلون على هذا الفضل وقد حرمه الملايين من إخوانكم.
وأخرى -وإن قال بعضهم الحديث مرسل، وأقول: ومرحباً بالمرسل في فضائل الأعمال!-: يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (من أتى هذا المسجد -يشير إلى مسجده صلى الله عليه وسلم- لا يأتيه إلا لخير يعلمه أو يتعلمه كان كالمجاهد في سبيل الله)، ولا عجب، فالذي يتوضأ في بيته ويأتي المسجد ليصلي فيه وينتظر الصلاة بعد الصلاة يقول الرسول صلى الله عليه وسلم فيه: (ذلكم الرباط ذلكم الرباط)، والرباط من الجهاد، بل أعظم من الجهاد.
ومعنى هذا: لتسكن نفوسكم وتطمئن قلوبكم أنكم رابحون فائزون، أما ما تغتنموه من المعرفة والعلم فهذا أمر آخر، ومن علم شيئاً فليحمد الله عز وجل.

نتائج وعبر من غزوة ذات الرقاع

قال: [نتائج وعبر] من غزوة ذات الرقاع.
[أولاً: بيان مصداق قوله صلى الله عليه وسلم: (نصرت بالرعب مسيرة شهر)] لم لا نحفظ هذه الكلمة المحمدية؟!.
فبعد أن تجمع المشركون بمكان نخل، وخرج الرسول صلى الله عليه وسلم إليهم، ما إن علموا بخروجه حتى تفرقوا وتمزقوا في رءوس الجبال، فوصل ولم يلق كيداً ولا قبالاً، وكانت تلك غزوة ذات الرقاع.
[ثانياً: مشروعية اتخاذ الحرس عند الخوف] هل يجوز لمن يخاف أن يتخذ حارساً له أو لا يجوز؟ لعلك تقول: هذا ليس عنده توكل، أو ليس عنده ثقة بالله؛ وهذا لأنك متعنتر، ولكنه يجوز، والدليل: وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في ذلك الشعب بين الواديين حارسين يحرسون جيشه في الليل، وهما: عباد بن بشر ، و عمار بن ياسر رضي الله عنهما.
و عمار هذا كان يحمل لبنتين لبنتين والمسلمون يحملون لبنة لبنة وهم يبنون المسجد النبوي، فنظر إليه الرسول صلى الله عليه وسلم وقال: (عمار تقتله الفئة الباغية).
[ثالثاً: بيان كمال عباد بن بشر الأنصاري في خشوعه في صلاته وتدبره كلام الله تعالى] فقد ضرب بثلاثة سهام ثم ينزعها ويواصل صلاته، قارئاً سورة الكهف.

[رابعاً: آية النبوة المحمدية] تجلت في هذه الغزوة [في غورث وسقوط السيف من يده] غورث الذي تعهد بقتل محمد صلى الله عليه وسلم وقال لقومه: أنا قاتله فاستريحوا! وجاء يجر سيفه والحبيب صلى الله عليه وسلم قد جلس تحت ظل شجرة، وجيشه توزع في الظلال، ونام منهم من نام، وفجأة إذا بغورث يجرد سيفه ويقول: من يمنعك الآن مني يا محمد؟ فرفع إليه الحبيب رأسه وقال: الله! فخارت قواه، وانهار كالجبل في الأرض، ثم رفع الحبيب السيف، وقال: (من يمنعك مني يا هذا؟)، ولكنه ما عرف الله، فقال: لا أحد، فأعطاه سيفه وقال: الحق بقومك نجاك الله! وكان داعية رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأسلم الكثير عن دعوته.
[خامساً: بيان الكرم المحمدي المتجلي في إعطاء جابر الجمل والثمن معاً] لما عيا جمل جابر وكلّ، وما استطاع أن يواكب المواكب، قال له الحبيب: (أعطني سوطه)، وضرب الجمل فانتفض وسار حتى كاد يسبق بعض العير، و جابر هذا مات والده رضي الله عنه في أحد، ومن ثم أصبح جابر صاحب رسول الله بعد أبيه؛ لأن جابراً مؤمن صادق الإيمان، ومسلم حسن الإسلام، والرسول لا ينظر إلى الناس إلا إلى إيمانهم وإسلامهم، فلا فرق بين أبيض وأسود، ولا غني وفقير، ولا عزيز وذليل.
ثم طايب الحبيب صلى الله عليه وسلم صاحبه، وطايبه بماذا؟ بطيب المسك؟ لا.
بل بما هو أطيب، قال له: (أتبيعني هذا الجمل؟ قال: بل أهبه لك يا رسول الله! قال: بعنيه، فتفاوضا في الرفع والخفض واتفقا على الثمن)، واشترط جابر حملانه إلى المدينة، أي: أن يصل به إلى المدينة ثم يسلمه، وصح الشرط مع البيع؛ لأنه لا يخل بأصل العقد، وإلا فقد (نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن بيع وشرط) لكن هذا إذا كان الشرط يخل بعقد البيع.
مثاله: أبيعك سيارة على أن لا تحج عليها! هل هذا الشرط صحيح؟ أو أؤجرك منزلاً بشرط أن تقيم فيه حفلات المولد كل سنة! هل يصح هذا العقد؟ لا يصح.
أما الشرط جابر فإنه لا يخل.
فلما وصل المدينة ربط البعير بقرب المسجد وقال لأحد الأصحاب: قل لرسول الله: البعير هنا، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم لبلال : (خذ هذا المبلغ وأعطه لجابر وأعطه الجمل)، فأعطاه الثمن والجمل.
وهذا كرم محمدي تجلى هنا، فكونك تشتري مني سيارة بعشرين ألفاً -مثلاً- ثم تردها علي والمال فمن يفعل هذا؟! [سادساً: آية النبوة المحمدية في جمل جابر الذي أصابه الكلل والإعياء حتى انقطع، ثم عاد خيراً مما كان ببركة ضربه له صلى الله عليه وسلم ورغبته في عودة صحته وسلامته].
وهناك سائل يعقب ويقول: كيف للحارس ألا يترك الصلاة ويتابع من ضربه؟ نقول: علم الرجل أن هذا الذي يضرب لا قيمة له ولا وزن، فلم يشاهد جيشاً أقبل عليهم، وإنما كان السهم من قناصة في جبل فما بالى به حتى أتم صلاته ثم أجاب، ثم إن إلى جانبه حارس آخر، وتركه نائماً أيضاً.

غزوة السويق أو بدر الأخرى

والآن مع ثالث غزوات السنة الرابعة -الغزوة الأخيرة- وهي [غزوة السويق أو بدر الأخرى] هناك بدر الأولى وقد عايشناها، وهذه بدر الثانية، ويقال لها: بدر الأخرى.
قال: [سبب هذه الغزوة: أن أبا سفيان بن حرب] و أبو سفيان أسلم وحسن إسلامه [لما كان عائداً من غزوة أحد، قال للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه] عند الجبل [موعدنا بدر عاماً قابلاً] هم جاءوا لغزو الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة انتقاماً منه؛ لأنه هزمهم في بدر، ولما انتصروا في غزوة أحد قال أبو سفيان: موعدنا -أيضاً- العام المقبل في بدر، يهدد ويخوف [فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه: (قولوا له: نعم)، فقالوا: نعم.
إن موعدنا معك العام القابل] شجاعة نبوية أو لا؟ قيادة حكيمة أو لا؟ لو تجتمع عقول البشرية كلها السياسية والحربية -والله- ما كانت كعقل محمد صلى الله عليه وسلم؛ فلهذا المحروم من تخلى عن تعاليمه صلى الله عليه وسلم وهدايته، ويحاول أن ينتصف الحروب والمقامات والمجالات وهو لا يعرف عن رسوله صلى الله عليه وسلم شيئاً.
قولوا: برهن على هذا الشيخ! وقد تتمنطقون وتقولون: انهزم العالم الإسلامي أمام حفنة من اليهود؟ فأقول: لو أخذوا بتعاليم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انكسروا ولا انهزموا، ولكن رموها وراء ظهورهم وأكثرهم لا يسمع بها ولا يعرفها، بل الذي يقول: قال الرسول. هذا رجعي متخلف، متأخر، والذي يخبرنا بخبر جامعات الكفر، نقول: إن لديه دكتوراه في السياسة أو دكتوراه في الاجتماع أو ودكتوراه في الاقتصاد! ولكنا لم نر أثراً للاجتماع الصالح، ولا الغنى الحق، ولا للعز والسيادة، فأين آثار تلك التعاليم؟! آه، ستغضب الحكومة اليهودية الليلة وتقول: نحن سحرناهم، وهذا يريد أن يوقظهم.
قال: [فلما آن أوان الموعد] ومضت الشهور [استخلف النبي صلى الله عليه وسلم على المدينة عبد الله بن رواحة أو عبد الله بن عبد الله بن أبي ابن سلول] وعبد الله بن أبي ابن سلول شيطان الإنس، رئيس المنافقين في المدينة، لكن كان له ولد كالملك، اسمه عبد الله أيضاً.
سبحان الله! هل تقرءون قول الله تعالى: يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ [الروم:19]، فقد أخرج عز وجل عبد الله الحي تمام الحياة من عبد الله ابن سلول الميت تمام الموت.
قال: [وخرج صلى الله عليه وسلم في ألف وخمسمائة مقاتل] وفي المدينة لم يكن ثكنات ولا جيوش من جهات متعددة، ولكن فقط أهل المدينة وأكثرهم على أرجلهم [وسار حتى وصل بدراً، وكان بها سوق كبيرة تقام سنوياً، ولذا واعد أبو سفيان فيها النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فباع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه واشتروا فربحوا ضعف رأس المال إذ ربح الدرهم درهمان] والحمد لله [وعادوا لم يمسسهم سوء] أين أبو سفيان ورجاله وجيشه؟ انهزموا ورجعوا من الطريق.

قال: [إذ أبو سفيان لما خرج برجاله ووصل إلى قريب من عسفان رأى أنه لا فائدة من الحرب وخاف الهزيمة] نظريتين صالحتين: الأولى: ما الفائدة من هذه الحرب؟ الثانية: مخاطر الإصابة بهزيمة أخرى! [فخطب في رجاله فقال: إن هذا العام عام جدب، ولا يصلح لكم إلا عام خصب] عرف كيف يتملص أو يتخلص من الفتنة [فلذا أرى أن تعودوا، قال: فأكلوا أزوادهم] أطعمتهم التي تزودوا بها [وكانت سويقاً] والسويق: هو دقيق محموس يخلط بالسمن والعسل أو التمر، وهذا يصلح أن تحمله معك شهرين أو ثلاثة، ولو حملته جيوشنا شهرين أو ثلاثة لكان خيراً لهم، ولكنهم يحملون العلب، فتنتن وتتعفن!! وقد رأيت بعيني الحجاج من المغرب يأتون متزودين بالسويق عندما يحجون، ويبقى عندهم حتى ينتهي حجهم، وهم يأكلونه، وهو لذيذ طيب.
قال: [ورجعوا، فقال أهل مكة يُنحون عليهم باللائمة: كأنكم ما خرجتم للقتال، وإنما خرجتم لأكل السويق] يعني: ما خرجتم للقتال يا أبا سفيان وإنما خرجتم لأكل السويق [فسميت هذه الغزوة أيضاً بغزوة السويق] وهذا هو سبب التسمية.
[وقال في هذه الغزوة كعب بن مالك شعراً، منه قوله:] و كعب بن مالك من أئمة الشعراء اسمع ما يقول: [وعدنا أبا سفيان بدراً فلم نجد لميعاده صدقاً وما كان وافيا فأقسم لو وافيتنا فلقيتنا لأبت ذميماً وافتقدت المواليا تركنا به أوصال عتبة وابنه وعمراً أبا جهل تركناه ثاويا] في عام بدر [عصيتم رسول الله أفّ لدينكم وأمركم السيئ الذي كان غاويا فإني وإن عنفتموني لقائل فدىً لرسول الله أهلي وماليا أطعناه فلم نعدله فينا بغيره شهاباً لنا في ظلمة الليل هاديا] هذا شعر المؤمنين، فأين هم؟!

نتائج وعبر من غزوة السويق

وهنا قال المؤلف غفر الله له ولكم: [نتائج وعبر] لهذه الغزوة؛ غزوة السويق.
[إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبراً هي الآتية: أولاً: بيان الوفاء المحمدي الدال على الشجاعة النادرة؛ إذ لم يرهبه أبو سفيان كما رهب هو وولى من الطريق خائفاً] وعاد إلى مكة.
[ثانياً: مشروعية البيع والشراء في كل فرصة تسنح حتى في الجهاد والحج] فلا يقولن قائل: لا.
نحن ما خرجنا للدينار والدرهم، بل خرجنا للجهاد، فلا تشتروا ولا تبيعوا! وبعض المتزمتين يفعل هذا! لكن هؤلاء لما لم يقع الجهاد وكانت السوق عامرة باعوا واشتروا وربحوا، والمتشددون دائماً يقفون مواقف يؤذون فيها المؤمنين بجهلهم.
وكذلك في الحج: فإذا جئت حاجاً ووجدت سلعة أو بضاعة صالحة، وفي يدك نقود، اشترِ واذهب بها إلى أهلك وبعها، أما قال تعالى: لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ [البقرة:198]، لكن -فقط- لا تقل: أنا ذاهب للتجارة، ثم تحج، فأنت ذاهب إلى الحج، ثم إن سنحت الفرصة ووجدت تجارة اشتريت وبعت ولا حرج.
[ثالثاً: بيان مصداق حديث: (نصرت بالرعب مسيرة شهر) ؛ لانهزام جيش أبي سفيان قبل الالتقاء بأرض الموعد وهي بدر.
رابعاً: تفسير قول الله تعالى: الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ * فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ [آل عمران:173-174]] هذه الحادثة تفسر هذه الآية.

أهم ما وقع من أحداث في السنة الرابعة من هجرة الحبيب صلى الله عليه وسلم

قال: [أهم ما وقع من أحداث في هذه السنة الرابعة من هجرة الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم] هيا نقف عليها، ونذكر منها ما شاء الله أن نذكر.
قال: [تمت في هذه السنة -وهي الرابعة من الهجرة-] والرسول صلى الله عليه وسلم هاجر من مكة إلى المدينة في شهر ربيع الأول [أحداث يحسن ذكرها مجملة؛ للتاريخ والعبرة معاً إزاء النقاط السوداء الآتية: أولاً: وفاة أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد المخزومي ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم برة بنت عبد المطلب] والذي تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأته ليسلي ويسيري عنها كربها وألمها.
هذه الحادثة تمت في السنة الرابعة.
[ثانياً: وفاة عبد الله بن عثمان بن عفان] ما كنا نعرف أن لـعثمان بن عفان ولداً.
من جد هذا الولد؟ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمه هي رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبوه هو الذي كاد له اليهود والمجوس ونظموا حرباً ضده وقتلوه.
شهد له الرسول صلى الله عليه وسلم بالجنة في أحد وفي غير أحد.
شهد له في أحد عندما جلس صلى الله عليه وسلم للاستراحة بعد أن وقفت الحرب على الجبل، فلما اضطرب قال: (اسكن أحد، ما عليك إلا نبي وصديق وشهيدان)، وهذه وحدها تقنع البشر -لو كانت لهم عقول- أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحيل أن يكون غير رسول.
والصديق هو أبو بكر رضي الله عنه، والشهيدان هما: عمر و عثمان رضي الله عنهما.
لِمَ قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (ما عليك إلا نبي وصديق وشهيدان)؟ استثنى أبا بكر ؛ لعلمه أنه لا يستشهد؛ لأنه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أشبه به، والرسول صلى الله عليه وسلم يقتل، والشهيدان هما: عمر و عثمان ، استشهدا في المدينة، وهل يستطيع أحد أن يقول: عمر ليس بشهيد؟! وقد مات في المسجد، فأين الشهادة؟ أو يقول: كيف يقال لـعثمان شهيد وقد مات في بيته؟ ومن قال هذه الكلمة يجب أن يجلد مائة جلدة حتى يتوب.

إن عمر رضي الله عنه طعنه برمحه في محراب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو لؤلؤة المجوسي عليه لعائن الله، و عثمان عبد الله بن سبأ اليهودي هو الذي أثار الفتنة ضده وقادها، وهول الدنيا في الشرق والغرب وجاء برجاله المبطلين الغوغائيين الاشتراكيين في ذلك الزمان، طلاب الدينار والدرهم؛ قائلين: كيف يعطي عثمان الأموال لأهله وبني عمه ويحرم منها العالم الإسلامي؟! وهذا صوت الاشتراكيين عليهم لعائن الله.
والبشارة الثانية بالجنة عندما كان النبي صلى الله عليه وسلم في حديقة أبي طلحة ، والجو حار، فرفع ثوبه، وأدخل رجليه في الماء، وكان البواب أبا هريرة : (فجاء رجل يستفتح فقال النبي صلى الله عليه وسلم: افتح له وبشره بالجنة، فذهبت فإذا أبو بكر رضي الله عنه، ففتحت له وبشرته بالجنة، ثم استفتح رجل آخر فقال: افتح له وبشره بالجنة فإذا عمر رضي الله عنه، ففتحت له وبشرته بالجنة، ثم استفتح رجل آخر وكان متكئاً فجلس وقال: افتح له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه أو تكون، فذهبت فإذا عثمان ففتحت له فأخبرته بالذي قال).
وقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه والمصحف بين يديه، من كاد هذه المكيدة؟ إنه الثالثوث الأسود.
من هم؟ إنهم اليهود والمجوس والنصارى.
تعاونوا على إطفاء نور الله؛ لأنهم مكلومون مجروحون من الإسلام، فالمجوس سقط فيهم عرش كسرى، وذهبت دولة الساسانيين، واليهود ضاعت آمالهم وتمزقت أحلامهم في إعادة مملكة بني إسرائيل، والنصارى قالوا: هذا النور الذي ابتدأ من شمال إفريقيا سوف يغمر أوروبا، فهيا نعمل على إطفائه، وإلا ما بقيت صليبية ولا ظلام، وتعاقدوا وهم إلى الآن متعاونون في السر والعلن، حتى يسمموا البقية الباقية من المسلمين، والمسلمون مدوا أعناقهم وانقادوا واستسلموا يأخذون الإرشادات اليهودية والتوجيهات الماسونية في قوالب خاصة، قوالب العلماء ورجال العلم والسياسة والاقتصاد والحرب . وما إلى ذلك.
[ثالثاً: ولادة الحسين بن علي رضي الله عنه، وهو سبط النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنه ابن ابنته فاطمة الزهراء رضي الله عنها] وكان الحسن قد ولد السنة الرابعة من الهجرة.
[رابعاً: زواج النبي صلى الله عليه وسلم بزينب بنت خزيمة بن الحارث الهلالية] هذه من جماعتنا من بني هلال [والملقبة بأم المساكين] لقبوها بأم المساكين ؛ لأنه ما دخل عليها مسكين ألا وأعطته شيئاً، وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشرح صدرها بالإيمان والأنوار المحمدية، وإلا ما هو في حاجة إلى امرأة.
[خامساً: تزوج الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم بأم سلمة بعد وفاة زوجها أبي سلمة وانقضاء عدتها منه.
سادساً: أمر النبي صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت الشاب الأنصاري أن يتعلم كتابة اليهود] حروفهم وما يكتبون بها [فتعلمها في نصف شهر] والآن لو بعثنا خمسين طالباً من المدينة إلى لندن لمدة أربعين يوماً -والله- ممكن ما يتعلموها، وهذا في نصف شهر فقط تعلم لغة اليهود وكتابة حروفهم.

دعاء

معاشر المستمعين والمستمعات من المؤمنين والمؤمنات! بيننا مرضى وفينا محتاجون، وأحد الأبناء قال لي: أنا في حاجة إلى زوجة صالحة، وآخر يقول: أنا مريض بالقلب، وآخر يقول: أنا كذا.
فارفعوا أيديكم إلى ربنا عسى أن يفرج ما بإخواننا، والدعاء عبادة، وإذا حصل خير منه فإنكم تثابون عليه وأنتم شركاء فيه، وكأنكم عالجتم المريض وأغنيتم المحتاج، إذاً: فلا تكلوا ولا تملوا .
اللهم يا حي يا قيوم، يا بديع السماوات والأرض، يا مالك الملك، يا ذا الجلال والإكرام، يا من يقول للشيء كن فيكون، إنا نسألك وأنت خير من تسأل: أن تشفي هؤلاء المرضى، اللهم اشفهم من مرضهم، وعافهم يا رب العالمين، واقضِ حاجة كل محتاج منا وفينا، وزوج هذا المؤمن بامرأة صالحة، وارزقه امرأة صالحة يا رب العالمين، اللهم إنا نسألك أن ترزقنا شكرَك، وأن تعيننا على ذكرك وحسن عبادتك، اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، اللهم طهر قلوبنا وزكِّ أرواحنا واجعلنا من أوليائك وعبادك الصالحين، وصلّ اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

لقد أصاب اليهود بسبب ظهور الإسلام وانتصار المسلمين من الحنق والغيظ الشيء الكثير، وخاصة بعد أن أجلى رسول الله بني النضير عن المدينة، فخرجوا منها أذلاء صاغرين، وبقيت منهم بقية عند إخوانهم في خيبر، فأرادوا أن ينتقموا من المسلمين، فذهبوا يؤلبون كفار قريش وغطفان وغيرهم لحرب المسلمين في المدينة، فاجتمع المشركون وتحزبت الأحزاب وساروا لحرب المسلمين، ولما علم الرسول بخروجهم إليه شاور أصحابه، فأشار عليه سلمان الفارسي رضي الله عنه بحفر الخندق حتى يتحصنوا به، ويمنعوا المشركين من الوصول إليهم، فبدءوا بحفره حتى أتموه، وقد ظهرت أثناء الحفر آيات ومعجزات عظيمة للنبي صلى الله عليه وسلم.

غزوة الخندق أو الأحزاب

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.
أما بعد: لنقضي ساعة مع حبيبنا صلى الله عليه وسلم، وقد انتهى بنا الدرس إلى ثاني أحداث السنة الخامسة من الهجرة النبوية -درسنا أربع سنوات وها نحن مع الخامسة- وتقدم منها: غزوة دومة الجندل والآن مع [غزوة الخندق أو الأحزاب] إن شئت سمها بغزوة الخندق، وإن شئت سمها بغزوة الأحزاب.
وعلة التسمية بالخندق، أن سلمان الفارسي رضي الله عنه أشار على النبي صلى الله عليه وسلم بأن يحفر خندقاً بينه وبين المشركين ليتحصن وينجو من حرب الكافرين، وأما الأحزاب فلأنه تحزبت فيها أمم وجماعات على حرب الإسلام المسلمين، وسيأتي بيان ذلك بالتفصيل إن شاء الله رب العالمين.
قال المؤلف غفر الله له ولكم ورحمه وإياكم وسائر المؤمنين: [هذه الغزوة نزلت في بيان أحداثها الجسام سبع عشرة آية من سورة الأحزاب، وهذه عناصر تكوينها متسلسلة] عنصر بعد آخر [ليسهل فهمها والانتفاع بعبرها] ما العبر؟ المصريون يفهمون العبارة، وهي التي يعبر بها من شاطئ إلى شاطئ، وهذه الأحداث كلها عبر، يُعبر بها من شاطئ الخطر إلى شاطئ السلامة لمن أوتي البصيرة وكان ينتفع بالعبر.

آيات ظهرت أثناء الحفر وبعده

قال: [ثالثاً: آيات تظهر أثناء الحفر وبعده:] آيات: أي علامات كبرى تدل دلالة قطعية على نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلى صحة هذا الدين الإسلامي، وسعادة أهله وشقاء أعدائه.
قال: [وتجلت] ظهرت عالياً كتجلي النهار [أثناء حفر الخندق آية من آيات النبوة المحمدية؛ وذلك أن كُدية] وهي أرض صلبة [قد اشتدت عليهم وهم يحفرون، فشكوها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أنا نازل] أي: إليها [داخل الخندق، ثم قام وبطنه معصوب بحجر] من شدة الجوع.
هيا نحمد الله، والله لو نقضي ليلنا كله قائلين: الحمد لله.
الحمد لله، ما وفينا حق هذا الطعام والشراب، ولكن قلّ من يقول الحمد لله في صدق؛ وذلك لظلمة الجهل، وعارضة النسيان، وعدم الذكر.
قال: [إذ لبثوا ثلاثة أيام لا يذوقون طعاماً، فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم المعول، فضرب الكُدية المستعصاة فعادت كثيباً أهيل. هذه آية ظاهرة].
[وأخرى: قال جابر بن عبد الله] وهو صاحب الجمل الذي باعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأعطاه النبي الثمن والجمل، وقد بلغ جابر يوماً أن صحابياً يحدث بحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمص، فركب ناقته من المدينة مسافة أربعين يوماً ليسمع الحديث منه مباشرة بدون واسطة، وأهل المدينة الآن بالآلاف بل مئات الآلاف لا يسمعون حديثه صلى الله عليه وسلم ولا يريدونه، والدليل: أين حلق أهل العلم في المدينة؟ وأين سكان المدينة؟ لو أخذوا بمبدأ العودة إلى الله، والله ما وجدت مكاناً تزاحم فيه في المسجد؛ إذ كلهم بنسائهم ورجالهم يتلقون الحكمة والعلم في بيوت ربهم، ولكن يوم أن يريد الله أن يرفع هذه الأمة يفتح هذا الباب، والآن ما زلنا هابطين.
إذاً: قال جابر بن عبد الله [قلت: يا رسول الله!] لِمَ لا يقول يا محمد؟ لقول الله تعالى: لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا [النور:63]، فلا ينادى صلى الله عليه وسلم إلا بـ(يا رسول الله! ويا نبي الله!) فقط، وقد قال الله تعالى أيضاً: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ [الأنفال:64] و يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ [المائدة:41].
قال: [ائذن لي إلى البيت] يعني: ائذن لي في أن أذهب إلى بيتي [فأذن لي، فأتيت امرأتي] زوجته [فقلت لها: إني رأيت برسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً] ما هذا الذي رآه؟ الحجر يربط به بطنه [ما كان في ذلك صبر] يعني لا أستطيع أن أصبر عليه [فهل عندك شيء؟] من الطعام [قالت: عندي شعير وعناق جدي صغير].
وقد ذهب الذين كانوا يأكلون الشعير، وقد كانت فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، امرأة علي -والله- تطحن بيدها الشعير حتى تورم كفاها، وجاءت يوماً تشتكي إلى أبيها عله يعطيها خادمة، فما وجدت عنده، ولما انتصف الليل ونام الناس جاء صلى الله

عليه وسلم إلى بيت فاطمة فوجدها نائمة على فراشها مع بعلها علي رضي الله عنهما، فدخل بينهما في الفراش وأعطى يمينه علي ويسراه فاطمة ، وهذا الذي يملك صلى الله عليه وسلم فقط، فلا ناقة ولا بعير ولا خادم . ولا دينار ولا درهم .
ثم قال لهما: (ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه كان عوناً لكما على حياتكما؟ قالا: بلى دلنا يا رسول الله، قال: إذا أويتما إلى فراشكما، فسبحا الله ثلاثاً وثلاثين، واحمداه ثلاثاً وثلاثين، وكبراه أربعاً وثلاثين يكون ذلك عوناً لكما على تعب الحياة وألمها).
وفرحا رضي الله عنهما بهذه العطية النبوية وواظبا عليها، ووسع الله عليهما، وسئل علي في حرب صفين: هل تركت يا علي ذلك الذكر الذي أعطاك رسول الله إياه؟ فقال: والله ما تركته حتى ليلة صفين.
وهي الليلة التي يشيب لهولها الأطفال.
وأنتم الآن أحرار، فما المانع أن تأخذوا بهذا الذكر، ووالله إنه لخير من الدنيا وما فيها.
وغداً إن شاء الله -إن أحياني الله- أسائلكم هل فعلتم أم لا؟ [قال: فذبحت العناق وطحنت الشعير، حتى جعلنا اللحم في البرمة] هو ذبح العناق وهي طحنت الشعير.
وكانت والدتي رحمة الله عليها تذهب إلى دار خالي لتطحن الشعير فأنام على فخذها فيغطيني الدقيق -والله العظيم- ولما أخذت أحفظ والفانوس إلى جنبها وهي تطحن، كان يغلبني النوم فأنام وعليّ غبار الدقيق، وأنتم الآن -الحمد لله- بالكهرباء لا تطالعون ولا تقرءون.
قال: [ثم جئت النبي صلى الله عليه وسلم والعجين قد انكسر] أي صار كسرة بمعنى نضج [والبرمة بين الأثافي] والبرمة هي: قدر من طين ليس من حديد ورصاص، والأثافي، جمع أثفية: حجر يوضع فوقه القدر [كادت تنضج، فقلت: طُعِّيمٌ لي، فقم أنت يا رسول الله ورجل أو رجلان، قال: كم هو؟ فذكرته له] الصاع والعناق [فقال: (كثير طيب، قل لها: لا تنزع البرمة ولا الخبز من التنور حتى آتي)] هذا كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم [فقال: قوموا، فقام المهاجرون والأنصار ومن معهم] فلما دخل جابر على امرأته قال: ويحك جاء النبي صلى الله عليه وسلم بالمهاجرين والأنصار ومن معهم أيضاً [قالت: هل سألك؟ قلت: نعم، فقال: (ادخلوا ولا تضاغطوا)] أي: لا تتزاحموا في الباب [فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يكسر الخبز ويغرف من البرمة حتى شبعوا] وهم جيش كامل [وبقي بقية، فقال لي] أي: للمرأة [(كلي هذا وأهدي؛ فإن الناس أصابتهم مجاعة)] وهذه آية من آيات النبوة، فصاع من شعير من -أربع حفنات- وعناق جدي يطعم جيشاً كاملاً! أية معجزة أعظم من هذه؟! هذا عطاء الله الذي يقول للشيء كن فيكون! [وثالثة] أيضاً من آيات النبوة: [قال سلمان رضي الله عنه: ضربت في ناحية من الخندق، فغلظت عليّ صخرة] يعني: ضرب يحفر [ورسول صلى الله عليه وسلم قريب مني -فلما رآني أضرب ورأى شدة المكان عليّ- نزل فأخذ المعول من يدي فضرب به ضربة لمعت تحت المعول برقة! ثم ضرب به ضربة أخرى فلمعت تحته برقة أخرى، ثم ضرب به الثالثة فلمعت برقة أخرى، قال سلمان : فقلت له: بأبي أنت وأمي ما هذا الذي رأيت لمع تحت المعول وأنت تضرب، قال: (أوقد رأيت ذلك يا سلمان ؟! قلت: نعم.
قال: أما الأولى، فإن الله فتح عليّ باب اليمن، وأما الثانية فإن الله فتح عليّ باب الشام والمغرب، وأما الثالثة فإن الله فتح عليّ بها المشرق)] الله أكبر! وقد حصل ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم.
وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

حفر الخندق حول المدينة

قال: [ثانياً: الخندق، إجراء وقائي] كلمة (إجراء) مصدر أجرى يجري إجراء وقائياً؛ للوقاية من الحرب.
[وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد سمع بتحركات اليهود وتحزيبهم الأحزاب لقتاله فداه أبي وأمي] والعالم أجمع [فاستشار رجاله] بعد أن بلغه التحركات من كل جهة، والاستشارة واجبة أو لا؟ نعم [فاقترح سلمان الفارسي حفر خندق حول جبل سلع] وسلمان هذا من أرض فارس عباد النار المجوس، ابتلاه الله حتى أصبح كتلة من النور، وقد كان والده موقد نار المجوس القائم عليها، فألهم وعرف أن النار لا تعبد مع الله، فرحل إلى بلاد الروم، ودخل أرض الشام فتنصر، ثم تنقل من بلد إلى بلد حتى بلغه أن نبي آخر الزمان سيظهر في أرض سبخة ذات نخيل يقال لها: يثرب، فخرج فألقي القبض عليه وبيع، اشتراه رجل وجاء به إلى المدينة، والله يسوق أقداراً لأقدار .
ثم قال عنه النبي صلى الله عليه وسلم: (سلمان منا آل البيت) لأنه مؤمن بر تقي.
قال: [تكون ظهور المسلمين إلى جبل سلع، ووجوههم إلى الخندق، فيمنعون كل مقتحم للخندق يريد الوصول إليهم] أما الذراري والنساء فتركوهم في الآطام والحصون في المدينة [وأن يوضع النساء والأطفال في حصون المدينة وآطامها، فاجتمعت الكلمة على حفر الخندق] ما اختلفوا؛ لأن المستشير سيدهم يتلقى علومه من رب العرش تعالى.
[فاجتمعت الكلمة على حفر الخندق، وأخذ المسلمون يحفرون ومعهم نبيهم صلى الله عليه وسلم يحفر معهم] بالفأس والمعول، عرفتم لِمَ ينهزم العرب؟! لأن رؤساءهم بعيدون عن خوض المعركة معهم [وقد وزع صلى الله عليه وسلم الحفر عليهم، فجعل لكل عشرة أنفار أربعين ذراعاً] أي: عشرين متراً.
وهذه عدالة! [واشتغلت الفئوس والمساحي] والفئوس جمع فأس، والمساحي جمع مسحاة [في الحفر، والرجال في نقل التراب وإبعاده] يحفرون الأرض، وينقلون التراب بعيداً [وكان بين الذين ينقلون التراب الحبيب صلى الله عليه وسلم] كان ينقل التراب على كتفه، أو في زنابيل ويرميه بعيداً [حتى علا جلده الطيب الطاهر] التراب.
[وكان ذلك منه صلى الله عليه وسلم تشجيعاً لهم على العمل ومواصلته، حتى إنه كان إذا تفاولوا يقول معهم] والتفاول هو الإتيان بقصائد أو بكلام يشجع على العمل وينسي التعب [فقد كانوا يرتجزون برجل من المسلمين يقال له: جعيل] الجعل معروف، وجعيل بالتصغير، ثم سماه النبي صلى الله عليه وسلم عمراً [فيقولون: سماه من بعد جعيل عمراً. فيقول صلى الله عليه وسلم: عمراً] - هذا هو التفاول.

[وإذا قالوا: وكان للبائس يوماً ظهراً، يقول هو صلى الله عليه وسلم: ظهراً] - والبائس: الفقير.
فكان يطايب كلامهم صلى الله عليه وسلم ويختمه بالموافقة.
[ولما رأى صلى الله عليه وسلم ما بهم] أي: ما أصابهم وحل بهم [من التعب و الجوع، قال: (اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة، فاغفر للأنصار والمهاجرة)، فقالوا هم مجيبين له] والمهاجرة جمع مهاجر.
فعندما قال النبي صلى الله عليه وسلم هذه الجملة الطيبة -وهي تساوي الدنيا وما فيها-: (اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة) -فعيش الدنيا وسخ ينتهي- قالوا هم مجيبين له: [نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما بقينا أبداً وكان صلى الله عليه وسلم ينقل التراب معهم ويردد قول عبد الله بن رواحة : والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا فأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا إن الألى قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أبينا] هذه كلمات عبد الله بن رواحة وقد استشهد في مؤتة رضي الله عنه، وكان من أوائل من استشهد فيها.

سبب وقوع غزوة الخندق وتأليب الأحزاب

قال: [أولاً: سبب وقوعها: إن السبب الأقوى والمباشر لحدوث هذه الغزوة هو: أن رؤساء بني النضير الذين نزلوا بخيبر يوم جلائهم] وتذكرون أنهم أقاموا حفلات رقص وطبول ومزامير، استقبلوا فيها اللاجئين وكأنهم فاتحون، وتلك سنة اليهود، فقد انتقل إلينا الفرح بالمزامير والطبول لا بالتكبير والتهليل، ورّثوا فينا كل خسيسة! لم؟ لأنهم خدرونا وبعد ذلك فعلوا ما شاءوا.
وبنو النضير في شرق المدينة، من أجلاهم؟ إنه الله عز وجل، قال تعالى: وَلَوْلا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ [الحشر:3]، ولِم حاربهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاصرهم؟ لأنهم نقضوا العهد الذي كان بينه وبينهم بمؤامرة خسيسة، كانوا يريدون من ورائها قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما حاصرهم خمس عشرة يوماً حينئذ رضوا بالانسحاب والجلاء، فخرجوا من المدينة فاستقبلهم بنو عمهم اليهود في خيبر! قال: [واحتفل بهم يهود خيبر، وأقاموا لهم الأفراح يوم استقبالهم، كما تقدم بيانه في استعراض غزوة بني النضير من السنة الرابعة من هجرة الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم.
هؤلاء الرؤساء وهم حيي بن أخطب] رأس الفتنة، وقد أصبح فيما بعد صهراً للنبي صلى الله عليه وسلم، واسم ابنته: صفية بنت حيي [و عبد الله بن سلام بن أبي الحقيق ، و كنانة بن الربيع ابن أبي الحقيق وغيرهم، رأوا بعد تفكير أن يثأروا لما أصابهم من الذل] والعار [والهوان، وينتقموا من رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين] أي: فكروا كيف يثأروا لما أصابهم من الذل والهوان، وينتقموا من رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين.
قال: [فخرجوا إلى مكة] عاصمة الكفر يومئذ [لتأليب قريش] وإثارتها وجمعها [وتحزيب الأحزاب] في الشرق والغرب [لقتال النبي صلى الله عليه وسلم والقضاء عليه] وما هم -والله- بواصلين ولا مدركين [فوجدوا قريشاً مستعدة لذلك] لما أصابها من الخزي والعار والحرب والدمار [من أجل الهزائم التي لحقتها في غير ما ميدان وساحة قتال، وضللها هؤلاء اليهود] حملوها على الخطأ والضلال الجهل [إذ قالوا لها إنها على حق] وأن محمداً وأصحابه على الباطل بأساليب إن شئت أن تعرفها فاسمع إذاعة لندن [وأن دينها خير من دين محمد، وأنها أهدى منه سبيلاً في حياتها الدينية والاجتماعية والسياسية] إذاً: أثارها هذا الوفد وهزها.
وهذا الكلام من أين وصلنا؟ قال: [وفي هذا نزل قول الله تعالى من سورة النساء: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ [النساء:51] اليهود [يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ [النساء:51]] والجبت كما قال في القاموس: الصنم، أو الكاهن، أو السحر، أو الساحر، وكل ما لا خير فيه هو من الجبت، والطاغوت: الشيطان أولاً، ثم الأصنام، وكل ما عبد من دون الله، وكل ما صرف عن عبادة الله يسمى طاغوتاً [وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا [النساء:51]] أي: يقولون لكفار قريش: أنتم أهدى من الذين آمنوا سبيلاً [أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا [النساء:52]] وقد أذلهم الله وأخزاهم حتى فسق العرب وخرجوا عن طاعة الله، فأخذ ذل اليهود ووضعه على وجوهنا.
أما أذلنا اليهود؟ ما السبب؟ فسقنا وفجورنا، وخروجنا عن طاعة الله ورسوله، أراد الرحمن أن يؤدبنا علنا نفيق، ولكن ما زلنا، وما زالوا يعلموننا ونأخذ عنهم كل أنواع الضلال، وهم الآن أعزة مع أن الله قال: وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا [النساء:52]، ووجدوا الآن النصير، وقد جاء بيان هذا في كتاب الله، قال تعالى: ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ [آل عمران:112]، وحبل الله هو الإسلام، وهذا ليس عندهم، وحبل الناس هو بريطانيا وفرنسا وأمريكا.
قولوا: صدق الله العظيم.
قال: [فخرجوا من عند قريش، وتركوها تعدُ العدة، وتجمع الرجال من قبائلها على اختلافهم مجمعة الخروج إلى المدينة لحرب محمد صلى الله عليه وسلم واستئصاله.
وذهب أولئك الرؤساء في الشر إلى قبائل غطفان يؤلبونهم على حرب محمد صلى الله عليه وسلم فاستجابوا لهم لظلمة نفوسهم] بالشرك والكفر [ولقوة تأثير كلام اليهود فيهم] اليهود يؤثرون بالكلام، وقد نوموا العالم بأسره إلى الآن [وخرجت قبائل غطفان بزعامة عيينة بن حصن وكل قبيلة معها سيدها: فمع بني فزارة عيينة ، ومع مرّة الحارث بن عوف المري ، ومع أشجع مسعر بن رخيلة الأشجعي] كل رجل كان معه جيش، وجاءوا إلى المدينة لاستئصال أهلها.
من دبر هذه المكيدة؟ إنهم اليهود.
[وخرجت قريش بقيادة أبي سفيان بن حرب وواصل كل سيره] من الشرق والجنوب [فنزلت قريش بجمع الأسيال قريباً من دومة بين الجرف والغابة، وكان أفراد معسكرهم عشرة آلاف مقاتل من أحابيشهم، ومن تبعهم من كنانة وتهامة.

ونزلت قبائل غطفان شرق المدينة إلى جنب أحد الشرقي] طريق المطار الآن [وفي هذا يقول تعالى من سورة الأحزاب: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا * إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا [الأحزاب:9-11].

قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا [الأحزاب:9] وهذا شعارنا دائماً اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ [الأحزاب:9] والذكر يتطلب الشكر، فمن ذكر شكر، ومن لم يذكر كفر وغطى ولم يشكر، قال تعالى: يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ [البقرة:40]، ما فائدة ذكر النعمة؟ الشكر، ومن لم يذكر -والله- لا يشكر أبداً، والمفروض إذا شبعت -فقط- في الغداء أن تذكر ذلك الشبع فتشكر قائلاً: الحمد لله! وإذا نمت -فقط- القيلولة واسترحت وما خفت وما أزعجت اذكر هذه النعمة وقل: الحمد لله.

قال تعالى: اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ [الأحزاب:9] عشرة آلاف زاحفة كلها على إبادتكم واستئصالكم أنتم ونبيكم، اذكروا هذا وقولوا: الحمد لله .

فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا [الأحزاب:9] اقتلعت الخيام، وأطفأت النار، وكفأت القدور، وما أطاقوا أن يثبتوا أبداً، فأمر القائد أبو سفيان القوم بالرحيل بعد خمس وعشرين ليلة.

ثم قال تعالى: وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا [الأحزاب:9]، وهم في الخندق وفي سلع إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ [الأحزاب:10] ليس من السماء بالطائرات وإنما من أعلى البلاد وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ [الأحزاب:10].

إذاً: كان سبب وقوع هذه الغزوة هو تأليب اليهود المهزومين من بني النضير لقريش وسائر العرب لحرب النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه.

لقي المسلمون في غزوة الأحزاب شدة وخوفاً وبلاءً، وذلك أن المشركين قد أحاطوا بالمدينة من كل جانب، وتواطأ معهم بنو قريظة حين نقضوا عهدهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكذلك المنافقون كانت لهم مواقف مخزية، أما المؤمنون فقد صبروا وثبتوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم، وبدأت المواجهة حين وجد بعض المشركين فرجة في الخندق فدخلوا منها، فتبارز علي رضي الله عنه هو وعمرو بن عبد ود، فقتله، وقذف الله الرعب في قلوب المشركين فنكصوا على أعقابهم، ولما عظم البلاء بالمسلمين واشتد الكرب عليهم التجأ الرسول إلى الله تعالى بدعاء صادق مخلص، فأنزل الله بالمشركين شر هزيمة، وكفى الله المؤمنين القتال.

موقف مخزٍ للمنافقين في غزوة الأحزاب

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: لنقضي ساعة مع حبيبنا صلى الله عليه وسلم، وأذكركم بأننا في غزوة الخندق أو الأحزاب، وهي من أحداث السنة الخامسة من الهجرة النبوية الشريفة.

أولاً: عرفنا أسباب وقوع هذه الغزوة، وكيف حفر الخندق، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم حفره مع رجاله.

وعرفنا أيضاً بعض الآيات التي ظهرت عند حفره.

والآن مع [موقف مخزٍ للمنافقين] من هم المنافقون؟ هم الذين كانوا يظهرون الإيمان، ويعملون بشرائع الإسلام كالصلاة والزكاة وهم لا يؤمنون برسول الله نبياً رسولاً، ولا بالقرآن كتاب الله وحياً وتنزيلاً، ولا بلقاء الله والوقوف بين يديه يوم يلقاه الخلق.

قال: [لما شرع الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنون في حفر الخندق] وقد حفر الخندق وراء جبل سلع [كان المؤمنون يواصلون العمل وإن كانت لأحدهم حاجة ضرورية استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن له، فيذهب إلى أهله] أي: بالمدينة [فيقضي حاجته ويعود] لأن نساءهم وأطفالهم كانوا بالمدينة، وهم يخرجون للعمل، ومن كانت له حاجة في بيته استأذن، فيأذن له الرسول صلى الله عليه وسلم فيأتي إلى منزله فيقضي حاجته، لكن لا يخرج من الخندق والعمل فيه إلا بإذن من القائد صلى الله عليه وسلم، هذا بالنسبة للمؤمنين.

[أما المنافقون، فإن أحدهم يورّي بقليل من العمل] كأن الفأس بيده وهو يشتغل ساعة أو ساعة ونصفاً ثم يتسلل ويعود إلى أهله؛ لأنه لا يريد انتصار محمد ولا انتشار الإسلام [ثم يذهب إلى أهله بدون إذن ولا استئذان، في خفاء] ما استأذن ولا أذن له [فأنزل الله تعالى فيهم قوله: قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ [النور:63]].

معاشر المؤمنين والمؤمنات! هذه الآية وإن كان نزولها خاصاً في حادثة معينة في يوم معين لكنها باقية ببقاء هذه الأمة، ألا -والله- فليحذر المؤمن والمؤمنة من مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فقوله تعالى: قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا [النور:63] معنى لواذاً: متسترين بشيء أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ [النور:63]، والفتنة قد تكون ردة، وانتكاسة في القلب، وخروجاً من الإسلام، فليحذر الذين يخالفون عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعاكسونه ويعملون بخلافه عامدين متعمدين، أن تنتكس قلوبهم فلا يعودون إلى الإسلام، أو يصيبهم عذاب أليم في أبدانهم أو أولادهم أو أموالهم.

[ونزل في المؤمنين الصادقين ثناء الله عليهم] كما نزل في المنافقين الوعيد والتهديد والتحذير، نزل أيضاً ثناء الله على المؤمنين الصادقين [قال تعالى: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ] أي بصدق وحق [الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ] كوجودهم في غزاة أو عمل يتطلب الجماعة والحضور [لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ] فلا يستطيع أبو بكر ولا عثمان ولا عبد الرحمن ولا سعد ولا سعيد أن يخرج من جلسة الرسول وهو يعلم أو يبين أو يرشد بدون إذن، لكن المنافقين تجد الواحد منهم يطأطئ رأسه ويجعل ظله شخصاً آخر ثم يشرد.

أما إذا كان الأمر ليس بجامع، ولم يأمرهم صلى الله عليه وسلم بالاجتماع أو الحضور أو الإصغاء؛ فحينئذ ليس هناك من حاجة إلى أن يستأذن، فالاستئذان عندما يمنع القائد من الانصراف.

قال: [إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ] استئذانهم من الرسول آية إيمانهم وصدق إسلامهم [فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ] وإذا كان هناك مثل أبو بكر أو عمر لا يأذن له الرسول؛ فهذا لأنه رجل بألف، أما إذا كانت شخصية ليست ذات أثر في الاجتماع أو العمل فإنه يأذن لها صلى الله عليه وسلم، ولا يقول قائل: ما دمنا نستأذن فيجب على الرسول أن يأذن لنا، ولكن ترك الله الأمر للرسول القائد المسير للحركة والعمل، فإذا رأى شخصاً يحتاج إلى ذلك أذن له.

سبحان الله هذه التعاليم من ينزلها، من يعطيها، من يمنعها سوى الله؟!! قال تعالى: [وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ [النور:62]] أي: ائذن لمن شئت منهم، إذا كان الأمر لا يتطلب بقاءه هذا اليوم أو هذه الساعة، واستغفر لهم أيضاً؛ خشية أن تكون هناك حالات طلبت الاستئذان وخرجت ولم يكن هناك داع إلى الانصراف أو الخروج [إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ [النور:62]] غفور لعباده المؤمنين رحيم بهم.

إذاً: عرفنا هذا الموقف المخزي للمنافقين، وهو أنه إذا كان لأحدهم أدنى شيء في بيته فإنه لا يستأذن ثم يتسلل ويخرج، أو يستأذن بالكذب فيقول: امرأتي كذا، أو في بيتي كذا، وهو كاذب؛ لأنهم غير مؤمنين، أموات ولا يشعرون، وأن الله ندد -تعالى- بهم وهددهم وتوعدهم؛ لأنه وليهم وربهم فقال: قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ [النور:63].

وخالف المسلمون أمر نبيهم في الشرق والغرب ففعلوا المنهيات وتركوا الواجبات المحمدية، فأصابهم الله بالفتنة والانتكاسة، وأصبحوا أذلة، بل أكثر ذلاً من اليهود والنصارى! أما استعمروا وحكمهم الكفر؟ ووالله لهذه الآية أصدق ما يقال في حالهم: فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ماذا يحذرون؟ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ [النور:63].
ونحن كأفراد أيضاً، الذي يتعمد منا مخالفة أمر رسول الله ونهيه فلينتظر ما يصيبه من فتنة في نفسه أو أهله أو عذاب أليم؛ لأنها سنن لا تتبدل، فالطعام يشبع، والماء يروي، ومخالفة أمر الله ورسوله من شأنها أن تنتج هذا النتاج.

نزول كل من المسلمين والكفار بأماكنهم استعداداً للمعركة

قال: [مواجهة العدو] فرغنا من حفر الخندق والآن جاءت المواجهة.
[وما إن تم حفر الخندق حتى وصلت قريش] من مكة [وعسكرت بمجمع الأسيال قريباً من بئر دومة بين الجرف والغابة.
ووصلت غطفان بقبائلها، فعسكرت شرق المدينة بجانب أحد، وكان عامة أفراد قوات العدو تقدر باثني عشر ألف مقاتل، وخرج النبي صلى الله عليه وسلم بأصحابه وكانوا قرابة ثلاثة آلاف مقاتل، جعلوا ظهورهم إلى جبل سلع، ووجوههم تجاه العدو، بعد أن استعمل على المدينة ابن أم مكتوم الأعمى] رضي الله تعالى عنه، الذي نزل فيه قوله عز وجل: عَبَسَ وَتَوَلَّى [عبس:1] [وجعل الناس والأطفال في الآطام والحصون] والآطام: جمع أطم، وهو الحصن أو البيت المرتفع يختبئون فيه.

تحريض حيي بن أخطب لبني قريظة على نقض عهدهم مع النبي صلى الله عليه وسلم

قال: [عمل شرير يقوم به ابن أخطب] حيي بن أخطب اليهودي عليه لعائن الله، وهو أبو صفية أم المؤمنين رضي الله عنها، ولكن وقتها لم يكن الرسول تزوج بصفية بعد؛ لأن صفية إنما كانت من أسرى خيبر، ونحن الآن ما زلنا في غزوة الخندق.
قال: [وذهب حيي بن أخطب -عليه لعائن الله-] وهو نضري ممن خرجوا مع بني النضير من المدينة، واستقبلهم اليهود في خيبر بالحفلات.
إذاً: بقي هناك ليكيد ويمكر ويدبر [إلى كعب بن أسد القرظي -صاحب عقد بني قريظة وعهدهم-] هذا كعب بن أسد قرظي من بني قريظة، وهو الذي وقع الاتفاقية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم [إذ كان عاقد الرسول صلى الله عليه وسلم وعاهده على قومه] وثيقة معروفة [فلما سمع كعب صوت حيي وعرفه] وهو يقرع الباب [أغلق باب حصنه دونه، فاستأذن حيي فلم يأذن له، فصاح حيي : ويحك يا كعب! افتح لي، فقال كعب : ويحك يا حيي! فإنك امرؤ مشئوم، وإني قد عاهدت محمداً؛ فلست بناقض ما بيني وبينه، ولم أر منه إلا الوفاء والصدق.
وما زال يراوده على الفتح حتى فتح له الباب ودخل، وكان أول ما قال قوله: ويحك يا كعب ! لقد جئتك بعز الدهر، وببحر طام، جئتك بقريش على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بمجمع الأسيال] وهو الذي جاء بهم فعلاً، فهو الذي ذهب إليهم وإلى الغطفانيين وألب الناس على حرب النبي صلى الله عليه وسلم، وقال: هيا ننهي هذه المشكلة! وهل بقي يهود من هذا النوع؟ نعم.
إن كل المؤامرات والدمار والخراب في العالم الإسلامي هم الذين يقودونه.
إذاً: عرفنا حيي بن أخطب وكيف استطاع أن يؤلب العرب من الشرق والغرب ويأتي بهم للقضاء على رسول الله والإسلام وأصحابه، وهو يهودي واحد، وكل الحروب التي دارت في العالم هم أصابعها، والمدبرون لها بشهادة غيرهم.
قال: [وبغطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذنب نقمى إلى جنب أحد، قد عاهدوني ألا يبرحوا حتى نستأصل محمداً ومن معه] يعني: لا يتركون الحرب حتى ينهوا الرسول ورجاله [فقال له كعب : جئتني والله بذل الدهر] لا كما تزعم [ويحك يا حيي! فدعني وما أنا عليه] أي: اتركني وما أنا عليه [وما زال حيي يراود كعباً حتى نقض عهده مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبرئ مما كان بينه وبين محمد صلى الله عليه وسلم.
وبهذا نقضت قريظة عهدها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم] كما نقضت قبلها بنو النضير وبنو قينقاع.
قال: [وبلغ هذا النبي صلى الله عليه وسلم فأرسل السعدين] لما بلغه أن بني قريظة نقضوا عهدهم أرسل السعدين: سعد بن معاذ و سعد بن عبادة وهما من الأنصار [لتقصي الحقيقة، ومعرفة ما إذا كانت قريظة قد نقضت عهدها حقاً.
وذهب السعدان رضي الله عنهما ومن معهما، وعادوا بالحقيقة المرة، وهي أن قريظة قد نقضت عهدها، وهي على أخبث حال] من التغيظ [وقد أوصاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم] لما بعثهم يستطلعون [إذا كانت قريظة قد نقضت عهدها ألا يصرحوا بذلك] وهي سياسة حربية، لا يعرفها إلا من عايش رسول الله صلى الله عليه وسلم [ولكن يلحنوا لحناً؛ حتى لا يفتتن الناس في المعسكر] أي معسكر؟ معسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم خلف جبل سلع [ولا يفت في أعضادهم، ولذا قالوا: عضل والقارة] وهذا هو الرمز، يعني: أنهم غدروا كما غدرت عضل والقارة في الرجيع وقتلوا خبيباً ومن معه.
قال: [أي: كغدر عضل والقارة بأصحاب الرجيع خبيب وأصحابه، وهنا قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فكبر وقال: (أبشروا يا معشر المسلمين!)] فرفع معنوياتهم إلى عنان السماء، ونعم أبشروا يا معشر المسلمين بأن عاقبة الغدر والغادرين معروفة، فلن يفلحوا.
قال: [بنقض قريظة عهدها عظمت الفتنة واشتد البلاء وعظم الكرب]؛ لأن قريظة جنوب المدينة والشمال الشرقي والغربي كان فيه المشركون [وأصبحت الحال كما وصف الله تعالى في كتابه، إذ قال من سورة الأحزاب: إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ [الأحزاب:10]] من جاءهم؟ العدو، من فوق بنو قريظة ومن أسفل بنو غطفان وقريش [أي: قريظة من فوق الجنوب الغربي، وقريش

وغطفان من أسفل، إذ هم من الشمال الغربي والشرقي، وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ [الأحزاب:10] أي: من شدة الخوف وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا [الأحزاب:10]، أي: المختلفة] المتنوعة، كل يفهم فهمه ويتوقع شيئاً [وهذه حال المنافقين وضعفة الإيمان، أما المؤمنون الصادقون فهم كما قال تعالى فيهم: هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا * وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا [الأحزاب:11-12]] أي: أين وعد الله ورسوله بالنصر والغلبة والانتصار؟ كيف غرروا بنا؟! وهذه كلمات المرضى والمنافقون وضعفة الإيمان، سجلها الرحمن عز وجل.

قال: [إذ قال معتب بن قشير] وهو من كبار المنافقين [كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط!!] فصحاء وبلغاء الشياطين، قال: أيعدنا محمد أن نأكل كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط؟ إذ ما كان عندهم مراحيض في بيوتهم، ولكن يتغوطون خارج البلد.

[وقال أوس بن قيظي : يا رسول الله! إن بيوتنا عورة من العدو، أي مكشوفة له، فأذن لنا أن نخرج -أي من المعسكر- فنرجع إلى ديارنا، وهو ومن مالأه من قومه المعنيون بقول الله تعالى: يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا [الأحزاب:13] في آيات كثيرة تكشف عوارهم وتظهر نفاقهم] وقال: يثرب، لم يقل: المدينة؛ ليحيي ذكر الجاهلية، يعني ماذا تصنعون وراء جبل سلع، ارجعوا إلى بيوتكم، ثم يَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ ، أي: مكشوفة، نخشى العدو أن يهاجمنا ويأخذ نساءنا وأطفالنا وأموالنا، قال تعالى: وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا [الأحزاب:13] أي: هروباً من المعركة، فما أطاقوا المواجهة.

عرض النبي صلى الله عليه وسلم على قادة غطفان صلحاً مقابل ثلث ثمر المدينة

قال: [رحمة نبوية تتجلى في عرض صالح] يا رجال السياسة تعالوا إلى مدرسة محمد صلى الله عليه وسلم، لتسمعوا! رحمة نبوية تظهر في عرض سياسي صالح.

ما هذا العرض؟ [ولما رأى الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم صعوبة الموقف وشدة البلاء، وما أصاب المسلمين من مخاوف بعث إلى عيينة بن حصن وإلى الحارث بن عوف -وهما قائدا غطفان- يعرض عليهما صلحاً] ما الصلح؟ [وهو أن يعطيهم ثلث ثمار المدينة على أن يرجعوا بمن معهم من قومهم] قال: يا جماعة نعطيكم ثلث ثمر المدينة من العجوة إلى البرني، وعودوا إلى دياركم ولا حاجة إلى قتالنا [وتم الصلح حتى كتبت الوثيقة] كان يريد صلى الله عليه وسلم أن يدفع عن المؤمنين هذا البلاء وهذا الخطر، فالنساء والأطفال والرجال في كرب، والمدينة مطوقة من الغرب والشمال بأعداء لا يريدون إلا أن يقضوا على حياة المسلمين، فكيف الخروج من هذه الفتنة؟ قال: [إلا أنها لم يشهد عليها بعد] ولم يوقع التوقيع النهائي [وقبل التوقيع النهائي بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السعدين] وهما من الأنصار -وهذه سياسة أخرى لا نسمو إليها- لعلمه بكمالهما وحسن مواقفهما وقوة أنوارهما وإيمانهما؛ وهم أهل البلد وأعيانه [فذكر لهما واستشارهما فيه] نمضي هذا أم لا؟ [فقالا له: يا رسول الله! أمراً تحبه فنصنعه أم شيء أمرك الله به لا بد لنا من عمل به، أم شيء تصنعه لنا؟ قال: (بل شيء أصنعه لكم)] يعني: لا لنفسي ولا لأن الله أمرني، ولكن فقط نظراً إلى ما أصاب المدينة وأهلها فرأيت أن أنقذكم من هذه الفتنة [(والله ما أصنع ذلك إلا لأني رأيت العرب رمتكم عن قوس واحدة، وكالبوكم من كل جانب، فأردت أن أكسر عنكم شوكتهم لأمر ما)] ولو مؤقتاً.

هذه كلمات الرسول صلى الله عليه وسلم للسعدين، ومن لا يستلذ كلامه صلى الله عليه وسلم لا يستلذ البقلاوة ولا الرز واللحم.

[فقال له سعد بن معاذ : يا رسول الله!] سمعتم كيف ينادون الرسول؟ بعنوان الرسالة [قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان لا نعبد الله ولا نعرفه، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة إلا قرىً] ضيف يعني [أو بيعاً] قال: كنا على الجاهلية والشرك والكفر فما كان يأكلون تمرة من تمر المدينة إلا ضيفاً أو من بعناه [أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه] أي بالإسلام [نعطيهم أموالنا؟! والله لا ما لنا بهذا من حاجة، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (فأنت وذاك)، فتناول سعد بن معاذ الصحيفة (الوثيقة) فمحاها، ثم قال: ليجهروا علينا] أي: يحاربونا.

بداية المعركة بين المسلمين والمشركين في غزوة الأحزاب

قال: [بداية المعركة] تبتدئ الآن فأين الأبطال؟ [ووقف الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنون وجهاً لوجه أمام العدو، وتحركت خيل من قريش على رأسها عمرو بن عبد ود] هذا ونحن أطفال صغار يصورونه لنا-أيام كنا في المغرب- ويسمونه: رأس الغول، وقد حاربه علي وقتله، ولكي يظهروا شجاعة علي وبطولته يرسمونه ويرسمون عمرو بن ود هذا.

قال: [فمروا بخيمات بني كنانة فقالوا لهم: تهيئوا يا بني كنانة للحرب فستعلمون من الفرسان اليوم!! ثم أقبلوا تُسرع بهم خيولهم حتى وقفوا على الخندق، فلما رأوه] أي الخندق [قالوا: والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها] وهو كذلك، من أرشد إلى حفر الخندق؟ سلمان الفارسي وهو أعجمي رضي الله عنه.

[ثم قصدوا مكاناً ضيقاً من الخندق فضربوا خيلهم فاقتحمت منه، فجالت بهم بين السبخة وسلع، وما إن رآهم المسلمون حتى خرج علي بن أبي طالب في نفر معه من المسلمين ووقفوا بينهم وبين الثغرة التي دخلوا منها بخيلهم، ولما رأوا ذلك أقبلوا مسرعين نحو الثغرة التي أخذت منهم فوقفوا دونها] خشية أن يغلق عليهم الباب ويؤكلون [وقال عمرو بن ود] وود: هذا صنم، ود وسواع ويغوث ويعوق كلها

أصنام [من يبارز؟] يخرج لنا ويظهر [فبرز له علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقال له: يا عمرو ! إنك قد كنت عاهدت الله تعالى ألا يدعوك رجل من قريش إلى خلتين إلا أخذتهما منه، قال له: أجل! فقال له علي : إني أدعوك إلى الله ورسوله وإلى الإسلام، فقال: لا حاجة لي بذلك، قال علي : فإني أدعوك إلى النزال، فقال له: لم يا ابن أخي؟! فوالله ما أحب أن أقتلك] وهو صادق [فقال علي : لكني -والله- أحب أن أقتلك] علي حي ينظر بنور الإيمان، وذلك ميت في الظلمات، يأسف أن يقتل هذا الشاب.
قال: [فحمي عمرو عند ذلك] اشتعلت فيه نار الحماسة [فنزل عن فرسه وعقره وضرب وجهه] حتى لا يفكر في الهرب بل يواصل النزال حتى النهاية.
وهذا من مظاهر البطولات، كسفن غزاة أسبانيا عندما أحرقها طارق بن زياد حتى لا يفكر أحد في العودة.
[ثم أقبل على علي ينازله فتنازلا وتجاولا، فقتل علي عمراً ، ولما رأت خيل المشركين ذلك فرت هاربة مقتحمة الخندق] انهزموا [ولم يقدروا بعد هذه الجولة أن يقتحموا الخندق لا رجالاً ولا فرساناً] أي: لا مشاة ولا ركباناً، وإنما هي الاقتناص والرماية] بالسهام [حتى إن ابن العرقة رمى سعد بن معاذ بسهم وقال: خذها وأنا ابن العرقة ، فقال له: سعد ، عرق وجهك في النار] وهذه سميت عرقة؛ لأن رائحتها كانت طيبة، وهي جدة لخديجة رضي الله عنها أم أمها.
[وكان سعد قد أصيب في أكحله] والأكحل: عرق في الذراع إذا أصيب فيه العبد قل أن يعيش، فالدم يسيل لا يقف، وإذا فرغ الدم من الجسم انتهت الحياة [وقل من ينجو من الموت من أصيب إصابته؛ ولذا دعا فقال: اللهم إن كنتَ أبقيت من حرب قريش شيئاً فأبقني لها؛ فإنه لا قوم أحب إلي أن أجاهدهم من قوم آذوا رسولك وكذبوه وأخرجوه] أي: من مكة.
يقول هذا الكلام وهو يعاني ما يعاني من هذا الجرح العجيب [اللهم إن كنت قد وضعت الحرب بيننا وبينهم، فاجعله لي شهادة] يعني: إذا انتهت الحرب من اليوم اجعل هذا الجرح شهادة لي أموت به [ولا تمتني حتى تقر عيني من بني قريظة] اليهود.
قال: [وعظم البلاء، وفزع الحبيب صلى الله عليه وسلم إلى ربه يدعوه ويسأله النصر له والهزيمة لأعدائه، فقال: (اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم) وقال له بعض أصحابه: يا رسول الله! هل من شيء نقوله؟] يعني: هل من دعاء خاص ندعو الله به؟ [فقد بلغت القلوب الحناجر، فقال: (نعم، قولوا: اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا)] عوراتهم في المدينة نساءهم وأطفالهم وأموالهم.
وروعاتهم؛ لأنهم في روع عظيم، فهناك اثنا عشر ألفاً جاءوا من كل جهة لإبادتهم.
قال: [وقد حالت المواجهة للعدو دون صلاة العصر حتى غربت الشمس]؛ لأن صلاة الخوف لم تكن نزلت بعد، فاشتغلوا عن صلاة العصر حتى غربت الشمس [فصلى بعد ذلك ودعا على المشركين فقال: (ملأ الله بيوتهم وقبورهم ناراً كما شغلونا عن الصلاة الوسطى)] أي: صلاة العصر [وحصل هذا عدة مرات وذلك؛ لأن صلاة الخوف لم ينزل القرآن بها بعد، وإلا لصلوا على أي حال ولا يؤخرونها عن وقتها] ينقسمون قسم يصلي وقسم يواجه أو يحرس.
[واستجاب الله دعوة رسوله صلى الله عليه وسلم ودعوة عباده المؤمنين] الصادقين [فساق إلى رسوله نعيم بن مسعود الغطفاني -بعد أن هداه إلى الإسلام فأسلم-] كان كافراً مشركاً، فهداه الله للإسلام وجاء به إلى الرسول صلى الله عليه وسلم [وأتى النبي صلى الله عليه وسلم يقول له: يا رسول الله! إني قد أسلمت وإن قومي لم يعلموا بإسلامي فمرني بما شئت نفعل] الفرصة متاحة [فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم: (إنما أنت فينا رجل واحد فخذل عنا إن استطعت فإن الحرب خدعة)] (فخذل) أي: العدو.
يعني: تستطيع أن تقول: الرسول عنده كذا كذا، وقل ما شئت فإن الحرب خدعة.
قال: [وخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة] أولاً اليهود [وكان لهم نديماً في الجاهلية] كان يشرب معهم الخمر ويسهر معهم في الجاهلية، يعني: صديقهم على الباطل، فلهذا يفرحون به ويفتحون له الباب [فقال: يا بني قريظة! قد عرفتم ودي إياكم] أي: حبي لكم [وخاصة ما بيني وبينكم، قالوا: صدقت، لست عندنا بمتهم.
فقال لهم: إن قريشاً وغطفان ليسوا كأنتم، البلد بلدكم فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم لا تقدرون على أن تحوّلوا منه إلى غيره، وإن قريشاً وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه، وقد ظاهرتموهم عليهم، وبلدهم وأموالهم ونساؤهم بغيره، فليسوا كأنتم، فإن رأوا نهزة أصابوها، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ولا طاقة لكم به إن خلا بكم] إذاً [فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهناً من أشرافهم يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمداً حتى تناجزوه.
فقالوا له: لقد أشرت بالرأي] أي: قال: امشوا إلى قريش وبني غطفان وقولوا: أعطونا من خياركم رهناً عندنا لنقاتل وننقض العهد، أما أنتم بعيدون ودياركم آمنة بعيدة ونحن في قلب المعركة ووسط المدينة فليس بعدل! إن كنتم صادقين أعطونا أشرافكم، من كل قبيلة نفران أو ثلاثة أو أربعة.
وهذا تدبير سياسي من نعيم بن مسعود ، ولو ذهب اليهود يطالبون بذلك ما قبلت قريش ولا غطفان.
إذاً ننتهي إلى هذا الموقف لنواصله في الدرس القادم إن شاء الله تعالى.

دعاء

معاشر المستمعين! هيا نستغيث ربنا ولا نيأس ولا نقنط بل نرجو ويزداد رجاؤنا في أن لا يخيبنا في دعائنا.
اللهم يا حي يا قيوم، يا بديع السموات والأرض، يا مالك الملك يا ذا الجلال والإكرام، يا من هو الله الذي لا إله غيره ولا رب سواه، اسقنا وأغثنا ولا تجعلنا من القانطين، اللهم اسقنا وأغثنا ولا تجعلنا من القانطين، اللهم عجل لنا بسقيا عاجلة يا رب العالمين، اللهم سقيا نافعة غير ضارة وعاجلة غير آجلة يا رب العالمين.

وإني أدعوكم يا عباد الله! أن تدعوه بالليل وأنتم ساجدون، يا من يقومون آخر الليل، لا تكتفوا بهذه الدعوة الجامعة، فليدعو كل واحد منكم وهو ساجد، يدعو ربه ليغيثنا ويسقينا ويحقق رجاءنا فيه.
اللهم اسقنا وأغثنا، اللهم اسقنا وأغثنا ولا تجعلنا من القانطين.
اللهم إن عبداً من عبادك الصالحين -فيما نعلم وأنت أعلم- امرأته على فراش منذ زمن ويقول: ادع الله لها، وإن داعوك يا رب العالمين، فاشفِ هذه المؤمنة، اللهم اشفها وعجل بشفائها، اللهم اشفها وعجل بشفائها.
كرامة منك لنا يا رب العالمين! وصلِّ اللهم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

النصر دائماً حليف المؤمنين، هذه حقيقة جسدتها حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه في مواجهاتهم المتكررة مع أعداء الله من الكفار وأهل الكتاب ومن سواهم، وقد تجلى هذا الأمر وظهر النصر المبين للمؤمنين على المشركين في غزوة عظيمة من غزوات المسلمين ومعاركهم، إنها غزوة الخندق، التي ظهرت فيها معجزات عظيمة كان من أجلها إنزال النصر على المؤمنين بعد أن أبلوا بلاءً شديداً حتى بلغت القلوب الحناجر، فأنزل الله عليهم نصره وتأييده ومدده، وأنزل على الأحزاب من الكفار والمشركين عذاباً أليماً، رجعوا بعدها يجرون أذيال الهزيمة، مدحورين خائبين.

نزول الهزيمة على المشركين في غزوة الخندق

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.
أما بعد: لنقضي ساعة مع حبيبنا صلى الله عليه وسلم، وأعيد إلى أذهانكم أننا في غزوة الخندق، وقد عايشنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلتين فيها، وها نحن مع الليلة الثالثة، فهيا نقضي هذه الساعة مع رسولنا وحبيبنا صلى الله عليه وسلم مع ما نجنيه من العبر والعظات، وما نكتسبه من المعارف النافعة بإذن الله تعالى.

إرسال النبي حذيفة بن اليمان إلى معسكر المشركين لاستطلاع أخبارهم

قال: [ولنستمع الآن إلى حذيفة بن اليمان رضي الله عنه يحدثنا عن مشاهدته لمعسكر أبي سفيان في تلك الليلة الباردة وهم يعلنون الرحيل بسرعة] هيا نسمع حذيفة [قال رضي الله عنه: وقد قال له رجل من أهل الكوفة: يا أبا عبد الله !] وكناه ليشرفه وهو أهل لذلك رضي الله عنه [أرأيتم رسول الله وصحبتموه؟] يعني: شك فلعل هذا الرجل لم ير الرسول [قال: نعم، يا ابن أخي! قال: فكيف كنتم تصنعون؟ قال: والله لقد كنا نجهد، فقال السائل لحذيفة : والله لو أدركناه ما تركناه يمشي على الأرض، ولحملناه على أعناقنا] يعني: لو كنا معه لحملناه على رءوسنا، فلا يمشي على الأرض [فقال حذيفة يا ابن أخي!] وهذا تلطف منه وإلا ليس هو بابن أخيه، أو لعل والده أسلم فكان أخو حذيفة في الإسلام [والله لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخندق وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هُوياً من الليل] يعني: جزءاً من الليل [ثم التفت إلينا] في المعسكر في سفح جبل سلع [فقال: (من رجلٌ يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع؟)] يا ليتنا كنا هو، تمنوا على الله! أي: من يدخل إلى معسكر المشركين فينظر ماذا يجري بينهم، وما تم فيهم ثم يعود؟! ومن يقوى على هذا وهناك الجوع والبرد والخوف؟! فما أجاب أحد.
[فشرط له رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجعة] ضامن على الله أن يرجع [(أسأل الله تعالى أن يكون رفيقي في الجنة)] وهذه لا تقادر بقدر، فقد ضمن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون هذا الرجل رفيقه في الجنة [فما قام رجل من القوم؛ من شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد] كانوا يرتعدون، كيف لرجل أن يدخل معسكر المشركين وهم اثنا عشر ألفاً؟! قال: [فلما لم يقم أحد] من الجيش.
ومن الجائز أن كل واحد يقول: ممكن يقوم فلان؛ لأنها ليست إلزامية ولو عيّن النبي أحداً ما تردد مؤمن أبداً، لكن لم يحدد صلى الله عليه وسلم [فلما لم يقم أحد، دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم يكن لي بد من القيام حين دعاني] ما دام عين فلا بد [فقال: (يا حذيفة ! اذهب وادخل في القوم فانظر ما يصنعون ولا تحدثن شيئاً حتى تأتينا)] يعني: لا تضرب أحداً، ولا تقتل أحداً، ولا تصيح فيهم، حتى تأتي سالماً وتخبرنا بما عندهم وما هم عليه.
كان هذا في الليلة وقت التهجد.
[قال: فذهبت فدخلت في القوم، والريح وجنود الله (الملائكة) تفعل ما تفعل، لا تقر لهم ناراً ولا قدراً ولا بناء] الملائكة والريح معاً، قال تعالى: فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا [الأحزاب:9] [فقام أبو سفيان] قائد الحرب [فقال: يا معشر قريش!] وما عنده مكبرات صوت، ولكن صوته ينفذ [لينظر امرؤ من جليسه] أي: لينظر أحدكم من إلى جنبه؛ لأنه يريد أن يعلن قراراً حربياً، وقد يكون هناك عيون أو جواسيس، وبالفعل كان حذيفة موجوداً.
[قال حذيفة : فأخذت بيد الرجل الذي إلى جنبي، فقلت: من أنت؟ قال: فلان بن فلان] ليخمل ذاك ويغطيه فلا يسأله، ولو تأخر لسأله ذاك، ثم بعدها هل يجيب بالحق أم يكذب؟ محنة! إذاً: عرف فبادر هو بالسؤال: من أنت؟ فقال: أنا فلان.
وهذا دليل على سياسة أبي سفيان ؛ لأنه يريد أن يعلن قراراً ويخشى أن يكون هناك عيون للعدو.
[ثم قام أبو سفيان فقال: يا معشر قريش! إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام] ما أصبحتم بدار إقامة [لقد هلك الكراع والخف] والكراع للشاة، والخف للبعير؛ لأن معهم أغناماً يأكلونها [وأخلفتنا بنو قريظة، وبلغنا عنهم ما نكره، ولقينا من شدة الريح ما ترون، ما تطمئن لنا قدر ولا تقوم لنا نار، ولا يستمسك لنا بناء فارتحلوا إني مرتحل] ذكر أسباب الرحيل: أولاً: خانتهم بنو قريظة.
ثانياً: الريح فعلت بهم الأعاجيب: القدر تغلي باللحم تكفأها، والخيمة المنصوبة تمزقها.
[ثم قام إلى جمله وهو معقول فجلس عليه] ما تفطن؛ لشدة الخوف والحرص على الرحيل [ثم ضربه فوثب به على ثلاث] لأنه مربوط الرجل الرابعة [فوالله ما أطلق عقاله إلا وهو قائم، ولولا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلي (لا تحدث شيئاً حتى تأتيني) ثم شئت

لقتلته بسهم] لو شئت قتله لقتلته بسهم [قال: فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم يصلي في مرط لبعض نسائه] في هذه الليلة الباردة وهذا الجوع وهذا الخوف رسول الله يصلي ليله، والمرط هو الكساء؛ التف فيه من شدة البرد وقام يصلي [فلما رآني أدخلني إلى رجليه] حذيفة ممكن ما هو كبير فأدخله بين رجليه [وطرح علي طرف المرط، ثم ركع وسجد وإني لفيه] أي: في ذلك المرط [فلما سلم أخبرته الخبر.

وسمعت غطفان بما فعلت قريش، فانسحروا أيضاً راجعين إلى بلادهم.

وهناك قال الحبيب صلى الله عليه وسلم: (الآن نغزوهم ولا يغزوننا)] وهذا كان في السنة الخامسة، مع هذه الكرة العجيبة التي رجع بعدها الكفار خائبين، ومعناه: أنهم لا يفكرون أبداً في غزونا، وأصبحنا نحن أهلاً لئن نغزوهم. وفعل صلى الله عليه وسلم.

[وحقاً لم تغز بعدها قريش النبي الحبيب صلى الله عليه وسلم، حتى غزاهم في عقر دارهم ودخل مكة عليهم، ولما أصبح الرسول صلى الله عليه وسلم من تلك الليلة عاد إلى المدينة وعاد أصحابه والحمد لله] انتهت المعركة.

أرأيتم لو كنا معهم هل نتحمل هذه الآلام؟ أهل الإيمان الراسخ القوي نعم، أما ضعفة الإيمان فإنهم ينهزمون، أما المنافقون فلا تسأل.

استجابة الله دعوة رسوله ومجيء نعيم بن مسعود يخذل عنه اليهود والمشركين

قال المؤلف غفر الله لنا له ولكم ولسائر المؤمنين: [واستجاب الله دعوة رسوله وعباده المؤمنين الصادقين]؛ لأن المعركة بدأت وهي من أصعب المعارك وأشدها، والرسول الحبيب صلى الله عليه وسلم شغل بالحرب حتى غابت الشمس ولم يصل العصر فقال: (شغلونا عن الصلاة الوسطى)، ثم دعا واستجاب الله دعاءه، وإليكم بيان ذلك.

قال: [فساق إلى رسوله نعيم بن مسعود الغطفاني] جاء الله به من غطفان [بعد أن هداه الله إلى الإسلام فأسلم] هداه الله بعد أن سمع من الناس وشاهد بعض المسلمين، ففتح الله صدره وأسلم [وأتى النبي صلى الله عليه وسلم يقول له: يا رسول الله! إني قد أسلمت وإن قومي لم يعلموا بإسلامي فمرني بما شئت] يعني: الفرصة متاحة، إذا أردت أن ترسلني إلى قومي المشركين المحاربين فمرني وأنا أدخل عليهم وأفعل ما أفعل؛ لأنهم يثقون بي ويفهمون أنني ما زلت على دينهم.

[فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنما أنت فينا رجل واحد فخذل عنا إن استطعت فإن الحرب خدعة)] هذه كلمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأعيدها لكي نتلذذ بسماعها والنطق بها! لما عرض نعيم على رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضه قال له الرسول صلى الله عليه وسلم: (إنما أنت فينا رجل واحد) فماذا تفعل؟ أتدخل على قبيلة بكاملها وتحاربها؟ ليس بمعقول، ولكن (خذل عنا إن استطعت)، والتخذيل: هو أن يخوفهم من رسول الله وجيشه وما أعطاه الله من آيات، فيجعلهم ينهزمون قبل الحرب، هذا هو التخذيل. وهو ما يسمى بالطابور الخامس.

قال صلى الله عليه وسلم: (فإن الحرب خدعة)، وهذه قاعدة وضعها أبو القاسم صلى الله عليه وسلم علينا أن نحفظها وهي سهلة.

إذاً: خرج نعيم بن مسعود من حضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخيمته في الحرب حتى أتى يهود بني قريظة جنوب المدينة، وهي القبيلة الثالثة من اليهود التي بقيت في المدينة بعد خروج بني قينقاع وبني النضير منها، وذلك بعد أن خانوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخلفوا وعده، فسلطه الله عليهم فأخرجهم من المدينة والتحقوا بالشام.

قال: [وكان لهم نديماً في الجاهلية] أي: يشرب معهم الخمر ويسهر لتداول الملاذ [فقال: يا بني قريظة قد عرفتم ودّي إياكم] أي حبي لكم من قبل [وخاصة ما بيني وبينكم، قالوا: صدقت، لست عندنا بمتهم، فقال لهم: إن قريشاً وغطفان ليسوا كأنتم] وهو الواقع [البلد بلدكم فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم لا تقدرون على أن تحوّلوا منه إلى غيره] بخلاف قريش وغطفان يستطيعون العودة إلى بلادهم [وإن قريشاً وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه، وقد ظاهرتموهم عليه، وبلدهم وأموالهم ونساؤهم بغيره، فليسوا كأنتم، فإن رأوا نهزة أصابوها وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ولا طاقة لكم به] إن خلا بكم.

يعني: ليس عندكم قدرة على حرب محمد [فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رُهُناً] جمع رهن [من أشرافهم يكونون بأيديكم؛ ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمداً حتى تناجزوه] يعني: أعطونا أشرافكم ندخلهم في قصورنا وحصوننا لنقاتل معكم.

هذه هي الخدعة! [فقالوا: لقد أشرت بالرأي] فلا نقاتل مع غطفان وقريش إلا إذا وضعوا عندنا بعض أشرافهم [ثم خرج من عندهم أيضاً حتى أتى قريشاً] هو الآن ينفذ وصية الرسول ويخذل [ثم خرج من عندهم حتى أتى قريشاً فقال لـأبي سفيان] وهو قائد المعركة وسائس الحرب [ومن معه من رجال قريش: قد عرفتم ودي لكم وفراقي محمداً] أي: بعدي عنه وعدم اتصالي به [وإنه قد بلغني أمر قد رأيت علي حقاً أن أبلغكُموه؛ نصحاً لكم، فاكتموه عني، فقالوا: نفعل.

فقال: تعلمون أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد، وقد أرسلوا إليه: إنا قد ندمنا على ما فعلنا فهل يرضيك أن نأخذ من القبيلتين من قريش وغطفان رجالاً من أشرافهم فنعطيكهم فتضرب أعناقهم، ثم نكون معك على من بقي منهم حتى نستأصلهم؟ فأرسل إليهم: أن نعم] نفعل [فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون منكم رُهُناً من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلاً واحداً.

ثم خرج حتى أتى غطفان] أيضاً [فقال: يا معشر غطفان! إنكم أهلي وعشيرتي وأحب الناس إلي] وهو كذلك [ولا أراكم تتهمونني، فقالوا: صدقت، ما أنت عندنا بمتهم، قال: فاكتموا عني، قالوا: نفعل] كما أمرت [فقال لهم ما قال لقريش وحذرهم ما حذرهم] ما قاله لـأبي سفيان قاله لرئيس غطفان.

[وكان من تدبير الله تعالى لرسوله والمؤمنين -ليخرجهم من محنتهم-: أن أرسل أبو سفيان ورجال من غطفان إلى بني قريظة وفي ليلة سبت يقولون لهم: إنا لسنا بدار مقام، قد هلك الخف والحافر، فاغدوا للقتال حتى نناجز محمداً، ونفرغ مما بيننا وبينه، فأرسلوا إليهم، أن اليوم يوم السبت، وهو يوم لا نعمل فيه شيئاً] اعتذروا وقالوا: نحن لا نقاتل في يوم السبت [وقد كان أحدث فيها بعضنا حدثاً فأصابهم ما لم

يخف عليكم، ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم محمداً حتى تعطوا رُهُناً من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمداً، فإنا نخشى إن ضرستكم الحرب] أكلتكم بأضراسها [واشتد عليكم القتال أن تنشمروا إلى بلادكم وتتركونا والرجل في بلادنا ولا طاقة لنا به] هذا اعتذار بني قريظة.
[فلما رجعت الرسل] التي أرسلت [إلى قريش وغطفان بما قالت بنو قريظة، قالوا: والله إن الذي حدثكم به نعيم بن مسعود لحق] يعني: قضية أن يستوثق برجالات من أشرافهم حق [فأرسلوا إلى بني قريظة: إنا والله لا ندفع إليكم رجلاً واحداً من رجالنا، فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا، فقالت بنو قريظة حين انتهت الرسل إليهم بهذا: إن الذي ذكر لكم نعيم لحق، ما يريد القوم إلا أن يقاتلوا، فإن رأوا فرصة انتهزوها، وإن كان غير ذلك انشمروا إلى بلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل في بلادكم، فأرسلوا إلى قريش وإلى غطفان: إنا والله لا نقاتل معكم محمداً حتى تعطونا رُهُناً، فأبوا عليهم.
وخذل الله تعالى بينهم، فلم يعزموا على القتال، وأرسل الله عز وجل عليهم الريح في ليلة شاتية باردة، شديدة البرد، فجعلت تكفأ قدورهم] تميلها وتسقطها [وتقتلع خيامهم] أي معسكر قريش ومعسكر غطفان [وما أطاقوا المقام، فقرروا العودة فوراً إلى بلادهم] قريش إلى مكة وغطفان إلى نجد [وارتحلوا عائدين لم ينالوا خيراً] بل تكبدوا خسائر لا حد لها [وكفى الله رسوله والمؤمنين قتالهم، وكان الله قوياً عزيزاً، وأنزل في ذلك قوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا [الأحزاب:9] وقوله: وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا [الأحزاب:25]] نزلت في الحادثة.

نتائج وعبر من غزوة الخندق

قال: [نتائج وعبر] ونرجع إلى الحادثة من أولها لنتذكر ما مضى، ونكتسب معارف وعلوم عسى الله أن ينفعنا بها إن كنا متأهلين لذلك:
قال: [إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبراً نجملها إزاء الأرقام التالية: أولاً: موقد نار حرب غزوة الخندق هم رؤساء يهود بني النضير: حيي بن أخطب ، و سلام بن مشكم و كنانة بن الربيع] لما انهزموا وخرجوا من المدينة ودخلوا خيبر مع إخوانهم احتفلوا بهم بالمزامير والأغاني، ومن ثم قام حيي بن أخطب ومن معه ودبروا كيف ينتقمون من محمد صلى الله عليه وسلم، فذهبوا إلى شرق الجزيرة وإلى غربها وجنوبها يؤلبون العرب عليه صلى الله عليه وسلم [وما زال اليهود يوقدون نيران الحرب إلى اليوم] علمنا أم لم نعلم، والله إنهم هم، وهذه طبيعتهم، ما السر يا أهل الدرس؟ السر: هو أنهم من قرون يعملون على إيجاد مملكتهم التي سادت الشرق والغرب على عهد سليمان عليه السلام، وهم طائفة لا يساوون واحد إلى مليون من البشر، فكيف تم لهم هذا؟ وحسبك أن تفهم أنهم ما تركوا الإسلام إلا لأنه يقضي على فكرتهم التي يحملونها، قالوا: لو أسلمنا ذبنا في الإسلام، وأين مملكة بني إسرائيل وأين شرفنا ومكانتنا؟ فمن ثم وهم يعملون، وإلا كيف بنو دولتهم في فلسطين؟ لو كانوا لا يعملون هل يصلون إلى هذا الهدف؟ هل يهزمون ألف مليون مسلم، ويقيمون دولة إسرائيل في قلب أرض القدس؟ إذاً: يعملون.
ومن جملة ما يعملونه إثارة الحروب بين الأمم والشعوب؛ حتى تبقى مهزومة تحتاج إليهم وتخافهم، فمن هنا يوقدون الحروب؛ ليخف الضغط عليهم، وتشتغل البشرية بنفسها، ويواصلون هم عملهم وإعدادهم، هل فهمتم هذه؟ وإن شئتم حلفتم لكم بالله.
الحروب العالمية الأولى والثانية هم من أوقد نارها، وكذلك حرب الخليج، وما زالوا يعملون .
والعالم الإسلامي الآن كله فتن مشتعلة هم من أوقدها! [ثانياً: بيان خيانة وغدر عيينة بن حصن الغطفاني إذ وادعه الرسول واقتطع له أرضاً وغدر] وتقدم هذا.
[ثالثاً: فضل سلمان الفارسي في إرشاده المؤمنين إلى حفر الخندق، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم فيه: (سلمان منا آل البيت) لما تنازعه كل من المهاجرين والأنصار] المهاجرون قالوا: هذا لنا، يعتزون به، والأنصار قالوا: نحن أحق به، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: (سلمان منا آل البيت)، وأنهى الخلاف بينهم، وهذا وسام -والله- يزن الدنيا بما فيها.
[رابعاً: تجلي آيات النبوة المحمدية عند حفر الخندق في ثلاثة مواطن] لاحت أنوار النبوة، وشهدت البشرية بها [وهي تفتت الصخرة حتى كانت كثيباً مهيلاً] لما كانوا يحفرون وإذا صخرة تعترضهم ما استطاعوا أن يزيحوها فجاء أبو القاسم صلى الله عليه وسلم وضربها ثلاث ضربات بفأسه حتى تفتت [وما أعلنه عنه عند كل بارقة برقت] لما ضرب بالفأس برقت ثلاث بوارق [إذ كان ما أخبر به كما أخبر] فقد لاحت له قصور الشام، وقصور بصرى، واليمن، وبالفعل فتحت وأصبحت دار إسلام، وصح هذا.
وعندها قال المنافق: يُمنينا محمد بالشام واليمن وأحدنا لا يستطيع أن يتبول إلا في بيته!! [وإطعام المئات بصاع شعير وجدي من الماعز] في بيت جابر بن عبد الله رضي الله عنه، فصاع شعير -أربع حفنات- وجدي أكل منه المعسكر بكامله! [خامساً: بيان أن هذه الغزوة كانت تمحيصاً للمؤمنين، وكشفاً لعوار المنافقين] كانت بعد أحد، وأحد كان فيها النفاق والضعف، فجاءت هذه للتمحيص، والتصفية الكاملة.
[سادساً: تجلي الرحمة المحمدية في سعيه صلى الله عليه وسلم للصلح مع العدو الغازي؛ ليخفف به على المؤمنين] لكن السعدين رفضا، سعد بن معاذ و سعد بن عبادة ، فعندما أجرى مفاهمة مع العدو على أن يعطيهم ثلث غلة الثمر، على أن يعودوا إلى بلادهم؛ ليخفف عن إخوانه الكرب والهم والجوع والبرد والخوف، قال سعد : والله ما كان هذا ولا تمرة واحدة، في الجاهلية ما أعطيناهم، والآن في الإسلام نعطيهم؟!! [سابعاً: جلال موقف سعد بن معاذ في رفضه الاتفاقية إيماناً وتوكلاً وصبراً وصدقاً] سعد بن معاذ سيد الأنصار لما عرض عليه الرسول توقيع الاتفاقية قال: لن يكون هذا أبداً.
[ثامناً: ظهور بطولة علي بن أبي طالب في منازلته عمرو بن ود] ويسمونه رأس الغول، والمنازلة هي: أن تنزل أنت من على فرسك وأنزل أنا من على فرسي لنتقاتل في ساحة المعركة [وقتله إياه في جولات محدودة] مع أن هذا عمرو بن ود كان طاغية في مكة لا يقاوم.

[تاسعاً: عظم مصاب المسلمين في سعد بن معاذ ، وهو القائل عند قدومه على المعركة: لبّث قليلاً يدرك الهيجا جمل لا بأس بالموت إذا حان الأجل] وضرب بسهم في أكحله فما رقأ الدم حتى مات، واستشهد في المسجد رضي الله عنه؛ لأنه كان هناك خيمة في المسجد بنتها رفيدة لتعالج فيها الجرحى، بمعنى: امرأة فتحت مصحة كاملة في سبيل الله.
[عاشراً: استجابة الله تعالى دعاء رسوله والمؤمنين] ووجه الاستجابة أن جاء الله بنعيم بن مسعود ، وهو الذي أنهى الحرب وقضى عليها بسياسته الرشيدة.
[الحادي عشر: عظم دور نعيم بن مسعود في تخذيل كل من اليهود والمشركين] دور عظيم قام به، واليهود عندهم من هذا النوع اليوم، بينما المسلمون ليس عندهم مثله، فنحن يوجد بيننا من يخذّلنا، أما من يخذّل عنا اليهود فلا يوجد.
إنا لله وإنا إليه راجعون؛ لأن النور الإلهي انطفأ.
[الثاني عشر: تقرير حقيقة سياسية رشيدة، وهي عدم الأخذ بنصائح العدو مهما كان صادقاً، ووجوب الحذر منها، تجلت هذه الحقيقة في دور نعيم الذي قام به في تخذيل العدو في قالب نصائح لا نظير لها] لليهود والعرب معاً.
وإلى الآن -والله- يخذلون حكامنا نحن المسلمين باستشارات وتوجيهات لو قرأتها لأغمي عليك، همهم ألا يستقيم المسلمون.
والله ما من حاكم في المسلمين إلا ويأتيه من يخذله ويخوفه حتى من شعبه.
ومعنى هذا: على الحكام المسلمين ألا يقبلوا نصيحة يهودي أو مسيحي أو مشرك أو صليبي.
وقد قبلوا نصائح روسيا فحملت لهم الشيوعية والاشتراكية؛ لأنهم أموات لا يعرفون الطريق، كيف تقبل نصيحة من كافر؟ أيصدقك؟ والله لا يصدقك، وإن فرضنا جدلاً أنه صدقك فليس في صدقه بركة، وبلغوا هذا إذاعة لندن لعله تنقله!! ولكن مستحيل أن تنقل مثل هذا الكلام.
[الثالث عشر: فضل حذيفة بن اليمان] لاختيار الرسول صلى الله عليه وسلم له، فقد انتخبه واختاره من الأمة كاملة في المعسكر [وبعثه لاستطلاع حال العدو، وفوزه بمرافقة الحبيب صلى الله عليه وسلم في الجنة.
الرابع عشر -والأخير-: تفسير آيات الأحزاب الواردة في غزوة الأحزاب وهي نحو من سبع عشرة آية] الذي قرأ هذه الغزوة وفهمها تفسر له تلك الآيات، والله تعالى أسأل أن ينفعنا بما ندرس ونسمع.
وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

لما نقض بنو قريظة العهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق أراد الله تعالى أن يعاقبهم بعقاب يستحقونه، حتى يكونوا عبرة لغيرهم، فلما رجع رسول الله من غزوة الخندق أتاه جبريل فأمره أن يخرج إلى بني قريظة، فخرج إليهم يحدوه النصر والعزة، ثم حاصرهم أياماً، وبعدها نزلوا على حكمه فحكم فيهم سعد بن معاذ رضي الله عنه أن تقتل رجالهم وتقسم أموالهم وتسبى ذراريهم ونساؤهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لقد حكمت فيهم بحكم الله).

غزوة بني قريظة

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.
أما بعد: لنقضي ساعة مع حبيبنا صلى الله عليه وسلم، وقد انتهى بنا الدرس إلى [غزوة بني قريظة]، وتذكرون أننا مع غزوة الأحزاب، فقد جمع الأحزاب وألبهم من الشرق والجنوب ذلكم اليهودي عليه لعائن الله حيي بن أخطب ومن معه؛ لأنه لما كتب الله الجلاء على بني النضير، وأجلاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل بعضهم بخيبر حيث ديار اليهود، عزم بعضهم على أن ينتقم، فألب الجيوش من الشرق والجنوب حتى اجتمعت الأحزاب، وهزمهم الله بعد حصار دام خمسة وعشرين يوماً، وكانت النهاية أن سلط الله عليهم ريحاً ما أبقتهم.
وبنو قريظة طائفة من اليهود كان بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد وميثاق، لكنهم نقضوا عهدهم حيث غرر بهم من غرر، وانضموا إلى الأحزاب؛ ليقاتلوا معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبنقضهم عهدهم وميثاقهم استوجبوا القتل.
إذاً: انتهت معركة الأحزاب أو الخندق، وها نحن مع بني قريظة .
بنو قريظة هي إحدى طوائف اليهود الثلاث، والطائفة الأولى هم بنو قينقاع، والطائفة الثانية هم بنو النضير، والسؤال: كيف تجمع اليهود هنا؟ تجمعوا لأنهم علموا من كتبهم الإلهية: أن نبي آخر الزمان مهاجره بلدة ذات نخل وسبخة بالديار الحجازية، فقالوا: ننزح إليها ونجلس فيها، وإذا ظهرت النبوة الخاتمة نؤمن بصاحبها ونجاهد معه ونسترد ملكنا وسلطاننا، فنزحوا إلى المدينة لهذا الغرض، ولأنهم فيهم علم والعرب كانوا أميون جهال فقد كانوا سائدين -أيضاً- محترمين، ولا بد أن الجاهل يحترم العالم كيفما كان.
والطائفة الأولى منهم وهم بنو قينقاع لما دخل الرسول المدينة مهاجراً كتب بينه وبينهم عقوداً -وقد مرت بنا نصوصها- فنقضوها، وسبب نقضهم الميثاق: أن مؤمنة جاءت إلى صائغ يهودي تريد أن تستبدل عنده حلياً بحلي أو يصوغ لها نوعاً من الحلي، فراودها بعض اليهود على كشف وجهها، فأبت، فبينما هي جالسة عمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها، فلما قامت انكشفت سوءتها، فصاحت ووقعت على الأرض، فقام مسلم إلى اليهودي فقتله، وشد اليهود على المسلم فقتلوه.
ومن ثَمَّ أعلن الرسول صلى الله عليه وسلم الحرب عليهم؛ لأنهم نقضوا عهدهم وميثاقهم، وشفع لهم ابن أبي رئيس المنافقين بوصفهم أحلافاً له، فقبل الرسول شفاعته وقال: فليخرجوا من المدينة؛ فالتحقوا بأذرعات من الشام ولم يبق منهم أحد.
وبنو النضير تآمروا على قتل الرسول صلى الله عليه وسلم، بعد أن ذهب إليهم ليطالب بالإسهام في دية رجلين قتلا ظلماً، بناءً على ما كان بينه وبينهم من عهود ومواثيق، فلما ذهب يطالبهم بقدر من المال حسب الوثيقة والاتفاق أجلسوه في ظل جدار ثم تهيئوا لقتله، فجاءوا بمطحنة أو رحى وأرادوا أن يرسلوها من فوق السطح على رأسه صلى الله عليه وسلم، فأوحى الله إليه بالمؤامرة فقام وتبعه أصحابه، ومن ثَمَّ أعلن الحرب عليهم، فطوقهم وحاصرهم، وتم بإذن الله تعالى جلاؤهم، وخرجوا من المدينة إلى الشام آخذين معهم كل ما عندهم، حتى بعض أبواب بيوتهم، قال تعالى: وَلَوْلا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ [الحشر:3-4].
وبقي بنو قريظة على عهدهم وميثاقهم، فلما جاءت حرب الأحزاب والخندق سحروهم ودجلوا عليهم لينضموا مع الأحزاب ضد النبي صلى الله عليه وسلم، فانهزموا وانضموا إلى المشركين، فنقضوا عهدهم.
ولنسمع الآن ماذا تم لهم .

نقض بني قريظة للعهد الذي بينهم وبين الرسول في الأحزاب

قال: [بنو قريظة إحدى طوائف اليهود الثلاث الذين كانوا يسكنون حول المدينة النبوية، ووادعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ونقضوا عهدهم واحدة بعد واحدة] طائفة بعد أخرى [وصدق الله العظيم إذ يقول: أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ [البقرة:100]، فاليهود إلى اليوم لا يفون بعهد ولا يلتزمون بميثاق، فكان النكث والغدر وصفاً لازماً لهم إلا ما شاء الله منهم].
وهنا صرخنا أربعين سنة، لو أن العرب كانوا أهلاً لتوفيق الله؛ لما قضى العالم عليهم بقسمة فلسطين بينهم وبين اليهود كان عليهم أن يرضوا بالقسمة، ويتعهدوا بحسن الجوار وعدم الأذى حتى يتكامل المسلمون ويقوون، ومن ثم ينقض اليهود ميثاقهم بأنفسهم، فيضربونهم العرب ضربة شرعية؛ لأنهم غدروا وتنتهي المشكلة، لكن ما وفقوا لذلك؛ وإخوانهم موزعون في كل بلاد سائرين، وهم يجمعون لهم المال بالشحاتة حتى من عند اليهود والنصارى، وهذا شأن من يفقد ولاية الله، يتخبط إلى أن يتحطم، ووالله لو هداهم الله وعرفوا لكانوا

عندما قسمت فلسطين اعترفوا بالواقع، وقالوا: هيا نجمع إخواننا ونقوهم ونكونهم ويكثر أولادهم ورجالهم، وبعد عامين أو عشرة أو عشرين سنة ونحن مستعدون، وبمجرد أن ينقض اليهود العهد نضربهم.
وهم سينقضون عهدهم قطعاً، فقد أخبر الله تعالى: أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ [البقرة:100].
[فبنو قريظة نقضوا عهدهم وانضموا إلى معسر المشركين المحاصرين للمدينة الذين جاءوا لاستئصال الرسول والمؤمنين -خيب الله مسعاهم- فبهذا وجب قتالهم وتعين قتلهم أو إجلاؤهم عن البلاد وإخراجهم منها.
كان هذا سبب غزوة بني قريظة، وهو نقضهم المعاهدة، وانضمامهم إلى المشركين الغزاة الظالمين المعتدين] عرفنا إذاً كيف قاتلهم الرسول؟ لأنهم نقضوا العهد.
هذا هو السبب.

خروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى بني قريظة

[بداية غزوهم: لما عاد الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنون من الخندق] والخندق هناك على كيلو متر من هنا، وراء سفح سلع [وذلك يوم الأربعاء من أواخر شهر ذي القعدة من سنة خمس من الهجرة ودخلوا المدينة] أي: أصحاب الرسول المجاهدون رجعوا من الخندق؛ لأن الحرب انتهت، فعادوا إلى ديارهم بهذا التاريخ [فلما كان وقت الظهر أتى جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم معتجراً بعمامة من إستبرق على بغلة عليها رحالة، عليها قطيفة من ديباج] والديباج نوع الحرير.
إذاً: لما كان وقت الظهر من يوم الأربعاء، وعاد الرسول والمؤمنون من الخندق أتى جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم في صورة دحية بن خليفة الكلبي معتجراً بعمامة من إستبرق على بغلة عليها رحالة؛ والاعتجار بالعمامة هو: ألا يجعل شيئاً منها تحت اللحية، ولكن فقط فوق رأسه، والمرأة تعتجر أيضاً ولها عجار، والإستبرق نوع من حرير أسود، والرحالة: السرج.
[فقال: أوقد وضعت السلاح يا رسول الله؟ قال: نعم.
فقال جبريل: فما وضعت الملائكة السلاح بعد] أين قاتلت الملائكة؟ في سلع، من اقتلع الخيام وأهرق القدور وجعل المشركين في هلع؟ وشرد اثني عشر ألفاً، من فعل بهم هذا؟ إنهم الملائكة.
قال تعالى: فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا [الأحزاب:9].
وما زال الله كذلك، لو وجد أولياءه يقاتلون المشركين والكافرين لإدخالهم في رحمة الله وإسعادهم في الدارين وأصابهم حصار -والله- ينزل عليهم الملائكة تقاتل معهم.
قال: [وما رجعت الآن إلا من طلب القوم] ما رجع جبريل إلا من أجل أن يطلب القوم [إن الله عز وجل يأمرك يا محمد بالمسير إلى بني قريظة، فإني عامد إليهم فمزلزل بهم] الأرض والحصون.
هذه رسالة من الله يحملها جبريل عليه السلام.
ذاك الذي لاقى رسول الله أول مرة في غار حراء وضمه إلى صدره وقال: اقرأ.
ذاك الذي صحبه إلى السماوات السبع وإلى جنة الفردوس العليا.
[واستجاب الرسول صلى الله عليه وسلم لأمر ربه تعالى فعين على المدينة ابن أم مكتوم] عينه أميراً والياً مع أن المسافة كلها كيلو متر أو ثلاثة [وأمر ابن عمه علي بن أبي طالب أن يتقدم برايته إلى بني قريظة لجس نبضهم، ومعرفة أحوالهم وما هم عليه.
وأذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس أن احضروا فوراً] مع أنهم جاءوا متعبين مرهقين بعد خمسة وعشرين يوماً وهم في بلاء [فحضروا، فأمرهم بالمسير إلى بني قريظة] لقتالهم أو إجلائهم [وقال لهم: (لا يصلين أحدكم العصر إلا في بني قريظة)] والوقت كان وقت عصر ما دخل لكن أوشك [وخف الناس وخرجوا، وحانت صلاة العصر، فمنهم من صلاها في طريقه متأولاً قول الرسول صلى الله عليه وسلم] بمعنى: فقط أن لا نتخلف ولا نتأخر، وليس معناه أنه لا يجوز أن نصلي إلا في بني قريظة، فالقصد الاستعجال والسير فقط.
[ومنهم من لم يصلها] قال: حتى ندخل [حتى دخل الليل عملاً بظاهر النص: (لا يصلين أحدكم العصر إلا في بني قريظة)، ولم يعب النبي صلى الله عليه وسلم على من صلى ولا من أخر؛ إذ الكل عامل بطاعته صلى الله عليه وسلم].
وقد أعطيتكم لطيفة من هذا: أنه إذا دخل أحدنا المسجد مع غروب الشمس وخاف قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (لا يجلس أحدكم حتى يصلي ركعتين) فصلى -والله- مأجور، ومن خاف من نهي الرسول صلى الله عليه وسلم وقال: (لا تتحروا طلوع الشمس ولا غروبها بصلاة) فخاف وجلس ولم يصل -والله- مأجور.
وفي صلاة الجمعة كذلك إذا دخل أحدنا والإمام يخطب، فصلى ركعتين عملاً بقول النبي صلى الله عليه وسلم: (إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلي ركعتين) ثم صلى -والله- مأجور.
ومن قال: لا، الخطبة قائمة ويجب الإنصات وجلس -والله- مأجور.
على شرط: ألا يجلس -الراغب في الجلوس- للاستراحة.
يقول: الحمد لله، ما دام كذا نجلس، رغبة في الاستراحة والجلوس، وهذا لا يُؤجر، وإنما يؤجر فقط من ترك الصلاة لأجل أمر رسول الله ونهيه.
إذاً: أصحابه صلى الله عليه وسلم منهم من صلى متأولاً الحديث وقال: معناه أن لا نتأخر، فليس شرطاً أن نصلي في بني قريظة، وصلوا في الطريق.

ومنهم من فهم أنه لا ينبغي لهم أن يصلوا إلا إذا دخلوا بني قريظة فغربت الشمس عليهم ولم يصلوا العصر إلا هناك، وما لامهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عتب عليهم؛ إذ الكل يريد طاعة رسول الله.

ويا ليتنا نفهم هذا الفهم! قال: [وخرج الحبيب صلى الله عليه وسلم مع أصحابه، فإذا بـعلي رضي الله عنه عائد من بني قريظة وقال للرسول صلى الله عليه وسلم: لا عليك ألا تدنوا من هؤلاء الأخباث] أي: احذرهم يا رسول الله! [(فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: لِمَ؟ أظنك سمعت منهم لي أذى)] فلهذا حذرتني [(قال: نعم.

قال: لو رأوني لم يقولوا من ذلك شيئاً)] يعني: لو شاهدوني لن يقولوا مما قالوا لك شيئاً [وكانوا قد نالوا من الرسول صلى الله عليه وسلم شيئاً لما دنا منهم علي وخاطبهم.

وسار الحبيب صلى الله عليه وسلم حتى وصل إلى ديارهم ودنا من حصونهم ناداهم قائلاً: (يا إخوان القردة! هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمه! قالوا: يا أبا القاسم، ما كنت جهولاً)] يعني: كيف تقول هذا الكلام؟ وهم إخوان القردة والخنازير فعلاً، لكن كيف تم هذا؟ على عهد داود عليه السلام، حرم الله عليهم العمل يوم السبت، وجعله يوم عبادة وطاعة، فكانت هذه الطائفة حول ميناء من الموانى في البحر الأبيض، وما صبروا على ذلك، فقالوا: كيف لا نصيد الحوت ونتغذى به؟ فأفتاهم علماؤهم بفتيا، قالوا لهم: لا تعصوا الله عز وجل، ولكن ألقوا بالشباك ليلة السبت واتركوها تمتلئ حتى صباح الأحد ثم خذوها مملوءة بالحيتان!! قال تعالى: وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لا يَسْبِتُونَ لا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ [الأعراف:163].

فانقسم أهل القرية بعد ذلك ثلاثة أقسام، جماعة قالوا: نبرأ إلى الله من صنيعكم، وأخرى سكتت، وجماعة قالوا: لا بأس! وربنا رحيم.

والطائفة التي سكتت الله أعلم بمصيرها، فقد سكت الله عنها، والطائفة التي أنكرت وأعلنت نكرانها نجاها الله، أما التي تورطت في الصيد فقد حولهم الله قردة وخنازير، أطلوا عليهم في الصباح وإذا هم قردة وخنازير في الشوارع، وبعد ثلاثة أيام جيفوا بعد أن ماتوا عن آخرهم.

إذاً: اليهود إخوان لهم! قال: [وأثناء مسيره صلى الله عليه وسلم إلى بني قريظة مر بنفر من أصحابه] من المؤمنين [فسألهم: (هل مر بكم أحد؟ قالوا: يا رسول الله! مر بنا دحية بن خليفة الكلبي على بغلة بيضاء عليها رحالة، عليها قطيفة ديباج)] وهذا جبريل، فبعدما خرج من عند الرسول صلى الله عليه وسلم مشى إلى بني قريظة، فرآه جماعة من الصحابة، و دحية بن خليفة الكلبي من أشراف أهل المدينة، حسن الطلعة والمنظر، ولهذا اختاره الرسول سفيراً له في بلاد الروم؛ لذلك فيجب أن نختار الشخصية المهيأة.

[(فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ذلك جبريل بعث إلى بني قريظة يزلزل بهم حصونهم ويقذف الرعب في قلوبهم)] وكذلك فعل.

نزول بني قريظة على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال: [نزول بني قريظة على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم] معاشر المستمعين! لا تملوا، فأنتم تعيشون مع رسولكم صلى الله عليه وسلم، ووالله لساعة معه أفضل من الدهر كله.

[ولما أصبح الصباح وأعلن عن نزول بني قريظة على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتوافد رجال الأوس] على من؟ [على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقالوا: يا رسول الله! إنهم موالينا دون الخزرج، وقد فعلت في موالي إخواننا بالأمس ما قد علمت] في بني النضير؛ إذ أجلاهم فقط ولم يقتلهم [وهو أنه قد وهب بني قينقاع لـابن أبي الخزرجي لما ألح عليه في ذلك شافعاً فيهم بوصفهم مواليه -أي: أحلاف الخزرج-] بنو قينقاع تدخل لهم ابن أبي وقال: شفعني فيهم يا رسول الله.

وأعطاهم إياه، فانتقلوا إلى الشام.

قال: [فقال لهم صلى الله عليه وسلم: (ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم؟)] يعني: لست أنا، أنا سوف أتنازل، وأحكم رجلاً منكم أوسياً [(قالوا: بلى، قال صلى الله عليه وسلم: فذلك إلى سعد بن معاذ)] هذا الذي لما مات اهتز عرش الرحمن فرحاً به.

تحكيم سعد بن معاذ في بني قريظة وحكمه عليهم

قال: [من المستشفى إلى المحكمة] هيا بنا.

[لقد أصيب سعد في الخندق بسهم في أكحله ودعا ربه لا يتوفاه حتى يريه نقمه في بني قريظة الخونة الغادرين] سعد رضي الله عنه كان في طريقه إلى الخندق ضربه مشرك بسهم أصابه في عرق في يده فبقي الدم يسيل وما رقأ، وكان هناك مؤمنة اسمها رفيدة الأسلمية عندها خيمة في المسجد تمرض فيها الجرحى على حسابها -عجوز قامت بمستشفى مجاناً- هل عرف المسلمون هذا في التاريخ؟ عجوز أقامت مستشفى في المسجد تعالج فيه الجرحى والمرضى.

قال: [ولما هزم الله المشركين وارتحلوا، وعاد النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون إلى المدينة، وضع الرسول صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ في خيمة رفيدة الأسلمية في مسجده صلى الله عليه وسلم التي اتخذتها مثل المستشفى تعالج فيها الجرحى من فقراء المسلمين وضعفائهم، محتسبة ذلك عند الله ترجو ثوابه يوم القيامة، وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بوضع سعد في خيمة رفيدة من أجل أن يقرب منه ليعوده من قريب] حتى لا يمشي إلى مسافات بعيدة وهو مشغول صلى الله عليه وسلم.

[ولما حكّمه صلى الله عليه وسلم في بني قريظة أتاه قومه -أيضاً- من الأوس فحملوه على حمار قد وطّئوا له بوسادة من أَدَم، ثم أقبلوا معه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يقولون: يا أبا عمرو ! أحسن في مواليك] قلوبهم رقيقة هؤلاء.

يعني: لا تحكم حكماً شديداً قاسياً عليهم [فإنما ولاك رسول الله صلى الله عليه وسلم لتحسن فيهم] لا لتقتلهم [فلما أكثروا عليه] من القول [قال: لقد آن لسعد ألا تأخذه في الله لومة لائم] وهو جريح سيموت بعد ليال [وهنا فهم القوم أن سعداً سوف لا يرحمهم] فأخذوا يعزون بعضهم بعضاً في مواليهم.
[ولما وصل سعد قال رسول صلى الله عليه وسلم: (قوموا إلى سيدكم)، فقاموا إليه وأنزلوه عن الدابة وقالوا له: يا أبا عمرو ! إن رسول صلى الله عليه وسلم قد ولاك أمر مواليك لتحكم فيهم، فقال لهم سعد : عليكم بذلك عهد الله وميثاقه أن الحكم فيهم ما حكمت؟] تأخذون به [قالوا: نعم] قال [وعلى من هاهنا؟] يعني: رسول الله صلى الله عليه وسلم [-يشير إلى الناحية التي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسٌ، وهو معرض عن رسول صلى الله عليه وسلم إجلالاً له وتوقيراً- فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: نعم] أي: وأنا معهم، الحكم ما حكمت [قال سعد : فإني أحكم فيهم أن تقتل الرجال، وتقسم الأموال، وتسبى الذراري والنساء.
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة)] جمع رقعة والمراد: السموات السبع؛ لأنها رقعة فوق أخرى.
وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

إسلام أربعة نفر من اليهود منهم عمرو بن سعدى

قال: [في ليلة نزول قريظة: وفي ليلة نزول قريظة على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم أكرم الله أربعة أنفار من اليهود فأسلموا، ثلاثة منهم ليسوا من بني قريظة والرابع قرظي، فغير القرظيين هم: ثعلبة بن سعية ، و أسيد بن سعية و أسد بن عبيد وهم من بني هدل فليسوا قرظيين ولا نضريين، والقرظي هو عمرو بن سعدى القرظي] وعمرو بن سعدى القرظي هذا غاب فلم يعثر عليه.
قال: [فإنه أبى أن يدخل مع قريظة في غدرها لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: لا أغدر محمداً أبداً، ومر في الليل بحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي عليه محمد بن مسلمة] كان رئيس الحرس الذي يحرس النبي صلى الله عليه وسلم [فعرفه محمد بن مسلمة ، وقال: اللهم لا تحرمني إقالة عثرات الكرام، وخُلي سبيله] وهذه كلمة عظيمة من محمد بن مسلمة ، وهو الذي قتل ابن الأشرف قال هنا: اللهم لا تحرمني إقالة عثرات الكرام، بعد أن عرف أن عمرو بن سعدى كريم وتجلى ذلك في إسلامه [فذهب على وجهه حتى أتى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم فبات به تلك الليلة.
ثم ذهب فلم يُدر أين توجه من الأرض إلى يومنا هذا] رضي الله عنه.
[ولما ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ذاك رجل نجاه الله بوفائه)] وفى لرسول الله بالعهد مع أن قومه كلهم خانوا، فما غدر وخان كما خان إخوانه وغدروا، وأبى أن يغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم فرفعه الله إلى أعلى المقامات، وحسبه هذه الشهادة: (ذاك رجل نجاه الله بوفائه).

ندم أبي لبابة على ما فعله مع بني قريظة

قال: [عثرة كريم أقالها الله جل جلاله] كريم عثر، والكريم إذا عثر فأهل الكرم يرفعونه ويعفون عنه، وهذه العثرة عثرها أبو لبابة .
[وخرج أبو لبابة من عندهم] من حصنهم [وهو يقول: والله ما زالت قدماي في مكانهما حتى عرفت أني قد خنت الله ورسوله، ولذا انطلق على وجهه، ولم يأت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ربط نفسه في سارية المسجد، وقال: لا أبرح مكاني حتى يتوب الله علي مما صنعت] ماذا صنع؟ أشار بيده [وعاهد الله تعالى ألا يطأ بني قريظة أبداً، ولا يرى في بلد خان فيه الله ورسوله أبداً، وكانت آية الأنفال تعنيه وهي قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ [الأنفال:27].
ولما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم خبره -وكان قد استبطأه فلم يأت-] بعثه حاكماً فلم يرجع [قال: (أما إنه لو جاءني لاستغفرت له)] عرف أنه هرب من الإثم وما استطاع أن يواجهه صلى الله عليه وسلم [(فأما إذ قد فعل ما فعل فما أنا بالذي أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه)] يعني: ما دام ما جاءني وربط نفسه خليه [وقضى أبو لبابة كذا يوماً مربوطاً، تأتي امرأته وقت الصلاة فتطلقه، فإذا صلى ارتبط] كان الحجاب وقتها لم ينزل بعد، وكان النساء يخرجن.
قال: [في سحر الليلة السادسة] وقت السحور [من ارتباطه سمعت أم سلمة النبي صلى الله عليه وسلم يضحك] في الليل، و أم سلمة -أمنا زوجة الرسول صلى الله عليه وسلم- تقدم لنا ما أبكانا عنها، ويا لها من مواقف وقفتها، فقد ظلت طوال سنة كاملة ممنوعة عن زوجها وابنها في مكة، وكانت تخرج إلى ساحة الأبطح تبكي طوال النهار ثم ترجع في الليل.
لا إله إلا الله.
كيف عانوا، وكيف حافظوا على ذلك الإيمان والنور؟! [(فقالت له: مم تضحك يا رسول الله؟ أضحك الله سنك!!)] هذه دعوة [(قال: تيب على أبي لبابة)] أي: تاب الله على أبي لبابة [قالت: ألا أبشره يا رسول الله؟ -وكان الحجاب لم يضرب بعد على نساء النبي والمؤمنين- قال: بلى] أي: بشريه [فقامت على باب حجرتها وقالت: يا أبا لبابة ! أبشر فقد تاب الله عليك، فثار الناس إليه ليطلقوه، قال: لا والله حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يطلقني بيده، فلما مر عليه الرسول صلى الله عليه وسلم خارجاً إلى صلاة الصبح أطلقه] عرفتم مظاهر الإيمان؟! ونحن كيف حالنا؟!

قبول النبي بعث أبي لبابة إلى قريظة ليستشيروه في أمرهم

قال: [وآخر مقبول] عرض آخر مقبول بعد أن رفض الأول.
[ولما رفض رسول الله صلى الله عليه وسلم مقترحهم، بعثوا إليه يطلبون أن يبعث إليهم أبا لبابة ليستشيروه في موضوع النزول على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان أبو لبابة أوسياً] أي: من قبيلة أوس لا قبيلة الخزرج [وقريظة كانت حلفاء للأوس] الخزرج كانوا حلفاء لبني قينقاع، وأوس حلفاء لقريظة [فبعث إليهم النبي صلى الله عليه وسلم أبا لبابة فدخل عليهم حصنهم، فما إن رأوه حتى قام إليه الرجال وجهش النساء والصبيان بالبكاء، فرق لهم أبو لبابة] رق قلبه [فقالوا له: يا أبا لبابة ! أننزل على حكم محمد؟ قال: نعم، وأشار بيده إلى حلقه، أي إنه الذبح] ظناً منه أن ذلك لا يؤثر.

حصار النبي صلى الله عليه وسلم لبني قريظة

[ونزل الحبيب صلى الله عليه وسلم وأصحابه على بئر من آبار بني قريظة] بئر ماء [يقال لها: (أنا) أو (أنَّى)، ولما تلاحق المسلمون] لأنهم ليسوا في مشية واحدة، ولكن بحسب ظروفهم، واحد وصل بعد عشر دقائق وآخر بعد ربع أو نصف ساعة؛ لأنهم يعدون عددهم ويتهيئون [حاصرهم صلى الله عليه وسلم] أي: حاصر بني قريظة [وطلب منهم النزول] لأنهم على حصون، والدنيا كلها آنذاك كانت تقوم على الحصون، كل المدن في العالم على حصون.
[فأبوا أن ينزلوا] قال: انزلوا للتفاهم، قالوا: لا ننزل [وفي هذه الأثناء -وعندما جهدهم الحصار وأيقنوا أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يفلتهم- قام فيهم كعب بن أسد أحد أشرافهم] خطيباً [وهو صاحب الحل والعقد بينهم، فقال لهم: يا معشر يهود! قد نزل بكم من الأمر ما ترون، وإني عارض عليكم خلالاً ثلاثاً] أي: خصال [فخذوا أيها شئتم، قالوا: وما هي؟ قال: نتابع هذا الرجل ونصدقه] أي: ندخل في الإسلام [فوالله لقد تبين لكم أنه لنبي مرسل، وأنه الذي تجدونه في كتابكم، فتأمنون على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم] عرض عظيم هذا من رجل صاحب حل وعقد [قالوا: لا نفارق حكم التوراة أبداً، ولا نستبدل به غيره] وهل فهموا التوراة؟ هل أخذوا بها في كل باب؟ لو أخذوا بالتوراة لآمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم من يوم ظهر [قال: فإذا أبيتم هذه فهلم فلنقتل أبناءنا ونساءنا ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالاً مصلتين السيوف لم نترك وراءنا ثقلاً حتى يحكم الله بيننا وبين محمد] يعني: إن أبيتم الأولى وهي الإيمان بالرجل والمشي وراءه، فالثانية هي: أن نقتل النساء والأطفال ثم نخرج إلى محمد برجالنا وسيوفنا مصلتة فنقاتله حتى يحكم الله بيننا.
وهذه صعبة! ولو أراد الله بهم خيراً لكانوا لما عرض عليهم العرض الأول وافقوا، وقالوا: نتبعه أحسن من أن تقتل نساؤنا وأبناؤنا، لكن قدر الله ماض.
قال: [فإن نهلك، نهلك ولم نترك وراءنا نسلاً نخشى عليه، وإن نظهر فلعمري لنجدن النساء والأبناء] في كل مكان [قالوا: نقتل هؤلاء المساكين فما خير العيش بعدهم؟ قال: فإن أبيتم عليّ هذه، فإن الليلة ليلة سبت، وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنونا فيها] لأنهم يعلمون أننا لا نقاتل يوم السبت [فانزلوا لعلنا نصيب من أصحابه غرة، قالوا: نفسد سبتنا علينا] يعني: كيف نعصي ربنا ونقاتل ليلة السبت؟! [ونحدث فيه ما لم يحدثه من كان قبلنا إلا من قد علمت] القردة والخنازير لما صادوا في يوم السبت [فأصابهم ما لم يخف عليك من المسخ؟ وهنا قال كعب : ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازماً] أي: ما عرفتم الحزم، فكلكم هابطون.
يعني: كالعرب اليوم!

مفاوضة بني قريظة للنبي وما عرضوه عليه

قال: [عرض مرفوض] ما هو هذا العرض المرفوض؟ [ولما اشتدت حيرتهم وعظمت مخاوفهم أنزلوا رجلاً منهم هو شاس بن قيس ليفاوض رسول الله صلى الله عليه وسلم في شأنهم، فنزل وكلّم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرض عليه أن يعاملهم معاملة بني النضير بحيث يخرجون بأموالهم ونسائهم وأولادهم ويتركون السلاح، فأبى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم] قال: لا نقبل هذا الحل [فقال شاس : تحقن دماءنا وتعطينا النساء والذرية -فقط- ولا نأخذ من أموالنا شيئاً؟ فأبى صلى الله عليه وسلم إلا أن ينزلوا على حكمه، فعاد شاس فأخبرهم بنتيجة المفاوضات وأنها في غير صالحهم].

بعد أن حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه في يهود بني قريظة بحكم الله تعالى، وهو أن يقتلوا، وتسبى ذراريهم ونساؤهم، وتؤخذ أموالهم؛ نفذ فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الحكم العادل الذي يستحقونه لشؤم أعمالهم وقبيح فعالهم، فقتلهم عن بكرة أبيهم، وسبى ذراريهم ونساءهم، وقسم أموالهم بين المسلمين، واصطفى لنفسه من نسائهم امرأة يقال لها ريحانة، وقد أسلمت وبقيت عند الرسول صلى الله عليه وسلم حتى توفي، وبهذا طهرت المدينة من رجس اليهود وخبثهم بهذا الجزاء العادل والحكم الرباني.

نزول بني قريظة من الحصون بعد حصارهم

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.
أما بعد: لنقضي ساعة مع حبيبنا صلى الله عليه وسلم، وقد انتهينا إلى قول المؤلف -غفر الله له ولكم ورحمه وإياكم-: [كيف نزل القرظيون من حصونهم] نحن مع غزوة الخندق أو الأحزاب، وقد انتهت وفر المشركون عائدين إلى مكة وما حولها، وإلى نجد وما حولها، ولكن بنو قريظة ما زالوا في المدينة، وقد غرر بهم العدو وأدخلهم في الحرب، وأعلن الله الحرب عليهم، فجاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره بالمسير إلى بني قريظة، فقال صلى الله عليه وسلم: (لا يصلين أحدكم العصر إلا في بني قريظة)، ثم حاصرهم نصف شهر.
والآن كيف نزلوا من على حصونهم العالية؟ قال: [إنه لما صدر حكم الله تعالى على لسان سعد بن معاذ في بني قريظة] وتقدم لنا أن الرسول صلى الله عليه وسلم حكّم سعداً في اليهود، وأصدر حكمه، ووافق حكمه حكم الله من فوق سبع طباق [ورضي الحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون] وتذكرون لما ناشد سعد المؤمنين من المهاجرين والأنصار وطالبهم بالرضا بحكمه، قال: عليكم بذلك عقد الله وميثاقه أن الحكم ما حكمت فيهم؟ فقالوا: نعم.
فقال: وعلى من هاهنا؟ يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لا ينظر إليه إجلالاً وإكباراً، فقال الرسول: نعم.
فحكم بقتل رجالهم وسبي ذراريهم ونسائهم وأخذ أموالهم.
وهذا الحكم حكم الله به قبل أن يخلق سعداً .
وقلنا قبل إن بني قريظة طائفة كبيرة من طوائف اليهود بالمدينة النبوية من قبل الإسلام، تجمعوا هناك ينتظرون النبوة الجديدة الخاتمة؛ ليؤمنوا بالرسول الخاتم ويقاتلوا معه حتى يستردوا مملكة بني إسرائيل، هذه كانت آمالهم.
وشيء آخر أيضاً: وهو أن الرومان عذبوهم، وأحرقوهم بالنار، فهربوا إلى هذه الديار للأمن فيها؛ لأن أهلها كانوا مشركون جهال، لا يعلمون شيئاً.
قال: [ووافقوا عليه مجتمعين] الرسول والمؤمنون [كان القرظيون ساعتئذ في حصونهم] ما نزلوا [وقد أبوا أن ينزلوا على حكم سعد] وتذكرون ما فعل أبو لبابة حين استشاروه القرظيون، قال: اقبلوا حكم رسول الله وأشار بيده إلى عنقه، ولما نزع يده من عنقه عرف أنه وقع في الفخ، فارتعدت فرائصه وأعلن توبته مع أنه لم ينطق بشيء، وأتى المسجد وربط نفسه بسارية، ومكث مربوطاً حتى نزلت توبته.
قال: [فصاح علي بن أبي طالب قائلاً: يا كتيبة الإيمان -وتقدم هو و الزبير بن العوام - وقال: والله لأذوقن ما ذاق حمزة أو لأقتحمن حصنهم] وبهذا الإعلان انهزموا .
وهذه هي البطولات! فعلي و الزبير من جماعة ألف، وجماعة ألف هم مجموعة من الصحابة إذا طالب قائد القوات في المعركة ألف مقاتل بعثوا له بواحد من هؤلاء يكفيه، يدخل في ألف فيمزقهم وحده.
[فصاح اليهود] بأعلى أصواتهم [وقالوا: يا محمد! ننزل على حكم سعد بن معاذ] لم ما قالوا يا رسول الله؟ لأنهم لا يعترفون بأنه رسول الله [ونزلوا] من على حصونهم [فاقتيدوا إلى المدينة] المدينة النبوية، والعامة يقولون: المدينة المنورة [وحبسوا في دار بنت الحارث] امرأة كانت عندها بناية فحبسوهم فيها، فليس عندهم سجون ولا قلاع [وهي امرأة من بني النجار يقال لها: نسيبة بنت الحارث] سموا عليها بناتكم حتى تخلدوا ذكراها.

تنفيذ حكم الله في بني قريظة

قال: [تنفيذ الحكم] الحكم صدر على لسان سعد بن معاذ ووقّع عليه رسول الله والمؤمنون؛ لأنه حكم الله من فوق سبع سماوات.
[ثم خرج الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم] والمسجد آنذاك كان هو دائرة القضاء والحكم، فالمسجد ملتقاهم لمناجاة ربهم خمس مرات أو ساعات في اليوم والليلة، وفيه يتم القضاء وتتم كل التدبيرات المتطلبة للحياة [إلى سوق المدينة] وسوق المدينة طرف المسجد النبوي الآن [وأمر بحفر أخاديد فيها، ثم أمر أن يؤتى بهم أرسالاً، فتضرب أعناقهم ويلقون في تلك الأخاديد] والأخاديد جمع أخدود، وقد جاء ذكرها في القرآن، قال تعالى: وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ * وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ * وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ * قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ [البروج:1-4] من هؤلاء؟ الذين كانوا يقتلون المسيحيين المؤمنين بحرقهم في الأخاديد.

[وكانوا] أي: رجال بني قريظة [قرابة سبعمائة رجل] لأن كل من بلغ بإنبات الشعر أو احتلم فهو رجل، ومن لم يبلغ فهو مع النساء والأطفال [من بينهم كعب بن أسد رئيسهم] رئيس الطائفة اليهودية القرظية [وعدو الله حيي بن أخطب النضري] وهو الذي ألب الأحزاب وجمعها وجاء بها من الشرق والغرب [محزب الأحزاب لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين، وقد قالوا لكعب -وهم يساقون أرسالاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم] أي: جماعة بعد جماعة [إلى أين يُذهب بنا يا كعب ؟] يستفهمون سيدهم إلى أين يُذهب بهم! [فقال لهم: أفي كل موطن لا تعقلون؟ ألا ترون الداعي لا ينزع، وأنه من ذهب به منكم لا يرجع؟] المنادي ينادي لا يترك واحداً أبداً، وكل من ذهب لا يرجع، إذاً معروف أنهم يقتلون [هو والله القتل!!] طمأنهم!! [وأخيراً جيء بعدو الله حيي بن أخطب عليه حلة فقاحية] أي موشاة بالحمرة كالورد [قد شقها من كل جهاتها حتى لا ينتفع بها المسلمون] حتى لا تورث عنه وتؤخذ مزقها وهي على جسمه من كل جهة فلا ينتفع بها المسلمون، وهذا من أكابر شياطين الإنس، فعداوته أصيلة، متمكنة في قلبه، وهل هذا النوع موجود الآن؟ إي نعم، والله موجود بالآلاف بل بمئات الآلاف، لا يريدون أن ينجو مسلم أو يسعد.

قال: [جيء به مجموعة يداه إلى عنقه] مغلل بالأغلال [فلما نظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم] والرسول واقف في الأمة وهم ينفذون حكم الإعدام [قال: أما والله ما لمت نفسي في عداوتك] هذا حجر، والحجر أفضل منه [ولكنه من يخذل الله يخذل] فصاحة عجيبة! أي: خذلنا الله فخذلنا [ثم أقبل على الناس وقال: أيها الناس! إنه لا بأس بأمر الله، كتاب وقدر، وملحمة كتبها الله على بني إسرائيل] وهذا إيمان! ولا يوجد في المليون مسلم يعرف هذا الكلام أو يقوله عند الشدة، لا إله إلا الله! أهل كتاب عاشوا بين العرب وتعلموا لغتهم وفازوا بها، هذا مؤمن بالبعث والجزاء والرسل والدار الآخرة وكافر بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ورسالته، فهو إذاً من شر الكفار، ولا ينفعه إيمان بعد كفره بالإسلام ونبيه؛ فما دام لا يعمل بهذه الشريعة فإن نفسه لا تزكو وتطيب على الأوهام القديمة، وإذا لم يصم ويصلّ ويحج ويعتمر ويجاهد ويعمل بهذه العبادات فنفسه منتنة عفنة، قال تعالى: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا [الشمس:9] وهو ما زكاها.

وقد يقول قائل: ولو كفر بنبي وقد آمن بثلاثمائة وأربعة عشر نبياً؟ نقول: نعم.

لأنه إذا لم يعمل بما وضع الله من عبادات: من أعمال القلوب والألسن والجوارح فإن نفسه لا تزكو، وتبقى خبيثة منتنة كنفوس الشياطين والكافرين، إذاً كيف يدخل الجنة؟ مستحيل! وحكم الله قد صدر: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا [الشمس:9-10] ولو كنت ابن نبي أو أباه لا ينفعك نسبك أبداً، لا ينفعك إلا أن تؤمن بالله وتعمل على تزكية نفسك بما وضع الله لك من مواد.

قال: [ثم جلس فضربت عنقه] ضربة واحدة.

وألقي في الأخدود.

حكاية مقتل امرأة من نساء بني قريظة

قال: [القرظية العجب] امرأة من بني قريظة كان حالها عجباً! [لقد أُعدم كل من أنبت الشعر واحتلم من ذكران بني قريظة] وكانوا قرابة السبعمائة [إلا رفاعة] رفاعة يهودي لكنه لم يقتل [فقد استوهبته سلمى بنت قيس ـ أم المنذر النجارية ـ النبي صلى الله عليه وسلم] الله أكبر! طلبت من رسول الله أن يسلمها هذا اليهودي، فقال: خذيه [فقالت: يا رسول الله! بأبي أنت وأمي! هب لي رفاعة فإنه قد زعم أنه سيصلي ويأكل لحم الجمل] يصلي بمعنى يسلم، وأكل لحم الجمل دليل على صدق إسلامه، فلو كان ينافق ما أكل لحم الجمل؛ لأن اليهود لا يأكلون لحم الجمل.

[فوهبه لها فاستحيته، أما نساؤهم فلم يقتل منهم إلا امرأة واحدة قتلت بجناية ارتكبتها] وهي قتل الإنسان [وكانت المرأة عجباً في حياتها، ولنترك لأم المؤمنين عائشة] الصديقة رضي الله عنها [تحدثنا عنها] وكأننا نعيش معها، فتلك حجراتها.

[حدث عروة بن الزبير عن خالته عائشة رضي الله عنها] لأن عروة ابن أسماء بنت أبي بكر و أسماء أخت عائشة [قال: إنها قالت: لم يقتل من نساء بني قريظة إلا امرأة واحدة] هذا وهو يحدث التابعين من أولاد الصحابة، عن خالته بما أخبرته قال: قالت: لم يقتل من نساء بني قريظة إلا امرأة واحدة [إنها والله لعندي] أي: في البيت [تتحدث معي وتضحك وتتقلب ظهراً لبطن من الضحك] وهنا العجب [ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقتل رجالها في السوق؛ إذ هتف هاتفها باسمها: أين فلانة؟ قالت: أنا والله، فقلت لها: ويلكِ مالكِ؟ قالت: أقتل.

قلت: ولم؟ قالت: بحدث أحدثته] وكانت قد قتلت رجلاً برحى [فانطلق بها فضرب عنقها.

فكانت عائشة تقول: والله ما أنسى عجباً منها طيب نفسها وكثرة ضحكها، وقد عرفت أنها تقتل] لأن الإنسان إذا حكم عليه بالإعدام ولم يدر متى يطبق بعد عام أو عامين فإنه يبقى في كرب وهم، وهذه نادوها للقتل وهي تضحك وتتقلب ظهراً لبطن من الضحك، فتعجبت منها عائشة ، وحق لها أن تعجب.

قصة مقتل قرظي بعد أن عفي عنه

قال: [وقرظي أعجب: هذا القرظي الأعجب حالاً من القرظية العجب، هو الزَّبير بن باطا أحد أعيان بني قريظة] والزَّبير بالفتح، فالزَبير عندهم أكبر من الزُبير؛ لأن الزُبير تصغير، والزَبير كبير [وكان هذا الزبير قد مَنَّ على ثابت بن قيس بن شماس في الجاهلية، وذلك في حرب بعاث] التي كانت تدور بين الأوس والخزرج، ويهود بني النضير كانوا أحلافاً للأوس، وبنو قريظة كانوا أحلافاً للخزرج، وهذا الزَّبير بن باطا كان أعتق ثابت بن قيس بن شماس في الجاهلية وهو الآن في الإسلام شيخ كبير.

قال: [إذ قد جز ناصيته وخلى سبيله] بعد أن أخذه أسيراً في الحرب -حرب المشركين- جز ناصيته وخلاه [فجاء ثابت -وهو شيخ كبير- فقال: يا أبا عبد الرحمن! هل تعرفني؟] جاء للزبير وقت إعدامه [قال: وهل يجهل مثلي مثلك؟ قال: إني أردت أن أجزيك بيدك عندي] لأنه أعتقه ولم يقتله منذ أربعين أو خمسين سنة [قال الزبير : إن الكريم يجزي الكريم.
ثم أتى ثابت النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله! إنه قد كان للزبير بن باطا علي منة، وقد أحببت أن أجزيه بها؛ فهب لي دمه] أي: أعطني دمه؛ لأنه محكوم عليه بالإعدام [فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (هو لك)] وهبه معدوماً أو محكوماً عليه بالإعدام ليحيا ما شاء الله [فأتاه فقال له: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وهب لي دمك فهو لك] يعني: عفاه من القتل [فقال الزبير : شيخ كبير لا أهل له ولا ولد فما يصنع بالحياة؟] فهمتم ما قال الزبير بن باطا ؟! لما جاءته الحياة كاملة قال: وما الفائدة فليس عندي مال ولا ولد ولا امرأة، فلم أبقى حياً؟! وهو يستعطف بذلك لعله يحصل أيضاً على ماله وولده وزوجته.
[فأتى ثابت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله! هب لي امرأته وولده] يعني: ما دمت وهبتني الرجل فهب لي امرأته وولده [قال: (هما لك)] يا ثابت [فأتاه فقال له: قد وهب لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أهلك وولدك فهما لك، فقال] الزبير بن باطا [أهل بيت في الحجاز لا مال لهم، فما بقاؤهم على ذلك؟] يعني: أهل بيت في الحجاز الجدباء، حيث لا زبدة ولا عسل كالشام، ما قيمة بقائهم بدون مال؟! [فأتى ثابت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله! ماله قال: (هو لك)] وأعطاه ماله أيضاً.
يعني أعطاه حياته وأسرته وماله، وهذا هو الرسول الكريم، ووالله! لا أكرم منه صلى الله عليه وسلم.
[فأتاه ثابت فقال: قد أعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك فهو لك.
قال: أي ثابت : ما فعل الذي كأن وجهه مرآة صينية يتراءى فيها عذارى الحي كعب بن أسد؟] تذكر كعب الذي قتل، فرأى أنه لا خير في الحياة بعد موته.
عجب هؤلاء اليهود! والمراءي الزجاجية كانت تأتي من الصين، ويعني: أن وجهه جميل مشرق كأنه مرآة صينية يتراءى فيها أبكار الحي وجوههم، وهذا مدح عظيم [قال: قتل.
قال: فما فعل سيد الحاضر والبادي حيي بن أخطب ؟!] يعني: ما فعل حيي إذ قتل كعب [قال: قتل.
قال: فما فعل مقدمتنا إذا شددنا، وحاميتنا إذا فررنا، عزال بن سموءل ؟ قال: قتل] يتذكر عظماء رجالاتهم [قال: فما فعل المجلسان؟ يعني بني كعب بن قريظة، وبني عمرو بن قريظة، قال: ذهبوا قتلوا] كلهم [قال: فإني أسألك يا ثابت ؛ بيدي عندك إلا ألحقتني بالقوم] وهذه شجاعة! [فوالله! ما في العيش بعد هؤلاء من خير.
فما أنا بصابر لله فتلة دلو ناضح] أي زمن ما يفرغ دلو ماء، كناية عن أقصر زمن، يعني: لا أريد أن أصبر على هذه الحياة إلا مثلما تفرغ دلوك من الماء [حتى ألقى الأحبة، فقدمه ثابت فضرب عنقه.
ولما بلغ أبا بكر الصديق قوله: ألقى الأحبة.
قال: يلقاهم والله! في نار جهنم خالداً فيها مخلداً].
هذه أحداث عجيبة! وما زال اليهود -بنو عمنا- يسعون ليل نهار على إنهاء هذا النور وإطفائه، بل يسعون لإحباط كل عمل للبشرية يبقي على ذكورها وإناثها، حتى يصيروا كالبهائم فيركبهم بنو إسرائيل ويعيدوا مملكتهم، وكل مكر وكيد في العالم يصدر عنهم، والحروب كلها دارت بسببهم! كما أن المذاهب الفكرية المنحرفة كالبلشفية والشيوعية والعلمانية هم من قواها أو أوجدها، كما أوجدوا المسخ، وأندية اللواط، والقمار، والعري.
لماذا؟ قالوا: من أجل أن ترجع البشرية إلى الحيوانية، فإذا أصبحوا أبقاراً نركبهم كيفما نشاء.
ثم يعلنون عن المملكة الإسرائيلية! كان موشي ديان عليه لعائن الله يخطب في البرلمان -وعندنا تلميذ استشهد في الأفغان سمع هذا بأذنه- ولما أعجبوا بخطبته قالوا له: أنت الملك! وأنت كذا .
فقال: اسكتوا، لم يحن الوقت بعد .
وأزيدكم من السياسة التي ربما مضت عليكم وأنتم أحداث فلا تعرفونها: كلمة (ملك) أصبحت كأنها سم، وفي أوروبا والدنيا كاملة يقولون: اقتلوا الملوك! افتح بطن العالم وخذ مصارينه واخنق بها الملك! فإذا بالجمهوريات تظهر بتخطيط اليهود، وانتقل ذلك إلى بلاد العالم الإسلامي، وهذا كله من تعليم اليهود وكيدهم؛ لأنهم لا يريدون أن يبقى خير في البشرية، فامسخوها، وبالفعل فعل الناس ما خطط له اليهود وقتلوا الملوك وفعلوا بهم ما فعلوا؛ استجابة لسحر اليهود، وإلى الآن ما أفقنا ولا عرفنا أبداً، يقولون: الجمهورية! وأنا أقول: أروني رئيس جمهورية تذوق أهله أو مواطنوه الطعم الطيب أو عرفوا الراحة؟! إن كل خبث اليهود هم الذين ينشئون خلاياه الأولى؛ لتنمسخ البشرية.
وقلنا بالأمس: أين النصارى الذين كانوا يعرفون بالرحمة والإحسان؟ لقد مسخوا وتحولوا إلى شر الخلق بالعمل اليهودي.

قسمة أموال بني قريظة بين المسلمين

قال: [أموال بني قريظة] من أخذها وماذا فعل بها؟ [بناءً على حكم سعد بن معاذ الذي وافق فيه حكم الله تعالى، ورضيه رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، فإن أموال بني قريظة -كنسائهم وذراريهم- تقسم على المسلمين، فلذا قسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأعطى للفارس ثلاثة أسهم] والفارس هو صاحب الفرس، يأخذ سهمين للفرس؛ لأنه يطعمه، وسهماً له [وللراجل سهماً] واحداً [بعد أخذ الخمس] للدولة.
لرسول الله ومن أمر الله أن ينفق عليهم [الذي هو لله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل.

وعلى هذه السُّنة مضت في الإسلام قسمة الغنائم إلا أن بعض أئمة الفقه] ولعلهم المالكية [يرون أن الفارس يعطى سهمين والراجل يعطى سهماً واحداً] والعلة معروفة فصاحب الفرس يطعم فرسه، ثانياً: حربه أقوى من حرب الماشي، فما يحدثه من زلزال في العدو أكثر مما يحدثه الراجل، فلهذا تشجيعاً له على شراء الخيل والركوب عليها والجهاد بها، يعطيه الإمام ثلاثة أسهم أو سهمين.
[ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن زيد الأنصاري -أخا بني عبد الأشهل- بسبايا من سبايا بني قريظة إلى نجد فباعهم، واشترى بثمنهم خيلاً وسلاحاً للمسلمين] لأن النساء والأطفال يباعون في أسواق العالم كسبايا، واشترى بالثمن خيلاً وسلاحاً للمسلمين.

إسلام ريحانة القرظية بعد اصطفاء النبي صلى الله عليه وسلم لها

قال: [ريحانة الحبيب صلى الله عليه وسلم] والريحان أطيب رائحة الزهور.
[ريحانة : امرأة من بني عمرو بن قريظة، اصطفاها رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل قسمة السبايا] وللرسول أن يأخذ ما شاء قبل القسمة [وعرض عليها الزواج بها ويضرب عليها الحجاب فأبت] وأنت كذلك إذا أردت أن تتزوج امرأة لا تتحجب اشترط عليها، فإن قالت: لا.
قل: لا أتزوجكِ.
هذه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.
فقد عرض على ريحانة الأسيرة بعد أن اصطفاها الزواج بشرط أن تحتجب، فرفضت؛ لأنها اعتادت كشف وجهها، وهي لا تلبس (الميني جيب) ولكن وجهها فقط [وقالت: يا رسول الله! اتركني في ملكك، فهو أخف علي وعليك، فتركها] تأكل وتشرب باقية عنده [وعرض عليها الإسلام فأبت إلا اليهودية، فعزلها ووجد في نفسه لذلك من أمرها] تألم في إبعادها [فبينما هو مع أصحابه، إذ سمع وقع نعلين خلفه] رجل يمشي وراءه [فقال: (إن هذا لـثعلبة بن سعية يبشرني بإسلام ريحانة .
فجاء فقال: يا رسول الله! قد أسلمت ريحانة)، فسره ذلك من أمرها فكانت عنده صلى الله عليه وسلم حتى توفي وهي في ملكه رضي الله عنها] هذا فضل الله.

دعاء

يا حي يا قيوم، يا أرحم الراحمين، ويا رب العالمين، اللهم إنا نستقيك، يا ولينا فأسقنا، اللهم إنا نستغيثك فأغثنا، اللهم إنا نسألك فأعطنا، اللهم أسقنا وأغثنا ولا تجعلنا من القانطين، اللهم سقيا عاجلة غير آجلة، نافعة غير ضارة يا رب العالمين.
اللهم ونستسقيك لقلوبنا الجافة اليابسة، اللهم لينها، اللهم لينها، واسقها بنور محبتك ونور لقائك يا رب العالمين، اللهم زك أنفسنا، وآتها هداها وتقواها، أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها.
اللهم إننا بيننا مرضى، وفي بيوتنا مرضى، وفي مشافينا مرضى، ولا شفاء إلا شفاؤك، فاشف اللهم مرضانا يا رب العالمين، اللهم اشف مرضانا ومرضى المؤمنين، اللهم احفظ علينا هذه النعمة، نعمة الإسلام يا حي يا قيوم وارزقنا الأمن والعافية في الدنيا يا رب العالمين، وارزقنا رضاك ومحبتك ودار السلام يوم نلقاك يا رب العالمين.
وصل اللهم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

بعد غزوة بني قريظة توفي سعد بن معاذ رضي الله عنه متأثراً بجراحه التي أصيب بها في غزوة الخندق، وهو صحابي جليل، اهتز عرش الرحمن لموته رضي الله عنه، وهو الذي حكم في بني قريظة بحكم الله تعالى فيهم، وهو الحكم الذي يستحقونه؛ لغدرهم وشناعة أفعالهم، وفي ذلك من العظات والعبر ما ينبغي على المؤمن الوقوف عنده، والاستفادة منه.

وفاة سعد بن معاذ رضي الله عنه

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.
أما بعد: لنقضي ساعة مع حبيبنا صلى الله عليه وسلم، وقد انتهى بنا الدرس إلى [وفاة سعد بن معاذ رضي الله عنه] وسعد بن معاذ أحد رجالات الإيمان، من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، سيد الأنصار، الذي لما توفي اهتز لوفاته عرش الرحمن فرحاً بروحه إلى الملكوت الأعلى، رضي الله عنه وأرضاه، وجعلنا من محبيه المترضين عليه.
قال: [بعد أن حكم سعد بن معاذ في بني قريظة] وحكّم سعداً في بني قريظة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد حكم -كما علمتم- بحكم الله فيهم من فوق سبع سماوات، ووافق حكم سعد حكم الله عز وجل، وهذا هو التوفيق؛ توفيق الله لأوليائه.
وبنو قريظة هم الطائفة الأخيرة من اليهود بالمدينة، وعرفنا سابقاً أن بني قينقاع أول طائفة من اليهود أجلاهم الرسول صلى الله عليه وسلم لغدرهم ونكثهم العهد، التحقوا بأذرعات من الشام، والطائفة الثانية وهم بنو النضير في شرق المدينة، نقضوا العهد وخانوا وتآمروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرادوا قتله، فأجلاهم الله، قال تعالى: وَلَوْلا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ [الحشر:3]، وزعيمهم هو حيي بن أخطب الذي حزب الأحزاب وألبها على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويوجد مثل حيي إلى يوم القيامة في اليهود، من أهل المكر، والرغبة في سفك الدماء وإزهاق الأرواح.
إذاً: بعد أن حكم سعد بن معاذ في بني قريظة [بحكمه الذي وافق حكم الله تعالى وحكم رسوله عادوا به إلى خيمة رفيدة بالمسجد النبوي تعالجه وتشرف عليه رفيدة] وكان قد أصيب في طريقه إلى الخندق بسهم في أكحله، و رفيدة رضي الله عنها كانت قد أقامت مصحة في المسجد، أو خيمة تعالج فيها الجرحى والمرضى في سبيل الله، فالرسول صلى الله عليه وسلم وضع عندها سعداً ليقرب من زيارته، فلما جاء دور بني قريظة، وارتضى يهود بني قريظة بحكم سعد ، جيء به على حمار، وحكم بأن تسبى ذراريهم ونساءهم ويقتل رجالهم وكانوا قرابة السبعمائة؛ لأنهم خانوا وغدروا وأعلنوا حرباً ضد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الاتفاقية الرسمية التي وقعت بينه وبينهم يوم هاجر إلى المدينة.
[ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من بني قريظة، حيث تم قتل رجالهم وقسمت أموالهم ونساؤهم وذراريهم، وفي ذات ليلة انفجر عرق سعد الذي كان قد رقأ حتى أقر الله تعالى عينيه بهلاك بني قريظة -كما سأل ربه ذلك-] فهو لما أصيب بالسهم في يده سأل الله تعالى أن لا يتوفاه حتى يريه ما تقر به عينه في بني قريظة، لتألمه وتحسره على نقضهم العهد، واستجاب الله له.
[فأتى النبي صلى الله عليه وسلم جبريل] وجبريل هو رسول الله إلى أنبيائه ورسله، وهو الذي يمثل السفارة الحقة بين الملك جل جلاله وبين أنبيائه ورسله، واليهود يقولون في جبريل: عدو بني إسرائيل، وعدو اليهود؛ لأنه يأمر بالحرب والقتال [وقال له: يا محمد! من هذا الميت الذي فتحت له أبواب السماء واهتز له العرش؟ فقام صلى الله عليه وسلم سريعاً يجر رداءه إلى سعد] أي: كان عجلاً فما ضم رداءه إليه، فبمجرد أن سمع الرسول صلى الله عليه وسلم الخبر من جبريل -وجبريل لم يعلم من هو، فلم يعلمه الله- توقع النبي صلى الله عليه وسلم أن يكون سعداً ؛ لأنه جريح في المستشفى [ولحق به أبو بكر و عمر ، فوجده قد مات شهيداً متأثراً بجرحه الذي أصيب به في الخندق يوم أتى الخندق وهو ينشد: لبث قليلاً يدرك الهيجا جمل لا بأس بالموت إذا حان الأجل] كان يقول هذا وهو في طريقه إلى الخندق ليساهم ويشارك في قتال الأحزاب.
ومعناه: أنه لا بأس بالموت إذا كان لله وفي سبيل الله.
أما من يموت ظالماً طاغياً فاجراً كافراً فاسقاً، فما بالموت أبداً من خير ؛ لأنه ينتقل إلى عالم الشقاء أبدياً.
ونلاحظ هنا الشيخين أبا بكر و عمر رضي الله عنهما وأرضاهما، اللذين ما بلغ أحد من الصحابة مستواهما في الفضل والكمال، أما أبو بكر الصديق فقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه (لو وضع إيمان الأمة كلها في كفة وإيمان أبي بكر في كفة لرجح إيمان أبي بكر).
ولكن هل بلغكم أن مِمن ينتسبون إلى الإسلام يتقربون إلى الشيطان بسبهما وبغضهما وتكفيرهما؟! وليست أحداثاً أو أياماً مضت بل هي عقيدة مستمرة إلى اليوم، لماذا؟! آلله أوحى إليهم أن أبغضوا فلاناً وفلاناً؟ هل أوصاهم الرسول بهذا؟! كيف يتم هذا؟! والله لقد تم وهم يتقربون -في زعمهم- إلى الله ببغض الشيخين وتكفيرهما.
وأقول هذا الكلام علَّ من يحضر أن يبلغه.
ثانياً: كيف تعيش وتدعي الإسلام وتريد الجنة دار السلام، ومواكبة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وتعلم يقيناً أن المسلمين من أهل السنة يكفرونك، ويعلنون أنك كافر وترضى بذلك، وتأكل وتشرب وتنكح ولا تبالي؟! إذاً: لست بمؤمن بالله ولا بلقائه.
يجب أن تصرخ، أو تقع على الأرض صريعاً، كيف أعيش على الكفر وأنا أريد الله والدار الآخرة؟ ولكن لا سؤال ولا علم ولا بصيرة!!
وبالمناسبة عثرت اليوم على موقف لأبي بكر و عمر وهي: أنه لما ولي أبو بكر الخلافة بإذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولي عمر

قاضياً في المدينة، فجلس سنة كاملة ما تقاضى إليه اثنان، طوال سنة كاملة ما شكى أحدٌ آخر، فقال عمر: يا أبا بكر ! ما قيمة وظيفتي هذه؟ لقد مضت سنة فما اختصم إلي اثنان! -وهذا لأنهم مؤمنون إخوة، يحب بعضهم بعضاً، وينصر بعضهم بعضاً، ويرحم بعضهم بعضاً- وترك القضاء رضي الله عنه.

وهنا في المملكة في بداية حكم عبد العزيز تغمده الله برحمته -والكبار موجودون يشهدون- كان الشيخ محمد بن الطوخي قد تولى القضاء في محكمة المدينة -وقد أدركنا المحكمة والشيخ محمد رحمة الله عليه- فكان يدخل المحكمة يجلس ويجلس، فلا يأتيه أحد، فيخرج عند الباب ويقول: هل من متقاضٍ؟ فلا يجد أحداً، فيمشي إلى المسجد أو إلى بيته.

وتفسير هذه الظاهرة أن هناكً مؤمنين صادقين في إيمانهم، عرفوا أخوة الإيمان ونصرة المؤمنين وولاءهم، وكيف لمؤمن أن يسلب حق مؤمن؟! كيف لمؤمن أن ينال من عرض مؤمن؟! كيف لمؤمن أن يدعي أو يكذب على مؤمن؟! كيف يتم هذا؟! لا يتم إلا في ظل ضعيف الإيمان.

والآن اسألوا القضاة والمحاكم عما فيها، ومعنى هذا أننا بعدنا عن ساحة الرضا، وأفنية كمال الإيمان؛ وعلة ذلك جهلنا وإقبالنا على أوساخ الدنيا وقاذوراتها، وأنسانا ذلك ربنا والوقوف بين يديه، واللقاء الذي يقضي فيه بيننا، فلهذا ننهش ونأكل ونعض ونشتم كالحيوانات إلا من رحم الله عز وجل.

قال: [قالت عائشة رضي الله عنها] وهي أمنا، ونحن نفاخر بذلك ونعلي أصواتنا به، فالله تعالى يقول: وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ [الأحزاب:6]، فأزواج رسول الله أمهاتنا معشر المؤمنين! تسأل أحدهم: أمؤمن أنت؟! فيقول: نعم، ثم يسب أم المؤمنين أو يفتري عليها!! كيف تسب أمك! وتفتري عليها! وتنسبها إلى الفجور والزنا! هل أنت عاقل؟! لقد غرروا بنا وخدعونا، ولكن لماذا نبقى مخدوعين، لماذا لا نذهب إلى الشرق والغرب والشمال والجنوب لنسأل علماء هذه الملة، ونعتقد الحق ونتخلى عن الباطل؟! حجتهم: قال لي شيخي كذا .

!! فأنا لا أتراجع! ولو فرضنا أنه لم يبلغك طوال حياتك أن هناك مسلماً يقول ببطلان عقيدتك أو أنك كافر بهذا الاعتقاد فأنت معذور، فما بالك إذا قال (75%) من المسلمين بأن عقيدتك باطلة، وأنت من أهل النار، كيف ترضى وتسكت؟ يجب أنت تبكي، وتمشي على رجليك لتسأل أهل العلم، وتصحح عقيدتك وما أنت عليه.

إنها أمور محزنة، وهي متجلية في المسلمين عامة، بل أكثر من هذا، إنا لله وإنا إليه راجعون! إن عائشة رضي الله عنها مات رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجرها، مستنداً إلى صدرها، تقول رضي الله عنها: (مات رسول الله بين سحري ونحري)، كيف بعد ذلك يسبها ذو دين أو عقل أو مروءة؟! قالت: [سمعت بكاء أبي بكر و عمر على سعد] سمعت بأذنيها بكاء أبي بكر أبيها، و عمر رضي الله تعالى عنهما على سعد بن معاذ [إلا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يبكي على أحد] وهذا كمال، ولما قُدم إليه صلى الله عليه وسلم إبراهيم ابنه ابن مارية القبطية -وهو يرضع لم يكمل العامين بعد- وهو يجهش بروحه، استلمه بيديه ثم ذرف الدمع وقال: (العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي الرب، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون)، ولهذا قالت: سمعت بكاء أبي بكر و عمر أما النبي صلى الله عليه وسلم فكان لا يبكي على أحد.

[ولكن إذا اشتد وجده أخذ بلحيته صلى الله عليه وسلم] إذا اشتد وجده الباطني وألمه النفسي، أخذ بلحيته، وهذه علامة حزنه وألمه.

أين لحاكم أيها الفحول؟! يا من تحبون رسول الله! وبماذا ستمسكون إذا لم يكن لكم لحى؟! توبوا إلى الله؛ لتنتهي هذه الفتنة، ولدينا شاهد آخر، فموسى عليه السلام أخذ بلحية أخيه هارون، قال تعالى حاكياً عنهما: لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي [طه:94]، وموسى عليه السلام كان قوياً، ويكفيه أنه لكم قطبياً لكمة فمات على الفور، فلما استخلف هارون في بني إسرائيل بعد نجاتهم من فرعون ذهب إلى الله ليأتيهم بالدستور الإسلامي الذي يحكمهم به، وذلك في جبل الطور حيث ناداه ربه وناجاه قبل أن يدخل الديار المصرية ويحارب فرعون والمشركين، فقال: يا هارون ابق أنت مع بني إسرائيل، وأنا سأذهب إلى ربي، لآتيكم بالدستور الذي أحكمكم به، فلما رجع وجدهم قد عكفوا على العجل ففعل بهارون ما فعل -عليهما السلام أجمعين-.

وجملة (الدستور) شاء الله أن نكررها مئات المرات أيام استقلالات العرب، وكان كل أقليم إذا استقل عن فرنسا أو بريطانيا لا يأتي إلى السلطان عبد العزيز ويقول: أعطنا الدستور الذي تحكم به هذه المملكة التي سادها الأمن والطهر لنحكم به بلادنا.

أما سمعتم القاضي في بلاد عبد العزيز يقول: هل من متقاض؟!.

والله إنا كنا نبيت وأبوابنا مفتوحة، بل نزلنا في بيوت بلا أبوابً، ووالله! إن دكاكين الذهب والجواهر ليس عليها إلا خرقة فوقها، أقول هذا وستسألون عنه يوم القيامة.

لقد استقلت الأقاليم الكبيرة كباكستان أو الصغيرة كالكويت -مثلاً-، وكانت كلها تحت سلطان الكفر تطبق فيها شرائعه، ولما استقلت وانفصلت عن سلطة الكفر كان من المفروض والواجب العيني أن يأتي زعماؤها إلى السلطان عبد العزيز يقولون: استقبل إقليمنا أو بلدنا فابعث لنا بقضاة يطبقون الشريعة بيننا.

ولو فعلوا هذا إلى آخر قطر استقل، لكانت الخلافة الإسلامية قائمة.

كان يجب على كل إقليم عندما يستقل -والله العظيم- أن يأتي أهله إلى إمام الحرمين مطبق الشريعة، ويقولون: ابعث لنا القضاة؛ حتى نطبق حكم الله، وهم يشاهدون آثاره أمناً وطهراً وسلاماً، فلا طائفية ولا حزبية ولا ولا .

أمة تعيش وكأنها في أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن لم يفعلوا، وكان كل إقليم يستقل يأتي بقوانين بريطانيا أو فرنسا أو إيطاليا ويحكمها في الناس، أيجوز هذا؟! موسى عليه السلام ما إن استقل ببني إسرائيل واجتاز البحر ونزل على ساحله، حتى ذهب إلى الله ليأتيهم بالحكم الذي يحكمهم به، وهذه الكلمة كررناها وهي مسجلة في ديوان الملائكة، ويوم القيامة نسأل عنها.

نتائج وعبر من غزوة بني قريظة

قال: [نتائج وعبر: إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبراً نجملها فيما يأتي]
ثالثاً: بيان أن في الوفاء النجاة، وأن الصدق منجاة

[ثالثاً: بيان أن في الوفاء النجاة، وأن الصدق منجاة] وهذا الكلام على ألسنة الناس: الصدق منجاة، والنجاة في الصدق، والهلاك في الكذب، ومرت بنا حادثة وهي أن أحد المؤمنين من مشايخ العلم كان جالساً بين أصحابه، فجاء رجل ترتعد فرائصه ويصرخ يقول: أمنوني! أمنوني! فالعدو يجري ورائي، فقالوا: ادخل في الحطب أمامنا، فدخل فجاء طالبه يقول: أين فلان؟ فقال: ها هو في الحطب.
قالوا: تسخر منا.
نحن مشغولون بهمنا وأنت تستهزئ بنا! وانصرفوا يبحثون عنه.
فنجا بكلمة الصدق.
فيا عبد الله! ويا أمة الله! اصدق واصدقي، تنجو وتنجي.

رابعاً: بيان فضل رفيدة الأسلمية في بنائها خيمة في المسجد تعالج فيها الجرحى
[رابعاً: بيان فضل رفيدة الأسلمية في بنائها خيمة في المسجد تعالج فيها الجرحى، كأنها بنت مصحة اليوم وتعالج فيها بنفسها فضربت المثل في ذلك] امرأة مؤمنة بنت خيمة في المسجد، وكانت تسهر الليل تعالج جرحى المؤمنين بأدوات العلاج.

خامساً: بعض الأفراد من البشر أمرهم عجب
[خامساً: بعض الأفراد من البشر أمرهم عجب] يوجد من الناس من أمره عجب العجاب [كالقرظية القتيلة] كان رجال الرسول يقطعون رءوس بني قريظة ويلقون بها في الأخاديد، وهذه القرظية في بيت عائشة تضحك وتتقلب ظهراً لبطن كأنها آمنة، ثم جاء المنادي ينادي باسمها، فقالت: نعم.
قالت عائشة: ما لك؟ فقالت: أُقتل.
فقالت عائشة : لم؟ قالت: لأنني قتلت رجلاً.
وكانت تضحك وكأنه لم يخطر ببالها، وهي تعلم أنها ستقتل، فكانت عجباً، وتعجبت عائشة منها كيف أنها كانت تضحك وتتقلب ظهراً لبطن وإخوانها يقتلون وهي أيضاً مسجلة في قائمة الذين سيقتلون.
[و الزبير بن باطا] وهذا يهودي عجب أيضاً، وكان قد تفضل على رجل من رجال المدينة في الجاهلية وهو ثابت بن قيس فأعتقه، فلما وقع الزبير بن باطا في القتل مع إخوانه جاء ثابت بن قيس يطلب من رسول الله أن يهب له هذا الرجل حتى لا يموت، فقال: (هو لك)
فقال الزبير : كيف أحيا ولا مال لي ولا ولد ولا كذا .
المهم وهب له الرسول ماله ووهب له أهله.
وأخيراً قال: ما قيمة الحياة إذا مات حيي وذكر بعض عظماء رجالاتهم، وقال اقتلني يا ثابت ، فقتله.
فهذا الزبير بن باطا عجب كتلك اليهودية، وهبت له حياته وأولاده وماله، ثم أسف كيف يعيش وقد مات رجال من بني قريظة، ورأى أن الموت خير له من الحياة، فألحق بالهالكين.

سادساً: تجليات الكرم والحلم والحزم المحمدي في غزوة بني قريظة
[سادساً: تجليات الكرم والحلم والحزم المحمدي في غزوة بني قريظة، يرى ذلك كل من استعرض أحداث هذه الغزوة].

ثانياً: بيان فضل الله تعالى على أبي لبابة في قبول توبته
[ثانياً: بيان فضل الله تعالى على أبي لبابة في قبول توبته] وأبو لبابة صاحب من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، بعث به رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني قريظة لصلته بهم، فعرض عليهم حكم الرسول صلى الله عليه وسلم فقبلوا، فرحمة بهم أشار بيده إلى عنقه، بمعنى أن هذا الحكم معناه أنه يقتل رجالكم.
وما إن خطى خطوة حتى انهارت قواه وبكى وعرف أنه خان الله ورسوله، وجاء من بني قريظة وربط نفسه في سارية في المسجد، وأمر أن يبقى هكذا حتى يتوب الله عليه، ولم يسمح لأحد أن يحله وثاقه أو يفك أسره، وحلف أن لا يُحل من السارية حتى يحله رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولما علم الله صدقه ورحمته وتوبته تاب عليه، ونزلت توبته في سورة التوبة، ثم جاء الرسول صلى الله عليه وسلم وفك رباطه بيده صلى الله عليه وسلم.
قال: [وفضل أبي لبابة في صدق لجئه إلى ربه تعالى] ما إن عرف أنه أخطأ، وزلت قدمه، حتى هرع تائباً خائفاً، وهو قطعاً -والله الذي لا إله غيره- لا يريد إلا نصرة الرسول والمؤمنين، ولكن فقط العاطفة، فقد عاش مع هذه القبيلة وتعامل معهم، وقضية الموت صعبة، وقد عرف أنهم إذا رضوا بحكم الرسول صلى الله عليه وسلم فإنهم يقتلون، فأشار بيده هكذا، وما نطق، ومع هذا حصل الذي حصل.

أولاً: بيان وبال عاقبة الغدر والخيانة وأنه عائد على صاحبهما

[أولاً: بيان وبال عاقبة الغدر والخيانة وأنه عائد على صاحبهما] تجلى لنا هذا في بني قريظة، فعندما جاء الحبيب صلى الله عليه وسلم مهاجراً إلى المدينة اضطر اليهود إلى معاهدة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكتبت الوثيقة وأمضيت ووقعت ثم غدروا بعد ذلك، واليهود أهل غدر وخيانة إلى اليوم؛ وهذا لما علمنا من رغبتهم الأكيدة في أن يسودوا العالم البشري، وإن شئتم أحلف لكم بالله، فنساؤهم ورجالهم وأطفالهم، كلهم لا هم لهم إلا أن تعود مملكة بني إسرائيل من الشرق إلى الغرب، وهم مجموعة من الناس يحكمون العالم بالكيد والمكر والخداع.

أول ضربة ضربوا الصليبيين المسيحيين بالبلشفة والشيوعية، وأحلف لكم بالله على ذلك، لقد كان المسيحي لا يستطيع أن يفتح عينيه في وجه يهودي من بغضه له، لأنه يرى أنه قتل إلهه، كان يقول: هذا قاتل إلهي!.

أيقتل إلهه ثم ينظر إليه؟! ووالله! لقد ثبت أن النصارى كانوا يجمعون اليهود ويقلونهم في الزيت.

إذاً: كيف استطاع اليهود أن يوجهوا أوروبا وأمريكا توجيههم الخاص؟ بالمكر والكيد والخديعة.

إن ثلاثة أرباع الصليبيين أصبحوا لا يؤمنون بالله ولا بعيسى، فهم بلاشفة أو علمانيون يقولون: لا إله والحياة مادة، ولما انسلخوا من المسيحية ذات الرحمة والطهر أكبّوا على الزنا والفجور والربا والخديعة والغش؛ إذ ليس هناك من يخافونه أو يرهبونه، فهبطت المسيحية هبوطاً عجيباً، وانتقل ذلك إلى العالم الإسلامي، ومن أهبطنا من علياء السماء إلى الأرض إلا هم ومن تعاون معهم!! وبنو قينقاع كشفوا سوءة مؤمنة في سوقهم، عندما جاءت تشتري من يهودي قطعة من الفضة أو تصوغها وهي متلثمة متعممة متحجبة، فبينما هي جالسة عمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها، فلما قامت انكشفت سوءتها، فصاحت ووقعت على الأرض، فقام مسلم إلى اليهودي فقتله، وشد اليهود على المسلم فقتلوه.

إذاً: نقضوا عهدهم، ومن رحمة محمد صلى الله عليه وسلم أنه قبل فيهم شفاعة ابن أبي وأجلاهم إلى ديار الشام.

أما بنو النضير وهم أعلم وأقوى وأقدر، فقد ذهب إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أصحابه يطالبهم بالمشاركة في دية قتيل؛ لأن الاتفاقية تنص على هذا، إن التزم الرسول بديات فإنهم يساهمون فيها، وإن التزموا هم بديات ساهم الرسول معهم، وهذا شأن التعاون، فلما مشى إليهم أجلسوه تحت ظل جدار وقالوا: مرحباً وأبشر، ثم جاء الشيطان فوسوس لأحدهم وقال: الفرصة سانحة، وهذا هو اليوم الذي يمكن أن نتخلص فيه من محمد.

كيف؟! قال: نأتي برحى فنلقيها على رأسه من السطح، وبذلك ننتهي من هذه المشكلة.

وعزموا على ذلك، وجاءوا بالرحى، فأوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الفور، فأخذ رداءه ومشى، ثم لحق به أصحابه، ووصل إلى المدينة فأعلن الحرب بينه وبينهم؛ لأنهم نقضوا عهدهم، وحاصرهم برجاله ثم استسلموا وانقادوا ورضوا بحكم الله: أن يخرجوا إلى ديارهم، إلى الشام، وأخذوا أموالهم أيضاً، ومروا بخيبر ديار اليهود فبقي هناك حيي بن أخطب ليمكر مرة أخرى، وهو الذي ألب الأحزاب من بني غطفان وقريش وما إلى ذلك وجاء بهم لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أما بنو قريظة الغادرون الخائنون لما جاءت الأحزاب سكتوا، وما استطاعوا أن يقولوا شيئاً، وإن كانوا يتمنون أن ينهزم الرسول ويموت، فجاء حيي كعب بن الأشرف وحرضه على نقض عهد رسول الله معهم، المهم نقضوا العهد وأعلنوا الحرب مع الأحزاب، فلما غدروا ونقضوا حاصرهم النبي صلى الله عليه وسلم خمسة عشر يوماً، ثم نزلوا على حكم سعد ونفذ الرسول حكم الله فيهم.

إذاً: هذه فائدة عظيمة وهي: بيان وبال عاقبة الغدر والخيانة وأنه عائد على صاحبه.

قال: [وفي القرآن الكريم يقول تعالى: فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ [الفتح:10]] فمن غدر وخان وحل العقد (فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ) أي: عاقبة ذلك الغدر والخيانة تعود عليه [وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ [فاطر:43]] وهذه سنة الله في الأرض، أنه لا يحيق المكر السيئ إلا بأهله الماكرين، أما الممكور بهم ينجيهم الله عز وجل، وتجلى هذه في بني غدر بني قريظة عليهم لعائن الله، فقتل رجالهم، وسبي نساؤهم وذراريهم، وأخذت أموالهم كما تقدم.

المنافقون شر الناس جميعاً؛ فهم لخبثهم ومكرهم وكيدهم للإسلام وأهله وطعنهم فيه وفي حملته دخلوا في الدين وتظاهروا به، ومن جملة ما فعلوه في هذا السبيل افتراؤهم على أم المؤمنين الطاهرة المطهرة عائشة رضي الله عنها ورميهم لها بالإفك، كي يطعنوا في نبي الإسلام ودين الإسلام وحملة الإسلام، ولكن الله تعالى لهم بالمرصاد، فقد كشفهم وفضحهم، وبين كذبهم وافتراءهم وإفكهم، وبرأ عائشة رضي الله عنها مما قالوه، وسيجازيهم في الآخرة بالعذاب الأليم، وهم موجودون في كل زمان، وقى الله الإسلام والمسلمين شرهم.

حادثة الإفك

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: لنقضي ساعة مع حبيبنا صلى الله عليه وسلم، وقد انتهى بنا الدرس إلى [حادثة الإفك] المؤلمة، وهذه الحادثة تمت على إثر غزوة بني المصطلق، التي سبقت دراستها في الأسبوع الماضي.

قال المؤلف غفر الله له والسامعين والسامعات: [عند عودة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من غزوة بني المصطلق وقريباً من المدينة] وهم عائدون [نزل الرسول صلى الله عليه وسلم منزلاً] ليلاً للاستراحة [ثم رحل، وحدث في ذلك ما حدث، ولنترك لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، صاحبة القصة تحدثنا عنها بالتفصيل] إذ هي صاحبة القصة [كما روى ذلك أصحاب السنن وأهل التفسير.

قالت رضي الله عنها: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه] وأيتهن خرجت قرعتها تخرج معه، إذ لا يتأتى أن يصحب معه مجموعة من النساء، فهو يأخذ واحدة؛ يستعين بها على حوائجه أثناء سفره ذهاباً وإياباً وإقامة [فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه] وهنيئاً لها [فلما كانت غزوة بني المصطلق، أقرع بين نسائه، فخرج سهمي، فخرج بي معه] فضل الله وتدبيره [وكان النساء إذ ذاك يأكلن العُلق لم يَهجهن اللحم فيثقلن] تريد أن تقول رضي الله عنها أن تلك الفترة كانت صعبة والطعام كان قليلاً، فكان النساء يأكلن العلق، وهذا الأكل القليل لم يهج اللحم فيهن، فهن ضعيفات؛ لقلة الأكل.

قالت: [وكنت إذا وصل بعيري جلست في هودجي، ثم يأتي القوم الذين يُرحلون بعيري، فيحملون الهودج وأنا فيه فيضعونه على ظهر بعيري] لخفتها كانت تركب في الهودج وتبقى جالسة، فإذا أرادوا الرحيل يأتي الرجال فيأخذون الهودج وهي فيه فيضعونه على البعير؛ لأن وقتها كانت آيات الحجاب قد نزلت، فليس من طريقة إلا هذه، فكانت تدخل في الهودج وهو كالقبة، أو كالسيارة الصغيرة، وتجلس فيه، فإذا جاء الرجال أخذوا الهودج ووضعوه على ظهر البعير، وهذا معناه: أنها كانت قليلة اللحم، خفيفة جداً.

[ثم يأخذون برأس البعير ويسيرون] يقودون البعير [قالت: فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره ذلك] تعني: ارتحل [-وكان قريباً من المدينة- بات بمنزل بعض الليل، ثم ارتحل هو والناس، وكنت قد خرجت لبعض حاجتي، وفي عنقي عقد لي من جُزع ظفار] والجزع هو الخرز، وظفار مدينة في جنوب اليمن نسب إليها الخرز [انسل من عنقي ولا أدري، فلما رجعت التمست العقد فلم أجده، فرجعت إلى المكان الذي كنت فيه ألتمسه فوجدته، وجاء القوم الذين يرحلون بعيري فأخذوا الهودج -وهم يظنون أني فيه- فاحتملوه على عادتهم وانطلقوا، ورجعت إلى المعسكر، وما فيه داع ولا مجيب -أي ما فيه أحد- فتلففت بجلبابي واضطجعت إذ مر بي صفوان بن المعطل السلمي وكان تخلف عن المعسكر لحاجته] قضاء الله وقدره.

هو أيضاً تخلف يقضي حاجته، وارتحل القوم وبقي هو في الوادي، والله يسوق أقداراً لأقدار.

قالت: [فلم يبت مع الناس، فلما رأى سوادي] أي: ظلمتي، ظلام جسمها في الليل [أقبل حتى وقف علي فعرفني -وكان رآني قبل أن يضرب الحجاب-] فلذا عرفها لما نظر إليها.

أين جماعة كشف الوجوه يحضرون الليلة معنا؟! لو كان الحجاب عبارة عن تغطية الرأس فقط لكان الشيخ محتجباً، أي حجاب هذا؟! الحجاب: هو الذي لا يرى من ورائه من المرأة شيء، هذا هو الحجاب، أما أن تكشف المرأة عن وجهها وتغني في الشوارع أنها محتجبة، فنحن محتجبون أيضاً، والسعوديون كلهم محتجبون، وهل يظهر مني أنا غير وجهي؟! إذاً: نحن متحجبون.

وما زال القوم يجادلون إلى الآن، وهناك فتنة قائمة بين البنات في المدارس.

إذاً: حسبنا الله ونعم الوكيل.

وسوف يتحمل من أثار هذه الفتنة بين نساء المؤمنين مسئوليتها.

قالت: [فلما رآني استرجع] أي قال: إنا لله وإنا إليه راجعون.

وهذا شأن المؤمن إذا أصابته مصيبة، فإنه يرجع إلى الله ويقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، يفعل بنا ما يشاء، ويحكم فينا بما يريد [وقال: ما خلفك؟ فما كلمته] يعني: ما ردت عليه؛ لأنه أجنبي، وسكتت، ما قالت: تخلفت لأني ذهبت أقضي حاجتي وجئت وما وجدتهم، وربع ساعة وهي تحدثه، لا! لكن لم تكلمه.

قالت: [ثم قرب البعير] أدنى بعيره منها [وقال: اركبي، فركبت وأخذ برأس البعير مسرعاً] يقوده [فلما نزل الناس واطمأنوا طلع الرجل يقودني] لما نزلوا منزلهم واستقروا وإذا بصفوان بن المعطل يقود البعير الذي على ظهره عائشة [فقال أهل الإفك فيَّ ما قالوا] رأوا الرجل يقود بعيراً بأم المؤمنين، وجاء بها وحده، بعد أن نزل المعسكر قبل ذلك، فقالوا الذي قالوا، وكانت كلمة الخبيث ابن أبي : والله ما نجت منه! وهي أول كلمة قالها رئيس المنافقين وكبيرهم، ثم انتشر الكلام.

قالت: [فارتج المعسكر] واضطرب [ولم أعلم بشيء من ذلك] ما تدري ما الذي حدث [ثم قدمنا المدينة فاشتكيت شكوى شديدة] أصابها مرض أو حمى [وقد انتهى الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أبوي] هذا الحديث؛ حديث الإفك وصل إلى الرسول، وأن الناس يقولون كذا وكذا، ووصل إلى أبي بكر وإلى زوجه أم رومان و عائشة لا تدري [ولا يذكران لي منه شيئاً] لا الرسول ولا أمها ولا أبوها [إلا أنني أنكرت من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض لطفه] الذي كان يعاملها به [فكان إذا دخل علي -وأمي تمرضني- قال: (كيف تيكم؟) لا يزيد] يدخل عليها وأمها معها تمرضها، فلا يزيد على: كيف تيكم؟! بدون اسم للإشارة.
قالت: [فوجدت في نفسي مما رأيت من جفائه، فاستأذنته في الانتقال إلى أمي لتمرضني] في بيتها [فأذن لي، وانتقلت، ولا أعلم بشيء مما كان حتى نقهت من وجعي] تماثلت للشفاء [بعد بضع وعشرين ليلة.
وكنا عرباً لا نتخذ في بيوتنا هذه الكنف؛ نعافها ونكرهها، إنما كان النساء يخرجن كل ليلة] قالت: في تلك الفترة، كنا ما زلنا على حالة العرب لا نتخذ المراحيض في بيوتنا، ولكن تخرج المرأة إلى خارج الحي فتقضي حاجتها وترجع.
قالت: [فخرجت ليلة لبعض حاجتي ومعي أم مسطح بنت أبي رهم بن المطلب وكانت أمها خالة أبي بكر الصديق ، فوالله إنها لتمشي، إذ عثرت في مرطها فقالت: تعس مسطح !] لما عثرت في إزارها قالت: تعس مسطح ! [فقلت لها: لعمر الله بئس ما قلت لرجل من المهاجرين قد شهد بدراً] يعني: كيف تدعين عليه؟ [قالت: أوما بلغك الخبر؟ قلت: وما الخبر؟ فأخبرتني بالذي كان، فوالله ما قدرت على أن أقضي حاجتي، فرجعت] ما استطاعت أن تقضي حاجتها وعادت إلى المنزل.
قالت: [فما زلت أبكي حتى ظننت أن البكاء سيصدع كبدي، وقلت لأمي: تحدث الناس بما تحدثوا ولا تذكرين لي من ذلك شيئاً؟! فقالت لي: يا بنية! خففي عليك؛ فوالله قل ما كانت امرأة حسناء عند رجل يحبها لها ضرائر إلا أكثرن وكثّر الناس عليها.
قالت: وقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فخطبهم ولا أعلم بذلك، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: (أيها الناس! ما بال رجال يؤذونني في أهلي، ويقولون عليهم غير الحق، والله ما علمت عليهم إلا خيراً، ويقولون ذلك لرجل والله ما علمت منه إلا خيراً -يعني: صفوان - ولا يدخل بيتاً من بيوتي إلا وهو معي)] هذه خطبة الرسول التي خطبها في المسجد بعد أن انتشر الخبر.
[قالت: وكان كِبر ذلك] أي: ذلك الإثم أو الإفك [عند عبد الله بن أبي ابن سلول في رجال من الخزرج مع الذي قال مسطح و حمنة بنت جحش ؛ وذلك أن أختها زينب بنت جحش كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم تكن امرأة من نسائه تناصيني في المنزلة] أي: تساميني [عنده غيرها، فأما زينب فعصمها الله] بدينها، فما قالت الكلمة الباطلة [فلم تقل إلا خيراً، وأما حمنة فأشاعت تضارني لأختها، فشقيت بذلك.
وتكلم أناس في المسجد حتى كادت تكون فتنة، ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليَّ فدعا علي بن أبي طالب و أسامة بن زيد ، فاستشارهما في الأمر] وهما أقرب الناس إليه [فقال علي رضي الله عنه: سل الجارية وهي بريرة] التي كانت تعيش دائماً في صحبة عائشة [فسألها وضربها علي فحلفت وما زالت تحلف أنها ما تعلم عن عائشة إلا خيراً، وأنها ما كانت تعيب عليها شيئاً] أي: على عائشة [إلا أنها كانت -أي: بريرة - تعجن العجينة وتأمر عائشة بحفظها فتنام عنها فتأتي الشاة فتأكلها] تقول الجارية: هذا الذي أعرف عنها أني أعجن العجين، ثم أقول لها: احفظيه حتى نقرصه أقراصاً ونطبخ، فتنام وتترك الشاة تأكله، بمعنى: أنها خيّرة فوق العادة، لا تحمل شيئاً في نفسها، فكيف تتهم بهذه التهمة؟! قالت: [ثم دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي أبواي وامرأة من الأنصار وأنا أبكي، وهي تبكي] دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندها أبواها: أبو بكر و أم رومان وامرأة من الأنصار وهي تبكي رضي الله عنها [فجلس] أي: النبي صلى الله عليه وسلم [فحمد الله تعالى وأثنى عليه، ثم قال: (يا عائشة)، وذكرت كلاماً، وكيف كانت حالها إذ ذاك، حتى قالت فقلت كما قال أبو يوسف : فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ [يوسف:18]] هذه الكلمة واجهت بها رسول الله صلى الله عليه وسلم.
[ثم قالت: فوالله ما برح رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه، حتى تغشاه من الله ما كان يتغشاه، فسجي بثوبه، ووضعت وسادة من أدم تحت رأسه] جاء الوحي، وغشي بإغماءة معتادة عند نزول الوحي [فأما أنا حين رأيت من ذلك ما رأيت، فوالله ما فزعت وما باليت، قد عرفت أني بريئة، وأن الله غير ظالمي، وأما أبواي فوالذي نفس عائشة بيده ما سُرّي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم] أي: أفاق [حتى ظننت لتخرجن أنفسهما؛ فرقاً من أن يأتي من الله تحقيق ما قال الناس] كاد أبو بكر وزوجه أم رومان أن يموتا؛ خشية أن ينزل وحي فيحقق ما قال الناس، أما هي فعليمة بحالها.
[قالت: ثم سري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم] أي: ذهب ذلك الإغماء [فجلس، وإنه ليتحدر من وجهه مثل الجمان] من العرق [في يوم شات، فجعل يمسح العرق عن وجهه ويقول: (أبشري يا عائشة قد أنزل الله براءتك) قالت: قلت: الحمد لله، ثم خرج إلى الناس فخطبهم وتلا عليهم ما أنزل الله عز وجل من القرآن في ذلك ثم أمر بـمسطح بن أثاثة و حسان بن ثابت و حمنة بنت جحش -وكانوا ممن أفصح بالفاحشة] ونطق بها [فضربوا حدّهم] أقام عليهم الحد في المسجد.
[وروي أنها لما نزلت براءتها، قال لها أبواها: احمدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالت: لا أحمد إلا الله الذي برأني، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لقد عرفت الحقَّ لأهله)] الذي يُحمد هو الله الذي برأها، وهذا من فقه هذه المؤمنة، وأنزل الله فيها سبع عشرة آية من سورة النور، وختمها ببشرى لها بدخول الجنة.
ومع هذا ما زال إخواننا المخدوعون المغرر بهم المضللون وإلى هذه الساعة يسخرون من عائشة ويسبونها ويشتمونها، ويقولون: ارتكبت الفاحشة! أي عقول هذه؟ عقول بشر أم حيوانات؟ كيف يطاق هذا الكلام؟ كيف تقبله من أمك أو من أبيك أو من شيخك؟ كيف ترضى بالدياثة لرسولك، وتزعم أنه رسول الله ثم يقع الخبث في أهله؟ سبحان الله! كيف عقول هؤلاء البشر؟! ويتقربون -في نظرهم- إلى الله بهذا، ولكن المرء إذا فقد عناية الله وتركه فإنه يهبط إلى أسفل الدركات وينسى عقله ودينه وكرامته!!

نتائج وعبر من غزوة بني المصطلق

قال: [نتائج وعبر] من هذه المقطوعة نقف عليها حادثة حادثة [إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبراً نجملها كالآتي:]

الثالث عشر: تجلي الكمال المحمدي في عدة مواقف من غزوة بني المصطلق

[الثالث عشر: تجلي الكمال المحمدي في عدة مواقف من هذه الغزوة بما فيه حادثة الإفك من ذلك: حلمه وأناته، صبره وكرمه، حسن تدبيره لأموره وأمر أصحابه، استشارته لأفراد آل بيته فيما يتعلق بهم دون غيرهم] فسأل علي و أسامة أقرب الناس إليه.
هذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، فصلوا عليه وسلموا، وأحبوه أكثر من أنفسكم، وامشوا وراءه تدخلون الجنة بغير حساب، أما أن تمشوا أمامه فلا ينفع، أو تشموا عن يمينه لا ينفع، لابد من اقتفاء آثاره والمشي وراءه صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ [الحجرات:1].
وصلى الله عليه وسلم وآله أجمعين .

خامساً: مشروعية القرعة، والأخذ بها بدل مجرد التخيير لما فيها من تطييب النفوس
[خامساً: مشروعية القرع، والأخذ بها بدل مجرد التخيير لما فيها من تطييب النفوس] فإذا قسمنا بستاناً أو أرضاً وكان كل واحد منا يرغب في كذا، فالحل هو القرعة لتنتهي المشكلة، أو جاءت إلينا دعوات -مثلاً- هذا يدعو وهذا يدعو .
فنقرع بينهم بالقرعة، ومن خرج قرعته مشينا إليه، وتطيب النفوس بالقرعة؛ لأن الله هو الذي يدبر.

سادساً: مشروعية أخذ المجاهد امرأته معه للجهاد
[سادساً: مشروعية أخذ المجاهد امرأته معه للجهاد؛ إذا كانت الظروف مواتية لذلك] والرسول أخذ عائشة .

سابعاً: بيان أن الحبيب صلى الله عليه وسلم ما كان يعلم الغيب حتى يعلمه الله تعالى
[سابعاً: بيان أن الحبيب صلى الله عليه وسلم ما كان يعلم الغيب حتى يعلمه الله تعالى] إذ بقي شهراً وهو لا يدري ما قال أصحاب الإفك حتى نزل الوحي، قال تعالى: قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ [النمل:65]، أما أن يعلم الإنسان الغيب بدون وحي فلا، ولا تصدقوا أحداً.
قال: [فكيف إذاً بغيره ممن يدعون علم الغيب والمكاشفة؛ تغريراً بالمسلمين وتضليلاً لهم لاستغلالهم] وأخذ أموالهم؟! ولهذا من ادعى علم الغيب طاغوت من الطواغيت، و(من أتى كاهناً أو عرافاً فصدقه فيما ادعاه فقد كفر بما أنزل على محمد).
ثامناً: بيان ما تعرضت له أم المؤمنين من البلاء وصبرها عليه

[ثامناً: بيان ما تعرضت له أم المؤمنين من البلاء، وصبرها عليه حتى كشف الله غمتها وفرج كربها، وهكذا يتحقق مصداق قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (أشدكم بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل)] أشدنا بلاءً الأنبياء ثم الأفضل فالأفضل، فالذي يدعي الولاية والكرامة ولا يبتلى يراجع نفسه وحساباته فلابد من بلاء، وهذا رسول الله، قضى شهراً أيام حادثة الإفك، كيف قضاه؟ افرض أنك أنت هو، كيف يكون حالك والناس يتحدثون؟

تاسعاً: بيان براءة أم المؤمنين وأن من شك في براءتها كفر
[تاسعاً: بيان براءة أم المؤمنين، ولذا من شك في براءتها بعد نزول القرآن بذلك فقد كفر، إما أن يراجع الإسلام وإلا فهو كافر من أهل النار] وانظر ماذا فعل الثالوث بقطعة كبيرة من هذه الأمة، علموا هذا الباطل وجعلوه عقيدة من عقائدها، يكبر عليه الصغير، ويموت عليه الكبير، باطلاً مراً يقبلونه ويعتقدونه، ويلوكون ألسنتهم به إلى هذه الساعة، هؤلاء مساكين! من أكثر منهم خدعة وضلالاً؟! لا إله إلا الله! الذي يكذب الله تعالى هل يبقى مؤمناً؟ إذاً: ما هو الكفر؟ كل من كذب الله تعالى أو كذب رسوله فقد كفر.

عاشراً: بيان إقامة حد القذف على من قذف مؤمناً أو مؤمنة بفاحشة
[عاشراً: بيان إقامة حد القذف على من قذف مؤمناً أو مؤمنة بفاحشة] إذا مؤمن قال: فلان زنا، أو فلانة زنت، أو فلان لاط أو كذا، يجب أن يقام عليه الحد، فقد أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم حداً على حسان شاعر النبي والدعوة الإسلامية، وأقام الحد على من مسطح ابن خالة أبي بكر الصديق ، وأقام الحد على أخت زوجته زينب حمنة ؛ لأنهم قذفوا عائشة ، والله يقول: وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا [النور:4-5] الآية.
فطبق الرسول الحد الشرعي على ثلاثة، لكنه لم يقمه على ابن أبي ؛ والغافلون والمرضى قالوا: خاف منه! أو خاف الفتنة! ولكن ليس هذا، وإنما لأن ابن أبي نجس لا يطهر، كجلد الخنزير إذا دبغته هل يطهر؟ فهو كافر إذا أقيم عليه الحد لا يطهره؛ لأن الحدود شرعت لتطهيرنا ما هو للانتقام منا وتعذيبنا، فالحد شرعه الله ليطهر به عبده من الجريمة التي اقترفها، أما الكافر إذا أقيم عليه الحد فإنه لا يطهر

به، وهو من أهل النار [إذ أقيم الحد على مسطح و حسان و حمنة فطهرهم الله تعالى بذلك] لأنهم تكلموا [ولم يقم الحد على ابن أبي ؛ لأنه كافر لا تطهره الحدود].

الحادي عشر: استجابة أبي بكر لربه في قوله تعالى: (وليعفوا وليصفحوا)

[الحادي عشر: استجابة أبي بكر لربه في قوله تعالى: وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا [النور:22]] أبو بكر الصديق كان يعيل ابن خالته مسطح ، كان يأكل ويشرب في بيت الصديق ؛ إذ هو مهاجر ليس له بيت ولا أهل، فآواه أبو بكر لقرابته، فلما ولغ في الإثم أقسم أبو بكر ألا يدخل عليه مسطح ولا يأكل طعامه ولا شرابه.

يعني: ما دمت آذيتنا وكنت علينا مع السفهاء فلا تدخل بيتنا.

قال: [إذ كان قد منع ابن خالته مسطحاً ما كان يقدم له من طعام وكساء لما تورط في قذف أم المؤمنين، ثم كفّر أبو بكر عن يمينه ورد إلى مسطح ما كان يجريه عليه من النفقة بوصفه ابن خالته، وهو مهاجر فقير] وفيه نزل قول الله تعالى: وَلا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ [النور:22]، فقال أبو بكر : وكيف لا؟ كيف لا أحب أن يغفر الله لي؟ فرد عليه ما كان يجريه عليه.

وهنا قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها فليكفر عن يمينه وليفعل الذي هو خير)، أي: من حلف على شيء ألا يفعله ثم رأى أن الذي حلف عليه خير فليكفر عن يمينه وليأت الذي هو خير، وكذلك فعل أبو بكر كفر عن يمينه وأعاد إلى مسطح ما كان يعطيه.

الثاني عشر: حرمة قذف المحصنات المؤمنات وكذا المحصنين المؤمنين

[الثاني عشر: حرمة قذف المحصنات المؤمنات، وكذا المحصنين المؤمنين، وأنه من كبائر الذنوب وموجب للحد، وهو ثمانون جلدة] لا يحل لمؤمن أن يقول فلان يفعل كذا، ولا مؤمنة أن تقول: فلان أو فلانة تفعل كذا.

وهذا حتى لا تسمع طوال حياتك في قرية أو مدينة بأن فلان أو فلانة يفعل كذا، فلا تذكر الفاحشة على اللسان، وتطارد فلا تقع في الواقع، ومن ركب رأسه وقال: فلان يفعل كذا أو فلانة، نقول له: هات أربعة شهود على دعواك، أو اكشف ظهرك لإقامة الحد عليك.

ومن أين يأتي بأربعة شهود؟ يزورهم؟ ما عندنا تزوير.

إذاً: ما عليه إلا أن يكشف ظهره ويجلد في باب الرحمة أو باب السلام ثمانين جلدة على ظهره، فيمسح ذلك الإثم ويخرج منه كأنما خرج من مغتسل، ما عليه ذنب، وذاك المقذوف يخرج بريئاً طاهراً نقياً؛ لأن المدعي ما أقام حجة على دعواه، وأعطى ظهره للجلد.

ما ألذ هذه الأحكام وما أرحمها، وقد حُرم منها المسلمون من إندونيسيا إلى المغرب -إذا استثنينا هذا البلد- إلا من رحم الله، لِم يحرموننا من الطهر؟ هذه الحدود تقام على أولياء الله وعباده لتطهيرهم، وللإبقاء على أنوارهم؛ لأن الظلمة من شأنها أن تزيد فيأتي الحد فيزيلها، لم يحرم المسلمون من هذه الحدود؟ أنا أسأل، أيخافون أن يغضب الشرق والغرب، فليغضب الشرق والغرب، وماذا يحدث إذا غضبوا؟ أنحن مكفولون لهم؟ لا، ولكنها الجهالات والظلمات والغفلات، وقد أقام الله الحجة عليهم بإيجاد هذه الدولة؛ حتى لا يحتجوا يوم القيامة، ماذا أصاب هذه البلاد إلا الخير، لِم لا نقيم الحدود إذاً؟ تعطيلها في صالح من؟ والله لا صالح في تعطيلها ولا صلاح قط، ما هو إلا أن يبقى المؤمنون بذنوبهم وأوساخهم ما وجدوا من يطهرهم.

وعلى كل حال إذا أذنب أحدنا ذنباً في بلد ما تقام فيه الحدود، يكفيه أن يلجأ إلى ربه ويستغفر، ويطلب السماح والعذر ممن قذفه أو قال فيه، ولا يصح أن تقوم جماعة تقيم الحد والحاكم لا يقيمه، فقد بلغنا أن بعض الذين يكفرون الحكام أصبحوا أيضاً يحتالون على الناس ويقيمون عليهم الحد، وهذا باطل باطل باطل! لما قتل عمر ما تمالك عبيد الله رضي الله عنه -ولده- حتى قتل الهرمزان ، فأراد أصحاب رسول الله أن يقيموا الحد على عبيد الله ويقتلوه، فضجت المدينة، قالوا: بالأمس قتل عمر والآن يقتل ولده؟! وبما أن الحاكم لم يعين بعد وإقامة الحدود خاصة بالحاكم، لم يقام الحد على عبيد الله .

وقد جاء الوعيد الشديد في كتاب الله للذين يقذفون المحصنات، قال تعالى: إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ [النور:23]، هذا كلام الله عز وجل يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ * الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ [النور:24-26].

يا شيعي! يا مسكين! يا مخدوع! اقرأه هذه الآية، إنك إذا ما زلت تصر على أن عائشة ارتكبت الفاحشة فإنك تقول بأنها خبيثة والرسول كذلك خبيث، وخرجت من الإسلام ولم يبق لك حق فيه، وهذا تقرير الله عز وجل: الْخَبِيثَاتُ [النور:26] لمن؟ لِلْخَبِيثِينَ [النور:26]، وَالطَّيِّبَاتُ [النور:26] لمن؟ لِلطَّيِّبِينَ [النور:26]، وكرر تعالى: وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ [النور:26]، من يبلغ القوم هذا الكلام؟! من يرضى بجهنم وهو يعيش على دعوى الإسلام؟! إنه تقليد الرؤساء والمشايخ، أليس عندهم عقول يطلبون بها النجاة لأنفسهم؟! وأخيراً يقول تعالى: أُوْلَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ [النور:26] في الجنة.

بشّر الله صفوان و عائشة بالجنة.

لِم نقول هذا الكلام في بلاد العرب الذين يقرءون القرآن؟ لأن ببغوات تحكي هذه الأمراض وتعيدها ويبلغنا هذا، ومن أجل ريال أو عشرة يبيع المرء دينه وجنة الله ويصبح شيعي!

أولاً: في تزوج رسول الله بجويرية بنت الحارث مبدأ (أنزلوا القوم منازلهم)

[أولاً: في تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بـجويرية بنت الحارث سيد بني المصطلق مبدأ (أنزلوا القوم منازلهم)] في هذا الزواج -الذي علمتموه في الدرس الماضي- تزوج الرسول بـجويرية ؛ لأنها بنت سيد الحي، وفيه معنى: (أنزلوا القوم منازلهم)، أي: لا تسووا بين الناس، فمن كان ذا منزلة يستحقها أنزلوه منزلته، ولا تخلطوا [إذ تزوجه صلى الله عليه وسلم بها كان إكراماً لها ولأبيها لشرفهما عند قومهما].

ثانياً: بيان بركة جويرية رضي الله عنها على قومها
[ثانياً: بيان بركة جويرية إذ بزواجها انعتق أكثر من مائة بيت من قومها] لما علم الأصحاب أن الرسول تزوج بـجويرية قالوا: كيف نسترق أصهار النبي صلى الله عليه وسلم؟! وكل من كان عنده أسير أطلقه وحرره، فانعتق مائة بيت ببركة هذه المؤمنة.

ثالثاً: بيان نفاق وخبث ومكر ابن أبي
[ثالثاً: بيان نفاق وخبث ومكر ابن أبي (عليه لعائن الله تعالى) وما أراده من الفتنة] أراد أن يقلب المعسكر إلى حرب تدور على رءوس المؤمنين والمؤمنات.

رابعاً: تجلي الحكمة المحمدية والسياسة الرشيدة في إخماد نار الفتنة
[رابعاً: تجلي الحكمة المحمدية] وظهورها [والسياسة الرشيدة في إخماد نار الفتنة، وقطع دابر الشر بالرحيل بالقوم، وعدم الإذن في قتل ابن أبي بعد أن استوجب القتل بقوله] وهذا هو الرشد، وهذه هي السياسة الرشيدة، فلو سمح النبي لـعمر أن يقتل ابن أبي لكانت فتنة عظيمة، بل وراجت أكثر، لكن لحكمة النبي صلى الله عليه وسلم قال: ارحلوا على الفور إلى المدينة.
وكان قد استوجب ابن أبي القتل للكلمة التي قالها وهي: [ما زال ابن أبي كبشة يعيث في البلاد فساداً] وأي كفر أعظم من هذا؟ ويعني: بـ(ابن أبي كبشة) الرسول صلى الله عليه وسلم، وهي كلمة كانت تقولها قريش، تطعن بها في النبي صلى الله عليه وسلم [وهي كلمة صاحبها مرتد قطعاً، إلا أن ابن سلول كان كافراً ما آمن حتى يقال: ارتد] إذا لو ارتد لقتل على الفور، لكنه كافر أصلاً، بل هو كبير المنافقين.

في السنة السادسة من الهجرة وفي شهر ذي القعدة ندب النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه للخروج إلى مكة لأداء العمرة، ولما علمت قريش بذلك أبوا أن يدخل الرسول وأصحابه إلى مكة أبداً، وخرجوا مستعدين للقاء النبي وأصحابه، ولما علم الرسول صلى الله عليه وسلم بخروجهم عدل عن الطريق وسلك طريقاً أخرى حتى وصل إلى الحديبية، وهناك بركت ناقته، فجلس بها، وجاءته الوساطات والسفراء من قريش للمفاوضة والصلح بينه وبينهم، وانتهى الأمر على عقد الصلح المعروف في السيرة النبوية.

عمرة الحديبية وبيعة الرضوان والصلح فيها

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.
أما بعد: ها نحن مع أحداث السنة السادسة من الهجرة النبوية، قال المؤلف غفر الله له ولكم ورحمه وإياكم وسائر المؤمنين: [عمرة الحديبية وبيعة الرضوان والصلح فيها] معاشر المستمعين والمستمعات من المؤمنين والمؤمنات! سنرجع إلى الوراء مسافة ألف وأربعمائة وخمس عشرة سنة، ونقضي هذه الساعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وما يقومون به من جليل الأعمال وعظيم الأفعال، وكيف يتم هذا لولا فضل الله علينا ورحمته؟! والآن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في عمرة الحديبية، والعمرة معروفة وهي: زيارة بيت الله للطواف به وأداء النسك بالعمرة كالسعي والتقصير أو الحلق، والحديبية: مكان على الطريق القديم ما بين جدة ومكة، وهي على بعد عشرين كيلو متر تقريباً من مكة، وتم في ذلك المكان بيعة الرضوان تلك التي قال الله في أهلها: لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ [الفتح:18]، وأما الصلح الذي تم فيها فهو صلح عجب! تم بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين مشركي قريش وكفارها.

عودة عروة بن مسعود إلى قريش بما رأى من أمر النبي صلى الله عليه وسلم

قال: [عودة سفير: وعاد سفير المشركين عروة بن مسعود الثقفي بعد أن رأى بأم عينيه ما يصنع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بنبيهم من التقدير والتعظيم؛ رأى أنه لا يتوضأ صلى الله عليه وسلم إلا ابتدروا وضوءه، ولا يبصق بصاقاً إلا ابتدروه، ولا يسقط من شعره شيء إلا أخذوه] إذا بصق صلى الله عليه وسلم لا يسقط بصاقه على الأرض حتى يتلقفه أصحابه، وإذا توضأ وبقي شيء من وضوئه تمسحوا به [فعاد إلى قريش ليقول لهم: يا معشر قريش! إني قد جئت كسرى في ملكه، وقيصر في ملكه، والنجاشي في ملكه، إني والله ما رأيت ملكاً في قوم قط مثل محمد في أصحابه] ذهب إلى كل بلاد الدنيا وزار الملوك شرقاً وغرباً، فما رأى أبداً مثل محمدٍ صلى الله عليه وسلم في أصحابه [وقد رأيت قوماً لا يسلمونه لشيء أبداً فروا رأيكم!!] يعني: أنا بلغتكم فروا رأيكم.

إرسال النبي صلى الله عليه وسلم خراش بن أمية إلى قريش

قال: [سفير النبي صلى الله عليه وسلم] النبي بعث سفيراً أيضاً [ولما لم تنتج سفارات قريش شيئاً يذكر، أرسل النبي صلى الله عليه وسلم خراش بن أمية الخزاعي إلى قريش بمكة، وحمله على بعير له يقال له: الثعلب] اسم البعير الثعلب [ليبلغ أشرافهم عنه ما جاء له، فعقروا به جمل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأرادوا قتله، فمنعه الأحابيش، فخلوا سبيله حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم].
نكتفي بهذا، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

وصول وفد خزاعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم في الحديبية

قال: [وفد خزاعة] هذا الوفد من أوفده؟ المشركون.
[ولما استقر النبي صلى الله عليه وسلم في المنزل الذي نزله جاءه وفد من خزاعة] وهي قبيلة معروفة من أشهر القبائل [برئاسة: بديل بن ورقاء الخزاعي ، فكلموه] أي: الوفد كلم النبي صلى الله عليه وسلم [وسألوه عن السبب الذي جاء به، فأخبرهم بأنه لم يأت يريد حرباً] والله لكذلك [وإنما جاء زائراً البيت ومعظماً لحرمته، ثم قال لهم نحواً مما قال لبشر بن سفيان ، وعاد الوفد إلى قريش كوسيط، فقال لقريش: يا معشر قريش! إنكم تعجلون على محمد، إن محمداً لم يأت للقتال، وإنما جاء زائراً هذا البيت؛ فاتهموهم وجبهوهم] مجابهة قاسية.
أي: اتهموه بأنه يتملق أو يميل إلى محمد صلى الله عليه وسلم [وقالوا: وإن كان جاء لا يريد قتالاً فوالله لا يدخلها علينا عنوة أبداً] أي: بالشدة والقوة [ولا تتحدث بذلك عنا العرب] فيقولون انهزمت قريش.
عنترية وعصبية!

إرسال قريش مكرز بن حفص ثم الحليس بن علقمة لمفاوضة النبي صلى الله عليه وسلم في الحديبية

قال: [سفارة قريش] قريش الآن ستبعث بسفير لها.
[وبعثت قريش سفيرها مكرز بن حفص بن الأخيف ، ولما وصل رآه النبي صلى الله عليه وسلم وهو يتقدم نحوه حتى قال صلى الله عليه وسلم: (هذا رجل غادر)] فراسة ونور النبوة [ولما انتهى ووصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلمه، قال له نحواً مما قال لبديل بن ورقاء وأصحابه، فرجع السفير الغادر، فبلّغ قريشاً ما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبعثت سفيراً آخر] انهزموا [وهو الحليس بن علقمة سيد الأحابيش، ولما وصل] هذا السفير [ورآه النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن هذا من قوم يتألهون فابعثوا الهدي في وجهه حتى يراه)] يعني: هذا من قوم يتعبدون الله عز وجل فأثيروا الإبل أمامه؛ ليعرف أنكم ما جئتم للحرب، وإنما جئتم للعمرة وهذا هو الهدي.
[فلما رأى الهدي سيل عليه من عُرض الوادي في قلائده، وقد أكل أوباره من طول الحبس في محله] لأن البعير إذا جاع يأكل وبر البعير الذي إلى جنبه، لأنهم محبوسون في مكان واحد وليس هناك أكل [رجع إلى قريش ولم يصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إعظاماً لما رأى] لأنه كان من المتعبدين.
إذاً: فرق بين المتأله المتعبّد وبين الغادر واللص والمجرم.
هذا الرجل ما إن نظر إليه النبي حتى قال: (إن هذا من قوم يتألهون فابعثوا الهدي في وجهه حتى يراه)، وفعلوا، فلما رأى الهدي سيل عليه من عرض الوادي في قلائده وقد أكل أوباره من طول الحبس في محله رجع إلى قريش ولم يصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إعظاماً لما رأى [فقال لهم ما رأى، فقالوا: اجلس إنما أنت أعرابي لا علم لك!!] أي لا علم لك بالحرب ولا بغيرها .

غضب الحليس بن علقمة على قريش وتهديده لها

قال: [غضبة صادقة] ما هي خاطئة أو مخطئة[ولما قالت له قريش ما قالت من اتهامه بالجهل، قال لهم في غضب: يا معشر قريش! والله ما على هذا حالفتكم ولا على هذا عاقدتكم، أيصدّ عن بيت الله من جاء معظماً له؟! والذي نفس الحليس بيده لتخلن بين محمد وبين ما جاء له أو لأنفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد] هددهم! قال: يا معشر قريش! والله ما على هذا حالفتكم، ولا على هذا عاقدتكم، وقد كانوا متعاقدين متعاهدين على أن يحاربوا معاً إذا كانت حرب، ثم قال: أيصد عن بيت الله من جاء معظماً له؟! -كيف هذا؟!- والذي نفس الحليس بيده .
وهنا حلف بالله ولم يحلف باللات أو العزى.
[فلما رأت قريش الجدّ من الحليس والغضب لله، قالت: مه، كف عنا يا حليس ! حتى نأخذ لأنفسنا ما ترضى به، يريدون تحقيق بعض الأهداف أو اشتراط بعض الشروط دفعاً للمعرة عنهم في نظرهم] ولكن كان للغضبة هذه أثرها.
فهل في العالم الإسلامي اليوم رجال من هذا النوع؟ ما أظن! أما احتل اليهود ديارهم؟ أما أهانوهم؟ أين السياسة والساسة؟ ليس لديهم نور؛ لأن النور من الملكوت الأعلى.
اللهم تب علينا وعليهم.
إرسال قريش عروة بن مسعود ليفاوض النبي صلى الله عليه وسلم في الحديبية

قال: [سفير ثالث] أيضاً.
[وبعثت قريش بعروة بن مسعود الثقفي] هذا من رجال الطائف، وهو الذي قيل فيه: لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ [الزخرف:31]، يعنون: أبا جهل أو عروة بن مسعود الثقفي، يعني: لم نزل هذا القرآن على محمد اليتيم؟ لم لا ينزل على أبي جهل أو على عروة بن مسعود الثقفي من رجالات العرب؟! وهذا اقتراح منهم، فأسكتهم الله عز وجل.
قال: [فما لبث أن جاءهم فقال لهم: يا معشر قريش! إني قد رأيت ما يلقى منكم من تبعثونه إلى محمد إذا جاءكم من التعنيف وسوء اللفظ، وقد عرفتم أنكم والد، وأني ولد، وقد سمعت بالذي نابكم، فجمعت من أطاعني من قومي، ثم جئتكم حتى آسيتكم بنفسي، قالوا: صدقت ما أنت عندنا بمتهم، فخرج حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فجلس بين يديه، ثم قال: يا محمد! أجمعت أوباش الناس] أي: أخلاطهم وكذا الأوباش بمعنى واحد [ثم جئت بهم إلى بيضتك لتفضها بهم؟! إنها قريش قد خرجت معها العوذ المطافيل، قد لبسوا جلود النمور، يعاهدون الله لا تدخلونها عليهم عنوة أبداً، وايم الله لكأني بهؤلاء قد انكشفوا عنك] يعني: أصحابه وتركوه وحده [و أبو بكر الصديق خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد، فقال: امصص بظر اللات، أنحن ننكشف عنه؟ قال: من هذا يا محمد؟ قال: (هذا ابن أبي قحافة)، قال: أما والله لولا يد كانت لك عندي لكفأتك بها] وكانت يد لـأبي بكر على عروة بن مسعود [ولكن هذه بها، ثم جعل يتناول لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يكلمه] يحدثه ويمسك بلحيته الطاهرة النقية الوفيرة الوافرة [و المغيرة بن شعبة واقف على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديد] هذا الحارس الأمين، وهذا البطل، من رجالات الإسلام رضي الله عنه، ومعنى في الحديد: في الدروع حاملاً للسيف والرماح، فكلها من حديد [فجعل يقرع يده إذا تناول لحية الرسول صلى الله عليه وسلم ويقول: اكفف يدك عن وجه الرسول صلى الله عليه وسلم] كلما مد يده يمسك لحية رسول الله يقرع المغيرة يده ويقول: اكفف يدك عن لحية رسول الله [قبل ألا تصل إليك] أي: قبل أن أقطعها.

[فيقول عروة : ويحك ما أفظعك وأغلظك!! فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال عروة : من هذا يا محمد؟ قال: (هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة)، قال: أي غدر، وهل غسلت سوأتك إلا بالأمس] يعني: كنت من قبل جاهلاً ضالاً مثلنا [وكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بما كلم به من قبله وأنه لم يأت لحرب وإنما للعمرة فقط].

عدول النبي صلى الله عليه وسلم إلى جهة الحديبية

[ثم عدل عن الطريق التي هم بها] أي: المشركون [فتيامن] مال إلى جهة اليمين وهي الحديبية [وسلك الطريق التي تهبط على الحديبية، وفجأة بركت ناقته بها] لما قدم مهاجراً صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة ونزل بقباء وبنى المسجد في ظرف أسبوع ثم دخل المدينة، كان لا يمر ببيت من بيوت الأنصار من الأوس والخزرج إلا قالوا: انزل عندنا يا رسول الله! ويمسكون بالناقة فيقول لهم: (دعوها فإنها مأمورة)، ثم مشت ومشت، حتى وصلت إلى الروضة، وكانت آنذاك حفر ونخيل وقبور للمشركين، فبنى بها المسجد وحجراته الطاهرة، من أبرك الناقة في ذلك المكان؟ إنه المَلك الموكل بها وبه.
[فقال الناس: خلأت] الناقة [فقال: (ما خلأت وما هو لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل) أي: عن مكة] يقصد فيل أبرهة الحبشي الذي جاء غازياً مكة ليدمرها، وقد بنى بيتاً عجيباً ليحجه العرب وتنتقل التجارة كلها إلى بلاده، كان مادياً خالصاً كأنه شيوعي، وكان كلما وجه الفيل إلى الكعبة يقف ولا يمشي، من حبسه؟ إنه الله، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول هنا: (حبسها حابس الفيل)، أي: لكيلا تدخل مكة الآن.
[ثم قال: (لا تدعوني قريش اليوم إلى خطة يسألونني فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها)] هذا كمال محمدي [ولما اجتازوا المضايق بين الجبال الوعرة وانتهوا إلى واد من أودية المنطقة، قال لهم: (قولوا: نستغفر الله ونتوب إليه)] فارتفعت معنوياتهم، وسمت آمالهم بهذه الكلمة [فقالوا ذلك، فقال: (والله إنها للحطة التي عرضت على بني إسرائيل فلم يقولوها)] وأصابهم ما أصابهم [وقال: (انزلوا)، فقيل: يا رسول الله! ما بالوادي ماء ننزل عليه، فأخرج صلى الله عليه وسلم سهماً من كنانته] والكنانة: كالحزام الذي يوضع فيه الرصاص، والآن موجود عند العسكر والبوليس، فالسهام كانت توضع في الكنانة وتخرج منها ويرمي بها.
قال: [وأعطاه رجلاً من أصحابه فنزل به في قليب من تلك القُلُب، فغرزه فيه، فجاش بالماء حتى ضرب الناس عنه بعطن -أي: نزلوا حوله- يسقون ويشربون ويتوضئون كأنهم نزلوا حول نهر من ماء] وهذا من آيات النبوة، فبعد أن أعطاهم سهماً من كنانته قال لهم: اغرزوه في هذا الماء فغرزوه ففاض الماء [ولما رأت خيل قريش عدول النبي صلى الله عليه وسلم عن الطريق إليهم عادوا إلى مكة] قالوا: استرحنا، وذهب الخوف.
أو فهموا أن بشراً لما خوف الرسول عدل وعاد إلى المدينة فدخلوا هم مكة.

خروج قريش للقاء النبي حينما علموا بقدومه إلى مكة

[وساروا في طريقهم إلى مكة] إلى بلد الله، أم القرى [وبلغ قريشاً خروج النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه] لأن العيون مفتوحة، والمسافرون والتجار يتجولون، فبلغ قريشاً أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج بألف وأربعمائة رجل، فارتعدت فرائس القوم، وظنوا أنه جاء لقتالهم [وكانوا ألفاً وأربعمائة رجل، وساقوا معهم الهدي، وكان قرابة سبعين بعيراً] من منكم ساق الهدي في يوم من الأيام وهي يتردد على مكة؟! الحمد لله سقناه مرة معنا من المدينة، وضعناه في مؤخرة السيارة، وهي نعمة كبيرة أن تذهب بشاتك إلى ربك من بلدك، أما أن تشتريها من مكة فليس فيها تعب، ألا تريد أن تحسن التملاق والتزلف إلى الله عز وجل؟! النبي وأصحابه ساقوا معهم قرابة سبعين جملاً.
[وبذلك كان واضحاً تمام الوضوح أنه صلى الله عليه وسلم لا يريد حرباً، وإنما يريد -قطعاً- الاعتمار لا غير] كونه يسوق الإبل وهو محرم هذا يؤكد أنه لم يأت لقتال قريش، وإنما خرج من أجل التقرب إلى الله، والتزلف إليه، بعد أن حُرم من الاعتمار سنوات ثم أتيحت له الفرصة، وهذا كله تدبير ذي العشر جل جلاله وعظم سلطانه.
[ولما وصل صلى الله عليه وسلم عسفان] وهو مكان قريب من مكة [لقيه بشر بن سفيان الكعبي فقال له: إن قريشاً قد سمعت بمسيرك فخرجوا معهم العوذ المطافيل] والعوذ: جمع عائذ وهي الناقة حديثة النتاج، والمطافيل: الإبل مع أولادها [قد لبسوا جلود النمار] والنمار جمع نمر، يدبغ جلده ويلبس للحرب، وهو مظهر من مظاهر القوة [وقد نزلوا بذي طوى] قريب من مكة، وهذا المكان يسن الاغتسال فيه لمن جاء حاجاً أو معتمراً، لكنه الآن قد أصبح داخل مباني مكة [يعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبداً] يعاهدون الله وهم مشركون كفار، لكن كانوا أشراف الكفار، يؤمنون بالله ويحلفون به ويهدون الهدايا إليه، وكفار اليوم كالبهائم والحيوانات [وهذا خالد بن الوليد في خيلهم] وخالد مضرب المثل في القيادة، وما زال أبطال الغرب يعرفون عن خالد ما لا تعرفونه أنتم، يعرفون كل الجولات التي قام بها ليهدّم صروح الكفر والباطل، وقد لقبه رسول الله صلى الله عليه وسلم بلقبلا يشترى بالملايين، ما هو؟ سيف الله في أرضه.
وأول ما برز كان في قيادته للمسلمين عندما تجمع الروم وأعدوا عدتهم لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانوا مائتي ألف، وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم في ألفين أو ثلاثة آلاف لمواجهة مائتي ألف، ودارت المعركة، وأخذ خالد القيادة، ولما سقط حامل رايتها، فما هي إلا جولة وقد استخرج خالد واستل أولئك المؤمنين كما تسل الشعرة من العجين من المعركة وعاد إلى المدينة.

قال: [ولما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قول بشر قال: (يا ويح قريش! قد أكلتهم الحرب)] وهذه كلمة رحمة منه صلى الله عليه وسلم فلم يقل يا ويل قريش! ولكن قال: يا ويح قريش! [(ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر الناس فإن أصابوني -بقتل أو غيره- كان الذي أرادوا هم، وإن أظهرني الله دخلوا في الإسلام وافرين، والله لا أزال أجاهدهم على الذي بعثني الله به حتى يظهره الله)] وحلف رسول الله صلى الله عليه وسلم هنا، ولم يقل: وحق أبي إبراهيم أو وإسماعيل؟ فوالله ما كانوا يعرفون حلفاً بغير الله.

ولما هبطنا أصبحنا نحلف بالله مرة، وبسيدي عبد القادر عشرين، بل نحلف بكل شيء، بالملح الذي بيننا! وبالطعام! وبهذا اليوم! وما تركنا شيئاً إلا ألّهناه لنغيظ الله عز وجل! أعوذ بالله منا، ما حملنا على هذا؟ والرسول على المنبر يقول: (ألا من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت)، لا باللات ولا بالعزى ولا بمناة ولا بغيرها، والحمد لله لاحت أنوار التوحيد من حوالي خمسين سنة، وأصبح الذين يحلفون بالأولياء أقلية.

وأزيدكم بياناً: كان القاضي في بلاد العرب، إذا حكم على رجل باليمين يحلّفه بالسيد فلان.

يقول: إذا قلنا له احلف بالله يحلف سبعين مرة ولو كان كاذباً، أما إذا قلنا له: امش إلى ضريح السيد فلان يخاف ويعترف بأنه ظالم!! قال: [(أو تنفرد هذه السالفة)] والسالفة: صفحة العنق، كناية عن الموت.

خروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى مكة معتمراً

قال: [في ذي القعدة من سنة ست من الهجرة المباركة] وشهر ذي القعدة من الأشهر الحرم، والأشهر الحرم هي: ذو القعدة والحجة ومحرم ورجب.

وفي هذا الشهر بالذات [عزم الحبيب صلى الله عليه وسلم على زيارة البيت الحرام] وهذا بعد هزيمة المشركين في السنة الماضية في الخندق؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: (الآن نغزوهم ولا يغزوننا)، فعزم صلى الله عليه وسلم وعزمه صحيح سليم.

[فانتدب المؤمنين من حوله للخروج] وانتدابهم خلاف أمرهم، فلو أمرهم لما صح أن يتخلف منهم أحد، وهذا هو الفرق عند أهل الفقه جعلنا الله وإياكم منهم، فالأمر إذا كان للوجوب فلا يصح أبداً التخلي عنه وتركه، وإذا كان للندب والاستحباب فمن قدر فليفعل ومن لم يفعل فلا إثم عليه.

قال: [لأداء نسك العمرة في الشهر الحرام] والعمرة في الأشهر الحرم أفضل منها في الشهر الحلال [فخف ناس] ما تباطئوا [وثقل آخرون] نظروا إلى أحوالهم وظروفهم وأولادهم فتباطئوا وقعدوا [وجلّ من ثقل كان من الأعراب النازلين حول المدينة] و الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ [التوبة:97]، وتغمد الله برحمته عبده عبد العزيز آل سعود لما حكم أخذ يحذر البوادي؛ لأن البادية أهلها لا يفقهون، فكان يرسل إليهم من يعلمهم الكتاب والسنة، وهذا هو الواجب.

فالذين تثاقلوا وما خرجوا مع الحبيب صلى الله عليه وسلم كانوا من البدو الذين حول المدينة.

[وأحرم صلى الله عليه وسلم، وأحرم من معه ملبين بالعمرة] وأحرموا: دخلوا في الحرم، أو فيما هو حرام، كأصبح: دخل في الصباح، وأمسى: دخل في المساء، وأحرم: دخل في الإحرام.

وكان ذلك بأن اغتسل وتطيب وصلى ما شاء الله أن يصلي وقال: لبيك اللهم عمرة.

وما كان عليه الصلاة والسلام ولا أصحابه ولا أولادهم ولا أحفادهم يحرمون من المدينة، وإن كان هذا جائزاً، فالسنة أن يحرم من آبار علي (ذو الحليفة)، ولا بأس أن يغتسل أحدنا في بيته أو فندقه ويتطيب ويلبس إزاره ورداءه ولا يلبي؛ حتى إذا وصل الميقات -إن كان الوقت متسعاً للنافلة- صلى ركعتين أو فريضة ثم يلبي، وإن كان من أهل الطائرة اغتسل وتجرد، وإذا ركب الطائرة وارتفعت قال: لبيك اللهم لبيك، بعد ارتفاعها فوق آبار علي، ومع هذا يجوز للإنسان أن يحرم من الرياض أو من دمشق، لكن فيه كلفة وتعب، ولعله أن يأتي ما يبطل إحرامه فكيف يصنع؟ فمن السنة أن نحرم من الميقات.

إذاً: أحرم صلى الله عليه وسلم وأحرم من معه ملبين بالعمرة، قائلين: لبيك اللهم لبيك عمرة، لا رياء فيها ولا سمعة، ثم واصلوا التلبية: لبيك اللهم لبيك، أي: إجابة لك بعد إجابة، لقد دعوتنا لزيارة بيتك فها نحن ملبين طلبك.

لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك.

ونعم الكلمات هذه، فهي صلب التوحيد وأسه.

ضمن المراسلات والوساطات التي تمت بين النبي صلى الله عليه وسلم وقريش في الحديبية، أرسل النبي صلى الله عليه وسلم إليهم عثمان بن عفان رضي الله عنه ليخبرهم أن الرسول ما جاء لحرب ولا قتال، وإنما جاء معتمراً، فاحتجزت قريش عثمان، وشاع الخبر أنه قد قتل، فلما علم الرسول بذلك جمع أصحابه وبايعهم على قتال قريش والموت في سبيل الله، فسميت ببيعة الرضوان، ولما علمت قريش بذلك أصابهم الخوف والرعب، فأرسلوا سهيل بن عمرو ليصالح النبي صلى الله عليه وسلم، على أن يرجع ويعتمر من قابل، وبهذا تم ووقع صلح الحديبية ببنوده المعروفة بين المسلمين وقريش.

بيعة الرضوان وصلح الحديبية

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.
أما بعد: لنقضي ساعة مع حبيبنا صلى الله عليه وسلم، وقد انتهى بنا الدرس إلى أحداث عمرة الحديبية وبيعة الرضوان والصلح فيها، ودرسنا من ذلك أحداثاً جساماً، نشير إلى عناوينها -فقط- تذكيراً للناسين: عرفنا أولاً وفد خزاعة، وما تم معه، ثم سفارة قريش وما تم فيها، وغضبة صادقة، وسفير ثالث، ثم عودة السفير الثالث، وبعد ذلك سفير النبي صلى الله عليه وسلم إلى قريش، كل هذه الأحداث مرت بنا في الليلة السابقة في مثل هذه الليلة.

بيعة الرضوان بعد شائعة مقتل عثمان

قال: [بيعة الرضوان] والرضوان رضا الله تعالى[إنه بمجرد أن أُشيع أن عثمان قد قتل، قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه معلناً عزمه على قتال المشركين، فقال: (لا نبرح حتى نناجز القوم)] أي: بالقتال [ودعا صلى الله عليه وسلم الناس إلى البيعة] قال: هاتوا أيديكم، كل يضع يده على يد رسول الله معاهداً أن يقاتل فلا يفر ولا يهرب [وبايعهم تحت شجرة] هذه الشجرة اقتطعها عمر واقتلعها من جذورها.
لم يا ابن الخطاب ؟ خشية أن يقع الناس في الشرك، شرك الجاهلية، فقد مر بها مرة وهو حاج أو معتمر فرأى الناس ينزلون عندها، فقال: اقطعوها! ووالله لو بقيت لبيعت أوراقها الورقة بدينار، ولأصبح مكانها يركع فيه ويسجد -أعني القرون بعد القرن الثالث- فأنهاها عمر رضي الله عنه نهائياً.
إذاً: دعا صلى الله عليه وسلم الناس إلى البيعة لكل من كان معه من المدينة من المهاجرين والأنصار [على أن لا يفروا عند لقاء العدو] إذا لاقوا عدوهم لا فرار [فكانت هذه بيعة الرضوان، ونزل فيها قول الله تعالى من سورة الفتح: لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا [الفتح:18]] والسكينة هاهي الآن نازلة علينا، هل عندنا فوضى الآن أو صياح أو ضجيج أو كلام؟ ما لنا صامتين ساكتين؟ لأن السكينة نزلت علينا، فلا خوف ولا رهب، (وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا)، ألا وهو فتح ديار خيبر، وما فيها من غنائم وأموال، والفتح البعيد هو فتح مكة، وأنجز الله وعده.
قال تعالى: لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ، يبايعونه على ماذا؟ على أن يقاتلوا ولا يفروا عند اللقاء، فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ من الإيمان والخير والصدق والوفاء، فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ على ألف وأربعمائة من المهاجرين والأنصار وَأَثَابَهُمْ جزاهم على هذا الموقف فَتْحًا قَرِيبًا [الفتح:18] وهو فتح خيبر.
قال المؤلف غفر الله ولكم ورحمه وإياكم وسائر المؤمنين: [ولم يتخلف أحد عن هذه البيعة إلا الجد بن قيس أخو بني سلمة] و الجد بن قيس هذا لما أعلن الرسول عن النفير إلى قتال الروم في غزوة تبوك جاء يقول: يا رسول الله! أنا مولع بالنساء، وتلك الديار -ديار الروم- نساؤها جميلات وكذا .
فائذن لي بأن لا أخرج معكم، وهو من كبار المنافقين، ونزل فيه قرآن من سورة التوبة، قال تعالى: وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلا تَفْتِنِّي أَلا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ [التوبة:49] مع أن التعبئة عامة، والخروج واجب على كل رجل، قال: ائْذَنْ لِي وَلا تَفْتِنِّي بمن يفتنه رسوله؟ بالنساء الروميات؛ لأنه إذا رأى الواحدة منهن لا يصبر!! منافق رقم واحد، وانظر إليه الآن ماذا يصنع وهو بينهم.
[قال فيه جابر بن عبد الله] رضي الله عنه وعن أبيه [لكأني أنظر إليه لاصقاً بإبط ناقته قد ضبأ إليها يستتر بها من الناس] يعني: الناس يبايعون، وهو مختف تحت إبط ناقته حتى كاد يلصق في بطنها لكيلا يراه أحد؛ لأنه لا يريد أن يبايع، حتى لا يقتل إخوانه المشركين، وبينه وبينهم ارتباطات.
هذا هو الجد بن قيس الذي نزل فيه قرآن.
[وكان أول من بايع في هذه البيعة أبو سنان الأسدي أخو عكاشة بن محصن] رضي الله عنهما [وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان] الأسير في مكة، وكيف يحرم عثمان من هذه البيعة؟ إذاً: ضرب الرسول بإحدى يديه على الأخرى وقال: هذه بيعتك يا عثمان ! ففاز بها عثمان ، وهل تعرفون أن من أهل الجهل وظلمة النفس من يلعن عثمان ويكفره؟ هل بلغكم هذا؟ هؤلاء الذين أعرضوا عن كتاب الله وهدي رسوله صلى الله عليه وسلم.

قال: [فضرب بإحدى يديه على الأخرى، وقال: هذه لـعثمان .
وبعد قليل من الوقت، تبين أن عثمان لم يقتل، وأن ما ذكر عنه باطل؛ إذ جاء بعد الفراغ من البيعة بقليل، والحمد لله] عاد عثمان بعد البيعة بقليل من الوقت.

إرسال قريش أربعين مجرماً لمهاجمة النبي في الحديبية بالحجارة والنبل وعفو النبي عنهم

قال: [إساءة وإحسان] والإحسان ضد الإساءة، أساء وأحسن كمن مات وحيي، أحسن فَعَل الإحسان، وأساء فعل السوء.
قال: [لما فعلت قريش ما فعلت بسفير رسول الله صلى الله عليه وسلم إليها] بعث النبي صلى الله عليه وسلم سفيره إلى قريش فماذا فعلت؟ [حيث عقرت بعيره] المعروف بثعلب [وأرادت قتل السفير، ولم تقبل منه قولاً ولا رأياً] ردت كل شيء مما جاءهم به من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم [وعاد إلى النبي صلى الله عليه وسلم هارباً بنفسه] عاد من مكة إلى الحديبية هارباً بعد أن أرادوا قتله، وعقروا بعيره، وهو بعير النبي صلى الله عليه وسلم، ولا غرابة مع الشرك بالله والكفر به وبلقائه.
[في هذه الأثناء الزمنية تبعث قريش بأربعين مجرماً من مجرميها يرمون معسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجارة والنبال] اختارت أربعين مجرماً فتاكاً من كبار المشركين وبعثت بهم ليقتلوا ما استطاعوا من رجال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخذوا يرمون معسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجارة والنبل؛ إذ لم يختلطوا بالسيوف، بل وقفوا بعيدين [لعلهم يصيبون بعضاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم] فيشفون صدورهم من التغيظ والكرب.
قال: [فناهضهم بعض أفراد المعسكر المحمدي] بعض الأفراد قاموا وجروا وراءهم [فألقوا القبض عليهم] جميعاً.
بعض أفراد المعسكر الإيماني استطاعوا أن يلقوا القبض على الأربعين مجرماً [وأتوا بهم أحياء أذلاء للنبي صلى الله عليه وسلم] ما ضربوهم ولا قتلوهم، ولكن أذلوهم يقودونهم كالأبقار، فماذا قال النبي؟ هل قال: قم يا عمر واقطع رءوسهم؟ لا والله، هل ربطهم في الأشجار يموتون جوعاً؟ والله ما فعل.
[فعفا عنهم وخلى سبيلهم] وتركهم يعودون إلى ديارهم! صلوا عليه وسلموا تسليماً، واقتدوا به، واعفوا عمن ظلمكم [فتحقق وصفه في التوراة] كتاب الله المنزل على موسى [وأنه لا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح فصلى الله عليه وسلم] كان من نعوت النبي صلى الله عليه وسلم في كتاب التوراة المنزل على موسى: أنه لا يدفع السيئة بالسيئة، أو السبة بسبة أو الشتمة بشتمة أو الضربة بضربة، ولكن يعفو ويصفح صلى الله عليه وسلم.
[وهكذا يتجلى الإحسان المحمدي، وتنكشف إساءة المشركين] هيا نقتدي برسولنا صلى الله عليه وسلم، أو لعلنا لا نستطيع؛ لأننا ما تعلمنا الآداب في حجور آبائنا وأمهاتنا، بل قضينا عشرين سنة في الشوارع نصيح ونلعب، ولذلك هو أمر صعب، ولكن من حبس نفسه بين يدي ربه يريد تأديبها وتهذيبها وتطهيرها، يستطيع ذلك متى سأل الله ذلك في صدق، فإن الله لا يرد سائله.
هيا نربي أولادنا حتى لا يشبوا ويكبروا على الجهل وظلمته، أو لعل أحدنا يقول: يا شيخ! لا تقل الجهل فهؤلاء عندهم شهادات ثانوية وعالية! فأقول: هذه لا تجدي شيئاً، لم لا تجدي شيئاً؟ لأنهم يتلقون تلك المعارف بدون تزكية نفوسهم ولا تطهير أرواحهم، فالمعلم يعلم من أجل أن يتقاضى راتبه الشهري، والطالب من أجل يتوظف مستقبلاً، وهكذا .
فكيف تزكو النفوس؟! أما قرأتم قول الله تعالى: لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ [آل عمران:164]؟ هل أنتم تبعثون أولادكم وبناتكم من أجل تزكية نفوسهم وتطهير أرواحهم؟ ولا (1%) يفعل هذا.

إرسال النبي صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان إلى مكة

قال: [سفارة أعظم] بين رسول الله صلى الله عليه وسلم والمشركين في مكة، والمسافة بين الحديبية ومكة عشرون كيلو متر تقريباً.
[ولم يكل الحبيب صلى الله عليه وسلم ولم يمل] والكلّ: تعب وعجز، والمل كذلك [في سبيل تحقيق السلم]، يريد سلماً؟ إي والله، قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً [البقرة:208] وهو الإسلام، والسلم لازمه [وإخماد نار الحرب التي يشعلها الكافرون] ويؤججونها [فيدعو عمر بن الخطاب ليرسله سفيراً إلى قريش مرة ثانية؛ إذ سبق له أن أرسل خراش بن أمية الخزاعي فيعتذر لعدم قدرته على هذه المهمة] والآن لو اختاروا واحداً منا سفيراً للحكومة، هل يقول: لا أستطيع؟! لا.
بل يدفع الرشاوى حتى يحصل على هذا المنصب، و عمر على جلالته، يقول: لا أستطيع يا رسول الله! فهذه مهمة قوية وصعبة، فاطلب غيري.
قال: [فيقول: يا رسول الله! إني أخاف قريشاً على نفسي] معللاً امتناعه عن قبول السفارة [إذ ليس بمكة من بني عدي بن كعب أحد يمنعني، وقد عرفت قريش عداوتي إياها وغلظي عليها] وهو تعليل محمود مقبول، فقبله الرسول صلى الله عليه وسلم [-واقترح عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرسل بدله عثمان بن عفان -: ولكني أدلك على رجل أعز مني] هكذا قال عمر : أدلك على رجل أعز مني هو عثمان بن عفان [فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان فبعثه إلى أبي سفيان] رئيس مكة وحاكمها [وأشراف قريش] وأشراف قريش هم أهل السمو والعلو والارتفاع.
قال: [يخبرهم أنه لم يأتِ لحرب] يخبر أبا سفيان وقريشاً أن النبي محمداً عليه الصلاة والسلام لم يأت لحرب أبداً [وإنما جاء زائراً لهذا البيت ومعظماً لحرمته] وهو والله كذلك.
فقد خرج في ألف وأربعمائة يريدون العمرة فقط؛ لأنهم منعوا منها كذا سنة.

قال: [ويمشي عثمان سفيراً لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة] فاز بها ذو النورين [وما إن دخل مكة حتى تلقاه أبان بن سعيد بن العاص] من أقربائه [فحمله بين يديه إعظاماً له لقرابته منه، وأجاره] أي: أنزله بجواره، كان إذا قال أحدهم: إن فلاناً في جواري، فلا يمسه أحد بسوء، ولم يقل فيه كلمة سوء؛ لأنه في جواره، وهو المعروف الآن باللجوء السياسي.
واللجوء السياسي كلمة غربية إبليسية، ولكن في الإسلام المرأة -والله- تجير أكبر مشرك، وحصل ذلك في يوم الفتح عندما دخل أحد المشركين بيت أم هانئ بنت أبي طالب وطلب جوارها فأجارته، فجاء علي يريد أن يخرجه من بيت أخته، فقالت: دعه يا ابن أمي لقد أجرته، ثم ذهبت إلى رسول الله وأخبرته بذلك فقال: (قد أجرنا من أجرتِ يا أم هانئ).
هذا الكمال البشري أين نجده؟! وكذلك ابن الدغنة أجار أبا بكر الصديق لما ضايقوه وألجئوه إلى الفرار والخروج من مكة، وطاف في أسواق مكة قائلاً: لقد أجرت ابن أبي بن قحافة .
فما أصبح واحد ينظر أو يلتفت إليه، إلا أنه رضي الله عنه ما استطاع أن يصبر عن الصلاة حول الكعبة وقراءة القرآن، وكان النساء والعبيد والرجال -رجال السياسة- إذا جن الظلام يأتون ويختفون ليسمعوا قراءة أبي بكر ، فأثرت تلك القراءة فيهم، فقالت قريش لابن الدغنة : خذ جوارك وإلا أخرجه، فقال: أي فلان رد علي جواري وإلا اقرأ في بيتك ولا تخرج منه، فقال: رضيت بجوار الله يا ابن الدغنة ، وما هي إلا أيام حتى فتح الله باب الهجرة، وهاجر مع النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة.
إذاً: أجاره أبان بن سعيد بن العاص [حتى يبلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فانطلق به إلى أبي سفيان وأشراف قريش، فبلغهم ما أرسل به] أي: المهمة التي جاء من أجلها [وأذنوا له بالطواف بالبيت أكراماً له] قالوا: طف يا عثمان ! [فأبى] أن يطوف [وقال: ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم] هذا هو الصاحب [واحتبسته قريش عندها] ولعله بأمر من أبي سفيان ، ليس لأذيته، لكن ليبقى معهم ليالي قد يسمعون منه، أو يسألون عن شيء [إلا أنه قد أشيع] وتعرفون الإذاعات في ذلك الزمان بالألسن [أن قريشاً قتلت عثمان سفير رسول الله صلى الله عليه وسلم إليها] ولو كان ذلك حقاً لاندلعت الحرب، فبعد قتل السفير ماذا بقي؟!

شعور عمر بالذنب بعد اعتراضه على رسول الله

قال: [توبة عمر] عمر أذنب بموقفه هذا، وقد وقف لله ولوجه الله، لكن شعر بأنه أذنب.
[روي أن عمر رضي الله عنه قال: ما زلت أتصدق وأصوم وأصلي وأعتق من الذي صنعت يومئذ مخافة كلامي الذي تكلمت به، حتى رجوت أن يكون خيراً] استمر على الصلاة والصيام والصدقات وعتق الرقاب ليكفر عن ذلك الموقف، ووالله ما وقفه إلا لله، ونحن يخرج الواحد فينا من الزنا أو اللواط أو الربا أو الجريمة فلا يصلي ركعتين نافلة حتى، ويقول: تبنا! ولا يبكي حتى ساعة في عمره، و عمر المبشر بالجنة يتصدق ويصوم ويعتق الرقاب، من أجل موقف وقفه غير ملائم لموقف رسول الله صلى الله عليه وسلم.

كتابة وثيقة الصلح ونصها

قال: [كتابة وثيقة الصلح ونصها] اسمعوا أيها الساسة، وبلّغوا عن رسول الله.
[ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه] سكرتيره الخاص [ليكتب وثيقة الصلح، وقال: (اكتب بسم الله الرحمن الرحيم، فقال سهيل ممثل قريش وسفيرها: لا أعرف هذا، ولكن اكتب: باسمك اللهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اكتب باسمك اللهم فكتبها، ثم قال: اكتب: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم سهيل بن عمرو ، فقال سهيل : لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك ولكن اكتب اسمك واسم أبيك)] يعني: لو علمت أنك رسول الله وشهدت بذلك ما قاتلتك، وقد تنازل صلى الله عليه وسلم من قبل عن الرحمن الرحيم.
وقد ألهمت وكتبت إلى إخواننا في الديار الجزائرية المسئولين عن هذه الحرب، فقلت لهم: يا فلان ويا فلان أطفئوا هذه النار، تخلوا عن المطالبة بالحكم والمشاركة فيه، فإنه والله لا خير فيه، وهو حكم موهوم فقط، أطفئوا هذه النار، أعلنوا عن تنازلكم عن المشاركة في هذا الحكم وعن قبوله، وأنقذوا إخوانكم، وإن تململتم فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يتنازل عن كلمة رسول الله، من أجل ماذا؟ من أجل هدنة يتمكن فيها المؤمنون من السير والمشي طالبين أرزاقهم عشر سنوات، ووالله ما ردوا ولا أجابوا.
[(فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو ، اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين)] وتلك حرب كانت بين الكفار والمؤمنين، ونحن حروبنا بين المؤمنين أنفسهم، والسبب أننا ما ربينا في حجور الصالحين، ولا تربينا على هدي رسول الله وآدابه وسياسته.
قال: [(يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض: على أنه من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه رده عليهم)] وتنازل رسول الله صلى الله عليه وسلم.
يقول سهيل : يا محمد! إذا جاءك واحد منا ونزل عندك ووليه غير راض يجب أن ترده علينا لنعذبه ونقتله، وإذا صار إلينا منك أحد لا نرده عليك [(ومن جاء قريشاً ممن مع محمد صلى الله عليه وسلم لم يردوه عليه)] وتحمل هذا الرسول وهو أرحم الخلق وأعلمهم بما يتم ويجري، فإذا جاء مشرك للمدينة وطلبه أهله رده عليهم، وإذا فر مؤمن إلى مكة لا يردوه على النبي صلى الله عليه وسلم، وتنازل عن أعظم شيء، عن كلمة رسول الله، ولو أن سياسياً اليوم في أي موقف من المواقف تنازل عن بسم الله الرحمن الرحيم لكفرناه أجمعين، ووقع هذا وجربناه وعرفناه؛ لأننا نهرف بما لا نعرف ونتكلم بدون فقه.

قال: [(وأن بيننا عيبة مكفوفة)] يريد أن صدورنا مطوية على ما فيها، فلا نبدي عداوة مدة الهدنة [(وأنه لا إسلال ولا إغلال)] أي: لا سرقة خفية ولا خيانة، أما أن نصطلح ثم تسبون أو تشتمون فلا.
صمت كامل [(وأن من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدها دخل فيه)، وفعلاً تواثبت خزاعة فقالوا: نحن في عقد محمد صلى الله عليه وسلم وعهده، وتواثب بنو بكر فقالوا: نحن في عقد قريش وعهدهم.
وأنك ترجع عنا عامك هذا] لا تعتمر الآن [فلا تدخل علينا مكة، وأنه إذا كان عام قابل خرجنا عنك] وأخلينا لك مكة [تدخلها بأصحابك فأقمت بها ثلاثاً معك سلاح الراكب: السيوف في القرب، لا تدخلها بغيرها، وشهد على الوثيقة عدد من المسلمين وآخر من المشركين، وأصبحت سارية المفعول] ماضية.

إرسال قريش سهيل بن عمرو لعقد صلح مع النبي صلى الله عليه وسلم

قال: [سفارة وهدنة] مع بعضهم البعض سفارة وهدنة.
[ولما علمت قريش بالبيعة على قتالها، خفّت فأرسلت سفيرها سهيل بن عمرو تطالب بالصلح] إذاً: موقف الرسول كان موقفاً حكيماً؛ فقد عزم على قتالهم، ولما عرفت قريش الجد، بعثت بسفيرها يطالب بالصلح [إذ قالت له: ائت محمداً فصالحه، ولا يكن في صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا؛ حفاظاً لماء وجهها] ويأتي في عام آخر فنخلي له مكة يطوف ويسعى، أما أن تسمع العرب بأن محمداً هزم قريشاً فلا نرضى بهذا أبداً [إذ قالوا: فوالله لا تتحدث العرب عنا أنه دخلها علينا عنوة أبداً، وأتى السفير النبي صلى الله عليه وسلم، فما إن رآه مقبلاً نحوه حتى قال: (قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل)] وهذه فراسة وأنوار محمدية، فما إن رأى سهيلاً -وهو رجل ممتاز من رجال السياسة والبصيرة- حتى قال: (قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل).
[وانتهى سهيل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم] ووصل وجلس بين يديه [وتكلم فأطال الكلام] كان فصيحاً سياسياً [وتراجعا ثم جرى بينهما الصلح] تراجعا الحديث، ثم اتفقا على الصلح [ولم يبق إلا كتابة الوثيقة بالصلح الذي أنتج الهدنة المباركة] بين الرسول وبين المشركين.

إنكار عمر لبعض بنود صلح الحديبية

قال: [عمر ينكر] لم يطق عمر هذا الموقف الصعب.
[لما تمت المفاوضات وانتهت بالصلح وعمر يسمع] حديث رسول الله مع سفير قريش سهيل [أتى أبا بكر]، ذهب عمر إلى أبي بكر الصديق [فقال: يا أبا بكر ! أليس برسول الله؟ -أي: محمد صلى الله عليه وسلم- قال: بلى، أولسنا بالمسلمين؟ قال: بلى، أوليسوا بالمشركين؟ قال: بلى، قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا؟] يعني: على أي شيء نعطي الدنية في ديننا [فقال أبو بكر : الزم غرزه فإني أشهد أنه رسول الله] أي: الزم أمره ولا تخالفه، والغرز من الرحل كالركاب من السرج، أي: لا تفارقه ولا تتقدم على الرسول أبداً [فقال عمر : وأنا أشهد أنه رسول الله، ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال له نفس القول الذي قاله لأبي بكر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أنا عبد الله ورسوله، لن أخالف أمره، ولن يضيعني)] هذه كلمة رسول الله لعمر .
وما ترك عبد مؤمن شيئاً لله، إلا عوضه الله خيراً منه، فأيما مؤمن صادق أو مؤمنة ترك شيئاً لأجل الله عوضه الله خيراً منه.

رد النبي لأبي جندل بعد أن جاء مسلماً تطبيقاً للصلح المتفق عليه

قال: [أبو جندل يستصرخ] أبو جندل يصرخ: أغيثوني.
[ما زالت الوثيقة لم يجف حبرها] كما كتبت [حتى جاء أبو جندل -ابن السفير المشرك سهيل بن عمرو -] في المجلس [يرسف في الحديد] مغلل بالحديد في يديه [هارباً من المشركين، فقام إليه أبوه فضربه في وجهه، وقال: يا محمد! قد تمت القضية بيني وبينك قبل أن يجيء هذا؟] يعني: اتفقنا من قبل أن يجيء ابني، فلا حق لك فيه أرده إلى مكة [قال: (صدقت)] أي: صدقت فيما قلت يا سهيل فقد تمت القضية قبل هذه.
[فجعل ينتهره ويجره ليرده إلى قريش، وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته: يا معشر المسلمين أُردّ إلى المشركين كي يفتنوني في ديني؟ فاغتم لذلك المسلمون وكربوا، وزادهم أسى وحزناً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا أبا جندل اصبر واحتسب؛ فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً)] من أين لنا رجل كرسول الله؟! [(إنا عقدنا بيننا وبينهم صلحاً، وأعطيناهم على ذلك وأعطونا عهد الله، وإنا لا نغدر بهم)].
وصل اللهم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

لقد كان صلح الحديبية فتحاً عظيماً للمسلمين، دخل الناس بعده في دين الله تعالى، وسمعت القبائل كلها بالإسلام، وقويت شوكة المسلمين، وبشرهم الله تعالى بفتح خيبر، وبالغنائم الكثيرة فيها، مع أن بنود الصلح كان ظاهرها أنها ضد المسلمين، ولكن الله تعالى جعل في ذلك خيراً عظيماً، وفتحاً مبيناً.

خلاصة ما جرى في صلح الحديبية

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.
أما بعد: لنقضي ساعة مع حبيبنا صلى الله عليه وسلم، وقد انتهينا إلى التحلل من الإحرام في غزوة الحديبية، وخلاصة ما تقدم: أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج ومعه ألف وأربعمائة رجل يريدون العمرة؛ وذلك في السنة السادسة من الهجرة، فبعد أن نصرهم الله في غزوة الخندق وهزم المشركين، رأى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قادر على أن يعتمر، فخرج برجاله -ومعهم نسوة كذلك لا يذكرن فالعبرة بأهل بيعة الرضوان- ولما قرب من مكة بلغ قريشاً خروجه فجهزت رجالها وخرجت بجيشها، فعدل رسول صلى الله عليه وسلم عن طريقه ومال إلى الجهة الغربية فنزل بمكان يقال له الحديبية.
وجرت سفارات متعددة، وانتهت بالاتفاق على صلح مدته عشر سنوات، وكتب الصلح بين الرسول وبين المشركين السكرتير الخاص علي بن أبي طالب ، وكان سفير قريش في هذا الصلح سهيل بن عمرو -رضي الله عنه- الذي دخل في رحمة الله بعد ذلك، وكانت أحداثاً مؤلمة، وسفارات شديدة، وتمت الاتفاقية على أن يعود الرسول ورجاله إلى المدينة، ويحرمون من عام قابل، تخلا لهم مكة ثلاثة أيام، ثم يعودون إلى ديارهم.

تحلل النبي وأصحابه من إحرامهم بعد إبرام صلح الحديبية

قال: [التحلل من الإحرام: ولما فرغ الحبيب صلى الله عليه وسلم من أمر المصالحة] بينه وبين قريش [وكان من بنود وثيقة الصلح أن يعود محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة على أن يعتمروا من العام القابل] أي: من العام الآتي، أما هذا العام فقالت قريش: لن نقبل.
كيف يسمع العرب ويقولون: انهزمت قريش! [من هنا أمر الناس بالتحلل من الإحرام] أمر النبي صلى الله عليه وسلم المؤمنين أن يتحللوا من الإحرام [ليعودوا إلى المدينة، فكَبُرَ عليهم ذلك ولم يفعلوا] يعني: كيف نرجع ونتحلل ونعود دون أن نعتمر؟ فصعب عليهم الأمر، ومن هم هؤلاء؟ خيرة الخلق، أحسن الناس مطلقاً في عهدهم وإلى يوم القيامة.
[فدخل الرسول صلى الله عليه وسلم على أم سلمة رضي الله عنها] أمنا أجمعين، تلك التي بقيت سنة كاملة وهي تبكي بعد أن منعت من الالتحاق بزوجها في المدينة، وأخذ منها ابنها، ومات أبو سلمة رضي الله عنه وعوضها الله خيراً منه رسوله صلوات الله وسلامه عليه.
[فقالت له: انحر هديك وتحلل، فسوف يفعلون ما تفعل] وحلّت المشكلة.
هذه جامعية؟ هل تحمل دكتوراه في علم النفس أو السياسة الأوهامية؟! والله إلى يوم القيامة لا يوجد مؤمن صادق ولا مؤمنة صادقة إلا ألهموا أعظم هذه السياسات كلها، يقول تعالى: اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ [البقرة:257]، أما نحن فمزقنا ولايتنا، وشتتنا أمرنا، وأصبحنا نرفع أيدينا فلا يستجاب لنا.
ولعل قائلاً يقول: يا شيخ كيف تقول هذا؟ فأقول: عمر رضي الله عنه يقول فيه الرسول: (ما سلك عمر فجاً -طريقاً واسعاً- إلا سلك الشيطان فجاً غير فجه)، لأن قوة نوره تحرق الشياطين، ويقول عمر : (لولا الخلافة وأعباؤها لكنت مؤذناً)، ويستدعيه أحد ولاته أيام خلافته فيضع له سفرة -سفرتنا نحن الآن أفضل منها عشرين مرة- فينظر إلى الطعام متلوناً، فيقوم منتفضاً، فيقول له الوالي: ما لك يا خليفة رسول الله؟! قال: خشيت أن أكون من الذين قال الله فيهم: أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ [الأحقاف:20]، كان عمر الخليفة يحمل قطعة اللحم من السوق في ثوبه رضي الله عنه وأرضاه.
إذاً: هذه المؤمنة الربانية أرشدت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حل مشكلة، بعد أن أمر بالتحلل فأبى أن يتحلل المؤمنون، وعز عليهم أن يعودوا منهزمين، وأن لا يحققوا عمرتهم خوفاً من هؤلاء المشركين.
قال: [وكانت رضي الله عنها سديدة الرأي] أي: دائماً تصيب فلا تخطئ، ونحن يمسخون بناتنا مسخاً، حتى تنسى ربها، وبذلك تصبح ذات وظيفة وشأن، أي وظيفة وأي شأن وأي هبوط هذا؟! وأين الرجال ووظائفهم وسياساتهم؟ هابطون إلى أعماق الباطل والشر.
إن أمة تعرض عن كتاب الله كيف تنجو، كيف تسلم، كيف تعود إلى مكانتها بين الأمم؟ [فنحر النبي صلى الله عليه وسلم هديه وحلق رأسه وتحلل من إحرامه، فما إن رآه أصحابه حتى فعلوا، فحلق بعض وقصر بعض] بعضهم حلق رأسه وبعضهم قصره [فقال صلى الله عليه وسلم: (يرحم الله المحلقين، قالوا: والمقصرين يا رسول الله؟ قال: يرحم الله المحلقين، قالوا: والمقصرين يا رسول الله؟! قال: يرحم الله

المحلقين، وفي الرابعة قال: والمقصرين)] ثلاث دعوات للمحلقين، وواحدة للمقصرين، والحلق هو حلق الرأس وتنظيفه من سائر الشعر، والتقصير هو قص الشعر الطويل ليبقى قصيراً.
[(ويسألونه قائلين: لم ظاهرت الترحيم للمحلقين -أي قويته- أي دون المقصرين؟ قال: لم يشكوا)] كيف لم يشكُّوا؟ لأنهم كانوا مضطربين في التحلل أولاً، فهمّوا أن لا يتحللوا، فلما رأوا رسول الله ائتسوا به، فالمقصرين شاكين، ما اطمأنت نفوسهم ولهذا لم يحلقوا، والمحلقون موقنون! لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم! أكملنا ذو اليقين، أما من كان بين وبين ما ينفع، اليقين الكامل مطلوب.
قال: (لم يشكُّوا) فلهذا دعونا لهم بالرحمة، أما المقصرون فقد كانوا غير مرتاحين لأن يتحللوا ويعودا للمدينة بعد أن وصلوا قريباً من مكة محرمين، والرسول وقف معهم حتى ساقه الله إلى أم سلمة ، وكانت سديدة الرأي، فقالت: ابدأ أنت وسيتبعونك، فحلق ونحر هديه فاتبعوه أهل اليقين، وكان هناك مرتابين شاكين، فدعا للمحلقين؛ لأنهم مطمئنون إلى صحة هذا الحلق.
[وقفل رسول الله صلى الله عليه وسلم عائداً إلى المدينة مع أصحابه] أي: رجع عائداً إلى المدينة مع أصحابه [وأثناء مسيره نزلت عليه سورة الفتح] أثناء مسيره من الحديبية عائداً إلى المدينة نزلت عليه سورة الفتح [إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا [الفتح:1] إلى آخر السورة، وقد اشتملت على جُلِّ أحداث غزوة الحديبية] من قرأها ووقف عليها وجد ذلك [مما تم فيها وما لحق بها من فتح خيبر وفوز المؤمنين بغنائم خيبر، والبشارة بعمرة القضاء، وتمامها على الوجه الأكمل بعد عام واحد من تلك الأيام، وبذلك صدق الله رسوله رؤياه المبشرة له وللمؤمنين بدخولهم مكة آمنين غير خائفين] قال تعالى: لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لا تَخَافُونَ [الفتح:27]، وفي سنة واحدة تحققت هذه البشرى.

آثار صلح الحديبية

قال: [آثار المصالحة] الحربية والسياسية والاجتماعية.
ثانياً: هرب أبي بصير من مكة إلى المدينة

[ومن آثار المصالحة أيضاً: أن أبا بصير هرب من مكة] أبو بصير فحل من فحول قريش كان مؤمناً مسلماً ووجد فرصة فهرب من مكة [فبعثت قريش في طلبه رجلين، فطالبا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأعطاهما إياه بموجب بنود الاتفاقية] ولم تكن نفس الرسول ولا أصحابه مطمئنة لهذا، ولكنه الاتفاق، فهل تعرف الدنيا اليوم اتفاقاً كهذا؟ إنهم يكذبون ولا يوثق فيهم أبداً ولا يطمئن إليهم؛ لأن القلوب ليس فيها نور الله.
[وقال له: (يا أبا بصير ! إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت، ولا يصلح لنا في ديننا الغدر)] كيف نغدر ونخون الوثيقة [(وإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً)] وما هي إلا سنة وفتح الله عليهم [(فانطلق إلى قومك)] يا أبا بصير [(فقال: يا رسول الله أتردني إلى المشركين يفتنوني في ديني؟! فقال: يا أبا بصير انطلق إلى قومك.
إلى قوله: مخرجاً)] وهو قوله الأول: (إن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً) [فانطلق أبو بصير مع الرجلين] يقودانه إلى مكة [حتى نزلوا ذا الحليفة للاستراحة] وهو ميقات أهل المدينة، على بعد ثلاثة عشر كيلو منها، ونزلوا للاستراحة؛ لأنهم يمشون على أرجلهم [فنظر أبو بصير إلى سيف المشرك، وقال له: أتأذن لي أن أنظر إليه؟] يعني: هل تسمح لي أن أنظر إلى هذا السيف العجيب! [قال: نعم.
فأخذه واستله من قرابه، ثم ضرب به المشرك فقتله وهرب الثاني] لما استله من قرابه ضرب به المشرك بسرعة فمات، وهرب الثاني [فلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم] أي: عاد إلى المدينة [وأخبره بالحادث] كما تم.
[وجاء أبو بصير متوشحاً بالسيف، وقال: (يا رسول الله! وفت ذمتك وأدى الله عنك، أسلمتني بيد القوم وأدى الله عنك، وقد امتنعت بديني أن أفتن فيه، أو يعبث بي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ويل أمه! مسعر حرب لو كان معه رجال)] وأصبحت الاتفاقية لا تتأثر بهذا، فقد رده إليهم، وهم الذين انهزموا وخرج من أيديهم فما بقي لهم كلام.
[ثم خرج أبو بصير فاراً حتى أتى العيص من ساحل البحر -طريق قوافل قريش إلى الشام- وسمع به آخرون في مكة فهاجروا إليه، فكوّنوا بذلك جيشاً مسلماً، وأذاق قريشاً الأمرين بأخذ قوافلهم وقتل رجالهم، فما كان منهم إلا أن كتبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلبون إليه ويسألونه بالرحم إلا آواهم وردهم إليه] قالوا: رد إليك رجالك.
يعني: ما داموا قطعوا الطريق عنا، وأكلوا أموالنا وقتلوا رجالنا ردهم إليك، ونقضنا الاتفاقية.
وهذا هو المخرج والفرج، دعوة أبي القاسم صلى الله عليه وسلم.
[فآواهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وردهم إلى المدينة، وهذا من الفرج والمخرج الذي بشر به رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بصير و أبا جندل قبله، فكان والحمد لله] و أبو جندل هرب إلى معسكر الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديبية، فضربه أبوه، وردوه وهو يصرخ ويبكي، فلما تكونت هذه الجماعة لحق بهم.

أولاً: هجرة أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط إلى المدينة

[ومن آثار المصالحة أن أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط قد هاجرت إلى المدينة بعد عقد الهدنة بأيام، هاربة من دار الكفر إلى دار الإسلام] و عقبة بن أبي معيط كان من شر الخلق، وله قصة وهي: أنه عندما كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي عند الكعبة ذات مرة

قبل الهجرة -والصلاة فرضت في السنة العاشرة، وأقام ثلاث سنوات يصلي مع المؤمنين في مكة- جاء هذا الملعون بسلا بعير وجده عند الصفا -ناقة ولدت هناك- ووضعه بين كتفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ساجد، فجاءت جويرية صغيرة وهي فاطمة بنت محمد رضي الله عنها ونزعت السلا من على ظهره، ونالت من ذاك الملعون منالاً، فما استطاع أن يرد عليها لأنها طفلة صغيرة، وقد قتل -والعياذ بالله- في غزوة بدر.

هذا الرجل كان له بنت تسمى أم كلثوم ، هاجرت إلى المدينة بعد عقد الهدنة بأيام هاربة من دار الكفر إلى دار الإسلام، وقد عرفتم مقتضيات الهدنة وهي: أنه إذا هرب إنسان مؤمن من مكة إلى المدينة على الرسول أن يرده، وإذا هرب شخص من المدينة إلى مكة لا يُرد على النبي.

وتحمل الرسول في هذا الصلح ما لا تتحمله الجبال.

قال: [فلحق أخواها عمارة و الوليد يطالبان بها]؛ لأنهما كافران، وفرت أختهما، وجاءت مسلمة إلى المدينة، فجاءا يطالبان بها بموجب الاتفاقية [ولما كانت نصوص الهدنة تتعلق بالرجال دون النساء] الحمد لله انفرجت! نصوص الهدنة كانت تتعلق بالرجال، فإذا هرب من مكة إلى المدينة رجل على محمد أن يرده، وإذا هرب من المدينة إلى مكة رجل لا يردونه، أما المرأة فمسكوت عنها [لأن النساء لا يحاربن] لا تحمل السلاح ولا تدخل المعركة.

قال: [أبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يردها إليهما] إلى أخويها [وأنزل الله تعالى في ذلك قرآناً] يتلى إلى اليوم [هو قوله تعالى من سورة الممتحنة: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ [الممتحنة:10]] إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات من مكة إليكم بالمدينة [فَامْتَحِنُوهُنَّ [الممتحنة:10]].

لعلها جاءت لمادة أو لزواج أو لدنيا، فاختبروها أولاً [اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُمْ مَا أَنفَقُوا [الممتحنة:10]] إذا كان لها زوج نعطيه المهر الذي دفعه لهذه المؤمنة الهاربة بدينها، وإذا كانت غير متزوجة -كهذه- فقد رد الرسول أخويها خائبين بهذه الآية.

هذا هو الإسلام يا أبناءنا، ينزل حكم الله ليبين الطريق للسالكين، ونحن نقرأ القرآن على الموتى ولا نشعر بهذا الكلام أبداً، يقول تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ لكن إذا ظهر لكم أنها مؤمنة، ومعنى هذا أنكم لا تشقوا عن القلوب، ولكن امتحنوا واسألوا ومن ثم يلوح لكم النور وتعرفوا هل هي مؤمنة أن كافرة: فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ أبداً.

لا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ أي: لا يحل لمؤمن أن يتزوج كافرة، ولا لمؤمنة أن تتزوج كافراً، باستثناء اليهود والنصارى فقط؛ لأنهم أهل كتاب، أما المشركون فلا يحل -مطلقاً- لمؤمن أن يتزوج مشركة، ولا لمؤمنة أن تتزوج مشركاً من الرجال، ولو تزوجت امرأة كافراً وجب على المسلمين أن ينقذوها منه، ولو بإعلان الحرب الكاملة لإنقاذها، ولا يطأها كافر ويمنعها من عبادة الله تعالى.

نتائج وعبر من صلح الحديبية

قال: [نتائج وعبر] بعد أن انتهت هذه الحادثة إليكم نتائجها وعبرها، إذا كنتم تريدون أن تعبروا إلى ما هو خير وأكمل، فهذه معبّرات أو عبارات -باللغة المصرية-.

[إن لهذه المقطوعة من السيرة نتائج وعبراً نبينها كالآتي: أولاً: وجوب الاعتمار وحرمة البيت الحرام وتعظيمه] العمرة واجبة ولكن دون الفرض، فهي سنة مؤكدة والدليل خروج الرسول صلى الله عليه وسلم مع ألف وأربعمائة من الصحابة إليها، وحرمة البيت الحرام وتعظيمه أخذناها من عدم المقاتلة فيه.

[ثانياً: بيان العزم المحمدي الذي لا يهن أبداً، المتجلي في قوله: (والله لا أزال أجاهدهم على الذي بعثني الله به حتى يظهره الله، أو تنفرد هذه السالفة)] وهذا الكلام قاله صلى الله عليه وسلم لما علم بخروج قريش لملاقاته وهو لم يجئ إلا معتمراً.

والذي بعثه الله به هو أن يعبد الله وحده دون سواه في الكون، ولا يبقى في الأرض من يعبد غير الله.

[ثالثاً: كلمة التوبة هي: نستغفر الله ونتوب إليه] أعلنها لأصحابه لما اشتدت الأزمة في الحديبية، قال: (قولوا: نستغفر الله ونتوب إليه).

وكرروها حتى فرج الله ما بهم، ويا ليتها تكون من أورادنا دائماً.

[رابعاً: آية النبوة المحمدية المتجلية في جَيَشَانَ الماء في البئر التي أُدخِل فيها سهم النبي صلى الله عليه وسلم] لما نزلوا على مكان ليس فيه ماء وقالوا: يا رسول الله! كيف ننزل هنا، أخذ من كنانته صلى الله عليه وسلم سهماً وأمرهم بأن يضعوه في قليب من القلب ففاض كما تفيض العيون، وسقوا وشربوا واغتسلوا، وهذه آية من آيات النبوة.

[خامساً: بيان كمال الحليس سيد الأحابيش في سفارته فقد كان لغضبه المشرف أثر طيب] وهذا بعثته قريش، ولكن كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع الحق.

[سادساً: بيان مدى إجلال الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم، الأمر الذي أدهش سفير المشركين عروة بن مسعود ، فحذر لذلك قريشاً وقال: رُوا رأيكم!!]؛ لأنه لما جاء وجد المغيرة بن شعبة واقف على رأس النبي صلى الله عليه وسلم، وأصحابه كذلك بين يديه، فإذا بصق بصاقة تلقفوها فلا تقع على الأرض، فلما رأى هذا الطائفي الثقفي أخبر به قريشاً، وقال: لن تفلحوا مع هؤلاء، فقد رأيت من أصحابه ما رأيت.

ولو لم يكونوا كذلك رضوان الله عليهم -والله- ما انتصروا.

فلهذا نقول وما زلنا نقول: لهذه الطوائف وهذه الجماعات لابد وأن يكون لها إماماً يبجلونه ويكبرونه ويعظمونه بإكبار الله وإجلاله وتعظيمه، فإذا قال: صوموا صاموا، وإذا قال: أفطروا أفطروا، وإذا قال: قفوا وقفوا.

وإذا لم يكن على هذه الصورة فلا نتائج إلا الخسران والبلاء.
وأهل القرية يجب أن يكون فيهم شيخ من هذا النوع، إذا دعاهم إلى خير هبوا مسرعين وخفوا، وإذا نهاهم عن باطل وشر تركوا وعدلوا، فيصبحوا وكأنهم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، أما الزعامات والتطاول فلا فائدة منها، ولن نفلح إلا إذا رجعنا إلى الطريق، فعقبة بن مسعود لما شاهد التبجيل والاحترام والتعظيم قال: مثل هؤلاء لا يهزمون، وأعلم قريشاً بذلك فخارت قواها.
[سابعاً: تجلي الكمال المحمدي في عفوه عن الأربعين مجرماً الذين أُلقي القبض عليهم حول المعسكر، وهم يرمونه بالحجارة والنبل أيضاً، وهو موقف مشرف كان له أثر طيب في اتفاقية الهدنة المباركة] قبل الاتفاقية وقبل عقد الهدنة جاء أربعون مجرماً من مكة، ووقفوا وراء جبل وأخذوا يرسلون الحجارة والنبال على معسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقام رجال من المؤمنين فطوقوهم وأخذوهم، ووضعوهم بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم، فماذا فعل بهم؟ هل ذبحهم؟ هل بقر بطونهم؟ هل فقأ أعينهم؟ لا، وإنما قال: اذهبوا وتركهم.
والآن هناك جماعات يدعون الإسلام ويذبح بعضهم بعضاً! أعوذ بالله.
أعوذ بالله، أعداؤه صلى الله عليه وسلم عفا عنهم، وقال: اذهبوا، ونحن يذبح بعضنا بعضاً؟! [ثامناً: بيان فضيلة عثمان بن عفان في كونه لم يرض أن يطوف بالبيت دون رسول الله صلى الله عليه وسلم] لما بعثه الرسول سفيراً إلى قريش احترمته لقرابته، وقالت: طف بالبيت أنت ولا بأس! فقال: لا.
كيف أطوف أنا بالبيت والرسول محروم منه، ورفض أن يطوف.
قال: [وفي بيعة الرسول له وهو غائب] لما بايع الرسول المؤمنين و عثمان غائب، وضع يداً على أخرى وقال: (هذه لـعثمان)، قال تعالى: لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا * وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا [الفتح:18-19]، وما إن عادوا إلى المدينة حتى خرجوا إلى خيبر، وكانت الغنائم، وكان فتحاً عجيباً.
[تاسعاً: بيان فضل أهل بيعة الرضوان؛ إذ هم في الدرجة الثانية بعد أهل بدر] أصحاب الرسول أفضلهم أبو بكر -والله الذي لا إله غيره- ثم عمر ثم عثمان ثم علي ، ثم باقي العشرة -الستة الآخرون- ثم أهل بدر، ثم أهل بيعة الرضوان، بهذا الترتيب [قال الله تعالى فيهم: لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا [الفتح:18].
عاشراً: بيان فضل عمر بن الخطاب المتجلي في توبته الطويلة الأمد من أجل كلماته التي قالها -وهي حق- إلا أنها اصطبغت بصيغة شبه المعارضة في قضية عامة] لما كادت الاتفاقية تتم غضب عمر وقال: (ألسنا على الحق يا رسول الله؟! فقال: أنا رسول الله ولن يضيعني)، هذه الكلمة التي واجه بها الرسول صلى الله عليه وسلم ما زال يتصدق عنها ويبكي ويصوم ندماً عليها، وهي كلمة فقط، ونحن نسخر من هدي الرسول وسنته وشرائعه ثم نقول: نحن مسلمون!! [الحادي عشر: من الحكمة أن يتنازل المرء عن أشياء لا تضر بأصل قضيته لتحقيق أشياء أعظم منها] تجلى هذا في الصلح.
[الثاني عشر: فضل علي رضي الله عنه في كتابته الوثيقة وعدم اعتراضه على ما اعترض عليه فيها غيره من الأصحاب] علي كان يكتب وما ظهر أبداً أنه غاضب أو لا يريد.
[الثالث عشر: وجوب الوفاء بالعهود وحرمة الغدر والخيانة] وتجلى لنا هذا في قصة أبي بصير .
[الرابع عشر: وجوب الهدي على من أحصر عن إتمام الحج أو العمرة، وبعد نحر الهدي يتحلل بحلق أو تقصير] وهذا إلى يوم القيامة، إن اشترط على ربه فإنه يتحلل وليس عليه نحر ولا صيام، وإن لم يشترط على ربه وأصابه مانع فإنه لا يتحلل حتى يطوف بالبيت، فإن كان عاجزاً نحر وتحلل، وهذا بعض أهل الفقه لا يقولون به، ولكنه صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لامرأة أبي بكر وهي مريضة، فقال: (اشترطي) فاشترطت.
فأيما شخص يخاف أن لا يصل إلى مكة؛ لسبب من الأسباب عليه أن يقول: اللهم محلي حيث حبستني، فإذا حبس بمانع من الموانع ما عليه إلا أن يلبس لباسه وكفى، ولا شيء عليه، أما إذا ما اشترط ونسي أو ما عزم أو قال: هذا لم يقل به مالك -مثلاً- أو أبو حنيفة فعليه أن ينحر ثم يتحلل، فإن لم يستطع النحر صام عشرة أيام.
[الخامس عشر: بيان حكم المهاجرات من النساء المؤمنات وأنهن لا يرجعن إلى دار الكفر بعد خروجهن منها] هذا والله تعالى أسأل أن ينفعنا وإياكم بما ندرس ونسمع.
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

بعد صلح الحديبية أمن النبي صلى الله عليه وسلم من جانب قريش، وبدأ يرسل السرايا والبعوث إلى مناطق مختلفة حول المدينة، وذلك حتى ينتشر الإسلام، ويسمع به من لم يسمع به من قبل، وحتى يبث الرعب في قلوب الأعداء، ممن تسول لهم أنفسهم أن يمسوا المسلمين بسوء، وبذلك تصبح للإسلام شوكة وقوة وهيبة، فيدخل الناس في دين الله تعالى، وقد تم للنبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين ما أرادوا.

سرايا النبي صلى الله عليه وسلم في السنة السادسة من الهجرة

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.
أما بعد: لنقضي ساعة مع حبيبنا صلى الله عليه وسلم، وقد انتهينا إلى السنة السادسة من هجرته صلى الله عليه وسلم.
قال: [وخامس أحداثها: مجموعة السرايا الآتية] والسرايا: جمع سرية، وهي مجموعة من أولياء الله يسرون بالليل لأداء مهمة الجهاد والدعوة إلى الله.
سادساً: سرية زيد إلى بني ثعلبة

قال: [سادساً: سرية زيد : وأيضاً إلى بني ثعلبة بالطرف على رأس خمسة عشر رجلاً فهربوا منه، وأصاب من نعمهم عشرين بعيراً وعادوا سالمين].
سابعاً: سرايا زيد إلى حسمى ووادي القرى وأم قرفة

قال: [سابعاً: سرايا زيد من غير ما ذكر، وهي ثلاث سرايا: الأولى: إلى حسمى] وهي أرض بالبادية بها جبال شاهقة [وثانية إلى وادي القرى، وثالثة إلى أم قرفة] هذه ثلاث سرايا تابعة لزيد حب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد جعله قائداً على أربع أو خمس سرايا.
ثامناً: سرية كرز بن جابر الفهري إلى العرنيين

قال: [ثامناً: سرية كرز بن جابر الفهري إلى العرنيين الذين قتلوا راعي رسول الله صلى الله عليه وسلم، واستاقوا الإبل] العرنيون هؤلاء من قبيلة عرنة، جاءوا ودخلوا في الإسلام في المدينة، وكان بالمدينة حمى، فاجتووا وشكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منها، فقال لهم: خذوا إبل الصدقة وارعوها واشربوا ألبانها وأبوالها فإنكم تشفون بإذن الله، فأخذوا الإبل ونزلوا بعيداً في الصحاري، وأخذوا يشربون بول الجمال ولبنها، فصحوا -وأصبحوا كالعفاريت- فلما صحوا وقدروا ارتدوا عن الإسلام، وأخذوا الإبل وقتلوا الراعي، وهو تابع لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من يأتي بهم.
قال: [بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في عشرين فارساً، وقد استردوا الإبل، وجاءوا بالعرنيين أسرى، وهم الذين قتلوا بالحرة] الغربية أو الشرقية [وتركوا بها أياماً؛ لأنهم أسلموا ثم ارتدوا وساقوا إبل الصدقة] والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: (من بدل دينه فاقتلوه)، فطبق فيهم حكم الله عز وجل.
قال: [وفيهم نزلت آية: إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ [المائدة:33]، وفعل بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك حكماً بقضاء الله تعالى فيهم] لأنهم ارتدوا بعد إسلامهم، وقتلوا الراعي، وأخذوا إبل الرسول صلى الله عليه وسلم.
إذاً: كان جزاؤهم أن أخذوا أسرى إلى الحرة، ثم قتلوا وصلبوا وتركوا مدة، ونزل فيهم قرآن يقرأ إلى يوم القيامة: إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا ما هو جزاؤهم؟ أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ [المائدة:33]، وهذا يعود إلى إمام المسلمين يطبق فيهم ما شاء من هذه المادة، وإذا رأى نفيهم نفاهم، إذا عرف أنه لا يؤثر على الأمة، كأن يتعصبوا ويكونوا جيشاً -مثلاً-.
خامساً: سرية زيد بن حارثة إلى العيص

قال: [خامساً: سرية زيد بن حارثة أيضاً إلى العيص] ومدينة العيص موجودة إلى الآن على ساحل البحر [وفيها: أخذت الأموال التي كانت مع أبي العاص بن الربيع ، واستجار أبو العاص بزينب فأجارته كما تقدم، وردت إليه أمواله كلها حتى الشظاظ] و أبو العاص بن الربيع صهر النبي صلى الله عليه وسلم، زوجه الرسول صلى الله عليه وسلم بابنته زينب في مكة أيام كانوا فيها، وزينب هي بنت خديجة رضي الله عنها أيضاً، وهاجر الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمون وبقي أبو العاص على كفره في مكة، و جاءت زوجته مهاجرة إلى أبيها.
فخرج أبو العاص في تجارة إلى الشام وعند عودته لاقته سرية زيد فاستولت على تلك القافلة وما فيها من بضائع، وكانت تلك أموال أخذها أبو العاص من أغنياء مكة ليتجر فيها ويردها عليهم، فجاء مختبئاً يمشي في الظلام حتى دخل المدينة واستجار بزينب رضي الله عنها فأجارته، وطلبت من أبيها صلى الله عليه وسلم أن يجير أبا العاص ، فقبل صلى الله عليه وسلم ورد عليه الصحابة كافة ماله.

فذهب إلى مكة وطاف بأغنيائها، ورد عليهم أموالهم، ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، لِم؟ خاف أن يقال: أسلم من أجل المال! أو أسلم من أجل أن يأكل أموالنا! فأدى لهم أموالهم وردها عليهم كما هي، ثم أعلن عن إسلامه، وجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم ورد إليه زينب.
وأيما امرأة مؤمنة يستجير بها كافر، فتقول: اجلس وأنت في جواري لا يستطيع الجيش ولا البوليس ولا الحاكم أن يمسه بسوء، بدأ بهذا -أولاً- العرب، فقد كانوا يعرفون هذا المقام، وهذا الشرف، فإذا استجار أحد بآخر سكتت كل البلاد عنه.
وهذا من فضائل العرب في الجاهلية.
وهناك حادثة أخرى تدل على مكانة الجوار عند العرب، وهي: لما فتح الرسول صلى الله عليه وسلم مكة في السنة الثامنة، عفا عن أهلها جميعاً بكلمته وهو على راحلته: (يا أهل مكة ما تظنون أني فاعل بكم؟ قالوا: أخ كريم وابن أخ كريم، قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء) إلا خمسة نفر أو أربعة؛ لأنهم أجرموا أكبر إجرام، وكانوا يستحقون القتل، ونحن ما إن يستقل الإقليم حتى يذبح الخصوم: يقولون: العملاء! الأذناب! والرسول صلى الله عليه وسلم بعد ثمان سنين من الحرب الدائرة، وغزوه في مدينته وقتل ابن عمه وجماعة من أصحابه يقول لقريش: (اذهبوا فأنتم الطلقاء).
إذاً: هرب أحد هؤلاء المجرمين إلى بيت أم هانئ بنت أبي طالب رضي الله عنها، وقال: أجيريني يا أم هانئ ! فأجارته، فجاء علي أخوها وقال: أنت هنا! وأراد أن يقتله، فقالت: قد أجرته يا ابن أمي، وذهبت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقالت: إن أخي يريد أن يقطع جواري لفلان، فقال لها بالحرف الواحد: (أجرنا من أجرت يا أم هانئ)، وشرد المجرم وخرج من مكة وانتهى شأنه.
أيوجد هذا الكمال عندنا أيها المسلمون؟ لا يوجد.
لماذا؟ لأننا -فقط- ما علمنا، وما عرفنا، وما ربينا في حجور الصالحين.

ثالثاً: سرية أبي عبيدة عامر بن الجراح

قال: [ثالثاً: سرية أبي عبيدة عامر بن الجراح] وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة.
وقد علمنا أن أفضل الصحابة أربعة: أبو بكر فعمر فعثمان فعلي، ثم الستة الباقون ومنهم أبو عبيدة ، ثم بعد ذلك أهل بدر، وهم ثلاثمائة وأربعة عشر رجل، ثم أهل بيعة الرضوان، ثم ما قال تعالى: وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ [الحشر:10]، وقد يوجد بيننا من هو منهم.
ويقول تعالى أيضاً: هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ * وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ [الجمعة:2-3]، اللهم اجعلنا منهم، ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ [الجمعة:4].
قال: [إلى ذي القصّة] مكان ماء أو جبل [وكان أفراد السرية أربعين رجلاً، ولما علم المشركون بخروج السرية إليهم هربوا، ووصلت السرية إلى مائهم] الذي يعيشون حوله يسقون مواشيهم وأنفسهم في صحاري الحجاز [فلم تجد أحداً إلا رجلاً واحداً ونعَمَاً] إبلاً وغنماً [فساقوا النعم، وأسلمَ الرجل فتركه النبي صلى الله عليه وسلم].
رابعاً: سرية زيد بن حارثة بالجموم

قال: [رابعاً: سرية زيد بن حارثة بالجموم فأصاب امرأة من مزينة، اسمها حليمة] و زيد هذا هو مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحبه، لم يذكر اسم صحابي في القرآن غيره، قال تعالى: فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا [الأحزاب:37]، وسبب ذكر اسمه في هذه الحادثة -هيا نقتبس من أنوارها ولو قبساً-: كان في عهد الجاهلية وصدر الإسلام، إذا تبنى الرجل طفلاً: أصبح حكمه حكم ابنه، سواء كان لقيطاً أو غير لقيط، فهو بمنزلة ابن الرجل في الإرث وفي حرمة النكاح كابنه من صلبه، وأراد الله عز وجل أن يبطل هذه العادة الجاهلية، وهي متمكنة متأصلة في نفوس الناس، يصعب على أحدهم أن يتجاهلها أو يتخلى عنها، ولكن بالحكمة الإلهية.
فخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش ، بنت عمته رضي الله عنها وأرضاها -وهي الآن أمنا، وقد جاءت مهاجرة مع أخيها عبد الله ، أول قائد قاد سرية في الإسلام- فلما خطبها وكلمها وهي في بيتها، ففهمت أنه يخطبها لنفسه، فطارت فرحاً -وحق لها- وما هي إلا سويعات وتحدث أهل البيت وقالوا: إنما يخطبك لمولاه زيد ليس له هو، فاشتعلت نار الحمية والشرف، وقالت: شريفة! تتزوج مولى من موالي العرب؟! لن يكون هذا أبداً! ووقف إلى جنبها عبد الله البطل وقال: شرفنا قبل كل شيء! لا أزوج أختي لعبد من عبيد الناس ومولى من مواليهم، فنزل القرآن بهذه الآية -واحفظ هذه الحكم-: وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ [الأحزاب:36]، وما إن نزلت الآية، وترددت على ألسنة الرجال والنساء في مدينة النور، حتى أذعن عبد الله وطأطأ رأسه وأذعنت زينب وسلمت نفسها؛ ليتزوجها مولى من موالي العرب وهو زيد بن حارثة .
لذلك لو أعلنا: أن التدخين حرام، فلا يحل لمؤمن ولا مؤمنة أن يتعاطاه، فهذا حكم الله ورسوله، وهذا لأنه من الخبث، والله حرم الخبائث على هذه الأمة، وكيف يكون حالنا بعد أن نسمع بحرمته؟ نرميه مباشرة عند الباب، وندهسه بأرجلنا، ونقول: يا ولد! اذهب إلى الدكان أخرج تلك الصناديق من الدخان وأحرقها، لِم؟ لأنه حرام علينا، ووالله إن لم يكن هذا في نفوسنا، فما نحن بشيء، وهذا الهبوط الذي هبطناه بعدما كنا في سماء الكمال هو نتيجة هذه الحالة الوضيعة! إذاً: قالت زينب رضي الله عنها: شرفي! كيف يسمع الناس أن زينب المخزومية تزوجت مولى من موالي العرب؟! فما إن نزلت الآية حتى أسلمت نفسها وقدمتها رضي الله عنها وأرضاها، وكان زيد كذلك ما استطاع أن يعيش مع السيدة الشريفة، كانت تترفع عليه، فيأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول: يا رسول الله! ما أطقت الحياة مع

هذه الشريفة، فبيننا فرق كبير، فيقول له: اصبر يا زيد ! ويأتي مرة أخرى ويقول له الرسول: اصبر يا زيد ! ثم طلقها، فزادت هبوطاً -بعد أن تزوجها مولى وطلقها- ومن يرفعها سوى الله.
وإذا بالأمر يصدر من السماء، ويفتح رسول الله باب حجرته ويدعو أصحابه إلى وليمة عرس زينب ، والله هو الذي تولى عقد نكاحها في الملكوت الأعلى، قال تعالى: فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا [الأحزاب:37]، من الذي يتكلم بهذا؟ إنه الله! فكانت تفاخر بذلك، وتقول لنساء الرسول صلى الله عليه وسلم: ما منكن إلا وتولى عقد نكاحها أبوها أو أخوها، وتولى عقد نكاحي ربي! من أشرف منك يا زينب ؟ لِمَ هذا؟ لأنها ذلت لله، وخضعت له، وبكت بين يديه، وفي هذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (ما من مؤمن يترك شيئاً لله إلا عوضه الله خيراً منه)، ويحلف على هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونحن لا نستطيع أن نترك لله حتى قلْم أظافرنا.
لا إله إلا الله! تولى الله عقد نكاحها، وزوجها برسول الله صلى الله عليه وسلم، مقابل جميل فعلته وهو أنها أذعنت وخضعت لأمر الله، وتزوجت مولى من موالي العرب.
تدبير من هذا؟ تدبير العزيز الحكيم، ومن ثم الرسول صلى الله عليه وسلم تزوج امرأة ابنه المدّعى، فأبطل الله تلك العادة، وحرم التبني، ويقول النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك: (من انتسب إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين).
ومن ثم زيد بِمَ أكرمه الله؟ أكرمه ورفعه بأن خلد اسمه في القرآن، كانت هذه هي الجائزة التي أجازه الله بها، أن ذكر اسمه وحده في القرآن الكريم، قال تعالى: فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا [الأحزاب:37].
و زيد له قصة: فقد بيع عبداً بعد أن اختطف في الجاهلية، ثم اشتراه عم خديجة رضي الله عنها، وأهداه لها، وخديجة شريفة، سيدة نساء أهل الجنة، أم المؤمنين، زوج الحبيب صلى الله عليه وسلم، حزن الرسول لموتها وبكى حتى توفاه الله؛ لِما قدمت من خدمات له وهو في أصعب الظروف وأشد الأحوال.
فلما أهداها عمها زيداً أهدته هي إلى رسول الله ليخدمه، ومضت الأيام وجاء أبو زيد وعمه إلى مكة، بعد أن بلغهم أن ابنهم موجود بها، فجاءوا وقالوا: من يملكه؟ فقالوا: محمد بن عبد الله.
وهذا قبل الإسلام أو في أيامه الأولى، فقالوا: أعطنا ابننا، فقال: أخيره؛ إن اختاركم مشى معكم، وإن اختارني لا أضيعه، وحضر الأب والعم في المجلس، وقال النبي: يا زيد ! هذا أبوك وعمك وأنا وليك، أترغب أن تمشي مع أبيك؟ فقال: ما كنت لأستبدل أحداً بك يا رسول الله! فمن ثم خرج به رسول الله إلى الأسواق في مكة وحول الحرم، معلناً تبنيه لزيد رسمياً، ليصبح ذا شرف كامل، وأصبح يعرف بعدها بزيد بن محمد.
وجاءت الهجرة، وهاجر الحبيب صلى الله عليه وسلم والأحكام الشرعية تنزل كل يوم، وما تم هذا الدستور إلا في ثلاث وعشرين سنة، ومن هذه الأحكام: إبطال التبني، والآن هناك من يأخذ أطفالاً من المستشفيات وينسبونهم إلى أنفسهم، وهذا حرام، فقد حرم الله التبني.
قال: [فدلتهم حليمة على محلة من محال بني سليم] أين يوجدون، وأصبحت عيناً لهم [فأصابوا نعماً وشاء وأسروا، وكان من بين الأسرى زوج حليمة التي دلتهم على محلة العدو، فوهبه رسول الله صلى الله عليه وسلم لزوجته حليمة وأطلقها] وهبها زوجها ثم أطلقها.

أولاً: سرية عكاشة بن محصن

قال: [أولاً: سرية عكاشة بن محصن] و عكاشة بن محصن ذاك الذي قال: (ادع الله يا رسول الله أن يجعلني منهم، فقال: أنت منهم، فقام آخر وقال: ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: سبقك بها عكاشة)، والغاية أو الهدف أنه قال صلى الله عليه وسلم: (يدخل من أمتي الجنة سبعون ألفاً بدون حساب ولا عقاب لا يسألون ولا يستنطقون، فقال عكاشة ادع الله يا رسول الله أن يجعلني منهم).
و لعكاشة فضيلة أخرى، وهي أنه في يوم بدر انكسر سيفه، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عوداً من خشب فلما هزه في ديه تحول إلى أمضى سيف وأحده، وما زال يجاهد به رضي الله عنه حتى مات.
وبعضهم يقول: عكّاشة ، ولكن التخفيف هو الصحيح.
قال: [وكانت في ربيع الأول من هذه السنة] هذه السرية التي أرسلها رسول الله صلى الله عليه وسلم القائد الأعظم كانت في ربيع الأول من هذه السنة [فقد خرج في أربعين رجلاً] إلى مناطق يوجد بها مشركون [فعلم بهم من خرجوا لهم فهربوا، فطلبوهم هنا وهناك فلم يعثروا عليهم إلا أنهم عثروا على مائتي بعير فساقوها إلى المدينة وعادوا سالمين، والحمد لله] وهذه بركة عكاشة ، فما إن سمع بهم أهل ذلك البلد أو الماء حتى هربوا، وتركوا إبلهم وراءهم وكانت مائتي بعير.
وهذا رزق رزقه الله أهل المدينة المحاصرين الجائعين.
ثانياً: سرية محمد بن مسلمة

قال: [ثانياً: سرية محمد بن مسلمة] رضي الله تعالى عنه وأرضاه، و محمد بن مسلمة هو الذي أرسله الرسول صلى الله عليه وسلم إلى كعب بن الأشرف اليهودي الماكر الذي ألّب عليه المشركين بعد يوم بدر، فقتله محمد بن مسلمة رضي الله عنه وأرضاه.
قال: [إلى بني ثعلبة بن سعد، وكانوا عشرة فوارس] يرأسهم محمد بن مسلمة على خيول [فكمن العدو لهم وبيتوهم] كمن يكمن إذا اختبأ وراء جبل، أو في مكان [فلما ناموا] أي: الأصحاب [قتلوهم عن آخرهم إلا أمير السرية محمد بن مسلمة فقد نجا وهو جريح -رضي الله عنهم أجمعين-] وهكذا: يوم لك ويوم عليك، وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ [آل عمران:140]، فالسرية كلها استشهدت إلا محمد بن مسلمة عاد جريحاً.

هؤلاء هم أهل الجنة، يا عشاقها! هؤلاء هم طالبوها بجد؛ لأنهم أيقنوا بدار السلام وبما يوصل إليها، عرفوا وهذه آيات علمهم ومعرفتهم.

مكاتبة الرسول صلى الله عليه وسلم للملوك والرؤساء

قال: [مكاتبة الرسول صلى الله عليه وسلم الملوك والرؤساء] لأن الجزيرة دانت لله بالإسلام، وسرية بعد سرية خضعت الجزيرة بمن فيها لله وأسلمت.
إذاً: ينتقل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى خارجها، ولولا أن الله قبضه وتوفاه لواصل الجهاد خارج المدينة، لكن دقت ساعة الرحيل إلى الملكوت الأعلى، وهذه مكاتبته للملوك والرؤساء صلى الله عليه وسلم: [وفي هذه السنة السادسة من الهجرة، وبعد عقد الصلح مع قريش، كاتب الرسول صلى الله عليه وسلم الملوك والرؤساء يدعوهم إلى الإسلام الدين الحق الذي أرسل به لهداية الناس؛ كل الناس أبيضهم وأصفرهم إلى ما يكملهم عقولاً وأخلاقاً ويسعدهم أجساماً وأرواحاً في الحياتين: الدنيا والآخرة.
فبعث صلى الله عليه وسلم الرسل تحمل كتبه القيمة الكريمة إلى كل من كسرى ملك الفرس، وقيصر ملك الروم، والنجاشي ملك الحبشة، والمقوقس ملك مصر، وأرسل شجاع بن وهب إلى الحارث بن أبي شمر الغساني ، وأرسل سليط بن عمرو العامري إلى هوذة بن علي الحنفي ، وأرسل العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى أخي عبد القيس].
على كل حال في يوم آخر نسمع كتب الرسول صلى الله عليه وسلم بالحرف الواحد، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

لما صالح النبي صلى الله عليه وسلم قريشاً في الحديبية، وأمن جانبهم ومكرهم، تفرغ لدعوة الملوك والرؤساء إلى دين الله تعالى، فبدأ يراسلهم ويكتب إليهم الكتب يدعوهم فيها إلى دين الإسلام، فمنهم من آمن واتبع الرسول، ودخل في الإسلام، ومنهم من امتنع وتكبر وتجبر، فزال ملكه فيما بعد، ومنهم من لم يجب لكنه عظم الكتاب واحترم الرسول صلى الله عليه وسلم ودين الإسلام، وبهذا دخل الإسلام مرحلة جديدة من تاريخه، فقد سمع به الملوك والرؤساء ورعاياهم، فكان لهذا فضل كبير في دخول الناس بعد ذلك في دين الله أفواجاً.

مكاتبة الرسول صلى الله عليه وسلم للملوك والرؤساء

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.
أما بعد: لنقضي ساعة مع حبيبنا صلى الله عليه وسلم، وها نحن في آخر أحداث السنة السادسة من هجرته صلى الله عليه وسلم، وقد انتهينا إلى كتب أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بكتابتها وبعث بها إلى الملوك والرؤساء، فهيا نعيش مع رسولنا صلى الله عليه وسلم هذه الساعة، ونستمع إلى كلامه الطيب السياسي الحكيم الرشيد، وهو يخاطب الملوك والرؤساء على اختلاف أجناسهم وديارهم.
أيها المحبون! أما من لا حب له، فلا يقوى أن يسمع كلام من لا يحب، وحاشانا أن يوجد بيننا من لا يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فحبه فريضة، والله إنه لفريضة، وما آمن من كره رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولو صام الدهر كله وقام الليل كله، فلابد من حبه حباً أكثر من النفس والمال والولد، ما السر في فرض الله تعالى حب نبيه علينا؟ لأن الإنسان بفطرته إذا أحب أحداً أطاعه، ويصبح مستعداً لو قال له: أعطني نفسك، أن يعطيه إياها، ولولا فرض حب رسول الله على المؤمنين ما اتبعوه ولا مشوا وراءه؛ فلهذا على التلاميذ أن يحبوا شيخهم، فإذا لم يحبوه لم يطيعوه، فإذا قال لهم: احفظوا الكلام الفلاني لا يحفظون، أو راجعوا كذا لا يراجعون، ولا سيما إذا كان الشيخ مزكياً للنفوس مربياً للأرواح فطاعته واجبة.
ومع الأسف أطاع إخوانكم آباءهم وأجدادهم -رجال الجهل، تحت عنوان التصوف والطرق- طاعة عمياء وما استفادوا؛ لأنهم لا علم لهم ولا بصيرة ولا هداية في الدين فضلوا وأضلوا، نريد أن نطيع من يربينا ويزكي أنفسنا على الكتاب والحكمة، ولنقرأ لذلك قول ربنا عز وجل في كتابه: هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ [الجمعة:2]، ويزكيهم: أي يزكي أنفسهم ويطهرها من أوضار الشرك والجرائم والموبقات والمعاصي.
قال المؤلف غفر الله له ولكم ورحمه وإياكم وسائر المؤمنين: [مكاتبة الرسول صلى الله عليه وسلم الملوك والرؤساء.
وفي هذه السنة السادسة من الهجرة] هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة التي ولد بها وتربى وترعرع، وأوحي إليه فيها، وأسري به إلى السماء منها، وأقام بها وهو نبي ورسول ثلاث عشرة سنة، ثم أمره الله بالهجرة إلى المدينة لتصبح داراً وقبة للإسلام، فهاجر وأقام بالمدينة عشر سنين، ثم قبضه الله إليه.
قال: [وبعد عقد الصلح مع قريش] الصلح الذي عقده بينه صلى الله عليه وسلم وبين قريش ومدته عشر سنين، وتمت كتابة العقد ووقع عليها: على أن المؤمنين يتجولون في الحجاز ونجد والجزيرة كما يشاءون لا يعترضهم أحد، والمشركون يتجولون يأتون المدينة يدخلون حيث شاءوا.
ولا ننسى أن سهيل بن عمرو -رضي الله عنه وأرضاه- كان ممثل قريش في كتابة العقد والصلح، فلما أمر الرسول صلى الله عليه وسلم الكاتب أن يكتب -وهو علي بن أبي طالب - بسم الله الرحمن الرحيم قال سهيل بن عمرو : لا نعرف الرحمن الرحيم، ولكن اكتب باسمك اللهم، أما رجال الرسول صلى الله عليه وسلم فتغيرت وجوههم وتألموا وعلى رأسهم عمر ، فقال: اكتب يا علي : (باسمك اللهم، هذا ما عاهد عليه محمد رسول الله)، فقال سهيل : لا، لو عرفناك رسول الله لِمَ نقاتلك؟ ولكن اكتب: محمد بن عبد الله.
قولوا لي من يقدر على هذا الموقف سوى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم اكتب: (هذا ما عاهد عليه محمد بن عبد الله) فصاح عمر ! وقال: يا رسول الله! ألسنا على الحق وهم على الباطل؟ قال: (اسكت يا عمر أنا رسول الله ولن يضيعني).
هذه هي السياسة الرشيدة، النبي صلى الله عليه وسلم يريد أن يفتح المجال لدعوة الله تنتشر في الأرض، ويريد أن يرفع الآلام والأتعاب وتلك الاضطهادات عن المؤمنين في مكة وغيرها.
ويريد أن يخفف عن أصحابه من المؤمنين والمؤمنات.
هل في العالم الإسلامي اليوم من يحسن هذه السياسة؟ والله ما سمعوا بها، ولا عرفوها، ونحن المتعنترون -والله- لو يتنازل حاكم من حكامنا في عقد من عقود الصلح بيننا وبين الكفار عن كلمة (بسم الله الرحمن الرحيم) لكفرناه أجمعين ولعناه؛ لأننا ما عندنا رشد، ولا عرفنا الطريق.
هذه الفتن الدائرة منشؤها تكفير الحكام والعلماء، تحت قانون وضعه إبليس ورجال الشياطين، وهو: الحكام ما حكموا كتاب الله فهم كفار!. والعلماء سكتوا عنهم فهم كفار أيضاً!! والأمة صفقت لهم وسكتت فهي كافرة مثلهم، ولم يبقَ من مؤمن إلا أصحاب هذا الرأي فقط.

وبناءً عليه قالوا: هيا نقتل ونشفِ صدورنا بالاغتيالات وبتأجيج النيران -وأظنكم تسمعون ما يجري في العالم!- وكل هذا ثمرة الجهل المركب، ثمرة العناد والمكابرة، الله تعالى يقول -وقوله الحق-: فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ [النحل:43]، لِم لا نسأل العالمين العارفين؟ ولو سألوهم لقالوا لهم: ما قيمة تكفيركم للناس؟ ما هي ثمارها ونتائجها، دلونا! هل تمطر السماء؟ هل تخرج الأرض كنوزها؟ ما الذي تحصلون عليه؟ وقد درسنا من أيام في سورة النساء أن كافراً قال لخالد بن الوليد : السلام عليكم، فقتله خالد ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: (هلا شققت على قلبه يا خالد)، وقد قال كلمة الإيمان، فكيف بشخص يصوم ويصلي ويعبد الله، وتكفره لتقتله؟! أي علم هذا وأية معرفة؟ إذا ما أطقتم أن تعبدوا الله في بلاد، هاجروا واتركوها، والتحقوا ببلاد تعبدون الله فيها، ومع هذا لم يوجد بلد واحد اضطهد فيه المؤمنون عن عبادة الله عز وجل أبداً، إلا ما كان من شيوعية عدن مدة معينة وأزالها الله عز وجل، وإلا المؤمن في أي بلد يصوم ويصلي ويحجب امرأته، ويصوم الإثنين والخميس، ويتصدق بماله، ويخرج زكاته فلا يعترضه معترض.

وما كان من قضية السّنة في اللحية، نعم قد يسخرون منك، ويستهزئون بك فتحمّل؛ لأنهم ما ذاقوا، وما عرفوا، ولو عرفوا كما عرفت ما استهزءوا بك أبداً، ثم هذا الاستهزاء أنت تكسب به أجراً وحسنات، أما الحلق بالقوة -كما يبلغنا- فيكون في أيام الفتنة، أيام الاغتيالات والتفجيرات، كل من يشتبه عليهم يقولون: هذا منهم! قال: [كاتب الرسول صلى الله عليه وسلم الملوك والرؤساء يدعوهم إلى الإسلام الدين الحق الذي أرسل به لهداية الناس؛ كل الناس أبيضهم وأصفرهم إلى ما يكملهم عقولاً وأخلاقاً، ويسعدهم أجساماً وأرواحاً في الحياتين: الدنيا والآخرة] الأولى والثانية.

فهمتم سر هذه الدعوة ما هو؟! إنه دخول الناس في الإسلام.

لِم؟ ليكملوا عقولاً وأخلاقاً، ويسعدوا أجساماً وأرواحاً في الدنيا والآخرة، فالإسلام بشرائعه وقوانينه وأحكامه ما هو إلا وسيلة -والله العظيم- لإسعاد الإنسان وإكماله في آدابه وأخلاقه في الدنيا والآخرة، ليس لطلب مال ولا شهرة ولا سمعة، أبداً، والعرب والعجم ما عرفوا هذا.

[فبعث صلى الله عليه وسلم الرسلَ تحمل كتبه القيمة الكريمة] وسوف نسمعها [إلى كل من كسرى ملك الفرس، وقيصر ملك الروم، والنجاشي ملك الحبشة، والمقوقس ملك مصر، وأرسل شجاع بن وهب إلى الحارث بن أبي شمر الغساني ، وأرسل سليط بن عمرو العامري إلى هوذة بن علي الحنفي ، وأرسل العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى أخي عبد القيس].

أسماء حاملي كتبه إلى الملوك

قال: [أسماء حاملي كتبه إلى الملوك: أولاً: دحية بن خليفة الكلبي إلى قيصر ملك الروم] و دحية هذا كان جبريل يتمثل به، فيأتي إلى الرسول صلى الله عليه وسلم في صورة دحية بن خليفة الكلبي ، وكان من خيرة رجال المدينة؛ فلهذا جعله الرسول صلى الله عليه وسلم سفيراً يبعثه إلى الملوك والرؤساء لكمال ذاته وعقله وإيمانه.

[ثانياً: حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس ملك مصر.

ثالثاً: عبد الله بن حذافة إلى كسرى ملك الفرس.

رابعاً: عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي ملك الحبشة.

وهذه نماذج من صور لتلك الكتب].

نماذج من كتبه صلى الله عليه وسلم إلى الملوك

قال: [نماذج من كتبه صلى الله عليه وسلم]

كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى ملك عُمَان

قال: [سادساً: كتابه إلى ملك عُمَان: (بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن عبد الله إلى جيفر و عباد - وقيل: عياد - ابني الجلندي سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوكما بدعاية الإسلام، أسلما تسلما، فإني رسول الله إلى الناس كافة، لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين)] وهذه آية من سورة يس [(فإنكما إن أقررتما بالإسلام ولّيتكما وإن أبيتما أن تقرا بالإسلام فإن ملككما زائل)] وزال بالفعل [(خيل تحلّ ساحتكما وتظهر نبوءتي على ملككما)] وختم الكتاب.

[الله رسول محمــد صورة الخاتم النبوي]

كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى هوذة صاحب اليمامة

قال: [سابعاً: كتابه صلى الله عليه وسلم إلى هوذة صاحب اليمامة: (بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هوذة بن علي : سلام على من اتبع الهدى، واعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخف والحافر)] أي: إلى منتهى الخيل والحمير والإبل، إلى البحر، والخف للإبل والحافر للحمير والخيل [(فأسلم تسلم وأجعل لك ما تحت يديك)] أي: أبقيك على سلطانك.

ومن هنا: تفهمون أن الإسلام ما جاء للملك والمطالبة بالرياسة، وإنما جاء لنشر الدعوة وإصلاح البشرية.

[الله رسـول محمـــد صورة الخاتم النبوي]

كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى المنذر حاكم البحرين

قال: [ثامناً: كتابه صلى الله عليه وسلم إلى المنذر حاكم البحرين: (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المنذر بن ساوى ، سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو) -بلغه أنه أسلم- (وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد: فإني أذكرك الله عز وجل، فإن من ينصح إنما ينصح لنفسه، وإنه من يطع رسلي ويتبع أمرهم فقد أطاعني، ومن نصح لهم فقد نصح لي، وإن رسلي قد أثنوا عليك خيراً، وإني قد شفعتك في قومك فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه، وعفوت عن أهل الذنوب فاقبل منهم، وإنك مهما تصلح فلم نعزلك عن عملك، ومن أقام على يهودية أو مجوسية فعليه الجزية)] إذ يوجد مجوس ويهود عندهم، ومن أقام على مجوسيته أو يهوديته فإنه يدفع الجزية؛ ليعرف أنه محكوم وأنه مقاد، وأنه ليس بحر يفعل ما يشاء.
[الله رسـول محمـــد صورة الخاتم النبوي]

كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى الحارث الغساني بالشام

قال: [خامساً: كتابه إلى الحارث الغساني بالشام] والغساسنة أصلهم من اليمن، نزحوا إلى الشام لما تهدم سد مأرب، وأكثر العرب لا يعرفون سد مأرب، واقرءوا سورة (سبأ) ففيها الكلام.
[(بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى الحارث بن أبي شمر : سلام على من اتبع الهدى، وآمن به وصدق، وإني أدعوك إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له يبقى لك ملكك)] يعني: إذا أعلنت عن إيمانك، ووصلنا صدق خبرك، نبقيك على ما أنت عليه من الملك على قومك؛ لأننا ما جئنا نطالب بالملك والحكم، ولكن ابقَ على ملكك.
[الله رسـول محمـــد صورة الخاتم النبوي]

كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي ملك الحبشة

قال: [رابعاً: كتابه إلى ملك الحبشة] ولا شك أن المستمعين يعرفون الأحباش والروم والفرس.
[(بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي عظيم الحبشة، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة، فحملت بعيسى من روحه ونفخه، كما خلق آدم بيده، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالاة على طاعته وأن تتبعني وتؤمن بالذي جاءني، فإني رسول الله وإني أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل وقد بلّغتُ ونصحتُ؛ فاقبل نصيحتي، والسلام على من اتبع الهدى) الله رسـول محمـــد صورة الخاتم النبوي] وملك الحبشة أسلم، ودخل في رحمة الله -ولكن لم يشاهد الرسول صلى الله عليه وسلم؛ ولذلك لا يعد صحابياً- ولذلك لما جاءت البرقية الإلهية تعلن عن وفاة النجاشي خرج الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه وصلوا صلاة الجنازة عليه، ومن ثم شرعت صلاة الغائب، وقد بعث ولده وشاء الله أن تغرق السفينة به، وعلى كل حال: هو وأولاده في دار السلام.
ونلاحظ أنه صلى الله عليه وسلم لم يقل: (فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو)، للمقوقس ولا لملك الروم؛ لعلم الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه أقبل على الإسلام، بل دخل فيه؛ إذ بعث مجموعة من المهاجرين إليه على رأسهم جعفر ابن عمه، ولاقوا منه ما لاقوا من الترحاب والتأهيل؛ فلهذا كان الكتاب يتناسب مع من أرسل إليه، ولكل مقام مقال.

كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى مقوقس مصر

قال: [ثالثاً: كتابه صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس] والمقوقس بالديار الأقباط المصرية، ومنهم نصارى إلى اليوم.
[(بسم الله الرحمن الرحيم)] لم قدم (بسم الله)؟ لأنه لا يخاف أن يهينه المقوقس فهو مؤمن بالله ولقائه، فلا يهينه أبداً، ليس شيوعياً [(من محمد عبد الله ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط: سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم)] من الفتن والمحن والآلام، وتسلم من جهنم والخلود فيها [(وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين)] لأن أهل الكتاب من اليهود والنصارى من أسلم منهم يضاعف له الأجر، أجر على دينه الأول، وعلى دينه الثاني [(فإن توليت فإنما عليك إثم أهل القبط)] من الفلاحين وغيرهم [قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ [آل عمران:64].
الله رسـول محمـــد صورة الخاتم النبوي]

كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى قيصر ملك الروم

قال: [ثانياً: كتابه صلى الله عليه وسلم إلى قيصر] ملك الروم.
[(بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد بن عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم)] لم هنا قدم (بسم الله الرحمن الرحيم) ومع كسرى قال: (إلى كسرى ملك فارس: بسم الله الرحمن الرحيم) ؟ الجواب -كما سيأتي في العبر-: كسرى مجوسي من عبدة النار، لا يحترم اسم الله الرحمن الرحيم، وأما الروم النصارى فهم يؤمنون بالله والدار الآخرة ويعرفون الرسل، فهم يحترمون اسم الله عز وجل، فما خاف أن يهينوه، بل يكرموه.
وسبق لهذا سليمان بن داود عليهما السلام في كتابه الذي أرسله إلى بلقيس ملكة اليمن، ونصه موجود عندنا -والله العظيم- في سورة النمل: إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ [النمل:30-31]، فقدّم اسمه هو؛ حتى إذا أهين لا يضر، لكن اسم الله لا ينبغي أن يهان، والرسول صلى الله عليه وسلم حفظ سورة النمل وأخذ حكمته منها، فهو أعلم الناس بكتاب الله.
وقال صلى الله عليه وسلم أيضاً: (من محمد بن عبد الله ورسوله) ما قال ملك العروبة، أو زعيم قريش ولكن (من محمد بن عبد الله ورسوله)، وحقاً -والله- هو عبد الله ورسوله.
قال: [(إلى هرقل عظيم الروم)] وعظمه؛ لأنه معظم عندهم، فكيف يهينه بكلمة لا تنفع، وهو يريد أن يجذبه إليه، فلابد وأن يعطيه كلمة تتناسب معه، وقد قعد قاعدة صلى الله عليه وسلم وهي: (أنزلوا الناس منازلهم).
هذا أستاذ الحكمة ومعلمها [(سلام على من اتبع الهدى، أسلم تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت -أي: ما قبلت- فإنما عليك إثم الأريسيين)] أي: الفلاحين أتباعك، أنت المسئول عن هدايتهم [قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ -ما هي هذه الكلمة؟ [أَلَّا نَعْبُدَ - نحن وأنتم [إِلَّا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ [آل عمران:64]].
عجب هذا الكتاب! كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ملك الروم، فهذه الآية نزلت في سورة آل عمران، ونتلوها نساء ورجالاً إلى اليوم: قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ما هذه الكلمة؟ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ أولاً، وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا ثانياً، وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ثالثا؛ لأن كلنا عبيد الله، فَإِنْ تَوَلَّوْا ورفضوا الإجابة وقالوا: لا نأتيك ولا نسمع منك، نقول: فَقُولُوا إذاً اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ [آل عمران:64]، وأنتم كافرون.
أي: أذعنا لأمر الله وقبلناه وأسلمنا قلوبنا ووجوهنا له فنحن مسلمون وأنتم كافرون.
هذا كتابه إلى قيصر مختوم: [الله رسول محمـــد صورة الخاتم النبوي] أي: (محمد رسول الله).

كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى كسرى ملك الفرس

قال: [أولاً: كتابه إلى كسرى] ملك الفرس ودولة المجوس.
[(إلى كسرى ملك فارس: بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأدعوك بدعاية الله، فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين، فأسلم تسلم، فإن أبيت فإن إثم المجوس عليك)] لأنه لو آمن الملك لاتبعه الشعب، وإذا لم يؤمن تبع الشعب إمامه وحاكمه، وعليه يتحمل هو الإثم بكامله.
ثم ختم الكتاب بالختم النبوي وهو: [الله رسول محمـــد صورة الخاتم النبوي] الله: اسم الجلالة فوق.
و(رسول) تحت، و(محمد) أسفل، لِمَ؟ حتى لا يجعل اسمه فوق اسم الله عز وجل، وهذا الخاتم هو الذي كان يختم به رسائله وكتبه، (الله) فوق، و(رسول) تحتها، و(محمد) في الأسفل، ويقرأ: (محمد رسول الله) من أسفل إلى أعلى، والكتابة من أعلى إلى أسفل.
وهذه فائدة نتعلم منها كيف نتأدب مع الله عز وجل.
قال: [ولما بلغ الكتاب كسرى غضب، وقال: هَجْراً ومزق الكتاب] نطق بالفحش ومزق الكتاب وقطعه [ولما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم] أن ملك الفرس قال الباطل والقبح ومزق الكتاب [دعا عليه بأن يمزق الله ملكه واستجاب الله له ومزق ملكه].

نتائج وعبر من مكاتبته صلى الله عليه وسلم للملوك

قال: [نتائج وعبر: إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبراً نوجزها في التالي]
سادساً: تعظيم رسول الله لاسم الله حينما جعله في أعلى خاتمه

قال: [سادساً: جعله صلى الله عليه وسلم اسم الله أعلى في الخاتم، واسمه الأدنى: فيه من تعظيم الله وإعظام اسمه ما لا يقادر قدره، فصلى الله عليه وآله وصحبه وسلم تسليماً] ولا تفهم أن من صنع الخاتم فعل ذلك بنفسه، بل الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذي أمره بأن يكتب (الله) وتحته (رسول) وتحته (محمد)، ثم يقرأ: (محمد رسول الله)، فـ(الله) دائماً فوق وتحته عباده.
رابعاً: إقراره صلى الله عليه وسلم لمن كتب لهم على ملكهم إن أسلموا

قال: [رابعاً: إقراره صلى الله عليه وسلم لمن كتب لهم -إن أسلموا- على ملكهم نابع من سياسة رشيدة لا يجارى فيها صلى الله عليه وسلم] كم واحد قال له النبي: أسلم ولك ملكك ودولتك وسلطانك؟! إذاً: ليس همنا الحكم والدولة والسلطان، ولكن هداية البشر.

خامساً: أخذ أهل الكتاب أجرهم مرتين على إيمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم

قال: [خامساً: استعمل كلمة: (يؤتك الله أجرك مرتين)، في كتبه إلى أهل الكتاب أخذاً ونزعاً من قول الله تعالى في خطاب أهل الكتاب من سورة الحديد: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ [الحديد:28]] والكفل: النصيب [أي: يعطيكم نصيبين من الأجر؛ الأول لإيمانهم برسولهم الأول، والثاني لإيمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم] أيما يهودي أو نصراني كان متعبداً -لم يكن ملحداً أو علمانياً أو فاسقاً- متبعاً لدينه كما هو، ثم أسلم فإنه يعطى أجره مرتين: الأجر الأول والأجر الثاني، وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ [الحديد:21].

أولاً: تقديم الرسول اسم كسرى على اسم الله وقاية

[أولاً: لما كان كسرى مجوسياً] من عبدة النار [غير كتابي] لا كتاب له ولا دين سماوي [قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم اسم كسرى على اسم الله تعالى؛ وقاية] لاسم الله تعالى حتى لا يهان [كما فعل سليمان عليه السلام، إذ كتب: إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ [النمل:30] فكتاب الرسول صلى الله عليه وسلم إلى كسرى، قال فيه: إلى كسرى ملك فارس، بسم الله الرحمن الرحيم، فقدم اسم كسرى وقاية] وحفظاً [لاسم الله تعالى] حتى لا يهان [ولما كان الملوك الآخرون أهل كتاب] من يهود ونصارى [قدم اسم الله تعالى؛ لأنهم يؤمنون بالله ويعظمونه] وإلى الآن اليهود والنصارى يعظمون اسم الله، والبلاشفة الشيوعيون لا يعظمونه.

ثانياً: تنوع عبارات كتبه صلى الله عليه وسلم بحسب مقام وحال من كتب إليهم

قال: [ثانياً: تنوعت عبارات كتبه صلى الله عليه وسلم بحسب مقام وحال من كتب إليهم، وهذا من الحكمة التي هو أستاذها بلا منازع، قال تعالى: وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ [البقرة:129]] هل عرفت الدنيا من هو كرسول الله في الحكمة؟! والله لا تعرف، ولن يكون؛ لأنه يتلقى معارفه من ذي العرش جل جلاله وعظم سلطانه.

هيا نأخذ إذاً بإرشاداته وتوجيهاته، وتتحول سياسيتنا العمياء إلى سياسة مبصرة، فنهدي البشرية إلى دين الله؛ ليسعدوا ويكملوا في الدنيا والآخرة، أو لعلنا لا نستطيع لأننا مكبلون مقيدون بقيود الشهوات والأهواء والجهل المظلم!!

ثالثاً: سلوكه صلى الله عليه وسلم في كتبه (أنزلوا القوم منازلهم)

قال: [ثالثاً: سلك صلى الله عليه وسلم في كتبه: (أنزلوا القوم منازلهم) ولكل مقام مقال] وإليكم مثالاً عامياً: لدينا سجادة من صوف نظيفة، وجاءنا رجلان أحدهما ثيابه نظيفة وحاله حسنة، فلا رائحة كريهة ولا وسخ، وآخر يسيل بالقروح والدماء والتراب فأين ننزل كل منهما؟ لا شك أننا ننزل عليها صاحب الثياب النظيفة، فلا داعي لأن نلطخ هذا المكان وندنسه، ثم نقول للآخر: اجلس أنت هنا على التراب، أو اجلس بعيداً، وهذه الحكمة علمناها رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أنزلوا القوم منازلهم).

مثال آخر: يجيئك ملك أو حاكم أو سفير لدولة، وما عندك إلا كرسي واحد، أنت جالس عليه، فهل تقول له: اجلس على الأرض أم تتنازل أنت عن الكرسي وتقول له: اجلس ولا حرج؟! لا شك أن تنزله على الكرسي، فهذا يشعر بأنه عظيم وأنه مسئول فلا تهينه وأنزله منزله.

من وسائل الدعوة إلى الله في عالم اليوم

معاشر المستمعين والمستمعات! -كلمة أخيرة- هكذا نشر رسول الله دعوته، وقام رجاله بعده بنشرها، فانتشر الإسلام في ربع قرن من وراء نهر السند إلى الأندلس في خمس وعشرين سنة بعد وفاته صلى الله عليه وسلم، والآن مات أصحابه وأحفادهم ووقف الإسلام في مكانه، وما بقي من يحمل رسالته، ولما وقف وحبس وجد العدو الفرصة لإطفاء هذا النور، وحسبكم أن تعرفوا أن العالم الإسلامي استعمرته أوروبا من موريتانيا إلى إندونيسيا، حكموهم وسادوهم ونشروا بينهم الخبث، ثم تحررنا واستقللنا فهيا ننشر دعوة الله، فنحن خلفاء رسول الله، وكيف نصنع؟ أولاً: نوحد أمتنا ونقول: يا حكام! يا رؤساء! تعالوا إلى الروضة الشريفة؛ لنبايع أكملنا وأفضلنا فيها، ونقول: أنت إمام المسلمين، ويعود كل واحد من الحكام والياً عاماً على المنطقة التي هو فيها، ويبعث بنسخة من الدستور الإسلامي إلى كل إقليم، فيطبق الإسلام في أربع وعشرين ساعة، وتهتز الدنيا وترتج، ولكن ما بقي لها مجال أبداً لأن تنتصر، فأمة الإسلام عادت، وفي هذا الظرف بالذات إمام المسلمين -في المدينة أو في مكة أو في الرياض أو في غيرها- يخاطب المسلمين كلهم وهم يسمعونه -وهذه مستحيلة هذا في الزمن الأول- فيطالب بجيش لقتال أو جهاد المنطقة الفلانية، وفي أربع وعشرين ساعة يكون كل العتاد حاضر.

وحينئذٍ إذا قلنا: الله أكبر كبر العالم، ودخلت الدنيا في الإسلام، وإن قلنا: هذا بعيد، فإي والله بعيد، لم؟ لأن المسئولين في العالم الإسلامي ما عرفوا الله ولا أحبوه ولا خافوه، فكيف يستجيبون لك؟ وهناك مثل عند العامة يقول: من لم يعرف الصقر يشويه.

يعني: يحرقه ويأكله.

إذاً: ماذا نصنع؟ الحمد لله، لا نريد القتال ولا السلاح ولا الجهاد، ولسنا -والله- في حاجة إليه اليوم أبداً؛ لأن العالم تفتحت أبوابه لنا، حتى روسيا تحطمت، وادخل أي بلد الآن وأنت تقول لا إله إلا الله وتكبر فليس من يغضب عليك ويضربك أبداً، وأبين -إن كان في الوقت مجال- أن فرنسا فيها ثلاثة آلاف مسجد، وبريطانيا مثل ذلك، وفي بلجيكا المساجد والأذان والتعليم، وألمانيا -مخ العالم الأوربي- المساجد تدعو إلى الله هناك، أما أمريكا فلا تسأل عنها، وفي اليابان، وفي الصين، وفي كل مكان أصبحت الأبواب مفتوحة.

إذاً: ضعوا السلاح فلسنا في حاجة إلى القتال أبداً، وإنما واجبنا التبليغ فقط، فهل هناك من يبلّغ؟! وهذا الكلام -والله- نكرره طوال العام، وأقول: يجب أن تتكون لجنة عليا كرابطة العالم الإسلامي، يشارك فيها كل بلد إسلامي بعالم من علمائه أولاً، وهذه اللجنة العليا لعلماء المسلمين تستخدم لجنة خاصة تجوب العالم لتتحسس وتتعرف إلى الجاليات الإسلامية في كل بلد، عددها ومساجدها ومراكزها الدينية من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب، ثم تأتي بعد شهرين أو أربعين يوماً وتضع خريطة، تبين بأن فرنسا -مثلاً- فيها كذا، وإيطاليا فيها كذا، وبلجيكا كذا، وألمانيا كذا، والنرويج كذا .

وبعد أن نعرف الخريطة وأماكن الإسلام والمسلمين -وبسرية كاملة- تزور اللجنة كل العالم الإسلامي في ظرف ستة أشهر، فلا تترك قرية إلا وتدخلها، وهم يدعون المسلمين في صدق إلى أن يدخلوا في هذه الرحمة الإلهية.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه .

كانت غزوة خيبر هي أول أحداث السنة السابعة للهجرة؛ إذ جهز النبي صلى الله عليه وسلم جيشاً قوامه ألفاً وأربعمائة مقاتل وسار بهم إلى خيبر، فلما رآه اليهود ذعروا وهربوا إلى حصونهم، لكن الجيش المسلم فتح هذه الحصون حصناً حصناً، وغنم المسلمون الكثير من الأموال، وكانت صفية بنت حيي زوجاً لرسول الله.

أحداث السنة السابعة من هجرة الحبيب صلى الله عليه وسلم

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.
أما بعد: لنقضي ساعة مع حبيبنا صلى الله عليه وسلم، وبين يدي الدرس رأيت رؤيا سارة، وهي تبشر إخوانكم الجزائريين بانتهاء تلك الفتنة التي تدور بينهم، فقولوا: اللهم حقق هذه الرؤيا، وأنه هذه الفتنة بين عبادك المؤمنين في الديار الجزائرية.
رأيت كأني في الروضة الشريفة، وسمعت فيها كلاماً كثيراً، وقال فلان: انتهت الفتنة، اجتمع الشيخ البشير الإبراهيمي -وهذا متوفى- مع فلان وفلان، ثم تقدمت إلى المقصورة وإذا بسماحة الشيخ عبد العزيز بن صالح تغمده الله برحمته -إمام هذا المسجد أكثر من ثلاثين سنة- فاحتضنته أقبله فقال: انتهت مشكلة الجزائر، والميت لا يخبر إلا بما هو حق، فلهذا سررنا بهذه الرؤيا، فالله نسأل أن يعجل بها؛ إذ هناك رؤى قد تتأخر إلى أربعين سنة، فاللهم عجل بهذه الرؤيا ليبلغنا سريعاً انتهاء تلك الفتنة بين عباد الله المؤمنين.
قال المؤلف غفر الله له ولكم، ورحمه وإياكم وسائر المؤمنين: [أحداث السنة السابعة من هجرة الحبيب صلى الله عليه وسلم].
لقد قضى النبي صلى الله عليه وسلم بمكة وهو يدعو إلى التوحيد وإقام الصلاة ثلاث عشرة سنة، ثم هاجر إلى المدينة، فأقام بها عشر سنين، ثم توفاه الله، وها نحن مع أحداث السنة السابعة من هجرة الحبيب صلى الله عليه وسلم، نقضي ساعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لنتعلم الهدى والحكمة، وكيف نصبر على طاعة الله، وكيف نثبت على عبادته حتى نلقاه طاهرين طيبين.

غزوة خيبر

قال: [ودخلت السنة السابعة من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وكان أول أحداثها: غزوة خيبر] وخيبر على مائة وخمسة وخمسين كيلو متر من المدينة، وهي مقر اليهود، وفوقها فدك، وأسباب زحف اليهود من الشام وفلسطين إلى الديار الحجازية هو: الأول: اضطهاد الروم لهم، أي: المسيحيين الصليبيين؛ إذ كان -قبل أن يسحر اليهود النصارى- الصليبي لا يفتح عينيه في اليهودي بغضاً له، لا يرضى أن ينظر إليه، فلهذا عذبوهم، وأحرقوهم كالسمك في الزيت، واستطاع اليهود بحقدهم ودهائهم أن يقلبوا الآن ثلاثة أرباع المسيحيين لتقديسهم وإجلالهم، بل أصبحوا يديرون دفة العالم بمكرهم ودهائهم، فلما اضطهدوا على أيدي الرومان زحفوا إلى هذه الديار ليأمنوا، ولأنها ديار أهلها جهال مشركون، واليهود علماء بصراء متدينون فسيسودون بين العوام.
والسبب الثاني والرئيسي: هو أنهم عرفوا من التوراة والإنجيل أن نبي آخر الزمان -وهو محمد صلى الله عليه وسلم- يخرج من بين جبال فاران، وهي جبال مكة، ومهاجره يثرب، قرية ذات نخيل وسبخة، فقالوا: نخرج من هذا العذاب والاضطهاد وننزل في ديار الحجاز حتى يبعث هذا النبي فنؤمن به ونقاتل معه الأبيض والأسود، لكن ما إن جاء الرسول إلى المدينة حتى كشروا عن أنيابهم، وعرفوا أن دخولهم في الإسلام يقضي على فكرة وجود مملكة بني إسرائيل إلى يوم القيامة، فعرفوا الحق وأعرضوا عنه على علم، حفاظاً على كيانهم اليهودي.
قال: [خيبر مركز تجمع كبير لأعداء الإسلام والمسلمين] في ذلك الوقت [إذ عصابات الشر اليهودية كانت قد تجمعت فيها] أي: في خيبر [إن حرب الأحزاب] عشناها وعرفناها مع جبل سلع [كانت خيبر هي الرأس المفكر فيها، والطاقة الدافعة لها] فلما انهزم بنو النضير على كذا كيلو من المدينة وأجلاهم الرسول بأمر الله، قال تعالى: وَلَوْلا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا [الحشر:3] تآمروا على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فما كان إلا أن حاصرهم الحبيب برجاله، ثم فسح لهم المجال بأن يخرجوا من المدينة، فخرجوا بأموالهم أيضاً، حتى الأخشاب والأبواب أخذوها.
فلما خرجوا من المدينة اتجهوا شاماً إلى خيبر وما وراءها، ومن ثَمَّ كونوا حرب الأحزاب للقضاء على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين، وكان الذي حزبهم وجاء بهم من الشرق والغرب حيي بن أخطب النضري ، استطاع أن يأتي بقريش كالبهائم يسوقها لحرب محمد صلى الله عليه وسلم، وجاء كذلك برجال غطفان من الشرق.
قال: [ولذا تعين غزوها وتطهيرها من عصابات الشر بها] من سيغزوها؟ رسول الله صلى الله عليه وسلم.
[ففي السنة السابعة -في أواخر المحرم منها- غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر، فاستخلف على المدينة سباع بن عرفطة الغطفاني] استخلفه والياً عاماً في المدينة يقيم حدود الله ويحمي عباده وأولياءه ويدير البلاد [وقيل: نميلة بن عبد الله الليثي] اختلف أهل التاريخ هل هو سباع أو نميلة ، المهم أنه واحد منهم.

[وخرج في ألف وأربعمائة مقاتل] خرج النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة في ألف وأربعمائة مقاتل أي: في ألف ونصف تقريباً، وهم جند الله المؤمنون من الأنصار والمهاجرين [من بينهم مائتا فارس] من بينهم مائتا مقاتل على فرس، في حين أن حرب بدر الأولى كان فيها فرس واحد، أما الآن والحمد لله مائتا فارس.
[وسار بجيشه المظفر ماراً على عِصْر (جبل)] والإسكان فيه أولى وهو جبل [حيث بني له فيها مسجداً، ثم على الصهباء حتى نزل بالرجيع، وهو واد كبير يقال له: الرجيع] إلى الآن [فنزل بينهم وبين غطفان] بين اليهود وبين غطفان ليفصل بينهما.
هذه هي السياسة الرشيدة العسكرية الجهادية! أين تعلم رسول الله؟ إنه يتلقى معارفه من رب العالمين، من خالق القلوب والأفكار وموجه البشر، وهو يعلمنا الفصل بين العدوين، بدلاً من أن ينزل على خيبر نزل بينها وبين غطفان؛ ليرد أولئك الذين قد يساعدون ويعاونون إخوانهم من الكفار على حربه، [ليحول بينهم وبين أن يمدوا أهل خيبر] بالسلاح أو المال أو الرجال [إذ كانوا على وفاق معهم في حرب الرسول صلى الله عليه وسلم] غطفان ويهود خيبر كانوا متفقين على حرب النبي صلى الله عليه وسلم.

دعوة نبوية مستجابة

قال: [دعوة نبوية مستجابة] قبلها الله واستجاب جل جلاله وعظم سلطانه.
[أثناء قتال الرسول صلى الله عليه وسلم ليهود خيبر وفتح حصونهم، أتاه بنو سهم من أسلم] أثناء القتال والمعركة دائرة أتى بنو سهم من أسلم وهم جماعة [وقالوا: يا رسول الله! لقد جهدنا] أي: تعبنا [وما بأيدينا من شيء، فلم يجدوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يعطيهم إياه] شكوا إليه الفقر والحاجة وما عنده ما يعطيهم [فقال داعياً] فزع صلى الله عليه وسلم إلى الملك الذي بيده خزائن السماوات والأرض وقال: [(اللهم إنك قد عرفت حالهم، وأن ليست بهم قوة، وأن ليس بيدي شيء أعطيهم إياه؛ فافتح عليهم أعظم حصونها غناءً وأكثرها طعاماً وودكاً)].
قال: [فغدا الناس للقتال، ففتح الله حصن الصعب بن معاذ ، وما بخيبر حصن أكثر طعاماً وودكاً منه] كانوا سألوه ما سألوه في المساء، ثم خرجوا مجاهدين في الصباح ففتح الله عليهم أكبر حصن في خيبر، وأكثر الحصون أكلاً وطعاماً وودكاً.
إذاً: هذه دعوة مستجابة للرسول صلى الله عليه وسلم من الله جل جلاله وعظم سلطانه، ولكن كيف دعا؟ هل قال: اللهم إني أسألك بحق خليلك إبراهيم، أم: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بسيدي فلان بن فلان؟ أين دعوات الغالطين والهابطين؟ إنهم لا يسألون الله وحده أبداً، إلا: أسألك بجاه فلان وبحق فلان، وهل الرسول سأل بحق إبراهيم أو بجاه داود أو سليمان أو بجاه إسماعيل أو زكريا؟ والله ما ثبت شيء من هذا.
من علمنا نحن إذاً اللهم إنا نسألك بحق نبيك، أو بجاه فلان وفلان؟! إنه الثالوث الأسود! هو الذي علمنا وسائل لا يعطى بها، ودعوات لا يستجاب لها، حتى نبقى دائماً رهن أيديهم.
إذاً: لا يحل لمؤمن أن يتوسل إلى الله بوسيلة باطلة، لم تضيع وقتك قائلاً: يا ألله! إني أسألك بحق نبيك، أو بجاه إبراهيم، أو بحق الصالحين، أو بجاه سيدي فلان؟! هذا كله باطل وليس بوسيلة أبداً، لماذا علمنا العدو هذه الوسيلة؟ حتى لا يستجاب لنا أبداً؛ لأن الوسيلة النافعة أن تتوسل إلى الله بأسمائه وصفاته، تتوسل إليه بصلاة تصليها، أو بصيام تصومه، لا أنك تتوسل إليه بحق فلان، ومن هو هذا الذي له حق على الله؟ الإمام الأعظم أبو حنيفة يرى أن قول: اللهم إني أسألك بحق فلان كفر! كيف؟ يعني: أيّ إنسان له حق على الله؟ أيوجد من له حق على الله؟ كيف تقول: أسألك بحق فلان؟ معناه: إن لم تعطني أنت من فضلك وإحسانك أعطني بحق فلان عليك، هذا كفر! وهذه الوسيلة سائدة في العالم الإسلامي عربه وعجمه.
هذا والله تعالى أسأل أن يعلمنا، ويزيل عنا هذه الجهالات ويبعد عنا هذه الظلمات، وأن يجمعنا دائماً على كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

خطبة تشريع حكيم

قال: [خطبة تشريع حكيم] أين الساسة والسياسيون؟ [ولما كثر السبي بأيدي المسلمين مع جواز التسري بالسبايا] وأكثر العوام اليوم لا يعرفون السبي ولا التسري، السبي هو: ما يسبى ويؤخذ من الحرب، والتسري هو أن يطأ الرجل المسبية لفائدتها وفائدته [وكانوا قد أكلوا لحوم الحمر الأهلية لتوفرها في خيبر، وعدم الحاجة إليها] الحمر كانت كثيرة؛ لأنهم يستخدمونها في الفلاحة، فالأصحاب -أي: جيش الرسول صلى الله عليه وسلم- أكلوا من تلك الحمر، ذبحوا وأكلوا قبل أن يحرّمها الله على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم.
قال: [خطب فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فضمن خطبته قواعد تشريعية -هامة- تتعلق بالسبي وغيره] والخطبة هذا أوان قولها.
[قال ابن إسحاق بن حنش الصنعاني : غزونا مع رويفع بن ثابت الأنصاري المغرب] وهذا من التابعين يحدث عمن غزوا المغرب العربي ليُدخلوه في رحمة الله [فافتتح قرية من قرى المغرب يقال لها: جرْبَة] وهي مدينة من مدن تونس [فقام فينا خطيباً] ذاك الصاحب المجاهد لما افتتحوا القرية قام يخطب ائتساء برسول الله وخطبته في خيبر [فقال: يا أيها الناس! لا أقول فيكم إلا ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله فينا يوم خيبر] لما افتتحوا هذه المدينة وفيها -قطعاً- السبي والمال قام هذا القائد المظفر وقال: لا أقول فيكم إلا ما قاله فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر.
[فقال: (لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسقي ماءه زرع غيره -يعني إتيان الحبالى من السبايا-)] وهذا كناية عن الجماع، فإذا كانت المرأة حبلى لا يحل لك أن تطأها فتسقي بمائك ذاك الزرع الذي زرعه غيرك، فلهذا من تزوج حبلى لا يحل له أن يطأها حتى تلد

وتطهر، وعلى فرض أن شخصاً كان مسافراً ثم رجع ووجد امرأته حبلى وسفره منذ سنة أو سنتين فهذا الولد ليس له، وعليه أن لا يجامعها.
قال: [(ولا يحل لمؤمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يصيب امرأة من السبي حتى يستبرئها)] حتى التي ما هي بحبلى لا يطأها وقد أصبحت ملكه حتى يستبرئها، أي: يستبرئ رحمها بأنه خالٍ ليس فيه جنين، أو ليس فيه حمل وذلك بحيضة، فإذا حاضت المسبية معناها أنه ليس عندها حمل، ويكفي حيضة واحدة، أما العدة فهي ثلاث حيضات، وذاك شيء آخر.
[(ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيع مغنماً حتى يقسم)] لا يجوز لأحد أن يأخذ من الغنيمة شيئاً ويبيعه في الأسواق قبل أن تقسم الغنيمة على أصحابها، فالمال يبقى محترماً حتى يجري القائد تقسيمه على المجاهدين، ولا يحل لأحد أن يأخذ ولو قطعة من ذهب أو سيفاً ثم يبيعه.
[(ولا يحل لمؤمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يركب دابة من فيء المسلمين حتى إذا أعجفها ردها فيه)] لا يحل لمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يركب حماراً أو بغلاً أو فرساً يستخدمه وهو من السبي قبل القسمة، حتى إذا أتعبها وهزلت ردها.
[(ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يلبس ثوباً من فيء المسلمين حتى إذا أخلقه -مزقه- رده فيه)] هذه خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في خيبر، خطبها الصحابي في المغرب في مدينة جربة بالحرف الواحد، وطبقت كما هي.
قال: [ونادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله ورسوله ينهيانكم عن لحوم الحمر الأهلية؛ فإنها رجس] لما أكلوا منها وشبعوا لكثرتها في خيبر نادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال؟ أيها الناس! إن الله ورسوله ينهيانكم عن لحوم الحمر الأهلية؛ فإنها رجس، أي: وسخ ونجس، لا يحل أكلها أبداً، كالجيفة أو الخنزير أو الدم وسائر المحرمات، والحمر الأهلية هي التي تعيش بين الناس يربونها ويستخدمونها ويطعمونها، أما الحمر البرية الوحشية فهذه تؤكل، وتوجد بين الجبال.
وبعد هذا الإعلان! ماذا تقولون في هذا المجاهد الذي لما سقطت مدينة جربة وبين أيديهم السبايا والأموال ذكرهم بما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم بالحرف الواحد؟! هل المسلمون يعرفون هذا وخاصة قادة الجيوش؟ وهم الذين لا يجتمعون على دراسة الكتاب والحكمة طوال العمر فأنى لهم أن يعلموا، وكيف يعلمون؟ أيوحى إليهم؟!

وصول النبي صلى الله عليه وسلم إلى خيبر وبدء المعركة

[وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجيش حتى أشرف على خيبر] كأنها منخفضة وهو فوقها؛ لأنها بساتين ونخيل [وقال لأصحابه: قفوا فوقفوا ودعا] أي: سأل ربه [قائلاً: (اللهم رب السماوات وما أظللن، ورب الأرضين وما أقللن، ورب الشياطين وما أضللن، ورب الرياح وما أذرين، نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها، ونعوذ بك من هذه القرية، وشر أهلها، وشر ما فيها، ثم قال: أقدموا باسم الله)].
هل يعرف قادة المسلمين هذا؟ لا، ما سمعوا به! هذا الدعاء مستحب لكل من دخل بلداً من البلاد، سواء كان زائراً أو تاجراً أو عاملاً، فإذا دخلت بلداً غير بلدك افزع إلى ربك بهذا الدعاء، وقل: (اللهم رب السماوات وما أظللن، ورب الأرضين وما أقللن، ورب الشياطين وما أضللن، ورب الرياح وما أذرين، نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها، ونعوذ بك من هذه القرية، وشر أهلها، وشر ما فيها) ثم قال صلى الله عليه وسلم: (أقدموا باسم الله)، لم يقل: أقدموا باسم الوطن! ولكن باسم الله.
[ونزل صلى الله عليه وسلم بأصحابه خيبر ليلاً] لا نهاراً [ولم يعلم أهلها بنزوله، فلما أصبحوا وخرجوا بمساحيهم إلى أعمالهم الفلاحية] والمسحاة يعرفها الفلاح مثلنا، أما أنتم فقد ترقيتم [ورأوا الرسول صلى الله عليه وسلم وجيشه قالوا: محمد والخميس، محمد والخميس، وعادوا إلى حصونهم فدخلوها] والخميس هو: الجيش الكبير، المكون من أربعة أركان ومقدمة، أي: خمس فرق، ويسمى الخميس؛ لأنه مكون من خمس فئات، والحصون كانت شائعة في العالم بأسره، فلا يوجد بلد بدون حصون، فقد كانت تنفع قبل أن تكون الطائرات والمدافع.
[فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (الله أكبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين)] وهذا بعض آية من سورة الصافات، ومعنى هذا: أن الرسول كان يتمثل القرآن الكريم [وأخذ يحاصرهم في حصونهم ويأخذ أموالهم خارجها] أي: خارج الحصون [ثم أخذ يفتح الحصون حصناً بعد حصن، وكان أول حصن افتتحه حصن ناعم، وعنده قتل محمود بن مسلمة أخو محمد بن مسلمة رضي الله عنهما] الذي قتل كعب بن الأشرف بطل وأخوه بطل [إذ ألقي عليه رحىً فقتلته] ألقوا عليه مطحنة فقتلته، والرحى هي التي يطحن عليها الحب، مكونة من جزئين: جزء فوق، وجزء تحت.
وهكذا أرادوا قتل النبي صلى الله عليه وسلم في بني النضير، لما أجلسوه في ظل جدار وقالوا له: انتظر الآن نجمع لك المطلوب، وكانت دية -كما علمتم- ثم فكروا وقالوا: الفرصة سانحة، الآن نتخلص منه ومن الإسلام، فجاءوا برحى -جزء من المطحنة- وأرادوا أن يلقوها على رأسه صلى الله عليه وسلم، ولكن الله أوحى إليه ما دبروه فأخذ رداءه ومشى.
قال: [ثم افتتح القموص حصن بني أبي الحقيق، وأصاب منهم سبايا من بينهم صفية بنت حيي بن أخطب النضري] و صفية هذه أصبحت أمنا، تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدما أعتقها، بينما أبوها شيطان مارد، هو الذي دبر حرب الأحزاب [وكانت عند كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق ، فاصطفاها رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه] من جملة الأسرى اختارها [ولم يعلم بذلك دحية] ابن خليفة الكلبي [فسأله إياها] قال: أعطني هذه [فأعلمه أنه اصطفاها لنفسه، وأعطاه ابنتي عمها، وكثر السبي في أيدي المسلمين].

من آيات النبوة المحمدية (استشهاد عامر بن الأكوع)

قال: [ومن آيات النبوة المحمدية] وآيات بمعنى: علامات، إذا رأيت العلامة قلت: هذا نبي الله! والآيات جمع آية، والآية في لسان العرب والقرآن: العلامة البارزة الدالة على الشيء [أنه صلى الله عليه وسلم في مسيره] في طريقه وهو سائر [قال لعامر بن الأكوع - عم سلمة بن عمرو بن الأكوع - (خذ لنا من هناتك، احد لنا)] الحبيب صلى الله عليه وسلم قال لهذا الصاحب الجليل عامر بن الأكوع : خذ لنا من هناتك، والهنات جمع هنة، وهي الكلمات التي تنعش النفوس وتحرك القلوب بغير باطل ولا فساد، ولفظ الهنة يطلق على شيء ما ليس له اسم، أو الشيء الذي لا يعرف باسم خاص، يعني بهذا: حتى تدفع رجالنا إلى السير ومواصلته، وبلغتنا: غنّ لنا، أو شجعنا وأنشد.

[فنزل وحدَاهُم يقول: والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا فأنزلن سكينة علينـا وثبت الأقدام إن لاقينا] هذه هي القصيدة التي حركهم بها.

[فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (رحمك الله) فقال عمر رضي الله عنه: هلا أمتعتنا به يا رسول الله] يعني: هلا أمتعتنا به أياماً أو أعواماً يا رسول الله! لأن كلمة (رحمك) معناها: رثاء، فقد حان أوان موته [وكان] صلى الله عليه وسلم [إذا قالها لرجل مات، فكانت نعياً منه صلى الله عليه وسلم لعامر رضي الله عنه، وكانت آية نبوته.

وفعلاً، فقد خاض] عامر [المعارك ورجع عليه سيفه فكلمه] أي: جرحه [كلماً شديداً، فمات متأثراً -بذلك- فقال البعض: إنما قتله سلاحه] وتعرفون بعض الطائشين الموجودين! يعنون: لم يستشهد؛ لأنه لم يمت على أيدي اليهود، وإنما قتله سلاحه.

[فعلم الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك] أي: بالحادثة أو بقول القائل، وقد يكون منافقاً [فقال: (إنه لشهيد)].

وهنا أقول لإخواننا المستمعين الذين تدور الفتن في ديارهم أو الذين يتوقع لهم فتنة: أنصح كل مؤمن ومؤمنة ألا ينتمي إلى حامل رايات الفتنة، وليقل: أنا مسلم فقط، لا يزد على هذه الكلمة، ولا يتعاون بكلمة ولا بدينار أو درهم مع أصحاب الفتنة، عملاً بقول الرسول صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما: (يا عبد الله ! كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل).

فأيما فتنة تقع في بلد على من وُفقوا وهيأهم الله لرضاه وكماله عليهم ألا يشاركوا فيها لا بكلمة ولا بدرهم، فإن نجوا فهنيئاً لهم، لأنهم لم يشاركوا في الدماء التي أريقت والأرواح التي أزهقت، وإن قتلوا مظلومين فهم شهداء، فازوا بها.

هل عرف إخواننا هذا؟ ما عرفوا، والله لو عرفوا كما عرفنا ما كانت هذه الفتنة ولا وجدت، ولكن ما عرفوا، والذين لهم أغراض سافلة إذا سمعوا هذا الكلام يقولون: هذا كلام عميل! هذا عالم سلطة -كما تقول لهم المجوسية- وهذا كذا ؛ ليصرفوا قلوب المؤمنين، وهذه حال البشر في دنياهم الهابطة.

إذاً: قالوا ما قالوا [وصلى عليه، فصلى عليه المسلمون] وهذه ميزة أخرى.

فتح المسلمون حصون اليهود، ولم يبق إلا حصن الوطيح والسلالم، فحاصره النبي صلى الله عليه وسلم وجيشه، وفي فترة الحصار كانت تدور منازلات بين المسلمين واليهود، كانت الغلبة فيها للمسلمين ثم دارت المعركة، وكانت الراية مع أبي بكر ثم عمر ثم أعطاها النبي صلى الله عليه وسلم في اليوم الثاني لعلي بن أبي طالب، وفتح هذا الحصن عنوة، وقسمت الغنائم، وقدم جعفر بن أبي طالب من الحبشة، فكانت الفرحة فرحتين.

آخر حصن يفتح (من حصون خيبر)

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.
أما بعد: لنقضي ساعة مع حبيبنا صلى الله عليه وسلم، نحن الآن في غزوة خيبر.
قال: [آخر حصن يفتح] وكان لخيبر -مدينة اليهود- حصوناً عظيمة وتعددت، وها نحن مع آخر حصن.
[واصل الحبيب صلى الله عليه وسلم فتح حصون خيبر حصناً بعد حصن، وانتهى إلى آخر حصن، وهو الوطيح والسلالم، فحاصرهم بضع عشرة ليلة] أي: ثلاثة عشر يوماً تقريباً [وأثناء ذلك كانت مبارزات] يخرج البطل ويقول: هل من مبارز بين الصفوف؟ والمبارزة لها أثرها؛ إذ الضرب بالسيف والرمح أصعب من الضرب برصاصة على عشرة كيلو متر، فمواجهة الدماء صعبة، فمن تدبير الله للخليقة أن المعسكرين يقفان متقابلين والرماح والسيوف بأيديهم، ويحتاج اصطدام بعضهم ببعض دفعة قوية وحماس يلهبهم، فإذا خرج من أحد الجانبين مبارز، خرج له ضده من الجانب الآخر، فيتضاربان ويتقاتلان وبمجرد أن يسقط أحدهما وتسيل الدماء أو يصرخ، يهب أهل ذلك الرجل ويندفعون فيلتقي الجمعان ويستمر القتال، والآن أجبن الناس يضرب بصاروخ أو مدفع.
قال: [وأثناء ذلك كانت مبارزات منها مبارزة مرحب اليهودي ؛ إذ خرج من الحصن وقد جمع سلاحه وهو يرتجز ويقول] ماذا يقول هذا اليهودي؟ [قد علمت خيبر أني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب أطعن أحياناً وحيناً أضرب إذا الليوث أقبلت تحرّب إن حماي للحمى لا يُقرب يحجم عن صولتي المجرب] ويركض أو يهيج الجانب الثاني.
[فرد عليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه قائلاً] ابن عم الرسول وصهره [أنا الذي سمتني أمي حيدرة كليث غابات شديد القسورة أكيلكم بالصاع كيل السندرة وقال: من يبارز؟] هذا اليهودي.
[فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من لهذا؟)] أي: من يخرج له؟ ويا ليتنا كنا معهم وقلنا: أنا يا رسول الله! وهذه بعيدة، لكن الأماني لا بأس بها [(فقال محمد بن مسلمة : أنا له يا رسول الله)] و محمد بن مسلمة هو الذي احتال على اليهودي ابن الأشرف وقتله [(أنا والله الموتور الثائر، قتل أخي بالأمس)] قتل أخوه في هذه الغزوة [فقال: (فقم إليه، اللهم أعنه عليه) فتصاولا فترة، ثم أمكن الله منه، فقتله محمد بن مسلمة استجاب الله دعوة نبيه صلى الله عليه وسلم، ثم خرج بعد مرحب أخوه ياسر وهو يقول: من يبارز] أراد أن ينتقم لأخيه.
[فقال الزبير بن العوام: أنا لك، فقالت أمه صفية : لا يا رسول الله؛ يقتل ابني] وصفية وهي عمة نبينا صلى الله عليه وسلم [فقال لها: (بل ابنك يقتله إن شاء الله) فالتقيا فقتل الزبير ياسر اليهودي ، وبعد المبارزة اقتتل الناس، وكانت الراية عند أبي بكر رضي الله عنه وشعارهم يومئذ: يا منصور أمت أمت، فقاتل قتالاً شديداً، ثم وجع فأخذها عمر رضي الله عنه، فقاتل قتالاً شديداً هو أشد من الأول، ثم وجع، فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (أما والله لأعطينها غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، يفتح الله على يديه ليس بفرار)، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً رضي الله عنه وهو أرمد فتفل في عينيه، ثم قال: (خذ هذه الراية فامض بها ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك)، فخرج يهرول بها حتى ركز الراية في رضم من حجارة تحت الحصن، فاطلع عليه يهودي من رأس الحصن، فقال: من أنت؟ قال: أنا علي بن أبي طالب قال: علوتم وما أنزل على موسى، فما رجع حتى فتح الله على يديه، ودخل المسلمون المدينة.
وبذلك انتهى فتح خيبر، وأصبحت دار الإسلام إلى اليوم، والحمد لله رب العالمين].

مواقف يحسن أن تذكر من (فتح خيبر)

[مواقف يحسن أن تذكر، وهي: أولاً: لقد كان خروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى خيبر بإذن الله تعالى؛ إذ وعد الله عز وجل المؤمنين غنائم خيبر عند رجوعهم من الحديبية في قوله من سورة الفتح: وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ [الفتح:20] وهي صلح الحديبية، والغنائم الكثيرة هي أموال خيبر.
ثانياً: كان عدد من استشهد في غزوة خيبر من المسلمين خمسة عشر رجلاً.
ثالثاً: لما لم يبق لليهود من حصن إلا الوطيح والسلالم -وقد فتحا عنوة- سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسيرهم في الأرض ويحقن دماءهم، ويتركوا له الأموال ففعل، ثم صالحهم على أن يبقوا على مزارعهم ونخيلهم على أن لهم الشطر وللرسول والمؤمنين الشطر، وأنه متى أراد إخراجهم أخرجهم، فوافقوا على ذلك وأبقاهم.
رابعاً: بعد سقوط خيبر في يد المسلمين لم يقتل النبي صلى الله عليه وسلم إلا ابني أبي الحقيق لنكثهم وخيانتهم، وكان أحدهما زوج صفية بنت حيي، فأمر بلالاً أن يذهب بصفية إلى رحله مع بعض نساء السبي، فمر بهن على القتلى، فبكين، فعتب رسول الله صلى الله عليه

وسلم على بلال ، وقال: (أنزعت الرحمة من قلبك يا بلال ؟!) وعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم على صفية الإسلام فأسلمت وتزوجها، وجعل مهرها عتقها، وبنى بها في طريق عودته إلى المدينة، وأولم عليها وليمة فاخرة، ونظر الرسول صلى الله عليه وسلم إليها فرأى في وجهها خضرة إثر ضربة، فسألها، فقالت: كنت قد رأيت في منامي القمر زال من مكانه وسقط في حجري، فقصصتها على زوجي ابن أبي الحقيق فلطم وجهي، وقال: تتمنين هذا الملك بالمدينة، وأنا -والله- ما كنت أذكر من ذلك شيئاً.

خامساً: قسم النبي صلى الله عليه وسلم خيبر بعد فتحها على ستة وثلاثين سهماً، فكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين نصفها، والنصف الباقي لمن نزل عنده من الوفود، ونوائب المسلمين.

سادساً: سمّت النبي صلى الله عليه وسلم زينب بنت الحارث -امرأة سلام بن مشكم اليهودي- إذ أهدت للرسول صلى الله عليه وسلم شاة مصلية فيها سم، فأكل منها بشر بن البراء فمات، وسأل النبي صلى الله عليه وسلم المرأة: لم فعلت هذا؟ قالت: أردت إن كنت ملكاً استرحنا منك، وإن كنت نبياً لم يضرك؛ فعفا عنها فأسلمت، وقيل: لما مات بشر قتلت به.

سابعاً: وصول جعفر بن أبي طالب وأصحابه -معهم الأشعريون- خيبر بعد فتحها، فأسهم لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما أسهم لأحد غاب عن خيبر إلا هم، لأنهم أدركوه فيها.

وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم قبّل جبهة جعفر ، وقال: (والله ما أدري بأيهما أفرح بفتح خيبر أم بقدوم جعفر).

ثامناً: لما كان النبي صلى الله عليه وسلم محاصراً لبعض حصون خيبر، أتاه راع أسود، فقال: يا رسول الله! اعرض علي الإسلام فأسلم، ثم قال: يا رسول الله! إني كنت أجيراً لصاحب هذه الغنم -وهي أمانة عندي- فكيف أصنع بها؟ قال: (اضرب في وجهها؛ فإنها سترجع إلى ربها) فأخذ الأسود حفنة من الحصى ورمى بها في وجهها، وقال: ارجعي لصاحبك، فرجعت كأن سائقاً يسوقها حتى دخلت الحصن، وتقدم الراعي إلى الحصن ليقاتل، فأصابه حجر فمات، فسجي بثوب، وأعرض عنه النبي صلى الله عليه وسلم فقيل له: لم أعرضت عنه يا رسول الله؟ قال: (إنه معه زوجتيه الآن من الحور العين).

تاسعاً: لما سمع أهل فدك بفتح خيبر، نزل بهم الرعب، فبعثوا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم يصالحونه على النصف من فدك، فصالحهم على ذلك، وكان ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحده؛ لأنه فيء أفاءه الله عليه؛ إذ لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب، وإنما بعث إليهم من خيبر محيصة يدعوهم إلى الإسلام فصالحوا، وكان رئيسهم يوشع بن نون اليهودي].

نكتفي بهذا القدر، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه .

كان لغزوة خيبر جملة من الدروس والعبر للمجتمع المسلم الذي عرف من خلالها أحكاماً دينية متنوعة كانت خافية على بعضهم، ولعل من أهم هذه الدروس حرمة الغلول ولو كان في شيء يسير قد يتساهل فيه البعض، كما كان من الدروس مشروعية مواصلة الجهاد حيث انتهت غزوة خيبر فقصد رسول الله صلى الله عليه وسلم وادي القرى ليفتحها، فحاصرها عدة ليال وافتتحها عنوة.

نتائج وعبر من غزوة خيبر

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.
أما بعد: فقد انتهى بنا الدرس إلى نتائج وعبر من غزوة خيبر، وعند ذكر كل نتيجة وعبرة نرجع بأذهاننا إلى الدرس السابق، فلا حاجة إلى إعادته.
قال المؤلف غفر الله له ولكم، ورحمه وإياكم وسائر المؤمنين: [نتائج وعبر: إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبراً نوجزها فيما يلي]
تاسعاً: مشروعية تقبيل جبهة الإنسان إن كان أهلاً لذلك

قال: [تاسعاً: مشروعية تقبيل جبهة الإنسان إن كان أهلاً لذلك؛ لصلاحه أو قربه] أما ما يفعله بعض الناس من تقبيل الرجل في خده أو فمه، فهو من الجاهلية، وإن شاء الله نتوب.
كيف يقبّل الرجل الرجل في عينه أو فمه أو خده، ولماذا؟ أي داع لهذا؟ هل سن أبو القاسم هذا؟ الرسول صلى الله عليه وسلم إذا أحب عبداً وأراد إكرامه قبله بين عينيه، وهذه هي السنة، ولا بأس أن يقبّل الأب أو الشيخ الكبير أو ذو الفضل بين عينيه فقط، ليس في خده أو وجهه، وله كذلك أن يحتضنه، أما التقبيل فهو عادة سيئة.
من أين استنبطنا هذه القضية؟ لما جاء جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه من الحبشة -وقد هاجر إليها بأمر رسول الله أيام كان في مكة- بعد أن انتصر الإسلام ولم يجد رسول الله في المدينة، وأخبروه بأنه في خيبر، شد على راحلته والتحق به، فما إن رآه الرسول حتى احتضنه وقبّله.
عاشراً: في مصالحة أهل فدك قبل غزوهم تقرير معنى حديث: (نصرت بالرعب مسيرة شهر)

قال: [عاشراً: في مصالحة أهل فدك قبل غزوهم تقرير معنى الحديث: (نصرت بالرعب مسيرة شهر)] ما إن انتصر الرسول صلى الله عليه وسلم في خيبر وانهزم اليهود حتى أرسل أهل فدك إلى الرسول وقالوا: نصالحك أيضاً.
ثامناً: فضل صفية أم المؤمنين رضي الله عنها وأرضاها

قال: [ثامناً: فضل صفية أم المؤمنين رضي الله عنها وأرضاها] من صفية هذه؟ إنها أمكم رضي الله عنها، ولعل البعض لا يعرفونها؛ لأنهم مشغولون بالدينار والدرهم! صفية بنت حيي بن أخطب هذه لما انتصر الرسول والمؤمنون في خيبر أخذت مسبية من جملة السبايا، وكانت من أسرة -في الحقيقة- شريفة في قومها، فأعتقها الرسول صلى الله عليه وسلم وتزوجها.
ونذكر لها لطيفة وهي: لما تزوجها ابن عمها ابن أبي الحقيق قصت عليه رؤيا رأتها في المنام فقالت: رأيت القمر سقط في حجري، فما كان من هذا اليهودي إلا أن لطمها حتى أثر في خدها بالزرقة أو الخضرة، وقال: أتريدين ملك يثرب، يعني: النبي صلى الله عليه وسلم، فلما خلا بها الحبيب ليلة زفافها وجد الخضرة في وجهها، فقال: ما هذا يا صفية ؟! فقصت له القصة.
خامساً: حرمة وطء المسبية قبل استبرائها

قال: [خامساً: حرمة وطء المسبية قبل استبرائها] والمسبية هي من سبيت في الحرب؛ الحرب الجهادية الإسلامية، فإذا غزونا بلداً وانتصرنا ماذا نصنع بالأسرى من النساء والرجال والأطفال؟ أما الكفار فيحرقون الأسرى، أو يجمعونهم بالآلاف ويقتلونهم، أما المسلمون -أيام كانوا لا نعني الآن- لما تنتهي المعركة يقسم القائد من لم يقتل من الرجال والنساء والأطفال على المجاهدين، ويوصيهم بأن يطعموهم مما يطعمون، وأن يكسوهم مما يكتسون، وأن لا يحمّلوهم ما لا يطيقون، فإن حملوهم أمراً صعباً أعانوهم وكانوا معهم.
فإذا أراد أحد أن يستمتع بمسبيته ويسعدها بقضاء شهوتها فيجب أن لا يطأها حتى يستبرئها، أي: يتعرف إلى براءة رحمها، وأنه ليس به جنين من رجل كافر، فإذا حاضت عرف أنها ليست حبلى، وحينئذٍ يستمتع بها إن أراد وليس بلازم، ولكن هذا الاستمتاع في صالح الأسيرة كونها تبقى خادمة طوال عمرها، وقد لا تتزوج، ألا تستمتع بتلك الغريزة الجنسية؟ فمولاها يستمتع بها، وهذه حال تتطلب منه -كذلك- أن يحسن ثيابها وفراشها وما إلى ذلك.
تدبير من هذا؟ تدبير الله رب العالمين.

أين الحيوانات البهيمية الكافرة بالله، أنى لها أن ترقى لهذه الكمالات السماوية؟! لا يعرفون إلا السب والشتم والطعن في الإسلام وأهله، وهم شر من البهائم!!

سادساً: بيان فضل علي بن أبي طالب وما فاز به من حب الله ورسوله

قال: [سادساً: بيان فضل علي بن أبي طالب وما فاز به من حب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم] هل فاز بجائزة كبيرة قدرها مليار دولار؟ لا، ولكن أخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم: أن الله ورسوله يحبانه، ومن عرف أن الله يحبه هل يشقى في الدنيا؟ هل يخطر بباله حزن أو غم أو هم وقد علم أن الله يحبه ورسوله؟! لا.

سابعاً: بيان صدق وعد الله تعالى في غنائم خيبر

قال: [سابعاً: بيان صدق وعد الله تعالى في غنائم خيبر؛ إذ وعد المؤمنين بها، فأنجزها لهم، وله الحمد والمنة] أين وعدهم بها؟ في غزوة الحديبية، فقد خرج الحبيب صلى الله عليه وسلم برجاله وكانوا ألفاً وأربعمائة بعدما انتصروا في غزوة الخندق -نصرهم الله بالملائكة وما كان قتالاً- وكان المشركون قد تجمعوا بمكر اليهود حول المدينة من غرب وشرق وحاصروا النبي صلى الله عليه وسلم خمساً وعشرين ليلة، وما استطاعوا أن يتجاوزوا الخندق الذي حفره الرسول والمؤمنون، وأخيراً أصابهم الله بريح تسمى: (ريح الصبا) فاقتلعت الخيام، وكفأت القدور الضخمة، فقرروا الهرب، وطلعت الشمس وما كافر موجود حول الرسول والمؤمنين.
وعندها قال الحبيب صلى الله عليه وسلم: (الآن نغزوهم ولا يغزونا)، وعاد أبو سفيان بجيشه وعاد كل المشركين مهزومين، وقال تعالى: لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ [التوبة:25]، وهناك آيات كثيرة في هذا، والشاهد عندنا أنه لما خرج صلى الله عليه وسلم للعمرة بعد الانتصار الرباني وسمعت قريش بخروجه وأنه على مقربة من مكة جهزت جيوشها وقالت: لا يدخلها عنوة علينا! وشاء الله أن يجري الصلح بين الرسول والمشركين، وكانت مدته عشر سنوات.
ونذكر للتعليم -وإن كنا لا نستفيد- أنه لما كان يُكتب الصك أو العقد بين الطائفتين قال النبي لعلي -وهو سكرتيره- (اكتب بسم الله الرحمن الرحيم) ، فقال سهيل بن عمرو وكان ممثل قريش وسفيرها: لا نعرف الرحمن الرحيم، ولكن اكتب باسمك اللهم فقط، فماذا يصنع الرسول وقد تألم الأصحاب؟ قال: (اكتب باسمك اللهم)، وتنازل عن كلمة (الرحمن الرحيم).
ثم قال صلى الله عليه وسلم:(هذا ما عاهد عليه محمد رسول الله قريشاً) فقال سهيل: لو عرفناك رسول الله ما قاتلناك! ولكن اكتب محمد بن عبد الله، فيتنازل رسول الله عن كلمة (الرسول)، ولما غضب من غضب، قال: اسكتوا (أنا رسول الله ولن يضيعني)؛ لأنه يريد أن يهيئ الفرصة للمؤمنين في أن يتجولوا في البلاد يتجرون ويربحون وينتهي الحصار على المدينة من كل جهة.
والآن إخوانكم المتعنترون لو تنازل حاكم عن مثل هذه لكفروه مليون مرة، ولو استطاعوا ذبحه لذبحوه ألف مرة، ولا يفكرون في ما هي الأسباب والعوامل أبداً؛ لأنه لا بصيرة لنا، ولا علم رباني صحيح في قلوبنا!! إذاً: صبر الحبيب وصبّر رجاله، وأقبلوا عائدين إلى المدينة وقد عُقد صلح مدته عشر سنوات، ونزل قوله تعالى: إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا * لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ [الفتح:1-2]، يتلوها صلى الله عليه وسلم على ناقته، وفيها: وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ [الفتح:20]، وهي غنائم خيبر، فما إن وصل المدينة حتى عزم صلى الله عليه وسلم على غزو اليهود في خيبر؛ لأنهم هم الذين ألبوا المشركين من كل جهة يوم الأحزاب، وفتح الله خيبر، وغنم المسلمون كل ما فيها من غنائم، وتحقق وعد الله تعالى للمؤمنين.

ثامناً: بيان آية النبوة المحمدية في نعي عامر بن الأكوع

قال: [ثامناً: بيان آية النبوة المحمدية في نعي عامر بن الأكوع قبل استشهاده ودخوله المعركة] فقد قال له الرسول: (رحمك)، ففهم الأصحاب أنه يودعه، وهو كذلك فما إن دخل المعركة حتى كان أول من استشهد.

ثالثاً: استحباب قول: (اللهم رب السموات السبع وما أظللن ..)

قال: [ثالثاً: استحباب قول (اللهم رب السموات السبع وما أظللن، ورب الأرضين السبع وما أقللن، ورب الرياح وما ذرين، ورب الشيطان وما أضللن، نسألك من خير هذا البلد.) إلخ] وهذه دعوة محمدية فاضلة، فأيما مؤمن نزل ببلد ضيفاً أو ذا عمل أو حاجة، عند دخوله يدعو بهذا الدعاء، فيحصل على أجر وعلى عناية إلهية إن شاء الله، وهو توسل بالمشروع؛ توسل بأسماء الله وصفاته.

رابعاً: حرمة الغلول

قال: [رابعاً: حرمة الغلول، أي: الأخذ من الغنائم قبل قسمتها] والغلول: مصدر غل يغُل غلولاً، وهو أن يأخذ سراً من الغنيمة ويخفيه قبل أن تقسم، والله تعالى يقول: وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ [آل عمران:161] -وفي القراءات السبع: (أن يُغَل)- وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ [آل عمران:161].
ومثل الغلول: الشركاء في بستان أو تجارة لا يحل لأحدهم أن يأخذ شيئاً قبل القسمة وقبل إجراء الحساب، ومن هذا أيضاً: من تسند إليه أموال الدولة أو صناديق من المسئولين، لا يحل له أن يأخذ قرشاً واحداً بدون حقه، فالمجاهد وقد انتصر ورغب في شيء من تلك الأكوام من الغنائم لا يأخذ شيئاً فما بالك بمن دونه.

أولاً: جواز الحداء والأناشيد الحسنة الخالية من السوء والبذاءة

[أولاً: جواز الحداء والأناشيد الحسنة الخالية من السوء والبذاءة] والحِداء والحُداء بمعنى واحد، ويستعمله سائق الإبل أحياناً لكي تواصل الإبل سيرها في ظلام الليل وضوء النهار، ولا بأس بالحداء إذا كان بالكلم الطيب، الخالي من البذاءة والسوء، فتندفع الإبل به وتواصل سيرها، وكذلك العمال البناءون يتقاولون كلمات طيبة تشجعهم على البناء ليس فيها ما حرم الله من الكلام البذيء واللفظ السيء أو ما يدعو إلى الفاحشة والباطل والمنكر.

وهذا أخذناه من عامر بن الأكوع وهو يحدو بالرسول صلى الله عليه وسلم، ومن هنا: إذا اجتمع المؤمنات ليلة الزفاف في بيت مؤمن أو مؤمنة يضربن بالدف، وهو عبارة عن جلد مدبوغ على عيدان، له صوت خاص، ويتغنين بالكلم الطيب، والألفاظ الحسنة إعلاناً عن النكاح، فلا بأس بذلك، فالنكاح يستحب الإعلان عنه، وإذا وجدت الوليمة فحسن؛ لقوله صلى الله عليه وسلم (أولم ولو بشاة).

أما أن نستقدم عاهرة أو ماهرة في الأغاني من الشرق أو الغرب لتحيي ليلة العرس فهذا باطل ومنكر، وأعظم من هذا أن يكون صوت تلك المرأة بمكبر الصوت يسمعه الرجال والنساء معاً، وهذا النوع من الحياة ليس كحياة محمد وأصحابه والمحبين له.

غزوة وادي القرى

قال: [غزوة وادي القرى] وهي مدينة موجودة إلى الآن.

[وبعد الفراغ من غزوة خيبر ومصالحة أهل فدك برئاسة يوشع بن نون على النصف من أموالهم، وإقرارهم على العمل فيها كإقرار أهل خيبر: قصد الرسول صلى الله عليه وسلم وادي القرى ليفتحها، فحاصرها عدة ليال وافتتحها عنوة] أي: بالقوة [وأثناء الحصار قتل مولاه مدعم الذي أهداه إياه رفاعة بن زيد الجذامي، أصابه سهم غرب فقتله] وسهم غرب: أي لا يعرف من أين أصابه، ولا يدرى من هو الذي رماه، ولكن فجأة أصيب بسهم فمات [وقال بعض المسلمين: هنيئاً له الجنة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كلا والذي نفس محمد بيده)] وهذه يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم لا تحلفون بها؟ وإخواننا الجهلة يحلفون بحق سيدي عبد القادر ، ورأس فلان، وحق النبي، والكعبة، والطعام الذي أكلنا، وهذه الساعة .

ويؤلهون أشياء كثيرة ويتركون الله مولاهم، والرسول على المنبر يقول: (ألا إن الله ورسوله ينهيانكم أن تحلفوا بآبائكم، ومن كان حالفاً فليحلف بالله أو ليسكت)، ومن ثم ما بقي من يحلف بغير الله، والمسلمون اليوم يحلفون حتى بالطعام، المهم أنهم غير معظمين لله عز وجل، من صرفنا عن هذا؟ إنه العدو الذي حرمنا من تعلم الكتاب والحكمة، وعشنا قروناً جهلة في ظلام.

هذه هي الأسباب والعوامل.

هيا نعود إلى الكتاب والحكمة -وعدنا إن شاء الله- انظروا إلى المسجد كيف هو ممتلئ، إن اليهود والنصارى وفي كل ليلة يذهبون إلى المقاهي والملاهي والمقاصف عندما ينتهي عملهم في الساعة السادسة، ونحن نأتي إلى بيوت الله بنسائنا وأطفالنا، لنتعلم الكتاب والحكمة، فهل يبقى بيننا جاهل أو جاهلة، وإذا انتفى الجهل لم يبق ظلم ولا شر ولا فسق ولا فساد! قال صلى الله عليه وسلم: [(إن شملته الآن لتشتعل ناراً)] والشملة: الحزام يشتمل فيه الإنسان في الزمن الأول يشد بها وسطه، وهي موجودة إلى الآن، وكان قد أخذ هذه الشمله خفية من غنائم خيبر قبل أن تقسم، فلما مات بتلك الضربة من السهم الغريب، قال الأصحاب هو في الجنة، فقال صلى الله عليه وسلم: (لا والذي نفس محمد بيده) من هو الذي نفس محمد بيده؟ إنه الله جل جلاله، وهل تعلمون نتم أن أنفسكم بيد الله؟ إذاً تخافون أن تقبض فلا ترجع إليكم؟ إن الذي أيقن أن نفسه بيد الله لا يقوى على مجاهرة الله بالمعاصي، فهو يخاف ممن روحه بيده، إن شاء أرسلها وإن شاء منعها، واقرءوا قوله تعالى: اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى [الزمر:42].

قال: [وكان قد غلها] أي: هذا الخادم أو العبد [من فيء المسلمين يوم خيبر، وهنا سمعه رجل] ولنسمع الحديث الذي جرى بينه وبين الأصحاب [فقال: يا رسول الله! أصبت شراكين لنعلين لي كنت أخذتهما؟] وهذا اعترف بسرقة، أو بغلول، ما هو هذا الغلول؟ خيطين للنعال، يعني: لا دينار ولا درهم ولا شملة ولا عمامة [فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم (يعد لك مثلهما من نار)] أي: يهيئ لك مثل الشراكين ولكن من النار، والشراك: خيط يربط به النعال.

قال: [وترك النبي صلى الله عليه وسلم النخل والأرض في أيدي أهلها، وعاملهم معاملة أهل خيبر وفدك سواء بسواء] أبى أن يجليهم وقال: ابقوا في بساتينكم ومزارعكم وأعطونا النصف والنصف الآخر لكم، كما عمل مع أهل خيبر وفدك.

[وبقي الأمر في خيبر وفدك ووادي القرى كما تركه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى عهد عمر رضي الله عنه] أي: بقي هذا الحكم في خيبر وفدك ووادي القرى يعطون نصف الغلة ونصفها لهم إلى عهد عمر بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم و أبي بكر رضي الله عنه [ثم نفذ عمر وصية الرسول صلى الله عليه وسلم وهي قوله: (لا يجتمع دينان في الجزيرة)] أي: لا يصح أن تفتح كنيسة أو بيعة لليهود أو معبد للبوذيين في هذه الجزيرة، والمملكة -والحمد لله- ثبتت، وما سمحت بأن يبنى فيها كنيسة، ولكن جيراننا في الجزيرة عندهم كنائس وبيع، ولا يحل أن يعبد غير الله في هذه الديار.

ولدي لطيفة أكررها: منذ سنوات كنا في باريس للدعوة -عن طريق الجامعة الإسلامية- وإذا بكاتب -وهو قس- اسمه طارطار يكتب في جريدة الجمهورية الفرنسية ويقول: لم السعودية تمنع إخواننا العمال في بلادها من أن يبنوا كنائس يعبدون فيها الله، ونحن نسمح للمسلمين بعشرات المساجد ومئاتها؟! فرددت عليه قائلاً -بالترجمة-: يا مسيو طارطار ! إن الجزيرة أو المملكة العربية السعودية كلها عبارة عن مسجد، فهل يصح أن تبنى كنيسة في مسجد؟ الجواب: لا، وهل يصح أن يبنى مسجد في كنيسة؟ الجواب: لا، فلهذا ليس مسموحاً أبداً بهذا

عندنا؛ لأن هذه قبة الإسلام وبلاده، يقول الرسول القائد فيها: (لا يجتمع دينان في الجزيرة)، أما في بقية العالم الإسلامي فهناك كنائس وبيع.
فرد علي وقال: اجتمع إخوان لنا في جدة ليلة قداس، وما زالوا في فرحهم حتى انقض عليهم رجال الهيئة فدخلوا عليهم بالقوة وسفروهم أجمعين.
قلت له: يا مسيو! هذا ليس خاصاً بالنصارى، فحتى المبتدعة والخرافيون عندنا وأصحاب الباطل إذا عُثر عليهم في ليلة من الليالي بمنكر من المناكير فعلى الفور يسفرون ويبعدون من دار الإسلام.
فسكت.
قال: [فأجلى اليهود من الجزيرة إلى خارجها، وطهرت قبة الإسلام من رجس المشركين وكفر الكافرين من سائر الناس].

نتائج وعبر من غزوة وادي القرى

قال: [نتائج وعبر: إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبراً هي كالتالي: أولاً: مشروعية مواصلة الغزو والفتح؛ حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله] أخذ بهذا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأولادهم، فانتهى الإسلام إلى الأندلس غرباً وإلى ما وراء نهر السند شرقاً في خمس وعشرين سنة، واليوم أراحنا الله من أن نحمل السلاح ونقاتل الكفار، فبلاد الكفار كلها مفتوحة، أمريكا وكل ما تحتها، وأوروبا شرقها وغربها، واليابان والصين، امش فقط، وادع إلى الله وابنِ المسجد وكبّر، وليس هناك من يقول لك: لا تفعل! لم إذاً وقد أراحنا الله من أن نغزوا بالسلاح لا نكوّن لجنة عليا يشارك فيها كل مسلم في العالم بدينار أو درهم في الشهر أو في السنة وتصبح ميزانيتها أكبر ميزانية في العالم على أن يكون هذا سرياً لا يطلع عليه اليهود ولا النصارى ولا غيرهم، ثم تضع هذه اللجنة خريطة لكل العالم تبين فيها عدد المسلمين في كل دولة، وكذلك مراكز الدعوة والمساجد، وتتولى جمعهم على مذهب رسول الله، فلا حنفي ولا مالكي ولا حنبلي ولا رافضي ولا أباظي، وإنما مسلم فقط، فيجتمعون على الكتاب والسنة، ويأخذون في الطيبوبة والطهر، والتربية الربانية، لم لا نفعل هذا؟ لأننا ما فعلنا هذا في بلادنا، وما اجتمعنا على كتاب الله وسنة رسوله، وما زلنا مفرقين مذاهب وأحزاباً وعنتريات وأوطاناً، وكأننا ما عرفنا الله بعد ولا رسوله صلى الله عليه وسلم، ماذا نقول؟! اللهم اجمع كلمة المسلمين على الحق، واهدنا يا رب وإياهم إلى صراطك المستقيم.
[ثانياً: حرمة الغلول من الغنيمة ولو كان المأخوذ شراك نعل] [ثالثاً: لا يصح الجزم لأحد بأنه في الجنة أو في النار] لا يصح لك أن تقول: سيدي فلان في الجنة، أو الرجل الفلاني في الجنة، أو تقول: فلان أو فلان من الناس في النار، فلا يصح أن تجزم جزماً قاطعاً بأن فلان في الجنة أو في النار، ولكنا نرجو للمحسنين إذا ماتوا أن يكونوا من أهل الجنة، وإذا مات المرء مجرماً فاسقاً نخاف أن يكون من أهل النار، أما أن نجزم فلا حق لنا، ونكذب بذلك على الله.
إذاً: معاشر المؤمنين إذا مات أحد إخواننا أو أعمامنا في القرية أو في أي مكان وكان من الصالحين نقول: نرجو الله أن يكون من أهل الجنة، وإذا كان من الفاسقين نخاف أن يكون من أهل النار.
من أين أخذنا هذا؟ الصحابة لما قتل خادم الرسول بالسهم ظلماً وعدواناً، قالوا: هنيئاً له الجنة فقال: (كلا)، وذكر سبب ذلك، ولعل البعض يقول: أما قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (من مات وآخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة)؟ نعم.
ولكن أيضاً لا نجزم بهذا، فمن مات وآخر كلامه لا إله إلا الله نرجو له أن يكون في الجنة، لكن قد يكون هذا بعد تعذيب وتأليم، وأما مباشرة فأمره إلى الله.
[رابعاً: جواز الحلف بدون طلب واستحلاف، وذلك لتأكيد الكلام وتقويته لفائدة المتكلم أو السامع] الرسول كان يحلف ويقول: (والذي نفس محمد بيده)، وبعض طلبة العلم يعترضون علينا، يقولون: نحن نحلف دائماً، فنقول لهم: أما رأيتم الرسول يحلف؟! وهل نحن نحلف لنأكل أموالكم أو لنسبي نساءكم؟ نحن نحلف لكم حتى تتأكدوا من صحة الخبر وفائدته، ثم الحلف بالله عبادة من أعظم العبادات، وهي التوحيد بعينه، والحلف بغير الله من أنواع الشرك، لكن احذر أن تحلف بالله كاذباً ويا ويلك إن حلفت به كاذباً؛ لتأخذ أموال الناس أو تفعل وتفعل لنفسك، وهو الهلاك بعينه، أما أن تحلف صادقاً؛ لتقرير علم أو تقوية حجة لإخوانك المؤمنين فلا بأس.
وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه .

بعد العودة من غزوة خيبر تمت أمور مهمة منها: بناء النبي صلى الله عليه وسلم بصفية بنت حيي، وإعطاء النساء اللاتي حضرن المعركة مكافآت مالية جزاء ما قمن به من أعمال، وكان مما قام به النبي صلى الله عليه وسلم بعد هذه الغزوة أن أرسل السرايا؛ فكان أبو بكر على رأس أول سرية، وكانت وجهتها بني فزارة فكان النصر والغنيمة، ثم كان عمر على رأس سرية إلى تربة هوازن، وتتابعت السرايا.

ما تم من أمور هامة عند العودة من غزوة خيبر

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.
أما بعد: قال المؤلف غفر الله له ولكم ورحمه وإياكم وسائر المؤمنين: [ما تم من أمور هامة عند العودة من غزوة خيبر] وغزوة خيبر كانت في السنة السابعة وقد أنهيناها حديثاً، ولكن كان في تلك الغزوة أمور هامة، تمت عند عودته صلى الله عليه وسلم منها، بعد أن فتحها الله تعالى عليه.
قال: [لقد تمت أمور ذات بال] وشأن [والحبيب صلى الله عليه وسلم في طريقه إلى المدينة من غزوة خيبر ووادي القرى] إذ بعد فتح خيبر غزا وادي القرى وعاهد أهله، وتم انقيادهم للرسول صلى الله عليه وسلم [ومن تلك الأمور الهامة ذات البال والشأن ما يلي]

رابعاً: احتيال الحجاج بن علاط السلمي على أهل مكة

قال: [رابعاً: احتال ونجح] من هذا؟ [ذلك هو الحجاج بن علاط السلمي ، فقد كان من ذوي المال واليسار في مكة] من أغنياء مكة [وأسلم في خيبر، ولم يعلم المشركون بإسلامه، فاستأذن الرسول صلى الله عليه وسلم] أي: طلب الإذن منه [أن يذهب إلى مكة قبل وصول الخبر إليها بفتح النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه لخيبر] وهذه هي الحيلة [فأذن له، واستأذنه أن يقول ما يقول فأذن له] يعني: استأذنه أن يكذب ما شاء أن يكذب على كفار قريش، فقال له: قل ما شئت! وذلك لأنهم كفار والحالة حالة حرب، والحرب خدعة، وقد وضع هذه القاعدة النبي صلى الله عليه وسلم.
[وكان أهل مكة يتطلعون إلى أخبار النبي وأكثرهم يرغب في هزيمة النبي صلى الله عليه وسلم وأن يقتل هو وأصحابه] بلغهم أن الرسول ذهب ليحارب اليهود في خيبر -والأخبار يتناقلها المسافرون- فكانوا يتطلعون متى يأتي الخبر بأنهزام الرسول وقتله مع رجاله.
[فخرج الحجاج يريد مكة، واستحث الخطى، وأغذ السير، فوصل مكة، فأشاع أن محمداً قد انهزم، وأن اليهود قد عزموا على أن يأتوا به إلى مكة ليقتل بها] حتى يشفوا صدور المشركين [فطار المشركون بالفرح] وحق لهم [وحزن العباس] وهو مشرك؛ لأن الله أهّله للكمال [وآلمه الخبر، فاتصل بالحجاج سراً فأطلعه إنما أراد بهذا أن يجمع أمواله ويخرج بها] هذه هي الحيلة: كانت له أموال كثيرة بمكة، وإذا أسلم فلن يعطوه منها قرشاً واحداً، يعني: يصادرونها، إذاً كيف يصنع؟ احتال ونجح.
قال: [لأن قريشاً لو تعلم بإسلامه لما سمحت له بإخراج درهم واحد، وجمع أمواله وقال: إنه يريد أن يأتي خيبراً ليشتري من فيء محمد وأصحابه] أي: أراد بجمع الأموال أن يذهب إلى خيبر؛ ليشتري من فيء اليهود الذي حصلوا عليه من محمد وأصحابه، فزادهم عمى، مثل إذاعة لندن اليوم [قبل أن يسبقه التجار إلى ذلك، وعند انصرافه من مكة قال للعباس : إذا مضى على ثلاث ليال فأعلن الحقيقة وهي انتصار محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه على اليهود وفتح خيبر وكل ما فيها] لأن خيولهم بعد ثلاثة أيام لا تصله.
[وفعلاً في اليوم الثالث لبس العباس حلة، وتخلق -أي تطيب- وأخذ عصاً ثم خرج حتى أتى الكعبة فطاف بها فلما رأوه قالوا: يا أبا الفضل هذا والله التجلد لحرّ المصيبة] يعني: لأن المصيبة كانت قاسية عليك فأنت تتشجع، فلبست الحلة وتطييت وتطوف والعصا بيديك.
[قال: كلا، والله الذي حلفتم به لقد فتح محمد خيبراً، وتُرك عروساً على بنت ملكهم] فمزقهم بكلامه، ويقصد بملكهم حيي بن أخطب [وأحرز أموالهم وما فيها، وأصبحت له ولأصحابه، قالوا: من جاءك بهذا الخبر؟ قال: الذي جاءكم بما جاءكم به، ولقد دخل عليكم مسلماً فأخذ ماله وانطلق؛ ليلحق بمحمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه فيكون معه، قالوا: يا لعباد الله!! انفلت عدو الله!!] وفاتهم [ولم ينشبوا أن جاءهم الخبر بذلك] وبأنه انتصر محمد ورجاله، وفتحوا خيبراً.

ثالثاً: رضخ النبي صلى الله عليه وسلم للنساء من الغنيمة وعدم الإسهام لهن

قال: [ثالثاً: رضخ النبي صلى الله عليه وسلم للنساء من الغنيمة ولم يضرب لهن بسهم] وهل خرج معه نساء للجهاد؟ إي نعم، ولكن بغير أمر ولا إلزام، فقد كن متطوعات، طالبن الرسول أن يأذن لهن في أن يعالجن المرضى فقال: تفضلن! وما جعل لهن سهماً كالمجاهدين، ولكن أرضخ لهن من الغنيمة [إذ كان قد حضر خيبر عدة نسوة من بني غفار جئن النبي صلى الله عليه وسلم عند خروجه إلى خيبر] وغفار هي قبيلة أبي ذر رضي الله عنه، وهي على طريق الشام.

[فقلن له: يا رسول الله! قد أردنا أن نخرج معك إلى وجهك هذا -أي: إلى خيبر- فنداوي الجرحى ونعين المسلمين بما استطعنا، فقال صلى الله عليه وسلم: (على بركة الله)] وهذه الكلمة يقولوها العوام، أما العلماء فما سمعناها منهم -ونفضح أنفسنا- وليس فيها شيء؛ فهي كلمة طيبة، وزادها الله طيباً بكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم.
إذاً نقولها إن شاء في المستقبل.
قال: [وحدثت إحدى هؤلاء النسوة] أي: تكلمت إحدى هؤلاء النسوة [فقالت: فخرجنا معه وكنت جارية حدثة] أي: صغيرة السن [فأردفني رسول الله صلى الله عليه وسلم على حقيبة رحله] أردفها من ورائه [قالت: فوالله] تحلف بالله [لنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزلت عن حقيبة الرحل وإذا بها دم مني] حاضت، ويا ويحها! [وكانت أول حيضة حضتها فتقبضت إلى الناقة واستحييت] ما استطاعت أن تواجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلصقت بالناقة واختبأت، وماذا ترون الرسول قائلاً لها: يا كذا، وسختنا؟! أو عملت بنا كذا؟ [فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بي ورأى الدم قال: (ما لك؟ لعلك نفست؟)] أي: حضت [قالت: قلت نعم.
قال: (فأصلحي من نفسك، ثم خذي إناء من ماء فاطرحي فيه ملحاً، ثم اغسلي به ما أصاب الحقيبة من الدم)] حكيم هذا الرسول صلى الله عليه وسلم! لما رأى ذلك قال: (فأصلحي من نفسك)، يعني: حاولي أن تغسلي هذا الدم وتبعديه عنك، (وخذي إناء من ماء فاطرحي فيه ملحاً)، ونتعلم من هذا أنه إذا لم يكن عندنا صابون وأردنا أن نغسل الدم من ثوب أو غيره فإننا نخلط الماء بالملح ثم نغسل به ويجوز ذلك، ومن أراد أن يعرف مدى علم الرسول يجرب هذا الليلة أو غداً ثم يخبرنا.
قال: [(ثم عودي لمركبك)] سبحان الله! أي: ارجعي إلى مركبك، ولهذا أمرها بغسله لتركب عليه، [قالت: فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر رضخ لنا من الفيء ولم يسهم] والرضخ: شيء يعطى لمن ليس له سهم ممن حضر القتال [وأعطاني هذه القلادة التي في عنقي، فوالله لا تفارقني أبداً] كيف وقد أعطاها لها رسول الله صلى الله عليه وسلم؟! والقلادة من الغنائم.

أولاً: بناء النبي صلى الله عليه وسلم على صفية بنت حيي

قال: [أولاً: بناء النبي صلى الله عليه وسلم على صفية بنت حيي رضي الله عنها] أم المؤمنين، وأبوها حيي بن أخطب من شر الناس، ولكن أراد الله أن يكرم هذه المرأة، فأكرمها أولاً: بالإسلام فأسلمت، ثم أكرمها بأن أصبحت أم المؤمنين.
إذاً: في طريقه من خيبر بنا بها صلى الله عليه وسلم [وكانت أم سليم بنت ملحان أم أنس بن مالك هي التي أصلحتها وجملتها له صلى الله عليه وسلم، وبات في قبة له] يعني: خيمة، ويسمونها قبة لارتفاعها، ينزل بها القائد المدير للمعارك، وأي قبة أعظم من قبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟! قال: [وبات أبو أيوب الأنصاري خالد بن زيد متوشحاً سيفه يحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم] من هذا البطل؟ إنه أبو أيوب الذي استضاف الرسول في أول يوم دخل فيه المدينة، واسمه: خالد بن زيد [وهو معرس بصفية النضرية أم المؤمنين رضي الله عنها وأرضاها].
وإن قلتم: كيف تزوجها؟ قلنا: لأنه أعتقها، وجعل مهرها عتقها.
ويذكر أهل الدرس حادثة لصفية وهي: لما تزوجها ابن عمها قالت له: رأيت البارحة -رؤيا- أن القمر سقط في حجري، فما كان من هذا اليهودي إلا أن صفعها على خدها فاخضر مكان الضربة في وجهها، وقال: أتريدين أن تكوني زوجة لملك العرب؟! ولما خلى بها الحبيب صلى الله عليه وسلم سألها عن الخضرة التي في وجهها: ما سببها؟ فأخبرته بالقصة.

ثانياً: نومه صلى الله عليه وسلم مع أصحابه بالطريق عن صلاة الصبح

قال: [ثانياً: نام صلى الله عليه وسلم مع أصحابه بالطريق] وهم عائدون إلى المدينة بعد أن فتح الله عليهم وانتصروا [وقال: (مَن رجل يحفظ علينا الفجر؛ لعلنا ننام؟)] ما قال: يا فلان! ولكن عرض ذلك على أصحابه عرضاً؛ لأنه كامل الآداب والأخلاق صلى الله عليه وسلم -ما اكتحلت عين الوجود بأفضل منك يا رسول الله!- ولو شاء لقال: يا فلان! قف مكانك ولا تنم؛ حتى لا ننام عن صلاة الصبح.
إذاً: يريدون أن يصلوا الصبح في وقتها، لم يقولوا: الجراحات والتعب والآلام! فننام، وإذا استيقظنا صلينا حتى بعد الضحى! أما جيوشنا الإسلامية فلا أحسبهم أبداً يقفون هذا الموقف إلا من رحم الله؛ لأنهم ما ربوا في حجور الصالحين.
[فقال بلال : أنا يا رسول الله! أحفظ عليك] و بلال هو مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولو كان أيامها تسجيل للأصوات وسُجل صوته ثم أطلق لنا من منارة المسجد النبوي لم يبق أحد إلا وهو يبكي ويتمرغ على الأرض.
لما توفي الحبيب صلى الله عليه وسلم ما أطاق المقام في المدينة وخرج، وعاد بعد ذلك للزيارة فطلبوا إليه أن يؤذن فما استطاع، فألح عليه الصحابة وأبناؤهم إلا تسمعنا صوتاً كنا نسمعه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقام فأذن فضجت المدينة بالبكاء، النساء والرجال والأطفال في صوت واحد، وP=1000114>بلال هذا شاهده رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار السلام.
قال: [ونام رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونام الناس، وقام بلال يصلي] يتهجد [فصلى ما شاء الله أن يصلي، ثم استند إلى بعيره واستقبل الفجر يرمقه، فغلبته عينه فنام] استند إلى رحل بعيره مستقبلاً الفجر من الشرق، ينتظر متى يطلع الفجر، فغلبته عيناه ونام [فلم يوقظهم إلا مس الشمس] ما أيقظ رجال المعسكر وعلى رأسهم الحبيب صلى الله عليه وسلم إلا مس الشمس وحرها؛ لأنه بشر صلى الله عليه وسلم، وهذه من صفات البشر، أنه ينام ويغلبه النوم، ويجوع ويحتاج إلى الطعام، ويعطش ويحتاج إلى الماء، قال تعالى: قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ [الكهف:110].

وهناك رجال صالحون فقط عظموهم وأجلّوهم وأكبروهم وعبدوهم، ورضي أولئك بعبادتهم، ما سبب هذا؟ إنه الجهل، لم ندرس كتاب الله ولا سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم، هل جاء رجل إلى الرسول يوماً وقال: يا رسول الله! أتوسل بك إلى الله؟! ولما قبض صلى الله عليه وسلم هل جاء صحابي وأخذ يتمسح بقبره وينادي: يا رسول الله المدد المدد؟! والله ما كان ولا عرفوا هذا، وسر ذلك أنهم علماء، خريجوا المسجد النبوي، أما كان يجلس لهم صلى الله عليه وسلم بأمر الله يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم؟! [وكان الرسول صلى الله عليه وسلم أول أصحابه هبّ من نومه] هو الأول [فقال: (ماذا صنعت يا بلال ؟)] لم يقل: هاتوا العصا أؤدبه [قال: يا رسول الله! أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك] كيف تعلم بلال هذا؟ كم دكتوراه عنده؟ إنها أنوار الإيمان والنفس البشرية إذا طابت وطهرت [قال: (صدقت)] ولو كنت أنا أو أنت لقلنا: يا ملعون! كيف حصل هذا؟! إن أحدنا لو تعاكسه امرأته -فقط- يسبها ويسب أباها ويقول: يا ملعونة! هيا نكتسب هذه الأخلاق من الليلة إن شاء الله! ولم لا نكتسبها؟! [ثم اقتاد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعيره غير كثير] مسافة بسيطة [ثم أناخ] كان يقود بعيره وينيخه فأين رجاله إذاً؟ أين أصحابه؟ كان يحمل المتاع من السوق إلى بيته فيقول الرجل: أعطني، فيقول: (صاحب الشيء أحق بحمله)، يعني: لا تحمل أنت.

قال: [فتوضأ وتوضأ الناس، ثم أمر بلالاً فأذن وصلوا سنة الفجر] وإن طلعت الشمس، فالأذان مستحب في الصحارى وفي البراري وفي السفر في وقته، وكذلك إن خرج الوقت؛ لأنه ذكر لله.

إذاً: أذّن بلال ثم صلوا سنة الفجر، وسنة الفجر ركعتان قبل صلاة الصبح تسميان سنة الفجر أو رغيبة الفجر، وسميت رغيبة بمعنى: مرغوبة، أي: مرغوب فيها؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: (ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها)، فرغب الناس فيها، فهي رغيبة بمعنى: مرغوبة، على وزن فعيلة بمعنى مفعولة.

وهذه الرغيبة نشاهد بعض إخواننا من العوام إذا دخل المسجد والصلاة قائمة يصليها على جهة، ثم يدخل مع الجماعة، وهذا العمل لا يصح ولا يجوز -اعلموا هذا واعملوا حتى لا نبقى هابطين- لقوله صلى الله عليه وسلم: (إذا قامت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة)، وهذا بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم، ودقيقة في الفريضة تعدل سبعين دقيقة في النافلة، فإذا دخلت المسجد ولم تقم الصلاة فصلِّ، فإن قرأت الفاتحة والسورة وقبل أن تركع أقيمت الصلاة سلّم واخرج منها وادخل في الفريضة، وإن كنت قد ركعت ثم أقيمت الصلاة فسلّم وادخل في الفريضة كذلك، أما إن كنت رفعت من الركوع فإن الركعة قد انعقدت، وهنا لا ينبغي أن تخرج منها حتى تتمها، فتأتي بالركعة الثانية وتسلم، والله عز وجل يقول: وَلا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ [محمد:33]، فإذا انعقدت الصلاة بالرفع من الركوع أكملها خفيفة ثم ادخل في الفريضة.

قال: [ثم أقام بلال الصلاة فصلوا صلاة الصبح، ثم أقبل صلى الله عليه وسلم على الناس] بوجهه، ووجه الرسول أكثر نوراً من القمر [فقال (إذا نسيتم الصلاة فصلوها إذا ذكرتموها)] بدون تراخٍ [(فإن الله تبارك وتعالى يقول: وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي [طه:14])] أي: أقم الصلاة يا رسولنا لذكري، من أجل أن تذكرني لذكرك إياي، والقرآن حمّال أوجه، وهذه بعض آية من سورة طه، فإذا نسيت يا عبد الله! الصلاة ثم ذكرتها -ولو بعد عام- صلها على الفور ولا إثم عليك، أما أن تذكرها بعد النسيان ثم تقول: سأصلي، فلا يصح.

ونلاحظ هنا أن الرسول صلى الله عليه وسلم يستشهد بالقرآن، ونحن لم لا نستشهد به؟ لأننا لا نحفظه، أو ندعي أن تفسيره حرام، قالوا في تفسير القرآن: صوابه خطأ وخطؤه كفر، هكذا كان الفقهاء يقررون على هوامش الكتب: أن تفسير القرآن صوابه خطأ وخطؤه كفر، وعليه لم يبق من يقول: قال الله! ومن هذا الذي يرضى بالكفر بعد الإيمان؟! فكممونا وألجمونا، وتركونا كالبهائم.

سبع سرايا تبعث إلى أنحاء مختلفة

قال: [وثالث أحداثها] من أحداث السنة السابعة.

[سبع سرايا تبعث إلى أنحاء مختلفة إنه بعد أن عاد صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ظافراً منتصراً في أواخر ربيع الثاني، أخذ يبعث بالسرايا سرية بعد أخرى؛ لإبلاغ دعوة الله، وتفتيت قوى الشر، والضرب على أيدي الظالمين، فكانت أول سرية بعثها]

سرية أبي بكر الصديق

قال: [سرية أبي بكر الصديق فقد بعث صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق ومعه سلمة بن الأكوع إلى نجد حيث بنو فزارة، فغزوا وأسروا من العدو ما شاء الله تعالى، ووقع في الأسر جارية حسناء] أي: جميلة [كانت في سهم سلمة بن الأكوع فاستوهبها منه رسول الله صلى الله عليه وسلم] قال هبنيها يا سلمة ! [وفادى بها أسرى من المسلمين كانوا بمكة موثقين] مكبلين بالأغلال.

عرف أن قريشاً تقبل الفداء، وخاصة بامرأة حسناء، فطلب من صاحبه أن يعطيه إياها لله -وإلا هي من نصيبه- ليبعث بها إلى رجالات قريش يفدي بها بعض المؤمنين الأسرى هناك، وهذه سياسة الرشد لرسول الله صلى الله عليه وسلم! ولو كنا نحن ما أعطينا هذه الجارية.

سرية عمر بن الخطاب

قال: [وثاني سرية: سرية عمر بن الخطاب] رضي الله عنه.

[إذ بعث به صلى الله عليه وسلم في ثلاثين رجلاً إلى تربة من أرض هوازن، وكان دليله من بني هلال، فكانوا يسيرون الليل ويكمنون النهار، فبلغ الخبر هوازن فهربوا، ووصلت السرية إلى ديارهم فلم يلقوا منهم أحداً، فانصرفوا راجعين إلى المدينة ولم يلقوا كيداً] والحمد لله.

سرية بشير بن سعد الأنصاري

قال: [وثالث سرية: سرية بشير بن سعد الأنصاري] الأولان مهاجران، وهذا أنصاري.
قال: [إذ بعث به صلى الله عليه وسلم في ثلاثين رجلاً إلى بني مرة بمنطقة فدك، فاستاقوا نعمهم؛ فقاتلوهم، فقتلوا عامة أفراد السرية، وصبر بشير يقاتل وحده قتال الأبطال، حتى جنَّ الظلام، فلجأ إلى فدك وحده، فبات عند يهودي من أهلها، ثم كر عائداً إلى المدينة، وما شاء الله كان ولا قوة إلا بالله] مات تسعة وعشرون صحابياً في هذه السرية وما نجا إلا هذا الأنصاري: بشير بن سعد .

سرية غالب الكلبي

قال: [ورابع سرية: سرية غالب الكلبي وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية غالب بن عبد الله الكلبي إلى الحرقات من جهينة، فصبحوهم فهزموهم] يعني: بادروهم مع أول النهار [وكان في السرية أسامة بن زيد بن حارثة] حب رسول الله، وابن حب رسول الله [ففر رجل من القوم، فلحقه أسامة هو ورجل من الأنصار فأدركه أسامة فقال الرجل: لا إله إلا الله، فكف الأنصاري عنه، وطعنه أسامة بحربته فقتله] لما أدركوه قال: لا إله إلا الله، فالأنصاري تخلى عن ضربه، وأما أسامة طعنه برمحه فقتله.
[فلما قدموا إلى المدينة أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم] أو أخبر أسامة النبي صلى الله عليه وسلم بذلك [فقال له: (يا أسامة أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله؟)] والآن إخوانكم المسلمون يقتل بعضهم بعضاً، ويُقتل أحدهم وهو يصلي في المحراب، ليس فقط يقول: لا إله إلا الله! كيف نقتل رجلاً يصلي في المسجد؟! أصبحنا كالمجوسي أبو لؤلؤة الذي قتل عمر وهو يصلي في محرابه؟! لا يحل إراقة دم مسلم أبداً إلا بإحدى ثلاث: (الثيب الزاني وقاتل النفس والتارك لدينه المفارق للجماعة) فقط.
نصطنع جهاداً بكذبنا وباطلنا، ثم نقتل المؤمنين ونذبحهم؟! أين يُذهب بعقولنا؟! [فقال: أسامة إنما كان متعوذاً] يعني قالها فقط ليهرب من الموت [(فما زال الرسول صلى الله عليه وسلم يكررها حتى قال أسامة : تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم)] أي: وجد هذه أثقل عليه من الكفر والشرك [وهذه الحادثة ينظر إليها من خلال قول الله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ [النساء:94] فإنها تدل على نوع الحادث].
معاشر المؤمنين والمؤمنات قضينا ساعة مع الحبيب صلى الله عليه وسلم، ولعلكم تذكرون ما تلقيناه من آداب وتطبقونه إن شاء الله.
اللهم ثبتنا يا ألله، وقو إيماننا وشد من أزرنا حتى نعبدك وحدك، ونستقيم على منهجك، ونلقى رسول الله وأصحابه في دار السلام.
وصل اللهم على نبينا محمد وآله وصحبه .

بلغ النبي صلى الله عليه وسلم أن جمعاً من المشركين تجمعوا في بقعة من غطفان فأرسل إليهم سرية بقيادة بشير بن سعد الأنصاري فكان النصر حليفه، وفي غطفان -أيضاً- حاول يهودي جمع عدد من المشركين لغزو النبي صلى الله عليه وسلم فأرسل رسول الله سرية بقيادة عبد الله بن رواحة فقضى على الفتنة، ثم تلتها سرية عبد الله بن حذافة السهمي والتي كانت لمهمة قتالية وحدثت فيها حوادث مهمة.

سرية بشير بن سعد الأنصاري

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.
أما بعد: ها نحن مع أحداث السنة السابعة من هجرة الحبيب صلى الله عليه وسلم، ومع سبع سرايا درسنا منها أربع وبقي ثلاث، والسرايا: جمع سرية وهي جماعة من المؤمنين يبعث بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لمهمة جهادية، ويكثر عدد السرية ويقل، وخامس السرايا كانت [سرية بشير بن سعد الأنصاري] وهذا بشير هو أبو النعمان بن بشير ، وأنصاري أي: من سكان المدينة، والمدينة التي كانت تعرف في الجاهلية بيثرب كما جاء ذلك في سورة الأحزاب: يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا [الأحزاب:13]، ما إن حلها النبي صلى الله عليه وسلم حتى أصبحت تعرف بالمدينة النبوية، والعوام يقولون: المدينة المنورة، وقد غلب أمرهم على أمر العلماء؛ لقلة العلماء وكثرة الجهال، وإلا هي من قرون تسمى: المدينة النبوية؛ إذ حل بها النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم، وبنى مسجده وإلى جنبه حجراته الطاهرات التي عاش بها مجاهداً عشر سنين، وقد عايشنا السنين الست، وها نحن مع السنة السابعة.
قال: [وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بشير بن سعد الأنصاري في ثلاثمائة رجل إلى اليُمن من أرض غطفان] اليُمن: موضع أو مكان من أرض غطفان شمال شرق المدينة.
لم بعث بهذه السرية وعلى رأسها بشير بن سعد الأنصاري وعدد أفرادها ثلاثمائة؟ لابد من حكمة اقتضتها، والقائد صلى الله عليه وسلم حكيم -وكثيراً ما نقول ليس هو بحكيم فقط- بل أستاذ الحكمة ومعلمها، أما قال تعالى: وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ [البقرة:129]؟! قال: [من أجل جمع من المشركين تجمعوا] لم تجمعوا؟ [للإغارة على المدينة النبوية] بلغه صلى الله عليه وسلم سواء بالإخبار الإلهي والوحي الرباني، أو بواسطة عيونه ورجاله أن جمعاً بمكان يقال له اليُمن من أرض غطفان قد تجمعوا للإغارة على المدينة؛ ليسلبوا ما وجدوا فيها من إبل وغنم وأموال.
وقد كان هذا [بإغراء وإمداد عيينة بن حصن الطاغية الظالم] عيينة بن حصن هو الذي أغرى هذه القبيلة وقال: تجمعوا واضربوا مدينة النبي، وخذوا ما فيها [فساروا إليهم يمشون الليل ويكمنون النهار] يمشون الليل وفي النهار يكمنون؛ حتى لا يُروا من مكان ما، وهذا هو التدبير الحكيم [وبلغ ذلك الجمع مسير بشير بن سعد الأنصاري فهربوا، فأصاب بشير وأصحابه نعماً كثيرة] النَعم ليس جمع نعمة، فالنعم والأنعام: الإبل والبقر والغنم، وهي أموال هذه الديار [وأسروا منهم رجلين] ألقوا القبض عليهما وأخذوهما، وهنيئاً لهما [قدموا بهما على النبي صلى الله عليه وسلم فأسلما وحسن إسلامهما] هذا تدبير الله، وفضل الله وعطاؤه! والأنصار كانوا يسكنون المدينة -وهما قبيلتان: الأوس والخزرج، وأصلهما من اليمن- نزحوا إليها بعد انهيار سد مأرب؛ لأنه لما كفر النعمة أصحاب اليمن أغرقها الله بسد مأرب، فمنهم من التحق بالشام، ومنهم من التحق بالمدينة، وهما هاتان القبيلتان، وحديث سبأ مبين مفصل في سورة سبأ، قال تعالى: فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَي أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ * ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا [سبأ:16-17].
فلما أقبل الحبيب صلى الله عليه وسلم إلى ديارهم وتهيئوا للإسلام؛ قامت الحروب -حروب الجهاد- فنصروه فسماهم الله الأنصار، واقرءوا قوله تعالى: وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ [التوبة:100].

سرية عبد الله بن رواحة

قال: [وسادس السرايا: سرية عبد الله بن رواحة] رضي الله عنه وأرضاه، و عبد الله بن رواحة لما خرج مع الجيش الإسلامي إلى مؤتة استقبل المدينة وبكى، وكان ما توقعه، فقد استشهد في مؤتة رضي الله عنه، وهذه السرية يقودها الآن عبد الله بن رواحة رضي الله عنه وأرضاه.
قال: [وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسير بن رزام اليهودي] والرزام عند المغاربة معروف [يجمع غطفان ليغزوه بهم] بلغ النبي صلى الله عليه وسلم أن يسير بن رزام اليهودي يجمع غطفان ليغزوه بهم، فكيف وصل هذا النبأ إليه؟ إما أن يكون بالإعلام الإلهي أو بواسطة الناس القادمين من هنا وهناك.
قال: [فبعث عبد الله بن رواحة في ثلاثين راكباً] سياسة عسكرية! بعث بثلاثين راكباً على رأسهم عبد الله بن رواحة [من بينهم عبد الله بن أنيس] وهو مبرز في القتال والجهاد والسياسة العسكرية [فأتوه بخيبر] وخيبر الآن مفتوحة تابعة للإسلام، وهذا اليهودي كان بها؛ لأن اليهود أذن لهم الرسول صلى الله عليه وسلم بالبقاء على أن يشتغلوا بالفلاحة على أن يكون نصف غلّتها للرسول وأصحابه، ونصفها الآخر لهم.
[فقالوا له]: أي: المجموعة أو السرية [إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسلنا إليك ليستعملك على خيبر] خدعة، والحرب خدعة.

قالوا له: بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إليك؛ لنأتي بك إلى المدينة؛ ليوليك خيبر، ويجعلك الحاكم العام فيها [حتى تبعهم في ثلاثين رجلاً مع كل رجل رديف من المسلمين] خاف فأخذ معه ثلاثين رجلاً، فكان كل واحد منهم لديه رديف من المسلمين [فلما بلغوا قرقرة نيار] مكان يقال له: قرقرة نيار [وهي من خيبر على ستة أميال] عشرة كيلو متر تقريباً [ندم اليهودي] لأنه فهم، وعرف أنه كيف يستجيب لهم؟! قال: [فأهوى بيده إلى السيف ليضرب عبد الله بن أنيس ففطن له عبد الله فزجر بعيره ثم اقتحم عن بعيره يسوق القوم، حتى إذا استمكن من يسير اليهودي ضرب رجله فقطعها، فاقتحم يسير -وفي يده مخراش من شوحط- عصا صعبة [فضرب به وجه عبد الله بن أنيس فشجه، فانكفأ كل رجل من المسلمين على رديفه فقتله] فانكفأ أي: مال كل رجل من المسلمين على من معه على البعير فقتله [غير رجل واحد من اليهود أعجزهم هرباً ولم يصب من المسلمين أحد] إلا ما كان من عبد الله بن أنيس .
[فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم] والرسول يومئذ في المدينة [فبصق في شجة عبد الله فلم تقح ولم تؤذه حتى مات رضي الله عنه] بصق رسول الله بريقته الطاهرة الطيبة الشافية في مكان الشجة والجرح فبرئت ولم تؤذه حتى مات رضي الله عنه.

سرية عبد الله بن حذافة

قال: [وسابع السرايا: سرية عبد الله بن حذافة وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن حذافة على رأس سرية، وأمر أفراد السرية أن يسمعوا لـعبد الله وأن يطيعوا] أمرهم أن يطيعوا القيادة، وهذا أمر الله: أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ [النساء:59] حتى لا تكون الفوضى والاضطرابات والاختلافات.
[وسار بالسرية حتى إذا كان في بعض الطريق] حتى إذا وصل بعض الطريق [نزل منزلاً وطلب من أفراد السرية شيئاً فأغضبوه] بعدما خرج بالسرية، وانتهى إلى مكان ما، وطلب من أفراد السرية شيئاً أغضبوه فيه، يعني: ما وفوا أو ما أعطوه إياه! [وهنا قال لهم: اجمعوا لي حطباً فجمعوا، فقال لهم: أوقدوا ناراً] أي: أشعلوا النار في الحطب [فأوقدوا ثم قال لهم: ألم يأمركم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تسمعوا لي وتطيعوا؟ قالوا: بلى] أمرنا أن نسمع لك ونطيع [قال: فادخلوها] أي: ادخلوا هذه النار [فنظر بعضهم إلى بعض وقالوا: إنما فررنا إلى رسول الله من النار] يعني: لماذا هربنا إلى رسول الله من مكة ومن ديارنا أليس خوفاً من النار، فكيف إذاً نلقي بأنفسنا فيها؟!!
[وعندها سكن غضبه وطفئت النار.
فلما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم ذكروا له ذلك، فقال صلى الله عليه وسلم: (لو دخلوها ما خرجوا منها)] أي: لبقوا في النار إلى يوم القيامة وإلى الأبد، ثم علل فقال صلى الله عليه وسلم: [(إنما الطاعة في المعروف)] أي: إنما الطاعة تجب للإمام والقائد والمسئول فيما هو معروف من شريعة الله بالجواز أو الوجوب أو الندب، أما الطاعة في المنكر فلا تجب أبداً لأحد.
ونضرب مثلاً لذلك: لو أن شاباً تزوج فتاة جامعية أو موظفة فقالت له: احلق شعر لحيتك؛ حتى تطيب الحياة بيننا! فقال: يا زوجة هذه سنة، فقالت له: خير لك أن تحلق هذا، فهل يطيعها أو يطيع رسول الله؟! ماذا ترون؟ يطيع رسول الله لم؟ لأنها أمرته بمنكر كما أمر ابن حذافة السرية أن يدخلوا النار، والطاعة إنما هي في المعروف.
وإن قلنا: هذه زوجة لا تملك هذا، والزوج هو صاحب الأمر، فالرجل -مثلاً- إذا تزوج فتاة وتعودت على كشف وجهها وعنقها والتجوال في الأسواق، فلما ملك أمرها وأخذ بعصمتها قال: أي فلانة! لا تخرجي كاشفة عن وجهك، ولا يحل لك هذا أبداً؛ فأنت مسلمة وأنا مسلم، وأمرها، فهل تجب طاعته؟ نعم، يجب عليها أن تحتجب وتستتر! لكن إذا أمرها بالعكس، يعني: كانت هي من أسرة مؤمنة طاهرة نقية مستورة ثم تزوجت هذا الأستاذ أو الدكتور فاستحى أن يقول له إخوانه: ما هذه الحية، لماذا لا تكشف وجهها؟ فقال: اسمعي، من الآن يجب أن تكشفي وجهك وتخرجي في الشارع.
هنا تطيع أو لا تطيع؟! أمرها بمعروف أو بمنكر؟ بمنكر، إذاً: لا طاعة أبداً لأحد في غير المعروف، فلا تطيعه، وإن ألزمها تطالب بالطلاق، وتطلق.
وكذلك مع الجيش والقادة، فإذا صدر أمر من القائد العام إلى الفصيلة الفلانية أن يحلقوا وجوههم حتى ترهبهم عصابات الكفر، هذه القيادة لها الحق في الأمر أم لا؟ نعم، لكنها أمرت هنا بمنكر، فلا يجوز طاعتها أبداً، فنحن مسلمون لا نحلق وجوهنا، وعلى هذا فقيسوا.
وهنا سائل يقول: الرجل يقول لولده اشتر لي دخاناً من السوق، فهل يشتري له أو لا يشتري؟ أقول: يعرض على والده أن هذا العمل ليس بصالح، وأن التدخين حرام، وأنه ولي الله، فكيف يلوث فمه بالرائحة الكريهة ثم يذكر اسم الله، فإن أصر وقال: لابد وأن تأتيني به وغضب، نقول لهذا الولد: اشتر له.
لماذا؟ لأنه يوجد من العلماء من يدخن ويقول: هو جائز أو مكروه، فأصبح الذين يدخنون غير جازمين بحرمته، وأنه من معصية الله، فمن هنا يتصرف الحكيم بحسب ما يراه.

نتائج وعبر من سبع سرايا أرسلها النبي إلى مناطق مختلفة

قال: [نتائج وعبر: إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبراً نوجزها كالآتي] وهل استفدنا من هذه العبر؟! لا، لم؟ لأننا أموات.

الكبائر موجبة لدخول النار إلا أن يغفرها الله

[ثامناً: بيان أن المعصية لله والرسول إن كانت من كبائر الذنوب موجبة لدخول النار إلا أن يغفرها الله تعالى] دل على هذا سرية عبد الله بن حذافة إذ قال الرسول عن أصحابه: (لو دخلوها ما خرجوا منها)لم؟ لأنهم عصوا وقتلوا أنفسهم بالنار، إذاً يبقون في النار أبداً، فمن هنا نستنتج أن المعصية لله والرسول صلى الله عليه وسلم إن كانت من كبائر الذنوب فهي موجبة لدخول النار إلا أن يغفرها الله تعالى.

سابعاً: وجوب طاعة أولي الأمر في المعروف دون المنكر

[سابعاً: وجوب طاعة أولي الأمر في المعروف دون المنكر] وهذا مما استفدناه من هذه السرايا: وجوب طاعة أولي الأمر في المعروف دون المنكر.
وهل المواطنون العرب والمسلمون مطيعون لأولي الأمر -دعك من المجاهدين-؟ لا، تجد النصب والاحتيالات، ولا يطيع المرء إلا فيما يحقق له ريالاً أو فائدة إلا من رحم الله عز وجل.
إذاً: نريد أن نكون المؤمنين فنطيع أميرنا بأمر الله تعالى، ومن ثم لا غش ولا خداع ولا رشوة ولا حسد ولا ولا.
وتزدهر البلاد، وتطهر النفوس، ولعل هناك من يقول: كيف نصل إلى هذا المستوى ونحن ما علمنا ولا ربينا في حجور الصالحين؟ ونحن نأسف عندما نكلف المؤمنين بما هم ليسوا بأهل له، فالذي لم يتربَّ في حجور الصالحين كيف يكون ذا آداب وذا أخلاق؟ وكيف يسمو وكيف يرتفع؟!

سادساً: بيان بركة ريقة النبي صلى الله عليه وسلم

[سادساً: بيان بركة ريقة النبي صلى الله عليه وسلم] والبركة هي: الخير الدائم الذي لا يبرح ولا يزول، كما يبرك البعير [إذ شفى الله بها شجة عبد الله بن أنيس] كما مر بنا.
وتذكرون أيام الحديبية عندما جاء أحد سفراء قريش -بعد تكرر السفارة بين الرسول والمشركين عدة أيام- فشاهد الصحابة واقفين على رأس رسول الله، لا يبصق بصقة حتى يتلقفوها بأيديهم مساحين بها أجسادهم، فلما رجع قال: انتبهوا لن تغلبوهم، فهؤلاء يتبادرون بصاق قائدهم ويتمسحون به! بل بوله صلى الله عليه وسلم شفى الله به أم أيمن مولاة رسول الله، و أم أيمن تركة ورثها النبي من أبيه؛ لأن عبد الله عندما مات ترك خمسة جمال وجارية هي أم أيمن ، ثم أسلمت وجاءت إلى المدينة مع مولاها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي ليلة من ليالي الشتاء الباردة، وكان الحبيب صلى الله عليه وسلم في الشتاء يضع قدحاً تحت سريره يتبول فيه؛ لأنه لا يستطيع أن يخرج خارج البيت، بل حتى النساء كن يتبلون ويتغوطن خارج المدينة، ولا يوجد مرحاض قط، فالمرأة لا تخرج إلا في الليل وراء البقيع لتقضي حاجتها ثم تعود.
فاستيقظت أم أيمن -رضي الله عنها- يوماً عطشى فالتمست ماء -والبيت ظلام ليس فيه كهرباء ولا مصباح- فوجدت قِدراً ثقيلاً بالماء فشربته كله ونامت -ولو كان غير بول الرسول لكان مالحاً! وأنا لم أذقه ولكن معروف بالفطرة أن البول مر أو مالح وسلوا الأطباء- فاستيقظ صلى الله عليه وسلم ليريق ذاك البول خارج الحجرة فما وجده، فسأل أم أيمن أين ما في الإناء؟ فقالت: شربته فقال: (صحة يا أم أيمن)، فوالله ما شكت بطنها حتى ماتت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم.
و(صحة) كلمة تركها أهل المشرق وانتقلت إلى المغرب، تجد في المغرب الإسلامي إذا شرب يقول: صحة، أو أكل يقول: صحة، و(هنيئاً) هذه عند أهل الجنة، وأنتم أخذتم هنيئاً وليست لنا، وإنما لأهل الجنة، ولكن قولوا: صحة.
والدعوة بالصحة أحسن! أي: صحح الله جسمك بهذا الطعام أو الشراب.

خامساً: لا يحل قتل من شهد أن لا إله إلا الله محمداً رسول الله ولو اتهم بالتقية

[خامساً: لا يحل قتل من شهد أن لا إله إلا الله محمداً رسول الله ولو اتهم بالتقية تخلصاً من القتل] وتذكرون تلك السرية التي كان فيها أسامة بن زيد عندما وجدوا مجموعة من المشركين وهرب رجل منهم فلما وصل إليه الغزاة المحمديون قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فقال أسامة : هذا قالها تقية ليحفظ ماله ونفسه وقتله، فلما عادوا إلى المدينة وجاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبخ أسامة على فعله، فكاد يذوب وقال: تمنيت أني ما أسلمت قبل اليوم، ونزل في ذلك قرآن، ولكن يقرأه الناس على الموتى، قال تعالى من سورة النساء: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنتُمْ مِنْ قَبْلُ [النساء:94].
والآن نسمع في بلاد العرب والإسلام عن القتل وسفك الدماء وتفجيرات السيارات وذبح النساء والأطفال .
أي إسلام هذا؟! هل نحن مسلمون؟! ويقتلون باسم الجهاد!! فنقول: تعلموا أولاً الجهاد ما هو؟ إنهم جهلة لا يفرقون بين الكوع والبوع ويقولون: نجاهد! تجاهدون من؟ ولمن؟ وبمن؟ أجب عن الأسئلة الثلاثة؟ لقد قررنا الجهاد -في هذا المسجد النبوي- عشرات المرات، ولكن مع الأسف ليس هناك من يبلّغ الكلام أبداً، ومن أربعين سنة ما بلغنا أن شيئاً وقع من البلاغ، لا كُتّاب في صحف، ولا متكلمون أبداً، لم؟ لأننا ما زلنا هابطين! أولاً: يجب أن يكون هناك إمام رباني مسلم عارف تلتف حوله الأمة بكاملها، أما أن تكون عصابات وجماعة تظهر هنا وجماعة هناك باسم الجهاد فلا، بل يجب أن يكون هناك إمام تبايعه الأمة التي تريد الجهاد من أهل الحل والعقد وغيرهم، ثم يقودهم فترة من الزمن على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والطهر والصفاء حتى يصبحوا أهلاً لتحمل التبعة والمسئولية والجهاد.

وحينئذ يجاهد من؟ يرسي سفنه على بلد كافر في ميناء من موانيه، ويراسل أهل تلك البلاد الكافرة بأن يدخلوا في رحمة الله أو يسمحوا للمجاهدين أن ينشروا الفضيلة ويمحوا آثار الرذيلة في تلك الأمة الهابطة بالكفر، فإن أبوا فالقتال من أجل نشر دعوة الله.
هذا هو الجهاد، ووالله لا جهاد غيره، وإذا لم نستطع أن نجتمع على رأي واحد فكيف نجاهد؟! إن الجهاد الذي أهله شهداء، والذي لا أجر أعظم من أجره هو أن تبايع الأمة رجلاً أهلاً للبيعة أصله شريف وعرضه كامل، وعلمه وافي، طاهر وإلا لا تتفق عليه الأمة، فإذا بايعوه وحكّموه يأخذ في تربيتهم على منهج رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى لا يصبح بينهم فسق، ولا فجور، ولا شرك، ولا كفر، ولا باطل، ولا ظلم، ولا خبث، فيطهرون ويصبحون أولياء لله كلمتهم واحدة، ودعوتهم واحدة، وحينئذ نجاهد إذا كانت الفرصة متاحة للجهاد.
أما أن تخرج جماعة من داخل الإقليم وتعلن عن الجهاد، ويأخذون في قتل فلان وفلان، ويبدءون بالبوليس والحرس فيقتلونهم، وفي النهاية الخراب والدمار وقتل كل من يقول: لا إله إلا الله، بل بلغني اليوم أن هناك مسجداً دمّر، كيف هذا؟! أهؤلاء مسلمون؟! لا يحل قتل من شهد أن لا إله إلا الله محمد رسول الله، ولو اتهم بالتقية، فباطنه إلى الله، وإذا قال أنا مسلم كفى.

رابعاً: مشروعية مفاداة الأسرى

[رابعاً: مشروعية مفاداة الأسرى] وإلى اليوم إمام المسلمين له أن يفادي أسراه بآخرين، إلا أن اليهود لما غلبونا وقهرونا وأذلونا؛ لأننا فسقنا عن أمر ربنا وخرجنا عن طاعته، ولهذا كانوا يفادون يهودياً واحداً بعشرين عربياً إلى خمسين؛ لأنهم عزوا وهنا وذللنا، ما سبب عزهم وذلنا؟ فسقنا عن أمر ربنا وخروجنا عن طاعة مولانا، أعرضنا عن ذكره وكتابه وشرعه، ورضينا بالتكتلات والدويلات، وسقنا أمتنا إلى الهاوية، فأراد الله أن يرينا آية من آياته؛ علّنا نرجع إلى الطريق، فجاء بحفنة من اليهود -أذلّ الخلق- وسلطهم علينا، فاحتلوا ديارنا، وأقاموا دولتهم، وكلما دخلنا في حرب معهم هزمونا، ورجعنا خائبين.
فِعل من هذا؟ فعل العلي الحكيم، والذي نفسي بيده لو انتصر العرب على اليهود في الأعوام والأيام الأولى لأصبح المسلم أذل من كلب عندهم، فلو أنهم انتصروا بصيحة العروبة الخارجة عن كلمة: لا إله إلا الله؛ لارتفعت مطالبهم، وعلت نفوسهم، ولكن لتبقى هذه البقية، وتقوم بها الحجة لله على الناس يوم القيامة، وأنه لم يُنصر العرب، ومن يدير الملكوت سوى الله عز وجل، هل يرتفع شيء أو ينخفض بدون تدبير الله وقضائه وحكمه؟ مستحيل!
أولاً: قوة وصحة العزم المحمدي، وعظم صبره على الجهاد

[أولاً: بيان قوة وصحة العزم المحمدي، وعظم صبره على الجهاد إبلاغاً لدعوة ربه عز وجل] هذا تجلى في أول سرية في غزوة خيبر.

ثانياً: تجلي الحكمة المحمدية

[ثانياً: مظاهر الحكمة المحمدية حيث تجلّت في مواطن كثيرة] الأستاذ النبي الكريم صلى الله عليه وسلم ما هو بمجرد حكيم، بل هو أستاذ الحكمة ومعلمها، فلا ننسى هذا، ومظاهر الحكمة تتجلى في سلوكه كله صلى الله عليه وسلم.

ثالثاً: فرار العدو لا ينقص من قيمة السرية ولا من أجرها

[ثالثاً: لا ينقص من قيمة السرية ولا من أجرها إذا فر العدو ولم يتمكنوا منه، أو يحصلوا منه على طائل] إذا وصلت سرية ولم تجد العدو أو أنه هرب وما نالهم شيء، ولا غنموا شيئاً، هل يبطل أجرهم؟ الجواب: لا، بل هنأهم الرسول بذلك.

الجهاد .. وسائله وطرقه في الوقت الحاضر

والآن دعونا نبكِ مع هذه الأمة والملائكة تسجل ما نقول: لماذا لا ننقل العلوم والمعارف من مسجد النبي صلى الله عليه وسلم إلى إخواننا وبيوتنا؟ كل شيء يموت هنا؟ عيب كبير! لم لا نتحمل مسئولية الدعوة إلى الله عز وجل ونبلغ؟ هذه الأولى.
والثانية: نحن في جهاد، فهيا إلى الجهاد، ولكن كيف نجاهد؟ أولاً: قولوا لحكام المسلمين أن يجتمعوا في هذه الروضة في خمس وعشرين من رمضان -والآن الطائرات تنقل المسافر من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب في يوم واحد- ويبايعون إماماً لهم، فيقولون: أنت خليفة رسول الله، وكل الحكام في المناطق ولاة أمر، ثم يقومون بإعلان يبينون فيه أن البلاد كلها أصبحت واحدة، والدستور موجود -القرآن الكريم- يوزع على الأقاليم، ويبدءون في تطبيق القانون الرباني.
فما هي إلا فترة من الزمن وإذا بهذه الأمة أمة واحدة، إذا قالت: الله أكبر! ارتج الكون تحت رجليها، فألف مليون يستطيعون تغيير النظام العالمي بأسره، وحينئذٍ إذا قلنا لأوروبا الشرقية أو الغربية أو للصين أو اليابان ادخلوا في رحمة الله، وأنقذوا أنفسكم من النار، واتركوا أنوار السماء تحتل دياركم لفترة وتصفوا سوف يستجيبون إن شاء الله.
ومن ثم يتحقق مبدأ أعلنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو: لابد وأن يدخل هذا الإسلام كل دار في العالم بعز عزيز أو بذل ذليل، وهذا هو الجهاد، فأين نحن منه؟ ومن يجمع تلك القلوب وهي متناثرة، متباغضة، متعادية على الدنيا، متكالبة، ما عرفت ربها، ولا حنت ولا اشتاقت إلى لقائه؟! هذا مستحيل.

إذاً: لدينا طريقة أخرى وهي: يجب أن يجتمع علماء أمة الإسلام عرباً وعجماً من كل دولة أو إقليم عالم أو عالمان، ويكونون هيئة عليا للدعوة الإسلامية كالرابطة المعروفة.
هذه الهيئة العليا مهمتها أن تُذكر أننا لسنا بحاجة إلى أن نغزو أي بلد كافر الآن، لم؟ لأن البلاد كلها مفتوحة من موسكو إلى طوكيو، وادخل كبر وصلِّ في أي مكان، لا يمنعك أحد.
إذاً: لسنا في حاجة إلى الجهاد بالسيف أبداً، ووالله ما نحن في حاجة إليه ولا يجوز، ففرنسا فيها أكثر من ثلاثة آلاف مسجد، وبريطانيا كذلك، وفي أمريكا الثكنات العسكرية، كل ثكنة فيها مسلم يعلِّم، نغزو من إذاً؟! أي: أراحنا الله من جهاد الرمح والسيف بتدبيره هو، ليس نحن من دبرناه، ولكنه تدبير الله.
هذه اللجنة تجتمع في مكة أو في مدينة الحبيب صلى الله عليه وسلم ثم ترسل رجالاتها يتجولون في العالم بكامله ويأتونها بخريطة لكل اللجان والجماعات والمراكز الإسلامية في العالم، ومن ثم تقدر اللجنة ماذا يحتاج أولئك من مال لنشر هذه الدعوة الإسلامية في سرّية كاملة، وعدم تبجح، ولا صياح؛ لأننا نجد في فرنسا كذا ألف مسجد، وفي بريطانيا كذلك وفي ألمانيا، فلابد من أئمة ودعاة ومبشرين وعلماء.
إذاً: نحتاج إلى مليار دولار كل سنة -مثلاً-، ونجمعها بالطريقة الآتية: يقولون: كم في أمة الإسلام من أناس؟ ألف مليون، إذاً: يفرضون على كل رجل ذكر مبلغاً يدفعه أداء لفريضة الجهاد -حتى إن استدانه فهذا شأنه- فتوضع ميزانية لا نظير لها، وتتولى اللجنة بعث الإمام والمربي والمدير من خيرة رجالاتها وأبنائها إلى المكان المطلوب، وتبعث معه بالكتاب الذي يُدرس، فتوحد الجماعات الإسلامية، وتصبح جماعة واحدة، فلا حزبية وطنية، ولا فرقة، ولا اختلاف، ولا مذهبية، ولا شافعي ولا حنفي ولا كذا.
ولكن مسلمون فقط.
وتمشي على بركة الله في صمت، ووالله لهذا هو الجهاد الآن، ويصبح الناس فرحين بأن يعطوا ثيابهم إن احتاجت هذه اللجنة إلى مال، ووالله ما هي إلا سنيات ونسمع أن الدولة الفلانية تحولت إلى بلد إسلامي فرئيسها ووزراؤها أسلموا لما يشاهدون من النور والرحمة والطهر، هذا هو الجهاد يا من يطلبون الجهاد! نكتفي بهذا القدر وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

من أهم أحداث السنة السابعة عمرة القضاء، حيث كانت قضاءً لعمرة أرادها النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في السنة السادسة ولم تتم، فعادوا جميعاً إلى المدينة بعد أن تحللوا بذبح ما عندهم، وحلقوا وقصروا، وفي عمرة القضاء ظن المشركون أن المسلمين في شدة، فأرادوا النيل منهم، فأمر الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه بالاضطباع والرمل؛ ليظهروا للمشركين شدتهم وقوتهم، وبعد التحلل من العمرة بنى النبي صلى الله عليه وسلم بميمونة بنت الحارث، وكانت آخر أمهات المؤمنين.

عمرة القضاء

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.
أما بعد: ها نحن في أحداث السنة السابعة من هجرة الحبيب صلى الله عليه وسلم، قال المؤلف رحمه الله وإياكم: [ورابع أحداثها] أي: أحداث هذه السنة السابعة [عمرة القضاء] أي: العمرة التي قضاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، حيث خرجوا في السنة السادسة يريدون العمرة، وكانوا ألفاً وأربعمائة رجل، فعلمت قريش بخروجهم فتسلحت وجمعت رجالها، وخرجت تستقبل رسول الله والمؤمنين؛ لقتلهم وردهم عن الاعتمار، ودبّر الله العليم الحكيم أمراً فتم صلح يسمى بصلح الحديبية، والحديبية: مكان يبعد عن مكة قرابة عشرين كيلو متر.
ومن بنود هذا الصلح أن يعود الرسول ورجاله ذلك العام فلا يعتمرون، ويأتون للعمرة في العام القادم، على أن تخلو لهم مكة ثلاثة أيام يعتمرون ثم يعودون إلى المدينة.
إذاً: مضت السنة، وجاءت السنة التي تليها، ولهذا سميت: عمرة القضاء.
قال: [إنه بموجب صلح الحديبية الذي تم في السنة الفارطة] الماضية [خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه أصحابه رضوان الله عليهم بعد أن استعمل والياً على المدينة عويف بن الأضبط الدؤلي] من بني دؤل، استعمله على المدينة والياً عاماً يحكم البلاد حتى يعود صلى الله عليه وسلم [وكان عدد المسلمين ألفين ما عدا النساء والصبيان] الرجال كان عددهم ألفين كلهم يريد العمرة [ومن بين أفراد هذا العدد من صُد عن العمرة في السنة الماضية] من بين الألفين رجال كثيرون ممن أحرموا في السنة الماضية وتحللوا بعد أن نحروا وذبحوا؛ لمنع قريش الكافرة دخولهم إلى مكة.
قال: [وذلك في شهر ذي القعدة من سنة سبع] وذو القعدة من الأشهر الحرم، وهو ما بين شوال والحجة، والأشهر الحرم أربعة أشهر؛ ثلاثة مجتمعة وواحد فرد: القعدة والحجة والمحرم، ثلاثة أشهر مجتمعة، ورجب وهو ما بين شعبان وجمادى فرد، وقد ذكر تعالى هذه الأشهر في كتابه فقال: إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ [التوبة:36].
وهل للشهر الحرام ميزة؟ إي نعم، فالعمل الصالح فيه أكثر أجراً ومثوبة من غيره، وإذا لم يقاتلنا العدو لم نقاتله فيه، تعظيماً لما عظم الله.
قال: [بناء على بنود الاتفاقية القاضية بأن يرجع صلى الله عليه وسلم وأصحابه من الحديبية فلا يدخلون مكة ولا يعتمرون على أن يعودوا في السنة القابلة فتخلى لهم مكة ثلاثة أيام يعتمرون ثم يعودون لا يمسهم سوء، وتسمى هذه العمرة عمرة القضاء أو القضية أو عمرة الصلح أيضاً] قل فيها: عمرة الصلح، أو عمرة القضية التي تمت، أو عمرة القضاء.
[ولما قارب الرسول صلى الله عليه وسلم دخول مكة] وكانوا ألفي رجل -كما علمتم- زيادة على النساء والصبيان [أخلت قريش له مكة] فدخل الرجال والنساء والأطفال، وبعضهم نزل برءوس الجبال، وحسب الاتفاقية في السنة الماضية أن تخلى له مكة حتى لا يصطدم رجاله بأحد من رجال مكة [فلزموا بيوتهم وأنديتهم] لا أسواق ولا غيرها [ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم راكباً على ناقته وخطامها بيد عبد الله بن رواحة] زمام الناقة أو خطامها بيد عبد الله بن رواحة رضي الله تعالى عنه وأرضاه [وهو ينشد ويقول] ماذا يقول؟ [خلوا بني الكفار عن سبيله خلوا فكل الخير في رسوله يا رب إني مؤمن بقيله أعرف حق الله في قبوله] نشيد لذيذ! كان يقود الناقة وينشد هذه الأناشيد العذبة، و عبد الله بن رواحة هو شهيد مؤتة رضي الله عنه.
قال: [وتحدث المشركون فيما بينهم وقالوا:] وهم في أنديتهم ومنازلهم [إن محمداً وأصحابه في عسرة جهد وشدة، وزين لهم الشيطان ذلك في نفوسهم حتى هموا بالانقضاض عليهم] وهم في أنديتهم وسوس لهم الشيطان وأملى عليهم أن محمداً ورجاله في عسر وشدة وضيق، وبالإمكان أن ينقضوا عليه وتنتهي المشكلة نهائياً، وإلى الآن يوسوس أيضاً لأوليائه؛ ليحركهم على أعدائه، وما مات أبو مرة ولن يموت حتى تطلع الشمس من مغربها.
قال: [وعلم ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم] بالوحي الإلهي، فهم يوسوس لهم الشيطان، والرسول يُعلمه المَلك [فلما دخل صلى الله عليه وسلم] المسجد الحرام [اضطبع واضطبع أصحابه] ويصلح أن يكون دخل مكة أو دخل المسجد الحرام، ونحن نضطبع عندما ندخل المسجد أو نقاربه، والذين يضطبعون من المدينة أو جدة ليس بسنة ولا أجر فيه، وإنما الاضطباع يكون عندما تريد أن تدخل المسجد الحرام.

والاضطباع: افتعال من اضطبع يضطبع اضطباعاً، إذا رفع الرداء فوضعه على ضبعه، والضبع غير الضبوع، فالضبوع حيوان من حيوانات البر، لكن الضبع: العضل ما بين العنق إلى الذراع، فيكشف عن ذراعه؛ ليقوى على الأخذ والبطش والدفع إذا كانت حرب، بخلاف إذا كان مقيداً بالإحرام فإنه يكون كأنه مكتف بكتاف، لا يستطيع فعل شيء.
قال: [وقال: لهم] هيا نحفظ هذه الكلمة المحمدية [(رحم الله امرأ أراهم اليوم من نفسه قوة)] هذه دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهنيئاً لمن فاز بها، ليرهب هذا العدو ويفزعه؛ حتى يكف عن التخمين والتفكير في الانقضاض والقتال [ثم استلموا الركن] والاستلام معروف، فإن أمكن أن تضع شفتيك فوق الحجر الأسود فافعل، وإن لم تتمكن للزحام ضع يدك عليه ثم ضعها على فمك، والحجر الأسود من الجنة، وهو يمين الله في الأرض، من استلمه ووضع يده عليه كأنما وضع يده على يد الرحمن عز وجل، فليف بالعهد، ولا يخلف، ولا ينقض، ولا ينكث.
قال: [وهرولوا في الطواف ثلاثة أشواط] والهرولة: مشية يمشيها العسكر في الصباح للتدريب، وهي بين الجري والمشي [فرأت قريش بأم عينيها مظاهر القوة، فذهب وسواسها من نفسها] وما كانوا يعرفون هذا، فذهب وسواسها وقالوا: لن تستطيعوا أن تنقضوا عليهم وتضربوهم، فهم أقوياء قادرون.
[وبقي الاضطباع والهرولة سنة] من سنن الحج والعمرة [ترمز إلى ما ينبغي أن يكون عليه المسلمون دائماً وأبداً وهو القوة؛ لإحقاق الحق وإبطال الباطل] بقي أن الاضطباع والهرولة ترمز إلى أن المسلمين يجب أن يكونوا في كل أزمنتهم وعصورهم وبلادهم أقوياء؛ ليرهبوا العدو الكافر المشرك، فخلدت هذه السنة، ولكن لم ينتفع بها المسلمون.

زواج الحبيب صلى الله عليه وسلم بميمونة بنت الحارث في سرف

قال: [زواج الحبيب صلى الله عليه وسلم] تذكرون أن من موانع الإحرام عقد النكاح والدخول على العروس، فالمحرم لا يعقد نكاحاً بل ولا يشهده، ولا يبني بامرأته وهو محرم، والآن زواج الحبيب صلى الله عليه وسلم، ماذا نعرف عن زواجه فداه أبي وأمي والعالم أجمع.
قال: [وأثناء إقامته صلى الله عليه وسلم بمكة] أقام ثلاثة أيام حسب الاتفاقية العسكرية [تزوج ميمونة بنت الحارث أخت أم الفضل التي تحت العباس رضي الله عنه] ميمونة -أمنا- هي إحدى زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم، وهي أخت أم الفضل امرأة العباس، وهي خالة عبد الله بن عباس .
ولعلكم تذكرون الليلة التي قال فيها عبد الله بن عباس -وهو غلام لم يناهز البلوغ-: لأرمقن الليلة صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت تلك ليلة خالته؛ لأن الحبيب صلى الله عليه وسلم كان يقسم ويعدل بين نسائه، فيبيت في كل ليلة عند امرأة منهن، قال: فجئت فتوسدت عرض الوسادة، يعني: الطول للرسول وزوجه، والعرض وضع عليه رأسه ونام وهو يرمق، قال: حتى إذا كان نصف الليل الآخر قام رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شن معلق، والشن من لم يعرفه يسأل عجائز أهل القرية ممن هم في الثمانين أو التسعين سنة، وأنتم الآن تفجرون المياه في الجدران كالجنة؛ لأننا نقرب من الجنة خطوة بخطوة -والله العظيم- ولا تشكّوا في هذا، فالجنة عيون تفجر تفجيراً، والآن يُفجر في الطابق السابع أو الثامن الماء من بين الجدران، فمظاهر الجنة تقرب شيئاً فشيئاً.
قال: فقمت فتوضأت أنا أيضاً، وقام الحبيب صلى الله عليه وسلم يصلي، وهذا هو التهجد أو قيام الليل، قال تعالى: يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا * نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا [المزمل:1-3] وليس هناك ساعة للضبط، ولكن بالثلث أو النصف أو أقل أَوْ زِدْ عَلَيْهِ [المزمل:4] أيضاً.
قال: فتوضأت وقمت على جنبه الأيسر أصلي في الظلام، فشعر بي -والبيت ليس فيه مصباح- فأخذ بيدي وجعلني عن يمينه، وهذه هي السُنة، فإذا صليت وهناك واحد فقط يصلي معك اجعله عن يمينك مساوياً لك وصلّ به، فإن كانوا اثنين فأكثر كانوا وراءك، فإن كانت امرأة -فقط- كأمك أو زوجتك جعلتها وراءك، وأنت أمامها.
ثم قال: وأخذ الرسول صلى الله عليه وسلم يقرأ ويصلي ويفتل أذني -يؤانسه في الظلام- قال: فصلى عشر ركعات ثم أوتر ثم نام، بقيت سنة خالدة إلى يوم القيامة، وهذا هو قيام الليل.
وهنا قد تقولون -كما يقول أهل الغفلة-: لم يصلون بنا في الحرمين ثلاثاً وعشرين ركعة؟ وإياك أن تقول هذه الكلمة، وقد قالها أبناؤكم وإخوانكم.
والجواب -احفظ وبلغ!-: يقول الحبيب صلى الله عليه وسلم في بيان رسمي: (صلاة الليل مثنى مثنى فإذا خشي أحدكم الصبح فليصلي ركعة توتر له ما قد صلى) هذا بيان عام، ومن الناس من يصلي مائة ركعة ليس ثلاثاً وعشرين فقط، وصلاة الليل مثنى مثنى، فإذا خاف أحدكم أن يطلع الفجر ماذا يصنع؟ يصلي ركعة توتر له ما قد صلى، فإن صلى مائة أصبحت مائة وواحدة.
ولو كان هناك عدد معين أيسكت عنه الرسول ويجحده؟ أعوذ بالله! وهو يعلم أن نساء المؤمنات يقمن الليل ورجال المؤمنين يقومونه، قال تعالى: إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ [المزمل:20] لم لا يبين لهم لو كان لابد من ثمان؟! وشيء آخر: هل كان يصلي النبي ثمان ركعات أو ثلاث عشرة ركعة في ساعة واحدة كما نصلي نحن؟ لقد كان يصلي صلى الله عليه وسلم نصف الليل أو ثلثي الليل، أو على الأقل ثلث الليل في ثماني ركعات، يقرأ في الركعة الواحدة كالبقرة أو آل عمران، وبعض الأحداث (الصغار) يظنون أنهم بلغوا القمة في العلم، فأنكروا ذلك، وأخذوا يخرجون من المسجد جماعات جماعات قائلين: هذه بدعة!!
والحبيب صلى الله عليه وسلم يقول: (صلاة الليل مثنى مثنى) أي: اثنتين اثنتين ثم سلّم وبعد المائة أو المائتين -أنت وما أطقت- إذا خفت أن يطلع الفجر صلّ ركعة توتر لك ما قد صليت، مهما كان عدد تلك الركعات، (فإن الله تعالى وتر يحب الوتر)، وقال تعالى: وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ * وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ [الفجر:1-3].

وإذا أكلت -كذلك- تمراً كل سبعاً أو تسعاً أو إحدى وعشرين، وفي شرب الماء أوتر فاشرب جرعة ثم أخرى ثم أخرى: ثلاث مرات، ومن استطاع أن يوتر في كل شيء فليوتر لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (إن الله وتر يحب الوتر).
ونعود إلى ميمونة بنت الحارث ، ميمونة رضي الله عنها لها أخت هي أم الفضل أم عبد الله بن عباس صلت المغرب -مرة- مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ في الركعة الأولى بسورة والمرسلات، قالت: فحفظتها.
يعني: صلى صلاة المغرب بالمؤمنين وهي معهم في حجرتها فسمعتها فحفظتها، وهل يستطيع مؤمن كائناً من كان أن يسمع هذه السورة من إمام يقرؤها ثم يحفظها؟ هذا لأنهم كانوا طالعين ونحن هابطين، ويدلك على هذا أن بعض أبنائنا يسمع أغنية من عاهرة في التلفاز أو الفيديو فيحفظها بنغمها وجرسها، ويعيدها، وكأنه فلان أو فلانة الذي غناها، وهذا يقابل ذاك أو لا؟ فلما هبطنا أصبحنا نحفظ الباطل والشر والفتنة، والشيطان يزين ويعين، ولما كانوا هم طالعين كانت الملائكة تساعدهم وترفعهم، فيسمعون السورة ويحفظونها من أول مرة.
قال: [وقد وكلت زوج أختها العباس ، فتولى عقد نكاحها] أسلمت، ووكلت العباس زوج أختها أن يعقد نكاحها؛ إذ لا بد من ولي، فأركان النكاح أربعة: الولي، والمهر، والشهود، والصيغة التي يتم بها النكاح، ولا نكاح بدون ولي، يقول صلى الله عليه وسلم: (أيما امرأة أنكحت أو تزوجت بدون ولي فهي زانية).
[وأصبحت ميمونة أم المؤمنين، والحمد لله رب العالمين] أمّ كل مؤمن وإلى يوم القيامة، أما قال تعالى: وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ [الأحزاب:6]، أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أمهاتنا، وقد توفي الرسول صلى الله عليه وسلم وترك نساءه، وما تزوجت منهن واحدة، ومن يقوى على أن يكفر ويتزوج امرأة الرسول صلى الله عليه وسلم؟! وإذا ذكرت أمك ألا تدعو لها بخير؟ إذا كانت الحالية فقل: اللهم اغفر لها وارحمها، أو اللهم اغفر لأمهاتنا وارحمهن، وإذا كانت أمنا من الدوحة النبوية نقول: رضي الله عنها، اللهم ارض عنها.
قال: [وفي اليوم الثالث] من أيام الاتفاقية [بعثت قريش رجلها حويطب بن عبد العزى ومعه نفر] من الرجال [يطلبون من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يخرج بنهاية الثالث تنفيذاً للاتفاقية] أي: لا يتأخر ساعة، ولا ربع ساعة، فإذا غربت الشمس خرج ورجاله من مكة [فقالوا له: إذا انقضى أجلك فاخرج عنا] أي: لا تبق في مكة.

الكرم المحمدي (ملاطفة النبي أعداءه ودعوتهم إلى طعام عرسه)

قال: [الكرم المحمدي] تريدون أن تشاهدوا الكرم المحمدي؟ إي نعم.
وما الفائدة منه؟ نحن شحاح، لا نستطيع أن نعشي واحداً أو نغديه، لكن لو تعلّمنا لأكرمنا وأصبحنا من المكرمين، فهيا نشاهد الكرم المحمدي والنبي هو أسوتنا صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ ماذا؟ أُسْوَةٌ أي: قدوة حَسَنَةٌ [الأحزاب:21] اقتدوا به تكملوا وتسعدوا.
قال: [ولما بلّغ حويطب رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر قريش بالخروج، قال لهم: (وما عليكم لو تركتموني فأعرست بين أظهركم وصنعنا لكم طعاماً فحضرتموه؟)] كلمة الرسول صلى الله عليه وسلم لذيذة أم أن أفواهنا لا تتذوق؟ ماذا قال: (وما عليكم) أي: ماذا يضركم (لو تركتموني فأعرست بين أظهركم) أي: جعلت العرس (وصنعنا لكم طعاماً فحضرتموه؟) ولو قالوا: نعم، لذبح الإبل ودعاهم للطعام، وهم أعداؤه وخصومه، أراد أن يسموا صلى الله عليه وسلم فوق تلك المستويات الهابطة! [فقالوا: لا حاجة لنا في طعامك فاخرج عنا، فخرج صلى الله عليه وسلم وترك أبا رافع مولاه لأجل ميمونة] لأجل العروس حتى يأتي بها [فإذا فرغ من جهازها أتاه بها وهو في (سرف)] وسرف قرية ما بين مكة والمدينة، قريبة من مكة، وهي موجودة إلى الآن [فبنى بها هناك] دخل عليها عريساً صلى الله عليه وسلم وهي عروس رضي الله عنها وأرضاها في سرف [ثم انصرف صلى الله عليه وسلم عائداً إلى المدينة في أول الحجة] في أول شهر الحج؛ والمسافة من مكة إلى المدينة مسير عشرة أيام.
قال: [وتولى الحج هذا العام المشركون] العام السابع تولى الحج ونظمه المشركون على عادتهم [ونزل في عمرة القضاء قرآن] نزل في هذه العمرة التي ندرسها قرآن يقرأ إلى اليوم [هو قوله تعالى: لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا [الفتح:27]].
وذلك أنه لما تمت الاتفاقية كرب المؤمنون وأصابهم الحزن -وخاصة عمر- وقالوا: كيف نستسلم وننقاد ونرجع ونحن محرمون؟! وكانت ليالي وأيام سوداء مظلمة، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: (أنا رسول الله ولن يضيعني)، وكانت من بنود الاتفاقية: أن يعود الرسول صلى الله عليه وسلم ورجاله محرمون -وقد وصلوا إلى مشارف مكة- ولا يأتون للعمرة إلا العام المقبل في مثل هذا اليوم، ومن ذلك: أنه إذا هرب مسلم من مكة إلى المدينة يجب أن يرده محمد إليهم، وإذا هرب من المدينة رجل إلى قريش لا يردوه على النبي، وهذا أمر لا يطاق، والمدة كانت عشر سنوات.
ومن أشد ما تحمل رسول الله لما قال: اكتب -والكاتب كان علي بن أبي طالب - هذا ما عاهد عليه محمد رسول الله، فقال سهيل بن عمرو ممثل قريش: لو عرفناك رسول الله ما قاتلناك! ولكن اكتب محمد بن عبد الله، وثبت أبو القاسم كالجبل الأشم، وقال: اكتب محمد بن عبد الله.
وكذلك عندما قال: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل : لا نعرف الرحمن الرحيم، ولكن اكتب باسمك اللهم، هذه التنازلات من أرادها بعد الله؟ رسول الله؛ ليحقق للمسلمين مجالاً يسعون فيه في الأرض، يدعون إلى ربهم ويأكلون ويشربون.
إلى متى وهم محاصرون في المدينة؟! ولما كان عائداً تحللوا بذبح ما عندهم وحلقوا أو قصروا، وفي الطريق نزل على الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الآية: لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ [الفتح:27] وتم ذلك ولكن بعد سنة، وقال تعالى هنا: لا تَخَافُونَ [الفتح:27] وهل خافوا؟ الجواب: لا.

فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا [الفتح:27]، والفتح القريب كان فتح خيبر، فما إن رجعوا من الحديبية حتى أُعلن عن المشي إلى خيبر، وفتحها الله تعالى عليهم، والقريب معناه أن هناك فتحاً بعيداً، وكان الفتح البعيد هو فتح مكة في العام الثامن من الهجرة.
قال: [ومصداق ذلك فيما يلي: أولاً: فتح خيبر وهو فتح قريب، والفتح البعيد هو فتح مكة العام القابل سنة ثمان من الهجرة؛ لأن كلمة فَتْحًا قَرِيبًا [الفتح:27] تشير إلى فتح بعيد يأتي بعد القريب.
ثانياً: دخولهم مكة في عمرة القضاء آمنين غير خائفين.
ثالثاً: إذ بعد الفراغ من طوافهم وسعيهم، منهم من حلق ومنهم من قصر، فكان هذا تأويل رؤيا الرسول صلى الله عليه وسلم التي رآها قبيل الحديبية] مقصرين ومحلقين، وهنا للتخيير إن شئت حلقت وإن شئت قصرت، لكن التحليق أفضل بدليل قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (رحم الله المحلقين) ثلاث مرات، والرابعة قال: (والمقصرين)، وهذا لما تمت الاتفاقية وأرادوا أن يتحللوا ويعودوا إلى المدينة، بعضهم أبى أن يحلق أو يقصر -أخذته العزة- فبدأ الرسول صلى الله عليه وسلم بنفسه، وأعلن هذا الإعلان فتوافدوا وحلقوا وقصروا، وبقيت سنتنا إلى اليوم، ومن اعتمر منكم فالحلق أفضل له من التقصير.
والآن نحن عندنا حيلة، فهذه المكائن الجديدة الناعمة تأخذ الشعر بين الحلق والتقصير، أولاً تنزع الشعر بكامله وتنظف الرأس، وفي نفس الوقت يبقى بعض الشيء وكأنه تقصير، وهذه نعمة جديدة، أما الماضي فكان بالموسى إلى الجلد حتى يبقى أحمر، أو القص بالمقص، وبقى الغافلون يقصون بعض شعيرات من هنا وهناك!! وهذا لا ينبغي، وهو مخالف للسنة النبوية، ولا أظن مؤمناً يأخذ من لحيته -وهو حرام بالطبع- فلو حلق لحيته كلها لم يزل حراماً؛ لأنه لم يتحلل، فلا بد من حلق الرأس أو تقصيره.

نتائج وعبر من عمرة القضاء

قال: [نتائج وعبر: إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبراً هي كالآتي: أولاً: مشروعية قضاء العبادة إذا فاتت لأسباب قاهرة حالت دون أدائها] يشرع لك أن تقضيها ولو بعد عام، أما قضى الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنون العمرة بعد سنة؟ وفي هذا دليل على مشروعية القضاء، فإذا أفطرت لمرض أو سفر أو غير ذلك يجب أن تقضي ذلك اليوم، أو نمت عن صلاة أو نسيتها وبعد أربعين سنة ذكرتها قم الآن وصلّها.
[ثانياً: جواز الاعتمار في الأشهر الحرم، وقد كان أهل الجاهلية يكرهونه] والقعدة من الأشهر الحرم، وقد اعتمر فيها النبي صلى الله عليه وسلم.
إذاً يجوز العمرة في الأشهر الحرم، والمشركون كانوا يمنعون ويقولون: حرام أن تعتمر في الأشهر الحرم، وإذا اعتمرت قالوا: مبتدع! ونالوا منك.
فجاء الإسلام فأزال ذلك الحجاب، وأباح للناس أن يعتمروا في الأشهر الحرم، بل هي أفضل.
[ثالثاً: مشروعية سنة الاضطباع والهرولة في طواف القدوم للعمرة أو الحج] وسبب مشروعية الاضطباع والهرولة إظهار القوة للمشركين، وليخلد هذا المعنى إلى يوم القيامة! أما الرمل ما بين الصفا والمروة فهو تخليد لذكرى هاجر أم إسماعيل عليهما السلام؛ إذ هي التي جرت بين الجبلين تطلب الماء لغلامها الرضيع الذي يتلوى من شدة العطش، وما زالت تجري وتهرول حتى شاهدت جبريل واقفاً على رأس الولد، وهي تقول: أسمعت أسمعت.
هل من غياث؟ فلما وصلت إليه أو قربت منه قال برجله هكذا، ففارت زمزم وإلى الآن نشرب منها والحمد لله.
كم ألف سنة من ذاك اليوم؟ إنها آيات الله، قال تعالى: فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ [آل عمران:97].
إذاً: الاضطباع والهرولة سنة في طواف القدوم لا في غيره، فإذا كان الشخص يطوف في حج أو عمرة في غير طواف القدوم لا يضطبع ولا يهرول.
[رابعاً: بيان العلة في سنة الاضطباع والهرولة في الأشواط الثلاثة الأولى، وهي إظهار القوة، وأن المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف] وهذا حديث مسلم (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير).
[خامساً: مشروعية الزواج في دار الحرب للقادر عليه] شخص يتزوج في بريطانيا أو رومانيا أو أسبانيا يجوز له ذلك؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم تزوج بـميمونة في مكة وهي آنذاك دار حرب.
[سادساً] تأملوا يا فطناء [نظراً إلى الخلاف في هل تزوج الرسول صلى الله عليه وسلم ميمونة وهو محرم وبنى بها وهو حلال؟ فإني أرى الخروج من الخلاف] وهناك خلاف كبير بين الفقهاء، وأنه لا يحل للمحرم أن يعقد نكاحاً، ولا أن يبني بامرأة، فكيف الخروج من هذا؟ قال المؤلف غفر الله له ولكم ورحمه وإياكم، وفتح عليه وعليكم أجمعين: [يكون بارتئاء] أي: برأي [أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب ميمونة وعقد عليها بمكة بعد تحلله من إحرامه في أول يوم دخل مكة] لما دخل في الصباح اعتمر وتحلل، ولما تحلل خطب وعقد ولا حرج، وليس وهو مُحرم [ثم أمر مولاه أن يلحقه بها بعد تجهيزها في (سرف) فبنى بها هنالك] والتجهيز: هو أن تأتي امرأة بالملابس والطيب والصابون وتغسل العروس وتنظفها ليلة كاملة حتى تزفها، وهذه هي عادة بشرية إلى اليوم [فلم يخطبها ولم يعقد عليها ولم يبن بها وهو محرم أبداً] وزال الإشكال.
[سابعاً: لطيفة] واللطيفة: الشريفة التي تدخل في القلب دون شدة [في أن آخر من تزوج الرسول صلى الله عليه وسلم من نسائه ميمونة] آخر امرأة تزوج بها الرسول صلى الله عليه وسلم ميمونة و خديجة كانت أول نسائه [وآخر من مات من نسائه بعده ميمونة] وآخر من مات -كذلك- من نسائه ميمونة رضي الله تعالى عنها وأرضاها، اللهم إنا نحبها، فأحبنا لحبها يا ربنا! [وأنها رضي الله عنها بنى بها بسرف] بهذه القرية [وماتت ودفنت بسرف] لا إله إلا الله! بنى بها بسرف -كما علمنا- عند العودة من عمرة القضاء، وعاشت سنين،

وشاء الله أن تذهب حاجة أو معتمرة وتموت في سرف، وتدفن بها [فمكان عرسها هو مكان دفنها] ومكان لقائها ربها، تدبير من هذا؟ لا يقوى على هذا إلا الله [فرضي الله عنها وأرضاها وجعل الجنة مأواها].

وصل اللهم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

لما رجع النبي صلى الله عليه وسلم من عمرة القضاء بعث بسرية عليها ابن أبي العوجاء إلى بني سليم، فدعاهم إلى الإسلام فأبوا، فاحتدم قتال شديد، ونجى أمير السرية مع فئة قليلة، ودخلت السنة الثامنة، وكان أول أحداثها سرية غالب الليثي إلى بني الملوح، ثم كانت سرية شجاع إلى بني عامر، وعادت السريتان بالنصر والغنيمة، ثم كانت سرية عمرو الغفاري إلى ذات الأطلاع، فقتل أصحاب عمرو ولم ينج إلا هو.

سرية ابن أبي العوجاء

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.
أما بعد: ها نحن في آخر أحداث السنة السابعة ومن آخر أحداثها: [سرية ابن أبي العوجاء] وهي سرية بعث بها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين المجاورين لدعوتهم إلى الإسلام، فإن أبوا قاتلهم؛ عملاً بقول الله تعالى من سورة التوبة: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ [التوبة:123] ينصرهم ويؤيدهم ويفتح عليهم.
وهذه الآية ثابتة راسخة لم تنسخ، ولا يتأتى أن نقول إنها نسخت أبداً؛ إذ سورة التوبة من آخر ما نزل وكلها أحداث جسام، وقد نفذ رسول الله هذا الأمر وقاتل من حوله -والدائرة تتسع- إلى أطراف الجزيرة حتى دخلت كلها في الإسلام، وقبضه الله إليه، ثم قام من بعده أصحابه بهذه الرسالة، فما هي إلا فترة لم تتجاوز الربع قرن حتى كان الإسلام في الأندلس ومن وراء نهر السند، عملاً بقوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً [التوبة:123].
قال: [ولما رجع صلى الله عليه وسلم من عمرة القضاء -وذلك في شهر ذي الحجة-] تلك العمرة التي خرج فيها مع ألف وأربعمائة رجل ليعتمر، ومكة تحت سلطان قريش الكافرة، فلما انتهى به السير إلى مقربة من البلد الحرام، وعلمت قريش بخروجه صلى الله عليه وسلم ورجاله، جهزت جيشها وخرجت لاستقباله، لتمنعه من دخول مكة بدون رضاها، ثم تم صلح يسمى بصلح الحديبية ومن بنوده: أنه يأتي في العام المقبل يعتمر هو ورجاله، على أن تخلي لهم قريش مكة ثلاثة أيام، وتم هذا بالفعل، وأصبحت هذه العمرة تسمى بعمرة القضاء؛ إذ الأولى ما تمت وتحلل صلى الله عليه وسلم ورجاله بالذبح، وكل من أحرم بعمرة أو حج ولم يشترط، وحال بينه وبين الاعتمار أو الحج حائل -عجز- فإنه لا يتحلل إلا بذبح شاة، أو يشترك بسبع بعير أو بقرة، ومن عجز بالكلية صام عشرة أيام، وكانت هذه العمرة -عمرة القضية- في السنة السابعة.
وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بعد غزوة الأحزاب أنهم يغزون قريشاً ولا تغزوهم، فقال: (الآن نغزوهم ولا يغزونا)؛ لأنهم حاصروا المدينة بجيوش جرارة من أسفل ومن فوق، ولكن الله ردهم خائبين بعد خمس وعشرين ليلة، فأرسل عليهم ريحاً اقتلعت الخيام ورمت بها في العراء، وأكفأت القدور، فعرفوا أنه لا محالة من الهرب، فأذن مؤذنهم -رضي الله عنه- أبو سفيان أن عودوا إلى دياركم، وبعد الكرب، والحزن، والألم، والجوع، والبرد الذي عانى منه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (الآن نغزوهم ولا يغزونا).
إذاً: [بعث سرية عليها ابن أبي العوجاء السلمي] هذه السرية كانت في شهر ذي الحجة [في خمسين فارساً] على خيولهم [بعثهم إلى بني سليم، وكان لهم عين] أي: كان لبني سليم جاسوس بالمدينة، عرف أن السرية أُمرت بالخروج، فأرسل يُعلم إخوانه بذلك [فذهب إليهم فأخبرهم بقدوم السرية عليهم] يعني: انتبهوا يا بني قومي! سرية بكذا فارس قد أرسلت إليكم [لدعوتهم إلى الإسلام فتهيئوا للقتال، ودفع دعوة الإسلام، فلما انتهى إليهم رجال السرية] وهم خمسون فارساً [ودعوهم إلى الإسلام، رشقوهم بالنبل ولم يسمعوا قولهم] ما قبلوا الدعوة [وقالوا: لا حاجة لنا إلى ما دعوتم إليه، فرموهم ساعة، وجعلت الإمدادات تتلاحق] من المشركين [وتحدق بهم من كل جانب، وقاتل أفراد السرية قتالاً شديداً حتى قتل عامتهم، وأصيب أميرهم بجروح كثيرة إلا أنه تحامل حتى وصل المدينة مع من بقي معه من المسلمين] واستشهاد في سبيل الله خير من هذه الحياة الهابطة؛ لأنهم ذهبوا بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعيّن عليهم قائداً وأميراً فقاتلوا حتى كتب الله لهم السعادة بالشهادة، فهنيئاً لهم.

نتائج وعبر من سرية ابن أبي العوجاء

قال: [نتائج وعبر] كما هي عادتنا مع كل حادثة نذكر ما فيها من فوائد لو كنا نعي ونحفظ ونطبق، لكن قلوبنا خربة.
[إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبراً هي: أولاً: وجوب الدعوة إلى الله تعالى والتحمل والصبر في سبيلها] وجوب الدعوة إلى الله ليعبد وحده؛ فيسعد الناس بعبادته ويكملوا، وهذه هي أول النتائج: وجوب الدعوة إلى الله تعالى والتحمل والمرض والموت والصبر في سبيلها.
ولعل هناك من يقول: يا شيخ! لم لا يدعو المسلمون الآن إلى الله؟! ألأنهم لا يملكون الصواريخ والطائرات النفاثة والأجهزة العامة والخاصة، فهم عاجزون، لا يستطيعون أن يرسوا سفنهم الحربية على شاطئ من شواطئ البلاد الكافرة؟! فأقول: إذاً: نبحث عن طريقة نستطيع بها أن نبلغ دعوة الله، ولعل هناك من يبلغ ما أقول، أو أنه ليس فينا من يبلغ؟! أو يقول: هذا الشيخ لا ندري كيف عقله؟! فأقول: والله الذي لا إله غيره ما زال هذا الوجوب قائماً إلى اليوم، ويجب على المسلمين أن يدعوا إلى الله، ليؤمن به ويُعبد، فيظفر الإنسان في

الدنيا ويسعد في الآخرة، وإنما الذي أريد أن يبلغ العلماء والحكام هو: أن الله -والحمد لله- فتح علينا العالم بأسره، فوالله ما نحن في حاجة إلى طائرات قتال، ولا إلى سفن حربية، أبداً.
فالعالم مفتوح بين أيدينا، من فتحه؟ الله بسننه وتدبيره في خلقه، فأمريكا الجبارة في شمالها وجنوبها المآذن ترفع الأذان، والجيوش الأمريكية لا يوجد جيش إلا وفيه مسلم يؤذن ويصلي.
وبريطانيا شبه إسلامية، وفرنسا فيها ثلاثة آلاف مسجد، وألمانيا ذات المخ العظيم فيها عشرات المساجد.
إذاً: لسنا في حاجة أبداً إلى أن نغزوا، فقد فتح الله الديار أمامنا.
الطريق -وبلغوا إن استطعتم- أنه يجب حتماً علينا معاشر المسلمين أن نكوّن لجنة عليا للدعوة الإسلامية، يشارك فيها كل إقليم من أقاليم المسلمين، وكل قطر من أقطارهم، وكل دولة من دولهم، صغيرة أو كبيرة، غنية أو فقيرة؛ حتى تكون الأمة كلها قد شاركت وأسهمت في ذلك الخير، هذه اللجنة وليكن مقرها المدينة النبوية -وهي مقر الخلافة الإسلامية- تبعث برجالها من أهل الخبرة إلى اليابان، وإلى الصين، وإلى شرق أوروبا، وإلى غربها، وإلى أمريكا وإلى كل مكان .
وتطلب منهم أن يقوّموا ويعرفوا الجماعات الإسلامية في تلك البلاد: أعدادها ومساجدها، ومدارسها، ومراكزها، ثم يأتون ويضعون خريطة أمام اللجنة العليا، يقولون: إن اليابان فيها كذا مسجداً، والصين فيها كذا، وكذا فيه كذا.
ومن ثم تقوم اللجنة التي يشارك فيها كل مؤمن بدرهم أو دينار سنوياً أو شهرياً، وتكون لها خزانة مالية لا نظير لها؛ إذ شارك فيها ألف مليون مسلم، وفي سرّية كاملة، ونحن الآن نتكلم بأعلى أصواتنا؛ لأننا لا نخاف أن يعلم العدو عنا شيئاً، لكن عندما تبتدئ اللجنة تعمل في الظلام؛ حتى لا ينزعج الشرق ولا الغرب، ولا يلوي أحد رأسه.
فإذا عرفت اللجنة العليا هذه الإحصائيات بدأت بإرسال علماء ربانيين إلى كل بلد من تلك البلاد حسب عدد مساجدها ومراكزها، وتقوم بتجهيز تلك المراكز وإعدادها، وتهيئتها للدعوة، وتبعث بالكتاب الموحِد الذي لا يفرق بين المسلمين، حتى تصبح تلك الجماعات على قلب رجل واحد، فلا مذهبية، ولا طائفية، ولا فرقة أبداً، ولكن قال الله وقال رسوله، واللجنة العليا هي التي تزود تلك الجماعات بالكتاب الرباني الجامع غير المفرق، الهادي غير الضال.
وتنفق الأموال على إنشاء المساجد وتوسعتها، وتأخذ في تهذيب تلك الجماعات، فتصبح الجماعة الإسلامية كأنها أنوار في الصدق، والولاء لله والرسول، والحب، والتعاون، والطهر، والصفاء، والأخلاق الفاضلة، والآداب السامية .
والله لا يمضي ربع قرن إلا تضاعف عدد المسلمين؛ لأن الناس يدخلون في الإسلام إذا شاهدوا الإسلام الحقيقي كيف هو، ليس فيه أبداً خداع، ولا غش، ولا كذب، ولا فساد، ولا خبث، وينجذبون حسب سنة الله عز وجل، ولو يستمر هذا الوضع فيمكن بين وقت وآخر أن نسمع أن الدولة الفلانية أصبحت دولة إسلامية، وحكمها مسلم.
وهكذا.
هذا الواجب أوجبه الله تعالى بقوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً [التوبة:123] ونحن نقاتلهم؛ ليفتحوا لنا الباب لندخل ونعلّم، لا لنقتلهم، ولا لنسلب أموالهم؛ إذ كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزلوا بحدود دولة يراسلون أهلها: هل تدخلون في الإسلام؟ فإن قالوا: نعم، هنئوهم ودخلوا وعلّموهم، وإن قالوا: لا، نبقى على ديننا، قالوا: أفسحوا لنا المجال نعلم إخوانكم، فإن قالوا: تفضلوا، دخلوا في ذمتنا ونعلمهم، ولا قتال إلا إذا رفضوا الإسلام وقبول الدعوة، والآن الدعوة ليست مرفوضة أبداً، بل مقبولة في كل جانب.
[ثانياً: خطر العيون والجواسيس أيام الحروب] أما إذا ليس ثمة حرب والبلاد في سلم فلا يضر وجودهم، لكن خطرهم إذا كانت الحرب معلنة، والقتال دائر [ووجوب الحذر منهم] كل مؤمن يفتح عينيه ويتفطن، فلولا العين التي رأت الرسول صلى الله عليه وسلم يرسل ما كان ليتحمل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الهزيمة.
[ثالثاً: بيان شجاعة أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم وسائر أهل الإيمان وعظيم صبرهم وتحملهم].

أهم الأحداث والوقائع عدا الغزوات والسرايا التي كانت في سنة سبع من الهجرة

قال: [أهم أحداث هذه السنة غير الغزوات والسرايا من أهم الأحداث والوقائع عدا الغزوات والسرايا التي كانت في سنة سبع من الهجرة ما يلي:

رابعاً: قضاء الرسول وأصحابه عمرتهم التي منعوا من إتمامها سنة ست من الهجرة

[رابعاً: قضاء الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه عمرتهم التي منعوا من إتمامها سنة ست من الهجرة] هذه الحادثة في سنة سبع بعد أن قضوا عمرتهم التي منعوا منها في العام الماضي، وبحسب الاتفاقية أنهم يأتون في العام المقبل ويعتمرون، وبالفعل أخلت لهم قريش مكة ثلاثة أيام، ولما تزوج الحبيب بميمونة قال: (هل لكم أن تحضروا مأدبة نقيمها لكم؟) قالوا: لا نريد طعامك، واخرج من بلادنا في الوقت المحدد! إنها العنجهية!!

ثالثاً: قدوم حاطب بن أبي بلتعة من عند المقوقس

[ثالثاً: قدوم حاطب بن أبي بلتعة من عند المقوقس ملك الأقباط بمصر ومعه مارية القبطية أم إبراهيم بن النبي صلى الله عليه وسلم، وسيرين، وقد أسلمتا] أي: الجاريتين [في طريقهما إلى المدينة] حاطب بن أبي بلتعة بعث به الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس يعرض عليه الإسلام كما تقدم، وبعث معه بكتاب، فما كان من هذا الملك إلا أن أكرم رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث معه بجاريتين، والنبي صلى الله عليه وسلم تسرى بمارية القبطية وأنجبت له ولداً سماه إبراهيم ، وتوفي وهو رضيع.
ونذكر في هذه الحادثة شيئاً يذكرنا برحمة الرسول صلى الله عليه وسلم: فعندما وضع الطفل بين يديه وهو يلفظ أنفاسه دمعت عينه، وقال: (العين تدمع والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي الرب تبارك وتعالى)، وإبراهيم الآن عند جده إبراهيم عليه السلام، كما أن كل من مات من أطفال المسلمين عنده.

ثانياً: زواجه صلى الله عليه وسلم بميمونة بنت الحارث الهلالية

[ثانياً: زواجه صلى الله عليه وسلم بميمونة بنت الحارث الهلالية] في عمرة القضاء، وذلك عندما دخلوا مكة بناء على الصلح المبرم، وعقد عليها بعد نهاية العمرة، بعدما طاف وسعى وتحلل، ثم أتاه بها مولاه إلى سرف، ودخل بها هناك، وهي آخر من مات من نساء الرسول صلى الله عليه وسلم، وماتت بسرف حيث بنى بها صلى الله عليه وسلم هناك ودفنت.
تدبير من هذا؟ تدبير الله، ولا يقدر عليه إلا هو، و ميمونة بنت الحارث هي خالة عبد الله بن عباس رضي الله عنهم أجمعين.

أولاً: رد النبي صلى الله عليه وسلم ابنته زينب على زوجها أبي العاص بن الربيع

[أولاً: رد النبي صلى الله عليه وسلم ابنته زينب على زوجها أبي العاص بن الربيع] وتقدم لنا وعلمنا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان له بنت يقال لها: زينب ، زوّجها في مكة -وأمها هي خديجة - وأن زوجها أبو العاص بن الربيع كان كافراً، وشاءت أقدار الله أن يأتي في قافلة من قوافل قريش للتجارة بالشام، ولما كان في طرف المدينة استقبله رجالات الحبيب صلى الله عليه وسلم فأخذوا أمواله مقابل الأموال التي أخذوها منهم في مكة، فجاء مختبئاً وكلم زوجته من وراء حجاب، وقال لها: اشفعي لي عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتوسطت وشفعت له وأجارته، وأجاره الحبيب صلى الله عليه وسلم، ثم ذهب -وهو رئيس القافلة- عائداً إلى مكة حتى رد عليهم أموالهم وقال لهم: أبيت أن أعلن عن إسلامي حتى لا تقولوا: أسلم ليأخذ أموالنا، وعاد إلى المدينة ورد الرسول صلى الله عليه وسلم إليه زوجته زينب رضي الله عنها، وكان لها طفلة تأتي إلى المحراب، فيحملها صلى الله عليه وسلم ويصلي بها.

أحداث السنة الثامنة من هجرة الحبيب صلى الله عليه وسلم

والآن مع السنة الثامنة، وتبقى التاسعة والعاشرة ثم نفارق الحبيب صلى الله عليه وسلم، فما بقي على وفاته إلا سنتان وأربعة أشهر.
قال: [أحداث السنة الثامنة من هجرة الحبيب صلى الله عليه وسلم ودخلت السنة الثامنة من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وكان أول أحداثها:

سرية غالب بن عبد الله الليثي الكلبي

[سرية غالب] والسرية: المجموعة تسري بالليل في الظلام.
قال: [وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم غالب بن عبد الله الليثي الكلبي إلى بني الملوح، فلقيه في مسيره الحارث بن البرصاء الليثي] والأبرص المصاب بالبرص [فأخذه أسيراً] أخذه القائد أسيراً [فقال: إنما جئت لأسلم] أراد أن يخرج من الأسر فقال: إنما جئت لأسلم [فقال له غالب : إن كنت صادقاً فلن يضرك رباط ليلة] يعني: إذا كنت صادقاً في أنك جئت لتسلم فلا تتألم، ولتبق مربوطاً عندنا ليلة [وإن كنت كاذباً استوثقنا منك.
ووكل به بعض أصحابه] قال: راقبوه هو عندكم الليلة [وقال له] للوكيل [إن نازعك فخذ رأسه] أي: إذا أراد أن يقاتلك فاقتله [وأمره بالمقام إلى أن يعود، ثم ساروا] وتركوه [حتى أتوا بطن الكديد فنزلوا بعد العصر، وأرسلوا جندب بن مكيث الجهني ربيئة لهم] والربيئة: الطليعة من الجيش؛ يكشف لهم عن أحوال المشركين.
[قال: فقصدت تلاً هناك] التلّ: الجبل الصغير، وقصده ليكتشف ما هي المنطقة، وما فيها [يطلعني على الحاضر] في المنطقة [فانبطحت عليه] على ذلك التل [فرآني رجل منبطحاً، فأخذ قوسه وسهمين، فرماني بأحدهما فوضعه في جنبي، فنزعته ولم أتحرك] يعني: باق على الأرض [ثم رماني بالسهم الثاني فوضعه في رأس منكبي، فنزعته ولم أتحرك، فقال الرامي: أما والله لقد خالطه سهماي، ولو كان ربيئة لتحرك] يعني: لو كان بعثه قومه ليطلع علينا لكان قد تحرك.
قال: [فأمهلناهم حتى راحت مواشيهم واحتلبوا، فشننا عليهم الغارة، فقتلنا منهم واستقنا منهم النعم، ورجعنا سراعاً، وأتى صريخ القوم، فجاءنا ما لا قبل لنا به، حتى إذا لم يكن بيننا إلا بطن الوادي من قديد، بعث الله من حيث شاء سحاباً ما رأينا قبل ذلك مطراً مثله، فجاء الوادي بما لا يقدر أحد أن يجوزه، فلقد رأيتهم ينظرون إلينا ما يقدر أحد أن يتقدم.
وكان شعارنا في هذه السرية: أمت أمت، وكنا بضعة عشر رجلاً].

وهنا لطيفة وهي: أن هذا المشرك حلف بالله، فقال: والله لقد خالطه سهماي! وكثير من المسلمين اليوم لا يحلفون بالله، ما السبب؟ كانت العرب لها صلة بإسماعيل باني البيت مع إبراهيم عليهما السلام، فما زالوا يعرفون الله ويؤمنون به رباً وإلهاً، وإنما دخل عليهم الشرك بدعاته، ومنهم: عمرو بن لحي الذي أتى بالأصنام من الشام، فبقوا على ذلك يحلفون بالله عز وجل، أما اليوم فقد أفسد العدو على المسلمين قلوبهم، وجعلهم يعبدون الأولياء بدل الله عز وجل، فلهذا يذبحون الذبائح وينذرون النذور، ويحلفون بسيدي فلان وفلان، وقد قلت غير ما مرة حادثة لا تنسى وهي: لما أصبح أهل بعض المناطق لا يثقون باليمين بالله، تجد أحدهم يسرق شاتك ويحلف بالله سبعين مرة أنه ما سرقها ولا يبالي! فماذا يصنع القاضي في المنطقة؟ أصبح القاضي يستحلفهم بالأولياء، لا يحلفهم بالله، فيأتي ويقول: قُل: وحق سيدي فلان سبع مرات ما أخذت كذا .

فيخاف ولا يفعل، أما إذا قال له: احلف بالله، فإنه يحلف سبعين مرة، ولا يبالي.

ومن العجائب: أن أحدهم لما خاصم أخاه، وانتصر عليه؛ لأنه حلف بالباطل وأعطاه القاضي حقه، قال له: امش واحلف عند السيد فلان، فمشى معه، فلما أدخل رأسه في كوة الضريح ليحلف أخرج أخوه عصا وضربه على رأسه، وتركه يتشحط في دمه وراح، فلما سألوه ما وقع: قال: ضربه سيدي فلان؛ لأنه حلف به كاذباً!!

نتائج وعبر من سرية غالب الكلبي

قال: [نتائج وعبر: أولاً: بيان إنفاذ الرسول صلى الله عليه وسلم أمر ربه عز وجل في إبلاغ دعوته بلا كلل ولا ملل ولا فتور] أي: تعب، أما قال له: فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ [الحجر:94] فنفذ الرسول الكريم أمر ربه في هذا.

[ثانياً: بيان الصبر والتحمل في ذات الله عز وجل وأنه شعار المؤمنين الصادقين] أما صبر أولئك الغزاة أصحاب السرايا، وتعرضوا للعذاب والموت والقتال؟! [ثالثاً: مشروعية الغزو في سبيل الله ليُعبد الله وحده، فيكمل الناس ويسعدوا على عبادته تعالى] ولا ننسى عندما نسأل: لم خلقنا الله عز وجل، ولم خلق هذه الحياة لنا؟ فنقول في الجواب: خلق هذه الحياة لنا من أجلنا حتى نتمكن من أن نعبده، فنحقق الهدف الرئيسي وهو عبادة الله عز وجل، ولا ننسى قوله تعالى: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ [الذاريات:56] إذاً: ومع حكمة عبادة الله، هل الله في حاجة إليها، ليعظم سلطانه بها؟ لا؛ لقد كان الله ولم يكن شيء قبله.

إذاً: الحكمة من عبادة العباد لربهم أن يكملوا ويسعدوا عليها، وليس وراء هذا شيء، فقد خلقهم لعبادته وجعل تلك العبادة تثمر لهم زكاة نفوسهم وطهارة أرواحهم، فالذين عبدوه بتلك العبادة الشرعية السليمة الصحيحة زكت نفوسهم وطابت وطهرت، ومن مات منهم أخذت روحه وألقيت في جنات عدن، ومن رفض العبادة خبثت نفسه، وتدست، وتلوثت، وما هو بأهل للسماء والملكوت الأعلى، إذاً يُذهب به إلى أسفل سافلين، إلى سجين، حيث تحبس هناك روحه، فإذا انتهت هذه الدورة من الحياة الأولى، خلق الله الأجسام من جديد ودخلت الأرواح في أجسادها المعدة لها، ثم يساقون إلى المحشر فيحشرون، ثم يجري الحساب الدقيق، ويتم بموجبه الجزاء: إما إلى دار النعيم، وإما إلى دار الجحيم.

[رابعاً: بيان إكرام الله تعالى لأوليائه بإنجائهم بالمطر والسيول وبما شاء من أسباب] كيف عرفنا هذا؟ ومن أين أخذناه؟ لما اجتمع المشركون على سرية غالب الكلبي، وجاءوا من كل حدب وصوب، وأوشكوا أن يصلوا إليهم، أرسل الله مطراً سال به الوادي بسرعة، فوقفوا دون ذلك، وما استطاعوا أن يفعلوا شيئاً، وأولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

سرية شجاع بن وهب

قال: [وثاني أحداثها: سرية شجاع وبعث صلى الله عليه وسلم شجاع بن وهب إلى بني عامر في أربعة عشر رجلاً] فقط [فأصابوا نعماً] والنعم: الإبل والبقر والغنم [فكان سهم كل واحد منهم خمسة عشر بعيراً] والباقي للدولة، قال تعالى: وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ [الأنفال:41]، الخمس للرسول يوزعه على الفقراء والمساكين، والآخرون كل يأخذ نصيبه، فكان نصيب كل واحد من أولئك خمسة عشر بعيراً.

سرية عمرو بن كعب

قال: [وثالث أحداثها: سرية عمرو بن كعب وبعث صلى الله عليه وسلم عمرو بن كعب الغفاري إلى ذات الأطلاع في خمسة عشر رجلاً، فوجد بها جمعاً كثيراً] من الناس [فدعاهم] عمرو [إلى الإسلام فأبوا أن يجيبوا، وقتلوا أصحاب عمرو ولم ينج إلا هو، وكانت ذات الأطلاع هذه من ناحية الشام -وهم من قضاعة- ورئيسهم يقال له سدوس].

معاشر المستمعين أعيد القول: المسلمون مسئولون عن كفر الكافرين، وشرك المشركين، وظلم الظالمين، وفسق الفاسقين، فهم أولياء الله، وأولئك عبيده في حاجة إلى من يهديهم، وإلى من يربيهم، وإلى من يقودهم إلى شاطئ السلامة، وإلى حياة الطهر، والعدل، والرحمة، والإخاء، ومن يقوم بهذا سواهم: اليهود أو النصارى؟ المجوس أو الروس؟ الجواب: والله لا أحد إلا نحن المسلمون، فهيا بنا نفعل.

ما يجب على المسلمين من الدعوة إلى الله

أقول: يجب على المسلمين -وأول من يجب عليه: علماؤهم ثم حكامهم- أن يكوّنوا لجنة عليا تسمى لجنة الدعوة إلى الله، يشارك فيها كل بلد إسلامي بما فيه من علم وعلماء، وتلك اللجنة تبعث لجاناً -من شخصين أو ثلاثة- إلى كل إقليم من الأقاليم؛ لتدرس وجود المسلمين في تلك الجهات من أوروبا وأمريكا واليابان وغيرها .

فتعرف حاجاتهم، ومقدارهم، وأماكن تواجدهم، ثم تفرض علينا نحن المسلمين من عرب وعجم ديناراً في كل شهر، أو نصفه أو ربعه؛ حتى تكون ميزانية أو خزينة هي أكبر خزينة مالية في العالم؛ إذ يساهم فيها ألف مليون، ومن ثم تتولى هذه اللجنة بناء المسجد، وإيجاد العالم الرباني المربي، والمؤذن، وتعطي الكتاب الموحِد، فتوحدهم على مذهب واحد فلا مالكي ولا حنفي ولا حنبلي ولا شافعي، ولا أباظي ولا زيدي ولا.

ولكن مسلمون فقط، يعملون بقال الله قال رسوله صلى الله عليه وسلم، وأقول هذا لأن الفرقة موجودة وعرفناها في كل بلد، ومن ثم تأخذ في تربية تلك الجاليات بالتربية الإسلامية الحقيقية، فما هي إلا أعوام وأنوار الإسلام تلوح في كل العالم.

ولا أعجب أن نجد في يوم من الأيام دولة تعلن عن دخولها في الإسلام، وذلك إذا شاهدت تلك الرحمة والأنوار الإلهية في تلك الأمة، هذا هو الواجب، أما أن ننتظر حتى نوجد الخلافة الإسلامية فهذا الرأي باطل باطل باطل، من يوجدها؟ وكيف توجد؟ إلا إذا كان المهدي وقامت القيامة! وهذه الكلمة لو بيننا كتاب في الجرائد عليهم أن يكتبوها -وإن كان البعض يضحك أو يسخر- حتى يُسمع ويُقرأ هذا الكلام: يجب أن توجد لجنة عليا يساهم فيها العالم الإسلامي، تدرس حال الجاليات الإسلامية في العالم كله، في أوروبا وأمريكا والشرق، وتعرف حاجات هذه الجاليات، وتمدها بالعالم الرباني، وبالكتاب الذي لا يفرّق، وترعاها وتهذبها، فما هي إلا سنيات والإسلام يزدهر في تلك البلاد، ونكون قد أدينا واجبك يا ربنا، واجب الدعوة إلى الله، وخلفناك يا رسول الله، وقمنا بما كنت تقوم به.

اللهم يا رب العالمين، ويا أرحم الراحمين وفق علماء المسلمين وحكامهم ليأخذوا بهذا الطريق يا رب العالمين، اللهم إن قلوبهم بيديك، وبين أصابعك يا رحمن، اللهم قلبها لتجتمع على ذكرك وطاعتك وعبادتك وحدك يا حي يا قيوم، وتخرج هذه اللجنة في العالم الجديد تدعو إلى الله، وتنشر راية لا إله إلا الله محمداً رسول الله.

اللهم يسر هذا ووفقهم إليه.

وصل اللهم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

دخلت السنة الثامنة من الهجرة، فكان أول أحداثها سرية غالب الليثي إلى بني الملوح، فعادت بالنصر والغنيمة ثم كانت سرية شجاع بن وهب إلى بني عامر، فأصابوا نعماً، ثم سرية عمرو بن كعب الغفاري إلى ذات الأطلاع، فلم ينج إلا هو، وكان رابع أحداث هذه السنة إسلام خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعثمان بن أبي طلحة، فكان إسلامهم حدثاً مهماً في تاريخ الدعوة الإسلامية.

أحداث السنة الثامنة من هجرة الحبيب صلى الله عليه وسلم

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.
أما بعد: فقد انتهى بنا الدرس إلى أحداث السنة الثامنة من هجرة الحبيب صلى الله عليه وسلم، ومضى -معنا من قبل- سبع سنين عايشنا فيها رسولنا وكأنه بين أيدينا، إلا أن قلوبنا قاسية، ما رقت ولا لانت، ولكن لا نيأس من روح الله.
اللهم رقق قلوبنا، وزك نفوسنا، وهذب آدابنا، وكمل أخلاقنا؛ لنكون حقاً أتباع نبيك ومصطفاك صلى الله عليه وآله وسلم.
قال: [أحداث السنة الثامنة من هجرة الحبيب صلى الله عليه وسلم ودخلت السنة الثامنة من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم] من مكة إلى المدينة، فهجر الحبيب صلى الله عليه وسلم أهل مكة وما فيها فراراً بدينه، وتنفيذاً لأمر ربه عز وجل ونزل بالمدينة، فهو مهاجر، ويقول صلى الله عليه وسلم في ذلك: (لولا الهجرة لكنت امرأً من الأنصار)، أي: لولا الهجرة ومقامها ومنزلتها عند الله لكنت رجلاً من الأنصار؛ لحبه للأنصار، ولمعرفته بكمالهم أيضاً، وما أوتوه من الفضل؛ إذ هم الذين آووا المهاجرين ونصروهم، ولكن حفاظاً على منزلة الهجرة ودرجتها لا أتحول إلى أن أكون من الأنصار.
والهجرة هي: أن تجد نفسك في وضعية لا تستطيع أن تعبد الله تعالى فيها، فتهاجر إلى مكان تعبد فيه الله، سواء كان قمة جبل أو سفحه، فالهجرة هي: الانتقال من مكان ما لم يمكنك أن تعبد فيه الله وتغادره إلى مكان آخر -بعد أو قرب- لتعبد الله فيه؛ لأنك ما خلقت إلا لتلك العبادة، فإذا تعطلت ماذا بقي لك؟ ثم العبادة هي أداة تزكية النفس وتطهيرها، فوالله لا تطهر النفس ولا تزكو إلا عليها، فإذا تعطلت العبادة خبثت النفس وتدنست، وأصبحت كأنفس الشياطين، وهل صاحب النفس الخبيثة يُلقى بروحه بعد الموت للملكوت الأعلى؟ والله ما كان، نعم يرفعها ملك الموت، ولكن ما أن يصل إلى السماء الأولى ويستأذن فلا يؤذن له! واسمعوا دليلاً من كتاب الله من سورة الأعراف، يقول تعالى: إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا [الأعراف:40] وهل المكذب كالمستكبر عبد الله؟ أيكذب الله ورسوله ويعبده؟ مستحيل! هل يطأطأ المستكبر رأسه وينحني بين يدي الله؟ هل يقضي واجباً من واجبات الله؟ الجواب: لا.
الذين كذبوا بآيات الله واستكبروا عنها أنفسهم خبيثة أم طيبة؟ والله لخبيثة؛ لأنهم ما استعملوا أداة التزكية والتطهير، منعهم من ذلك التكذيب والاستكبار، وكيف يعبد الله الذين كذبوا بالآيات القرآنية الحاملة لصنوف العبادات وضروب الطاعات -ومن كذب بها كمن استكبر عنها-؟ وإذا لم يعبده كيف تزكو نفسه أو تطيب أو تطهر؟ إذاً: لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ [الأعراف:40] وهذا تعليق على مستحيل! فهل البعير الأورق يدخل في عين الإبرة؟ والله لا يدخل، مستحيل! وكذلك ذو النفس الخبيثة مستحيل -بحكم الله- أن يدخل دار السلام، ويواكب النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.
أبعد هذا البيان نطلب بياناً؟ قال تعالى: وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ [النساء:69] من يطع الله والرسول يواكب هؤلاء؟ إي نعم، ما علة ذلك؟ لأنه زكى نفسه وطيبها وطهرها بهذه العبادات الدقيقة الموضوعة وضع الكيمياويات في دقتها، وعليها تزكو النفس البشرية، فمن لم يعبد الله عبادة صحيحة على أي شيء تزكو نفسه؟ مستحيل أن تزكو، وحكم الله الذي لا ننساه -وإن نسيه ملايين المسلمين- هو قوله تعالى: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا [الشمس:9-10] ومن يراجع الله في حكمه؟! أما قال عز وجل: وَاللَّهُ يَحْكُمُ لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ [الرعد:41].
إذاً: كن ابن من شئت، أو كن أباً لمن شئت، وكوني -يا امرأة- امرأة من شئت، فإنه لا قيمة لأبوة ولا لبنوة ولا لجنسية ولا لقبلية والنفس غير طاهرة، فالنفس الطاهرة فقط هي التي ترتفع إلى الملكوت الأعلى، أما النفس الخبيثة المنتنة فإنها تهبط إلى الدركات السفلى.

سرية غالب بن عبد الله الليثي الكلبي

قال: [وكان أول أحداثها: سرية غالب] وقد عرفنا معنى السرية والسرايا فيما مضى، وأنها مجموعة تسر بالليل بأمر القائد صلى الله عليه وسلم؛ لتؤدي واجباً من واجباتها.
[وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم غالب بن عبد الله الليثي الكلبي إلى بني الملوح، فلقيه في سيره الحارث بن البرصاء الليثي فأخذه أسيراً] قائد السرية هو الذي أخذ هذا الرجل أسيراً [فقال: إنما جئت لأسلم] أراد أن ينجو فقال: أنا جئتكم لأسلم، أي لأدخل في الإسلام [فقال له غالب : إن كنت صادقاً فلن يضرك رباط ليلة] يعني: أمر رجاله أن يربطوه في خيمة حتى يتبين أمره، فقد يكون عيناً وجاسوساً لقومه [وإن كنت كاذباً استوثقنا منك، ووكل به بعض أصحابه] قال: تولوا أمره [وقال له: إن نازعك] قال القائد للوكيل: إذا نازعك هذا وأراد أن يهرب [فخذ رأسه] لأنه مشرك كافر، ولعله جاء عيناً للمشركين غير صادق فيما ادعاه [وأمره بالمقام إلى أن يعود] يعني: ابق حتى نرجع [ثم ساروا حتى أتوا بطن الكديد فنزلوا بعد العصر، وأرسلوا جندب بن مكيث الجهني ربيئة لهم] أي: عيناً لهم.

[قال: فقصدت تلاً هناك يطلعني على الحاضر] وجد تلاً فطلع عليه ليراقب الساحة في المنطقة كلها [فانبطحت عليه] أي: على التل، والتل أرض مرتفعة لا كالجبل ولكن دونه [فرآني رجل منبطحاً] من العدو [فأخذ قوسه وسهمين، فرماني بأحدهما فوضعه في جنبي، فنزعته ولم أتحرك] إذ لو تحرك عرفوا وكلهم عيون [ثم رماني بالسهم الثاني فوضعه في رأس منكبي، فنزعته ولم أتحرك، فقال الرامي: أما والله! لقد خالطه سهماي، ولو كان ربيئة لتحرك] وهذا عفريت أيضاً.
قال: [فأمهلناهم] هذا القائد [حتى راحت مواشيهم] من إبل وأغنام وبقر [واحتلبوا] من مواشيهم [فشننا عليهم الغارة، فقتلنا منهم واستقنا منهم النعم] الإبل والبقر والغنم [ورجعنا سراعاً] إلى المحطة الأولى والمركز [وأتى صريخ القوم فجاءنا ما لا قبل لنا به حتى إذا لم يكن بيننا إلا بطن الوادي من قديد] تدفقت عليهم رجال المشركين [بعث الله عز وجل من حيث شاء سحاباً ما رأينا قبل ذلك مطراً مثله، فجاء الوادي بما لا يقدر أحد أن يجوزه، فلقد رأيتهم ينظرون إلينا ما يقدر أحد أن يتقدم.
وكان شعارنا في هذه السرية: أمت، أمت، وكنا بضعة عشر رجلاً] فقط.

نتائج وعبر من سرية غالب الكلبي

قال: [نتائج وعبر: إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبراً نجملها في الآتي: أولاً: بيان إنفاذ الرسول صلى الله عليه وسلم أمر ربه عز وجل في إبلاغ دعوته بلا كلل ولا ملل ولا فتور] ما تخرج سرية إلا ويعد أخرى ويرسلها؛ من أجل أن يُعبد الله عز وجل، ومن أجل أن تكمل البشرية وتسعد، تنفيذاً لأمر ربه بلا كلل ولا ملل أبداً.
[ثانياً: بيان الصبر والتحمل في ذات الله عز وجل وأنه شعار المؤمنين الصادقين] الصبر على الأذى وتحمل التعب والبلاء في ذات الله عز وجل شعار المؤمنين الصادقين في إيمانهم.
[ثالثاً: مشروعية الغزو في سبيل الله ليعبد الله وحده، فيكمل الناس ويسعدوا على عبادته تعالى.
رابعاً: بيان إكرام الله تعالى لأوليائه بإنجائهم بالمطر والسيول وبما شاء من أسباب] ثلاثة عشر رجلاً تدفقت عليها قبيلة بكاملها، من حماهم؟ الله! بسحابة أمطرت مطراً حتى سال الوادي فلا يستطيع أحد أن يجتازه، وهذه كرامة الله لأوليائه.

سرية شجاع بن وهب

قال: [وثاني أحداثها: سرية شجاع وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم شجاع بن وهب إلى بني عامر في أربعة عشر رجلاً، فأصابوا نعماً] والنعم: الإبل والبقر والغنم [فكان سهم كل واحد منهم خمسة عشر بعيراً].

سرية عمرو بن كعب الغفاري

قال: [وثالث أحداثها: سرية عمرو بن كعب وبعث صلى الله عليه وسلم عمرو بن كعب الغفاري إلى ذات الأطلاع في خمسة عشر رجلاً، فوجد بهما جمعاً كثيراً فدعاهم إلى الإسلام، فأبوا أن يجيبوا، وقتلوا أصحاب عمرو] إلى رحمة الله [ولم ينج إلا هو] دعاهم إلى الإسلام فرفضوا، وحملوا السلاح وقتلوا السرية ولم ينج منها إلا قائدها الذي عينه رسول الله صلى الله عليه وسلم [وكانت ذات الأطلاع هذه من ناحية الشام -وهم من قضاعة- ورئيسهم يقال له: سدوس].

إسلام كل من خالد وعمرو وعثمان بن أبي طلحة

قال: [ورابع أحداثها: إسلام كل من خالد و عمرو و عثمان] خالد بن الوليد ، و عمرو بن العاص رجالات الإسلام المتفوقون و عثمان بن أبي طلحة .
قال: [إن في إسلام كل من خالد بن الوليد و عمرو بن العاص و عثمان بن أبي طلحة العبدري نصراً كبيراً] للإسلام والمسلمين [وفتحاً عظيماً للدعوة الإسلامية؛ ولذا كان إسلامهم حدثاً هاماً في تاريخ الدعوة، وقد تأخر إسلامهم إلى صفر من هذه السنة الثامنة.
وهذا بيان كيفية إسلامهم رضي الله عنهم وأرضاهم: يقول عمرو] وهو أشهر سياسي في الصحابة، لو اجتمع ساسة العالم اليوم من غير أهل الإيمان والإسلام لا يساوون نعله رضي الله عنه، ومن قال: كيف؟ نقول: ما هي آثار السياسة الجديدة في العالم؟ أليس الخبث، والنتن، والعفونة، والبلاء، والشر، والفساد، والكفر، ماذا أنتجت هذه السياسة؟! فلهذا لا نقبل سياسياً لا يستمد أنوار معرفته من نور الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فهو يتخبط في الضلال، ولعل بعض الساسة حاضرون فيغضبون، وليغضبوا! وليقولوا: هذا الشيخ مجنون!!
فإذا قلتم: هناك ساسة خريجوا كليات السياسة في العالم، فنقول: أين آثار تلك السياسة؟ هل تجلت في الرحمة الإنسانية؟ هل تجلت في الطهر والصفاء؟ هل تجلت في العدل والمساواة؟ لا، ولكن عم الدنيا الخبث، وتعفن الكون من الباطل والشر والفساد، فأين آثار السياسة الرشيدة؟! قال: [لما انصرفنا عن الخندق] والجمع خنادق، وهو حفر في الأرض، يقصد غزوة الخندق، ومن قرأ سورة الأحزاب يقف عليها موضعاً موضعاً، وكانت غزوة الخندق عبارة عن تألب المشركين في الشرق والغرب والجنوب والشمال على إنهاء الروح المحمدية، وإطفاء النور الإلهي الذي بعث به، والذي دبر هذه المكيدة، وجاء بجحافل الجيوش الكافرة يهودي اسمه: حيي بن أخطب أبو

صفية أم المؤمنين رضي الله عنها وأرضاها، وذلك انتقاماً لإخراج الرسول صلى الله عليه وسلم له مع قومه (بنو النضير) من المدينة، فذهب يكيد ويمكر وجاء بالجيوش، ولكن الله هزمهم بعد خمسة وعشرين يوماً من البرد والعواصف.
وفي ليلة ست وعشرين أرسل الله ريحاً ما عرفتها الدنيا، فوالله! إن خيامهم لترتفع إلى عنان السماء، وقدورهم تُكفأ بما فيها من اللحم والطعام، فأعلن قائدهم أبو سفيان -رضي الله عنه وأرضاه- الرحيل، وأنه لا فائدة من البقاء، واقرءوا قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا * إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ [الأحزاب:9-10]، ولما انهزموا قال أبو القاسم -فداه أبي وأمي-: (الآن نغزوهم ولا يغزوننا).
قال: [قلت لأصحابي: إنني أرى أمر محمد يعلو علواً منكراً] يعني: يعلو علواً لا يعرف [وإني قد رأيت أن ألحق بالنجاشي] لا أبقى في هذه الديار وألتحق بملك الحبشة [فإن ظهر] أي: محمداً [على قومنا كنا عند النجاشي] واسترحنا [وإن ظهر قومنا على محمد فنحن من قد عرفوا.
فقالوا له] رفاقه [إن هذا الرأي] يعني: ما رأيته هو الرأي [قال: فجمعنا له، أي: للنجاشي أدماً كثيراً هدية] والأدم: تمر البرني، و(خير تمراتكم البرني)، أي: أخذوا كمية من التمر البرني هدية، والحبشة ليس فيها تمر.
قال: [وخرجنا إلى النجاشي، فإنا لعنده إذ وصل عمرو بن أمية الضمري رسولاً من النبي صلى الله عليه وسلم] والله يسوق أقدراً لأقدار، ما إن وصل عمرو حتى جاء رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم [في أمر جعفر وأصحابه، فدخلت على النجاشي، وطلبت منه أن يسلم إلي عمرو بن أمية ؛ لأقتله؛ تقرباً إلى قريش بمكة، فلما سمع النجاشي كلامي غضب وضرب أنفه ضربة ظننته أنه قد كسره -أي النجاشي- فخفته، ثم قلت: والله! لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتكه، قال: أتسألني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي لموسى لتقتله؟] رضي الله عن النجاشي فقد فاز بها، وكأننا نرى -في هذا المكان- الرسول يصلي عليه يوم مات، فقد بلغه نبأ وفاته بالوحي الإلهي، فخرج بأصحابه غرب المسجد وصلى عليه صلاة الغائب.
والناموس الأكبر: هو الوحي الإلهي بواسطة جبريل عليه السلام.
قال: [قلت: أيها الملك، أكذلك هو؟ قال: ويحك يا عمرو!! أطعه واتبعه؛ فإنه والله لعلى الحق] هل المسلمون أطاعوا رسول الله واتبعوه؟ أسألكم بالله! لو أطاعوه صدقاً واتبعوه حقاً أيذلون، ويهينون، ويفتقرون، ويتمزقون، ويتعادون، ويتحاربون؟! لا والله، ولكن ما أطعناه ولا اتبعناه.
قال: [وليظهرن على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنده] وصح هذا [فقلت: فبايعني له على الإسلام، فبسط يده فبايعته، ثم خرجت إلى أصحابي وكتمتهم إسلامي، وخرجت عائداً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم] بايع النجاشي على الإسلام، ووضع يده على يده، وهذه هي البيعة.
قال: [ولقيني خالد بن الوليد] وخالد هو من كان سبباً في هزيمة المؤمنين في أحد؛ وكان الرسول صلى الله عليه وسلم قد وصى رجاله الذين على الجبل أن يثبتوا والرماح والنبل في أيديهم سواء هزم المسلمون أو انتصروا، فلما جالت الجماعات في المعركة وانهزم المشركون، وأخذوا فارين هاربين، والنساء مشمرات عن خلاخلهن، قال الرماة: انتهت المعركة، هيا نهبط لنأخذ الغنائم كما يأخذ إخواننا، فقال قائدهم: أنا لا آمركم أبداً ولا آذن، فالرسول أمرنا أن نقيم هنا ونثبت انتصرنا أو هزمنا، فهبطوا، فاحتل خالد الجبل، جبل الرماة -وهو موجود الآن عند قبر حمزة- مع رجاله وصبوا البلاء على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتشتتوا وكانت الهزيمة.
قال: ولقيني خالد بن الوليد [وذلك قبل الفتح] إذ فتح مكة كان في السنة الثامنة من الهجرة [وهو مقبل من مكة، فقلت: إلى أين يا أبا سليمان ؟] وهذه كنيته؛ إذ ولده سليمان [قال: والله! لقد استقام المنسم] أي: تبين الطريق ووضح لنا، وعرفنا أن هذا الرجل على الحق [إن الرجل لنبي، أذهبُ -والله- أسلم، فحتى متى؟ فقلت: ما جئت إلا للإسلام، فقدمنا على النبي صلى الله عليه وسلم، فتقدم خالد بن الوليد فأسلم، ثم دنوت فأسلمت، وتقدم عثمان فأسلم] هؤلاء من أبطال الإسلام، ولكن تأخر إسلامهم، وهو تدبير الله عز وجل؛ ليبلوا ويبتلوا.

نتائج وعبر من إسلام كل من خالد وعمرو وعثمان بن أبي طلحة

قال: [نتائج وعبر: إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبراً نجملها في الآتي: أولاً: بيان فضل العلم الشرعي] كيف ظهر لنا هذا؟ [فإن النجاشي آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم لما له من علم بذلك] ما تقولون في هذه النتيجة؟ نعم والله! ما هبط بنا إلا الجهل، لقد جهلنا وما عرفنا ربنا، لا محابه ولا مكارهه، لا ما أعده لأوليائه، ولا ما أعده لأعدائه، فهبطنا من سماء الكمالات إلى الأرض، فركب ظهرنا العدو وساسنا، واستعمرنا وتركنا كالبهائم، إنه الجهل والله العظيم، وأضرب دائماً أمثلة: أيها المؤمن! أنت في قرية تعيش أو في مدينة، أسألك بالله! هل رأيت أعلمكم يفسق ويفجر ويكذب ويثير الفتن؟ والله لا تجد.
من هم الذين يثيرون الفتن والباطل والسرقة والفساد؟ أهم العلماء؟! والله للجهال! أقسم بالله! وأعلمنا هو أصفانا وأتقانا لربنا، واقرءوا: إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ [فاطر:28]، ولكن إلى متى نظل جهالاً؟ وما هو الطريق؟ وما الحل؟ الطريق هو أن نسلم -في صدق- قلوبنا ووجوهنا لربنا، قال تعالى: وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ [النساء:125]، ثم أهل القرية في الجبل أو السهل، في بلاد العرب أو العجم، يتعهدهم إمامهم الذي يصلي بهم الجمعة ويقول لهم: معاشر الأبناء والإخوان لا يتخلفن بعد اليوم أحد -لا امرأة ولا رجل- عن صلاة المغرب والعشاء في مسجدنا هذا، إلا مريضاً أو ممرّضاً، أما الحيض فيجلسن بجوار باب المسجد.
ويصلون المغرب كلهم فلا يبقى في القرية أحد، ثم يجلس لهم العالم الرباني بعد صلاة المغرب -والنساء صفوفاً من وراء الستارة، ومكبر الصوت بينهن، والأطفال الصغار المميزون من السابعة فما فوق صفوفاً كالملائكة مقبلين على طلب الهدى، والفحول جالسون أمام المربي- يعلمهم كل يوم آية واحدة من كتاب الله، من بين ستة آلاف ومائتين وأربعين آية، فيأخذ المربي يتغنى بها، وهم يرددونها نساءً

ورجالاً وأطفالاً بصوت خافت، وبعد عشر دقائق أو ربع ساعة يحفظها كل الحاضرين والحاضرات، فتكون آية تُشرق لها قلوبهم، وتزكو بها نفوسهم.
وبعد حفظها يأخذ في تفسيرها، وشرحها، وبيانها، ويضع أيديهم على ما كان أمراً لله فيها فينهضوا به، وعلى ما كان نهياً فينتهوا عنه على الفور، وعلى ما كان عقيدة فيعقدوه في قلوبهم فلا ينحل أبداً، وإذا كان أدباً أو خلقاً علّمهم إياه، وقال: من الآن نتأدب بهذا الأدب أو نتخلق بهذا الخلق.
فيصلون العشاء ويعودون لا همّ لهم إلا تلك الأنوار التي دخلت قلوبهم، وكلهم عزم وتصميم على أن يطبقوا ما علموه عن الله عز وجل، ويدخلون بيوتهم بعد صلاة العشاء، لا تلفاز ولا فيديو، ولا عاهرة تغني، ولا مزمار يزمّر، ولا تطلّع إلى أوساخ الدنيا وخبائثها، فينامون مستريحين، ولا يطلع الفجر إلا وهم قيام يشهدون صلاة الصبح، ومنها ينطلقون رأساً إلى مزارعهم ومعاملهم ومتاجرهم يعملون، وكلهم قوة.
وفي الليلة الثانية: يشرح لهم حديثاً من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم من مرويات الصحاح، قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يكذبه ولا يخذله، كل المسلم على المسلم حرام؛ دمه وعرضه وماله)، فيتغنون بالحديث ربع ساعة ويحفظونه، فإذا رسخ في نفوسهم، وضعوا أيديهم على المطلوب منه، وهو أن المسلم الذي أسلم قلبه لله، لا يفكر إلا فيما يرضي الله، ومن أسلم وجهه لله لا يُقبل به إلا على الله سائلاً، ضارعاً، طالباً.
ذاك هو المسلم.
يا من أسلمت قلبك ووجهك لله، هذا أخوك فاسمع ماذا قال الحبيب فيه: لا تكذب عليه، ولا تظلمه، ولا تخذله، فكله حرام عليك، دمه، وعرضه، وماله.
وهكذا تمسي القرية كلها في جسم واحد، ولو تركوا أبواب بيوتهم مفتوحة ما دخل منها عليهم أحد! وأعراضهم كذلك مصانة، لا يفضحها أحد! وفي الليلة التي تليها آية، وما بعدها حديث .
وهكذا طوال العام، فإذا مرت سنة -أسألكم بالله- هل يبقى بينهم جاهل أو جاهلة لا يعرف الطريق إلى الله، أو لا يعرف محاب الله؟ هل يبقى بينهم من يكذب أو يفجر أو يسرق أو يشتم أو يحتال على ما في جيوبهم وأيديهم؟! والله! ما كان.
هل يبقى بينهم من يجوع وهم شباع؟! والله! ما كان.
هل يبقى بينهم عارٍ يقتله البرد وهم مكسوون؟! والله! لا يكون.
ولعل هناك من يقول: كيف تحلف يا شيخ؟! أي نعم أحلف؛ لأنهم عرفوا الطريق إلى الله، فلا يستطيعون أبداً أن يبيتوا شباعاً وأخوهم يتلوى من الجوع، والله! لا يكون.
وبقي: كيف يتحقق هذا الطهر، والصفاء، والأمن، والإخاء، والمودة، والحب؟! بالاشتراكية، بالبلشفة، بالإلحاد، بالعلم والعلمانية؟! بم يتحقق هذا؟ بالقبلية، بالوطنية؟ والله! لا يتحقق إلا بنور الله وحكمة رسول الله صلى الله عليه وسلم.
هذا هو الطريق -والله!- لا طريق سواه لإنقاذ هذه الأمة وإنجائها مما هي فيه، ورفعها إلى مستواها الذي كانت تعيشه في قرونها الذهبية الثلاثة، ما هو إلا الكتاب والحكمة، وبهذا النوع من التلقي، لا بالمدارس والكليات والجامعات.
وقد كتبنا كتاباً مفتوحاً إلى مسئولي أمة الإسلام علماء وحكاماً، ودرّسناه هنا من أوله إلى آخره في يومين أو ثلاثة، ولكن كأنما وضع على القبور، فما تحرك أحد، لا في الشرق ولا في الغرب، وبعثنا لخادم الحرمين -حفظه الله وأطال عمره- أن يأمر رابطة العالم الإسلامي بترجمته وإرساله للملوك والرؤساء وفعل -اللهم! احفظه واحفظ حكومته- ولكن الرابطة لم تفعل شيئاً، لماذا؟! العلة: أننا ما زلنا هابطين، فما دقت ساعة النهوض والعودة إلى الكمال، مع أن هذه الخطة لا تكلفهم مالاً، ولا تعطل مصانعهم ومتاجرهم، وما هي إلا مريحة لهم، وقد قلنا إن الشرق والغرب في بلاد الكفر إذا دقت الساعة السادسة مساءً وقف دولاب العمل، وخرج الرجال والنساء إلى المقاهي والملاهي والمراقص والملاعب إلى نصف الليل، ونحن لا نستطيع أن نذهب إلى بيت ربنا نبكي بين يديه، ونسأله إنقاذنا؟ أعوذ بالله منا! أمسحورون نحن؟ ثم إذا عكفنا في بيت الرب ساعتين تعلمنا الهدى، وأخذنا بالنور الإلهي، فتنطفئ كل شعلة من المعاصي والجرائم والموبقات، ورجالنا إذا صلوا الصبح ذهبوا إلى أعمالهم، ليس الساعة السابعة أو الثامنة، ولكن رأساً يعملون وينتجون أكثر مما ينتج الكافرون في مزارعهم ومصانعهم.
آه لم يحن الوقت بعد .
!! [ثانياً: بيان تدبير الله في خلقه، وذلك واضح] بيّن [في تأخر إسلام خالد وعمرو و عثمان بن أبي طلحة من كمال عقولهم وذكائهم، وعظم دهائهم] ليدخل الله في رحمته من يشاء.
[ثالثاً: سماحة الإسلام إذ احتضن الثلاثة مع ما قاموا به ضده وما تصرفوا ضد أهله ومن مبادئه: (التوبة تجب ما قبلها)] سماحة الإسلام ظهرت لنا في هذه القصة؛ إذ احتضن هؤلاء الثلاثة وقبلهم، ولو كنا نحن هل نقبلهم؟! هؤلاء قتّلوا وشردوا وفعلوا وفعلوا .
أو لعلنا نقول: اقتلوهم! وقد جربنا هذا، فعندما كانت تحارب الأمة الاستعمار الفرنسي أو الإيطالي أو البريطاني، ما إن ينتصر الشعب حتى يبحث عن الذين كانوا ضده، ويقول: اقتلوهم، اذبحوهم.
!! وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

كانت سرية ذات السلاسل هي خامس أحداث السنة الثامنة من الهجرة، بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت إمرة عمرو بن العاص إلى قبيلة بلى، ثم تلتها سرية بقيادة عمرو أيضاً إلى ابني الجلندي بعمان، فآمنا، وأخذ الجزية من مجوس عمان، ثم كانت سرية أبي عبيدة إلى ساحل البحر، وفي جمادى الأولى من هذه السنة كانت غزوة مؤتة والتي أظهر فيها المسلمون صموداً قلّ نظيره.

سرية ذات السلاسل

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.
أما بعد: ها نحن مع أحداث السنة الثامنة من الهجرة النبوية الشريفة الخالدة، قال: [وخامس أحداثها: سرية ذات السلاسل وبعث الحبيب صلى الله عليه وسلم] محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي فرض الله حبه، فمن لم يحبه فهو ليس بمؤمن، والحب قد يصدق فيه المحب وقد لا يصدق، فالذي يحب حبيبه يطيعه، ويمشي وراءه ولا يتقدمه.
بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم [عمرو بن العاص] أحد رجالات السياسة والدهاء والعلم والبصيرة، وهو أحد أصحاب الحبيب صلى الله عليه وسلم، وقد عرفنا في حديث سابق كيف أسلم [إلى أرض بلى وعذرة يدعون الناس إلى الإسلام، وكانت أم عمرو من بلى] وبلى وراء وادي القرى من الشام.
قال: [فتألفهم بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسار عمرو حتى وصل ماء جذام المسمى بالسلاسل] ماء يعرف بالسلاسل لقبيلة جذام [وبه سميت هذه الغزوة، "غزوة ذات السلاسل" فلما كان به خاف] أي عمرو [فبعث إلى النبي صلى الله عليه وسلم يستمده] رجالاً وجيشاً يعينه به [فبعث إليه أبا عبيدة بن الجراح في جماعة من المهاجرين والأنصار] من أهل مكة والمدينة [فيهم أبو بكر و عمر] سادات المهاجرين [وقال الحبيب صلى الله عليه وسلم لأبي عبيدة : (لا تختلفا) -أي أنت وأمير السرية عمرو بن العاص -] بعد أن بعث الرسول صلى الله عليه وسلم أبا عبيدة على هذه المجموعة التي أرسلها إمداداً لعمرو بن العاص ، أوصاه بأن لا يختلف مع عمرو ، وحذره من الاختلاف معه؛ لأن الخلاف كله شر لا خير فيه.
[فخرج أبو عبيدة ومن معه، فلما قدموا على عمرو ، قال عمرو : يا أبا عبيدة ! إنما جئت مدداً إلي] يعني: ما جئت قائداً علي، ولكن مدداً أمدني به رسول الله صلى الله عليه وسلم [فقال أبو عبيدة : يا عمرو ! إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا تختلفا)] علم هذا قبل وقوعه صلى الله عليه وسلم، وإن شئت قلت لذكائه وفطنته وأنواره، أو لتعليم الله له [فإن عصيتني أطعتك] امتثالاً لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم [قال: فأنا أمير عليك] القائل عمرو [قال: فدونك] يعني: تفضل [فصلى عمرو بالناس] وهذه علامة القيادة والإمارة [وبالمدد الذي بعث به رسول الله صلى الله عليه وسلم] والمدد من الجائز لهم أن يقولوا: نصلي وراء أميرنا، ولكن قلوبهم ملأى بالإيمان وأنواره، فلهذا صلوا وراء عمرو بن العاص أجمعين.
قال: [بلغ عدد أفراد السرية نحواً من خمسمائة رجل] بالمدد أصبحوا قرابة الخمسمائة رجل [فضربوا في المنطقة شرقاً وغرباً] على فرق فرق [ودوخوا من فيها].
وفي هذه السرية احتلم عمرو] نام كما ينام الفحول فاحتلم [فلم يغتسل خوفاً من الموت لشدة البرد] كانوا في الشتاء والمنطقة باردة [وإنما استنجى] غسل فرجيه [وتوضأ] وضوء الصلاة، فغسل أطرافه [وتيمم وصلى، ولما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك سكت فأقر عمراً على فعله].
هذا ما كان في سرية ذات السلاسل، دوخوا المنطقة، وحدث فيها هذا الحادث الفقهي وهو أن عمراً -القائد- احتلم فخاف على نفسه الوفاة أو الموت من شدة البرد فلم يغتسل، فاستنجى وتوضأ ثم تيمم وصلى، فرفعوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسكت ولم يجبهم، ومعنى ذلك أنه أقر عمراً على فعله، وهذا الذي عليه أمة الإسلام إلى اليوم، أعني أهل السنة والجماعة، فإذا احتلم المرء ولم يجد ماءً ساخناً أو لم يجد ماءً مطلقاً وخاف على نفسه الضرر يستنجي، فيغسل فرجيه ويتوضأ، ثم يتيمم ويصلي، فإذا وجد الماء بعد ساعات أو بعد يوم، يغتسل ولا يعيد صلاته، وتكفيه تلك الصلاة.

سرية عمرو بن العاص (إلى جيفر وعباد ابني الجلندي)

[وسادس أحداثها: سرية عمرو بن العاص] هذه سرية أخرى.
[وبعث صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص إلى جيفر و عباد ابني الجلندي بعمان، فآمنا وصدقا وأخذ الجزية من المجوس القاطنين بعمان] نجح عمرو في هذه المرة، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد بعثه إلى قائدين هما جيفر و عباد ابني الجلندي بعمان، فآمن الرجلان وصدقا، وأخذ عمرو الجزية من المجوس القاطنين هناك.

سرية الخبط (بقيادة أبي عبيدة بن الجراح إلى ساحل البحر)

[وسابعة أحداثها: سرية الخبط] والخبط: هو أن تأخذ عصاك وتضرب الشجرة فتتساقط أوراقها، يقال: خبطه يخبطه بالعصا، وسرية الخبط هذه تحمل حدثاً عجباً.
قال: [وفي هذه السنة الثامنة من الهجرة، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية] وهي عدد من الرجال يسرون بالليل [جعل عليها أبا عبيدة عامر بن الجراح] أحد العشرة المبشرين بالجنة [وعدد أفرادها ثلاثمائة مقاتل] ما منهم أحد إلا ويقوى على حمل السلاح [وزودهم رسول الله بجراب من التمر ووجههم نحو ساحل البحر، ونفذ جراب التمر حتى كانوا يعطون منه تمرة تمرة، وقال أحدهم: قلت في نفسي: ماذا تغني هذه التمرة؟ ولما فقدتها عرفت قيمتها يومئذ، وجاعوا حتى كانوا يضربون ورق الشجر، فيسقط فيجمعونه ويبلونه بالماء ويأكلونه؛ ولهذا سميت هذه السرية: سرية الخبط، ولما قربوا من البحر] على الساحل [لاح لهم شيء كأنه كثيب رمل] ظهر لهم شيء كأنه كثيب من الرمل على الساحل [فدنوا منه] وقربوا [وإذا هو دابة من دواب البحر ميتة] وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا [هود:6]، وكل ما يدب على الأرض دابة، والحيتان تدب في البحر ببطونها [يقال لها: العنبر].
قال: [فأكلنا منه نحواً من نصف شهر] قرابة خمسة عشر يوماً وهم يأكلون من لحم هذه الدابة [حتى سمنّا] أي: كثر فينا السمن، وذهبت تلك الهزالة [وكنا نغترف من عينها الدهن بالمغراف] حفرة العين تمتلئ بالزيت من الشحم الذي يذوب [ونصبنا ضلعين من أضلاعها فكانت الراحلة تدخل تحتها ولا تمسها] الناقة وما عليها تدخل تحت الضلعين ولا تمسهما [وتزودنا من لحمها] إذاً: يجوز أكل لحم الميتة إذا كانت من البحر [ولما وصلنا إلى المدينة النبوية وذكرنا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم] قصوا عليه القصة وحدثوه بما وقع [قال: (هو رزق أخرجه الله لكم، فهل معكم شيء من لحمه تطعمونا؟)] أراد أن يطيب خواطرهم، ويرفع من معنوياتهم، فقال: (هل معكم شيء من لحمه تطعمونا) [فأرسلنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منه شيئاً فأكله].

نتائج وعبر من بعض سرايا النبي صلى الله عليه وسلم

[نتائج وعبر: إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبراً نوجزها كالتالي: أولاً: مواصلة الدعوة إلى الله تعالى، وإبلاغ رسالته صلى الله عليه وسلم إلى كافة الناس لإصلاحهم وإسعادهم في الدنيا والآخرة] أخذنا هذا من هذه السرايا، فما إن فتح الله عليه حتى أخذ يبعث السرايا في الشرق والغرب والجنوب، ليكمل دعوته؛ لإدخال الناس في رحمة الله، وإخراجهم من ظلمة الكفر وفتنة جهنم.
[ثانياً: بيان صبر الصحابة وتحملهم الشدائد في ذات الله تعالى ما كانوا به مضرب المثل] أخذنا هذا من أكلهم الخبط والصبر في ذات الله.
[ثالثاً: بيان إكرام الله تعالى لأصحاب رسوله صلى الله عليه وسلم بأن ساق لهم العنبر، فأكلوا نصف شهر منه] كرامة الله لهم! ولو لم يكرمهم الله لماتوا جوعاً؛ لأنهم متى يصلون إلى المدينة؟! [رابعاً: جواز أكل ميتة البحر] وهذا لا خلاف فيه بين أهل السنة والجماعة؛ إذ يقول الكريم صلى الله عليه وسلم في البحر: (هو الطهور ماؤه الحل ميتته)، فميتة البحر كلها كيفما كانت حلال، وماؤه يُتوضأ به ويغتسل، وإن كان ملحاً أجاجاً.
[خامساً: بيان تطييب رسول الله صلى الله عليه وسلم لخواطر أصحابه وتزكية نفوسهم، وذلك بأكله من لحم الحوت الميت.
وهو القائل في البحر: (هو الطهور ماؤه الحل ميتته)].

سرية أبي قتادة (إلى الغابة)

[وثامن أحداثها] أحداث السنة الثامنة، والأحداث جمع حدث.
[سرية أبي قتادة] رضي الله عنه.
[وفي شعبان من هذه السنة] الثامنة [وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا قتادة ومعه عبد الله بن أبي حدرد -في رجال-] ما ذكر عددهم [إلى الغابة، حيث بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رفاعة بن قيس قد جمع جموعاً ونزل بالغابة يريد حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم] وهذا بعد الانتصارات التي علم بها لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فسار بجيشه يريد أن يغزو رسول الله في المدينة، وساقه القدر [ولما بلغوا من الحاضر] أي: المدينة الحاضرة [مع غروب الشمس، كمن كل واحدٍ منهم في ناحية] هؤلاء الذين بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كمن كل واحد منهم في ناحية [وكان لقوم رفاعة راعٍ فأبطأ عنهم، فخرج رفاعة بن قيس في طلبه ومعه سلاحه، قال عبد الله بن أبي حدرد : فرميته بسهم فأصبت فؤاده فلم يتكلم، فأخذت رأسه ثم شددت في ناحية العسكر، وكبرت] الله! أكبر [وكبر أصحابي، فوالله! ما كان إلا النجاء، أي هرب أهل الحاضر طالبين النجاة لأنفسهم، فأخذوا نساءهم وأولادهم وما خف عليهم من أموالهم، واستقنا الإبل الكثيرة والغنم، فجئنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأس رفاعة] هذا الذي جاء يغزو رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه الآن في الجراب.
[قال عبد الله : فأعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم من تلك الإبل ثلاثة عشر بعيراً وعدل بعير، وعدل البعير بعشر من الغنم] أي: ثلاثة عشر بعيراً وعشراً من الغنم؛ واستحق هذه الجائزة، فقد جاء برأس الطاغية، بعد أن قتله بسهمه.

سرية أبي قتادة إلى إضم

[وتاسع أحداثها] أحداث هذه السنة الثامنة.

[سرية أبي قتادة إلى إضم وفي هذه السنة أيضاً أغزى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا قتادة إلى (إضم) ومعه محلم بن جثامة ، فمر عليهم عامر بن الأضبط الأشجعي على بعير له] مر على السرية عامر بن الأضبط الأشجعي على بعير له [ومعه متاعه] يحمله على البعير [فسلم عليهم بتحية الإسلام] السلام عليكم [فأمسكوا عنه، وحمل عليه محلم بن جثامة فقتله وأخذ بعيره ومتاعه، ولما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبروه الخبر، فنزل قوله تعالى من سورة النساء: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا [النساء:94]].
إذاً: إذا قال الرجل: السلام عليكم، أو: آمنت بالله، أو: لا إله إلا الله، لا تقل: هذا يريد أن يقي نفسه وماله وتقتله لأجل ماله، فهذا خطأ وقع، ولكن الله عز وجل عفا وتكرم؛ لأنهم كانوا مجتهدين، وظنوا أنه قال هذه الكلمة ليقي ويحفظ نفسه وماله، وحتى إن قال ذلك ليحفظ نفسه يُقبل منه؛ فلو تركوه يمشى معهم لعله يؤمن في الساعة الأولى، ويدخل في الإسلام.

غزوة مؤتة

[وعاشر أحداثها: غزوة مؤتة] في الشام.
[هذه إحدى الغزوات العظيمة في الغزو الإسلامي: وكانت في جمادى الأولى من سنة ثمان] قبل شعبان [فقد حدد الرسول صلى الله عليه وسلم زمانها ومكانها، وعين أمراءها: فعين زيد بن حارثة مولاه أميراً عليها، فإن أصيب فـجعفر بن أبي طالب] ابن عمه [فإن أصيب فـعبد الله بن رواحة] وسبحان الله كما عينهم استشهدوا واحداً بعد واحد.
قال: [وكان عدد أفراد هذه السرية ثلاثة آلاف مقاتل] بعثهم إلى بلاد الروم [ولما عين الحبيب صلى الله عليه وسلم زيداً أميراً وجد جعفر في نفسه] يعني: هذا مولى من موالي العرب و جعفر ابن عم رسول الله الهاشمي القرشي، فكيف يعين زيداً ولا يعينه؟! [وقال: (يا رسول الله! ما كنت أذهب أن تستعمل علي زيداً)] يعني: لا أستطيع أن أمشي تحت إمارة أو قيادة مولى [(فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: امض؛ فإنك لا تدري أي ذلك خير)] يعني: أن تكون أنت الأمير أو يكون هو الأمير، لا تدري في أيهما الخير.
قال: [وعندها بكى الناس] الناس الذين كانوا متجمعين يودعون جيشهم بكوا [وقالوا: هلا متعتنا بهم يا رسول الله] أي: لو تركتهم لا يخرجون فيموتوا [وكان إذا قال: (فإن أصيب فلان فالأمير فلان) أصيب كل من ذكره] يعني: أنهم جربوه في غير هذه الحادثة، فإذا قال لرجاله: إذا أصيب فلان ففلان، فكلهم يستشهدون على ما ذكر، فلهذا ألف الصحابة هذا وقالوا: هلا متعتنا بهم يا رسول الله؟! [وتجهز الناس وودعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس، ولما ودع عبد الله بن رواحة بكى فقال له الناس: ما يبكيك؟! فقال: ما بي حب الدنيا ولا صبابة بكم، ولكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ آية وهي قوله تعالى: وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا [مريم:71]، فلست أدري، كيف لي بالصدر بعد الورود] إذا كان ما منا إلا ويرد جهنم، فإذا ورد كيف يصبر، وكيف يخرج، وما بين تعالى كيفية الخروج والصدور [فقال المسلمون: صحبكم الله وردكم إلينا صالحين] دعوا لهم بهذه الدعوة: (صحبكم الله) أي: في سفركم (وردكم إلينا صالحين) وعلينا أن نحفظها، فإذا سافر إخواننا إلى الحج أو العمرة أو إلى الجهاد -عندما يوجد جهاد- نقول لهم: (صحبكم الله، وردكم إلينا صالحين).
لا فاسدين، ونقولها -أيضاً- للذين يذهبون إلى أوروبا والخارج، فهم في حاجة إلى دعوة كهذه، حتى يعودوا صالحين.
قال: [ولما تهيأ القوم للخروج، أتى عبد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم فودعه] عبد الله بن رواحة جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وودعه [ثم قال: أنت الرسول فمن يحرم نوافله والوجه منه: فقد أزرى به القدر فثبت الله ما آتاك من حسن في المرسلين ونصراً كالذي نُصروا إني تفرست فيك الخير نافلة فراسة خالفت فيها الذي نظروا] أي: المشركين.
[ثم خرجوا وساروا حتى نزلوا معان من أرض الشام، فبلغ الناس أن هرقل قد نزل مآب من أرض البلقاء] مكان اسمه مآب [في مائة ألف من الروم] وعدد الصحابة ثلاثة آلاف! [ومائة ألف من العرب المتنصرة من لخم وجذام والقين وبلى.
فأقام المسلمون بمعان ليلتين ينظرون أمرهم، وقالوا: نكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم نخبره الخبر، وننتظر أمره] وبعد ذلك نمضي أو نرجع.
[فشجعهم عبد الله بن رواحة وقال: يا قوم، والله! إن الذي تكرهون للذي خرجتم تطلبون: إنه الشهادة، وما نقاتل بعدد ولا قوة، ولا نقاتلهم إلا بهذا الدين، فانطلقوا فما هي إلا إحدى الحسنيين، فقال الناس: صدق والله، وساروا فتلقتهم جموع الروم والعرب بقرية من البلقاء يقال لها: مشارف، وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها: مؤتة، فالتقى الناس عندها، وكان على ميمنة المسلمين قطبة بن قتادة العذري وعلى ميسرتهم عبادة بن مالك الأنصاري ، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فقاتل زيد براية رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى شاط في رماح القوم -أي: مات- ثم أخذها جعفر بن أبي طالب فقاتل بها، وهو يقول: يا حبذا الجنة واقترابها طيبة وبارداً شرابها والروم روم قد دنا عذابها علي إذ لاقيتها ضرابها ثم عقر فرسه وهو أول فرس عقر في الإسلام، وقاتل حتى قطعت يده اليمنى، فأخذ الراية باليسرى، وقاتل حتى قطعت يده اليسرى، فاحتضن الراية بعضديه حتى قتل، فوجد به بضع وثمانون رمية وضربة وطعنة في جوار الله تعالى ورضوانه، وأخذ الراية عبد الله بن رواحة ، ثم تقدم فتردد بعض التردد ثم قال يخاطب نفسه: أقسمت يا نفس لتنزلنه طائعة أو لتكرهنه إذ أجلب الناس وشدوا الرنه ما لي أراك تكرهين الجنه قد طال ما كنت مطمئنه هل أنت إلا نطفة في شنه] أي: قطرة في شنه.
[ثم نزل على فرسه، فجاء ابن عم له بعرق لحم] قطعة لحم [فقال: شد بهذا صلبك] أي: تقوَّ به [فقد لقيت ما لقيت! فأخذه فانتهس منه نهسة، ثم سمع الحطمة في ناحية المعسكر فقال لنفسه: وأنت في الدنيا!! ثم ألقاه وأخذ سيفه وتقدم فقاتل حتى قتل، فإلى رحمة الله ورضوانه].

ونكتفي بهذا وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .
معاشر المؤمنين! إخوانكم يطلبون منكم دعوة صالحة، فإخوانكم الجزائريون أكلتهم نار الفتنة، وهم يبكون ليل نهار، فارفعوا أكفكم إلى الله؛ ليدفع عنهم هذا البلاء، ويزيل عنهم هذه الفتنة، فهيا ندعو لإخواننا والله تعالى أسأل أن يجيب دعاءنا.
اللهم! يا ولي المؤمنين، ويا متولي الصالحين، اللهم! رب محمد والمؤمنين، إنا نسألك أن تطفئ هذه النار عن إخواننا يا رب العالمين، اللهم! أطفئ نار الفتنة بينهم، واجمع قلوبهم على تقواك، ووحد صفوفهم في طاعتك يا رب العالمين؛ إنك تقول للشيء كن فيكون، إنك يا ولي المؤمنين ومتولي الصالحين لا تترك أولياءك يا رب العالمين، فهم عبيدك المؤمنون، فكفر ما بهم، وفرج ما بهم يا حي يا قيوم، اللهم! وحد كلمتهم واجمع صفوفهم على تقواك وعبادتك، وأرنا يا ربنا ذلك عاجلاً غير آجل.
اللهم احفظنا يا ربنا في ديارنا هذه، واحفظ لنا هذه البقية الباقية، اللهم! لا ترنا في هذه الحكومة ولا في شعبها مكروهاً يا رب العالمين، إنها البقية الباقية في العالم الإسلامي، فيها ترفع راية لا إله إلا الله محمد رسول الله، وتطبق حدود الله، وتقام الصلاة، وتجبى الزكاة، فلا ترينا -يا ربنا- مكروهاً فيها، اللهم! وحد كلمتهم، واجمع قلوبهم على تقواك يا رب العالمين، اللهم! أنقذ عبادك المؤمنين في كل مكان من الفتن والمحن والإحن التي تحوط بهم من كل مكان يا رب العالمين، واغفر لنا ولهم وارحمنا وإياهم.
وصلِّ اللهم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

كانت غزوة مؤتة إحدى الغزوات العظيمة، فقد أمّر رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجيش ثلاثة أمراء على الموالاة، وكان عدد الجيش ثلاثة آلاف مقاتل في مواجهة جيش الروم وأنصاره من نصارى العرب، والذين بلغ عددهم المائتي ألف، فكانت معركة حامية الوطيس، استشهد فيها كثير من المسلمين بمن فيهم الأمراء الثلاثة الذين ضربوا أروع الأمثلة في التضحية والاستبسال، ثم اصطلح المسلمون على خالد بن الوليد، فانسحب بالجيش الإسلامي، وعاد أدراجه.

تابع غزوة مؤتة

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.
أما بعد: فقد انتهى بنا الدرس إلى عاشر أحداث السنة الثامنة وهي [غزوة مؤتة].
قال المؤلف غفر الله له ولكم ورحمه وإياكم وسائر المؤمنين: [هذه إحدى الغزوات العظيمة في الغزو الإسلامي] حيث يغزو المسلمون ديار الكفر لإدخالهم في رحمة الرب؛ ليكملوا ويسعدوا في دنياهم وأخراهم [وكانت في جمادى الأولى من سنة ثمان] من هجرة الحبيب صلى الله عليه وسلم [فقد حدد الرسول صلى الله عليه وسلم زمانها ومكانها، وعين أمراءها] الذين قلدهم مسئولية الجهاد.
[فعين زيد بن حارثة مولاه أميراً عليها] وقد علمتم أنه لم يذكر صحابي باسمه العلم في القرآن الكريم إلا زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعرفتم أيضاً -زادني الله وإياكم معرفة- سر ذلك وسببه، وهو: أنه لما أراد الله أن يبطل عادة التبني وينهيها، ويصبح المتبنى ليس بابنٍ أبداً لمن تبناه، فله أن يتزوج امرأته أو تتزوج امرأته -إن طلقها أو مات عنها- من تبناه، خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش القرشية المخزومية لمولاه زيد بن حارثة؛ ولشدة حياء النبي صلى الله عليه وسلم عندما خطب زينب فهمت أنه خطبها لنفسه، وهي بنت عمته، وأخوها هو عبد الله بن جحش أول من حمل راية الجهاد، ففرحت وسرت بذلك، وما هي إلا ساعات حتى تبين لها أنه خطبها لزيد ليس لنفسه صلى الله عليه وسلم، فكربت وحزنت وقالت: لا أتزوج مولى من موالي العرب.
شريفة تتزوج مولى، كيف يصح هذا؟! ووقف إلى جنبها عبد الله أخوها وشقيقها، وقال: لن يكون هذا، ولن أزوج أختي بمولى من موالي العرب، ولكن الله يأبى إلا أن يتم مراده، فنزل قول الله عز وجل: وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالًا مُبِينًا [الأحزاب:36]، فما كان من زينب رضي الله عنها وأخيها عبد الله إلا أن اطرحا بين يدي الله، وسلما الأمر له عز وجل، وتزوجت زينب زيد بن حارثة شهيد مؤتة رضي الله عنه وأرضاه.
إذاً: لما ذل زيد لله وخضع، رفع الله درجته، فذكره باسمه في القرآن، أما زينب فجزاها الله أيضاً بأكثر؛ إذ كانت تقول لنساء النبي صلى الله عليه وسلم: "ما منكن واحدة إلا وتولى عقد نكاحها أبوها أو أخوها أو وليها وأنا تولى عقد نكاحي ربي من فوق سبع سماوات: إذ قال تعالى: فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا [الأحزاب:37] لم يا رب؟! لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا [الأحزاب:37]، فالذي يبتلى في سبيل الله، ويفوض الأمر إليه، ويستسلم له، ويطرح بين يديه يرفعه.
قال: [فإن أصيب فجعفر بن أبي طالب] جعفر الطيار [فإن أصيب فعبد الله بن رواحة] وهؤلاء القادة الثلاثة أو الأمراء استشهدوا في غزوة مؤتة.
[وكان عدد أفراد هذه السرية ثلاثة آلاف مقاتل] ليقاتلوا مائتي ألف [ولما عين الحبيب صلى الله عليه وسلم زيداً أميراً] ومعنى الحبيب: المحبوب، المفروض حبه، ومن لم يحبه فهو كافر ملعون مقيت من أهل جهنم؛ لأن الله إذا أحب شيئاً عليك أن تحبه، فإن أحب وكرهت -أنت- فما أنت بعبده الصادق؛ بل أنت عدوه، فأحبوا رسول الله بحب الله تعالى له [وجد جعفر في نفسه شيئاً] لما عين النبي صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة -المولى ليس بالشريف- وجد جعفر بن أبي طالب وجد في نفسه شيئاً، أي: كيف يولي علينا مولى من موالينا! وهذه هي الفطرة البشرية [وقال: (يا رسول الله! ما كنت أذهب أن تستعمل علي زيداً ؛ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: امض؛ فإنك لا تدري أي ذلك خير)، وعندها بكى الناس] لأنهم عرفوا [وقالوا: هلا متعتنا بهم يا رسول الله؟!] أياماً أو أعواماً [وكان إذا قال صلى الله عليه وسلم: (فإن أصيب فلان فالأمير فلان) أصيب كل من ذكره] ثبت هذا بالتجربة.
فإذا عين صلى الله عليه وسلم قادة وقال: إذا أصيب فلان ففلان يقوم مقامه، فالغالب أنهم يصابون.
ومن هنا: اندهش المؤمنون وبكوا، وقالوا: هلا أمتعتنا بهم يا رسول الله؟! قال: [وتجهز الجيش] من المدينة [وودعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس، ولما ودع عبد الله بن رواحة بكى، فقال له الناس: ما يبكيك؟ فقال: ما بي حب الدنيا ولا صبابة بكم] يعني: لم أبك لخوفي من الموت أو فراقكم أو تركي دنياكم [ولكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ آية] من كتاب الله [وهي] قول الله تعالى من سورة مريم [وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا [مريم:71]، فلست أدري كيف لي بالصدر بعد الورود] أي: لست أدري كيف لي بالصدر بعد أن نرد، فما كل من ورد صدر.
[فقال المسلمون: صحبكم الله وردّكم إلينا صالحين] وإذا ودعت أخاك وهو في سفر صالح للجهاد أو العمرة أو للحج أو طلب العلم فقل: (صحبكم الله)، ومن صحبه الله لا يخاف، ولا يهان، ولا يذل أبداً، أما السفر الفاسد فلا وداع فيه ولا كلام ولا رضا به أصلاً (وردكم إلينا صالحين) أي: غير فاسدين مأجورين غير آثمين، فائزين غير خاسرين.

قال: [ولما تهيأ القوم للخروج] من المدينة إلى أرض الشام [أتى عبد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم فودعه] لأن هذه الترتيبات ليست في ساعة، وإنما في ثلاثة أو أربعة أيام على الأقل [فودعه ثم قال: أنت الرسول فمن يحرم نوافله والوجه منه فقد أزرى به القدر فثبت الله ما آتاك من حسن في المرسلين ونصراً كالذي نُصروا إني تفرست فيك الخير نافلة فراسة خالفت فيها الذي نظروا] فودع الحبيب صلى الله عليه وسلم بثلاثة أبيات.

[قال: ثم خرجوا] من المدينة [حتى نزلوا معان من أرض الشام، فبلغ الناس أن هرقل قد نزل مآب من أرض البلقاء] مكان من الأرض [في مائة ألف من الروم] يعني: بلغ المجاهدين المؤمنين الثلاثة آلاف أن هرقل ملك الروم قد نزل بالمنطقة الفلانية في مائة ألف من الروم الصليبيين المسيحيين [ومائة ألف من العرب المتنصرة من لخم وجذام والقين وبلي] أربع قبائل كانوا تنصروا في الجاهلية.

قال: [فأقام المسلمون بمعان ليلتين ينظرون أمرهم] هل يقاتلون مائتي ألف؟ وأخذوا يفكرون [وقالوا: نكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، نخبره الخبر وننتظر أمره] رسالة يحملها شخص وفي عشرة أيام تصل، فيأمرهم بالقتال أو العودة [فشجعهم عبد الله بن رواحة الأنصاري وقال: يا قوم! والله إن الذي تكرهون للذي خرجتم تطلبون: إنه الشهادة، وما نقاتل بعدد ولا قوة، ولا نقاتلهم إلا بهذا الدين، فانطلقوا، فما هي إلا إحدى الحسنيين].

قال: [فقال الناس: صدق والله، وساروا فتلقتهم جموع الروم والعرب بقرية من البلقاء يقال لها: مشارف] تم اللقاء هناك [وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها: مؤتة، فالتقى الناس عندها، وكان على ميمنة المسلمين قطبة بن قتادة العذري ، وعلى ميسرتهم عبادة بن مالك الأنصاري] والميمنة والميسرة نظام عسكري في القتال وكذلك المقدمة والمؤخرة، لأن القتال لم يكن بالرصاص وإنما وجهاً لوجه، بالقوى البدنية.

قال: [فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فقاتل زيد براية رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى شاط] احترق [في رماح القوم -أي: مات- ثم أخذها جعفر بن أبي طالب فقاتل بها وهو يقول: يا حبذا الجنة واقترابها طيبة وبارداً شرابها والروم روم قد دنا عذابها عليّ إذ لاقيتها ضرابها ثم عقر فرسه وهو أول فرس عقر في الإسلام] أي: قتل فرسه، وهذه القضية اختلف أهل العلم فيها: هل يجوز أن يقتل الإنسان فرسه أو لا يجوز؟ الكلب يجوز -بلا خلاف- قتله، لكن الفرس لِم قتله جعفر ؟ كأنه عرف أنه سيقتل، ولم يُرد أن يبقى فرسه يستعين به العدو؛ لأن الفرس له ميزته، فالفارس أفضل من عشرين واحداً على الأرض من المشاة، فرأى أن يعقره حتى لا ينتفع به الأعداء، ومن الصحابة من رضي بذلك ولم ينكر، ومنهم من رأى عدم جواز العقر.

والآن عندنا المجاهدون الأبطال الذين كأنهم ما صاموا ولا صلوا، يجعل المتفجرات في جسمه ويقذف بنفسه في صفوف المسلمين! وقالوا: شهيد!! يعني: فرس ما أجاز المسلمون عقره وقتله، وذاك من حماسه يحمل المتفجرات ويرمي بنفسه في العدو، وهو موقن باحتراقه وموته، هل يجوز هذا؟ أفتى به علماؤهم وقالوا جهاد!! ووالله ما هو بجهاد، ولا صح ولا جاز هذا أبداً، سواء كان في اليهود أو في المسلمين، فما جاء الإسلام بهذه الأباطيل والشطحات والثورات، وإنما جاء بأنوار الله عز وجل؛ لتضيء مشارق الدنيا ومغاربها، العدل والقسط والحق، والإيمان والصدق، والعلم والمعرفة.

قال: [وقاتل حتى قطعت يده اليمنى، فأخذ الراية باليسرى، وقاتل حتى قطعت يده اليسرى، فاحتضن الراية بعضديه حتى قتل] لأن الراية لها شأنها، فإذا سقطت انهزم الجيش وتفرق، وكانت عادة عندهم في ذلك الزمان، فالراية إذا ما زالت مرفوعة فالمقاتلون مصممون، وإذا سقطت انتهى القتال، فقطعت يده اليمنى التي كانت تحمل الراية فحملها باليسرى، ووقف يقاتل، فضربت اليسرى فضم الراية إلى عضدية وبقيت مرفوعة والقتال دائر ومستمر حتى قتل رضي الله عنه.

قال: [فوجد به بضع وثمانون رمية وضربة، وطعنة في جوار الله تعالى ورضوانه] ضربة بالسيف، ورمية بالسهم، وطعنة بالرمح [وأخذ الراية عبد الله بن رواحة ، ثم تقدم فتردد بعض التردد] أخذ الراية وتقدم ثم تردد هل يتقدم أو يقف! [ثم قال يخاطب نفسه: أقسمت يا نفس لتنزلنه طائعة أو لتكرهنه إن أجلب الناس وشدوا الرنه ما لي أراك تكرهين الجنه قد طال ما كنت مطئمنه هل أنت إلا نطفة في شنه] قطرة ماء في شنه يابسة.

[ثم نزل عن فرسه، فجاء ابن عم له بعرق لحم، فقال: شد بهذا صلبك، فقد لقيت ما لقيت!] من شدة التعب والعطش والجوع [فأخذه فانتهس منه نهسة، ثم سمع الحطمة في ناحية العسكر] أي: الهجمة [فقال لنفسه: وأنت في الدنيا!! ثم ألقاه وأخذ سيفه وتقدم، فقاتل حتى قتل، فإلى رحمة الله ورضوانه].

وهنا تعقيب: قد يقولون -وستقولون-: هذا الشيخ يريد أن يعطل الجهاد، وهو يقرأ في كتاب الجهاد! فأقول: هل في استطاعتكم أن تصبحوا أو تمسوا وأنتم كرجل واحد؟ ستقولون: لا نستطيع.

إذاً: لا جهاد! لا جهاد مع فرقة وخلاف وتكبر، ولكن مع حب الله، فإن أصبحتم هكذا وقلتم: الله أكبر! وزحفتم على أي جانب في الحياة سقط أمامكم، أما ونحن هكذا: السب والشتم والنقد والطعن والدنيا والتكالب عليها، والفسق، والفجور والظلم .

نجاهد ماذا؟! أنُدخل النصارى فيما نحن فيه؟ وماذا استفادوا؟ الشرك والخرافات والضلالات والإجرام، وقلّ من يموت على حسن الإسلام! نقاتل من؟! إذاً: ماذا نصنع؟ الطريق رسمناه -بفضل الله ومنته علينا والحمد لله- وهو أن نرجع رجوعاً صادقاً إلى إيماننا وإسلامنا وإحساننا، والطريق -أيضاً- على أهل كل قرية في بلاد العرب والعجم، وعلى أهل كل حي في مدن العرب والعجم أن يجتمعوا كل ليلة من صلاة المغرب إلى صلاة العشاء في مسجد حيهم أو قريتهم كاجتماعنا هذا، فيصلون المغرب ويجلس النساء من وراء الستارة، والأطفال صفوفاً كالملائكة، والفحول أمامهم، ويجلس لهم عالم رباني يعلمهم ليلة آية وأخرى حديثاً طوال العام، فيتعلمون الكتاب والحكمة، ويوماً بعد يوم لا تمضي السنة إلا وأهل القرية كأنهم رجل واحد، ولا تمضي السنة إلا وأهل الحي كأنهم رجل واحد، وتنتهي مظاهر الفساد، ومظاهر الظلم والخبث، ومظاهر الشرك والباطل، ومظاهر الوساوس والخداع، ويصبح المسلمون أمة ربانية لو رفعت يدها إلى الله سائلة إزالة الجبال لأزالها، ويومها تعشقها الدنيا، ويريد الكفار أن يكونوا مثلها، ويرحبون بها.

هذا إذا أردتم أن تدخلوهم في رحمة الله.
فهمتم هذه اللغة؟! ستسألون عنها يوم القيامة، فلا سبيل إلا هذا، وهو سبيل رسول الله ورجاله وأصحابه، أما والجهل مخيم على قلوب الأمة، لا تفكر إلا بالدنيا وما فيها، ثم تجاهد أنت وتريد أن تقيم الدولة الإسلامية، فعلى من تقيمها؟ وأين أهلها الذين يذعنون لها ويقبلون بها؟! فيؤتون الزكاة وهم فرحون، ويقيمون الصلاة وهم خاشعون، أين هم؟!! قال: [واشتد عليهم الأمر وكان قطبة القائد قد قتل قبل ذلك، قتله مالك بن زافلة قائد العرب المتنصرة، ثم أخذ الراية ثابت بن أرقم أخو بني العجلان، وقال: يا معشر المسلمين! اصطلحوا على رجل منكم، قالوا: أنت، قال: ما أنا بفاعل، فاصطلح الناس على خالد بن الوليد ، فلما أخذ الراية دافع القوم وحاشى بهم ثم انحاز وانحيز عنه حتى انصرف الناس، ثم أقبل بهم قافلاً في طريقه إلى المدينة النبوية] أنقذهم إنقاذاً، واستلهم استلال الشعرة من العجين، يعني: ثلاثة آلاف إلا شيء -إذ مات منهم عدد- استلهم من مائتي ألف! وانحاز بهم وعاد إلى المدينة!

إخبار النبي صلى الله عليه وسلم بالواقعة

قال: [إخبار النبي صلى الله عليه وسلم بالواقعة] لا تلفاز ولا لاسلكي والرسول صلى الله عليه وسلم يفصّل لهم الأحداث كما جرت، وهذه آية من آيات النبوة.
[وبالمدينة يخبر الحبيب صلى الله عليه وسلم بجريان المعركة بالتفصيل كأنه يشاهدها عن كثب، فيقول -بعد أن رقي المنبر- ونادى بالصلاة جامعة] ليعلن لهم عما تم وجرى في الحرب [(باب خير، باب خير، باب خير، أخبركم عن جيشكم هذا الغازي، إنهم لقوا العدو، فقتل زيد شهيداً، فاستغفر له، ثم أخذ اللواء جعفر فشد على القوم حتى قتل شهيداً، فاستغفر له، ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة)، وصمت حتى تغيرت وجوه الأنصار، وظنوا أنه قد كان من عبد الله ما يكرهون، ثم قال صلى الله عليه وسلم: (فقاتل القوم حتى قتل شهيداً) ثم قال: (لقد رفعوا إلى الجنة على سرر من ذهب فرأيت في سرير ابن رواحة أزوراراً عن سريري صاحبيه، فقلت: عم هذا؟ فقيل: مضيا وتردد بعض التردد ثم مضى)] مشاهدة بلا حجاب ولا ستار أبداً.
[ولما قتل ابن رواحة أخذ الراية ثابت بن أرقم الأنصاري ، وقال: يا معشر المسلمين! اصطلحوا على رجل منكم، فاصطلحوا على خالد بن الوليد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله خالد بن الوليد فعاذ بالناس)، فمن يومئذ سمي خالد سيف الله، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مر بي جعفر البارحة في نفر من الملائكة له جناحان مختضب القوائم بالدم)] فمن ثم قيل فيه: جعفر الطيار ؛ لأنه مر برسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم ومعه الملائكة، وله جناحان مخضب القوائم بالدم، أي: قائمة الجناح.

امرأة جعفر تحدث (زيارة النبي لبيت جعفر وأمره بصنع الطعام لأهله)

[امرأة جعفر تحدث] أتحدثنا امرأة جعفر بن أبي طالب ؟ كيف استطعنا أن نسمع حديثها ونحن لا نراها، وبيننا وبينها ألف وأربعمائة سنة؟ هذا من فضل الله علينا، والحمد لله.
[وقالت أسماء بنت عميس زوج جعفر الطيار بن أبي طالب رضي الله عنهما: أتاني النبي صلى الله عليه وسلم وقد فرغت من اشتغالي وغسلت أولاد جعفر ودهنتم] وكانوا يدهنون بالزيت حتى لا يكون الجفاف [فأخذهم] الرسول صلى الله عليه وسلم [وشممهم، ودمعت عيناه، فقلت: يا رسول الله أبلغك عن جعفر شيء؟ قال: (نعم، أصيب هذا اليوم)، ثم عاد إلى أهله، فأمرهم أن يصنعوا لآل جعفر طعاماً، فهو أول ما عُمِل في دين الإسلام.
ولما رجع الجيش ودنا من المدينة لقيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ عبد الله بن جعفر فحمله بين يديه] لما خرج المسلمون يستقبلون المجاهدين، خرج معهم الأطفال والنساء والرجال، وكان لجعفر ولد اسمه عبد الله -فاتح إفريقيا بكاملها- حمله النبي صلى الله عليه وسلم بين يديه [فجعل الناس يحثون التراب على الجيش ويقولون: يا فُرّار، يا فُرّار، ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (ليسوا بالفُرار ولكنهم الكرّار إن شاء الله)] والفرار جمع فار، والكرار جمع كار، فالمسلمون لم يفرحوا بعودة الثلاثة آلاف، بل قالوا: أنتم فررتم، وقال الرسول صلى الله عليه وسلم: (ليسوا بالفرار، بل هم الكرار).
إي والله!

نتائج وعبر من غزوة مؤتة

[نتائج وعبر] علنا نستفيد لو كنا أهلاً للاستفادة.
[إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبراً نذكرها فيما يلي: أولاً: فضيلة الأمراء الثلاثة: زيد و جعفر و ابن رواحة] أفلا يكون لهم فضل، والذي أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم؟! [ثانياً: مشروعية توديع المسافر إلى سفر صالح كالجهاد والحج ونحوهما] لا للعبث واللعب واللهو والباطل.
[ثالثاً: عظم خشية عبد الله بن رواحة وخوفه من النار] أخذنا هذا من بكائه عند توديع المسلمين للجيش، قال: ما بكيت حباً للدنيا ولا صبابة بكم، ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ: وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا [مريم:71]، فإذا وردت كيف أصدر؟ أي: من أين لي أن أصدر؟ وهذا من عظم خوف الله وخشيته.

[رابعاً: بيان حقيقة كشف عنها ابن رواحة ، وهي أن المسلمين لا يقاتلون بعدد ولا قوة، وإنما يقاتلون بالدين، فإن كانوا صالحين مستقيمين انتصروا وإلا انكسروا] وها هم إخواننا في الجزائر يقاتلون بالدين لا بالعدد ولا بالعدة، وفي فلسطين كذلك، إذاً: هل ينتصرون؟! أين الدين -أولاً- الذي يقاتلون به؟ أنسيتم أنه لا يحل قتال إلا براية؛ راية إمام يبايعه المسلمون نساءً ورجالاً، يقودهم على منهج الله، وهذا الإمام هو الذي يبعث بهم إلى الغزو والجهاد.
ليس أن كل جماعة تقوم وتقاتل فتقتل في المسلمين، وتقول: جهاد، وسوف ننتصر! والله الذي لا إله غيره! ما صح جهاد ولا انتصر أهله إلا إذا كانت رايته: لا إله إلا الله! تحت إمام بويع واتبعه الناس زمناً وهم يعبدون الله وراءه مستقيمين، ليس الجهاد لإقامة دولة، وإنما من أجل أن يعبد الله تعالى وحده بما شرع.
[خامساً: مشروعية مخاطبة النفس وترويضها على الطاعات] وقد خاطب جعفر نفسه في ثلاثة أبيات قبل أن يدخل المعركة.
[سادساً: آيات النبوة المحمدية تتجلى في إخبار النبي صلى الله عليه وسلم أهل المدينة بسير المعركة ووصفه لها، كأنها يديرها ويشاهد سير القتال فيها، ولم يخطئ في شيء منها ولو قلّ، ولم يكن يومئذ أخبار سلكية ولا سلكية ولا عرض تلفاز ولا فيديو، فكان إخباره أعظم آية على أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلقى الوحي من الله عز وجل.
سابعاً: بيان فضل خالد ، وسبب تلقيبه بسيف الله] فقد أنقذ ثلاثة آلاف من مائتي ألف بحنكته وسياسته ورشده وشجاعته! [ثامناً: بيان تألم رسول الله صلى الله عليه وسلم لموت الأمراء وخاصة جعفر بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين.
تاسعاً: مشروعية صنع الطعام لأهل الميت لانشغالهم بالمصيبة وحزنهم على فقيدهم، وأن أول طعام صنع لهذا الغرض هو ما صنعه الرسول صلى الله عليه وسلم لآل جعفر فكان سنة قولية وعملية] إلى يوم القيامة.
[عاشراً: مشروعية حمل الطفل الصغير، وشمه وتقبيله رحمة به، وشفقة عليه].
وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

إذا أراد الله شيئاً هيأ أسبابه، فقد نتج عن صلح الحديبية واعتداء بني بكر على خزاعة ونقض قريش للصلح أن مكة فتحت فتحاً مبيناً، فانكسرت قريش، وهزم جمعهم، وانتشرت راية الإسلام بعد ذلك شرقاً وغرباً، وتوافد الناس إلى مكة ملبين ومحرمين وحجاجاً ومعتمرين، وحقق الله لرسوله ما وعده.

غزوة الفتح (فتح مكة)

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.
أما بعد: وقد انتهى بنا الدرس إلى حادي عشر أحداث السنة الثامنة من الهجرة النبوية وهي: [غزوة الفتح (فتح مكة)] ومكة كانت تدار من قبل المشركين، هم حكامها وأهلها، وهم المناوئون المخاصمون لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين، وها نحن مع فتحها على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم.
وألفت النظر إلى أننا سنقضي هذه الساعة مع الحبيب صلى الله عليه وسلم ليزداد حبنا فيه وولاؤنا له، واتباعنا له، والله نسأل أن يسجل أسماءنا مع محبيه صلى الله عليه وسلم.

هرع أبي سفيان إلى المدينة لتمديد الصلح والاعتذار عما وقع

قال: [وواصل أبو سفيان سيره] وعسفان قريب من مكة [حتى أتى المدينة، فدخل على ابنته أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم] أمنا رضي الله عنها وأرضاها، زوجة النبي صلى الله عليه وسلم، تزوجها الحبيب صلى الله عليه وسلم وهي بنت أبي سفيان [فلما أراد أن يجلس على فراش النبي صلى الله عليه وسلم] وفراش النبي من حصير لا قماش ولا حرير [طوته عنه] حتى لا يجلس عليه -وهذه من نساء الجنة- [فقال: أرغبتِ به عني أم رغبت بي عنه؟] يعني: بيني لي يا بنتاه! أرغبت بالفراش عني أو رغبت عني بالفراش؟ أرأيت أني أفضل من هذا الفراش فأبعدتيه عني، أو رأيت أن الفراش أقدس وأطهر مني فأبعدتيه عني، و أبو سفيان كان ما زال كافراً جاهلاً، ولكنه صهر النبي صلى الله عليه وسلم.
[فقالت: هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت مشرك نجس] أما قال الله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ [التوبة:28]؟ [فلم أحب أن تجلس عليه، فقال: لقد أصابك بعدي شر!] أي: تغيرت عما كنت معنا، وأصابك شر!.
ووالله ما أصابها إلا الخير، لكنها رؤية الكافر، فهو يرى -مثلاً- أن الصلاة عبث.
[ثم خرج حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فكلمه، فلم يردّ عليه شيئاً] كان غضبان! [ثم أتى أبا بكر] الوزير الأول.
عندما لم يستفد من الرسول صلى الله عليه وسلم جاء إلى وزيره الأول وخليله [فكلمه ليكلم له رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: ما أنا بفاعل] يعني: لا أكلمه لك [ثم أتى عمر] الوزير والحبيب الثاني [فكلمه فقال: ما أنا بشافع لكم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووالله لو لم أجد إلا الذر لجاهدتكم به] يعني: فوق هذا أزيدكم: لو ما وجدت إلا الذر لقاتلتكم به، ليس البشر فقط [ثم خرج حتى أتى علياً] ابن أبي طالب صهر الحبيب صلى الله عليه وسلم وابن عمه [فكلمه في ذلك] وكان أبو سفيان سياسياً ماهراً فما أيس، ولو كنا نحن لاكتفينا بالذهاب إلى الرسول فقط، وقلنا: ما دام الرسول رفض فليس من يلزمه، ولكنه أتى أبا بكر ثم عمر ثم علي .
ماذا قال علي : [فقال له: والله لقد عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر لا نستطيع أن نكلمه فيه] أقسم له بالله على أن النبي قد عزم على أمر لا يكلمه فيه أحد، وقد عزم صلى الله عليه وسلم على قتالهم، فقد نقضوا العهد واستوجبوا القتال [فنادى فاطمة قائلاً] ما ملّ بعد! ونادى فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأنه كان مع علي وبينهما ستارة فقط، فقال: [يا بنت محمد] لم يقل: يا بنت رسول الله؛ لأنه لم يسلم بعد [هل لك أن تأمري ابنك هذا -يشير إلى الحسن وهو يومها غلام- أن يجير بين الناس فيكون سيد العرب؟] حيلة سياسية -لا إله إلا الله!- قال: مري طفلك هذا الصغير يعلن أنكم أجرتم العرب نيابة عن رسول الله [فقالت: ما بلغ ابني أن يجير بين الناس] يعني: ما بلغ الحلم فكيف هذا؟! واعتذرت بالواقع [وما يجير على رسول الله أحد، ثم التفت إلى علي] من الذي التفت؟ أبو سفيان [وقال: أرى الأمور قد اشتدت عليّ فانصحني، قال: إنك سيد كنانة فقم فأجر بين الناس، والتحق بأرضك] بعد أن طلب من علي الخلاص قال له: أنت سيد كنانة فأجر بين الناس، والتحق بأرضك في مكة، وهذا الحل الوحيد.
[فقام أبو سفيان في المسجد وقال: أيها الناس! قد أجرت بين الناس ثم ركب بعيره، وقدم مكة وأخبر قريشاً بما جرى له وما أشار به علي عليه، فقالوا: والله ما زاد على أن سخر منك!!] وهذا فهم أعوج! فوالله إن علياً نصحه وبين له طريق نجاته، ولكن لمرض الشرك والكفر، وظلام الجاهلية، قالوا: هذه الكلمة: "ما زاد على أن سخر منك فقط".

أسباب فتح مكة

قال المؤلف غفر الله له ولكم ورحمه وإياكم وسائر المؤمنين: [أسباب هذه الغزوة] ما هي عواملها وأسبابها والدوافع التي دفعت إليها؟ قال: [لقد ورد في اتفاقية الحديبية] والحديبية هي: المكان المعروف الذي يبعد عن مكة عشرين كيلو متر، جرت فيه اتفاقية بين رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وبين كفار مكة ورجالها على صلح مدته عشر سنوات ينتقل فيها المسلمون حيث شاءوا، ويتنقل كذلك الكافرون حيث شاءوا، وتصبح البلاد آمنة سالمة، فمن رغب في الخير وجده وسهل عليه، ومن أصر على الشرك والكفر فله ذلك، المهم: أن تخف الضغوط التي كانت على المؤمنين، وهذا من حكمة الحبيب صلى الله عليه وسلم وحسن سياسته، وكيف لا، وهو يتلقى علومه ومعارفه من ذي العرش جل جلاله وعظم سلطانه! قال: [إن خزاعة دخلت في عقد الرسول صلى الله عليه وسلم وبكر دخلت في عقد قريش] وخزاعة قبيلة معروفة تسكن حول مكة شرقاً وغرباً، وبكر كذلك، ولكن بكر كانت مع قريش، وخزاعة مع النبي صلى الله عليه وسلم، فخزاعة حالفت رسول الله والمؤمنين، وبكر حالفت قريشاً والكافرين.

[وشاء الله عز وجل] والله يفعل ما يشاء، وهو على كل شيء قدير، ولكن مشيئته تابعة لحكمته وعلمه وقدرته ورحمته [أن رجلاً من خزاعة] التي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حلفه ضد المشركين [سمع رجلاً من بكر ينشد شعراً في هجاء النبي صلى الله عليه وسلم] سواء أنشده بعد حفظه أو من نفسه، المهم أن هذا الشعر يحمل هجاءً ونقداً وسباً للنبي صلى الله عليه وسلم [فضربه الخزاعي فشجه فهاج الشر بينهم] الخزاعي ما تمالك نفسه وغضب لرسول الله، وكيف يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعاهدة قامت على أساس أن لا اعتداء، فهاج الشر بين بني بكر وبين خزاعة.

[وثارت بكر على خزاعة حتى بيتوهم بالوتير] الوتير: مكان بين مكة والمدينة [وأعانت قريش بني بكر بالسلاح والدواب] الخيل والبغال والإبل [وقاتل معهم جماعة من قريش مختفين] قريش ساعدت حليفتها قبيلة بكر بالمال، والدواب، وأيضاً بعض رجال قريش اختفوا ودخلوا في جيش بكر وقاتلوا خزاعة.

قال: [ومنهم] من هؤلاء المختفين من قريش في جيش بني بكر [صفوان بن أمية و عكرمة بن أبي جهل و سهيل بن عمرو] وهو الذي كتب الوثيقة، وكان يمثل قريش يومها، ولم يسمح لعلي بن أبي طالب أن يكتب -وهو الكاتب-: (بسم الله الرحمن الرحيم) وقال: لا أعرف (الرحمن الرحيم) ولكن اكتب: (باسمك اللهم) فقط، وعندما قال النبي صلى الله عليه وسلم اكتب: (هذا ما عاهد عليه محمد رسول الله) قال: لا، لو عرفناك رسول الله ما قاتلناك؟! ولكن اكتب: (هذا ما عاهد عليه محمد بن عبد الله)، وها هو اليوم يختفي مع العدو ويقتل ويقاتل ضد رسول الله صلى الله عليه وسلم -ومع هذا تاب الله عليهم، وأصبحوا من أهل الجنة-.

[فانحازت خزاعة إلى الحرم لائذة به] اضطرت إلى أن تدخل الحرم؛ للاحتماء به، والمفروض أن من دخل الحرم لا يؤذى، فلا يقتل ولا يقاتل [إلا أن بكراً لم تحترم الحرم، وقاتلت خزاعة به وقتلت منهم] وهذه هي أسباب فتح مكة.

مناشدة خزاعة النبي صلى الله عليه وسلم لنصرتها

قال: [وبهذا كانت قريش قد نقضت العهد الذي بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم] إي والله، فقد ساعدت بكراً على خزاعة، فساعدت أحلافها على أحلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم، داعمة إياهم بالمال والسلاح والرجال، ولما دخلت خزاعة هاربة إلى الحرم ما عرفوا حرمة للحرم، وقاتلتهم فيه.

قال: [إذ أعانت بني بكر على خزاعة أحلاف النبي صلى الله عليه وسلم، وعندئذٍ خرج عمرو بن سالم الخزاعي] من دياره [حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فوقف عليه] أي: على رسول الله صلى الله عليه وسلم، بمعنى الرسول جالس وهو واقف أمامه [ثم قال: منشداً قصيدة مطلعها: اللهم إني ناشد محمداً حلف أبيه وأبينا الأتلدا] يذكر بحلف قديم كان بين عبد المطلب وخزاعة.

[فوالداً كنا وكنت ولداً ثمت أسلمنا فلم ننزع يدا إلى أن قال: هم بيتونا بالوتير هجّداً فقتلونا ركعاً وسجداً] أي: قتلتهم بنو بكر بالوتير، وهو واد بين مكة وعرفة.

وهذا يهز رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين، فأحلافهم قتلوا وهم يركعون ويسجدون! [فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (قد نصرت يا عمرو بن سالم)] وهذه دعوة، وإن كان اللفظ خبر [وجاء بديل بن ورقاء في نفر من خزاعة أيضاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فوافقه يغتسل] ولعله يوم جمعة [فنادوه، فقال: (يا لبيكم)] وهذه كلمة محمدية لذيذة، يعني: يا بني فلان لبيكم، يا أحباءنا لبيكم [وخرج إليهم فأخبروه الخبر] وما تم في هذه الحادثة [ثم انصرفوا راجعين إلى مكة] إذ هم لجئوا إليها، إلى الحرم [أي: أعلموه بالذي جرى وتم من نقض قريش عهدها] مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

[وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد قال لأصحابه: (كأني بأبي سفيان قد جاء ليجدد الهدنة خوفاً ويزيد في المدة)] يعني: بدل عشر سنين يزيد إلى خمسة عشر أو عشرين سنة مثلاً، وهذه فراسة نبوية، وعلم سياسي، ووحي إلهي، وكل من اتصل بالله لم يقطعه الله؛ ولذا نأسف ونحزن على سياسيي العالم الإسلامي أن ليس لهم صلة بالله، فكيف يقودون أمة الإسلام إلى الكمال والسعادة والطهر والصفاء.

ينبغي أن يكونوا ربانيين، أي: أولياء لله، إذا سألوا الله أعطاهم، وإذا استعانوا أعانوهم، وإذا طلبوا البيان بيّن لهم الهداية وهداهم، عليهم أن يتوبوا إلى الله فيبيتون ركعاً وسجداً، ويظلون صائمين ذاكرين شاكرين حتى تتصل أرواحهم بالملكوت الأعلى فتستنير قلوبهم، ويومها فقط ينظرون فيعرفون حركات أعدائهم من أهل الشرك والكفر والشر والفساد.

ووالله لهذا الحق! فلكي يهديك الله ويرشدك ويوجهك إلى ما فيه نصرك وانتصارك وسعادتك يجب أن تكون صلتك به متينة قوية.

ماذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم الذي يبيت قائماً راكعاً ساجداً -وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر- لما جاء وفد خزاعة وذكر له ما تم، قال: (كأني بأبي سفيان قد جاء ليجدد الهدنة خوفاً ويزيد في المدة) .

قال: [ومضى بديل في طريقه، وإذا بـأبي سفيان في عسفان في طريقه إلى المدينة] ولم تخطئ نظرية رسول الله! [وصدقت فراسة الحبيب صلى الله عليه وسلم] هذا هو محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي لا يحبه حيوان من شر الحيوانات، ولا أعرف أن هناك من يكره رسول الله، سواء كان يهودياً أو نصرانياً أو مجوسياً أو مشركاً؛ لأن الكره إنما يأتي من صفاته، وهو كله جمال وكمال فلِمَ يُكره؟ ونأسف ونحزن لهذا، ونذكر ونبين أن من أهل الجهل والغفلة بيننا من يقول: فلان لا يحب الرسول صلى الله عليه وسلم! أيكفّر مؤمناً ولا يشعر؟! فيكفر وهو لا يدري؛ لأنه من كفر مؤمناً فقد كفر .

ومن أهل الغفلة والجهل من يقول أيضاً: فلان يكره النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنه لا يقيم الموالد، أو لا يحضرها!! كيف يقال هذا الكلام؟! لأنهم ما عرفوا الطريق إلى الله، إي والله.

إنه الجهل محنتنا وسبب فتنتنا، أما من عرف، استقام على منهج الله، وسلكه، ولكن الجهل هو المانع.

قال: [فقال أبو سفيان لبديل : من أين أقبلتَ؟ قال: من خزاعة في الساحل] من جهة جدة أو ينبع [وبطن هذا الوادي، قال: أو ما أتيتَ محمداً؟ قال: لا] وكذب لأن (الحرب خدعة) [فقال أبو سفيان لأصحابه] ورفقته [لما راح بديل : انظروا بعر ناقته، فإن جاء المدينة] ونزل بها [لقد علف النواء] يعني: الناقة [فنظروا بعر الناقة فرأوا فيه النوى] وهذه سياسة أيضاً من أبي سفيان ، وأبو سفيان يزن العرب اليوم كلهم في سياسته رضي الله عنه وأرضاه، ماذا قال لرفاقه بعد أن سأل بديل : هل كنت في المدينة وأجابه بـ(لا)؟! قال لرجاله: انظروا إلى بعر ناقته، فإذا وجدتم فيه نوى، فقد كان بالمدينة؛ لأن المدينة يعلفون فيها الإبل بالنوى، والنواة عظم التمر الذي يجمع.

وأيام الحرب العالمية الأخيرة لما انقطعت القهوة، كان يجمع نوى التمر ويحرق ويشرب كالقهوة، وهو فيه لذة القهوة، فبعد أن يشوونه ويحرقونه يدقونه فيصبح كأنه بُن، والعرب كانوا يعلفون إبلهم وأغنامهم به، أما المعز فإلى الآن تعلف به.

التجهيز والإعداد لفتح مكة

قال: [التجهيز والإعداد لفتح مكة] أُعلنت الحرب، والتجهيز هو: إعداد السلاح والزاد والرجال والعتاد، ومعنى هذا أن مكة مغلقة، فأبوابها في أيدي المشركين الكافرين، لا تُدخل إلا بإذنهم، وقد صدوا عنها رسول الله، ومعه ألف وأربعمائة رجل سنة ست من الهجرة.

[وعزم النبي صلى الله عليه وسلم على غزو قريش لفتح مكة، لنقض قريش المعاهدة نقضاً واضحاً صريحاً] فقد قاتلت مع بكر خزاعة المحالفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم [فتجهز وأمر أصحابه بذلك، وقال: (اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها)] وطلب هذا العون ممن يقدر عليه؛ إذ غير الله لا يقدر على هذا أبداً.

ويقصد صلى الله عليه وسلم عيون الجواسيس؛ لأن هناك عيون للمشركين، وهناك أناس ينقلون الخبر بدون إرادة ولا علم، يقولون: سمعنا كذا. وحصل كذا.

والبغتة أو المفاجأة ذات قيمة، ولو فاجأ العرب -ليلة واحدة- اليهود في تل أبيب لفتحوها، لكن هل سألوا الله هذا؟ والله ما سألوا.

ومرة أخرى: لو سألوه -وهو ليس بوليهم- هل يجيبهم؟ لا، لا يجيبهم، إذاً ما الطريق؟ الطريق هو: أن نوالي ربنا، ونصبح حقاً أولياءه، وهذا بالإيمان والتقوى فقط، فنؤمن إيماناً حقيقياً، ونتقي الله فلا نخرج عن طاعته وطاعة رسوله؛ وبهذا تتم الولاية، ومن هم أولياء الله؟ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ [يونس:63]، ومن والاه الله لو عاداه أهل الأرض كلهم ما نالوا منه منالاً، قال تعالى: أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ [يونس:62].

قصة إرسال حاطب بن أبي بلتعة الكتاب إلى قريش

قال: [ولما علم حاطب بن أبي بلتعة بعزم الرسول صلى الله عليه وسلم] وهو صحابي جليل من المهاجرين كان شهد بدراً [على المسير إلى قريش، وذكر أهله وولده بمكة] كان عنده زوجة بمكة وأولاد هاجر وتركهم، فخاف أن ينال منهم المشركون منالاً [وأن لا ولي له بها يدفعون عن أهله وولده] ما عنده أبناء عم ولا إخوة ولا أخوال ولا .

[وعلم أن الله ناصر رسوله صلى الله عليه وسلم] يقيناً هذا [فكتب كتاباً إلى قريش، يُعلمهم بما عزم عليه الرسول صلى الله عليه وسلم] ولو لم يفعل حاطب لعلمت قريش أيضاً، فرجوع أبي سفيان ذاك ألا يؤخذ منه درس أبداً؟! يعني: غضب الرسول صلى الله عليه وسلم عليه وكل أصحابه ألا يدل على أن الرسول صلى الله عليه وسلم عازم على قتالهم؟! قال: [وبعث بالكتاب مع امرأة من مزينة اسمها كنود] بعث الخطاب مع امرأة، وقطعاً أعطاها ما تستحق لتحمل كتابه مسافة عشرة أيام [وتحمله وتركب راحلتها وتسير] وحدها [وسبقها الوحي الإلهي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم] فأوحى الله تعالى إلى رسوله بالقضية كما هي [فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب و الزبير بن العوام] ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم [لافتكاك الكتاب منها قبل وصولها مكة] قال: عجلا.

فركبا لافتكاك الكتاب منها حتى لا تصل به إلى مكة فتخبر أن الرسول صلى الله عليه وسلم عزم على قتالهم.

[فخرجا في طلبها] أي: علي و الزبير رضي الله عنهما، وهم مجموعة من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم الواحد منهم بألف، فإذا طلب قائد عوناً أو مدداً من ألف رجل، بُعث إليه بواحد من هؤلاء [فأدركاها وأخذا الكتاب منها، وهذه من استجابة الله تعالى دعوة رسوله صلى الله عليه وسلم؛ إذ قال: (اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش)، وأحضر حاطباً ، وقال له: (ما حملك على هذا؟)] وهذا عندنا الآن يستحق القتل، فالجيش مهيأ لحرب العدو، وهذا أراد أن يهدم التخطيط بكامله، ولكن انظر إلى سلوك الحبيب صلى الله عليه وسلم مع هذا الفعل الشنيع [فقال حاطب : والله إني لمؤمن بالله ورسوله] ووالله إنه لصادق [وما بدلت ولا غيّرت] في عقيدتي وعبادتي وسلوكي [ولكن لي بين أظهرهم أهل وولد، وليس لي عشيرة فصنعتهم عليهم] بهذا الكتاب [فقال عمر : دعني يا رسول الله! أضرب عنقه] إذ

السياسة تقتضي هذا [فإنه قد نافق] وما أصاب عمر في هذه، فما نافق حاطب أبداً، فقد علم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصر، وأن الهزيمة للمشركين، وأن هذا الخبر لا ينفعهم ولا يزيدهم، ولكن فقط أراد أن يتخذ به يداً ليحفظ زوجته وأولاده، ولو علم أن هذا يضر بالرسول صلى الله عليه وسلم ما فعل، ولو قُتل أولاده ونساؤه، والقرآن شاهد.

[فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم)] و حاطب بن أبي بلتعة من أهل بدر ورجالاتها، وما يدريك أي: وما يعلمك [وأنزل الله تعالى في حاطب فاتحة سورة الممتحنة: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ [الممتحنة:1]] فهنيئاً لحاطب أدبه ربه، وقبله وقبل توبته، وبقي هذا مسجل إلى يوم القيامة.

وصل اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أثناء مسير النبي الأكرم صلى الله عليه وسلم إلى مكة فاتحاً لها حصلت له مواقف وأحداث، كان فيها من المصالح المتحققة للمسلمين الشيء الكثير، ومن ذلك أنه لقي عيينة بن حصن الفزاري والأقرع بن حابس، كما لقيه مهاجراً العباس بن عبد المطلب، وكان صائماً أثناء مسيره، فنزل بنيق العقاب ولقيه هناك أبو سفيان وعبد الله بن أبي أمية، وأخذ العباس أبا سفيان معه وأدخله إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم.

مسيره صلى الله عليه وسلم لفتح مكة

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.
أما بعد: ها نحن مع فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم لمكة، ومع غزوة الفتح المباركة؛ إذ كانت مكة تحت سلطة الكفر والشرك والمشركين، وتقدم لنا معرفة أسباب هذه الغزوة، وكذلك شاهدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يجهز ويعد لفتح مكة، والآن معه في المسير إلى مكة.
معشر المستمعين! أذكركم بأن من صحت نيته وجلس ليتعلم الهدى فليبشر بأن الملائكة تصلي عليه وتستغفر له، وأن له أجراً مثل أجر المجاهد، وأذكركم بقوله صلى الله عليه وسلم: (من أتى هذا المسجد لا يأتيه إلا لخير يعلمه أو يتعلمه كان كالمجاهد في سبيل الله)، وقد خرّج هذا المسجد آلاف الأصحاب، الواحد منهم يزن ما على دنيانا اليوم من الرجال والنساء، تخرّج رجال من ذوي البصيرة والنهى والعلم والمعرفة والسياسة، لا تحلم الدنيا بمثلهم، والله ما تعلموا إلا كتاب الله وهدي رسوله صلى الله عليه وسلم.
قال: [المسير إلى مكة: واستخلف النبي صلى الله عليه وسلم على المدينة] ومعنى استخلف عليها: وضع رجلاً يخلفه في إدارة الحكم في هذه المدينة، عاصمة الإسلام الأولى [أبا رهم كلثوم بن حصن الغفاري] من قبيلة بني غفار، وهي قبيلة أبي ذر الغفاري رضي الله عنه [وخرج في عشرة آلاف مقاتل، وذلك لعشر مضين من رمضان] أي: في يوم الحادي عشر خرج برجاله ومضى وهم صائمون؛ لأن الصيام فرض في السنة الثانية من الهجرة، ونحن الآن في السنة الثامنة، فخرجوا صائمين -وهم عشرة آلاف رضوان الله تعالى عليهم أجمعين- إمامهم وقائدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم.
ويكفيكم يا إخواني! أن تحبوهم وتحبوا نبيهم، فما نحن بأهل لأن نوازيهم أو نماثلهم، ولكن يكفينا أن نحبهم حب الصدق، (والمرء مع من أحب)، وهذه الكلمة قالها أستاذ الحكمة ومعلمها، رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهل يتطرق إليها نقض أو فساد؟ والله ما كان، ووالله لو نحب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فما هي إلا أربعين يوماً ونحن في زيهم، في أفكارنا وصلاتنا وعباداتنا وكل حالنا.
؛ لأن من أحب شيئاً جعلته المحبة يقتدي به، ويتصوره، ويتمثله.
ومن أحب فاسقاً أو ماجناً أو ساحراً أو دجالاً حباً صادقاً فلن يلبث إلا أن يكون مثله، يتعاطى ما يتعطاه، فهذه سنة الله في خلقه: (المرء مع من أحب) و (من تشبه بقوم فهو منهم)، كيف يا رسول الله؟! بمجرد التشبه يكون منهم؟! إي نعم؛ لأنه أراد وتكلف أن يكون مثلهم في المنطق والذوق والطعام والاكتساب والحياة، فما هي إلا فترة وهو مثلهم.
وهذا واضح مشاهد! قال: [وأثناء مسيره] والمسير من المدينة إلى مكة عشرة أيام، يمشون على أرجلهم أو على الإبل والخيول [أدركه عيينة بن حصن و الأقرع بن حابس] وهاتان الشخصيتان أذاقتا رسول الله صلى الله عليه وسلم المرارة لقساوتهما وشدتهما، ولكن كما قال صلى الله عليه وسلم ولعلكم تذكرون (رحم الله أخي موسى أوذي بأكثر من هذا فصبر)، فهيا نقتدي برسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي تلقى معارفه من الله على ثلاث وعشرين سنة حتى أصبح أكمل الخلق على الإطلاق، ونحن ما تلقينا من هذه المعارف ولا عشرة أيام في العام، فكيف نكمل ونسعد؟ لقد هجرنا بيوت الله وكتاب الله وسنة رسول الله، واشتغلنا بالأباطيل والتراهات واللهو واللعب! فوا حسرتاه! قال: [كما لقيه العباس بن عبد المطلب بذي الحليفة مهاجراً] و العباس هو عم رسول الله صلى الله عليه وسلم تأخرت هجرته إلى السنة الثامنة، بينما أسلم وكان يخفي إسلامه؛ لشخصيته البارزة في مكة، وما استطاع أن يهاجر حتى يسر الله فجاء مهاجراً بأهله، فشاء الله أن يلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذي الحليفة -على ثلاثة عشر كيلو متر من المدينة- أيفرح الرسول بهذا أو لا؟ وكيف لا فهذا عمه! قال: [فأمره أن يرسل رحله إلى المدينة ويعود معه] قال له: أرسل بأهلك ومالك وما عندك إلى المدينة وامش معنا لغزو المشركين وفتح مكة [ففعل] ولم يتردد [وقال له] كلمة يطيّب بها خاطره ويطمئن بها نفسه -أي: تاج يساويها يوضع على الرءوس!- فهنيئاً لك يا عباس [(أنت آخر المهاجرين وأنا آخر الأنبياء)] يعني: لا تحزن يا عباس ولا تكرب أبداً، فأنا آخر الأنبياء وما تأسفت، وأنت آخر المهاجرين فلا تأسف؛ لأنه عرف أنه متألم في نفسه، فقد تأخر عن الهجرة، وتقدم رجال قبله بالمئات، فطيب نفسه وطمأنها، وأعده لأن يحمد الله ويشكره.

لقيا أبي سفيان بن الحارث وعبد الله بن أبي أمية بالنبي صلى الله عليه وسلم

قال: [وصام صلى الله عليه وسلم وصام أصحابه حتى بلغ ما بين عسفان وأمج فأفطروا] مكان بين مكة والمدينة عند عسفان قريب من أمج.

ولا شك أنهم قضوا على الأقل خمسة أيام في الطريق وهم صائمون [ولقيه في الطريق وهو نازل بنبق العقاب] مكان آخر [أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب] ابن عمه [و عبد الله بن أبي أمية ، فالتمسا الدخول عليه صلى الله عليه وسلم] في خيمته؛ لأنهم لا يظلون سائرين بل يبيتون في الطريق، فلابد وأن ينزلوا ويخيموا، وخاصة في الليل.
قال: [فكلمته أم سلمة في شأنهما] و أم سلمة أمنا رضي الله تعالى عنها وأرضاها، إحدى زوجات رسول الله صلى الله عليه وسلم، قضت سنة كاملة تبكي طول النهار بالأبطح وتعود في الليل إلى بيتها، بعد أن منعها المشركون من الالتحاق بزوجها في المدينة وأخذوا منها ابنها، وعندما مات زوجها أبو سلمة رضي الله عنه علمها رسول الله أن تقول: (إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم آجرني في مصيبتي وأخلف لي خيراً منها)، فقالت: ومن يكون خيراً من أبي سلمة؟ فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعرفت أن من صدق في هذه الجملة وقال عند المصيبة: (إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم آجرني في مصيبتي وأخلف لي خيراً منها) عوضه الله خيراً منها، وأصبحت أم سلمة أماً لملايين البشر.
قال: [(لا حاجة لي بهما)] أي: ما أنا في حاجة إليهما [(أما ابن عمي فقد هتك عرضي، وأما ابن عمتي فهو الذي قال بمكة ما قال)] من الكلام الباطل، وكان هو الذي قال: لن نؤمن لك حتى ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه [فلما سمعا ذلك - وكان مع أبي سفيان ولد له صغير يقال له: جعفر - قال أبو سفيان : والله ليأذنن لي أو لآخذن بيدي ابني هذا، ثم لنذهبن في الأرض حتى نموت عطشاً وجوعاً] ووالله إنه لصادق! فقد عرف أنه إذا غضب الرسول عنه فمن يرضى، وكيف يسعد؟! قال: [فرقّ لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم] أي: لان، كما يرق الشيء القاسي الصلب المتين [فأدخلهما إليه فأسلما] قلوبهما ووجوههما لله [وأنشد أبو سفيان في إسلامه واعتذاره قوله] وهي أبيات كثيرة ذكرنا منها ثلاثة أبيات فقط.
[لعمرك إني يوم أحمل راية لتغلب خيل اللات خيل محمد] هذا أيام الكفر.
[لكالمدلج الحيران أظلم ليله فهذا أواني حين أُهدي فأهتدي وهادٍ هداني غير نفسٍ ودلني على الله من طرّدته كل مطرد].

نزول النبي بمر الظهران في طريقه إلى مكة

قال: [بمر الظهران] ومر الظهران مكان قريب من مكة على كذا ميل منها.
فهيا ننزل مع الحبيب صلى الله عليه وسلم هناك.
[ونزل الحبيب الأحب والقائد الأعظم بمر الظهران غير بعيد من مكة] وهل هناك أحب من رسول الله إلينا؟! هل هناك قائد على وجه الأرض استطاع أن يقود الجهاد عشر سنين لا يخطئ خطأً؟ إنه القائد الأعظم صلوا عليه وسلموا تسليماً [ونزل معه جيشه المظفر المقدر بعشرة آلاف مقاتل] والمظفر: الفائز [جلهم] أكثرهم [من المهاجرين والأنصار، وباقيهم من جهينة وغفار ومزينة وسليم وتميم وأسد وقيس] من هؤلاء منهم مائة ومن هؤلاء مائتين وهكذا . لكن أكثر العشرة آلاف من المهاجرين والأنصار.
قال: [ونظر العباس] والعباس معناه الأسد، إذا ضرى وعبّس يهزمك بالنظرة فقط [إلى قوة الجيش] جيش رسول الله صلى الله عليه وسلم [وقال: يا هلاك قريش!] يعني: عشرة آلاف مقاتل مدججين بالسلاح سيطحنون قريشاً طحناً، ولو كانوا من أمثالنا وتمكنوا لا شك أنهم سيذبحونهم، أما الرسول صلى الله عليه وسلم فقد قال: (اذهبوا فأنتم الطلقاء)، هل من قائد يقول هذا الكلام؟! هل من إنسان يعرف هذا الجمال؟! بعد أن عذبوه ونكلوا به، وشردوه، وشنوا عليه الحروب، وجمعوا عليه الجموع، لما تمكن من رقابهم وقد طأطئوا رءوسهم حول الكعبة، قال: (يا معشر قريش! ما تظنون أني فاعل بكم؟ فقالوا: أخ كريم وابن أخ كريم، قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء!).
أين الديمقراطيون؟! أين العلمانيون؟! أين أصحاب البصيرة والمعرفة والبشرية الهابطة؟! لم لا يقتدون بمحمد صلى الله عليه وسلم؟ الشيطان منعهم من الإيمان به، فكيف بالاقتداء والاتباع؟! مع أن الله قال -وضعته لكم مثالاً حياً طول حياتكم تقتدون به-: لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ [الأحزاب:21]، اعرف الرسول وحاول أن تكون مثله في نظرك، ومنطقك، وصوتك، وحركاتك، وسكناتك وبيعك، وشرائك، واستئجارك .
.
من منعنا من التعايش معه؟ لو كان الرسول حياً في المدينة، أكان لأهل الشام والعراق وباكستان وغرب أوروبا وأفريقيا أن يشاهدوا الرسول؟ مستحيل هذا، إذاً: كيف تصلهم نعوته وصفاته وتعاليمه وآدابه وأخلاقه فيتحلون بها، كأنهم يشاهدونه؟ حرمونا من هذا كله! وما عرفنا من محمد رسول الله إلا قصائد المولد لمن يحضرها فقط.
قال: [والله إن باغتها الرسول صلى الله عليه وسلم في بلادها فدخلها عنوة، إنه لهلاك قريش إلى آخر الدهر]، وهذا حسب ظن العباس وتقديره، قال: والله إن باغتها فجأة بدون أن تحمل السلاح أو تستقبله، ودخلها عنوة -أي بقوة- فهو هلاك قريش إلى آخر الدهر [ثم جلس على بغلة الحبيب صلى الله عليه وسلم] وهنيئاً لك يا عباس ! جلس على بغلة الرسول صلى الله عليه وسلم، والرسول كان له بغلة -ولا يعرف هذا من كل مليون مسلم إلا من رحم الله- تسمى الدلدل -والحيوانات يسمونها الناس إلى اليوم لتتميز- كان أهداه إياها المقوقس ملك الأقباط في مصر، مع جارية اسمها مارية القبطية وهي أم إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد مات وهو يرضع قبل الفطام، وكل من كانت امرأة للرسول صلى الله عليه وسلم فهي أم المؤمنين، وإن كان النبي لم يتزوج مارية ولكنه تسراها، فلا يتزوج بها أحد.
وقد ذكرنا آلاف المرات -والحمد لله- أن العرب ما كانوا يعرفون البغال في ديارهم لا في الحجاز ولا في نجد ولا في اليمن؛ لأنهم لا تطيب نفوسهم أبداً أن ينزوا الحمار على الفرس، والبغل متولد من حمار وفرس، فلهذا أول بغلة دخلت الحجاز كانت الدلدل.
وأزيدكم أخرى: كان عبد الملك بن مروان على منبر مسجد دمشق يخطب بالناس يوم الجمعة، فقال: والله لولا أن الله تعالى أخبرنا عن قوم لوط عليه السلام ما كان يخطر ببال أحدنا أن الذكر ينزو على الذكر، وأول حادثة من هذا النوع احتار فيها الأصحاب، وأفتاهم علي

في خلافة عمر بعد أن حدث هذا في البحرين من أعجميين، بأن يلقوهم من أعلى جبل ثم يتبعونهم بالحجارة حتى يموتوا، كما فعل الله بقوم لوط، والآن هناك أندية للواط في أوروبا! أي هبوط أعظم من هذا؟! أي خبث أو شر أعظم من هذا؟! ورغم ذلك ما زلنا نتمدح بديمقراطيتهم وعلومهم ومعارفهم، وهم شر الخليقة! قال: [وقال: أخرج لعلي أرى حطاباً أو رجلاً يدخل مكة لحاجة] كان العباس رحيماً؛ لما شاهد قوة الجيش الإسلامي قال: يا هلاك قريش! ثم قال: سأخرج وأبحث بعيداً عن المعسكر لعلي أجد حطاباً يدخل مكة في حاجة فيخبرهم حتى يهربوا أو يدخلوا بيوتهم؛ لأنه تصور أن هذا الجيش العرمرم سيبيدهم، فماذا يفعل؟ غلبته العاطفة والرحمة الإيمانية، فتمنى لو أنه يجد رجلاً يخبره الخبر وأن رسول الله مداهمهم، فيخرجوا معلنين عن إسلامهم واستقبالهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لا يهلكوا [فيخبرهم بمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم] من حيث القوة والمنزل [فيأتوه ويستأمنوه] يأتون إلى رسول الله رجالهم وعظماؤهم ويطلبوا الأمان منه صلى الله عليه وسلم.

إسلام أبي سفيان وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء الخزاعي

قال: [وخرج يطوف في الأراك] أي: في شجر الأراك [وإذا به يسمع صوت أبي سفيان] زعيم مكة وحاكمها [و حكيم بن حزام و بديل بن الورقاء الخزاعي خرجوا يتحسسون الأخبار ويرقبون الأمور] لعلمهم بأن الرسول قد جهز جيشه وخرج، وأنه على مقربة من مكة.
قال: [ورأوا نيران المعسكر تشتعل ليلاً تضيء الساحة كلها وهي آلاف النيران] عشرة آلاف مقاتل كل مجموعة منهم تعمل لها ناراً تطبخ عليها وتستدفئ بها [فقال أبو سفيان : ما رأيت نيراناً أكثر من هذه، فقال بديل : هذه نيران خزاعة] وخزاعة محالفة للرسول صلى الله عليه وسلم [فقال أبو سفيان: خزاعة أذل من ذلك أو أقل] هو ظن أن هذه النيران نيران خزاعة قبيلته، فقال له أبو سفيان: أنت واهم، فخزاعة أذل وأقل من هذا العدد.
[فقال العباس : يا أبا حنظلة -كنية أبي سفيان - فقال أبو الفضل ؟] يستفهمه [قلت: نعم، قال: لبيك فداك أبي وأمي ما وراءك؟] وكان العباس يطوف على البغلة يتحسس فشاهد أبا سفيان فقال له: أطلعنا وأخبرنا عما وراءك [قال: هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسلمين أتوكم في عشرة آلاف] مقاتل [قال: ما تأمرني؟] أي: ماذا أفعل؟ [قلت: تركب معي] البغلة [فأستأمن لك رسول الله صلى الله عليه وسلم] يعني: اركب معي وأنا أطلب لك الأمان من رسول الله صلى الله عليه وسلم [فوالله لئن ظفر بك ليضربن عنقك] يعني: لو تمكن منك الرسول وأنت غير مؤمّن يضرب عنقك.
[قال العباس : فركب معي] على بغلة الحبيب صلى الله عليه وسلم [فخرجت أركض به نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلة رسول الله] في مخيمه [فكلما مررت بنار] من نيران المسلمين [يقولون: عم رسول الله على بغلة رسول الله] لفرحهم؛ فالعباس على بغلة رسول الله يخترق تلك النيران، وكلما رآه جماعة قالوا: عم رسول الله على بغلة رسول الله! قال: [حتى مررنا بنار عمر بن الخطاب] يا ويحكم! [فقال: أبو سفيان -أي هذا أبو سفيان- الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد] يعني: الحمد لله الذي مكننا منك بغير عقد ولا عهد، والآن نقطع رأسك [ثم اشتد نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم] يركض [وركضت البغلة فسبقت عمر] و عمر لا يستطيع أن يضرب أو يقتل إلا بعد إذن القائد صلى الله عليه وسلم، فماذا يصنع؟ بعدما هدده جرى إلى المخيم النبوي، و العباس كان ذكياً، فأجرى البغلة -أيضاً- هو، فوصل إلى الخيمة النبوية قبل عمر .
قال: [ودخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره، وقال: دعني أضرب عنقه] هذا أبو سفيان الذي جاء بثلاثة الآلاف يوم أحد وهاجم المدينة، وكذلك في غزوة الخندق [فقلت: يا رسول الله! إني قد أجرته] والقائل هو العباس .
ولا ننس: (أجرنا من أجرت يا أم هانئ)، وكان من شر الخلق حكم الرسول بإعدامه ولو تعلق بأستار الكعبة، فهرب إلى أم هانئ بنت عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأجارته، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (أجرنا من أجرت يا أم هانئ)، وأطلقه.
أين هذه الأخلاق؟ أين هذه الآداب؟ أين هذه الكمالات؟! ما شممنا ريحها، ولا عرفنا منها شيئاً؛ لأننا هجرناها من ألف سنة، ونحن بعداء عنها، فكيف نعرفها؟ مؤمنة أجارت مجرماً فأعطاها الرسول ذلك، وقال: اخرج واذهب، لا تُقتل ولا تُسب ولا تُشتم، ويسمونه اليوم باللجوء السياسي؛ سياسة الجهال والظلمة! فهم لا يعرفون الله ولا رسوله فكيف يسوسون أو يعرفون؟ وأعود إليها: فقد قرأنا اليوم في الصحف -وما قرأناها إلا لأننا في الطائرة- أن هناك من عازم على أن يطبق مبدأ إبادة البشر بالقنبلة الذرية، وكنا نقول من سنين: أيها الناس احذروا غضب الله! فما أوجد الله هذه القنبلة التي بواحدة منها تدمر عاصمة كاملة -كما حصل في اليابان- إلا لحكمة، وما وجدت عبثاً -والله- أبداً، وقد اصطلحت القوتان وانهزمت روسيا، وقلنا: إن شاء الله انتهينا من هذا، ولكن تجددت المخاوف، وبدأت تلوح في الآفاق من جديد، فهناك جماعات تريد أن تنتقم من البشرية، والله هو الذي يسخرهم، لقد عم الدنيا الخبث، وأصيبت بالظلام؛ ظلام الظلم والشر والفساد، وأصبحت شراً من البهائم، إذاً: لابد وأن تمضي سنة الله فينا إلا من رحم الله.
قال: [ثم أخذت برأس رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلت: لا يناجيه اليوم أحد دوني] يعني: يتكلم معه سراً [فلما أكثر عمر فيه] من الكلام [قلت: مهلاً يا عمر ! فوالله ما تصنع هذا إلا أنه من بني عبد مناف، ولو كان من بني عدي] أي: من قبيلتك [ما قلت هذه المقالة] وهذا موقف صعب! [فقال: مهلاً يا عباس ! فوالله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إلي من إسلام الخطاب لو أسلم] لا إله إلا الله! نور مع نور [فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اذهب فقد أمناه حتى تغدو علي به الغداة)] يعني: أمناه فلا يمسه سوء حتى يأتي الغد -إن شاء الله ونصدر- حكمنا.
قال: [فرجعت به إلى منزلي وغدوت به على رسول الله صلى الله عليه وسلم غداً، فلما رآه قال: (ويحك أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله، قال: بلى بأبي أنت وأمي يا رسول الله لو كان مع الله غيره لقد أغنى عني شيئاً)] هل أغنت عنه اللات أو العزى أو مناة أو هبل؟! وهل أغنت الشيوعية والاشتراكية والعلمانية عن أصحابها شيئاً؟ والله لم تغن، وانتظروا، ومن عاش يرى! [(فقال: ويحك ألم يأن

لك أن تعلم أني رسول الله، فقال: بأبي أنت وأمي، أما هذه ففي النفس منها شيء)] ما هي كالأولى، الأولى عرف أنه لا إله إلا الله، أما هذه ففي النفس منها شيء [قال العباس : فقلت له: ويحك تشهد بشهادة الحق قبل أن تضرب عنقك] أي: اشهد بشهادة الحق قبل أن تقتل [فتشهد وأسلم معه حكيم بن حزام و بديل بن ورقاء الخزاعي].

ونترك القضية إلى جلسة أخرى إن شاء الله.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

وقائع لا ينساها التاريخ ومواقف تظل شاهدة على أهلها الذين سطروا حروفاً من الوفاء والشجاعة والعفو والتسامح وقمة التعامل الحسن مع الأسرى والأعداء، تلك المبادئ هي ما حصل في فتح مكة، وتجلت الصورة أكثر فيما يحمل رسول الإنسانية والقائد العظيم من الصبر والدعوة والتأني والحكمة العظيمة التي أوتيها.

استعراض القوة للإرهاب (أثناء فتح مكة)

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل لـه، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.
أما بعد: فقد انتهى بنا الدرس إلى [استعراض القوة للإرهاب] من فتح مكة، وقد عرفنا: أولاً: أسباب تلك الغزوة.
ثانياً: التجهيز والإعداد الذي جهزه الرسول وأعده لفتح مكة.
ثالثاً: المسير إلى مكة، ومشينا معهم حتى وصلنا مع قوات الرسول صلى الله عليه وسلم إلى مر الظهران.
ولنستمع ماذا تم بعد ذلك.
قال: [وأمر الحبيب صلى الله عليه وسلم العباس] عمه، ذاك الذي هاجر والرسول في طريقه إلى مكة، فلقي الحبيب صلى الله عليه وسلم في ذي الحليفة (آبار علي) فقال: اذهب بأهلك إلى المدينة وامش معنا للجهاد والفتح [أمر الحبيب صلى الله عليه وسلم العباس أن يذهب بـأبي سفيان فيحبسه في طريق مرور الجيش الإسلامي].
قال له: يا عباس ! خذ أبا سفيان واحبسه في المكان الفلاني حتى تمر خيل الله وهو شاهد، ومن ثم ينهزم ويذهب إلى مكة يبشرهم بالفتح.
وهذه سياسة حربية رشيدة امتاز بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد امتاز بكل نوع من أنواع السياسات في السلم والحرب على حد سواء، وحسبك أن تعلم أنه يتلقى معارفه من ذي العرش جل جلاله وعظم سلطانه، مدبر الكون كله.
قال: [ليرى] أي: أبو سفيان [بأم عينيه قوة الإسلام والمسلمين، قال صلى الله عليه وسلم: (اذهب بـأبي سفيان فاحبسه عند خطم -أنف- الجبل بمضيق الوادي حتى تمر عليه جنود الله)] جيش محمد صلى الله عليه وسلم [قال العباس رضي الله عنه: فقلت: يا رسول الله! إنه يحب الفخر] لأن أبا سفيان كان رئيس البلاد وحاكمها [فاجعل له شيئاً يكون في قومه] إذاً: العباس سياسي أيضاً! أليس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ ويعرف طباع القوم وأخلاقهم [فقال] أي: الحبيب صلى الله عليه وسلم مستجيباً لاقتراح العباس [(فليدخل مكة وليقل)] يعلن بأعلى صوته [(من دخل دار أبي سفيان فهو آمن)] أي: اهربوا أيها الظالمون لتنجوا [(ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن)].
من أين هذه التعاليم؟ من رسول الله صلى الله عليه وسلم.
ومعنى هذا: أن لا تسيل الدماء ولا تزهق الأرواح، ولا يقتل أحد، وإن كان هناك قوة وقدرة، فمن الرحمة والإخاء والمودة البشرية أن نفتح باب النجاة: فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن -أي: اطرح سلاحك وادخل- ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، ومن دخل بيته وأغلق الباب فهو آمن، فتدخل قوات الرسول ولا تقتل أحداً.
صلوا عليه وسلموا تسليماً! وقولوا: لعلمائكم وحكامكم، بل لنسائكم وأطفالكم أن يقتدوا برسول الله صلى الله عليه وسلم! أما قال تعالى: لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا [الأحزاب:21]؟ نحن لم نهبط -وقد كنا في علياء السماء- قادة وسادة إلا لأننا جهلنا الطريق إلى الله.
[قال العباس : فخرجت فحبسته.
أي: أوقفته عند خطم الجبل] أخذ أبا سفيان عند خطم الجبل [فمرت عليه القبائل، فجعل يقول: من هؤلاء؟ فأقول: أسلم] قبيلة أسلم [فيقول: من هؤلاء؟ فأقول: جهينة، فيقول: ما لي ولجهينة؟ حتى مر رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتيبته الخضراء] لكثرة الحديد وظهوره فيها قيل لها: الخضراء [مع المهاجرين والأنصار لا يرى منهم إلا الحدق] والمهاجرون هم الذين هاجروا من مكة أيام حكم الكفر والتحقوا بالمدينة؛ ليعبدوا الله بطريقة رسوله صلى الله عليه وسلم، والأنصار هم الذين كانوا بالمدينة، فنزل بينهم الرسول مهاجراً فآووه ونصروه.
قال: [فقال: من هؤلاء، فقلت: هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المهاجرين والأنصار، فقال: لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيماً] مازال مادياً رضي الله عنه.
لما شاهد القوات وما عليها من السلاح، قال: لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيماً [فقلت] أي: العباس [ويحك إنها النبوة] أي: ليس المُلك ولا أوساخ الدنيا هذه وإنما النبوة الإلهية [فقال: نعم إذن] تراجع أبو سفيان [فقلت: الحق بقومك سريعاً].
أصبح العباس قائداً لـأبي سفيان ، قال له: الحق بقومك سريعاً [فحذرهم] من حمل السلاح أو مواجهة جيش الإسلام.
قال: [فخرج حتى أتى مكة ومعه حكيم بن حزام ، فصرخ في المسجد: يا معشر قريش! هذا محمد قد جاءكم بما لا قبل لكم به] إي والله! [فقالوا: فمه؟] أي: ماذا نفعل؟ [قال: من دخل داري فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن.
ثم قال: يا معشر قريش! أسلموا تسلموا] أي: أسلموا قلوبكم ووجوهكم لله تسلموا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.
[فأقبلت امرأته هند] وهذه زعيمة، لو تجمع نساء العالم اليوم -والله- ما كن هنداً في فهمها وقدرتها على التصرف وحكمتها، علماً بأنها ليست جامعية؛ لا تحمل دكتوراه ولا ماجستير، ويكفي أنها تعلمت من رسول الله صلى الله عليه وسلم [فأخذت بلحيته] إذاً: أبو سفيان كان

عنده لحية! وفرعون مصر كانت له لحية أيضاً! والبشرية كلها كانت بلحاها؛ لأن هذا يميز بين الذكر والأنثى، بين الفحل وأنثاه، ولا غرابة ولا عجب في ذلك، فهذه هي الفطرة.
لم رزقنا الله لحية ولو شاء لجعلنا كلنا مرداً كالنساء؟! هذا من النظام الحكيم، لكي لا يصبح الرجل كالمرأة، فليس بمعقول! [وقالت: يا آل غالب اقتلوا هذا الشيخ الأحمق] لأنه جاء بجيش العدو [فقال: أرسلي لحيتي] أي: أطلقيها [وأقسم لئن لم تسلمي لتضربن عنقك] ما قال: أنا أضربها، ولكن الرسول وقادته [ادخلي بيتك، فتركته وذهبت] ما زادت كلمة.

دخول القوات إلى مكة

قال: [دخول القوات إلى مكة] من قبائل العرب: أسلم وغفار وجهينة، إضافة إلى المهاجرين والأنصار، بقيادة أبي القاسم صلى الله عليه وسلم.
[ومشى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وصل ذا طوى] مكان قريب من مكة وهو داخل مكة الآن [وقف على راحلته معتجراً بشقة برد حبرة حمراء] لفها على رأسه ولكن ليست كالعمامة [وفرق جيشه، فأمر الزبير بن العوام أن يدخل في بعض الناس من كدي] كدي: اسم جبل بمكة [وأمر سعد بن عبادة أن يدخل في بعض الناس من كداء (المعلاة)، وسمع سعد بن عبادة يقول: اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الحرمة] سعد أراد أن يشفي صدره، فقال: اليوم يوم الملحمة، والملحمة هي المجزرة [فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله! اسمع ما قال سعد بن عبادة ، ما نأمن أن يكون له في قريش صولة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب : (أدركه فخذ الراية منه، فكن أنت الذي تدخل بها)] وهذا أمر من القيادة العليا، قال: أدركه يا علي فخذ الراية من يده؛ لأنه فهم أنه يريد أن ينتقم ويثأر.
قال: [وأمر خالداً] ابن الوليد [أن يدخل من الليط أسفل مكة في بعض الناس، وكان خالد على المجنبة اليمنى، كما أن الزبير على المجنبة اليسرى، وأقبل أبو عبيدة بن الجراح بالصف من المسلمين ينصب لمكة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنه صلى الله عليه وسلم لتواضعه لربه لما رأى من إكرام الله تعالى له تكاد لحيته تمس واسطة الرحل؛ تواضعاً لله تعالى] كادت لحيته أن تمس سرج الناقة تواضعاً لله عز وجل، فقد خرج طريداً مشرداً منذ ثمان سنوات، والآن دخلها غازياً فاتحاً [فلم يدخل دخول الظلمة الفاتحين يكاد يطير بهم الزهو والخيلاء والكبر والصلف] بل دخل مدخل المتواضع المتطامن.
قال: [وقد أوصى صلى الله عليه وسلم أمراءه] رجال قواته [أن لا يقتلوا إلا من قاتلهم، وكان صفوان بن أمية و عكرمة بن أبي جهل و سهيل بن عمرو] سفير مكة في الحديبية [قد جمعوا ناساً بالخندمة ليقاتلوا، فلما وصلهم المسلمون بقيادة خالد بن الوليد ناوشوهم شيئاً من القتال، فقتل من المشركين نحواً من ثلاثة عشر رجلاً، ثم انهزموا، وقتل من المسلمين كرز بن جابر و حبيش بن خالد بن ربيعة بسبب سلوكهما طريقاً غير طريق خالد الذي سلكه.

من القبة إلى المسجد

قال: [من القبة إلى المسجد] قبة القيادة، وكانت مضروبة للقائد صلى الله عليه وسلم، وبعد أن فتح الله البلاد، توجه إلى المسجد الحرام.
[وكان قد ضربت للحبيب صلى الله عليه وسلم قبة بالحجون، وها هو ذا صلى الله عليه وسلم يخرج منها في طريقه إلى المسجد الحرام وإلى جنبه الصديق يحادثه وهو يقرأ سورة الفتح] من هذا الصديق ؟ ها هو إلى جنبه في الحجرة إلى الآن، ما فارقه حياً ولا ميتاً، ومن أهل الضلال اليوم من هذه الأمة من يكفر أبا بكر ويلعنه!! ولا يسألون أبداً ولا يستفسرون ولكن فقط يقلد بعضهم بعضاً، أبو بكر الصديق من كفره كفر ولم يبق له حظ في الإسلام، قال تعالى: وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ [الزمر:33] من تعني هذا الآية بعد رسول الله؟ أبا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وأرضاه، نقول هذه الكلمة وقد يوجد من إخواننا الزوار والحجاج من هو مغرور مخدوع، فعندما يسمع هذه الكلمة يتراجع، ويسأل أهل العلم، أو يسافر إليهم، وهل فينا من يرضى بأن يبقى كافراً؟ أعوذ بالله! قال: [حتى بلغ البيت الحرام فطاف سبعاً على راحلته، واستلم الحجر الأسود بمحجن كان بيده، وكان حول البيت ثلاثمائة وستون صنماً، فجعل يطعن بعود في يده وهي تتساقط، وهو يقول: (جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً، وما يبدئ الباطل وما يعيد)] كان هناك ثلاثمائة وستون صنماً حول الكعبة، لكل قبيلة صنم، فغير الحبيب صلى الله عليه وسلم هذا المنكر، وقد عاش -من قبل- عشر سنوات في مكة وما استطاع أن يغيره، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها، ولما قدر وملك غير المنكر، فتغيير المنكر يكون باليد عندما تكون لك سلطة، أما إذا لا سلطة لك فلا تعرض نفسك للدمار والخراب، وأنت تدعو إلى الله وتريد أن تحيي القلوب الميتة بالكلم الطيب.
قال: [وأمر بالصور والتماثيل التي داخل البيت، فأخرجت ورميت هي وسائر الأصنام خارج المسجد الحرام، ودخل صلى الله عليه وسلم الكعبة وصلى فيها، وكبر في سائر نواحيها، ثم خرج فجلس في المسجد الحرام كالبدر في هالته والعيون إليه شاخصة والقلوب واجفة].

مظاهر الكرم المحمدي

قال: [مظاهر الكرم المحمدي] تريدون أن تشاهدوا كرم نبيكم؟ تفضلوا! [ثم قام صلى الله عليه وسلم على باب الكعبة، وقال: (لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده.
ألا كل دم أو مأثرة أو مال يُدّعى، فهو تحت قدمي هاتين إلا سدانة البيت وسقاية الحاج)] أسقط وأبطل كل ما كان في عهد الجاهلية من حقوق ودماء وأموال، وانتهت، فالأمة دخلت عهداً جديداً، إلا سدانة البيت وسقاية الحجاج باقية على أصلها.

[(ألا وقتيل الخطأ -شبه العمد بالسوط والعصا- ففيه الدية مغلظة، مائة من الإبل، أو أربعون منها في بطون أولادها.
يا معشر قريش! إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء.
الناس من آدم، وآدم من تراب، ثم تلا قوله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ [الحجرات:13]، ثم قال: يا معشر قريش! ما ترون أني فاعل بكم؟ قالوا: خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم، قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء)، فعفا عنهم بعد أن أمكنه الله تعالى منهم، فضرب بذلك المثل في العفو والصفح عن الجناة بعد القدرة عليهم والتمكن منهم] هل تعرفون مثل هذا العفو؟! لقد شاهدنا إخواننا عندما يستقلون عن بريطانيا وفرنسا يأكل بعضهم بعضاً.

وقائع غزوة الفتح وأحداثها كثيرة وشهيرة وذات مدلولات عظيمة لمرحلة تاريخية مفصلية في هذا الأمة، إذ وجد مجرمون كانوا ينالون من الإسلام ونبيه ويعملون على هدمه ومحوه، فهؤلاء كانوا ضمن لائحة عدم العفو العام عنهم يوم الفتح وكان عددهم ثمانية، كما أن المسلمين الجدد كان لهم لقاء بيعة على جبل الصفا مع الحبيب المربي صلى الله عليه وسلم، يبايعهم على السمع والطاعة فيما استطاعوا إليه سبيلاً.

المجرمون الثمانية

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.
أما بعد: ما زلنا مع أحداث غزوة الفتح .
.
قال: [المجرمون الثمانية] ما سبب إجرامهم؟ لما فتح الله على رسوله مكة ودخلها بجيش مكون من عشرة ألف مقاتل، وانهزم المشركون، دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متواضع، تكاد لحيته تصيب قربوش سرجه، ولما دخل وجد المشركين قد تجمعوا في المسجد الحرام، فقال: (يا معشر قريش! ما تظنون أني فاعل بكم؟ قالوا: خيراً! أخ كريم وابن أخ كريم، فقال: اذهبوا فأنتم الطلقاء)، مع ما عانى من ظلمهم وشرهم واعتدائهم، ولكن تجلت في رسولنا صلى الله عليه وسلم الرأفة والرحمة، والله يقول: لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ [التوبة:128].
اللهم إلا هذه المجموعة التي عانى منها المؤمنون معاناة شديدة، وهم ما يعرفون بالمجرمين الثمانية، فهيا نسمع عنهم ما حصل لهم.
قال: [لم يشمل ذلك العفو العام] وهو: (اذهبوا فأنتم الطلقاء) [ثمانية مجرمين وأربع نسوة مجرمات.
فالرجال الثمانية هم: عكرمة بن أبي جهل] ورضي الله عن عكرمة فقد كانت له مواقف في فتح الشام، وعكرمة لنا معه حادثة قصيرة، ولكن قبل ذلك نذكر قصة شبيهة بقصته وهي قصة يونس بن متى عليه السلام، وذلك أنه لما شرد من دعوته وفر من قومه لما عاناه وقاساه معهم، ووجد من الصلف والإعراض، قال: أتركهم لله، وهرب، فلما وجد سفينة تكاد أن تقلع ركب فيها، فنادى ربان السفينة بأن حمولتها كبيرة: فإما أن تختاروا من تختاروا وتلقوه في البحر، أو تغرقوا كلكم، فما كان منهم إلا أن استهموا -أي: اقترعوا- فخرجت القرعة على يونس عليه السلام، فأخذوه برجليه ورموا به في البحر، فصدر أمر الله عز وجل إلى سمكة بأن تفتح فاها لتلتقم يونس بن متى، فظل يسبّح الله تعالى في بطنها قائلاً: لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ [الأنبياء:87]، فصدر أمر الله إلى السمكة بأن تقذفه إلى شاطئ البحر، فقذفته، وأنبت عليه شجرة من يقطين فظللته، وكانت غزالة تأتيه من على الجبل فتدني نفسها منه ليرضع من ثديها، وقد كان مريضاً يكاد لحمه يتمزق من حرارة بطن الحوت، واقرأوا لذلك: فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ * وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ * وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ * فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ [الصافات:145-148].
هذه قصة يونس بن متى.
لم حوسب بهذا؟ لأنه هرب وما صبر، ولو صبر لكان خيراً ولكن جزع بعد أن عانى من قومه ما عانى من الصلف والإعراض وعدم الاستجابة فهرب، ولكن الله أنقذه بقوله: لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ [الأنبياء:87]، وما من مؤمن ولا مؤمنة يصاب بنكبة أو شدة فيفزع إلى الله بهذا الذكر ويواصله الليل والنهار إلا فرج الله ما به.
أما عكرمة رضي الله عنه وهو ابن أبي جهل ، لما مات أبوه في غزوة بدر تقمص ثياب أبيه وأصبح في شره، فمن هنا لم يستطع أن يطأطأ رأسه لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين، فهرب إلى البحر، فلما ركب البحر جاءت عواصف وأمواج، فقال الملاح أو ربَّان السفينة: ادعوا الله وأخلصوا له الدعاء لينجيكم، أي: ادعوا الله وحده لا هبل ولا غيره! فقال عكرمة : أعد ما تقول.
فقال: قلت لكم: ادعوا الله لينجيكم من الغرق ولا تذكروا اللات ولا العزى ولا مناة ولا صنم، فقال: هذا الذي هربت أنا منه فأعود إليه؟! والله لترجعن بي إلى شاطئ البحر وأذهب إلى محمد فأصافحه، يعني: إذا كان ولا بد من لا إله إلا الله فلم أهرب أنا؟! وقد ذكر الله عن المشركين إخلاصهم له عند ركوب البحر، فقال تعالى: فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ [العنكبوت:65]، وكانت عادة الجاهليين في الجاهلية، إذا أصابتهم النكبة فزعوا إلى الله وحده؛ لأنهم لا يعرفون عن الآلهة أنها تنقذهم، فإذا اشتد بهم الكرب أو الخطب أو المرض لا يعرفون إلا الله.
فعاد عكرمة بن أبي جهل وهو أحد الثمانية الذين لهم حكمهم.
قال: [و صفوان بن أمية بن خلف و عبد الله بن سعد بن أبي السرح و عبد الله بن خطل و الحويرث بن نقيذ بن وهب و مقيس بن صبابة و عبد الله بن الزبعري و هبار بن الأسود ؛ إذ كان هؤلاء أشد عداوة وأذى لرسول الله صلى الله عليه وسلم من غيرهم، ولذا أمر] الرسول صلى الله عليه وسلم [بقتلهم قبل توبتهم، وقد تاب وأسلم وحسن إسلامه كل من عكرمة و صفوان و عبد الله بن سعد بن أبي السرح و عبد الله بن الزبعري ، وقتل الأربعة الباقون كفراً، فإلى جهنم وبئس القرار] أبوا أن يتوبوا.
وقال عبد الله بن الزبعري لما أسلم شعراً يعتذر فيه: يا رسول المليك إن لساني راتق ما فتقت إذ أنا بور] أي: هالك بالكفر.

[إذ أباري الشيطان في سنن الغيِّ ومن مال ميله مثبور] اعتراف بواقعه، وتعرفون المباراة، يعني: يكاد يكون أقوى من الشيطان في الضلال.
[آمن اللحم والعظام لربي ثم قلبي الشهيد أنت النذير] آمن بعظمه ولحمه وقلبه، فرضي الله عنك يا ابن الزبعري .
قال: [وأما النسوة فهن هند بنت عتبة و سارة مولاة عمرو بن عبد المطلب و قينتا عبد الله بن خطل ، فأسلمت هند وحسن إسلامها] وهي امرأة أبي سفيان أم معاوية رضي الله عنهم أجمعين [وكذا إحدى القينتين] أي: الجاريتين [والاثنتان الأخريان قتلتا كافرتين، فإلى غضب الله وأليم عذابه] حتى النساء نجا منهن اثنتان وهلكن اثنتان؛ لأن القضاء الإلهي قضى بهذا.

البيعة على الإسلام

قال: [البيعة] على الطريقة النقشبندية أم التجانية؟ سبحان الله! أحدث المسلمون بيعات لرجال الطرق والتصوف، والبيعة لا تكون إلا لإمام واحد يطبق شرع الله وكتابه، على السمع والطاعة فيما أمر الله به ونهى عنه، لكن لما تمزقنا وأصبحنا دويلات، صار كل شيخ عنده مجموعة من العبيد يخدمونه ويبايعونه، متى تم هذا؟ لما أعرض المسلمون عن القرآن والسنة، وحولوا القرآن إلى الموتى والمقابر، فهبطوا وتمزقوا، فلعبت بهم الشياطين حتى في البيعة.
قال: [البيعة على الإسلام: ثم جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا] أي: جبل الصفا [للبيعة] ما في هناك سرادق من ذهب ولا من حطب، فأين يجلس؟ جلس في مكان عال وهو جبل الصفا، وإذا حججتم إن شاء الله وعلوتم عليه اذكروا هذه الحادثة [و عمر بن الخطاب تحته] كان الرسول صلى الله عليه وسلم عال فوق الجبل و عمر تحته يتولى الدفاع عنه [وتقدم الرجال يبايعون رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام] ما هو على الطريقة النقشبندية، وبعض الإخوان يقولون: لماذا يتكلم الشيخ على الطريقة النقشبندية؟ فأقول: لأنه ليس عندنا -والله- سوى طريق واحد، وهو طريق محمد صلى الله عليه وسلم ألا وهو الإسلام، فأهل القرية كلهم على منهج واحد، قلبهم واحد، إسلامهم واحد، لا فرقة بينهم أبداً في هذه الأمة، إلا إذا هبطت وتمزقت وأكلتها الشياطين.
قال: [فكان يبايعهم على السمع والطاعة لله ولرسوله فيما استطاعوا] وقدروا عليه [ولما فرغ من بيعة الرجال] أي: رجال أهل مكة الذين قال لهم: اذهبوا فأنتم الطلقاء وجاءوا ليسلموا [جاءت النساء للبيعة، وكانت بينهن هند بنت عتبة متنكرة] في لباسها، فالرجال يتنكرون والمرأة كذلك تتنكر [لما صنعت بحمزة رضي الله عنه] فهي التي أعطت وحشي ما أعطته من المال ليقتل حمزة رضي الله عنه؛ فتشفي صدرها، ولما قُتل حمزة شقت بطنه وأخرجت كبده فمضغتها.
قال: [فقال لهن] الحبيب صلى الله عليه وسلم [(تبايعنني على ألا تشركن بالله شيئاً)] أي: على ألا تشركن يا نساء بالله شيئاً من الشرك، حتى ولو انحناء بالرأس؛ إذ لا إله إلا الله، فلا يعبد إلا هو بجميع أنواع العبادات [قالت هند : إنك والله لتأخذ علينا ما لا تأخذه على الرجال فسنؤتيكه] يعني: نفعل ونعطيك ما طلبت [(قال: ولا تسرقن) قالت: والله إن كنت لأصيب من مال أبي سفيان الهنة والهنة] خافت أن تبايع على عدم السرقة وهي تأخذ من مال زوجها الشيء التافه، فالهنة هي: الشيء الصغير الذي لا يعرف له اسم [فقال أبو سفيان وكان حاضراً: أما ما مضى فأنت منه في حلّ] يعني: سامحناك عليه، أما في المستقبل فلا، لا تسرقي من مالي [فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أهند ؟] ولم يعرفها لأنها تنكرت، لكن لما تكلم زوجها عرفها [قالت: أنا هند فاعف عما سلف عفا الله عنك] دعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم.
ووالله! لو جمعتم جامعياتكم جميعاً في الشرق والغرب من دكاترة وغيرهن ما كن هنداً في فقهها وفهمها وقوة إيمانها، ووالله ما درست في كتَّاب ولا مدرسة، لا متوسطة ولا ثانوية ولا جامعة لا في بلاد العرب ولا العجم.
ومن قال: كيف؟ نقول: أرونا نتائج تلك الدراسات، ماذا أنتجت؟ أو لعل قائلاً يقول: إذاً تريد أن يبقى النساء جاهلات يا شيخ؟ إي والله نريد أن يبقين مؤمنات صالحات يعرفن كيف يعبدن الله، يعبدنه في بيوت الرجال ويربين البنين والبنات، لا نريد تعليماً لوظيفة، فتصبح تجري معصبة إليها، تاركة أولادها وبيتها وزوجها، وأعوذ بالله من هذه الحال! ما أسوأها، إنها وراثة عن الغرب الكافر، أردنا أن تكون الفتاة المؤمنة كالفتاة الألمانية والطليانية، ودفعنا إلى هذا المجوس واليهود والنصارى، أرباب الكيد لأمة الإسلام؛ حتى تستوي معهم في الهبوط والسقوط، ولم تتميز؟! [قال: (ولا تزنين)] يخاطب النسوة [قالت: وهل تزني الحرة؟!] ما كان يخطر ببالهن أن الحرة تزني أبداً في بلاد العرب، هذه واحدة.
الثانية: ما كان يعرف في بلاد العرب شيء اسمه اللواط، ونزو الذكر على الذكر قط، ومن مظاهر ذلك أنهم لا ينزون الحمار على الفرس؛ فلهذا لم تكن بغلة في تلك الديار إلا الدلدل، التي أهداها حاكم مصر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، والغرب عندهم أندية للواط!! [قال: (ولا تقتلن أولادكن)، قالت: ربيناهم صغاراً وقتلتهم يوم بدر كباراً، فأنت وهم أعلم] يعني: ما عندنا أولاد، ومن أين الأولاد حتى نقتلهم؟ ولا شك أن الرسول تبسم عند هذا [فضحك عمر] لما قالت ما قالت ضحك عمر [قال: (ولا تأتين ببهتان تفترينه بين أيديكن وأرجلكن)، قالت: والله إن إتيان البهتان لقبيح ولبعض التجاوز أمثل قال: (ولا تعصين في معروف) قالت: ما جلسنا هذا المجلس ونحن نريد أن نعصيك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب : بايعهن.
واستغفر لهن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ إذ كان صلى الله عليه وسلم لا يمس النساء ولا يصافح امرأة، ولا تمسه امرأة؛ إلا امرأة أحلها الله له] من زوجة [أو ذات محرم منه].
وعمر تولى البيعة؛ لأن البيعة أن يأخذ الكف على الكف ويبايع، والرسول لا يصافح النساء، وهذه البيعة جاءت في سورة الممتحنة: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ [الممتحنة:12]، على ماذا؟ عَلَى أَنْ لا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلا يَسْرِقْنَ وَلا يَزْنِينَ وَلا يَقْتُلْنَ أَوْلادَهُنَّ وَلا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ [الممتحنة:12].

الإنسان قبل الإيمان

قال: [الإنسان قبل الإيمان] كيف يكون الإنسان قبل الإيمان؟ [ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من بيعة الرجال وبيعة النساء، كان قد آن أوان الظهر، فأمر بلالاً أن يطلع على سطح البيت الحرام ويؤذن، وقريش فوق الجبال وسطوح البيوت، فمنهم من يطلب الأمان، ومنهم من أُمِّن، فلما أخذ بلال في الأذان وقال: أشهد أن محمداً رسول الله، قالت جويرية بنت أبي جهل] أخت عكرمة [لقد أكرم الله أبي حين لم يشهد نهيق بلال فوق الكعبة] هذه شيطانة! [وقالت: لقد رفع الله ذكر محمد] اعترفت بعد أن قالت -أولاً-: لقد أكرم الله أبي إذ لم يشهد أو يسمع أذان بلال فوق الكعبة، فقالت: لقد أكرم الله محمداً ورفع ذكره.
وحقاً رُفع ذكره فما من منارة في العالم إلا وتقول: أشهد أن محمداً رسول الله.
قالت: [وأما نحن فسنصلي] لا محالة [ولكن لا نحب من قتل الأحبة] جنية هذه! [وقال خالد بن أسد : لقد أكرم الله أبي فلم ير هذا اليوم، وقال الحارث بن هشام : ليتني مت قبل هذا اليوم، وقال غيرهم مثل قولهم، ولكنهم أسلموا وحسن إسلامهم، فأشرقت نفوسهم بنور الإيمان وذهبت ظلمة الكفر والجهل التي من جرَّائها قالوا ما قالوا من كلمات الكفر التي يرضى المؤمن أن يصلّب ويقطع ولا يرضى أن يقولها أبداً] وكانوا قالوها هذا في يوم الفتح في اليوم الذي شهدوا فيه الإسلام، لكن ما هي إلا ساعات وقد أسلموا وحسن إسلامهم.

ذكريات فيها عبر وعظات

قال: [ذكريات فيها عبر وعظات: أولاً: قالت أم هانئ بنت أبي طالب رضي الله عنها] بنت عم الرسول صلى الله عليه وسلم [لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بأعلى مكة فر إليَّ رجلان من أحمائي من بني مخزوم، وكانت أم هانئ عند هبيرة بنت أبي وهب المخزومي ، قالت: فدخل عليَّ أخي علي بن أبي طالب وقال: والله لأقتلنهما، فأغلقت عليهما باب بيتي، ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بأعلى مكة، فوجدته يغتسل من جفنة] جفنة ماء [وإن فيها لأثر العجين و فاطمة بنته تستره بثوبه، فلما اغتسل أخذ ثوبه فتوشح به، ثم صلى ثماني ركعات من الضحى] وتسمى صلاة الفتح أيضاً.
قالت: [ثم انصرف إليَّ فقال: مرحباً وأهلاً يا أم هانئ ما جاء بك؟ فأخبرته خبر الرجلين وخبر علي] لما قال: لأقتلنهما [فقال: (أجرنا من أجرت وأمَّنا من أمنت فلا يقتلهما)].
وكلمة الجوار انتهت الآن وأصبح لا معنى لها، لا توجد في الشرق ولا في الغرب، إلا ما كان من اللجوء السياسي، وهنا امرأة ذات دين ومعرفة أمَّنت اثنين ممن يستحقون العذاب والقتل فعفا الله عنهما إكراماً لها.
[ثانياً: لما طاف صلى الله عليه وسلم بالبيت دعا عثمان بن طلحة بن أبي طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة فدخل فيها وصلى، وأخرج منها بعض الصور والتماثيل] كان فيها صور وفيها تماثيل من عهد الجاهلية، فأخرجها كلها ورماها [فقام إليه علي بن أبي طالب ومفتاح الكعبة بيده، فقال: يا رسول الله! اجمع لنا الحجابة مع السقاية، صلى الله عليك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أين عثمان بن طلحة؟ فدعي له، فقال: هاك مفتاحك يا عثمان، اليوم يوم بر ووفاء)].
[ثالثاً: لما كان الحبيب صلى الله عليه وسلم يطوف بالبيت يوم الفتح كان فضالة بن عمير بن الملوح فكر في قتل النبي صلى الله عليه وسلم وهو يطوف، فلما دنا من الرسول صلى الله عليه وسلم قال الرسول صلى الله عليه وسلم: أفضالة ؟ قال: نعم، فضالة يا رسول الله، قال: ماذا كنت تحدث به نفسك؟ قال: لا شيء كنت أذكر الله، قال: فضحك النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قال: استغفر الله، ثم وضع يده على صدره فسكن قلبه، فكان فضالة يقول: والله ما رفع يده عن صدري حتى ما من خلق الله شيء أحب إلي منه] صلى الله عليه وسلم [قال فضالة : فرجعت إلى أهلي فمررت بامرأة كنت أتحدث إليها، فقالت: هلم إلى الحديث] المرأة التي كان يحدثها [فقلت: لا، وانبعثت أقول: قالت هلم إلى الحديث فقلت لا يأبى عليك الله والإسلام لو ما رأيت محمداً وقبيله بالفتح يوم تكسّر الأصنام لرأيت دين الله أضحى بيِّناً والشرك يغشى وجهه الإظلام].
أي: أن هذا الرجل جاء ليقتل الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يطوف، فلما دنا منه قال له النبي صلى الله عليه وسلم: أفضالة أنت؟ قال: نعم فضالة يا رسول الله! قال: ماذا كنت تحدث به نفسك؟ -عرف الرسول هذا بوحي من الله عز وجل- فقال: لا شيء كنت أذكر الله فقط.
وكذب! فضحك النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنه لا يستطيع أن يقول: كنت أحدث نفسي بقتلك، أو كيف أتمكن من قتلك.
ثم قال: استغفر الله يا فضالة ، ووضع يده الشريفة على صدر فضالة فسكن قلبه، لأنه كان يضطرب، ولعله خاف من الموت، فقد انكشف أمره، فلما وضع النبي صلى الله عليه وسلم يده على صدره سكن قلبه، فكان فضالة يقول في حياته بعد هذه الحادثة: والله ما رفع يده عن صدري -أي: النبي صلى الله عليه وسلم- حتى ما من خلق الله شيء أحب إليَّ منه.
يعني: لا يوجد شيء أحب إليَّ من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا بعد علم رسول الله بأنه يريد قتله، ولم يقل: خذوا هذا الماكر! وإنما وضع يده على صدره فهدأ وسكن قلبه.
قال فضالة : فرجعت إلى أهلي -أي: إلى بيته- فمررت بامرأة كنت أتحدث إليها في الجاهلية، وليس أنه يزني بها ولكن كان يجالسها ويتحدث إليها، فيقضي ساعة معها أو ما شابه .
قال: فقالت: هلم إلى الحديث كالعادة، فقلت: لا .
أي: انتهى الحديث الباطل، ثم انبعث يقول شعراً: قالت هلم إلى الحديث فقلت لا يأبى عليك الله والإسلام لو ما رأيت محمداً وقبيله بالفتح يوم تكسّر الأصنام لرأيت دين الله أضحى بيِّناً والشرك يغشى وجهه الإظلام [رابعاً: لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد يوم

الفتح وذلك يوم عشرين من رمضان أتى أبو بكر بوالده أبي قحافة يقوده] لأنه كبير السن [فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (هلا تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتيه فيه)] ونحن ما سمعنا بهذا الحديث إلا اليوم طوال حياتنا فكيف نتعلم [قال أبو بكر : يا رسول الله! هو أحق أن يمشي إليك من أن تمشي إليه أنت، فأجلسه النبي صلى الله عليه وسلم بين يديه، ثم مسح صدره ثم قال: أسلم، فأسلم، وقال لـأبي بكر : (غيروا هذا من شعره، وجنبوه السواد)، وكان شعر أبي قحافة أبيض كأن رأسه ثغامة] والثغام هو نبات جبلي أشد ما يكون بياضاً إذا أمحل.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

علامات يعرف بها الإنسان غفران ذنبه عند عودته من حجه

معاشر المستمعين والمستمعات! الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يقول: (من حج هذا البيت ولم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه)، فكيف تدري أو تعرف أنه غفر ذنبك في حجك وعدت بلا ذنب ولا سيئة؟ أو كيف تعرف أنك قُبلت أو لم تقبل؟ هل تريد أن تعرف نفسك؟ إذا عدت إلى بلدك فانظر إلى نفسك، فإذا وجدت نفسك تغيَّرت عن ما كنت تأتيه من الباطل أو اللهو أو العبث أو الكذب أو الخيانة أو العجب أو الكبر.

فاعلم أن الله قد غفر لك ذنبك، وطابت نفسك، فأصبحت كأنفس الأطفال ليس عليها درن ولا وسخ، وإن رجعت أو خرجت من مكة فعدت إلى ما كنت تفعله من الذنوب والآثام فاعلم أن نفسك ما طهرت ولا طيبت، فتب إلى الله عز وجل.

وقد ذكرت لكم أيام كان الحج لا يأتيه إلا الفحول، عندما كان يكلف من المال والمشاق والأتعاب والآلام الكثير، فيبقى المرء في الباخرة ستة أشهر، ثلاثة أشهر ذهاباً وثلاثة أشهر إياباً، وكانوا ينزلون فيركبون على الإبل ويمشون على أرجلهم بين مكة والمدينة، فيعودون بأنفس طيبة طاهرة، وعندما يعود إلى بلده يعرف بسلوكه أنه قد حج، وأهل القرية أو أهل الحي يقولون: أين الحاج الفلاني؟ لما عُرف عنه من الاستقامة والطهر والصفاء نتيجة حجه، أما الآن فيأتي الرجل بالطائرة كالملائكة وينزل في فندق ويأكل الحلوى والعسل ولا مشقة ولا تعب .

! وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

لم تكن حادثة ووقعة كفتح مكة تمر بلا نتائج ولا دروس، بل هي مليئة بفوائد وعبر وأحكام ونوازل قضى فيها رسول الله أو أقرها وشرعها، ومن أعظم تلك النتائج التي حصلت بيان مصير ناكثي العقود والعهود وأنهم مهما طال أمدهم وتناهوا في الغي إلا أن المصير والجزاء والعقوبة والنكال بهم لاحق قريباً ولا مفر عنه، ومن تلك الأحكام التي حدثت مشروعية السفر في رمضان وجواز الفطر فيه، ومنها جواز مباغتة العدو، كما أن من الدروس العظيمة عفوه ورأفته صلى الله عليه وسلم بالناس، وتعليمهم أهم قضايا التوحيد والأحكام بعد الدخول في دين الله تعالى.

نتائج وعبر من فتح مكة

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.
أما بعد: فقد انتهى بنا الدرس إلى [نتائج وعبر] أخذناها أو استقناها من السنة الثامنة لهجرة الحبيب صلى الله عليه وسلم، وقد هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وأقام بها عشر سنين، ثم قبضه الله عز وجل وتوفاه في السنة العاشرة من هجرته، وقد درسنا أحداث السنة الأولى والثانية والثالثة والرابعة حتى وصلنا إلى أحداث السنة الثامنة، وها نحن نقف على نتائجها وعبرها رجاء أن ينفعنا الله تعالى بها، فهيا بنا نستمع ونتأمل ونعزم على أن نعمل إن شاء الله.
قال: [إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبراً نذكرها فيما يلي:

السادس عشر: احترام الرسول صلى الله عليه وسلم لأسرة الصديق وتكريمه لها
قال: [السادس عشر: احترام الرسول صلى الله عليه وسلم لأسرة الصديق وتكريمه لها والإكبار من شأنها] وهذا أبو بكر الصديق بلغنا أن من المسلمين من يبغضه ويلعنه ويكفره! أعوذ بالله! أين العقول؟ أين الأفهام؟ أين البصائر؟ لم لا يسألون أهل العلم: هل يجوز بغض أبي بكر أو لا يجوز؟ أيكون حِب رسول الله وتبغضه، أيحبه الله ورسوله وتبغضه أنت وتدعي أنك مؤمن؟ أين يُذهب بعقلك يا عبد الله؟! قال: [إذ هي الأسرة الوحيدة التي أسلم كافة أفرادها] رجالاً ونساء [آباء وأمهات وبنين وبنات] لم توجد أسرة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم أسلم آباؤها وأبناؤها ورجالها ونساؤها إلا أسرة أبي بكر الصديق ، فقد أسلم أبوه وأسلم هو وأسلم أبناؤه وبناته.

السابع عشر: مشروعية صبغ الشعر بغير السواد
قال: [السابع عشر] والأخير [مشروعية صبغ الشعر بغير السواد سواء أكان شعر لحية أم رأس] مشروع لك أن تصبغ شعرك بالحناء والكتم لا بالسواد؛ لأن أبا قحافة والد الصديق جيء به إلى الرسول صلى الله عليه وسلم يوم الفتح وشعره كالثغامة من البياض، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (غيروا هذا الشيب وجنبوه السواد).
هذا أبو بكر يا من يكره أصحاب رسول الله راجع نفسك وتب إلى ربك، واذكر قول الله تعالى: لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ [الفتح:18]، أيرضى عنهم ثم يسخط؟ أيوصف الله بهذا: يرضى اليوم ويسخط غداً كأنه لا يعلم الغيب؟ يقول تعالى: لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ [الفتح:18] وهذا القرآن يقرأ إلى اليوم ومن قبل ألف وأربعمائة سنة، ولكن الجهل هو الذي فعل بنا هذا، فما عرفنا، ولا درسنا، ولا تعلمنا، ولكن لم لا نسأل أهل العلم، والله يقول: فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ [النحل:43]؟ يجب على من لا يعلم أن يسأل حتى يعلم، وإذا سأل فلا يسأل إلا أهل العلم، أهل القرآن والسنة، أهل البصراء العالمين بدين الله .
والله تعالى أسأل أن يتوب علينا وعليهم، وأن يغفر لنا ولهم، ويرحمنا وإياهم.
وصل اللهم على نبينا محمد وآله وسلم تسليماً كثيراً .

الخامس عشر: آية النبوة تتجلى في علمه صلى الله عليه وسلم بما أضمره الرجل من اغتيال
قال: [الخامس عشر: آية النبوة تتجلى في علمه صلى الله عليه وسلم بما أضمره الرجل من اغتيال الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يطوف] وذلك أنه لما كان الحبيب صلى الله عليه وسلم يطوف بالبيت يوم الفتح كان فضالة بن عمير بن الملوح فكر في قتل النبي صلى الله عليه وسلم وهو يطوف، فلما دنا من الرسول صلى الله عليه وسلم قال الرسول صلى الله عليه وسلم: أفضالة ؟ قال: نعم، فضالة يا رسول الله! قال: ماذا كنت تحدث به نفسك؟ قال: لا شيء كنت أذكر الله، قال: فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال: استغفر الله، ثم وضع يده على صدره فسكن قلبه، فكان فضالة يقول: والله ما رفع يده عن صدري حتى ما من خلق الله شيء أحب إلي منه.
الرابع عشر: وجوب البيعة على الإسلام
قال: [الرابع عشر: وجوب البيعة على الإسلام وهي الطاعة لله ورسوله وأولي الأمر في المعروف وما يستطاع] أي: مبايعة إمام المسلمين والطاعة لله ولرسوله وله أيضاً في المعروف، وفيما نستطيعه، فلا نبايع على شيء لا نقدر عليه؛ لأن هذه البيعة أخذها الرسول على أهل مكة عند الصفا رجالاً ونساءً، وكانت بيعة النساء من ست بنود، ذكرها الله في سورة الممتحنة، فقال تعالى: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا

جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ [الممتحنة:12] على ماذا؟ عَلَى أَنْ لا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلا يَسْرِقْنَ وَلا يَزْنِينَ وَلا يَقْتُلْنَ أَوْلادَهُنَّ وَلا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ [الممتحنة:12].
وهنا لطيفة: لما كانت هند امرأة أبي سفيان تبايع، قال النبي صلى الله عليه وسلم لها ولمن معها: (ولا تزنين)، فقالت: أو تزني الحرة يا رسول الله؟ يعني: كيف نبايع على هذا؟ وهل الحرة تزني؟ ومعنى هذا: أن الزنا في الجزيرة ما كان إلا في الإماء فقط أما الأحرار فلا يزنين.
وأولو الأمر هم العلماء والحكام، أما العلماء؛ فلأنهم يعرفون ما يحب الله وما يكره، وما أمر الله به ورسوله وما نهيا عنه، وأما الحكام فلأن بيدهم السلطة يطبقون وينفذون، فيجب طاعتهم؛ لأنهم بأمر الله يأمرون وبنهي الله ينهون.

الثالث عشر: تقرير مبدأ الجوار في الإسلام
قال: [الثالث عشر: تقرير مبدأ الجوار في الإسلام؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: (أجرنا من أجرت وأمَّنا من أمّنت يا أم هانئ)] وذلك لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة، فر إليها رجلان من أحمائها من بني مخزوم، قالت: فدخل أخي علي بن أبي طالب وقال: والله لأقتلنهما، فأغلقت عليهما باب بيتها وأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبرته الخبر، فقال: (أجرنا من أجرت وأمَّنا من أمّنت يا أم هانئ)، هذا هو الجوار في الإسلام، فإذا لجأ إليك عدو كافر وقال: أمِّني يا فلان، فقلت: أمَّنتك، فلا يسمه أحد بسوء، وهذه فضيلة الإسلام، ويعرف هذا الآن باللجوء السياسي.
وقد حدث هذا أيضاً لـأبي بكر الصديق لما حكمت قريش بإبعاده، فقالوا: ما نسمع صوتك ولا قراءتك، فقد أفسدت علينا قلوب نسائنا وأطفالنا، فخرج من مكة -وهذا قبل الهجرة- فلقيه ابن الدغنة في الصحراء فسأله: إلى أين يا ابن أبي قحافة فقال: ألجأتني قريش إلى الهجرة، فقال: ارجع وأنت في جواري، فرجع وطاف ابن الدغنة بالمنازل والشوارع معلناً جواره لـأبي بكر ، فلما رجع أخذ يقرأ معلياً صوته بالقراءة فاجتمع حوله النساء والأطفال من جديد، فأخبرت قريش بذلك ابن الدغنة وإما أن يلزمه بيته فيقرأ داخله، وإلا ردوا عليه جواره، فقال له ابن الدغنة يا أبا بكر إما وإما .

فقال: رضيت بجوار الله.

الثاني عشر: مشروعية كسر الأصنام والصور والتماثيل وإبعادها من المساجد
قال: [الثاني عشر: مشروعية كسر الأصنام والصور والتماثيل وإبعادها من المساجد بيوت الله تعالى] أبى صلى الله عليه وسلم أن يدخل البيت وفيه الآلهة والصور وأمر بها فأخرجت.
ونحن كيف حال بيوتنا؟ ليس فيها صور فقط، بل المدام عندها الكاميرا تصور بها أولادها، أعوذ بالله! بيوت المؤمنين والمؤمنات تُطرد منها الملائكة وتحل محلها الشياطين! أفيكم من يرد عليَّ بحكمة وعلم ومنطق وذوق فيقول: وماذا لو علقنا الصور في البيت؟! إننا نريد أن ننزل بيوتنا الملائكة، وهذه التذكرة ليست بمليون دولار، فاختراقك سبع سموات ما بين كل سماء وسماء خمسمائة عام، وسمك كل سماء مثل ذلك، أي: ما يعادل سبعة آلاف وخمسمائة وعام، لو ذوبت ذوباناً أو مت عطشاً أو جوعاً ما كان بشيء كبير أبداً تقدمه لذلك، فكيف إذاً بصورة معلقة في بيتك تغضب الله ورسوله والمؤمنين وتطرد الملائكة منه ولا تستطيع أن تبعدها.
الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم كان في سفر، فجاء ودخل إلى بيت عائشة ، فوجدها قد علقت خرقة من كتان منقوش فيها صورة -أيام كان النسيج باليد- سترت بها النافذة، وراءها بعض حاجاتها، فما إن دخل وشاهد الصورة معلقة في تلك الخرقة من القماش حتى تغير وجهه، فأدركت عائشة رضي الله عنها عدم رضا الرسول ذلك فإزالتها، فعرفت رضي الله عنها الغضب في وجهه، وبيوتنا -إلا من رحم الله- تدخل فيها فتشاهد في شاشة التلفاز عاهرة تغني وترقص، وكافر مجوسي يتبجح ويتمنطق!! من فعل بنا هذا؟ من ألزمنا؟ من أكرهنا؟ من خوفنا بالموت والحديد والنار؟ لا أحد، إنما هو الجهل فقط! أرسول الله يغضب وأنت ترضى، يغضب وأنت تضحك؟ لو كنت من أتباعه ومن آمن به، وشهد له بالنبوة؛ لأغضبك ما يغضبه، وأحزنك ما يحزنه، ولكن ما عرفوا، ووالله لو درسوا هدي رسول الله واجتمعوا عليه في بيوت الله وتمكن ذلك من نفوسهم وتضلع فيها، لو أعطوا كل يوم ألف ريال على تلك الصورة ما قبلوها.
وشيء آخر: من يقوم ويقول: يا شيخ لقد استفدنا من هذه الصور في بيوتنا أموالاً؟ والله ولا فلس.
أو شرفاً أو كمالاً؟ والله ما هي إلا الحطة والنقصان.
أو بركة أو خيراً؟ والله ما هو إلا النحس والشقاء.
إذاً: ماذا استفدنا؟ فقط أغضبنا الملائكة وطردناهم من بيوتنا، حتى تصبح مباءة للفساد والشر والخبث.
إذاً: من الليلة لا يرى الله تعالى صورة امرأة ولا رجل في بيتك يا عبد الله! إن كنت تؤمن بالله ولقائه.

تاسعاً: بيان تواضع الرسول صلى الله عليه وسلم لربه شكراً له على آلائه وإنعامه عليه
قال: [تاسعاً: بيان تواضع الرسول صلى الله عليه وسلم لربه شكراً له على آلائه وإنعامه عليه؛ إذ دخل مكة وهو متطامن حتى إن لحيته لتمس رحل ناقته تواضعاً لله وخشوعاً] جيوشه طوقت مكة وانتصرت، ورغم ذلك دخل الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ولحيته تمس رحل ناقته، تطامناً وخشوعاً وشكراً لله سبحانه وتعالى! [فلم يدخل -وهو الظافر المنتصر- دخول الظلمة الجبارين السفاكي الدماء البطاشين بالأبرياء والضعفاء] وعندما ينتصر المسلمون اليوم في عصورنا هذه يقيمون حفلات الرقص والغناء والشطح، وسفك دماء من

ناوأهم؛ لأنهم ما جالسوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عرفوه، ولا سمعوا بهديه، فهم جهال عميان ضلال، فماذا ترجو منهم؟ أيكونون ربانيين هكذا؟ لا.
حتى يجلسوا في حجور الصالحين ويتعلموا.

عاشراً: بيان العفو المحمدي الكبير
قال: [عاشراً] من نتائج وعبر أحداث السنة الثامنة [بيان العفو المحمدي الكبير؛ إذ عفا عن قريش العدو الألد، ولم يقتل منهم سوى أربعة رجال وامرأتين؛ إذ رفضوا الإسلام] والدخول فيه.
قريش التي حاربته في عقر داره يوم بدر وأحد والأحزاب -التي جمعوا فيها الجموع من شرق البلاد وغربها وقالوا: ننهي هذه الدعوى وصاحبها- لما تمكن منهم وحكم لم ينتقم صلى الله عليه وسلم، ولم يكن منهم قتيل إلا أربعة رجال وامرأتين؛ لأنهم رفضوا الإسلام فقط، ولو قالوا: لا إله إلا الله ما قتلهم! من يعرف مثل هذا العفو والصفح؟! والمفروض أن نقتدي برسولنا صلى الله عليه وسلم، فهو أسوتنا، يقول الله تعالى: لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ [الأحزاب:21]، لكن جهلنا حديثه وسنته وآدابه وأخلاقه، ما تعلمناها ولا عرفناها، فكيف نطبقها في حياتنا؟!

الحادي عشر: بيان الكمال المحمدي في عدله ووفائه
قال: [الحادي عشر: بيان الكمال المحمدي في عدله ووفائه، تجلى ذلك في رد مفتاح الكعبة لعثمان بن أبي طلحة ولم يعطه من طلبه منه وهو علي بن أبي طالب صهره الكريم] كان مفتاح الكعبة بيد عثمان بن أبي طلحة ورثه عن أبيه، فلما انتصر الرسول ودخل مكة أراد أن يدخل الكعبة، فسأل عن المفتاح فقالوا: بيد عثمان بن أبي طلحة ، فأخذه من عثمان وفتحها ودخل وصلى فيها، وأمر بإخراج الصور والتماثيل والأصنام منها، ثم جاء علي يقول: أعطني المفتاح، وهو صهره -زوج فاطمة - وابن عمه، فرفض أن يعطيه المفتاح ورده على صاحبه -الذي كان بيده- وقال: (اليوم يوم بر ووفاء)، ولم يراع نسباً ولا قرابة ولا قيادة! ولو أخذنا بهديه ومشينا وراءه وعشنا حياته لكنا نفعل كما يفعل صلى الله عليه وسلم، لكن ما علمنا هذا ولم نسمع به، وحرمنا منه لأننا لا نريد أن نجتمع في بيوت ربنا لنتلقى الكتاب والحكمة كما فعل أصحاب رسول الله، والعلم بالتعلم لا بالنوم ولا اللهو واللعب، ولكن بالطلب الجاد.
وأخيراً: والله الذي لا إله غيره، لن نستقيم ولن يستقيم أبداً حالنا إلا إذا عدنا إلى المنهج المحمدي، فقد كان صلى الله عليه وسلم يجمع أصحابه نساء ورجالاً ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم آداباً وأخلاقاً، وبدون هذا الطريق لن تقوم لنا قائمة ولن نسعد في دنيانا، بل ولا حتى في أخرانا، فقد مَنَّ الله علينا بإرساله إلينا ليعلمنا الكتاب والحكمة، قال تعالى: هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ [الجمعة:2]، وتخرج من هذا المسجد رجال ما عرفت الدنيا لهم مثيلاً إلى يوم القيامة، كيف تعلموا؟ ما هي الشهادات التي أخذوها؟ ما هي الرتب التي فازوا بها؟ والله ما كانوا إلا مؤمنين صادقين في إيمانهم، يسمعون ويتعلمون ويعملون ويدعون إلى ذلك ويطبقون.

سابعاً: جواز إرهاب العدو بإظهار القوة له
قال: [سابعاً: مشروعية إرهاب العدو بإظهار القوة له] مشروعية إرهاب العدو وتخويفه بإظهار القوة له [وفي القرآن] الكريم يقول تعالى [وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ [الأنفال:60]] فإظهارنا للقوة في وجه العدو من شأنه أن يرهبه ويهزمه قبل أن يقاتلنا، أما إذا علم أنه لا قوة لنا ولا طاقة بقتاله فهذا يسبب هزيمتنا ويسلطه علينا، ومعنى هذا: يجب على المسلمين أن تكون لهم قوة عسكرية كما لغيرهم، بل أكثر من قوة عدوهم.
ثامناً: مشروعية إنزال الناس منازلهم

قال: [ثامناً: مشروعية إنزال الناس منازلهم، تجلى هذا في إعطاء الرسول صلى الله عليه وسلم أبا سفيان كلمات يقولهن، فيكون ذلك فخراً له واعتزازاً هو] والناس متفاوتون في درجاتهم وكمالاتهم وشرفهم .
والحكيم من ينزل كل إنسان منزلته، فلا يخلط ولا يخبط، بل ينزل كل إنسان بحسب منزلته، وتجلى هذا في أن الرسول صلى الله عليه وسلم أعطى أبا سفيان كلمات يقولهن -وأبو سفيان هو حاكم مكة وقريش- فلما شاهد القوات وانهزم روحياً وجاء ليسلم، أعطاه الرسول أربع كلمات أو خمس علا بها وسما وأصبح أشرف أهل مكة، فأنزله الرسول منزلته وهي: أولاً: [من يدخل دار أبي سفيان فهو آمن] يعني: يا من يخاف على نفسه ادخل دار أبي سفيان تأمن، فهو حصن حصين، ثانياً: [ومن دخل المسجد فهو آمن] أبو سفيان علا ناقته أو فرسه يعلن في ديار مكة وجيشه هذه الكلمات حتى لا يقع قتال ولا تسيل دماء [ومن دخل داره وأغلق بابه فهو آمن ينادي بها بأعلى صوته] من أعطاه هذه الكلمات؟ الرسول صلى الله عليه وسلم، القائد المنتصر، وبالفعل هرب الناس إلى بيوتهم وإلى دار أبي سفيان وإلى المسجد وما سالت قطرة من الدماء.
هذه هي الحنكة المحمدية والقيادة الربانية!

رابعاً: جواز السفر في رمضان وجواز الفطر والصيام فيه على حد سواء
قال: [رابعاً: مشروعية السفر في رمضان] فلا يقولن قائل: لا يجوز أن نسافر في رمضان؛ إذ سافر الرسول بجيشه لقتال المشركين في رمضان [وجواز الفطر والصيام فيه على حد سواء] إذ كان بعض الأصحاب صائمون وبعضهم مفطرون، ولا يلوم الصائم المفطر ولا

المفطر على الصائم، وأخذنا هذا من غزوة فتح مكة، فقد خرج الرسول بعشرة آلاف مقاتل منهم الصائم ومنهم المفطر، ولا يلوم هذا ذاك ولا ذاك هذا للجواز.
إذاً: يجوز السفر في رمضان، فلا يقل أحد: هذا شهر الصيام فلا نسافر فيه لطلب العلم أو التجارة أو الجهاد في سبيل الله، والدليل: عمل الرسول الحكيم، فقد سافر في رمضان بجيشه، وهكذا يؤخذ العلم من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن سلوكه وحياته؛ ولو كنا ندرس سيرة الرسول طوال العام لأصبحنا كلنا محمديين.

خامساً: جواز التعمية على العدو حتى يباغت قبل أن يكون قد جمع قواه
قال: [خامساً: مشروعية التعمية على العدو؛ حتى يباغت قبل أن يكون قد جمع قواه، فتسرع إليه الهزيمة وتقلّ الضحايا والأموات من الجانبين حقناً للدماء البشرية] أين رجال السياسة؟ أين رجال الجيش والقيادات العسكرية؟ قال: (مشروعية) أي: جواز (التعمية على العدو) وكيف نعمي عليه؟ لا نريه جيشنا ولا كتائبنا ولا نعلن حربنا عليه، ولكن نخفي عنه أمورنا؛ حتى نباغته بغتة واحدة فنهزمه؛ حقناً لدماء البشرية، دماءنا نحن ودماء العدو أيضاً.
وهذا أخذناه من الرسول صلى الله عليه وسلم عندما عمّى على قريش خروجه إليها، فبمجرد أن بلغه نقض العهد ونكثه أعلم رجاله وأعد عدته ولم يكتب إلى قريش: إننا قادمون، أو تهيئوا لحربنا، بل باغتهم مباغتة وكان في ذلك النصر العظيم.

سادساً: بيان الكمال المحمدي في قيادة الجيوش وتحقيق الانتصارات الباهرة
قال: [سادساً: بيان الكمال المحمدي في قيادة الجيوش وتحقيق الانتصارات الباهرة] إي نعم، والله ما عرفت الدنيا منذ أن كانت إلى اليوم -وإلى يوم القيامة- من هو أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم في قياداته! ففي أكثر من سبع وعشرين معركة دارت بينه وبين عدوه كان فيها كلها مثلاً للكمال العسكري، وحسبنا أن يكون الله هو هاديه وقائده ومعلمه، فقد أوتي الحكمة -بل هو أستاذها ومعلمها- ولو أخذنا بهديه في قتالنا وحروبنا وسياساتنا والله لانتصرنا وما انكسرنا ولا انهزمنا، لكن أعرضنا عن هذا الجانب وأخذنا مبادئ الجيش والعسكرية والقتال من الكفار.

ثالثاً: فضيلة إقالة عثرة الكرام وفضل أهل بدر
قال: [ثالثاً: فضيلة إقالة عثرة الكرام وفضل أهل بدر، تجلى ذلك في العفو عن حاطب بعد عتابه] وهذا المعنى معدوم عندنا اليوم، فالكريم إذا عثر عثرة وزلت قدمه في قضية من القضايا علينا أن لا ننسى كل فضائله وكمالاته وننظر إلى تلك العثرة فقط، بل يجب أن نقيل عثرته، وأن نتسامح ونتنازل معه؛ لفضائله وكمالاته وآدابه ومواقفه الإسلامية السابقة.
هذا عرفه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلمه أمته، فحاطب بن أبي بلتعة وقف إلى جنب رسول الله يدفع عنه ويقاتل عن بيضة الإسلام يوم بدر، فعندما أخطأ خطأً جزئياً -وهو والله موقن أن الرسول منتصر؛ لإيمانه بنصرة الله لرسوله، وأن هذا الكتاب الذي بعثه لا ينفع قريشاً في شيء أبداً- عفا عنه، وإنما كان يريد بذلك فقط أن يتخذ يداً عند قريش إن حصل ما حصل لحماية أسرته من زوجة وأولاد؛ لأنه تركهم في مكة لا ولي لهم ولا ناصر.
إذاً: لا ننسى للرجل أو المرأة فضائل وكمالات من أجل خطأ واحد، بل يجب أن نغض الطرف عن هذا الخطأ ونقيل عثرة هذا المؤمن، وإذا فقدنا هذه الآداب الإسلامية والأخلاق الربانية شنعنا وصحنا بل كفّرنا كما هو عمل الجهلة منا؛ لأننا ما درسنا هذا العلم ولا عرفناه، أتنسى كل الكمالات من أجل خطأ واحد، أين يذهب بعقلك؟!

أولاً: بيان عاقبة نكث العهود وأنها وخيمة للغاية
قال: [أولاً: بيان عاقبة نكث العهود وأنها وخيمة للغاية] تعود على صاحبها بالبلاء والخسران والشقاء، فإذا عاهدنا أحداً لا ننكث عهدنا ولا ننقضه، بل نفي ونصبر كيفما كانت الحال؛ لأننا شاهدنا نقض العهد وما ترتب عليه من الخسران [إذ قريش نكثت عهدها فحلّت بها الهزيمة، وخسرت كيانها الذي كانت تدافع عنه وتحميه].
والمعاهدة التي نقضتها هي ما تم من صلح بين قريش من جهة ورسول الله والمؤمنين من جهة سنة ست من الهجرة، وكانت مدة المعاهدة عشر سنين، فنقضتها قريش في السنة الثامنة؛ إذ ساعدت وأعانت أحلافها على أحلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما نقضت عهدها أعلن الرسول الحرب عليها وغزاها وفتح بلادها.

ثانياً: تجلي النبوة المحمدية في العلم بالمرأة حاملة خطاب ابن أبي بلتعة
قال: [ثانياً: تجلي النبوة المحمدية في العلم بالمرأة حاملة خطاب ابن أبي بلتعة؛ إذ أخبر عنها وعن المكان الذي انتهت إليه في سيرها وهو روضة خاخ] و حاطب بن أبي بلتعة من خيرة الأصحاب المهاجرين، ممن شهد بدراً، لما علم بمسير الرسول صلى الله عليه وسلم إلى قريش ليحاربها كتب كتاباً يعلم به قريشاً خروج الرسول وجيشه إليها، وهو مؤمن من خيرة المؤمنين، لكن رأى أنه ليس عنده في مكة من يحمي أسرته، فأراد أن يتخذ يداً له عند قريش وهو موقن أن النبي منتصر وأن المشركين منهزمون، ولكنها مجرد وقاية اتخذها لأسرته، حيث ليس لهم من ينصرهم أو يدفع عنهم، وكان قد بعث بالخطاب مع امرأة بأجرة، فعلم الرسول بخروج هذه المرأة وأنها بالمكان الفلاني، فأرسل علي بن أبي طالب و الزبير بن العوام ليأتيا به، وبالفعل انتهيا إليها وأخرجا الخطاب منها، بعد تهديدها بتجريدها من ثيابها، فأخرجته من عقائص شعرها.

هذه هي نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وإلا من أطلعه أو أعلمه؟ فإذا لم يكن رسول الله كيف يعلم هذا؟ ونزل في هذه القضية قرآن يقرأ إلى اليوم، قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ [الممتحنة:1] وغضب عمر وقال: أضرب عنقه؟! فقال صلى الله عليه وسلم: (وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم).

إذاً: تجلت النبوة المحمدية وظهرت في علمه صلى الله عليه وسلم بالمرأة التي حملت خطاب حاطب بن أبي بلتعة وبمكانها.

لم تتوقف عجلة الجهاد والدعوة والفتح عند دخول مكة وانصياع أهلها للدخول في الإسلام، بل واصل النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه من أصحابه تبليغ دين الله وكلمته إلى أمم لم تصلها الدعوة ولم تبلغها الحجة ويقام عليها الإعذار، فأرسل وفوداً وجيوشاً إلى مناطق وقبائل، ومنها أنه أرسل خالد بن الوليد إلى بني جذيمة داعياً ولم يأمره بالقتال ثم حصل ما حصل من أحداث بعد ذلك.

غزوة خالد لبني جذيمة

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.
أما بعد: في السنة السادسة كانت غزوة الحديبية، وتم صلح بين الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وبين أعدائهم المشركين مدته عشر سنوات، إلا أن المشركين نقضوا عهدهم، والمعاهدات إذا نقضها أحد الجانبين انتقضت، ومن ثم غزاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في السنة الثامنة من هجرته عليه الصلاة والسلام.
قال: [وثاني عشر أحداثها: غزوة خالد لبني جذيمة] بعدما فتح رسول الله مكة واستقر الأمر واستتب فيها بعث رجاله يدعون العرب المشركين إلى الدخول في الإسلام؛ لأن رايته ارتفعت ودولته ظهرت، ولم يبق من قتالٍ يقاتل به المشركون.
هذا الذي بدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم.
قال المؤلف غفر الله له ولكم ورحمه وإياكم: [ولما فتح الله تعالى على رسوله مكة] بلد الله، الذي أقسم به الجبار مرتين، فقال تعالى: لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ [البلد:1] واللام مزيدة، وقال عز وجل: وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ * وَطُورِ سِينِينَ * وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ [التين:1-3].
وفيها لغتان: مكة وبكة.
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غزا مكة في رمضان بعشرة آلاف مقاتل، ومن عجيب ما تم أن القتل كان قليلاً جداً لا يذكر، وهو الأمر الذي لا يقع في التاريخ.
قال: [بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض السرايا حول مكة يدعون الناس إلى الإسلام] والسرايا: جمع سرية، وهي: مجموعة تسري بالليل أو النهار لأداء مهمة.
وكان هذا في شهر رمضان حول مكة لا بعيداً عنها، بعد أن نصره الله وعلت رايته وسقطت عاصمة الشرك والباطل [ولم يأمرهم بالقتال] أي: لم يأمر السرايا بأن تقاتل، بل أمرهم بأن يدعوا فقط؛ إذ لم يبق للقتال معنى ما دامت عاصمة الشرك قد سقطت، إلا من ركب رأسه وأبى أن يقاتل فله أمره، أما مبدئياً فإنما طلب منهم الدعوة فقط.
[وبعث خالد بن الوليد] سيف الله في أرضه، لقبه بهذا اللقب وتوجه بهذا التاج رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن أردتم أن تعرفوا صورة لذلك فاذكروا غزوة مؤتة؛ إذ كان عدد المجاهدين فيها ثلاثة آلاف فقط، وكان عدد الروم ومن معهم من العرب المشركين مائتي ألف، فكيف يقاتل ثلاثة آلاف مائتي ألف؟ واستشهد في تلك المعركة خيرة الرجال، فاستشهد زيد بن حارثة مولى الحبيب صلى الله عليه وسلم، وابن عمه جعفر بن أبي طالب و عبد الله بن رواحة، ثم رأى خالد أن الأمر صعب والموقف جد شديد، فتولى القيادة، واستطاع أن يستل ثلاثة آلاف من مائتي ألف، استلال الشعرة من العجين، وذلك بدهائه ومكره في القتال، وعندها لقبه النبي صلى الله عليه وسلم بسيف الله في أرضه، وها هو ذا يبعثه [على رأس سرية داعياً ولم يأمره بالقتال، فنزل على الغميصاء (ماء من مياه جذيمة_ من جهة اليمن [وكانت جذيمة أصابت في الجاهلية عوف بن عبد عوف أبا عبد الرحمن بن عوف والفاكه بن المغيرة عم خالد بن الوليد] نزلوا في هذا الماء وكانوا يحملون تجارة فقتلتهم جذيمة وسلبت أموالهم كما هي سنة أهل الجاهلية.
قال: [كانا أقبلا تاجرين من اليمن فأخذت ما معهما] جذيمة [وقتلتهما، فلما نزل خالد بسريته ذلك الماء أخذ بنو جذيمة السلاح] لما نزل خالد برجاله ذلك الماء أخذت جذيمة سلاحها تريد أن تقاتل؛ لأنهم ما أسلموا بعد [فقال لهم خالد : ضعوا السلاح! فإن الناس قد أسلموا] أي: ما بقي حاجة إلى أن تقاتلوا، فقد أسلمت مكة [فوضعوا السلاح] على الأرض بعدما أشهروه [فأمر بهم خالد فكتفوا] من أيديهم وأرجلهم [ثم عرضوا على السيف فقتل منهم من قتل]، وما أصاب في هذا خالد بل أخطأ، ولكنه كان مجتهداً فعفي عنه ولم يؤاخذ.
[ولما انتهى الخبر إلى النبي صلى الله عليه وسلم] بعد أيام [رفع يديه إلى السماء] رفع يديه إلى الله [وقال: (اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد)] حتى لا يتحمل مسئولية القتل، ولم يأمره به ولا أوصاه بفعله.
فهل يقف هذا الموقف اليوم أحد من رجالاتنا ويعتذر إلى الله من أجل غلط بعض الغالطين؟! لا.
لا يعرفون هذا ولا يذكروه؛ لأنهم لم يتعلموا، فلم يسمعوا بهذا الموقف.
قال: [ثم أرسل علي بن أبي طالب] ابن عمه وصهره زوج فاطمة رضي الله عنهم أجمعين [ومعه مال، وأمره أن ينظر في أمرهم] أي: أمر جذيمة، وما الذي حدث فيهم من قتل وغيره [فودى لهم الدماء] دفع لكل قتيل ديته إلى قومه أو لورثته [والأموال] التي أخذت منهم [حتى إنه ليدي ميلغة الكلاب] وهو إناء من خشب تشرب فيه الكلاب.
هذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فأين أتباعه؟! قال: [وبقي معه من المال فضلة] يعني: سددت الديات، ودفعت الأموال التي أخذت ثم بقي معه شيء زائد [فقال لهم: هل بقي لكم مال أو دم لم يود؟ فقالوا: لا.

فقال: إني أعطيكم هذه البقية احتياطاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم] ولو كان منا لحوله إلى خزينته [ففعل، ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال: (أصبت وأحسنت)] كلمة -والله- خير من الدنيا وما فيها، فقد أصاب الهدف وما أخطأ في تصرفاته ودفع الديات والأموال، وأحسن في عمله ذلك، ففاز بها ابن أبي طالب ، وكان أهلاً لذلك.

قال: [واعتذر خالد بعد أن دار بينه وبين عبد الرحمن بن عوف كلام] وعبد الرحمن بن عوف هو الذي قتل أباه هناك [وكان أمر الله قدراً مقدوراً، فقد رأى هذا الحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم في رؤيا رآها] هذا الحدث الذي سمعناه رآه الرسول صلى الله عليه وسلم في منامه قبل أن يقع، وعبره أبو بكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكان كما عبر، ورؤيا الأنبياء وحي، والعجيب أن يهيئ الله الصديق -الصاحب الجليل- ليعبرها لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

[قال: (رأيت كأني لقمت لقمة من حيس)] والحيس: خبز يفت ثم يبل بالزيت أو العسل، ومنه قول الشاعر: وإن تك كريهة أدعى لها وإذا يحاس الحيس يدعى جندب فالحيس أكلة معروفة، أمي كانت تعملها، وهي دقيق يشوى أو كذا .

ثم يصب عليه الزيت أو السمن والعسل، هذا هو الحيس.

قال: [(فتلذذت طعمها)] وجد لذاذتها في نفسه [(فاعترض في حلقي منها شيء حين ابتلعتها)] اعترض منها في حلقه شيء آذاه [(فأدخل علي يده فنزعه)] أي: أتى علي فأدخل يده واستخرج ما كان يؤذيه [(فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: يا رسول الله! هذه سرية من سراياك تبعثها فيأتيك منها بعض ما تحب ويكون في بعضها اعتراض فتبعث علياً فيسهله)] وتمت كما قال رضي الله عنه.

وهؤلاء هم الذين مع الله والله معهم! وكان أبو بكر رضي الله عنه معروفاً بتعبير الرؤى، وهذه الميزة لا تجد من يتقنها إلا واحداً في كل قرن، فـأبو بكر كان ممن يعبر الرؤى لمن يراها بما فتح الله عليه، وقد عبر حتى لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

نتائج وعبر من غزوة بني جذيمة

قال: [نتائج وعبر] وعلى عادتنا إذا فرغنا من المقطوعة نذكر نتائجها لمن أراد أن ينتفع بها، وعبرها لمن أراد أن يعبر بها مشاكل الحياة السياسية والمالية والاجتماعية.

[إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبراً نوجزها في الأرقام التالية: أولاً: وجوب مواصلة الدعوة إلى الإسلام بعد الفتح كما هي قبله] ولنذكر هنا ما قد يتألم له بعض الناس، وهو: لو شاء الله أن يواصل السلطان عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود فتحه؛ لفتح العالم الإسلامي، وكانت الخلافة، فلم يكن مقتصراً على الحجاز فقط، بل كان يتيامن إلى اليمن ليدخلها في رحمة الله، فينتهي ما كان فيها من شركيات وخرافات وضلالات، ويتشاءم إلى الشام فيدخلها في ديار الإسلام، وهكذا يزحف من بلد إلى بلد؛ لأنه لا وقوف بعد الفتح -وهل وقف الرسول وقال: انتهينا.

بعد فتح مكة؟ لا، وإنما بعث سراياه يدعو إلى الله عز وجل- ولكن لم يرد الله لهذه الأمة خيراً، فلم تكن متأهلة، وإلا كان هذا هو الطريق، فقد طهر الله على يديه هذه الديار، ورفع فيها راية لا إله إلا الله، وكان المطلوب أن يواصل زحفه إلى جيرانه شرقاً وغرباً وشمالاً حتى تطهر بلاد المسلمين كلها.

ولطيفة أخرى: كان العالم الإسلامي مستعمرات أو ممالك، فالهند كانت مستعمرة، وكذلك ماليزيا وإندونيسيا إلى موريتانيا، فأوجد الله هذه الدولة -دولة عبد العزيز - لتكون آية من آيات الله، تقوم بها الحجة لله على خلقه، ولو لم تقم هذه الدولة لقال الناس: أيسنا من أن يكون للإسلام دولة وسلطان يقام فيه حدود الله، ويتحقق فيه الأمن والطهر والصفاء، وهكذا تبجح أهل الشرق والغرب، فأبى الله إلا أن يريهم آية من آياته في صحراء ليس فيها شيء، فقامت هذه الدولة دولة تُحكّم كتاب الله وسنة رسوله، على أسس وضعها الله في قوله: الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ [الحج:41].

وهكذا فعل عبد العزيز ، أقام الصلاة بمعنى إقامتها، فلا يرى في الشارع مار مدبر عن المسجد والصلاة قائمة قط، وجبيت الزكاة -من رأس الغنم وصاع الشعير- إجابة لأمر الله بجبي الزكاة، ووضعت هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القرى والسهول والجبال، وتحقق -والله- أمن وطهر ما عرفته الدنيا إلا على عهد سلفنا الصالح في القرون الذهبية الثلاثة، ولا يقولن أحد: هذا الشيخ جاهل أو أحمق أو عميل أو ذنب! استعيذوا بالله من الشيطان الرجيم! فوالله إني أتكلم على علم.

وهنا -لو كنا أهلاً للخير- ما إن قامت هذه الدولة واستقل إقليم عن فرنسا أو بريطانيا حتى يأتي رجاله إلى عبد العزيز قائلين: استقل الإقليم الفلاني، فابعث لنا قضاة يحكمون فينا بشرع الله، وكوّن هيئات للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في ديارنا؛ ليصبح ذلك البلد قطعة من خلافة الإسلام ودياره، ويستقل الإقليم الثاني بعد عامين أو ثلاثة -كما علمنا- فما إن يستقل ويأخذ صك الاستقلال إلا ويأتي وفد من رجاله، ويقول: استقل الإقليم الفلاني عن فرنسا أو إيطاليا أو إسبانيا أو بريطانيا، فابعث لنا يا عبد العزيز قضاة يُحكّمون فينا شرع الله، فيقطعون يد السارق، ويرجمون الزاني -فيتحقق الأمن والطهر- ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.

ولو فعل المسلمون هذا لكان في خمس وثلاثين سنة دولة إسلامية عاصمتها مكة، وانتشر في العالم الإسلامي كله نور تهفو البشرية نحوه، تريد أن تدخل فيه، لكن ما إن يستقل إقليم حتى يرفع رأسه متكبراً، لا يسأل عن علم ولا علماء ولا شريعة ولا ملة ولا دين، فحصل الذي حصل، بذنوبنا فما نحن بأهل للخير.

إذاً -قلنا-: وجوب مواصلة الدعوة إلى الإسلام بعد الفتح كما هي قبله، فلا نقول: قد دخلت بريطانيا في الإسلام ويكفي، بل لا بد وأن نزحف إلى ألمانيا، فنحن مأمورون بنشر هذا النور في العالمين، والدليل: مواصلته صلى الله عليه وسلم الدعوة بعد فتح مكة.

[ثانياً: بيان خطأ خالد في اجتهاده فيما أقدم عليه، ولما كان متأولاً عفا عنه ولم يؤاخذ] اجتهد في ذلك التصرف -وهو قضاء وقدر، رآه الرسول قبل أن يقع- فأخطأ، ولما كان متأولاً عفي عنه، لا يكفّر ولا يؤثّم.

ومعنى هذا: أيما عالم يجتهد ويخطئ فلا يؤاخذ باجتهاده، ولكن يُصلَح ما أفسده، ويرد الحق إلى أهله، ويعفى عنه لأنه أراد الله ووجهه.
[ثالثاً: بيان أن رؤيا الأنبياء حق، ومعرفة الصديق بتأويل الرؤى] كان أبو بكر معروفاً بتفسير المنام.
وهي آية من آيات الله.
[رابعاً: بيان فوز علي بقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (أصبت وأحسنت)] فاز بها علي ؛ لأنه ولي الله، والله يهدي أولياءه إلى ما فيه رضاه.
معاشر المستمعين والمستمعات! أدعوكم إلى ما ندعو إليه دائماً وهو أن تجتمعوا بعد صلاة المغرب من كل ليلة في بيوت ربكم، نساؤكم من وراء الستار، وأطفالكم بين أيديكم كالملائكة، وأنتم بين يدي الله عز وجل، فيأتيكم من يعلمكم ليلة آية من كتاب الله تحفظونها وتفهمون مراد الله منها وتطبقونها وتعملون بها، وليلة أخرى حديثاً من أحاديث الحبيب صلى الله عليه وسلم، وهكذا تصبح قراكم ومدنكم كأنها كواكب زهر في السماء، تنتهي منها مظاهر الخبث والغش والخداع والكبر والشرك والباطل .
فلا يبقى لها أثر، ومن حُرم المساجد جعل ذلك في بيته، فيجمع امرأته وأطفاله بعد صلاة العشاء ليقرءوا آية من كتاب الله أو حديثاً من أحاديث رسول الله يتعلمون منه الهدى ليسلكوه، هذا هو الطريق، وهذا هو سبيل النجاة، فالنجاة النجاة! نجانا الله وإياكم وسائر المؤمنين!
وصل اللهم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

من الأحداث الهامة والوقائع التاريخية التي تلت أحداث فتح مكة إسلام عباس بن مرداس في قصة عجيبة حدثت له مع صنم كان يعبده، ومن الأحداث أيضاً هدم خالد بن الوليد للعزى الذي كان من أهم الأصنام التي تعبد من دون الله في الجاهلية، كما أنه كان لغزوة هوازن صدى وأثر كبير وقوي؛ إذ القوة الإسلامية أصبحت كبيرة، والصوت الإسلامي أصبح يتردد في شرق الأرض وغربها، وحدثت أمور، وتلت وقائع كثيرة.

حدثان هامان عقيب الفتح

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.
أما بعد: قد انتهى بنا الدرس إلى أحداث السنة الثامنة من هجرة الحبيب صلى الله عليه وسلم، وها نحن مع آخر أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكة؛ إذ فتحها في العشر الأواخر من شهر رمضان وجلس بها إلى نهايته، والآن يريد أن يتحرك نحو الشرق لما بلغه من تجمع المشركين لقتاله هناك.
يقول المؤلف غفر الله له ولكم ورحمه وإياكم: [حدثان هامان] والحدث ما يحدث، والهام ذو الأهمية [عقيب الفتح] أي: بعد فتح مكة، فقد كانت مغلقة في أيدي المشركين، ففتحها الله عز وجل على يد رسوله صلى الله عليه وسلم، واقرءوا: إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ [النصر:1] و إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا [الفتح:1].

أولاً: إسلام عباس بن مرداس

قال: [الأول: إسلام عباس بن مرداس] إسلام عباس بن مرداس حدث مهم من الأحداث التاريخية.
[كان لوالد عباس بن مرداس وثن] صنم [يعبده يسمى ضمار] كقطام وحذام ممنوع من الصرف [فلما حضره مرداس قال لولده عباس] والولد أصغر من الأب قطعاً [أي بني] أي: ولدي! ناداه بلطف [اعبد ضمار] دعاه إلى عبادة وثنه ضمار [فإنه ينفعك ويضرك] أي: إن أنت عبدته وأحببته، ويضرك إن أنت أعرضت عنه وتركته، وهذا كلام جاهل في ظلام الجاهلية [فبينما عباس يوماً] من الأيام [عند ضمار إذ سمع من جوف ضمار منادياً يقول] وألفت النظر إلى أن الشياطين من الجن كانت تتمثل للمشركين فيشاهدون لها صوراً ويسمعون لها أصواتاً، وهي التي رغبتهم في عبادة تلك التماثيل، ومن ذلك ما سنقص الآن.
قال: [قل للقبائل من سليم كلها أودى ضمار وعاش أهل المسجد] وأودى: هلك.
أي: أن هذا الجني أسلم.
إن الذي ورث النبوة والهدى بعد ابن مريم من قريش مهتدي] الجني يتكلم.
[أودى ضمار وكان يعبد مرة قبل الكتاب إلى النبي محمد] والجن وفدوا على الرسول صلى الله عليه وسلم، ونقلوا رسالته إلى إخوانهم، وقد بين القرآن هذا.
قال: [فحرق عباس ضمار] لما سمع ما سمع قام إلى هذا التمثال فحرقه بالنار [ولحق بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم فأسلم وحسن إسلامه] فهنيئاً لك يا عباس بن مرداس ! والله يخرج الحي من الميت، فمرداس المشرك أصبح ابنه العباس موحداً.

ثانياً: هدم خالد بن الوليد للعزى

قال: [والثاني] حدث آخر هام [هدم خالد بن الوليد للعزى] وقد ذكرها الله تعالى في القرآن، فقال: أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى [النجم:19]، وهي من أشرف أصنام المشركين وأعزها إضافة إلى هبل ومناة وغيرها .
قال: [وفي الخمس الأواخر من شهر رمضان] في مكة، و خالد من غزاة مكة وفاتحيها [والنبي صلى الله عليه وسلم بمكة] بعد فتحها استراح فيها [بعث صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى العزى ليهدمها، وهي عبارة عن بيت له سدنة] ولم يكن في ذاك الوقت قباب، ولكن كان بيت كالكعبة، مربع وله سدنة يحرسونه، ويأخذون ما يقدمه الزوار والمتقربون [تعظمه قريش وكنانة ومضر] وهم أكبر قبائل العرب، والعزى مأخوذة من لفظ العزيز، والسدنة جمع سادن، وهو الحارس أو البواب المسئول عن حراسة الصنم [وهو بنخلة: مكان بين مكة والطائف، ولما سمع سادن العزى بمقدم خالد إليها ليهدمها علق بها سيفه] والعرب كغيرهم كانوا يحملون السيوف [وقال يخاطبها: أيا عُزّ شدي شدة لا شوى لها على خالد ألقي القناع وشمري يا عزّ إن لم تقتلي المرء خالداً تبوئي بإثم عاجل أو تنصري] يعني: تنصري فما أنتِ بأهل لأن نعبدكِ.
[فلما انتهى إليها خالد] أي: وصل إليها [جعل السادن يقول: أعزى بعض غضباتك] أي: عجلي بغضبك وانتقامك ممن يؤذيك [فخرجت امرأة سوداء حبشية عريانة مولولة] لا يسترها شيء، وهي التي كانت تكلمهم وتضحك عليهم من داخل البيت [فقتلها خالد وكسر الصنم

وهدم البيت الذي كان فيه، ثم رجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بالذي صنع، فقال صلى الله عليه وسلم: (تلك العزى لا تعبد أبداً)] وصدق رسول الله، فما عبدت بعد ذلك، إلا أن الشياطين ما سمحوا لنا أن نبقى على التوحيد، فقد بنيت قباب وأضرحة في بلاد العرب والعجم وعبدت كما عبدت العزى وأشد، كانوا يصرخون بها، ينادونها ويستغيثون بها، وينقلون إليها المرضى، ويذبحون لها الذبائح، ويحلفون بها معظمين لها أكثر من تعظيم العزى، وهذا في بلاد العرب أجمعين، حتى في هذه الديار قبل دولة عبد العزيز ، وعلة ذلك الجهل وعدم العلم والبصيرة، وتفرق الأمة، وبعدها عن مصدر هدايتها الكتاب والسنة -قال الله وقال رسوله صلى الله عليه وسلم- فلا تعجب ولا تتعجب! قال: [وهدم عمرو بن العاص] البطل، رجل السياسة الحربية [سواعاً، وكان برهاط لهذيل] وسواع إله من خمسة آلهة نقلت من بلاد الشام إلى بلاد العرب ذكرها الله تعالى في القرآن، قال عز وجل: وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ [نوح:23] وهذه نصيحة لبعضهم البعض وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا [نوح:23].
وهؤلاء الآلهة أخبرنا أبو القاسم صلى الله عليه وسلم بأنهم كانوا عباداً صالحين قبل نوح -ما بين شيث ونوح- فلما ماتوا رأى بعض البصراء أو الأذكياء أن توضع لهم صور حتى إذا رآهم الناس تذكروا الصلاح والصالحين والعبادة والعابدين، فوضعوا لهم التماثيل، ومضت مائة سنة أو مائتين وجاءت أجيال بعد ذلك فعبدتهم من دون الله!! قال: [فلما كسر عمرو الصنم أسلم سادنه] ذاك البواب أو الحارس أسلم [وهدم سعد بن زيد الأشهلي مناة بالمشلل] في جبيل في طريق قديد -قريبة من قديد- والآلهة الأخرى كانت شرق مكة.

غزوة هوازن

قال: [وثالث عشر أحداثها] أحداث السنة الثامنة من هجرة الحبيب صلى الله عليه وسلم.
[غزوة هوازن] وهوازن قبيلة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم.
قال: [وانسلخ شهر رمضان بانتهاء فتح مكة المكرمة، وما زال الرسول صلى الله عليه وسلم بها] أي: بمكة [حتى بلغه أن هوازن لما سمعت بفتح مكة، جمعها مالك بن عوف النصري من بني نصر بن معاوية بن بكر، وكانوا خائفين من أن يغزوهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد فتح مكة] لما بلغهم أن الرسول فتح مكة وانتصر خافوا أن يغزوهم الرسول [وقالوا: لا مانع له من غزونا، فمن الرأي] السديد والصائب [أن نغزوه قبل أن يغزونا] رؤساء القبيلة قالوا هذا، ما دام فتح مكة فسيغزونا، فمن الرأي والحكمة أن نغزوه نحن قبل أن يغزونا.
والله يسوق أقداراً لأقدار! قال: [واجتمع إليه ثقيف] أهل الطائف [يقودها قارب بن الأسود بن مسعود سيد الأحلاف و ذو الخمار سبيع بن الحارث وأخوه الأحمر بن الحارث سيد بني مالك، ولم يحضرها من قيس عيلان إلا نصر وجشم وسعد بن بكر ، وناس من بني هلال، ولم يحضرها كعب ولا كلاب وفي جشم دريد بن الصمة شيخ كيس ذو رأي] كان من أفراد قبيلة جشم دريد بن الصمة وهو شيخ كبير ذو رأي.

عيون ترى الملائكة

قال: [عيون ترى الملائكة] أي: عيون بشر ترى الملائكة.
[وبعث مالك عيوناً له] جواسيس أو خبراء يقدرون جيش محمد ليعرفوا كيف يقاتلوه، وهذه الخبرة العسكرية [فرجعوا إليه، وقد تفرقت أوصالهم وذهبت عقولهم فقال: ما شأنكم؟ قالوا: رأينا رجالاً بيضاً على خيل بلق، فوالله ما تماسكنا أن حل بنا ما ترى] أي: شاهدوا الملائكة على خيل بيض فأصيبوا بخلط في عقولهم وخبط [ولم ينهه ذلك عن وجهه] سمع هذا الذي قالوه وجاءوا شبه مجانين أو مرضى وما صرفه ذلك عن خطته، وركب رأسه، وما قبل رأي دريد بن الصمة ولا قبل رأي خبراه الذين بعثهم إلى جيش محمد صلى الله عليه وسلم.
قال: [ولم يثنه عن عزمه على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين].
والرجال الذين رأتهم العيون هم الملائكة، إذ قال تعالى: وَأَنزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا [التوبة:26]] في غزوة هوازن [أي: لم يرها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يحضرون المعركة].

رأي صائب لم يقبل

قال: [رأي صائب لم يقبل] هذا عنوان وضعناه، وهذا الرأي كان رأي دريد بن الصمة .
[فلما أجمع مالك بن عوف المسير إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع مع الرجال المقاتلين النساء والأطفال والأموال] هذا مالك القائد لما اجتمع الرجال جمع معهم النساء والأطفال والأموال: الإبل والبقر .
.
[ولما نزلوا أوطاس قال دريد بن الصمة : بأي واد أنتم؟] لأنه لا يبصر، أعمى لكبر سنه [قالوا: بأوطاس ، قال: نعم مجال الخيل لا حزن ضرس، ولا سهل دهس] أي: أرض يمكنكم القتال عليها [ثم قال: ما لي أسمع رغاء البعير] أي: صوته [ونهاق الحمير ويعار الشاء] ما هذا؟ [وبكاء الصغير] تعجب كيف خرجوا ليقاتلوا عدواً فيأخذون معهم نساءهم وأطفالهم وإبلهم وأغنامهم [قالوا: ساق مالك مع الناس ذلك] يعني: مالك رئيسنا أو قائدنا ساق هذه مع الناس.

[فقال] دريد [يا مالك ! إن هذا اليوم له ما بعده، ما حملك على ما صنعت؟] وهؤلاء الرجال الأفذاذ في العالم لا يخلو منهم زمان ولا مكان [قال: سقتهم مع الناس ليقاتل كل إنسان عن حريمه وماله] بمعنى يثبت في القتال لأن أطفاله وامرأته معه [فقال دريد : راعي ضأنٍ والله] يعني: لست برجل سياسة ولا حرب وإنما راعي غنم! ولكن تلطف في قوله [هل يردّ المنهزم شيء؟] أي: المنهزم إذا انهزم لا يرده شيء، لا ماله ولا نساؤه ولا أطفاله [إنها إن كانت لك] أي: المعركة [لم ينفعك إلا رجل سيفه ورمحه] هذا الذي ينفعك [وإن كانت عليك فضحت في أهلك ومالك] هذا كان رأيه.
[ثم قال] أي: دريد بن الصمة [ما فعلت كعب وكلاب؟ قالوا: لم يشهدها أحد منهم] أخذ يتفقد القبائل التي يعول عليها [قال: غاب الجد والحد] يعني: ما دام كلاب لم تحضر ولا كعب فقد غاب الجد والحد [لو كان يوم علاء ورفعة لم تغب عنه كعب ولا كلاب] أي: لو كان هذا اليوم يوم عز ورفعة لحضرت معكم كعب وكلاب، لكن عرفوا أنه يوم الهزيمة المرة [وودت لو أنكم فعلتم ما فعلا] أي: تأخرتم عن القتال كما تأخرت كعب وكلاب.
[ثم قال: يا مالك ارفع من معك إلى عليا بلادهم، ثم الق الصُّبّاء على متون الخيل] والصُّبّاء جمع صابئ وهو: المائل إلى دين غير دين آبائه، يريد بذلك المسلمين [فإن كانت لك لحق بك من وراءك، وإن كانت عليك كنت قد أحرزت أهلك ومالك] قسم له الجيش قسمين.
[فقال مالك : والله لا أفعل ذلك] ما رضي بهذا الرأي [إنك قد كبرت وكبر علمك، والله لتطيعنني يا معشر هوازن! أو لأتكأن على هذا السيف حتى يخرج من ظهري] هذا مالك يقول: يا بني فلان! لتطيعنني ولا تسمعوا لما يقول دريد بن الصمة أو لأتكأن على السيف حتى يخرج من ظهري، فأموت وأترككم منتحراً [ولم يقبل رأي دريد .
ثم قال مالك : أيها الناس! إذا رأيتم القوم فاكسروا جفون سيوفكم، وشدوا عليهم شدة رجل واحد] يحفز رجاله ليقاتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه.

خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هوازن

قال: [خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هوازن] خروجه من مكة.
[ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أجمعت عليه هوازن من حربه والتصدي له؛ إذ كان قد أرسل عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي إلى هوازن لينظر ما هم عليه] والرسول صلى الله عليه وسلم لم تكتحل عين الوجود بأحكم ولا أعلم ولا أتقن من رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأنه يتلقى معارفه من الملكوت الأعلى، فبعث هذا الرجل، وقال: اذهب إلى هوازن وجس النبض وأعطنا صورة لهم قبل الدخول في المعركة.
قال: [فذهب عبد الله ودخل بينهم وهم لا يعلمون به] لأنها أمة من جنس واحد ولباس واحد، كلهم عرب، فدخل بينهم ولم يشعروا [وتعرف إلى كل ما قاموا به وأجمعوا عليه، وأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره خبرهم، فأجمع الرسول صلى الله عليه وسلم المسير إليهم] أي: أجمع على السير إليهم.
قال: [وبلغه أن صفوان بن أمية عنده أدرع] جمع درع [وسلاح] بلغ النبي صلى الله عليه وسلم من طريق الناس أن هذا الرجل صفوان بن أمية يملك أدرعاً وسلاحاً [وكان لم يسلم بعد، فاستعار منه مائة درع بما يصلحها من السلاح] استعار من كافر وهو صفوان بن أمية مائة درع، وكان صفوان رجل حرب أو تاجر سلاح وما أسلم بعد؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يقتل الرجل لأنه لم يسلم، إلا إذا جاء يقاتل فإنه يقتل، ومن هنا استعار منه هذه الدروع والسلاح.
[واستخلف على مكة عتاب بن أسيد] تركه والياً عاماً في مكة بعده [وخرج في اثني عشر ألفاً: ألفان من مسلمة الفتح] الذين أسلموا من يومين أو ثلاثة فقط [وعشرة آلاف من الجيش الفاتح] ممن فتحوا مكة من الأنصار والمهاجرين [ولما ساروا قال قائل: لن نغلب اليوم من قلة، وفي هذا يقول تعالى: وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا [التوبة:25].
وهذا هو التبجح الذي كنا نسمعه من جيوش العرب، قبل دخول المعركة مع اليهود، بل كنا نسمع كلاماً فوق هذا، وما هي إلا أربعة أيام أو خمسة حتى ينهزموا ويتوقف القتال!.
وهذا المسكين ماذا قال؟ لن نغلب اليوم من قلة -على الأقل لو قال: إن شاء الله!- معتزاً بكثرة الناس، فأنزل الله تعالى قوله يذكرهم ليتوبوا ويستقيموا: وَيَوْمَ حُنَيْنٍ [التوبة:25] اذكروا إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا [التوبة:25] إذ كانت هزيمة مرة.

طلب جاهلي مرفوض

قال: [طلب جاهلي مرفوض: وأثناء مسير الجيش إلى حنين، مروا بشجرة من السدر] وهي: شجرة النبق [خضراء كبيرة] وهم سائرون والرسول قائدهم مروا بشجرة من السدر خضراء كبيرة [فنادى رجال من مسلمة الفتح] ممن أسلموا من أربعة أيام أو خمسة [يا رسول الله! اجعل لنا ذات أنواط كما للمشركين ذات أنواط] يعني: اجعل لنا شجرة ننيط بها سلاحنا حتى ننتصر، وهذا فعله العرب والمسلمون اليوم تجدهم يتبركون بالأضرحة والقبور، وهؤلاء قالوا: المشركون لهم شجرة تسمى ذات أنواط يعلقون بها سلاحهم ثم يأخذونه فينتصرون، فاجعل لنا مثل هذه الشجرة يا رسول الله.
فبم يجيب رسول الله صلى الله عليه وسلم على هذا الطلب الجاهلي؟ قال: [وهي شجرة كبيرة يزورونها كل سنة ويقيمون عندها يوماً وليلة ويعلقون بها أسلحتهم تبركاً ويذبحون عندها] والله كما في بلاد العرب اليوم [فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم طلبهم قال: (الله أكبر، قلتم والذي نفس محمد بيده كما قال قوم موسى: اجْعَل لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ [الأعراف:138])] وكان موسى

لما انتصر مع بني إسرائيل على فرعون وجيشه وخرجوا من الديار المصرية، في أثناء الطريق في صحراء سيناء مروا بقرية ولأهل القرية عجل يعبد، فقالوا لموسى: يَا مُوسَى اجْعَل لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ [الأعراف:138]، وبالأمس نصرهم الله من مائة ألف مقاتل وأغرقهم في البحر ونجاهم.
وعلة هذا عند أهل العلم: أنهم ما ربوا في حجور الصالحين، فقد عاشوا فقراء أو عمالاً، نساء ورجالاً ما اجتمعوا أبداً ولا لقنوا التوحيد ولا عرفوا الله، فموسى وأخوه هارون يحاربان سلطة فرعون ورجاله، فلجهلهم ما إن شاهدوا أهل القرية عاكفين على أصنامهم حتى قالوا: يَا مُوسَى اجْعَل لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ [الأعراف:138] فقال لهم موسى: قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ * إِنَّ هَؤُلاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ [الأعراف:138-140]، فلا عجب أن أهل مكة عندما يشاهدو تلك الشجرة الخضراء ترق قلوبهم وتلين نفوسهم، ويقولون: يا رسول الله! اجعل لنا ذات أنواط نتبرك بها! ثم قال: [(إنها السنن، لتركبن سنن من كان قبلكم)] أي: إنها السنن المسلوكة، والطرق المعتادة، وفي حديث: (شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه)، وهذه هي طبيعة البشر، إذا فقدوا النور ودخلوا الظلام يفعلون ما لا يُعقل.
قال: [ورفض طلبهم الجاهلي، ولم يعنفهم لأنهم حديثو عهد بالجاهلية] ما عنفهم وقال: يا مشركون! يا جهال! يا كفار! ما تستحون؟! كما نعمل نحن، ولكن رد عليهم بلطف وظرف [وساروا حتى استقبلوا وادي حنين فانحدروا فيه -وهو واد أجوف حطوط- انحداراً وهم في عماية الصبح] ما زال الظلام بعد فلم تطلع الشمس [وكان المشركون قد سبقوهم إلى الوادي فكمنوا لهم في شعابه وأحنائه ومضايقه، وقد أجمعوا وتهيئوا وأعدوا، فما راع المسلمين إلا الكتائب قد شدوا عليهم شدة رجل واحد، وانشمر الناس راجعين لا يلوي أحد على أحد، وانحاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات اليمين، ثم قال: (أيها الناس! هلموا إلي أنا رسول الله، أنا محمد بن عبد الله) قالها ثلاثاً، ثم احتملت الإبل بعضها على بعض في معترك عجيب، إلا أنه قد بقي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من المهاجرين والأنصار وأهل بيته، ومنهم أبو بكر و عمر و علي و العباس وابنه الفضل و أبو سفيان بن الحارث و ربيعة بن الحارث و أيمن بن أم أيمن و أسامة بن زيد] هؤلاء بقوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.
[وكان في مقدمة هوازن رجل على جمل أحمر بيده راية سوداء، إذا أدرك طعن برمحه، وإذا فاته الناس رفع رايته على رمحه لمن وراءه فاتبعوه، فتصدى له علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقتله وأراح الناس منه].
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه .

لم تمر غزوة حنين دون حدث أو وقائع، بل شهدت أموراً عديدة، منها مشاركة الملائكة مع النبي صلى الله عليه وسلم في الحرب، وكذلك منها ما حصل ممن لم يتمكن الإيمان من قلبه من حديثي الإسلام، وفيها أن الحنكة والتجربة والخبرة مقدمة على مبدأ السياسة دون النظر إلى مجريات الأحوال وتقلبات الأمور.

غزوة هوازن

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.
أما بعد: قد انتهينا إلى غزوة هوازن، وعرفنا أن الحبيب صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة في شهر رمضان من السنة الثامنة الهجرية بلغه أن هوازن تتجمع لضربه، وذلك لما علمت بفتح الرسول مكة ودخولها في رحمة الله والإسلام، فقالوا: إذاً لا بد وأن يغزونا فلنغزوه قبل أن يغزونا، فتجمعوا وخرجوا.
وخرج إليهم الرسول صلى الله عليه وسلم في اثني عشر ألف مقاتل، ألفان من أهل مكة من مسلمة الفتح، وعشرة آلاف من المهاجرين والأنصار وغيرهم، وذكرنا العجيبة التي لا ننساها وهو أنه صلى الله عليه وسلم عندما كان في طريقه إلى حنين مر برجاله على شجرة سدر خضراء كبيرة، فقال جدد الإسلام والإيمان: اجعل لنا يا رسول الله ذات أنواط كما للمشركين ذات أنواط! يريدون أن يجعل لهم شجرة ينيطون بها أسلحتهم وسيوفهم فتبارك وينتصروا؛ لأن المشركين لهم مثل هذه الشجرة وتسمى ذات أنواط، فتعجب الرسول صلى الله عليه وسلم من طلبهم وقال: (الله أكبر، قلتم والذي نفس محمد بيده كما قال قوم موسى: اجْعَل لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ [الأعراف:138]) ومشى، ولا بأس أن نعيد بعض الجمل في هذه لنرتبط بما سيأتي.

طلب جاهلي مرفوض

قال: [طلب جاهلي مرفوض: أثناء مسير الجيش إلى حنين، مروا بشجرة من السدر خضراء كبيرة، فنادى رجال من مسلمة الفتح: يا رسول الله! اجعل لنا ذات أنواط كما للمشركين ذات أنواط -وهي شجرة كبيرة يزورونها كل سنة ويقيمون عندها يوماً وليلة ويعلقون بها أسلحتهم تبركاً ويذبحون عندها-] وهذا الذي أنكره الرسول على قريش والمشركين شاع في بلاد المسلمين عرباً وعجماً، فتجدهم يبيتون عند القبور ويرحلون إليها في كل بلد، كأنهم ما بلغهم هذا، ومنذ حوالي خمس وعشرين سنة أو ثلاثين كان هناك شجرة بالمدينة تسلط عليها بعض الإخوان وأزالوها، وإلى العهد هذا وهي تعبد بين أناس جهلاء.
قال: [فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم طلبهم قال: (الله أكبر!)] ما عنف ولا شدد ولكن عرف جاهليتهم وما هم عليه [(قلتم والذي نفس محمد بيده)] وهذه يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم التي حرمنا منها، وما أخذنا بها، ولا ندري لم؟ و عائشة أم المؤمنين كانت تتمدح بها، وتقول: "والذي نفس محمد بيده"، وعرفنا سر ذلك وهو: أن الذي يذكر الله ويقول: نفسي بيده لا يستطيع أن يكذب ولا يقول غير الحق، لكن الذي يكذب ويقول الباطل إنما يكذب إذا كان قلبه بعيداً عن الله [(كما قال قوم موسى لموسى: اجْعَل لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ [الأعراف:138])، ثم قال: (إنها السنن)] القائل رسول الله صلى الله عليه وسلم [(لتركبن سنن من كان قبلكم)] وهذا الذي حصل [ورفض طلبهم الجاهلي، ولم يعنفهم لأنهم حديثو عهد بالجاهلية، وساروا حتى استقبلوا وادي حنين] ولذلك سميت هذه الغزوة بغزوة حنين، وحنين واد بين مكة والطائف، وأوطاس كذلك واد آخر.
قال: [فانحدروا فيه -وهو واد أجوف حطوط- انحداراً وهم في عماية الصبح] يعني: ما زال النهار لم يطلع [وكان المشركون قد سبقوهم إلى الوادي] وادي حنين.
وهم المشركون من هوازن الذين عزموا على غزو النبي صلى الله عليه وسلم [فكمنوا لهم في شعابه وأحنائه ومضايقه] والأحناء هي الجوانب [وقد أجمعوا وتهيئوا وأعدوا، فما راع المسلمين إلا الكتائب قد شدوا عليهم شدة رجل واحد، وانشمر الناس راجعين لا يلوي أحد على أحد] لأن الكمين كان من أصعب الكمائن، في واد عجيب، مكثوا لهم فيه ورتبوا أنفسهم في المنحنيات والمنعطفات والمضايق حتى إذا دخل المسلمون مع الصبح ضربوهم ضربة واحدة، وتمت الهزيمة بهذه الحيلة.
قال: [وانحاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات اليمين] والوادي -كما تعرفون- ضيق [ثم قال: (أيها الناس هلموا إلي أنا رسول الله، أنا محمد بن عبد الله) قالها ثلاثاً] لأن الناس هربوا [ثم احتملت الإبل بعضها على بعض في معترك عجيب إلا أنه قد بقي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من المهاجرين والأنصار وأهل بيتهم، منهم: أبو بكر و عمر و علي و العباس وابنه الفضل ، و أبو سفيان بن الحارث و ربيعة بن الحارث و أيمن بن أم أيمن و أسامة بن زيد] هؤلاء بقوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وباقي الجيش تمزق وشرد.
[وكان في مقدمة هوازن رجل على جمل أحمر بيده راية سوداء] من قادة هوازن [إذا أدرك طعن برمحه، وإذا فاته الناس رفع رايته على رمحه لمن وراءه فاتبعوه] كأنه قائد المعركة [فتصدى له علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقتله وأراح الناس منه].

شماتة ذوي الضغائن

قال: [شماتة ذوي الضغائن] الشماتة: شمت فلان شمته، قال فيه عيب أو نقص، والضغائن: جمع ضغينة، وهي الكره والبغض.
[ولما رأى مرضى النفوس] وهم الذين أسلموا من ثلاثة أيام أو أربعة تحت السيف والخوف، فكيف تطهر قلوبهم وتزكو نفوسهم؟ فالغل موجود فيها، والأمراض الجاهلية كلها باقية ولا عجب! [ممن ما زالت عداوة الإسلام كامنة في نفوسهم ممن أسلم من أيام قلائل ـلما رأوا هزيمة المسلمين لم يتمالكوا حتى قالوا الهجر، فقال أبو سفيان بن حرب : لن تنتهي هزيمتهم دون البحر] وأبو سفيان أسلم منذ عشرة أيام فقط، وكان من قبل حرباً على الإسلام وأهله [وإن الأزلام معه في كنانته، وصرخ جبلة بن الحنبل قائلاً: ألا بطل السحر] وكأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان ينتصر بالسحر والآن بطل [فقال له صفوان بن أمية ـوهو مشرك بعد] ما دخل في الإسلام [إذ ما زال في المدة التي أعطاه الرسول إياها] يفكر [ينظر في أمر نفسه، إما أن يسلم أو يهاجر أو يعدم- قال لأخيه جبلة: اسكت فض الله فاك] أي: أسكتك الله [فوالله لأن يربّني رجل من قريش أحب إليّ من أن يربّني رجل من هوازن] يعني: لأن يملكني رجل من قريش أفضل من أن يملكني رجل من هوازن، فلا حاجة إلى أن تقول مثل هذا الكلام.
[وقال شيبة بن عثمان: اليوم أدرك ثأري من محمد] وشيبة بن عثمان من رجالات قريش في مكة، قتل أبوه يوم أحد، ففاه ونطق بدون شعور قائلاً: اليوم أدرك ثأري من محمد، وهذا في ساعة الهزيمة [وكان أبوه قد قتل بأحد مشركاً، وفعلاً أراد أن يقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أقبل عليه تغشى فؤاده شيء فلم يقدر على ما عزم عليه] ففشل.
[ودارت المعركة: وكان العباس مع النبي صلى الله عليه وسلم آخذاً بحكمة بغلته الدلدل وهو عليها صلى الله عليه وسلم [وكان العباس جسيماً شديد الصوت، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: (يا عباساصرخ: يا معشر الأنصار! يا أصحاب الشجرة!)] يصرخ فيهم حتى يعودوا من الانهزام [ففعل فأجابوه: لبيك لبيك، حتى إن الرجل يريد أن يثني بعيره فلا يقدر، فيأخذ سلاحه ثم ينزل عنه] وأقبلوا عليه [ويؤم الصوت] أي: يستقبله [فاجتمع على رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة رجل فاستقبل بهم القوم] المشركين من هوازن.
يعني: رجع من اثني عشر ألفاً قرابة مائة فقط [وقاتلهم وهو يقول: (أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب)].
ثم قال: [(الآن حمي الوطيس)] وبعضهم يقول: هذه ما قالها قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد [واقتتل الناس قتالاً شديداً، وقال صلى الله عليه وسلم لبغلته الدلدل: (ألبدي دلدل)] يعني: الصقي بالأرض، وهذه البغلة أهداها المقوقس ملك مصر مع جاريتين إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وكانت أول بغلة تدخل الحجاز، وكان العرب يسمون الحيوانات والخيل لتمييزها.
قال: [فوضعت بطنها على الأرض] بركت على الأرض ونزلت بأمره صلى الله عليه وسلم [وأخذ حفنة من تراب فرمى بها في وجه المشركين فكانت الهزيمة، فما رجع الناس ممن فروا بعيداً إلا والأسارى في الحبال عند رسول الله صلى الله عليه وسلم] أي: ذاك العدد الكبير ممن هربوا ما رجعوا إلا والرجال في الحبال مكتوفين، والرسول صلى الله عليه وسلم منتصراً.
قال: [وأنشدت امرأة مسلمة قائلة] بيت من الشعر لامرأة مسلمة قالت: غلبت خيل الله خيل اللات وخيله أحق بالثبات] واللات صنم كانوا يعبدونه.
[ولما انهزمت هوازن قتل من ثقيف وبني مالك سبعون رجلاً، فأما الأحلاف من ثقيف] الذين من غير هوازن من قبائل أخرى جاءوا ينصرونهم [فلم يقتل منهم غير رجلين: لأنهم أسرعوا الهرب فنجوا، وقصد بعض المشركين الطائف ومعهم مالك رئيس حربهم، واتبعتهم خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتلت بعضهم، وكان بعض المشركين بأوطاس] وهذا واد آخر [فأرسل إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا عامر الأشعري في رجال] معه [أرسلهم إلى المنهزمين المتوجهين إلى أوطاس فناوشوه بالقتال، فرمي أبو عامر بسهم فقتل] رضي الله عنه وأرضاه [فأخذ الراية أبو موسى الأشعري ـوهو ابن عمهـ فقاتلهم حتى فتح الله على يديه فهزمهم، وظفر المسلمون بالغنائم والسبايا، فساقوا في السبي الشيماء بنت الحارث بن عبد العزى] ساقوا من جملة السبي هذه المرأة [فقالت لهم: والله إني لأخت صاحبكم من الرضاعة] تقصد النبي صلى الله عليه وسلم [فلم يصدقوها حتى أتوا بها النبي صلى الله عليه وسلم، فقالت له: إني أختك قال: (وما علامة ذلك؟)] أي: دليل هذه الدعوى [فقالت: عضة عضضتها في ظهري وأنا متوركتك] يعني: وأنا حاملتك على وركي.
تعني: أن الرسول عضها في ظهرها عندما كان صغيراً، والعضة هذه موجودة.
قال: [فعرفها وبسط لها رداءه وأجلسها عليه] أخذ رداءه وفرشه لها وأجلسها عليه، وهذا هو الكمال المحمدي، فهيا نأخذ منه شيئاً [وخيّرها فقال: (إن أحببت فعندي مكرمة محببة، وإن أحببت أن أمتعك وترجعي إلى قومك)] يعني: إن شئت بقيتي معنا عزيزة مكرمة، وإن شئت أمتعك بشيء من المال وذهبت إلى أهلك [قالت: بل تمتعني وتردني إلى قومي، ففعل صلى الله عليه وسلم، وأمر صلى الله عليه وسلم بالسبايا والأموال فجمعت] وأرسلت [إلى الجعرانة] فحبست بها، وهو مكان قريب من مكة [وجعل عليها بديل بن ورقاء الخزاعي] هو الذي يحرسها ويقوم عليها [واستشهد بحنين أيمن بن عبيدة و زيد بن زمعة بن الأسود بن عبد المطلب وغيرهما] لكنه عدد أقل من عدد قتلى المشركين.

الأحداث العجيبة التي حصلت في غزوة هوازن

قال: [أنباء ذات خطر متفرقة] هيا نمر بها نبأ بعد نبأ.
[وحدثت خلال غزوة هوازن أمور ذات بال إلا أنها متفرقة نذكرها هنا إتماماً للفائدة وهي]

ثانياً: أمر أبي قتادة

قال: [ثانياً: أمر أبي قتادة عجب] كيف؟ [إنه قال: رأيت يوم حنين رجلين يقتتلان مسلماً وكافراً] يوم المعركة شاهد رجلين يقتتلان [وإذا رجل مشرك يريد أن يعين صاحبه المشرك على المسلم] بالفعل [فأتيته فضربت يده فقطعتها واعتنقني بيده الأخرى، فوالله ما أرسلني حتى وجدت الدم فكاد يقتلني لولا أن الدم نزفه فسقط] يعني: لولا أن النزيف أهبطه كان يتمكن من قتل هذا الصاحب [فضربته وأجهضني عنه القتال] سقط والمعركة دائرة فما تمكن من أن يأخذ ما عنده من سلب [-أي: شغلني عنه فلم أسلبه- ومر به رجل من أهل مكة فسلبه] أي: سلب القتيل فأخذ سلاحه وما عنده، وكل ما يؤخذ من القتيل يسمى سلب [فلما وضعت الحرب أوزارها] يعني: انتهت المعركة [وفرغنا من القوم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم] هذا إعلان [(من قتل قتيلاً فله سلبه)] أي: من قتل قتيلاً من المشركين فله ما كان معه، فإذا كان في يده خاتم ذهب -مثلاً- يأخذه، أو في عنقه كذا يأخذه، ويأخذ ما في جيبه.

أعلنها صلى الله عليه وسلم بين رجاله لينتفعوا ببعض ما يحصلون عليه من القتلى.

[قال: قتلت قتيلاً ذا سلب فأجهضني عنه القتال] أي: ما تمكنت من أن أسلبه [فما أدري من استلبه؟ فقال رجل من أهل مكة: صدق يا رسول الله! وسلب ذلك القتيل عندي فأرضه عني من سلبه] يعني: أعطني منه شيئاً وأعطه هو الباقي [فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: لا، والله لا يرضيه منه، تعمد إلى أسد من أسد الله يقاتل عن دين الله تقاسمه سلبه؟!] هذه كلمة أبي بكر الصديق بعد أن قال ذاك المكي قوله: [اردد عليه سلب قتيله.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (صدق اردد عليه)] وهذه ترفع أبا بكر الصديق إلى قمة الكمال، فقد عرف الحق والأدب والخلق الكامل فنطق به وأقره الحبيب صلى الله عليه وسلم.

[فقال أبو قتادة : فأخذته منه] ذاك السلب [فبعته، فاشتريت بثمنه مخرفاً، فإنه لأول مال اعتقدته] والمخرف: عدد من النخيل لا يتجاوز العشرة، أما إذا كان أكبر من ذلك فهو بستان أو حديقة، ولا شك أن ما حصل عليه كان ذهباً أو فضة، وكان أول مال له في حياته رضي الله عنه.

ثالثاً: أمر دريد بن الصمة

[ثالثاً: وأمر دريد بن الصمة أعجب] أمر دريد بن الصمة أعجب مما سبق.

[وذلك أن ربيع بن رفيع أدرك دريد بن الصمة -وهو على راحلته-] راكب على راحلته فأدركه هذا الرجل [فأخذ بخطام الراحلة يقودها، يظن أن عليها امرأة] أخذ الخطام يظن أن على الناقة امرأة وهو غير ذلك [فأناخ الراحلة، فإذا بالراكب رجل كبير السن أعمى، و الربيع بن رفيع لا يعرفه فسأله من أنت؟ فقال: دريد ، وماذا تريد مني؟ قال: أقتلك، قال: ومن أنت؟ قال: أنا ربيع بن رفيع السلمي ، ثم ضربه بسيفه فلم يغن شيئاً] ضرب دريد بن الصمة بالسيف فما أثر فيه [فقال له: بئس ما سلحتك به أمك] يعني: سيفك ما هو بشيء فليس له أثر [خذ سيفي هذا من مؤخر الرحل] على البعير [ثم اضرب به، وارفع عن العظام، واخفض عن الدماغ، فإني كنت كذلك أضرب الرجال، ثم إذا أتيت أمك فأخبرها أنك قتلت دريد بن الصمة ، فرب والله يوم قد منعت فيه نساءك، فلما رجع وأخبر أمه بقتله إياه، قالت: أما والله لقد أعتق أمهات لك ثلاثاً] هذا دريد بن الصمة عجب العجاب، وهذه لطيفة فقط وله أكثر من هذا.

أولاً: أمر أم سليم بنت ملحان

[أولاً: أمر أم سليم .

وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم التفت فرأى أم سليم بنت ملحان -وكانت مع زوجها أبي طلحة- وهي حازمة وسطها ببردها، وإنها لحامل] في بطنها جنينها [بعبد الله بن أبي طلحة] الذي ولد بعد [ومعها جمل أبي طلحة وقد خشيت أن يعزها] أي: يغلبها الجمل [فأدنت رأسه منها فأدخلت يدها في خزامته] وهي حلقة من شعر تجعل في أنف البعير [مع الخطام] الذي يجعل في البعير حتى لا يفلت [فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أم سليم؟) قالت: نعم بأبي أنت وأمي يا رسول الله! اقتل هؤلاء الذين ينهزمون عنك كما تقتل الذين يقاتلونك؛ فإنهم لذلك أهل] وهذه حرشت الرسول على قتل الأصحاب، فقالت: اقتل المنهزمين كما تقتل المقاتلين، وهذا كان رأيها، فبم أجابها الرسول صلى الله عليه وسلم؟ [فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أو يكفي الله يا أم سليم؟)] يعني: ألا يكفينا الله؟ [وكان معها خنجر] تقاتل به [فقال لها أبو طلحة: ما هذا الخنجر معك يا أم سليم ؟ قالت: خنجر أخذته إن دنا مني أحد من المشركين بعجته به] أي: شققت بطنه [قال أبو طلحة : ألا تسمع يا رسول الله ما تقول أم سليم الرميصاء؟!] والرميصاء: تصغير رمصاء، وهي التي في عينيها بعض المرض.

نتائج وعبر من غزوة هوازن

قال: [نتائج وعبر] نذكر منها ما شاء الله أن نذكر.

[إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبراً هي كالآتي: أولاً: تقرير مبدأ حكيم وهو أن الرأي الصائب السديد من ذي الخبرة والتجربة يقدّم على الشجاعة مهما كانت، وحتى عن القوة مهما عظمت.

ثانياً: آية النبوة المحمدية تتجلى فيما شاهده عيون المشركين من الملائكة عليهم السلام.

ثالثاً: مشروعية استعمال العيون (الجواسيس) في الحروب لمعرفة قوة العدو، وما عزم عليه.

رابعاً: حرمة الإعجاب بالنفس أو العمل أو القوة؛ إذ ترتب على ذلك هزيمة المؤمنين في أول لقائهم لعدوهم] قال تعالى: لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا [التوبة:25] ؛ لأنهم لما خرجوا قال أحدهم: لن نغلب اليوم من قلة!
[خامساً: وجوب الحذر من التبرك غير الشرعي؛ فإنه يؤدي إلى الشرك بالله تعالى] وذلك في قضية الشجرة.
[سادساً: بيان الفرق بين من رسخ الإيمان في قلبه، وبين من لم يرسخ، فإن الأخير سرعان ما يظهر جهله وظلمه] وهذا واضح إلى اليوم، فالذي يجالس العلماء ويتربى معهم عشرين أو ثلاثين سنة ليس كالذي يعرف اليوم، فالذين أسلموا جدداً ما زالت عقائدهم فاسدة، وما زالت قلوبهم مريضة، وانكشف ذلك عن أبي سفيان عندما قال: لن تنتهي هزيمتهم دون البحر، وجبلة بن الحنبل عندما قال: بطل السحر اليوم!! وهكذا.
[سابعاً: مشروعية إكرام الإخوة من الرضاعة] أخذنا هذا من إكرامه صلى الله عليه وسلم لأخته الشيماء فقد خلع رداءه وأجلسها عليه، ثم أمتعها بما شاء الله وألحقها بقومها.
[ثامناً: بيان فضل أم سليم امرأة أبي طلحة لمواقفها المشرفة.
تاسعاً: بيان حصافة رأي دريد بن الصمة وشجاعته الفذة -وهو على جاهليته- فكيف لو آمن وأسلم؟!].
وصلى الله على نبينا محمد وآله وسلم .

واصل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد فتحه لمكة دعوة الديار والبلدان القريبة والبعيدة، وكان من تلك البقاع التي قصدها صلى الله عليه وسلم لفتحها ودعوة أهلها الطائف، فقد قام بحصارها بضعة وعشرين يوماً وأصيب بعض المسلمين، واستشار بعض أصحابه في الحصار أو الرحيل، ورأى أن يرجع، ثم دخل أهل الطائف في الإسلام بعد ذلك، وقد حصلت عبر وأحداث أثناء الحصار مبثوثة في ثنايا هذه المادة.

حصار الطائف

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.
أما بعد: فقد انتهى بنا الدرس إلى هذه المقطوعة تحت عنوان [حصار الطائف] وقد علمنا أنه في السنة الثامنة من سنين الهجرة المباركة فتح الله تعالى على رسوله مكة فأصبحت دار إسلام، وبينما هو بها مع جيشه المبارك بلغه أن ثقيفاً تتجمع لحربه، فاضطر إلى أن يغزو، وخرج باثني عشر ألفاً، عشرة آلاف من المهاجرين والأنصار وألفان من مسلمة الفتح.
وأثناء مسيرهم إلى ذلك مروا بشجرة من السدر ذات نبت، فقال حدثاء العهد بالإسلام -الذين أسلموا من أيام- (يا رسول الله! اجعل لنا ذات أنواط كما للمشركين ذات أنواط) وهي شجرة ينيطون بها أسلحتهم: سيوفهم ورماحهم ونبالهم، يتبركون بها لينتصروا في المعارك، وكانوا يفعلون ذلك في جاهليتهم.
فلما شاهدوا هذه الشجرة ذات الظل، قالت لهم نفوسهم: اطلبوا من رسول الله أن يجعل لكم مثلها، فقال صلى الله عليه وسلم: (ما زدتم أن قلتم كما قال بنو إسرائيل لموسى) وذلك لأنه لما نجى الله بني إسرائيل من فرعون بحادثة الغرق، وخرجوا من الديار المصرية وهم في طريقهم إلى أرض سيناء مروا بقرية للمشركين أهلها يعبدون عجلاً مصنوعاً، فقالوا لموسى عليه السلام: اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة، وقد كانوا مع موسى أربعين سنة يشاهدون الآيات، وأعظم آية انفلاق البحر إلى نصفين، وغرق فرعون وجنده وهم حوالي ثمانون ألفاً، ومع هذا قالوا: اجْعَل لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ * إِنَّ هَؤُلاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ [الأعراف:138-140].
ولا عجب! فهذا شأن بني آدم.
إذا لم يتربَّ المرء في حجور الصالحين، ويتلقى العلم والمعرفة، ويزكي نفسه بالعمل الصالح فلا عجب أن يخطر بباله أسوأ من هذا ويفصح عنه ويعرّض به.
إنه الجهل!! ومشى الحبيب صلى الله عليه وسلم وكانت معركة ذات أنواط أو أوطاس وانتصروا، لكن -والحمد لله- بعد هزيمة مريرة بسبب ذنوب بعضهم، ونظيرها هزيمة أحد أيضاً بسبب الذنوب، وهذه سنة الله والعاقبة للمتقين، فما هي إلا جولة وانتصر رسول الله والمؤمنون، وأخذوا غنائم من السبي والأموال ما سنعرفه فيما بعد إن عشنا إن شاء الله.
إذاً بحث عن الطائف؛ إذ هو مصدر الشر وتجمع المشركين، وحاصرها برجاله، فهيا نقضي هذه الدقائق مع حبيبنا صلى الله عليه وسلم، وهو محاصر لمدينة الطائف ذات الجيوش المتجمعة فيها، وأعزهم بنو ثقيف.
قال: [إنه بعد الفتح] فتح مكة [والنصر على هوازن وثقيف بحنين وأوطاس] وفي الآية: لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ [التوبة:25] وحنين واد من الأودية كأوطاس [وقد لاذت ثقيف ومن معها بالطائف، حيث تحصنوا به وجمعوا فيه ما يحتاجون إليه إن طال الحصار بهم] من الماء والطعام والسلاح وما إلى ذلك.
بشر يعرفون كيف يتصرفون.
قال: [تبعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه] باثني عشر ألفاً إلا الذين استشهدوا في معركة حنين [فحاصروهم بمدينة الطائف الحصينة] وحصينة لأن لها أسواراً تحميها، وكل المدن في ذلك الزمان كان لها حصون وأسوار [واستعمل في فك الحصار دبابة ومنجنيقاً] والدبابات معروفة الآن، والمنجنيق كذلك، وكانت دبابة من خشب صنعوها ليدخلوا فيها ويضربوا ويرموا.
واستعمل ذلك [بإشارة سلمان الفارسي] رضي الله عنه إذ كان من بلاد حضارة ودولة ونظام، وكانوا يستعملون دبابات من خشب ويستعملون المجانيق كذلك.
قال: [ومع هذا فلم يتيسر فتح الطائف] بل بقيت معتصمة برجالها [لأن المشركين استعملوا سلك الحديد المحماة وضربوا بها الدبابة] استعملوا أسلاك حديدية تلتهب بالنار وضربوا بها الدبابة، والدبابة من خشب فقط ليست من حديد فاحترقت [فخرج منها رجالها وتعرضوا لنبل المشركين الذي صبوه عليهم من الحصون كالمطر] هم على الحصون ويرمون بالنبال (السهام).
قال: [فقتل من المسلمين رجال] رحمة الله عليهم، وهذا شأن الجهاد [وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بقطع أعنابهم] لعلهم يتراجعون -والطائف معروفة بالعنب إلى الآن- أو لعلهم يندمون، أو لعلهم يخرجون من الحصون، ويجوز فعل ذلك، ففي بني النضير قطعوا النخيل أيضاً، لعلهم ينزلون، وما نزلوا، قال تعالى: مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ [الحشر:5]، فللقائد أن يستعمل إفساد بعض الأموال العزيزة على أصحابها علّهم أن يتراجعوا وينزلوا عن تعصبهم.
قال: [لعلهم يفكون الحصار فلم يُجد ذلك فيهم] وبقوا على ما هم عليه.

قال: [وأثناء الحصار] في هذه المدة التي حاصر الرسول صلى الله عليه وسلم فيها المشركين [نزل بعض الرقيق من الحصون] وهم العبيد المملوكون لسادتهم، ومن بينهم أبو بكرة رضي الله عنه، والبكرة هي التي يوضع فيها الحبل وينزل بها، ويسمونها الآن بَكَرة أيضاً، فلقب بـأبي بكرة لنزوله بها [فأعتقهم النبي صلى الله عليه وسلم] ولما أسلم أهل الطائف بعد ذلك طالبوا بعبيدهم، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: (أولئك عتقاء الله).

قال: [منهم أبو بكرة نفيع بن الحارث بن كلدة] وأصبح يكنى بـأبي بكرة ليس لأن اسم ابنته بكرة، ولكن لأنه نزل من الحصن في بكرة [وكُنِّي بـأبي بكرة لنزوله من الحصن ببكرة، وطالت مدة الحصار، فاستشار النبي صلى الله عليه وسلم بعض رجاله من ذوي الرأي] تعلموا يا ساسة العالم الإسلامي! الرسول صلى الله عليه وسلم يتلقى وحيه من السماء وعلومه ومعارفه، ولكن حسب سنة الله في البشر استشار أهل الرأي والبصيرة من رجاله، هل يبقى هكذا محاصراً لأهل الطائف أو يعود إلى مدينته؟ وفي الحديث الصحيح: (ما خاب من استخار ولا ندم من استشار) والاستشارة نافعة، لكن تستشير من؟ الحشاشين وأصحاب الهوى؟! استشر أهل البصيرة والمعرفة والرأي السديد.

وهنا لم يجمع النبي صلى الله عليه وسلم الناس كلهم وقال: أستشيركم.

فهذا لهو ولعب! فلا بد أن يختار من هم أهل للمعرفة والبصيرة.

[فقال نوفل بن معاوية الدؤلي : يا رسول الله! هم كثعلب في جحر] أي: هؤلاء الذين في الحصار ثقيف ومن معهم شأنهم شأن ثعلب في جحر، والجحر معروف: غار في الجبل [إن أقمت عليه أخذته] إن أقمت عليه وطالت المدة سوف ينزل، ينقص ما عنده من طعام ومئونة فينزل، ولكن في كم؟ يمكن في سنة أو سنتين أو ثلاث، وحقيقة إن طال المكث فسوف ينزل [وإن تركته لم يضرك] إن خليتهم لا يضرك شيء.

قال: [فأذن] رسول الله صلى الله عليه وسلم [بالرحيل بعدما أقام بضعة وعشرين يوماً] أي: حاصر الطائف قريباً من الشهر، وبعد مضي هذه الفترة واستشارته لأهل البصيرة ومن بينهم نوفل بن معاوية الدؤلي قرر الرحيل.

قال: [ولما كان صلى الله عليه وسلم سائراً إلى الطائف وانتهى إلى بحرة الرغاء] وهو مكان، والأمكنة لها أسماء متعددة [أمر بقتل رجل من بني ليث؛ قصاصاً] أي: لما فتح مكة ومشى إلى الطائف، أثناء مشيه أقام الحد بالقتل على رجل من بني ليث، فكان أول حد بالقصاص في الإسلام [لأنه قتل رجلاً من هذيل، فكان أول دم أُقيد به في الإسلام، ولما رجع الناس قال رجل من المسلمين: يا رسول الله!] لما رجعوا وتركوا الحصار قال رجل من المؤمنين منادياً النبي صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله! وهل يجوز أن يقول: يا محمد؟ لا، كانوا يقولونها فأدبهم الله، قال تعالى: لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا [النور:63] إذا قلت لفلان من الناس: يا فلان فلك ذلك، أما رسول الله فليس لك أن تقول إلا: يا نبي الله! أو يا رسول الله! وإن قلت: يا إمام المتقين، أو أعظم من ذلك لا بأس، أما يا محمد أو يا أحمد فلا .

قال: [ادع على ثقيف] أي: بالهلاك والدمار والخراب، لم؟ لأنهم استعصوا على الرسول صلى الله عليه وسلم [فقال صلى الله عليه وسلم: (اللهم اهد ثقيفاً وائت بهم)] وكان ذلك في شهر محرم، ولم يأت رمضان حتى جاء وفدهم إلى المدينة مقدماً مفاتيح الطائف معلناً دخولها في الإسلام.

إي والله جاء بهم، فقد وكلوا جماعة منهم، وقالوا: اذهبوا إلى رسول الله وأعطوه مفاتيح الطائف، وأعلنوا له عن إسلام أهلها، وهذه آية من آيات النبوة.

والهداية كلنا نقولها، لكن (ائت بهم) على قدرتهم وتسلطهم كيف يكون ذلك؟! واستجاب الله، فهي آية من آيات النبوة.

ونحن أيضاً إذا قيل: ادع على فلان، أو على بني فلان، أو على الفلانيين، هل نستطيع أن نذكر هذه الحادثة ونقول: اللهم اهدهم، اللهم أصلحهم، اللهم تب عليهم، فنكون قد استفدنا فائدة جليلة من هذا الدرس، والذين قد ندعو عليهم ما هم بمشركين ولا كافرين ولا جبابرة كأهل الطائف، لكن ممكن ظلمك بعضهم أو اعتدى عليك، فمن الخير أن ندعو بهذه الدعوة: اللهم اهدهم وأصلحهم.

قال: [واستشهد من المسلمين بالطائف اثنا عشر رجلاً] بضعة وعشرون يوماً وهم يحاصرون ويقاتلون، فاستشهد منهم اثنا عشر رجلاً، قتلوا في سبيل الله [سبعة من قريش وخمسة من الأنصار] وكلمة من قريش تعني المهاجرين وغير المهاجرين، والأنصار هم أهل المدينة الذين نصروا الله ورسوله والمؤمنين، وفتحوا ديارهم واحتضنوا المهاجرين.

قال: [من بينهم] أي: من بين من استشهد من المهاجرين [عبد الله بن أبي بكر الصديق مات بالمدينة متأثراً بجراحاته، وذلك بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم] شاء الله أن قبض الرسول صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت عبد الله بن أبي بكر .

أحداث يحسن ذكرها (في حصار الطائف)

قال: [أحداث يحسن ذكرها] أحداث: جمع حدث، وهي الوقائع التي وقعت، ويحسن أن نذكرها ونعرفها.

[وتخلل حصار الطائف أحداث نجمل ذكرها فيما يلي: أولاً: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لـأبي بكر -وهو محاصر الطائف-] لأنه وزيره وصديقه [(إني رأيت أني أهديت لي قعبة مملوءة زبداً)] القعبة: قدح أو آنية يوضع فيها اللبن أو الزبدة.

فهذه الرؤيا رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقصها على أبي بكر الصديق ؛ لعلمه بسمو روحه وطهارة قلبه وبصيرته في شئون الحياة.

قال: [(فنقرها ديك فهراق ما فيها)] والديك: ذكر الدجاج.

وهذا الديك نقر القعبة فسال ما فيها من الزبد.

هذه هي رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم المنامية.
[فقال أبو بكر : ما أظن أنك تدرك منهم يومك هذا ما تريد] فسّر له الرؤيا قائلاً: ما أظنك يا رسول الله! تدرك منهم -أي من المحاصرين في الطائف- ما تريده [فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (وأنا لا أرى ذلك)] أي: وأنا أرى أنني لا أدرك من أهل الطائف شيئاً، فعبر الصديق الرؤيا كما عبرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ووافقه عليها.
[ثانياً: لما أسلمت الطائف، طالب أهل العبيد -الذين نزلوا من الحصن على رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام الحصار فأعتقهم- طالبوا بردهم إلى سيادتهم، فأبى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: (أولئك عتقاء الله).
ثالثاً: لما حاصر النبي صلى الله عليه وسلم ثقيفاً ضربت له قبتان، إحداهما لزوجه أم سلمة رضي الله عنها والثانية للأخرى، وكان صلى الله عليه وسلم يصلي بين القبتين، فلما أسلمت ثقيف بني على مصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية بن وهب مسجداً، ولعله هو مسجد ابن عباس اليوم].

نتائج وعبر من حصار الطائف

[نتائج وعبر: إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبراً نجملها في الآتي: أولاً: بيان مدى ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحزم والعزم في إنفاذ أمر الله تعالى.
ثانياً: مشروعية استشارة ذوي الرأي، وعدم الاستبداد بالرأي مع وجود ذوي الرأي السديد.
ثالثاً: مشروعية استعمال أحدث الأسلحة وأجداها في الحرب لإحقاق الحق وإبطال الباطل، بألا تكون فتنة ويُعبد الله وحده لا شريك له.
رابعاً: مشروعية إقامة الحدود في غير دار الإسلام إذا كان هناك أمن وعدم خوف.
خامساً: استجابة دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي آية من آيات نبوته؛ إذ هدى الله ثقيفاً وأتى بهم.
سادساً: مشروعية قص الرؤيا على العبد الصالح، ومشروعية تأويلها.
سابعاً: بيان فضيلة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وبيان مدى ما كان يلقى من الرسول صلى الله عليه وسلم من التقدير والاحترام].
وصلّ اللهم وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.
أستودعكم الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

غزوة حنين إحدى الغزوات التي ظفر المسلمون فيها بأموال وغنائم لم يسبق لها مثيل، وكان الداخلون في الإسلام لهم النصيب الأكبر من تلك الغنائم ليتألفوا على الإسلام، وقد ظهر في هذه الحادثة كرم النبي صلى الله عليه وسلم وعطاءه الجزيل، كما ظهرت مواقف من حديثي الإسلام ومن بعض الأنصار احتجاجاً على القسمة، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم بحكمته ألف بين القلوب وجمعها ووحدها، وبيّن مقاصده وأهدافه من كل ذلك حتى رضي الجميع.

قسمة غنائم حنين

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.
أما بعد: فقد انتهى بنا الدرس إلى [قسمة غنائم حنين] وحنين وادٍ دارت فيه غزوة من أجلّ وأعظم الغزوات، وقبلها غزوة أوطاس، وتم هذا بعد أن فتح الله تعالى على رسوله والمؤمنين مكة، وذلكم سنة ثمان من الهجرة النبوية الشريفة، ولما فتح الله على النبي صلى الله عليه وسلم مكة بلغه أن هوازن وثقيفاً يتجمعون لحربه، وبالفعل تجمعوا وعزموا، فما كان منه إلا أن خرج إليهم في اثني عشر ألف مقاتل، عشرة آلاف من المهاجرين والأنصار الذين فتحوا مكة بإذن الله تعالى وألفان من مسلمة الفتح.
وانتهت المعارك -وها نحن مع قسمة الغنائم- بعد أن حصلت هزيمة مرة سببها ضعفنا، ولكن الله عز وجل استجاب لرسوله وأنزل عليه ملائكته، وما هي إلا جولة وإذا بالمشركين ونسائهم وأطفالهم وأموالهم تحت إمرة رسول الله صلى الله عليه وسلم.
قال المؤلف غفر الله له ولكم ورحمه وإياكم وسائر المؤمنين: [ولما رحل صلى الله عليه وسلم من الطائف] إذ حاصرها مدة شهر تقريباً وما استطاع أن يدخلها، فعزم على العودة إلى المدينة العاصمة، والله يتولى أمر ثقيف، وفي طريق عودته قالوا له: ادع يا رسول الله عليهم، فقال: (اللهم اهد ثقيفاً وائت بهم)، فما هي إلا فترة حتى جاء وفد ثقيف في رمضان من السنة التاسعة إلى المدينة مقدماً مفاتيح البلاد وأهلها؛ وهذه استجابة الله لدعوة رسوله صلى الله عليه وسلم.
قال: [أتى الجعرانة] وهو مكان بين مكة والطائف، ولكنه أقرب إلى مكة، خارج الحرم، فلهذا يجوز أن تحرم منه يا طائفي ولا حرج؛ لأنه خارج الحرم بمسافة قليلة.
والجعران والجعرانة لغات [حيث إن المال والسبي محبوسان بها] كلما حصل انتصار وأسر الرسول صلى الله عليه وسلم من الرجال والنساء والمال بعث به إلى الجعرانة ليحبس هناك، حتى تنتهي المعارك ثم يأتي ويقسم، وهذا من كمال رشده وعظيم سياسته فصلوا عليه وسلموا تسليماً.
[وقبل الشروع في قسمة الغنائم، جاء وفد هوازن يعلن إسلامه] جاء وفد من قبيلة هوازن يعلن إسلامه، فما بعد الهزيمة من أمل في أن ينتصروا؛ إذاً فليسلموا أولى لهم [ويطلب سبيه وأمواله] جاء هذا الوفد يعلن أولاً عن إسلامه، ثم يطلب من رسول الله أن يعطيه السلب الذي سلبه من الأموال والنساء والأولاد [فقالوا] أي: رجال الوفد [يا رسول الله! إنا أصل وعشيرة، وقد أصابنا من البلاء ما لا يخفى عليك؛ فامنن علينا منّ الله عليك] وهذا تلطف في الطلب ليس فيه عنترية وإنما لين وانكسار.
وكأنهم درسوا العلم عشرين سنة في المسجد النبوي، كيف يعرفون هذا؟! قال: [وقام زهير المكنى بأبي صرد] وزهير من رجالاتهم يكنى بأبي صرد [فقال: يا رسول الله! إنما في الحظائر عماتك وخالاتك وحواضنك اللائي كن يكفلنك] يعني: أيام كنت طفلاً في حجر السيدة حليمة المرضعة [ولو أنا ملحنا -أي: أرضعنا- للحارث بن أبي شمر ، أو للنعمان بن المنذر ، ثم نزل منا مثل الذي نزلت به، رجونا عطفه وعائدته علينا، وأنت خير المكفولين].
قال: لو تم الذي تم لنا معك مع الحارث بن أبي شمر -وكان ملكاً للعرب في الشام من الغساسنة- أو النعمان بن المنذر يمنون علينا ويعطونا أسرانا وأموالنا.
[وأنشد يقول: امنن علينا رسول الله في كرم فإنك المرء نرجوه وندخر امنن على نسوة قد عاقها قدر ممزق شملها في دهرها غير وعندئذ] عندما تم هذا العرض والطلب والتلطف [خيرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بين نسائهم وأبنائهم، وأموالهم فاختاروا نساءهم وأبناءهم] خيرهم بين أن يأخذوا النساء والأولاد ويتركوا الأموال، أو يأخذوا الأموال ويتركوا النساء والأولاد.
[فقال صلى الله عليه وسلم: (أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم)] هذا الكرم المحمدي.
أي: ما كان من نصيبي ونصيب بني عبد المطلب فهو لكم، أموال أو نساء أو أطفال؛ إذ هذا نملكه نحن [ثم قال: (فإذا صليت بالناس)] أي: انتظروا إلى حين وقت الصلاة [(فإذا صليت بالناس فقولوا: إنا نستشفع برسول الله إلى المسلمين، وبالمسلمين إلى رسول الله في أبنائنا ونسائنا فسأعطيكم وأسأل لكم)].
علمهم كيف يطلبون، فقال: الآن تقوم الصلاة، فإذا فرغنا فلتقوموا ولتقولوا: إنا نستشفع برسول الله إلى المسلمين، وبالمسلمين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في مالنا وأبنائنا ونسائنا، وسأعطيكم وأسأل لكم.
قال: [فلما صلى الظهر بالناس، فعلوا ما أمرهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم)، وقال المهاجرون والأنصار: وما كان لنا فهو لرسول الله] هل هذه المواقف يقفها البشر اليوم أو قبل اليوم؟!! [وقال الأقرع بن حابس] وهذا عفريت من العفاريت [ما كان لي ولبني تميم فلا] أي: ما كان من نصيبي أنا من قسمة الغنائم ولبني تميم فلا نعطيه، لا مال ولا نساء ولا

أطفال [وقال عيينة بن حصن] وهذا مثله أو أشد منه [ما كان لي ولفزارة فلا] أناس شحاح لا يأتسون برسول الله صلى الله عليه وسلم! فليسوا من المهاجرين والأنصار، ولكن أسلموا بالأمس خوفاً، فما تربوا في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه؛ فلهذا والواقع -والله- شاهد أن الذين لا يتربون في حجور الصالحين تزل أقدامهم وعقولهم وأفكارهم، أحببنا ذلك أم كرهناه.
واستطراداً: أرسل لي بالأمس أحد الأبناء خطاباً يلومني فيه ويشنع أيضاً ويجهل بخصوص الكلمة التي كتبناها عن ما يعرف بالاستشهاد والانتحار.
ووالله يا بني! أقسم لك بالله ما علمت ولا أنت على علم ومعرفة؛ والعلة هي عدم البصيرة.
والشاهد عندنا ما قالاه الأقرع بن حابس و عيينة بن حصن، فعندما كانا متجبرين مدعين كل شيء لم يستطيعا أن يقولا أكثر مما قالا، بخلاف المهاجرين والأنصار الذين عاشوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قرابة اثنين وعشرين سنة.
قال: [وقال عباس بن مرداس : ما كان لي ولسليم فلا] أي: ما كان لي ولبني سليم ليس فيه قسمة ولا نعطيه [فقال بنو سليم: ما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم] وقطعوا لسانه [فقال عباس : وهنتموني!!] أي: أصبتوني بالوهن والإهانة.
[فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من تمسك بحقه من السبي، فله بكل إنسان ست فرائض من أول فيء نصيبه، فردوا على الناس أبناءهم ونساءهم)] يعني: الذي يتنازل الآن عن ماله فسوف يحصل من أول غنيمة نغنمها ست فرائض، أي: ستة أسهم، وهذا وعد صدق منه صلى الله عليه وسلم، فقد رغبهم بالفعل ووعدهم بأكثر مما أُخذ منهم.

من لا يعطى خير ممن يعطى

قال: [من لا يعطى خير ممن يعطى] أما نحن فنريد أن نعطى فقط.
والواقع -والله!- أن من لم يعط هو خير ممن أعطي.
[ولما شاهد العطاء رجل] ورأينا أن العطاء كان مائة بعير لبعضهم [فقال: (يا رسول الله! أعطيت عيينة و الأقرع وتركت جعيل بن سراقة)] وهذا رجل فاضل حماسي يريد الخير، قال: أعطيت من لا يستحق الأقرع بن حابس و عيينة وتركت جعيل بن سراقة ؟! [فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (والذي نفسي بيده! لـجعيل خير من طلاع الأرض)] أي: خير من ملء الأرض [(رجالاً كلهم مثل عيينة و الأقرع ولكني أتألفهم)] يعني: أعطيتهم من أجل أن أتألفهم على الإسلام، حتى لا يرتدوا ويشركوا، ما أعطيتم لأنهم أفاضل وصلحاء وكمّل، لا، وملء الأرض منهم لا يساوي جعيلاً .
وفي كل زمان ومكان يوجد عبد صالح يزن ما على الأرض من المفسدين.
قال: [(ووكلت جعيلاً إلى إسلامه)] أي: ووكلت جعيلاً وقد منعته المال وكلته إلى إسلامه.
فهل يمكن أن يتألم أو يعلن كلمة تدل على أنه غير راض بقسمة رسول الله؟ والله ما كان، فقد وكله إلى إسلامه وأنواره وعلمه ومعرفته، أما هؤلاء الصعاليك أعطاهم ليتألفهم.

موجدة الأنصار

قال: [موجدة الأنصار] لا يخرج الرسول من محنة حتى تأتي أخرى، وهذا شأن أولياء الله، فحتى الأنصار وُجد فيهم من يبكي ويقول: لماذا لا يعطينا وقد أعطى فلاناً وفلاناً.
[ولما أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطى من أموال لقبائل قريش وهوازن وتميم، ولم يعط الأنصار شيئاً وجدوا في أنفسهم] وهذا أمر فطري لا بد منه، لكن لا يتكلم ويقول: لماذا؟ أما كونه يجد في نفسه فلا بأس [حتى قال قائل منهم: لقي رسول الله قومه!!] يعني: كان شارداً منهم وهم بعيدون، والآن وجدهم ولقيهم فأعطاهم، وهذا لعله من مسلمة العهد الجديد.
[وأخبر سعد بن عبادة رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك] يعني المقالة كانت فيما بينهم.
إذاً: سعد بن عبادة من خيرة الأنصار، فقد أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم.
[فقال له: (فأين أنت يا سعد ؟! قال: أنا من قومي.
قال: فاجمع قومك لي.
فجمعهم فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ما حديث بلغني عنكم؟ ألم آتكم ضلالاً فهداكم الله بي؟ وفقراء فأغناكم الله بي؟ وأعداءً فألف الله بين قلوبكم بي؟ قالوا: بلى يا رسول الله، ولله ولرسوله المن والفضل.
فقال: ألا تجيبوني؟ قالوا: بماذا نجيبك؟ فقال: والله! لو شئتم لقلتم فصدقتم: أتيتنا مكذباً فصدقناك، ومخذولاً فنصرناك، وطريداً فآويناك، وعائلاً فواسيناك)] لا إله إلا الله! يعلمهم عن نفسه.
ثم قال: [(أوجدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم في لعاعة من الدنيا)] واللعاعة: ورقة من الشجر الأخضر لا تزن شيئاً [(تألفت بها قوماً ليسلموا ووكلتم إلى إسلامكم، والذي نفسي بيده! لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار، ولو سلك الناس شعباً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار، اللهم! ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار، فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم بالدموع.
وقالوا: رضينا برسول الله قسماً وحظاً وتفرقوا فعادوا إلى رحالهم)] من يطيق موقفاً مثل هذا.
من يقدر عليه؟ هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي جهله العالم ولم يعرفه!

غياب مالك بن عوف عن الإسلام

قال: [وغاب مالك] ما حضر، وهو الذي قاد المعركة ضد رسول الله صلى الله عليه وسلم [وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مالك بن عوف قائد الحرب الخاسرة] أين هو؟ [فقيل: إنه بالطائف] ما استطاع أن يسلم ويأتي [فقال: (أخبروه أنه إذا أتاني مسلماً رددت عليه أهله وماله)] يعني: إذا أتاني وقد أسلم قلبه ووجهه لله رددت عليه أهله وماله [فأخبروه فجاء سراً] في خفية لأنه متكبر [فأسلم وحسن إسلامه، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم أهله وماله، ومائة بعير] والمائة بعير دية إنسان [واستعمله على قومه] ولاه ولاية قومه، فهو الأمير عليهم؛ لِما عرف من قوته وإسلامه وصدقه، فالرسول صلى الله عليه وسلم حكيم، بل أستاذ الحكمة ومعلمها، وقد قال تعالى: وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ [البقرة:129].

قال: [وعلى من أسلم من تلك القبائل] أيضاً [وكان له عمل مشكور حيث ضيق على المشركين بالإغارة عليهم حتى أسلموا] فقد عرف الرسول صلى الله عليه وسلم أن الرجل فيه خير [وقال شعراً يمدح فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا نصه: ما إن رأيت ولا سمعت بمثله في الناس كلهم بمثل محمد أوفى وأعطى للجزيل إذا اجتدي ومتى تشأ يخبرك عما في غد] أي: في شئون الغيب، يخبرك عما في غد بتعليم الله عز وجل له.

[وإذا الكتيبة عردت أنيابها بالسمهري وضرب كل مهند فكأنه ليث على أشباله وسط الهباءة خادر في مرصد].

والهباءة: الغبار.

والخادر: الأسد في عرينه.

مطالبة النبي الكريم

قال: [مطالبة النبي الكريم] من يطالبه بالمال؟ إنهم المقاتلون.

[ولما رد النبي صلى الله عليه وسلم السبايا] إلى أهلها [ركب على بعيره] صلى الله عليه وسلم [فأتبعه الناس يقولون: يا رسول الله! اقسم علينا الفيء] لما أرسل السبي وحوله إلى أهله ركب بعيره وإذا بالناس وراءه [حتى اضطروه إلى شجرة من شدة الزحام عليه، فلصق رداؤه بأغصان شجرة] وهذا طبعنا! إذا لم نربَّ ونهذب -والله- لن يكون إلا هذا! ما هذا التكالب والطمع؟ ما إن ركب بغلته عائداً حتى مشوا قائلين: أعطنا! اقسم لنا يا رسول الله! حتى ألجئوه إلى شجرة التصق رداؤه بها.

من يصبر صبر رسول الله؟ ولو كان غيره لقال: يا عسكر خذوه! [فقال: (ردوا علي ردائي أيها الناس، فوالله لو كان لي عدد شجر تهامة نعم)] أي: إبل وبقر وغنم [(لقسمته عليكم، ثم لا تجدوني بخيلاً ولا جباناً ولا كذاباً)] إي والله وهو كذلك، والله ما بخل ولا جبن ولا كذب [ثم رفع وبرة من سنام بعير] والوبر شعر البعير (صوفه) [وقال: (ليس لي من فيئكم ولا هذه الوبرة إلا الخمس، وهو مردود عليكم)] أي: تلك الأموال الطائلة كلها ليس له منها إلا الخمس أعطاه الله إياه، قال تعالى: وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ [الأنفال:41] وهو مردود على فقرائهم ومساكينهم.

موقف عظيم هذا، من يذكره ولا ينساه؟! قال: [ثم أعطى المؤلفة قلوبهم -وهم أشراف الناس- يتألفهم على الإسلام] حتى يستقروا عليه فلا يرتدوا [فأعطى أبا سفيان بن حرب و معاوية ابنه، وأعطى حكيم بن حزام ، و العلاء بن جارية الثقفي ، و الحارث بن هشام و صفوان بن أمية ، و سهيل بن عمرو و حويطب بن عبد العزى ، و عيينة بن حصن ، و الأقرع بن حابس ، و مالك بن عوف النصري ، أعطى كل واحد منهم مائة بعير] كل واحد أعطاه مائة بعير [وأعطى دون المائة رجالاً آخرين، وأعطى عباس بن مرداس أباعر، فسخطها، فزاده حتى رضي].

اعتمار النبي صلى الله عليه وسلم بعد قسمة غنائم حنين

قال: [واعتمر الحبيب] بعد نهاية الجهاد ومعاركه [وكان شهر القعدة قد دخل] لأن الرسول غزا مكة في رمضان، والقتال في الطائف كان في شوال [فأحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه من الجعرانة، وأمر ببقايا الفيء فسيقت إلى مجنة فحبست بها وهي بناحية مر الظهران] على طريق المدينة [ودخل مكة ملبياً بعمرة فطاف وسعى وحلق وتحلل واستخلف على مكة عتاب بن أسيد] جعله حاكماً [وجعل له راتباً هو درهم كل يوم] مثل ريال كل يوم، يعني ثلاثون ريالاً شهرياً [وخلف معه معاذ بن جبل يعلم الناس الدين ويفقههم فيه] وهذه سياسة الرشد.

أما نحن عندما نستقل لا نعرف جانب الدين أبداً، إلا الوزارات والحكومات؛ لأننا ما عرفنا هذا، ولكن لما استقلت مكة ولى عليها النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً أعطاه درهماً حتى لا يمد يده، ولا يرغب في أحد، ونصب معاذ بن جبل ليُعلم ويفقه في الدين، وهذا هو التوازن، أما نحن فلدينا عشرون وزارة، ليس منها وزارة تقوم بالدعوة إلى الله، ولهذا لصقنا بالأرض! قال: [وخطب عتاب الناس] هذا الوالي العام في مكة [فقال: أيها الناس! أجاع الله كبد من جاع على درهم] دعا على نفسه.

يعني: إذا كان هذا الدرهم لا يشبعني فاللهم لا تشبعني.

لا إله إلا الله! لم أعلن هذه؟ قال: [فقد رزقني رسول الله صلى الله عليه وسلم درهماً كل يوم فليست بي حاجة إلى أحد] أي: فلست في حاجة إلى أحد من أهل مكة.

اكتفاء بهذا الراتب وهو درهم واحد.

قال: [وعاد الحبيب صلى الله عليه وسلم بأصحابه من المهاجرين والأنصار إلى المدينة فوصلها لست ليالٍ بقين من ذي القعدة. وبقي أهل الطائف على شركهم إلى شهر رمضان من سنة تسع من هجرة الحبيب صلى الله عليه وسلم] ثم جاء وفدهم يعلن إسلامهم.

نتائج وعبر من قسمة غنائم حنين

قال: [نتائج وعبر: إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبراً هي الآتية: أولاً: لحسن القول ولطيب الكلام أثر في نفس من قيل فيه كسنة عامة قلما تتخلف].
الكلام الحسن والكلام الطيب يؤثر في نفس من قيل فيه ويقبله، ولعلنا نأخذ بهذا فلا يبقى بيننا من يسب ولا يشتم ولا يتعنتر، ولكن دائماً الكلمة الطيبة والابتسامة إن شاء الله.
[ثانياً: تقرير مبدأ من طالب بمكرمة فليكن البادئ بها فإنه يعطاها] الذي يطالب بمكرمة يكون هو أول من يبدأ بذلك، وحينئذ يستجيب له الناس، والرسول بدأ بنفسه وبمال بني عبد المطلب، ثم بعد ذلك استجاب الناس له، فبدأ بنفسه أولاً.
[ثالثاً: بيان جفاء وغلظة بعض الأعراب لبعدهم عن الحضارة فلم يتروضوا] لكن الآن الذي في البادية أحسن من الحاضرة، فالحواضر تمرن الناس فيها على الفسق والفجور والتلصص والكذب والخيانة، أما البادية فهم في حدودهم، ولهذا سيأتي يوماً والهجرة إلى البادية أفضل.
اللهم! إلا إذا عدنا من جديد.
وكيف نعود من جديد؟ نسلم قلوبنا ووجوهنا لله.
وما هو الطريق؟ هل الكرباج والعصا والرشاش أم ماذا؟! الطريق هو أن نجتمع في بيوت ربنا كل ليلة بنسائنا وأطفالنا نبكي بين يدي الله ونسترحمه حتى نصلي العشاء، ثم نعود إلى بيوتنا.
وهكذا .
فلا تمضي السنة إلا ونحن أولياء الله، بلا كرباج ولا حديد ولا مال ولا.
فقط بصدق الإيمان وإخلاص القلب للرب عز وجل، فتزول هذه الجفوة وهذه الغفوة ويزول هذا الضلال وهذه الماديات والشهوات العارمة، وهذا هو الحل وإلا فلننتظر.
[رابعاً: بيان الكمال المحمدي في خلقه ومروءته فهو لذلك مضرب المثل، وفي القرآن الكريم: وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ [القلم:4]] من استعظم هذا؟ العظيم جل جلاله.
[خامساً: مظاهر الكمال المحمدي في حسن السياسة والتدبير الأمر الذي لا يجارى فيه قط] قل للساسة والسياسيين في العالم يأخذون بسياسة رسول الله، ولكنهم لا يحبونه حتى يأخذوا بسياسته إلا من رحم الله! [سادساً: فضل جعيل رضي الله عنه وأرضاه] وهو الذي قال: أعطني يا رسول الله! فقال: لا أعطيك، ووكله إلى إسلامه [وهنيئاً له بما أولاه الله وشرفه به رسول الله صلى الله عليه وسلم.
سابعاً: فضيلة الأنصار، وبيان ما حباهم الله به من حب الحبيب صلى الله عليه وسلم، ودعائه لهم ولأبنائهم وأبناء أبنائهم وهم أهل القرون الثلاثة المفضلة، أي: الصحابة والتابعون وتابعوا التابعين، وتابعوهم إلى ثلاثة قرون.
ثامناً: مشروعية الاعتمار في الشهر الحرام] أي: في ذي القعدة [وبيان أن الجعرانة ليست من الحرم] وإلا كيف يحرم منها.
[تاسعاً: مشروعية كفالة رزق العامل للدولة] إذا عينت الدولة عاملاً في قرية أو في بلد يجب أن تكفل له رزقاً، أو يعطه أهل البلد حتى لا يطمع فيهم.
وهذا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.
[عاشراً: مشروعية تولية الولاة وتعيين المعلمين والمفقهين للناس في دينهم].
معاشر الإخوان! ذكّرنا أبو عبد العزيز بهذه الفرش التي رأيناها الليلة، فالمسجد كاملاً جردوه من الفرش القديمة وكسوه بفرش جديدة، من الذي تبرع بهذا؟ لو أراد العالم الإسلامي أن يجمع من الفقراء والأغنياء هل يستطيع أن يبني هذا المسجد؟ وإن فرضنا بنوه فإنهم يأخذون من الأموال أضعاف ما يبنون به، وقد عرفنا أنفسنا، إذاً لم لا ندع لخادم الحرمين على هذه الفرش؟ أليس هذا واجباً في حقنا؟! أننكر فضل المتفضلين، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: (من لا يشكر الناس لا يشكر الله)؟! وصل اللهم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

حدثت في السنة الثامنة للهجرة أحداث مهمة، أهمها: تزوج النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة بنت الضحاك الكلابية، وولادة ابنه إبراهيم عليه السلام، وبعث صلى الله عليه وسلم كلاً من: عمرو بن كعب إلى ذات الأطلاع، وعيينة بن حصن إلى بني العنبر من تميم، وجرير بن عبد الله البجلي إلى ذي الخلصة، ثم دخلت السنة التاسعة للهجرة، وكان من أول أحداثها إسلام كعب بن زهير بن أبي سلمى الشاعر رضي الله عنه وأرضاه.

أهم أحداث سنة ثمان من هجرة الحبيب صلى الله عليه وسلم

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.
أما بعد: ها نحن مع [أهم أحداث سنة ثمان من هجرة الحبيب صلى الله عليه وسلم] فقد أقام بالمدينة عشر سنوات، عشنا معه من سنته الأولى وها نحن في السنة الثامنة، ولم يبق إلا سنتان: التاسعة والعاشرة، ثم يلتحق بالرفيق الأعلى صلى الله عليه وسلم، ونحن آملون راجون أن نكون رفقاءه في ذلك القدس الطاهر.
قال المؤلف غفر الله له ولكم ورحمه وإياكم: [من أبرز الأحداث التاريخية في سنة ثمان -غير السرايا والغزوات-] والسرايا جمع سرية، والغزوات جمع غزوة [ما يلي إزاء النقاط] الآتية في الكتاب:

خامساً: بعث الرسول جرير بن عبد الله البجلي إلى ذي الخلصة

[خامساً: بعث الرسول صلى الله عليه وسلم جرير بن عبد الله البجلي] وهو من بجيلة [في مائة وخمسين رجلاً إلى ذي الخلصة وهي بيت لخثعم وبجيلة] قبيلة خثعم وبجيلة كانوا في الجنوب، وهذا الصنم يقال له ذو الخلصة، يشترك فيه خثعم وبجيلة [فيها نصب يعبد يقال له: الكعبة اليمانية] القبيلتان لهما تمثال كبير عليه بيت واسع يعبدونه، يسمونه الكعبة اليمانية، يعني: بدلاً من أن تحج الكعبة الشمالية حج الكعبة اليمانية.
قال: [فأتاها فحرقها بالنار وكسرها، ولما بلغ الخبر النبي صلى الله عليه وسلم بارك على خيل أحمس ورجالها خمس مرات] اللهم بارك فيهم! أو اللهم بارك عليهم! قالها خمس مرات فرحاً بهذه النعمة، فقد هدموا هذا الطاغوت الكبير الذي كان يُعبد من خثعم وبجيلة، وصفى حسابه جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه وأرضاه.
وقد حدث أن شاباً كان معنا من سنين في المدينة لقبناه بـإبراهيم القرن العشرين ، بعد أن ذهب إلى كعبة كهذه، أو قبة أو ضريح فهدمها، وسجن عاماً كاملاً في بلاد العرب، وبعد عام أطلقوه، فلقبناه بـإبراهيم القرن العشرين .
وهذه سنة من سنن الإسلام، فمن استطاع أن يهدم هذه التماثيل فليهدمها، لكن إذا كان هدمها يحدث له بلاء أو فتنة للمسلمين، فلا. ويكفيه أن يحذر الناس من عبادتها.

ثالثاً: بعث النبي صلى الله عليه وسلم عمرو بن كعب إلى ذات الأطلاع من الشام

قال: [ثالثاً: بعث النبي صلى الله عليه وسلم عمرو بن كعب إلى ذات الأطلاع من الشام] في هذه السنة بعث الرسول صلى الله عليه وسلم عمرو بن كعب الغفاري إلى ذات الأطلاع من الشام [إلى نفر من قضاعة يدعوهم إلى الإسلام، ومعه خمسة عشر رجلاً فدعاهم] عمرو بن كعب [إلى الإسلام فلم يجيبوه، وقتلوا المسلمين إلا أميرهم عمراً فإنه نجا وعاد إلى المدينة].
وهذا حادث جلل! إذاً: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن كعب الغفاري ومعه خمسة عشر رجلاً من شجعان الرجال إلى ذات الأطلاع، وهي قرية أو مكان من الجهة الشمالية، يدعوهم إلى الإسلام فرفضوا وقتلوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الخمسة عشر، وعاد الأمير وحده.

رابعاً: بعث النبي صلى الله عليه وسلم عيينة بن حصن إلى بني العنبر من تميم

قال: [رابعاً: بعث النبي صلى الله عليه وسلم عيينة بن حصن إلى بني العنبر من تميم] شمال الحجاز [فأغار عليهم وسبا منهم نساء] والإغارة: الهجوم في الليل أو مع الصباح [وكان على عائشة رضي الله عنها عتق رقبة من ولد إسماعيل نذرتها نذراً] يعني: نذرت نذراً إذا تحقق مرادها فإنها تعتق عبداً أو نسمة من ذرية إسماعيل؛ لأنهم أشرف الناس.
وقد بيّنا مكانتها رضي الله عنها للذين ينتسبون للإسلام وهم يكفرون ولا يعلمون، لعل الله أن يهديهم ويرجع بهم.
[فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: (هذا سبي بني العنبر يقدم علينا فنعطيك إنساناً تعتقينه)] ومعنى هذا أنه أخبرها بالغيب، فهو يتلقاه من الله [فجاءت] السبايا [وأعطاها فأعتقته].

ويدل هذا على أن بني تميم من ولد إسماعيل، ولا يشك في هذا امرؤ بعد هذه الحقيقة، فأم المؤمنين عندما نذرت أن تعتق لله ولداً من أولاد إسماعيل -وهم أشرف الناس- وتحقق مرادها؛ إذ غزا المسلمون وجاءوا بسبي أعطاها رسول الله عبداً تعتقه من ولد أولئك القوم.
أرأيتم معاملة الرسول صلى الله عليه وسلم لأزواجه، ما أشرقها، ما أكملها وأتمها؟! فهل أنتم تعاملون نساءكم هكذا؟! لا ندري.
ليس هناك إلا الهراوة والسب والشتم .
وبالطلاق، والحرام .
! ولا لوم علينا، فما جلسنا في حجور الصالحين، ولا تربينا بين أيديهم، فكيف نكمل إذاً في آدابنا وأخلاقنا؟ ليس ممكناً! والذين لازموا هذا المكان في المسجد سنين، هل بقيت فيهم تلك العنتريات والنزعات والنزغات؟ الله يعلم أنها انتهت إلا من شاء الله.

ثانياً: ولادة إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم

[ثانياً: ولد إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم] في السنة الثامنة ولد إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم [من جاريته مارية القبطية] وهل للرسول جارية قبطية من أقباط مصر؟ وكيف وصلت إليه؟ نعم.
المقوقس لما وصله كتاب رسول الله يدعوه إلى الإسلام، أهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم جارية اسمها مارية القبطية ، فتسراها النبي صلى الله عليه وسلم فأنجبت له إبراهيم ، وإبراهيم باللغة العبرية معناه: الأب الرحيم، وقد سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولده على جده الأعلى إبراهيم، وأولاده الذكور كلهم من خديجة بنت خويلد رضي الله عنها سيدة نساء أهل الجنة، وهم القاسم و الطيب و عبد الله، إلا إبراهيم، فأمه مارية القبطية.
قال: [ودفع إلى أم بردة بنت الأنصارية فكانت مرضعته عليه السلام] وقد عاش سنة وتوفي.

أولاً: تزوج الرسول صلى الله عليه وسلم بفاطمة بنت الضحاك الكلابية

[أولاً: تزوج الرسول صلى الله عليه وسلم بفاطمة بنت الضحاك الكلابية، واستعاذت من الرسول صلى الله عليه وسلم ففارقها فوراً] لما دخل عليها، قالت: أستعيذ بالله منك! فقال: (أعاذك الله مني، التحقي بأهلك).
طردها الجهل من تلك الرحمة المحمدية! ولعلها قيل لها قولي هذا، ولنترك أمرها إلى الله.
هذا حدث جلل! وما زلنا نكرر: أن ما يصيبنا من بلايا ورزايا وإحن ومحن وبلاء هو ثمرة جهلنا، ولو عرفنا الطريق إلى الله ما مسنا السوء، يقول تعالى: وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ [الشورى:30]، وكيف تمتد اليد وتكسب لولا ظلمة الجهل، فانظر إلى جهل هذه المؤمنة، فقد طُردت من بيت النبوة من أجل قولها: أستعيذ بالله منك!

أحداث السنة التاسعة من هجرة الحبيب صلى الله عليه وسلم

قال: [ودخلت السنة التاسعة من هجرة الحبيب صلى الله عليه وسلم] انتهينا من السنة الثامنة وها نحن مع السنة التاسعة من هجرة الحبيب صلى الله عليه وسلم.
[وكان أول أحداثها]

إسلام كعب بن زهير بن أبي سلمى

[إسلام كعب بن زهير بن أبي سلمى] من أول أحداث السنة التاسعة من الهجرة إسلام كعب بن زهير الشاعر، وأبوه زهير أشعر منه، وهو صاحب معلقة من المعلقات السبع.
قال: [وإن كعب بن زهير كان شاعراً كأبيه زهير بن أبي سلمى صاحب المعلقة] والمعلقات كانت في الجاهلية، فإذا نظم أحدهم قصيدة تحدى من يأتي بمثلها، ولما ينجح يعلقها في الكعبة، ولا يُسمح لأحد أن يعلق إلا إذا تفوق وبرز، فزهير كانت له معلقة، وقد مات في الجاهلية.
[كان كعب قد هجا النبي صلى الله عليه وسلم] والعياذ بالله في شعره [فكتب إليه أخوه بجير] يحذره كيف يفعل هذا [وقد أسلم بجير وحسن إسلامه] وأخوه كعب ما زال مشركاً [كتب إليه يخبره بأن النبي صلى الله عليه وسلم قد أمر بقتل كل من هجوه وآذوه من الشعراء] لأنهم ينشرون الكفر، والشعراء إذا برزوا كانوا أكثر تأثيراً من الإعلام الإسرائيلي أو البريطاني، فلهم صولتهم.
قال: [إلا أنه من جاء مسلماً تائباً يعفو عنه ويسامحه، وعليه فأنصح لك] يا كعب [أن تأتي النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة وتسلم فتنجو] كانت نصيحة، ونِعم النصيحة [وإلا فانج بنفسك حيث تجد مكاناً للنجاة] يعني: اطلب النجاة لنفسك، فلابد وأن تقتل إن بقيت هنا في ديار الإيمان [وأن من بقي من الشعراء في قريش ابن الزبعري ، و هبيرة بن أبي وهب ، وقد هربوا في كل وجه، لكن كعباً لم يأخذ بنصيحة أخيه] قال له: ما بقي من الشعراء إلا ابن الزبعري و هبيرة وهم تائهون، فلم يأخذ بنصيحة أخيه بسبب العنترية! [وقال:] شعراً.
ألا أبلغا عني بجيراً رسالة فهل لك فيما قلت ويحك هل لكا فبين لنا إن كنت لست بفاعل على أي شيء غير ذلك دلكا على خلق لم تلف أماً ولا أباً عليه ولم تدرك عليه أخاً لكا فإن أنت لم تفعل فلست بآسف ولا قائل إما عثرت: لعاً لك] لعاً هذه تقال لمن عثر.

[سقاك بها المأمون كأساً روية فأنهلك المأمون منها وعلكا] أنهله مرة وفي الثانية علّه.
[ولما بلغ بجيراً ما قاله كعب أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فغضب صلى الله عليه وسلم] وحق له أن يغضب، فقد أبلغ بجير الرسول ما قال كعب ، وأنه بعث إليه برسالة ورد مظلم [وأهدر دمه] أي: من عثر عليه فليقتله [فكتب بذلك بجير إلى كعب] كتب إليه أن الرسول صلى الله عليه وسلم غضب من قوله وصنيعه، وأنه أهدر دمه [وقال: إذا أتاك كتابي هذا] هذا بجير يقول لكعب [فأسلم وأقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه لا يأخذ مع الإسلام بما كان قبله] أي: لا يأخذ مع الإسلام بما كان قبل الإسلام.
[فأسلم كعب] وهنيئاً له [وجاء حتى أناخ راحلته باب المسجد] باب الرحمة، أو باب السلام [ورسول الله صلى الله عليه وسلم مع أصحابه] كان جالساً في الروضة فأناخ كعب راحلته عند الباب ودخل.
[قال كعب : فعرفته بالصفة] يعني: ما رآه قبل قط، لكن ما إن نظر إلى الجماعة حتى عرف الرسول صلى الله عليه وسلم من بينهم، كيف لا وهو ذكي فطن! وشاعر يضرب به المثل [فتخطيت الناس إليه فأسلمت] يعني: ما قال: سامحوني، ولكن تخطى الناس في الحلقة حتى انتهى إلى الرسول صلى الله عليه وسلم [وقلت: الأمان يا رسول الله، هذا مقام العائذ بك.
قال: من أنت؟ فقلت: كعب بن زهير .
قال: (الذي يقول) ثم التفت إلى أبي بكر] أي: الرسول صلى الله عليه وسلم [فقال: كيف قال؟ فأنشده أبو بكر الأبيات التي أولها: ألا أبلغا عني بجيراً رسالة] وفيها كلام غير صالح.
[فقال كعب : ما هكذا قلت يا رسول الله! إنما قلت: سقاك أبو بكر بكأس روية فأنهلك المأمون منها وعلكا] أي: على الفور مسح الأولى.
[فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مأمون والله! فتجهمته الأنصار] أي: ما رضوا به، لما يعلمون عنه [وأغلظت له القول، ولانت له قريش وأحبت إسلامه] الأنصار محبو الرسول صلى الله عليه وسلم ما سرهم موقف كعب ، أما قريش فسرهم ذلك؛ لأنه منهم.
[فأنشدَ رسول الله صلى الله عليه وسلم قصيدته التي أولها: بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيم إثرها لم يفد مكبول] وقصيدة (بانت سعاد) معروفة، وموجودة إلى الآن.
[فلما انتهى إلى قوله: وقال كل خليل كنت آمله لا ألهينك إني عنك مشغول نبئت أن رسول الله أوعدني والعفو عند رسول الله مأمول في فتية من قريش قال قائلهم ببطن مكة لما أسلموا زولوا زالوا فما زال أنكاس ولا كشف عند اللقاء ولا ميل معاذيل لا يقطع الطعن إلا في نحورهم وما لهم عن حياض الموت تهليل ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قريش، فأومأ إليهم أن اسمعوا حتى قال: يمشون مشي الجمال الزهر يعصمه ضرب إذا عرد السود التنابيل يعرض بالأنصار في هذا البيت لغلظتهم التي كانت عليه، فأنكرت قريش قوله] ما أحبوا هذا [وقالوا: لم تمدحنا إذا هجوتهم، ولم يقبلوا ذلك منه، وعظم على الأنصار هجوه فشكوه فقال يمدحهم: من سره كرم الحياة فلا يزل في منقب من صالحي الأنصار الباذلين نفوسهم ودماءهم يوم الهياج وسطوة الجبار يتطهرون كأنه نسك لهم بدماء من قتلوا من الكفار في أبيات كثيرة وعندها كساه النبي صلى الله عليه وسلم بردة كانت عليه] هذه هي الجائزة؛ لأنه طهر قلوب الأنصار والمهاجرين، رضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين.
قال: [ولما كان زمن معاوية] أي: بعد أن توفي الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون وحكم معاوية [بعث إليه يطلب شراءها منه] معاوية رضي الله عنه بعث إلى كعب بن زهير يطلب منه أن يبيعه البردة ليتبرك بها وتكون عنده [فأبى، وقال: ما كنت لأوثر بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحداً] أي: كيف أبيعك إياها! [فلما مات كعب] وكلنا يموت [اشتراها معاوية من أولاده بعشرين ألف درهم] والدرهم الآن أكثر من خمسة أو ستة ريالات [وبقيت تلك البردة زمناً طويلاً يتوارثها الخلفاء، ولعلها الآن في متحف الآثار بتركيا] من الجائز أن يكون هذا، وكثير من آثار الصحابة في دار الآثار في بلاد الخلافة، أيام كانت تركيا العثمانية هي بلد الخلافة.

نتائج وعبر من إسلام كعب بن زهير

قال: [نتائج وعبر] لهذه المقطوعة التي استقيناها كاللبن، بل أحلى من العسل، نتائج وعبر؛ نعبر بها مشاق الحياة ومصاعبها.
[إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبراً نجملها كالآتي]:

خامساً: تجلي الكرم المحمدي في عفوه عن كعب وكسوته بردته بعد إهداره دمه

[خامساً: تجلي الكرم المحمدي في عفوه عن كعب وكسوته بردته بعد إهداره دمه] أعلن عن قتله ومع هذا لما أسلم وجاء عفا عنه وكساه بردته.
هذا والله تعالى أسأل أن يجعلنا وإياكم من محبيه والسالكين لطريقه، والذين يجمعهم الله بحضرته.
والآن ندعو لإخواننا المرضى والمحتاجين والمنكوبين، فهذا جمع حافل بالصالحين، رجاء أن يقبل الله دعاءنا.
اللهم يا حي يا قيوم، يا بديع السماوات والأرض، يا مالك الملك، يا ذا الجلال والإكرام، هذه أكفنا قد رفعناها إليك، سائلين ضارعين، فاشفنا يا ربنا، اللهم اشف كل مريض فينا وبيننا وفي بيوتنا ومشافينا من كل المؤمنين والمؤمنات يا رب العالمين.
اللهم إن منا من له هم وغم وكرب يشكوه ويتألم له ففرج يا رب كربه وفرج همه وغمه، وارزقه الثبات والصبر يا رب العالمين، ووسع عليه ما ضاق عنه يا حي يا قيوم.
اللهم إنا نشكو إليك قسوة قلوبنا، وجمود عيوننا، فارزقنا يا رب لين القلب ولين العين يا رب العالمين؛ إنك ولي المؤمنين ومتولي الصالحين.

وصل اللهم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

رابعاً: بيان تنافس الصحابة ومن بعدهم في الآثار المحمدية

[رابعاً: بيان تنافس الصحابة ومن بعدهم في الآثار المحمدية، وحق لهم ذلك حتى إن البردة اشتريت بعشرين ألف درهم] وقد عرفنا أنه إذا بصق يتمسحون ببصاقه صلى الله عليه وسلم.
و أم أيمن خادمة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي ورثها من أبيه، وهاجرت معه وأسلمت، كان صلى الله عليه وسلم في الشتاء يتبول في إناء تحت سريره، فعطشت ليلة فوجدت قدراً ظنته ماء فشربته كاملاً، فلما قام صلى الله عليه وسلم قبل الفجر أو بعده يريد أن يريق ذلك الماء خارج البيت -فليس عندهم مراحيض- لم يجده، فسألها فقالت: شربته.
فقال صلى الله عليه وسلم: (صحة يا أم أيمن)، فوالله ما شكت بطنها حتى ماتت.
هل فيكم من يستطيع أن يشرب بوله؟ لا أحد.
لكن بول الرسول صلى الله عليه وسلم غير بولنا، وقد أخذ هذه الكلمة أهل المغرب العربي هذه الكلمة، فإنهم يقولون لمن شرب: صحة.
ونحن نقول: هنيئاً.
فأيهما أصح؟ طبعاً هنيئاً لأهل الجنة، أما أهل الدنيا فادعوا لهم بالصحة.

ثانياً: تجلي ذكاء كعب في إسلامه وإتيانه النبي ومعرفته بالصفة دون سؤال عنه

قال: [ثانياً: ذكاء كعب يتجلى في إسلامه وإتيانه النبي صلى الله عليه وسلم ومعرفته بالصفة بدون سؤال عنه] ذكاء كعب يتجلى ويظهر في إسلامه أولاً؛ لأنه كان بعيداً وأتى ليسلم، ثم إتيانه النبي صلى الله عليه وسلم ومعرفته للرسول بالصفة فقط، فلم يقل: أين رسول الله؟! ولكن نظر إليه فعرفه، واجتاز الصفوف ثم جلس بين يديه وقال: أسلمت، وطلب الأمان منه.
قال: [وفي سرعة بداهته حيث يمدح ويعرض ويغضب في الجلسة الواحدة] تجلى ذكاؤه أيضاً في سرعة بداهته حيث يمدح ويعرض ويغضب ويرضي في الجلسة الواحدة، فقد عرض فأغضب الأنصار ومدح المهاجرين.
وهذا ذكاء فوق العادة، فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ [المائدة:54].
فلهذا أهل الذكاء والفطنة يولون المناصب التي تناسبهم، أما بليد مثلي لو وضعوه على شيء يضيعه، فلا بد من الفطنة والذكاء بشرط أن يكون المُولى طيباً طاهراً، موصولاً بالملكوت الأعلى، أما الذكي الخبيث فهو شيطان يدمر البلاد والعباد، وأقول هذا احتراساً.
ثالثاً: مشروعية مدح الرسول صلى الله عليه وسلم وفضيلته

[ثالثاً: مشروعية مدح الرسول صلى الله عليه وسلم وفضيلته] أي: فضيلة المدح [إذا خلا من الغلو المحرم الذي نهى عنه صلى الله عليه وسلم] إذ قال: (لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم، وإنما أنا عبد الله ورسوله، فقولوا: عبد الله ورسوله)، ولو قرأت الهمزية أو البردة لرأيت العجب، فقد رفعوه فوق مستوى الإله، ولا يحل أبداً أن تمدحه في غير ما هو حق لأي إنسان، فالرسول صلى الله عليه وسلم تجمعت فيه الكمالات وفاضت عنه، في آدابه وأخلاقه ورحمته، وقل ما شئت .
فامدحه بها ولكن لا ترفعه إلى مستوى الإله، فتصفه بصفة الرحمن عز وجل، فهذا يغضبه صلى الله عليه وسلم ويسخطه عليك.
وليس معنى هذا أن نعقد ليال في الفرح بولادته صلى الله عليه وسلم، وقد توسعوا في هذه الموالد حتى استحالت إلى شركيات ومظاهر للباطل الإسلام والرسول بريء منها، ونقول: إن أردتم حب الرسول اجتمعوا على دراسة سنته، اجتمعوا على سيرته في بيوت الرب، لتتعلموا الكتاب والحكمة، فتكملوا وتسعدوا، أما أن يكون الاجتماع من أجل الرز واللحم والشاي الأحمر والأخضر والرقص فقط فهذا باطل. باطل. باطل.
اللهم! تب عليهم، اللهم! تب عليهم؛ حتى يرجعوا إلى الحق والصواب، فإنهم ليسوا بفائزين أبداً.
وأخذنا مشروعية مدح الرسول صلى الله عليه وسلم من مدح كعب له، وفرحه بذلك وإعطاءه بردته.
فهل هناك أكثر من هذا؟! لقد أعطاه ثوبه! أما التبرك فإننا لو وجدنا ثوب الرسول أو نعله جاز لنا أن نتبرك به، بل قد أخرج من مالي من أجل أن ألمس هذا الثوب أو ألبسه، ومعاوية رضي الله عنه اشترى بردته بعشرين ألف درهم، بل كان أصحابه يتبركون بالنخامة منه صلى الله عليه وسلم، فوالله ما بصق بين أصحابه ووقع بصاقه على الأرض، حتى يتلقفونه بأكفهم ويتمسحون به.
ولكن هل ننقل هذا الفضل إلى ولي من الأولياء؟! والله! ما جاز ولن يجوز.
وإخوانكم وآباؤكم وأجدادكم نقلوا هذا الفضل إلى من يزعمون أنهم أولياء لله، فتجدهم يتبركون بنعالهم وثيابهم أو غير ذلك .
وقد انتهى التبرك، ولم يبق منه إلا التبرك بمجالسة الصالحين، فمن جلس مع الصالحين فهو في بركة وخير، لا يكذب، ولا ينم، ولا يغتاب، ولا يضحك، ولا يسخر، ولا يعص الله ولا يخرج عن طاعته.
وأي بركة أعظم من هذه؟! أما أن يتبرك بالحجارة والأموات والسرر والنعال فهذا باطل، باطل، باطل!
أولاً: حب المدح وكراهية الذم فطري في الإنسان

قال: [أولاً: حب المدح وكراهية الذم فطري في الإنسان] أخذنا هذا من الأنصار عندما غضبوا، والمهاجرين كذلك، ولما مدحهم رضوا.

إذاً: حب المدح وكره الذم فطرة في الإنسان مهما كان.
ولكن ليس معنى هذا أننا وجدنا طريقاً لنمدح الناس حتى نأكل أموالهم أو نتزوج بناتهم، وإنما نقول فقط: إذا كان المدح مشروعاً وجائزاً وامتدحت إنساناً وهو غائب فذاك محمود.
ولكن بشروط: أولاً: لا تمدح من هو في المجلس، حتى لا تقتله وتقسم ظهره.
ثانياً: لا تمدح إلا بما هو ثابت حقاً، فلا تبالغ ولا تغالي.
فإذا كان في أخينا ما يُمدح به ذكرناه، ولا نزكي على الله أحداً، أما الذم فلا نذم.
فالمدح إن كان في أخينا من صفات المدح فلا بأس أن نقولها بدون مبالغة ولكن ليس وهو يسمعنا خشية أن نقتله.
إذاً: حب المدح وكراهية الذم فطري في الإنسان.
[فهو كما قيل] وهذا بيت من الحكمة: [يهوى الثناء مبرز ومقصر حب الثناء طبيعة الإنسان] أي: يهوى الثناء مبرز في الكمال ومقصر، حتى المقصر يحب المدح، بل يشتريه، فحب الثناء طبيعة الإنسان.

في السنة التاسعة للهجرة أعلن النبي صلى الله عليه وسلم المسير إلى تبوك للقاء الروم، وذلك حينما علم أن الروم ومتنصرة العرب قد تجمعوا يريدون المسير إلى الحجاز لحرب الرسول والمؤمنين، فأعلن النبي صلى الله عليه وسلم النفير العام للمسلمين، وأمر بالتجهز والمسير إلى تبوك، فاستجاب المؤمنون لهذا النداء النبوي الكريم، وتخلف المنافقون، واعتذر بعضهم بما ليس عذراً لهم، وتخلف مؤمنون معذورون، وتخلف آخرون بدون عذر، ولكنهم كانوا مؤمنين بالله ورسوله، فتاب الله عليهم وعفا عنهم، وأنفقوا من أموالهم في سبيل الله تعالى لتجهيز الجيش.

غزوة تبوك

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.
أما بعد: فقد انتهى بنا الدرس إلى ثاني أحداث السنة التاسعة.
قال: [وثاني أحداثها: غزوة تبوك] وتبوك اسم عين ماء شمال المدينة.
[غزوة تبوك تعتبر من أعظم مغازي الحبيب صلى الله عليه وسلم، وذلك لصعوبة الظرف الذي وقعت فيه، إذ هو ظرف جديد ومجاعة وشدّة حر، وبعد مكان وشقة، وكثرة عدو وقوة، ولم يكن هناك نفير عام في غزوة غير هذه، ولم يكن الرسول -القائد الأعظم صلى الله عليه وسلم- ليحدد اتجاهه في غزوة من الغزوات إلا في هذه.
كل هذا -وغيره- جعل غزوة تبوك من أعظم الغزوات، ويدل على ذلك ويشهد له الآيات العديدة من سورة التوبة كقوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ [التوبة:38] في آيات عديدة، وآخر تلك الآيات قوله تعالى: مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ [التوبة:120] وسمي جيشها بجيش العسرة إذ بلغت العسرة يومها أشدّها].

أسباب هذه الغزوة

قال: [أسباب هذه الغزوة: إن السبب الرئيسي في هذه الغزوة الصعبة: أن النبي صلى الله عليه وسلم بلغه أن هرقل ملك الروم ومن معه من العرب المتنصرة من قبائل لخم وجذام، قد أجمعوا المسير إلى الحجاز لحرب محمد صلى الله عليه وسلم والمسلمين؛ مبادرة منهم له حتى لا يكون هو الذي يغزوهم بعد أن ذاقوا مرارة غزوة مؤتة التي جلبوا لها مائتي ألف مقاتل، ولم يتمكنوا من إبادة ثلاثة آلاف مقاتل لا غير، بل ولا حتى هزيمتهم، والحمد لله].

التعبئة العامة لغزوة تبوك

قال: [التعبئة العامة: وأعلن الحبيب صلى الله عليه وسلم لأول مرة عن قصده، فلم يورِّ ولم يعمِّ -كما كان قبل يوري ويعمي على العدو- بل أمر الناس بالجهاز، وأعلمهم أنه يريد غزو الروم وأعلن التعبئة العامة، وتجهز أقوام وتباطأ آخرون، فأنزل الله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ * إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [التوبة:38-39] إلى قوله تعالى: انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ [التوبة:41]].

جمع المال لخوض المعركة

قال: [جمع المال لخوض المعركة: ولما كان المال ضرورياً للتجهيز الكامل من رجال وسلاح وكراع، أمر الحبيب القائد الأعظم صلى الله عليه وسلم بجمع الأموال، وتسابق الصالحون في هذا الميدان فأنفق أبو بكر الصديق كل ما يملك، وأنفق عمر بن الخطاب نصف ما يملك، وأنفق عثمان نفقة قال فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اللهم ارض عن عثمان ؛ فإني عنه راض) إنه جهز جيش العسرة وحده -أو كاد- إذ أنفق ألف دينار وألف بعير، وحمل رجال من أهل اليسار والغنى واحتسبوا أجرهم على الله تعالى].

اعتذار الجد بن قيس عن النفير مع رسول الله

قال: [اعتذار كاذب: ووجه النبي صلى الله عليه وسلم الدعوة -رسمياً- إلى الجد بن قيس -لضلوعه في النفاق- فقال: (يا جد هل لك في جلاد بني الأصفر؟ فقال: يا رسول الله! أوتأذن لي ولا تفتني، فوالله لقد عرف قومي أنه ما من رجل أشد عجباً بالنساء مني، وإني أخشى إن رأيت نساء بني الأصفر ألا أصبر.
فأعرض عنه النبي صلى الله عليه وسلم وقال: قد أذنت لك) وفيه نزل قوله تعالى: وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلا تَفْتِنِّي أَلا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ [التوبة:49] فقوله تعالى: وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ [التوبة:49] تلويح بكفرهم، وذلك لرغبتهم بأنفسهم عن نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم].

رد رسول الله للمعذِّرين من الأعراب

قال: [اعتذار مردود: وجاء نفر من غفار -وهم أعراب في البادية حول المدينة- يعتذرون عن التخلف، فلم يعذرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يأذن لهم في التخلف.
وقعد كبار المنافقين عن الاعتذار وعن الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين، وفي هؤلاء وأولئك نزل قوله تعالى: وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ [التوبة:90]].

تخلف بعض الأخيار عن النفير بغير عذر

قال: [تخلف من غير شك: وقد تخلف أناس عن الخروج إلى تبوك -لا رغبة بأنفسهم عن نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم- ولكن غلبتهم نفوسهم؛ لصعوبة الظروف، لا سيما وقد آن أوان الرطب وظلال الأشجار في آخر الصيف، فاعتذروا بعد عودة الرسول صلى الله عليه وسلم، وقبل عذرهم وتاب الله عليهم.
وأرجأ توبة ثلاثة منهم امتحاناً لهم؛ لأنهم من كبار الصحابة وخيرتهم، وهم: كعب بن مالك ، ومرارة بن الربيع ، وهلال بن أمية ، حتى ذاقوا مرارة المقاطعة التي أعلنها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمحصوا حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت، وضاقت عليهم أنفسهم، وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه، ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم].

رد رسول الله لنفر لا يستطيع أن يحملهم وبكاؤهم لذلك

قال: [البكاءون] وهم كثيرو البكاء، واليوم ليس عندنا بكّاء ولا باكٍ [إنهم سبعة رجال من أهل الإيمان الصادق والإسلام الحسن، كانوا أهل حاجة وفقر، فلم يجدوا زاداً ولا راحلة يركبونها، وعز عليهم التخلف؛ فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكون، وقالوا: احملنا يا رسول الله! فكيف نتخلف؟ فلم يجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يحملهم عليه؛ فرجعوا إلى بيوتهم يبكون، فكانت أعينهم تفيض من الدمع حزناً وفيهم نزل قول الله تعالى: لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلا عَلَى الْمَرْضَى وَلا عَلَى الَّذِينَ لا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * وَلا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ [التوبة:91-92]].
إذاً: عشنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكأنه حي، وبلغنا هذا الحديث، ولنترك السير مع الحبيب إلى الدرس الآتي.

حكم التفجيرات في بلاد المسلمين وغيرها

آخر كلمة أريد أن أقولها: إنني أبين مسئولية على العلماء أن يبلغوها للشرق والغرب، فأقول بعد أن أحمد الله وأصلي على النبي: إن التفجيرات سواء كانت في بلاد العرب أو بلاد المسلمين أو بلاد الكفر التي تأتي على الرجل والمرأة والصغير والكبير لا تحل في الإسلام أبداً! ومن أفتى بجوازها فوالله لجاهل، فوالله لغالط، فوالله لمتعمد لأمر ما من الأمور، فقد درسنا كتاب الله وسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعرفنا فقه هذه الأمة؛ فلا يحل أبداً بحال من الأحوال أن تُقتل جماعة منهم النساء والرجال، ولا يصح هذا في أي بلد، فكيف تحت راية لا إله إلا الله محمد رسول الله؟!! إن الذي يقدم على هذا العمل ممسوخ! يظهر أنه مؤمن ويقاتل في سبيل الله وهو كافر منتن لا خير فيه أبداً، إلا أن يتوب الله عليه! خرج عن إجماع المسلمين وعن الكتاب والسنة، وها نحن نشاهده في ديارنا الإسلامية، تحت راية لا إله إلا الله والبقية الباقية في العالم الإسلامي يحدث هذا الحدث! ويتبجح ويقول ويزعم أنه مؤمن، ووالله ما هو بمؤمن، والله ما هو بمؤمن، والله ما هو بمؤمن، لماذا؟ لأن تعاليم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه إذا أُعلن عن الجهاد تحت راية لا إله إلا الله وقيادة الإمام المختار المجتبى من تلك الأمة نخرج ونقاتل العدو لا تشفياً فيه، ولا إرادة في إهلاكه وتدميره، ولكن فقط من أجل أن نخضعه لقبول لا إله إلا الله، فإن أصر على رفضها وعلى دخولنا بلاده قاتلنا رجاله القادرين على حمل السلاح، والتعاليم تقول: لا تقتلوا طفلاً ولا امرأة ولا شيخاً كبّاراً، ولا من انقطع إلى عبادة في صومعة، وإنما يُقاتَل من يقاتِل.
هذا دين محمد صلى الله عليه وسلم.
لقد أصبحنا أضحوكة في أوروبا، يسموننا بالمستسلمين، ولهم ألف حق!! لأن سلوك هؤلاء المجرمين سلوك باطل، الإسلام بريء منه، وفي ديارنا الجزائرية منذ خمس سنين والنساء والأطفال تزهق أرواحهم لا لشيء ولا لغرض، إلا للتدمير والجهل والعياذ بالله! عرفتم هذا

الحكم؟ ومن لم يعرفه فسوف يعرفه في قبره إذا مات!! ثانياً: نقول: سبب هذه الأحداث الذنوب؛ فندعو كل مؤمن ومؤمنة تحت راية القرآن أن يتوب إلى الله عز وجل؛ لأن الله يقول: وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ [الشورى:30]، وقد رأينا رسولنا صلى الله عليه وسلم في أحد وقد كسرت رباعيته، وشج وجهه، ودخل المغفر في رأسه، وقتل عمه وسبعون مؤمناً من أصحابه بسبب ذنب ارتكبه المجاهدون! فكيف إذاً بالذنوب العامة؟! فأدعو كل مؤمن ومؤمنة مهاجراً أو مقيماً أو زائراً أو وطنياً ألا يعصي الله في هذا البلد، ومن غلبته شهوته ونفسه فليرحل، فليخرج إلى ديار الكفر ويفجر كما يشاء أن يفجر، أما في هذا البلد فلا يراك الله إلا ذاكراً شاكراً تعبده وتوحده في عبادته.

وأخيراً: هيا ندعو على هؤلاء الظلمة الفجرة ليفضحهم الله ويعلن عن كشف سوأتهم وعن ظهورهم؛ لنشاهد قتلهم وسفك دمائهم فنفرح بذلك ونحمد الله تعالى، حتى لا يتكرر هذا الحادث! فاللهم يا ولي المؤمنين ومتولي الصالحين! يا ناصر المؤمنين وهازم الكافرين! يا من أرسل محمداً رحمة للعالمين! يا من فرض الجهاد على أمته من أجل إعلاء كلمته، من أجل أن يعبد في الأرض ولا يعبد سواه، يا رب العالمين! إنا نسألك أن تقطع دابر هؤلاء المجرمين، اللهم اقطع دابرهم، اللهم اقطع دابرهم، وافصلهم عن حياتهم، ومن كان وراءهم اللهم افضحه وبين سوأته؛ ليلقى القبض عليه، وليقتل كما قتل المؤمنين.

اللهم عجل يا ولي المؤمنين! بانكشاف سوأتهم وقطع دابرهم؛ حتى لا يُقتدى بهم، وحتى لا يتواجد أمثالهم في ديار الإيمان والإسلام يا رب العالمين! اللهم إنا ندعوك وأنت تستجيب دعاءنا، اللهم إنا ندعوك وأنت تستجيب دعاءنا، اللهم عجل بكشف سوأتهم وفضيحتهم وإلقاء القبض عليهم.

إنك ولي المؤمنين ومتولي الصالحين.

وصلِّ اللهم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

خرج النبي صلى الله عليه وسلم في السنة التاسعة إلى تبوك للقاء الروم، واستخلف على المدينة سباع بن عرفطة، وعلى أهله علي بن أبي طالب، وفي الطريق إلى تبوك وفي تبوك أيضاً حدثت أمور ومعجزات للنبي صلى الله عليه وسلم كانت أعلاماً من أعلام النبوة، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام.

مسير النبي صلى الله عليه وسلم إلى تبوك

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.
أما بعد: فقد انتهى بنا الدرس إلى مسير الحبيب صلى الله عليه وسلم إلى تبوك، والدرس الماضي كان عن التجهيزات والإعدادات، وقد تم كل ذلك، والآن الرسول صلى الله عليه وسلم وجيشه في طريقهم إلى تبوك.
فهيا نماشي رسولنا، ونقف عند كل موقف وقفه؛ ليقوى إيماننا، وتزداد محبتنا له، ويعظم إقبالنا على الله بطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم.
قال: [مسير الحبيب صلى الله عليه وسلم: واستخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة سباع بن عرفطة ، وعلى أهله علي بن أبي طالب] رضي الله عنه؛ لأنه ابن عمه وزوج ابنته.
[وأرجف المنافقون] أرجفوا: قالوا: لم لم يأخذ علياً معه؟ لعله استثقله.
أو ما أطاقه؛ فلهذا تركه وراءه، ولا شك أنكم تسمعون الإرجاف، إلا من اجتبى الله واصطفى وانتقى من خلقه، فهم لا ينطقون بغير الحق!
[وقالوا: ما خلف علياً إلا استثقالاً له، فسمع ذلك علي] لأنهم روجوه، فبلغه ذلك [فلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم حاملاً سلاحه] يعني: هزمهم ومشى يحمل سلاحه [وأخبره] أي: أخبر علي رسول الله صلى الله عليه وسلم [بما قال المنافقون، فقال: (كذبوا، وإنما خلفتك لما ورائي من أهلي، فارجع فاخلفني في أهلي وأهلك، أما ترضى)] أراد أن يمسح دموعه ويغيظ المنافقين [(أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي)] أي: هذه المنزلة انتهيت إليها في الحب والولاء، لكن النبوة لا، فلا نبي بعدي، فلن تكون نبياً!
قال: [فرجع علي] من الطريق [وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم في طريقه إلى جلاد بني الأصفر] أي: إلى قتال الروم، فهم بنو الأصفر.

تثبيط المنافقين للناس عن الخروج مع رسول الله

قال: [المثبطون] والتثبيط هو الفت في العزائم وإيقافها.
[وقبل مسير الحبيب صلى الله عليه وسلم بلغه أن جماعة من المنافقين يجلسون في بيت أحدهم] يتآمرون بالطعن والنقد ليسلّوا على أنفسهم، ونعوذ بالله أن تكون هذه المجالس موجودة بيننا، ولكن الآن يجلسون على الشيشة! [وهو سويلم اليهودي] كانوا يجلسون في بيت سويلم - تصغير سالم- اليهودي بعد أن ادعى الإيمان وهو منافق.
قال: [يثبطون الناس عن الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم] هذه مهمتهم! يقولون: عندنا مجلس خاص وتفضلوا، ثم الذي يجلس يقال له: ما قيمة هذا الجهاد؟ وماذا سيحدث؟ وكيف تقاتلون الروم؟! هذا جنون وهذا كذا.
!! ونحن لا نحسن كلامهم، فهم يقولون أكثر من هذا، لكن يكفي أنهم يثبطون المؤمنين حتى لا يخرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.
[ويقولون: لا تنفروا في الحر] وكان الحر شديداً -كما علمنا- في تلك الأيام [تزهيداً في الجهاد، وتشكيكاً في الحق، وإرجافاً برسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فأنزل الله تعالى فيهم قوله: وَقَالُوا لا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ [التوبة:81]] فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ [التوبة:82] هذه الآيات نزلت في آل بيت سويلم اليهودي .
قالوا: لا تنفروا -وقد علمنا النفرة التي تمت والتعبئة العامة- في الحر، فقل لهم يا رسولنا: نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون، أي: أين الفقه وفهم أسرار الشريعة؟ [وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم طلحة بن عبيد الله في نفر من أصحابه أن يحرق عليهم بيت سويلم] كانت مؤامرة ضد الإسلام ونبيه وجهاده، فمن الخير أن يحرّق عليهم ذلك البيت حتى لا يجلسوا فيه [ففعل طلحة فاقتحم الضحاك بن خليفة من ظهر البيت فانكسرت رجله، واقتحم أصحابه فأفلتوا] وذهبوا [وفي هذا يقول الضحاك: كادت -وبيت الله- نار محمد يشيط بها الضحاك وابن أبيرق وظلت وقد طبقت كبس سويلم أنوء على رجلي كسيراً ومرفقي سلام عليكم لا أعود لمثلها أخاف ومن تشمل به النار يحرق] لما انكسرت رجله انهزم وردد هذه الأبيات.

أبو خيثمة يلحق برسول الله في تبوك

قال: [أبو خيثمة يفوز: وتأخر عن المسيرة أبو خيثمة ، وكان له زوجتان] يعني: امرأتين [وجاءهما يوماً] أي: لامرأتيه، واحدة في المناخة، وأخرى مثلاً في العوالي [فوجد كل واحدة منهما قد رشت بالماء عريشها، وبردت الماء له، وصنعت الطعام، فلما رأى ذلك أبو خيثمة قال على الفور: أيكون رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحر والريح و أبو خيثمة في الظل والماء البارد مقيم؟] وهذا تدارك الله له! فلم ينهزم، وهكذا أولياء الله ينقذهم الله، وإلا كاد أن يهلك.

قال: [ما هذا بالنصف] أي: ليس هذا بالإنصاف [والله ما أحل عريشاً منهما حتى ألحق برسول الله صلى الله عليه وسلم! فهيأ زاده وخرج إلى ناضحه] جمله؛ لأنه ينضح به الماء [فركبه وجرى وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم فأدركه في تبوك، ورآه الناس من بعيد، فقالوا: يا رسول الله! راكب مقبل] أي: علينا [فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كن أبا خيثمة) فقالوا: هو والله أبو خيثمة] يعني: الصحابة.

وهذه آية من آيات النبوة، أو حسن الظن بأولياء الله، فلا شك أنه كان غير مرتاح لغيبته وتخلفه، وكان يود له أن يلتحق ليكمل ويفوز.

[وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم] لأن الرسول صلى الله عليه وسلم في قبته مع رجالات الحرب، فأتاه إلى مجلسه [وأخبره بخبره] عن العريشين والمرأتين وما أعدتا وهيأتا وكيف قالا [فدعا له ففاز بدعوة الحبيب صلى الله عليه وسلم] وبكم تقدر دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم؟ والله لا تقدر بمال! [وقال أبو خيثمة في قصته هذه شعراً هذا نصه: لما رأيت الناس في الدين نافقوا أتيت التي كانت أعفَّ وأكرما وبايعت باليمنى بيدي لمحمد فلم أكتسب إثماً ولم أغش محرما تركت خضيباً في العريش وحرمة] والحرمة: جماعة من النخل.

[صفايا كراماً بُسرها قد تحمما] أي: اسود.

[وكنت إذا شك المنافق أسمحت إلى الدين نفسي شطره حيث يمما].

هذه الأبيات قالها أبو خيثمة في تبوك لما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

من أعلام النبوة في غزوة تبوك

قال: [من أعلام النبوة] وآياتها الدالة على نبوته صلى الله عليه وسلم.

خامساً: تفجر الماء بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم

قال: [وخامسة: بوادي المشقق بطريق تبوك ماء من وشل] أي: صخر [قدر ما يروى الراكب والراكبان والثلاثة، فقال رسول صلى الله عليه وسلم: (من سبقنا إلى هذا الوادي فلا يستقين منه شيئاً حتى نأتيه) إلا أن منافقين سبقوا إليه، فاستقوا ما فيه، فلما أتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف عليه فلم ير فيه شيئاً من الماء، قال: (من سبقنا إليه؟ قيل له: يا رسول الله! فلان وفلان، فقال: أولم أنههم أن يستقوا منه شيئاً حتى آتيه، فلعنهم صلى الله عليه وسلم ودعا عليهم، ثم نزل فوضع يديه تحت الوشل، فجعل يصب في يده ما شاء أن يصب، ثم نضحه به ومسحه بيده، ودعا صلى الله عليه وسلم بما شاء الله أن يدعو به، فانخرق من الماء -كما يقول من سمعه- إذا له حس كحس الصواعق)] صوت الماء يتدفق [(فشرب الناس واستقوا حاجتهم منه)، فكانت هذه آية من آيات النبوة المحمدية].

اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى آله وصحابته، واجعلنا من أتباعه وأحبائه، وألحقنا به يا رب العالمين!

رابعاً: إخبار الرسول بما يقع لأبي ذر وتحقق ذلك بعد موته

قال: [ورابعة] رابع آيات النبوة وأعلامها [ويمضي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسيره إلى تبوك، ويتخلف عنه الرجل فيخبر بذلك فيقول: (دعوه.

فإن يك فيه خير فسيُلحقه الله تعالى بكم، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه)].

إذاً: عندما كان يمضي رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك إذا تخلف عنه رجل وأخبر بذلك قال: (دعوه؛ فإن يك فيه خير فسيلحقه الله تعالى بكم -كما فعل أبو خيثمة - وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه) أي: اسكتوا عنه واتركوه.

قال: [وتلوم أبو ذر على بعيره -أي: تمهل وتمكّث-] ما أسرع المشي ليلحق رسول الله صلى الله عليه وسلم [فلما أبطأ عليه أخذ متاعه فحمله على ظهره] البعير هو الذي تباطأ به، وما استطاع أن يمشي، فماذا يفعل أبو ذر ؟ أخذ متاعه على ظهره وترك بعيره في البر ومشى، وهذا موقف عجيب لـأبي ذر ! ثم خرج يتبع أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشياً على رجليه ومتاعه على ظهره [ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض منازله في الطريق، فنظر ناظر من المسلمين فقال: يا رسول الله! إن رجلاً يمشي في الطريق وحده! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كن أبا ذر)، فلما تأمله القوم قالوا: يا رسول الله! إنه والله أبو ذر ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (رحم الله أبا ذر يمشي وحده، ويموت وحده، ويبعث وحده!)] وهذه آية من آيات النبوة، فقد مات وحده رضي الله عنه.

قال: [وتمضي الأيام والأعوام، وينفى أبو ذر إلى الربذة، ويحضره الموت هناك وليس معه إلا امرأته وغلامه، وقبل موته أوصاها: إذا مات أن يغسلاه ويكفناه ويضعاه على الطريق، وأول ركب يمر عليكم فقولوا: هذا أبو ذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعينونا على دفنه، وفعلاً فعلا به ذلك] أي: المرأة والخادم [وجاء عبد الله بن مسعود في رهط من أهل العراق عمّار] أي: معتمرين [فلم يرعهم إلا والجنازة على قارعة الطريق كادت الإبل تطؤها، وقام إليهم الغلام] غلام أبي ذر [فقال: هذا أبو ذر صاحب رسول الله صلى الله عليه

وسلم فأعينونا على دفنه، فاستهل عبد الله بن مسعود يبكي ويقول: صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم! تمشي وحدك وتموت وحدك وتبعث وحدك! ثم نزل هو وأصحابه وواروه التراب؛ فكانت آية من آيات النبوة المحمدية].

ثانياً: استجابة الله دعاء نبيه وإنزاله المطر

قال: [وأخرى] من أعلام النبوة [فقد كان رجل من المنافقين -معروفة بالنفاق- يسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث سار] والأصحاب لا يستطيعون أن يقولوا: هذا منافق، وإن كانوا يعرفونه، ومن مظاهر النفاق خلف الوعد، والكذب، بينها الرسول صلى الله عليه وسلم، لكن لا يحق لهم أن يقولوا: هذا منافق؛ لأن الله ستر على المنافقين حتى يهديهم أو يهلكهم، فهذا المنافق كان يمشي مع الرسول حيث مشى، ويسير معه حيث سار.
[ولما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بديار ثمود] ماذا فعل رسول الله؟ [غطى وجهه بثوبه واستحث السير] أي: أسرع في المشي على بعيره [وقال لأصحابه: (لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا إلا وأنتم باكون خوفاً أن يصيبكم مثل ما أصابهم)] وهذا في العودة، والآن هناك بعض الهابطين يذهبون متسللين يقضون اليوم واليومين يضحكون ويدخنون، بل ويصورون أيضاً والعياذ بالله، والحمد لله لولا هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولولا حكومة القرآن الكريم لرأيت العجب العجاب، لكن الآن يختفون ويكذبون وليس هناك علانية، فالأمر ممنوع، والذين لا يؤمنون بالله ولقائه وعذابه وانتقامه من أعدائه لا يفهمون هذا، فالرسول صلى الله عليه وسلم خاف وأسرع في المشي، وقال: هذه الأرض أهلك الله فيها أمة، ونخشى أن يصيبنا ما أصابهم.
فـ(لا تدخلوا إلا وأنتم تبكون).
قال: [وأصبح الناس ولا ماء معهم] كانوا ماشين فناموا وباتوا في الطريق [فشكوا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فدعا ربه] فأجابه [فأرسل الله سحابة فأمطرت، حتى ارتوى الناس وأخذوا حاجتهم من الماء؛ فكانت آية من آيات النبوة، وقيل لذلك المنافق: ويحك! هل بعد هذا شيء؟ أي: من الشك في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم؟ فقال: سحابة مارّة!] والآن يقولون أكثر من هذا! ولا يقرون ولا يثبتون آيات النبوة.
هذا هو مرض القلوب لا بد وأن يخرج!
ثالثاً: إخبار الرسول أصحابه بمكان ناقته بعد ضياعها

قال: [وثالثة] آية ثالثة من آيات النبوة [ونزل الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنون منزلاً، فضلت راحلة النبي صلى الله عليه وسلم] التي يركبها الحبيب ويرتحل عليها ضلت الطريق وتاهت [فخرج أصحابه يطلبونها] ولهم الحق، بل يجب عليهم [وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أصحابه يقال: عمارة بن حزم وكان عقيبياً بدرياً] وعقيبياً: من جماعة بيعة العقبة، وبدرياً: من أهل بدر، يعني أنه يحمل وسامين من أوسمة الشرف العالية، فقد حضر بيعة العقبة، وحضر معركة بدر [وكان في رحله] أي: المجموعة التي تمشي معه [زيد بن اللصيت القينقاعي -وكان منافقاً-] من بني قينقاع اليهود الذين أجلاهم الرسول صلى الله عليه وسلم عن المدينة، فهذا منهم ادعى الإسلام وبقي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم منافقاً.
قال: [فقال وهو في رحل عمارة] وفي تلك الساعة كان عمارة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم [وعمارة عند الرسول صلى الله عليه وسلم: أليس محمد يزعم أنه نبي، ويخبركم عن خبر السماء، وهو لا يدري أين ناقته؟! فقال النبي صلى الله عليه وسلم وعمارة عنده] وسبحان الله! بلا سلكي ولا هاتف! الرجل يقولها مع جماعته، والرسول صلى الله عليه وسلم في خيمته يقولها.
لا إله إلا الله! قال: [(إن رجلاً -يعني: ابن اللصيت المنافق- قال: هذا محمد يخبركم أنه نبي، ويزعم أنه يخبركم بأمر السماء وهو لا يدري أين ناقته؟! وإني والله ما أعلم إلا ما علمني ربي، وقد دلني الله عليها، وهي في هذا الوادي في شعب كذا وكذا، قد حبستها شجرة بزمامها فانطلقوا حتى تأتوني بها)، فذهبوا فجاءوا بها؛ فكانت آية من آيات النبوة المحمدية.
ورجع عمارة من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رحله فقال: والله لعجب من شيء حدّثناه رسول الله صلى الله عليه وسلم آنفاً عن مقالة قائل أخبره الله عنه بكذا وكذا -للذي قال زيد بن اللصيت - فقال رجل ممن كان في رحل عمارة ولم يحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال زيد -والله- هذه المقالة قبل أن تأتي، فأقبل عمارة على زيد يجأ عنقه -أي يطعن بيده في عنقه- وهو يقول: إلي عباد الله! إن في رحلي لداهية وما أشعر! اخرج أي عدو الله! من رحلي فلا تصحبني] لما حضر وأُخبر بأن صاحبه هو الذي قال، انكب عليه يطعنه في حلقه بيده ويقول: اخرج أي عدو الله من رحلي فلا تصحبني. وطرده.

أولاً: ما وقع أثناء مرور النبي صلى الله عليه وسلم بديار ثمود

[ولما مر النبي صلى الله عليه وسلم بالحجر -وهي ديار ثمود] وقد مررنا بها بل نزلنا بها [وهو في طريقه إلى تبوك- نزل بها] أي: بديار ثمود [واستقى الناس من بئرها] البئر التي كانت الناقة تشرب ويشرب أهل البلاد منها [فلما راحوا] وابتعدوا [قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تشربوا من مائها شيئاً، ولا تتوضئوا منه للصلاة، وما كان من عجين عجنتموه فاعلفوه الإبل، ولا تأكلوا منه شيئاً، ولا يخرجن أحد منكم الليلة إلا ومعه صاحب له)].

لما نزلوا بالحجر ملئوا منها مياهاً وعجنوا، فتدارك الرسول صلى الله عليه وسلم الموقف، وقال معلناً لهم: (لا تشربوا من مائها شيئاً، ولا تتوضئوا منه للصلاة، وما كان من عجين عجنتموه فاعلفوه الإبل، ولا تأكلوا منه شيئاً، ولا يخرجن أحد منكم الليلة إلا ومعه صاحب له)؛ لأنه قائدهم، فهو مسئول عنهم.

وانظر الآن كيف تتجلى الآيات النبوية.

قال: [ففعل الناس ما أمرهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم] امتثلوا، فأراقوا الماء، وعلفوا العجين للإبل، وما توضئوا من ذلك الماء؛ لأنه بلد أهلك الله فيه ثمود قوم صالح [إلا أن رجلين من بني ساعدة خرج أحدهما لحاجته مخالفاً أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدم الخروج وحده] هذان الرجلان من بني ساعدة من الأنصار، أحدهما خرج لحاجته مخالفاً أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم [فخنق في طريقه] خنقه جني؛ لأنه خالف أمر الرسول صلى الله عليه وسلم -ونحن يا رب! كم خالفنا أمر رسولك؟- فالرسول صلى الله عليه وسلم أعلن: لا يخرجن أحدكم الليلة إلا ومعه صاحبه، فلا يخرج أحد منفرداً للخوف عليه، وهذا خرج راكباً رأسه رضي الله عنه ليقضي حاجته وحده فخنق.

قال: [وخرج الآخر في طلب بعير له] طلب بعيراً له ولم يجده فخرج في الليل يبحث عنه [مخالفاً أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فاحتملته الريح حتى طرحته في جبال طيء] يعني: على مسافات كبيرة عجيبة في البعد [فأُخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم] أي: ذهب فلان وفلان وحصل الذي حصل [فقال: (ألم أنهكم أن يخرج منكم أحد إلا ومعه صاحبه) ثم دعا للذي أصيب بخنق الجن فشفي] شفاه الله، وهذه آية من آيات النبوة.

[وأما الآخر -الذي وقع في جبال طيء- فإن طيئاً أهدته لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد عودته إلى المدينة] عثروا عليه في جبالهم تائهاً، فقالوا: ما لك؟ ما أصابك؟ قال: كذا وكذا .

.

فجاءوا به هدية لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة [فكانت هذه آية من آيات النبوة المحمدية].

إذاً: صلوا عليه وسلموا تسليماً.

يا مستمعي الكرام! يا شبيبة الإسلام! يا أتباع محمد! لا تحلقوا وجوهكم، أبقوا شيئاً من الشعر يدل على رجولتكم وفحولتكم، يا من تدخنون! أطيعوا رسولكم، فإنه يكره الروائح الكريهة، لا تدخنوا! فدوسوا عند باب المسجد على علبة السيجارة، وكلك عزم على ألا تعود إليها حتى الموت، وبهذا ترتقي يا عبد الله! من سماء إلى سماء، أما بدون عزم ما ينفع.

أقام النبي صلى الله عليه وسلم بتبوك بضع عشرة إلى عشرين ليلة، وكان يقصر الصلاة، ويجمع طوال هذه المدة، وقد خطب النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه في تبوك خطبة بليغة وجيزة، وتمت في تلك المدة أعمال جليلة، فوقعت مصالحات ومعاهدات بينه وبين قبائل من تلك النواحي، وأرسل خالداً رضي الله عنه إلى أكيدر بن مالك الكندي، فلقيه يصيد البقر، فأسره ثم جاء به إلى المدينة، فعفا عنه النبي صلى الله عليه وسلم.

إقامة النبي صلى الله عليه وسلم بتبوك

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.
أما بعد: فقد انتهى بنا الدرس إلى [المقام المبارك] وهذا المقام المبارك مقام الحبيب صلى الله عليه وسلم في تبوك، فقد خرجنا معه من المدينة وانتهى بنا المسير إلى تبوك، وقررنا معه ما شاء الله، والآن هو يقيم في مدينة تبوك كذا يوماً، فهيا نقضي هذه الساعة معه صلى الله عليه وسلم كأننا نشاهده بأعيننا، ويا لها من سعادة حرمها أهل الغفلة! قال: [وانتهى مسير الحبيب صلى الله عليه وسلم بنزوله بتبوك، وأقام بها بضع عشرة ليلة إلى عشرين] أي: ما بين السبع عشرة إلى عشرين ليلة قضاها في تبوك.
وتبوك هو اسم ماء، وقد أصبحت الآن مدينة، وهي شمال المدينة وجنوب الشام.

استشارة النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه في أمر بقائه أو انصرافه من تبوك

[وقد استشار أصحابه في المسير إلى الشام والمسير إلى بلاد الروم] يعني: استشار أصحابه طالما لم يكن هناك أمر من الله عز وجل، هل يواصلون السير إلى بلاد الروم لقتالهم، أو يرجعون إلى المدينة، أو يبقون في تبوك مدة معينة [فقال له عمر] رضي الله عنه [إذا كنت أُمرت بالمسير فسر] (أُمرت) بالبناء للمجهول، ومن يأمره؟ إنه الله عز وجل [فقال صلى الله عليه وسلم: (لو أمرت ما استشرتكم!)] أدبهم.
فقال: لو أمرت ما استشرتكم، لكن لم يأتني أمر، فلهذا أخذت برأيكم.
[فقال عمر : يا رسول الله! إن للروم جموعاً كثيرة] أكثر من مائتي ألف [وليس بها أحد من أهل الإسلام] حتى نعول عليه، أو يخدمنا بعض الشيء [وقد دنوت منهم وأفزعهم دنوك، لو رجعت هذه السنة حتى ترى أو يحدث الله لك في ذلك أمراً، فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عائداً إلى المدينة، ولم يلق كيداً] ولا مكراً ولا قتالاً، فقد بلغه أن الروم تجمعوا لغزوه في عقر داره، فقال: إذن نغزوهم بدلاً من أن يغزونا، وأعلن التعبئة العامة -كما علمتم- صراحة، ما وارى ولا أخفى، وخرج معه المؤمنون، فلما نزل بتبوك على مقربة من بلاد الروم انتظر أمر ربه إليه فلم يؤمر بشيء، فأقام بها قرابة عشرين يوماً، ثم استشار رجاله وعزم على المسير إلى المدينة.
قال: [فقد نصره الله بالرعب مسيرة شهر؛ فلم يخرج إليه الروم] قال صلى الله عليه وسلم: (نصرت بالرعب مسيرة شهر)، فأنزل الله الرعب في قلوب الروم وفزعوا، فلم يستطيعوا أن يغزوه أو يخرجوا إليه.
ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: (أحلت لي الغنائم ولم تحل لنبي قبلي، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً) فحيثما أدركتك الصلاة فصلِّ، وإذا لم تجد الماء تيمم بالتراب (وبعثت إلى الناس كافة وكان الرسول يبعث إلى أمته خاصة، وأوتيت الشفاعة) أي: المقام المحمود الشفاعة العظمى.
ونصرت بالرعب أي: يقذف الله الرعب في قلوب أعدائه فينهزموا.
قال: [ولم يقربوا من ساحته خوفاً وفزعاً منه صلى الله عليه وسلم بعد أن عزموا على حربه وغزوه في عقر داره!].

قصر النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة وجمعها في تبوك

[وكان يقصر الصلاة، ويجمع الظهر مع العصر والمغرب مع العشاء] وهنا قال بعض أهل العلم: المسافر يقصر ما دام مسافراً.
ولا عبرة بالزمان الذي أجمعت عليه أمة الإسلام تقريباً، والقول الصحيح: أن هذا ليس فيه دليل على جواز الجمع والقصر، وإن كان فيه دليل على جواز الجمع والقصر فلأنه لم يؤمر بالرحيل ولا بالمقام لأنه ينتظر أمر الله له.
وهكذا المسافر إذا سافر من المدينة إلى تبوك أو إلى جدة، فإذا كان قد حدد مدة إقامته بيومين أو ثلاثة إلى أربعة يجب أن يقصر وله أن يجمع، وإذا كانت المدة أربعة أيام أو خمسة أو أكثر فلا جمع ولا قصر، وإذا كان لا يدري متى يعود غداً أو بعد غد فله أن يقصر حتى يعود ولو أقام ستة أشهر.
فإذا كان الحبيب صلى الله عليه وسلم أقام بتبوك قرابة عشرين يوماً يقصر ويجمع فلأنه كان ينتظر أمر ربه إما بالعودة وإما بمواصلة السير إلى الروم.

والذي عليه أئمة الإسلام وأهل السنة أن المسافر إذا خرج من بلده وترك الديار وراءه وحضرت الصلاة قصرها، فيصلي الرباعية ركعتين، أما الثلاثية كالمغرب والثنائية كالصبح فهي على ما هي عليه، وإذا وصل إلى البلد الذي يريده بعد يومين أو ثلاثة أو أربعة نظر هل هو عازم على الإقامة به يومين أو ثلاثة فقط، أم أنه عازم على إقامة خمسة أيام أو ستة أو سبعة، فإن عزم على أكثر من أربعة أيام وجب عليه أن يتم صلاته، ويكون سفره قد انتهى لأنه استقر، فإذا رحل وعاد إلى بلاده وترك تلك البلاد وراءه قصر الصلاة أثناء الطريق.

أما إذا كان لا يدري متى يخرج من المدينة التى نزل بها هل بعد يوم يومين أو ثلاثة، فهذا لم يستقر رأيه على الإقامة أو السفر فإنه يقصر، والدليل وقوف الرسول صلى الله عليه وسلم بتبوك قرابة عشرين وهو يقصر؛ لأنه لا يدري: أيقيم أم يسافر؟! فقد كان ينتظر أمر ربه الذي يجيبه ويعلمه.

قال: [تخفيفاً على أصحابه] وهم جيش من اثني عشر ألفاً أو قرابة ذلك [وحتى لا يوقعهم في حرج أو مشقة] فقد قال تعالى عنه: بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ [التوبة:128] فهيا نأخذ هذا الخلق لنتخلق به، ونرحم -فقط- أزواجنا وأولادنا! [ولم يتم الصلاة خلال هذه المدة؛ لأنه لم تحدد مدة إقامته، وإنما ينتظر الأمر من ربه تعالى] كان لا يدري أينزل جبريل يقول له: سافر أم تقدم [إذا أمره بالإقامة أقام، وإذا أمره بالمسير سار].

خطبة النبي صلى الله عليه وسلم بتبوك

قال: [خطبة نبوية جامعة] من منكم يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ كلنا نحبه.

إذاً لماذا لا تقيمون الموالد؟! إن الذين يقيمون الموالد -والله- ما أحبوه الحب الحق الذي ينزلهم منازل الأبرار، ولكن أحبوه حب الأكل والشرب والرقص، ولو أحبوه لدرسوا سيرته واستمروا عليها يبكون طيلة العام! والآن رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر يخطب خطبة لا أعظم منها! اشتملت على الهداية بكاملها.

[ولما أصبح الرسول صلى الله عليه وسلم في تبوك خطب خطبة عظيمة جامعة هذا نصها: حمد الله تعالى وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: (أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأوثق العرى كلمة التقوى)] والعرى هي التي تدخل فيها يدك، وأوثقها أمتنها، فإذا أدخلت يدك فيها لا تسقط، يريد بذلك: لا إله إلا الله محمد رسول الله، هذه هي العروة الوثقى: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

إذاً: أوثق العرى كلمة التقوى، وهي: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

نتقي بها عذاب الله والخلود في جهنم، فمن مات وهو يشهد أنه لا إله إلا الله دخل الجنة.

[(وخير الملل ملة إبراهيم)] وملة إبراهيم هي عبادة الله وحده لا شريك له، بما شرع لعباده أن يعبدوه، هذه هي الملة الحنيفية السمحاء.

[(وخير السنن سنة محمد صلى الله عليه وسلم، وأشرف الحديث ذكر الله)] أفضل الحديث ذكر الله: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر.

هذه الكلمات هي أشرف الكلام! [(وأحسن القصص القرآن)] ولعلكم تسمعون القصص عن ملوك الهند واليابان وغيرهما، وهي أقاصيص عجيبة! ولكن أحسن القصص قصص القرآن، فقصة موسى أربعين سنة، وقصة يوسف كذلك، قصص يقصها الله الخالق الرازق المدبر، وهناك من يتركون قصص القرآن ويجتمعون على الأباطيل! قال: [(وخير الأمور عوازمها)] يعني: الفرائض، فهي عزائم الأمور، فأمر عزم أي: مأمور به مفروض، وخير الأمور عوازمها: أي: خير الأمور الفرائض، فما فرض الله فريضة إلا -والله- هي الخير بعينه! ووالله ما فرض الله فريضة على عباده إلا لتزكية نفوسهم وتطهيرها، والحفاظ على كمالهم وسعادتهم، فخير العزائم أوامر الله، وأفضل الأوامر أوامر الله، وهنا يرغب الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه في القيام بالفرائض وعدم الإهمال والتهاون.

[(وشر الأمور محدثاتها)] شر الأمور ما أُحدث بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وزيد في الإسلام، وطلب من الناس العمل به، هذا من شر الأمور، وأصبح من شر الأمور لأن خير الأمور عندنا هي فرائض الله، فلم يُشرع لنا شيء آخر؟! هو شر إذاً؛ لأنه يلهينا عما فرض الله لنا وبينه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

[(وأحسن الهدي هدي الأنبياء)] أحسن الهداية هداية الأنبياء، وأحسن الطرق التي تُسلك طرق الأنبياء؛ فهم معصومون، والله يدلهم على الطريق.

[(وأشرف الموت قتل الشهداء، وأعمى العمى الضلالة بعد الهدى)] من أعمى العمى من كان مهدياً مستقيماً ثم أصيب بانتكاسة، فعاد للحشيش والشهوات والموبقات، فإذا كان امرؤ رجل أو امرأة هداه الله واستقام عامين أو ثلاثة أو أربعة، ثم انتكس وعاد إلى الموبقات وترك الصلوات وما إلى ذلك، فهذا من الضلالة بعد الهدى.

قال: [(وخير الأعمال ما نفع، وخير الهدى ما اتبع)] خير الأعمال ما انتفعت به، وشرها ما ضرك وخسرت به، وخير الهدى ما اتُبع، فالهدى إذا لم يتبع ويسير به الناس لا خير فيه، لكن إذا اقتدى به الناس أصبح هدى وكان خيراً، أما هدى ولم ينتفع به الناس فهذا ليس بهدى ولا خير أبداً.

قال: [(وشر العمى عمى القلب، واليد العليا خير من اليد السفلى)] ومعنى هذا أن الذي يعطي أفضل من الذي يُعطى، أي أن النبي صلى الله عليه وسلم يقول لأصحابه: لا تمدوا أيديكم شاحذين.

هذه تربية ربانية.

[(وما قل وكفى خير مما كثر وألهى)] فما قل من المال وكفاك ولم يحوجك إلى أن تمد يدك خير مما كثر وألهاك، وشغلك عن ذكر الله.

فيا من لديهم وظائف يعيشون عليها لا تفتحوا دكاكين للتجارة فإنها تشغلكم! ومن كان عنده دكان يشتغل فيه يجد منه قوته لا يطلب وظيفة لأنها تشغله، فما قل وكفى خير مما كثر وألهى.
هذه حِكم أستاذ الحكمة ومعلمها صلى الله عليه وسلم! قال: [(وشر المعذرة حين يحضر الموت)] والمعذرة إلى الله التوبة والاستغفار، فاعتذر الآن وأنت قادر على التوبة، وتب إلى ربك واستغفره، واطلب منه العذر لك ليرحمك، أما أن تتوب عندما يحضرك ملك الموت فشر المعذرة حين يحضر الموت، ومعناه: عجلوا بالتوبة قبل الموت.
[(وشر الندامة يوم القيامة)] أما اليوم فالندامة كلها خير، فمن ندم على جريمة فعلها، أو على شيء ارتكبه، أو على ذنب اقترفه فالندامة خير عظيم الآن، وشر الندامة يوم القيامة؛ لأنها لا تنفع، فتلك دار جزاء ليست دار عمل، ولنحفظ هذه الجملة: (وشر الندامة يوم القيامة).
قال: [(ومن الناس من لا يأتي الجمعة إلا دبراً)] أي: آخر الناس، والإمام على المنبر، أو بعد الخطبة، وهذا تحذير منه لأمته صلى الله عليه وسلم أن يبكروا ليوم الجمعة، وقد بين هذا صلى الله عليه وسلم بأوضح طريق، فقال: (الذي يأتي في الساعة الأولى كأنما قرب بدنة، والذي يأتي في الساعة الثانية كأنما قرب كبشاً، ومن أتى في الساعة الثالثة كأنما قرب دجاجة، ومن أتى في الرابعة كأنما قرب بيضة)، ومن أتى بعد أن يصعد الإمام لا يسجل اسمه، وكأنه لم يصلّ ولم يحضر.
وحث على الجمعة لأنه نظام لم تعرفه الدنيا ولا استطاعت أن تصل إليه، فأهل البلاد في العالم الإسلامي كله يتلقون الهداية رسمياً يوم الجمعة، قبل أن توجد إذاعات ويوجد ويوجد .
فتُجمع الأمة بكاملها لتبلّغ أمر الله وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم، ولهذا من ترك الجمعة ثلاث مرات -والعياذ بالله- يخشى أن يموت على النفاق.
قال: [(ومنهم من لا يذكر الله إلا هجراً)] يعني: يهجر الذكر وقتاً ثم يعود إليه [(ومن أعظم الخطايا اللسان الكذوب)] أي: اللسان الذي يكذب، فالكذب من أعظم الخطايا، ولن تصل إلى جريمة لتقارفها إلا بعد الكذب، فالكذب هو الطريق الموصل إلى ذلك، فلهذا كان من أعظم الخطايا اللسان الكذوب.
[(وخير الغنى غنى النفس)] والغنى: هو الاكتفاء والزيادة، لكن غنى النفس أفضل من غنى المال، فصاحب المال يطلبه دائماً فلا يكتفي، لكن إذا اقتنع ورضيت نفسه بما أعطاه الله هدأ وسكن، فيدخل في الصلاة وهو يناجي ربه لا يفكر في بيع ولا شراء ولا عقار ولا غير ذلك .
قال: [(وخير الزاد التقوى)] والله يقول: وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى [البقرة:197] [(ورأس الحكمة مخافة الله، وخير ما وقر في القلب اليقين)] خير ما وقر وسكن في القلب اليقين [(والارتياب من الكفر)] الشك من الكفر، والريب والارتياب هما الشك [(والنياحة من عمل الجاهلية، والغلول من حر جهنم)] والغلول هو السرقة من الغنائم قبل قسمتها.
[(والسكر كي من النار)] السكر بالحشيش أو بغيره كي من النار، فكأنك تُكوى وأنت لا تدري [(والشعر من إبليس)] الشعر الذي يتفرغ له صاحبه يوماً في كل واد من إبليس، فهو الذي يرضى بهذا ويساعد عليه، والله يقول: وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ [الشعراء:224-226] ثم استثنى الجماعة المؤمنة فقال تعالى: إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ [الشعراء:227].
قال: [(والخمر جماع الإثم، وشر المال مال اليتيم)] شر المال مال اليتيم تأكله [(والسعيد من وعظ بغيره)] أي: وعظه غيره فاتعظ، هذا السعيد [(والشقي من شقي في بطن أمه)] يعني: قضى الله شقاه في كتاب المقادير، فسوف يخرج ويفعل أفعال الأشقياء، حتى يموت والعياذ بالله.
[(وإنما يصير أحدكم إلى موضع أربعة أذرع)] وهذا في القبر [(والأمر إلى آخره)] وليس إلى أوله [(وملاك العمل خواتمه، وشر الروايا روايا الكذب)] شر الرواة رواة الكذب [(وكل ما هو آت قريب، وسبابة المسلم فسوق، وقتاله كفر، وأكل لحمه من معصية الله، وحرمة ماله كحرمة دمه، ومن يتألَّ على الله يكذبه)] يعني: يحلف على الله أن يعطيه كذا! [(ومن يغفر يغفر له)] من يغفر للناس يغفر الله له [(ومن يعفُ يعفُ الله عنه، ومن يكظم الغيظ يأجره الله، ومن يصبر على الرزية يعوضه الله، ومن يبتغ السمعة يسمع الله به، ومن يتصبر يغفر الله له، ومن يعص الله يعذب) ثم استغفر ثلاثاً] صلى الله عليه وسلم.
هذه خطبة كلها حكم!

أعمال إيجابية قام بها النبي صلى الله عليه وسلم في تبوك

قال: [إيجابيات نبوية: وأثناء إقامته صلى الله عليه وسلم بتبوك، اتخذ خطوات إيجابية عظيمة وموفقة ولله الحمد] وكيف لا وهو يتلقى الهداية من الله، أليس رسول الله؟!

ثالثاً: بعث رسول الله خالد بن الوليد إلى أكيدر بن عبد الملك الكندي

[ثالثاً: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد في أربعمائة وعشرين رجلاً إلى أكيدر بن عبد الملك الكندي وكان ملكاً في دومة الجندل] شمال تبوك [التي هي حصن وقرى من قريات وادي القرى، وحصنها يقال له: مارد، وهو حصن أكيدر الخاص به، وقال خالد لرسول الله صلى الله عليه وسلم: كيف لي به في وسط بلاد كلب وأنمار وأنا في أناس قليل؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ستلقاه يصيد الوحش -أو البقر-] وهذا من آيات النبوة [فتأخذه.

فخرج خالد ومن معه، فلما بلغوا قريباً من حصنه، وكانت ليلة مقمرة صافية، و أكيدر على سطح له في الحصن، ومعه امرأته، فبات البقر يحك بقرونه باب الحصن] يحاول أن يدخل، وهذا من تدبير الله عز وجل! [وأشرفت امرأته على باب الحصن وقالت: ما رأيت كالليلة! فمن يترك هذه الليلة؟] يعني: الجو لطيف، والقمر مكتمل؛ فلم لا نخرج نتفسح؟! [قال: لا أحد] أي يتركها [فنزل فأمر بفرسه فأسرج له، وركب معه نفر من أهل بيته ومعه أخوه حسان فخرجوا من حصنهم بمطاردهم، فلما خرجوا تلقتهم خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأسر أكيدر ، وامتنع حسان ، فقاتل فقتل، وهرب من كان معه ودخلوا الحصن، وكان على أكيدر قباء مخوص بالذهب، فاستلبه خالد منه، وبعث به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل قدومه به عليه، قال أنس : رأيت قباء أكيدر حين قدم به على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل المسلمون يلمسونه ويعجبون منه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أتعجبون من هذا؟ لمناديل سعد بن معاذ في الجنة خير من هذا).

ثم إن خالداً قدم بأكيدر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فحقن دمه، وصالحه على الجزية، فرجع إلى قريته وبقي بها، وكان نصرانياً فلم يسلم، وقتل كافراً حيث حاصره خالد على عهد أبي بكر الصديق لنقضه العهد، فهلك كافراً مشركاً].

ثانياً: أتاه أهل جرباء وأذرح فأعطوه الجزية وكتب لهم بذلك كتاباً

[ثانياً: أتاه أهل جرباء وأذرح- وهما بلدان بالشام بينهما مسيرة ثلاثة أيام- فأعطوه الجزية وكتب لهم بذلك كتاباً هذا نصه:] انظر ماذا فتح الله على رسول الله، ما سال دم ولا شعروا بآلام.

[بسم الله الرحمن الرحيم.

هذا كتاب من محمد النبي لأهل أذرح وجرباء إنهم آمنون بأمان الله وأمان محمد النبي، وإن عليهم مائة دينار في كل رجب وافية طيبة، والله كفيل بالنصح والإحسان للمسلمين] وهذه كلها خطوات إيجابية.

أولاً: إتيانه بيحنة بن رؤبة ومصالحته على جزية مقدارها ثلاثمائة دينار

قال: [وهي: أولاً: إتيانه بيحنة بن رؤبة صاحب أيلة، ومصالحته على جزية مقدارها ثلاثمائة دينار، وكتب له بذلك كتاباً هذا نصه] وأيلة هي فلسطين (القدس)، تسمى أيلة، وبيحنة هذا سلطانها وحاكمها المسيحي.

وهذه خطوة إيجابية، فقد صالحه على ثلاثمائة دينار كل سنة، يقدمها لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة، يأتي بها رجاله.

[وكتب له بذلك كتاباً هذا نصه] هذه هي الوثيقة [بسم الله الرحمن الرحيم.

هذه أمنة من الله ومحمد النبي رسول الله] هذه أمنة: من الأمن من الله ومحمد النبي رسول الله [ليحنة بن رؤبة وأهل أيلة سفنهم وسياراتهم في البر والبحر لهم ذمة الله وذمة محمد النبي، ومن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن، فمن أحدث منهم حدثاً فإنه لا يحول ماله دون نفسه] أي: لا يشفع فيه المال [وإنه طيب لمن أخذه من الناس، وإنه لا يحل أن يمنعوا ماء يردونه، ولا طريقاً يريدونه من بر أو بحر] هذا صك عجيب عن سفنهم في البحر وسياراتهم في البر، والسيارات المقصود بها الذين يمشون على أرجلهم وعلى البهائم كالإبل، ليست السيارات المعروفة الآن.

الأسئلة

حكم أطفال الأنابيب

السؤال: أحد الإخوان يسأل: هل يجوز للإنسان الذي ابتلي بعدم الإنجاب أن يؤخذ من منيه فيعطيه للمختصين يحللونه ويبذرون فيه بذورات أخرى ويحقنونه في فرج امرأته؟ الجواب: أنا قلت من يوم أن سمعت هذا وبلغني أن بعض العلماء أفتوا به، أن هذا لا يصح، ولا يجوز، بل هو هبوط ومسخ، كيف تعطي منيك لأحد، وكيف تستخرجه؟ إن استخرجته بالإمناء فهي معصية، ثم يأخذون هذا المني ويحللونه ويبذرون معه بذورات أخرى، وهذه البذورات تكون من فحول آخرين، ثم كيف يفرغون ذلك في فرج امرأتك، كيف يحل لهم أن يكشفوا عن سوأتها، ويدخلون هذه الآلة فيها أو الإبرة؟! والله الذي لا إله غيره، إذا لم يكتب الله تعالى لك ولداً فلن ترزق به ولو اجتمعت الإنس والجن كلهم على ذلك، فمن هنا لو كان السبب مشروعاً ألا وهو الجماع جامع امرأتك وهذا سبب، وإن شاء الله أن تنجب أنجبت، وإذا لم يشأ الله فلن تنجب، أما أن تستعمل سبباً محرماً فلا يجوز، وقد بلغنا أنه في الصيدليات الخاصة يبيعون أنواع المني، فيأخذونه ممن ينجبون ويخلطونه، فكيف إذاً تنجب امرأتك ولداً من غير منيك، ومن يرضى بهذا.

المهم وإن أفتى الناس بهذا، فالذي أقوله وأشهد الله عليه أنه لا يحل لمؤمن أن يقدم على هذا أبداً، والله أسأل أن يحفظ الجميع.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه.

لما أنهى النبي صلى الله عليه وسلم مهمته في تبوك ولم يلق حرباً، وقد تم له ما أراد، رجع إلى المدينة سالماً غانماً، وفي طريقه إلى المدينة حدثت حوادث مهمة، فقد حاول بعض المنافقين قتله في الطريق، ولكن الله لم يمكنهم من ذلك، وفضحهم وكشف أمرهم، وقبل أن يدخل المدينة أمر بعض أصحابه أن يذهبوا لهدم مسجد الضرار الذي بناه المنافقون ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله، فهدم وأحرق، ولما وصل إلى المدينة استقبله المؤمنون استقبالاً حافلاً مهيباً، فرحين بمرجعه إليهم سالماً غانماً، وجاء المخلفون يعتذرون، فقبل عذرهم، ولكن الثلاثة الذين ذكرهم الله لم يكن لهم عذر، فأمر بهجرهم، ثم تاب الله تعالى عليهم، إنه هو التواب الرحيم.

محاولة بعض المنافقين قتل رسول الله في رجوعه من غزوة تبوك

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.
أما بعد: هيا بنا نقضي ساعة مع الحبيب صلى الله عليه وسلم في تبوك، وسبحان الله! نستطيع أن ننتقل الآن إلى تبوك حيث الرسول وأصحابه وكأننا معهم نسمع كلامهم.
قال: [حدث هام] من أحداث غزوة تبوك.
قال المؤلف غفر الله لنا وله ورحمنا وإياه: [لا شك أن أحداثاً كثيرة وقعت في ذهاب الحبيب صلى الله عليه وسلم إلى تبوك وفي مجيئه منها، وقد ذكرنا طرفاً منها للعظة والاعتبار]، من أجل أن نتعظ وأن نعتبر، فنجتاز المحن والمشاق وكلنا صبر وذكر لله عز وجل.
[وهذا حدث هام وقع في طريق العودة] من تبوك إلى المدينة [إنها مؤامرة دنية قام بها أدنياء سفلة منافقون] أما المؤمنون فلا يقع منهم هذا ولا يكون [إنهم اثنا عشر منافقاً من شر المنافقين] وأقبحهم وأسوئهم.
وقد كشف القرآن النقاب عن المنافقين وعن خطاياهم ومساويهم، وفضحهم في كثير من السور والآيات.
قال: [تواطئوا على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم] اثنا عشر منافقاً يدعي الإيمان وهو يبطن الكفر تواطئوا وقالوا: الفرصة سانحة! فلننهي هذه المشكلة بقتله ونسترح [وذلك بأن يضايقوه في عقبة في طريق] أي: يحاصروه في عقبة من عقبات الطريق [حتى يسقط عن راحلته فيهلك] لأنهم سيرمونه بسهام أو يطعنونه برماح، ولكن لن يصلوا إلى هذا، والشيطان هو الذي يزين لهم هذا ويحسنه ويدعوهم إليه، فهم أولياؤه.
[وفعلاً لما وصل إلى العقبة وكان حذيفة بن اليمان آخذاً بخطام ناقته صلى الله عليه وسلم] يقودها [و عمار بن ياسر يسوقها] كان من ورائه يسوق الناقة [وإذا باثني عشر راكباً قد اعترضوا ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال حذيفة رضي الله عنه: فأنبهتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم] أي: نبهته [فصرخ فيهم] صلى الله عليه وسلم [فولوا مدبرين] هاربين [وفيهم نزل قول الله تعالى من سورة التوبة: وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا [التوبة:74]] والهم هو القصد.
[ودعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم] ولا ترد دعوته، لاسيما وهو مظلوم، فدعوة المظلوم لا ترد من نبي ولا غيره، لأنه ليس بينها وبين الله حجاب، ولهذا علينا أن نحذر من ظلم مؤمن أو مؤمنة فيدعو علينا [فأصابتهم الدبيلة] أو الدبلة، والدبلة الآن عند إخواننا المصريين خاتم من فضة يجعل في أصبع العروسين، بدعوى أن لا يقع فراق ولا خلاف ولا شقاق أبداً، وهذا ورث عن النصارى، وقد سميناه من سنين الزبلة، وقلنا: لا يحل لك يا ولي الله! أن تلبس هذه الدبلة؛ لأن فيها نوعاً من الشرك وتعلق القلب بغير الرب سبحانه وتعالى، فالله هو الحفيظ العليم، أتترك دعاءه والضراعة له وتعوّل على حديدة في أصبعك؟! قال: [وهي خُرَّاج يخرج في الظهر، فيظهر على القلب فيهلك صاحبه ولا ينجو أبداً] خُرّاج يبدأ من الظهر ويخرج إلى القلب فلا ينجو صاحبه، فأصابتهم تلك الدبيلة فهلكوا عن آخرهم.

أمنية عبد الله بن مسعود أن يكون الميت الذي دفنه النبي صلى الله عليه وسلم

قال: [يا ليتني كنت صاحب الحفرة] من منكم يتمنى أن يكون في حفرة؟ لا أحد، لكن إذا علم أن رسول الله هو الذي يوقعه فيها فوالله لا أسعد منه، وهذه مقالة عبد الله بن مسعود .
[إن صاحب هذه الأمنية الغالية هو عبد الله بن مسعود رضي الله عنه] و عبد الله بن مسعود الهذلي كان قصير الذات، رقيق الساقين، أحد أهل الجنة، ونحفظ له ما قاله الحبيب صلى الله عليه وسلم له: (يا ابن أم عبد -وهذه كنية لطيفة- اقرأ علي شيئاً من القرآن، فتعجب عبد الله وقال: أعليك أقرأ وعليك أنزل يا رسول الله؟! قال: إني أحب أن أسمعه من غيري).
وإلى الآن لم يبلغنا أن أحداً من إخواننا يجلس في ظل شجرة أو تحت جدار أو سارية من سواري المسجد ويقول لمن يمر بين يديه: تعال من فضلك أسمعني شيئاً من القرآن!! ورسول الله صلى الله عليه وسلم الذي نزل عليه القرآن يرغب أن يسمعه من غيره.
إذاً: لم نصل بعد إلى هذا المستوى، فما زلنا هابطين؛ لأن القرآن الكريم منذ قرابة تسعمائة سنة وهو يقرأ على الموتى فقط، فلا يُدرّس ولا يُبين ما فيه ولا يعلم منه هدى الله أبداً إلا في ليالي الموت فقط، فوا أسفاه!! قال: (فقرأ عليه سورة النساء حتى بلغ قول الله تعالى: فَكَيْفَ

إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيدًا * يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الأَرْضُ وَلا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا [النساء:41-42]، وإذا بعيني رسول الله تذرفان الدموع، وهو يقول: حسبك الآن) أي: لا تزد يكفي.
وقد حدث لنا مرة كنا فيها مع الشيخ الطيب العقبي رحمة الله عليه خريج المسجد النبوي الشريف، مؤسس جريدة القبلة، ثم أم القرى؛ الذي نشر كلمة التوحيد في الديار الجزائرية عبر دروسه الأسبوعية، وذكر هذه الحادثة ونحن في الصحراء، فكان أحد الإخوان -وقد توفي رحمة الله عليه الأخ عبد الرحمن الموحد - وهو لا يعرف لا ألف ولا الباء يأتي ثم يجلس ويتربع ويقول: اقرأ علي القرآن، ويطأطئ رأسه وأنا أقرأ عليه، ثم يقول: حسبك.
وكنت أنا يومها طفلاً أحفظ القرآن.
فأخذها من الشيخ كما أخذها الشيخ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم طبقها.
إذاً: إذا جلسنا في مجالس علينا أن نقول: من يسمعنا شيئاً من كلام ربنا؟ وحينئذ من في جيبه سيجارة يرميها بعيداً، ومن أراد أن يلغو ويلهو ويقول الباطل فلن يجد مجالاً، فهذا كلام الله يتلى وأنواره تلوح، وهذه هي مجالس الطيبين الطاهرين الصالحين؛ الذين يتهيئون لأن يخترقوا السبع الطباق وينزلوا منازل الأبرار في الدار السلام.
قال: [وصاحب الحفرة هو عبد الله ذو البجادين] والبجاد ثوب منقط أو ملون مزركش [ذلك المؤمن الذي كان ينازع في إيمانه، ويأبى عليه قومه الإسلام حتى اضطروه إلى أن يهاجر ويترك أهله وقومه في بجاد -وهو ثوب غليظ كالكساء- ولما وصل المدينة وقارب أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم بجاده قسمين فقيل له: ذو البجادين] لما جاء من بلاده مهاجراً هارباً بدينه؛ لأن قومه ما قبلوه وآذوه، وأراد أن يرى الرسول استحى فشق بجاده شقين، فاتزر بنصفه وارتدى بنصفه الآخر، ولهذا سمي بـذي البجادين أي: صاحب البجادين.
[قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: قمت من جوف الليل] في تبوك [وأنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك، فرأيت شعلة من نار ناحية المعسكر] معسكر المجاهدين وقائدهم هو محمد صلى الله عليه وسلم.
[فاتبعتها فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم و أبو بكر و عمر ، وإذا عبد الله ذو البجادين المزني قد مات، وإذا هم قد حفروا له، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في حفرته، و أبو بكر و عمر يدليانه إليه، وهو يقول: (أدنيا إلي أخاكما)] أي: قربا إلي أخاكما؛ ليضعه في قبره، وهذه شهادة لصاحب البجادين، الذي هاجر هارباً بدينه، فأدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم في تبوك، وكتب الله له هذه الوفاة السعيدة في الليل المظلم، وقد علم به رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابيان أبو بكر و عمر ، وتولوا وحدهم دفنه، فشاهد ابن مسعود ناراً تتأجج جهة المعسكر فأتاها فوجد الحادثة.
قال: [فدلياه إليه، فلما هيأه لشقه قال: (اللهم إني أمسيت راضياً عنه فارض عنه)] وهذا هو السبب الذي جعل عبد الله بن مسعود يتمنى أن يكون هو صاحب هذه الحفرة [قال عبد الله بن مسعود فقلت: يا ليتني كنت صاحب الحفرة!!] لأن هذه الدعوة أفضل من قصور الدنيا كلها.

هدم النبي صلى الله عليه وسلم لمسجد الضرار

قال: [مسجد الضرار] والضرار من الضرر والمضارة، فقد تآمر جماعة من مرضى القلوب المنافقين وقالوا: نبني مسجداً نضاد به مسجد قباء، ليكون مركزاً للمنافقين المناوئين لرسول الله، ومن شابههم من مرضى القلوب الذين يأتون من الخارج، حتى يجدوا مركزاً لهم.
إذاً: أذكياء هؤلاء، شياطين ! ما درسوا السياسة ولا عرفوها، لكن إبليس ليس هناك سياسي أكبر منه، مستحيل! فهو الذي يملي ويعلّم ويقرّر.
[مسجد الضرار: عبارة عن وكر مؤامرات] والوكر كوكر الحمامة [أقيم لمناوأة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين بالمدينة، بناه اثنا عشر رجلاً من كبار المنافقين] العدد الأول كان أصحاب الدبلة، وكانوا اثنا عشر رجلاً، وهؤلاء أيضاً اثنا عشر؛ لأن إبليس لا يحب الفرد والتوحيد أبداً.
يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله وتر يحب الوتر) فإذا أكلت التمر كل سبعاً أو تسعاً أو إحدى عشرة، وإذا قمت الليل فاختم صلاتك بوتر، وهكذا ؛ لأن الله وتر يحب الوتر، أما الشيطان فلا يحب الوتر؛ لأنه لا يحب محاب الرحمن أبداً.
[ولما فرغوا منه] أي: من بنائه [أتوا النبي صلى الله عليه وسلم وهو يتجهز لغزوة تبوك] كان يعد العدة وقد أعلن التعبئة العامة في تلك الساعة [وطلبوا منه أن يأتيهم ويصلي لهم فيه] وهذا هو كيد المنافقين، قالوا: بنينا يا رسول الله مسجداً لنصلي فيه، فتعال صلّ لنا فيه، يعني: افتتحه؛ ولأنه لو صلى لهم فيه لاضطر الناس إلى أن يصلوا فيه ويأتونه، ومن ثم يعرفون هم ما يفعلون بالناس، أو على الأقل لا يرحلون من المنطقة فيبقون معهم، مادام عندهم مسجد صلى فيه الرسول صلى الله عليه وسلم.
قال: [ليأخذ الصبغة الشرعية -وإنهم لكاذبون- إلا أن الرسول صلى الله عليه وسلم اعتذر لهم] لما قالوا: تعال صل لنا في مسجدنا، اعتذر لهم [بقوله: (إني على جناح سفر، وحال شغل)] يعني: لا أتمكن من ذلك فاسمحوا لي، وحقاً هو في ساعة إعداده للخروج إلى بلاد الروم لقتالهم [أو كما قال: (ولو قدمنا إن شاء الله لأتيناكم فصلينا لكم فيه)] فوعدهم بأنه إذا قدم من سفره هذا صلى لهم فيه.
قال: [ولما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تبوك وعاد ووصل إلى ذي أوان ونزل بها] وذو أوان مكان قريب من المدينة [وهي على ساعة من المدينة] إذا كنت على الإبل [أتاه خبر المسجد، إذ نزل فيه قرآن عظيم، وهو قوله تعالى: وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ [التوبة:107]]، وتمام الآية: وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * لا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ [التوبة:107-108] خير من هذا المسجد، وهذا اللفظ شاهد لمسجد قباء ومسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكلاهما أسس على التقوى من أول يوم.

والآن ينهى فقهاء الإسلام عن أهل الحي أو القرية أن يعددوا المساجد، فلا حاجة إلى ذلك، فمسجد في القرية يجمع الناس خير من عدة مساجد يتفرقون فيها، وفي الأحياء مسجد في الحي يكفي، فلماذا تتعدد؟ لأن هذا فيه مظهر من مظاهر التفرقة، فإذا كان المسلمون كلهم في جامع واحد ووعظوا يتعظون كلهم، وإذا تعلموا تعلموا كلهم، وإذا طلب منهم خير أو مدد يمدونه مجتمعين غير متفرقين.
ويوجد من قد يبني مسجداً بجوار مسجد وإن لم يكن منافقاً، لمرض أو لوسواس شيطان، فلنحذر هذا.
قال: [فدعا صلى الله عليه وسلم اثنين من أصحابه، هما: مالك بن الدخشم أخو بني سالم بن عوف، و معن بن عدي أخو بني العجلان] دعا رجلين عظيمين [فقال: (انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله، فاهدماه وحرقاه)] هو واعدهم إذا عاد إلى المدينة أن يأتيهم ويصلي لهم في مسجدهم، ولما قارب نزول المدينة وبقي ساعة من الطريق نزل عليه قرآن بخبر هذا المسجد، فأمر اثنين من رجاله أن يأتيا ذلك المسجد فيدمرانه ويهدمانه ويحرقان أخشابه وعيدانه، وبالفعل هدماه وأحرقاه، وهذا تغيير لمنكر.

استقبال أهل المدينة للنبي صلى الله عليه وسلم بعد رجوعه من تبوك

قال: [عود مبارك واستقبال حافل] عود من تبوك بلاد الروم، واستقبال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حافل.
[ولما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة عائداً من تبوك، خرج أهل المدينة لاستقباله، والجواري ينشدن: طلع البدر علينا من ثنيات الوداع وجب الشكر علينا ما دعا لله داع] إلى يوم القيامة، والآن ما بقي من يدعو إلى الله إلا القليل.
كيف تدعو إلى الله؟ هل تقول: تعالوا: إلى الرز واللحم وضعه الله لكم؟ لا، تقول: تعالوا إلى ذكر ربكم لكي تتعرفوا إليه وإلى محابه ومكارهه؛ لتسعدوا وتكملوا بزكاة أنفسكم وطهارة أرواحكم.
والدعوة إلى الله لا تنقطع إلى يوم القيامة، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (لا يزال من أمتي) فريق أو طائفة إلى يوم القيامة، تقوم بها الحجة لله على الخلق وعلى البشرية (منصورة إلى يوم القيامة).
[هنا قال صلى الله عليه وسلم] لما أنشدن الجواري الأناشيد [(إن بالمدينة رجالاً، ما سرتم مسيراً ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم، حبسهم العذر)] أي: المرض، أو الضعف، أو قلة الزاد، فلا طعام ولا بعير ولا فرس، فقد تخلفوا يبكون الليل والنهار.
وقوله صلى الله عليه وسلم: (إن بالمدينة رجالاً ما سرتم مسيراً) أي: ما قطعتم شبراً أو ألف متر (ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم)، أي: شاركوكم في الأجر، فهم معكم بقلوبهم -مثلما نحن الآن معهم بقلوبنا- [(قالوا: يا رسول الله وهم بالمدينة؟ قال: نعم وهم بالمدينة)] ولكن حبسهم العذر.

اعتذار المنافقين لرسول الله عن تخلفهم في تبوك

قال: [الرهط المتخلف] والرهط: عدد من الناس من ثلاثة إلى تسعة، وهو الرهط المتخلف عن الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك لقتال الروم.
[ولما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة -وذلك في رمضان-] من السنة التاسعة [وأعلام النصر عالية خفاقة] فقد كانت لهم أعلام، كل فريق له علم يتبعه ويمشي وراءه [وسُرَّ] أي: فرح [المؤمنون والمؤمنات بعودة الحبيب سالماً منتصراً ظافراً] وهل بينهم من لا يُسر ولا يفرح إلا كافر أو منافق؟! [أتى المسجد فصلى ركعتين] وهذه هي السنة.
يا من سافرت وعدت من سفرك، ابدأ بالمسجد -مسجد حيك أو قريتك أو بلادك- فصلِّ فيه ركعتين، أو مسجد نبيك إذا كنت من أهل المدينة النبوية.
قال: [وجاء المخلفون من المنافقين يحلفون ويعتذرون طالبين الصفح والعفو فعفا عنهم وصفح، لكن الله عز وجل لم يعذرهم] جاء الرهط الذين هم من المنافقين وقد تخلفوا يحلفون ما تخلفنا إلا لكذا ويعتذرون: فهذا زوجته كانت حاملاً وهذا ابنه كان مريضاً.
إلى غير ذلك، طالبين الصفح والعفو فعفا عنهم وصفح، وهو أهل لذلك صلى الله عليه وسلم.
[لكن الله عز وجل لم يعذرهم، وكذا رسوله صلى الله عليه وسلم إذ لا عذر لهم ولم يقعد بهم إلا نفاقهم وسوء ظنهم، وفيهم نزل قول الله تعالى من سورة التوبة: يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ [التوبة:94]] أي: لن نصدقكم [قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ [التوبة:94]، وقوله تعالى: يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ [التوبة:96]] ملأ الله قلوب المؤمنين وقلب نبيه ببغضهم وعداوتهم؛ لأنهم منافقون، أما كونه عفا عنهم وصفح فهذا من كرمه، فلم يؤاخذهم ولم يسجنهم ولم يقتلهم.

تخلف ثلاثة من أصحاب النبي عن تبوك وتوبة الله عليهم

قال: [وهذا، وهناك ثلاثة من صالحي المؤمنين] الصادقين في إيمانهم [تخلفوا عن المسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا شكاً ولا نفاقاً ولكن كسلاً وتسويفاً] يعني قالوا: سوف نمشي، وسوف نعد العدة، وسوف كذا .
وسوف ندرك الرسول في الطريق حتى قعدوا [وهم: كعب بن مالك ، و مرارة بن الربيع و هلال بن أمية ، أعلن الرسول الحبيب صلى الله عليه وسلم مقاطعتهم وهجرانهم] وهذا الذي نبحث عنه من عشرات السنين.
فلو وجد هذا في أهل قرية سمعوا أن فلاناً يدخن مثلاً، فقالوا له: اترك التدخين ولم يتركه، قام الإمام في خطبة الجمعة وقال: من استمر على التدخين لا تكلموه واهجروه يا أهل القرية! فوالله ما هي إلا أيام محدودة حتى يتوب وإلا يرحل.

أو كان في أهل حي شخص يسمع الأغاني ويشاهد العربدة -مثلاً- في بيته، فيقول إمام الجماعة ومربيهم: يا معشر الأبناء! من استمر على هذا الباطل ورفض دعوة الله ورسوله إلى الخير والصلاح فلا تكلموه.
هل يستطيع أن يصبر عن كلام الناس ولا يتوب؟! قال: [حتى ينزل الله حكمه فيهم بتعذيبه أو بالتوبة عليهم، وفيهم نزل قوله تعالى: وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ [التوبة:106]] ودامت مدة الهجران خمسين يوماً، كانت المرأة المؤمنة تقدم صحفة الطعام لزوجها ولا تنظر إليه ولا تكلمه، ويمشي أحدهم في السوق حتى يصل المسجد لا ينظر إليه أحد ولا يكلمه، حتى كادت أرواحهم تفيض، فصدقوا الله وتاب الله عليهم.
وإذا لم يكن عندنا قدرة على فعل ذلك في القرية أو الحي، فلنفعله داخل بيتنا، قل: يا أهل البيت! هذا الابن أصر على هذه المعصية فلا تكلموه، فتهجره أمه وامرأته وأخوه وأخته حتى يتوب إلى الله ويرجع، وهذا الهجران له قيمته، أما أن يهجره خمسة ويكلمه عشرون، فما الفائدة؟ لهذا نقول: الهجران الجزئي لا ينفع، كلمه وادعه إلى الله خير من أن تهجره، فالهجران الذي ينفع الهجران العام، الذي لا يستطيع معه الإنسان أن يعيش أبداً، فإما أن يرحل أو يتوب إلى الله عز وجل.
[ودامت مقاطعتهم وهجر الناس لهم مدة خمسين يوماً، ثم تاب الله عليهم، وأنزل في توبتهم قوله: لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ * وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ [التوبة:117-118]] وهؤلاء الثلاثة هم: كعب بن مالك ، مرارة بن الربيع ، هلال بن أمية رضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين.

نتائج وعبر من غزوة تبوك

قال: [نتائج وعبر] لهذه المقطوعة من الدرس [إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبراً نجملها في الآتي: أولاً: مشروعية إعلان التعبئة العامة والنفير التام، ولا يحل يومئذ لأحد التخلف إلا أن يكون من أهل الأعذار، أو يتخلف بإذن الإمام الخاص] فإذا أعلن إمام المسلمين التعبئة العامة والنفير العام فلا يحل لمؤمن أن يتخلف، إلا أن يكون ذا عذر كمرض ونحوه، أو يستأذن إمام المسلمين فيأذن له، هذا إذا كانت التعبئة عامة.
وإمام المسلمين هو الحاكم العام الذي يحكم المنطقة أو البلاد، الملك أو السلطان، فإذا أراد أن يقاتل الكفار وأعلن التعبئة العامة وجب على كل رجل أن يخرج إلا صاحب عذر، وأخذنا هذا من القرآن الكريم، قال تعالى: مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ [التوبة:38].
[ثانياً: مشروعية افتتاح اكتتابات عامة لجمع المال للجهاد في سبيل الله تعالى] فالرسول فتح المكاتب وأخذ الناس يجمعون الأموال.
[ثالثاً: قد يقصر المجتهد، ويتأخر المتقدم، كما قيل: لكل جواد كبوة، ولكل سيف نبوة] السيف ينبو عن المقتول فلا يصيبه، والجواد كذلك يصاب بكبوة.
فقد يقصر المجتهد، وهؤلاء الثلاثة قصروا وهم من خيرة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.
[رابعاً: بيان رفع الحرج على ذي الأعذار، كالعمى والعرج والمرض والعجز المالي] فلا يكلفون، ولكن يتأخرون يبكون، ويدعون ربهم طوال الليل والنهار، لا فرحين يزغردون ويغنون يقولون: استرحنا من القتال! [خامساً: من آيات الإيمان ومظاهره لدى المؤمنين: البكاء الصادق عند العجز عن السير] فإذا رأيت الرجل يبكي ما استطاع أن يخرج مع المؤمنين للجهاد فاعلم أنه مؤمن صادق الإيمان، فآيات الإيمان ظاهرة في بكائه وحزنه، أما الذي يتخلف يفرفش ويقول: استرحنا! فوالله ما هو بمؤمن.
[سادساً: بيان أن المثبطين عن الجهاد والمرجفين بين صفوف المؤمنين لم يكونوا مؤمنين] وأخشى أن يكون بيننا من ضعاف العقول الذين يقولون: هيا نجاهد الآن!! والله الذي لا إله غيره، لا يحل جهاد إلا بإمامة وقائد هادٍ في الأمة، فهو الذي يعلن الجهاد ويخرج معه الناس، أما أن يركب كل إنسان رأسه ويقول: أنا مجاهد! ثم يُكوّن له مجموعة من اللصوص والجهال ويقولون: نجاهد! فهذا -والله- لا وجود له في دين الله، ولا يحل في الإسلام أبداً، ومن أراد أن يعرف الحقيقة يأتينا ويسأل، فلا جهاد إلا إذا رفعت راية لا إله إلا الله وكان إمام المسلمين يقودهم.
وأعطيكم آية أوضح من الشمس: لما جاهدنا مع الأفغان وأخرجنا الروس وحطمناهم وأذللناهم، هل انتصرنا وأقمنا دولة يعبد الله وحده فيها؟ لا، ما السبب؟ هل هو سحر اليهود؟ إن السحر -فقط- الذي أحبط هذا: هو أنهم لم يبايعوا إماماً يتنازلون له ويمشون وراءه، بل قاتلوا جماعات وطوائف.
فلا يحل جهاد في سبيل الله إلا بقيادة إمام للمسلمين لأمرين: الأول: أن يغزو دار الكفر ليدخلهم في رحمة الله والإسلام، فعندما ترسوا سفننا أو تنزل خيولنا على شواطئهم، تجري سفارة رسمية لا يحل قتال بدونها، هذه السفارة تقول لأهل تلك البلاد: هل تدخلون في الإسلام لتنقذوا أنفسكم من الخبث والشر والفساد والظلم والقبح، وتستريحوا من أتعاب الدنيا وتسعدوا في الآخرة؟ فإن قالوا: لا، ديننا قبل كل شيء، نقول: إذاً ندخل لنعلم العوام والنساء والأطفال والرجال وننقذهم من النار والعذاب، فإن قالوا: لا نقبل دخولكم عندها تكون الحرب، فنقاتلهم ويقول القائد: بسم الله، لا تقتلوا طفلاً ولا امرأة ولا شيخاً كبيراً، ولا من انقطع إلى عبادة في صومعة أو في كذا.
هذا هو الجهاد.
أما أن تُنسف عمارة بكاملها بالنساء والأطفال والرجال ونقول: جاهدنا! فوالله إن هذا لإجرام من أعظم أنواع الإجرام، وقد قلت لكم: لا يحل -أحلف بالله على علم- أن تفجر في موسكو في عمارة فيها نساء وأطفال ورجال، فتتحطم تلك العمارة بمن فيها، والله ما يجوز في

موسكو ولا في تل أبيب ولا في لندن ولا في باريس، فكيف يجوز إذاً في بلاد المسلمين؟! هذه محن الجهل والغفلة والعمى والضلال، وهذا شأننا فنحن مبعدون عن نور الله وهدايته.

[سابعاً: بيان فضيلة أبي خيثمة ، و أبي ذر ، و ذي البجادين ، و عبد الله بن مسعود رضي الله عنهم أجمعين.

ثامناً: بيان خمس آيات للنبوة المحمدية وأعلام لها.

تاسعاً: حرمة الضحك وعدم البكاء -أو التباكي- عند المرور بديار المعذبين] كمدائن صالح.

[عاشراً: مشروعية قصر الصلاة في السفر، وجواز الجمع فيه] بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء.

[الحادي عشر: مشروعية عقد الإمام الصلح مع المشركين إذا دعت الضرورة إلى ذلك] كما صالح الرسول صلى الله عليه وسلم ثلاث طوائف أو دول.

[الثاني عشر: بيان بطولة خالد بن الوليد وشدة بأسه في الحرب] فقد جاء بأكيدر السلطان أسيراً إلى المدينة.

[الثالث عشر: بيان فضيلة كعب بن مالك و مرارة بن الربيع و هلال بن أمية].

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

بعد غزوة تبوك في السنة التاسعة من الهجرة النبوية بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب إلى ديار طيء في خمسين رجلاً من أصحابه، فهدموا الصنم الذي كان هناك، وغنموا نعماً وشاءً وسبياً، ورجعوا إلى المدينة، وكان من بين السبي فاطمة بنت حاتم الطائي أخت عدي بن حاتم الذي فر إلى الشام، فمن عليها النبي صلى الله عليه وسلم وأعطاها راحلة وكساءً، فذهبت حتى أتت عدياً أخاها، فقالت له أن يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأتاه فأسلم وحسن إسلامه رضي الله عنه.

حكم الاحتفال بالمولد النبوي

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.
أما بعد: فقد انتهى بنا الدرس إلى ثالث أحداث السنة التاسعة، ولكن أعتذر إذ أقدم بين يدي الدرس كلمة تتعلق بالمولد النبوي الشريف، تعليماً لغير العالمين، وتذكيراً للناسين.
بسم الله تعالى أقول، وأقسم بالله أني لا أقول إلا على علم، ولا يخطر ببال أحد السامعين أو السامعات أني أقول شيئاً خائفاً أو طامعاً، فوالله لا وجود لهذا عندي قط.
اعلموا أن الموالد التي تعارف عليها المسلمون في قرون الجهل وظلمته لا وجود لها في دين الإسلام، فالموالد وذكرياتها موروثة منقولة إلينا من طريق اليهود والنصارى والمجوس، ولنفرض جدلاً أن غداً الميلاد، فماذا نصنع؟ وماذا نفعل؟ كم ركعة نصلي؟ ما مقدار الصدقة التي نتصدق بها؟ ما هو الذكر الذي سنكرره؟ ومن هنا يتبين يقيناً أن لا مولد في الإسلام، هذا أولاً.
ثانياً: لقد عاشت أمة الإسلام قرونها الذهبية الثلاثة ولم تعرف كلمة مولد لا لرسول الله، ولا لـفاطمة ، ولا للحسين ولا للبدوي ولا للعيدروس ولا لـإدريس . أبداً.
فهل بعد مضي ثلاثة قرون يشرع لنا عبادة نعبد الله بها؟ أليس معنى هذا أننا ارتددنا، كيف يعقل أن نخترع عبادة نعبد الله بها لم يشرعها الله تعالى، ولا بينها رسوله صلى الله عليه وسلم، ولا فعلها سلف الأمة الصالح، وعلى رأسهم أصحاب رسول الله وأحفادهم وأئمة الإسلام الأربعة، كيف يصح هذا؟! وكأننا نتهم الله عز وجل بأنه قصّر، فلم يشرع لنا هذه العبادة، أو كأننا نتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه خان أمانته، فأبى أن يبين لأمته مثل هذه البدعة.
أما بطلانها فحسبنا أن نسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) أي: مردود على صاحبه، ولا يستطيع أبو بكر ولا عمر ولا عثمان ولا علي ولا من بعدهم أن يشرع كلمة تقال يعبد الله بها؛ إذ الدين تولى الله شرعه، فقال: شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ [الشورى:13].
الله شرع لنا إذا ولد لأحدنا مولوداً أن يختار له اسماً طيباً يتفق معه في اليوم السابع، ويعق عنه بشاة أو شاتين إن كان ذكراً؛ شكراً لله على هذه النعمة، ثم يحلق شعر رأسه، ويتصدق بوزنه ذهباً أو فضة، وقد يكون ذلك الشعر جراماً أو أكثر أو أقل.
والذي شرع لنا إذا تزوج أحدنا أن يولم وليمة أقل ما يكون فيها ذبح شاة.
والذي شرع لنا عيدي الأضحى والفطر، وقد بين لنا النبي صلى الله عليه وسلم في عيد الفطر ماذا نصنع؛ فنغتسل ونتطيب ونتطهر، ونلبس أحسن ثيابنا، ونأتي إلى ساحة عظمى نجتمع فيها مع كل أهل القرية أو البلد، ونقول ونحن ذاهبين: الله أكبر.
الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر الله أكبر ولله الحمد، حتى نصل إلى المصلى، ونجلس ونحن نهلل ونكبر، ثم يأتي إمامنا فيصلي بنا ركعتين على هيئة خاصة حددها رسول الله وبينها، ثم يقوم خطيباً، فيخطب فينا.
وشُرع لنا زكاة الفطر قبل الخروج إلى المصلى؛ صاعاً من تمر أو شعير أو بر أو ما يطعمه الناس.
أما عيد الأضحى فهو عيد عظيم، وفي هذا العيد نخرج إلى المصلى كما خرجنا في عيد الفطر، ثم بعد ذلك نأتي فننحر ونذبح، ونقسم اللحم ثلاثة أقسام: قسم لأهل البيت، وقسم صدقة على الفقراء، والقسم الثالث: للأصدقاء والأقارب.
الذي شرع لنا هذا كله هل ينسى الموالد؟! أعوذ بالله أعوذ بالله! أنتهم رسول الله ولا نشعر؟! وأيضاً: هل عرفتم يا معاشر المؤمنين والمؤمنات! أن العبادة تزكي النفس وتطهرها لتؤهلها لرضوان الله ومحبته وجواره؛ ولذلك لابد أن تكون العبادة قد شرعها الله وبينها رسوله صلى الله عليه وسلم، فنفعلها كما هي بلا زيادة ولا نقصان، فلا نقدمها عن وقتها ولا نؤخرها، ولا نوقعها في غير مكانها، وإلا فهي باطلة باطلة! لا توجب الزكاة للنفس ولا الطهر ولا الصفاء.
بالله الذي لا إله غيره -ومن باب تقريب المعاني- لو أن أحدنا قام وصلى الصبح بعد العشاء وقال: أخاف أن أموت فلا أستيقظ، هل يجد تحت أديم السماء فقيهاً يقول له: لا بأس بصلاتك وهي صحيحة؟ لا، لماذا؟ رغم أنه صلاها على طهر، رغبة فيما عند الله ليزكي نفسه؛ لأن الصلاة حُدد لها الله وقت معين، فإيقاعها في غيره لا ينتج ولا يولد المادة التي نعبد الله من أجلها؛ لتزكو نفوسنا، وتطهر قلوبنا وتطيب.
ولو أن امرأ جاهلاً أتى البقيع وقام يصلي المغرب أو العشاء في المقبرة، وسأل فقيهاً أصلاتي صحيحة؟ يقول له: لا. باطلة.
لم صلاتي باطلة يا فقيه؟ لأنك صليت في مكان نهى الشارع عن الصلاة فيه، فصلاتك باطلة.

هذا رغم أدائها في الزمان الصحيح على الصفة والهيئة المطلوبة.
ولو أن امرأً صلى العشاء فجهر بالركعتين الأخيرتين تحدياً لرسول الله صلى الله عليه وسلم لكانت صلاته باطلة! وهكذا .
ولا نلوم المسلمين على ما يفعلون؛ لأنهم أُبعدوا عن الصراط المستقيم، صرفوهم -والله- عن الإسلام، ولا عجب فهذه المسيحية دين عيسى -روح الله وكلمته- ما عبد أصحابه الله بها أكثر من سبعين سنة، وإذا بهم يتحولون إلى الشرك والوثنيات والأباطيل، ونحن الحمد لله مكثنا ثلاثمائة سنة بلا باطل ولا بدع، وبعد الثلاثمائة، وقع ما وقع .
إذاً: لنعلم معاشر المستمعين والمستمعات! أن المولد سواء كان للنبي صلى الله عليه وسلم أو لولي أو لشخص من الأشخاص أنه ليس من دين الله، ولا في شريعة الله، فهو بدعة محضة، يجب أن تعرف هذا عبد الله، وإن قلت: أنا أعرف أنه بدعة ولكن أعملها، فهنا نقول: أما تستحي من الله عز وجل؟ أما تخجل أن رسوله لم يبين لك هذا وأنت تعبده به وتريد أن تتقرب به إليه؟ كيف يصح هذا؟! ثم إذا كان النصارى لهم ذكريات في العام مرة، فنحن ذكرى رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تفارقنا، فالرسول صلى الله عليه وسلم لا نصلي صلاة إلا ونسلم عليه مواجهة، نقول: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، وهذا في كل ركعتين وطول العام، وكذلك ذكراه على المنارات والمآذن نكررها خمس مرات كل يوم: أشهد أن محمداً رسول الله، فهل هذا يحتاج إلى ذكرى سنوية لو كان هناك عقول واعية فاهمة!! إن سبب هذه الفتنة -أولاً- الطمع والمادة -وأقسم بالله-.
ثانياً: الجهل.
ثالثاً: أصابع الثالوث الأسود: المجوس واليهود والنصارى، فهم الذين ما إن رأوا أنوار الإسلام تلوح في الآفاق والبشرية تدخل في رحمة الله، حتى اغتاظوا وأصابهم الكرب العظيم، واتفقوا على إطفاء هذا النور، وكادوا ما شاء الله أن يكيدوا، ونجحوا.
وخلاصة القول: اعلموا أن العيد المعروف بعيد الميلاد بدعة منكرة محرمة، وقد يقع بين القائمين بتلك البدعة أشياء تتنافى مع لا إله إلا الله، أي: مع التوحيد، ومن مظاهر ذلك أن يدعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وينادوه ويستغيثوا به، ومن أدلة ذلك أنهم إذا قرءوا سيرة الميلاد ووصلوا إلى (ثم وضعته آمنة) يقومون قيام إكبار وإجلال لروح الرسول صلى الله عليه وسلم، فهم يعتقدون أن روح الرسول معهم، فأي كذب أفظع من هذا الكذب؟! وكيف يكذبون على رسول الله؟! وما علينا إلا أن نبين لمن أراد أن يتعلم، وأن ننصح من استنصحنا وطلب الهداية منا، وأن نقول كلمة الحق: إن هذه المواليد كلها بدع وضلالات! ونكتفي بهذا، ونعود إلى درسنا، لنقضي هذه الساعة مع الحبيب صلى الله عليه وسلم.

حكم الجهاد جماعات متفرقة تحت رايات مختلفة

قال: [وثالث أحداثها: غزوة طيء وإسلام عدي] وطيء قبيلة حاتم الطائي ، مضرب المثل في الكرم، حتى قيل إن رجلاً استضافه ولم يجد شيئاً، ففصد الدم من جسمه وطبخ له كمية! هكذا تقول الروايات، و عدي هذا ولده.
[وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً] هذا ابن أبي طالب صهر الحبيب وابن عمه صلى الله عليه وسلم ورضي الله عن أصحابه أجمعين [في مائة وخمسين رجلاً] بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ إذ ليس هناك جماعة من المجاهدين المتعنترين، الذين لا يبالون بإمام المسلمين يبعث أو لا يبعث، فهم يبعثون أنفسهم.
إن كل العصابات التي تتواجد هنا وهناك تكفر الناس، تريد أن تُقيم بذلك دولة الإسلام، وتغتال وتقتل وتثير الفتن والمحن، كل هؤلاء هالكون إلا من شاء الله أن يتوب عليه، وكلمة الجهاد عندهم باطلة باطلة باطلة! ولعل هناك من يقول: يا شيخ! تتبجح بهذا الكلام، ما أدلتك من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم؟ فأقول: إليك الجواب يا طالبه: الجهاد هو قتال الكافرين ليدخلوا في رحمة الله والإسلام، فيطهروا ويكملوا في الدنيا ويسعدوا بالجنة يوم القيامة، الجهاد هو قتال المشركين والكافرين من أجل أن يعبدوا الله عز وجل؛ إذ خلقهم لعبادته وربط سعادتهم بها في الدنيا والأخرى، ونحن هدانا الله وأعطانا هذا النور لكي ننشره، فكيف ننشره؟ هل تخرج جماعة من القرية الفلانية لتقاتل بدون إذن إمام المسلمين؟! والله ما جاز هذا ولا صح، فلابد من إمام يُبايع على إقامة دين الله، ثم بعد ذلك ينظر ذلك الإمام إذا كانت له قدرة وهو ينظر إلى رجاله وأسلحتهم وعتادهم، وينظر إلى الدولة التي يريد أن يغزوها إذا كانت أقل منه عدداً وأقل عتاداً وعرف أنه سينتصر، حينئذ يعين قائداً وتمشي أمته وراءه، فترسو سفنهم على سواحل البحر إن كانت سفناً، أو خيلاً على حدود البلاد، ويراسلون أهل تلك البلاد -أي: حاكمهم ملكاً أو سلطاناً- وهذه سفارة تتم قبل إعلان الحرب.
فيقولون لهم أولاً: هل تقبلون دين الله، جئنا به إليكم لتسعدوا وتكملوا في الدنيا والآخرة، فإن قالوا: لا نرضى استبدال ديننا بدين آخر وحسبنا دين آبائنا وأجدادنا ما نريد غير ديننا يقولون لهم: إذاً: هل تسمحون لنا أن ندخل البلاد فنعلم الناس ليهتدوا وينجوا ويسعدوا، ونتولى حمايتكم وتصبحون في ذمتنا، لا يغزوكم غازٍ إلا ونحن نرده عنكم؟ فإن قالوا: تفضلوا، دخلت خيل الله، وعندها يشاهدون طهرنا وصفاءنا وصدقنا وكمالنا، فينجذبون إلى الإسلام لمجرد المرائي والمناظر.
وإن رفضوا فلم يبق إلا القتال، يقول القائد: اسمعوا يا خيل الله! لا تقتلوا امرأة، ولا طفلاً، ولا شيخاً كبّاراً، ولا من اعتصم بمعبد أو صومعة وغيرهما .
وإنما القتال للذين يقاتلونكم ألا وهم الرجال الحاملون للسلاح.
والذين يقاتلون الآن في بلادنا؛ يقتلون النساء والأطفال والعميان والعجزة ومن هب ودب، آلله أذن بهذا؟ هذا لا يصح ولو غزونا روسيا، والله ما صح ولو غزونا تل أبيب، لا يصح هذا التفجير ليأتي على الكبير والصغير، والمقاتل وعدم المقاتل.
إن قتالاً بدون إمام عاقبته السوأى، وأليكم البرهنة العقلية التي لا يردها إلا أعمى لا بصيرة له.

بسم الله، قاتلنا هولندا في إندونيسيا وانهزمت وتحررنا، لِم لَم تقم دولة الإسلام يوم الاستقلال؟ فأقيمت الصلاة إجبارياً، وجبيت الزكاة، وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر، وطبقت شرائع الله؛ لأنهم ما قاتلوا وراء إمام بايعوه فلما انتصر أقام دين الله بينهم، وكذلك ممالك الهند التي كانت تحت بريطانيا لما استقلت لِم لَم تقم دولة إسلامية؟ لأنهم لم يبايعوا إماماً ولا قاتلوا وراءه، فكيف تقام الدولة بين الأحزاب وأصحاب الأطماع والشهوات.
دعنا من بلاد العجم .
بلاد العرب ألم تكن مستعمرات كلها؟ لما استقلت المغرب، لِم لَم تقم دولة الإسلام؛ لأنهم لم يبايعوا إماماً بيعة حقيقية على أن يعبد الله وحده ويقام شرعه ودينه، ولكن قاوموا للاستقلال، ومن المغرب إلى الجزائر وإلى تونس وليبيا وسوريا والعراق وغيرهم .
لِم لَم تقم دولة إسلامية؟! وها هي أفغانستان، كم سنة ونحن نبكي هنا ونجمع المال من أجلها؟ عشر سنين.
لِم لَم تقم دولة الإسلام؟ لأنهم رفضوا أن يبايعوا إماماً ربانياً يقاتلون وراءه، من أجل أن يعبد الله ويقام دينه، والآن تتعنتر جماعة كالمتلصصة هنا وهناك ويطالبون بإقامة الدولة الإسلامية! أهذا فهم؟! أهذا ذوق؟ أهذا علم؟ أهذه بصيرة؟ لم لا نسأل أهل العلم؟ وقد قلت لإخواننا في الجزائر بعدما راسلتهم عدة مرات -ورسائل مطبوعة- قلت لهم: إن أمركم بين ثلاثة أمور: إما أن تتفقوا مع الحكومة وتتصالحوا، ويبقى لكم وجودكم ودعوتكم الإسلامية؛ إذ بلادكم ما مُنع فيها أحد أن يعبد الله قط، فإن رفضتم فلا يخلو أمركم من أمرين: إما أن تنتصر الحكومة وتفقدون هذه الدعوة نهائياً؛ لأن الشعب المهزوم يتملق للحاكمين بالفسق والفجور، وقد عرفنا هذا في الدنيا، وتنتهي هذه الدعوة الربانية التي أردتم إطفاءها باسم الإسلام والجهاد.
أو تنتصرون أنتم وتنكسر الحكومة، وهذا أبعد البعيد، ثم يأكل بعضكم بعضاً إلى ما لا نهاية، ولا تقوم دولة إسلامية، ومن يعش سوف يرى، فمن أراد أن يقيم دولة إسلامية فليجتمع على بيعة مؤمن رباني شريف عال، يبايعه على إقامة دولة الإسلام ليعبد الله وحده، ثم الجهاد، ولن يرمي به أيضاً في مقاتل، فلابد وأن يعرف كيف يتصرف بحكمة الله وعونه.
والآن نواصل حديثنا مع حبيبنا صلى الله عليه وسلم.

غزوة طيء وإسلام عدي بن حاتم

قال: [وبعث صلى الله عليه وسلم علياً في مائة وخمسين رجلاً من بينهم خمسون فارساً على الخيول] بعث بهم إلى ديار طيء في الشمال [حيث يوجد بها صنم يقال له: (الفلس)، وكان معهم راية سوداء ولواء أبيض] أي: مع علي ورجاله [ولما انتهوا إلى طيء شنوا الغارة على محلة آل حاتم الطائي، فتمكنوا من هدم الصنم، ومن أخذ سبي وشاء ونَعم، وكان من بين السبي فاطمة أخت عدي بن حاتم الطائي .
أما عدي أخوها، فقد فر إلى الشام بمجرد أن سمع بعث السرية إلى دياره، وكان على الصنم سيفان يقال لأحدهما: مخذم، وللآخر: رسوب، فأخذهما علي رضي الله عنه كما وجد في خزانة عدي ثلاثة أسياف] جمع سيف [وثلاثة أدراع] جمع درع وهو ما يلبسه المحارب [واستعمل على السبي أبا قتادة ، وعلى الأموال عبد الله بن عتيك ، وقسم الغنائم في الطريق، وعزل الصفي] والصفي ما يؤخذ من الغنيمة [لرسول الله صلى الله عليه وسلم] الله اصطفاه له، قال تعالى: وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ [الأنفال:41].
قال: [ووصل ببنت حاتم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة النبوية] فاطمة جاءت إلى المدينة [وكان من أمرها ما حدَّث به أخوها عدي فلنستمع إليه] نترك أخاها يكلمنا ويحدثنا.
[قال عدي -وهو يقص قصة إسلامه-: (جاء خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم -يعني سرية علي- فأخذوا أختي وناساً، فأتوا بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت أختي: يا رسول الله)] وهذه لطيفة، فلم تقل: يا محمد ولكن قالت: يا رسول الله! [(هلك الوالد، وغاب الوافد)] هلك الوالد: أي حاتم، وغاب الوافد: تعني أخوها [(فامنن علي منَّ الله عليك!!)] وهذا في وقت الشرك، بينما الجماعة الذين يعبدون القبور الآن لا يعرفون هذا ولا ينطقون به، يقولون: ببركة سيدي عبد القادر فقط!! قالت هذه المرأة قبل إسلامها: (يا رسول الله هلك الوالد) أي: مات والدي، (وغاب الوافد) أي: أخي، (فامنن علي من الله عليك)، أي: أعطني يعطك الله.
[(فقال: ومن وافدك؟)] ومن وافدك الذي غاب؟ [(قالت: عدي بن حاتم ، قال: الذي فر من الله ورسوله؟)] وهو كذلك، لم هرب؟ [(فمنَّ عليها، وإلى جانبه رجل قائم -وهو علي بن أبي طالب - قال: سليه حملاناً، فسألته ما تركب عليه، فأمر لها به وكساها وأعطاها نفقة)] ومن يفعل مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟! لأنها بنت رجل كريم في الجاهلية، وهو حاتم الطائي .
قال: [(قال عدي : وكنت ملك طيء آخذ منهم المرباع)] كان ملكاً في بلاده، يأخذ الربع من كل ما عندهم [(وأنا نصراني)] كان نصراني العقيدة [(فلما قدمت خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم هربت إلى الشام من الإسلام)] كما أخبر أبو القاسم صلى الله عليه وسلم [(وقلت: أكون عند أهل ديني)] أي: أبقى عند النصارى [(فبينما أنا بالشام إذ جاءت أختي وأخذت تلومني على تركها وهربي بأهلي دونها، ثم قالت لي: أرى أن نلتحق بمحمد سريعاً، فإن كان نبياً كان للسابق فضله، وإن كان ملكاً كنت في عز وأنت أنت)].
عجيبة هذه فاطمة ! هل تخرجت من أي جامعة؟ هل تحمل شهادة جامعية؟ والله لو تجمع الجامعيات كلهن ما استطعن أن يفقهن هذا ويقلنه، ومعنى هذا: يا نساء المؤمنين! يكفيكن أن تعلمن بناتكن الابتدائي فقط، فلا متوسط ولا ثانوي ولا جامعي ولا كليات، فإنها طريق إلى الهاوية والدمار، وأتكلم والله على علم، ولن تكون العواقب إلا الخزي والعار والذل والهون والدون.
[(قال: فقدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه وعرفته نفسي، فانطلق بي إلى بيته، فلقيته امرأة ضعيفة في الطريق فاستوقفته، فوقف لها طويلاً، فكلمته في حاجتها)] وهذا مظهر عجيب، فالملك أو السلطان -الحاكم العام- يمشي في الطريق فتستوقفه عجوز، وتبدأ تنثر عليه كلامها وهو واقف يستمع لها! هذا هو رسول الله، وأتباعه ويجب أن يكونوا مثله.

قال: [(فقلت: ما هذا بملك، فقال لي: يا عدي ، إنك تأخذ المرباع، وهو لا يحل في دينك)] يعني: الربع الذي تأخذه من الناس ليس في النصرانية [(ولعلك إنما يمنعك من الإسلام ما ترى من حاجتنا وكثرة عدونا)] أي: لعل الذي منعك من الإسلام أنك ترانا فقراء وعجزة، والعدو في الشرق والغرب ضدنا [(والله! ليفيضن المال فيهم حتى لا يوجد من يأخذه)] وتم كما أخبر صلى الله عليه وسلم [(ووالله لتسمعن بالمرأة تسير من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت لا تخاف إلا الله! ووالله لتسمعن بالقصور البيض من بابل وقد فتحت. قال: فأسلمت.
فقد رأيت القصور البيض وقد فتحت ورأيت المرأة تخرج إلى البيت لا تخاف إلا الله.
والله لتكونن الثالثة، أي: ليفيض المال حتى لا يقبله أحد)] وقد ذكرنا أن الوالي العام في تونس أيام الخلافة لم يجد من يأخذ الزكاة أبداً، فكتب إلى إمام المسلمين فقال له: اشتر بها العبيد وأعتقهم.
[قال عدي بن حاتم : (ودخلت عليه صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ هذه الآية من سورة التوبة: اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ [التوبة:31] فقلت: إنهم لم يعبدوهم يا رسول الله! قال: بلى.
إنهم حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم في ذلك، فتلك عبادتهم إياهم)] فإذا أحلت الحكومة حراماً فحللته أنت تكون بذلك اتخذتها إلهاً، وإذا حرمت حلالاً فحرمته أنت تكون بذلك اتخذتها إلهاً، فهل عرف هذا المسلمون؟!

نتائج وعبر من غزوة طيء وإسلام عدي بن حاتم

قال: [نتائج وعبر: إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبراً تذكر إزاء الأرقام الآتية: أولاً: مشروعية هدم الأصنام وغزو أهلها ليدخلوا في الإسلام ليكملوا ويسعدوا] ولكن كيف نغزوهم ونهدم أصنامهم؟ هل نغزوهم بالجماعات والتلصص؟! لا، لا يجوز، فالجهاد لا يكون إلا تحت راية لا إله إلا الله، يقودك بها إمام المسلمين، فعلي رضي الله عنه كسر الأصنام بإذن الرسول، هو الذي بعثه.
[ثانياً: بيان جهل المشركين وضلالهم في تعليقهم السلاح على أصنامهم لتدفع به عن نفسها] ووالله فعلوا هذا بأولياء الله في بلاد العرب، فوضعوا تمثالاً على قبر سيدي فلان وعلقوا به ما علقوا؛ لظلمة الجهل، فقد أبعدوهم عن القرآن وأهله.
[ثالثاً: بيان الكرم المحمدي، وتقرير مبدأ: (أكرموا عزيز قوم ذل)] أي: إذا جاءكم عزيز في بلاده وذل فأكرموه، وأخذنا هذا من إكرام النبي صلى الله عليه وسلم عدي وأخته فاطمة ؟ [رابعاً: آية النبوة المحمدية المتجلية الظاهرة في تحقيق ما أخبر به من الغيب.
خامساً: بيان أن طاعة العلماء والحكام في تحريم ما أحل الله وتحليل ما حرم هي عبادة لهم، إن كان ذلك بغير إكراه] أما إذا كان بالعصا فلا إكراه في الدين، أما باختيارك وتطيع الحاكم ويُحل لك الحرام فلا يحل؛ لأنك تعبده بذلك.
وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

في السنة التاسعة للهجرة قدم عروة بن مسعود الثقفي على رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلماً، فأسلم ورجع إلى قومه يدعوهم إلى الله تعالى، فقتلوه رضي الله عنه وأرضاه، فكان كصاحب يس كما أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم بعد ذلك جاء وفد ثقيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فأسلموا بعد مفاوضات، ورجعوا إلى قومهم ومعهم المغيرة بن شعبة وأبو سفيان بن حرب، فهدموا طاغيتهم اللات، وأخذوا ما كان عنده من حلي ونحوها وقدموا بها إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

قدوم عروة بن مسعود الثقفي على رسول الله صلى الله عليه وسلم

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.
أما بعد: فها نحن مع أحداث السنة التاسعة من هجرة الحبيب صلى الله عليه وسلم.
قال المؤلف غفر الله له ولكم ورحمه وإياكم: [ورابع أحداثها] أحداث السنة التاسعة من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم [قدوم عروة بن مسعود الثقفي على رسول الله صلى الله عليه وسلم] قدم عروة بن مسعود من الطائف إلى المدينة للنبي صلى الله عليه وسلم.
[عروة بن مسعود من عظماء رجالات ثقيف] هل يوجد اليوم عظيم مثل عروة بن مسعود؟ والله لا يوجد [وهو الذي عناه وقصده المشركون في مكة بقولهم: لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ [الزخرف:31]] يعنون عروة بن مسعود في الطائف و أبا جهل في مكة، أي: لِم ينزل على يتيم أبي طالب ؟ وهذه نظرية هابطة [الذي حكاه القرآن عنهم في سورة الزخرف.
والرجل الثاني هلك ببدر، وهو أبو جهل الذي يكنونه بـأبي الحكم ويسمونه عمرو بن هشام] ولعنة الله عليه وهو في جهنم.
والشاهد من هذا أن عروة بن مسعود رجل من رجالات ثقيف العظماء.
قال: [وَفد عروة بن مسعود على رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه السنة سنة تسع، وفد مسلماً] أسلم في الطائف وجاء ليزور رسول الله صلى الله عليه وسلم [وذلك بعد أن رأى قريشاً قد دخلت في الإسلام بعد فتح مكة وهزيمة هوازن وثقيف] سبب إسلامه وهو من رجالات العرب العظام أنه نظر أن مكة قد سقطت في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن الإسلام أنارها وأهلها دخلوا في الإسلام، فما بقي هناك حاجة إلى التزمت والتعصب في الطائف، فلهذا أسلم وجاء.
[وكان رجلاً عاقلاً -حقاً- فهداه الله إلى الإسلام، فلما أتى النبي صلى الله عليه وسلم وأسلم، قال للنبي صلى الله عليه وسلم: أرجع إلى قومي وأدعوهم إلى الإسلام] أبى أن يبقى في المدينة مهاجراً، وقال: أرجع إلى قومي وأدعوهم إلى الدخول في الإسلام [فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: (إنهم قاتلوك)] ولم يقل يقتلونك، ولكن قال: قاتلوك، يعني: أمر مفروغ منه [فقال عروة : إني أحب إليهم من أبكارهم] يعني كيف يقتلونني؟ والأبكار هن البنات [ورجا أن يوافقوه لمنزلته فيهم، فلما رجع إلى الطائف ديار قومه، صعد إلى علية له] أي: بناية، فوق الطابق الأول [وأشرف منها عليهم، وأظهر الإسلام ودعاهم إليه، فرموه بالنبل] أي: السهام [فأصابه سهم فقتله] وهذه آية من آيات النبوة المحمدية.
ذهب ليدعو إلى الله وفعل، فعلا على بنية مرتفعة وأعلن عن إسلامه ودعا رجالات ثقيف إلى الإسلام، فما كان منهم إلا أن سددوا إليه السهام، فقتل رضي الله عنه وأرضاه.
[وقبل وفاته قيل له: ما ترى في دمك؟] لأن الصحابة لما قال له الرسول: إنهم قاتلوك، عرفوا.
فقالوا له: ما ترى في دمك الذي يهراق؟ [قال: كرامة أكرمني الله بها، وشهادة ساقها إلي، ليس فيّ إلا ما في الشهداء الذين قتلوا في سبيل الله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فادفنوني معهم، فلما مات متأثراً بجراحاته دفنوه معهم رضي الله عنه] مع شهداء المؤمنين الذين قتلوا في الطائف.
[ولما بلغ الخبر النبي صلى الله عليه وسلم قال فيه] لما بلغه خبر وفاة عروة [(إن مثله في قومه كمثل صاحب (يس) في قومه، إذ دعاهم إلى خير فقتلوه)] قال تعالى: يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ [يس:26-27]، وهذه يقول فيها الرسول صلى الله عليه وسلم: (ما نصح رجل قومه كما فعل صاحب يس)، فقد قتلوه من أجل أنه دعاهم إلى الله ليكملوا ويسعدوا، ولما ضرب وهو يموت تمنى على الله لو أنهم يعرفون حاله في الجنة حتى يؤمنوا، فقال: يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ [يس:26-27] هذا هو صاحب يس، وعروة بن مسعود كصاحب يس الذي كان في بني إسرائيل.

نتائج وعبر من قدوم عروة بن مسعود على النبي صلى الله عليه وسلم

قال: [نتائج وعبر: إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبراً نذكرها كالآتي: أولاً: بيان عَلَم من أعلام النبوة المحمدية في إخباره عروة بأن قومه قاتلوه، فكان كما أخبر.
ثانياً: بيان فضل الدعوة إلى الله تعالى وما تتطلبه من أذى، وما يلزم صاحبها من الصبر والتحمل.
ثالثاً: بيان فضل عروة بن مسعود رضي الله عنه، إذ ألحقه الرسول صلى الله عليه وسلم بصاحب يس وهو حبيب النجار عليه السلام].

قدوم وفد ثقيف إلى المدينة لمفاوضة النبي على الإسلام

قال: [وخامس أحداثها] أحداث السنة التاسعة [قدوم وفد ثقيف وبعد قدوم الحبيب صلى الله عليه وسلم وفي رمضان، قدم وفد ثقيف على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد سبق أن النبي صلى الله عليه وسلم لما كان محاصراً لهم] في الطائف [قيل له: ادع الله عليهم يا رسول الله، فقال: (اللهم اهد ثقيفاً وأت بهم)] لما حاصر الرسول صلى الله عليه وسلم أهل الطائف قرابة شهر وما استطاع أن يقتحم البلاد وقل الزاد وطالت المدة قال: نرجع، واستشار رجاله -كما تقدم- فرأوا من الحكمة أنهم يعودون إلى المدينة، فقال رجل: (يا رسول الله! ادع الله عليهم، فقال: اللهم اهدهم وأت بهم) واستجاب الله عز وجل، وقد جاءوا إلى المدينة.
[هذا سبب لقدومهم، وآخر: هو أنهم رأوا أن من يحيط بهم من العرب قد نصبوا لهم القتال وشنوا عليهم الغارات، وكان أشدهم في ذلك مالك بن عوف النصري ، فلا يخرج منهم مال إلا نهب ولا إنسان إلا أخذ] كانوا محاصرين من قبل العرب الذين أسلموا.
[فلما رأوا عجزهم اجتمعوا وأرسلوا عبد ياليل بن عمرو بن عمير و الحكم بن عمرو بن وهب و شرحبيل بن غيلان -وهؤلاء من الأحلاف- وأرسلوا من بني مالك عثمان بن أبي العاص و أوس بن عوف و نمير بن خرشة ، فخرجوا من الطائف حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزلهم في قبة في المسجد] قبة من صوف وشعر، ليست من ساج ولا عاج، هذا هو منزل الضيوف عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، قبة في المسجد.
[فكان خالد بن سعيد بن العاص -أخو عمرو بن العاص - يمشي بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم] كواسطة وسفير؛ لأنهم ما زالوا مشركين كافرين، ولو كانوا اليوم معنا لقتلوهم، فالكفار الآن يقتلونهم، وهؤلاء جاءوا مشركين كافرين، وأستاذ الحكمة صلى الله عليه وسلم أنزلهم في قبة وكان يرسل إليهم الطعام: الغداء والعشاء، وقد بلغنا اليوم أن مجاهدي الجزائر قتلوا قساً مع سائقه، وهو راهب من الرهبان، فهل يأمر الإسلام بقتل الرهبان؟ أسألكم بالله أما حرّم الإسلام هذا .
؟ ولكن حتى يشوهوا الإسلام وتشمئز النفوس منه!! [وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرسل إليهم ما يأكلون مع خالد ، وكانوا لا يأكلون طعاماً حتى يأكل خالد منه] خافوا أن يسمّهم، فعندما يأتيهم بالطعام يقولون له: كل أنت أولاً، فإن أكل أكلوا [حتى أسلموا] وهنيئاً لهم، فقد أصبحوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

شروط وفد ثقيف على النبي مقابل إسلامهم

قال: [شروط مرفوضة: واشترط رجال وفد ثقيف لإسلامهم شروطاً وهي كالتالي] هذا الوفد قالوا: نسلم يا رسول الله على شروط، إن وافقتنا أسلمنا وإلا نعود إلى ديارنا.

أولاً: ألا يهدم النبي صلى الله عليه وسلم طاغيتهم إلا بعد ثلاث سنوات
[أولاً: ألا يهدم النبي صلى الله عليه وسلم طاغيتهم -وهي اللات- إلا بعد ثلاث سنوات] يعني: ندخل في الإسلام على شرط ألا تهدم اللات إلا بعد ثلاث سنوات حتى تهدأ النفوس وتسكن القلوب، أما من أول يوم فستثور البلاد كلها عليهم؛ لأنهم إذا أسلموا وجاءوا فأول ما يفعلونه هو هدم الطاغوت، وإذا فعلوا ذلك قامت البلاد كلها الرجال والنساء ضدهم، فهذا من باب السياسة، ولكن السياسة لا تحل ما حرّم الله ولا تحرم ما أحل الله.
وقولهم: (ألا يهدم النبي صلى الله عليه وسلم طاغيتهم) ليس معناه أنه هو الذي سيمشي إليها ليهدمها، ولكنه سيأمر بهدمها.
قال: [فأبى عليهم ذلك صلى الله عليه وسلم] رفض هذا الشرط ولم يقبله [وكان قصدهم من هذا الشرط حتى يسلموا إذا هي تركت من سخط سفهائهم ونسائهم] علة الاشتراط هذا: حتى يسلموا إذا هي تركت من سخط سفهائهم ونسائهم.
[وتنازلوا إلى شهر واحد] أي: قالوا: أبقها شهراً واحداً فقط لا ثلاث سنوات [فلم يقبل منهم ولو ساعة من نهار] وأنا أذكر لما أخذ السلطان عبد العزيز -تغمده الله برحمته- في هدم القباب هل استجاب لأهل البلاد لما قالوا له: هذه القبة لا تهدمها؟ إذاً: هذا منهج رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما كان يعبد من دون الله يجب ألا يوجد في الكون ولا ساعة من نهار.

ثانياً: أن يعفيهم من الصلاة
[ثانياً: أن يعفيهم من الصلاة ككل] قالوا: نسلم على شرط ألا نصلي، فتعفينا من الصلاة [فأبى وقال: (لا خير في دين لا صلاة فيه)، فقالوا: نصلي ولكن لا نجبي] أي: نصلي ولكن لا نركع.
يعني: عيب هذا ومعرة أمام نسائنا ونحن مُجبّين [بل نخر من القيام إلى السجود] وهذه عنترية! قالوا: كيف نركع أمام النساء ويشاهدوننا؟ ولكن نخر من القيام إلى السجود [فقال صلى الله عليه وسلم: (لا خير في صلاة لا ركوع فيها)] أو كما قال صلى الله عليه وسلم.
ولما أسلموا أمَّر عليهم عثمان بن أبي العاص وكان أصغرهم سناً لما رأى من حرصه على الإسلام والتفقه في الدين، ثم رجعوا إلى بلادهم، وأرسل صلى الله عليه وسلم معهم المغيرة بن شعبة و أبا سفيان بن حرب] وهما من أعظم رجالات العرب [لهدم الطاغية] أي: اللات.
قال: [فتقدم المغيرة فهدمها، وقام قومه من بني متعب دونه؛ خوفاً أن يرمى بسهم كما رمي عروة بن مسعود من قبل، ولما أخذ في هدمها خرج نساء ثقيف حسراً] مكشوفات الرؤوس [يبكين، وأخذ حُليها] ما إن شاهد النساء هذه الكعبة في الطائف هدمت حتى خرجن كاشفات الرءوس يصرخن ويبكين، وهذا يدل على ضعف عقول النساء، وأكثر الخرافات في النساء من الرجال إلى الآن.

وقوله: (وأخذ حُليها) يعني أنه كان عليها حُلي، والآن في غير ديارنا هذه الطاهرة تجد على القبر تابوتاً عليه الأزر من حرير وعليه كذا وكذا.
والذهب أيضاً، على عادة الجاهلية.

قضاء النبي بعض ديون من طلب منه سدادها من مال الطاغية

قال: [قضاء ديون من مال الطاغية] هذا المال الذي كان ذهباً على الطاغية اللات قُضيت به بعض الديون.
[كان للطاغية مال كثير مودع فيها، فلما هدمها المغيرة و أبو سفيان بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذا مالها، اتصل برسول الله صلى الله عليه وسلم أبو مليح بن عروة بن مسعود] ابن عروة بن مسعود [وطلب منه أن يقضي ديناً كان على والده عروة من مال الطاغية] والده عروة كان عليه دين، فلما حصل المال اتصل بالرسول صلى الله عليه وسلم وطلب منه أن يسدد دين والده من مال الطاغية [فأجابه الرسول صلى الله عليه وسلم لذلك] وسدد دين والده.
[وعندها قال قارب بن الأسود: وعن الأسود يا رسول الله فاقضه] دين أيضاً، أي: والدي عليه دين [وعروة والأسود أخوان شقيقان، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الأسود مات مشركاً)] يعني: عروة لا بأس، سددنا الدين الذي عليه لأنه كان مؤمناً، فالمؤمن إذا مات وعليه دين يؤاخذ به، ويحبس عن الجنة ولو كان شهيداً، لكن أخوه مات مشركاً.
[فقال قارب: يا رسول الله! لكن تصل مسلماً ذا قرابة -يعني نفسه-] أي: إن أنت سمحت بهذا الفعل وصلت مسلماً ذا قرابة؛ لأن هذا الدين لا ينتفع به الميت المشرك، لكن ولده الحي هو الذي يتحمل السداد، فأنت تصل مسلماً لا كافراً [إنما الدين علي وأنا مطالب به، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان أن يقضي دين عروة و الأسود معاً من مال الطاغية ففعل].

عهد النبي صلى الله عليه وسلم لعثمان ابن أبي العاص

قال: [عهد لـابن أبي العاص : لما أسلم وفد الطائف وأمّر عليهم عثمان بن أبي العاص لصفات كمال فيه، كتب لهم بذلك كتاباً] صكاً [ومن جملة ما ورد فيه: قوله صلى الله عليه وسلم: (يا عثمان! تجاوز في الصلاة واقدر الناس بأضعفهم؛ فإن فيهم الكبير والصغير وذا الحاجة)] ولهذا على الإمام الذي يؤم جماعة من المسلمين أن يراعي ما راعاه الرسول صلى الله عليه وسلم، فلا يقرأ بالبقرة وآل عمران، وإنما يقرأ في صلاة الصبح بطوال المفصّل إن شاء، وفي الظهر والعشاء بالوسط، وفي العصر والمغرب بقصار المفصل: من الضحى إلى سورة الناس، ويسبح في الركوع والسجود ثلاثاً لكن يمد بها لسانه، والثلاث هي الحد الأدنى ولا يسرع.
هذه المسئولية مناطة بمن يؤم المسلمين، فيجب أن يراعي ضعفاءهم وصغارهم وكبارهم.

نتائج وعبر من قدوم وفد ثقيف على النبي صلى الله عليه وسلم وإسلامهم

قال: [نتائج وعبر: إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبراً نوجزها كالآتي: أولاً: بيان آية نبوية، وهي استجابة دعوته صلى الله عليه وسلم في ثقيف؛ إذ هداهم الله وأتى بهم] أما قالوا: (ادع الله عليهم يا رسول الله! فقال: اللهم اهد ثقيفاً وأت بهم) واستجاب الله.
[ثانياً: بيان احترام النبي صلى الله عليه وسلم للوفود وإكرامهم قبل أن يتبين إصرارهم على شركهم وكفرهم] فقد جاءوا وافدين ولم يعلنوا عن إسلامهم، فلم يحكم عليهم وأكرمهم.
[ثالثاً: مشروعية إبطال كل شرط يتنافى مع مراد الله تعالى وشرعه بين خلقه، وهكذا كل شرط يحل حراماً أو يحرم حلالاً فهو شرط باطل في أي عقد أو اتفاقية] فالاتفاقيات والعقود والعهود لها شروط، لكن يجب ألا يكون الشرط يحل ما حرم الله أو يحرم ما أحل الله.
[رابعاً: بيان أعظم أركان الدين بعد التوحيد -الذي هو لا إله إلا الله محمد رسول الله- ألا وهو الصلاة، وأعظم أركانها الركوع والسجود] عندما قال الوفد: لا نصلي، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لا خير في دين لا صلاة فيه)، فقالوا: إذا لا نجبي أي: لا نركع، فقال: (لا خير في صلاة لا ركوع فيها).
[خامساً: بيان ضعف النساء العقلي] فلهذا لا تكون أميرة أبداً ولا وزيرة، فعقلها ضعيف -والله العظيم- ولا يتملق النساء إلا الهابطون، الذين فسدت عقولهم وقلوبهم فوظفوهن وأسندوا إليهن وظائف سامية وعالية، أو أنهم يتملقون اليهود والنصارى [وبيان مدى تعلقهن بالشرك وأسبابه لجهلهن وضعفهن] وأخذنا هذه الفائدة من نساء ثقيف، فما إن شاهدن الصنم يكسر إلا وخرجن في الشوارع يصرخن ويبكين.
[سادساً: مشروعية قضاء الديون من بيت مال المسلمين إذا رأى الإمام ذلك] تسدد ديون الناس من بيت المال إذا رأى الإمام ذلك ولا بأس، فإذا كان هناك مال متوفر وأراد ذلك فإنه يجوز، فقد سدد النبي صلى الله عليه وسلم دين ابن عروة وابن أخيه من المال الذي أصبح لبيت مال المسلمين.
هذا والله تعالى أسأل أن ينفعنا بما ندرس ونسمع.

العام التاسع من الهجرة سمي عام الوفود؛ وذلك لأن وفود العرب قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم فيه مسلمين مؤمنين بالله تعالى، ومنهم وفد بني أسد، ووفد بلي، ووفد تميم ووفد عبد القيس، وفي هذا فتح عظيم ونصر مبين للإسلام والمسلمين، فقد دخل الناس في دين الله أفواجاً، وأصبح جلُّ الجزيرة العربية مسلمين، وهذا ما امتن الله تعالى به على رسوله في قوله: (إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً).

قدوم الوفود على الحبيب صلى الله عليه وسلم

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.
أما بعد: ها نحن مع أحداث السنة التاسعة، ولم يبق على وفاة الحبيب صلى الله عليه وسلم إلا بضعة أشهر.
قال: [وسادس أحداثها] أي: أحداث السنة التاسعة من هجرته صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة؛ إذ أقام بمكة ثلاث عشرة سنة يدعو إلى الله، ثم اضطر إلى الهجرة فهاجر بإذن الله، وأقام بالمدينة عشر سنوات، قضينا معه منها تسع سنوات إلا بضعة أشهر، وسوف يفارق بعدها الحبيب صلى الله عليه وسلم هذه الحياة ونبكي عليه وعلى أنفسنا لجفاف قلوبنا وقساوتها.
[قدوم الوفود على الحبيب صلى الله عليه وسلم: إن الوفود التي بدأت في هذه السنة التاسعة تتوافد على رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار نبوته المدينة الطيبة الطاهرة تعلن عن ولائها لله ورسوله وعن رضاها بالإسلام ودخولها فيه وفود كثيرة] هؤلاء الوافدون ليسوا وفد أو خمسة أو عشرة بل [ذكر منها كل مؤرخ للإسلام طرفاً مما تهيأ له ولم يأت عليها أحد كلها؛ وذلك لكثرتها.
والسبب الظاهر لهذا الحدث الكبير] ما السبب في توافد الوفود في تلك السنة؟ [-الذي هو كثرة الوفود في هذه السنة بالذات- هو دخول قريش زعيمة العرب في الإسلام] وإذا أسلم الزعيم فأتباعه من باب أولى، فالسبب الظاهر لهذا الحدث الكبير الذي هو كثرة الوفود في هذه السنة بالذات هو دخول قريش زعيمة العرب في الإسلام أولاً.
[ففتح مكة ثم الطائف وغزو الروم في تبوك لم يبقِ لأحد التفكير في غلبة صاحب الرسالة والانتصار عليه بحال من الأحوال] يعني: كون الرسول صلى الله عليه وسلم يغزو الروم لا يبقي مجالاً للتفكير في هزيمته أو الانتصار عليه، فقد بلغ من القوة ما غزا به بلاد الروم؛ فتبوك على حدود بلاد الروم، ولما جبنوا وخافوا عدل وترك.
إذاً: دخول قريش في الإسلام، وفتح مكة والطائف، وهزيمة الروم؛ كل هذه لم تترك مجالاً للعرب أن يفكروا في مواصلة الكفر والعداء للرسول صلى الله عليه وسلم.
قال: [فلهذا أخذت وفود القبائل العربية تتوافد من اليمين والشمال والشرق والغرب] من أطراف الجزيرة [وقد أخبر تعالى بهذا في قوله] أي: بهذا الإقبال على الإسلام وهؤلاء الوفود الذين يفدون من الشمال والجنوب والشرق والغرب [إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا [النصر:1-3]] ولما نزلت هذه الآية بكى أبو بكر الصديق وقال: إنها تنعى لرسول الله صلى الله عليه وسلم حياته.
وقوله تعالى: إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ [النصر:1] أي: نصر الله في بدر وفي الغزوات كلها والفتح هو فتح مكة، وَرَأَيْتَ النَّاسَ [النصر:2] أي: وافدين يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا [النصر:2] ليسوا أفراداً فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا [النصر:3] يعني: فلم يبق شيء إلا أن تسبح ربك وتستغفره إنه كان تواباً.
تقول الصديقة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: (ما ركع الرسول بعدها ركوعاً ولا سجد إلا قال: سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي) يتمثل هذه الآية، ونحن والحمد لله لا نتركها في الركوع قط، أما السجود فأمره واسع، لقوله صلى الله عليه وسلم: (أما الركوع فعظموا فيه الرب، وأما السجود فادعوا فيه بما شئتم، فقمن أن يستجاب لكم)، وقوله: (بما شئتم) ليس معناه أن تدعوا بالهلاك على المؤمنين ولا على من آذاك، ولكن ادع بالخير، لا بقطيعة رحم ولا بظلم.
وقد توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه السورة ببضعة أشهر.
[فقوله تعالى: إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ [النصر:1] هو الانتصارات التي تحققت لرسول الله صلى الله عليه وسلم في بدر وحمراء الأسد والأحزاب والحديبية وخيبر وغيرها، والفتح هو فتح مكة والطائف] العاصمتان العظيمتان [والطائف -وإن لم تفتح عنوة-] أي: بالقوة؛ إذ حاصرها شهرين وما قدر على فتحها [فقد جاء وفدها وسلم زمام قيادتها للقائد الأعظم الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم، فهو فتح وأي فتح؟! وقوله تعالى: يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا [النصر:2] يعني: الوفود في هذه السنة] التاسعة من هجرة الحبيب صلى الله عليه وسلم.

[وها هي ذي أهم الوفود، مع ذكر بعض مميزاتها وأحداثها:] ذكرنا جملة منها فقط، فليس هناك من استوفاها لكثرتها.

رابعاً: وفد عبد القيس
[رابعاً: وقدم وفد عبد القيس، وهي قبيلة كبيرة ينسبون إلى عبد القيس بن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار] من أعماق العرب [وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم: (من القوم؟)] سألهم عن أنفسهم [(قالوا: من ربيعة، قال: مرحباً

بالوفد غير خزايا ولا ندامى)] أي: لا تخزون ولا تندمون على زيارتكم وقدومكم [(فقالوا: يا رسول الله! إن بيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر، وإنا لا نصل إليك إلا في الشهر الحرام)] والأشهر الحرم هي: محرم، ورجب، وذو العقدة، وذو الحجة -أربعة أشهر- فإذا دخل الأشهر الحرم وقفت الحرب في الجزيرة، وكثيراً ما نقول: والله لا تستطيع الأمم المتحدة أن توقف حرباً، والله أوقفها بين المشركين.
وأحلف بالله على ذلك! فهل استطاعت أمريكا أن توقف إسرائيل؟ لكن في الجزيرة إذا أهل هلال الشهر الحرام فإن المسافر يسافر من أقصى الجزيرة إلى أقصاها لا يخاف إلا الله، وينتهي القتال والحرب.
لم فعل هذا الله؟ حتى يعيشوا.
قال تعالى: جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلائِدَ [المائدة:97] ليعيش سكان الحرم مطمئنين.
ثم قالوا: [(فمرنا بأمر فصل، نأخذ به من وراءنا وندخل به الجنة)] أذكياء هؤلاء! قالوا: لا نستطيع أن نأتيك في كل شهر؛ لأن الطريق مقطوع باللصوص والمحاربين، وعليه: أعطنا أمراً لا نسأل عنه غيرك ونبلغه من وراءنا ونعمل به [(فقال صلى الله عليه وسلم: آمركم بأربع وأنهاكم عن أربع)] فانتبهوا [(آمركم بالإيمان بالله وحده)] لا شريك له، ثم قال لهم: [(أتدرون ما الإيمان بالله؟)] وسألهم لِيُعلمهم، فقال: أتدرون ما الإيمان بالله؟ قالوا: لا ندري.
[قال: (شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله)] ومعنى هذا: لا تعبدوا إلا الله ولا تمشوا وراء أحد غير رسول الله، فلا تعترفوا بالشرك ولا بأهله ولا بعمله، وتتبعوا رسول الله فيما يأمر به وينهى عنه.
هذه الأولى.
ثانياً: [(وإقام الصلاة)] ثالثاً: [(وإيتاء الزكاة)] رابعاً: [(وصوم رمضان)] هذه أربع [(وأن تعطوا من المغنم الخمس)] لأن الحياة حياة جهاد، قال تعالى: وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ [الأنفال:41]، فيوزع كما بين تعالى: وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ [الأنفال:41] فالخمس يوزع على هؤلاء.
قال: [(وأنهاكم عن أربع)] ما هي؟ [(الدباء والحنتم والنقير والمزفت)] وهذه الأشياء انتهى أمرها الآن؛ فقد كانوا يصنعون منها الخمر، فبدلاً من أن يقول: أنهاكم عن الخمر، نهاهم عن آلاتها حتى لا توجد، والدباء معروفة كانوا يحفرونها ويصنعون فيها الخمر، والحنتم كذلك، والنقير الحجر ينقرونها أو الخشبة ويصنعون فيها الخمر، والمزفت الإناء يدهنونه بالزفت حتى لا يسيل ويصنعون فيه الخمر، فلم يقل صلى الله عليه وسلم: لا تشربوا الخمر ولكن نهاهم عن وجودها أساساً، وقد فهموا أنه إذا نهاهم عن آلاتها وأدواتها فقد نهاهم عن شربها.
قال: [(فاحفظوهن وادعوا إليهن من وراءكم)] احفظوا هذه الثمانية: أربعة أوامر وأربع نواه، وادعوا إليها من وراءكم.
[ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لـأشج عبد القيس : (إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة)] فاحلم يا عبد الله إذا غاضبت ولدك أو أمك أو جارك أو أخاك، لا تقل الباطل، ولا تفعل الشر، ولكن الحلم الحلم.
والأناة: أن لا تستعجل في أمورك، فتأنى قبل أن تقول، وتأنى قبل أن تفعل، وتأنى قبل أن تسافر، وهذا هو الهدي المحمدي.
علينا أن نحب هذه الخصال إذا أردنا ولاية الله عز وجل، وها نحن في طريقنا إليها، وقريباً نصل إن شاء الله.

أولاً: وفد بني أسد

[أولاً: وفد بني أسد، وكانوا أقوياء أشداء، يسكنون شمال شرق الحجاز] هذا الوفد وفد بني أسد كانوا أقوياء أشداء يسكنون شمال شرق الحجاز، أي: ما بين الشمال والشرق [وعدد رجال هذا الوفد عشرة] يمثلون قبيلة بكاملها [وقالوا لما وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم: أتيناك قبل أن ترسل إلينا رسولاً] أي: جئناك قبل أن ترسل إلينا رسولاً [يمنون بهذا على رسول الله صلى الله عليه وسلم] يمنون أنهم جاءوا بدون أن يقاتلهم ولا بعث إليهم من يقاتلهم.
قال: [فأنزل الله تعالى فيهم] قرآناً يقرأ.
ما رضي الله تعالى لهؤلاء أن يتعالوا على رسول الله ويمنوا عليه وهو وليه، وكيف يترك وليه يهان ويُمنّ عليه؟ [يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ [الحجرات:17]] أي: قل لهم يا رسولنا: لا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ [الحجرات:17] في دعوى الإيمان، وهذا معنى ولاية الله، فدافع الله عن نبيه ووليه.
وهذه الآيات من سورة الحجرات بداية المفصّل من القرآن.
قال: [وسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العيافة والكهانة وضرب الحصى، فنهاهم عن ذلك] هذه أعمال جاهلية.
والعيافة: زجر الطير والتفاؤل بأسمائها وأصواتها وممرِّها، فتجده يزجر الطير، فإذا ذهب يميناً قال: خير، وإذا ذهب شمالاً قال: شر! وإذا أراد أن يتزوج طير طيراً، فإذا ذهب يميناً قال: لا بأس بالزواج، وإذا ذهب شمالاً قال: لا خير في الزواج.
وكذلك ضرب الحصى من هذا، والكهانة من باب أولى.
وسألوه عن هذه الأشياء لأنهم يتعاطونها وبلغهم -لا شك- أنها من الشرك، فنهاهم عن ذلك، فلا عيافة ولا كهانة ولا زجر طير ولا حصى.

ثانياً: وفد بليّ

[ثانياً: وفد بليّ: وقد نزلوا على أحد البلويين بالمدينة] هذا الوفد جاء من الشمال من بني بلي ونزلوا عند أحد رجالاتهم من قبيلتهم [وهو رويفع بن ثابت البلوي] هذا الذي استضافهم ونزلوا عليه وهو رويفع تصغير رافع ابن ثابت البلوي [فلما رآهم قال: الحمد لله الذي هداكم إلى الإسلام، فكل من مات على غير الإسلام فهو في النار.
وقبل أن يودعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم] أسلموا وانتهى أمرهم وأرادوا أن يعودوا إلى ديارهم [قال له أبو الضبيب شيخ الوفد: (يا رسول الله! إني رجل فيّ رغبة من الضيافة)] يعني: فطرتي وغريزتي فيها حب استضافة الناس [(فهل لي في ذلك أجر؟ قال: نعم، وكل معروف صنعته إلى غني أو فقير فهو صدقة)] يعني: استضافتك الغني كاستضافتك الفقير، فالكل تؤجر عليه وتثاب، وهذا الرجل سأل ليتعلم، فما دام وصل إلى منبع العلم فلم لا يسأل الرسول صلى الله عليه وسلم كما سأل الآخرون عن العيافة والكهانة؟! والمعروف للضعيف كأن يعطيه دابة، أو فراش، أو عصا، أو طعام، كل ذلك من المعروف الذي يؤجر عليه.
[وقال الرجل: (يا رسول الله! كم وقت الضيافة؟)] أي: كم يوماً وقت الضيافة، يريد أن يتعلم [(قال: ثلاثة أيام -بلياليها- ما كان بعد ذلك فصدقة، ولا يحل للضيف أن يقيم عندك حتى يحرجك)] يعني: ثلاثة أيام وبعدها مع السلامة؛ ويومها لم يكن هناك فنادق ولا نزل، فعندما يجيء الضيف لا بد وأن يستضيفه أحد ثلاثة أيام ثم مع السلامة، وليس للضيف أن يحرج صاحب البيت، يقول: سأزيد يوماً أنتظر فيه فلان مثلاً، أما إذا تطوع صاحب البيت فهذا شأنه، المهم أن ثلاثة أيام واجبة وبعد ذلك شأنه.
[ثم ودعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن أجازهم] أعطاهم جوائز، هذا سيف وهذا فرس وهذا ألف درهم -مثلاً- وهكذا . وهذا هو الكرم المحمدي!

ثالثاً: وفد تميم

[ثالثاً: وفد تميم، وقد كان عدد أفراده يزيد على عشرة أنفار وكلهم من أشراف بني تميم، وعلى رأسهم عطارد بن حاجب بن زرارة بن عدس التميمي ، ومن بينهم الأقرع بن حابس و الحجاب و الزبرقان بن بدر بن يزيد أحد بني درام بن مالك ، و عيينة بن حصن ، وقد كان عيينة و الأقرع شهدا مع النبي صلى الله عليه وسلم فتح مكة وحنيناً والطائف].
قال: [جفاء هذا الوفد وسوء أدبه] هذا الوفد القوي كان فيه جفاء، والجفاء هو القسوة.
[ودخلوا المسجد النبوي، ونادوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من وراء حجراته بلفظ الجفاء وسوء الأدب قائلين: يا محمد يا محمد!] كانوا في الروضة والرسول في حجرته [اخرج إلينا؛ فآذوا بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بصياحهم ورفع أصواتهم] كانوا جبارين فأزعجوه بصياحهم ورفع أصواتهم [فخرج إليهم فقالوا: يا محمد! جئناك نفاخرك؛ فأذن لشاعرنا وخطيبنا] لا حول ولا قوة إلا بالله.
قالوا: جئناك نفاخرك فأذن لشاعرنا أن يقول شعره وخطيبنا أن يقول خطبته [قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (قد أذنت لخطيبكم فليقل)] وتتجلى هنا الكمالات النبوية في الحلم والرشد! [فقام رئيس الوفد عطارد بن حاجب فقال: الحمد لله الذي له علينا الفضل والمن وهو أهله، الذي جعلنا ملوكاً ووهب لنا أموالاً عظاماً، نفعل فيها المعروف، وجعلنا أعز أهل المشرق، وأكثره عدداً، وأيسره عدة، فمن مثلنا في الناس؟ ألسنا رءوس الناس وألي فضلهم؟ فمن فاخرنا فليعدد ما عددنا، وإنا لو نشاء لأكثرنا الكلام ولكنا نحيا من الإكثار فيما أعطانا، وإنا نُعرف بذلك، أقول هذا لأن تأتوا بمثل قولنا، وأمر أفضل من أمرنا، ثم جلس، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس : (أجب الرجل) فقام ثابت فقال: الحمد لله الذي السماوات والأرض خلقه، قضى فيهن أمره، ووسع كرسيه علمه، ولم يك شيء قط إلا من فضله، ثم كان من قدرته أن جعلنا ملوكاً واصطفى من خير خلقه رسولاً، أكرمهم نسباً، وأصدقهم حديثاً، وأفضلهم حسباً، فأنزل عليه كتابه وأتمنه على خلقه؛ فكان خيرة الله تعالى من العالمين، ثم دعا الناس إلى الإيمان فآمن به المهاجرون من قومه وذوي رحمه، أكرم الناس نسباً وأحسن الناس وجوهاً، وخير الناس فعالاً، ثم كان أول الخلق استجابة له حين دعاه نحن، فنحن أنصار الله ووزراء رسوله صلى الله عليه وسلم، نقاتل الناس حتى يؤمنوا، فمن آمن بالله ورسوله منع ماله ودمه، ومن كفر جاهدناه في الله أبداً وكان قتله علينا يسيراً، والسلام عليكم] هذا ثابت بن قيس الأنصاري أفحم التميمي .
[ثم قالوا: يا رسول الله! ائذن لشاعرنا] أي: ائذنا لشاعرنا أن يلقي الشعر [فأذن له فقام -وهو الزبرقان بن بدر - فقال] ولا أسمعكم إلا بيتاً واحداً، فلم نذكر باقي البيوت؛ لأننا لا نسكنها ولا تظللنا.
[نحن الكرام فلا حي يعادلنـا منا الملوك وفينا تنصب البيع] والبيع جمع بيعة، وهي: مكان العبادة.
يتبجح يعني.
[في ثمانية أبيات.
وكان حسان بن ثابت غائباً، فدعاه الرسول صلى الله عليه وسلم ليجيب شاعرهم فحضر وأجاب قائلاً: إن الذوائب من فهر وإخوتهم قد بينوا سنة للناس تتبع قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم أو حاولوا النفع في أشياعهم نفعوا في ثلاثة عشر بيتاً] اكتفينا منها بالبيتين السابقين.
قال: [ومما لا شك فيه أن فرقاً كبيراً بين خطيب المشركين وشاعرهم، وبين خطيب المسلمين وشاعرهم] إي والله! هناك فرق كبير [إذ شتان ما بين من في قلبه ظلمة الشرك والكفر، وبين من في قلبه نور الإيمان وحكمة الإسلام والإحسان] وشاعر المشركين هو الزبرقان ، وشاعر المسلمين هو حسان بن ثابت وهو كذلك شاعر النبي صلى الله عليه وسلم.
[لذا لما فرغ حسان قال الأقرع بن حابس : إن هذا الرجل لمؤتّى له] أي: موفق، يعني: معطى من عند الله، فليس هذا من نفسه [خطيبهم أخطب من خطيبنا، وشاعرهم أشعر من شاعرنا، ثم أسلموا] دخلوا في الإسلام، رضي الله عنهم [وفيهم نزل قول الله تعالى من سورة الحجرات: إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ * وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ [الحجرات:4-5]] فلم يواخذهم رغم مناداتهم للرسول صلى الله عليه وسلم بأصوات عالية وإزعاجهم له.

ولهذا لا يحل لأحدنا أن يرفع صوته في هذا المسجد إلا من ضرورة، وقد شاهد عمر رجلاً من الطائف يرفع صوته في مسجد رسول الله فقال: ائتوني به! فلما وصل ارتعد، فقال: من أين أنت؟ قال: أنا من الطائف، قال: لو كنت من أهل البلد لأوجعتك ضرباً، كيف ترفع صوتك في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ والله يقول: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ [الحجرات:2].
واحترام الرسول ميتاً والله كاحترامه حياً ولا فرق.

الرقى والتمائم والتولة

والآن: مكاره الله تعالى وهي ثلاثة أمور: الرقى والتمائم والتولة.
هذه ثلاث من مكاره لله تعالى فاكرهها يا طالب ولاية الله تعالى وإليك بيانها وشرحها.
الرقى: وهي ما يرقي به بعض الناس من كلام باطل وألفاظ منافية لتوحيد الله تعالى؛ إذ هي ليست من كلام الله تعالى ولا من أسمائه ولا صفاته، ولا من الكلام المأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.
والرقى واحدها رقية.
أما التمائم: فجمع تميمة: وهي ما كان أهل الجاهلية يتيممون به، فيعلقونه على أولادهم يتقون به العين، وهو عبارة عن خرزات ونحوها تعلق على الطفل، فجاء الإسلام دين الله الحق فأبطلها وأبطل ما يماثلها من تعليق العظام والحروز ونحوها.
وأما التولة: فهي شيء يصنعه النساء كالسحر يتحببن به إلى أزواجهن.
وهذه الثلاثة كلها من الشرك بالله عز وجل، أي: من أعظم الذنوب وأضرها.
ولنستمع إلى عبد الله بن مسعود الهذلي رضي الله عنه يكلم زوجته.
قال: وقد دخل على امرأته وفي عنقها شيء معقود فجذبه فقطعه -مع أن عبد الله بن مسعود قصير الذات، ولكنه جذبه فقطعه- ثم قال: لقد أصبح آل عبد الله أغنياء عن أن يشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً.
أي: برهاناً وحجة. ثم قال أي: لزوجته: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن الرقى والتمائم والتولة شرك).
وسألوا عبد الله رضي الله عنه عن التولة ما هي؟ فقال: شيء تصنعه النساء يتحببن به إلى أزواجهن.
فاحذر يا طالب ولاية الله هذه المكروهات لربك وابتعد عنها، ولا تسمح لأحد أن يفعلها أو يرضى بها تظفر بولاية ربك وهنيئاً لك بها، فإنها -والله- لا خير منها للعبد في هذه الحياة.
اللهم حقق لنا ولايتك يا أرحم الراحمين.
وصل اللهم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

في العام التاسع من الهجرة النبوية توالت الوفود على رسول الله صلى الله عليه وسلم من كل أنحاء الجزيرة العربية، فسمي ذلك العام بعام الوفود، وهو ما بشر الله تعالى به رسوله صلى الله عليه وسلم وامتن به عليه في سورة النصر؛ فقد جاء نصر الله تعالى لنبيه بأن فتح عليه مكة المكرمة، ودخل الناس بعد ذلك في دين الله أفواجاً، فقد كان يأتي من كل قبيلة وفد إلى رسول الله، فيعلنون إسلامهم، ويخبرونه بإسلام أقوامهم، فعندما فتحت مكة لم يبق أمام الناس سوى الدخول في دين الله تعالى، وهذا أعظم نصر للإسلام والمسلمين.

قدوم الوفود على الحبيب صلى الله عليه وسلم

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.
أما بعد: ها نحن مع الوفود الذين يتوافدون على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومع الوفد الخامس من تلك الوفود التي كانت في السنة التاسعة وفي أول العاشرة.

قدوم وفد طيء

قال: [الثاني عشر: وقدم وفد طيء: وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد طيء وعلى رأسهم زيد الخيل] وسماه الرسول زيد الخير [فلما انتهوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم] في المدينة [كلموه، وعرض عليهم صلى الله عليه وسلم الإسلام فأسلموا وحسن إسلامهم، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما ذُكر لي رجل من العرب إلا رأيته دون ما ذكر لي إلا زيد الخيل، فإنه لم يبلغ كل ما كان فيه)، ثم سماه زيد الخير، وقطع له فيداً وأرضين معه] والفيد اسم مكان شرقي سلمى أحد جبلي طيء [وكتب له بذلك كتاباً، فخرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعاً إلى قومه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن ينج زيد من حمى المدينة)] والمدينة كانت بها حمى [فإنه قال: قد سماها رسول الله صلى الله عليه وسلم غير الحمى وغير أم ملدم، فلم يثبته] راوي القصة [فلما انتهى من بلد نجد إلى ماء من مياهه يقال له: فردة، أصابته الحمى بها فمات، ولما] مات [عمدت امرأته إلى ما كان معه من كتبه التي قطع له رسول الله صلى الله عليه وسلم فحرقتها بالنار] حتى لا تدخل في فتنة.
نكتفي بهذا القدر وإلى ولاية الله عز وجل .

قدوم وفد الأزد

[الحادي عشر: وقدم وفد الأزد: قال سويد بن الحارث الأزدي : وفدت سابع سبعة] يحدث عن نفسه وقومه [من قومي] وفدنا [على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما دخلنا عليه وكلمناه، فأعجبه ما رأى من سمتنا وزيِّنا، قال: (ما أنتم؟ قلنا: مؤمنون، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: إن لكل قول حقيقة فما حقيقة قولكم وإيمانكم؟) قلنا: خمس عشرة خصلة] وليتنا نبقى أسبوعاً مع هذا الحديث نتكلم عن الخمس عشرة خصلة لنحفظها ونعزم على أن نتدين بها فنفوز في هذه الدنيا [خمس منها أمرتنا بها رسلك] الذين أتونا وهي [أن نؤمن بها، وخمس أمرتنا أن نعمل بها، وخمس تخلقنا بها في الجاهلية، فنحن عليها إلا أن تكره منها شيئاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما الخمسة التي أمرتكم بها رسلي أن تؤمنوا بها؟) قلنا: أمرتنا أن نؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت، قال: (وما الخمسة التي أمرتكم أن تعملوا بها؟) قلنا: أمرتنا أن نقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله، ونقيم الصلاة، ونؤتي الزكاة، ونصوم رمضان، ونحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً، فقال: (وما الخمسة التي تخلقتم بها في الجاهلية؟) قالوا: الشكر عند الرخاء] ونحن الذين في الإسلام ما عرفنا الشكر عند الرخاء.
ما هو الشكر يا عباد الله؟ الشكر هو شعور في قلبك بأن هذه نعمة لله، ثم حمد الله وثناؤه صباح مساء على تلك النعمة، ثم إن كانت علماً عليك أن تبلغه بعد العمل به، وإن كانت مالاً عليك أن تنفق منه على المحاويج والمساكين، وإن كانت صحة بدنية عليك أن تنفق منها في عون المحتاجين وما إلى ذلك.
هذا هو الشكر.
[والصبر عند البلاء] سواء كان مرض أو جوع أو حرب [والرضا بُمرِّ القضاء] أي: بما هو مر لا يطاق كالموت والأمراض.
وما إلى ذلك [والصدق في مواطن اللقاء] مع الأعداء [وترك الشماتة بالأعداء، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (حكماء علماء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء)] هذا هو قول الحبيب صلى الله عليه وسلم للوفد.
إذاً: كان عندهم خمس عشرة خصلة، قالوا: خمس منها أمرتنا بها رسلك، وخمس أمرتنا أن نعمل بها، وخمس تخلقنا بها في الجاهلية، فنحن عليها إلا أن تكره منها شيئاً.
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما الخمسة التي أمرتكم بها رسلي أن تؤمنوا بها؟ قالوا: (أمرتنا أن نؤمن نؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت) فلم ينقص إلا القضاء والقدر، لكنهم مؤمنون به في كلامهم عندما قالوا: الصبر عند البلاء، والرضا بالقضاء.

قال: وما الخمسة التي أمرتكم أن تعملوا بها؟ فقالوا: (أمرتنا أن نقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله، ونقيم الصلاة، ونؤتي الزكاة، ونصوم رمضان، ونحج البيت من استطاع إليه سبيلاً).
فقال صلى الله عليه وسلم: وما الخمسة التي تخلقتم بها في الجاهلية؟ أي: جعلتوها أخلاقاً لكم تجملتم بها؟ قالوا: (الشكر عند الرخاء) يعني: ليس إذا جاء الرخاء نكفر النعم ونفسق ونفجر ونشتغل بالدنيا.
(والصبر عند البلاء)، فلا جزع ولا بكاء ولا صياح.
(والرضا بمرّ القضاء)، أي: مهما كانت مرارته.
(والصدق في مواطن اللقاء) يعني: في الحرب، فإذا التقينا فلا تعرف منا إلا الصدق.
(وترك الشماتة بالأعداء) فلا نشمت بأعدائنا أبداً.
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مقولته: (حكماء علماء)، وهذه شهادة -والله- لا تعدلها شهادة؛ لأنها من رسول الله صلى الله عليه وسلم. فرضي الله عنهم وأرضاهم.
قال: [ثم قال: (وأنا أزيدكم خمساً فيتم لكم عشرون خصلة إن كنتم كما تقولون)] ما هي الخمس التي أضافها إلى ما عندهم قال: [(فلا تجمعوا ما لا تأكلون)] أي: لا تجمعوا ما لا تأكلونه، ومعنى هذا أن يصير المال بين الناس، فلو بطل ادخاره والربط عليه ودفنه أُنفق. هذه واحدة.
ثانياً: [(ولا تبنوا ما لا تسكنون)] فإذا كنت تسكن طابقاً فما الحاجة للعشرين؟ ولا بأس بطابقين واحد في الصيف وواحد في الشتاء، أو طابق لك وطابق للضيوف مثلاً.
[(ولا تنافسوا في شيء أنتم عنه غداً تزولون)] أي: تولون.
فلا تتنافسوا وتتسابقوا في شيء أنتم عنه غداً تزولون وتتركونه [(واتقوا الذي إليه ترجعون وعليه تعرضون، وارغبوا فيما عليه تقدمون وفيه تخلدون)] هذا من منبع الحكمة رسول الله صلى الله عليه وسلم [وانصرف القوم من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وحفظوا وصيته وعملوا بها].
اللهم اجعلنا من أهلها، اللهم إنا نبذل ما استطعنا أن ننفذ هذه الوصايا العشرين يا رب العالمين.

قدوم وفد سعد بن بكر

قال: [عاشراً: وقدم وفد سعد بن بكر: وكان رئيسهم ضمام بن ثعلبة ، فتقدم] أي: ضمام الرئيس [فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أسئلة انتظمت قواعد الدين وكثيراً من الواجبات والمحرمات] فقيه قبل أن يدرس [فأسلم، ولما قفل راجعاً إلى قومه -ليبلغهم دعوة الله تعالى- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لئن صدق ذو العقيصتين دخل الجنة)] كان معه عقيصتان من الشعر [فلما قدم على قومه اجتمعوا إليه فكان أول ما تكلم به قوله: بئست اللات والعزى، فقالوا محذرين له: اتق البرص والجذام والجنون] لأنهم يعتقدون أن الذي ينال من الآلهة عندهم يصاب بالبرص والجذام والجنون [أي: أن تصيبك من أجل ذمك للات والعزى -وهما إلهان عندهم- فقال ضمام: ويحكم! إنهما لا يضران ولا ينفعان، وإن الله قد بعث محمداً رسولاً وأنزل عليه كتاباً، وقد استنقذكم به مما كنتم فيه، وأظهر لهم إسلامه، فما أمسى في ذلك اليوم رجل مشرك ولا امرأة مشركة].
قال: [فما سُمع] أي: ما سمعوا [بوافد قوم كان أبرك ولا أفضل من ضمام بن ثعلبة] إذ أهله كلهم في يوم واحد دخلوا في الإسلام وتركوا الشرك والكفر، فلم يكن أبرك منه -أي: أكثر بركة- ولا أفضل منه على قومه رضي الله عنه وأرضاه.

قدوم وفد رسل ملوك حمير

قال: [سادساً: وقدم وفد رسل ملوك حمير] كانوا باليمن لهم ملوك متعددون [الحارث بن عبد كلال و نعيم بن عبد كلال و النعمان قيل ذي رعين] وقيل بمعنى: ملك، والجمع: أقيال، فالقيل في لغة حمير: الملك ويجمع على أقيال، وقالوا فيه ذلك؛ لأنه إذا قال وأمر أطيع، فأطلقوا عليه لفظ القيل [ومعافر وهمدان يبلغونه إسلام أقوامهم] جاء هذا الوفد من حمير يبلغون رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قومهم أسلموا، أي: دخلوا في الإسلام، فعندما شاهدوا مكة قد سقطت وأصبحت في يد رسول الله وحصن الطائف الأكبر نزل لم يبق هناك محاولة من أحد للقتال والانتصار، فأصبحوا يدخلون في الإسلام جماعات وقرى.
قال: [وكان رسولهم إليه صلى الله عليه وسلم هو مالك بن مرة الرهاوي بعث به زرعة ذو يزن إليه صلى الله عليه وسلم، فكتب إليهم صلى الله عليه وسلم كتاباً هذا نصه] فلنستمع إلى كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.
[بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله النبي] صلى الله عليه وسلم [إلى الحارث بن عبد كلال وإلى نعيم بن عبد كلال وإلى النعمان قيل ذي رعين ومعافر وهمدان، أما بعد ذلكم فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد: فإنه قد وقع بنا رسولكم منقلباً من أرض الروم فلقينا بالمدينة فبلّغ ما أرسلتم به] أي: بلغنا ما أرسلتموه به [وخبر ما قلتم، وأنبأنا بإسلامكم وقتلكم المشركين، وأن الله قد هداكم بهداه، إن أصلحتم أطعتم الله ورسوله، وأقمتم الصلاة، وآتيتم الزكاة، وأعطيتم من الغنائم خمس الله وسهم نبيه وصفيه، وما كتب على المؤمنين من الصدقة.
وبين لهم صدقة الزرع والإبل والبقر والغنم.

ثم قال: فمن زاد] على هذا القدر [فهو خير له، ومن أدى ذلك، وأشهد على إسلامه، وظاهر المؤمنين على المشركين] أي: ناصرهم [فإنه من المؤمنين، له ما لهم وعليه ما عليهم، ومن كان على يهوديته أو نصرانيته فإنه لا يرد عنها] أي: لا يصرف عنها بل يبقى على دينه [وعليه الجزية على كل حالم] من الأطفال إذا بلغوا [ذكراً كان أو أنثى حراً أو عبداً دينار واف من قيمة المعافر] والمعافر: ثياب يمنية [أو عوضه ثياباً، فمن أدى ذلك إلى رسول الله فإن له ذمة الله وذمة رسوله، ومن منعه] أي: ذلك [فإنه عدو لله ورسوله].
هذا هو كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حمير.

قدوم وفد بهراء

قال: [سابعاً: وقدم وفد بهراء] وهو الوفد السابع [من اليمن الجنوبي، وكان مكوناً من ثلاثة عشر رجلاً، ونزلوا على المقداد بن عمرو] في المدينة [وأقاموا بالمدينة أياماً تعلموا فيها الفرائض وواجبات الإسلام، ثم ودعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمر لهم كغيرهم بجوائز فأخذوها وانصرفوا إلى ديارهم].

قدوم وفد عُذرة

[ثامناً: وقدم وفد عُذرة: وكانوا اثني عشر رجلاً منهم حمزة بن النعمان ، ولما شرفوا بالمثول بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم سألهم قائلاً: (من القوم؟ فقال متكلمهم)] نيابة عنهم [(ممن لا تنكر، نحن بنو عُذرة إخوة قصي لأمه، نحن الذين عضدوا قصياً وأزاحوا من بطن مكة خزاعة وبني بكر، ولنا قرابات وأرحام)] أي: معكم [(فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مرحباً بكم وأهلاً، ما أعرفني بكم)] يعني: معرفتي بكم قوية [فأسلموا وبشرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بفتح الشام وهروب هرقل إلى ممتنع من بلاده] وكانت هذه آية النبوة [ونهاهم عن سؤال الكهنة وعن الذبائح التي كانوا يذبحونها، وأخبرهم أن ليس عليهم إلا الأضحية] يعني: الذبائح لرجب وغيرها باطلة [ثم أجازهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وانصرفوا إلى بلادهم].

قدوم وفد ذي مرّة

قال: [تاسعاً: وقدم وفد ذي مرّة: وكان مكوناً من ثلاثة عشر رجلاً، ورئيس الوفد الحارث بن عوف ، فسألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلاً: (كيف البلاد؟ قالوا: والله إنا لمسنتون)] أي: أخذتهم السنون؛ سنون الجدب والقحط [(فادع الله تعالى لنا، فقال الحبيب صلى الله عليه وسلم: اللهم اسقهم الغيث)، ثم أقاموا أياماً، وأجيزوا بجوائز رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم عادوا إلى بلادهم فوجدوها قد أمطرت في ذلك اليوم الذي دعا لهم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم].

قدوم وفد بني حنيفة

قال: [خامساً: وقدم وفد بني حنيفة: ومن بينهم] أي: من بين رجال الوفد [مسيلمة الكذاب] وفدوا [على رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلا أن مسيلمة خلفوه في رحالهم، فلم يشرُف بمقابلة رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلا أنهم أسلموا] أسلم الوفد بكامله [وأمر لهم] الحبيب صلى الله عليه وسلم [بجوائز] هدايا أو عطايا مالية أو غيرها [وذكروه له] أي: وذكروا مسيلمة الكذاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم [فأمر له بمثل ما أمر لهم] وهذا هو الكرم المحمدي، علم أنه كذاب لا خير فيه، وأنه يحمل راية الفتنة، ومع هذا ما حرمه ما أعطى الوفد.
قال: [ثم انصرفوا وأعطوا مسيلمة الذي أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم] من الجائزة.
[فلما قدم اليمامة ارتد عدواً لله، وادعى النبوة وتنبأ كذباً، وأخذ يسجع ويقول مضاهياً] بكلامه المسجوع القرآن الكريم [لقد أنعم الله على الحبلى، أخرج منها نسمة تسعى، من بين شغاف وحشا] يقول: إن هذا قرآن، ويموه به على العوام.
ومعنى (لقد أنعم الله على الحبلى) أي: ذات الحمل، و(أخرج منها نسمة تسعى) يعني: طفلاً يمشي، (من بين شعاف وحشا) يعني: جلد بطنها وأحشائها [ووضع عنهم الصلاة] فلا صلاة على قومه [وأباح لهم الخمر والزنا إلى آخر هرائه العفن] المنتن.
قال: [وبعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتاب] خطاب [جاء فيه] في هذا الكتاب النبوي [بسم الله الرحمن الرحيم] وهذه سنته صلى الله عليه وسلم في كتبه ورسائله، أي: بسم الله الرحمن الرحيم أكاتبك أو أخاطبك [من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مسيلمة الكذاب سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين] وهذا خطاب نبوي رد به صلى الله عليه وسلم على خطاب بعثه مسيلمة [رداً على كتابه الذي بعث به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصه: من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله أما بعد: فإني قد أشركتكم في الأمر، وليس قريش قوماً يعدلون] يعني: أعطيتك نصف ما عندي من الرسالة فأنت رسول وأنا رسول.

ما تتحقق به ولاية الله عز وجل

يا من يرغبون في أن يكونوا أولياء لله! بم تتحقق الولاية؟ هل تتحقق بطول العمر؟ هل تتحقق بشرف النسب؟ هل تتحقق بالعلم؟ إنها تتحقق بشيئين: بأن تحب ما يحب الله وتأتيه، وتكره ما يكره الله وتتركه، فإذا وافقت ربك فيما يحب وفيما يكره فأنت -والله- وليه، أما عدو الله فهو من يخالف ربه، إذا أمره الله بشيء تركه، وإذا نهاه عن شيء فعله، هذا هو عدو الله، فلا بد من معرفة المحاب والمكاره، وقد جمعتها في رسالة وستوزع إن شاء الله خلال أسبوع.
قلت: المكروهات ثلاثة: أولاً: القيل والقال.
ثانياً: كثرة السؤال.
ثالثاً: إضاعة المال.
وهذا بيانها: وذلك لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (وكره لكم) أي: الله تبارك وتعالى، (قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال)، هذه ثلاث مكروهات كرهها الله تعالى لأوليائه يجب على المرء الطالب لولاية الله أن يكرهها ولا يفعلها، فلا يحدث الناس إلا بما فيه صدق وحق ونافع غير ضار، ويقلل من الأسئلة فلا يكثر منها، سواء كانت أسئلة منافع مادية أو أسئلة علمية فقهية أو غير فقهية، فلا يسأل إلا بقدر الحاجة؛ لما في الإكثار من الضرر للنفس الزكية وهو مطالب بتزكيتها والمحافظة على زكاتها حتى تلقى ربها وهي طاهرة، فيفلح صاحبها بالنجاة من النار ودخول الجنة دار الأبرار.
وكذلك لا يضيع ماله قل أو كثر بالإسراف فيه، ولا بإهماله وعدم حفظه، ولا بعدم إنمائه إن كان مما ينمى فيزيد ويكثر؛ لما في ذلك من الضرر على طالب ولاية الله تعالى.
ألا فاذكر هذا أيها العبد الطالب لولاية الله تعالى الراغب فيها!! رابعاً: الكفر بعد الإيمان، وهي الردة والعياذ بالله عن الإسلام بعد الدخول فيه؛ لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (أبغض الخلق إلى الله من آمن ثم كفر)، فاحذر يا طالب ولاية الله من كل اعتقاد باطل، أو قول فاسد، أو عمل سيئ؛ حتى لا تقع فيما يغضب ربك عليك فتحرم ولايته وتعطى عداوته.
خامس المكروهات: الأسواق؛ لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (أبغض البلاد إلى الله أسواقها)، وذلك لما يحدث فيها من المخالفات لأوامر الله ورسوله ونواهيهما: كالصخب، والحلف الكاذب، والغش، وخيانة الأمانة، وعدم الصدق في القول والعمل.
فاكره يا طالب ولاية الله ما يكرهه من تطلبه ولايته، تظفر بها وتكمل وتسعد بإذن الله تعالى.
اللهم حقق لنا ولايتك وكرامتك يا أكرم الأكرمين ويا رب العالمين.

الأسئلة

حكم قصر الصلاة أكثر من أربعة أيام للمسافر

السؤال: سائلة تقول: نحن مسافرات نريد أن نقيم في المدينة أكثر من أربعة أيام إلى أسبوع فهل نقصر الصلاة ونجمعها؟ الجواب: من نوى الإقامة أربعة أيام فأكثر فإنه لا يقصر ولا يجمع بل يتم صلاته في أوقاتها.
وصل اللهم على نبينا محمد وآله وسلم تسليماً كثيراً.

في السنة التاسعة من الهجرة أمر النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضي الله عنه أن يحج بالناس، فخرج حاجاً بثلاثمائة رجل من المدينة، وأرسل معه النبي صلى الله عليه وسلم عشرين بدنة هدياً، فلما خرج من المدينة بعث علياً رضي الله عنه في أثره وأمره أن يقرأ على الناس براءة، وأن يعلن ألا يحج بعد العام مشرك وألا يطوف بالبيت عريان.

نتائج وعبر من مقطوعة الوفود التي وفدت على الحبيب صلى الله عليه وسلم

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.
أما بعد: ها نحن مع أحداث السنة التاسعة من هجرته صلى الله عليه وسلم، ومع هذه النتائج والعبر التي استقيناها واستنتجناها من تلك الوفود التي وفدت عليه صلى الله عليه وسلم في تلك الأيام.
قال: [عبر ونتائج: إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبراً نجملها في الآتي: أولاً: وفد بني أسد] واستفدنا منه [حرمة العيافة، والكهانة، وضرب الحصى] إذ نهاهم صلى الله عليه وسلم ومنعهم منه.
ثانياً: وفد بليّ] واستفدنا منه [من مات على غير دين الإسلام فهو في النار] مهما كان وكيفما كان.
[ثالثاً: فضل الضيافة، وأنها ثلاثة أيام، وكل معروف صدقة] استفدناها من ذلك الوفد.
[رابعاً: وفد تميم: الإسلام يعلو ولا يُعلى عليه.
خامساً: وفد عبد القيس: الإيمان اعتقاد وقول وعمل، وفضل الحلم والأناة.
سادساً: وفد بني حنيفة] فائدته [بيان ردة مسيلمة الكذاب وادعائه الكاذب في النبوة.
سابعاً: وفد رسل ملوك حمير] أخذنا منه [بيان أصول الدين، وحكم الجزية وممن تؤخذ، وبيان مقدارها.
مشروعية قول: مرحباً وأهلاً].
[ثامناً: وفد عُذرة: بيان آية النبوة المحمدية إذ أخبرهم بغيب فكان كما أخبر صلى الله عليه وسلم] كذلك [ليس على المسلم ذبائح تذبح إلا الأضحية] فقط.
[تاسعاً: وفد ذي مرّة] قال واستفدنا منه [بيان آية النبوة إذ دعا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغيث] وقد قحطوا [فسقوا في نفس اليوم.
عاشراً: وفد سعد بن بكر: فيه بيان كرامة ضمام وفضله إذ أسلمت قبيلته كلها بدعوته.
الحادي عشر: وفد الأزد: فيه بيان أن لكل قول حقيقة، وبيان عشرين خصلة هي جماع الخير كله] كما مر بنا.
[الثاني عشر: وفد طيء] فيه [فضل زيد الخيل] الذي قال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم: زيد الخير [وفوزه برضا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه وتعديل اسمه بزيد الخير] بدل زيد الخيل .

حج أبي بكر الصديق رضي الله عنه بالناس

قال: [وسابع أحداثها] سابع أحداث السنة التاسعة من هجرة الحبيب صلى الله عليه وسلم: [حج أبي بكر الصديق بالناس وفي أواخر شهر ذي القعدة من هذه السنة سنة تسع خرج أبو بكر الصديق بإذن رسول الله صلى الله عليه وسلم أميراً على الحج] أمَّره على الحج في السنة التاسعة من الهجرة [ومعه عشرون بدنة] من الإبل [لرسول الله صلى الله عليه وسلم] بعث بها لتنحر في الحرم المكي [وله هو] أي: أبو بكر [خمسون بدنة، وكان] رضي الله عنه [في ثلاثمائة رجل من أهل المدينة] حجاج المدينة يومها كانوا ثلاثمائة رجل.
[فلما كان بذي الحليفة (آبار علي) على سبعة أميال من المدينة أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم في أثره علي بن أبي طالب] رضي الله عنه [وأمره] أي: أمر علياً [بقراءة سورة براءة على المشركين] في مكة وفي عرفات ومنى.
[فعاد أبو بكر] من ذي الحليفة [إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة، وقال: (يا رسول الله! أنزل فيَّ شيء؟)] يعني: لعل الله أنزل فيَّ شيئاً فأنا لست أهلاً لهذه المهمة، أو غير صالح لهذه الإمارة [(قال: لا ولكن لا يبلغ عني إلا أنا أو رجل مني)] يعني: هذه الرسالة لا يستطيع حملها وإبلاغها إلا أنا أو واحد من أسرتي [(ألا ترضى يا أبا بكر أنك كنت معي في الغار وصاحبي على الحوض؟ قال: بلى يا رسول الله)، فسار أبو بكر أميراً على الموسم، فأقام الناس الحج، وحجت العرب والكفار على عادتهم في الجاهلية، و علي رضي الله عنه يؤذن ببراءة].
قال: [فنادى يوم الأضحى قائلاً: (لا يحجن بعد العام مشرك، ولا يطوفن بالبيت عريان)] إذ كان المشركون منهم من يطوف عارياً، وسر ذلك: أنهم يقولون: الذي لا يملك ثياب الحمس -وهم أشراف مكة- لا يطوف بثيابه؛ لأنه عصى الله عز وجل فيها فلا يصح له أن يطوف بها، فإما أن يأخذ من الحمس، وإما أن يطوف عرياناً.

وهي عادة جاهلية استمروا عليها زمناً، ثم جاء الإسلام وإعلان رسول الله صلى الله عليه وسلم على لسان علي بن أبي طالب : (ألا لا يحجن بعد العام مشرك)، يعني: هذا العام لا بأس فلا ترجعوا، أما في العام المقبل فلا يحج المشرك قط ولا يدخل الحرم، ولا يطوفن بالبيت عريان.
قال: [ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فأجله إلى مدته] يعني: من كان بينه وبين الرسول عهد مدته سنة أو أكثر -مثلاً- فهو على مدته [ورجع المشركون، فلام بعضهم بعضاً وقالوا: ما تصنعون وقد أسلمت قريش؟ فأسلموا] خير لكم، فانتشر الإسلام، وأسلموا.

نتائج وعبر من حج أبي بكر الصديق رضي الله عنه بالناس

قال: [نتائج وعبر: إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبراً نوجزها فيما يلي: [أولاً: فرض الحج يسقط بالعجز] لقول الله تعالى: مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا [آل عمران:97] [وهو] أيضاً [على التراخي لا على الفور] وهذا الذي عليه الجمهور، ولكن من قدر يجب أن يعجل بالحج ولا يؤخره، أما العاجز فهو غير مكلف حتى يزول عجزه.
ومعنى على الفور: أن كل من بلغ وجب عليه أن يحج.
لكن قد يكون متأهلاً للحج ويؤثر زواجه.
أو يؤثر رحلته في تجارة إلى كذا.
المهم أننا نقول: على من استطاع الحج أن يبادر به ولا نقول على الفور؛ لأن الحج فرض في السنة السادسة وما حج الرسول صلى الله عليه وسلم إلا في السنة العاشرة، وهذا أبو بكر وثلاثمائة من المدينة حجوا في السنة التاسعة [إذ لم يحج مع أبي بكر] رضي الله عنه [سوى ثلاثمائة رجل مع وفرة الرجال والنساء بالمدينة يومئذ.
ثانياً: مشروعية تعيين أمير للحج] لا بد للملك أو للسلطان أن يعين أميراً يحج بالمسلمين، وهذه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ إذ عين أبا بكر أميراً على الحج، فلا تحج الأمة فوضى بدون أمير.
[ثالثاً: فضيلة كل من أبي بكر و علي رضي الله عنهما] فـأبو بكر أمَّره الرسول وولاه القيادة، و علي أرسله بمهمة لا يستطيعها إلا هو نيابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.
[رابعاً: مشروعية سوق الهدي، وإرساله مع تخلف المُهدِي عن الحج] فالرسول بعث بتلك البدن مع أبي بكر وهو في المدينة، فيجوز لأي مؤمن أن يرسل هديه وهو ليس بحاج من اليمن أو الشام أو المدينة أو غيرها؛ إذ العبرة بإرسال الهدي ليأكله الحجاج والفقراء والمساكين.
[خامساً: حرمة دخول الحرم على المشركين والكافرين] حرمة دخول الحرم المكي على المشركين والكافرين مطلقاً، بدليل: (ولا يحج بعد العام مشرك) [ووجوب ستر العورة في الطواف] كانت المرأة تطوف وهي واضعة يدها على فرجها تقول: اليوم يبدو كله أو بعضه وما بدا منه فلا أحله وزالت تلك الجاهلية وعاداتها، فالطواف لا بد فيه من ستر العورة كالصلاة، ومن طاف عارياً فطوافه باطل، لكن لو سقط بعض إزاره وتلافى على الفور فلا بأس إن شاء الله.
[سادساً: شرف مركز قريش بين العرب إذ العرب تبع لها] بدليل: ما إن دخلت قريش في الإسلام حتى توافدت الوفود على الرسول صلى الله عليه وسلم تعلن عن إسلامها.

أهم أحداث السنة التاسعة من هجرة الحبيب صلى الله عليه وسلم

قال: [أهم أحداث السنة التاسعة من هجرة الحبيب صلى الله عليه وسلم.
لقد وقعت في هذه السنة أحداث تاريخية هامة يحسن ذكر طرف منها إزاء النقاط الآتية: أولاً: بعث الرسول صلى الله عليه وسلم جرير بن عبد الله البجلي إلى ذي الخلصة، فهدمها] وهذا حدث جليل! فلم يكن صنماً فقط بل قبة وبناية وتمثال، فهدمها رضي الله عنه وأرضاه.
[ثانياً: فيها] أي: في هذه السنة التاسعة [توفي إبراهيم ابن الرسول صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمانية عشر شهراً ودفن بالبقيع] وأمه مارية القبطية المصرية رضي الله عنها وأرضاها.
[ثالثاً: فيها طلع جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم والناس حوله في المسجد في صورة رجل] طلع كما يطلع النهار والفجر والرسول يعلم أصحابه الكتاب والحكمة ويزكيهم، فإذا بجبريل يطلع عليهم في صورة دحية بن خليفة الكلبي رضي الله عنه وأرضاه [وسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام والإحسان وعن أمارات الساعة] فحديث جبريل هذا الذي نكرره كان في السنة التاسعة من هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم.
[رابعاً: فيها بعث النبي صلى الله عليه وسلم المصدقين إلى كافة أنحاء البلاد التي أسلم أهلها] والمصدقون هم الذي يجبون الزكوات، أو الذين يأتون بالصدقات، وكان ذلك في السنة التاسعة فقط لا قبلها.
[خامساً: فيها توفيت أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وغسلتها أسماء بنت عميس] زوجة الصديق [و صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنهن] أجمعين.
[سادساً: فيها توفي رأس النفاق عبد الله بن أبي ابن سلول] عليه لعائن الله [وصلى عليه الرسول صلى الله عليه وسلم] صلاة الجنازة [ثم نهاه الله عن الصلاة على المنافقين مطلقاً بقوله: وَلا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ [التوبة:84]] والرسول إنما صلى عليه رحمة بولده عبد الله؛ إذ كان من خيرة الأصحاب، فقال: يا رسول الله! صل على أبي،

فاستجاب له، ولكن الله لم يأذن بهذا بعد ذلك، وأنزل تعالى: وَلا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا [التوبة:84]، ومن هنا لا يصح أن نصلي على كافر قط، سواء كانت صلاة غائب أو حاضر، فلا تصح الصلاة إلا على مسلم فقط.
[سابعاً: فيها توفي النجاشي] أصحمة [وصلى عليه الرسول والمؤمنون بالمدينة صلاة الغائب رحمه الله رحمة واسعة] بلغ الرسول صلى الله عليه وسلم الخبر بالوحي الإلهي أن النجاشي قد مات، فخرج مع رجاله في طرف المسجد وصلوا عليه صلاة الغائب.

بعث النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى بني الحارث بن كعب بنجران

السنة العاشرة من هجرة الحبيب صلى الله عليه وسلم.
قال: [ودخلت السنة العاشرة من هجرة الحبيب صلى الله عليه وسلم.
وكان من أول أحداثها: بعث النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى بني الحارث بن كعب بنجران] في الجنوب.
[في هذه السنة العاشرة بعث النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد على رأس سرية] والسرية عدد من المجاهدين يسرون بالليل [بعثه إلى بني الحارث بن كعب بنجران، وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام ثلاثاً] أي: ثلاثة أيام [فإن أجابوا أقام فيهم وعلمهم شرائع الإسلام، وإن لم يفعلوا قاتلهم.
فخرج رضي الله عنه إليهم منفذاً لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ودعاهم إلى الإسلام فأجابوا وأسلموا فأقام فيهم يعلمهم، وكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاباً يعلمه فيه بإسلامهم.
ولما قضى فترة تعليمهم عاد إلى المدينة ومعه وفد منهم، من بين أفراده قيس بن الحصين بن يزيد بن قينان و يزيد بن عبد المدان .
وغيرهما، فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عادوا إلى ديارهم وأرسل إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن حزم يعلمهم شرائع الإسلام، ويأخذ صدقاتهم (زكواتهم) وكتب معه كتاباً، وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم و عمرو بن حزم على نجران].

نتائج وعبر من بعث النبي خالد بن الوليد إلى بني الحارث بن كعب بنجران

[نتائج وعبر: إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبراً هي كالآتي: أولاً: وجوب الدعوة إلى الإسلام] وهذا الواجب ليس واجباً على الصحابة فقط بل حتى علينا نحن، فأينما وجد كفر وكافرون وجب على المسلمين دعوتهم إلى الإسلام.
[ثانياً: وجوب تعليم من دخل في الإسلام شرائع الإسلام.
ثالثاً: وجوب نصب الولاة في البلد الذي يدخل في الإسلام أو ذمة المسلمين].

بدائل الجهاد اليوم

وبالمناسبة: علمتم الرسالة التي كتبناها كدعوة خير إنسانية عامة، خاطبنا فيها كل كافر أبيض كان أو أصفر بأسلوب بسيط أدبي حكيم، لا يزعج الكافر ولا يغضبه أبداً، وطالبنا المسئولين بأن يترجموا هذه الرسالة إلى سبع لغات حية، وأن يساهم فيها أهل اليسار والمال من المسلمين لتطبع وتنشر في تلك البلاد، وتوضع بأيدي الجاليات المقيمة هناك؛ إذ لا يخلو بلد الآن من مسلمين ومساجد وصلاة تقام في العالم بأسره، فتوزع تلك الرسالة بأدب طول العام.
وقلت: نظراً إلى أن الله عز وجل أراحنا الآن، فنحن لسنا في حاجة إلى أن نرسي سفننا على شواطئ بلاد الكفار، ولا نركب طائراتنا ونحمل صواريخنا ورجالنا لنقاتلهم أبداً، فالباب أصبح مفتوحاً، ولم يبق إلا أن نقوم بهذه الدعوة، ولكن -كما قدمنا- بنظام، كم مرة تسمعون ونقول: أين الرابطة؟ الواجب أن تُكون لجنة عليا يساهم فيها كل بلد إسلامي، هذه اللجنة أول خطوة تخطوها هي أن تفرض على كل مسلم ديناراً في السنة لأداء فريضة الجهاد؛ وبذلك تكون لها ميزانية من أكبر الميزانيات في العالم؛ إذ عندنا ألف مليون مسلم، ثم ترسل اللجنة إلى كل قارة من يعد الجاليات الموجودة ويقدرها، وبعد ذلك يرسلون علماء ربانيين إلى تلك الجاليات يربونهم التربية الإسلامية ويورثون فيهم الفضائل والكمالات؛ حتى إذا نظر إليهم الكفار انجذبوا إليهم ومشوا وراءهم، وتقوم اللجنة بالكتاب والمعلم وبناء المسجد، ونكون بذلك قد نشرنا الإسلام، وأدينا واجب الجهاد.
والآن مع الرسالة التي بعثت بها إلى ثمانية عشر متأهلاً لها في المملكة، ونحن ننتظر -والله- أن تترجم إلى اللغات الحية: البريطانية والفرنسية والألمانية والروسية واليابانية والصينية، وتطبع كميات منها بالملايين وترسل إلى تلك الجاليات بالتي هي أحسن، وعندها - والله- ليدخلن في الإسلام أعداد لا نعرف عددهم، ونكون برأنا ذمتنا، ولسنا في حاجة إلى قتال أبداً، فقد أراحنا الله منه.
ولا يجوز لنا أن نرسي سفننا على إيطاليا ونقاتلها لأن الإسلام أصبح فيها، فالمساجد موجودة، وقد سمحوا للناس بالدعوة إلى الله، بينما قبل أيام كانت البلاد كلها ظلام وكفر فكنا نرسي سفننا على الشاطئ ونراسلهم بسفارة بيننا وبينهم، فنقول: هل تدخلون في الإسلام؟ فإن قالوا: لا، نقول لهم: هل تسمحون لنا بأن ندخل نعلم الناس الإسلام؟ فإن قالوا: نعم دخلنا، وإن قالوا: لا قاتلناهم حتى نخضعهم لقبول دعوة الإسلام، والآن أراحنا الله والحمد لله، وكل هذا من تدبير العزيز الحكيم، فلم يبق إلا أن نقوم بالدعوة على علم وبصيرة ونظام كامل، ونؤدي هذا الواجب لينتشر الإسلام في العالم، والله تعالى أسأل أن يحقق هذا.

معاشر المؤمنين! يا أولياء الله! ولايتكم لله تتحقق بحب ما يحب وكره ما يكره، فهيا مع هذه المحاب.
أولاً: حبك لقاء ربك عز وجل بعد الموت، ولا نقول لك: تمنَّ الموت يا عبد الله! واطلبه الآن، لا أبداً، فأنت تعبد الله وتذكره، لكن نقول لك: أحبب لقاء الله بعد موتك ولا تكرهه؛ فإن من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، فالولي لله يحب لقاء الله ويفرح به ويُسر، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه)، وأحلف بالله أن أي عبد أبيض كان أو أسود يحب لقاء الله إلا أحب الله لقاءه.
إذاً: عليك أن تكثر من الصالحات حباً في الله الذي أحبها، ورغبة في لقائه يوم يجمع الله الخلائق ويكرم أولياءه برضاه عنهم وإدخالهم دار السلام، وقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم أن حب لقاء الله وعدمه يتمان للعبد عند الموت وسكراته، فالعبد الصالح ولي الله عز وجل يبشر برضوان الله وكرامته فيحب لقاءه ويفرح به، وأما الكافر والمنافق والفاجر والفاسق والظالم عدو الله فإنه يبشر بعذاب الله وعندها يكره لقاء الله بالموت والعياذ بالله، فاحذر يا طالب ولاية الله من الكفر والشرك والفسق والظلم وكل موجبات غضب الرب تعالى؛ حتى تصبح محباً للقاء ربك يوم تلقاه.
المحبوب الثاني: أحبب التوبة من كل ذنب، فإن الله تعالى يحب توبة العبد إذا تاب من أي ذنب اقترفه؛ وذلك لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله في أرض فلاة) أي: فقده في أرض فلاة.
تأمل هذا المثل الذي بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيان مقدار حب الرب تعالى لتوبة العبد، وهو أن يكون للإنسان راحلة يركبها فيفقدها في صحراء قاحلة قاتلة ثم يجدها، فانظر كيف تكون فرحة هذا العبد؟ تكون عظيمة، إلا أن فرحة الله بتوبة العبد أعظم منها وأكثر، فاذكر هذا يا طالب ولاية الله، وكلما أذنبت ذنباً بادر بالتوبة النصوح لتتحقق لك ولاية ربك عز وجل.
وصلِّ اللهم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

في آخر السنة التاسعة أو أول السنة العاشرة وصل وفد من نصارى نجران إلى النبي صلى الله عليه وسلم يريدون مباهلته في أي الفريقين على الحق: النبي صلى الله عليه وسلم الذي يدعو إلى توحيد الله وعدم الإشراك به، أو النصارى الذين يعتقدون بألوهية المسيح، فلما حضر النصارى رأوا النبي صلى الله عليه وسلم مستعداً للمباهلة ومعه ابنته فاطمة وزوجها علي وابنيهما الحسن والحسين، فأدركوا ألا قبل لهم بهذه المباهلة فتركوها، وصالحوا النبي صلى الله عليه وسلم.

وصول وفد نصارى نجران إلى النبي صلى الله عليه وسلم

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.
أما بعد: قال المؤلف غفر الله له ولكم ورحمه وإياكم: [وثاني أحداثها: وصول وفد نصارى نجران إلى الحبيب صلى الله عليه وسلم] وألفت النظر إلى أن هذا الحدث بالذات كان في آخر السنة التاسعة وليس في أول العاشرة، ولا فرق بالنسبة إلينا بين أن يكون في التاسعة أو في العاشرة.
قال: [وفي هذه السنة العاشرة وصل وفد نجران، على رأس الوفد العاقب والسيد، يريدون مباهلة رسول الله صلى الله عليه وسلم] نجران معلومة لدينا الآن في جنوب المملكة، وهذا الوفد المكون من ستين عالماً أو راهباً يرأسه العاقب والسيد يريدون من مجيئهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من نجران إلى المدينة على خيولهم مباهلة رسول الله صلى الله عليه وسلم.
[ليهلك من لم يكن على الحق في دعواه] المباهلة أن يدعو الحاضرون إن كان فلان على الحق فهو على الحق، وإن كان على الباطل أهلكه الله [إذ هم يدَّعون أن عيسى عليه السلام ابن الله] وفد نجران المسيحي الصليبي كان يعتقد أن عيسى ابن الله [تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً] ويعتقدون [أن المسيحية دين الله، والرسول محمد صلى الله عليه وسلم يقول: عيسى عبد الله ورسوله والدين عند الله الإسلام].
فقالوا: نجتمع ونرفع أكفنا إلى الله ونضرع إليه ونسأله أن يهلك المبطل منا وينجي المحق، وهذا جاء في سورة آل عمران، إذ نزلت فيهم نيف وثمانون آية.
[وفعلاً خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه علي و فاطمة و الحسن و الحسين] هؤلاء أفراد أسرته، علي ابن عمه، وزوجه فاطمة ، والحسنان ولد فاطمة و علي ، إذا هلكوا يهلكون وإذا نجوا ينجون، والوفد الثاني يهلك كل من فيه أو ينجو [فلما رأوهم] شاهدوا رسول الله وعن يمينه علي ويساره فاطمة وبين أيديهما الحسن و الحسين ، لما شاهدوا هذا المنظر [خافوا] خوفاً حقيقياً [وقالوا: هذه الوجوه لو أقسمت على الله أن يزيل الجبال لأزالها] وفشلوا، قال تعالى: فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ [آل عمران:61].
إذاً: ارتعدت فرائصهم وخافوا وهم ينظرون إلى رسول الله كالبدر، ومن حوله تلك الأسرة الطاهرة: فاطمة و علي والحسنان، وقالوا: لو أقسمت هذه الوجوه التي يشاهدونها على الله أن يزيل الجبال لأزالها.
[ولم يباهلوه] صلى الله عليه وسلم [وصالحوه على] أن يدفعوا [ألفي حلة ثمن كل حلة أربعون درهماً] سنوياً [وعلى أن يضيفوا رسل الرسول صلى الله عليه وسلم] إذا جاءوهم إلى بلادهم، سواء كان لهم فنادق أو ما لهم فنادق يضيفونهم إذا جاءوا لاستلام الجزية وما وجب لهم.
[وجعل لهم ذمة الله تعالى وعهده أن لا يفتنوا في دينهم ولا يعشروا] أي: بدفع العشر [وشرط عليهم: ألا يأكلوا الربا ولا يتعاملوا به، وفيهم نزل نيّف وثمانون آية من سورة آل عمران، وفيها آية المباهلة، وبيان حقيقة عيسى وأنه عبد الله ورسوله، ولم يكن ابن الله، ولا بإله مع الله؛ إذ قص عليهم نشأة عيسى ابتداءً من جدته حنة إلى ولادة مريم له صلى الله عليه وعلى نبينا وسلم تسليماً كثيراً].

نتائج وعبر من وصول وفد نصارى نجران إلى النبي صلى الله عليه وسلم

[نتائج وعبر إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبراً نوجزها فيما يلي: أولاً: هروب نصارى نجران من المباهلة: دليل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وصحة دينه الإسلام، وبطلان المسيحية وألوهية عيسى عليه السلام.
ثانياً: مشروعية إقرار أهل الكتاب على دينهم -وإن كان باطلاً- لنسخه بالإسلام.
ثالثاً: حرمة أكل الربا والتعامل به حتى على أهل الذمة من يهود نصارى].

تفسير بعض آيات سورة آل عمران

تفرغ مريم لعبادة ربها وتبشيرها بعيسى عليه السلام

وأخذت مريم في عبادة الله في تلك البيت أو ذلك المكان، حتى بُشرت هي أيضاً، أتاها جبريل يقول لها: إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ [آل عمران:45] يعني: دخل عليها، فقالت له: أعوذ بالله منك إن كنت تقيا فقال: إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلامًا زَكِيًّا * قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا * قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ [مريم:19-21] الآيات.
وعندنا هنا لطيفة وهي: أن حنة عندما تعوذت قالت: وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ [آل عمران:36] فأعاذ الله مريم ، فما كذبت كذبة، ولا فعلت جريمة قط، وحفظها الله عز وجل، واستجاب الله كذلك دعوة حنة في ذرية مريم وهو ولدها عيسى عليه السلام، فقد عاش ثلاثاً وثلاثين سنة لم تسجل عليه خطيئة قط، وهي استجابة الله لدعوة جدته.

ولادة مريم عليها السلام وكفالة زكريا لها

ثم ذكر الله تعالى لهم بداية نشأة عيسى -والله ورسوله الله أعلم بعيسى من عبدته- فقال تعالى: إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ [آل عمران:33-35] وعمران هو أحد صلحاء بني إسرائيل وأنبيائهم، وامرأة عمران هي حنةً -من الحنين لا من الحناء التي تعرفونها- عليها ألف سلام، إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ وهي بين يدي ربها في ظلمات الليل تناجيه، ترفع أكفها إليه وتدعوه: رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ [آل عمران:35] والذي في بطنها جنين، نذرته نذراً لله، وسر ذلك أنها كانت لا تلد، وإذا بها في يوم من الأيام تشاهد عصفوراً طائراً يزق أفراخه ويطعمها في الحديقة، فجاشت لديها غريزة حب الولد، وقالت للرب تعالى: إن أعطيتني ولداً فهو لك، يعني: فقط أحمله وألده وأرضعه الرضاعة التي لا بد منها ثم هو لك، المهم أن تشفي صدري، وأن تزيل هذا الشوق في قلبي.
واستجاب الله لها فحملت، قال تعالى: فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ [آل عمران:36] لأنها تخبره وهي تتأسف وتتحسر؛ لأن الولد يخدم الله عز وجل فيرابط، ويجاهد، ويعلِّم.
ولكن البنت ماذا تفعل؟ إذاً: هذه حنة تتكلم مع الله عز وجل وهو يسمعها، وهي موقنة بسماعه؛ لأنها مؤمنة إيمان العارفين بالله.
قال تعالى: وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ [آل عمران:36] ومعنى مريم باللغة العبرية: خادمة الله، يعني سمتها خادمة الله، أي عابدة الله لا تخدم إلا الله، هذا هو معنى مريم، وهذه هي أم عيسى يا وفد نجران، أتريدون أن تعلموا رسول الله بحاله؟ فقطع ألسنتهم بهذا العلم.
ثم قال: وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ [آل عمران:36] يا رب وَذُرِّيَّتَهَا [آل عمران:36] من بعدها مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ [آل عمران:36].
وهكذا حصنت بنتها فقالت: وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ أي: أحصنها وأحفظها بك وَذُرِّيَّتَهَا كذلك إذا ولدت، وكان لها ذرية أن تحفظهم بحفظك، وتحصنهم بحصنك يا رب، فكانت تحب الولد، وتحب له أن يعيش طيباً طاهراً لا يعرف إلا الله ولا يعبد سواه، فأبعدته عن الشياطين.
قال تعالى: فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا [آل عمران:37] لما وضعتها ولفتها في القماطة بعدما أرضعتها الرضعة الأولى الضرورية (اللبأ)، خرجت إلى علماء بني إسرائيل في المسجد وقالت: يا علماء! هذه نذيرة الله فخذوها، يعني: أنا نذرتها لله، لا أريد أن أسعد بها، فاختلفوا من يأخذها، ومن يشرف بأخذ هذه النذيرة، فما كان منهم إلا أن اقترعوا، فجمعوا أقلامهم وقالوا: نرسلها قلماً بعد قلم في النهر، وأيما قلم وقف في الماء كان أحق بكفالة هذه النذيرة، وبالفعل رموا بالقلم الأول، فمشى في الماء، والثاني كذلك.
ووقف الثالث، وكان صاحبه هو زكريا عليه السلام.
قال تعالى: وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ [آل عمران:44] أي: يا رسول الله وما كنت معهم ولا عندهم وهم يلقون أقلامهم في الماء، فأنت لم توجد بعد، ولكن عرفت هذا لأنك رسول الله، يوحي إليك بكلامه ووحيه، وهذه -والله- وحدها كافية لأن يدخل النصارى في الإسلام، فالرسول كان في مكة، وهم كانوا بالشام في فلسطين، إذاً كيف لا يكون رسولاً؟ مستحيل! هذه آية تثبت النبوة المحمدية، ومن تدبير الله الرحيم أن خالتها كانت زوجة لزكريا عليه السلام؛ فتربت مع خالتها، بعد أن حرمت من أمها.
قال تعالى: كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا [آل عمران:37] هذه نذيرة الله عز وجل، لا ينبغي أن تلعب مع البنات، ولا أن تأكل وتشرب مع الأولاد. ولا. ولا، فما إن ميزت حتى جعلوها في مقصورة في المسجد -المحراب هو بناية صغيرة لاصقة بالمسجد- لتعبد الله الذي خلقت من أجل عبادته، فهي منذورة لهذا، وكان زكريا عليه السلام يأتيها بالغداء والعشاء، وكلما دخل بطعامه وجد عندها رزقاً، ((قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا)) يعني: من أين هذا؟ كيف جاء لك؟ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ * هُنَالِكَ [آل عمران:37-38] يعني: أفاق زكريا، فما كان يرجو الولد وقد عُمّر حتى تجاوز الثمانين أو المائة، وامرأته عاقر، لم يسأل الله ما هو خلاف سنته، ولكن هنالك دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ [آل عمران:38].
أرأيتم كيف هم الصالحون؟ كلما تتاح الفرصة يغتنمونها، فبعدما أفاق ورأى كيف تطعم مريم وتسقى بدون ما سبب ولا آلة ولا شخص دعا الله عز وجل أن يرزقه الولد، إذاً فالله قد يعطي ما به أسباب بدون أسباب.
قال تعالى: فَنَادَتْهُ الْمَلائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ [آل عمران:39] نادته الملائكة بأصواتها -فهو رسول الله ونبي الله، يسمع الملائكة، ويعرف كلامها- وهو قائم يصلي في المحراب، ليس على المقهى، أو على طاولة اللعب، ونحن نبيت نرقص على التلفاز والآلات الموسيقية.
بيوتنا حُولت إلى مباءات تسمع فيها أصوات العواهر والماجنين، والساقطين، والكفار، والكاذبين، والمجرمين، بل أصبحت صورهم في بيت كثير من الناس، أهذا يرضي الله؟ أيرضي هذا رسول الله؟ أهذا يزكي النفس؟ هل هذا يطيبها ويعدها لولاية الله وكرامته؟! هذا هو واقع العالم الإسلامي إلا من رحم الله.

إذاً: زكريا رسول الله في المحراب يقوم الليل، ورسولنا كان يقوم الليل ويتهجد فَنَادَتْهُ الْمَلائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ [آل عمران:39] يعني: بشرى بعد بشرى بعد بشرى.

وجوب متابعة النبي لتحصيل محبة الله عز وجل

وأذكر لكم تفسير بعض الآيات من سورة آل عمران: أول آية لما اعتذروا قالوا: نحن ما عبدنا عيسى ولا أمه إلا طلباً لحب الله تعالى لنا، يعني كنا نريد فقط من تأليهنا عيسى ووالدته، وحملنا على هذا طلب حب ربنا عز وجل، فأنزل الله تعالى قوله: قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ [آل عمران:31]، يعني: إن كنتم كما تزعمون ما عبدتم عيسى وأمه إلا طلباً لحب الله فأنا أرشدكم إلى ما يكسبكم حب الله عز وجل وهو: إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ [آل عمران:31].
قال العلماء: ليس الشأن أن تُحِب إنما الشأن أن تُحَب، فإذا كنت تحب ليلى وأنت تائه في الصحاري من حبها وهي تبغضك ماذا استفدت؟ لم تستفد إلا الخسران والهلاك، إذاً فاطلب أن يحبك الله، قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ [آل عمران:31].
ومن هنا معاشر المستمعين والمستمعات! من أراد منكم أن يحبه الله في صدق فليشتر حب الله، ولكن بماذا؟ بملء الأرض ذهباً؟ لا، لا يستطيع، يا من يريد أن يحبه الله عز وجل سأدلك على الطريق الموصل إلى ذلك، ألا وهو أن تتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن تمشي وراءه لا عن يمينه ولا عن شماله فضلاً عن أمامه، اعتقد ما يعتقد، وقل ما يقول، واعمل ما يعمل، وأحبب ما يحب، واكره ما يكره وهكذا .
لن تنهي مشيك إلا وقد أحبك الله عز وجل.
يجب متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم في العقيدة والعبادة والآداب والأخلاق، هذه هي مزكيات النفس ومطهراتها، لا تزال تمشي وراء رسول الله، تحب ما يحب، وتفعل ما يفعل، وتترك ما يترك.
فلا تمضي الليالي والأيام إلا وقد زكت نفسك، وطابت، وطهرت، وأصبحت كأنفس الملائكة، ومن ثم يحبك الله؛ فإن الله طيب لا يقبل إلا طيباً.
ومن لم يمش وراء رسول الله، وأراد أن يتفوق عليه أو يساويه ويعمل بغير ما يعمل به رسول الله تصبح نفسه أنتن وأخبث من أنفس الشياطين، وهل هذا يحبه الله؟ مستحيل! هذه هي الحقيقة.
يا طلاب حب الله! الطريق إليه أن تعبدوه بما جاء به رسوله صلى الله عليه وسلم بلا زيادة ولا نقصان، وأن تمشوا وراء نبيكم فهو إمامكم وأمامكم، ولا تزالون في تلك الطاعة حتى يحببكم الله؛ لأنكم طبتم وطهرتم.

أهوال المحشر والمقام المحمود الذي يؤتاه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

ويخبر الحبيب صلى الله عليه وسلم في حديث طويل عن عرصات القيامة وساحات فصل القضاء، والبشرية قد طال وقوفها، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، وإذا بالبشرية تأتي آدم عليه السلام وتقول: يا آدم أنت خلقك الله بيديه ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته فاسأله أن يقضي بيننا، يعني: اطلب منه أن يحكم بيننا، فقد طال وقوفنا على هذه الأرض، فيعتذر آدم.

.
ويذكر خطيئته الواحدة التي لا ثاني لها فيقول: لا أستطيع أن أكلم ربي اليوم، وقد غضب غضباً لم يغضب قبله ولا بعده مثله، كيف أكلمه وقد نهاني عن الأكل من الشجرة فأكلت منها؟ ثم يقول لهم: عليكم بنوح عليه السلام أبو الأنبياء، وهو كذلك أبو البشرية الثاني.
ونوح لبث في قومه تسعمائة وخمسين عاماً يدعوهم إلى الله ليل نهار، وكان يتعرض لعذاب لم تعرفه البشرية من السب والشتم والضرب والركل والبصاق، فيأتون نوحاً ويقولون: أنت كذا، وأنت كذا.
فاسأل ربك أن يقضي بيننا ويفصل بيننا فقد طال وقوفنا، فيعتذر نوح عليه السلام بسبب دعوة دعاها على البشرية عامة وهي قوله: رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا [نوح:26] فقد سئمهم وملهم بعد ألف سنة إلا خمسين عاماً وقال: يا رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً، وما كان من حقه أن يسأل هذا السؤال.
وقد حدث مثل ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، فقد جاءه جبريل عليه السلام بمكة وقال له: إن ملك الجبال قد أمر أن يطيعك فماذا ترى؟ أرأيت لو يطبق عليهم الأخشبين؟ فقال: (لا، أرجو أن يخرج من أصلابهم من يعبد ربي).
فنوح عليه السلام ذكر هذه الدعوة وكأنها ذنب أو خطيئة، وقال: لا أستطيع أن أكلم ربي، ثم قال لهم: عليكم بإبراهيم عليه السلام، فلما جاءوا إبراهيم قال لهم: من؟ أنا؟ أنا كذبت ثلاث كذبات، فكيف أخاطب ربي؟ وقد عاش إبراهيم عليه السلام مائة وعشرين سنة كذب فيها ثلاث كذبات، وأسألكم بالله! كم تكذبون أنتم في اليوم الواحد؟ وكذبات إبراهيم تلك خير من صدقنا نحن، فوالله ما كذب إلا لله! الكذبة الأولى: لما جاءوه وقالوا: فلتخرج معنا لعيدنا، فنظر نظرة في النجوم وقال: إني سقيم! يعني: مريض ما أستطيع أن أخرج معكم، وأراد فقط أن يتخلف في المدينة ليدمر الآلهة الباطلة ويهدمها، فتركوه وخلت البلاد ودخل إلى بهو الآلهة وهي ساحة كبيرة، وكانت الآلهة محلاة بالفضة والذهب، فانهال عليها يحطمها، فحطمها كلها، ثم أخذ الفأس الذي كان بيده وربطه في عنق الإله الأكبر، فلما رجعوا من النزهة يريدون أن يأخذوا الطعام الذي باركته الآلهة؛ إذ يضعون بين أيديها البقلاوة والحلويات والأطعمة تباركها ثم يأخذونها بعد ذلك، وجدوا الآلهة مهشمة محطمة، قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ * قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ * قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى

أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ [الأنبياء:59-61] وجاءوا به وقالوا: أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ * قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنطِقُونَ [الأنبياء:62-63] يشير إلى أصبعه، تورية، ومع هذا اعتبر هذه كذبة، ووالله ما هي بكذبة، ولكن ورّى بأصبعه فبهتوا! كيف تنطق الأحجار؟ ثم قالوا: حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنتُمْ فَاعِلِينَ [الأنبياء:68].

والثالثة هي: أنه لما هاجر من ديار بابل ديار الشرك والكفر بعدما صدر الحكم عليه بالإعدام، وبالفعل رموه في أتون الجحيم، ولكن الله سلم ونجاه من النار، ثم ودع البلاد، وخرج مع زوجته سارة وابن أخيه لوط، واتجه غرباً حتى انتهى إلى مصر، لما وصل إلى مصر في ذلك الزمان كان معه زوجته سارة وابن أخيه لوط، فجاء القوادون -باللغة المغربية- والجرارون بلغة أهل الحجاز.

إلى حاكم تلك البلاد وسلطانها وقالوا: توجد امرأة من أجمل نساء العالم لا تنبغي إلا لك، فهل نأتيك بها؟ قال: إلي بها! فجاءوا وأخذوا سارة ، وإبراهيم هنا وهو نبي الله ورسوله، قال: يا فلانة إن سألوك عن نسبتي إليك: فقولي أخي، فإنه لا يوجد على الأرض إلا أنا وأنت من المؤمنين؛ لأنها لو قالت زوجي قالوا: اقتلوه! أما إذا قالت: أخي، فالأخ لا يقتل، وإنما تتزوج أخته ويكفي.

فاعتبر إبراهيم عليه السلام هذه كذبة.

وقد كانت من أجل أن ينقذ الله امرأته، وهل بلغكم كيف أنقذها الله؟ لما طيبوها وصنعوها وألبسوها وأجلسوها على السرير كان الملك إذا وضع يده عليها يصاب بالشلل الفوري، فيفزع ويتحدث معها ويطالبها وعندما يهم بأن يضع يده عليها يصاب بالشلل.

حدث هذا ثلاث مرات، ثم قال: أخرجوا عني هذه! فكذبات إبراهيم تلك كانت أفضل من صدقنا نحن، والكذبات الثلاث إنما حدثت في مائة وعشرين سنة من حياته عليه السلام، ونحن نستبيح الكذب ونتوصل به إلى أغراض مادية هابطة، والعياذ بالله! إذاً: فاعتذر وقال: عليكم بموسى، فاعتذر موسى وقال: أنا قتلت نفساً.

ووالله ما أراد قتلها، ولكنه قتلها خطأً فقط، فقد جمع يده وضرب القبطي في صدره؛ لينقذ ذلك الإسرائيلي من عذابه، قال تعالى: فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ * قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ [القصص:15-16].

فيوم القيامة يذكر هذه الخطيئة ويقول: لا أستطيع أن أكلم ربي وقد قتلت نفساً، عليكم بعيسى -وهذا هو محل الشاهد- فعيسى لم يذكر ذنباً قط، ولكن قال: عليكم بمحمد صلى الله عليه وسلم، وسبب ذلك هو دعوة حنة : وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ [آل عمران:36].

فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أنا لها. أنا لها. أنا لها؛ إذ عنده وعد من الله عز وجل، قال تعالى: وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا [الإسراء:79]، وهذا هو المقام المحمود الذي حمده عليه أهل الأرض والسماء، عندما يشفع في الفصل بين الخلق، فيقول له عز وجل: ارفع رأسك واسأل تعط، واشفع تشفع.

بعض مكاره الله عز وجل

والآن مع مكاره الله عز وجل.

يا أولياء الله! إليكم هذه المكاره لله، اكرهوها فإن وليكم يكرهها، ومن قال: لا، قطع الصلة بينه وبين ربه، فما هو بولي لله، بل هو عدو له عز وجل.

أولاً: الشرك بالله.

ثانياً: قتل النفس ظلماً.

ثالثاً: الزنا.

هذه كلها يكرهها الله فلتكرهها يا ولي الله! ولنستمع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يُسأل عن أعظم الذنوب فيقول له السائل: يا رسول الله! أي الذنب أعظم؟ فيقول صلى الله عليه وسلم: (أن تجعل لله نداً وهو خلقك)، هذا هو الشرك. أن تجعل لله نداً ضداً تدعوه كما تدعو الله، تخافه كما تخاف من الله، تحبه كما تحب الله، تطيعه كما تطيع الله، تستعيذ به كما تستعيذ بالله، هذا هو الند الضد، فالمشركون هم الذين يدعون مع الله غيره، يذبحون وينذرون لغير الله مع الله، ويستغيثون ويستعيذون، ويركعون ويسجدون، ويذبحون للمخلوقات.

هؤلاء والله هم المشركون وإن صاموا وصلوا، فأنت لله ليس لغيره؛ من أجل أن تذكره وتشكره.

ثم يقول السائل: ثم أي الذنب أعظم؟ فيقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (أن تقتل ولدك خشية أن يأكل معك)، وكانوا يقتلون أطفالهم صغاراً في سنين القحط والجدب حتى لا يزاحمونهم، وكانوا يقتلون -كذلك- البنات خشية العار، ونحن الآن عندنا قتل نظامي وهو الإجهاض، فالذي تحمل امرأته ويجهض الولد ويسقطه -والله- قتل نفساً، وهو ممن يقتلون أولادهم خشية أن يطعموا معهم، اللهم إلا إذا كان لم يبلغ الجنين أربعة أشهر، أي لم يكن قطعة من اللحم وإنما ما زال منياً أو علقة فقط، فإذا كانت المرأة مريضة وقال الأطباء: إنها تهلك إذا حملت، يجوز لها أن تسقط هذه النطفة، أما إذا أصبحت جنيناً فلا يحل إسقاطها أبداً.

فالإجهاض نوع من قتل الأنفس كما كان في الجاهلية.

ثم قال السائل: ثم أي؟ فيجيب الرسول صلى الله عليه وسلم قائلاً: (أن تزني بحليلة جارك)، ولا فرق بين الجار وبين البعيد، فالزنا كبيرة من كبائر الذنوب، والمحصن يقتل بالحجارة، وغير المحصن الذي لم يتزوج بعد يجلد مائة جلدة عند باب المسجد، ويغرب سنة كاملة عن بلاده، وإنما الزنا بحليلة الجار أفظع وأقبح وأسوأ، كيف يأمنك جارك على أهله ثم تخونه وتزني بامرأته أو ابنته؟ ثم قال السائل: (ولو زدته لزادني).

فهذه ثلاث عظائم من عظائم الذنوب المبغوضات، المكروهات إلى الله تعالى، فاحذرها يا عبد الله الطالب لولاية الله عز وجل، وليكن حذرك كما يلي.

أولاً: أن تكرهها وتبغضها، بكره الله تعالى وبغضه لها.

ثانياً: أن لا تفعلها أبداً.

ثالثاً: أن تكره وتبغض بكره الله تعالى وبغضه كل من يفعلها من الناس قريباً كان أو بعيداً، مؤمناً أو كافراً.

والله تعالى أسأل أن يحقق لنا ولايته.

وصل اللهم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

كانت السنة العاشرة من الهجرة كالسنة التاسعة مليئة بالوفود على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومعظمها جاء ليشهر إسلامه، وقد تنوعت هذه الوفود بتنوع قبائل العرب؛ إذ كان منها وفود قبائل غسان، وعامر، والأزد، ومراد، وزبيد، وعبد القيس، وكندة، وصدف، وخولان وغيرها من القبائل.

قدوم وفود عديدة على الرسول صلى الله عليه وسلم

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.
أما بعد: ها نحن في السنة العاشرة -سنة وفاته صلى الله عليه وسلم-.
قال: [قدوم وفود عديدة على الرسول صلى الله عليه وسلم] كما كانت السنة التاسعة كانت كذلك السنة العاشرة كثيرة الوفود، والمراد بالوفود جمع وفد، والوفد: جماعة تفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم لتعلن عن إسلامها وإسلام قومها؛ وذلك لما رأوا أنوار الإسلام تغمر الجزيرة، والناس يدخلون في دين الله أفواجاً، حملهم ذلك بعد توفيق الله إلى أن يفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليعلنوا عن إسلامهم وإسلام قومهم.
قال: [والسنة العاشرة كالتاسعة، كانت سنة وفود أيضاً، وها هي ذي قائمة بأسماء تلك الوفود، وبعض أحوالها:

قدوم وفد بني عامر بن صعصعة

الخامس عشر: قدوم وفد بني عامر بن صعصعة فيهم عامر بن الطفيل و أربد بن قيس و جبار بن سلمى بن مالك بن جعفر ، وكان عامر يريد الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم] نوى أن يقتل الرسول صلى الله عليه وسلم [فقال له قومه: إن الناس قد أسلموا فأسلم] يعني: لم تبقى على هذا الحقد والتغيظ وقد أسلم الناس؟ [فقال: لا أتبع عقب هذا الفتى] أي: لا أمشي وراء محمد [ثم قال لـأربد] زميله [إذا قدمنا عليه، فإني شاغله عنك] يعني: بالكلام والحديث [فاعلُهُ بالسيف من خلفه] وكانت مؤامرة.
[فلما قدموا، جعل عامر يكلم النبي صلى الله عليه وسلم؛ يشغله ليفتك به أربد] نسوا أن الله قال له: وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ [المائدة:67] ولو اجتمع من على الأرض ما قتلوا الرسول صلى الله عليه وسلم؛ لهذا الوعد الإلهي، ولم تكن هذه أول محاولة، ولا الثالثة، ولا الرابعة، ولا الخامسة [فلم يفعل أربد شيئاً] فشل فلم يفعل شيئاً [فقال عامر للنبي صلى الله عليه وسلم: لأملأنها عليك خيلاً ورجالاً] يعني: توعد الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه سيملأ البلاد عليه خيلاً ورجالاً [فلما ولى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اللهم اكفني عامراً)] أي: تولَّ أمره أنت يا ألله، وانتقم منه يا رب، وكانت وقاحة كبيرة منهم، فكيف لوفد أن يهدد الرسول صلى الله عليه وسلم: ولعل عمر لم يكن موجوداً في تلك اللحظة! [فلما خرجوا قال عامر لـأربد : لِم لَم تقتله؟ قال: كلما هممت بقتله دخلت بيني وبينه] لا إله إلا الله! كلما هم ليضرب وإذا صاحبه يحول بينه وبين الرسول صلى الله عليه وسلم، وهي آية من آيات النبوة كالشمس وضحاها [حتى ما أرى غيرك، أفأضربك بالسيف؟!].
قال: [ورجعوا] خائبين مهزومين [فلما كانا ببعض الطريق أرسل الله تعالى على عامر بن الطفيل الطاعون فقتله] مرض خطير [وإنه لفي بيت امرأة سلولية.
فمات وجعل يقول] قبل موته [يا بني عامر أغدّة كغدّة البعير؟] وكان الذي أصابه [وموت في بيت سلولية؟!!] أية هزيمة أعظم من هذه؟ [وأرسل الله على أربد صاعقة فأحرقته] وكفى الله نبيه الرجلين [وكان أربد بن قيس أخاً للبيد بن ربيعة لأمه].

قدوم وفد كندة

[تاسعاً: قدوم وفد كندة: برئاسة الأشعث بن قيس وكانوا ستين راكباً فقال الأشعث : نحن بنو آكل المرار وأنت ابن آكل المرار] الأشعث يقول للرسول: نحن بنو آكل المرار، وأنت أيضاً ابن آكل المرار فأنت واحد منا، ولهذا الأمر قصة لا حاجة إليها [فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (نحن بنو النضر بن كنانة لا نقفوا أمنا، ولا ننتفي من أبينا)] يعني: ونتبع أمنا، ولا ننتفي من أبينا.
[فقال الأشعث: والله لا أسمع رجلاً يقولها إلا ضربته ثمانين] ضربة، وعدل عما قال، وذلك لما نفى الرسول صلى الله عليه وسلم قوله، فكأنه كان يعتز بذلك، فلما نفى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا قال: والله لا أسمع رجلاً يقولاها من رجالنا إلا ضربته ثمانين ضربة.
[ولما دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا قد رجلوا جممهم] جمع جمة، أي: حسنوا شعر رءوسهم وجملوه [وتكحلوا] وضعوا الكحل في أعينهم كالسلاطين [عليهم جبب الحبرة] جمع جبة من الثياب معروفة تصنع في اليمن [وقد كففوها بالحرير، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ألم تسلموا؟) قالوا: بلى] أي أسلمنا [قال: (فما بال هذا الحرير في أعناقكم؟ فشقوه منها وألقوه)] ومعنى هذا أنك إذا ارتكبت خطأ، وجاء من يعلمك أنك مخطئ فعلى الفور يجب أن تمتثل، فلم يقولوا: حتى نصبح، أو حتى نعود إلى بلادنا، ولكن نفذوا في الحال.

قدوم وفد محارب وعبد عبس وصدف والرهاويين وخولان

[عاشراً: وفد محارب.
الحادي عشر: قدوم وفد عبد عبس.
الثاني عشر: قدوم وفد صدف: وافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع.
الثالث عشر: قدوم وفد الرهاويين: وهم بطن من مذحج.
الرابع عشر: قدوم وفد خولان: وكانوا عشرة أشخاص.

قدوم وفد عبد القيس

[ثامناً: قدوم وفد عبد القيس] وفدوا [على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفيهم الجارود بن عمرو ، وكان نصرانياً، فأسلم هو ومن معه، وكان الجارود حسن الكلام] إذا تكلم يجيد الكلام ويحسنه [نهى قومه عن الردة بعد موت الرسول صلى الله عليه وسلم لما ارتدوا مع الغرور المنذر بن النعمان ، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم بعث العلاء بن الحضرمي قبل فتح مكة بعثه إلى المنذر بن ساوى العبدي فأسلم وحسن إسلامه، ثم هلك بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وقبل ردة أهل البحرين، و العلاء يومها أمير على البحرين من قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم] والردة انتشرت بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، ولكن أطفأ نارها أبو بكر الصديق وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخمدت نهائياً إلى يوم القيامة، ولا عجب أن يسلم بعض الناس شهراً أو شهرين أو ثلاثة ولا يستقر فيهم الإيمان والإسلام، فأتيحت لهم الفرصة بعد موت الرسول صلى الله عليه وسلم وأعلنوا ردتهم، ولكن أطفأ نارهم بإذن الله أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

إرسال فروة بن عمرو الجذامي رسولاً إلى رسول الله

[سادساً: إرسال فروة بن عمرو الجذامي] إرساله [رسولاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمه بإسلامه، وبعث معه بغلة بيضاء أهداها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان فروة] هذا [عاملاً للروم على من يليهم من العرب] الروم كانوا نصارى، وحولهم عرب فكانوا يولون عليهم عرباً، وكان هذا والياً على قومه.
[وكان منزله بمُعان في أرض الشام، ولما بلغ الروم إسلامه، طلبوه] قالوا له: تعال [فأسروه] أخذوه أسيراً [وحبسوه] سجنوه [ليقتلوه، فلما اجتمعت الروم لصلبه على ماء لهم يقال له: عفرى بفلسطين قال] أنشد شعراً يودعهم: [ألا هل أتى سلمى بأن خليلها على ماء عفرى فوق إحدى الرواحل على ناقة لم يلقح الفحل أمها مشذبة أطرافها بالمناجل فلما قدموه ليصلبوه قال: بلغ سراة المسلمين بأنني سلمٌ لربي أعظمي ومقامي ثم ضربوا عنقه وصلبوه، فمات شهيداً من أجل إسلامه لله وجهه وقلبه] فرضي الله عنه وأرضاه.

قدوم وفد زبيد

[سابعاً: قدوم وفد زبيد على رسول الله صلى الله عليه وسلم برئاسة عمرو بن معد يكرب وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد استعمل على زبيد ومراد فروة بن مسيك في هذه السنة، وذلك قبل قدوم عمرو عليه، فلما عاد عمرو من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بلاده أقام في بني زبيد، فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتد عمرو ، وقال حين ارتد] والعياذ بالله.
[وجدنا ملك فروة شر ملك حماراً ساف منخره بثفر وكنت إذا رأيت أبا عمير ترى الحولاء من خبث وغدر] سب، وشتم، وشفى صدره.

قدوم وفد مراد

[خامساً: وفد مراد: مع فروة بن مسيك المرادي] وفدوا [على رسول الله صلى الله عليه وسلم مفارقاً لملوك كندة] هذا فروة [وقد كان قبيل الإسلام بين مراد وهمدان وقعة] حرب [ظفرت فيها همدان وأكثروا القتل في مراد، وكان يقال لذلك اليوم: يوم الرزم] وهو موضع وقعت فيه المحنة [وكان رئيس همدان الأجدع بن مالك ، وفي ذلك يقول فروة] شعراً: [فإن نغلب فغلابون قدما وإن نهزم فغير مهزّمينا وما إن طبنا جبن ولكن منايانا ودولة آخرينا كذاك الدهر دولته سجال تكر صروفه حيناً فحيناً فبينا ما يسر به ويرضى ولو لبست غضارته سنينا إذا انقلبت به كرَّات دهر فألفى للأولى غبطوا طحيناً ومن يغبط بريب الدهر منهم يجد ريب الزمان له خئونا فلو خلد الملوك إذاً خلدنا ولو بقي الكرام إذاً بقينا فأفنى ذلكم سروات قومي كما أفنى القرون الأولينا] كلام عال لا نفهمه، يحتاج إلى بيان وشرح.
قال: [ولما توجه فروة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لما رأيت ملوك كندة أعرضت كالرجل خان الرجل عرق نسائها] وعرق النساء معروف.
[قربت راحلتي أؤم محمداً أرجو فواضلها وحسن ثرائها فلما وصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سأله قائلاً: (هل ساءك ما أصاب قومك يوم الرزم؟ قال: يا رسول الله! من ذا يصيب قومه مثل ما أصاب قومي يوم الرذم ولا يسوءه ذلك؟)] يعني: من هو هذا الذي لا

يستاء لمحنة كتلك [فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم له: (أما إن ذلك لا يزيد قومك في الإسلام إلا خيراً)] يعني: الذي أصابهم من الهزيمة [واستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على مراد وزُبيد ومذحج كلها] أمره على ثلاث مناطق [وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص على الصدقة] ليجبي الزكاة [فكان معه في بلاده حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم].

قدوم وفد سَلامان

أولاً: وفد سَلامان: في شوال، وكانوا ستة عشر شخصاً، وعلى رأسهم حبيب السلاماني ، فأسلموا وشكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم جدب بلادهم وقحطها] أي: ذكروا له أن ديارهم في قحط وجدب يريدون أن يسأل الله تعالى لهم أن يسقيهم ويخفف عنهم آلامهم.
لكن إياك أن تقول: إذاً يجوز لنا أن نشكو الآن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأن بديارنا قحط أو جدب أو فتنة، وهذا بالإجماع لا يصح، ولا يجوز، ولا يقبل؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أصبح في الملكوت الأعلى عند ربه، في جوار مولاه، وانقطع وقت العبادة، والدعاء عبادة، والرسول صلى الله عليه وسلم كان سيد العابدين وأقواهم وأقدرهم، فإذا دعا لا يرد دعاؤه، أما بعد وفاته ولحاقه بالرفيق الأعلى فلم يسأله أحد من أصحابه، ولا من أبنائهم، ولا من أبناء أبنائهم في تلك العصور الذهبية، حتى اختلط أمر المسلمين، وعم الجهل، ومكر بهم العدو، وسلبهم أنوارهم، فأصبحوا يتخبطون ويسألون الأموات.
[فدعا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم أمر لهم بجوائز] لا ندري ما نوعها ولا ماهيتها، ولكن حسبنا أنها جائزة أجازهم بها رسول الله [فأخذوها وودعوا الحبيب صلى الله عليه وسلم ورجعوا إلى بلادهم] وصلوها وبعد أيام [فوجدوها قد أمطرت في نفس الوقت الذي دعا لهم فيه] رسول الله صلى الله عليه وسلم [وفي نفس الساعة بالضبط] التي دعا لهم فيها، وهذه آيات النبوة وعلاماتها [فكانت آية نبوته صلى الله عليه وسلم.

قدوم وفد غسان وعامر والأزد

ثانياً: وفد غسان: في رمضان من هذه السنة] السنة العاشرة.
[ثالثاً: ووفد عامر: في شهر رمضان منها أيضاً.
رابعاً: وفد الأزد: وكان يتألف من بضعة عشر رجلاً، على رأسهم صرد بن عبد الله ، فأسلموا وأمّر النبي صلى الله عليه وسلم صرداً على من أسلم من قومه] ومعنى أمره أي: جعله أميراً؛ لأن الفوضى مهلكة، فلا بد من إمارة وأمير تجتمع تحته الكلمة وتتحد القوى، وتعمل الأمة في صلاحها وهدايتها، بل أوسع من هذا، فقد أرشدنا النبي صلى الله عليه وسلم أنه إذا كنا ثلاثة في سفر فينبغي أن نؤمّر أحدنا علينا، سواء كنا في سيارة، أو في طائرة، أو في باخرة، أو على أرجلنا.
فلا بد من إمارة نخضع لها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، فلا فوضى في الإسلام قط.
[وأمره أن يجاهد المشركين بمن معه من المسلمين] ليدخلوهم في رحمة الله وينجوهم ويخلصوهم من عذاب الآخرة [فسار صرد الأمير إلى مدينة جرش، وفيها قبائل من اليمن فيهم خثعم] من بينهم خثعم [فحاصرهم قريباً من شهر] أحاطوهم وانتظروا فدايتهم [فامتنعوا منه، فرجع حتى كان بجبل يقال له: كشر، فظن أهل جرش أنه منهزم، فخرجوا في طلبه فأدركوه، فعطف عليهم فقاتلهم قتالاً شديداً، وقد كان أهل جرش قد بعثوا رجلين منهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظران حاله] هل هو منتصر أم ماذا؟ [فبينما هما عنده إذ قال: (بأي بلاد الله كشر؟)] هذا الرسول صلى الله عليه وسلم يحدثهم [(وإن بدن الله لتنحر عنده الآن)] وهذا من الغيب [فقال لهما أبو بكر أو عثمان] وكان في حضرة الحبيب صلى الله عليه وسلم [ويحكما! إنه ينعى لكما قومكما، فسألاه أن يدعو الله يرفع عنهم، ففعل فقال: (اللهم ارفع عنهم) فخرجا من عنده إلى قومهما، فوجداهم قد أصيبوا ذلك اليوم في تلك الساعة التي ذكر فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم حالهم، وخرج وفد جرش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلموا] دعوة استجابها الله عز وجل، وهي آية نبوته صلى الله عليه وسلم.

نتائج وعبر من قدوم وفود عديدة على النبي صلى الله عليه وسلم

قال: [نتائج وعبر] نستنبطها ونستنجها من هذه الأحداث القليلة.
[إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبراً نجملها كالآتي: أولاً: من آيات النبوة المحمدية استجابة دعائه صلى الله عليه وسلم في موطنين مرتين.
ثانياً: حرمة لبس الحرير على الرجال ووجوب سرعة الامتثال لأمر الله ورسوله] الوفد الذي كان قد اكتحل ولبس الحرير لم يأذن له الرسول صلى الله عليه وسلم في لبس الحرير وأمره بخلعه فخلعوه.
[ثالثاً: آية النبوة المحمدية في نزول الصاعقة بـأربد] عليه لعائن الله [والطاعون بـابن الطفيل لعنة الله عليه].

في السنة العاشرة من الهجرة أرسل النبي صلى الله عليه وسلم علياً رضي الله تعالى عنه إلى اليمن، فوصل إلى همدان وقرأ عليهم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمت همدان، وأسلمت قبائل اليمن، قبيلة بعد أخرى، فسر رسول الله وأرسل إلى قبائل اليمن من يجبي منهم الصدقات، كما أرسل كذلك إلى أنحاء الدولة الإسلامية ولعل أهم أحداث السنة العاشرة هو حجة الوداع؛ إذ لم يعش بعدها النبي صلى الله عليه وسلم إلا بضعة شهور، وتوفاه الله عز وجل.

إرسال النبي صلى الله عليه وسلم علياً إلى اليمن وإسلام همدان

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.
أما بعد: ها نحن مع أحداث السنة العاشرة من الهجرة النبوية الشريفة .
قال المؤلف غفر الله له ولكم ورحمه وإياكم وسائر المؤمنين [ورابع أحداثها] أي أحداث السنة العاشرة من هجرة الحبيب صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة.
[إرسال النبي صلى الله عليه وسلم علياً] يعني علي بن أبي طالب بن عبد المطلب ابن عم رسول الله وصهره [إلى اليمن، وإسلام همدان] [وفي هذه السنة العاشرة من هجرة الحبيب صلى الله عليه وسلم، بعث النبي صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب إلى اليمن] واليمن من جنوب مكة إلى المحيط [وقد كان أرسل فيها خالد بن الوليد] في هذه السنة أيضاً أرسل خالد بن الوليد [إليهم يدعوهم إلى الإسلام فلم يجيبوه، فأرسل علياً وأمره أن يقفل خالداً] أي: يرجع خالد [أو من شاء من أصحابه ففعل] علي رضي الله عنه [وقرأ علي كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على أهل اليمن، فأسلمت همدان كلها في يوم واحد] أسلمت القبيلة كلها في يوم واحد، فهناك فرق بين خالد سيف الله في أرضه وبين علي .
قال: [فكتب بذلك] أي علي [إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم] بأن همدان أسلمت كلها في يوم واحد [فقال] أي النبي صلى الله عليه وسلم [(السلام على همدان)] ثلاث مرات، ففازوا بها، وهذا شأن من يقبل على الخير ولا يتردد، فازوا بالسلام عليهم من فم رسول الله صلى الله عليه وسلم.
[ثم تتابع أهل اليمن على الإسلام] أصبحوا يدخلون قبائل قبائل في الإسلام [وكتب بذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسجد شكراً لله تعالى] لما جاء كتاب علي يبشره بأن القبائل اليمنية تدخل قبيلة بعد أخرى في الإسلام خر لله ساجداً شكراً له، وهذا السجود يسمى سجود الشكر، فإذا بُشرت بخير لك أو لأحد إخوانك اسجد لله، ولو على غير وضوء.

نتائج وعبر من إرسال علي إلى اليمن وإسلام همدان

قال: [نتائج وعبر] لهذه المقطوعة الوجيزة البسيطة.
[إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبراً هي الآتية: أولاً: فضيلة همدان؛ إذ أسلموا في يوم واحد، وسلم عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثاً.
ثانياً: مشروعية سجود الشكر عند حصول النعمة] إذا كانت امرأتك حبلى وجاء من يبشرك بأنها قد وضعت ولداً قل: الله أكبر! واسجد، ولو بدون وضوء، فليس السجود كالصلاة، وكذلك ليس فيه سلام، أو جاء من يبشرك بأن ولدك نجح في الابتدائي، مباشرة اسجد، وكلما بُشرت بخير اشكر الله تعالى بهذا السجود، وقد سجد نبي الله داود شكراً لله تعالى، قال عز وجل: وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ [ص:24].
إذاً: هذه سنة نبينا صلى الله عليه وسلم إذا بشر بخير سجد لله شكراً.
[ثالثاً: فضيلة علي بن أبي طالب إذ هدى الله على يديه ما لم يهد على يد خالد رضي الله عنهما معاً] لما كان علي في خيبر أعطاه رسول الله الراية، وقال له: (لأن يهدي الله على يدك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم) فالآن هدى الله على يديه آلاف، فهنيئاً له.

بعث النبي صلى الله عليه وسلم أمراء على الصدقات

قال: [وخامس أحداثها] وخامس أحداث السنة العاشرة من هجرة الحبيب صلى الله عليه وسلم.
[بعث النبي صلى الله عليه وسلم أمراء] جمع أمير [على الصدقات] أي الزكوات يجلبونها من البلاد التي دخلت في رحمة الله، وأسلمت قلوبها ووجوهها لله.
[إن شأن الزكاة في الدولة الإسلامية عظيم] ونحن من إندونيسيا إلى موريتانيا ما جبت الزكاة دولة قط من دولنا التي تزيد على أربعين دولة، باستثناء دولة الحرمين، وبلغوهم هذا، قولوا لهم: لم لا تجبون الزكاة؟ ألا تريدون أن تدخلوا في الإسلام؟! تجد البلاد تستقل، وتقوم فيها دولة وطنية من رجالها، ثم يعرضون عن أركان الدولة الإسلامية، لقد أصبحنا نتوقع أن حكام المسلمين ومسئوليهم سحرهم اليهود، وقد بلغتنا أخبار من هذه؛ فاليهود هذه مهمتهم، ونحن نجالسهم في الأمم المتحدة، وفي مجلس الأمن، وكأس من الشاي فقط يعمل فيه

السحر، وإلا كيف يستقل الإقليم عن فرنسا أو إيطاليا أو إسبانيا ثم يعرض عن أركان الدولة الإسلامية، وهو يقرؤها ويسمع بها طوال حياته؟!! أليس هذا مسحوراً؟! أما كلمة الخوف فلا خوف، يكذب من يقول: إنه خوف من الدولة الاستعمارية، فالدولة الاستعمارية تفرح لو حصل هذا!! والله يقول: الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ [الحج:41] كيف لا نطيعه في هذا إذا كنا نريد أن نفوز ونسود؟ ومن ثم دويلاتنا في هم، وكرب، وذل، وخزي، وعار إلى أن نتوب، وسنن الله لا تتبدل، فالسم يقتل، ومن احتساه مات! كان المفروض أن تجعل الصلاة ومن يوم الاستقلال إجبارية، في الجيش، وفي الشرطة، وفي كل المواطن، والذي يرفضها يقتل، ونكون بذلك قد طهرنا قلوب الناس، ووجهناهم إلى الله عز وجل.
ثانياً: الزكاة تلزم إلزاماً، ولكنهم عوضوا عنها بالضرائب الفادحة، ومن عجيب ما تسمعون أن فرنسا أيام استعمارها لنا في الديار المغربية والجزائرية، كانت تكتب على ورقة الضريبة: (الزكاة)؛ حتى تطمئن قلوب المؤمنين لها، وأنها فريضة كالزكاة فلا يكربوا ولا يحزنوا، ولما حكمنا نحن واستقللنا عنها -والله- ما كتبنا تلك الكلمة؛ حتى لا نذكّر الناس بالزكاة، وكأننا نقول: مت أيها الإسلام، فلا تذكر!! لم لا تجبى الزكاة؟ أليست قاعدة من قواعد الإسلام؟ ثم بدل الضرائب قل: الزكاة .
! قال: [فهي -من جهة- حد فاصل بين الكفر والإيمان] من لم يؤتِ الزكاة جاحداً لها فهو كافر، ومن لم يؤتها وهو مؤمن بها يقاتل حتى يدفعها أو يقتل [ومن جهة أخرى: فإن مصالح الدولة والأمة قائمة على المال، والزكاة هي المورد الثابت لذلك، فمن هنا: كان النبي صلى الله عليه وسلم يختار الأكفاء] أهل القدرة والكفاية [لهذه المهمة.
وها هي ذي قائمة بأسماء المصدقين -أي: جباة الزكاة وجامعيها- وسميت الزكاة صدقة؛ لأنها تدل على صدق إيمان مؤديها] والذي لا يؤديها ليس بمؤمن، لم يصدق الله ولا كتابه ولا رسوله.
[أولاً: المهاجر بن أمية بن المغيرة بعثه إلى صنعاء فخرج عليه العنسي] الذي ادعى النبوة [وهو بها.
ثانياً: زياد بن لبيد الأنصاري بعثه إلى حضرموت.
ثالثاً: عدي بن حاتم الطائي، بعثه إلى طيء وأسد.
رابعاً: مالك بن نويرة بعثه إلى بني حنظلة.
خامساً: الزبرقان بن بدر و قيس بن عاصم بعثهما إلى بني سعد بن زيد مناة بن تميم.
سادساً: قيس بن عاصم .
سابعاً: العلاء بن الحضرمي بعثه إلى البحرين.
ثامناً: علي بن أبي طالب بعثه إلى نجران؛ ليجمع الزكاة والجزية من نصارى نجران، واستخلف رضي الله عنه على الجيش الذي كان معه] أي: مع علي [رجلاً من أصحابه، وسبقهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم بمكة حاجاً حجة الوداع] علي لما كان في نجران يجبي الزكاة والجزية التي على نصارى نجران، وكَّل من ينوب عنه في الجيش والعمل، وأتى مكة ليدرك الحج مع النبي صلى الله عليه وسلم.
قال: [فعمد الرجل المستخلف إلى الجيش فكساهم كل رجل حلة من البز] أي: ثوب من الكتان [الذي مع علي، فلما دنا الجيش من مكة خرج علي ليتلقاهم، فرأى عليهم الحلل فنزعها عنهم، فشكا الجيش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم] قالوا: نائب الإمام كساها، وهذا نزعها [فقام النبي صلى الله عليه وسلم خطيباً] لأنها قضية ذات شأن [فقال: (أيها الناس! لا تشكوا إليّ علياً ، فوالله إنه لأخشن في ذات الله أو في سبيل الله من أن يُشكى)] فأسكتهم.

نتائج وعبر من بعث النبي صلى الله عليه وسلم أمراء على الصدقات

قال: [نتائج وعبر: إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبراً نوجزها كالآتي: أولاً: أهمية الزكاة وجبايتها والتأمير عليها في الإسلام ودولتها الرشيدة] أخذنا هذا من بعثه صلى الله عليه وسلم علياً وغيره لجباية الزكاة.
[ثانياً: مشروعية أخذ الجزية على أهل الكتاب]؛ لأن علياً أخذ الجزية من نصارى نجران بأمر النبي صلى الله عليه وسلم، ولأن المعاهدة تمت على هذا قبل أقل من سنة.
[ثالثاً : مشروعية المبادرة إلى تغيير المنكر، إذ نزع علي ما كان قد كساه خليفته أفراد الجيش بدون إذن الأمير.
رابعاً: فضل علي رضي الله عنه إذ أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه أخشن في ذات الله أو سبيله من أن يشكى وتُقبل الشكوى فيه].

حجة الوداع والبلاغ

قال: [وسادس أحداثها: [حجة الوداع والبلاغ] هيا نودع رسول الله صلى الله عليه وسلم.
[هذا الحدث] أي: حجة الوداع والبلاغ [ذو أهمية كبرى؛ لما بين الحبيب صلى الله عليه وسلم في حجته هذه من شرائع وأحكام وآداب، وسميت حجة الوداع؛ لأن قوله صلى الله عليه وسلم فيها: (لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا)] إشعار بنهاية الحياة [كان مشعراً بالوداع] فسميت حجة الوداع [وكذلك كان، إذ لم يعش بعدها صلى الله عليه وسلم إلا بضعة شهور وتوفاه الله عز وجل، وتسمى أيضاً حجة البلاغ] إذ بلغ فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله أن يبلغ من أحكام هذه الملة وشرائعها [لأن الرسول صلى الله عليه وسلم بلغ الكثير من الأحكام: إنه لما دخل شهر ذي القَعدة] القِعدة والقَعدة كالحِجة والحَجة لغتان [أخذ الرسول صلى الله عليه وسلم يتجهز] يعد الجهاز [وأمر الناس بالجهاز كذلك، معلناً لهم أنه يريد الحج، ولما بقي خمس ليال من شهر ذي القعدة] يوم خمسة وعشرين أو أربعة وعشرين

[استعمل صلى الله عليه وسلم على المدينة أبا دجانة أو سباع بن عرفطة الغفاري] واحد منهما والياً أو حاكماً يخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة.
إنه أستاذ الحكمة صلى الله عليه وسلم، فكيف يترك المدينة فوضى بلا والي، فاستخلف أحد هذين الرجلين الكريمين على المدينة المنورة.
قال: [وخرج] أي: من المدينة [وخرج المسلمون معه وهو لا يريد إلا الحج، فلما كان بوادي العقيق على سبعة أميال من المدينة نزل عليه جبريل -عليه السلام- بالسلام من رب العالمين فقال له: إن ربك يقرؤك السلام ويقول لك: إنك بالوادي المبارك، فصلّ فيه، وقل: عمرة في حجة] علمه كيف يحرم، وأن يدخل العمرة على حجه، بعد أن كان قد خرج لا يريد إلا الحج فقط، ثم جاءه أمر الله من فوق سبع سماوات أن يضيف إلى حجه عمرة، فيصبح قارناً، أي: جامعاً بين حج وعمرة.
قال: [وخير أصحابه بين الإفراد والتمتع والقران] وأصحابه كانوا حوالي مائة ألف، فخيرهم من شاء أن يفرد الحج فليفرد، ومن شاء أن يقرن فليقرن، ومن شاء أن يتمتع بعمرة فليتمتع [فمنهم من أهلّ بحج، ومنهم من أهلّ بعمرة، ومنهم من أهلّ بحج وعمرة، وساروا حتى إذا بلغوا (سَرِف)] قريباً من مكة [حيث جاءت عائشة رضي الله عنها العادة الشهرية] حاضت [فبكت وطمأنها الحبيب صلى الله عليه وسلم بقوله: (هذا شيء كتبه الله على بنات آدم، فافعلي يا عائشة كل ما يفعله الحاج إلا أنك لا تطوفين بالبيت حتى تطهري)] فإذا طهرت اغتسلت وطافت، وهذا لعائشة ولكل مؤمنة إلى يوم القيامة، فإذا حاضت المؤمنة بعدما أحرمت فإنها تبقى على ذلك، وتفعل كل ما يفعله الحاج من الوقوف بعرفة والرمي وغير ذلك .
حتى إذا طهرت طافت بالبيت.
قال: [ثم أمر من لم يسق الهدي أن يجعل حجه عمرة تخفيفاً عليهم] أمر من لم يسق الهدي أن يجعل حجه عمرة تخفيفاً عليهم [ورحمة بهم وبمن يأتي بعدهم] لأنهم كانوا لا يرون العمرة في أشهر الحج، بل يعدونها من أعظم الذنوب، وهذا في الجاهلية، حتى إذا انتهى الحج وأقبل شهر صفر صحت العمرة لمن اعتمر، فرحمة بهذه الأمة قال النبي صلى الله عليه وسلم للذين أفردوا، ولم يكن معهم هدي: تحللوا بعمرة؛ طوفوا واسعوا وقصروا.
فأيما مؤمن الآن يأتي محرماً بالإفراد ولم يسق معه الهدي ودخل مكة، له أن يقلبها إلى عمرة فيطوف ويسعى ويتحلل ولا حرج، بدلاً من أن يجلس محرماً كذا يوم، فقبل أن يطوف ينوي العمرة ثم يطوف ويسعى ويقصر ويتحلل، ويبقى في مكة حتى يأتي يوم التروية للحج.
قال: [ولما دخل مكة طاف بالبيت وسعى] صلى الله عليه وسلم [ولم يتحلل لسوقه الهدي] إذ جاء من المدينة بأربعين بعيراً، وجاء علي بستين، فكانت مائة هدي [وبقي بعض أصحابه مفردين] ما تحللوا [-وليس معهم هدي- فلم يتحللوا فأمرهم بالتحلل، وقال مرغباً لهم: (لو استقبلت من أمري ما استدبرت لما سقت الهدي، ولجعلتها عمرة)] فخفف عنهم.
ومعنى: (لو استقبلت من أمري) أي: لو عشت إلى عام آخر، لما أتيت ومعي الهدي، ولحللت وجعلتها عمرة بدل الحج بالإفراد.
[فحلّوا من إحرامهم] حولوا الإحرام إلى عمرة [وسألوه: (هل هذا لعامنا هذا خاصة -أي: التحلل بالعمرة- فقال: لا، بل لأبد الأبد)] ولو كان لهم فقط لما صح لأحد أن يتحلل، فأيما مؤمن يأتي مفرداً، ويبدو له أن يحوّل الحج إلى عمرة صح له ذلك، فيطوف ويسعى ويقصر، وعليه الهدي كما هو معلوم.
[أي: يجوز لأي مسلم يأتي مفرداً بالحج وليس معه هدي أن يفسخ الحج إلى عمرة] ومن هذا اللفظ أخذ الظاهرية ومن سلك مسلكهم بحرمة الإفراد، وأنه لا يصح، وهذا فهم باطل، فكل ذي علم وذوق لا يفهم من هذا العمل هذا الكلام الذي فهمه الظاهرية.
[ومكثوا بمكة محلّين] أي: متحللين [حتى يوم التروية، فأحرموا بالحج وخرجوا إلى منى وباتوا بها، وبعد صلاة الصبح من يوم عرفة (تاسع الحجة) خرجوا إلى عرفة، وعلّم أثناء ذلك الناس مناسكهم وسنن حجهم، وخطب خطبة بعرفة لم يُسمع مثلها في طولها، ولما اشتملت عليها من الشرائع والهدى، وهذه جل فقراتها، فلتقرأ وليُوقف عند كل جملة منها؛ فإنها كواكب هدى تضيء للمسلم الدجى].
وإلى درس آخر إن شاء الله مع خطبة الحبيب صلى الله عليه وسلم في عرفات.

تحقيق ولاية الله عز وجل

أقول: يا أولياء الله! ولا تخافوا من هذه الكلمة، فقد كتب علماؤنا أيام الهبوط، أن من قال: أنا ولي، يخشى عليه أن يموت على سوء الخاتمة!! وعليه فلا تقل: أنا ولي الله! إذاً ماذا أقول:؟ عدو الله يعني .
!! والسر في هذا أيها الزوار الكرام! لماذا قنن هذا القانون وقالوا للمسلمين: لا تقولوا: نحن أولياء الله؟! ومن قال: أنا ولي الله يخشى عليه أن يموت على سوء الخاتمة، لماذا؟ الجواب: أراد الثالوث الأسود: المجوس واليهود والنصارى أن يحرموا أمة الإسلام من ولاية الرحمن، فحصروا الولاية في الأموات، فلا ولي في المدينة ولا في القرية إلا من مات، وبني على قبره قبة بيضاء أو خضراء، ووضع على قبره تابوت من خشب، عليه ستائر من حرير، توقد عليه الشموع ليلتي الإثنين والجمعة، وكان عنده بابه بواب أو حارس يأخذ الزيارات.
!! فحصروا الولاية في الأموات من أجل أن يستبيح المسلمون فروج نسائهم، وقتل أرواحهم، وأخذ أموالهم، وشتم وسب رجالهم ونسائهم؛ لأنهم ليسوا بأولياء لله، أما ولي الله فلا يستطيع أحد أن يسبه أو يشتمه، أو يلوك لسانه بكلمة ضده، فضلاً عن أن يفجر بامرأته أو بنته، مستحيل، فهذا ولي الله! إذاً: حصروا الولاية في الموتى، والأحياء كلهم ليسو بأولياء لله، والدليل انتشار الزنا والفجور والكذب والسرقة والسب .
.

كل هذا منتشر، ولو عرفوا أنهم أولياء لله ما آذى بعضهم بعضاً، وإلى الآن لم يفق الناس، ولم يعرفوا هذا، ونحن نكرر هذا القول منذ أربعين سنة، ولم ينتبه الناس بعد!! فلا يحل لمؤمن أن يسب مؤمناً، أو يشتمه أو يمسه بيده، أو بعوده، فضلاً عن أن يقطع رأسه، ولا يحل لمؤمن أن يفجر بامرأة مؤمن أو ابنته، ولا يحل لمؤمن أن يأخذ مال أخيه، كيف يجوز هذا وهو ولي الله؟ فلما سلبونا الولاية عملنا الذي عملناه.

يا أولياء الله! بم تتحقق ولايتكم لله؟ بشيئين: أن تؤمنوا بالله حق الإيمان، وأن تتقوا الله، فلا تفسقوا عن أمره ولا تخرجوا عن طاعته، وبذلك تكونون أولياء لله، واحفظوا آيتي سورة يونس: أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ [يونس:62] من هم؟ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا [يونس:63-64]، وهي: الرؤيا الصالحة.

إذاً: ولاية الله تحقق بالإيمان والتقوى، والتقوى تتحقق بحب ما يحب الله وفعله، وبترك ما يكره الله وكرهه.

من مكاره الله تعالى ومساخطه

والآن مع المحاب والمكاره لله عز وجل، والليلة مع بعض المكاره .

قال: [الإلحاد في الحرم].

إن الميل والظلم، والفسق، والفجور في الحرم من كبائر الذنوب، والله عز وجل يبغضه ويسخط عليه، فلنتحاش أن نميل عن الحق في مكة أو المدينة، لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (أبغض الناس إلى الله ثلاثة) من هؤلاء؟ قال: (ملحد في الحرم) هذا واحد.

والثاني: (مبتغ في الإسلام سنة الجاهلية)، يعني: يطلب سنن الجاهلية وعاداتها في الإسلام، وأكثر الأعراف عند المسلمين اليوم من أعراف الجاهلية، جعلوها شريعة يعملون بها.

قال: (ومطلب دم امرئ بغير حق ليريق دمه) يدعي على آخر بأنه قتل ابنه أو أخاه؛ لينال دمه بدون حق.

إذاً: فاحذر يا طالب ولاية الرب تبارك وتعالى أن تبغّض نفسك إلى ربك، فتصبح من أبغض الناس إلى الله تعالى، واحذر من هذه الثلاث:

الأولى: الإلحاد في الحرم المكي، وهو الميل عن الحق إلى الباطل؛ وذلك بترك شيء من عبادة الله، أو الشرك فيه، أو ظلم الناس بارتكاب معصية الله تعالى، أو ظلم إنسان أو حيوان بأذيته بأي نوع من الأذى.

الثانية: عملك في الإسلام -وأنت مسلم- بسنن الجاهلية؛ وذلك كالنياحة على الميت، أو التحاكم إلى الأعراف والعادات الجاهلية، وعدم التحاكم إلى شريعة الله التي حواها كتابه.

الثالثة: مطالبتك بدم باطل ليس بحق، لتريق دماً ظلماً وعدواناً.

فاذكر هذا يا طالب ولاية الله ولا تفوته؛ لتوافق ربك تعالى في مكارهه ومحابه، فتتم لك ولايته وتصبح حقاً ولياً من أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، في الحيوات الثلاث: في الدنيا والبرزخ والدار الآخرة.

حقق الله تعالى ذلك لي ولك آمين.

وصل اللهم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

في حجة الوداع خطب النبي صلى الله عليه وسلم في الحجاج خطبة الوداع، والتي اشتملت على كثير من الأحكام والوصايا المتعلقة بالجوانب المالية كتحريم الربا والجنائية والأسرية والمجتمعية وغيرها، ثم أكمل المناسك، وتعلم منه المسلمون.

خطبة الوداع

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.
أما بعد: فقد انتهى بنا الدرس إلى الخطبة النبوية في حجة الوداع، تلكم الخطبة التي خطب النبي فيها المسلمين وواجههم بكل متطلبات حياتهم، فهيا نصغي إلى ذلكم الخطاب النبوي الكريم، والله نسأل أن ينفعنا به، وأن نتزود بما نسمع لنجتاز هذه العقبة من حياتنا، حتى نلقى الله تعالى وهو عنا راض.
قال صلى الله عليه وسلم: [(أيها الناس!)] فخاطبهم بلفظ يشمل أبيضهم وأسودهم، شريفهم ووضيعهم، فهو يتناول كل الناس، ولكن بصورة خاصة أهل ذلك الموقف [(اسمعوا قولي)] أي: الذي أقول لكم [(فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبداً)] ومن هنا سميت حجة الوداع، فكان بهذا يودعهم.
[(أيها الناس! إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا، وكحرمة شهركم هذا)] فدماؤنا حرام علينا، لماذا نريقها، ونكسر عظام بعضنا بعضاً، ونمزق لحومنا؟! قال: (إن دماءكم) ولو كانت قطرة، وقد علمنا أن المرء يجتاز الصراط، ويقف عند باب الجنة، وقبل الدخول يشار إليه أن ارجع، من أجل ملء كفه دماً أراقه ظلماً وعدواناً.
(وأموالكم) لِم السرقات، لم التلصص، لم الخيانة، لم الكذب، لم نسلب أموال بعضنا البعض، بأساليب الله منها بريء؟! (وأعراضكم) أعراضكم أيها المسلمون محرمة عليكم، لا تنهش باللسان، ولا بالسب والتحريش، ولا بوقوع الفاحشة، فهي حرام عليكم، وعلى غيركم من باب أولى، لأنكم أولياء لله، وأولياء الله لا يُقتلون، ولا يضربون، ولا يسبون، ولا يشتمون، ولا تنتهك أعراضهم، ولا تسلب أموالهم، من يقوى على أن يؤذي ولياً من أولياء الله؟ والله يقول: (من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب) أي: أعلنت الحرب بيني وبينه.
فالذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات في أموالهم وأعراضهم وأبدانهم، هؤلاء ما علموا أن حرباً بينهم وبين الله دائرة، وسينهزمون ويهلكون.
(إلى أن تلقوا ربكم) يعني: ليس هناك زمن يحل فيه هذه المحرمات أبداً.
(كحرمة يومكم هذا) وهو يوم الحج الأكبر، يوم عرفة (وشهركم هذا) شهر ذو الحجة أحد الأشهر الحرم.
[(وإنكم ستلقون ربكم)] وجهاً لوجه [(فيسألكم عن أعمالكم)] خيرها وشرها، حقها وباطلها، وهذا السؤال يترتب عليه الجزاء بحسبه [(وقد بلغت)] إي والله لقد بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقوف النبي بعرفة ونفرته إلى مزدلفة بعد الغروب

قال: [وإنه صلى الله عليه وسلم، بعد أن زالت الشمس عن كبد السماء وصلى بالناس] أي: دخل وقت الظهر [وخطبهم أتى جبل عرفة فوقف في سفحه] أي: في أسفله [وقال: (وقفت هنا وعرفة كلها موقف)] فشرع للناس الوقوف أين يكون، يعني: ارتفع من بطن نمرة - وادي نمرة- وادخل عرفة، وقف حيث شئت، ووقوفك في مكان الرسول أفضل.
[ولما غربت الشمس ركب إلى مزدلفة فوصلها بعد العشاء جمعاً] بين المغرب العشاء، وصلى المغرب بأذان وإقامة، وصلى العشاء بإقامة [وبات بها] والأمة معه [ولما طلع الفجر صلى الصبح ووقف على جبل قزح] وهو موجود الآن كما هو في مزدلفة، وسميت مزدلفة بمزدلفة لأنها أقرب إلى الحرم، من الزلف بمعنى القرب من الحرم [وقال: (وقفت هاهنا ومزدلفة كلها موقف)] فقف حيث أمكنك الوقوف، وإن أتيت جبل قزح وافقت الرسول فيما فعل.
قال: [ولما أسفر جداً] وقبل أن تطلع الشمس [أتى الجمرة فرماها، ثم المنحر فنحر ثم قال: (نحرت هاهنا ومنى كلها منحر)، ثم أفاض من يومه] أي: إلى مكة، فطاف طواف الإفاضة [وعاد إلى منى، فبات بها ثلاث ليالٍ يرمي الجمرات الثلاث بعد زوال كل يوم] زوال الشمس يعني [يبدأ بالصغرى ويختم بالكبرى] التي تلي مكة [وخطب أيام منى، وعلم كل ما الأمة في حاجة إليه إلى يوم الدين، ولذا كانت هذه الحجة تسمى حجة البلاغ، كما تسمى حجة الوداع؛ لأنه صلى الله عليه وسلم ودّع أمته فيها، إذ لم يحج بعدها، فصلى الله عليه وسلم يوم ولد، ويوم دعا وجاهد، ويوم حج واعتمر، ويوم ودع ويوم مات، فالتحق بالرفيق الأعلى في جنة عرضها السماوات والأرض].

الحقوق والواجبات بين أفراد المسلمين

ثم قال: [(أما بعد: أيها الناس! فإن لكم على نسائكم حقاً، ولهن عليكم حقاً)] للنساء على الرجال حق، وللرجال على النساء حق، فعلى كل طرف أن يقبل الحق ويؤديه لصاحبه، وإلا ظلم وجار وحاد [(فلكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه)] من حق الرجل على امرأته أن لا تدخل بيته وأن لا تجلس على فراشه من لا يريد من قريب كان أو من بعيد [(وعليهن أن لا يأتين بفاحشة مبينة -قبيحة من

قول أو عمل فضلاً عن الزنا- فإن فعلن -أي: الفاحشة- فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن في المضاجع)] إذا أتت بفاحشة في القول أو العمل وعصتك وكرهتها، فلك أن تؤدبها أولاً بهجرها في الفراش، أي: لا تجامعها حتى تتأدب.
قال: [(وتضربوهن ضرباً غير مبرِّح)] إذا لم تستجب، وقد هجرتها في فراشها، فاضربها ضرباً لا يكسر عضواً، ولا يشين جارحة [(فإن انتهين، فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف)] هذا هو الحق، إن انتهين عن الفاحشة البينة، فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف، فالكساء والغذاء والدواء تابع.
[(واستوصوا بالنساء خيراً)] أي: ليوصِ بعضكم بعضاً بالنساء خيراً؛ لأنهن ضعيفات في العقول والأبدان على حد سواء [(فإنهن عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئاً)] والعوان جمع عان وهو الأسير [(وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمات الله، فاعقلوا أيها الناس قولي، فإني قد بلغت، وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً، أمراً بيناً: كتاب الله وسنة نبيه.
أيها الناس! اسمعوا قولي واعقلوه، تعلمُنّ أن كل مسلم أخ للمسلم، وأن المسلمين إخوة فلا يحل لامرئ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه، فلا تظلمن أنفسكم، اللهم هل بلغت؟!!)] إن شاء الله، لن يبقَ في الحلقة من يؤذي مسلماً، ولو بأصبعه.
إذاً قال صلى الله عليه وسلم: (أيها الناس اسمعوا قولي واعقلوه تعلمن أن كل مسلم أخ للمسلم وأن المسلمين إخوة)، لماذا إذاً يذبحونه ويقتلونه؟ إذا بكوا في فلسطين يجب أن نبكي في المدينة، وإذا فرحوا في الأفغان وزالت دولة الباطل، وجاءت دعوة الله والقرآن نفرح معهم.
وقال: (فلا يحل لامرئ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه، فلا تظلمن أنفسكم)، فظلمك لأخيك ظلمك لنفسك لأنه منك وأنت منه.
[فقال الناس: اللهم نعم] أي: قد بلغت [فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اللهم فاشهد)] يعني: على ما قالوا.
[(أيها الناس! إن الله قد أدى إلى كل ذي حق حقه وإنه لا تجوز وصية لوارث)] ورثتك لا تختار منهم زينب أو عمران فتوصي له بشيء، لا يجوز هذا، فالورثة على حد سواء بنين وبنات كيفما كانوا [(والولد للفراش وللعاهر الحجر)] ممكن يدعي مدع يقول: امرأة فلان ولدت، وذاك ولدي أنا، أنا فجرت بها وذاك ولدي، فلا يصدق ويرجم بالحجارة، والولد للفراش، أي: للزوج الذي كانت الزوجة تحته، ولو كان في الجاهلية، فهذه الدعوى باطلة ولا تقبل أبداً، ولا يدعي أحداً أن الولد الفلاني له، وهو غير زوج لتلك المرأة، بل يثبت الولد لصاحب الفراش.
[(ومن ادعى إلى غير أبيه، أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل)] يعني من قال: إن أبي فلان وهو ليس بأبيه، أو تبرأ من الموالي الذين يلونه من أقربائه وعشيرته وانتسب إلى قبيلة أخرى أو عشيرة، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه صرف -أي: فرض- ولا عدل -أي: ولا نفل- هذه من كبائر الذنوب.

التحذير من تحريش الشيطان بين الناس

قال: [(أما بعد: أيها الناس! فإن الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم هذه أبداً، ولكن أن يطاع فيما سوى ذلك فقد رضي به مما تحقرون من أعمالكم فاحذروه على دينكم)] ولكن هل يأسه يدوم أو لا يدوم؟ الرسول صلى الله عليه وسلم يخبر عن واقع الآن، فهم لم يكن لهم صلة بالشيطان ومعرفته، لكن الرسول صلى الله عليه وسلم علمه الله، فأعلمهم أن الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضهم أبداً، لكن لما زال النور المحمدي، وانسلخ ظل الإيمان والإسلام؛ عبد الناس الشياطين في الأرض.
فأحببت أن تفهموا أن قوله صلى الله عليه وسلم: (أيس أن يعبد) أنه حق، ولكن يأس الشيطان مشروط بما شاهده من أنوار الإيمان، والناس يدخلون في دين الله أفواجاً، والقرآن يتلى، والأمة مقبلة، وليس معنى هذا أنه أبداً ييأس، فلو لاحت له أعمال أو أقوال مما يحب لفرح، وعادت إليه أمنيته.
وقد عبد الشيطان في مكة والمدينة بعد أن ذهب ذلك النور المحمدي، بعد ثلاثمائة سنة، وهي القرون الذهبية فحلت الجاهلية الجهلاء، وعبد الشيطان في كل مكان.
فلا يقولن قائل: الرسول صلى الله عليه وسلم قال: (الشيطان قد يئس) فلهذا لا يمكن أن يوجد من يعبد غير الله في هذه الديار، فالشيطان أيس عندما شاهد النور يلوح في كل مكان، لكن لما عبث بالقلوب، وسخر من النفوس وحولنا إلى أمة جاهلة، عادت إليه آماله، وعُبد.
فالذين يذبحون للجان أما عبدوا الشيطان؟ والذين يدعون غير الله، ويستغيثون بالناس أما عبدوا الشيطان؟ وقوله: (ولكن أن يطاع فيما سوى ذلك) أي: يطمع فيما سوى ذلك من الذنوب الأخرى كالزنا وما إلى ذلك .

إبطال ما استحدثه أهل الجاهلية من النسيء

ثم قال: [(أيها الناس! إن النسيء زيادة في الكفر، يُضل به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليواطئوا عدة ما حرم الله، فيحلوا ما حرم الله، ويحرموا ما أحل الله)].
النسيء: هو التأخير، وقد كان زعماء قريش في الجاهلية يستطيعون أن يؤجلوا شهر محرم إلى شهر بعده، ليتمكنوا من الغزو في هذا الشهر، كما أنهم يستطيعون أن يستعجلوا الشهر الحرام أيضاً لمصلحة، وهنا أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما أخبر الله تعالى به في سورة التوبة: إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ [التوبة:37].

[(وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً، منها أربعة حرم، ثلاثة متوالية ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان)] يقول تعالى في الآية الكريمة: إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ [التوبة:36] وهي: ذو القعدة، وذو الحجة ومحرم، وشهر مضر، أي: شهر رجب.
هذه الأربع، كان أهل الجاهلية يقدمون ويؤخرون فيها حتى اختلطت الشهور، فأصبح المحرم هو صفر، وأصبح -مثلاً- القعدة هو شوال، فلما اختلطت وفسدت بسبب جهلهم وتحريفهم، أخبر تعالى أن هذا العام بالذات قد استدار الزمان كهيئته يوم خلق السموات والأرض، وهو عام حج رسول الله صلى الله عليه وسلم، فشاء الله أن تدور ثم ترسو على ما كانت عليه، وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال: (إن الزمان قد استدار كهيئته الأولى يوم خلق الله السماوات والأرض).
وقيل في رجب: مضر؛ لأن قبيلة مضر كانت تقدس هذا الشهر أكثر من غيرها، وهو الشهر الذي بين جمادى وشعبان.
إذاً: تستطيع الآن أن تحلف بالله أننا في جمادى الأولى أو في رجب ولا تحنث، فلا يمكن أن يكون الشهر قد تقدم أو تأخر، فمن يوم أن أعلن الرسول صلى الله عليه وسلم وأخبر أن الزمان قد استدار، وعادت الشهور كما بدأت فهي إلى اليوم لم يتبدل فيها شيء، ولم يتغير.

إبطال النبي لربا الجاهلية ودمائها

قال: [(فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها)] من كانت عنده أمانة لأحد من إخوانه فليؤدها إلى من ائتمنه عليها [(وإن كل رباً موضوع)] أي: مهبوط محطوط باطل؛ لا يُطالب صاحبه بشيء [(ولكن لكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون، قضى الله أنه لا ربا)] أي: حكم الله أنه لا ربا، فمن كان له عند أخيه ألف دينار، رأس مالها ثمانمائة -مثلاً- والفائدة مائتان، فليأخذ الثمانمائة فقط، ولا يأخذ أكثر من حقه، أو كان عند أخيه مائة ألف منها خمسون ألفاً فائدة ربوية، فلا يأخذ إلا الخمسين.
وهو يشير بذلك إلى قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ [البقرة:278-279]، لماذا -إذاً- نحن نتعامل بالربا ألا نريد الجنة وأهلها؟ لسان الحال يقول: دعنا نعش كما نعيش، إن الذين ينشئون البنوك ويفتحون أبوابها، ويتقبلون الأموال لتنمى وتُأخذ الفوائد عليها، هذا هو لسان حالهم وللأسف.
والذي أنا في حيرة منه: لماذا أهل القرية أو الحي لا يجتمعون في مسجدهم الجامع كل ليلة يصلون المغرب والعشاء، ويستمعون إلى الكتاب والهدى المحمدي، وينشئون صندوقاً ربانياً صافياً خالصاً، فيقول المربي: معاشر المستمعين! من زاد عن قوته درهم واحد فليودعه هذا الصندوق، وبعد ستة أشهر إذا بالصندوق يفيض، فينظرون في حال رجالهم -وكلهم صلحاء- فينشئون مزرعة تتناسب مع هذا الصندوق لتنمية هذا المال، أو ينشئون مصنعاً لإنتاج أي شيء، فينمو هذا المال ويباركه الله عز وجل، وبعد ذلك من أراد أن يستلف أو يستقرض من ذلك الصندوق، فليستقرض ويرد القرض بكل طمأنينة، وتنتهي فتنة الربا والبنوك اليهودية.
لماذا لا نعمل هذا؟ لأن قلوبنا غير سليمة، مغطاة بأوضار الجهل والآثام والذنوب، فلا ثقة، ولا طمأنينة، ولا حب، ولا صدق !! لو كنا مؤمنين بحق -والله- لتحدينا اليهود، وأريناهم كيف تنمو الأموال، ويباركها الله عز وجل، وكيف ينتفع المؤمنون والمؤمنات بها في ديارهم، لا أننا نستجيب لدعوة اليهود -عليهم لعائن الله- حتى يقطعوا صلاتنا بربنا وننقطع عن مولانا، وندعوه فلا يستجيب لنا، لقد أشاعوا فينا هذا الربا، ومددنا أعناقنا له .
حال لا أسوأ منها.
[(وإن ربا العباس بن عبد المطلب موضوع كله)] وبدأ صلى الله عليه وسلم بصندوق عمه، يعني: يا من لهم على العباس أموال فقد وُضع ربا العباس ، فليس له أن يأخذ منه درهماً واحداً.
[(وإن كل دم كان في الجاهلية موضوع)] لو تبنا إلى الله توبة صادقة سامحنا الله في الماضي، فالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم عفا عن الدماء التي كانت في الجاهلية؛ لأنها ناتجة عن الجهل والكفر، ولما استنارت القلوب وعرفت الطريق لم يكن هناك حاجة للعودة إلى الوراء.
[(وإن أول دمائكم أضع دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب)] وضع ديته وتركها [وكان مسترضعاً في بني سعد فقتلته هذيل، فهو أول ما أبدأ به من دماء الجاهلية] وكان المفروض أن يطالب بدمه أو بالدية، ولكن كما وضع ربا العباس وضع كذلك دم ابن ربيعة تطييباً لخاطر السامعين، فبدأ بنفسه أيضاً.

نتائج وعبر من خطبة الوداع

قال: [نتائج وعبر: إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبراً، نسجلها إزاء الأرقام الآتية: أولاً: وقوع حجة الوداع بعد تطهير الحرم من الشرك والمشركين، دال على حصاد جهاد دام نيفاً وعشرين سنة] وقوع الحج في هذا العام بعدما طهرت مكة من الشرك والمشركين دال على حصاد جهاد دام نيفاً وعشرين سنة، وفي هذا عبرة لمن يعتبر.
[ثانياً: بيان أن وادي العقيق مبارك، وأنه ميقات أهل المدينة، إذ ذو الحليفة على شاطئه الأيمن.
ثالثاً: مشروعية الإهلال بأي نسك من الأنساك الثلاثة: الإفراد، والتمتع، والقران.
رابعاً: بيان أن الحائض لا يمنعها الحيض من الإحرام، إذ تفعل كما يفعل الحاج إلا أنها لا تطوف حتى تطهر وتغتسل.
خامساً: من مظاهر الرحمة المحمدية الإذن بفسخ الحج إلى عمرة؛ تيسيراً وتسهيلاً على الأمة] وهذه القضية فيها خلاف، وقد وقفنا عندها كثيراً.

من مظاهر الرحمة المحمدية لما جاء إخوان له محرمين بالإفراد أمرهم أن يحولوا الحج إلى العمرة؛ ليس لأنه لا يجوز ولكن رحمة بهم، فقد يجئ رجل من شوال، وهو محرم بالإفراد، فيبقى شهرين وهو محرم في مكة، وقد يكون في وقت الصيف، فلهذا أذن لمن جاء مفرداً أن يتحلل بعمرة ويبقى في مكة، وإذا جاء يوم التروية أحرم بالحج، ولما تململ بعض الإخوان أي: غضب، طيب نفوسهم بقوله: (لولا أني سقت الهدي لما جعلت الحج وجعلتها عمرة)، ولكن ما دمت قد سقت الهدي فلا يحل التحلل.

[سادساً: مشروعية الحرص على مخالفة اليهود والنصارى والمشركين، إذ كان المشركون يعدون الاعتمار في أشهر الحج من أفجر الفجور، وكانوا يقولون: إذا برأ الدبر، وعفا الأثر، وانسلخ صفر، حلت العمرة لمن اعتمر] كان ممنوع عند الجاهليين أن تعتمر في أشهر الحج، ولكن دعه حتى تنتهي أشهر الحج.

[فلذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بالتحلل والاعتمار، ولما تردد أصحابه في ذلك غضب حتى أذعنوا لأمره وتحللوا رضي الله عنهم.

سابعاً: بيان باقي المناسك عملياً، إذ كان يقول: (حجوا كما رأيتموني أحج)] علمهم المناسك بالعمل.

[ثامناً: الإعلان عن حقوق المسلم وأنه محرّم الدم والمال والعرض] سواء كان أبيض أو أسود.

[تاسعاً: الإعلام عن تحريم الظلم والربا وكل عادات الجاهلية مطلقاً.

عاشراً: الإعلان عن حقوق النساء، والأمر بالاعتراف بها وأدائها، وكذا حقوق الزوج على زوجته.

الحادي عشر: تحريم الوصية للوارث، وتقرير قانون التوارث كما في القرآن الكريم.

الثاني عشر: حرمة التبني والانتساب إلى غير الموالي.

الثالث عشر: تقرير: أن الولد يُنسب إلى من ولد على فراشه، وأن العاهر لا حق له فيه، وإنما له الرجم بالحجارة إذا اعترف بالزنا].

تحقيق ولاية الله عز وجل

والآن مع الولاية؛ ولاية الله عز وجل؛ لو ننسى ولاية الله ساعة فقط ننتكس، ونعود إلى أسفل الأرض، وهل هناك خير في غير ولاية الله؟ أم ليس عندكم رغبة في أن تكونوا أولياء الله؟ أكثر الناس آيسون، يقول أحدهم: كيف أكون ولياً لله؟! ليس ممكناً؛ فالولي ذاك الذي ظهرت الكرامات على يديه فأحيا الموتى وأنبت الشجر اليابس، أما أنا فكيف أكون ولياً لله؟ ومعنى هذا: ليسرق بعضكم بعضاً، وليزنِ بعضكم بنساء بعض، فأنتم لستم بأولياء لله.

إن ولاية الله لو نقطّع ونحرّق ونصلّب لا نستطيع أن نقول: إننا لا نريدها، إذاً ماذا نريد؟ ولاية الشيطان! ثم ولاية الله عز وجل لا تكلفك انتحاراً، ولا أن تطلق رأسك من أعلى جبل أو أعلى منزل، ولا تكلفك أن تجوع أو تشبع، ولا أن تسكت فلا تنطق، ليس فيها أبداً ما لا يطاق ولا يقدر عليه، ولكن -فقط- آمن حق الإيمان.

لماذا لم يأتني طوال العام من يقول: يا شيخ! أريد أن أعرف: هل أنا مؤمن أم لا؟ هل حصل أنهم جاءوكم وقالوا: كيف نؤمن أو دلونا على الإيمان؟ ليس هناك اهتمام أبداً، فهذا غير مهم عندهم، صح الإيمان أم لم يصح!! لن تخطو خطواتك الأولى لولاية الله حتى تؤمن حق الإيمان، وتعرض إيمانك على القرآن فيمضيه، ويقول لك: أنت مؤمن، أو تعرض على رسول الله وسنته فيشهد لك بأنك مؤمن.

وأخيراً: دائماً أمامكم شاشتان -وقد تعودتم النظر إلى الشاشات- ولكن هذه شاشتان قرآنيتان عظيمتان على كل مؤمن أن يستعرضها ليشاهد نفسه هل هو فيها، فإن وجد نفسه فيها قال: الحمد لله أنا مؤمن، وإن لم يجد نفسه فيها قال: دلوني كيف أومن بالله، فما أنا بالمؤمن إلى الآن.

ووالله! لو أن ذا عقل وبصيرة من أولئك الراغبين في ولاية الله، سمعني أقول: هناك شاشتان قرآنيتان، وينبغي أن تقرأ هذه الآيات وتنظر هل أنت فيها أم لا، لكان يقول: والله يا شيخ! لا تقم حتى تذكر لنا هذه الآيات، ودلنا في أي سورة هي؛ حتى نقف عليها! وإليكم الشاشة الأولى من سورة الأنفال: يقول تعالى في بيان المؤمنين بحق: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ [الأنفال:2] وهذه صيغة حصر، أي: إنما المؤمنون بحق وصدق الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا [الأنفال:2]، يعني: منسوب الإيمان يرتفع عندما تقرأ عليه الآيات؛ لأن الإيمان موجود وحي، فجاءت الطاقة ودفعته، أما أن تُقرأ عليه الآيات ولا يزيد فليس بمؤمن، إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ [الأنفال:2]، عندما تقول له: أما تتقي الله يذوب، يتغير وجهه ويأسف ويبكي.

أما مَن تقول له: اتق الله، أو ألا تخاف الله؟! فيضحك! ويخرج لسانه، ويلوي رأسه مستهزئاً، فوالله ما هو بمؤمن.

والله ما هو بمؤمن.

والله ما هو بمؤمن! إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ [الأنفال:2]، لا يتوكلون على المال، ولا على الأولاد، ولا على العشيرة، ولا على القبيلة، ولكن على رب العباد عز وجل.

هناك من تقول له: يا عبد الله! توكل على الله، وأغلق هذا البنك، ورد فلوس الناس إلى جيوبهم، وقل لهم: سامحوني وتوكل على الله.

يقول لك: لا نستطيع، كيف نفعل هذا؟! أين التوكل على الله عند هذا الرجل؟! أو تقول: يا فاتح صالون الحلاقة في المدينة، لا تحلق وجوه الرجال حرام عليك! فيقول لك: كيف أعيش؟ متوكل على ماذا هذا الرجل؟ على حلاقة الوجوه.

لا بأس بأن تحسن الوجوه، وتحلق شعر الرأس، ويعطيك الله القدر الذي يكفيك، لكن لا تبتدع بدعة تغضب الله ورسوله، فتحلق وجوه الرجال في مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم، هذا توكل على الله! وذاك يبيع الخيرات كلها في الدكان، فنقول له: لا تبع السجائر.

فيقول: إذا لم أبع السيجارة لا يشتري الزبائن!! إذاً: هو توكل على بيع السيجارة، والله تعالى يقول: وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ [المائدة:11].

إذاً: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آياتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ [الأنفال:2-3] لا تفوته ركعة عن وقتها، فيصليها في بيوت الرب مع أوليائه خمس مرات، يتعهد بيت الله ويؤديها بكامل شروطها وآدابها، هذا معنى إقامة الصلاة.

وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ [الأنفال:3] طوال العام يبذل ما استطاع أن يبذل مما أعطاه الله أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا [الأنفال:4] هذا حكم الله لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ [الأنفال:4].

ويبقى خطوة ثانية: أحبوا ما يحب الله، واكرهوا ما يكره تصبحون أولياءه.

وصلّ اللهم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

في المحرم من السنة الحادية عشرة جهز النبي صلى الله عليه وسلم جيشاً إلى الشام، وأمّر عليه أسامة بن زيد، ولصغر سنه حاول البعض مع النبي صلى الله عليه وسلم استبداله بأمير آخر، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم أبى ذلك، وفي أوائل ربيع الأول بدأ مرض النبي صلى الله عليه وسلم، فاستأذن نساءه أن يمرّض في بيت عائشة، فأذن له، وفي هذه الفترة كان أبو بكر خليفة رسول الله في الصلاة بالناس.

بين يدي الدرس

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.
أما بعد: وبين يدي الدرس أقدم مسألتين:
معنى كلمة بهلول، وكفارة من حلف بغير الله أو قال لصاحبه: تعال أقامرك

الأولى: اعتذاري إلى الأبناء والإخوة المصريين، فقد فهموا مني أني لما أقول: (البهاليل) أن هذه الكلمة فيها عيب.
والبهاليل: جمع بهلول، وهو الذي يغلب خيره شره، ويا ليتنا حقاً بهاليل.
ففهموا أن هذه الكلمة فيها انتقاص، بل فيها ثناء عطر، فكلمة (بهاليل) تعني أن فيهم خيراً كثيراً.
ولهذا تجد أحدهم يحلف بالنبي -ويفعل هذا أكثر العوام- فأقول له: لا تقل: (والنبي) قل: (لا إله إلا الله)، فيقول: (والنبي) لا أعود، بمعنى: أن هذه الكلمة قد تأصلت فيه، فأصبحت لا تزول عنهم.
لكن ما هو الحل؟ قلت لهم ولكم ولنفسي: من يجري على لسانه الحلف بغير الله، ولم يقصده، ولكن اعتاده، فليقل بعده: (لا إله إلا الله) تمحها، وليس هذا استنباطاً مني أو اجتهاداً، بل بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فإنه لما شاهد أصحابه يحلفون بالأيمان الجاهلية باللات والعزى، ولا لوم في ذلك على شخص له أربعين سنة وهو يعبدها، وقد أسلم من يومين أو من سنة فأنى يزول ذلك من لسانه! أي: أن هذا الأمر صعب.
وكذلك في مكة كانوا مولعين بالقمار؛ لأنهم تجار وفارغون، فإذا سافروا إلى اليمن في الشتاء وإلى الشام في الصيف، وعادوا بأرزاقهم لا يشعر أحدهم إلا ويقول: تعال أقامرك، فقال لهم الحبيب صلى الله عليه وسلم: (من حلف باللات فليقل: لا إله إلا الله، ومن قال لأخيه: تعال أقامرك) أي: ألعب معك القمار جرياً على السنة الماضية، قال: (فليتصدق بصدقة)، فما حددها ريالاً . عشرة . تمحو تلك الخطيئة.

البشرى في الحياة الدنيا بالرؤيا الصالحة

المسألة الثانية: أن إحدى المؤمنات بعثت بزوجها الآن تبشركم بأنها رأت الجنة ودخلتها، وقد قدمنا أنه لابد من صك، فما من مؤمن تقي تتحقق ولايته إلا ويرى الجنة قبل أن يموت، وبهذا أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا [يونس:62-64] والبشرى في الحياة الدنيا فسرها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهو الذي أنزل عليه القرآن وأسند إليه بيانه، فقال: (البشرى: الرؤيا الصالحة يراها العبد الصالح أو ترى له)، ولهذا آمل من الطلبة أن لا يتركوا ولاية الرحمن ولا ليلة.

بعث جيش أسامة إلى الشام في السنة الحادية عشرة

قال: [ودخلت السنة الحادية عشرة من هجرة الحبيب صلى الله عليه وسلم] مضت عشر سنوات، وعشناها مع الحبيب صلى الله عليه وسلم، والآن في آخر سنة وهي السنة الحادية عشرة.
قال: [وكان أول أحداثها: بعث جيش أسامة إلى الشام] أي: وكان أول أحداث السنة الحادية عشرة: بعث جيش أسامة بن زيد مولى الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الشام غازياً ومجاهداً في سبيل الله.
قال: [إن آخر بعث] أي: بعثه الحبيب صلى الله عليه وسلم [في الجهاد المحمدي: هو بعث أسامة بن زيد الحِب بن الحب رضي الله عنهما] أي: هو وأبوه، و(الحِب) بمعنى المحبوب، فأسامة هو حِب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهو وأبوه كلاهما يحبهما رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء.
قال: [ففي المحرم] أي: في شهر المحرم [وبعد العودة من حجة الوداع] شهر الحج ثم شهر المحرم [رأى النبي صلى الله عليه وسلم أن يبعث بعثاً إلى الشام] وقد كان البعث الأول على رأسه جعفر بن أبي طالب واستشهد هو و زيد مولى الرسول صلى الله عليه وسلم و عبد الله بن رواحة، خيار الأصحاب، وأنقذهم الله على يد خالد بن الوليد وتمت هذه الحادثة، والآن أراد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يبعث أيضاً بعثاً آخر إلى الشام للدعوة إلى الإسلام.

قال: [وأن يكون أسامة بن زيد الشاب الذي لم يتجاوز من العمر ثماني عشرة سنة هو قائد هذا الجيش الذي عقد لواءه رسول الله صلى الله عليه وسلم].
عجيب هذا! أسامة الذي في الثامنة عشرة أو دونها يعطيه رسول الله صلى الله عليه وسلم الراية، ويقلده القيادة، ويمشي وراءه أبو بكر و عمر .
فكان هذا الشاب حقيقاً أن يكون حِب رسول الله صلى الله عليه سلم؛ لأن والده استشهد في الشام، فأراد أن يمكنه من أن يقتل الكفار الذين قتلوا والده، وحتى يذهب عنه الحزن والكرب والهم فقال له: قُدِ الجيش يا أسامة.
قال: [وأمره أن يوطئ الخيل تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين] فحدد له المنطقة أيضاً.
قال: [وتكلم بعض طاعناً في أسامة لصغر سنه] أي: كيف أن هذا الصغير يقود الجيش؟ قال: [فأجابهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلاً: (إن تطعنوا في إمارة أسامة فقد طعنتم في إمارة أبيه من قبل)] أي: لا لوم ولا عتاب، فقد قالوا عن زيد : كيف أن مولى من موالي العرب يقود الجيوش؟ قال: [وذلك لكون كل من زيد و أسامة ولده مولى وليس بسيد]، لكن مولاهم وسيدهم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم.
إذاً: من هنا تعرفون أن أي كلمة يطعن بها في شخص ما ينبغي أن تقال أو تكرر أو تعاد، ما رضي هذا الرسول صلى الله عليه وسلم.
قال: [وتجهز الناس للخروج، وفي هذا الجيش كبار المهاجرين والأنصار كأبي بكر و عمر وغيرهما، وبينما الناس في التجهيز والإعداد للخروج إذا برسول الله صلى الله عليه وسلم يبتدئه مرضه الذي قبض فيه، فوقف الجيش في انتظار شفاء الحبيب صلى الله عليه وسلم، ولم يمضِ إلا أسبوع واحد ويقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويلتحق بالرفيق الأعلى، ويبقى جيش أسامة في انتظار ماذا يحدث بخصوصه، وولي أمر المسلمين أبو بكر ، وأنفذ جيش أسامة كما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحبّ؛ وذلك نزول من الصديق على رغبة الحبيب في تنفيذ ما يحب، فرضي الله عن أبي بكر وأوفاه، فاللهم اجعل الجنة مأوانا ومأواه].
لقد سمع أبو بكر ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم، وكان جيش أسامة واقفاً ينتظر الأمر من القيادة كما أعده الرسول صلى الله عليه وسلم، وانتظر حتى قبض الرسول صلى الله عليه وسلم، وما إن بويع أبو بكر بالخلافة حتى أمضى هذا الجيش بقيادة أسامة، ولو كان غيره من الضعفاء لما استطاع أن يقوم بذلك.

نتائج وعبر من بعث جيش أسامة إلى الشام

قال: [نتائج وعبر: إن لهذه المقطوعة من السيرة العطرة نتائج وعبراً نوجزها كالآتي: أولاً: بيان مواصلة الرسول صلى الله عليه وسلم الجهاد حتى آخر أيامه من حياته] فمن يوم ما أذن له في الجهاد في السنة الأولى من الهجرة أو الثانية، وهو من غزوة إلى أخرى حتى آخر حياته.
وأنتم أيها المجاهدون، عدوكم بين جنبيكم، إنه الشيطان، ومعه النفس الأمارة بالسوء، ومعه الدنيا الخداعة الغرارة، ومع كل ذلك الهوى والميل الفطري إلى الراحة والمعصية، فهذه الجحافل نجاهدها ليل نهار، والله نسأل أن ننتصر ولا ننكسر.
أما جهاد الكفار فالحمد لله أراحنا الله منهم، ويوم ما يقول إمام المسلمين: حي على الجهاد، نقول: بسم الله.
ومادام لم يعلن عن الجهاد لعدم توفر أسبابه وعوامله فما يسعنا إلا أن نحمد الله عز وجل، ولكن يبقى جهاد النفس، والشيطان، والهوى، والدنيا، فالصراع بين هذه الأمور عظيم وكبير، فبسم الله لا نضع السلاح حتى نلقى الله عز وجل.
فهمتم هذا؟ أو تريدون أن نقول: بسم الله، قوموا جاهدوا اليهود في فلسطين! وأنتم لا تستطيعون لأنكم لستم أهلاً لهذا، ولابد من إمام وقيادة عليمة رشيدة حكيمة.
قال: [ثانياً: جواز إسناد قيادة الجيوش إلى الشاب الكفء المقتدر إذا كان في قيادته ذوو الرأي والمشورة من كبار السن من كهول وشيوخ]، أما إذا كان ما معه إلا شباب فلا ينفع، لكن إذا كان يحتضنه مثل أبي بكر و عمر فلا خوف عليه، وقد أخذنا هذا من قيادة أسامة ، وأقرها أبو بكر و عمر والصحابة، وقد خرج معه أبو بكر خليفة المسلمين و عمر و علي والقيادة كلها، ولو أننا ولينا علينا حاكماً وهو شاب، واخترناه لصلاحه، فننظر هل حوله شيوخ يشدون من أزره، ويوجهونه، ويبينوا له الطريق، فإن وجدنا حوله من هم أهل للقدرة على هذا فلا بأس، وإن لم نجد إلا شباباً مثله فإن النار سوف تحرقنا.
قال: [ثالثاً: بيان أن الطبع البشري لم يتبدل]، فالطبع البشري لا يتبدل، وإنما يروض رياضة خاصة، فيصبح كطباع الملائكة، ولابد من الرياضة والتربية الملازمة.
وقد سألني أحد الأبناء من أهل الحلقة: ما معنى اللوامة؟ فقلت له: يا بني! كررنا القول في هذا مرات، وقلنا: النفس في أول أمرها أمارة بالسوء، أي: كثيرة الأمر بالقبائح، واقرءوا: وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي [يوسف:53] وهذه كلمة يوسف الصديق ابن الصديق، وليست كلمة زليخا ، قال: وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي [يوسف:53]، فهذه النفس الأمارة بالسوء إذا كانت في جسم مؤمن رباني صادق يعمل على تربيتها فترة من الزمن تصبح لوامة، فإذا فعلت سوءاً تلومك عليه؛ لأنها خطت خطوة في طريق الهداية، فأصبحت وإن كانت تأمر بالسوء، لكن لما تفعله تلوم وتشعر بالألم في نفسك، فهذه النفس أخذت تنجو، وإن واصلت رياضتها ليل نهار، وعاماً بعد عام، فإنها تصل إلى مستوى تكون فيه مطمئنة، قال تعالى في الأولى: إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ [يوسف:53]، وقال في الثانية: وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ [القيامة:2]، وقال في الثالثة: يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً [الفجر:27-28]، ولهذا كان من دعائنا ودعاء حبيبنا: (اللهم إنا نسألك نفساً مطمئنة، تؤمن بلقائك وترضى بقضائك وتقنع بعطائك الليل والنهار)، فالنفس المطمئنة لا ترتاح إلا لذكر الله، وإذا جاءت معصية لا تستطيع أبداً أن تجلس مجلساً فيه باطل، وما تقدر عليه أبداً.

قال: [فقد طعن في إمارة زيد وإمارة أبيه، وفي حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم]، أما قال: (طعنتم في أبيه من قبل)؟ ووجه الطعن أن منهم من قال: هذا شاب، كيف؟! ومنهم من قال: هذا من الموالي، ليس بشريف.
وهذا الطعن يجري على ألسنة الناس ولو بدون قصد إساءة.
قال: [رابعاً: بيان كمال أبي بكر الصديق ، وصادق ودّه، وعظم طاعته لرسول الله صلى الله عليه وسلم حياً وميتاً؛ وذلك بإنفاذه جيش أسامة وفي أصعب الظروف وأشدها حلوكة].

خاتمة الجهاد المحمدي ببيان عدد غزواته صلى الله عليه وسلم وسراياه

قال: [خاتمة الجهاد المحمدي ببيان عدد غزواته صلى الله عليه وسلم وسراياه]، السرايا جمع سرية، وهي الجماعة تسري بالليل.
قال: [لقد غزا صلى الله عليه وسلم ستاً أو سبعاً وعشرين غزوة في خلال سنوات هجرته العشر؛ باشر القتال بنفسه في تسع غزوات منها، وهي: بدر الكبرى، وأحد، والخندق، وقريظة، والمصطلق، وخيبر، والفتح، وحنين، والطائف] هذه الغزوات باشر القتال فيها بنفسه.
قال: [وباقي الغزوات أعدها وحضرها إلا أنه لم يباشر القتال فيها بنفسه، وإنما بواسطة أصحابه رضوان الله تعالى عليهم، وهي: ودّان وهي الأبواء، ثم بواط، ثم العشيرة، ثم بدر الأولى، ثم غزوة بني سليم، ثم غزوة السويق، ثم غزوة غطفان، ثم غزوة نجران بالحجاز، ثم حمراء الأسد، ثم بني النضير، ثم ذات الرقاع، ثم بدر الآخرة، ثم غزوة دومة الجندل، ثم غزوة بني لحيان، ثم غزوة ذي قَرَد].
فهذه غزوات أيضاً، لكن ما قاتل فيها الرسول صلى الله عليه وسلم، ولكن شهدها وحضرها.
قال: [وأما سراياه صلى الله عليه وسلم فقد بلغت نحواً من خمس وثلاثين سرية وبعثاً، وقد مرت هذه السرايا والبعوث وتلك الغزوات مفصلة واحدة بعد أخرى في سنوات الهجرة العشر المباركة، والحمد لله أولاً وآخراً].
بداية مرض الحبيب صلى الله عليه وسلم

قال: [وآخر أحداثها وأجلها: مرض الحبيب صلى الله عليه وسلم ووفاته].
قال: [بداية مرضه صلى الله عليه وسلم] أي: كيف كانت.
قال: [في أوائل شهر ربيع الأول]، ففي شهر المحرم أعد جيش أسامة ، ثم مر شهر صفر ثم شهر ربيع الأول.
قال: [وفي يوم الأربعاء بالذات بدأ وجع الحبيب صلى الله عليه وسلم، فأصابه صداع وحمى، وقبل هذه البداية المؤلمة ببعض الأيام خطب صلى الله عليه وسلم الناس فنعى إليهم نفسه، وهم لا يشعرون]، أي: تكلم بكلام نعى فيه نفسه إليهم، وهم لا يشعرون.
قال: [إذ صعد المنبر فحمد الله تعالى، وأثنى عليه بما هو أهله، وقال: (إن الله خير عبداً بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ذلك العبد ما عند الله)، فبكى أبو بكر ، فعجب الناس من بكائه؛ بكى لأنه فهم أن المخير هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال صلى الله عليه وسلم: (إن مِن أمَنِّ الناس علي في صحبته وماله: أبا بكر)]، كأنه يهيئه للخلافة ويرشحه، فقوله: (إن من أمن) أي: أن أبا بكر أكثر الناس منة على النبي صلى الله عليه وسلم في صحبته وماله.
قال: [(ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن أخوة الإسلام ومودته، لا يبقين في المسجد باب إلا سد إلا باب أبي بكر)]، الخوخة هي الموجودة الآن، وقد كان الأصحاب يفتحون أبواباً من بيوتهم ليسهل عليهم دخول المسجد والخروج منه، وكان أبو بكر من بينهم، فأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه لم يبق من معنى لهذه الأبواب إلا باب الصديق .
إلا خوخة أبي بكر رضي الله عنه.
قال: [وفي جوف الليل يوقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم مولاه أبا مويهبة ويقول: (يا أبا مويهبة ! إني قد أُمرت أن أستغفر لأهل هذا البقيع فانطلق معي)، فلما وقف بين أظهرهم] أي: بين أظهر الموتى في قبورهم [قال: (السلام عليكم يا أهل المقابر، ليهنئكم ما أصبحتم فيه بما أصبح الناس فيه)]، هذا أعظم إنذار! [(أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم، يتبع أولها آخرها، الآخرة شر من الأولى)]، وقد تم هذا كما علمتم.
قال: [(ثم أقبل على أبي مويهبة وقال: يا أبا مويهبة ! إني قد أوتيت مفاتح خزائن الدنيا والخلد فيها)]، أي: عرض الله عليه أن يعطيه خزائن الدنيا، وأن يحييه ولا يميته إلى نهاية الدنيا.
قال: [(ثم الجنة -خير بين هذا وذاك- فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة، فقال أبو مويهبة : بأبي أنت وأمي، فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها والجنة)]، أي: ما فهم أبو مويهبة ، فالرسول خير بين هذا وهذا، فقال له أبو مويهبة: خذها أنت كلها.
وهذا فهم أبي مويهبة رضي الله عنه.
قال: [(فقال: لا والله يا أبا مويهبة ، لقد اخترت لقاء ربي والجنة)] فقد سبق القدر [(ثم استغفر صلى الله عليه وسلم لأهل البقيع ثم انصرف) فبدأ برسول صلى الله عليه وسلم وجعه الذي قبض فيه، إذ دخل على عائشة بعد رجوعه من البقيع فوجدها تشكو صداعاً] وهو ألم في الرأس معروف [وتقول: (وا رأساه!)] تتأسف وتتحسر [(فقال: بل أنا والله يا عائشة وا رأساه! ثم قال لها: وما ضرك لو مت قبلي فقمت إليك وكفنتك وصليت عليك ودفنتك؟ فقالت عائشة: والله لكأني بك لو قد فعلت ذلك، لقد رجعت إلى بيتي فأعرست فيه ببعض نسائك)]، هذا شأن الضرة، والطيبة أنتم تسمونها الضرة.
قال: [(قالت عائشة رضي الله عنها: فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم)]، وكان ضحكه الابتسام.
[(وتتام به وجعه)] أي: استمر معه [(وهو يدور على نسائه حتى استعز به)] أي: اشتد به الألم [(وهو في بيت ميمونة رضي الله عنها، فدعا نساءه فحضرن، فاستأذنهن في أن يمرض في بيتي)]، أي: بيت عائشة ، وبيت عائشة هي تلك الحجرة [(فأذن له)].

المصطفى يمرض في بيت عائشة

قال: [في بيت عائشة .
وبعد أن أذن له أمهات المؤمنين في أن يُمرض في بيت عائشة رضي الله عنها خرج صلى الله عليه وسلم يمشي بين رجلين من أهله، هما: العباس و علي ، وهو عاصب رأسه، تخط قدماه حتى دخل بيت عائشة رضي الله عنها، ثم حمّي صلى الله عليه وسلم، واشتد به الوجع، فقال: (هريقوا علي سبع قرب من ماء)]، جمع قربة، وقد كانت القرب موجودة [(من ماء)] ليخفف عنه حرارة الحمى [(حتى أخرج إلى الناس)]، أي: أتمكن من خروجي إلى الأمة في المسجد [(فأعهد إليهم، قالت عائشة : فأقعدناه في مخضب لحفصة بنت عمر)] من بيتها تملكه [(ثم صب عليه الماء حتى طفق يقول: حسبكم حسبكم)] أي: يكفي، يكفي [(ثم خرج إلى الناس فصلى بهم وخطبهم، ثم ازداد مرضه، فقال: مروا أبا بكر فليصل بالناس)] فقد حضرت الصلاة [(فقالت عائشة : إن أبا بكر إذا قام مقامك لا يُسمِع الناس من البكاء)] أي: لا يستطيع [(فمر عمر فليصل بالناس.
وكررت عليه عائشة القول، فكرر الإجابة حتى قالت عائشة لحفصة : قولي له: إن أبا بكر إذا قام مقامك لم يسمع الناس من البكاء، فمر عمر فليصل بالناس)] توسلت بحفصة [(فقالت له، فقال صلى الله عليه وسلم: مه! إنكن لأنتن صواحب يوسف)] أي: صواحب يوسف الصديق اللائي اجتمعن وقطعن أيديهن.
قال: [(مروا أبا بكر فليصل بالناس، فقام أبو بكر يصلي بالناس، ووجد النبي صلى الله عليه وسلم من نفسه خفة، فخرج بين رجلين: العباس)] أي: عمه [(و علي بن أبي طالب)] أي: ابن عمه [(لصلاة الظهر، فلما رآه أبو بكر ذهب ليتأخر، فأومأ إليه: أن لا يتأخر، وقال للرجلين: أجلساني إلى جنبه)] أي: إلى جنب أبي بكر [(فأجلساه إلى جنب أبي بكر ، أبو بكر يصلي وهو قائم بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قاعد، والناس يصلون بصلاة أبي بكر)، وفي مرضه هذا قال لعائشة : (ما زلت أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر، فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم)]، كانت خيبر في السنة السادسة، وقد أطعمته اليهودية لحماً، فأكل منه بعد أمر أصحابه أن لا يأكلوا، واعتذرت وعفا عنها أيضاً، وهو يذكر أن ألم ذلك السم يعاوده الآن، وقد تمكن منه، فقال: (ما زلت أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر، فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري -عرق الحياة- من ذلك السم).
قال في الحاشية: [يعني صلى الله عليه وسلم: الشاة المسمومة التي قدمت له بخيبر وأكل منها، فلم تضره في ذلك الوقت، واستمر الداء كامناً حتى ظهر في هذه الأيام، وقد مات أحد أصحابه لما أكل منها كما تقدم في فتح خيبر، والأبهر عرق في الإنسان إذا انقطع هلك صاحبه].
نكتفي بهذا القدر، والعودة إن شاء الله الأسبوع الآتي، ونبكي مع أصحاب رسول الله لما يبكون.

في مرض موته أستأذن النبي صلى الله عليه وسلم نساءه أن يمرّض في بيت عائشة فأذن له، وكان من نعم الله على عائشة أن توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتها بين سحرها ونحرها، وما إن علم الناس بوفاة رسول الله حتى طاشت عقولهم، وكان أبو بكر أربطهم جأشاً، إذ وعظ الناس، وتلا عليهم من آيات الكتاب، فسكن ما بهم، وقد تولى غسل رسول الله ودفنه أهل بيته، وعلى رأسهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

تابع المصطفى يمرض في بيت عائشة

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.
أما بعد: انتهى بنا الدرس إلى أحداث السنة الحادية عشرة، وها نحن نقضي هذه الساعة مع رسولنا صلى الله عليه وسلم، وهو يتهيأ إلى الملكوت الأعلى؛ ليفارق هذه الحياة وأهلها، فصلوا عليه وآله تسليماً.
قال: [ولما كان يوم الخميس وقبل وفاته صلى الله عليه وسلم بأربع ليال، اجتمع عنده ناس من أصحابه في منزله، فقال: (ائتوني بكتف ودواة أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً)]، الكتف: كتف الشاة هو العظم الذي يكتب فيه، فما كان لهم ورق كما عندنا [(فتنازعوا عنده)]، أي: أن الأصحاب تنازعوا عنده، فهذا رضي وهذا لم يرض، كل بحسب اجتهاده ومراعاة لصالح الأمة الإسلامية [(وأخذوا يردون عليه صلى الله عليه وسلم، فقال: دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعونني إليه)]، أي: اتركوني؛ فالذي أنا فيه خير مما تدعونني إليه [(وأوصاهم بثلاث: فقال: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب)]، أي: أخرجوا الكفار الوثنيين من جزيرة العرب، وفي قوله: (جزيرة العرب) تجوّز مشى عليه الناس، وإلا هي شبه جزيرة وليست بجزيرة، فالجزيرة ما يحيط بها البحر من كل جوانبها، وشبه الجزيرة كشبه جزيرة العرب فمن جهة الشام لا يوجد بحر، ولكن تعارفوا على أنها جزيرة العرب، والرسول صلى الله عليه وسلم بهذا يريد أن يطبق قول الله عز وجل: فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ [التوبة:5]، لماذا؟ لقرب وفاته صلى الله عليه وسلم، فهذه الجزيرة العربية هي قبة الإسلام وعاصمته، فيجب أن تطهر وتنظف، فلا يبقى فيها يهودي ولا مشرك.
وقد سبق أن ذكرت للمستمعين والمستمعات أن فرنسياً احتج علينا في فرنسا، وقال: نحن نسمح لكم في بلادنا أن تفتحوا مساجد وتؤذنون وتصلون، وأي فرد من أفرادنا يعمل عندكم لا تسمحون له أن يفتح قداساً؟ فكتبت في الجريدة بفضل الله ورددت عليه، وقلت له في الرد: سمحنا لكم في كل ديار الإسلام بأن تكون لكم كنائس وقدس، وهي موجودة، لكن جزيرة العرب عبارة عن مسجد، فهل يعقل أن تبنى كنيسة في مسجد، كما لا يعقل أن يبنى مسجد في كنيسة، فلا يقبل هذا ولا ذاك، فانقطع.
وعلى كل حال الشاهد عندنا: يجب أن تخلو جزيرة العرب من الكنائس ومعابد غير الإسلام، وهذه وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد طبقها عمر ، وأجلى اليهود من الجزيرة، ولم يبق مشرك فيها ولا معبد لغير الله عز وجل.
واحتج أيضاً فقال: إن مجموعة من إخواننا في جدة عملوا مجمعاً دينياً، فجاءت هيئة الأمر بالمعروف فأجلتهم وطردتهم من المركز.
والشاهد عندنا في قول الحبيب صلى الله عليه وسلم: (أخرجوا المشركين من جزيرة العرب).
قال: [(وأجيزوا الوفود بنحو ما كنت أجيزهم)]، فإذا جاءكم وفد من الهند . من السند . من العرب . من غيرهم من المشركين والنصارى، فأجيزوهم كما كنت أجيزهم [(وسكت صلى الله عليه وسلم عن الثالثة)] فما عرفت أبداً.
قال: [ولما كان يوم الإثنين الذي قبض فيه صلى الله عليه وسلم والناس في صلاة الصبح، و أبو بكر يصلي بالناس لم يفجأهم إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم يكشف ستر حجرة عائشة رضي الله عنها، فينظر إليهم وهم صفوف في الصلاة، ثم تبسم يضحك، فنكص أبو بكر على عقبيه ليصل الصف، وظن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن يخرج إلى الصلاة، وهَمَّ الناس أن يفتتنوا في صلاتهم فرحاً برسول الله صلى الله عليه وسلم، فأشار إليهم بيده أن أتموا صلاتكم، ثم دخل الحجرة وأرخى الستار، وانصرف الناس وهم يرون أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أفاق من وجعه، فرجع أبو بكر إلى أهله بالسنح.
(ودخل عبد الرحمن بن أبي بكر أخو عائشة رضي الله عنهما وفي يده سواك)] أي: عود أراك يستاك به [(وأنا مسندة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى صدري)]، من هذه التي تخبر؟ إنها أم المؤمنين عائشة الصديقة رضي الله عنها وأرضاها [(فرأيته)]، أي: رأت النبي صلى الله عليه وسلم [(ينظر إليه)]، أي: إلى عبد الرحمن والسواك بيده، [(وعرفت أنه يحب السواك، فقلت: آخذه لك؟ فأشار أن نعم)] أي: خذيه [(فناولته إياه فاشتد عليه)] أي: وجده قاسياً صلباً [(فقلت: ألينه لك؟ فأشار برأسه أن نعم، فلينته بأمره فاستن به، وهو مستند إلى صدري)]، أسألكم بالله: الذين سمعوا هذا الخبر اليقيني هل يصح منهم أن لا يستاكوا؟ أبعد هذا تهجر السواك وتقول: أنا أكتفي بالمنشفة أو بالفرشاة! وما أحبه رسول الله يجب أن نحبه، وإن كرهته طباعنا، إذ لا يتم إيماننا الصادق به إلا بحب ما يحب، وكره ما يكره.
قال: [(وبين يديه ركوة ماء)] أي: إناء فيه ماء [(فجعل يدخل يده في الماء فيمسح بها وجهه، ويقول: لا إله إلا الله، إن للموت لسكرات، وآخر كلمة قالها: اللهم الرفيق الأعلى) وفاضت روحه صلى الله عليه وسلم].

وأعلمكم أن ساعة عينت لنا وحددت بالضبط، وسوف نلاقي الذي لاقى رسول الله صلى الله عليه وسلم، والله نسأل أن نقول: اللهم الرفيق الأعلى، ونشتاق إلى لقاء الله، ونختمها بلا إله إلا الله: (من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة)، فلهذا ينبغي أن نعيش على كلمة لا إله إلا الله، ولا تفارقنا ليلاً ولا نهاراً، حتى إذا حضرت الساعة ودقت تجدنا أهلاً لذلك، فنقولها ونرددها حتى تقبض الروح.
وقد بلغني أن شخصاً كان معنياً عناية كاملة بأصوات المغنيات والمغنين كحال القرآن عند الصالحين، فحضرته الوفاة وهو يغني بأصوات العواهر والمغنين الفاجرين، وهكذا تقول القاعدة: (من عاش على شيء مات عليه).
قال: [ومن سفهي] أي: قالت رضي الله عنها وأرضاها: ومن قلة عقلي وبصيرتي، فهي تتهم نفسها بالسفه وضعف العقل والفهم والتدبر، وهذا من تواضعها رضي الله عنها، وإلا لو جمعنا نساء العالم كلهن -والله- ما كن كعائشة [وحداثة سني]؛ لأنها صغيرة السن، فقد كان عمرها ثماني عشرة سنة فقط، وقد تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي ابنة تسع [أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قبض في حجري]، أي: أسندته إلى حجرها هكذا بين يديها [ثم وضعت رأسه على وسادة] في الفراش [وقمت ألتدم مع النساء وأضرب وجهي] وا أسفاه وحسراته في غير شعور.

من فضائل عائشة

قال: [وكانت تقول رضي الله عنها: إن من نعم الله علي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي في بيتي، وفي يومي، وبين سحري ونحري]، فعائشة تحدث بهذا الفضل والخير، فتقول رضي الله عنها: إن من نعم الله علي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي في بيتي؛ إذ استأذن نساءه التسع، فأذن له أن يمرض في بيت عائشة، وقولها: (وفي يومي) أي: الذي هو يوم لها من بين تسع نسوة، وقولها: (وبين سحري ونحري) السحر هو الترقوة، والنحر أسفل الرقبة، والرسول بين يديها.
قالت: [وأن الله جمع بين ريقي وريقه لما لينت له السواك فاستاك به] فقد دخل عبد الرحمن وبيده سواك، فعرفت رغبة الرسول فيه، فطلبته له بعد استئذانه فأذن، ثم لينته له حتى لان بفمها، ثم أعطته إياه فاستاك به، فجمع الله بين ريقه وريقها، وهذا والله خير من الدنيا وما فيها، ولا يعادلها شيء في هذه الدنيا، فقط أحبوهما، وصلوا وسلموا عليهما.
والمبتلون بالضلال والعياذ بالله يبغضون عائشة بغضهم لليهودية والنصرانية.
وكيف يعقل هذا! ألا قاتل الله الجهل ما أمرّه! لم ما نسأل؟ ثم نقول: يا سيد! أنت تكره عائشة فأسألك بالله: ماذا تستفيد من كرهها؟ يرجع إليك مالك أو تنتصب ملكاً على الخلق ما الذي تفقده؟! وقد فهموهم أن بغضها من حب الله تعالى، وكيف يفهم هذا؟! والله ما جاز لي ولا لك أن نبغض إنساناً من صعاليك الخلق، فكيف بالذي شهدت الدنيا والقرآن بطهارته وولاية الله له، تبغضه وتقول: متدين! إذا ضللك فلان وفلان فارحل إلى الشرق والغرب واطلب العلم وسل العلماء، وأنقذ نفسك، ولا يحل لك يا أخي الاستمرار على الكفر وأنت لا تدري.

وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال: [وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الإثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول من السنة الحادية عشرة من الهجرة المباركة، وفي مثل الوقت الذي دخل فيه المدينة] هذا محفوظ عند المسلمين.
قال: [فيوم الإثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول ولد فيه صلى الله عليه وسلم، وأوحي إليه فيه]، فقد ابتدأ الوحي في يوم اثني من شهر ربيع الأول [ووصل دار الهجرة فيه] أي: أنه لما هاجر من مكة إلى المدينة دخل المدينة يوم اثني عشر من شهر ربيع الأول، بتدبير الله عز وجل [وتوفي فيه].
أولاً: ولد فيه، ثانياً: أول الوحي فيه، ثالثاً: دار الهجرة وصلها فيه، رابعاً: توفي في يوم الإثنين.
قال: [ولذا كان يصومه صلى الله عليه وسلم ويقول: (يوم الإثنين ولدتُ فيه وأوحي إليّ فيه)].
فهو يشكر الله عز وجل بصيامه؛ لأنه يوم النعمة، فإذا ذكر النعمة شكرها، وليس هناك أعظم من الصيام، فهو يصوم يوم الإثنين لما فيه من نعم الله عليه؛ فقد ولد فيه، وأوحي إليه فيه، وتوفي فيه، أما الهجرة فشيء آخر.
ولهذا الصالحون بيننا يصومون الإثنين والخميس فهنيئاً لهم، ومن استطاع ولم يعوقه صومه على العبادة ولا عمل دنياه فلا خير من صوم يوم الإثنين والخميس فصوموا، ومن كان يعوقه عن خيره فلا.

اشتداد الكرب وكمال الصديق

قال: [اشتداد الكرب وكمال الصديق .
وما إن علم الناس بوفاة الرسول صلى الله عليه وسلم حتى طاشت عقولهم، وعمتهم الحيرة، وأقعدتهم الدهشة، وأظلمت الحياة في وجوههم، حتى إن عمر قام يحلف للناس بأن الرسول ما مات]، نعم قام عمر في المسجد من شدة الكرب وعظم المصيبة يقول للناس: والله ما مات رسول الله، والناس مدهوشون.
قال: [حتى جاء أبو بكر من السنح، فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجده مسجى في ثوب حبرة] الحبرة: نوع من الثياب اليمانية [فكشف عن وجهه وقبله وبكى، ثم قال: بأبي أنت وأمي طبت حياً وميتاً]، ومعنى قول الصديق : بأبي أنت وأمي أي: أفديك بأبي

وأمي، كما تقول: فداه أبي وأمي، أما الحلف بغير الله فلا يجوز، فكيف يحلف أبو بكر ؟! قال: [والذي نفسي بيده] من هو الذي نفس أبي بكر بيده؟ الله جل جلاله، هذه يمين أو لا؟ [لا يذيقك الله الموتتين أبداً] موتة واحدة انتهت.
قال: [ثم خرج و عمر يكلم الناس، فقال: اجلس يا عمر ، فأبى أن يجلس، فأقبل عليه الناس وتركوا عمر]، كان الناس حول عمر ، فلما جاء أبو بكر وطالب عمر بالسكوت ما استطاع أن يسكت وما ملك نفسه، فانحاز أبو بكر وانحاز الناس إليه ليسمعوا ما يقول.
قال: [فحمد الله تعالى وأثنى عليه، وقال: أما بعد: فمن كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، وقال الله عز وجل: إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ [الزمر:30]، وقال: وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِينْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ [آل عمران:144]، فنشج الناس يبكون.
قال ابن عباس : والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر ، فتلقاها الناس منه كلهم، فما أسمع بشراً من الناس إلا يتلوها].
والآية كما سبق هي قوله: إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ، وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِينْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ . الآية، كأنهم ما سمعوا بها حتى سمعوها من أبي بكر الصديق .

غسل الحبيب وكفنه ودفنه

قال: [غسل الحبيب وكفنه ودفنه]، تقول: غُسل الحبيب أو غَسل الحبيب كله واسع.
قال: [ولما فرغ الصديق ، وفرغ الأصحاب من البيعة]، أي: في اليوم الثاني أو الثالث [وبويع لأبي بكر الصديق بالخلافة لرسول الله صلى الله عليه وسلم على أمته، أقبلوا على تجهيز الحبيب صلى الله عليه وسلم، فتولى غسله آل البيت وهم علي بن أبي طالب و العباس بن عبد المطلب و الفضل و قثم ابنا العباس و أسامة بن زيد] أي: حب الرسول وابن حبه [و شقران مولى الرسول صلى الله عليه وسلم] أي: خادمه [وكان العباس وولداه يقلبانه] أي: جنباً إلى جنب [و أسامة و شقران يصبان الماء، و علي يغسله بيده فوق ثوبه] أي: لا يغسل فوق جسمه مباشرة بل يغسل على الثوب [فلم يفض بيده إلى جسده الطاهر قط.
فلم يُر من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يُرى من الميت]، أي: ما رؤي من جسمه مثلما يرى من الأموات [وكان علي يغسله ويقول: بأبي أنت وأمي، ما أطيبك حياً وميتاً.
وكفن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلاثة أثواب، ثوبين صحاريين وبرد حبرة أدرج فيها إدراجاً] أي: أدخل فيها إدخالاً.
قال: [ومن آيات نبوته صلى الله عليه وسلم وعلاماتها، أنهم اختلفوا هل يغسلونه كما يغسل الرجال بأن يجرد من ثوبه؟ فأخذهم النوم وهم كذلك، وإذا بهاتف يقول: غسلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه ثيابه ففعلوا]، فلم ير شيء من جسمه الطاهر.
قال: [ولما أرادوا دفنه اختلفوا في موضع دفنه] أي: أين يدفن، [فجاء أبو بكر رضي الله عنه وقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (ما قبض نبي إلا دفن حيث قبض)] من هذا الصديق؟ هل تحبونه؟ من لم يحبه كفر.
فإن قيل: لم تقول هذا يا شيخ؟ أقول: لعل كلامي يبلغ أهل البدع فيتوب الله عليهم، لأن أكثرهم مخدوعون ومغرر بهم، وما سمعوا كلاماً كهذا.
وقوله في الحديث: (ما قبض نبي إلا دفن حيث قبض) أما قبر إسماعيل فقد قيل: إنه توفي في الحجر، فإن كان كما قيل فهو في الحجر، لكن الرسول صلى الله عليه وسلم ما علمنا شيئاً، ولهذا نقول: الله أعلم، وأما الحجر فقد كان يسكن فيه إسماعيل مع زوجته وأولاده.
قال: [فرفع فراشه صلى الله عليه وسلم وحفر في موضعه]، أي: رفع الفراش، وحفر في موضع الفراش الذي كان عليه، [وذلك بأن حفر له أبو طلحة الأنصاري لحداً]، كما في الحديث: (اللحد لنا والشق لغيرنا)، الشق هو أن تحفر الأرض ثم تدفن فيها، أما اللحد فهو أن تشق الأرض ثم تلحد وتميل إلى اليمين وتحفر، وتدخل الميت فيه، فيصير سقفه الأرض، ويصف باللبن والحجارة، إلا أن البلاد الرملية لا يصح فيها اللحد، فيضطرون إلى الشق.
قال: [ثم دخل الناس أرسالاً]، أي: رسل بعد رسل، جماعة بعد جماعة [يصلون عليه فرادى: الرجال ثم النساء، ثم الصبيان، ثم العبيد، ولما فرغوا من الصلاة عليه دفن صلى الله عليه وسلم].
أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، وقد أدبني أحد الصالحين في جدة، وأقسم لي بأنه يحبني، وأنه يلازم الدرس، وقال: ما اطمأنت نفسي إلى درس ولا استفدت في المسجد مثل هذا الدرس، ولكن أنصح لك، فقلت له: ماذا؟ قال: كثيراً ما تستعجل في قول: صلى الله عليه وسلم، ونحن نتألم، قلت له: والله أنا لا أتألم، لكن هي السرعة والطبيعة، ونسأل الله تعالى أن يتوب علينا.
قال: [ولما فرغوا من الصلاة عليه دفن صلى الله عليه وسلم، وذلك ليلة الأربعاء] لأنهم أوقفوا دفنه حتى تمت بيعة أبي بكر الصديق [وكان الذي نزل في قبره علي بن أبي طالب ، و الفضل و قثم ابنا العباس و شقران ، وأثناء ذلك قال أوس بن حولي الأنصاري لعلي : أنشدك الله وحظنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تأذن لي في النزول إلى قبر رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، فأذن له بالنزول في القبر معهم، فنزل، وسووا عليه التراب ورفعوه مقدار شبر عن الأرض] وهذه سنة قبور المؤمنين والمؤمنات، والجهال والمبتدعة يبنون عليهم البناء.
قال: [وقبض رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، وعمره ثلاث وستون سنة، ولم يخلف من متاع الدنيا ديناراً ولا درهماً، بل مات ودرعه مرهونة في كذا صاعاً من الشعير] عند يهودي، [فصلى الله عليه وسلم يوم ولد ويوم مات ويوم يبعث حياً].

بكاء ودموع على فراق الحبيب صلى الله عليه وسلم

قال: [بكاء ودموع على فراق الحبيب صلى الله عليه وسلم.
لا أحب أن أثير شجون المؤمنين والمؤمنات، ولا أن أهيج نفسي بالبكاء الذي لا يجدي، بلى يجدي؛ إذ يطفئ نار أحشاء تتلهب، ولكن كيف أواصل الحديث والقلب جريح، والعين تذرف، والدمع منهمر].
وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه.

أمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم أيامه الأخيرة في بيت عائشة، وكان أبو بكر الصديق خليفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الصلاة، وفي يوم الإثنين 12 ربيع الأول فاضت روح رسول الله إلى بارئها، فاندهش الصحابة، حتى جاء أبو بكر فخطبهم، فأيقنوا بموته صلى الله عليه وسلم، وقد تولى تغسيله وتكفينه ودفنه آل بيته.

مراجعة لما جاء في تمريض النبي وموته وتكفينه ودفنه

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.
أما بعد: انتهى بنا الدرس إلى وفاة الحبيب صلى الله عليه وسلم، وقد رغب بعض المستمعين في إعادة ساعة وفاته صلى الله عليه وسلم، ولا مانع من ذلك.

اشتداد الكرب وكمال الصديق

قال: [اشتداد الكرب وكمال الصديق وما إن علم الناس بوفاة الرسول صلى الله عليه وسلم حتى طاشت عقولهم] وحق لهم [وعمتهم الحيرة، وأقعدتهم الدهشة، وأظلمت الحياة في وجوههم، حتى إن عمر -على جلالته- قام يحلف للناس بأن الرسول ما مات، حتى جاء أبو بكر] أي: من بيته [من السنح، فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجده قد سجي في ثوب حبرة، فكشف عن وجهه وقبَّله وبكى، ثم قال: بأبي أنت وأمي طبت حياً وميتاً، والذي نفسي بيده! لا يذيقك الله الموتتين أبداً، ثم خرج و عمر يكلم الناس، فقال: اجلس يا عمر ، فأبى أن يجلس، فأقبل عليه الناس وتركوا عمر .
فحمد الله تعالى وأثنى عليه، وقال: أما بعد! فمن كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، وقال عز وجل: إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ [الزمر:30]، وقال تعالى: وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِينْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ [آل عمران:144] فنشج الناس يبكون، قال ابن عباس : والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها] أي: قرأها [أبو بكر ، فتلقاها الناس منه كلهم، فما أسمع بشراً من الناس إلا يتلوها] لأنها خففت آلامهم وأحزانهم.

غسل الحبيب وكفنه ودفنه

قال: [غسل الحبيب وكفنه ودفنه: ولما فرغ الصديق وفرغ الأصحاب من البيعة] بايعوا أبا بكر في سقيفة بني ساعدة يومين والاجتماع دائر [وبويع لـأبي بكر الصديق بالخلافة لرسول الله صلى الله عليه وسلم على أمته، أقبلوا على تجهيز الحبيب صلى الله عليه وسلم، فتولى غسله آل البيت وهم: علي بن أبي طالب ، و العباس بن عبد المطلب ، و الفضل و قثم ابنا العباس ، و أسامة بن زيد و شقران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان العباس وولداه يقلبونه، و أسامة و شقران يصبان الماء، و علي يغسله بيده فوق ثيابه، فلم يفض بيده إلى جسده الطاهر قط] وإنما على الثوب [فلم ير من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يرى من الميت، وكان علي يغسله ويقول: بأبي أنت وأمي! ما أطيبك حياً وميتاً، وكفن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلاثة أثواب، ثوبين صحاريين وبرد حبرة] من ثياب اليمن [أدرج فيها] أي: في الثياب الثلاثة [إدراجاً] ولف فيها.
قال: [ومن آيات نبوته صلى الله عليه وسلم أنهم اختلفوا، هل يغسلونه كما يغسل الرجال بأن يجرد من ثوبه؟] أي: يبقى عارياً أو ماذا يفعلون؟ هذه المجموعة من الصالحين الذين سمعتم عنهم، اختلفوا كيف نغسله؟ ننزع عنه ثيابه أو نتركه ونغسله فوقها؟ [فأخذهم النوم وهم كذلك، وإذا بهاتف يقول: غسلوا رسول الله وعليه ثيابه، ففعلوا، ولما أرادوا دفنه اختلفوا في موضع دفنه، فجاء أبو بكر رضي الله عنه وقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (ما قبض نبي إلا دفن حيث قبض)] كل الأنبياء بالآلاف ما يدفن النبي إلا في مكان موته، وهذه خصوصية خصهم الله بها [فرفع فراشه صلى الله عليه وسلم وحفر في موضعه، وذلك بأن حفر له أبو طلحة الأنصاري لحداً، ثم دخل الناس أرسالاً] أي: جماعات جماعات [يصلون عليه فرادى: الرجال ثم النساء ثم الصبيان ثم العبيد، ولما فرغوا من الصلاة عليه دفن صلى الله عليه وسلم وذلك ليلة الأربعاء، وكان الذي نزل في قبره علي بن أبي طالب و الفضل و قثم ابنا العباس و شقران -مولى رسول الله-، وأثناء ذلك قال أوس بن حولي الأنصاري لـعلي : أنشدك الله وحظنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم، أي: أن تأذن لي في النزول إلى قبر الحبيب صلى الله عليه وسلم، فأذن له بالنزول في القبر معهم فنزل، وسووا عليه التراب، ورفعوه مقدار شبر عن الأرض.
وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمره ثلاث وستون سنة، ولم يخلف من متاع الدنيا ديناراً ولا درهماً، بل مات ودرعه مرهونة في آصع من شعير، فصلى الله عليه وسلم يوم ولد، ويوم مات، ويوم يبعث حياً].

تمريضه في بيت عائشة

قال: [في بيت عائشة] هذه أمنا عائشة الصديقة ، هذه بنت أبي بكر الصديق ، هذه زوج الحبيب صلى الله عليه وسلم؛ فهيا نقضي هذه الدقائق مع رسولنا صلى الله عليه وسلم، وهو في بيت عائشة رضي الله عنها.
قال: [وبعد أن أذن له أمهات المؤمنين في أن يُمرض في بيت عائشة رضي الله عنها]، هذا عدل رسول الله ومن أعدل منه؛ فقد استأذن وطلب من نسائه أن يسمحن له بأن يمرض في بيت عائشة، وكان له تسع نسوة، ولكل امرأة بيت وحجرة، فاستأذنهن في أن يمرض في بيت عائشة رضي الله عنها.
قال: [خرج صلى الله عليه وسلم يمشي بين رجلين من أهله، هما: العباس وعلي رضي الله عنهما] أي: يمشي بينهما كل آخذ بجنبه [وهو عاصب رأسه، تخط قدماه حتى دخل بيت عائشة رضي الله عنها، ثم حُمَّ]، أي: أصابته الحمى ونزلت به [واشتد به الوجع] أي: الألم [فقال صلى الله عليه وسلم: (هريقوا علي سبع قرب من ماء حتى أخرج إلى الناس)]، أي: صبوا علي سبع قرب، والقربة معروفة من ماء بارد، حتى أخرج إلى الناس في المسجد.
[(فأعهد إليهم)] أي: بما ينبغي أن يكون [قالت عائشة : فأقعدناه في مخضب لحفصة بنت عمر] أي: من بيتها تملكه [ثم صب عليه الماء حتى طفق يقول: (حسبكم حسبكم)]، أي: يكفي ما صببتم علي [ثم خرج إلى الناس فصلى بهم وخطبهم، ثم ازداد مرضه، فقال: (مروا أبا بكر فليصل بالناس، فقالت عائشة : إن أبا بكر إذا قام مقامك لا يُسمِع الناس من البكاء، فمر عمر فليصل بالناس، وكررت عليه عائشة القول، فكرر الإجابة حتى قالت عائشة لحفصة : قولي له: إن أبا بكر إذا قام مقامك لم يسمع الناس من البكاء فمر عمر فليصل بالناس، فقالت له، فقال صلى الله عليه وسلم: مه! إنكن لأنتن صواحب يوسف)]، وصواحب يوسف هن النسوة اللائي جلسن إليه فقطعن أيديهن [(مروا أبا بكر فليصل بالناس، فقام أبو بكر يصلي بالناس، ووجد النبي صلى الله عليه وسلم من نفسه خفة، فخرج بين رجلين: العباس و علي بن أبي طالب لصلاة الظهر، فلما رآه أبو بكر ذهب ليتأخر، فأومأ إليه أن لا يتأخر، وقال للرجلين: أجلساني إلى جنبه)] أي: جنب أبي بكر [(فأجلساه إلى جنب أبي بكر ، فكان أبو بكر يصلي وهو قائم بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قاعد، والناس يصلون بصلاة أبي بكر)، وفي مرضه هذا قال لعائشة رضي الله عنها: (ما زلت أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر، فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم)]، يشير إلى ما وقع في السنة الثالثة من الهجرة لما غزا خيبر برجاله، فجاءت يهودية وقد ذبحت شاة وأطعمتهم، فأكل منها أحد الصحابة فمات، وأكل منها الرسول فما مات من الأكل، ولكن بقي يتألم ويتأذى به إلى هذا اليوم أربع سنوات، قال: (ما زلت أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر، فهذا وقت أوان وجدت انقطاع أبهري) أي: الوفاة من ذلك السم، فهؤلاء بني عمنا من اليهود قتلوا نبينا، والقتلة الأولى لما تآمروا عليه على ثلاثة أميال من المسجد في ديار بني النضير، وأجلسوه تحت جدار في ظل، وأهلوا وسهلوا، ثم كلفوا من يرمي عليه صخرة أو رحى على رأسه، وهذا قتل؛ فلهذا صدق الله العظيم: وَيَقْتُلُونَ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ [آل عمران:112]، وهذه طبيعتهم وهذا وصفهم إلى يوم القيامة، اللهم إلا من انسلخ عن اليهودية ودخل في الإسلام، فلا يوثق فيهم ولا يطمأن إليهم، ولا يوفون بعهد ولا بمعاهدة أبداً، قد طبعوا على هذا، فالعنوهم.
قال: [ولما كان يوم الخميس وقبل وفاته صلى الله عليه وسلم بأربع ليال، اجتمع عنده ناس من أصحابه، فقال: (ائتوني بكتف)]، كتف الشاة عظم أبيض معروف، واسع، يكتب فيه الوثائق [(ودواة)] بها الصبغ أو الحبر [(اكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً)] أي: لو أخذتم به [(فتنازعوا عنده)] أي: الأصحاب.
بعضهم يقول: دعوا رسول الله لا ترهقوه، لا تتعبوه، وآخر يقول: اكتبوه هكذا [(وأوصاهم بثلاث، فقال: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب)] وجزيرة العرب ها نحن فيها، وهي شبه جزيرة، يدخل فيها: عدن، وعمان، والإمارات، والكويت، وقطر، والمملكة، وهي قبة الإسلام وبيضته، ولا يحل أن يوجد فيها مشرك أبداً يعبد غير الله عز وجل، ولا يصح أن تبنى فيها كنيسة أو بيعة من بيع اليهود أو معبد من معابد الهنود؛ لأنها بمثابة المسجد، فهل تبني كنيسة داخل المسجد؟ ما هو معقول، فلهذا امتثل رسول الله أمر ربه تعالى في قوله: بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * فَسِيحُوا فِي الأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ [التوبة:1-2] هذه المدة التي أعطاهم إياها فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ [التوبة:5]، لماذا يا رسول الله؟ من أجل أن تطهر هذه البقعة في العالم؛ لتبقى منار الإسلام وهداية المسلمين.
وقوله: (أخرجوا المشركين من جزيرة العرب) أما غير المشركين كاليهود والنصارى فلا بأس، لكن المشركين لم يبق مجال لهم في البقاء هناك.
قال: [(وأجيزوا الوفود بنحو ما كنت أجيزهم)] إذا جاء وفد من أي بلاد أجيزوه بجائزة كما كنت أجيز الوفود، ترغيباً لهم في الإسلام، وتأهيلاً لهم لدعوة الله عز وجل.
قال: [ولما كان يوم الإثنين الذي قبض فيه صلى الله عليه وسلم -والناس في صلاة الصبح و أبو بكر يصلي بالناس- لم يفجأهم إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم يكشف ستر حجرة عائشة ، فينظر إليهم وهم صفوف في الصلاة، ثم تبسم يضحك، فنكص أبو بكر على عقبيه ليصل الصف، وظن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن يخرج إلى الصلاة، وهمَّ الناس أن يفتنوا في صلاتهم فرحاً برسول الله صلى الله عليه وسلم، فأشار إليهم بيده أن أتموا صلاتكم، ثم دخل الحجرة وأرخى الستار] والحجرة هي هذه التي عن شمالنا.
قال: [وانصرف الناس وهم يرون أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أفاق من وجعه، فرجع أبو بكر إلى أهله بالسنح، ودخل عبد الرحمن بن أبي بكر وفي يده سواك] عبد الرحمن بن أبي بكر هو أخو عائشة من أبيها وأمها، فأبو بكر ذهب إلى أهله، و عبد الرحمن دخل على أخته وحبيبه صلى الله عليه وسلم، وفي يده عود سواك يستاك به، والاستياك معلوم.
قال: [وأنا مسندة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى صدري] هي تقول هكذا [فرأيته ينظر إليه] أي: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم ينظر إلى عبد الرحمن والسواك في يده وهو يستاك [وعرفت أنه يحب السواك فقلت: آخذه لك؟] أي: آخذ لك السواك من أخي [فأشار أن نعم] أي: خذيه لي.

قالت: [فناولته إياه فاشتد عليه] كان العود قاسياً وليس بهش [فقلت: ألينه لك؟ فأشار برأسه أن نعم، فلينته بأمره فاستن به، وهو مستند إلى صدري، وبين يديه ركوة ماء] أي: آنية فيها ماء [فجعل يدخل يده في الماء فيمسح به وجهه ويقول: (لا إله إلا الله، إن للموت لسكرات) وآخر كلمة قالها: (اللهم الرفيق الأعلى)] يريد معنى قوله تعالى: وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقًا [النساء:69].

قالت أم المؤمنين عائشة : [ومن سفهي وحداثة سني] لأنها صغيرة، تزوجها وهي ابن سبع، وما عاشت معه أكثر من ثمان سنين [أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قبض في حجري، ثم وضعت رأسه على وسادة وقمت ألتدم مع النساء وأضرب وجهي.

وكانت تقول رضي الله عنها: إن من نعم الله علي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي في بيتي، وفي يومي، وبين سحري ونحري، وأن الله جمع بين ريقي وريقه؛ أن لينت له السواك فاستاك به] فجمع الله بين ريقه وريقها.

قال: [وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول من السنة الحادية عشرة من الهجرة المباركة، وفي مثل هذا الوقت الذي دخل فيه المدينة.

فيوم الإثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول ولد فيه، وأوحي إليه فيه، ووصل دار الهجرة فيه، وتوفي فيه، ولذا كان يصومه صلى الله عليه وسلم ويقول: (يوم الإثنين ولدتُ فيه وأوحي إليَّ فيه)] هذا اليوم ولد فيه، وهاجر فيه ودخل المدينة، وتوفي فيه.

يا أصحاب المولد! كيف اخترتم فقط الفرح ونسيتم الحزن؟ يا شيخ! هذا كله باطل، لو سن لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة المولد -والله- لتسابقنا إليها ولفزنا إن شاء الله بها، لكن ما سن هذا، ولا أوصى به، ولا أمر به، فهي عادة من عادات النصارى فقط، إذ المولد في الأمة الإسلامية لم يعرف في القرون الثلاثة قط، والله ما سمع به، ولا كان إلا في القرن الرابع، أخذوه عن النصارى جيرانهم فقط، ومع هذا من أراد أن يشكر الله كما كان الحبيب يشكره فليصم يوم الاثنين والخميس شكراً لله على أن أنعم به على رسوله بالولادة والنبوة والهجرة والاثنين، وفوق ذلك ائتساء واقتداءً بالحبيب صلى الله عليه وسلم إذ كان يصوم الاثنين والخميس، أما البقلاوة، والرقص، والبخور، والصياح كل هذا من عادات الجاهلية، ليس من الإسلام في شيء.

بكاء ودموع على فراق الحبيب صلى الله عليه وسلم

قال: [بكاء ودموع على فراق الحبيب صلى الله عليه وسلم.

لا أحب أن أثير شجون المؤمنين والمؤمنات، ولا أن أهيج نفسي بالبكاء الذي لا يجدي، بل يجدي، إنه يطفئ نار أحشاء تلتهب، ولكن كيف أواصل الحديث والقلب جريح، والعين تذرف، والدمع منهمر، فلذا نكتفي بتسجيل دالية حسان بن ثابت شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنها تعبر عن حزن وألم ودموع كل مؤمن ومؤمنة] إليكم هذه القصيدة التي رثى فيها حسان نبي الله صلى الله عليه وسلم.

قال: [قال رضي الله عنه]، أي: حسان بن ثابت شاعر الإسلام، شاعر النبي صلى الله عليه وسلم، اسمعوه يبكي.

قال: [بطيبة رسم للرسول ومعهد منير وقد تعفو الرسوم وتهمد ولا تنمحي الآيات من دار حرمة بها منبر الهادي الذي كان يصعد وواضح آثار وباقي معالم ورَبع له فيه مصلى ومسجد بها حجرات كان ينزل وسطها من الله نور يستضاء ويوقد معارف لم تطمس على العهد آيها أتاها البلى فالآي منها تجدد عرفت بها رسم الرسول وعهده وقبراً بها واراه في الترب ملحد ظللت بها أبكي الرسول فأسعدت عيون ومثلاها من الجفن تسعد تذكرن آلاء الرسول وما أرى لها محصياً نفسي فنفسي تبلد مفجعة قد شفها فقد أحمد فظلت لآلاء الرسول تعدد وما بلغت من كل أمر عُشيره ولكن لنفسي بعد ما قد توجد أطالت وقوفاً تذرف العين جهدها على طلل القبر الذي فيه أحمد فبوركت يا قبر الرسول وبوركت بلاد ثوى فيها الرشيد المسدد وبورك لحد منك ضمن طيباً عليه بناء من صفيح منضد تهيل عليه الترب أيد وأعين عليه وقد غارت بذلك أسعد لقد غيبوا حلماً وعلماً ورحمة عشية علوه الثرى لا يوسد وراحوا بحزن ليس فيهم نبيهم وقد وهنت منهم ظهور وأعضد يبكون من تبكي السماوات يومه ومن قد بكته الأرض فالناس أكمد وهل عدلت يوماً رزية هالك رزية يوم مات فيه محمد؟ تقطع فيه منزل الوحي عنهم وقد كان ذا نور يغور وينجد يدل على الرحمن من يقتدي به وينقذ من هول الخزايا ويرشد إمام لهم يهديهم الحق جاهداً معلم صدق إن يطيعوه يسعدوا عفو عن الزلات يقبل عذرهم وإن يحسنوا فالله بالخير أجود وإن ناب أمر لم يقوموا بحمله فمن عنده تيسير ما يتشدد فبينا هم في نعمة الله بينهم دليل به نهج الطريقة يقصد عزيز عليه أن يجوروا عن الهدى حريص على أن يستقيموا ويهتدوا عطوف عليهم لا يثني جناحه إلى كتف يحنو عليهم ويمهد فبينا هم في ذلك النور إذ غدا إلى نورهم سهم من الموت مقصد فأصبح محموداً إلى الله راجعاً يبكيه حتى المرسلات ويحمد وأمست بلاد الحرم وحشاً بقاعها لغيبة ما كانت من الوحي تعهد إلى أن قال: فبكي رسول الله يا عين عبرة ولا أعرفنك الدهر دمعك يجمد وما لك لا تبكين ذا النعمة التي على الناس منها سابغ يتغمد فجودي عليه بالدموع وأعولي لفقد الذي لا مثله الدهر يوجد وما فقد الماضون مثل محمد ولا مثله حتى القيامة يفقد إلى أن قال: أقول ولا يلقى لقولي عائب من الناس إلا عازب العقل مبعد وليس هوائي نازعاً عن ثنائه لعلي به في جنة الخلد أخلد مع المصطفى أرجو بذاك جواره وفي نيل ذاك اليوم أسعى وأجهد]

الذات المحمدية

قال: [الذات المحمدية: إن الحبيب صلوات الله وسلامه عليه بشر، إلا أنه أكمل البشر وأفضلهم، وواهب كماله وفضله هو الله جل جلاله، وتعالى جده، وعظم سلطانه.

ومن هنا كان الكمال المحمدي -ذاتاً وصفات- عطاء إلهياً لا يسامى رسول الله فيه، ولا يقوى القلم على رسم حقيقته، ولم يخطئ من قال في هذا الشأن: وما مثلوا صفاتك للناس إلا كما مثل النجوم الماء وقد صف الحبيب محمداً صلى الله عليه وسلم بعض من أصحابه ومواليه وآل بيته، وكل واصف لم يعد الحقيقة، بل لم ينته إليها، وذلك لعجزه وعدم قدرته على رسم الصورة الحقة للذات المحمدية.
وبناءً على هذا الذي قلنا؛ فإننا نكتفي بوضع رسم أمام القارئ كان قد رسمه أعلم أصحابه به، وألصقهم بجنابه، لأنه فرع دوحته، وبعل ابنته، وأبو حسنيه؛ هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه إذ يقول .]

الرسم الكريم لمحمد الحبيب صلى الله عليه وسلم

قال: [الرسم الكريم لمحمد الحبيب صلى الله عليه وسلم.
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بالطويل ولا القصير، فخم الرأس واللحية، شثن الكفين والقدمين، ضخم الكراديس، مشرباً وجهه حمرة، طويل المسربة] أي: الشعر الذي في الصدر [إذا مشى تكفأ تكفؤاً كأنما ينحط من صبب، لم أر قبله ولا بعده مثله، وكان أدعج العينين، سبط الشعر، سهل الخدين، ذا وفرة، كأن عنقه إبريق فضة، وإذا التفت التفت جميعاً، كأن العرق في وجهه اللؤلؤ الرطب؛ لطيب عرقه وريحه، وخاتم النبوة بين كتفيه، وهو بضعة لحم ناشزة حولها شعر طيب جميل.
كانت تلك صورة رسول الله صلى الله عليه وسلم رسمها أبلغ أصحابه بياناً وأفصحهم لساناً، ومن أصدقهم لهجة، وأكثرهم تحرياً للحقيقة والصواب، فلو أراد المصورون اليوم -وقد لعنهم الله على لسان رسوله- لو أرادوا أن يرسموا صورة لمثل رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ما قدروا ولو اجتمعوا لذلك، ولكانوا كاذبين] وبلغني وأنا أكتب هذه الرسالة: السيرة المحمدية العطرة: أن منظمة ما في بلد ما -جحدنا اسمها- رسمت صورة في شكل تمثال وقالوا: هذا محمد صلى الله عليه وسلم، فكر عليها رجال سفارة خادم الحرمين الشريفين فهدموها وحطموها، فجزاهم الله خير الجزاء، وحفظ الله خادم الحرمين وحكومته التي تذب عن الإسلام، وتدفع عن حرمات شرائعه أصولاً وفروعاً، آمين.
وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

ثبت في السنة النبوية أن لرسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة أسماء هي: محمد، وأحمد، والمقفي، والعاقب، والحاشر، وقد تزوج النبي صلى الله عليه وسلم خمس عشرة امرأة، ودخل بثلاث عشرة منهن، وتوفي عن تسع، ولم ينجب إلا من اثنتين: خديجة ومارية القبطية، وكان لرسول الله عدد من الموالي، بعضهم أهدي إليه، وبعضهم كان من غزواته.

أسماء الذات المحمدية

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.
أما بعد: ها نحن في أحداث السنة الحادية عشرة وهي أحداث جسام، وأعظمها: وفاة الحبيب صلى الله عليه وسلم.
قال: [أسماء الذات المحمدية] نريد أن نعرف أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذه المعرفة واجبة، فإذا سئلت: من نبيك؟ تقول: لا أدري، وهذا لا يصح أبداً.
قال المؤلف غفر الله له ولكم ورحمه وإياكم وسائر المؤمنين: [إن لكل ذات اسماً -أو أسماء- تعرف بها] هذه طبيعة الحال، فكل ذات لها اسم أو أسماء من أجل أن تعرف بها [من بين سائر الذوات، وهذا أمر مقرر في جميع الشرائع، ومستقر في النفوس، وملازم للفطرة، ومقبول لدى العقول، وبقدر شرف الذات وسموها وكمالها تكثر أسماؤها وصفاتها] هذه لطيفة، فتكثر أسماء الذات بسبب علوها وشرفها ومنزلتها [حتى تجل عن الحصر؛ فإن لله تعالى مائة اسم إلا اسماً] أي: اسماً واحداً، وهذا الذي أطلعنا الله عليه وعلمناه، وهناك أسماء لا يعلمها إلا هو أو من شاء من عباده.
قال: [وقد ذكرت في القرآن متفرقة، وذكرت في السنة مجملة] فأسماء الله تسعة وتسعون اسماً موجودة في القرآن، لكن في سور متعددة وآيات مختلفة، وقد جاءت في السنة مجملة.
قال: [وأما الحبيب صلى الله عليه وسلم فإن له خمسة أسماء، وليس هذا لغيره من سائر إخوانه الأنبياء فضلاً عمن دونهم] أي: ما أعطي نبي خمسة أسماء إلا نبينا صلى الله عليه وسلم [وقد جاء ذكر أسمائه الخمسة في حديث مالك في موطئه وهي] أي: الأسماء الخمسة، وهيا لنحفظها [محمد، أحمد، المقفي، العاقب، الحاشر] وأكثرنا يعرف محمداً وأحمد، ويبقى ثلاثة: المقفي، العاقب، الحاشر.
فالمقفي أي: الذي قفى الأنبياء كلهم وجاء بعدهم، فهو مقفيهم، وهو العاقب الذي يحشر الناس على عقبه من ورائه وهو أمامهم، أو الذي هو عقب الأنبياء، والحاشر هو الذي يحشر الناس وراءه، فيقودهم إلى ساحة فصل القضاء.
قال: [وأما صفاته صلى الله عليه وسلم مثل نبي الرحمة، نبي الملحمة، نبي التوبة، فهي كثيرة جداً ويطول ذكرها، وقد كتب قدر منها في الجدار القبلي لمسجده صلى الله عليه وسلم] أي: كتبت هذه الصفات في الجدار القبلي للمسجد النبوي [وما كان ينبغي أن تكتب أسماؤه وصفاته على الجدران والحيطان، وإنما على ألواح الذهب، ولكن أكثر الناس لا يعلمون] هذه لطيفة، فلا يجوز أن نكتبها على الجدار، فقد يسقط ويبولون عليه، أما ألواح الذهب فنعم، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

أزواج النبي صلى الله عليه وسلم

قال: [ما له علاقة بالذات المحمدية] هنا نريد أن نعرف ما له علاقة بذات نبينا صلى الله عليه وسلم، وذلك [كالزوجات والأولاد والموالي والممتلكات له كالمراكب وأنواع السلاح] وكل ذلك حتى نعرف نبينا معرفة وافية كاملة.
قال: [أولاً: أزواجه صلى الله عليه وسلم] والأزواج جمع زوج لا زوجة، وخيفة أن يغلط الناس قلنا: زوجة بالهاء، وإلا فالزوج ذكر والزوج أنثى، وأنت كفرد تكون زوجاً إذا انضم إليك آخر، فأنت زوج، وهو زوج.
قال: [أجمل ابن الكلبي -كما ذكر ذلك ابن الأثير - القول في زوجات رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: تزوج النبي صلى الله عليه وسلم خمس عشرة امرأة، ودخل بثلاث عشرة منهن، وجمع بين إحدى عشرة منهن، وتوفي صلى الله عليه وسلم عن تسع منهن رضي الله عنهن] فمجمل أزواجه خمس عشرة، واللاتي بنى بهن ثلاث عشرة، واللاتي توفي وهن في حجراته تسع نسوة.
قال: [وتفصيل ذلك كالآتي] فلنستمع [تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من تزوج خديجة بنت خويلد] رضي الله تعالى عنها، فأحبوها بحب نبيكم لها [وكانت قبل] أي: قبل أن يتزوجها الرسول صلى الله عليه وسلم [تحت عتيق بن عائذ بن عبد الله بن مخزوم ، فمات عنها وتزوجها بعده أبو هالة بن زرارة بن النباش التميمي ، فولدت له هند بن أبي هالة ، ثم مات عنها فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم] أي: أن خديجة تزوجت أول مرة ثم مات زوجها أو طلقها، ثم تزوجت مرة أخرى ثم مات زوجها أو طلقها، ثم تزوجها بعد ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم.
قال: [وهي أم أولاده كافة إلا إبراهيم فإنه من مارية القبطية جاريته التي أهداها إياه الملك المقوقس ملك القبط وهو بالمدينة النبوية] لأن الرسول يقول: (واستوصوا بأهل مصر خيراً، فإن لهم ذمة ورحماً) فهاجر أم إسماعيل قبطية مصرية، و مارية أم إبراهيم كذلك، ولهذا قال: (فإن لهم ذمة ورحماً) فنحترمهم، ونستوصي بهم خيراً أيضاً.

قال: [ثم تزوج] أي: بعد خديجة [عائشة بنت أبي بكر الصديق ، وكانت صغيرة السن، فلم يبن بها] أي: بمكة [حتى هاجر إلى المدينة المنورة وهاجرت أسرتها الكريمة] فثاني زوجاته عائشة ، تزوجها بمكة، أي: عقد فقط، فهي صغيرة عمرها سبع سنوات، ولما هاجروا وهاجرت هي ووالدها وأمها وأسرتها، وبنى بها لما بلغت العاشرة من عمرها أو التاسعة.
قال: [ثم تزوج صلى الله عليه وسلم بمكة سودة بنت زمعة وهي ثيب] أي: ليست ببكر [إذ كانت تحت السكران بن عمرو أخي سهيل بن عمرو] ذاك الزعيم المعروف الذي مثل قريشاً في الحديبية رضي الله عنه [وكان قد هاجر إلى الحبشة فتنصر ومات بها كافراً] والعياذ بالله [فزوجه بها والدها زمعة بن قيس ، وخطبتها له خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون رضي الله عنه، فدخل بها بمكة وأصدقها أربعمائة درهم.
ثم تزوج حفصة بنت عمر بن الخطاب ، وكانت قبله تحت خنيس بن حذافة السهمي] فطلقها أو مات عنها ثم تزوجها الرسول [وأمهرها صلى الله عليه وسلم أربعمائة درهم.
ثم تزوج أم سلمة بنت أبي أمية المخزومية ، وكانت عند أبي سلمة بن عبد الأسد شهيد أحد رضي الله عنه، ثم تزوج زينب بنت خزيمة أم المساكين] ولقبت بـأم المساكين لرحمتها بالضعفة والفقراء والمساكين [وكانت عند الطفيل بن الحارث بن عبد المطلب ، وماتت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يمت في حياته من نسائه إلا هي] فهي الوحيدة التي ماتت في حياة الرسول [و خديجة قبلها] فخديجة ماتت قبلها في مكة.
قال: [ثم تزوج جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار الخزاعية من بني المصطلق، وكانت عند مالك بن صفوان المصطلقي ، ولم تلد له شيئاً] فتزوجها الرسول صلى الله عليه وسلم بعده، فهي سبيت مع السبي، وأعتقها ثابت بن قيس بمقابل، والرسول دفع مقابل العتق وتزوجها برضاها، وقد تقدمت هذه الحادثة.
قال: [ثم تزوج أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب] أخت معاوية [وكانت عند عبد الله بن جحش ، وهو من مهاجرة الحبشة وتنصر ومات بها] أي: بالحبشة [فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي فخطبها عليه وتزوجها وهي بالحبشة، وتولى عقد نكاحها خالد بن سعيد بن العاص ، ودفع مهرها النجاشي، وكان أربعمائة دينار، واسم أم حبيبة رملة .
ثم تزوج زينب بنت جحش ، وكانت عند زيد بن حارثة مولاه، فزوجه الله تعالى بها، وبعث في ذلك جبريل، فكانت رضي الله تعالى عنها تفخر على نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقول: أنا أكرمهن ولياً وسفيراً] فالسفير جبريل، والولي هو الله رب العالمين [وهي أول من توفي من زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم بعد وفاته، فقد توفيت في خلافة عمر رضي الله عنهما وأرضاهما، ثم تزوج صفية بنت حيي بن أخطب النضرية] أي: من بني النضير [وكانت قبله عند سلام بن مشكم فمات عنها، وخلفه عليها كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق] اليهودي [فقتل في خيبر، ثم أعتقها رسول الله صلى الله عليه وسلم وتزوجها؛ لأنها كانت من سبي خيبر] هذه صفية .
قال: [ثم تزوج ميمونة بنت الحارث الهلالية ، وكانت قبله تحت عمير بن عمرو الثقفي ، ثم تزوجها بعد عمير أبو زهير بن عبد العزى ، ثم تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده، وهي خالة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم في عمرة القضاء، عقد عليها بمكة بعد التحلل من العمرة، وبنى بها بسرف] وماتت أيضاً بسرف رضي الله عنها [كما تقدم بيانه في عمرة القضاء].
قال: [ثم تزوج شراف بنت خليفة الكلبي ، وتوفيت قبل أن يبني بها] أي: ما دخل بها [وهي أخت دحية بن خليفة الكلبي رضي الله عنه، ثم تزوج امرأة من بني كلاب وتوفيت قبل البناء بها.
ثم تزوج الشنباء بنت عمرو الغفارية ، فلما مات ابنه إبراهيم قالت: لو كان نبياً ما مات ولده، فطلقها] أي: لما مات إبراهيم في السنة الأولى من ولادته قالت لجهلها: لو كان نبياً ما يموت ولده، فقال لها: التحقي بأهلك، أي: طلقها.
قال: [ثم تزوج عربة بنت جابر الكلابية ، فلما قدمت عليه صلى الله عليه وسلم استعاذت بالله منه، ففارقها وقال: (منيع عائذ الله)] فاستعاذت بالله من الرسول، فقال: منيع عائذ الله، فاذهبي إلى أهلك.
قال: [ثم تزوج العالية بنت ظبيان فبنى بها، ثم فارقها وردها إلى أهلها لعلة كانت بها] وهي البرص، ولهذا إذا تزوج المرء امرأة ووجد فيها علة حقيقية فله أن يفارقها ويطلقها، ولكن المهر لها.
قال المؤلف: [المذكورات هن النسوة اللاتي تزوجهن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرناهن تفصيلاً لا إجمالاً.
وأما السراري فلم يكن له صلى الله عليه وسلم سوى مارية بنت شمعون القبطية و ريحانة بنت زيد القرظية أو النضرية] فقط، فما عنده مملوكات، فمارية القبطية أهداها إياه ملك مصر، وكذلك ريحانة .
قال: [ومما ينبغي أن يقال هنا ويعلم] أي: بعد ما سمعنا الذي سمعناه [أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتزوج بكراً قط إلا عائشة رضي الله عنها] ونفهم من هذا أنه لو كانت الغريزة الجنسية هي الدافعة للنبي صلى الله عليه وسلم فما كان ليتزوج العجائز، ووالله ما كان يتزوجهن إلا إكراماً لهن ومراعاة لآبائهن أو إخوانهن، وليس للغريزة، ولنتأمل هذا.
أما عائشة فقد زوجه أياها أبو بكر وأمها، فما إن ماتت خديجة وحتى يطمئنون قلبه ويروحون على نفسه زوجوه عائشة.
قال: [وكان زواجه بها إكراماً لوالدها الصديق الوفي والأخ الصادق الأخوة، الذي آزره منذ اللحظات الأولى في دعوته وحمل رسالته، وبهذا يتبين بوضوح لذوي العقول والبصائر] ماذا يتبين لهم؟ [أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتزوج امرأة من نسائه الثلاث عشرة اللائي بنى بهن لمجرد الرغبة في الاتصال الجنسي، وإنما كان لأهداف سامية وغايات شريفة لم يَسْمُ إليها] أي: هذه الغايات والمراتب العالية [غير الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم.
فقد تزوج خديجة بعد رغبتها في الزواج منه لتكون قاعدة دعوته، وأمينة سره، ومأوى نفسه عند اشتداد الخوف به وحلوكة الأيام والليالي عليه] كما عانى رسول الله في مكة.

قال: [وتزوج أم حبيبة و أم سلمة و سودة و ميمونة و أم المساكين وهن أرامل مرملات؛ إيواء لهن لما فقدن أزواجهن، ولما أصابهن من عذاب واضطهاد في ذات الله تعالى.
وزوجه ربه تبارك وتعالى زينب بنت جحش وهو كاره لذلك خاشٍ من أن يقول الناس: محمد تزوج امرأة زيد الذي تبناه] أما قال تعالى: زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ [الأحزاب:37] .
قال: [وتزوج حفصة بنت عمر الثيب؛ إكراماً لعمر وتحقيقاً لرغبته في أن تكون بنته في بيت النبوة الطاهر، وتصبح حفصة بنت عمر من أمهات المؤمنين.
] فقد كان عمر يرغب في أن تكون ابنته حفصة في بيت النبوة، وهل يوجد مؤمن لا يرغب في هذا؟! فيا ليت أمهاتنا كلنا عنده [وإذا لم يكرم الرسول صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب من أصحابه فمن يكرم إذاً؟ وتزوج صفية و جويرية مسحاً لدموعهما وإذهاباً لحزنهما لموت زوجيهما في معركة قتال دارت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين رجالهما.
وهكذا ما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم لغير الله] وكيف لا وهو وقف على الله، فالحياة والموت كلها لله [ولا بدون إذن من الله ورضا الله] أي: ما تزوج إلا بإذن الله، ورضا الله كذلك.
قال: [ألا قاتل الله الطاعنين في الكمال المحمدي] فالعنوهم [وقطع ألسنة الجاهلين ببغاوات أعداء الإسلام من يهود ونصارى ومجوس ومشركين الذين يهرفون بما لا يعرفون] أي: قالوا: كيف يتزوج نبيك تسع؟ إذاً عدد الأزواج خمس عشرة، وبنى بثلاث عشرة، واللتان ما بنى بهما طلقهما قبل البناء وبعد العقد، وأول زوجاته هي خديجة ، وزوجته التي عقد الله لها النكاح هي زينب بنت جحش من أجل إبطال ما عرف وتعارفوا عليه بالتبني، فمحمد صلى الله عليه وسلم تبنى زيد بن حارثة الذي أهدته له خديجة ، فهو عبد لخديجة ، فلما أحسن إليه تبناه في مكة وأعلن عن ذلك، وكان التبني شائعاً بين العرب، فأراد الله أن يبطل هذه العادة.
لكن من يقوى على أن يتزوج امرأة ابنه؟ فبدأ الله برسوله؛ لأنه أقدر على هذا منهم، فخطبها لزيد مولاه، فتزوجها زيد وبذلك بطل التبني، ثم بعد ذلك ما أطاق زيد العيش مع هذه الشريفة، وقد كان أخوها عبد الله بن جحش بطل الأبطال، وأول غاز غزا بسرية، فما أطاق فكان يشكو إلى الرسول: يا رسول الله! ما أطيق الحياة مع هذه، فيقول له: اصبر، كما قال تعالى: أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا [الأحزاب:37] فهذه زينب أم المؤمنين، وهي أمنا، وهي خير من ألف أم لنا، وهذا الشرف كيف نحصل عليه بدون لا إله إلا الله محمد رسول الله؟ الحمد لله.

أولاد الرسول صلى الله عليه وسلم

قال: [أولاده صلى الله عليه وسلم: إن النبي صلى الله عليه وسلم مثله مثل غيره من أنبياء الله ورسله، إذ كانت لهم أزواج، وكان لهم أولاد من بنين وبنات] أليس كذلك؟ [وهذا من الكمال لا من النقصان، قال تعالى: وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً [الرعد:38].
وقال تعالى في خطابه إياه صلى الله عليه وسلم: فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ [الأنعام:90]] أي: اقتد بالأنبياء من قبلك، فإن لهم أزواجاً، وبنون، وبنات، وأولاد.
قال: [ومن هنا تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سبق بيانه من النساء اللائي شرفهن الله تعالى بصحبة نبيه وخليله محمد صلى الله عليه وسلم، إلا أنه لم ينجب من نسائه إلا اثنتان] فلم ينجب من نساء الرسول إلا اثنتان فقط [هما: خديجة بنت خويلد الأسدية القرشية ، و مارية بنت شمعون القبطية المصرية] فخديجة أنجبت كل أولاد الرسول من بنين وبنات، و مارية القبطية أنجبت واحداً اسمه إبراهيم ، فقد سماه على جده.
لكن هل ما زال الأقباط يسمون شمعون في مصر إلى الآن؟ أظن أنه في لبنان ما زال اسم شمعون موجوداً، فهي تسمية نصرانية قديمة، ومعنى شمعون جاء من الشمعة، فهي تنير وتضيء.
قال: [فخديجة أنجبت من الذكور: القاسم و عبد الله والطيب أو الطاهر، وماتوا صغاراً] وقلنا: (والطيب أو الطاهر) للخلاف بين أهل العلم، أما القاسم فلا شك فيه، وبه كني أبو القاسم صلى الله عليه وسلم، قال: (و عبد الله والطيب أو الطاهر) فإما عبد الله الطيب أو عبد الله الطاهر ، فعبد الله هو الطيب أو الطاهر ، أي: هو واحد منهما، فهم ثلاثة أبناء من خديجة .
قال: [لم يبلغ الحنث منهم أحد، وماتوا ودفنوا بمكة قبل الهجرة] وتعرفون ذاك الوعد الصادق: (من مات له ثلاثة أولاد وصبر شفعن له ودخل الجنة)، وأول من ابتلي فينا هو رسول الله، فثلاثة أولاد له ماتوا في مكة قبل الحنث وهم أطفال.
قال: [وأنجبت من الإناث: زينب و رقية و أم كلثوم و فاطمة ، وكلهن كبرن وتزوجن.
فزينب تزوجت من أبي العاص بن الربيع ، و رقية و أم كلثوم تزوجهن عثمان بن عفان رضي الله عنه واحدة بعد واحدة] فماتت الأولى ثم تزوج الثانية، ولهذا يلقب بذي النورين ؛ لأنه تزوج بنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذو النورين عثمان بن عفان.
قال: [وتوفاهن الله تعالى عنده] أي: عند عثمان [و فاطمة تزوجها علي بن أبي طالب ، وأنجبت الحسن و الحسين ، وهما أصل الأشراف في العالم الإسلامي إلى اليوم وبعد اليوم؛ إذ بارك الله تعالى في نسلهما كرامة الله لآل البيت.
ومارية القبطية أنجبت إبراهيم، ومات وهو رضيع لم يفطم بعد، ودفن بالبقيع، كما دفنت كل من أم كلثوم و رقية بالبقيع، وكذا فاطمة رضي الله عنها] ويقول بعضهم: إنها مدفونة في حجرتها، والصحيح أنها في البقيع، وإنما غسلها علي رضي الله عنه بنفسه، وماتت بعد وفاة الرسول بأشهر، وهي أول من مات من أهله بعده.

موالي الرسول صلى الله عليه وسلم

قال: [موالي الحبيب صلى الله عليه وسلم: إن المراد من الموالي: أولئك الأرقاء الذين أعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرفوا بخدمته يوماً من الدهر، وهذه قائمة بأسمائهم: أولاً: زيد بن حارثة الكلبي وولده أسامة بن زيد ، وهما الحب وابن الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم.
ثالثاً: ثوبان ، ويكنى بـأبي عبد الله أصابه من السراة، سكن حمص بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات بحمص.
شقران ، واسمه صالح ، قيل: إنه من الحبشة، وقيل: من الفرس، وغالب الظن أنه من الفرس الذين كانوا يسكنون اليمن من بقايا الجيوش التي دخلت اليمن من الفرس في الجاهلية قبل الإسلام كما تقدم بيانه في هذه الرسالة.
أبو رافع ، واسمه إبراهيم القبطي كان لآل العباس فأسلم، ووهبه العباس لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأعتقه وزوجه فأنجب أولاداً، وكان ينحت القداح] هذه مهنته [وكان كاتباً، واستكتبه علي رضي الله عنه] أي: جعله كاتباً عنده في الدولة.
قال: [سلمان الفارسي الأصبهاني ، كان مملوكاً في آخر أيامه قبل الإسلام ليهودي، فكاتب اليهودي، وأعانه الرسول صلى الله عليه وسلم حتى عتق.
سفينة ، وكان لـأم سلمة فأعتقته، واشترطت عليه خدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم مدة حياته، فقبل بالشرط ونفذه، فخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرف بذلك، ويا ليتني كنت أنا وأمي وأولادي خدماً لرسول الله صلى الله عليه وسلم مدة حياته] أما تتمنون هذا؟ يا ليتنا.
قال: [أنسة ، ويكنى أبا مشرح وهو من مولدي السراة، وكان يأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جلس، توفي في حياة أبي بكر رضي الله عنه] أي: كان بواباً للرسول صلى الله عليه وسلم.
قال: [أبو كبشة ، واسمه سليم ، اشتراه الرسول صلى الله عليه وسلم وأعتقه، وشهد بدراً والمشاهد كلها، وتوفي يوم استخلف عمر رضي الله عنه وأرضاه.
رويفع ، ويكنى أبا مويهبة ، كان من مولدي مزينة، اشتراه النبي صلى الله عليه وسلم وأعتقه.
رباح الأسود ، وكان يأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم في المجلس، وهو الذي أخذ الإذن لـعمر حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام آلى من نسائه.
فضالة اليماني نزل الشام.
مدعم ، قتل بوادي القرى بسهم عائر، أي: بسهم لا يعرف من رماه به.
أبو ضميرة ، قيل: كان من الفرس، أصابه رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الوقائع وأعتقه.
يسار ، وكان نوبياً، أصابه رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض غزواته فأعتقه، وهو الذي قتله العرنيون الذين أغاروا على لقاح النبي صلى الله عليه وسلم.
مهران مولاه، حدث عن النبي صلى الله عليه وسلم.
حنين مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو جد إبراهيم بن عبد الله بن حنين ، كان يخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويوضئه، ثم وهبه رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمه العباس فأعتقه.
زيد أبو يسار راوي حديث: (من قال: أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه غفر له وإن كان فر من الزحف)] فـأبو يسار روى حديث رواه أبو داود و الترمذي وفيه: (من قال: أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه غفر له وإن كان قد فر من الزحف)، والفرار من الزحف صاحبه هالك، فقوله: (أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه) اجعلوها ورداً على الأقل ثلاث مرات بعد كل صلاة.
قال: [كركرة ، كان على ثقل النبي صلى الله عليه وسلم في بعض غزواته، ومات وهو غال -سارق- عباءة، فقال صلى الله عليه وسلم: (هو في النار)] وهو في النار.
قال: [كيسان راوي حديث: (إنا أهل بيت نهينا أن نأكل الصدقة) رواه البغوي] أي: نهانا ربنا أن نأكل الصدقة، يعني: آل البيت.
قال: [أبو بكرة نفيع الثقفي ، تدلى ببكرة من حصن الطائف، فأعتقه الرسول صلى الله عليه وسلم مع أعبد كانوا معه، وطالب أهل الطائف بهم بعد إسلامهم، فلم يردهم الرسول صلى الله عليه وسلم إليهم وقال: (هم عتقاء الله)].
نكتفي بهذا، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه.

إن للحبيب صلى الله عليه وسلم خصائص اختصه الله بها دون بقية البشر منها: النبوة، ونوم العينين دون القلب، وإباحة نكاح أكثر من أربع نسوة، ومواصلة الصوم، وحرمة أكل الصدقة، ووجوب قيام الليل، وأنه لا يورث، وحرمة نكاح نسائه بعده وغيرها، كما كان للنبي صلى الله عليه وسلم جملة معجزات أهمها معجزة القرآن الكريم.

الخصائص المحمدية

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.
أما بعد: وها نحن مع خصائص الحبيب صلى الله عليه وسلم، وما زلنا مع ما كان له أولاً من إماء، فقد كان له إماء.
ثانياً: كُتَّابه.
ثالثاً: أسماء خيله.
رابعاً: أسماء بغاله صلى الله عليه وسلم.
خامساً: أسماء إبله ولقاحه ومنائحه.
سادساً: أسماء سلاح الحبيب صلى الله عليه وسلم.
وما هناك حاجة إلى ذكر هذه الأشياء، لكن علمنا أن له إماء وأن له كُتَّاباً وأن له سلاحاً، وسيف اسمه كذا، إلى غير ذلك.
قال: [الخصائص المحمدية: إن للحبيب صلى الله عليه وسلم خصائص اختصه الله تعالى بها دون الخلق لكماله الذاتي] أي: الخلقي [والروحي لم تكن لغيره من أفراد أمته].
معشر المستمعين والمستمعات! نحن الليلة مع ما اختص الله به حبيبه صلى الله عليه وسلم من الخصائص التي لم تكن لواحد من أمته.

حرمة نكاح نسائه بعده صلى الله عليه وسلم

قال: [عاشراً] أي: من الخصائص المحمدية [حرمة نكاح نسائه بعده صلى الله عليه وسلم] فأيما امرأة عقد عليها الرسول صلى الله عليه وسلم وبنى بها وأصبحت امرأته فلا تحل بعد وفاته لأحد أبداً لا من الإنس ولا من الجن، فقد أصبحت أماً لك كيف تتزوج أمك؟! فهذه خصوصية.
قال: [وليس هذا لأحد سواه قال تعالى: النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ [الأحزاب:6]] أي: وأزواجه أمهات المؤمنين، فهل يوجد من يتزوج أمه؟ مستحيل، هذه خصوصية.
قال: [فلا يحل لمؤمن أن يتزوج امرأة من نساء النبي اللاتي توفي عنهن بخلاف أفراد أمته من علماء وصلحاء، وكلهم أولياء، فلا يحل لأحدهم أن يمنع امرأته من الزواج بعده إلا أن تشاء هي ذلك] ما نقول: هذا ولي الله فلا نتزوج نساءه، أو هذا عبد صالح فكيف نتزوج امرأته بعدما مات؟! هذا لا يوجد.
وليس لأحد أن يقول لزوجته: إياك أن تتزوجي بعدي، فإن تزوجتي فلست من أهل الجنة.
وقد قالها أحد الأصحاب رضوان الله عليهم في فلسطين لما جاء الوباء، وهو مرض عام عافنا الله وإياكم منه؛ قال لزوجته: أي فلانة! إن أردت أن تكوني زوجتي في الآخرة فلا تتزوجي غيري؛ لأن المرأة قد تتزوج عدة رجال من بعده، فهي تكون لمن مات عنها، ولم تتزوج بعده.
فلهذا لك أن تقول لزوجتك: إن شئت أن تتزوجي لك ذلك، وإن رغبت أن تكوني -إن شاء الله- زوجتي في الجنة فلا تتزوجي، أما أن تقول: لا، لا أسمح لها أن تتزوج، فلا يصح أبداً، وإلا وصلت إلى مستوى النبوة فتكفر، وهذه من خصائصه صلى الله عليه وسلم.
وقوله: النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ [الأحزاب:6] معنى هذه الكلمة: لئن أعطش أنا ولا يعطش رسول الله، لئن أمشي أنا ولا يمشي رسول الله.

.
لئن نموت كلنا ولا يموت رسول الله، هذا معنى أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ [الأحزاب:6].
قال: [فلا يحل لمؤمن أن يتزوج امرأة من نساء النبي اللاتي توفي عنهن بخلاف أفراد أمته من علماء وصلحاء وكلهم أولياء، فلا يحل لأحدهم أن يمنع امرأته من الزواج بعده إلا أن تشاء هي ذلك لها فلها ما شاءت ما شاء الله لها ذلك].
هبة النكاح

قال: [تاسعاً] أي: تاسع الخصائص [هبة النكاح] ومعنى هبة النكاح أن تأتيك المرأة فتقول لك: تزوجني مجاناً وهبت نفسي لك، هل يجوز هذا لغير رسول الله؟ ما يجوز، ومهما كنت، ولو تمرغت بين يديك في التراب لوجه الله تقول: تزوجني بلا مهر، فوالله ما جازت، أما هو صلى الله عليه وسلم فلو جاءت امرأة وقالت: يا رسول الله! وهبت لك نفسي فله أن يقبل.

قال: [وهي من خصائصه صلى الله عليه وسلم، فأيما امرأة وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم له أن يتزوجها بدون مهر يقدمه لها، ولم يكن هذا لأحد من أفراد أمته قط؛ إذ لابد للنكاح من مهر معجلاً أو مؤجلاً] لكن لا بد منه يكثر أو يقل [إلا ما كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى: وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ [الأحزاب:50]].
لكن كم امرأة وهبت؟ هي امرأة واحدة، وعفا عنها وما قبلها؛ فقط ليميزه عن الأمة، وما يكون مثلهم، فكيف يقودهم وهو مثلهم، لقول الله تعالى: وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ [الأحزاب:50] وقال: مؤمنة فلو جاءت كافرة ما يقبلها ولا ينظر إليها، مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ [الأحزاب:50].
قال: [ومن لم تهب له نفسها فعليه أن يدفع لها مهراً، وقد أمهر الكثير من نسائه أربعمائة درهم] أي: الآن أربعمائة كذا.

حرمة أكل الصدقة

قال: [سادساً: حرمة أكل الصدقة] لا يأكل صلى الله عليه وسلم الصدقة أبداً، فإذا جاءت صدقة زكاة أو تطوع أو كذا لا يأكلها.
قال: [ويشاركه في هذه الخصوصية آل بيته] فآل بيته يشاركونه في هذه الخصوصية، وكأنكم معه، وإذا بالحسن أو الحسين يحبو أيام صباه، فوجد كوماً من تمر الزكاة، فأخذ الحسين تمرة وألقاها في فيه، فقال له صلى الله عليه وسلم: (كخ كخ) وانتزعها من فمه، لأن الصدقة عبارة عن أوساخ المتصدقين؛ فإذا أراد أحدنا أن يغسل نفسه من ذنوبه فإنه يتصدق، وبالتالي يطهر.
إذاً الصدقة هي أوساخ الناس، ولا يأكل الوسخ إلا مضطر ولا محالة حينئذ، فيحيا أفضل من أن يموت لشرف آل البيت؛ لأنهم حماة الرسول.
إذا حرم الله عليهم أكل الصدقة، وقد عرفنا أن آل البيت هم: نساؤه ثم أولاد جعفر، وأولاد علي، وأولاد حمزة، وأولاد عقيل أيضاً، فكل من كان من أولاد عبد المطلب فهو من آل البيت، وهؤلاء لا يأكلون الصدقة ولو جاءوا، والله عز وجل قد جعل لهم الخمس في الغنيمة ينفقها عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أو من يقوم مقامه.
فإن قيل: إلى كم بطن أو ولد يمتد نسل آل البيت؟ فالجواب: إلى يوم القيامة، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم ما حدد، لكن على شرط أن يثبت النسب، فلا تزور أنت لوحة تكتبها وتشهد عليها بالباطل.
قال: [دون سائر أفراد أمته، فإنه يحل لأي فقير ومحتاج أن يأكل الصدقة ويطلبها إن احتاج إليها إلا رسول الله وآل بيته].

قيام الليل

قال: [سابعاً: قيام الليل] هذه خصوصية من خصائصه صلى الله عليه وسلم [فإنه صلى الله عليه وسلم كان يقوم الليل على سبيل الوجوب] فليس تطوعاً مثلنا بل على سبيل الوجوب [وذلك لقول الله تعالى: قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا [المزمل:2]] وهذا أمر، وهو للوجوب لا للندب [وقوله تعالى: وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ [الإسراء:79]] أي: أزل عنك الجهد أي: النوم، واعبد الله.
قال: [بخلاف أفراد أمته فقيام الليل ليس واجباً على أحد منهم، وإنما يقومونه تطوعاً ونافلة لا غير]، فأيما مؤمن رجل أو امرأة يقوم الليل فقيام الليل له من أفضل العبادات، وحسبك أنك تبيت مع الله، وما أنت بنائم مع الشيطان، لكن ليس بواجب، بل هو نافلة من أفضل النوافل، وقد بين الرسول وقت قيام الليل، وأن أفضله الذي يكون في الثلث الآخر من الليل.

عدم إرثه

قال: [ثامناً] أي: ثامن الخصائص [عدم إرثه] فإذا توفي صلى الله عليه وسلم لا يورث، والذي تركه هو صدقة لا تورث [فما تركه كان صدقة فلم ترث فاطمة نصفها] فلها النصف؛ لأن الرسول ما ترك ذكراً إلا البنات والزوجات، فالبنت ترث النصف من أبيها إذا لم يكن له ولد، والزوجات يرثن الثمن، والباقي للعصبة وهو العباس ، فعاصب الرسول هو العباس ، أما أولاد حمزة . أولاد جعفر . أولاد علي فلا، و العباس قبلهم.
قال: [ولا أزواجه أمهات المؤمنين ثمنهن] فيقتسمن الثمن إذا مات الرجل ولم يترك ولداً، والمرأة لها الثمن إذا ترك بنتاً مثلاً أو ولد، وإن يكن أربع نسوة فلهن الثمن بينهن إلى يوم القيامة.
قال: [ولا العباس العاصب ما أبقت الفرائض] فالعباس هو العاصب؛ لأنه عمه، والباقون هم أولاد أعمامه، فلا حق لهم ما دام العباس موجوداً، فالباقي كان للعباس، فلا العباس أخذ، ولا فاطمة أخذت، ولا النسوة أخذن.
قال: [بل قال صلى الله عليه وسلم: (إنا معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة)] وبعض الطلبة قال: هل نقول: نورث أو لا نوَرّث؟ الجواب: لا نورث.
قال: [وقوله تعالى: وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ [النمل:16]] فإن قيل: كيف داود ورثه سليمان، والحديث يقول: (إنا معاشر الأنبياء) مطلقاً (لا نورث ما تركناه صدقة)؟ فما هو الجواب؟ أي: لما قال الله تعالى: وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ [النمل:16] يريد أن يمدح سليمان وداود ويثني عليهم، فهل كون الابن يرث الأب فيه مدح وثناء؟! وهل هناك في البشر عرب أو عجم .
كفار أو مؤمنون من لا يرث الولد والده؟ الجواب: معنى (ورث سليمانُ داودَ) أي: في النبوة والرسالة والحكم والقضاء والدولة، وليس في الدينار والدرهم، فكل الناس يتوارثون.

كذلك الآن أنا أمدحك لأنك ذكر، فهل هذا مدح؟! أو أمدحك لأنك تسمع! هل هذا مدح؟! فكذلك هنا: وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ [النمل:16] فورثه الله وربه تعالى وأحله محل أبيه في الدولة والسلطان والرسالة والتشريع والبيان والحكم، وليس في البعير والشاء.
ثم إذا ما فهمتم الآية فإن الرسول قد بين في الحديث وقال: (إنا معاشر الأنبياء لا نورث) فإن كذبته تكفر، وهل الرسول يكذب فما كان يعرف أنه ورث سليمان داود؟! إذاً الإرث الذي ذكره الرسول صلى الله عليه وسلم هو إرث الدينار والدرهم والشاء والبعير، أما إرث سليمان لداود فهو الدولة، والسلطان، والقضاء، والحكم وهذا الذي حل محل أبيه فيه.
قال: [فليس المراد منه إرث المال بل النبوة والملك؛ إذ لا يخبر الله تعالى في مقام الإنعام والتكريم بأن ولداً ورث والداً فيما ترك من مال، إن هذا أمر معلوم بين سائر الناس، ولا فضل فيه لأحد على آخر] فهل لما تقول: أنا ورثت أبي تكون هذه مزية كبيرة؟! أو أصبحت أفضل الناس؟! لا، فإن كل الناس يرثون آباءهم وإخوانهم، وبهذا زال اللبس إن شاء الله.

وصال الصيام

قال: [خامساً: وصال الصيام] ومعنى وصال الصيام أن يصوم مثلاً يوم الإثنين ويضيف إليه يوم الثلاثاء ولا يفطر إلا ليلة الأربعاء، أو يصوم يومي الخميس والجمعة مع بعضهما ويفطر يوم السبت وهكذا، وهذه خصيصة له صلى الله عليه وسلم فلا تحل لمؤمن ولا مؤمنة بأن يصوم يومين متتاليين بدون إفطار، بل يجب أن يفطر ولو بقليل، أما أن يبقى صائماً يومين فلا يحل أبداً، وإن أصر يحاكم ويؤدب وإلا يقتل.
قال: [إذ من خصائصه صلى الله عليه وسلم مواصلة الصوم، فيصوم يومين متتاليين لا يفطر إلا في نهاية اليوم الثاني، ولم يؤذن لأحد من أمته في ذلك، وقد قيل له في ذلك] أي قيل له: كيف تصوم يا رسول الله يومين؟ [فقال: (إني لست كأحدكم، إني أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني) رواه الشيخان] فما أنا كأنتم، فهم أرادوا أن يجمعوا يومين كالرسول صلى الله عليه وسلم فسألوه: لم أنت لا تفطر ونحن نفطر؟ وأنت تواصل ونحن لا نواصل؟ فأجابهم بقوله الحكيم: (إني لست كأحدكم) إي والله، ما هو كأحدنا، فهو رسول الله يتلقى الوحي ويكلمه الله (إني أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني).
قال: [والإطعام والسقي هنا معنويان على حد قوله في المريض] قال الحبيب صلى الله عليه وسلم في المريض: [(لا تكرهوا مرضاكم على الطعام والشراب، فإن الله يطعمهم ويسقيهم)] فليس معناه أنه يبيت ويأكل الخبز واللحم ويقول: ربي أطعمني، قال: هذا معنىً فيعطيه من الرضا والقبول والطمأنينة كأنما هو يطعم ويشرب، بدليل أنه قال: (لا تكرهوا مرضاكم على الطعام) اتركوهم، ما دام مريضاً لا يقبل أن يأكل فلا تلزمه، فإن الله عز وجل يطعمه ويسقيه بما يعوضه عن ذلك الطعام والشراب في قوة بدنه.

نوم العينين دون القلب

قال: [ثالثاً: نوم العينين دون القلب: فهذا من خصائصه صلى الله عليه وسلم؛ إذ هو الذي تنام عينه ولا ينام قلبه، خصوصية أخبر بها له صلى الله عليه وسلم فلم تكن لغيره، فمن ادعاها فهو كاذب مفتر لا تقبل منه دعواه] ينام لكن عينه نائمة وقلبه ما ينام؛ لأنه يتلقى الوحي من الله عز وجل، أما غير الرسول فإذا نامت عينه نام قلبه، فما يبقى تفكير ولا ولا، لكن من خصائصه صلى الله عليه وسلم أن عينه تنام وقلبه لا ينام، ليبقى قادراً على تلقي العلوم والمعارف من الله عز وجل، إذ القلب هو الحي.

إباحة الله تعالى له نكاح أكثر من أربع زوجات

قال: [رابعاً: إباحة الله تعالى له نكاح أكثر من أربع زوجات] هذه خصوصية له، فأباح الله لأمته أن يتزوجوا بأربع زوجات، وأن يجمعوا بينهن أيضاً في بيت واحد، وهو صلى الله عليه وسلم أذن له في تسع، فمن أراد أن يتزوج خامسة واستباح ذلك يستتاب وإلا يقتل.
قال: [وعدم إباحة ذلك لغيره من سائر رجالات أمته؛ إذ قال تعالى: إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ [الأحزاب:50]، وكان تحته تسع نسوة يوم نزلت هذه الآية.
هذا له] يوم ما نزلت هذه الآية كان تحته تسع نسوة، سيدتهم عائشة إلى حفصة بنت عمر فنزل قوله تعالى: إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ [الأحزاب:50] وهذا إعلام من الله بأنه أباح له التسع.
قال: [ولأمته قال تعالى: فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ [النساء:3]، فلم يحل لهم أكثر من أربع، فكانت الزيادة على الأربع من خصائص النبي صلى الله عليه وسلم] إما اثنتان مع بعضهما أو ثلاث أو أربع، ولو كنت ما كنت فلا يحل لك الزيادة على أربع، أما إذا تزوجت وطلقت أو تزوجت وماتت فلك هذا ولو إلى مائة، لكن المحرم أن يجمع أكثر من أربع نسوة، لقول الله تعالى: فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ [النساء:3] أي: اثنتين أو ثلاث أو أربع فقط فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً [النساء:3] أي: إذا ما عندك قدرة على أن تعدل بين النساء فاكتف بواحدة، ولا تظلم المؤمنة.

النبوة

قال: [أولاً: النبوة: فليس لأحد بعده أن يدعيها] ولو قال: أنا نبي لقد كذب، ويستتاب، ويقتل إن لم يتب، وكم من أحد ادعاها ولقي جزاءه.

قال: [أو أن تكون له بحال] من الأحوال، وذلك [لأن الله تعالى ختم بنبوته سائر النبوات، وختم برسالته سائر الرسالات] لكن ما الدليل؟ الدليل: [قال تعالى: وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ [الأحزاب:40]] وقرئت: (وخاتِم النبيين).
فهذا كلام الله: (خاتم النبيين) هل ممكن أن يأتي نبي بعده؟ نعم لقد ظهر دجالون ولكن الله أزال وجودهم، وآخرهم كما علمتم جاءنا شاب إلى المنزل وقال: أنا نبي، والطلبة يسمعون، فقلنا له: كيف أنت نبي؟ قال: أنا نبي نبئني الله، كيف تنكرون عليه؟ النبوة انتهت، خاتمها الأخير رسول الله صلى الله عليه وسلم، المهم فجاء جارنا بعصاه وانهال عليه ضرباً فصرخ يقول: أنا كذاب، أكذب ما أنا بنبي، ما أنا بنبي.
وشرد.
وكذلك الهندي أحمد القادياني الذي ادعى النبوة، لكنه مسخ ولعن.
المهم أن من خصائص نبينا صلى الله عليه وسلم أن نبوته ختم الله بها النبوات، فلا نبي بعده.
وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ذاكراً عمر بخير: (لو كان في أمتي محدثون) أي: من تحدثهم الملائكة (لكان منهم عمر ولكن لا نبي بعدي)، فلهذا كل من يتكلم بالغيب، ويدعي أنه يعلم الغيب فهو طاغوت يجب أن يلعن، ثم يستتاب، فإن تاب وإلا يقتل.
قال: [فمن ادعى النبوة معه كمسيلمة الكذاب أو بعده فهو كاذب كافر، يستتاب] أي: يطلب منه أن يتوب [فإن تاب وإلا قتل كفراً] فمسيلمة الكذاب فعل العجب، وفي اليمن كذلك آخرون.
إذاً هذه خصوصية من خصائصه، لا يشاركه فيها أحد.

الوحي

قال: [ثانياً: الوحي] فالوحي من خصائصه صلى الله عليه وسلم، [فليس لأحد بعده] أي: بعد وفاته [أو معه] أما قبله فكانت للأنبياء [أن يدعي أنه أوحي إليه بكذا أو يوحى إليه في كذا لا يقظة ولا مناماً] فالرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة، وهذا أمر مسلّم، فمن رأى رؤيا صالحة، وانبثقت وتجلت كطلوع النهار فهي حق، لكن ليس معنى هذا أنه نبي، والرؤيا الصالحة يراها العبد الصالح أو ترى له بشرى من البشريات التي يهبها الله الصالحين من عباده.
وكانت الرؤيا جزءاً من ستة وأربعين جزءاً؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم أوحي إليه ستة أشهر بالمنام فقط: ربيع الأول والثاني، وجمادى الأولى والثانية، ورجب وشعبان، وفي شهر رمضان أوحي إليه، فستة أشهر كان الوحي يتلقاه في المنام، ثم بعد ذلك عاش ثلاثاً وعشرين سنة وهو يوحى إليه، فاضرب الثلاثة والعشرين سنة في اثنين يساوي ستة وأربعين، فستة أشهر نصف سنة كان مناماً، إذاً: فالرؤيا الصالحة من العبد الصالح جزء من النبوة، لكن ليس من كاملها بل جزء من ستة وأربعين جزءاً، والذي يرى رؤيا صالحة يقول: رأيت كذا، ويقصه على الصالحين لكن لا يقول: أنا نبي الآن، أو أصبحت كالنبي يلقى إلي في المنام بكذا وكذا.
ثم قال: [لا بإلقاء في الروع، ولا بهتاف ملك] من الملائكة [فضلاً عن رؤية الملك والتلقي عنه] فقد يقول: سمعت ملكاً يناديني أو يقول لي كذا وكذا [وذلك لانقطاع الوحي بموت النبي صلى الله عليه وسلم ولكمال الشريعة وتمامها] فالشريعة قد تمت وكملت، والقوانين في المال، في الاقتصاد، في السياسة، في الحرب، في الأخلاق، في الآداب، في العبادات، والله لقد تمت كلها وكملت، وما هناك أبداً فجوة تريد أن تكملها، فليس هناك في حاجة إلى نبوة جديدة أو رسالة جديدة [وعدم حاجتها إلى إكمال أو إتمام، فمن ادعى الوحي -وإن قل- فهو كافر يعامل معاملة مدعي النبوة] فإن تاب وإلا قتل.

المعجزات المحمدية

قال: [المعجزات المحمدية] هيا مع المعجزات.
هل هناك فرق بين المعجزة والخصيصة؟ المعجزة لا تظهر على يد أحد إلا نبي، والمعجزة أمر خارق للعادة يعجز البشر لو اجتمعوا على إتيانه، أما الخصيصة فشيء اختص الله بها رسوله؛ ليكمله، ويرفع شأنه وقدره.
قال: [إن المراد من المعجزات هو ما يعجز البشر كلهم عن الإتيان بمثله، فيكون ما يأتي به النبي صلى الله عليه وسلم معجزاً لغيره من سائر الناس] أي: ما يأتي به النبي أو الرسول من حادثة تعجز البشرية عن مثلها، ولا تقوى أبداً أن تأتي بمثلها [بحيث لم يقدر عليه أفراداً أو جماعات؛ لأنه خارج عن طوق البشر واستطاعتهم] هذا المعجز [إن قرن بالتحدي كان المعجزة الخاصة بالأنبياء، وإن لم يقرن بتحد فهو كرامة يكرم الله تعالى بها من يشاء من أوليائه وصالحي عباده].
مثال: عطشنا وكدنا نموت يا رسول الله فاسأل الله واستغث لنا، فقال: اللهم اسقنا الغيث الآن، فنزل المطر من السماء، هذه كرامة، فالكرامة أن نقول لأحدكم: أيها الصالحون! ارفعوا أيديكم إلى الله ليسقينا أو يفرج ما بنا، ويتم ذلك.
أما المعجزة فمقرونة بالتحدي، يقولون للنبي: إن كنت رسولاً فادع الله أن ينزل المطر الآن نؤمن بك، فدعا هذه معجزة مقرونة بالتحدي.
وذاك الرجل الذي قال للنبي صلى الله عليه وسلم: يا محمد! أتدعي أنك رسول الله؟ قال: أي نعم رسول الله.
قال: إن كنت رسول فادع هذه الشجرة أن تأتيك.
فوالله لقد قلعت جذورها وجاءت إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، وما آمن ذاك! لكن قال: سحر.
فالكرامة للأولياء والصالحين من أمثالكم، والمعجزة خاصة بالأنبياء؛ لأن المعجزة مقرونة بالتحدي.

قال: [إذ الفرق بين المعجزة والكرامة] ما هو؟ [أن المعجزة تكون مقرونة بالتحدي غالباً، والكرامة خالية من ذلك] أما قالت قريش: إن كنت رسول الله فلينقسم القمر وينشق شقين، فوالله انقسم قسمين وراء جبل أبي قبيس، وشاهدوه منقسماً، وقرأ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ [القمر:1] وهل آمنوا؟ لا، إلا من رحم الله.

قال: [لأن المعجزة قائمة مقام قول الله تعالى: صدقوا النبي فيما يخبر به عني] لسان حال المعجزة: صدقوا النبي فيما يخبر به عني، وهنا في سوق المناخة جاءت صلاة الظهر فما وجدوا ماء، وهم ثمانون رجلاً في السوق، فجيء بإناء فيه ماء فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده ففار الماء، فتوضئوا كلهم، فهذه معجزة، كأنما الله يقول: آمنوا برسولي.

قال: [فالمعجزة مثبتة للنبوة مقررة لها؛ إذ بها يعرف النبي الحق من المدعي الكذاب] ومعرفتنا لمعجزات الرسول تزيد في إيماننا، ولذلك آمنا.

قال: [ولفظ المعجزة غير وارد في القرآن الكريم] أي: لا يوجد لفظ معجزة في القرآن [وإنما الوارد لفظ الآية] الوارد الآية؛ آية النبوة، ما آية نبوتك؟ [لأن الأصل في الآية العلامة الدالة على الشيء، إذ يقول الإنسان لأخيه: فلان يقول لك: أعطني كذا أو كذا، فيقول له: ما آية ذلك؟] أي: ما علامة ذلك؟ [أي: ما علامته أنه قال: أعطه كذا وكذا، فيريه خاتمه أو كتابه أو سيفه أو أي شيء خاص به فيكون ذلك آية وعلامة على صدق ما ادعاه وطالب به].

تقول: اذهب إلى فلان وقل له: قال لك الشيخ أعطني كذا، يقول: ما آية ذلك؟ ما علامة هذا؟ فيعطيه كتاباً مثلاً.

قال: [ومن القول الشائع عند الناس قولهم: لا نبي إلا بالمعجزات ولا ولي إلا بالكرامات، وهو قول في الجملة صحيح] هذا من كلام العامة، وهو صحيح، فإذا لاحظتم أن فلاناً ولي حقاً -لاحظوا- سوف تظهر لكم كرامة في يوم من الأيام.

وهل أنتم أولياء أو لا؟ أية كرامة من أن تعيش كذا سنة لا تكذب ولا كذبة، أية كرامة أعظم من هذه؟ أية كرامة من أن تعيش أربعين . خمسين سنة لا تترك فريضة من فرائض الله؟ هذه أعظم الكرامات.

ولو تتبعت حياتك كم مرة استجاب الله لك؟ كم مرة فرج الله عليك؟ كم مرة .

وأنت لا تدري، فذه كرامات تصاحبك طول حياتك.

قال: [هذا وللحبيب محمد صلى الله عليه وسلم معجزات أكرمه الله تعالى بها، وصدق رسالته بمثلها بلغت ألف معجزة]، بلغت معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم ألف معجزة أو أكثر أيضاً [هكذا قرر أهل العلم إن لم تكن أكثر من ذلك، وها نحن أولاء نورد ما يحضرنا منها] نأخذ منها بعضها:

معجزة القرآن الكريم

قال: [وأولى تلك المعجزات أو الآيات: القرآن الكريم؛ لأنه كلام الله تعالى أوحاه إليه، فدل ذلك على نبوته وصدقه في رسالته؛ لأن القرآن الكريم معجز بحروفه وكلماته وتراكيبه ومعانيه وأخبار الغيوب التي وردت فيه، فكانت كما أخبر.

كما هو معجز بالأحكام الشرعية والقضايا العقلية التي لا قبل للبشر بمثلها مع التحدي القائم إلى اليوم بأن يأتي الإنس أو الجن متعاونين بمثله.

قال تعالى موحيه ومنزله: قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا [الإسراء:88].

وتحدى العرب أرباب الفصاحة والبلاغة والبيان على أن يأتوا بعشر سور مثله فما استطاعوا قال تعالى: أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ [هود:13]، وتحداهم بسورة واحدة من مثله فقال: وَإِنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا [البقرة:23-24]].

هذه اللطيفة (ولن تفعلوا) تعرفونها، نقول: لو أن صانعاً في اليابان صنع ساعة أو نظارة أو أي شيء فهل يستطيع أن يتحدى البشرية خمسين عاماً أنها ما تستطيع أن توجد هذا؟ أو كان ذلك في أمريكا أو في الصين أو في روسيا أو في أي مكان، أن ينتجون منتجاً ويقولون: نتحدى البشرية كلها خمسين سنة أن تنجز مثل هذا الإنجاز، والله ما يقدرون، لكن الله يقول: (ولن تفعلوا) واليوم مضى عليهم ألف وأربعمائة سنة فما فعلوا.

هل جاءوا بسورة وقالوا: هذه مثل القرآن؟ (ولن تفعلوا) إذاً: فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ [البقرة:24].

قال: [نفياً لقدرتهم على الإتيان بسورة مثل القرآن في مستقبل الأيام، وقد مضى حتى الآن ألف وأربعمائة سنة واثنان وعشرون سنة وسبع سنين] أي: لما ألف الكتاب، أما الآن فقد مضى سبع عشرة سنة [ولم يستطع الكافرون أن يأتوا بسورة من مثله.

وبهذا كان القرآن معجزة خالدة باقية ببقاء هذه الحياة، ولذا سيخلد الإسلام ويبقى إلى نهاية الحياة، لأن معجزته باقية كذلك].

ولعل السامعين لا يدرون! والله لو ما كان القرآن عندنا محفوظاً بحفظ الله لا يزيد فيه أحد ولا ينقص لانتكست الأمة قبل ألف سنة، بدليل أن الأمم ما تمضي سبعون سنة حتى يدخلوا في الشرك والباطل.

أتباع عيسى كم سنة عبدوا الله عبادة صحيحة؟ سبعين سنة ثم تحولوا إلى الشرك، فلولا أن القرآن تعهد الله بحفظه وقال: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ [الحجر:9] لحصل للأمة شرك وضلال لا حد له وارتدوا، لكن القرآن باق فهو نور الله.

والله تعالى أسأل أن يوفقنا وإياكم لما ندرس ونسمع.

لم يكن من الأنبياء نبي إلا وجعل له آية تدل على صدقه، ورسول الله محمد صلى الله عليه وسلم لم يخرج عن هذه القاعدة، إذ أكرمه الله تعالى بجملة من المعجزات والكرامات، وكان القرآن الكريم هو أعظم آية على صدق محمد صلى الله عليه وسلم، وهو معجزة باقية إلى قيام الساعة، ومع هذا كانت هناك آيات أخر منها: انشقاق القمر، ونزول المطر بدعائه، ونبوع الماء من بين أصابعه، وغيرها كثير أفردها بعض أهل العلم بمصنفات، وأسموها: دلائل النبوة.

تابع المعجزات المحمدية

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: وقد انتهى بنا الدرس إلى معجزاته صلى الله عليه وسلم، وأنها خمس وعشرون معجزة، فهيا نستمع إلى تلك المعجزات الربانية التي تدل في صدق على أن من أظهرها الله على يديه فهو نبي الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

وكل معجزة كأنما تقول: هذا رسول الله، وسر ذلك أن يقوى إيماننا به صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً، وأن يزداد حبنا له حتى يكون أحب إلينا من أنفسنا وأهلينا وأموالنا؛ ونصبح لا نرى من نتابعه ونمشي وراءه إلا هو صلى الله عليه وسلم.

قال المؤلف غفر الله له ولكم ورحمه وإياكم وسائر المؤمنين: [المعجزات المحمدية: إن المراد من المعجزات: ما يعجز البشر عن الإتيان بمثله] فالمعجزة هي الشيء الذي تعجز البشرية أن تأتي بمثله، فمن جاء بتلك المعجزة فقد وهبه الله إياها وأعطاه إياها؛ ليدل ذلك على أنه رسول الله إلى الناس.

قال: [فيكون ما يأتي به النبي صلى الله عليه وسلم معجزاً لغيره من سائر الناس] على سبيل المثال: انشقاق القمر، لو اجتمعت البشرية كلها على أن تقسم القمر إلى قسمين لما استطاعت؛ فإن هذا مستحيل، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم دعا ربه فانشق القمر، فكانت معجزة له.

قال: [بحيث لم يقدروا عليه أفراداً أو جماعات؛ لأنه خارج عن طوق البشر واستطاعتهم، فإن قرن] أي: ذاك الإعجاز [بالتحدي كان المعجزة الخاصة بالأنبياء، وإن لم يقرن بتحد فهو كرامة، يكرم الله تعالى بها من يشاء من أوليائه وصالحي عباده.

إذ الفرق بين الكرامة والمعجزة أن المعجزة تكون مقرونة بالتحدي] أي: فإن كنت رسول الله فافعل فينا كذا وكذا، أو ادع الله أن يعطينا كذا وكذا، ومن ثم نؤمن بك فهذه معجزة، وإذا كان عبد الله من الصالحين فادع الله لنا يا فلان أن يكشف ما بنا، ثم يرفع يديه فيكشف الله ما بهم، فهذه كرامة.

ولهذا تكون الكرامات للأولياء والمعجزات للأنبياء، ولا فرق بين الكرامة والمعجزة إلا أن المعجزة مصحوبة بالتحدي، والكرامة لا تحدي معها.

قال: [إذ الفرق بين المعجزة والكرامة أن المعجزة تكون مقرونة بالتحدي غالباً] أي: ليس شرطاً دائماً بل في الغالب [والكرامة خالية من ذلك؛ لأن المعجزة قائمة مقام قول الله تعالى: صدقوا النبي فيما يخبر به عني] أي: لسان حال المعجزة: صدقوا عبدي فيما يخبر به عني، ولهذا أعطيته هذه لتصدقوه [فالمعجزة مثبتة للنبوة مقررة لها؛ إذ بها يعرف النبي الحق من المدعي الكذاب] فلولا المعجزات لادعى الناس النبوة.

قال: [ولفظ المعجزة غير وارد في القرآن الكريم] أي: في آي الله وفي كتابه ليس هناك لفظ معجزة، إنما هناك لفظ آية: مِنْ آيَاتِنَا [الإسراء:1] [وإنما الوارد لفظ الآية؛ لأن الأصل في الآية العلامة الدالة على الشيء، إذ يقول الإنسان لأخيه: فلان يقول لك: أعطني كذا أو كذا، فيقول له: ما آية ذلك؟ أي: ما علامته أنه قال لي: أعطه كذا أو كذا؟ فتريه خاتمه أو كتابه أو سيفه أو أي شيء خاص به، فيكون ذلك آية وعلامة على صدق ما ادعاه وطالب به.

ومن القول الشائع عند الناس قولهم: لا نبي إلا بالمعجزات، ولا ولي إلا بالكرامات، وهو قول في الجملة صحيح] أي: لا نبي إلا بالمعجزة ولا ولي إلا بالكرامة.

قال: [هذا وللحبيب محمد صلى الله عليه وسلم معجزات أكرمه الله تعالى بها، وصدق رسالته بمثلها.

بلغت تلك المعجزات الألف معجزة، هكذا قرر أهل العلم إن لم تكن أكثر من ذلك، وها نحن نورد منها ما يحضرنا] وهي خمس وعشرون معجزة.

معجزة القرآن الكريم

قال: [وأولى تلك المعجزات أو الآيات] إن شئت سمها معجزة أو آية، فلا فرق بينهما.

قال: [القرآن الكريم] وهو أعظم آية، فقد أنزل عليه صلى الله عليه وسلم كتابه الذي بين يدينا وفي صدورنا، ولا يدل على أنه أرسله ونبأه؟! فكيف تكون الدلالة إذاً؟ ولا آية أعظم من القرآن الكريم على أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد جاء يحمل كتاب الله.

قال: [لأنه كلام الله تعالى أوحاه إليه، فدل ذلك على نبوته وعلى صدقه في رسالته؛ لأن القرآن الكريم معجز بحروفه وكلماته وتراكيبه ومعانيه، وأخبار الغيوب التي وردت فيه، فكانت كما أخبر.
كما هو معجز أيضاً بالأحكام الشرعية والقضايا العقلية التي لا قبل للبشر بمثلها، مع التحدي القائم إلى اليوم بأن يأتي الإنس أو الجن متعاونين بمثل هذا القرآن، كما قال تعالى: قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا [الإسراء:88]] هذا تحدي لله عز وجل للإنس والجن، فهل استطاعوا أن يأتوا بقرآن كالقرآن الكريم؟ وقد مضى على ذلك التحدي أكثر من ألف وأربعمائة سنة.
قال: [وتحدى العرب أرباب الفصاحة والبلاغة والبيان على أن يأتوا بعشر سور مثله فما استطاعوا، قال تعالى: قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ [هود:13].
وتحداهم بسورة واحدة من مثله فقال: وَإِنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا [البقرة:23-24]] إذاً فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ [البقرة:24] أن تلهبكم وتأكلكم.
وكلمة (ولن تفعلوا) هل استطاعوا أن يفعلوا؟ كم من سنة مضت؟! فالفصحاء والبلغاء والشعراء وأصحاب المعلقات على الكعبة ما استطاعوا ولن يستطيعوا؛ لأنها معجزة نبوته صلى الله عليه وسلم.
قال: [نفياً لقدرتهم على الإتيان بسورة مثل القرآن في مستقبل الأيام، وقد مضى حتى الآن ألف وأربعمائة واثنان وعشرون سنة، ولم يستطع الكافرون أن يأتوا بسورة من مثله.
وبهذا كان القرآن معجزةً خالدة باقية ببقاء هذه الحياة، ولذا سيخلد الإسلام ويبقى إلى نهاية الحياة، لأن معجزته باقية كذلك].
وقد ذكرنا في الدرس الماضي أنه لولا القرآن بين المسلمين لانتهى الإسلام من أكثر من خمسمائة سنة بل ألف سنة، فما حفظ الله الإسلام إلا بالقرآن، وبينا أن المسيحية الصادقة الصحيحة -وهي الإسلام والحق- ما تعبّد بها أتباع عيسى إلا سبعين سنة فقط عبادة ربانية صحيحة، تزكي أنفسهم وتؤهلهم لرضوان الله، ثم داخلها الشرك -والعياذ بالله تعالى- والزيغ والزيادة والبطلان إلى أن أصبحت خرافة، فلولا أن الله حفظ هذا القرآن وتعهد به بقوله: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ [الحجر:9] ولولا القرآن بين أيدينا وفي صدورنا لارتدت الأمة من مئات السنين.
إذاً المعجزة الأولى هي القرآن الكريم، وما ننسى أنه أعظم معجزة.
ومن قال: كيف؟ نقول له: تفضل اجمع البشرية كلها على أن تأتي بسورة من مثله.
لكن الله يلجمها، ويقطع أنفاسها، ويقطع ألسنتها، وينتزع قوتها، فلا تجتمع، ولا تتفق.

معجزة انشقاق القمر

قال: [وثانية المعجزات: انشقاق القمر] والقمر معروف، وتكتمل دائرته عندما يصبح بدراً.
قال: [فقد روى أحمد و البخاري في صحيحيهما أن أهل مكة] يعني: المشركين [سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية] أي: سألوه أن يريهم آية تدل على أنه رسول الله ونبيه [فأراهم القمر شقين.
قال مطعم بن عدي : انشق القمر على عهد رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم، فصار فرقتين: فرقة على هذا الجبل، وفرقة على هذا الجبل، فقالوا: سحرنا محمد]، والآن لو يحدث مثل هذا لقال الملايين: سحرنا.
وهذه هي طباع البشر؛ لا يريدون أن يتخلوا عن عبادتهم الباطلة وخرافاتهم وضلالاتهم أو على مراتبهم ومناصبهم، فيدفعون ذلك بقولهم: سحرنا ويصفقون، وهذا شأن البشر إذا هبطوا وانقطعت صلتهم بالله عز وجل.
يقولون: ما تعجب ويفعلون أكثر.
قال: [وأنزل الله تعالى مصداق ذلك وهو قوله تعالى: اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ [القمر:1]] ما الساعة التي اقتربت؟ نهاية حياتنا هذه، ونحن فيها [وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ * وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ [القمر:2-3]].

معجزة نزول المطر بدعائه صلى الله عليه وسلم

قال: [وثالثة المعجزات: نزول المطر بدعائه صلى الله عليه وسلم.
لقد أمحلت البلاد وأجدبت وأصابها قحط شديد، فدخل رجل المسجد] أي: هذا المسجد [ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر يخطب] أي: يوم الجمعة [فاستقبل الرجل النبي صلى الله عليه وسلم وقال: (يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل، فادع الله لنا يغيثنا، فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه فقال: اللهم اسقنا، اللهم اسقنا، اللهم اسقنا، قال أنس : والله ما في السماء من سحاب ولا قزعة ولا شيء، وما بيننا وبين سلع)] أي: الجبل الذي عن يميني [(من بيت ولا دار، فطلعت من وراء الجبل سحابة مثل الترس، فلما توسطت السماء انتشرت، ثم أمطرت، والله ما رأينا الشمس ستاً)] أي: من الليالي [(ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة -ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يخطب على المنبر- فاستقبله الرجل وقال: يا رسول الله! هلكت الأموال وانقطعت السبل، فادع الله يمسكها)] أي: المطر [(فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه ثم قال: اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم على الآكام والظراب وبطون الأودية ومنابت الشجر)، قال أنس] خادم الحبيب صلى الله عليه وسلم [(فانقطعت وخرجنا نمشي في الشمس).

فهذه المعجزة -وهي نزول المطر بدعائه صلى الله عليه وسلم- قد كررت مرات عديدة، وهي معجزة سماوية كانشقاق القمر، لا دخل لغير القدرة الإلهية فيها، وهي آية نبوته صلى الله عليه وسلم، ولكثرة تكرار هذه الآية كانوا يرددون قول أبي طالب] و أبو طالب هو عم النبي صلى الله عليه وسلم، وقد مات مشركاً بحكم قضاء الله وقدره.
قال: [وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل] والشاهد في قوله: (يستسقى الغمام بوجهه) بمعنى: أنه يتكرر هذا الطلب، ويستجيب الله للرسول صلى الله عليه وسلم، ففي غير ما مرة يدعو الله أن ينزل المطر فينزله الله.

معجزة نبوع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم

قال: [ورابعة المعجزات: نبوع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم] أي: نبوع الماء وفيضانه وخروجه من بين أصابعه الشريفة.
قال: [ومن معجزات الحبيب صلى الله عليه وسلم الدالة على نبوته وعلى صدق رسالته: نبوع الماء من بين أصابعه الشريفة.
فقد قال أنس بن مالك خادم الرسول صلى الله عليه وسلم: (رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحانت صلاة العصر)] أي: حان وقتها [(والتمس الناس الوَضوء)] الوضوء بالفتح الماء الذي يتوضأ به، والوضوء بالضم: الفعل، أي: اسم الفعل [(فلم يجدوه، فأُتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده في ذلك الإناء)] أي: الذي به الماء [(وأمر الناس أن يتوضئوا منه، فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه، فتوضأ الناس حتى توضئوا من عند آخرهم.
قال قتادة : قلت لـأنس : كم كنتم؟ قال: زهاء ثلاثمائة)] أي: قرابة ثلاثمائة رجل توضئوا من إناء واحد، فهذه آية النبوة.
إذاً رابعة المعجزات هي نبوع الماء من كفه صلى الله عليه وسلم.

معجزة فيضان ماء بئر الحديبية

قال: [وخامسة المعجزات: فيضان ماء بئر الحديبية] والحديبية مكان بين مكة وجدة، وهو إلى مكة بقرابة عشرين كيلو متراً، وهي موجودة إلى الآن، وقد وقع فيها الصلح.
قال: [ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم أنه لما كان بالحديبية هو وأصحابه سنة ست من الهجرة، وكان بالحديبية بئر ماء، فنزحها أصحابه بالسقي منها] وقد كانوا ألفاً وأربعمائة رجل، نزحوا الماء من بئر واحدة [حتى لم يبق فيها ما يملأ كأس ماء، وكانوا ألفاً وأربعمائة رجل، وخافوا العطش فشكوا ذلك إليه صلى الله عليه وسلم، فجاء فجلس على حافة البئر فدعا بماء، فجيء به إليه فمضمض منه، ومج ما تمضمض به في البئر، فما هي إلا لحظات وإذا البئر فيه الماء، فأخذوا يسقون، فسقوا وملئوا أوانيهم وأدوات حمل الماء عندهم، وهم كما تقدم ألف وأربعمائة رجل] فهل يشك في رسالة من هذه حاله؟! قال: [وهم أهل بيعة الرضوان الذين رضي الله عنهم وأنزل فيهم قوله تعالى من سورة الفتح: لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا [الفتح:18]].
وهنا لطيفة: فهؤلاء الذين رضي الله عنهم معروفون، وإن لم تعرفهم فمنهم العشرة المبشرون بالجنة، رغم أنفي وأنفك، فكيف يرضى الله عنهم ويعلن عن رضاه ثم يتراجع ويغضب عليهم؟! فكروا! ما كان يعرف مستقبلهم؟ ما يدري هل يكفرون أو لا يكفرون؟ فلهذا إخواننا الذين يكفرون أصحاب رسول الله يكونون قد كفروا؛ لأنهم كذبوا الله، ونسبوا إليه العجز وعدم العلم، ونسبوا إليه التردد والحيرة.
مرة ثانية: هل الله لا يعلم مستقبلهم؟ أما علم الله وجودهم وفعلهم قبل أن يفعلوه؟ أين القضاء والقدر؟ لقد علمك الله، وعلم كل ما يأتي منك قبل أن توجد بآلاف السنين، فكيف إذاً يعلن رضاه عنهم؟! هذه ليست بدعوى، هذا كلام الله: لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ [الفتح:18] وكانوا ألفاً وأربعمائة، وعلى رأسهم العشرة المبشرون بالجنة.
فننبه إخواننا الغافلين والمغرر بهم والمخدوعين بالكتب، وما تحمل من الباطل فنقول لهم: أيرضى الله عن ناس ثم يسخط عليهم؟ إذاً الله ضعيف ما يدري، أو هذه فكرة البداء، يعني: كان كذا وبدا له كذا، وهذه صفة البشر الضعفة المخلوقين الذين يترددون لجهلهم.
أما الجبار الذي علم كل شيء قبل أن يوجده هل يتردد؟! فيرضى عليك اليوم لأنك طيب، وغداً يغضب عليك؟! أعوذ بالله.
وعلة هذا -يا أبناء الإسلام- الجهل وعدم العلم، فما اجتمعوا على كتاب الله ودرسوه وتدارسوه وعرفوا ما فيه من الهدى والعلم والنور، فالإيمان التقليدي: سمعنا كذا، لا ينفع، وصاحبه ينتكس ألف مرة.
قال: [ففيضان الماء من بئر جافة لا ماء بها حتى سقى منها أهل معسكر بكامله لم يكن إلا آية نبوة صادقة، تنطق قائلة: أن صدقوا محمداً فيما جاءكم به ودعاكم إليه؛ فإنه رسول الله إليكم حقاً وصدقاً].

قدح لبن روى فئاماً من الناس ببركته صلى الله عليه وسلم

قال: [وسادسة المعجزات: قدح لبن روى فئاماً من الناس ببركته صلى الله عليه وسلم] وإليكم القصة.
قال: [روى البخاري -رحمه الله تعالى- في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه القصة التالية: قال: (والله إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع)] هذا أبو هريرة يحلف بالله، فلما تبدل الحال واتسع الرزق على المؤمنين، وبعدما انتهت الحرب بينهم وبين المشركين تحدث أبو هريرة عن أيامه الماضية أيام المجاعة والحصار والحرب فقال: [(وإن كنت لأشد الحجر على بطني من الجوع)] أي: يضع حجراً ويربطه على بطنه حتى يقوى على المشي [(ولقد قعدت يوماً على طريقهم الذي يخرجون منه)] يعني: رجال رسول

الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه يخرجون من الباب الخاص [(فمر أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله عز وجل ما سألته إلا ليستتبعني)] أي: ليقول لي: تعال عندنا ونطعمك [(فلم يفعل، فمر عمر رضي الله عنه فسألته عن آية من كتاب الله تعالى، ما سألته إلا ليستتبعني فلم يفعل)] أي: لم يقل: تعال معنا إلى البيت [(فمر أبو القاسم صلى الله عليه وسلم، فعرف ما في وجهي وما في نفسي)] فهو ذو بصيرة، فقوله: (فعرف ما في وجهي) أي: من الاصفرار، والشحوبة، وعلامة الجوع، وقوله: (وما في نفسي) أي: أنه تعرض لهم لعلهم يطعمونه.
قال: [(فقال: أبا هريرة ! قلت له: لبيك يا رسول الله.
فقال: الحق)] أي: الحق بي [(واستأذنت فأذن لي)] أي: لما دخل رسول الله حجرته لحقه أبو هريرة واستأذن في الدخول [(فوجدت لبناً في قدح)] والقدح يصنعونه من الطين والفخار [(قال: من أين لكم هذا اللبن؟)] أي: أن الرسول صلى الله عليه وسلم سأل أهل بيته: من أين لكم هذا اللبن؟ فما عندهم شاة ولا بقرة [(فقالوا: أهداه لنا فلان أو آل فلان.
قال: أبا هر)] وهذا النداء يسمى الترخيم، وترخيم الصوت يحذف منه حرف، فبدل أن يقول: أبا هريرة يحذف الهاء ليرخم الصوت، وذكَّره فما قال: هرة، إنما قال: أبا هر .
قال: [(قلت: لبيك يا رسول الله!)] ومعنى لبيك: أجبت طلبك ودعوتك مرة بعد مرة [(قال: انطلق إلى أهل الصفة فادعهم لي)] أي: امش إلى أهل الصفة ونادهم، وقل لهم: الرسول يدعوكم، وهم جالسون جياع، لا طعام ولا شراب.
قال: [(قال -أي أبو هريرة -: وأهل الصفة أضياف الإسلام لم يؤووا إلى أهل ولا مال)] أي: لا عندهم مال ولا أهل، فهم مهاجرون من الجهاد، وينزلون هنا، وهذا هو فندقهم [(إذا جاءت رسول الله هدية أصاب منها وبعث إليهم منها)] أي: هذا الذي يملكه الرسول، فهو وهم جياع، فإذا جاء الله بهدية للرسول من أحد الأصحاب أخذ منها ما يحتاج وبعث بها إليهم، وهذا هو طعام المهاجرين من أهل الصفة.
وأنتم -أيها السامعون- بم تواجهون ربكم؟ نواجهه بأن نقول: الحمد لله، الحمد لله، الحمد لله.
هل فيكم جائع؟ أيجوع رسول الله ونشبع نحن ولا نحمد الله ولا نثني عليه؟ قال: [(وإذا جاءته الصدقة أرسل بها إليهم ولم يصب منها)] أي: إذا جاءت هدية أخذ منها الرسول صلى الله عليه وسلم له ولأهله، وبعث بالباقي لأهل الصفة، وإذا جاءت صدقة بعثها بها كلها إلى أهل الصفة؛ لأنهم آل البيت لا يأكلون الصدقة؛ لأنها أوساخ الناس، أي: يغسلون بها ذنوبهم.
قال: [(قال أبو هريرة : وأحزنني ذلك، وكنت أرجو أن أصيب من اللبن شربة أتقوى بها بقية يومي وليلتي)] فهذا قدح والرسول سوف يعطيه لثلاثين أو أربعين رجلاً فكم سيبقى منه؟ لن يبقى منه شيء.
قال: [(وقلت: أنا الرسول)] أي: الذي أرسله إلى أهل الصفة يستدعيهم ليشربوا، وأنا لن يبقى لي شيء [فإذا جاء القوم كنت أنا الذي أعطيهم، وقلت: ما يبقى لي من هذا اللبن؟] هذه أحاديث نفسه، أي: يحدث نفسه.
قال: [(ولم يكن من طاعة الله ورسوله بد)] أي: لابد وأن أطيع الله ورسوله، فما أقول: لم يا رسول الله؟ هذا لا يكفينا.
قال: [(فانطلقت فدعوتهم، فأقبلوا واستأذنوا بالدخول، فأذن لهم، فأخذوا مجالسهم من البيت ثم قال: يا أبا هريرة ! خذ فأعطهم، فأخذت القدح فجعلت أعطيهم، فيأخذ الرجل القدح فيشرب حتى يروى، ثم يرد القدح حتى أتيت على آخرهم، ودفعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخذ القدح فوضعه في يده وبقي فيه فضلة، ثم رفع رأسه ونظر إلي وابتسم، وقال: أبا هريرة ! فقلت: لبيك رسول الله.
قال: بقيت أنا وأنت.
فقلت: صدقت يا رسول الله.
قال: فاقعد فاشرب)] ومعنى هذا أن الشراب كالأكل يكون جالساً أفضل، فهذه سنة، فما قال: اشرب، إنما قال: اقعد واشرب [(قال: فقعدت فشربت.
ثم قال لي: اشرب فشربت، فما زال يقول لي: اشرب.
فأشرب حتى قلت: لا، والذي بعثك بالحق ما أجد له في مسلكاً)] أي: ليس هناك طريق، فهو مملوء [(قال: ناولني القدح.
فرددته إليه فشرب من الفضلة)].
هذا رسول الله! ألسنا أتباعه؟! لماذا نحن ما نشرب من الفضلات ونتقزز؛ لأننا تتلمذنا على أيدي الكافرين، واسمع هذه الكلمة: [وهكذا تتجلى هذه المعجزة، وهي آية النبوة المحمدية؛ إذ قدح لبن لا يروي ولا يشبع جماعة من الناس كلهم جياع بحال من الأحوال، فكيف أرواهم وأشبعهم؟! إنها المعجزة النبوية! وآية أخرى للكمال المحمدي أن يكون هو آخر من يشرب من ذلك القدح الذي شرب منه جماعة من الناس.
وهنا يقال: ما بال الذين يتقززون من شرب السؤر ويرفضونه في كبرياء] حتى أصبح كل واحد له كأس.
فإن قال قائل: يا شيخ! أنت أعمى؟ ها هو المسجد النبوي يضعون لكل برميل ماء مائة كأس، اشرب وارم.
هذا لا يجوز.
فكيف إذاً نجعل عشرات الكيسان، وكل من يشرب في كأس يلقيه خشية أن يتسرب إليه العدوى ويمرض.
لكن من أين جاء هذا النظام؟ هل من هولاكو أو من أين؟ هيا نعد هذا الكلام، وبلغوه! قال: [وهنا يقال: ما بال الناس الذين يتقززون من شرب السؤر] أي: من بقية الماء والطعام [ويرفضونه في كبرياء وخوف أيضاً أن يصابوا بمرض من ذلك؟ أين هم من هذا الكمال المحمدي؟ إنهم بعيدون كل البعد ذاهبون في أودية الأوهام حيث لا يسمعون ولا يبصرون].
من أين جاءنا هذا؟ الآن حتى في بيوتكم لا تشربون من كأس واحد، فهل ورثنا هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فإن قال قائل: يا شيخ! ألا تستحي أن تقول هذا الكلام، فهل تريدنا أن نموت؟ والله لتموتن.
تريدنا أن نمرض؟ والله لتمرضن، أما يمرضون ويموتون يومياً؟ هل نفعهم لما شربوا في كأس كما شرب الرسول صلى الله عليه وسلم؟ إن الأمراض منتشرة أعظم مئات المرات من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال: [وهنا يقال: ما بال الذين يتقززون من شرب السؤر ويرفضونه في كبرياء وخوف أيضاً أن يصابوا بمرض من ذلك، قال: أين هم من هذا الكمال المحمدي؟! إنهم بعيدون كل البعد ذاهبون في أودية الأوهام حيث لا يسمعون ولا يبصرون] أي والله ما عرفوا.
ونحن الآن نتقزز من إناء يشرب منه أخي أو زوجتي أو ولدي، والله ما أتقزز أبداً، ولا نقول: هذا شرب، بدلوه بإناء آخر، ذلكم الذين ما سمعوا ولا عرفوا، ولكن سمعوا من أطباء الغرب ورجالاتهم أنه ينبغي أن لا نشرب من سؤر الماء ولا طعام ولا فضلة ولا كذا؛ خشية أن تنتقل الجراثيم إلينا ونهلك، والله ليهلكن! فهيا نترق ونسم ونعل فوق مستويات الهابطين من أهل الكفر والجهل، وعباد المادة والهوى والشياطين، ولا نأتسي بهم، ولا نقلدهم لا في لباسنا ولا في أكلنا ولا في شربنا ولا في جهادنا ولا في قتالنا.
نحن الأمة الصاعدة المنتصرة بالله.
ولكن لما احتالوا علينا، وأنزلونا من علياء كرامتنا أصبحنا نقلدهم.
أيها الحاضرون! أليس في بيوتكم صحون استقبال الهوى على سطوحكم؟ واحسرتاه! من يقول: نعم في بيتي واشتريته، نقول له: أنت عاقل أو مجنون؟ قال: كيف؟ وأنا أعقل الناس.
نقول له: ما هي الفوائد التي تجنيها من هذا الدش على سطح بيتك؟ كم من مائة ريال في اليوم تأخذها؟ كم من عشرة ريالات تأخذها؟ قال: لا، ولا ريالاً واحداً.
نقول له: إذاً هل زاد في قوتكم البدنية وانتفى المرض من بيتكم بسببه؟ يقول: لا والله.
نقول له: لماذا؟ يقول: لا لشيء.
نقول له: إذاً أنت مؤمن أو لا؟ فإن قلت: أنا مؤمن، فاسمع القيادة المحمدية تقول: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت) حتى الكلام، لا تتكلم بكلمة إلا إذا كان فيها خير لك ونفع، وإلا لا تقلها.
والله تبارك وتعالى يمدح أولياءه المعرضين عن اللغو: وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ [المؤمنون:3] واللغو في عربية القرآن ولغته: ما لا يحقق لك درهماً لمعاشك، ولا حسنة لمعادك يوم القيامة، فاللغو الباطل الذي لا ينتج فرنكاً، ولا درهماً، ولا حسنة، ولا فضيلة.
فهذا الذي يضع التلفاز بين يديه وبين أولاده ونسائه، والعواهر يرقصن، والرجال يصفقون، والأغاني والمزمار في بيت القرآن، يا للعجب! أين يذهب بعقولهم؟ فإن قال قائل: يا شيخ! لماذا هذا؟ أنا أقول: إن كان هناك فوائد تتحقق لهم نعذرهم وندعو لهم بالخير، لكن قد جربنا وعرفنا، والله ما هناك فائدة إلا أن تطرد الملائكة من بيته، ولا يصبح ملك يجلس في هذا البيت، بل ينزل منازلهم الشياطين، فتنتشر الأمراض القلبية من: الشح، والبخل، والحسد، والكبر، والعجب، والطمع، والتلصص، وحب الزنا، وحب الباطل، فتفسد بذلك القلوب وتتحطم، وتصبح كقلوب اليهود والنصارى.
أمع هذا نتساءل؟! والعلة كل العلة هي في الجهل، فوالله ما عرفوا الله أبداً ولا أحبوه ولا خافوه، بل سمعوا به فقط، وما سألوا عنه ولا عرفوه ولا ولا، فكيف إذاً يحبونه فيتركون ما لا يحب، ويفعلون ما يحب.
إذاً العلة هي الجهل وظلمته، وهذه هي الحقيقة، واقرءوا قول الله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ [آل عمران:100] اليهود والنصارى يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ [آل عمران:100] وما قال: إن تطيعوا اليهود والنصارى بل قال: (فريقاً) أي: من المختصين والعلماء والمستشارين والفنانين والمدبرين، فهذا هو الفريق، ثم قال تعالى: وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ [آل عمران:101] أي: من أين يأتيكم الكفر وينزل بقلوبكم؟ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ [آل عمران:101] فالمناعة أن نعيش على كتاب الله، فيومياً نسمع ما يقول الله عز وجل، وما يهدي إليه، وما يأمر به وينهى عنه.
أما الرسول فنعيش مع سنته، نعم الرسول ليس حياً، وإن كان حياً كما أنا حي فهل يوجد في كل قرية وكل بلد؟ الجواب: لا، هو موجود في المدينة، والله ما هو في مكة ولا في جدة ولا في الشام، لكن تعاليمه وسننه وما شرعه وقننه موجود في كل بلد.
العجب! قال: وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ [آل عمران:101] والحال أنكم تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ [آل عمران:101] فالذي تتلى عليه آيات الله صباح مساء يلقنها ويحفظها، ويبين له ما فيها لا يكفر، ومستحيل، كيف يكفر؟ ثم قال: وَفِيكُمْ رَسُولُهُ [آل عمران:101] فلا تأكلون إلا على نظامه، ولا تشربون إلا على نظامه، بله ولا تنامون، ولا تقومون، ولا تركبون، ولا تهبطون -والله العظيم- إلا على سنته ونظامه.
فمن هنا علمنا أن إبعاد الأمة عن الكتاب والسنة هو الذي أوقعها في هذه المحنة، والجهل جاءها من بُعدها عن قال الله قال رسوله صلى الله عليه وسلم.
أسألكم بالله: لو كان أهل القرية كل ليلة يجلسون جلوسنا هذا من المغرب إلى العشاء، فالنساء وراء الستارة، والأطفال دونهن، والفحول أمامهن، والمعلم يعلمهم يوماً آية ويوماً حديثاً، وفي سنة واحدة أسألكم بالله: هل يبقى الجهل بينهم؟ هل يبقى بينهم التلصص، والجريمة، والخيانة، والكذب؟ هل يبقى من يفعل شيئاً قبل أن يسأل الشيخ يجوز أو لا يجوز؟ والله ما يبقى.
لكنهم مزقونا وشتتونا، وحولوا القرآن على الموتى يقرءونه.
إذاً كيف يعرف الناس؟ من أين يتعلمون؟ فهذه الآية عجب عجب: وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ [آل عمران:101] والله هو الذي قال هذا وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ [آل عمران:101].
فمعناه: إذا لم تتل علينا الآيات، ولم يكن بيننا سنة الرسول يكفروننا، وسهل عليهم أن نتبعهم، وهذا الذي حصل.
معاشر المستمعين! هيا نرفع أكفنا إلى ربنا ضارعين سائلين أن يغيثنا، وأن يسقينا، وهو على ما يشاء قدير.
اللهم يا حي يا قيوم! يا مالك الملك! يا ذا الجلال والإكرام! اللهم رب محمد والعالمين إنا نسألك بأنك أنت الله الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد أن تسقي ديارنا هذه، وأن تغيثها يا رب العالمين.
اللهم اسقها وأغثها.

اللهم اسقنا وأغثنا، ولا تجعلنا من القانطين، يا ربنا! هذه أكفنا رفعناها إليك فاستجب لنا وأنت المستجيب دعاء عبادك المؤمنين، اللهم اسقنا وأغثنا، ولا تجعلنا من القانطين، اللهم سقيا رحمة لا سقيا عذاب، اللهم عجل بها يا رب العالمين، سقيا نافعة غير ضارة .
عامة غير خاصة، يا ولي المؤمنين ويا متولي الصالحين، ولا تحرمنا أجر دعائنا يا رب العالمين.
وصل اللهم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

أيد الله عز وجل نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم بمعجزات كثيرة، ومن ذلك امتلاء وعاء سمن أم سليم بعد أن فرغ، وتكاثر الطعام القليل الذي لا يكاد يكفي الاثنين حتى يأكل الفئام من الناس، ومن معجزاته انقياد الشجر له، وتسبيح الحصى في كفه، وحنين الجذع الذي كان يخطب عليه إليه، وسلام الحجر عليه صلى الله عليه وسلم، وكل هذه المعجزات شاهدة على صدق نبوته، وحقيقة رسالته.

من معجزات الرسول: امتلاء عكة سمن بعد فراغها

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.
أما بعد: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وها نحن مع المعجزات النبوية، وقد تقدم لنا ست معجزات، وها نحن مع السابعة وما بعدها.
والمعجزات واحدتها معجزة، بمعنى أنها متعبة وقاهرة، وأعجزتنا وما نقدر عليها وما نستطيع.
ولو تجتمع البشرية كلها على أن تأتي بمعجزة ما تستطيع ولا تقدر على ذلك، ولكن الله يهبها من يشاء من عباده، فإن كان نبياً رسولاً وتحداه المشركون فهي المعجزة، وإن كانت دعوة من عبد صالح فاستجاب الله له فأحيا ميتاً فهي كرامة الله لوليه.
قال المؤلف غفر الله لنا وله ورحمنا وإياكم: [وسابعة المعجزات: امتلاء عكة سمن بعد فراغها] العكة جلد يدبغ ويوضع فيه السمن، والسمن معروف وهو ضد الزيت، والسمن يتولد من حليب البقر والغنم.
قال: [روى الحافظ أبو يعلى عن أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: كانت لأمي أم سليم شاة] من المعز أو الضأن [فجمعت من سمنها في عكة، فملأت العكة] شهراً أو شهرين أو ثلاثة [ثم بعثت بها ربيبة] خادمة تسمى ربيبة [فقالت: يا ربيبة! أبلغي هذه العكة رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتدم بها] من الإدام [فانطلقت بها ربيبة حتى أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: يا رسول الله! هذه عكة سمن بعثت بها إليك أم سليم] أي: أم أنس [قال: (أفرغوا لها عكتها)] أي: يا أهل البيت! أفرغوا العكة من السمن فقط [فأفرغت العكة ودفعت إليها] أي: خذي العكة واذهبي بها إلى أم سليم [قالت: فانطلقت بها وجئت وأم سليم ليست في البيت] هذه ربيبة هي التي تتكلم [فعلقت العكة على وتد] أي: خشبة في باب أو في الجدار [فجاءت أم سليم فرأت العكة ممتلئة تقطر] أي: من قطرات السمن [فقالت: يا ربيبة! أليس أمرتك أن تنطلقي بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقالت: بلى، قد فعلت، فإن لم تصدقيني فانطلقي فسلي رسول الله صلى الله عليه وسلم.
قالت: فانطلقت ومعها ربيبة فقالت: يا رسول الله! إني بعثت معها إليك بعكة من سمن.
قال: (قد فعلت قد جاءت).
قالت: والذي بعثك بالحق] هذه يمين، فهي عالمة جامعية تخرجت من أعظم جامعة ليست كجامعياتكم [ودين الحق إنها لممتلئة تقطر سمناً] أي: كما تركتها [قال أنس : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يا أم سليم ! أتعجبين إن كان الله أطعمك كما أطعمت نبيه)] الله أكبر! هذه معجزة! فلو تجتمع الدنيا كلها تملأ عكة فارغة سمناً هل ممكن؟ هذا مستحيل، لا يستطيعون أن يأتوا بالسمن ويملئونها كأن يقول لعكة معلقة: امتلئي، فتمتلئ! هذه معجزة! ومعنى معجزة أنها تعجز البشرية كلها وما تستطيع أن تفعلها، فصاحبها إذاً رسول الله؛ لأن المعجزة تقول: لقد أرسلت عبدي فلاناً محمداً أو إبراهيم أو صالحاً.
فهذا لسانها.
قال: [قالت: فجئت إلى البيت فقسمت في قعب لنا] أي: قسمت السمن في قعب لها [كذا أو كذا] أي: من إناء [وتركت فيها ما ائتدمنا به شهراً أو شهرين] أي: قسمته عن كذا إناء، وما بقي قالت: ائتدمنا به شهراً أو شهرين.
قال: [فهذه إحدى المعجزات المحمدية؛ إذ ليس مما جرت به سنة الله في الخلق أن يمتلئ الإناء سمناً بعد إفراغه منه، ويرى ذلك رأي العين وينتفع به] أي: ما هو مجرد خيال.

من معجزات الرسول: الطعام القليل يشبع العدد الكثير

قال: [وثامنة العجزات: الطعام القليل يشبع العدد الكثير] أي: من الرجال والنساء، فالطعام القليل يشبع الكثير من الناس.
قال: [روى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قوله: قال أبو طلحة] هذا أبو أنس [لأم سليم : لقد سمعت صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعيفاً أعرف فيه الجوع] هذا أبو طلحة [فهل عندك من شيء؟ قالت: نعم، فأخرجت أقراصاً من شعير] جمع قرص [ثم أخرجت خماراً لها، فلفت الخبز ببعضه، ثم دسته تحت يدي ولاثتني ببعضه] خمار طويل بعضه في هذا، وبعضه لفت عليه، فهذه امرأة حكيمة لأن الولد صغير.
قال: [ثم أرسلتني إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.
قال: فذهبت به] أي: بذلك الخبز أو تلك الأقراص [فوجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد] أي: في هذا المسجد [ومعه الناس، فقمت عليهم] أي: أن أنساً ظل واقفاً [فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: أرسلك أبو طلحة ؟] وهذه إلهامات، وهذا ناتج عن صفاء الروح، وهذه هي الفراسة [قلت: نعم.

قال: بطعام؟ قلت: نعم] أي: بطعام [فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن معه: قوموا] أي: هيا، فكلهم جياع [فانطلق وانطلقت بين أيديهم حتى جئت أبا طلحة فأخبرته، فقال أبو طلحة : يا أم سليم ! قد جاء رسول الله صلى الله عليه والناس ليس عندنا ما نطعمهم.
فقالت: الله ورسوله أعلم.
فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم و أبو طلحة معه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هلم يا أم سليم ما عندك؟] أي: هاتي ما عندك من الأقراص التي بعثت بها ورجعت إليها [فأتت بذلك الخبز، فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ففتَّ] تفتيتاً [وعصرت أم سليم عكة لها فأدمته، ثم قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله أن يقول، ثم قال: ائذن لعشرة] من الرجال [فأذن لهم، فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا، ثم قال: ائذن لعشرة، فأذن لهم، فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا، ثم قال: ائذن لعشرة، فأكل القوم كلهم، والقوم سبعون أو ثمانون رجلاً].
فإذا عرفنا أنه رسول الله يجب علينا: أولاً: أن نحبه أكثر من أنفسنا، وثانياً: أن نمشي وراءه ولا نتقدمه بقول ولا عمل، وثالثاً: أن نطيعه إذا قال: طلق امرأتك طلقها، وإلا ما معنى: الإيمان به؟ وكذلك إذا قال: اترك التدخين، أو قال: أخرج هذا الدش من بيتك فإنه يطرد الملائكة.
قال المؤلف: [أليست هذه من أعظم المعجزات؟ بل وربي إنها لمن أعظم المعجزات، إن أقراصاً عدة حملها غلام تحت إبطه يطعم منها ثمانون رجلاً، ويشبع كل واحد منهم شبعاً لا مزيد عليه، إن لم تكن هذه معجزة فما هي المعجزات إذاً يا ترى؟] فلو اجتمعت أمريكا واليابان والصين على عشرة أقراص يطعمون ثمانين واحداً ليشبعوهم، والله ما يستطيعون.

من معجزات الرسول: تكثير الطعام

قال: [وتاسعة المعجزات: تكثير الطعام] الطعام القليل يكثر [إن معجزة تكثير الطعام والشراب قد تكررت فبلغت عشرات المرات، وفي ظروف مختلفة ومناسبات عديدة، منها ما تقدم، ومنها هذه؛ فقد قال أبو هريرة رضي الله عنه: (كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها -وهي غزوة تبوك-)] من اللطائف دائماً أنه يذكر: (كنا) فيعتز بهذه الكلمة: كنا .
كنت مع رسول الله وهو يحدث بعد موته، ونحن إذا رأيناه في المنام فقط ينشرح صدرنا ونكاد نطير من الفرح، فلهذا هو يفرح ويقول: (كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم).
قال: [(فأرمل فيها المسلمون واحتاجوا إلى الطعام)] أي: أصبحوا لاصقين بالرمل ما عندهم شيء، والأرملة هي الفقيرة من النساء [(فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم)] أي: طلبوا منه الإذن [(في نحر الإبل)] أي: الإبل التي جاءوا راكبين عليها ويعودون عليها، وهي عدتهم وسلاحهم، فقالوا: ننحر الإبل ولا نموت جوعاً [(فأذن لهم، فبلغ ذلك عمر رضي الله عنه)] أي: بلغه الخبر؛ لأن المعسكر فيه آلاف، وليس بغرفة واحدة [(فجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله! إبلهم تحملهم وتبلغهم عدوهم ينحرونها؟!)] هذا استفهام إنكاري [(ادع يا رسول الله بغبَّرات الزاد، فادع الله عز وجل فيها بالبركة)] أي: ادع بالبقايا من الزاد فتصبح قناطير [(قال: أجل)] أي: أن رسول الله استجاب لاقتراح عمر ؛ لأن عمر حكيم، فما رأى أن ينحروا إبلهم ثم يبقون لاصقين بالأرض وكيف يرجعون إلى ديارهم؟ وكيف يغزون؟ فقال: يا رسول الله! اجمع غبَّارات الطعام الباقية عندهم وادع الله فيها بالبركة فيباركها الله وتكفيهم.
قال: [(فدعا بغبَّرات الزاد، فجاء الناس بما بقي معهم، فجمعت ثم دعا الله عز وجل فيها بالبركة ودعاهم بأوعيتهم فملئوها وفضل كثير)] أي: هاتوا زنابيلكم وأكياسكم فملئوها وفضل كثير.
قال: [(فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك)] ماذا ترون أنه يقول الآن لما شاهد المعجزة؟ على الأقل يحمد الله ويشكره [(أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أني عبد الله ورسوله، ومن لقي الله عز وجل بها غير شاك دخل الجنة)] وهذه خير من الدنيا وما فيها، فلما نظر إلى المعجزة قال: (أشهد أن لا إله إلا الله) لولا الله الإله الحق الملك لكل شيء فمن أين يأتي الطعام هذا ويزود جيشاً بكامله؟ وقال: (وأشهد أني عبد الله ورسوله) وما قال: أنا كبير القوم وأعظمهم، بل عبد الله ورسوله، ثم زاد الأخرى: (ومن لقي الله عز وجل بها غير شاك دخل الجنة) أي: من مات وهو يشهد أن لا إله إلا الله، ويشهد أن محمداً رسول الله وغير شاك في هذا فالنتيجة دخل الجنة.
لكن يا أصحاب الأدشاش والتلفازات والمزامير والأغاني الذين أدت بهم إلى ارتكاب المناكر! إنا نخشى أن تموتوا على سوء الخاتمة نتيجة الاستمرار على المعصية، فيموت من يموت في حادث وهو لا يعرف الله ولا يقول: لا إله إلا الله، فاحذروا هذا، أما من مات وهو يقول: لا إله إلا الله غير شاك دخل الجنة والله العظيم؛ لأنها حسنة من أعظم الحسنات.
قال: [فهذه معجزات ظاهرة في تكثير الطعام القليل حتى أصبح كثيراً، وهي كما قدمنا واحدة من عشرات المعجزات في تكثير الطعام والشراب].

من معجزات الرسول: توفية دين جابر الذي استغرق كل ماله

قال: [وعاشرة المعجزات: توفية دين جابر الذي استغرق كل ماله] أي: توفية دين جابر بن عبد الله بن حرام شهيد أحد فقد استغرق الدين كل ماله، وانظر كيف يسدده الله على يد رسوله صلى الله عليه وسلم.
قال: [فقد روى البخاري رحمه الله تعالى في دلائل النبوة المحمدية] أي: في دلائل علامة النبوة [قصة جابر الآتية: فقال: حدثنا أبو نعيم، وساق السند إلى جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام رضي الله عنهما] عبد الله بن حرام استشهد في أحد، وبعد أربعين سنة وجدوه كما دفن دمه يسيل، وذلك عندما جاء السيل وجرف المنطقة فظهر جسمه فاستدعي ولده فرآه كأنما استشهد الآن.

قال: [حدثنا أبو نعيم وساق السند إلى جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام رضي الله عنهما] الولد والوالد [فقال: إن أبي توفي وعليه دين] فوالد جابر مات شهيداً وعليه دين كثير [فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: إن أبي ترك ديناً وليس عندي إلا ما يخرج نخله، ولا يبلغ ما يخرج سنين ما عليه] ما هو عام واحد [فانطلق معي] أي: يا رسول الله [لكيلا يفحش عليَّ الغرماء] أي: امش معي نتكلم مع أصحاب الدين حتى لا يفحشوا عليَّ بالقول والنقد والطعن وكذا وكذا [فمشى حول بيدر] البيدر: مكان يوضع فيه التمر [من بيادر التمر، فدعا] أي: رسول الله صلى الله عليه وسلم [ثم آخر] أي: دعا على بيدرين [ثم جلس عليه فقال: انزعوه] خذوا كل واحد يأخذ ما له من الدين [فأوفاهم الذي لهم] أي: من الدَين، فكمُل [وبقي مثل ما أعطاهم].

جابر جاء يبكي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول: إن والدي استشهد وعليه دين، وما ترك ما نسدد إلا هذه النخيلات، ولو نعطيهم سنين تمرها ما يسدهم، فهيا امش معي يا رسول لكي نحاول أن نقنعهم ونتلطف معهم حتى ما يفحشوا عليَّ بالقول، فقال: أين؟ فنظر إلى هذا البيدر فدعا، ثم إلى البيدر الآخر فدعا.

ثم قال لهم: تعالوا خذوا، فاستوفوا دينهم كاملاً وبقي بيدره كما هو.

فكثر التمر وهذا لا يتم بدون معجزة نبوية.

قال: [وهكذا بعد أن كان الدين قد استغرق كل التمر ولسنين عدة أيضاً، وفَّى التمر الموجود كل الديون، وبقي التمر في البيادر مثل ما سددت به الديون الكثيرة، وذلك ببركة وجود الرسول صلى الله عليه وسلم بين البيادر ودعائه بالبركة فيها.

فباركها الله عز وجل فوفت الديون وزادت.

فكانت آية النبوة والمعجزة الظاهرة التي يبعث بها الأنبياء ويكرم الله تعالى بها الأولياء متى شاء وهو على كل شيء قدير].

من معجزات الرسول: انقياد الشجر له

قال: [وحادية عشر المعجزات: انقياد الشجر له صلى الله عليه وسلم] فالشجر يدعوها وتأتي في جذورها.

قال: [روى مسلم بسنده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: (سرنا مع النبي صلى الله عليه وسلم)] أي: مشينا معه [(حتى نزلنا وادياً أفيح)] أي: واسعاً رحباً [(فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته)] أي: يتبول، فهو بشر [(فأتبعته بإداوة فيها ماء)] نحن نسميها الدلاوة، إداوة فيها ماء حتى يستنجي ويتوضأ، وقد فاز جابر بخدمة الحبيب صلى الله عليه وسلم.

قال: [(فنظر)] أي: النبي صلى الله عليه وسلم [(فلم ير شيئاً يستتر به)] فهو واد أفيح ما فيه مكان يختبئ واسع [(وإذا شجرتان بشاطئ الوادي)] أي: طرفه [(فانطلق إلى إحداهما فأخذ ببعض من أغصانها وقال: انقادي عليَّ بإذن الله)] أي: تعالي بإذن الله [(فانقادت معه كالبعير المخشوش)] أي: كالذي في أنفه خشبه يجرونه [(الذي يُصانع قائده، حتى أتى الشجرة الأخرى فأخذ بعضاً من أغصانها وقال: انقادي عليَّ بإذن الله، فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يُصانع قائده، حتى إذا كان بالمنتصف فيما بينهما)] أي: بين الشجرتين بينهما [(لاءم بينهما -أي: جمعهما-)] صلى الله عليه وسلم [(وقال: التئما عليَّ بإذن الله، فالتأمتا.

قال جابر : فخرجت أحضر)] أي: أحميه [(مخافة أن يحس بقربي منه فيبعد، فجلست أحدث نفسي، فحانت مني التفاتة، فإذا أنا برسول الله صلى الله عليه وسلم مقبل، وإذا الشجرتان قد افترقتا، وقامت كل واحدة منهما على ساق ...) إلى آخر الحديث] افترقتا لما قضى الرسول حاجته وعادت كل واحدة إلى مكانها، قال: وأنا أنظر.

قال: [فهذه إحدى المعجزات الخارقة للعادة التي لا تكون إلا لنبي من الأنبياء عليهم السلام؛ إذ كون الشجرة تستجيب وتنقاد مطيعة لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم هو أمر خارق للعادة لم تجر به سنن الله تعالى في الكون، وبذا كانت معجزة للحبيب صلى الله عليه وسلم].

فالشجرتان كانتا كل واحدة في جهة دعاهما جاءتا والتفتا حوله، لما قضى حاجته عادة كل واحدة إلى مكانها.

من معجزات الرسول: حنين الجذع شوقاً إليه صلى الله عليه وسلم

قال: [وثانية عشر المعجزات: حنين الجذع شوقاً إليه صلى الله عليه وسلم.

فقد روى أحمد رحمه الله عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب إلى جذع نخلة)] فما عنده منبر في أول الأمر، إنما عنده جذع النخلة يعتمد عليه ويخطب الناس ليبلغ صوته، ولما رأت الأنصارية الجذع وعندها نجار خادم في الغابة قالت له: اصنع لنا منبراً لرسول صلى الله عليه وسلم، ففازت بهذه المكرمة امرأة من الأنصار.

قال: [(فقالت امرأة من الأنصار وكان لها غلام نجار)] خادمها نجار [(يا رسول الله! إن لي غلاماً نجاراً، أفآمره أن يتخذ لك منبراً تخطب عليه؟ قال: بلى)] افعلي [(فاتخذ له منبراً، فلما كان يوم الجمعة خطب صلى الله عليه وسلم على المنبر)] المنبر جاء في غير الجمعة، وبقي في مكانه لا يحتاج إليه الرسول إلا يوم الجمعة، قال: [(فأنَّ الجذع الذي كان يقوم عليه كما يئن الصبي)] تعرفون صوت الصبي، فالجذع يئن أنين الصبي لفراق الحبيب صلى الله عليه وسلم.

قال: [فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن هذا بكى لما فقد من الذكر).

وفي رواية البخاري : (فصاحت النجلة -جذع النخلة- صياح الصبي، ثم نزل)] أي: من على المنبر [(فضمه إليه)] صلى الله عليه وسلم [(يئنُّ أنين الصبي الذي يسكَّن)] أي: ضمه إليه كالصبي إذا كان بكى يسكَّن [قال: كانت تبكي النخلة] أي: أن ذلك الجذع كان يبكي [على ما كانت تسمع من الذكر عندها] على شيء آخر، عرفتم قيمة الذكر؟ لماذا حنَّ الجذع وبكى؟ لأنه كان يسمع الذكر عليه ففقده فحنَّ وبكى.

فأين الذين يحنون إلى سماع الذكر منا؟ وذكر الله وما والاه قوت الأرواح يشبع الجائع به، ويبرأ المريض به، ويأمن الخائف به، فإذا كنت عبد الله الذي تعيش مع الله بقلبك، حنين بكى خشية بكت.
قال: [فحنين الجذع شوقاً إلى سماع الذكر وتألماً لفراق الحبيب الذي كان يخطب إليه واقفاً عليه وهو جماد لا روح له ولا عقل في ظاهر الأمر] لأننا نقول: كل الكائنات يسبح الله عز وجل، وليس شرطاً أن يكون الخشب والحجر في صورة إنسان حتى يسبح لا أبداً، كل له هيئته وهيكله ولسانه، فانتبهوا لهذه اللطيفة.
قال: [فحنين الجذع شوقاً إلى سماع الذكر وتألماً لفراق الحبيب] صلى الله عليه وسلم [الذي كان يخطب إليه واقفاً عليه وهو جماد لا روح له ولا عقل] أي: في ظاهرنا نحن نقول: ما عنده عقل [في ظاهر الأمر وحسب علم الناس بالجمادات] هذا الذكر هذا الأنين قال: [آية من أعظم الآيات الدالة على نبوة الحبيب صلى الله عليه وسلم وصدق رسالته، وهي معجزة كبرى على مثلها آمن البشر لعجزهم على الإتيان بمثلها].

من معجزات الرسول: تسبيح الحصى في يديه وسلام الشجر عليه

قال: [وثالثة عشر المعجزات: تسبيح الحصى في يديه وسلام الشجر عليه] فالحصى في يده يسبح، والناس يسمعونه، والشجرة يقول لها أن تأتي فتجيء وتسلم، أو تسلم عليه إذا مر بها.
قال: [روى الحافظ أبو بكر البيهقي رحمه الله تعالى عن سويد بن يزيد السلمي قال: سمعت أبا ذر الغفاري رضي الله عنه يقول: لا أذكر عثمان إلا بخير بعد شيء رأيته] لأن عثمان رغب لـأبي ذر الغفاري أن يخرج من المدينة للفتنة [وبين ذلك الخير الذي رآه فقال: (كنت رجلاً أتبع خلوات رسول الله صلى الله عليه وسلم)] أي: أمشي معه لما يخلو لنفسه أتابعه لأحميه أو أساعده على ما يريد يتصيده، وحباً فيه [(فرأيته يوماً جالساً وحده، فاغتنمت)] أي: هذه غنيمة لنفسه [(خلوته، فجئت حتى جلست إليه، فجاء أبو بكر فسلم عليه، ثم جلس عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجاء عمر فسلم وجلس عن يمين أبي بكر ، ثم جاء عثمان فسلم ثم جلس عن يمين عمر ، وبين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع حصيات)] و أبو بكر و عمر و عثمان جالسون والرسول بينهم [(فأخذهن في كفه فسبحن حتى سمعت لهن حنيناً كحنين النخل، ثم وضعهن فخرسن -أي: سكتن-)] ما تكلمن [(ثم أخذهن فوضعهن في كف أبي بكر فسبحن حتى سمعت لهن حنيناً كحنين النخل.
ثم وضعهن فخرسن، ثم تناولهن فوضعهن في يد عمر فسبحن حتى سمعت لهن حنيناً كحنين النخل)] الذي تم قبل هذه الساعة، (كحنين النخل) أي: جذع النخل [(ثم وضعهن فخرسن)] وسكتن [(ثم تناولهن فوضعهن في يد عثمان فسبحن حتى سمعت لهن حنيناً كحنين النخل ثم وضعهن فخرسن، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: هذه خلافة النبوة)] من هنا قال: لا أقول في عثمان إلا خير بعد وجود الفتنة والكلام، فالحصاة تسبح في يديه.
قال: [فهذه المعجزة ذات شطرين: الأول: تسبيح الحصى في أيدي الراشدين.
والثاني: الخلافة فعلاً قد انحصرت في الصديق و الفاروق و ذي النورين ، ثم اضطربت] وكانت المحنة.

من معجزات الرسول: سلام الحجر عليه صلى الله عليه وسلم

قال: [ورابعة عشر المعجزات: سلام الحجر عليه صلى الله عليه وسلم.
فقد روى مسلم] و أحمد [بسنده عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليَّ قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن)] قبل النبوة [فسلام الحجر وهو جماد أمر خارق للعادة، معجزة للبشر أن يأتوا بمثله، فلذا هو آية النبوة المحمدية ومعجزة من معجزات الحبيب صلى الله عليه وسلم].

فوائد معرفة المعجزات النبوية

معاشر المستمعين والمستمعات! ما فائدة هذه العلوم والمعارف؟ أولاً: أن يقوى إيماننا ويزيد، فإذا كان نسبة الدرجة سبعين يرتفع إلى مائة وسبعين، والذي لا يزيد إيمانه وهو يسمع مريض، والذي يسمع هذا وما يرتفع منسوب إيمانه ما هو بالمؤمن الحق.
ثانياً: يحملنا هذا على حبه صلى الله عليه وسلم، حتى نؤثره على أنفسنا وأولادنا وأهلينا، فإذا أحب منا شيئاً وعرفنا أنه يحبه منا يجب أن نقدمه له، فإن كان فعلاً فعلناه وإن كان نهيناه ومكروهاً تركناه، وهذا المعتقد في نبوته صلى الله عليه وسلم يقرر لنا معنى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.
كيف عرفناه رسولاً؟ ما الذي شهد له بالرسالة؟ هذه عشرات الآيات والمعجزات، وأعظمها هذا الكتاب الكريم القرآن العظيم، وهل يعقل هذا القرآن أن ينزل على غير نبي ورسول؟ مستحيل، إذ لا ينزِّل الله وحيه إلا على شخص أعزه وهيأه وهو في رحم أمه، وبخاصة النبي صلى الله عليه وسلم نطفته من عدنان ، والله يحميها من رحم إلى رحم حتى لا يقع فيها لبس ولا اختلاط، مع أنهم كانوا في جاهلية، إلى أن كانت في رحم آمنة بنت وهب وهو مصون محفوظ، ثم حفظه من ساعة أن خرج من بطن أمه مصوناً محفوظاً مكلوءاً أربعين سنة، واذكروا تلك السنة التي كان لقريش فيها أعراس وكانوا يحتفلون ويغنون ويزمرون في داخل مكة، وكان هو يرعى الغنم مع زميل له خارج ديار مكة فقال لزميله: تستطيع أن ترعى غنمي لأحضر حفلاً في هذه الليلة لقريش؟ قال: نعم رح يا محمد أنا أصون لك غنمك،

قال: فجئت وجلست أنتظر قبل غروب الشمس وهم يعدون العدة ويتهيئون كما تعرفون إخوانكم للحفل، قال: فأخذتني نومة فلم أستيقظ إلا على حر الشمس من الغد، فلم ير بعينه راقصة، ولم يسمع صوت عاهرة ولا متكلم ولا مغنية، وهو صبي في السابعة أو الثامنة أو العاشرة يرعى غنماً، لأن من سنة الله أن الأنبياء يرعون الغنم؛ ليتربوا على ذلك اللين والعطف، هذه واحدة.
ولما كانوا يبنون الكعبة، وقد تزعزعت وتضعضعت بالسيول والأودية فأرادوا بناءها، فكان العباس رضي الله عنه عم سيد الناس يحمل الحجارة من جبل أبي قبيس مع الرجال، ومحمد الغلام الصبي معهم يحمل أيضاً الحجارة، ويضعها على كتفه، ما في لباس وكذا إلا الإزار والرداء، فقال له العباس : ارفع إزارك وضعه على كتفك؛ حتى ما يجرحك الحجر، فما إن استجاب لعمه وهو غلام صغير وانكشفت عورته حتى خر مغشياً عليه، فما انكشفت عورته طول حياته.
وهذا الحبيب صلى الله عليه وسلم هو أسوتنا وقدوتنا، اعلموا رحمكم الله أنه كان يقول: (إن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلب ولا صورة)، أبعد أن سمعنا هذا نسمح أن يوجد في بيوتنا كلاب والصور على الجدران؟ إن فعلنا أصبحنا محبين مؤمنين صادقين؟! (إن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلب ولا صورة).
يا من يستمعون من الرجال والنساء! أنتم مدعون الليلة أن تطهروا بيوتكم إن كنتم محبين لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وتريدون أن تنزل الملائكة في بيوتكم.
هذه الأدشاش .
هذه الصحون الهوائية اعلموا أنها والله الذي لا إله غيره لا تحل لعبد أبداً أن يضعها على سطحه وينتظر ماذا تنقل إليه من أحداث ومن فضائع الأقوال والأعمال، واستثنيت مسئولاً سياسياً عن أمة ممكن إذا قيل له: إن الأحداث تجري كذا ويضطر إلى نظره إليها أو سماعها ممكن يعفى عنه، أما غير المسئول مثلي ومثلك يا عبد الله لم يدخل هذا بيوتنا؟ لقد أفسد عقول أبنائنا وبناتنا، لقد أفسد قلوبنا، ومظاهر الفساد ظاهرة كالشمس لا يشك فيها ذو عقل أبداً، فهيا بحبنا لرسول الله نطهر بيوتنا.

الأسئلة

حكم من قال: امرأتي حرام

الآن سألني سائل قال: امرأتي حرام ألا أدخن ثم دخن فماذا يصنع؟ قلت: يكفِّر كفارة يمين ويجب ألا يدخن، فما دام عرف أن التدخين حرام وحلف ألا يدخن فيجب أن يقهر نفسه ويذلها ويخضعها لما يحب الله ورسوله، وإذا لم يدخن ماذا يصيبه؟ ما استطاع، يقول: أدخلوني السجن، أدخلوني في هذه الغرفة أربعين يوماً حتى أنسى هذا التدخين ولا حرج.
ولكن الله نسأل أن يتوب علينا وعليهم، وأن يغفر لنا ولهم، ويرحمنا وإياهم.
وصل اللهم على نبينا محمد وآله وسلم تسليماً كثيراً.

من معجزات النبي محمد صلى الله عليه وسلم كلامه مع البهائم وتوقيرها له، ومن معجزاته كذلك شفاء المرضى، فقد دعا صلى الله عليه وسلم لغلام ممسوس فخرج منه الجني بدعاء المصطفى، ودعا لضرير بأن يرد الله عليه بصره فعاد بصيراً كما كان من قبل، وغيرها من المعجزات التي تشهد بصدق نبوته صلى الله عليه وسلم وتأييده من رب العزة والجلال.

سجود البعير له صلى الله عليه وسلم وشكواه إليه

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.
أما بعد: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.
وها نحن ما زلنا مع المعجزات المحمدية، وقد عرفتم أن العامة يقولون: لا نبي إلا بالمعجزات، ولا ولي إلا بالكرامات، وهو كذلك.
قال: [وخامسة عشر المعجزات: سجود البعير له صلى الله عليه وسلم وشكواه إليه] فالبعير سجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا إليه مصائبه وأتعابه، فسبحان الله! فهذا البعير الحيوان المعروف خر ساجداً بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وشكا إليه ما يعانيه من مالكيه، وإليكم الرواية الآتية: قال: [روى النسائي و أحمد بسنديهما عن أنس بن مالك رضي الله عنه] هذا خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم [قال: (كان أهل بيت من الأنصار)] وجد أهل بيت من الأنصار سكان المدينة من بني الأوس والخزرج [(لهم جمل)] أي: بعير ذكر [(يسنون عليه)] أي: يستخرجون الماء بواسطته [(وأنه استصعب عليهم)] أي: قوي وما طاقوه [(فمنعهم ظهره)] أي: لا يستطيعون أن يركبوا عليه [(وأن الأنصار جاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: إنه كان لنا جمل نسني عليه، وإنه استصعب علينا ومنعنا ظهره، وقد عطش الزرع والنخل)] أي: ارحمنا يا رسول الله [(فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: قوموا. فقاموا فدخل الحائط)] والمراد بالحائط البستان، وسمي حائطاً لأنه محاط بالجدران [(والجمل في ناحية)] أي: من نواحي البستان [(فمشى النبي صلى الله عليه وسلم نحوه)] أي: جهة البعير [(فقال الأنصار: إنه صار مثل الكلب، وإنا نخاف عليك صولته. فقال: ليس عليَّ منه بأس)] ولا أذى [(فلما نظر الجمل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل نحوه)] أي: جهته [(حتى خر ساجداً بين يديه)] وهذه آية النبوة! كيف أن الجمل وهو حيوان يسجد لإنسان؟! فتلك علامة أنه رسول الله بحق.
قال: [(فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بناصيته أذل ما كانت قط حتى أدخله في العمل)] أي: قاده الرسول للعمل [(فقال له أصحابه: يا رسول الله! هذه بهيمة لا تعقل تسجد لك، ونحن أحق أن نسجد لك! فقال: لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر، ولو صلح لبشر أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها)] ولكن لا سجود إلا لله رب العالمين.
قال: [كما روى مسلم : (أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل يوماً مع بعض أصحابه حائطاً)] والحائط هو البستان [(من حيطان الأنصار)] أي: بساتينهم [(فإذا جمل قد أتاه، فجرجر وذرفت عيناه)] أي: هذا الجمل [(فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم سراته وذفراه فسكن)] أي: مسح من حيث عظام أذنيه، فهدأه وسكن [(فقال صلى الله عليه وسلم: من صاحب الجمل؟)] هذا الذي جاء يبكي [(فجاء فتى من الأنصار قال: هو لي يا رسول الله، فقال له صلى الله عليه وسلم: أما تتقي الله في هذه البهيمة التي ملّكها الله لك؛ إنه شكا إليَّ أنك تجيعه وتدئبه)] أي: تجوعه وتكثر عليه العمل [أي: تواصل العمل عليه بدون انقطاع] فهذا جمل صاحبه لا يطعمه كما ينبغي ثم يواصل العمل عليه دائماً فما يستريح، فلما جاء الرسول صلى الله عليه وسلم ورآه الجمل جاء إليه يجري يجرجر ويبكي والدموع تسيل، ثم نادى: يا صاحب الجمال! ما لك! إن هذه بهيمة ملكها الله لك، فإنه شكا إلي أنك تجيعه وتدئبه، أي: تواصل العمل عليه.
فهذه معجزة أن الجمل يشتكي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبكي ويجرجر، ويعرف الرسول صلى الله عليه وسلم أن سبب ذلك أنه قد أجاعه ودأب العمل عليه بدون انقطاع.
قال: [أليست هذه آية من آيات النبوة ومعجزة من عظيم معجزاتها؟ بلى] نعم [ولذا كان الكفر بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم من أقبح الكفر وأسوئه] أليست هذه آية من آيات النبوة واضحة كالشمس معجزة من عظيم المعجزات؟ بلى [ولا يكون إلا من جهل كامل، أو حسد قاتل] أي: لا يكون الكفر بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم إلا من جهل كامل أو حسد قاتل والعياذ بالله [أو خوف فوات منافع مادية طائلة، كما كان شأن الجهال من الأمم والشعوب، وحسد اليهود، وخوف رجال الكنيسة من زوال سلطانهم الروحي، وما يترتب عليه من فقدانهم المال والرئاسة الروحية على الشعوب المسيحية].
تأملتم! أليست هذه آية من آيات النبوة في كون الجمل يخر ساجداً، ويأتي يبكي ويذرف الدموع، ويعرف الرسول ما حاله؟ فهذه معجزة من معجزاته؛ ولذا قال المؤلف: [ولذا كان الكفر بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم من أقبح الكفر وأسوئه، ولا يكون] أي: هذا الكفر [إلا من جهل كامل] أي: أن صاحبه لا بصيرة له ولا نور [أو حسد قاتل] كحسد اليهود، [أو خوف فوات منافع مادية طائلة، كما كان شأن الجهال من الأمم والشعوب، وحسد اليهود، وخوف رجال الكنيسة من زوال سلطانهم الروحي وما يترتب عليه من فقدانهم المال والرئاسة الروحية على الشعوب المسيحية].
لو قيل لك: لماذا اليهود لا يؤمنون بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم مع أنها كالشمس؟ والجمل يبكي، والشجر يأتي، فكيف لا يؤمنون؟ الجواب: منعهم إما جهل مركب فما عرفوا الطريق، أو حسد كحسد اليهود، أو الحفاظ على المنصب والرياسة كالرهبان والقسس، فهذا هو الحق.

شهادة الذئب برسالته صلى الله عليه وسلم

قال: [وسادسة عشر المعجزات: شهادة الذئب برسالته] أي: أن الذئب يشهد أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم.
[فقد روى أحمد رحمه الله تعالى في مسنده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: (عدا الذئب على شاة فأخذها، فطلبها الراعي فانتزعها منه)] أي: من الذئب [(فأقعى الذئب على ذَنَبه)] أي: جلس [(فقال: ألا تتقي الله! تنزع مني رزقاً ساقه الله إلي)] فالذئب ينطق أفصح ما يكون [(فقال)] أي: الرجل [(يا عجبي! ذئب يكلمني كلام الإنس! فقال الذئب: ألا أخبرك بأعجب من ذلك؟ محمد بشر يخبر الناس بأنباء ما قد سبق.
قال: فأقبل الراعي يسوق غنمه حتى دخل المدينة، فزواها إلى زاوية من زواياها، ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره)] أي: بالخبر [(فأمر النبي صلى الله عليه وسلم فنودي: الصلاة جامعة)] أي: أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يجمع الناس بقول: الصلاة جامعة [(ثم خرج فقال للراعي: أخبرهم)] أي: بقصتك [(فأخبرهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: صدق والذي نفس محمد بيده لا تقوم الساعة حتى يكلم السباع الإنس، ويكلم الرجل عذبة سوطه، وشراك نعله، ويخبره فخذه بما أحدث أهله بعده)] أي: في البيت.
هذا واقع الآن، صلوا عليه وسلموا.
قال: [فهذه آية من آيات النبوة المحمدية، ومعجزة من معجزاته بكلا شطريها: الأول: الذي فيه كلام الذئب للراعي.
والثاني: الذي فيه إخبار بغيب لم يكن فكان اليوم، فعذبة السوط] أي: العصا [ظاهرة في تلفون الشرط] فالشرط ما عندهم في أيديهم! [وتكليم الفخذ وشراك النعل ظاهرة كذلك في آلات التسجيل الصغيرة التي يستعملها رجال المخابرات بمهارة خاصة]، تجده يجلس معك وتحت فخذه يسجل ما تقول، فقولوا: آمنا بالله ورسوله.

توقير الوحش له صلى الله عليه وسلم واحترامه

قال: [وسابعة عشر المعجزات: توقير الوحش له صلى الله عليه وسلم واحترامه.
فقد روى أحمد بسنده عن مجاهد قال: قالت عائشة رضي الله عنها: (كان لآل رسول الله)] أهل بيته [(وحش)] أي: حيوان مستوحش من البر [(فإذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لعب واشتد وأقبل وأدبر، فإذا أحس برسول الله صلى الله عليه وسلم قد دخل ربض، فلم يترمرم -أي: لم يتحرك- ما دام رسول الله صلى الله عليه وسلم في البيت كراهية أن يؤذيه بحركاته)] هذا حيوان وحشي جاءوا به من الصحراء وجعلوه في البيت، فإذا كان الرسول ليس في البيت فإن هذا الحيوان يقفز ويصيح ويجري وكذا، وإذا شعر بالرسول دخل يربض فلا يتحرك أبداً، وهذه معجزة عجيبة.
قال: [فكون الحيوان الوحشي يسكن فلا يتحرك مدة ما هو صلى الله عليه وسلم في البيت، وإذا خرج لعب فأقبل وأدبر -كعادة الحيوان في ذلك- آية من آيات النبوة المحمدية ومعجزة، إذ مثل هذا لا يقع لغير النبي صلى الله عليه وسلم.
وإن قال قائل: إن الإنسان في إمكانه تربية الحيوان على سلوك معين.
قلنا: هناك فرق بين التربية وبين عدمها، فالرسول صلى الله عليه وسلم ما كان ربّى هذا الحيوان] أي: حتى يتأدب معه، فهذا حيوان وحشي، وهناك فرق بين الحيوان الذي تؤدبه وبين من يتأدب بنفسه [ولا كان له به أدنى صلة، وإنما الحيوان أُلهم احترام النبي صلى الله عليه وسلم وتوقيره، فكان إذا أحس بدخول الرسول البيت سكن وربض وترك الترمرم، وإذا خرج صلى الله عليه وسلم من البيت لعب فأقبل وأدبر حسب فطرته التي فطره الله تعالى عليها، فكان سلوكه الخاص آية من آيات النبوة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية والتسليم].
هذه معجزة.

احترام الأسد لمولاه صلى الله عليه وسلم

قال: [وثامنة عشر المعجزات: احترام الأسد لمولاه صلى الله عليه وسلم] فالأسد يحترم خادم الرسول وليس الرسول نفسه، خادم من خدم الرسول الأسد احترمه، وإليكم القصة.
قال: [فقد روى عبد الرزاق صاحب المصنف] روى [أن سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم] رجل اسمه سفينة مولى خادم الرسول صلى الله عليه وسلم [أخطأ الجيش] وهم في غزوة في أوروبا [بأرض الروم] هم يمشون على خيولهم وأرجلهم فضل الطريق هو وانقطع عن الجيش [أو أُسر في أرض الروم] ضبط على جهة [فانطلق هارباً] أي: أسروه فانطلق هارباً منهم [يلتمس الجيش] الإسلامي [فإذا هو بأسد] والأسد من أفظع الحيوانات [فقال له: يا أبا الحارث] يكنون الأسد بأبي الحارث، فناداه: يا أبا الحارث [-كنية الأسد- إني مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان من أمري كيت وكيت] يعني: أسرت أو ذهب الجيش عني .
إلى آخره [فأقبل الأسد يبصبصه حتى قام إلى جنبه، كلما سمع صوته أهوى إليه، ثم قام يمشي إلى جنبه فلم يزل] أي: لم يزل الأسد يمشي إلى جنبه [كذلك حتى أبلغه الجيش] أي: وصل به إلى الجيش، فالأسد يحمي هذا الرجل [ثم همهم ساعة، قال: فرأيت أنه يودع] أي: يودعه [ثم رجع عني وتركني].

فهذا سفينة خادم الرسول وليس بالرسول صلى الله عليه وسلم، ومع هذا تتجلى هذه المعجزة أن الأسد يحترم خادم رسول الله ويكرم من شأنه ويحميه بنفسه إلى أن يصل به إلى الجيش، ثم يودع أيضاً مهمهماً، فصلوا عليه وسلموا تسليماً.
قال المؤلف: [فهذه وإن كانت كرامة لسفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنها معجزة نبوية؛ إذ الأسد ألان جانبه ورق لسفينة وماشاه حتى وصل به إلى الجيش بعد أن قال له: يا أبا الحارث! إني فلان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان ما فعله الأسد من احترام سفينة من أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلذا عدت هذه من المعجزات المحمدية].

نطق الغزالة ووفاؤها له صلى الله عليه وسلم

قال: [وتاسعة عشر المعجزات].
معاشر المستمعين! هذه المعجزات تقوي إيماننا ولا تضعفه، ويجب أن نشعر بارتفاع منسوب الإيمان، وهذه المعجزات تجعلنا نحبه أكثر مما كنا نحبه، ونطيعه أكثر مما كنا نطيعه، وهذا هو سرها.
قال: [نطق الغزالة ووفاؤها له صلى الله عليه وسلم] الغزالة تنطق وتفي للرسول بوعدها.
قال: [فقد روى أبو نعيم الأصبهاني في كتابه دلائل النبوة] روى [قصة الغزالة هذه] ما هي؟ [فقال: عن ثابت البناني عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (مر النبي صلى الله عليه وسلم على قوم قد اصطادوا ظبية)] أي: أن جماعة من الناس اصطادوا غزالة [(فشدوها على عمود فسطاط)] أي: ربطوها مع عمود الخيمة بحبل [(فقالت)] أي: الغزالة [(يا رسول الله! إني أخذت ولي خشفان)] أي: ولدان [(فاستأذن لي أرضعهما وأعود إليهم)] الغزالة نطق باللغة العربية [(فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أين صاحب هذه؟)] أي: الغزالة [(فقال القوم: نحن يا رسول الله. قال: خلوا عنها حتى تأتي خشفيها ترضعهما وترجع إليكم. فقالوا: من لنا بذلك؟)] أي: كيف يمكن هذا؟ [(قال: أنا)] أي: أنا ضامن [(فأطلقوها فذهبت فأرضعت خشفيها ثم رجعت إليهم، فأوثقوها)] أي: ربطوها كالعادة [(فمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أين صاحب هذه؟ فقالوا: هذا يا رسول الله.
فقال: تبيعونيها؟)] أي: هذه الغزالة [(فقالوا: هي لك يا رسول الله، فقال: خلوا عنها، فأطلقوها فذهبت)] أي: إلى خشفيها. قال: [فنطق الغزالة ووفاؤها] أمر عظيم أن غزالة تروح وتأتي بالوعد وتفي به [فنطق الغزالة ووفاؤها له صلى الله عليه وسلم آية من آيات النبوة المحمدية ومعجزة من معجزاته الموجبة للإيمان به وطاعته ومحبته].

خروج الجن من الصبي بدعائه صلى الله عليه وسلم

قال: [المعجزة الموفية عشرين: خروج الجن من الصبي بدعائه صلى الله عليه وسلم].
فهذا صبي مسه جن فرقاه الرسول صلى الله عليه وسلم فخرج الجني كالشيطان الأسود والذيب الأسود، وإليكم الحادثة: قال: [قال أحمد رحمه الله تعالى وساق سنده إلى ابن عباس رضي الله عنهما قال: (إن امرأة جاءت بولدها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله! إن به لمماً)] من الجن [(وإنه يأخذه عند طعامنا فيفسد علينا طعامنا)] فهذا الجن يأخذ الولد عند الأكل فيفسد علينا الطعام؛ لأنه يتقيأ [(قال: فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره)] أي: صدر الغلام . صدر الطفل [(ودعا له، فَثَعَّ ثَعَّة، فخرج منه مثل الجرو الأسود يسعى)] أي: تقيأ فخرج منه الجن مثل جرو الكلب الأسود وهم يشاهدون، وهذا لا يتم لغير رسول الله.
قال: [فهذه إحدى الآيات النبوية؛ إذ بمسحه صلى الله عليه وسلم بيده على صدر الصبي المصاب والدعاء له خرج الجن منه، وشفي فلم ير بأساً بعد ذلك].

شفاء الضرير بدعائه صلى الله عليه وسلم

قال: [المعجزة الحادية والعشرون: شفاء الضرير بدعائه صلى الله عليه وسلم] فالمريض يشفى بدعاء الرسول صلى الله عليه وسلم.
[فقد روى أحمد بسنده عن عثمان بن حنيف : (أن رجلاً ضريراً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله! ادع الله أن يعافيني، فقال: إن شئت أخرتُ ذلك فهو أفضل لآخرتك)] أي: خليك مع مرضك فهو خير لك في آخرتك [(وإن شئت دعوت لك)] وهذا هو الطبيب الحكيم، فقد عرف أن بقاءه في مرضه وهو صابر ثم يموت عليه فإنه يرفع درجاته [(قال: لا، بل ادع الله لي)] أي: ليشفيني [(قال: فأمره أن يتوضأ ويصلي ركعتين)] تعلموا هذه الوسيلة يا عباد الله [(وأن يدعو بهذا الدعاء: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، يا محمد! إني أتوجه بك في حاجتي هذا فتقضى، اللهم شفعه فيَّ، ففعل الرجل فبرأ)].
فتأملوا: [فشفاء هذا الضرير بعودة بصره إليه بسؤال الله تعالى له وبما علمه من صلاة ودعاء آية من آيات النبوة المحمدية، ومعجزة من معجزاته صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم].
معاشر المستمعين! هذه فائدة عظيمة، فإن أي مكروب بهم يسلك هذا الطريق ينجو بإذن الله، ويشفيه الله إن كان مريضاً، ويفرج كربه إن كان مكروباً.
لكن ماذا يفعل؟ يتوضأ ويصلي ركعتين ويدعو بهذا الدعاء: اللهم إني أسألك وأتوجه إليه بإيماني وبحبي لنبيك محمد نبي الرحمة أن تشفيني.

وهنا تورط أهل الجهل والابتداع فقالوا العجائب، والطريقة الصحيحة أنك تتوضأ وتصلي ركعتين وتقول: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بإيماني بنبيك نبي الرحمة محمد وحبه أن تكشف ما بي، فيزول الكرب بإذن الله.
وقد فعلنا هذا الأمر مرة، وذلك عندما كنت بالديار المغربية في الدعوة وخفت أن يفوتني عمرة في رمضان وقالوا: لا مقعد أبداً ولا ركوب فالطائرة مملوءة، فتوضأت وصليت، ودعوت الله بهذا الدعاء كما علمه رسول الله لهذا الصحابي، فما إن خرجت من المنزل ورؤيت في الشارع حتى نادوني: تعال فالمقعد موجود، واعتمرنا ليلة رمضان.
مرة ثانية: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بإيماني وحبي لنبيك نبي الرحمة محمد صلى الله عليه وسلم أن تقضي حاجتي، أما هذا الذي علمه الرسول صلى الله عليه وسلم للصحابي فهذا أيام حياته فأمره أن يتوضأ ويصلي ركعتين وأن يدعو بهذا الدعاء: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، وتوجه به إليه لأنه قال: ادع لي والرسول معه، أما الآن فلما نقول: أتوجه إليك بنبيك، فتكون قد كذبت على الله وعلى الرسول، فأين الرسول الذي يتوجه إليه؟ أما إذا قلت: توجهت إليك بحبي إن كنت صادقاً في الحب .
بإيماني إن كنت صادقاً في إيماني، فنعم توجهت إلى الله بالإيمان بالرسول وبحبه له فيستجيب لي.
ثم قوله: (يا محمد! إني أتوجه بك في حاجتي فتقضى) نعم لأنه هو قال: أنت صل وادع وأنا أدعو لك، فاللهم شفعه فيَّ، فقبل الله شفاعة رسوله في هذا الضرير.
ومرة ثالثة أؤكد: يا معشر الأبناء والإخوان! هذه وسيلة إن أخذتموها كما سمعتم فهي وسيلة مشروعة ونافعة بإذن الله، أما بالزيادة والنقصان والتبديل والتغيير كما هو عند الناس فهذا نبرأ إلى الله منه وليس بصحيح بل هو كذب.
إذاً تتوضأ وتصلي ركعتين وتقول: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بإيماني بنبيك محمد نبي الرحمة، وبحبي له- وإن اكتفيت بالإيمان وبالحب كذلك- أن تقضي حاجتي كذا وكذا، فالرجاء في الله تعالى أن تقضى لك، وكرر إذا ما قضيت في المرة الأولى وأعد توضأ وصل ركعتين، وهكذا لازم الله وبابه حتى يفتح لك، أما أن تضيف: وأتوسل إليك بنبيك وأتوجه إليك بنبيك، فهذا ليس بصحيح؛ لأنك ما توجهت إليه به، فما هو موجود بين يديك، أما هذا الضرير فقد جاء إلى الرسول وهو حي يعلم الناس الكتاب والحكمة ويزكيهم، فقال: ادع الله لي يا رسول الله.
والآن أي مؤمن يقول: يا أخي! ادع الله لي، هل في هذا نقص وعيب؟ لا أبداً، فمن رجونا أن الله يستجيب له قلنا له: ادع لنا.
وكذلك هنا هذا الصحابي أتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال: يا رسول الله! ادع الله لي أن يكشف ما بي، فالرسول علمه الوسيلة تعليماً حقيقياً: توضأ وصل ركعتين وقل كذا وكذا، فأيما مؤمن أو مؤمنة يريد قضاء حاجة استعصت ولم تقض فعليه أن يتوضأ ويصلي ركعتين يخشع فيهما ثم قال: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بإيماني بنبيك محمد نبي الرحمة وبحبي له أن تفرج ما بي أو تقضي حاجتي.
هذا والله تعالى أسأل أن ينفعنا وإياكم بما ندرس ونسمع.
وصل اللهم على نبينا محمد وآله وسلم تسليماً كثيراً.

لما استعصت حصون خيبر على المسلمين أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه سيعطي الراية في اليوم التالي لرجل يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، وفي صبيحة اليوم التالي بحث عن علي بن أبي طالب فأخبر أنه يشتكي الرمد في عينيه، فطلبه النبي فلما أتى به بصق في عينيه فبرئت وأعطاه الراية وأمره بالمسير، فكانت هذه إحدى معجزاته صلى الله عليه وسلم، والتي منها أيضاً رد عين قتادة بن النعمان حين سقطت على خده في أحد، بالإضافة إلى إخباره صلى الله عليه وسلم بأمور غيبية حصلت قبل زمانه وستحصل بعده.

شفاء علي رضي الله عنه بتفاله صلى الله عليه وسلم

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.
أما بعد: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.
وقد انتهى بنا الدرس إلى المعجزة الثانية والعشرين.
والمعجزات جمع معجزة، وهي آية تدل على نبوة ورسالة صاحبها إذ لا نبي إلا بالمعجزات.
وهذه المعجزات بلغت ألف معجزة عند رسولنا صلى الله عليه وسلم، فوفقنا لذكر بعضاً منها، وها نحن نسردها معجزة بعد معجزة.
وما السر في ذلك؟ السر أن نؤمن إيماناً صادقاً بأن محمداً رسول الله للأدلة القاطعة والبراهين الصارمة.
ومظاهر أننا آمنا به حق الإيمان: أولاً: أن نتبعه ونمشي وراءه، فإذا أمرنا أطعنا، وإذا نهانا انتهينا، وإذا أحب لنا شيئاً أحببناه، وإذا كره لنا شيئاً كرهناه، فنحبه أكثر من حبنا لأنفسنا وأولادنا وأهلينا؛ وبذلك نفوز بإيماننا به صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً.
وهاكم هذه المعجزات.
قال: [شفاء علي رضي الله عنه بتفاله صلى الله عليه وسلم].
علي بن أبي طالب هو صهر النبي صلى الله عليه وسلم زوج فاطمة وابن عمه، وفي غزوة خيبر مرض بالرمد المعروف عند أهل الصحارى، فدعا علياً ليحمل الراية ويغزو بالقوم فقالوا: إنه مريض، فجيء به بين اثنين، فتفل في عينيه بريقته الشافية بإذن الله، فبرئ على الفور، ولم يمرض علي بعينيه حتى استشهد رضي الله عنه وأرضاه، فأي آية أعظم من هذه وإليكموها.
قال: [ففي الصحيح قال صلى الله عليه وسلم في غزوة خيبر: (لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يده)].
وهذا الوسام والله لا يعادله وسام في هذه الحياة، وهذه شهادة رسول الله أن علياً يحب الله ورسوله، وهذا ليس بأعظم، وأعظم من ذلك أن الله ورسوله يحبانه.
وقوله: (لأعطين الراية غداً) وهم في معسكرهم بالليل (رجلاً يحب الله ورسوله) وإذا لم تحب الله ورسوله فاعلم أنه لن يحبك الله ورسوله، حبك أولاً، (ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يده) إذ استعصى فتح خيبر كذا يوماً.
ومن عجائب عمر أنه قال: كنت أتطاول، أي: أرفع رأسي ليشاهدني رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول: تعال يا عمر .
قال: [(فلما أصبحوا نادى علياً فقالوا: مريض يا رسول الله يشكو عينيه، فقال: ائتوني به، فأُتي به، فنفث في عينه بقليل من ريقه صلى الله عليه وسلم فبرأ لتوه، ولم يمرض بعينه بعد قط)].
فهل يستطيع طبيب في الدنيا أو مليون طبيب أن يعالج مريضاً ويبرأ، مستحيل، هذه آية النبوة.
قال: [فكانت آية من آيات النبوة المحمدية، ومعجزة من معجزاته الدالة على نبوته وصدق رسالته صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه وسلم تسليماً].

رد عين قتادة بعد تدليها

قال: [المعجزة الثالثة والعشرون: رد عين قتادة بعد تدليها].
ففي غزوة أحد كان هذا الصاحب الجليل قتادة بن النعمان قد ضرب بسيف، فسقطت عينه وتدلت لكنها كانت لاصقة بعروقها إلى خده، فجيء به إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، فردها فكانت أصح مما كانت، ولو اجتمع أطباء الدنيا كلهم لا يستطيعون أن يفعلوا هذا.
قال: [إذ في أحد أصيب قتادة بن النعمان في عينه حتى سقطت وتدلت على وجنته فردها صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة فبرئت على الفور، وكانت أحسن منها قبل].
صلوا عليه وسلموا تسليماً، لهذا إذا أمركم أو نهاكم فأبشروا ولا تتململوا.
فيا أيها الذين يدخنون! اعلموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره ذلك، ففي غزوة من غزواته اضطر الغزاة المجاهدون إلى أكل الثوم والبصل نيئين؛ لدفع غائلة الجوع، فلما وصلوا إلى المدينة أعلن أبو القاسم: (ألا من أكل ثوماً أو بصلاً فلا يقربن مساجدنا؛ فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى به بنو آدم)، فهذا الثوم والبصل! فكيف بالسجائر المنتنة العفنة؟ فيا من آمنوا بمحمد رسولاً لله! من ليلتكم هذه

والله لا تدخين، ثم إن القضية بشعة وأبشع من هذا، بكونك تدخن ثم تجري اسم الله الأعظم على لسانك، والمسلم يستاك بعود الأراك وينظف فمه؛ ليجري اسم الله على فم طيب طاهر، والمدخن يرمي السيجارة عند الباب ويدخل المسجد حرام عليه لا يدخل.
ثم إذا قلتم: ما هذا التشدد أو التشديد؟ نسألكم بالله: لما لا يدخن الإنسان ماذا يسقط منه؟ تتساقط أسنانه . يصاب بالرمد . يصاب بالجنون . يضيع ماله؟ ما الذي يصيبه؟ والله لا يصيبه من التدخين إلا السوء، ولا ينجو منه إلا بعد أن يتخلى عن هذه العادة النجسة.
وشيء آخر: قال معللاً: (فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم) وأمرنا: إذا أراد أحدنا أيها المؤمنون أن يبصق فلا يحل أن يبصق عن يمينه فإن عن يمينه ملكاً، ولا عن شماله فإن عن شماله ملكاً، ولكن بين يديه، فالبصاق يؤذي الملك، فكيف بالتدخين وتنفخ في وجه الملك، هذا الذي يكتب حسناتك وسيئاتك، والله لو يعرف هذه الحقيقة مدخن لما عاد يدخن أبداً ولو يجلد يومياً مائة جلدة، لكن ما عرفوا، وما علموا.
قال المؤلف: [فهذه معجزة] أي: لا يستطيع الناس أن يفعلوها، فهم عاجزون عنها [إذ ليس في استطاعة أي طبيب أو غيره أن يرد عيناً سقطت بضربة حتى تدلت على الوجنة فتبرأ لتوها، وتكون أحسن منها قبل إصابتها وسقوطها] صلوا عليه وسلموا تسليماً.

شفاء الصبي بفضل سؤره صلى الله عليه وسلم

قال: [المعجزة الرابعة والعشرون: شفاء الصبي بفضل سؤره صلى الله عليه وسلم].
السؤر: فضلة الماء، فإذا شربت وبقي ماء فذاك يقال فيه: سؤرك.
قال: [روى ابن أبي شيبة : أن امرأة من خثعم] أي: خثعمية [أتت النبي صلى الله عليه وسلم بصبي] أي: طفل صغير [به بلاء لا يتكلم، فأتي النبي صلى الله عليه وسلم بماء، فمضمض فاه وغسل يديه ثم أعطاها إياه، وأمرها بسقيه ومسحه به، ففعلت، فبرئ الولد وعقل عقلاً يفضل به عقول الناس.
فهذه آية من آيات النبوة المحمدية ومعجزة ظاهرة التي لا يقدر عليها البشر].
هذا صبي مصاب بما هو قريب من الموت، لا يتكلم ولا يعقل، به مس جنون، فلما أتي النبي صلى الله عليه وسلم بماء، فتمضمض وغسل يديه، ثم قال لها: أعطيه إياه، وأمرها بسقيه أي: ذلك الغلام، ومسحه به ففعلت، فبرئ الولد وعقل عقلاً يفضل به عقول الناس.
فهذه آية من الآيات المحمدية، ومعجزة ظاهرة التي لا يقدر عليها البشر أجمعون.
هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم أم لا؟ فلهذا آمنتم أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

تحول جذل الحطب سيفاً

قال: [المعجزة الخامسة والعشرون: تحول جذل الحطب سيفاً] الجذل: العود، فتحول العود إلى سيف يقطع الرءوس.
قال: [لقد انكسر سيف عكاشة بن محصن يوم بدر] أي: يوم غزوة بدر [فأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم جذل حطب، فقال له: اضرب به، فانقلب في يده سيفاً صارماً طويلاً أبيض شديد المتن، فقاتل به، ثم لم يزل عنده يشهد به المواقف إلى أن استشهد عكاشة في قتال أهل الردة] أي: بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، [فكانت هذه آية من آيات النبوة المحمدية، ومعجزة خارقة للعادة مقررة لنبوته ورسالته صلى الله عليه وآله وصحبه سلم] ولا تظنوا أن أجدادكم آمنوا به بدون علم، ولولا هذه المعجزات ما بقي الإسلام إلى الآن.

صدق أخبار النبي بالغيب

قال: [المعجزة السادسة والعشرون: صدق إخباره بالغيب] فإذا وقع غيب وقع ما أخبر.
قال: [فقد روى أبو داود في سننه بسنده عن أم ورقة بنت نوفل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما غزا بدراً قالت: يا رسول الله! ائذن لي في الغزو معك أمرض مرضاكم؛ لعل الله يرزقني بالشهادة!] هذه أم ورقة قالت للحبيب صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله! ائذن لي في الغزو معك أمرض مرضاكم- يعني: تعالج المرضى- لعل الله يرزقني بالشهادة! [فقال لها: قري في بيتك، فإن الله يرزقك الشهادة] أي: ابقي في بيتك والله يرزقك الشهادة، وكيف تبقى في بيتها وترزق الشهادة؟ كيف يتم هذا؟! الزمي بيتك ولا تخرجي، ويرزقك الله الشهادة، فما دمت صادقة في الرغبة والطلب الله لا يخيبك، واسمعوا القصة.
قال: [قالت: فكانت تسمى الشهيدة] فمن يوم ما قال الرسول صلى الله عليه وسلم هذا شاع الخبر بين النساء والرجال يسمونها الشهيدة رضي الله عنها وأرضاها.
قال: [وكانت قد قرأت القرآن، فاستأذنت النبي صلى الله عليه وسلم أن تتخذ في بيتها مؤذناً يؤذن لها] أي: حفظت القرآن فطلبت الإذن من النبي صلى الله عليه وسلم أن يسمح لها بإيجاد مؤذن لها في بيتها.
قال: [وكانت قد دبرت غلاماً لها وجارية] ومعنى دبرت غلاماً وجارية: وعدتهم بالانعتاق بعد وفاتها، فيا عبدي فلان! ويا أمتي فلانة! بعد أن أموت فأنتما حران.
وهذا التدبير يجوز.

قال: [فقاما إليها بالليل فغماها في قطيفة لها حتى ماتت] أي: وضعاها عليها حتى ماتت، وهما عبدان كافران ما أسلما [وذهبا، فأصبح عمر فطلبهما] أي: رفعت الشكوى على خلافة عمر [فجيء بهما، فصلبهما عمر رضي الله عنه، فكان أول من صلب في المدينة] شهيدة أم لا؟ قتلت أم لا؟ قتلها كافران أم لا؟ في بيتها.
غطياها بقطيفة فماتت، وهربا فرفعت القضية إلى إمام المسلمين خليفة المسلمين عمر فطلبهما فعثر عليهما فصلبهما، وكانا أول من صلب في المدينة؛ لجريمتهما النكراء، فهذه معجزة وإخبار بالغيب.
فقد قال: قري في بيتك فأنت شهيدة، وتمت الشهادة.
قال: [فهذا إخبار بغيب، فكان كما أخبر صلى الله عليه وسلم، فكان آية نبوته صلى الله عليه وسلم ومعجزة من معجزاته. فصلى الله عليه وآله وصحبه وسلم تسليماً].

وقوع ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم في الفئتين اللتين تتقاتلان ودعواهما واحدة

قال: [ورابع خبر: قوله صلى الله عليه وسلم: (لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان دعواهما واحدة)] هذا خبر غيب: (لا تقوم الساعة -أي: ساعة القيامة- حتى تقتتل فئتان دعواهما واحدة) أي: كلاهما على الحق! [وقد وقع هذا كما أخبر، فقد اقتتل علي و معاوية رضي الله عنهما بجيشيهما في صفين، وكانت دعواهما واحدة، فكان كما أخبر صلى الله عليه وسلم، فهي آية نبوته صلى الله عليه وسلم، ومعجزته التي على مثلها آمن البشر].
فدعوى علي دعوى حق، ودعوى معاوية دعوى حق، ولما بدأت الفتنة وهيجها الثالوث الأسود، فماذا يصنع معاوية وماذا يصنع علي ؟ خرجا بجيشيهما لإنهاء الفتنة وإنهاء الحرب! فأشعلها الطابور الخامس.
وكلاهما على حق، لا يريد إلا الإسلام ونصرة الدين، رضي الله عنهم أجمعين.
فهذا خبر نبوي وغيب.
وقوله: (لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان دعواهما واحدة) أي: ليست واحدة ظالمة وواحدة كافرة! بل دعواهما واحدة كل منهما يريد الحق فقط وأداء الواجب.

وقوع ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم بخصوص قبر أبي رغال

قال: [وخامس خبر] أي: من أخبار النبوة الصادقة [قوله صلى الله عليه وسلم: (إن هذا قبر أبي رغال ، وإن معه غصناً من ذهب) فحفروه فوجدوه كما أخبر] متى هذا؟ قال: [وذلك حين كان ذاهباً إلى الطائف] أي: بجيشه، فمروا بقبر فقال: هذا قبر أبي رغال، وقد مات في الجاهلية، فحفروه فوجدوه كما أخبر! ومعه غصن من ذهب، فكيف عرف وهو في صحراء ويقول: هذا قبر أبي رغال؟ فوجدوا السيف وغصن الذهب معه! هذا خبر بالغيب.
قال: [فكان هذا الخبر آية نبوته صلى الله عليه وسلم، ومعجزة من معجزاته الدالة على نبوته صلى الله عليه وسلم].

وقوع ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم لخباب بن الأرت

قال: [وسادس خبر] وما أكثرها [قوله صلى الله عليه وسلم لخباب بن الأرت وقد جاء يشكو إليه ما يلقى المؤمنون من كفار قريش] كان الرسول صلى الله عليه وسلم في مكة قبل الهجرة، وكان مستظلاً بظل الكعبة، فجاء خباب يشكو المضايقة والضرب والتعذيب من المشركين، والمؤمنون أقلية، فهم قلة، فجاء يشكو إلى الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: ادع الله لنا! [ويطلب منه أن يستنصر الله تعالى لهم، قال له وقد احمر وجهه صلى الله عليه وسلم أو تغير لونه] يعني: ما استراح لهذه الشكوى، ماذا يفعل الرسول صلى الله عليه وسلم؟ فاحمر وجهه صلى الله عليه وسلم وتغير لونه، ثم قال: [(لقد كان من قبلكم)] أي: من الأمم السابقة [(تحفر له الحفرة)] أي: من الأرض [(ويجاء بالمنشار، فيوضع على رأسه، فيشق نصفين، ما يصرفه ذلك عن دينه!)] وأنتم ماذا أصابكم؟ والله كما قال، يؤتى بالرجل المؤمن فيحفر له حفرة، ويؤتى بالمنشار، فيقسم قسمين، ولا يرده ذلك عن دينه، وأنتم ماذا أصابكم؟ بعضاً من المضايقة أو التهديد أو السخرية أو الضرب، وهذا للمؤمنين في مكة قبل الهجرة.
قال: [(وليتمن الله هذا الأمر)] أي: والله ليتمن الله هذا الأمر الذي هو انتصار الدين الإسلامي وانتشاره [(حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخشى إلا الله والذئب على غنمه)]، وتم هذا، فما شهدت الدنيا أمناً ولا طهراً ولا صلاحاً أكثر من دولة الإسلام الأولى التي قامت على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم.
قال: [وقد تم هذا كما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان آية نبوته ومعجزتها التي لا يقدر عليها أحد إلا الله جل جلاله وعظم سلطانه].
معاشر المستمعين والمستمعات من المؤمنين والمؤمنات! نشهد أن لا إله إلا الله، وهذه الشهادة تتطلب منا أن نعرف ما يحب الله وما يكره. يا عباد الله! يا إماء الله! الذي لا يعرف محاب الله ولا يعرف مكارهه لن يكون ولياً لله، ولن يظفر أبداً بولاية الله، وهذه الخطوة ضرورية كضرورة الطعام والشراب للإبقاء على الحياة، فلا بد وأن نعرف ما يحب الله وما يكره، وما يحب رسوله وما يكره، من الاعتقادات والأقوال والأفعال، والصفات والذوات؛ من أجل أن نفعل المحبوب فتزكو عليه نفوسنا وتطيب وتطهر، وبذلك يحبنا ربنا ويكرمنا.

ومعرفة ما نهى الله عنه ورسوله معناه: أننا نبتعد عن مخبثات النفس ومدسيات النفس البشرية، وبذلك تصفو قلوبنا، وتطهر نفوسنا، و تزكو أرواحنا، ونأتي إلى الجزاء بمجرد أن نغمض أعيننا في ساعة آتية لا محالة.
وقد صدر الحكم الإلهي الصارم: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا [الشمس:9] أي: نفسه وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا [الشمس:10] أي: نفسه.
ومعنى أفلح: فاز بالنجاة من النار ودخول الجنة.
ومعنى خاب: خسر نفسه وأهله، وخسر دار السلام وألقي به في أتون الجحيم ملايين السنين.
نتركـكم لله! عندي سؤال: هل كلكم يعرف محاب الله ومكارهه؟ لا والله، ما كلكم يعرف ذلك.
لماذا لا يقوم واحد ويقول: يا شيخ! إذاً: ما هي محاب الله، وما هي مكارهه؟ هل فيكم من يفعل ذلك؟ وقل مثل ذلك في العالم الإسلامي بكامله، قل ما شئت؛ لأن الروح خاملة، ولو كان هناك صدق لقيل: والله لا تبرح مكانك حتى تعرفنا بمحاب الله لنعرفها الآن ونفعلها غداً، وتعرفنا بمكاره الله لنعرفها حتى نكرهها ونبتعد عنها.
ولكن ماذا نقول؟ عليكم بالاجتماع في بيوت ربكم بنسائكم وأطفالكم ورجالكم كل ليلة من صلاة المغرب إلى العشاء، ولو غضبت أوروبا، ولو اهتز مكان روسيا، ولو تحطمت جدران أمريكا.
هذا أمر لا يهمهم ولا يهمكم أنتم، فإذا دقت الساعة السادسة وقف العمل وذهبنا بنسائنا وأطفالنا إلى بيوت ربنا -فالمساجد مبنية- ونصلي المغرب كما صلينا، ونجلس كما جلسنا كل ليلة، فما يمضي عام أو عامان ويبقى من لا يعرف المحاب والمكاره، والله لا يبقى! ومن غير هذا الطريق ليس ممكناً أن يعم الناس هذا الخير أبداً.
عرفتم الطريق أم لا؟ إذا عدتم إلى دياركم . إلى قراكم . إلى مدارسكم اجتمعوا في بيوت ربكم.
والنساء عليهن الستارة، والأطفال نظموهم صفوفاً كالملائكة، وأنتم أمامهم بعد صلاة المغرب تقرءون آية من كتاب الله تتغنون بها وتحفظ، وتشرح لكم ويبين لكم مراد الله، فتعلموا وتعملوا، وغداً حديث من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن قال: كيف؟! أقول: يوجد كتاب: المسجد وبيت المسلم، به ثلاثمائة وستون آية وحديثاً بمعدل كل ليلة عاماً كاملاً، ليلة آية وليلة حديث.
وإذا أهل المسجد خافوا في بلادهم، أقاموها في بيوتهم، فيقرءون كتاب المسجد وبيت المسلم، ليلة آية وليلة حديثاً، ويبتعدون عن الملاهي والأباطيل، فوالله تتعلمون وتصبحون عالمين.
أما فقط مددنا أعناقنا وسكتنا، فيا ويلنا إن طال الزمان أو قصر والعياذ بالله.
وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وسلم.

وقوع ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم من لبس سراقة لسواري كسرى

قال: [وثالث خبر] أي: من أخبار الغيب [قوله صلى الله عليه وسلم لسراقة بن مالك وقد خرج في ملاحقته صلى الله عليه وسلم] والقضية كما هي معلومة: لما ائتمرت قريش على قتل الرسول صلى الله عليه وسلم عقدت مؤتمراً حضره مشايخ قريش ورجالاتها، واستقر الأمر على قتل محمد صلى الله عليه وسلم حتى تنتهي الفتنة كما يقولون، فدبر الله عز وجل لرسوله عندما جاء أربعون شاباً كل شاب معه سيفه من سائر القبائل فيتمزق ويتفرق دمه بين القبائل، فبنو هاشم ليس لهم حق في أن يطالبوا الأمة بكاملها، وترك الرسول صلى الله عليه وسلم علياً وخرج وفي يده حفنة من تراب رماها في وجوه الواقفين ومضى، وتركهم يدلكون أعينهم، وذهب إلى بيت أبي بكر الصديق وكان على موعد معه، وتم لهم موعد السفر فخرجا ومعهما خريت، فلما هاجت قريش آووا إلى غار في جبل ثور، حتى هدأت الحال وبعد ذلك خرجا.
وقريش لما فشلت أعلنت جائزة بمائة بعير لمن يأتيها برأس محمد صلى الله عليه وسلم، وكان سراقة بن جعشم رجل فارس وبطل فقال: أنا أظفر بهذه، فخرج وراء الرسول صلى الله عليه وسلم، والرسول صلى الله عليه وسلم معه خريت جغرافي ممتاز، ما أخذ الطريق المعتاد.
قال: [وثالث خبر: قوله صلى الله عليه وسلم لسراقة بن مالك وقد خرج في ملاحقته صلى الله عليه وسلم يوم هجرته حيث أعطت قريش جوائز لمن يأتيها بمحمد صلى الله عليه وسلم، قال له وقد ساخت قوائم فرسه في الأرض مرتين] فلما قرب من أبي بكر والرسول صلى الله عليه وسلم فإذا بفرسه تدخل رجلاه في الأرض، ثم يقول للرسول صلى الله عليه وسلم: ادع الله لي، فيخرج، ثم يمشي وراءه ويسقط مرتين! ورجلا الفرس تسوخان في التراب.
قال: [قال له: (كيف بك إذا ألبست سواري كسرى؟)] فالرسول صلى الله عليه وسلم يبتسم ويقول لسراقة الذي جاء ليقتل الرسول صلى الله عليه وسلم ويأتي برأسه: (كيف بك إذا ألبست سواري كسرى؟)كيف يلبس سواري كسرى؟! وكسرى هو ملك فارس أو الفرس، وسواراه في يديه على عادة ملوكهم، كيف إذا ألبسته أنت، وألبسكه أحد؟! وتمضي الأيام والأعوام، ويتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويتولى أبو بكر ويتولى عمر ، ويغزون فارس، و سراقة رضي الله عنه معهم، و عمر يلبسه السوارين تحقيقاً لوعد رسول الله وخبره.
قال: [فلما أتي بهما عمر رضي الله عنه ألبسهما إياه، وقال: الحمد لله الذي سلبهما كسرى وألبسهما سراقة] من يستطيع أن يخبر بهذا الخبر؟ كيف يتم حرفياً؟ هذا أمر عظيم! وليس خبراً عادياً يأكل بطاطس في البلاد الفلانية أو كذا، هذه دولة كاملة تسقط، وسوارا الملك يعطى لسراقة ! والله إنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم.
قال: [فهذا غيب محض، وقد تم كما أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم، فكان آية نبوته ومعجزته التي لا يقدر عليها أحد من عباد الله إلا من أوتي المعجزات] مثله صلى الله عليه وسلم.

آمنتم برسالته أم لا؟ لما تقول: أشهد أن لا إله إلا الله تقولها على علم أم لا؟ كيف عرفت أنه لا إله إلا الله؟! فإن قيل: يا شيخ! نحن لسنا أهل علم.
أقول: يكفينا أنه بلغنا أن الله شهد أن محمداً رسول، ما نقبل شهادة الله؟! وأن الملائكة كلهم شهدوا أن محمداً رسول، ما نقبل شهادتهم؟ وأن أولي العلم من الأنبياء والرسل والعلماء، الكل شهدوا أن محمداً رسول الله، ونحن ما نشهد؟! وهذا فتح الله عليه في قوله تعالى من سورة آل عمران: شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ [آل عمران:18] فالكل شهدوا أنه لا إله إلا الله أم لا؟ ونحن ما نشهد؟ أعوذ بالله.
ومع هذا موجبات الشهادة أولها: هذا الكلام، كلام من هذا؟ يوجد كلام بدون متكلم في الأرض .
في الكون؟ هذا كلام الله، هذا كتابه أنزله، هذا الكون كله من أوجده؟ من يميت ويحيي؟ من يعطي ويمنع؟ أليس الله؟ كيف لا نشهد أنه لا إله إلا هو؟! وشهدنا أن محمداً رسول الله بالمعجزات أم لا؟ وأكبر آية على أنه رسول الله إنزال القرآن عليه، ولو لم يكن رسول الله فكيف ينزل عليه كتابه؟ أم أنه لم ينزل عليه كتابه؟ هل تشكون؟ هل ذهبت عقولنا؟ هذا القرآن على من أنزل؟ أنزله الله على محمد صلى الله عليه وسلم في ظرف ثلاث وعشرين سنة! وعرفنا أول آية نزلت وآخر آية.

وقوع ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم في الحسن بن علي بن أبي طالب

قال: [ومن آيات النبوة والمعجزات المحمدية صدق أخباره الغيبية الآتية] الآن مع أخبار الغيب.
قال: [أول خبر: قوله صلى الله عليه وسلم في الحسن رضي الله عنه] الحسن هو ابن فاطمة ، وابن علي ، وجده رسول الله صلى الله عليه وسلم [(إن ابني هذا سيد، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين)] فجاءه وهو يحبو، وهو طفل صغير فقال: (إن ابني) يجوز أن تسمي ابن بنتك ابني ولا حرج (هذا سيد) ومن قال: ليس بسيد فقد كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم (وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين)والفئة: الجماعة أو الطائفة.
قال: [فكان الأمر كما أخبر صلى الله عليه وسلم، فقد أصلح الله به بين من كان مع الحسن وبين من كان مع معاوية رضي الله عنهم أجمعين] نعم قد أصلح الله به بين من كان مع الحسن وبين من كان مع معاوية رضي الله عنهم، وذلك بعد وفاة علي .

وقوع ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم على جبل أحد

قال: [وثاني خبر: قوله صلى الله عليه وسلم: (اثبت أحدا!)] بعد أن انتهت معركة أحد وفي آخر النهار ارتفع الرسول صلى الله عليه وسلم على جبل أحد على طرف منه، ومعه أبو بكر و عمر و عثمان ، فجلس فاضطرب الجبل وارتج، والآن أحدنا يقول: ما هذا الزلزال؟ فاضطرب الجبل وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اسكن أحد! ما عليك إلا نبي وصديق وشهيدان).
قال: [(فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان) فكان كما أخبر صلى الله عليه وسلم، فمات أبو بكر بمرض أصابه] أي: ما استشهد، وإنما مات في بيته لمرض أصابه [وقتل عمر في المحراب شهيداً] قتله المجوسي أبو لؤلؤة فكان كما أخبر [وقتل عثمان في داره شهيداً، فرضي الله عنهم أجمعين] من يستطيع أن يخبر بهذا الغيب؟ اضطرب الجبل، فلما اضطرب قال: اسكن يا جبل! لماذا تضطرب؟ ما عليك إلا نبي وصديق وشهيدان.
النبي هو صلى الله عليه وسلم، والصديق أبو بكر ، من يدرينا أن أبا بكر لا يموت شهيداً؟ وهو قد خاض المعارك كلها، ومع هذا ما مات في القتال، وأما عمر فقد مات في المحراب، قتله مجوسي اسمه أبو لؤلؤة ، فهو شهيد.
وأما عثمان فقتله الاشتراكيون الماديون الذين هاجموا المدينة من كل جهة، فحاصروها وقتلوه بدعوى أنه يعين الوظائف لأهل قرابته ويمنعنا، وهذه فكرة يهودية معروفة، هي الاشتراكية.
فقتل في بيته وذبح! والمصحف ما زال الآن ملطخاً بالدم! والذي أخبر بهذا الخبر لن يخبر به إلا رسول فقط، وتم كما أخبر.

من دلائل النبوة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر بأمور غيبية لم تكن في زمانه، وإنما جاءت بعد وفاته صلى الله عليه وسلم، ومن ذلك ما أخبر به من كون الخلافة الراشدة تستمر ثلاثين سنة، وإخباره عن قتل عثمان وعلي رضي الله عنهما، وإخباره عن بعث الجيوش الإسلامية في أرجاء الأرض حتى تبلغ الهند والسند، وإخباره عن افتراق الأمة وما يترتب على ذلك من الفتنة.

تابع صدق إخبار النبي بالغيب

افتراق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة

قال: [وخامس عشر خبر: قوله صلى الله عليه وسلم: (ستفترق هذه الأمة)] هذا الخبر لكم فأبشروا! [(ستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة)] والله لقد تمت، ومن أراد أن يقف عليها فليرجع إلى تفسير القرطبي ففيه قوائم بالتفصيل [(كلها في النار إلا واحدة في الجنة) وسئل عنها] أي: عن الفرقة الناجية [فقال: (هم الذين يكونون على ما أنا عليه اليوم وأصحابي)] فالناجي هو ذاك الذي عقيدته كعقيدة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فصلاته وصيامه كصلاتهم وصيامهم، وجهاده وقعوده كجهادهم وقعودهم، لا يفارقهم في شيء، ذلك هو الناجي، أما من تمذهب وتجمع وتكتل وادعى وادعى فهي الفرق الضالة، وعجباً لهذا الحديث فاسمعوا، قال: (ستفترق هذه الأمة على ثلاثين وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة في الجنة، وسئل عنها فقال: هم الذين يكونون على ما أنا عليه اليوم وأصحابي) فلهذا لا نرضى لمؤمن أن يقول: أنا حنفي! أنا حنبلي! أنا مالكي! قل: أنا مسلم، أفتني بما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يعمل به ويقوله؛ إنهاء لفتنة التعصب المذهبي.
قال: [وقال: (إنها ستكون أنماط، ويغدو أحدهم في حلة، ويروح في أخرى، وتوضع بين يديه صحفة، وترفع أخرى، ويسترون بيوتهم كما تستر الكعبة)] وهذا ما أنتم فيه اليوم! فيا ويحكم! اسمعوا ماذا يقول: (إنها ستكون أنماط) جمع نمط وهي البسط والفرش كما تشاهدونها (ويغدو أحدهم في حلة، ويروح في أخرى) في الصباح بدلة وفي العشاء بدلة من كثرة الثياب (وتوضع بين يديه صحفة، وترفع أخرى) تجده يقول: حط الأكل! وهات الآخر.
وهذا واقع (ويسترون بيوتهم كما تستر الكعبة) فالستائر في البيوت عند النوافذ موجودة كالكعبة، ويخبر بهذا، هل هو شاهده؟ من أعلمه؟ ربه تعالى كأنه ينظر إلى هذا الواقع.
قال: [وقال: (أنتم اليوم خير منكم يومئذ)] قال لأصحابه الذي والله ما شبع يوماً واحداً مرتين من خبز شعير، فالذي يتغدى ما يتعشى! قال: (أنتم اليوم خير منكم يومئذ) والله لهم خير منا مليون مرة! قال: [(وإنهم إذا مشوا المطيطاء، وخدمتهم بنات فارس والروم؛ رد الله بأسهم بينهم، وسلط شرارهم على خيارهم)] وتم هذا بالحرف الواحد، فكيف تدمرت الخلافة وسقطت؟ وكيف ذهبت تلك الأنوار؟ تم هذا بالإقبال على الدنيا والشهوات والخدم وكذا، وتقسموا وتقاتلوا وهبطوا! وهذا من أخبار الغيب فعجب هذا! قال: [فهذا القول النبوي الشريف الجزء الأول منه كما أخبر، حيث بلغت فرق هذه الأمة ثلاثاً وسبعين فرقة، كما أخبر، فكانت آية النبوة المحمدية، والجزء الثاني: وهو قوله: إنها ستكون- وإن ضعف سنده فقد صح واقعاً- فقد بسط الله الرزق على أمة الإسلام بعد وفاة نبيها صلى الله عليه وسلم، فكانوا كما وصف في كثير من البلاد والأوقات، فقد حدث ما في الخبر من وعيد، إذ جعل تعالى بأسهم بينهم، وسلط عليهم في أكثر من زمان ومكان، والله المستعان].
وهذا هو آخر خبر.
قال: [كانت تلك أربعين معجزة للحبيب صلى الله عليه وسلم، وقد في تقدم في ثنايا سيرته العطرة عشرات الآيات والمعجزات، ولقد صدق من قال: إن المعجزات المحمدية قد بلغت الألف معجزة، والمراد من إيرادها: تقوية إيمان المؤمنين، ودعوة غيرهم إلى الإيمان به صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً، تجب متابعته، وتتحتم طاعته، وتلزم محبته، من أجل النجاة من الخسران، والفوز بالمغفرة والرضوان في دار السلام، مع مواكب النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، إذ قال تعالى وقوله الحق من سورة النساء في كتابه الكريم: وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقًا * ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا [النساء:69-70]].
معاشر المؤمنين والمؤمنات! سمعتم هذا الوعد: وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ [النساء:69] ما الجزاء؟ فَأُوْلَئِكَ [النساء:69] أي: المطيعون مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ [النساء:69].
اللهم اجعلنا منهم يا رب العالمين! وأنبهكم إلى أن طاعة الله وطاعة الرسول لا بد لها من العلم فيما تطيع الله وفيما تطيع رسوله، ولا بد من معرفة محاب الله ومكارهه؛ لتفعل ما يحبه، وتترك ما يكره، وليتوقف على العلم، وما زلنا نقول: العلم الحق هو هذه المجالس، فيجب أن تكون في كل مسجد جماعة تتلو كتاب الله وتدرسه، وفي العالم بأسره هذا هو طريق العلم والمعرفة، وبدونه والله لا ولاية تتحقق للعبد. والله تعالى أسأل أن يوفقنا وإياكم.

بعث الجيوش الإسلامية إلى السند والهند

قال: [وثالث عشر خبر: قوله صلى الله عليه وسلم: (سيكون في هذه الأمة بعث إلى السند والهند)] أي: مجاهدون يبعثون للدعوة إلى الله في السند والهند للجهاد والقتال والدعوة.
قال: [فكان كما أخبر صلى الله عليه وسلم، فقد حدث أبو هريرة رضي الله عنه فقال: (حدثني خليلي)] من خليله؟ الرسول صلى الله عليه وسلم [(الصادق المصدوق رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يكون في هذه الأمة بعث إلى السند والهند)] والإسلام ما زال في المدينة، كيف يتم لنا هذا؟! تقدم لنا في العراق والشام وغيرها وسيكون بعث من هنا إلى السند والهند.
قال: [فإن أدركته فاستشهدت فذاك، وإن أنا رجعت فأنا أبو هريرة المحدث قد أعتقني ربي من النار] وهذا الإسلام ما زال في المدينة، قال: سيكون في السند والهند، وقد كان.
قال: [فهذا الخبر الصادق قد وقع كما أخبر صلى الله عليه وسلم، فقد غزا المسلمون الهند أيام معاوية رضي الله عنه سنة أربع وأربعين من الهجرة، ثم توالى الغزو والفتح كما أخبر صلى الله عليه وسلم، فكان آية النبوة المحمدية، والمعجزة النبوية الدالة على صدق الحبيب صلى الله عليه وسلم في نبوته ورسالته].

موقف عظيم لسهيل بن عمرو يسر عمر بن الخطاب

قال: [ورابع عشر خبر: قوله صلى الله عليه وسلم في سهيل بن عمرو] كان سهيل بن عمرو ممثل قريش في غزوة الحديبية، وهو رجل سياسة وبصيرة ممتاز، ولذلك مثل قريش في صلح الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.
قال: [(عسى أن يقوم مقاماً يسرك يا عمر !)] لأن عمر لما كان يكتب علي الوثيقة: اكتب بسم الرحمن الرحيم قال سهيل : ما نعرف الرحمن الرحيم.
اكتب باسمك اللهم، فعمر كاد يتفجر، قال: (اسكت يا عمر ! أنا رسول الله! اكتب: هذا ما عاهد عليه محمد رسول الله) قال سهيل : لا نعرف أنك رسول الله، لو عرفنا أنك رسول الله ما حاربناك! اكتب محمد بن عبد الله، فغضب عمر رضي الله عنه وكاد يتفجر، فقال: (اسكت، أنا رسول الله صلى الله عليه وسلم) وقد كتبت إلى إخواننا الجزائريين إلى أولئك الذين أثاروا الفتنة وهم في السجون، وقلت لهم: أطفئوا هذه النار، عجلوا! ومضت سنتان أو ثلاث والنار مشتعلة، والأرواح تزهق، فأعلنوا عن تنازلكم عن الحكم بالمرة، واخرجوا إلى دياركم ومتاجركم ومزارعكم، واتركوا البلاد لله تنجو على الأقل وتعود الحياة إلى هذه الأمة! وقلت لهم: ولا تقولوا: آه كيف سجنا وقاتلنا وقتلنا ثم بعد ذلك نتنازل؟ وقلت لهم: رسول الله صلى الله عليه وسلم تنازل عن بسم الله الرحمن الرحيم؛ من أجل صلح فقط يتم فيه الأمن بين البلاد والبلاد، وتنازل عن كلمة رسول الله، وهو رسول الله حقاً وصدقاً من أجل أن يتم صلح بين قريش وبين المؤمنين؛ على الأقل يمشون للأسواق والتجارة، أو يؤمنوا بعضهم بعضاً، وأنتم تتنازلون عن شيء موهوم، ولا خير فيه، والعاقل والله لو أعطي الحكم ما قبله ولا رضيه أبداً، وتصامموا ومضى أمرهم إلى اليوم، فقتل عشرات الآلاف وهم يتحملونها.
وهذا كله من عدم البصيرة، وليس هناك نور رباني.
قال: [وذلك يوم صلح الحديبية حيث غضب عمر رضي الله عنه من تعنت سهيل ، وكان ممثلاً لقريش يومئذ؛ فقال صلى الله عليه وسلم: (عسى أن يقوم مقاماً يسرك يا عمر !)] أي: لا تحزن! من سهيل [وكان الأمر كما أخبر صلى الله عليه وسلم، إذ مات الرسول صلى الله عليه وسلم، واضطربت البلاد ونجم الكفر، ووقف سهيل بن عمرو رضي الله عنه بباب الكعبة بمكة، فخطب الناس فثبت أهل مكة وقوى بصائرهم، فحفظهم الله من الردة بسببه، وهو موقف سر عمر والمؤمنين، فكان آية نبوته صلى الله عليه وسلم، ومعجزة من معجزاته].
فالرسول صلى الله عليه وسلم قال أيام الصلح: (عسى أن يقوم مقاماً يسرك يا عمر) وهو يؤلمهم إذ يرفض كلمة رسول الله، أو كلمة بسم الله الرحمن الرحيم.

مقتل علي بن أبي طالب على يد أحد الخوارج

قال: [وثاني عشر خبر: قوله صلى الله عليه وسلم في حديث أحمد عن عمار بن ياسر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي حين ولي غزوة العشيرة: (يا أبا تراب ! ألا أحدثك بأشقى الناس رجلين؟)] هل كنية علي أبو الحسن أم أبو الحسين ؟ كنيته أبو تراب ، وكناه الرسول صلى الله عليه وسلم بأبي تراب ، فعلي لا أحب إليه من هذه الكنية، وسبب هذه التسمية: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب إلى فاطمة يسألها عن علي فقالت: غاضبني أو غضب فخرج، لقلة ما في اليد، ولعله في المسجد، فجاء الرسول صلى الله عليه وسلم يبحث عنه فوجد جسمه ملطخاً بالتراب والعرق.
فهذا الجنرال، والله ما رأت الدنيا بطلاً أقوى منه في الحرب ولا في القتال ولا في العلم ولا في البصيرة، في المسجد بلا فراش، ورداؤه سقط عنه والتراب والعرق في جسمه، فقال: (قم أبا تراب ! قم أبا تراب !) فهذه الكنية كناه بها رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فقال: لا أحب إلي منها أبداً.
قال: [(قلنا: بلى يا رسول الله! قال: أحيمر ثمود الذي عقر الناقة)] أشقى رجلين في العالم، أولهما: أحيمر ثمود، ويقال: إن اسمه قدار بن سالف ، فأحيمر ثمود هو الذي عقر ناقة ثمود، وأمة كاملة سقطت من أجل فعلته هذه الشنعاء حيث عقر الناقة والعياذ بالله! والثاني: [(والذي يضربك يا علي ! على هذه -يعني: قرنه- حتى يبل -أي: بالدم- هذه -أي: لحيته-)] ففي مقابل أحيمر عاقر الناقة الذي يضرب علياً رضي الله عنه حتى يسيل الدم إلى لحيته.

قال: [فكان كما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد ضرب عبد الرحمن بن ملجم أحد الخوارج علياً بالكوفة فقتله على نحو ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان هذا من دلائل نبوته، ومن معجزاته التي رافقت حياته صلى الله عليه وسلم].

والخوارج هم الذين كفروا علياً وقالوا له: كيف تتنازل لـمعاوية ؟! إذاً أنت كافر! فخرجوا عليه وقاتلوه وقاتلهم وقتلوه، والآن الخوارج موجودة في العالم الإسلامي تحت مسمى جماعة التكفير والهجرة.

وكل هذه المذابح والمجازر سببها هذا الفهم الخاطئ، هذا الذي يكفر المسلمين ويستبيح دماءهم.

أسمعكم ما يقولون؟ يقولون: الحكام ما طبقوا شريعة الله، ما حكموا كتاب الله؛ إذاً كفروا! والعلماء لم يحاربوهم ولم يتكلموا عليهم ولم يدعوهم؛ فكفروا لأنهم رضوا بالكفر.

والأمة التي لا ترفع السلاح ولا تقاتلهم كذلك كافرة! ولم يبق من مؤمن إلا هم فقط.

وهذه المسألة تثير الملايين، منشؤها والله الجهل وعدم البصيرة.

أما جماعة التكفير والهجرة فقد بدأت في مصر من سجونها، وانتشرت وجاءت البلاد هنا، وانتقلت إلى الأفغان وهي في كل مكان.

لكن ما هو المبدأ؟ الحكام الذين لا يطبقون شرع الله فهم كفار؛ لأن الله قال: وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ [المائدة:44].

والعلماء ما قاوموهم ولا طالبوهم، فرضوا بكفرهم فهم كفار! والأمة تبقى إما أن تحمل السلاح وإلا فهي كافرة! فيقولون لك: إذاً: ادخل معنا وإلا فأنت كافر! وما بقي من المؤمنين أحد! وكل ذلك لأن ذكر الله الذي ما يحكم بما أنزل الله إما أن يكون كافراً أو يكون ظالماً، أو يكون فاسقاً، واسمعوا الآيات: إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ * وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ [المائدة:44-46] إلى أن قال: فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ [المائدة:47].

متى يكون الحاكم كافراً؟ إذا كفر ووضع البرنيطة والصليب في عنقه وقال: لا أؤمن بمحمد ولا بهذا الدين! هذا الكافر ليس فيه جدال، أما الذي يصلي ويقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله وفقط ما حكم الشريعة لجهله وعجزه ولظروف الدنيا حوله فهو ظالم أو قل: فاسق! كيف تكفره؟! الكفر لا بد فيه من اعتقاد أو تصريح بأنه يهودي أو مجوسي أو لست بمسلم! أو أن يعلن كفره فهذا كفر، وهل وقع هذا من أحد؟! وأمر آخر! إذا وقع هذا في بلاد وأعلن الحاكم الكفر فننظر هل في إمكاننا مقاومته؟ هل في إمكاننا إسقاطه وعزله؟ إن كانت لنا قدرة باسم الله! ما لنا قدرة فيجب أن نجاريه ونمشي في طريقنا حتى يخلصنا الله منه، ولا نرمي بأنفسنا في البلاء والشقاء والعذاب والدمار.

والشاهد عندنا: أن الخوارج قتل منهم علي كذا ألفاً، فقتلوا علياً ، وسبب ذلك الجهل، قالوا: تنازلت أنت عن الحكم لـمعاوية فأنت كافر! وهو إنما تصالح مع معاوية إنهاء للفتنة، والفتنة أوجدها اليهود والمجوس، وهم الذين أججوها.

والشاهد عندنا: أن جماعة التكفير والهجرة، ولعل بعضهم جالس معنا، فنقول له: تب إلى الله عز وجل فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ [النحل:43] ما هو بالرأي والهوى، فمن قال لمسلم: يا كافر! فقد كفر إذا لم يكن المسلم كافراً: (إذا قال الرجل لأخيه: يا كافر! فقد باء - أي: رجع- بالكفر أحدهما) أي: إن كان كافراً جاز، وإلا كان كافراً الذي قال: أنت كافر!

وفاة فاطمة بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم بستة أشهر

قال: [وعاشر خبر: قوله صلى الله عليه وسلم لـفاطمة رضي الله عنها] هذه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمها خديجة رضي الله عنها [(إن جبريل كان يعارضني القرآن في كل عام مرة)] يعارض القرآن بمعنى: أن الرسول صلى الله عليه وسلم يقرأ وجبريل يسمع؛ ليتأكد من حفظه وعدم نسيان شيء منه، ففي كل عام يأتي جبريل في رمضان ويعارض الرسول صلى الله عليه وسلم بالقرآن [(وإنه عارضني العام مرتين)] أي: وفي هذا العام الأخير عارضني مرتين [(وما أرى ذلك إلا لاقتراب أجلي)] بالذكاء: (وما أرى ذلك) أي: المعارضة مرتين في العام الواحد بخلاف السنين الماضية (إلا لاقتراب أجلي)، ومعنى أجله: مدة حياته في هذه الأرض ليحيا في الملكوت الأعلى، ألحقنا الله به.

قال: [فبكت] أي: فاطمة وحق لها أن تبكي، لأنه أعلمها بأن أجله قد قرب، فبكت على فقد أبيها [ثم سارها] أي: حدثها بحديث سر [فأخبرها فيه بأنها سيدة نساء أهل الجنة] أي: أن فاطمة بنت رسول الله سيدة نساء أهل الجنة، وفي الجنة نساء ما أكثرهن! فالحور العين كأمثال اللؤلؤ المكنون، وسيدة نساء أهل الجنة هي فاطمة رضي الله عنها، فمسح دموعها وخفف من ألمها.

قال: [وأنها أول أهله لحوقاً به] فأول من يموت من أهل البيت فاطمة ، وما بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ستة أشهر، وهذا أخبار غيب.

قال: [فكان كما أخبر، إذ ماتت بعده بستة أشهر، ولم يمت قبلها من أهل البيت أحد، فكان هذا الخبر آية نبوته صلى الله عليه وسلم] ومعنى آية نبوته: علامة.

نباح كلاب الحوأب على عائشة رضي الله عنها

قال: [وحادي عشر خبر: قوله صلى الله عليه وسلم لنسائه] أي: لزوجاته، وعددهن تسع [(كيف بإحداكن تنبح عليها كلاب الحوأب؟!)] يحدث نساءه، وقد كانت العراق والشام ما زالت ديار كفر، فيقول لنسائه: (كيف بإحداكن) أي: واحدة منكن (تنبح عليها كلاب الحوأب؟!

)، والحوأب مكان في العراق، وهذا خبر عجيب فهو في المدينة يخبر عن هذا، أن من نسائه من تنبح فيها كلاب الحوأب؟! قال: [وكان ذلك كما أخبر، فقد خرجت عائشة رضي الله عنها، تريد الصلح بين علي و معاوية رضي الله عنهما، فلما بلغت مياه بني عامر ليلاً نبحت فيها الكلاب، فقالت: أي ماء هذا؟ فقالوا: ماء الحوأب.

فقالت: ما أظنني إلا راجعة!] خرجت رجاء أن يصلح الله بين الفئتين، بين علي و معاوية ، وحق لها أن تخرج فهي أم المؤمنين، ومن يرد كلمتها ويرفض دعوتها؟ وخاصة أن المتنازعين هما علي رضي الله عنه، و معاوية رضي الله عنه، ويتحقق ذلك الخبر العجيب؛ فلما عرفت قالت: إذن نرجع! قال: [فقال بعض من كان معها: بل تقدمين فيراك المسلمون فيصلح الله ذات بينهم.

قالت: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنا ذات يوم: (كيف بإحداكن تنبح عليها كلاب الحوأب)، فهذا الخبر الصادق قد وقع كما أخبر به قبل وقوعه بكذا سنة، فكان كما أخبر، فهو إذاً: آية النبوة، ومعجزة الحبيب صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلم تسليماً].

كيف تقولون في رسالة محمد؟ لو نقتل . لو نصلب . لو نحرق ما نستطيع أن نقول: إنه ليس برسول؛ وخاصة مع هذه البراهين والآيات والحجج.

الخلافة ثلاثون سنة

قال: [وثامن خبر: قوله صلى الله عليه وسلم: (الخلافة بعدي ثلاثون سنة، ثم يؤتي الله ملكه من يشاء)] هذا خبر غيب أخبر به وهو حي بينهم، والخلافة: أن يوجد خليفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم يسوس الناس في دينهم ودنياهم، وهذا الخليفة العام زمن خلافته ثلاثون سنة فقط، وبعدها يصبح ملكاً عضوضاً: (الخلافة بعدي -أي: بعد وفاتي- ثلاثون سنة، ثم يؤتي الله ملكه من يشاء).

قال: [فهذا الخبر من أنباء الغيب] فهو يخبر عن شيء ما حدث بعد [إذ كانت خلافة أبي بكر سنتين وأربعة أشهر إلا عشر ليال] فخلافة أبي بكر الصديق كانت بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ودام خليفة للمسلمين سنتين وأربعة أشهر إلا عشر ليال، وتوفي إلى دار السلام [وكانت خلافة عمر عشر سنين وستة أشهر وأربعة أيام] بالعد كانت خلافة عمر عشر سنوات وستة أشهر وأربعة أيام [وخلافة عثمان اثنتي عشرة سنة إلا اثني عشر يوماً، وكانت خلافة علي خمس سنوات إلا شهرين، وتكميل الثلاثين كان بخلافة الحسن بن علي رضي الله عنهما، إذ كانت نحواً من ستة أشهر].

وقد جمعناها بالأرقام فكانت ثلاثين سنة! وهذا غيب (الخلافة بعدي ثلاثون سنة، ثم يؤتي الله ملكه من يشاء)، فتمت كما أخبر، والله إنه لرسول الله؛ فأحبوه يا عباد الله! نعم قد أحببناه أكثر من أنفسنا، ولكن أعمالنا ما تدل على ذلك، فمن أحبه مشى وراءه، فإن صام صام، وإن أفطر أفطر، وإن أعطى أعطى، وإن منع منع، حتى لكأنه يمثل حياته ذلك المحب الصادق، فهيا نسأل الله أن يعيننا على ذلك.

قال: [ثم نزل عليها] أي: الحسن بن علي [لمعاوية رضي الله عنه عام أربعين من الهجرة، ومصداق هذا في قوله صلى الله عليه وسلم: (إن ابني هذا سيد، وسيصلح الله به بين فئتين)] جاء الحسن وهو يحبو فنظر إليه صلى الله عليه وسلم وهو يحمله ويضمه إلى صدره وقال: (إن ابني هذا سيد، وسيصلح الله به بين فئتين)، وتم الصلح بين علي و معاوية بواسطة الحسن ، أي: بين أتباع علي وأتباع معاوية ؛ لأن علياً استشهد.

قال: [فهذان الخبران من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم].

مقتل عثمان رضي الله عنه على بلوى تصيبه

قال: [وتاسع خبر] أي: الذي يدل دلالة قطعية على نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم [قوله صلى الله عليه وسلم في عثمان رضي الله عنه: (افتح له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه)] أي: يا أبا موسى ! افتح الباب لعثمان وبشره بالجنة على بلوى تصيبه.

قال: [وذلك في الحديث الصحيح ونصه: (أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل حائطاً أي: بستاناً)] فيه بئر وبركة ماء [(فدلى رجليه في القف)] أي: جلس على كرسي أو خشبة أو شيء مرتفع، ودلى رجليه في الماء، وكان هذا في الصيف في المدينة في هذه الديار المقدسة [(فقال أبو موسى وكان معه: لأكونن اليوم بواب رسول الله صلى الله عليه وسلم)] بواب أي: يفتح الباب ويغلقه كما يأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم، ففاز بها أبو موسى الأشعري [(فجلست خلف الباب فجاء رجل فقال: افتح.

فقلت: من أنت؟ قال: أبو بكر .

فأخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فقال: افتح له وبشره بالجنة)] خذها يا أبا بكر الصديق : (افتح له وبشره بالجنة) [(ثم جاء عمر فقال كذلك، ثم جاء عثمان فقال: ائذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه) فهذا الخبر من أنباء الغيب الدالة على نبوته صلى الله عليه وسلم].

والبلوى التي أصابت عثمان أنه قد ذبح والمصحف بين يديه في جوار مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو خليفة المسلمين، وهذه بلوى يا لها من بلوى!

منع العراق والشام ومصر خراجها عن الحجاز

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.
أما بعد: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.
وقد انتهى بنا الدرس إلى هذه الأخبار النبوية أخبار الغيب، وكل خبر يدل دلالة قطعية أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم.
قال: [وسابع خبر] وقد تقدمت ستة أخبار، وهذا السابع [قوله صلى الله عليه وسلم: (منعت العراق درهمها وقفيزها، ومنعت الشام مدها ودينارها، ومنعت مصر إردبها ودينارها، وعدتم من حيث بدأتم)] هذا الخبر يحدث به النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه في حياته من أهل هذه الديار، فيقول: (منعت العراق درهمها وقفيزها)، القفيز: آلة الكيل للقمح والشعير، وهذا قبل أن تكون العراق إسلامية، وتبعث بالخراج إلى المدينة (ومنعت الشام مدها ودينارها) أي: قبل أن يدخلها الإسلام (ومنعت مصر إردبها ودينارها) أي: قبل أن تكون مصر مسلمة، فيخبر أن هذه الديار سوف تكون دياراً إسلامية، وسوف تبعث بالخيرات إلى هذه الديار، إلى الحجاز، وقد تم ما أخبر به بالحرف الواحد! قال: [فهذا الخبر قد وقع كما أخبر به صلى الله عليه وسلم، فقد منعت العراق، ومنعت الشام، ومنعت مصر ما كانوا يؤدونه إلى أهل الحجاز من خراج وغيره] إذ الحجاز دار الخلافة وعاصمتها [وعاد أهل الحجاز كما بدءوا، فمسهم الجوع ونالهم التعب، بعدما أصابهم من رغد العيش وسعة الرزق، فكان هذا آية النبوة المحمدية، ومعجزة على مثلها آمن الناس].
أرجو أن يكون المستمعون والمستمعات فاهمين لهذا الكلام.
وهذا خبر غيب قد تم كما أخبر من عدة أوجه: الأول: أن هذه الديار ما كانت ديار إسلام، ولا كان يأتي منها شيء للحجاز، فأسلمت ودخلت في الإسلام.
ثانياً: أصبحت تدفع الأموال والأرزاق إلى الحجاز: مصر والشام والعراق.
ثالثاً: جاء وقت فانقطع مددها، وأصبحت هذه الديار كما كانوا فقراء ومساكين، وتم كما أخبر، ووالله إن هذا لا يقوله إلا رسول.

كان النبي صلى الله عليه وسلم صاحب أخلاق رفيعة، وشمائل سامية، لم لا وقد كان خلقه القرآن، فكان صلى الله عليه وسلم إذا نظر غض بصره فلا يتبع الأشياء بنظره، وإذا مشى مع أصحابه لم يتقدمهم، وإذا تكلم أتى بجوامع الكلم وكان كلامه فصلاً، وإذا واجه ما يغضب البشر لم يغضب إلا أن يجد حرمات الله تنتهك فإنه عندئذ لا يقوم لغضبه شيء، وكان كثير الحزن صلى الله عليه وسلم، قليل الفرح، وكان ضحكه تبسماً عليه الصلاة والسلام.

محمد بن عبد الله أسوة كل مسلم

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.
أما بعد: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.
وقد انتهى بنا الدرس إلى الأخلاق المحمدية.
قال المؤلف غفر الله له ولكم ورحمه وإياكم: [الأخلاق المحمدية التي فيها أسوة للمؤمنين] أي: الأخلاق النبوية التي فيها قدوة للمؤمنين وللمؤمنات، فهيا نستمع إليها.
قال: [قال تعالى: وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ [القلم:4]] فأقسم الجبار: ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ * مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ * وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ * وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ [القلم:1-4]، شهادة الله تعالى له بأن خلقه عظيم، لا يدانى فيه، ولا يساوى قط.
قال: [وقال تعالى: لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ [الأحزاب:21]] أي: قدوة صالحة فاقتدوا به، والأسوة بالضم والكسر بمعنى واحد، وهما قراءتان سبعيتان، والمعنى: لقد كان لكم والله في رسول الله صلى الله عليه وسلم قدوة صالحة فاقتدوا به في الجلوس كيف تجلسون.
ومن اقتدى به وتزيَّا بزي آدابه فاز وسعد وكمل ورب الكعبة! وويل للمعرضين والجاهلين.
قال: [فقوله تعالى: وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ [القلم:4] شهادة من الله له صلى الله عليه وسلم بأنه على أكمل الأخلاق وأتمها وأرفعها وأفضلها، بحيث لا يدانى فيها بحال من الأحوال] أي: لا يقارب فيها.
قال: [وشاهد آخر في قوله صلى الله عليه وسلم: (أدبني ربي فأحسن تأديبي)] ومن أدبه ربه كيف يكون؟! ومن أدبه أستاذ أو أدبه أبوه يصبح عظيماً فكيف بالذي يؤدبه الله؟! وستشاهدون آثار هذه الآداب.
قال: [وفي قوله صلى الله عليه وسلم: (بعثت لأتمم صالح الأخلاق)] أي: بعثني ربي من أجل أن أتمم مكارم الأخلاق، فما نقص منها وهبط ونسي وترك أنا جئت لأكمله: (بعثت لأتمم مكارم الأخلاق).
قال: [وفي قوله تعالى: لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا [الأحزاب:21]] لاحظتم من هم الفائزون؟ لقد كان لكم معشر المسلمين في رسول الله أسوة حسنة، من يظفر بها ويفوز؟ قال: لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا [الأحزاب:21].
قال: [هذا إعلام من الله تعالى لعباده المؤمنين بما أوجب عليهم من الاقتداء برسولهم الذي كمله خَلْقاً وخلُقاً، وشرفه أصلاً ومحتداً، ورفعه منزلة وقدراً؛ حتى لا تأنف النفوس من اتباعه والاقتداء به في كل ما هو في استطاعتها التحلي به، والتقرب إلى ربها عز وجل باتباعه والاقتداء به فيه.
ومن هنا كان الكمال المحمدي ضربين] أي: نوعين [ضرباً لم تشرع الأسوة فيه] أي: ما أذن الله لنا أن نقتدي به فيه، وليس من حقنا هذا؛ وذلك [لعجز المرء عن كسب مثله، وذلك كشرف الأصل] فكيف نصل إلى ما وصل إليه رسولنا وهو من إبراهيم . من عدنان . فهو نطفة محفوظة في أصلاب الرجال إلى أمه آمنة وأبيه عبد الله ؟! [وجمال الذات] فذاته جميلة لا يمكن أن تطمع أن تكون مثله بحال من الأحوال [وعلو القدر] فقدره عال، من يساويه؟ ومن يطمع في ذلك؟ [والاصطفاء للرسالة] ومن يطمع أن يكون نبياً رسولاً؟ [وتلقي الوحي الإلهي] ومن يطمع في هذا أيضاً؟ قال: [وضرباً مأموراً بالاقتداء به فيه] الأول لا مطمع فيه، والثاني مأمورون بأن نقتدي به فيه [والمنافسة] أيضاً بيننا [في تحصيل أكبر قدر منه، والمسابقة إليه أيضاً والجد في الطلب للظفر به والحصول عليه، وهو ما سنذكر جملاً صالحة منه سائلين الله تعالى أن يرزقنا التحلي به، والموت والحياة عليه، اللهم آمين!].
وباسم الله كل منا يحاول من الآن أن يتجمل بهذه الحلل الجميلة.

الآداب المحمدية

قال: [لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتجمل بالآداب التالية ويتحلى بها] التجمل بالجمال، والتحلي بالحلي.

كيفية جلوس النبي صلى الله عليه وسلم بين أصحابه وللأكل

قال: [تاسعًا: كان إذا جلس نصب ركبتيه واحتبى بيديه، وإذا جلس للأكل نصب رجله اليمنى وجلس على اليسرى] فإذا جلس للأكل يجلس على رجله اليسرى وينصب اليمنى، هذه جلسة الأكل، وهذه جلسة الاحتباء مع أصحابه، فما كان يتبجح على الأسرة والأرائك كالملوك بل يجلس بين أصحابه ويحتبي.
قال: [تاسعًا: كان إذا جلس نصب ركبتيه واحتبى بيديه، وإذا جلس للأكل نصب رجله اليمنى وجلس على اليسرى]، تستطيعون هذا، أو تملئون البطون، وهذه الجلسة صاحبها يشبع بقليل، لكن إذا كان منفتحاً يبتلع.
صلوا عليه وسلموا تسليماً.

حال النبي صلى الله عليه وسلم مع الأكل

قال: [عاشراً: كان لا يعيب طعاماً يقدم إليه أبدًا] مر، ملح، بارد، ساخن، حلو، كذا، لا يعيب الطعام أبداً، أما نحن فتجده يسب المرأة، أو يقلب عليها الصحفة.
والواجب أن لا نعيب طعاماً، فإن كان طيباً أكلناه، وإن لم نستسغه تركناه، أما العيب فلا.
قال: [وإنما إذا أعجبه أكل منه، وإن لم يعجبه تركه] وسكت، إذا أعجبه أكل، ما أعجبه تركه، ما قال: بارد، ولا ساخن، أو قاسي. كما تعرفون.
إن شاء الله نتخلق بهذه الأخلاق، والله! الذي لا إله غيره من اكتسبها الليلة وعزم على تطبيقها لخير من الدنيا وما فيها، وبهذا يصبح حبيباً لرسول الله محباً.
قال: [هذه الآداب مجملة] أي: هذه الآداب العشرة مجملة [وكلها يمكن الاقتداء به فيها، وهو غاية الطلب، وبغية أولى الأرب].

مشاركة النبي صلى الله عليه وسلم لأحاديث الصحابة المباحة

قال: [ثامناً: كان يشارك أصحابه في مباح أحاديثهم] أي: يشارك أصحابه الجالسون معه، فيشاركهم في مباح أحاديثهم، الغير ممنوعة، والغير مأثومة أو المحرمة، فيشاركهم فيها ويتحدث معهم.
قال: [إذا ذكروا الدنيا ذكرها معهم، وإذا ذكروا الآخرة ذكرها معهم، وإذا ذكروا طعامًا أو شرابًا ذكره معهم] وبهذا حبه ملأ قلوبهم.
فقد كان يشارك أصحابه في مباح أحاديثهم، أي: الأحاديث الجائزة المباحة، لا أن يقولوا باطلاً ويشاركهم فيه، أو مكروهاً أو محرماً، بل في المباح.
وإذا ذكروا الدنيا ذكرها معهم، ذكروا سلعة، بضاعة.
كذا، يذكر معهم، وإذا ذكروا الآخرة ذكرها معهم، وإذا ذكروا طعاماً أو شراباً ذكره معهم، صلى الله عليه وسلم.
فليس بمتعصب ومتشدد، ولين، ولكن لا يميل إلا إلى جانب الحق.

الحكمة من إعادة النبي صلى الله عليه وسلم للكلام

قال: [سابعًا: إذا تكلم تكلم ثلاثاً] يعيد الكلام ثلاث مرات ليفهم عنه؛ لأنه مأمور بأن يبلغ؛ حتى لا يعتذر معتذر فيقول: ما فهمت [وإذا سلّم سلّم ثلاثاً] يقول: السلام عليكم، السلام عليكم، السلام عليكم.
ثلاث مرات.
[وإذا استأذن استأذن ثلاثاً] أي: إذا أراد أن يدخل على شخص فيطلب الإذن ثلاث مرات: يا أهل البيت أأدخل؟ يا أهل المنزل أأدخل؟ يا إخواننا أأدخل؟ ثلاث مرات.
قال: [وذلك ليعقل عنه، ويفهم مراده من كلامه] فلمَ يتكلم ثلاثاً ويستأذن ثلاثاً؟ ليعقل عنه ما يقول، ويفهم مراده من كلامه [نظرًا إلى ما وجب عليه من البلاغ] يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ [المائدة:67]، فلأداء هذه المهمة إذا تكلم يتكلم ثلاثاً: صل، صل، صل. امش، امش، امش.
حتى لا يعتذر أحد يقول: ما فهمت.
إن شاء الله نحن إذا تكلمنا نتكلم ثلاثاً من الليلة، وإذا سلمنا نسلم ثلاثاً، وإذا استأذنا نستأذن ثلاثاً، وهذه أكثرنا يقوم بها.

فرح النبي صلى الله عليه وسلم وضحكه

قال: [وإذا فرح غض طرفه] إذا فرح يغمض عينيه، كيف هذه.
إذا بشر، إذا جاء طعام، إذا فرح، لا يحملق وينظر.
هذه آداب لو ربينا عليها من الصبا وفي حجور آبائنا وأمهاتنا لكنا فزنا بها وسدنا.
قال: [جل ضحكه التبسم، ويفتر عن مثل حب الغمام] فأسنانه كأنها حب الغمام.
وقوله: (جل) أي: أكثر ضحكه التبسم، فيتبسم عن أسنانه كأنها اللؤلؤ صلى الله عليه وسلم.

وقوله: (عن مثل حب الغمام) حب الغمام اسم للمطر، البرد.
إذاً قوله: (إذا غضب أعرض وأشاح بوجهه) أي: أعرض عن الكلام مع هذا الذي أغضبه، ويصرف وجهه عنه هكذا (وإذا فرح غض طرفه) فلا ينتفش.
(جل) أكثر (ضحكه التبسم) فينفتح فاه وشفتاه وأسنانه لكن بدون ما صوت (ويفتر عن مثل حب الغمام) أي: البرد.

غضب النبي صلى الله عليه وسلم

قال: [خامساً: لا تغضبه الدنيا وما كان لها] لا تغضبه الدنيا وما كان للدنيا [فإذا تُعُرِّضَ للحقّ] أي: تعرض أحد للحق يريد أن يوقفه أو يهدمه [لم يعرفه أحد، ولم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له، ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها] فالدنيا كلها لا تغضبه، وما كان لها من شأن الدنيا، فلا يبالي بهذا، ولا يغضبه أبداً، فإذا تعرض للحق لم يعرفه أحد، ولم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له، ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها، لكن إذا تعرض للحق غضب ولا يعرف أحداً في ذلك قريباً أو بعيداً.
قال: [سادساً: إذا غضب أعرض وأشاح] إذا غضب أعرض عمن أغضبه أو من كان السبب، وأشاح بوجهه هكذا، فلا يواجهه ويسبه ويشتمه ويحملق عليه، فما دام أغضبه لا يغضب ولا يلتفت إليه.
فإذا غضب أعرض عمن أغضبه وقال فيه، وأشاح بوجهه هكذا.

حزن النبي صلى الله عليه وسلم

قال: [رابعاً: متواصل الأحزان] كان صلى الله عليه وسلم متواصل الأحزان قليل الفرح والمرح، حزنه أكثر من فرحه، فلو عرفنا الطريق الشائك وكيف نسلكه ما ضحكنا أبداً.
قال: [دائم الفكر، ليست له راحة، دمث الخلق، ليس بالجافي ولا بالمهين، يعظم النعمة وإن دقت، لا يذم منها شيئاً ولا يمدحه].
قوله: (متواصل الأحزان) كان حبيبنا صلى الله عليه وسلم متواصل الأحزان.
وأنت الآن لو تفكر في إخوانك المسلمين فقط يصيبك الحزن، وكذلك لو فكرت في الفقراء تحزن، في المرضى تحزن، في المفتونين تحزن، في الفسقة والفجرة تحزن، في أهل الذلة تحزن، وهكذا حزنك متواصل.
قوله: (دائم الفكر) أي: بالعقل والقلب، فيفكر في الطريق المنجي، وفي الإسعاد كيف يتم، وفي إنقاذ البشرية كيف يحصل عليه، وكيف يؤدي واجبه، وكيف يقضي عليه، وهذا هو التفكير النافع، ودائم الفكر.
قوله: (يعظم النعمة وإن دقت) وإن قلت، إذا حصلت له نعمة يعظمها ويفرح بها وإن قلت، فحفنة التمر كصاع التمر عنده.
قوله: (لا يذم منها شيئاً ولا يمدحه) فالنعمة التي تحصل ولو كانت ماء بارداً، فإن كان بارداً شربه، حلواً شربه، مراً أو ساخناً لا يشرب، ولا يذمه.
وقوله: (ليست له راحة) ما عنده راحة أبداً، دائماً في هم، دائماً في حزن، دائماً في تفكير، دائماً في عمل إما صلاة وإما جهاد، إما ذكر وإما عبادة على أنواعها، ما عنده راحة.
وقوله: (دمث الخلق) الخلق الدمث هو الخلق الفاضل اللين النافع غير الضار.
وقوله: (ليس بالجافي) القاسي في كلامه.
قوله: (ولا المهين) المهان، كلام على قدره.
قوله: (يعظم النعمة وإن دقت، لا يذم منها شيئاً ولا يمدحه) أي: نعمة المال أو نعمة الطعام والشراب.
كيفية نظر النبي صلى الله عليه وسلم

قال: [وهي: أولاً: غض الطرف فلا يتبع نظره الأشياء] فلا يطالع وينظر، ولا يتبع بنظره الأشياء، ويفتح عينيه، فإذا رأى شيئاًَ غض طرفه، وهذا هو الأدب العالي، الذي ليس بصعب، والمراد من الطرف: العين فلا يتبع نظره الأشياء ويتابع بالنظر إليها.
قال: [وكان جل نظره الملاحظة] أي: أكثر نظره الملاحظة، فيلاحظ الشيء كذا ثم يتركه، فلا يواصل النظر إليه [فلا يحملق إذا نظر] والحملقة معروفة [ونظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء] أي: أن أكثر نظره إلى الأرض، وأقل ما ينظر إلى فوق.
وهذا الخلق الأول، فإن شاء الله نتحلى به، ونتجمل من ليلتنا هذه، فنغض الطرف ولا نتبع نظرنا الأشياء، ولا نطاردها بأبصارنا، وأن يكون جل نظرنا الملاحظة فقط، وليس التعمق والنظر في أي شيء كان أيضاً، فلا يحملق أحدنا إذا نظر، ونظره إلى الأرض أكثر من نظره إلى السماء، وهذا طول الحياة، وليس في المدرسة والجامع فقط، بل في الشارع والسوق والطائرة والأرض، فالنظر إلى أسفل أكثر من النظر إلى فوق، لا يحملق أبداً، ولا يتبع النظرة النظرة بل ينظر ثم يغض طرفه.
خلق النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه رضوان الله عليهم

قال: [ثانياً: إذا مشى مع أصحابه يسوقهم أمامه فلا يتقدمهم] فلا يمشي أمام أصحابه وهم وراءه كالجيش، بل يمشي وراءهم وهم أمامه، حتى لا يرى أنه متكبر، وأنه يتقدم أصحابه، كأنه يمشي إلى المسجد، فيقول: امشوا وأنا أمشي وراءكم، وهذه سهلة وليست بصعبة.

قال: [ويبدأ من لقيه بالسلام] أي: قبل الكلام، فإذا لقي أحداً قال: السلام عليكم! ومعناه: أنتم آمنون من الخوف أبداً، وبعد ذلك إذا أراد أن يكلمه يتكلم.

كلام النبي صلى الله عليه وسلم

قال: [ثالثاً: إذا تكلم يتكلم بجوامع الكلم] وهذا من يصل إليه؟ ومعنى هذا أن [كلامه فصل، لا فضول ولا تقصير] فكلامه ليس بالطويل ولا بالقصير، فيتكلم بقدر الحاجة، وجوامع الكلم: أن الكلمة إذا قالها ففيها عدة معان، وعدة هدايات وإرشادات، فلا يقول الكلمة إلا وفيها خير، ما هي فارغة أبداً، إنما تحمل الهدى.
قال: [أي: على قدر الحاجة] فيقول: من فضلك كأس ماء؟ يكفي، ولا يقول: من فضلك كأس ماء إن شئت وإن كذا! وليس هذا [فلا زيادة عليها ولا نقصان عنها] وكل كلامه هكذا فهو موزون وبقدر الحاجة؛ حتى لا يقع فيه الزيادة ولا النقص.
قال: [وهذا من الحكمة، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه)] هيا نحفظ هذا الحديث، وهو والله خير من عشرة آلاف ريال، وأغلبكم يحفظه، لكن فقط من باب فضيلته، فهو خير من الدنيا، فجملة من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم نطبقها على أنفسنا، فنرتفع ونسمو، وهل نسمو بالملايين من الدولارات؟! وقوله: (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه) والذي لا يعنيك، أي: لا يكسبك ريالاً ولا حسنة فمن حسن إسلام المرء ذكراً كان أو أنثى تركه ما لا يعنيه، والذي لا يحقق لك درهماً لمعاشك، ولا حسنة لمعادك، ولا يدفع عنك أذى في بدنك أو دينك أو عرضك؛ فتركه من حسن إسلامنا، والذين يتكلمون ويكثرون الكلام، والملائكة يكتبون ويسجلون، والنفوس تنتكس، والأخلاق تتراجع، ولا طائل من ذلك أبداً ولا فائدة.
وكيف نعرف أن إسلامك حسن يا عبد الله! وقد حسن إسلامك يا من أسلمت؟! نعرف ذلك إذا رأيناك تترك ما لا يعنيك، والذي لا يخصك أنت ولا يعنيك تتركه.
وقد قلت لكم: الذي يعنيني أن أقول كلمة أدفع بها أذى عن نفسي، أو عن عرضي أو عن مالي، أو كلمة أقولها تكسبني ريالاً أو درهماً لمعاشي، أو كلمة أقولها من أجل أن توفر لي حسنة من حسناتك، نستفيدها يوم القيامة.
إذاً الذي لا يعنيك لا يعطي لك نفعاً، ولا يدفع عنك ضراً؛ فهذا من حسن إسلامك أن تتركه، ولا تتكلم فيه ولا تدخل فيه، بل ولا تطالع ولا تنظر فيه، ولا تقبل عليه.
فلا تلعب ولا تلهو ولا تسمع الباطل ولا تقرأ في صحيفة ربع ساعة لا تستفيد منها حسنة.
يا معشر الحذاق! الصحيفة ذات عشرين صحفة في طول ذراع تقرأها من أولها إلى آخرها، تقضي فيها على الأقل نصف ساعة! وترجع فارغ اليدين والله لا حسنة ولا درهم، هذا تركك ما لا يعنيك، أم إقدامك على ما لا يعنيك؟ كذلك أن تجلس أمام شاشة الفيديو أو التلفاز ربع ساعة .
نصف ساعة وأنت تشاهد الرقص والطلوع والهبوط والتبجح، وأنت ضاحك! أسألك بالله: هل يعنيك ذلك في شيء؟! كم ريالاً تحققه في الليلة؟ كم حسنة تستفيدها؟ فالمسلم الحق هو الذي تخلق بأخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم ولا يفعل هذا، فمن حسن إسلام المرء والذي يدلنا على أن إسلامه حسن تركه ما لا يعنيه.
قال: [ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت)] واحدة من اثنتين: من كان حقاً يؤمن بالله رباً وإلهاً، ويؤمن بلقائه والجزاء على عمله في الدنيا؛ فليقل خيراً إذا أراد أن يقول أو ليصمت، أما أن يقول سوءاً أو شراً أو باطلاً فلا.
أقول كما قال صلى الله عليه وسلم: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر) أي: يوم القيامة (فليقل خيراً) أي: إذا قال (أو ليصمت) أما أن تقول سوءاً أو شراً أو باطلاً، فلا، اسكت.
فلا غيبة، ولا نميمة، ولا تبجح، ولا أكاذيب، ولا أباطيل أبداً؛ لأننا نتهيأ لأن نخترق السماوات السبع وننزل في الجنة، وهذا يتطلب منا أن نصوم فلا نفطر، وأن نسكت فلا نتكلم أبداً عشرات السنين وكان قليلاً ويسيراً؛ لأنك تريد أن تخترق السماوات السبع وتنزل بالفردوس الأعلى، أما أهل الكفر والإجرام والفساد فهم هابطون إلى أسفل سافلين، فلهبوطهم يتكلمون كما شاءوا، فيساعدهم ذلك على النزول، لأنهم نازلين نازلين، لكن الهبوط شيء والصعود شيء آخر، (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت).
قال: [ويبدأ كلامه ويختمه بأشداقه] هذا الحبيب صلى الله عليه وسلم قال عنه: ويبدأ كلام صلى الله عليه وسلم ويختمه بأشداقه [من أجل أن يسمع محدثه ويفهمه] يملأ شدقيه بكلامه حتى يفهم عنه ويسمع؛ لأنه مأمور بالبلاغ، لا يقولها بشفتيه فقط، تفهم أحياناً ولا تفهم، فالذي يريد أن يبلغ دعوة الله، أن ينصح لمؤمن، أن يحدثه لصالحه يفتح فاه ويتكلم ببيان ووضوح؛ حتى يبلغ، فكان صلى الله عليه وسلم يبدأ كلامه ويختمه بأشداقه، هذا شدق وهذا شدق، من أجل أن يسمع محدثه ويفهمه.
قال: [ولا يتكلم في غير حاجة] ما كان صلى الله عليه وسلم يتكلم في غير حاجة أبداً، كلامك كدنانيرك، تخرج الدنانير عند الحاجة أو لا، فكلامك كذلك، تتكلم عند الحاجة إلى الكلام.
قال: [وكان طويل السكوت] سكوته صلى الله عليه وسلم أكثر من كلامه.
معشر المستمعين والمستمعات! هذه آداب الحبيب صلى الله عليه وسلم، اغترفوا منها، تجملوا بها، تحسنوا، ما المانع؟

الأخلاق المحمدية

قال: [الأخلاق المحمدية.
إن لذوي الأخلاق الفاضلة منزلة عالية] أي: أن لأصحاب الأخلاق الفاضلة منزلة عالية عند الله، وإن قل صيامك وإن قلت صدقتك، وإن قل جهادك، وإن قل.
فإذا كانت أخلاقك فاضلة كانت منزلتك عالية.
قال: [ففي الحديث الصحيح يقول صلى الله عليه وسلم: (أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقًا)] وهذا الحديث يجب أن يحفظ: (أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقاً).
أيها المؤمنون! نتفاوت في رتب الإيمان، فهذا يملك قنطاراً وهذا عشرة، لكن أفضل إيماننا الأخلاق، وأكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقاً، فمن كان أحسن منا أخلاقاً كان إيمانه والله أكثر من إيماننا؛ إذ ما وصل إلى ذلك إلا بمراقبة الله والدار الآخرة.
قال: [ويقول صلى الله عليه وسلم: (إن من أحبكم إلي وأقربكم منى مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً)] بكم نشتري هذه المنزلة؟ اسمع: (من أحبكم إلي) يا من يريدون أن يحبهم رسول الله وهم يحبونه (وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً) وهذا الحديث يجعلنا نبحث كيف نتخلق بالأخلاق الفاضلة، وكيف نهذب أنفسنا، وكيف يرانا الناس ونحن على أحسن الأخلاق وأكملها، حتى نظفر بحبه صلى الله عليه وسلم والنزول إلى جنبه في دار السلام.
قال: [وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر] لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ [البقرة:177].
لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ [آل عمران:92].
ما البر يا رسول الله؟! [فقال: (حسن الخلق)] فالبر حقيقته حسن الخلق، ومن كان أحسننا خلقاً كان أبرنا، فأهل البر هم أهل الأخلاق الحسنة.
قال: [وسئل عن أي الأعمال أفضل فقال: (حسن الخلق).
ومن هنا كان اكتساب الأخلاق الفاضلة خيراً من اكتساب الذهب والفضة، والأموال الطائلة].
فمن هذا الذي سمعنا وهو كيف تكون أقرب الناس من رسول الله، وأقرب منه مجلساً يوم القيامة؛ إذا أنت كنت أحسن الناس أخلاقاً.
قال: [والطريق إلى ذلك] أي: الطريق إلى أن نكتسب الأخلاق الفاضلة ما هو؟ [هو الائتساء بالنبي الحبيب صلى الله عليه وسلم] الاقتداء به، عرفتم الليلة كيف يجلس للأكل، فاجلسوا من الآن، فإذا جاءكم العشاء اجلسوا هذه الجلسة، وتعود عليها يومين ثلاثة وتصبح تجلسها، وعرفتم كيف كان ينظر ولا يحملق، وعرفتم أنه كان لا يقول الكلمة إلا لحاجة، فنقول كذلك، وإذا كان هناك حاجة تكلمنا وإلا نسكت.
كذلك أحزانه غالبة عليه، فكيف نفرح والبلاء بكل بلاد المؤمنين في الشرق والغرب، وهذا مجلب الحزن، وهكذا نأتسي به فنظفر بهذا الكمال، بالاقتداء به صلى الله عليه وسلم.
قال: [إذ هو المثل الأعلى في باب الأخلاق] لا يساويه كما قدمنا أحد [ولذا كان إيرادنا للأخلاق المحمدية في آخر هذا الكتاب من باب حمل المسلم على اكتساب تلك الأخلاق المحمدية الفاضلة، ودفعًا له على التجمل والتحلي بها، ليكمل بها ويفضل ويشرف عليها، بعد أن عرف صاحبها، وعرف كمالاته الذاتية والروحية، وقوي إيمانه به نبياً ورسولاً، تجب طاعته ومتابعته وتعظيمه ومحبته وتوقيره].
فهو الذي تجب محبته، وهو الذي تجب طاعته، وهو الذي يجب الاقتداء به رسول الله صلى الله عليه وسلم.
قال: [وهذه نماذج من تلك الأخلاق فلننظر إليها، ولنوطِّن النّفس على اكتسابها والتخلق الصادق بها] إن شاء الله في الحصة المقبلة، وصلى الله على نبينا محمد.
معاشر الإخوان! بعث أحد الصالحين من الرياض، مريض يقول لكم: ادعوا لي في هذه الحلقة ليشفيني الله، ومعنا مرضى في بيوتنا وفي أسواقنا ومساجدنا ومعنا، فهيا نسأل الله تعالى الشفاء، وكم سألنا وأعطانا، وكم دعوناه واستجاب لنا.
اللهم! يا ولي المؤمنين، ويا متولي الصالحين، ويا أرحم الراحمين، ويا رب العالمين، هذه أكفنا قد رفعناها إليك، سائلين ضارعين، فاكشف ضر هذا المريض الذي طلب منا أن ندعوك، اللهم! اكشف ضره واشفه، واشف كل مؤمن ومؤمنة في مشافينا وفي بيوتنا، ومعنا يا رب العالمين، فإنه لا يشفي إلا أنت، ولا شفاء إلا شفاءك يا رب العالمين.
اللهم! اشف مرضانا يا رب العالمين، وزك أنفسنا، وطهر قلوبنا، واختم لنا بخاتمة السعادة يا رب العالمين، وصل اللهم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

هذا الحبيب يا محب 126

كان النبي صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى في الجود والكرم، فكان كما يصفه أصحابه أجود الناس، وكان في رمضان كالريح المرسلة، حين يأتيه جبريل يدارسه القرآن، وكان أحلم الناس صلى الله عليه وسلم ولا يزيده الجهل عليه إلا حلماً، ولم يعامل أحداً على إساءته إلا بالإحسان.

الكرم المحمدي

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.
أما بعد: وأعيد إلى أذهانكم أن دراسة السيرة النبوية الشريفة السامية الطاهرة المقصود منها الائتساء والاقتداء بالكمالات المحمدية؛ ليزداد الإيمان وتزداد الصالحات، وتسمو الأخلاق وترتفع الآداب، فما تتلى أو تقرأ أو يسمع إليها لمجرد قصة أو سيرة.
بل: أولاً: لتقوية الإيمان بأنه رسول الله صلى الله عليه وسلم.
ثانياً: لمجاهدة النفس حتى تتحلى بالأخلاق المحمدية والآداب المحمدية.
ومن هنا وانتهى بنا الدرس إلى الأخلاق المحمدية.
قال: [الكرم المحمدي] والآن مع الكرم المحمدي، هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كريماً؟ والله! لا أكرم منه، لا في العرب ولا في العجم، لا في الأولين ولا في الآخرين، سما سمواً لا نظير له، وسوف تشاهد ذلك وتسمع.
قال المؤلف غفر الله له ولكم ورحمه وإياكم وسائر المؤمنين: [إن الكرم المحمدي كان مضرب الأمثال، وقد كان صلى الله عليه وسلم لا يرد سائلاً] فما سأله أحد ورده أبداً إلا قضى حاجته [وهو واجد ما يعطيه] بهذا الاحتراس، فلا يرد سائلاً إذا كان واجداً عنده ما يعطيه للسائل، أما إذا كان غير واجد فمن أين يعطي؟! فهو معذور.

أمثلة على جود وكرم النبي صلى الله عليه وسلم

قال: [فقد سأله رجل حلة كان يلبسها] والحلة في لغة القوم الآن البدلة، ثوبان من جنس واحد، فهي حلة يتحلى بها [فدخل بيته فخلعها، ثم خرج بها في يده وأعطاه إياها] أي: الحلة، ثوبان من نوع واحد تحلى بهما، فخرج بهما فشاهده هذا الطماع ويا ليتني مثله، فقال: يا رسول الله! أعطني إياها، فأعطاه إياها، فقيل له: لم يا هذا؟! قال: أريد أن تمس جسدي كما مست جسده صلى الله عليه وسلم.
هذا الحب النبوي.
يا جماعة! إذا عرفتم حبكم له اتبعوه وامشوا وراءه، أما الحب بلا عمل كالمال بلا ثمن.
قال: [ففي صحيحي البخاري و مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: (ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئًا قط فقال: لا).
وقال أنس بن مالك رضي الله عنه] خادمه [(ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئًا على الإسلام إلا أعطاه، سأله رجل فأعطاه غنمًا بين جبلين)] في واد مملوء بغنم [(فأتى الرجل قومه فقال لهم: يا قوم! أسلموا؛ فإن محمداً يعطي عطاء من لا يخاف الفاقة)] أي: الفقر.
لما دخل الرجل في الإسلام وانتشر الخير أعطاه غنماً كاملة بين جبلين، فقهال: خذها يا أعرابي، فرجع الأعرابي يقول لقومه: يا قوم! أسلموا؛ فإن محمداً يعطي عطاء من لا يخاف الفقر، فأسلموا.
قال: [إن كان الرجل ليجيء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يريد إلا الدنيا] لا هم له إلا المال [فما يمسي حتى يكون دينه أحب إليه وأعز من الدنيا وما فيها] فيأتي لا يريد إلا المال، فيواجه بالأنوار المحمدية والآداب والأخلاق فينتكس أو ينقلب، ويصبح لا أحب له من الإسلام، ويدخل في رحمة الله، وهذه آثار الكمال المحمدي.
وقوله: (فما يمسي) أي: لا يدخل في مساء ذلك اليوم.
وقوله: (حتى يكون دينه أحب إليه وأعز من الدنيا وما فيها) أي: الإسلام.
قال: [وحسبنا] أي: يكفينا [في الاستدلال على كرم رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما وقد سئل عن جود الرسول وكرمه] فهذا الحبر ابن عباس سئل عن جود الرسول وعن كرمه، وذلك بعد وفاته [فقال: (كان رسول الله أجود الناس)] وهو كذلك [(وكان أجود ما يكون في شهر رمضان حين يلقاه جبريل بالوحي فيدارسه القرآن)] هو طول العام جواد كريم، لكنه في رمضان أكثر؛ لأن جبريل ينزل إليه ويدارسه القرآن، وماذا بقي للدنيا من قيمة؟! فقد أصبح من أهل العالم العلوي، وأصحاب الجفاء في القنوط واليبوسة، أما أهل القرآن والمقبلون على الله والمتعبدون فترق قلوبهم وتصفو أرواحهم، والتعليل كما سمعتم، قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس، وكان أجود ما يكون في شهر رمضان؛ حين يلقاه جبريل بالوحي فيدارسه القرآن) حتى يتثبت من حفظه وفهمه.
قال: [(فرسول الله أجود بالخير من الريح المرسلة)] وهي التي دائماً ماشية لا تنقطع [بمعنى أن عطاءه دائم لا ينقطع بيسر وسهولة، وهاهي ذي أمثلة لجوده وكرمه صلى الله عليه وسلم: أولاً: حملت إليه تسعون ألف درهم] جاء رجاله بتسعين ألف درهم من خراج أو

غنيمة [فوضعت على حصير] في المسجد، وليس هناك بوليس يحرس [ثم قام إليها يقسمها فما رد سائلاً حتى فرغ منها] فما رد سائلاً حتى انتهت التسعون ألف درهماً.
قال: [ثانياً: أعطى العباس رضي الله عنه] هذا عم الحبيب صلى الله عليه وسلم ابن عبد المطلب [من الذهب مالم يطق حمله] فقال له: خذ يا عباس ، فأخذ يغرف ويغرف في طرف ثوبه، وأراد أن يقوم فما استطاع، فقال: يا رسول الله! خفف، قال له: لا، لا أعينك؛ حتى ترك منه بعضه، ولو كان خاتم ذهب اليوم لاقتتل عليه رجلان.
قال: [ثالثاً: أعطى معوذ بن عفراء ملء كفه حليًا وذهبًا لما جاءه بهدية من رطب وقثاء] فمعوذ بن عفراء جاء بهدية للرسول صلى الله عليه وسلم رطب وقثاء، فأعطاه الرسول صلى الله عليه وسلم ملء كفه ذهباً.
كريم جواد، والله! لم تعرف الدنيا مثله قط.
قال: [رابعاً: جاءه رجل] من الرجال [فسأله] طلب منه شيئاً [فقال: (ما عندي شيء ولكن ابتع علي)] أي: اشتر [(فإذا جاءنا شيء قضيناه)] يا رسول الله! أعطني، قال: ما عندي، قال: اذهب واشتر من السوق أي شيء على حسابي، وعندما يأتينا مال من ربي نعطيك ونسددك.
فقوله: (جاءه رجل) أي: من الرجال، وليس أبو بكر ولا عمر ، بل من عامة الناس (فسأله شيئاً فقال: (ما عندي شيء ولكن ابتع علي) أي: اشتر (فإذا جاءنا شيء قضيناه لك) وسددنا دينك.
قال: [وكيف لا يكون الحبيب صلى الله عليه وسلم أكرم الناس وأجودهم على الإطلاق، وهو القائل: (ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان)] ينزل اثنان من الملائكة [(يقول أحدهما)] سائلاً داعياً [(اللهم! أعط منفقاً خلفًا)] أي: أعط معطياً خلفاً [(ويقول الآخر: اللهم! أعط ممسكًا تلفًا)] فالرسول صلى الله عليه وسلم يخاف أن يقف هذا الموقف، وقد بلغه هذا: (ما من يوم من الأيام يصبح العباد فيه) أحياء ما قامت القيامة (إلا وملكان يقول أحدهما: اللهم! أعط منفقاً خلفاً، والآخر يقول: اللهم! أعط ممسكاً تلفاً) أي: لماله.
قال: [والقائل أيضًا: (يقول الله تعالى: ابن آدم! أنفق أُنفق عليك)] هذا الله نفسه يقول: (ابن آدم أنفق أُنفق عليك) [وقد نزل عليه قول ربه جل وعز: وَمَا أَنفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ [سبأ:39]] أي: وما أنفقتم من شيء قل أو كثر فهو يخلفه وهو خير الرازقين.
إذاً: تجلى لكم الكرم النبوي، فهيا نحاول أن يكون لنا منه نصيب، ما استطعنا.

الحلم المحمدي

قال: [الحلم المحمدي] هذه الأخلاق السامية: الكرم والحلم.
قال: [إن الحلم وهو ضبط النفس حتى لا يظهر منها ما يكره قولًا كان أو فعلاً عند الغضب] فالحليم إذا غضب يضبط نفسه، فلا يسب ولا يشتم، ولا يلعن ولا يفعل كما نفعل نحن والعياذ بالله، فإذا غضب يضبط نفسه، فلا يشتم ولا يسب ولا.. ولا.. فضلاً أن يضرب. هذا هو الحلم، وهذا هو الحليم.
قال: [وما يثيره هيجانه من قول سيئ أو فعل غير محمود] هذا بيان للحلم [وما يثيره] أي: الغضب [من قول سيئ] والقول السيئ كالسب أو الشتم أو كذا، والعمل السيئ الضرب والأخذ باليد [هذا الحلم كان فيه الحبيب صلى الله عليه وسلم مضرب المثل] إي والله!.

أمثلة على حلم النبي صلى الله عليه وسلم

قال: [والأحداث التالية] اسمعوها [شواهد لحلمه فداه أبي وأمي، وصلى الله عليه وسلم، وذلك لتربية الله تعالى له، وإفاضته الكمالات على روحه صلى الله عليه وسلم] فما فاز بهذا الحلم إلا بسبب تربية الله تعالى له، وما أفاض على روحه من الكمالات.
قال: [أولاً: لما شجت وجنتاه وكسرت رباعيته ودخل المغفر في رأسه صلى الله عليه وسلم يوم أحُد قال: (اللهم! اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون)].
أي حلم أعظم من هذا، والدماء تسيل، والجراحات صعبة [فهذا منتهى الحلم والصفح والعفو والصبر منه صلى الله عليه وسلم].
قال: [ثانياً: لما قال له ذو الخويصرة : اعدل فإن هذه قسمة ما أريد بها وجه الله] لا حول ولا قوة إلا بالله، هذا صعلوك من صعاليك الناس ذو الخويصرة لما كان يقسم الرسول صلى الله عليه وسلم الصدقات والأموال قال له: اعدل، فإن هذه قسمة ما أريد بها وجه الله [حَلُمَ عليه وقال له: (ويحك فمن يعدل إن لم أعدل)، ولم ينتقم منه ولم يأذن لأحد من أصحابه بذلك] أي: بأن يضربه أو يؤذيه أو أن يصفعه أو يقول له كلمة، وجربوا الناس الآن وقولوا لهم هذا وانظروا، وامتحنوهم.
قال: [ثالثاً: لما جذبه الأعرابي بردائه جذبة شديدة حتى أثرت في صفحة عنقه صلى الله عليه وسلم] لا تلم بدوياً، فما تربى مثل هؤلاء في حجور الصالحين، وهذا شأنهم، لا بد أن يقع هذا منهم، فإن قيل: الآن يا شيخ كلنا بدو.
أقول: وما دمنا لا نتربى في حجور الصالحين، وآباؤنا وأمهاتنا صعاليك مقبلون على الدنيا والأباطيل والترهات ونحن نعبث في الليل والنهار، فما الفرق بيننا وبينهم؟! الذي لا يتربى في حجور الصالحين، فالأم والأب والأقارب بالكلمة الطيبة والآداب والأخلاق، ومن أراد أن يعرف فليسمع أصوات الأطفال فقط، والمؤدب لا تسمع صوته.
يا شيخ! النساء في الحجرة تصرخ، هذه هي الآداب، والله يقول على لسان لقمان الحكيم: وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ [لقمان:19]، هذه آداب ربانية ونحن نصرخ؛ لأننا ما ربينا في حجور الصالحين.

قال: [وقال: احمل لي على بعيري هذين من مال الله الذي عندك] هذه عجيبة! [فإنك لا تحمل لي من مالك ومال أبيك] هذا مال الله، إياكم أن تقولوها أنتم الآن للناس، احذروا.
قال: [حلم عليه صلى الله عليه وسلم ولم يزد أن قال: (المال مال الله وأنا عبده)] أي: عبد الله لا عبد المال [(ويقاد منك يا أعرابي ما فعلت بي)] خوفه؛ لأنها تهمة عظيمة، اتهم الرسول صلى الله عليه وسلم بالخيانة [(فقال الأعرابي: لا)] ما يقاد مني [(فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لم؟ قال: لأنك لا تكافئ السيئة بالسيئة، فضحك صلى الله عليه وسلم منه، ثم أمر أن يحمل له على بعير شعير، وعلى آخر تمر)] بعير تمر كامل، وبعير شعير [فأي حلم عباد الله، وأي كمال هذا يا عباد الله؟!] فوق ما نتصور أو ندرك، ويحمل له على بعيرين، ما عفا عنه فقط، وكذلك ما ضربه.
ومن الأحداث الدالة على كمال خلقه صلى الله عليه وسلم كمال حلمه أيضاً: قال: [خامساً: لم يثبت أنه صلى الله عليه وسلم انتصر لنفسه من مظلمة ظلمها قط] أي: ما ثبت في الحديث الصحيح ولا الضعيف أنه انتصر لنفسه في مظلمة ظلمها [ولا ضرب خادمًا ولا امرأة قط] وقد كان معه تسع نسوة، وما ضرب خادماً، قال أنس : [عشر سنين وأنا أخدمه ما قال لي لشيء تركته: لم تركته، ولا لشيء فعلته: لم فعلته].
لم يثبت قط أنه انتصر لنفسه من مظلمة ظلمها قط، ولا ضرب خادماً ولا امرأة قط.
قال: [بهذا أخبرت عائشة رضي الله عنها] و عائشة الذي لا يحبها لا أحبه الله ولا رسوله، ولا دخل الجنة دار السلام، هذه بنت أبي بكر الصديق ، هذه أم المؤمنين.
نزل القرآن ببراءتها من تلك التهمة الشيطانية في ثلاثين آية وختمت: وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ [النور:26]، فهل تكون للرسول زوجة غير طيبة، ويبقى الغافلون والهابطون والمقلدون والضلال إلى الآن يكرهونها وينتقدونها ويطعنون بها، ويزعمون أنهم مسلمون، أيبرؤها الله بنيف وثلاثين آية.
والله إننا لنحبها ونحن أطفال نلعب، ورأيتها في بستاننا وأنا أحبها وأنا طفل، فأحبوها أنتم.
فهذه حِب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبنت حِبه.
قال: [فقالت] أي: عائشة [(ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرًا من مظلمة ظلمها قط، ما لم تكن حرمة من محارم الله)] أما إذا أوذي في دينه فلا يسكت، أما في ماله، وفي جسمه، وفي عرضه فلا يبالي أبداً، لكن إذا أوذي في دينه . في الإسلام، فلا يرضى بالسكوت.
قال: [(وما ضرب بيده شيئاً قط إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما ضرب خادمًا قط ولا امرأة)] والذي أخبر بهذا عائشة وقد جاءت مهاجرة وتزوجها الرسول في السنة التاسعة من عمرها وعاشت معه حتى توفي، وهي التي تخبر بهذا.
قال: [خامساً: وجاءه زيد بن سعنة] يهودي من يهود المدينة [أحد أحبار اليهود بالمدينة] أي: من علماء اليهود [جاءه يتقاضاه دينًا له على النبي صلى الله عليه وسلم] له على الرسول صلى الله عليه وسلم دين استدانه منه [فجذب ثوبه من منكبه وأخذ بمجامع ثيابه وقال مغلظاً القول: إنكم يا بني عبد المطلب مطل] أي: لا تسددوا الدين، وهذا كافر لا يلام [فانتهره عمر وشدد له في القول، والنبي صلى الله عليه وسلم يبتسم، وقال صلى الله عليه وسلم: (أنا وهو كنا إلى غير هذا أحوج منك يا عمر)] أنا وهو كنا أحوج من هذا الذي قلته يا عمر ، من هذا الغضب [(تأمرني بحسن القضاء، وتأمره بحسن التقاضي)] هذا المفروض، كان المفروض منك يا عمر أن لا تغضب من اليهودي، بل تأمره بحسن التقاضي، وتأمرني بحسن القضاء، وليس بالغضب والصياح والشدة.
قال: [ثم قال: لقد بقي من أجله ثلاث] ثلاثة أيام أو ثلاث دراهم [وأمر عمر أن يقضيه ماله ويزيده عشرين صاعاً لما روعه] سدد يا عمر الباقي علينا ثلاثة دنانير أو دراهم، وزده عشرين صاعاً مقابل أنك خوفته؛ لأن عمر انتهره وأراد أن يبطش به [فكان هذا سبب إسلامه فأسلم] فقد أسلم اليهودي عندما شاهد من الكمال المحمدي، ولام عمر وعاتبه، وبين له ماذا ينبغي أن يقول له ولليهودي كذلك، ثم سدد له دينه وزاده عشرين صاعاً فأسلم اليهودي.
قال: [وكان قبل ذلك] أي: هذا اليهودي [يقول: ما بقي من علامات النبوة شيء إلا عرفته في محمد صلى الله عليه وسلم إلا اثنتين] أي: ما من علامة من علامات النبوة إلا رأيتها من محمد إلا علامتين ما وجدتهما بعد [لم أخبرهما: يسبق حلمه جهله، ولا تزيده شدة الجهل إلا حلماً] هاتان الصفتان: يسبق حلمه جهله، والثانية: لا تزيده شدة الجهل إلا حلماً [فاختبره بهذه الحادثة فوجده كما وصف] فاليهودي جاء ليمتحن فنجح؛ لأنه أراد الإسلام.
قال: [هذه قطرة من بحر الحلم المحمدي تذهب ظمأ من أراد أن يتحلى بالحلم ويتجمل به].
اللهم! اجعلنا منهم.
إن شاء الله تعودون إلى بيوتكم، وتمتحنون مع نساءكم وأطفالكم، مع زملائكم، يتجلى الحلم إن شاء الله.

العفو المحمدي

قال: [العفو المحمدي] ذاك الكرم والحلم، والآن نتكلم عن العفو والصفح وعدم المؤاخذة.
قال: [إن العفو هو ترك المؤاخذة عند القدرة على الأخذ من المسيء المبطل] هذا تعريف العفو [وهو من خلال الكمال، وصفات الجمال الخلقي، أمر الله تعالى به رسوله صلى الله عليه وسلم في قوله: خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ [الأعراف:199]] وقد تقدم بيان هذا.

قال: [(وسأل صلى الله عليه وسلم جبريل عن معنى هذه الآية)] الرسول صلى الله عليه وسلم سأل جبريل عن معنى هذه الآية: خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ [الأعراف:199] [(فقال له)] أي: جبريل [(حتى أسأل العليم الحكيم)] أي: ما عندي ما أقول أنا حتى أسأل العليم الحكيم جل جلاله وعظم سلطانه [(ثم أتاه)] بعدما سأل [(فقال: يا محمد! إن الله يأمرك أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك)] والأخلاق كلها في هذه الآية.

فجبريل عليه السلام سأل الله عن معنى هذه الآية؛ لأن الرسول طلب ذلك منه، فأجابه وقال: (يا محمد!) هذا اسمه العلم (إن الله يأمرك أن تصل من قطعك) فالذي قطعك صله أنت وارتبط به، ولا تزيد القطع قطعاً (وتعطي من حرمك) والذي حرمك مرة من المرات وما أعطاك لا تحرمه أنت، فأعطه (وتعفو عمن ظلمك) فمن ظلمك اعف عنه ولا تؤاخذه.

هذا معنى: خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ [الأعراف:199].

أمثلة على عفوه صلى الله عليه وسلم

قال: [وامتثل رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر ربه فكان مضرب المثل في الخصال الثلاث: في صلة من قطعه، وإعطاء من حرمه، والعفو عمن ظلمه، وفي الأمثلة الآتية شاهد ذلك ودليله].

والمثال الأول: [قالت عائشة رضي الله عنها: (ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً)] أي: ما خير بين شيئين إلا اختار السهل، ما لم يكن إثماً، فإذا كان معصية لله فلا، ففي الأمور التي ليست فيها معصية لله عز وجل، ما خير بين شيئين إلا اختار أسهلهما.

وإن شاء الله نكون على هذا.

قوله: [(ما خير بين شيئين إلا اختار أيسرهما)] مثل أن تقول لك الزوجة: عندنا الليلة فقط جبنة وكأس حليب، وإن شئت الآن أطبخ لك اللحم وأشويه، فتختار أيسرهما.

كذلك إذا خيرت بين سيارتين هذه تويوتا والأخرى مرسيدس تأتي غداً، فتختار السهل: (ما خير بين شيئين إلا اختار أيسرهما) هذا هو الكمال المحمدي، وأتباعه مثله صلى الله عليه وسلم.

قال: [(فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه)] ولا يقربه أبداً [(وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله تعالى فينتقم لله بها)] كما سبق، فالذي يتعلق بماله . ببدنه . بعرضه لا يؤاخذ، لكن إذا كان يتعلق بدين الله لا يسكت عنه يغضب وينتقد.

قال: [ثانياً: تصدى له غورث بن الحارث ليفتك به صلى الله عليه وسلم] غورث بن الحارث من أهل الحجاز أو من أهل نجد، تصدى له ليفتك به صلى الله عليه وسلم [ورسول الله مطرح تحت شجرة وحده قائلاً] أي: في القيلولة [وأصحابه قائلون كذلك] أي: نائمون، ففي طريقهم إلى غزوة من الغزوات جاء وقت القيلولة، فذهب الرسول صلى الله عليه وسلم إلى شجرة فيها ظل واطرح تحتها، والأصحاب كذلك، فجاء غورث هذا يريد أن يفتك بالرسول صلى الله عليه وسلم.

قال: [وذلك في غزاة] من الغزوات [فلم ينتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا و غورث قائم على رأسه، والسيف مصلت في يده] كان الرسول نائماً فما انتبه إلا و غورث واقف والسيف يلوح بيديه [وقال] أي: غورث [من يمنعك مني؟] فالسيف في يده والرسول نائم على الأرض [فقال صلى الله عليه وسلم: (الله.

فسقط السيف من يد غورث)] فانهار الرجل انهياراً كاملاً، وسقط السيف من يد غورث [(فأخذه النبي صلى الله عليه وسلم وقال: من يمنعك؟)] يا غورث مني، هذه مقابل تلك [(قال غورث : كن خير آخذ.

فتركه وعفا عنه)] عجيب هذا الأعرابي! الآن لك الحق أن تأخذ لكن كن خير آخذ، اصفعني ولا تقتلني مثلاً [فعاد إلى قومه فقال: جئتكم من عند خير الناس، فهكذا كان العفو المحمدي].

إي والله! كان خير الناس.

قال: [ثالثاً: لما دخل المسجد الحرام] أي: مسجد مكة والبلد الأمين، وذلك عام الفتح سنة ثمان من الهجرة [صبيحة الفتح] فتح مكة [ووجد رجالات قريش جالسين مطأطئ الرءوس ينتظرون حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاتح فيهم] وأنتم ترون هذه التصرفات مئات المرات، فأيام بداية الاستقلالات يقوم الثوار الذين أخرجوا إيطاليا وفرنسا ويبدءون ينتقمون من بعضهم البعض، ولا يسمحون لأحد، هذا عميل، هذا ذنب، هذا كان كذا، فيفتكون بهم، والرسول الكريم قال: (اذهبوا فأنتم الطلقاء)، مع ما فعلوا، فقد قتلوا وذبحوا، ذبحوا حمزة وقتلوه، فلنستمع ونبكي.

قال: [فقال: (يا معشر قريش! ما تظنون أني فاعل بكم؟ قالوا: أخ كريم وابن أخ كريم.

قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء)، فعفا عنهم بعد ما ارتكبوا من الجرائم ضده وضد أصحابه ما لا يقادر قدره، ولا يحصى عده، ومع هذا فقد عفا عنهم ولم يعنف، ولم يضرب، ولم يقتل، فصلى الله عليه وآله وصحبه وسلم].

هل نستطيع أن نقف هذا الموقف؟! آباؤكم ما استطاعوا!، وأنتم لو تجربونها لا تستطيعون، إلا إذا جلستم في حجور الصالحين، وتعلمتم كتاب الله وهدي رسوله، وتخلقتم من صباكم بتلك الأخلاق.

قال: [رابعاً: سَحَره لبيد بن الأعصم اليهودي وقد نزل الوحي بذلك، فعفا عنه] سحره هذا اليهودي لبيد بن الأعصم ونزل الوحي بذلك، وقال: امشوا إلى البئر الفلاني وخذوا السحر فهو موجود فيه [ولم يؤاخذه، بل لم يثبت أنه لامه أو عاتبه مجرد لوم أو عتاب، فضلاً عن المؤاخذة والعقاب.

فكان موقفه هذا مظهرًا من مظاهر العفو المحمدي في أجلى صوره، وأبهى مظاهره فصلى الله عليه وسلم ما عفا عافٍ وأخذ مؤاخذ إلى يوم الدين.

خامساً: تآمر عليه المنافقون وهو في طريق عودته من تبوك إلى المدينة] تآمر عليه بعض المنافقين وهو عائد من تبوك إلى المدينة وأرادوا قتله في مكان ضيق [تآمروا عليه ليقتلوه، وعلم بهم، وقيل له فيهم فعفا عنهم، وقال: (لا يُتحدث أن محمداً يقتل أصحابه)] أي: لا نقتلهم، فيتحدث الناس يقولون: محمد يقتل أصحابه، ولكن قتلهم الله، ما وصل منهم واحد إلى المدينة فقد أصيبوا بجراح في ظهورهم، وهو ما يعرف بالدبلة، والدبلة خاتم عند الجاهلين يلبسه العريس والعروسة ويقولون لها: إياك إذا نزعتيه تطلقين، وإذا نزعته أنت تسوء العشرة، وهو سحر باطل من النصارى.

قال: [سادساً: جاءه رجل يريد قتله، فاكتشف أمره، وظهرت حاله] والسيف تحته [فقال له أصحابه: إن هذا جاء يريد قتلك] يا رسول الله [فاضطرب الرجل من شدة الخوف وفزع، فقال له: (لن تراع، لن تراع)] لا إله إلا الله، لن تخوف، لن تخوف [(ولو أردت ذلك -أي قتلي- لم تسلّط علي) لأن الله أعلمه بعصمته له من الناس] وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ [المائدة:67] [فعفا عنه صلى الله عليه وسلم وقد أراد قتله، فلم يؤاخذه بل لم يعاقبه، فصلى الله عليه وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيرًا].

معاشر المستمعين والمستمعات! نريد أن يرانا الله نتخلق ببعض هذه الأخلاق، فنذكرها الليلة ونذكرها طوال حياتنا.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وسلم.

كان صلى الله عليه وسلم شجاعاً مقداماً قوي القلب، لا يرهب عدواً، ولا يتلكأ عند مواجهة الخطر، وشواهد هذا كثيرة؛ منها ما وقع في أحد حين تفرق الصحابة بعد أن بغتهم خالد بن الوليد من فوق جبل الرماة، ومنها ما حصل في حنين يوم أن تلقى جيش المسلمين وابلاً من السهام فتفرق الجيش عن رسول الله، وبقي يقاتل وحده مع نفر قليل من أصحابه، إلى أن عاد المسلمون من جديد وكروا على عدوهم حتى فتح الله عليهم.

الشجاعة المحمدية

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.
أما بعد: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.
وقد انتهى بنا الدرس إلى الأخلاق المحمدية، والصفات النبوية الكاملة، وها نحن نواليها خلقاً بعد خلق، وانتهى بنا الدرس إلى خلق: [الشجاعة المحمدية].
قال: [إن الشجاعة خلق فاضل] اللهم ارزقنا هذا الخلق الفاضل [ووصف كريم] أي: فلان شجاع [وخلة] خصلة من الخصال [شريفة] عالية [لا سيما إذا كانت في العقل كما هي في القلب] فشجاعة القلب غير شجاعة العقل، وشجاعة القلب كشجاعة الأسود الضواري، وشجاعة العقل كشجاعة النبي صلى الله عليه وسلم.
قال: [وكان صاحبها من أهل الإيمان والعلم] بهذا الشرط، شجاعة مع العلم .. مع العقل .. مع الإيمان الصحيح، إيمان وعلم وشجاعة قلبية وعقلية، وهذه كلها اجتمعت في الحبيب صلى الله عليه وسلم.
قال: [والشجاعة في القلب عدم الخوف مما يخاف عادةً] معنى الشجاعة في القلب أن صاحب هذه الشجاعة لا يخاف مما يخاف منه عادة عند الناس [والإقدام على دفع ما يخاف منه بقوة وحزم] فهذه الشجاعة في القلب.
قال: [وفي العقل المضاء فيما هو الرأي وعدم النظر إلى عاقبة الأمر متى ظهر أنه الحق والمعروف] فالشجاعة في العقل معناها المضاء والسير بقوة فيما هو الرأي وعدم النظر إلى عاقبة الأمر متى ظهر أنه الحق والمعروف، فيقدم ولا يتأخر.
قال: [وقد كان الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم أشجع إنسان على الإطلاق] بلا استثناء [فلم تكتحل عين الوجود بمثله صلى الله عليه وسلم] قط، فلم تر الدنيا أشجع من رسول الله صلى الله عليه وسلم.
[ومن أدلة ذلك] ومن أدلة هذا الحكم الذي حكمنا به، وهو أنه أشجع الخلق مطلقاً: [تكليف الله تعالى له بأن يقاتل وحده] فهذه الأمة بالملايين واختار الله واحداً وكلفه أن يقاتل وحده، لعلمه بأنه أشجعها.
فالدليل على أن الله كلفه بأن يقاتل وحده: [قوله تعالى: فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ [النساء:84]]، فقاتل في سبيل الله لا تكلف أحداً إلا نفسك، من أراد أن يقاتل معك فليقاتل، لكن لا تكلف أحداً تقل: قاتل معي، ولولا علم الله بشجاعته وهو خالقها وواهبها ومعطيها ما كان يكلفه بهذا التكليف، والآية ظاهرة المعنى قوية الدلالة فيما نقول: فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ [النساء:84]، أي: على القتال.

مواجهة النبي للأخطار ومبادرته إليها قبل غيره

قال: [فزع أهل المدينة] والله هذه في المدينة، وقد كنا نتحرق أن نراها فقط، وها نحن فيها فالحمد لله [ليلة] أي: من الليالي [فانطلق ناس قبل الصوت] أي: يجرون [فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعاً قد سبقهم إلى الصوت، واستبرأ الخبر على فرس لأبي طلحة عُري والسيف في عنقه وهو يقول: (لن تراعوا).
في هذه يقول أنس بن مالك كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس، وقص هذه القصة].
إذاً فزع أهل المدينة ليلة لصوت سمعوه أن العدو قد داهمهم، فانطلقوا قبل الصوت، فتلقاهم رسول الله راجعاً، قد وصل إلى العدو قبلهم وشرده ورجع، وكان على فرس لأبي طلحة ليس عليه لا سرج ولا عري، والسيف في عنقه وهو يقول: (لن تراعوا .. لن تراعوا .. لن تراعوا).
وفي هذه القصة يقول أنس بن مالك خادم النبي صلى الله عليه وسلم: كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس، ويقص هذه القصة.
قال: [شهادة عمران بن حصين رضي الله عنهما]، من عمران بن حصين هذا؟ لما جاء حصين إلى مكة ليسلم، والرسول في مكة، قال له: (يا حصين ! كم إلهاً تعبد؟ فقال: سبعة)، أي: سبعة آلهة؟ لأنهم يتخذون تماثيل ويضعونها، واحد في المنعطف وآخر في الوادي وواحد في الجبل وواحد في خيمته، قال: (واحداً في السماء وستة في الأرض.
قال: من لرهبتك ورغبتك يا حصين ؟ قال: الذي في السماء.
قال: إذاً فاعبد الذي في السماء واترك الذين في الأرض)، هذا درس من أعجب الدروس: (يا حصين كم إلهاً تعبد؟ قال سبعة.

قال: من لرهبتك ورغبتك من هذه الآلهة؟) أي إله منها ترغب أن يعطيك، وترهب منه إذا أنت خالفته ولم تطعه؟ (قال: الذي في السماء. قال: إذاً اعبد الذي في السماء واترك الذين في الأرض).
فإن قيل: يا شيخ! جماعتنا يعبدون الأولياء في القبور، والله لا يخافونهم ولا يرهبونهم، فقط الشياطين تدفعهم لا رغبة ولا رهبة، ولو وقفت أمام ضريح تنادي خمسين ساعة . خمسين يوماً والله ما تسمع صوتك، ولو كان الجوع يمزقك والله ما امتد إليك ربع قرص، ومع هذا تجد من يقول: يا سيدي فلان . ويتمرغ عليه ويذبح له الذبيحة و.. و.. عرفتم ضعف البشر! فحصين كان يعبد سبعة وما اكتفى بواحد، فجاء للحبيب الحكيم صلى الله عليه وسلم، فسأله سؤال المنطق والعقل: (كم إلهاً تعبد يا حصين ؟ قال: أعبد سبعة) لي سبعة آلهة، واحد في السماء وستة في الأرض (قال: من لرغبتك ورهبتك؟) أي: من هو الذي تخافه وتطمع فيه أن يقضي حوائجك؟ (قال: الذي في السماء)، أما الذين في الأرض فهي أصنام يكسرها بفأسه (قال: إذاً: اعبد الذي في السماء واترك الذين في الأرض).
ما ننسى هذه الكلمة الطيبة، هذا الحكيم صلى الله عليه وسلم: (اعبد الذي في السماء واترك الذين في الأرض).
أما ولده عمران فاستقام حتى كانت الملائكة تسلم عليه وهو جالس في المسجد، بل كانت تصافحه.
ولما اختل ذلك اليقين وضعف بعض الشيء ما أصبحت الملائكة تصافحه، لأنه أصيب بمرض يسمى البواسير، فاضطر إلى العلاج، فلما عالج ابتعدت عنه الملائكة؛ لأن من هذه الأمة سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب، وهم الذين لا يتداوون ولا يسترقون ولا يتطيرون، فكان عمران واحداً منهم ثم خرج منهم رضي الله عنه.
قال: [شهادة عمران بن حصين رضي الله عنهما إذ قال وهو صادق: ما لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم كتيبة إلا كان أول من يضرب] أي: ما لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم كتيبة إلا كان أول من يضرب العدو فيقدم ويتقدم أصحابه.
قال المؤلف غفر الله له ولكم ورحمه وإياكم: [كانت تلك شواهد شجاعته القلبية، أما شجاعته العقلية فنكتفي فيها بشاهد واحد، فإنه يكفي عن ألف شاهد ويزيد]، فما تقدم من الأمثلة كانت مع شجاعة القلب، وأما شجاعة العقل ففيها مثال واحد يكفي أحسن من عشرين مثال.
قال: [وهو] أي: هذا الشاهد [موقفه من تعنت سهيل بن عمرو ، وهو يملي وثيقة صلح الحديبية] أما صلح الحديبية فقد كان في السنة السادسة من الهجرة؛ لأن المشركين انهزموا في سلع أو غزوة الخندق، فقال الرسول: (الآن نغزوهم ولا يغزوننا)، ففي السنة السادسة أمر رجاله وقدرهم ألف وأربعمائة أن يأتوا مكة معتمرين فقط؛ لأن الله نصرهم في المدينة في غزوة الخندق والمشركون ذهلوا، فخرج، وما إن سمعت قريش بخروجه حتى أعدت جيشها لاستقباله، وهو صلى الله عليه وسلم ما خرج للقتال.
فصدرت سفارة بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين قريش في مكان يسمى الحديبية، وهو موجود إلى الآن، وتمت مصالحة على أن تدوم عشر سنين، وكان سهيل بن عمرو قبل أن يسلم رضي الله عنه يمثل قريشاً في الجاهلية، وكان من رجالات السياسة، فالرسول يملي والكاتب يكتب، واسمع ماذا كان.
قال: [إذ تنازل صلى الله عليه وسلم عن كلمة بسم الله إلى باسمك اللهم] فلما قال الرسول صلى الله عليه وسلم: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم، قال سهيل : ما نعرف الله الرحمن الرحيم، اكتب باسمك اللهم فقط، فهذه الكلمات ما نعنيها ولا نعرفها، اكتب باسمك اللهم، وتنازل رسول الله لشجاعته العقلية وكتب، فهو يريد أن يؤمن المسلمين عشر سنوات، وهم محاصرون في بيوتهم، ويريدهم أن يتنفسوا ويخرجوا للتجارة والدعوة.
قال: [وعن كلمة محمد رسول الله إلى كلمة محمد بن عبد الله] قال الرسول صلى الله عليه وسلم: اكتب: هذا ما عاهد عليه محمد رسول الله، قال ممثل قريش: ما نعرف أنك رسول الله، ولا نؤمن بك، فلو آمنا أنك رسول لم نقاتلك؟ اكتب محمد بن عبد الله.
فخضع لهذا وتنازل عن كلمة رسول الله.
هذه شجاعة عقلية فقد عرف ماذا ينتج عن هذا الصلح من فائدة، وإن نالوا منه منالاً لا قيمة له، فهو رسول الله أحبوا أم كرهوا، وبسم الله الرحمن الرحيم أحبوا أم كرهوا، لكن دفعاً لخطر فشل المعاهدة تنازل عن هاتين الكلمتين.
والآن لو زعيماً من زعيمكم يقول كلمة كهذه فإنكم تكفرونه كيف يتنازل عن هذه كلمة؟! فإن قيل: هذا سياسي يريد أن ينقذكم.
قلتم: لا، هذا كافر!! وكل هذا ناتج عن ضعف العقول وعدم البصيرة، فأين المعرفة والأمة جاهلة.
قال: [وقد استشاط أصحابه غيظاً، وبلغ الغضب حداً لا مزيد عليه، وهو صابر ثابت حتى انتهت الكتابة، وكانت بعد أيام فتحاً مبيناً، فضرب صلى الله عليه وسلم بذلك المثل الأعلى في الشجاعتين القلبية والعقلية، مع بعد النظر وأصالة الرأي وإصابته، فصلى الله عليه وسلم ما بقي شجاعة أو جبن في العالمين].
إن شاء الله اكتسبنا شجاعة، وعلى الأقل إذا مرضنا لا نكفر، وإذا جعنا لا نسرق، وإذا أوذينا نصبر ولا نحارب ونقاتل.

مواجهة النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بن خلف وقتله إياه

قال: [وفي أحد -والمعركة دائرة رأى أبي بن خلف لعنه الله النبي صلى الله عليه وسلم، فصاح: أين محمد؟] كان أبي بن خلف طاغية من طغاة مكة ومشركيها، فلما دارت المعركة رأى أبي بن خلف أن يسأل عن النبي أين هو ليقتله [لا نجوت إن نجا]، وليس هناك قوله: إن شاء الله، فهذا كافر ومشرك.
والمعنى: سأهلك أنا إذا نجا هو [وتقدم على فرسه نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعترضه رجال من المسلمين، فقال لهم صلى الله عليه وسلم: (خلوا طريقه)]، أي: دعوه يأتيني ليقتلني، وهذه شجاعة! لكن كيف نتصور هذه الشجاعة؟ فدعوا الطريق لهذا المتعنتر [وتناول الحربة من يد الحارث بن الصمة]، فأخذ الحربة من الحارث بن الصمة .
قال: [وانتفض انتفاضة] هذا رسول الله [تطاير عنه أصحابه] تباعدوا من شدته [تطاير الوبر عن ظهر البعير] يا أهل الإبل [إذا انتفض.

واستقبله بطعنة نجلاء في عنقه، هكذا تدهده منها عن فرسه مراراً وهو يقول: قتلني محمد، فمات منها -بالطعنة- بسرف، وهو عائد إلى مكة مع جيش المشركين].
هذه شجاعة.
هيا نقتدي به أسوتنا: لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ [الأحزاب:21].

شجاعة النبي عند تفرق أصحابه عنه في حنين

قال: [ثالثاً: في حنين حيث انهزم أصحابه وفر رجاله لصعوبة مواجهة العدو، من جراء الكمائن التي نصبها وأوقعهم فيها وهم لا يدرون، بقي وحده صلى الله عليه وسلم في الميدان يطاول ويصاول وهو على بغلته يقول: (أنا النبي لا كذب .

.
أنا ابن عبد المطلب)] وحده، فأي شجاعة أكثر من هذه؛ وأي شجاعة أعظم من هذه؟ لأن المسلمين كاد لهم العدو وأوقعهم في فخ، وقد كان العدو من ثقيف الذين هم شياطين العرب وشجعانهم، ودخل الرسول والمؤمنون الوادي، وهم ماذا فعلوا في ذلك الوادي؟ طوقوه بسلاحهم ورجالهم ورماحهم، وقالوا: إذا توغل المسلمون في الوادي نطبق عليهم مع جيشه، وكان ذلك، فكانت هزيمة، واقرأوا: لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ [التوبة:25]، أي: وضاقت عليكم أنفسكم، فاذكروا هذا يا مسلمون، اذكروا يوم حنين، فهذا يذكر الله به أصحاب رسول الله، فكيف بنا نحن؟! اذكروا يوم حنين ((إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا)) إذ قال أبو سفيان : لن نغلب اليوم من قلة، لن نغلب اليوم من قلة، كما كانت العرب تقول.
عرفتم هذه الآداب الإلهية أو لا؟ أدبنا الله؛ لأنهم تبجحوا قالوا: نحن أكثر من الجيش .
من هذا العدو فلن ننهزم، ولو قالوا: إن شاء الله لنجوا، لكن لا، قالوا: لن نغلب اليوم من قلة! فانهزموا رضوان الله عليهم ولم يبق في الميدان سوى الحبيب صلى الله عليه وسلم، وهو يقول: (أنا النبي لا كذب . أنا ابن عبد المطلب)، وما هي إلا ساعة حتى تراجع رجاله والتفوا حوله، ودارت المعركة من جديد، وانهزم المشركون عن آخرهم، وامتن الله عليهم فقال: لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ [التوبة:25].
قال: [وما زال في المعركة، وهو يقول: (إلي عباد الله، إلي عباد الله)]، فليس هناك مكبرات للصوت، لكن صوته وصل إلى نهاية أطراف الجيش: إلي عباد الله الهاربون الفارون [حتى فاء أصحابه إليه، وعادوا الكرة على العدو فهزموه في ساعة، وما كانت هزيمتهم أول مرة إلا بسبب ذنب ارتكبه بعضهم، وهو قوله: لن نغلب اليوم من قلة؟] لن نغلب اليوم.
ولو قالوا: إن شاء الله لكان رقعها، لكن قالوا: لن نغلب اليوم من قلة [إذ هذا القول كان عجباً، والعجب حرام]، بل هو من كبائر الذنوب والعياذ بالله، فيعجب بالنفس والمال والدولة والسلطان، وينسى الرحمن الذي بيده كل شيء.
قال: [وقد ذكرهم تعالى به في كتابه إذ قال تعالى من سورة التوبة: لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ [التوبة:25] الآية].
لكن لم المسلمون ما يقرءون هذا القرآن؟ فيأتي الجواب: يا شيخ! يقرءونه على الموتى فقط، أما أن يجتمعوا هكذا عليه ويقرءون لا أبداً، ما هو معقول، هم مشغولون بدنياهم، وسر ذلك لتبقى آيات الله كما هي: إِنْ تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ [محمد:7]، فلو أقبلوا على الله ووحدوا كلمتهم: لا إله إلا الله، ورايتهم وإمامهم، وقالوا: الله أكبر، لارتج الكون تحت أقدامهم، ولكن العدو الثالوث الأسود نفخ فيهم روح الموت والخراب والدمار عن طريق: الشرك، الخرافة، الانقسامات، الوطنيات، التحزبات، المذاهب، وكيف تجتمع هذه الأمة، وأنى لها؟ ولهذا تبقى ذليلة منكسرة مهانة للشرق والغرب، حتى يجمعها الله عز وجل.

حكاية علي رضي الله عنه لموقف النبي صلى الله عليه وسلم في أحد

قال: [ومن أدلة شجاعته صلى الله عليه وسلم ومظاهرها ما يلي: أولاً: شهادة الشجعان الأبطال له بذلك] أي: اعتراف الأبطال الشجعان له للنبي صلى الله عليه وسلم بأنه أشجع الخلق [فقد قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكان من أبطال الرجال وشجعانهم بلا مراء] ولا أظن أحداً يشك في هذا قال: (كنا -أيام كنا معه صلى الله عليه وسلم نخوض المعارك في سبيل الله- إذا حمي البأس واحمرت الحدق نتقي برسول الله صلى الله عليه وسلم).
أي: نتقي الضرب والطعان.
وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم.
فهذا علي بن أبي طالب من أبطال الرجال بلا نزاع، قال: كنا إذا اشتدت الحرب نلوذ برسول الله صلى الله عليه وسلم ونختفي وراءه حتى يدفع عنا.
وهل بعد هذا شجاعة؟! قال: [ثانياً: موقفه البطولي الخارق للعادة في أحد حيث فر الكماة، ووجم الأبطال، وذهل عن أنفسهم الشجعان، ووقف محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم كالجبل الأشم حتى لاذ به أصحابه، والتفوا حوله] وهذا دليل كالشمس في وضوحه.
إذاً من أدلة شجاعة الحبيب صلى الله عليه وسلم، وهيا نقتدي به في ذلك: [موقفه البطولي الخارق للعادة في أحد] أي: في جبل أحد، حيث دارت المعركة هناك [حيث فر الكماة، ووجم الأبطال، وذهل عن أنفسهم الشجعان، ووقف محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم كالجبل

الأشم حتى لاذ به أصحابه، والتفوا حوله وقاتلوا حتى انجلت المعركة بعد قتال مرير وهزيمة نكراء حلت بالقوم؛ لمخالفة أمره صلى الله عليه وسلم].
فهزيمة أحد لا مثيل لها، وسببها معصية رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما جاءت جيوش المشركين ونزلوا وعرف الرسول صلى الله عليه وسلم خروجهم، خرج برجاله، وفي أثناء المسير رجع ثلاثمائة من المنافقين، وعلى رأسهم ابن أبي عليه لعائن الله، ومشى الرسول في سبعمائة، ووضع على جبل الرماة ثلاثين رامياً أو أكثر، وقال لهم: الزموا أماكنكم كيفما كانت الحال، انتصرنا أو انهزمنا، فهذه أماكنكم لا تفارقونها، واضربوا العدو وارموه بها، وأقدم الرسول القائد صلى الله عليه وسلم وأقدم قومه، وما هي إلا ساعة وقد انهزم المشركون فارين هاربين، وكانوا قرابة ثلاثة آلاف، فلما رأى الرماة هزيمة المشركين وشاهدوا الأصحاب يجمعون الغنائم، قالوا: ما الفائدة في بقاءنا هنا، فإن العدو قد انكسر وانهزم، فهيا ننزل ونأخذ كما يأخذ أصحابنا، ومع الأسف كان على رأس الخيل قائدها خالد بن الوليد تابع للمشركين، فما إن رأى خالد أن الجبل قد فرغ وأن أهله قد نزلوا إلا القليل منهم، حتى استولى على الجبل، ثم أوقعوا المسلمين بين شدقي الأسد، فكانت هزيمة، وتجلت هنا الشجاعة المحمدية، فلاذوا به والتفوا حوله.
ولعل أكثر السامعين ما تفطنوا! أقول: لقد انهزم جيش رسول الله لمعصية واحدة، وهي أن الرماة الذين ألزمهم بالبقاء في الجبل لما شاهدوا الفرح والنصر هبطوا عصاة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكان سبباً للهزيمة، فكيف إذاً بجيوشنا لو نقاتل اليهود.
فإن قيل: يا شيخ! لقد قاتلناهم وانهزمنا عشرات المرات، أقول: لماذا؟ لأن النصر بيد الله، والله يضعه حيث شاء، وكيف يؤدب عباده وأولياءه إذا لم يؤدبه بمثل هذه الضربات ليفيقوا ويعودوا إلى رشدهم، واسمعوا وبلغوا، لقد تكرر هذا القول من هذا المكان، أن من لطف الله، ومن تدبير الله، ومن إحسان الله إلى أمة الإسلام، أن هزم العرب في قتالهم مع اليهود؛ لأنه يا عقلاء! لو انتصر العرب ويومها كان شعارات العروبة والاشتراكية عالية، وكانت كلمة الإسلام مهزومة، فلو انتصروا على ذلك الحال، لأصبح المسلم أذل من الشاة عندهم.
والذي يكلمكم على علم، والله العظيم، كيف قاتل العرب اليهود؟ هل قاتلوهم وهم يقيمون الصلاة ويجبون الزكاة ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر؟! كلا والله، إنما قاتلوهم وهم على أبشع صورة من الفسق، وأعظم من ذلك أنه لم تكن الروح إسلامية، بل كانت قومية . وطنية . اشتراكية، فلهذا من رحمة الله بنا هزمنا ليبقى الإسلام ويبقى أهله إلى ما شاء الله عز وجل.
وإن قلت: كيف؟ نحن نقول: انهزم جيش رسول الله وهو معه القائد الأعظم، وكانت هزيمة نكراء -راجعوها في سورة آل عمران من أولها إلى آخرها- وسببها معصية واحدة تتعلق بالقتال.

الصبر المحمدي

قال: [الصبر المحمدي].
يقول: [إن الصبر] ما هو الصبر؟ قال: [وهو حبس النفس على طاعة الله تعالى حتى لا تفارقها] أي: حتى لا تفارق النفس الطاعة أبداً [وعن معصية الله تعالى حتى لا تقارفها] فمن الصبر حبس النفس على الطاعة حتى لا تتركها، وعن المعصية حتى لا تقارفها أو تأتيها أو تفعلها [وعلى قضاء الله تعالى حتى لا تجزع له ولا تسخط عليه] فإذا قضى الله على عبده بما شاء في ماله . في بدنه . فيجب أن لا يظهر جزعاً لله وسخطاً، بل يصبر ويحتسب ويقول: إنا لله وإنا إليه راجعون.
قال: [هذا هو الصبر في مواطنه الثلاثة، وهو خلق من أشرف الأخلاق وأسماها، وهو خلق مكتسب] أي: يحصل عليه طالبه بالطلب [يحمل العاقل عليه نفسه، ويروضها شيئاً فشيئاً حتى يصبح الصبر ملكة لها ثابتة عفواً بدون طلب] أي: أن الصبر خلق عظيم يكتسب، ولا يأتي بلا طلب، بل تطلبه وتمرن نفسك وتروضها يوماً بعد يوم حتى تصبح ذا صبر.
قال: [يدل على ذلك أمره تعالى رسوله به في غير موطن من كتابه العزيز؛ وذلك كقوله تعالى: فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ [الأحقاف:35]]، فيمرنه ويروضه ويعوده.
قال: [وقوله: وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ [النحل:127]، وقوله في أمر كافة المؤمنين به: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ [آل عمران:200]].
هذه أوامر الله في الصبر.

ذكر بعض المواقف التي تتجلى فيها مظاهر الصبر عند النبي صلى الله عليه وسلم

قال: [وقد صبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وصابر طيلة عهد إبلاغ رسالته الذي دام ثلاثاً وعشرين سنة] أي: صبر وصابر طيلة عهد إبلاغ رسالته؛ ذاك العهد الذي دام ثلاثاً وعشرين سنة، منها ثلاث عشرة في مكة وعشرة في المدينة [فلم يجزع يوماً، ولم يتخل عن دعوته وإبلاغ رسالته حتى بلغ بها الآفاق التي شاء الله تعالى أن تبلغها، وباستعراضنا المواقف التالية تتجلى لنا حقيقة الصبر المحمدي الذي هو فيه أسوة؛ أسوة كل مؤمن ومؤمنة في معترك هذه الحياة].
فهيا نستعرض هذا ونكتسب إن شاء الله.
قال: [أولاً: صبره صلى الله عليه وسلم على أذى قريش طيلة ما هو بين ظهرانيها بمكة، فقد ضربوه، وألقوا سلى الجزور على ظهره، وحاصروه ثلاث سنوات مع بني هاشم في شعب أبي طالب ، وحكموا عليه بالإعدام، وبعثوا رجالهم لتنفيذه فيه، إلا أن الله سلمه وعصم دمه؛ كل هذا لم يرده عن دعوته، ولم يثن عزمه عن بيانها وعرضها على القريب والبعيد].
هكذا كان يصبر.

قال: [ثانياً: صبره عام الحزن] أي عام الحزن هذا؟ قال: [حيث ماتت خديجة الزوجة الحنون، ومات العم الحاني الحامي المدافع أبو طالب ، فلم تفت هذه الرزايا من عزمه، ولم توهن من قدرته؟ إذ قابل ذلك بصبر لم يعرف له في تاريخ الأبطال مثل ولا نظير].
لقد كانت خديجة رضي الله عنها تحتضنه وتطعمه وتسقيه في بيتها، فهي زوجته، أما عمه أبو طالب فكان كالأسد، لا يسمح لأحد أن يؤذيه بأي أذى، فلما مات ضربوه وفعلوا به الأعاجيب، وصبر على هذه المصيبة صبر الأبطال.
قال: [ثالثاً: صبره في كافة حروبه؛ في بدر، وفي أحد، وفي الخندق، وفي الفتح، وفي حنين، وفي الطائف، وفي تبوك، فلم يجبن ولم ينهزم، ولم يفشل، ولم يكل ولم يمل حتى خاض حروباً عدة، وقاد سرايا عديدة، فقد عاش من غزوة إلى أخرى طيلة عشر سنوات، فأي صبر أعظم من هذا الصبر؟] عشر سنين والحرب دائرة، ثم حربه الحكيمة! سلوني كم قتلى حروب عشر سنوات من المشركين والمؤمنين؟ ألفان وخمسمائة، الآن حرب بين العرب فيما بينهم في يوم واحد: ألفين وخمسمائة يموتون، لعلي واهم، الآن لو تحدث عندنا في ديارنا موجود هذا، آلاف يسقطون يومياً.
قال: [صبره على تآمر اليهود عليه بالمدينة وتحزيبهم الأحزاب لحربه والقضاء عليه صلى الله عليه وسلم وعلى دعوته].
وإليكم بيان ذلك: فاليهود كانوا في المدينة ثلاث قبائل: بنو قينقاع وبنو قريظة وبنو النظير، فتآمروا على قتل النبي صلى الله عليه وسلم، أما بنو قينقاع فقد بادروا بالحرب وهزمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجلاهم إلى الشام، وأما بنو النظير فتآمروا على قتله، فحاربهم وأجلاهم، وأما بنو قريظة فتآمروا على قتله وحربه مع الأحزاب، فطوقهم وهزمهم شر هزيمة، وقتل منهم سبعمائة مقاتل، وقتلوا هنا في هذا المسجد، وصبر صبر الكرام وصبر الأبطال، وكان هو وحده في المدينة والقبائل تحوطه.
قال: [صبره على الجوع الشديد، فقد مات ولم يشبع من خبز شعير مرتين في يوم واحد قط] والله لقد كان يضع الحجر على بطنه ويشدها ليتمالك ويمشي، فلا جزع ولا قال: أنا جائع، ولا قال: أعطني يا فلان، أبداً، وهذا هو الصبر.
قال: [لقد صبر صلى الله عليه وسلم على كل ذلك، فلم يهن ولم تضعف همته، ولم تمس كرامته، ولم يدنس عرضه، ولو أوذي غيره بمعشار ما أوذي أو أصابه من البلايا والرزايا دون ما أصابه لتخلى عن دعوته، وهرب من مسئوليته، ووجد في نفسه مبرراً لذلك، ولكن الله عصمه فصبره وجبره وحماه وقواه؛ ليبلغ عنه رسالته، ويجعله آية للناس في صبره وحكمته وعفوه وكرامته وشجاعته وفي سائر أخلاقه؛ فصلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً].

الأسئلة

لقد أذن لنا أن نجيب عن بعض الأسئلة في هذا الوقت الممكن، فإليكم الأسئلة والإجابة عنها.

حكم استعمال حبوب منع الحيض في شهر رمضان

السؤال: تقول السائلة: ما حكم استعمال حبوب منع الحيض في شهر رمضان؟ الشيخ: السائلة تقول: ما حكم استعمال حبوب منع الحيض في رمضان حتى نواصل الصيام ولا نقطعه؟ الجواب: باجتهاد نقول والله الموفق: من الأفضل لها ومن الخير للمؤمنة أن لا تستعمل الحبوب لتفطر في رمضان، وتقضي خارج رمضان فتحصل على أجرين: الأجر الأول: أطاعت ربها بأن أفطرت لما حاضت، لأنها تثاب على هذه الطاعة.
ثانياً: انسلخ رمضان ودخل شوال أو بعده فقامت تقضي؛ فهذا القضاء تؤجر عليه، فأجرها مضاعف، أما إذا استعملت الحبوب وما حاضت فلها أجر واحد.
ممكن تفهمون هذه؟ أليس الأجر في الطاعة أو لا؟ لقد أمرها الله على لسان رسوله إذا حاضت أن تفطر، فأطاعت وأفطرت فهي مأجورة، ثانياً: انقضى رمضان ودخل شهر آخر لتقضيه فقضت، وصامت ما فاتها، فهي مأجورة، وبذلك يكون قد حصل لها أجران، ولو استعملت الحبوب فما حاضت، فيكون لها أجر واحد.
فلماذا إذاً تفرط في هذا، مع العلم أن هذا الأمر ما كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكل ما في الأمر ورد أن النساء إذا حججن على عهد الأصحاب يستعملن نوعاً من العشب ليوقف الحيض ويمنعه من أجل أن تحج؛ لأنها إذا حاضت وهي حاجة فأين تبقى في مكة، ومن معها؟ وما هناك طائرة ولا باخرة ولا، وكيف ترجع إلى ديارها سنة كاملة؟ فكن يستعملن هذا النبات أو العشب ليحفظ أو ليقي من الحيض فقط، أما في رمضان فلا خطر في هذا أبداً.

حكم الصيام عمن مات وعليه قضاء من رمضان السابق

السؤال: يقول السائل: ماتت أمي وعليها قضاء من رمضان السابق، فهل علي القضاء عنها أم ماذا أفعل؟ الشيخ: يقول السائل: توفيت والدتي وعليها صيام رمضان، فهل أصوم عليها؟ الجواب: إن شئت صمت وإن شئت لم تصم، وإن صمت أجرت وحصل لها هي أيضاً الثواب، أما إلزاماً فلا، أما أنت فليس بملزم.
نعم.

الأفضل لمن كان مسافراً الفطر أم الصوم

السؤال: يقول السائل: أيهما أولى: الفطر أو الصوم في السفر؟ الشيخ: سائل يقول: أيهما أفضل: الصوم أو الإفطار في السفر؟ وأيهما أعظم أجراً؟ الجواب: الفقه في هذه القضية أنه إذا كان السفر يعوقك ويحول بينك وبين مرادك في سفرك فأفطر، واقض صيامك بعد عودتك، وإن كان سفرك لا يعوقه الصيام، فما أنت في حاجة إلى الإفطار، فصومك أفضل من إفطارك لو أفطرت.
مرة ثانية: هل يصوم المسافر أو يفطر؟ الجواب: جائز الصوم وجائز الفطر، لكن نريد الأفضل؟ فنقول: إذا كان السفر تتعب فيه وتعرق وأنت تعمل في واجباتك وعملك، والصيام يضعفك ويعجزك فأفطر أفضل لك من الصيام واقض، وإذا كان صومك لا يؤثر على سفرك، فأنت في الطائرة . في السيارة . في كذا ما عندك أي تعب فالصيام أفضل.

حكم صيام من يخرج من أنفه الدم بغزارة أثناء الصيام

السؤال: السائل يقول: هل خروج الدم من الأنف بغزارة يفطر أم لا؟ وهل يستوجب ذلك إعادة الصيام؟ الجواب: الرعاف وهو الدم الخارج من الأنف، وكذلك الدم الذي يخرج من الدبر، أو يخرج من أي مكان لا يضر الصيام أبداً، ولا علاقة له بالإفطار والصيام، فإذا رعف وسال الدم منه وهو صائم، أو خرج الدم من بطنه كذلك فلا يفسد صومه بالدم خرج من أي مكان.

حكم قراءة القرآن للحاجة وللحائض

السؤال: تقول السائلة: ما حكم قراءة القرآن للحائض؟ الشيخ: ما حكم قراءة القرآن للحاجة؟ السؤال: للحائض.
الشيخ: للحائض؟ الجواب: أولاً: تريد أن تتوسل إلى الله ليقضي حاجتها، فتقرأ له سورة أو سورة أو سوراً وتقول: يا رب! أنا قرأت كلامك وتقربت به إليك فاقض حاجتي، هذه وسيلة مشروعة ومن أحسن الوسائل؛ لأن الله يحب أن يتلى كتابه؛ فأنت تتملقه وتتزلف إليه، كذلك تقرأ سورة البقرة وآل عمران، وتقول: أعطني، فيعطيك إن شاء الله.
أما السؤال وهو: هل الحائض تقرأ القرآن أو لا؟ الجواب: الأفضل لها أن لا تقرأ، بل تذكر الله وتدعوه وتكبر وتهلل ولا تصلي ولا تقرأ القرآن، إلا إذا كان لها سور تحفظها وخافت نسيانها، فرخص بعض أهل الفقه لها في أن تقرأها محافظة على تلك السور حتى لا تنساها بالمرة الواحدة، وما عندنا عن الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه في هذا شيء، وهذه نظرية كثير من أهل الفقه، فإذا كانت تخاف نسيان ما تحفظه فتتعهده حتى لا ينسى، وما عدا ذلك فلا تقرأ القرآن وهي حائض ولا نفساء.

حكم من أتى المسجد والإمام في آخر صلاته

السؤال: يقول السائل: من أتى المسجد والإمام في آخر صلاته، فهل يدخل معه أم ينتظر جماعة أخرى؟ الشيخ: آخر سؤال للأحباب، يقول: يدخل الإنسان المسجد فيجد جماعة صلت، أو بقيت لها ركعة، فهل يدخل معها أو ينتظر جماعة ثانية؟ الجواب: لا يصح جماعتان أو ثلاث في المسجد، بل جماعة واحدة، فإذا دخلت المسجد ووجدتهم في التشهد الأخير، فكبر: الله أكبر، واجلس وتشهد، وإذا سلموا قم وأتمم صلاتك، وكذلك إذا أدركت ركعة؛ لأنه غير مأذون أن نجعل جماعات في المسجد الواحد؛ لأنه عنوان للحزبية والتفرق والعياذ بالله تعالى.
اللهم إلا في حال الضرورة، كأن يأتي مؤمن ويأتي الثاني فما وجد جماعة فيقول له: صل بي، فصل معه.
هذا والله تعالى أسأل أن ينفعنا وإياكم بما ندرس ونسمع.

حكم استعمال السواك أو معجون الأسنان في نهار رمضان

السؤال: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وبعد: السائل الكريم يقول: فضيلة الشيخ! ما حكم استعمال السواك أو معجون الأسنان في نهار رمضان؟ الشيخ: السائل يقول: ما حكم استعمال السواك بعود الأراك أو الفرشة المعروفة، واستعمال أيضاً المعجون؟ الجواب: أما المعجون فلا أحب لمؤمن أن يستعمله، إذ تتسرب أجزاؤه إلى الحلق، فعليك أن تستاك وتستعمل معجونك قبل صلاة الصبح، أي: بعد تسحرك، أو استعمل هذا العجين أو المعجون بعد المغرب، أما وأنت صائم فلا تستعمله، خشية أن جزئيات منه تتسرب إلى حلقك، أما السواك بعود الأراك فهو مستحب ومندوب ومرغب في كل صلاة تصليها وعند كل وضوء، اللهم إلا ما روي عن إمام أهل السنة والجماعة الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله من أنه كان يكرهه، أي: لا يرى الاستياك بعد الزوال، بعد الظهر، يعني: فعند وضوء العصر لا يستاك، للإبقاء على ذلك الخلوف في الفم؛ لأنه ورد وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: (لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك)، والخلوف هو تغير الفم من شدة الجوع وانقطاع الطعام والشراب، فيتغير الفم بالطبيعة والفطرة، وذاك التغير فيه رائحة غير حميدة، فالإبقاء عليه بعد الزوال -يقول أحمد- هذا أحب إلي؛ لأن الله يحب ذلك: (لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك)، وليس بواجب، ولكن مستحب.
نعم.

كان النبي صلى الله عليه وسلم أعدل الناس، فهو نبي العدل، وهو المرسل من ربه بدين العدل، فقد جاء بالعدل في كل شئون الحياة، فما عرض عليه أمر فيه حد من حدود الله إلا أنفذه، دون مراعاة لمقام من طبق فيه الحد أو شرفه أو مكانته بين الناس، ولم تمنعه عداوة الأعداء ولا بغض المبغضين من معاملتهم بالعدل، ثم هو صلى الله عليه وسلم عدل في أكله، وشربه، ومعاملته لأهله، وفي شأنه كله عليه الصلاة والسلام.

العدل المحمدي

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.
أما بعد: فقد انتهى بنا الدرس إلى الأخلاق المحمدية، وها نحن الآن مع [العدل المحمدي] أي: مع العدل الذي كان يعرف به صلى الله عليه وسلم، ولا يشك مؤمن في أنه لن يساويه في هذا الشأن أحد من عباد الله.
قال: [إن العدل خلاف الجور، أمر الله تعالى به في القول والحكم] أي: أمرنا أن نقول العدل، وإذا حكمنا أن نحكم بالعدل [قال تعالى: وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى [الأنعام:152]]، فإذا قلت يا عبد الله، وإذا قلتِ يا أمة الله قولاً فلابد وأن لا تميلي يميناً ولا شمالاً، ولكن العدل العدل، وإذا قال عبد الله قولاً يجب أن لا ينحرف فيه ولا يميل مراعاة لحال من الأحوال، وهذا قول الله تعالى: وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى ، أي: ولو كان الذي تقول له هو فيه من قرابتك.
قال: [وقال تعالى: وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ [النساء:58]]، فلهذا العدل يكون في القول ويكون في الحكم [وعلى العدل قام أمر السماء والأرض، ومن هنا كيف لا يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم عادلاً، وهو القائل: (ثلاثة إجلالهم من إجلال الله تعالى.
وذكر من بينهم: الإمام العادل)، وذكر أن سبعة] من عباد الله [يظلهم الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله، وعدَّ منهم الإمام العادل، وقال: (إن المقسطين على منابر من نور يوم القيامة)] من هم المقسطون؟ العادلون في أقوالهم وأحكامهم [وبين أنهم الذين يعدلون في حكمهم وما ولوا.
ولذا كان صلى الله عليه وسلم عادلاً في قوله وفعله وحكمه، لا يجور ولا يحيف، وكان العدل من أخلاقه وأوصافه اللازمة له صلى الله عليه وسلم، فقد عرف به في الجاهلية قبل الإسلام] أي: عرف النبي صلى الله عليه وسلم بالعدل في الجاهلية قبل الإسلام.
قال: [وهذه مواقف] أي: ننظر إليها ونشاهد كيف كان يعدل صلى الله عليه وسلم [له صلى الله عليه وسلم يتجلى فيها هذا الخلق النبوي الكريم وهي:

عدل النبي في أكله وشربه ووقته

وموقف آخر، قال: [في الطعام والشراب] أي: موقف آخر من مواقف العدل النبوي ولكنه في الطعام والشراب [إذ كان يقول: (ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه)]، أي: لم يملأ الإنسان إناء من الأواني شراً من بطنه؛ لأن البطن وعاء، حيث نرمي فيه القمح والدقيق والماء، فتأملوا هذا الكلام النبوي: (ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه)، أي وعاء تملؤه حتى يفيد ما يضر، لكن شر الأوعية تملؤه هو البطن، فيصاب بالتخمة ثم الهلاك.
ثم قال: [(بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه)]، واللقيمات جمع لقمة، وهذا التصغير للتقليل، فلقيمات يقمن ظهره حتى يستوي ويمشي؛ لأنه لما يكون جائعاً يظهر منحنياً أو واضعاً في صدره شيئاً، فقال: (بحسب ابن آدم) أي: يكفيه (لقيمات يقمن صلبه).
قال: [(فإن كان ولابد فاعلاً)]، وتأملوا قوله: (فإن كان ولابد فاعلاً) أي: يريد أن يملأ بطنه [(فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس)] وجربوا الليلة يا من يريد الأسوة بمحمد صلى الله عليه وسلم، فلما توضع المائدة بين يديه أو السفرة: ثلث للطعام، وثلث للماء، وثلث للنفس، أما كل الوعاء يملأه بالطعام، فأين يكون الماء وكيف يتنفس؟ وهذا الكلام من سيد الأطباء، والله ما عرفت الدنيا أطب منه للعقول والأبدان على حد سواء، فهو يتلقى معارفه من الملكوت الأعلى، وهل يستطيع طبيب ولو يجتمع أطباء العالم بأسرهم أن ينقلوا هذا الخبر؟ والله ما يستطيعون، ولن يقدروا على نقضه: (بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان ولابد فاعلاً، فثلث للطعام وثلث للشراب، وثلث للنفس).
قال: [وكان صلى الله عليه وسلم] اسمع يا عبد الله واسمعي يا أمة الله [يقسم وقته] يقسم الوقت ويقسم الطعام [ثلاثة أجزاء: جزءاً لربه تعالى، وجزءاً لأهله، وجزءاً لنفسه، ويقسم الجزء الذي لنفسه بينه وبين الناس] فأربعة وعشرين ساعة في اليوم والليلة يقسمها على ثلاثة، فيكون الثلث ثمانية ساعات، فثمان ساعات تكون لربه، وهذه معناه أن وقت الصلاة يقضي فيه ساعة ونصف وزيادة، أو ساعتين تقريباً، مع الذكر والدعاء والتنفل، فهذا الثلث فيه ثمان ساعات لله عز وجل، أكثرها صلاة وما تابعها.
وقوله: [وجزءاً لأهله] أي: من امرأة وولد [وجزءاً لنفسه] أي: للراحة [ويقسم الجزء الذي لنفسه بينه وبين الناس] فهذا يسأل، وهذا يقول: أعطني، وهذا . وهذا، فهذا الجزء الذي هو له ليس خاصاً به، بل بينه وبين الناس صلى الله عليه وسلم.

قال: [فكان يستعين بالخاصة على العامة، ويقول: (أبلغوا حاجة من لا يستطيع إبلاغي، فإنه من أبلغ حاجة من لا يستطيع إبلاغها آمنه الله يوم الفزع الأكبر)] كان صلى الله عليه وسلم يقول للناس ولأصحابه: (أبلغوا حاجة من لا يستطيع إبلاغي) فيا أصحابي! من عنده حاجة ولا يستطيع أن يصل بها إلي فاحملوه أنتم وأبلغوني إياها، (فإنه من أبلغ حاجة عبد لا يستطيع إبلاغها إلي آمنه الله يوم الفزع الأكبر) أي: أمنه الله يوم الفزع الأكبر.

مرة أخرى: معاشر المستمعين والمستمعات! نقول: [وكان صلى الله عليه وسلم يقسم وقته ثلاثة أجزاء] هيا نقسم أوقاتنا نحن، وإلا نحن خير منه؟! هيا نقسم أوقاتنا ثلاثة، قال: [ثلاثة أجزاء: جزءاً منه لربه] فلتكن صلاتنا وذكرنا وعبادتنا ثمان ساعات، وهذا أهم شيء، وإذا كنا نشتغل بالعبادة والصلاة ونقضيها في ساعة ونصف أخذنا حصتنا، فثمان ساعات للعبادة.

قال: [وكان صلى الله عليه وسلم يقسم وقته ثلاثة أجزاء: جزءاً لربه تعالى، وجزءاً لأهله، وجزءاً لنفسه، ويقسم الجزء الذي لنفسه بينه وبين الناس، فكان يستعين بالخاصة على العامة] أي: يطلب الخاصة أن يساعدوا العامة [ويقول: (أبلغوا حاجة من لا يستطيع إبلاغي)] لأنه الحاكم [(فإنه من أبلغ حاجة من لا يستطيع إبلاغها آمنه الله)أو أمنه الله (يوم الفزع الأكبر) أي: يوم القيامة].

قال: [وكان الحسن] أي: ابن فاطمة و ابن علي رضي الله عنهما [يقول: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأخذ أحداً بقرف أحد)] أي: بتهمة أحد [(ولا يصدق أحداً على أحد)].

فهذا الحسن الحبيب يقول: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأخذ أحداً بقرف أحد، ولا يصدق أحداً على أحد) إلا بالبينة العادلة التي تثبت ذلك.

قال: [وكان يتجلى خلق العدل في الحبيب صلى الله عليه وسلم بصورة واضحة تمام الوضوح، يدعو كل مؤمن إلى التخلق به ائتساء به صلى الله عليه وسلم، وهو أسوة كل مؤمن ومؤمنة في هذه الحياة].

وهكذا يتجلى خلق العدل في الحبيب صلى الله عليه وسلم بصورة واضحة، وهذا يدعو كل مؤمن إلى التخلق به ائتساء به صلى الله عليه وسلم، وهو حقاً أسوة كل مؤمن ومؤمنة في هذه الحياة.

كيف رأيتم خلق العدل؟ هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

تحكيم قريش للنبي في شأن وضع الحجر الأسود في مكانه من الكعبة

تحكيم قريش له في وضع الحجر الأسود بعد خلاف شديد بينهم كاد يفضي بينهم إلى الاقتتال].

فلما بنت قريش البيت بعد جرف السيول له، وأرادوا أن يبنوه، ثم لما بنوه ووصلوا إلى مكان الحجر، اختلفوا: من هو الذي يحمل الحجر ويضعه في مقامه، فيفوز بالشرف الخالد، فكل جماعة وكل فصيلة وقبيلة قالوا: نحن أولى بهذا، واحتكموا وكادوا يقتتلون.

قال: [فحكموا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا بتوفيق من الله تعالى: نحكم أول قادم علينا غداً]، أي: اتركوا القضية إلى غدٍ، وإذا كنا هنا أول من يدخل علينا نحكمه ويحكم بيننا ونرضى بحكمه، وهذا من توفيق الله عز وجل.

قال: [فكان النبي صلى الله عليه وسلم أول قادم، فقالوا: هذا الأمين . هذا الحكم رضينا به] وهذا قبل النبوة، أي: ما بين ولادته والأربعين سنة، وقولهم: (هذا الأمين) أي: الذي ما عرف بخيانة قط لا في قول ولا عمل.

قال: [فحكم بأن يوضع الحجر في ثوب من الثياب، وتأخذ كل قبيلة بطرف] أي: من الثوب، فلما رفعوا الثوب [ثم أخذ الحجر بيديه ووضعه في مكان من جدار البيت؛ فحكم فعدل، وكان مظهراً من مظاهر عدله صلى الله عليه وسلم].

ومن الواجب إذا ذكر بين يديك صلى الله عليه وسلم، فقل: صلى الله عليه وسلم، وإلا تتعرض للهون والدون، وهذا الموقف يتجلى فيه العدل، فإنهم كادوا يقتتلون، فألهمه الله إلى أن يوضع الحجر في ثوب واحد، وكل قبيلة تأخذ بطرفه، ومعناه أنها ساهمت ولها شرف، ثم يأخذ الحجر بنفسه ويضعه في مكانه من البيت.

إقامة الحد الشرعي على القريب قبل البعيد، وعلى العزيز قبل الوضيع

ثاني موقف من مواقف العدل المحمدي ولاحظوا وتأملوا، قال: [لما سرقت المخزومية] هذه امرأة صحابية من بني مخزوم في المدينة سرقت سرقة، وشق على المسلمين إقامة الحد عليها فتقطع يدها، فما أطاق الأصحاب هذا، ماذا يصنعون كيف يفعلون؟ قال: [وشق على المسلمين إقامة الحد عليها فتقطع يدها، فتوسطوا له بحبه وابن حبه أسامة بن زيد]، توسط الأصحاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ما تقطع يد المخزومية بولد حبه وهو حبه أيضاً أسامة بن زيد [فرفع إليه القضية أسامة ، فقال: (أفي حد من حدود الله تشفع يا أسامة !)]، أي: كيف تقبل على هذا وتقدر عليه؟ واسمع ما قال الحبيب صلى الله عليه وسلم، قال: [(والله لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها)]، هذا عدل فوق كل عدل ولا نظير له: (والله لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها)، فكيف بهذه المخزومية.

معاشر المستمعين! أتدرون لماذا ندرس هذه السيرة؟ رجاء أن نتصف ببعض الصفات، والله ليس معنى هذا لنقول: الرسول عدل، ولكن من أجل أن نجاهد أنفسنا حتى نتصف بهذا الكمال المحمدي؛ لأنه أسوتنا وقدوتنا، وقد جعله الله أسوة: لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ [الأحزاب:21]، فإذا جاءت فتنة أو محنة نتذكر هذه الأحداث فنلزم العدل ولا نحيف ولا نجور، وليس الأمر مجرد سماع وتهكم.

أعيد هذا الموقف: قال: [لما سرقت المخزومية، وشق على المسلمين إقامة الحد عليها فتقطع يدها، فتوسطوا له بحبه وابن حبه أسامة بن زيد ، فرفع إليه القضية، فقال: (أفي حد من حدود الله تشفع يا أسامة !)] منكراً عليه هذا الموقف ومستنكراً له [(والله لو سرقت فاطمة

بنت محمد لقطعت يدها) فكان هذا المظهر عظيماً للعدل المحمدي]، والله إنه لصادق وهو أصدق الصادقين، هذا حبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم فأين المحبون؟!

عدل النبي بين أهل بيته وعدله بين عامة المسلمين

وهناك موقف ثالث فانظر واسمع ولاحظ، قال: [وكانت تحته تسع نسوة] أي: وكان تحته تسع زوجات، وعلى رأسهم عائشة ، وعلى نهايتهم مارية القبطية [وكان يعدل ويتحرى العدل ثم يعذر إلى ربه وهو مشفق خائف، فيقول: (اللهم هذا قسمي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك)]، أي: يبذل جهده وطاقته في أن يعدل بين نسائه، في الفراش، في الكلام، في الطعام، في اللباس، ومع هذا يقول: رب هذه قدرتي، هذا قسمي فيما تملك، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك، بمعنى: إن عجزت فهو عن عجز، لا عن إرادة انحراف أو سوء أو ظلم.
فقال: (اللهم هذا قسمي فيما أملك) أي: من القدرة، فلا تلمني فيما تملك أنت يا رب ولا أنا لا أملك.
وأنتم عندكم إما اثنتان أو ثلاث، وقل من يكون له أربعة، فليذكر هذا ويعدل بين نسائه، ولا فرق بين الدميمة والجميلة، ولا بين الكبيرة والصغيرة، ولا بين الشريفة والوضيعة، إذ لكل واحدة حقها في ليلة الفراش وفي طعامها ولباسها، وهذا العدل.
هل يوجد هذا العدل بيننا الآن؟ الشكاوى والبكاء والتساؤلات والمحاكم والطلاق لا حد له، وسببه الجور وعدم العدل، وما سمعنا بهذا الخبر ولا علمناه، ولا حاولنا أنفسنا يوماً أن نقتدي برسول الله ونأتسي به، ونمشي وراءه لنكمل ونسعد، بل شغلتنا دنيانا، شغلتنا أهواؤنا وشهواتنا، وها نحن في حيرتنا نتخبط، ومن لم يمش مع الطريق السوي لابد وأن يتحطم.
وموقف آخر، قال: [وقوله للأعرابي البدوي الذي قال له: اعدل، فإن هذه قسمة ما أريد بها وجه الله] هذا أعرابي جلف قاس جاهل، كان الرسول يقسم في غنيمة، فقال الأعرابي: اعدل يا محمد، فإن هذه قسمة ما أريد بها وجه الله.
وهذه الكلمة لو قيلت لغير رسول الله لضربه على وجهه حتى يقع على الأرض، فقوله: (وهذه قسمة ما أريد بها وجه) معناها أن الرسول يواجه الناس ويعاملهم بحسب هواه.
فهذا أعرابي جاهل وغليظ وجاف، وليس من حقه أن يقول هذه الكلمة.
المهم قال الأعرابي: اعدل -أي: يا رسول الله- فإن هذه قسمة ما أريد بها وجه الله.
قال: [فقال الحبيب صلى الله عليه وسلم: (ويحك فمن يعدل إن لم أعدل)]، ويحك يا أعرابي، ما قال: ويلك؛ لأن ويحك تدل على الخير، وويلك تدل على الشر والبلاء، وويلك تدل على العذاب، وويحك تدل على الرحمة والإحسان [(خبتُ وخسرتُ إن لم أعدل)] فدعا على نفسه بالخيبة والخسران إن لم يعدل، هذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم.
فالأعرابي البدوي قال للنبي صلى الله عليه وسلم: اعدل، فإن هذه قسمة ما أريد بها وجه الله، فقال له الحبيب صلى الله عليه وسلم: (ويحك فمن يعدل إن لم أعدل؟ خبتُ وخسرتُ إن لم أعدل)) دعا على نفسه، وإن شاء الله من الليلة الذي عنده انحراف في أية قسمة يجب أن يذكر هذا، فلا يميل لا يمين ولا شمال، فالعدل العدل، وقد رأينا رسول الله يعدل هذا العدل ويرغب فيه، فكيف لا نتصف به؟!

الزهد المحمدي

قال: [الزهد المحمدي] أي: كيف كان يزهد في هذه الأوساخ الدنيوية، والأعراض الفانية الباطلة، كيف كان يزهد فيها؟ نستمع إلى بعض الوقفات.
قال: [إن المراد بالزهد الزهد في الدنيا، وذلك بالرغبة عنها، وعدم الرغبة فيها، وذلك بطلبها طلباً لا يشق ولا يحول دون أداء واجب، وسد باب الطمع في الإكثار منها والتزيد من متاعها، وهو ما زاد على قدر الحاجة، وقد كان صلى الله عليه وسلم يقول: (ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس)، وقد كان صلى الله عليه وسلم أزهد الناس في الدنيا، وأقلهم رغبة فيها، حتى كان الزهد خلقاً من أخلاقه الفاضلة وسجية من سجاياه الطيبة الطاهرة].
أعيد قراءة هذه الفقرات فتأملوا! قال: [إن المراد بالزهد] يا عباد الله ويا إماء الله! [الزهد في الدنيا؛ وذلك بالرغبة عنها، وعدم الرغبة فيها] فمن رغب فيها طلبها في الليل والنهار من الحلال والحرام، ومن رغب عنها تركها ولا يطلبها إلا بحسب سنة الله في الطلب، فما جاء منها مرحباً، وما لم يجئ كذلك.
قال: [وذلك بطلبها طلباً لا يشق] أي: يطلب الدنيا طلباً لا يشق على نفسه؛ فيسهر الليل كاملاً ويعمل النهار.
قال: [ولا يحول دون أداء واجب] أي: يطلب الدنيا، لكن هذا الطلب لا يمنعه أن يؤدي واجباً، فما يقف بينه وبين واجب أبداً، فالواجب أولاً، [وسد باب الطمع في الإكثار منها والتزيد من متاعها] هذا معنى الزهد: سد باب الطمع في الإكثار، فهو لا يريد أن يكثر ماله أبداً، والتزيد من متاعها، [وهو ما زاد عك قدر الحاجة] ما به الحاجة اطلبه طلباً لا يشق، ولا تطلب طلباً في إضاعة ما أوجب الله من العبادات، بل اطلبه في حدود طاقتك.
قال: [وقد كان صلى الله عليه وسلم يقول: (ازهد في الدنيا يحبك الله)]، لأنه إذا زهد في الدنيا رغب في الآخرة، وإذا رغب في الآخرة أخذ يعمل الصالحات، وتجنب المكروهات المحرمات، ومن هنا زكت نفسه وطابت وطهرت، ومن هنا أحبه الله عز وجل.
إذاً قوله: (ازهد في الدنيا يحبك الله) لأن الزهد في الدنيا معناه الرغبة في الآخرة، فهما ضرتان متلائمتان، فإذا أقبل على الآخرة زهد في الدنيا، وإذا أقبل على الآخرة أكثر من الصالحات وقلل من السيئات، وحينئذ تطيب نفسه وتطهر، والله يحب الطيبين المطهرين.

وعجب لهذه الحكمة: (ازهد في الدنيا يحبك الله)، فلا تفهم: ازهد في الدنيا وازهد في الآخرة أيضاً، فما يقول هذا عاقل، لكنك إذا زهدت في الدنيا فإن هذا معناه: أنك رغبت في الآخرة وأعطيتها وقتك وجهدك.
قال: [(وازهد فيما عند الناس يحبك الناس)] أي: ازهد فيما عند الناس فما تلتفت إلى أموالهم ومتاعهم وما هم فيه فيحبك الناس، أما إذا ما زهدت فيما عندهم: ما هذا وكيف لكم، وأعطونا وأنتم كذا. والله ما يحبونك.
فصلوا على أبي القاسم، عجباً لهذا الرسول صلى الله عليه وسلم! وأنت إذا كنت في القرية أو في الحي أو في المدينة، والناس عندهم أموال، فازهد أنت تجدهم يحبونك، أما إذا التفت إليهم تدعوهم وتسألهم تقول: ما شاء الله، هذا عندكم وهذا كذا والله لا يحبونك، وقد أخبر بهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهيا نحفظ هذه الحكمة المحمدية: (ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس)، لماذا نصبنا يحبَك؟ لأنها في جواب الطلب، فالأمر افعل كذا والجزاء كذا، والحركة هنا أظهر من السكون: (ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس) وهذا والله لحق، وقد جربناه ونجحنا، ومن أحبه الله وأحبه عباده بقي أفضل منه؟ ما في كمال أعظم من هذا: حب الله وحب الناس، فقد أصبح كرسول الله صلى الله عليه وسلم.
قال: [وقد كان صلى الله عليه وسلم أزهد الناس في الدنيا، وأقلهم رغبة فيها، حتى كان الزهد خلقاً من أخلاقه الفاضلة وسجية من سجاياه الطيبة الطاهرة]، والسجية هي الطبيعة والفطرة.

مواقف يتجلى فيها خلق الزهد عند النبي صلى الله عليه وسلم

قال: [وها هي مواقف يتجلى فيها الزهد المحمدي: أولاً: قوله صلى الله عليه وسلم في الصحيح] فالأحاديث التي نوردها ليس فيها ضعيف أو باطل، بل أحاديث ثابتة صحيحة [يقول: (لو كان لي مثل أحد ذهباً)]، تعرفون جبل أحد؟ اخرج عند الباب وشاهد [(لو كان لي مثل أحد ذهباً لما سرني أن يبيت عندي ثلاثاً إلا قلت فيه هكذا وهكذا إلا شيئاً أرصده لدين)].
أي: لو كان لي مثل أحد ذهب لما سرني أن يبيت عندي ثلاثاً أي: ثلاث ليال، إلا قلت فيه: هكذا وهكذا، أعطيت من هذا وهذا، إلا شيء أرصده للدين.
قال: [فهذا أكبر مظهر للزهد الصادق الذي كان الحبيب صلى الله عليه وسلم يعيش عليه ويتحلى ويتجمل به].
فهيا يا أصحاب الرواتب مثلنا، قسموها ثلاثة.
مرة ثانية: قال: (لو كان لي مثل أحد ذهباً لما سرني) أي: لما أفرحني (أن يبيت عندي ثلاث إلا) أي: ما يبقى عندي ثلاثة أيام وقد قسمته (إلا قلت فيه هكذا وهكذا إلا شيئاً أرصده لدين) الذي عليه دين هو علي.
قال: [ثانياً: قوله صلى الله عليه وسلم لعمر] اسمع ما قال لعمر بن الخطاب [وقد دخل عليه] أي: دخل عمر على رسول الله في فراشه في تلك الحجرة [فوجده على فراش من أدم] أي: فراش من جلد [حشوه ليف] أي: ليف النخل، ليس بصوف ولا قطن [فقال] أي: عمر رضي الله عنه [إن كسرى وقيصر ينامان على كذا وكذا]، إن كسرى ملك فارس، وقيصر ملك الروم ينامان على كذا وكذا من الفرش [وأنت رسول الله صلى الله عليك وسلم تنام على كذا وكذا؟! فقال له صلى الله عليه وسلم: (ما لي وللدنيا يا عمر، إنما أنا فيها كراكب استظل بظل شجرة ثم راح وتركها)] أي: ما لي وللدنيا يا عمر ، إنما أنا فيها كمسافر استظل بظل شجرة ساعة القيلولة ثم راح وترك الشجرة والظل، وهذه هي الدنيا، والله لهي الدنيا هكذا، ما منا إلا وتاركها [فكان هذا أقوى مظهر من مظاهر الزهد المحمدي الصادق].
وموقف آخر، قال: [عرض عليه ربه تعالى] أي: بواسطة جبريل عليه السلام [أن يحول له الأخشبين ذهباً وفضة؛ وذلك بعد عودته من الطائف جريحاً كئيباً حزيناً] وذلك لما ما وجد أبداً من يصغي أو يسمع كلامه في مكة، وطالت المدة فخرج إلى الطائف، فنالوا منه، ضربوه بالحجارة، وأدموا عقبيه، فعاد في كرب وهم وحزن، فأراد الله أن يخفف عنه ذلك، فقال: إن ربك يعرض عليك تحول الجبلين إلى ذهب وفضة لمسح دموعه.
قال: [فقال: (لا يا رب، أشبع يوماً فأحمدك وأثني عليك، وأجوع آخر فأدعوك وأتضرع إليك)].
الله أكبر. الله أكبر! هذا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يا رب) أي: لا تحول لي الجبلين ذهب وفضة، لماذا؟ قال: (أشبع يوماً فأحمدك وأثني عليك) وهكذا: أيما مؤمن شبع بطعام أي طعام فيقول: الحمد لله، الحمد لله، الحمد لله، وإذا جاع رفع يديه إلى الله ودعا ربه، فهو يتنقل من خير إلى خير، بخلاف لو كان دائماً شبعان يحمد فقط، والصنف الثاني ما عنده إلا الدعاء والضراعة: (وأجوع يوماً آخر فأدعوك وأتضرع إليك) وهذه وحدها لو نرجع فيها عاملين بها كفانا.
فجبريل عليه السلام يقول: بسم الله، يقول ربك يا محمد؛ ويعرض عليك تحويل هذين الجبلين إلى جبلي فضة وذهب، وأنت كئيب حزين عدت من الطائف، فيقول: (لا يا رب!) لماذا؟ قال: (أشبع يوماً فأحمدك وأثني عليك، وأجوع يوماً فأدعوك وأتضرع إليك)، فهو بين الحمد والثناء والضراعة والدعاء.
ومعنى هذا يا أبنائي على الأقل ما نأكل الربا، ما نسرق أموال الناس، لا نخدع ولا نغش، لا نكذب ولا نزور، ولا نقول الباطل، ونصبر على ما آتانا ربنا، فإن جعنا دعونا وتضرعنا، وإن شبعنا حمدنا الله وأثنينا عليه، ونكون على منهج الحبيب صلى الله عليه وسلم.
قال: [وأكبر مظهر لزهده صلى الله عليه وسلم في الدنيا سؤاله المتكرر: (اللهم اجعل قوت آل محمد كفافاً)، وفي لفظ: (قوتاً) أي: بلا زيادة ولا نقصان، وكان يقول: (قليل يكفي خير من كثير يلهي، وما قل وكفى خير مما كثر وألهى أو أطغى)].
يا طلاب الدنيا! تعالوا، اسمعوا الحبيب يقول: (اللهم اجعل قوت آل محمد كفافاً)، أي: قوتاً كافياً، وفي لفظ: (قوتاً) أي: بلا زيادة ولا نقصان، وكان يقول: (قليل يكفي خير من كثير يلهي) والله العظيم: قليل من المال يكفيك، خير من كثير يلهيك عن عبادة الله وذكره، (

وما قل وكفى خير مما كثر وألهى)، أي: ما قل وكفى الحمد لله خير مما كثر وألهى أو أطغى؛ لأن بعضهم إذا كثر المال يطغون طغياناً، وبعضهم يلهون عن الآخرة ويعرضون.
قال: [وهو قول عائشة رضي الله تعالى عنها: (مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وما في بيتي شيء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير في رف لي، وقد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودي في ثلاثين صاعاً من شعير)].
هاه! ماذا نقول بعد هذا؟ لا إله إلا الله! قال: قول عائشة رضي الله تعالى عنها: (مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وما في بيتي شيء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير في رف لي من رفوف البيت، وقد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودي في ماذا؟ في ثلاثين صاعاً من شعير)، أبى أن يقول: أنا جائع، ولو سأل المسلمين لماتوا جوعاً، ولشبع رسول الله، ولكن لم يسأل أحداً أبداً، ولم يطلعه على حاجته.
قال: [وبالتأمل في هذه المواقف تتجلى الحقيقة واضحة، وهي أن الزهد الحق كان خلق النبي الحبيب صلى الله عليه وسلم، وهو القائل: (الدنيا دار من لا دار له، ومال من لا مال له، ولها يجمع من لا عقل له)].
والذي فقد عقله الذي يجمع الدنيا، ويشتغل بها ليل نهار ويعرض عن ربه من أجل المال.
قال: [فصل اللهم وبارك وسلم على عبدك ورسولك أزهد الزهاد وأفضل العباد إلى يوم التلاقي والميعاد].
اللهم صل وبارك وسلم على عبدك ورسولك أزهد الزهاد وأفضل العباد إلى يوم التلاقي والميعاد.

الأسئلة

نجيب عن بعض الأسئلة إن شاء الله.

حكم إهداء قراءة القرآن للميت

السؤال: بسم الله الرحمن الرحيم، سائل يقول: إذا كان يريد القرآن ووهب قراءته لوالديه وهما ميتان، هل يصل إليهما ثواب تلاوته، أفيدونا جزاكم الله خيراً؟ الشيخ: يقول السائل: إذا مؤمن قرأ سورة من القرآن أو جزءاً أو ربع جزء أو ما شاء الله، ثم قال: اللهم إني وهبت ثوابي هذا لأبي أو أمي الميتين، فهل يجوز هذا أو لا يجوز؟ مرة ثانية: يقرأ القرآن في المسجد .

.
في بيته، ثم يقول: اللهم اجعل ثواب ما قرأته لأبي أو أمي أو لمن شاء من الأموات؟ الجواب: هكذا لا يصح، لكن لابد من تعديله وتصويبه؛ فيقرأ القرآن بنية التملق إلى الله والتزلف إليه، ليقضي حاجته، ثم إذا فرغ رفع كفيه إلى الله، وقال: اللهم اغفر لأبي وارحمه، اللهم أعل درجته، اللهم ألحقه بالصالحين متوسلاً إلى الله بتلك القراءة، أما أن يهدي الثواب، وهو لا يملك، وما يدريك أنك أثبت؟ كم من قارئ لم يثب على قراءته، وهذا عدم فهم فقط.
والمسألة متكررة عند الناس: الذي يقول: أنا قرأت القرآن: اللهم اجعل ثواب هذه القراءة لفلان، بهذه الطريقة لا تصح، لا ينتفع بها، لكن كيف ينتفع بها؟ أولاً: يقرأ القرآن لله، فيتملق ويتزلف إليه، فإذا فرغ رفع يديه إلى الله وسأله المغفرة والرحمة أو علو الدرجة لمن أراد له ذلك من الأموات، ومعنى هذا توسل إلى الله بقراءة كلامه، ثم لما توسل طلب، فيعطى.
أما بطريقة عسكرية: أعط ثواب كذا، فهذا باطل ولا واجه به الله عز وجل، من أين لك أنك تملك: أعط لفلان وفلان، وهذا كله ناشئ عن الجهل وعدم البصيرة، تقول: رب أعط كذا وكذا فهل تأمر الله أنت؟! وإنما تقرأ القرآن بنية التوسل إلى الله والتزلف إليه بتلاوة كلامه، وأنت خاشع ثم يقول: اللهم اغفر لأبي وارحمه، اللهم أعل درجته، اللهم ألحقه بالصالحين متوسلاً إلى الله بتلك القراءة.